الجواب الصحيح

لمن بدل دين المسيح

تأليف

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

(٦٦١ ـ ٧٢٨هـ)

تحقيق

د. عبد الرحمن بن حسن قائد

إشراف

د. علي بن محمد العمران

المجلد الأول



مركز التأصيل للدراسات والبحوث

Taseel Center for Studies & Research

طبع برعاية

مؤسسة عبد اللطيف العيسى الخيرية

راجع هذا المجلد

د. عَبْدُ ٱللهِ بْن عُمَر الدّميجي

الشَّيْخ عَبْد ٱلرَّحْمَن بْن صَالِح ٱلسُّدَيْس

ح مركز دار التأصيل للنشر والتوزيع، ١٤٤٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن تيمية، احمد بن عبدالحليم
الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. /احمد بن عبد الحليم ابن تيمية ؛ علي محمد العمران - جدة ، ١٤٤٠ هـ

٥ مج.

ردمك: ٧-٠-٩١٣١٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٤-١-٩١٣١٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

١- الإسلام و النصرانية ٢- الديانات المقارنة أ-العمران ، علي محمد (محقق) ب.العنوان

ديوي ٢٩١ ١٤٤٠/١١٣١٧

رقم الإيداع: ١٤٤٠/١١٣١٧
ردمك: ٧-٠-٩١٣١٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٤-١-٩١٣١٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

الطبعة الأولى
١٤٤١هـ - ٢٠١٩م



مركز التأصيل للدراسات والبحوث
Taseel Center for Studies & Research

جدة، شارع عبدالله السليمان، مقابل اكسترا
المملكة العربية السعودية

هاتف: 00966126288685
جوال: 00966596747896

الرمز البريدي: 22246، الرقم الإضافي: 6929
البريد الإلكتروني: sabban.taseel@gmail.com

الجواب الصحيح

لمن بدل دين المسيح

تأليف

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

(٦٦١ - ٧٢٨هـ)

تحقيق

د. عبد الرحمن بن حسن قائد

إشراف

د. علي بن محمد العمران

المجلد الأول





مركز التأصيل للدراسات والبحوث
Taseel Center for Studies & Research

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

مقدمة

مركز تأصيل للدراسات والبحوث

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ نبيه ومصطفاه.

وبعد، فقد وقف النصارىٰ من دعوة نبينا محمد ﷺ موقف المعادي والمحارب لها من أول يوم صدع فيه بدعوة الحق، وقد أخبرنا الله تعالىٰ عن عدواتهم فقال تعالىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠]، وقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧].

فعدواتهم للإسلام مستمرة إلىٰ يوم القيامة، فهم لا يفتأون يكيدون للإسلام والمسلمين بكل ما استطاعوا من سبل ووسائل، وسلكوا في هذا السبيل طرائق شتىٰ، ما بين حروب أوقدوها ضد المسلمين، أو حملات لإخراج المسلمين من دينهم، أو الكتابة والتأليف لتشويه شرائع الإسلام والطعن فيها، أو التشكيك في عقيدة المسلمين، أو تشويه تاريخهم وأعلامهم.

لكن هذا الكيد والعداوة للإسلام من أعظم أسباب ظهوره وإقبال الناس عليه، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (من أعظم أسباب ظهور الإيمان والدين، وبيان حقيقة أنباء المرسلين ظهور المعارضين من أهل الإفك المبين... وذلك أن الحقَّ إذا جُحِد وعُورِض بالشبهات، أقام الله تعالىٰ له ممَّا يُحِقُّ به الحقَّ ويُبْطِل به الباطل من الآيات البينات، بما يظهره من أدلة الحقِّ وبراهينه الواضحة، وفساد ما عارضه من الحجج الدَّاحضة)(١).

(١) «الجواب الصحيح»: ١/ ٢١

ومن فضل الله أن سخّر لهذا الدين علماء ربّانيين يدافعون عن الحق ويجاهدون الباطل وأهله، وممن حمل راية الدفاع والجهاد في أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجري شيخ الإسلام تقي الدين أحمد ابن تيمية رحمه الله، فقد رد على شبهات وتضليل النصارى في كتابه العظيم (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح).

ومع أنه قد رد على النصارى قبله وفي زمانه فئامٌ من العلماء ـ على اختلاف مشاربهم ـ مثل الجاحظ، والقاضي عبد الجبار الهمَذاني، وابن حزم، والباجي، والغزالي، والرازي، والقرطبي، والقرافي، وغيرهم من العلماء، لكن نقد ابن تيمية للنصارى تميّز عن كافة الردود الأخرى بأنه أقواها حجة، وأفضلها منهجًا، وأعمقها فكرة، وذلك أن المنطلقات السنية، والمنهجية السلفية التي اعتمد عليها جعلته يتميز بقوة الحجة، وتناسق المنهج، وشمولية المجادلة، هذا إضافة إلى ما تميزت به شخصية ابن تيمية العلمية من سعة الاطلاع والمعرفة، فقد ناقش الفلسفة والمنطق اليوناني بمنهجية فريدة يندر وجودها، وكان واعيًا بالحركة الفكرية عند المسلمين والنصارى وما يكون بينها من التداخل.

وكذلك استمر الرد على النصارى، وبيان باطلهم بعد ابن تيمية، لتجدد عقائد وأحوال وأفكار النصارى والعقائد النصرانية.

وإسهامًا في الدفاع عن الدين وحماية المسلمين وتثبيت عقيدتهم، وبيان عقائد النصارى الباطلة، وما طرأ على دينهم المحرف والمبدل، اقتضى ذلك العناية بكتاب شيخ الإسلام ابن تيمية «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» من وجوه متعددة، فرأينا أولا إعادة تحقيق الكتاب تحقيقًا علميًّا منهجيًّا، وذلك بعد أن وجدنا عشر نسخ خطية بعضها قريب العهد من المؤلف،

وفي بعضها فصل جديد ملحق بالكتاب لا يوجد في كل المنشورات السابقة يقدر بأربعين صفحة.

ونرجو أن يتلو هذا التحقيق دراسة علمية مطولة حول الكتاب بعنوان «المدخل إلىٰ الجواب الصحيح»، ثم اختصار وتقريب للكتاب ليكون سهل التناول حيث تبين لنا بعد إجراء استطلاع رأي المختصين في العقيدة أن الأغلب لم يقرأ الكتاب كاملا، فإذا كان هذا حال المختصين بالعقيدة فكيف سيكون حال غير المختصين فيها، بله بقية العلوم الأدبية أو الطبيعية وغيرهم.

وهذا العمل الذي يقوم «مركز التأصيل للدراسات والبحوث» بالدور العلمي والمنهجي فيه، وتقوم «مؤسسة العيسىٰ الخيرية» بالتمويل والرعاية، هو جزء من الواجب المتحتم علىٰ أهل العلم القيام به، نصرة للدين، وإقامة للحجة، وانتصارا للشريعة الغراء، والواجب كبير، وهو بحاجة إلىٰ تظافر الجهود الإسلامية المباركة، ونرجو أن ينهض لها دعاة الإسلام، وأهل الغيرة فيهم بإذن الله تعالىٰ.

وفي الختام نشكر الله تعالىٰ أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا علىٰ توفيقه في اكتمال تحقيق هذا الكتاب، كما نشكر مؤسسة العيسىٰ الخيرية، علىٰ رعايتهم للمشروع، ونسأل الله تعالىٰ أن يتقبل ذلك ويجعله في ميزان حسنات أبيهم رحمه الله، وفي ميزان حسناتهم جميعًا وهو الغني الكريم، والحمد لله رب العالمين.

إدارة مركز التأصيل

مقدمــة المشــرف على تحقيــق الكتاب

د. علي بن محمد العمــران

الحمـد لله رب العـالمين، والصـلاة والسـلام علـىٰ خـاتم الرسـل أجمعـين محمد بن عبدالله، وعلىٰ سائر الأنبياء والمرسلين، ومن تبعهم إلىٰ يوم الدين.

أما بعد، فقد طبع كتاب «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» لشيخ الإسلام ابن تيمية أول مرة عام ١٣٢٢هـ - ١٩٠٥م أي قبل نحو مئة وعشرين عامًا، ولم نعرف علىٰ وجه التحديد علىٰ أي النسخ اعتمد طابعوه آنذاك. ثم طبع بعد ذلك في مصر في مطبعة المدني بالاعتماد علىٰ تلك الطبعة دون الرجوع للمخطوطات. ثم طبع محقّقًا في ثلاث رسائل جامعية معتمدين علىٰ أربع نسخ خطية، وفاتهم الوقوف علىٰ ست نسخ أخرىٰ للكتاب، وفيها ما هو بالغ الأهمية من حيث القدم والقرب من المؤلف، ومن حيث صحة القراءة، ومن حيث الزيادات، كما سنشرحه عند الكلام علىٰ نسخ الكتاب.

وكان معلومًا لدىٰ الفاحصين لطبعات هذا الكتاب والمعتنين بكتب شيخ الإسلام أن هذه الطبعات الثلاث وما تلاها من طبعات معتمدة عليها قد اعتوَرَها العديد من أوجه النقص؛ ليس في فوات نسخ الكتاب المهمة فحسب، بل في العناية به، وفي قراءة كثير من نصوصه، وفي التعليق عليه وخدمته بالفهارس الكاشفة.

وحينما ناقش «**مركز تأصيل للدراسات والبحوث**» معنا فكرةَ إعادة العمل في تحقيق الكتاب، وخلص الأمر بعد التداول والمناقشة إلىٰ أن الكتاب

بحاجة إلىٰ تحقيق جديد يقدم الخدمة التي يستحقها الكتاب بإخراجه علىٰ نهج صحيح، واستكمال النظر في مخطوطاته الجديدة، وما إليها من وجوه التجويد والخدمة.

وكانت الركيزة الأولىٰ لهذا العمل هي البحث عن جميع مخطوطات الكتاب وتحصيل ما أمكن منها، تمهيدًا لفحصها والانتفاع بها، فكان ذلك والحمد لله، فتمكنّا من تحصيل عشر نسخ خطية ست منها لم تستخدم في الطبعات السابقة، منها نسخ قديمة غاية في الجودة تُقدِّم قراءاتٍ جديدة وتزيد علىٰ المطبوع نصوصًا جديدة.

وقد سار العمل في خمس مراحل:

الأولىٰ: تكوين الفريق العلمي للعمل في الكتاب، وتحرير المنهج الذي يسير عليه العمل، وهو نهجٍ طالما سلكناه في تحقيق كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم في المشاريع العلمية التي دأبنا علىٰ إخراجها ضمن سلسلة آثار شيخ الإسلام وابن القيّم وما لحقهما من أعمال، وقد شرحنا تفاصيله مرارًا في مقدمات تيك الكتب، وفي كتيّب صدر بعنوان «التعريف بمشروع نشر آثار العلماء ومنهج تحقيقها». وسنشرح ما يتعلق بخصوص هذا الكتاب في مكانه من هذه المقدمة.

الثانية: الشروع في تفاصيل عملية التحقيق، وقد تولىٰ كل محقق من الفريق مجلّدًا خاصًّا يقوم عليه بكل متطلباته، وقد استغرق العمل في هذا الكتاب نحو سنة ونصف، وسرنا فيه سيرةً مقتصدة في التعليق سابغة في مراجعة النص وضبطه، والتعليق بما يفيد القارئ ويخدم الكتاب.

الثالثـة: بعـد الانتهـاء مـن التحقيـق أوكـل كـل مجلـد مـن مجلداتـه إلـىٰ محكّمَين مختصَّين في العقيدة وكتب شيخ الإسلام أو في أحدهما، عاد بعدها الكتاب لفريق التحقيق للمراجعة والتعديل.

الرابعة: بعد استقرار صفحات الكتاب دفع للفهرسة العلمية واللفظية.

الخامسة: كتابة مقدمة التحقيق، وقد اشترك الفريق في كتابة جملة المقدمة مع مراجعتها.

ومباحث المقدمة كالتالي:

١) بين يدي الكتاب
٢) اسم الكتاب
٣) تاريخ تأليفه
٤) سبب التأليف
٥) إثبات نسبته إلىٰ المؤلف
٦) منهج المؤلف
٧) موضوع الكتاب، وأهميته، وترتيبه
٨) موارده
٩) نسخه الخطية
١٠) أهم مطبوعاته، وتقويمها
١١) منهج التحقيق

فامتازت هذه الطبعة بحمد الله بميزات عديدة:

◊ استيعاب النسخ الخطية للكتاب وقد بلغت عشرًا، وإخراج نصه بالاعتماد عليها.

◈ العناية اللائقة به من حيث الضبط وتصحيح النص. واستدراك ما فات الطبعات السابقة من نقص أو سقط أو خطأ أو تصحيف.

◈ التعليق علىٰ ما يحتاجه النص ويكمل غرضه.

◈ العزو إلىٰ كتب شيخ الإسلام ابن تيمية الأخرىٰ التي اشتركت في مباحثها مع كتابنا هذا.

◈ مقدمة تكشف أهمية الكتاب وما يتعلق به.

◈ الفهارس الكاشفة لعلومه وكنوزه بما لم يصنع في طبعة أخرىٰ.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر لكل من أسهم لإنجاح هذا العمل، فنشكر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ومركز جمعة الماجد، ودارة الملك عبد العزيز، والإخوة المشايخ إبراهيم بن منصور الأمير، ود. خالد الزهراني= علىٰ تفضلهم جميعًا بالإعانة علىٰ توفير أو تصوير بعض النسخ الخطية. وكذلك الشيخ جليل عيّاد إذ تفضّل بقراءة بعض المصادر والموسوعات الإيطالية والفرنسية والإنجليزية وترجمة ما احتجنا إليه منها إلىٰ اللغة العربية، لاسيما فيما يخص تاريخ النصرانية وتراجم أعلامها.

ونرجو بذلك أن نكون قد قدمنا الكتاب للقراء في صورة أقرب إلىٰ ما تركه مؤلفه، في عمل علميّ يليق به وبمؤلفه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ محمد النبي الخاتم.

وكتب

د. علي بن محمد العمران

٦/ رمضان/ ١٤٤٠هـ

بين يدي الكتاب

ألّف شيخ الإسلام ابنُ تيمية المتوفىٰ في سنة ٧٢٨هـ كتابه المرجعي: (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) جوابًا علىٰ رسالة الرَّاهب بولس الأنطاكي أسقف صيدا، وهي رسالة انتشرت ـ أو نُشِرت ـ بين المسلمين علىٰ نطاق واسع، في عصر ابن تيمية وقبله بقرن من الزمان.

وقد ألّف ابن تيمية موسوعته (الجواب الصحيح) في علم الجدل الديني مع علماء النصرانية، وجرت في أوربا بعد ابن تيمية بقرنين من الزمان وقائع (حركة الإصلاح الديني علىٰ يد كل من مارتن لوثر، وكالفن، وزونجلي) وقد حققت حركة الإصلاح الديني هدفها بتقييد سلطات البابا المطلقة، وإصلاح بعض ما لحق بالكنيسة من فساد، وقد تمخض الإصلاح عن حدث كبير هو: انقسام المسيحية إلىٰ فرقتين كبيرتين هما: الكاثوليكية والبروتستانتية.

وقد مثل الإصلاح الديني تحولاً هائلاً في سيرورة التاريخ في الغرب، لأن انحسار طغيان الكنيسة وبابواتها فتح الباب أمام الإصلاح المنهجي الفكري الذي وقع في القرن السابع عشر، وقد كان لعلماء المسلمين ومفكريهم دور مؤثر في تحولات الأحداث في الغرب، وهذه مسألة لم تجد من عناية الباحثين المسلمين ما تستحقه من بيان للكشف عن مدىٰ تأثير الحضارات وفاعلية بعضها في بعض.

ولم تحرك رسالة الراهب بولس الأنطاكي الملكاني أسقف صيدا، ابنَ تيمية وحده لكتابة رد عليها[1]، لكنها استفزت عالمًا كبيرًا في مصر هو أحمد

(١) ينظر مبحث سبب تأليف الكتاب من هذه المقدمة.

ابن إدريس القرافي المتوفىٰ سنة ٦٨٢هـ لكتابة رد عليها سماه: (الأجوبة الفاخرة في الرد علىٰ الأسئلة الفاجرة).

كما أن عالمـًا معاصرًا لابن تيمية، هو شمس الدين محمد بن أبي طالب الدمشقي المتوفىٰ سنة ٧٢٧هـ قد كتب ردًّا ثالثًا علىٰ رسالة الأسقف بولس الأنطاكي.

وأما رسالة بولس، فهنالك مخطوطات باقية للرسالة منها مخطوط بالمتحف القبطي بالقاهرة (رقم ٩٥/ ٢٥٤، ويقع في ٢٦ صفحة)، وبه بعض اختلاف عما أورده كل من ابن تيمية وأبي طالب الدمشقي والقرافي.

وهناك المخطوطة السينائية للرسالة وهي التي نشرها بولس خوري مع بعض الرسائل الأخرىٰ للراهب الأنطاكي، مع ترجمة فرنسية لها في كتابه بعنوان (بولس الأنطاكي أسقف صيدا الملكاني، سنة ١٩٦٤م).

وهناك أكثر من ترجمة إنجليزية لرسالة الراهب بولس الأنطاكي أسقف صيْدا.

هـذا وقـد أورد المستشرق الأب لويس شيخو في كتابه (المخطوطات العربية لكتبة النصرانية، نشرة مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت ١٩٢٤م) ترجمة مختصرة لصاحب الرسالة بولس الراهب، جاء فيها: (هو أسقف صَيْدا الأنطاكي الرُّومي الملكي من أهل القرن الثالث عشر الميلادي... له عشر مقالات حسنة الإنشاء جليلة الفائدة، بليغة المعنىٰ، سديدة البرهان... منها:

١) شرح العقيدة النصرانية.

٢) خلاصة معتقد النصارىٰ في التوحيد والاتحاد.

٣) رسالة إلىٰ بعض المسلمين من صيدا.

٤) رسالة في فرق النصارىٰ... إلخ).

وجاء في مقدمة كتاب «مقالات دينية قديمة لبعض مشاهير الكتبة النصارىٰ»، (طبعته المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٠٦م بعناية بعض المستشرقين والرهبان): (أن معظم هذه المقالات لأحد كتبة الروم الملكية بولس الراهب الأنطاكي أسقف صَيْدا، وكان في القرن الثالث عشر كما يظهر من كتابات تقي الدين ابن تيمية المتوفىٰ سنة ٧٢٨هـ - ١٣٢٨م ويؤخذ من كتاباته أنه رحل إلىٰ بلاد الروم والفرنج واجتمع بأساقفتها، وأنه زار مدينة روما، ومقالاته كلها سديدة الرأي واضحة البرهان).

ويلاحظ أن علماء النصارىٰ المعاصرين قد تنبهوا إلىٰ أهمية رسالة بولس الأنطاكي هذه؛ يقول الدكتور ديفيد توماس[١]: (ربما كانت هذه الرسالة أعمق وأقوىٰ رسالة في تاريخ العلاقات الإسلامية المسيحية).

ويرىٰ أن ردّ ابن تيمية لم يكن موجها بالدرجة الأولىٰ إلىٰ رسالة بولس، وإنما كتبه إجابة عن رسالة متأخرة وردت إليه من قبرص من نصراني مجهول الاسم أعاد صياغة رسالة بولس، فغيّر نبرة الرسالة، كما شملت حذفًا وإضافات وتعديلات وسلامة لغتها العربية[٢].

(١) في تقديمه لرسالة بولس في الكتاب المشار إليه أعلاه (ص٢٠٣ - ٢٢٣).

(٢) بحث بعنوان: الدفاع والجدل من خلال رسالة قبرص وردّ ابن تيمية، ليديفيد توماس، نشرت ضمن كتاب ابن تيمية وعصره ص٢٨٦-٢٨٧.

أما من حيث محتواها فيرىٰ ديفيد توماس: أن الرسالة تهدف إلىٰ تقديم نظرة لا تريح الطرف المسلم وتسبب له إزعاجًا، وتتمثل هذه النظرة في اعتبار القرآن وثيقة نصرانيّة مشفّرة! مستندًا علىٰ بعض الآيات أو أجزاء منها[1].

ويرىٰ ديفيد توماس أن ابن تيمية قد فطن إلىٰ أن الرسالة التي قد وصلته من أهالي قبرص قد تأسّست علىٰ رسالة بولس الأنطاكي، كما كان واعيـًا بأن هذه الرسالة قد نشرت بين المسلمين علىٰ نطاق واسع.

أما ابن تيمية فيتحدث عن علاقته بالرسالة التي ألّف موسوعته (الجواب الصحيح) في تفنيدها ودحض ما جاء فيها من افتراءات وشبهات، ويقول: «وكان من أسباب نصر الدين وظهوره أن كتابـًا ورد من قبرص فيه الاحتجاج لدين النصارىٰ، بما يحتج به علماء دينهم وفضلاء ملتهم ـ قديمـًا وحديثـًا ـ من الحجج السمعية والعقلية. فاقتضىٰ ذلك أن نذكر من الجواب ما يحصل به فصل الخطاب وبيان الخطأ من الصواب؛ لينتفع بذلك أولو الألباب، ويظهر ما بعث الله به رسله من الميزان والكتاب.

وأنا أذكر ما ذكروه بألفاظهم بأعيانها فصلًا فصلًا، وأُتبع كل فصل بما يناسبه من الجواب فرعـًا وأصلاً وعقداً وحلًّا»[2].

ثم يبين جانبـًا من أهمية الرسالة قائلاً: «وما ذكروه في هذا الكتاب هو عمدتهم التي يعتمد عليها علماؤهم في هذا الزمان، وقبل هذا الزمان، وإن كان قد يزيد بعضهم علىٰ بعض بحسب الأحوال، فإن هذه الرسالة قد وجدناهم

(١) المصدر السابق ص٢٨٤.

(٢) الجواب الصحيح (١/ ٢٨).

يعتمـدون عليهـا قبـل ذلـك، ويتناقلهـا علمـاؤهم بيـنهم، والنُّسـخ بهـا موجـودة قديمة، وهي مُضافة إلىٰ بولس الراهب أسقف صيدا الأنطاكي، كتبها إلىٰ بعض أصدقائه، وله مصنفات في نصر النصرانية، وذكر أنه لما سافر إلىٰ بلاد الروم والقسطنطينية وبلاد الملافطة وبعض أعمال الإفرنج وروميَة، واجتمع بأجلاء علماء الديانة. كتب رسالته واسمها: الكتاب المنطيقي الدولة خاني المبرهن عن الاعتقاد الصحيح والرأي المستقيم»(١).



(١) (١/ ٢٩). وقد استفدنا أكثر هذا التمهيد مع تصرف وإضافة مما كتبه الدكتور محمد الشرقاوي في دراسة له عن أثر كتاب الجواب الصحيح في الأكاديميا الغربية، ستنشر إن شاء الله مع دراسات أخرىٰ في كتاب بعنوان «المدخل إلىٰ الجواب الصحيح» عن مركز تأصيل.

اسم الكتاب

لم يصرح المصنف باسم الكتاب في مقدمته كما يفعل بعض المصنفين، أو في أثناء الكتاب أو خاتمته كما يقع من البعض الآخر، لكنه سماه في مواضع أخرىٰ من كتبه وفتاويه، كما ورد اسمه علىٰ ظهور نسخ الكتاب الخطية، وعند مترجمي المصنف، والناقلين عن كتبه ممن جاء بعده، وذلك علىٰ أنحاء سنوردها فيما يلي، ثم ننتهي إلىٰ ما هو الأقرب في تحرير اسمه العَلَمي الموضوع له إن شاء الله.

(١) **«الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»**.

هكذا نصَّ المصنف علىٰ تسميته في بعض تآليفه، كما قال في موضع: «وقد بسط ما في كلامهم من صواب وخطأ في الكتاب الذي سمَّيناه **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**»[(١)].

وقال في موضع آخر معلِّلًا تلك التسمية: «وقد ذكرت في الرد علىٰ النصارىٰ من مخالفتهم للأنبياء كلهم مع مخالفتهم لصريح العقل ما يظهر به من كفرهم ما يظهر؛ ولهذا قيل فيه: **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**»[(٢)].

وهكذا سماه غير واحد من كبار أصحابه العارفين به.

قال ابن القيم بعد أن ذكر القول بالتوسط في مسألة ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل والتحريف، وأنه قد زيد فيها وغيِّر ألفاظ يسيرة، ولكن

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٦/ ٣٦٢).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١٩/ ١٨٩).

أكثرها باقٍ علىٰ ما أنزل عليه: «وممن اختار هذا القول شيخنا في كتابه **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**»(١).

وقال ابن عبد الهادي في سياق ذكره لكتب الشيخ وتصانيفه: «ومنها كتاب الرد علىٰ النصارىٰ سماه: **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، في مجلدين وبعض النسخ منه في ثلاث مجلدات وبعضها في أكثر ...» (٢).

وقال ابن رشيق في رسالته التي ذكر فيها أسماء مؤلفات شيخ الإسلام: «ومما صنفه في الأصول مبتدئًا أو مجيبًا لمعترض أو سائل: ... كتاب **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** في مجلدين»(٣).

وكذلك سماه مترجمو المصنف من أهل عصره فمن بعدهم، كالصفدي وابن رجب وغيرهما(٤)، وسماه بعض العلماء الناقلين عنه الواقفين عليه كالسفاريني(٥).

(٢) «بيان الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح».

ورد اسم الكتاب بهذه الزيادة في أوله «بيان» علىٰ ظهور عدد من نسخه الخطية، كنسخة المكتبة التيمورية التي وصلتنا قطعة من أولها كتبها المحدث الصوفي الثقة محمد بن أبي بكر الساوجي سنة ٧٣٦ بعد وفاة المصنف ببضع سنين، ونسخة متحف طوب قابي المنسوخة سنة ٧٣٠

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١١٣٨).

(٢) «العقود الدرية» (٤٤)، وذكره كذلك في «مختصر طبقات علماء الحديث» (٤/ ٢٨٩).

(٣) «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تمية» (٢٩٥).

(٤) «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تمية» (٣٥٤، ٣٧٧، ٤٨٢، ٦٠٩، ٦١٩).

(٥) «لوامع الأنوار البهية» للسفاريني (١/ ٢١٨، ٢/ ١٠، ٢٦٤)، و«لوائح الأنوار السنية» (١/ ٢٤٩).

بعد وفاة المصنف بسنتين وعليها تملك سنة ٨٦١، ونسخة مكتبة يني جامع المنسوخة سنة ١٠٩٤، والنسخة المتأخرة التي استكتبها العلامة نعمان الآلوسي وعليها خطه سنة ١٣٠١.

وعلىٰ النسختين المحفوظتين في خزائن إسطنبول اعتمد حاجي خليفة في تسميته للكتاب[١].

(٣) **«الرد الصحيح على من بدل دين المسيح»**.

وقع الاسم بصيغته هذه عند الحافظ ابن حجر[٢] وهو ينقل قول شيخ الإسلام في مسألة تحريف التوراة والإنجيل التي سبقت الإشارة إليها.

(٤) **«الرد على النصارى»**.

أشار المصنف إلىٰ كتابه بهذا الوصف في بعض كلامه، فقال: «وكذلك بيّنّا طرق الناس في إثبات العلم بالنبوات في شرح الأصبهانية وكتاب **الرد علىٰ النصارىٰ** وغيرهما»[٣].

وقال في موضع آخر: «وقد بسطنا ذلك في **الرد علىٰ النصارىٰ**، وبيّنّا أن الحواريين لم يكونوا رسلا ...»[٤]، وفي سياق آخر بعد كلام له: «وقد بُسِط هذا في **الرد علىٰ النصارىٰ**»[٥]، ونحو ذلك في مواضع أخرىٰ[٦].

(١) «كشف الظنون» (١/ ٢٦٠).

(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٥٢٤).

(٣) «الرد علىٰ المنطقيين» (٢٥٤).

(٤) «جامع الرسائل» (١/ ٦٦).

(٥) «مجموع الفتاوىٰ» (١٧/ ٢٦٨).

(٦) «مجموع الفتاوىٰ» (١٧/ ٢٧٥، ١٩/ ١٨٩).

وسمي بهذا الاسم بخط قديم علىٰ طرة الورقة الأخيرة من نسخة مكتبة بودليان، فكتب أحدهم: «هذا آخر الكتاب وهو **الرد علىٰ النصارىٰ** تأليف سيدنا شيخ الإسلام أبي العباس ...».

وسمي بهذا الاسم أيضًا في القطعة التي بين أيدينا من نسخة مكتبة الإفتاء التي كتبها الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسىٰ سنة ١٢٧٤، فكتب في صفحة عنوانها: «الجزء الأخير من **الرد علىٰ النصارىٰ** تأليف فاروق زمانه ...»، ثم استدرك بجوارها اسم الكتاب العلمي، فكتب: «من كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح».

وكذلك فرَّق ناسخ نسخة المتحف البريطاني بين وصف الكتاب واسمه العلمي، فكتب: «الجزء الثاني من كتاب **الرد علىٰ النصارىٰ** المسمىٰ بالجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح».

(٥) «تخجيل أهل الإنجيل والنهج الصحيح في الرد على من بدل دين عيسى ابن مريم المسيح».

كذا وقع اسم الكتاب علىٰ ظهر نسخة مكتبة بودليان بجامعة أكسفورد بخط ناسخ متأخر كتب صفحة العنوان ووضع مقدمة للكتاب من إنشائه أو إنشاء غيره ورد فيها: «فيقول العبد المتمسك بذيل الألطاف الخفية، أبو العباس أحمد بن تيمية، الحنبلي، عامله المولىٰ بغفران ذنبه الخفي والجلي، هذا كتاب سميته **تخجيل أهل الإنجيل والنهج الصحيح في الرد علىٰ من بدل دين عيسىٰ بن مريم المسيح**، أذكر فيه بنص الحديث والكتاب الفصيح،

فأقول والله الهادي ...»، وهي مقدمة مصنوعة لا تشبه كلام شيخ الإسلام ولم ترد في نسخ الكتاب الأخرىٰ. ولسقوط صفحة العنوان الأصلية من هذه النسخة العتيقة اضطرب الواقفون عليها في تسمية الكتاب، فكتب هذا الناسخ المتأخر ما كتب، وكتب أحدهم في نهاية النسخة: «**تمت النبوات** تصنيف الشيخ الإمام ...»، وكتب آخر علىٰ طرة الورقة: «هذا آخر الكتاب وهو **الرد علىٰ النصارىٰ** تأليف سيدنا شيخ الإسلام أبي العباس ...»، كما سبق.

وبعد، فهذه هي العنوانات التي وقفنا عليها في تسمية الكتاب، والأقرب أن الاسم العَلَمي الذي اختاره المصنف لكتابه هو ما سماه به في مواضع من كتبه وصرح به في قوله: «في الكتاب الذي سمَّيناه **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**»، وهو الذي ذكره أصحابه ومترجموه والناقلون عنه من أهل العلم علىٰ ما مضىٰ تفصيله.

أما استبدال الحافظ ابن حجر لفظ «الرد» بلفظ «الجواب» فتسمُّحٌ ونقلٌ بالمعنىٰ كما هو ظاهر.

وأما زيادة «بيان» قبله، فهي وإن وردت علىٰ ظهور بعض النسخ القديمة إلا أنها لم ترد في كلام المصنف ولا غيره، وهي زائدة لا حاجة إليها، وهي بالتفسير والعبارة عن موضوع الكتاب أشبه.

وكذلك القول في عنوان «الرد علىٰ النصارىٰ»، فهو وصف لموضوع الكتاب لا تسميةٌ له، ولذا جمع بعضهم بينه وبين الاسم العلمي، كما مر.

ومِن وصفِ الكتاب بموضوعه قول ابن القيم في نونيته[1]:

وكـذا جـوابٌ للنصـارىٰ فيـه مـا يشـفي الصـدور، وإنـه سِـفرانِ

أما الاسم الأخير الطويل المسجوع، فهو ظاهر الصناعة، بيِّن الوضع، علىٰ فسادٍ في لفظه، إذ وصفَ نهج النصارىٰ أهل الإنجيل بالصحيح، إلا أن تكون الجملة مستأنفة، وهو محتمل.



(١) «الكافية الشافية» لابن القيم (٧٧٠).

إثبات نسبة الكتاب إلى المؤلف

لا ريب أن لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كتابًا مفردًا في الرد على النصارى، ذكره في كتبه وذكره له أصحابه ومترجموه، وسمَّاه وسمَّوه «**الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**»، كما رأيت في مبحث «اسم الكتاب»، ثم لا ريب أن هذا الكتاب الذي بين أيدينا هو ذاك الكتاب المذكور المنعوت بأنه «من أجل الكتب وأكثرها فوائد» وأنه «يشتمل على تثبيت النبوات وتقريرها بالبراهين النيرة الواضحة، وعلى تفسير آي كثيرة من القرآن، وعلى غير ذلك من المهمات»[1]، ودلائل ذلك وقرائنه كثيرة متضافرة من داخل الكتاب ومن خارجه.

فمن الدلائل والقرائن المستخرجة من نصِّ الكتاب:

(١) إحالته في الكتاب على بعض مصنفاته المشهورة مصرحًا بأسمائها، فمن ذلك:

أ) أحال على كتابه «درء التعارض»، فقال: «الثالث: أن يبين فساد تلك الحجة العقلية، إن كانت من باب الخبريات بين فسادها، كما قد بسطنا القول في ذلك في كتاب درء **تعارض العقل والشرع**، وذكرنا أن جميع ما يحتج به على خلاف نصوص الأنبياء من العقليات فإنه باطل»[2].

ب) أحال على كتابه «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، فقال: «ويظن كثير من الناس أن هذا من كرامات عباد الله الصالحين، ويكون

---

(١) «العقود الدرية» لابن عبد الهادي (٤٤).

(٢) (٣/ ٤٩٥).

من إضلال الشياطين، كما قد بسط الكلام في هذا الباب في غير هذا الكتاب، مثل **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، وغير ذلك»[1].

ت) أحال علىٰ كتابه «الإيمان»، فقال: «وقد بسطنا الكلام علىٰ هذه في **مسألة الإيمان**، وبينا أن ما يقوم بالقلب من تصديق، وحب الله ورسوله، وتعظيم، لا بد أن يظهر علىٰ الجوارح، وكذلك بالعكس»[2].

ث) أحال علىٰ رسالته في تفسير سورة الإخلاص، كما سيأتي في النص الآتي.

ج) أحال علىٰ جوابه المشهور في أن سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١] تعدل ثلث القرآن، فقال: «ولنا مصنفٌ مبسوطٌ في تفسير هذه السورة، وآخر في بيان أنها تعادل ثلث القرآن ...»[3].

ح) أحال علىٰ رده علىٰ الرافضة، ويشبه أن يكون أراد كتابه «منهاج السنة»، فقال: «كما بينّا في الرد علىٰ الرافضة أنه لا يقدح أحد في الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان إلا أمكن أن يقدح بمثل ذلك وبأعظم منه في علي»[4].

(٢) إحالته المجملة في الكتاب علىٰ ما كتبه في بعض مسائله في موضع آخر، ووجدنا تصديقه في تصانيفه، ومن ذلك:

أ) ذكر ظن بعض الناس أن الذي صاهره موسىٰ عليه السلام كان شعيبًا النبي عليه السلام، وقال: «وحكي أنه شعيب عمن لا يعرف من العلماء

(١) (٢/ ٣٢١).

(٢) (٤/ ٥٧٢).

(٣) (٣/ ٣١٥، ٣١٦). وكلاهما مطبوع مفردًا وضمن «مجموع الفتاوىٰ».

(٤) (٣/ ٤٩٤).

ولم يثبت عن أحد من الصحابة والتابعين، كما بسطناه في موضعه»[1]، وقد بسط ذلك في رسالة لطيفة منشورة[2].

ب) ذكر غلط الفلاسفة وغيرهم في ظنهم أن خوارق العادات سببها قوىٰ نفسانية أو طبيعية أو قوىٰ فلكية وأن الفرق بين النبي والساحر إنما هو حسن قصد هذا وفساد قصد الآخر، ثم قال: «كما قد بسطنا الكلام عليه وبينا جهل هؤلاء وضلالهم في غير هذا الموضع»[3]. وقد بيَّن ذلك في مواضع من كتبه[4].

وأمثلة هذا كثيرة لا حاجة للإطالة بها.

(٣) وقوع بعض ما لم نقف علىٰ سياقه بلفظه في المصادر، كما وقع في كتب الشيخ الأخرىٰ، كما في سياق حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد، وإن أولىٰ الناس بابن مريم لأنا، إنه ليس بيني وبينه نبيٌّ**»[5]، وحديث عياض بن حمار عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إن الله نظر إلىٰ أهل الأرض، فمَقَتَهم عربَهم وعجمَهم إلا بقايا من أهل الكتاب ...**»[6]، وغيرهما.

ومن الدلائل والقرائن الخارجية المستفادة من الأصول الخطية المعتمدة ونقول العلماء:

(١) (١/ ٤٢٩).
(٢) «جامع الرسائل» (١/ ٥٩- ٦٦).
(٣) (١/ ٤٨٥).
(٤) «النبوات» (١٣٨، ٥٠٦، ٦٧٨-٧٠٤، ٨٣٧- ٨٦٦)، و«الصفدية» (١/ ١٣٤- ١٦٣، ١٦٥، ٢٢٢)، و«شرح الأصبهانية» (٥٧٥)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٧/ ٣٣٧، ١٩/ ١٥٨).
(٥) (١/ ١٠).
(٦) (١/ ٤٧٣).

١) قراءة الكتاب علىٰ مصنفه شيخ الإسلام وكتابته استدراكًا في طرة النسخة المقروءة عليه بخطه المعروف (ق٩٧/ ظ)، وقد أكَّد ذلك أحد العلماء الذين طالعوا النسخة فكتب تحت خط شيخ الإسلام: «حاشية: هذه التخريجة بخط المصنف ﷺ»، وهي نسخة دار الكتب المصرية المرموز إليها في تحقيقنا برمز (د)، وأصلها من مكتبة العلامة أحمد تيمور باشا.

٢) نسبة الكتاب إليه علىٰ ظهور وخواتيم نسخ خطية قريبة العهد بحياته بخطوط علماء معروفين بالثقة والعناية بتراث شيخ الإسلام، كنسخة التيمورية التي بخط المحدث محمد بن أبي بكر الساوجي (ت: ٧٤٩)، ونسخة الظاهرية التي بخط المحدث أحمد بن محمد بن أحمد بن المحب عبدالله المقدسي (ت: ٧٧٦)، ونسخة متحف طوبقبو المكتوبة سنة ٧٣٠ بعد وفاة المصنف بسنتين.

٣) نقل أهل العلم عن الكتاب منسوبًا إلىٰ شيخ الإسلام، ووجود ما نقلوه في كتابنا، كما مضىٰ في نقل الحافظ ابن حجر والسفاريني وغيرهما.



سبب تأليف الكتاب

أشار المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمته إلىٰ سبب تأليف الكتاب، فذَكَر أنه ألفه جوابًا عن كتابٍ ورد إليه من «قبرص» يُنسب إلىٰ أحد علماء النصارىٰ ومؤلِّفيهم وهو «بولس» الراهب أسقف «صيدا» الأنطاكي، وقد سمَّىٰ كتابه: «الكتاب المنطيقي الدولة خاني المبرهن عن الاعتقاد الصحيح والرأي المستقيم»[1].

وكان «بولس» قد كتب هذه الرسالة إلىٰ بعض أصدقائه، وذكر فيها أن رسالة محمد ﷺ خاصة بالعرب، وأن المسلمين علىٰ دين محرَّف، وأنه لما سافر إلىٰ بلاد الروم والقسطنطينية، واجتمع بأجلاء أهل تلك الناحية من المسلمين، وفاوض أفاضلهم، وناظر علماءهم= أفحمهم، وأبطل دينهم، وحطَّم شبهاتهم..!

وقد ضمَّن رسالته هذه الاحتجاج لدين النصارىٰ، بما يحتج به علماء دينهم وفضلاء مِلَّتهم من الحجج السمعية والعقلية، والاستدلال علىٰ عقيدة التثليث وتناسخ الأرواح والاتحاد والحلول، وغير ذلك من معتقدات النصارىٰ.

ولذلك صارتْ هذه الرسالة عمدةَ النصارىٰ التي يعتمد عليها علماؤهم في زمان المصنف وقبل زمانه، ويتناقلونها بينهم.

---

(١) وهي رسالة صغيرة لها نسخ خطية كثيرة، ونشرت مرارًا.

ومـا زالـت إلـىٰ الآن معتمـد النصـارىٰ ومسـتندهم في حـواراتهم ومناظراتهم[1].

وهي من أهم مصادر النصرانية؛ لأنها تحوي خلاصة معتقد النصارىٰ، وقد تلقوها بالقبول والتقدير، بل ذهب بعضهم إلىٰ وجوب الاكتفاء بها، ولاسيما في بيان موقف النصرانية من الإسلام[2].

قال لويس شيخو: «ومن يطلع علىٰ هذه المقالة يقر بلا شك لصاحبها بسعة العلم وسداد الرأي وحسن البيان؛ إذ ميّز كل فرقة من نصارىٰ زمانه، وعرّف ما في قولها من الشطط، مفندًا مزاعمها تفنيدًا لطيفًا قريب المنال»[3].

وقد تصدىٰ لنقضها والرد عليها طائفة من علماء المسلمين، منهم:

- شهاب الدين القرافي (ت: ٦٨٤) في كتابه «الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة»، وقال في أوله: «أما بعد، فإن بعض النصارىٰ قد أنشأ رسالة علىٰ لسان النصارىٰ، مشيرًا أن غيره هو القائل، وأنه هو السائل، مشتملة علىٰ الاحتجاج بالقرآن الكريم علىٰ صحة مذهب النصرانية، فوجدته قد التبس عليه المنقول، وأظلمت لديه قضايا العقول...»[4].

- محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي (ت: ٧٢٧) في جواب أفرده للرد عليها، طبع بتحقيق بولس الخوري سنة ٢٠١٢م عن المكتبة البولسية بلبنان، كما سجل رسالة دكتوراه بالجامعة الإسلامية بالمدينة

(١) انظر: «منهج أهل السنة والجماعة في الرد علىٰ النصارىٰ» لعبد الراضي عبد المحسن (ص٦٣).
(٢) المصدر السابق، و«الصحائح في جواب النصائح» للشماس ابن العسال (ص٤٠).
(٣) مجلة المشرق، السنة ٧، العدد ١٥، آب سنة ١٩٠٤م (٧/ ٧٠٢).
(٤) «الأجوبة الفاخرة» للقرافي (ص ٤٧).

المنورة سنة ١٤٣٢ للباحث عبد الإله بن عبد العزيز التويجري، بعنوان: كتاب فيه جواب رسالة أهل جزيرة قبرص في الرد على النصارى لشمس الدين محمد ابن أبي طالب الدمشقي المتوفى ٧٢٧هـ دراسة وتحقيقًا.

- شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨) في كتابنا هذا «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، وهو أوسع الكتب التي أفردت لنقض الرسالة وإبطالها.

وقد اختلف الباحثون في تقدير عصر مؤلفها، فظن لويس شيخو أن مؤلفها كان **في القرن السابع الهجري**، معاصرًا لشيخ الإسلام، وذهب آخرون إلى أنه **في القرن السادس**، بينما رجح بعض المحققين أنه كان **في القرن الرابع** الهجري وكان معاصرًا للحسن بن أيوب صاحب الرسالة التي أوردها شيخ الإسلام كاملة في معرض الردّ على ما جاء في رسالة «بولس»، يؤيد ذلك ما جاء في رسالة الحسن بن أيوب من حكاية بعض ألفاظ بولس وعباراته بنصها، مما يؤكد تزامنهما، إضافةً إلى أن المصنف قد أشار إلى قِدَم هذه الرسالة وتعدّد نسخها واختلاف حجمها[1].

وأيًّا ما كان، فقد تجرَّد شيخ الإسلام رحمه الله للجواب عن هذه الرسالة بما يحصل به فصل الخطاب، وبيان الخطأ من الصواب؛ طلبًا للنفع، وإحقاقًا للحق، ونشرًا ودعوة للدين الصحيح.



(١) ينظر: «منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى» لعبد الراضي عبد المحسن (ص٦٨، ٦٩).

موضوع الكتاب، وترتيبه، وأهميته

موضـــوع الكتاب:

أبان المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن موضوع الكتاب في مقدمته، وأنه في الرد علىٰ رسالة «بولس» المذكورة، وردًّا علىٰ ما فيها من معتقد النصارىٰ ومزاعمهم، وقد انحصر موضوع رسالة «بولس» في ستة فصول:

الفصل الأول: دعواهم أن محمدًا ﷺ لم يُبعث إليهم بل إلىٰ أهل الجاهلية من العرب، ودعواهم أن في القرآن ما يدل علىٰ ذلك، والعقل يدل علىٰ ذلك.

الفصل الثاني: دعواهم أن محمدًا ﷺ أثنىٰ في القرآن علىٰ دينهم الذي هم عليه، ومدَحَه بما أوجب لهم أن يَثبتوا عليه.

الفصل الثالث: دعواهم أن نبوات الأنبياء المتقدمين، كالتوراة والزبور والإنجيل وغير ذلك من النبوات تَشهد لدينهم الذي هم عليه من الأقانيم، والتثليث، والاتحاد، وغير ذلك، بأنه حق وصواب، فيجب التمسك به، ولا يجوز العدول عنه إذا لم يعارضه شرعٌ يرفعه، ولا عقل يدفعه.

الفصل الرابع: فيه تقرير ذلك بالمعقول، وأن ما هم عليه من التثليث ثابت بالنظر المعقول، والشرع المنقول، موافق للأصول.

الفصل الخامس: دعواهم أنهم موحّدون، والاعتذار عما يقولونه من ألفاظٍ يظهر منها تعدُّد الآلهة، كألفاظ الأقانيم: فإن ذلك من جنس ما عند المسلمين من النصوص التي يظهر منها التشبيه والتجسيم.

الفصل السادس: أن المسيح عليه السلام جاء بعد موسىٰ عليه السلام بغاية الكمال، فلا حاجة بعد النهاية إلىٰ شرعٍ يزيد علىٰ الغاية، بل يكون ما بعد ذلك شرعًا غير مقبول.

فتصدَّىٰ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ للرد علىٰ تلك الدعاوىٰ، وانتصر للمذهب الحق، وحشد من الأدلة النقلية والعقلية =الدالة علىٰ رد مذهبهم وتقرير العقيدة الإسلامية الصحيحة= ما لا يدع مجالًا للشك أو الريب.



ترتيب الكتــاب:

بنىٰ المؤلف ترتيب كتابه ـ في الجملة ـ علىٰ فصول رسالة «بولس» الستة المذكورة آنفًا في موضوع الكتاب، لكنه فصّل القول فيها، واستطرد في ذِكر مسائل وقواعد يفوتها الحصر.

◊ فبدأ كتابه بمقدمة ضمَّنها أمورًا، منها: تقرير أن الدين عند الله الإسلام، وأنه دين الأنبياء كلهم، وهو الدين الذي ارتضاه لنفسه سبحانه وتعالىٰ، ولا يَقبل من أحد دينًا غيره لا من الأولين ولا من الآخرين.

◊ كما أشار في المقدمة إلىٰ سبب تأليف هذا الكتاب، وما تضمنته رسالة «بولس» من دعاوىٰ، وبيّن منهجه ـ باختصار ـ في ردِّ تلك الدعاوىٰ.

◊ ثم عَرَض الشبهة الأولىٰ من شبهاتهم وهي ادِّعاؤهم أن الرسول لم يبعث إلا إلىٰ أهل الجاهلية من العرب، وأبطل ما يتمسكون به مما يدَّعونه أدلة، وذكر في مقابل ذلك النصوص النقلية والعقلية القاطعة بعموم رسالته ﷺ، وأنه

بعث للناس كافة، وللثقلين الإنس والجن.

◊ ثم عقد فصولًا للردِّ علىٰ النصارىٰ في بعض عقائدهم، كالصلب والفداء، والاتحاد والحلول، وادعائهم أن النبي ﷺ لم يبشَّر به، وبين ـ أيضًا ـ في ثنايا ذلك حقيقة الروح، والفرق بين ما يضاف إلىٰ الله من صفاته، وما يضاف إليه من مملوكاته.

◊ ثم كرَّ أخرىٰ علىٰ النصارىٰ في رد احتجاجهم علىٰ صحة مذهبهم بأن الإسلام عظَّم الإنجيل والحواريين، كما قدَّس معابدهم، وشهد بأن اسم الله يذكر فيها كثيرًا، وأن القرآن صدَّق كتبهم التي بين أيديهم، وأنه أقرَّهم علىٰ ما هم عليه، وأن بعض آياته جاءت في امتداحهم والثناء عليهم، كقوله تعالىٰ: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣].

وكقوله تعالىٰ ـ في الثناء علىٰ الرهبانية ـ: ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

◊ وقرّر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ثنايا ذلك قضايا عدة، منها: ثبوت صدق محمد ﷺ عند أهل الكتاب وأن التبديل والتحريف في ألفاظ التوراة والإنجيل من قبل مبعث النبي ﷺ وبعده، إضافة إلىٰ انقطاع سندهما، وعلىٰ هذا فقياس النصارىٰ كتبهم علىٰ القرآن قياس باطل.

◊ كما تعرَّض لبيان أسباب ضلال النصارىٰ، والخوارق التي تُضِلُّ بها الشياطين بني آدم.

◈ ثم توسَّع في بعض ما أورده في المقدمة مختصرًا من إلزام اليهود والنصارىٰ بدين الإسلام، وذكر أنه دين الأنبياء جميعًا، وأن علىٰ المسلمين الدعوة إليه ومحاجة الظالمين، لإقامة الحجة، وبيان المحجة.

◈ ثم رجع أخرىٰ لرد بعض دعاوىٰ النصارىٰ، وذكر منها: دعواهم أن الظلم اتصف به اليهود دونهم، وأن القرآن نفىٰ عنهم الشرك، بل سوَّىٰ بين جميع الأديان، كما أنه لا يليق بهم أن يتركوا كلمة الله عندهم التي عظَّمها القرآن، والمسيح الذي وصفه بأنه عبد الله ورسوله.

◈ ثم أسهب في بيان اضطراب النصارىٰ الشديد في قضايا الاعتقاد الأساسية عندهم كالتثليث، ومعنىٰ الروح، وطبيعة المسيح، وحقيقة الاتحاد والحلول، والجواهر والأقانيم، وردَّ ما تعلقوا به من نصوص الأنبياء، وادعائهم تصديق الكتب السماوية لما قالوه.

◈ ونقل في خلال ذلك رسالة لأحد علمائهم ممن أسلم وهو الحسن بن أيوب، يذكر فيها سبب إسلامه ويذكر الأدلة والحجج العقلية والسمعية علىٰ بطلان دين النصارىٰ وصحة دين الإسلام، وهو من أخبر الناس بمقالاتهم، وقد أسلم علىٰ بصيرة بعد الخبرة بكتبهم ومعتقداتهم.

◈ ثم أورد كلام بعض المنتصرين لدين النصرانية، كسعيد ابن البطريق، بطريرك الاسكندرية، الذي صنف كتابًا سماه: «نظم الجوهر» ذكر فيه أخبار النصارىٰ ومجامعهم واختلافهم، وتاريخ النصرانية، وسبب إحداثهم ما أحدثوه، مع انتصاره لقول الملكية والرد علىٰ من خالفهم.

وقد استوعب المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ كلامه في ذلك مع نقده ونقضه.

◈ ثم ذكر فصلًا في ردِّ ما احتجّوا به من التوراة والإنجيل وغيرهما مما يدَّعون أنه من كلام الأنبياء، ولم يَقُم دليلٌ على نبوة من احتجوا بكلامه، كميخا وعاموص وغيرهما.

◈ ثم عقد فصلًا طويلًا في بشارات الأنبياء، وبين طرق معرفتها، وشهادات الكتب المتقدمة لمحمد ﷺ وضرب لذلك أمثلة من الزبور، وأسفار التوراة، وبشارات المسيح عليه السلام.

◈ وأخيرًا ختم الكتاب بسرد دلائل نبوة محمد ﷺ وآيات صدقه، وبعض معجزاته عليه الصلاة والسلام.

وقد رتب هذه الدلائل وصنفها بحسب أنواعها، وذكر أمثلة لكل نوع، وتخلل ذلك ذكر بعض المسائل المهمة المتعلقة بدلائل النبوة.



أهميــة الكتــاب:

يعد هذا الكتاب معلمة في علم مقارنة الأديان، ومن أجل ما أُلِّف في بابه، بل لا نظير له في فنّه، وهو أغزر ما كتب عن المسيحية في الإسلام.

قال ابن عبد الهادي مبينًا بعض جوانب جلالة الكتاب وأهميته: «وهذا الكتاب من أجلّ الكتب وأكثرها فوائد، ويشتمل على تثبيت النبوات وتقريرها بالبراهين النيرة الواضحة، وعلى تفسير آي كثير من القرآن، وعلى غير ذلك من المهمات»(١).

(١) «العقود الدرية» لابن عبد الهادي (ص٤٤).

ولجلالة هذا الكتاب قال العلامة أبو زهرة: «هو -وحده- جديرٌ بأن يَكتب ابنَ تيمية في سجلّ العلماء العاملين، والأئمة المجاهدين، والمفكرين الخالدين».

ولا غرو، فقد قال الذهبي عن إمامة شيخ الإسلام في هذا الباب: «أما معرفته بالملل والنحل والأصول والكلام فلا أعلم له نظيرًا»(١).

وقال ابن سيد الناس: «ألفيته ممن أدرك العلوم حظًّا، وكاد أن يستوعب السنن والآثار حفظًا، إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته أو أفتىٰ في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكَرَ في الحديث فهو صاحب عَلَمه وذو روايته، أو حاضر بالملل والنحل لم يُرَ أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من درايته»(٢).

ويمكن إبراز أهمية كتابه هذا في أمور:

منها: اعتماده الوحيين (الكتاب والسنة) المصدر الأول في مقام الاستدلال والاحتجاج، وهذا النَّهج التأصيلي في الاستدلال يظهر من خلال ما رسَّخه من قواعدَ محكمةٍ تتمثَّل في تقديم النقل علىٰ العقل مطلقًا، وأن تقرير أي معتقد من المعتقدات متوقِّف علىٰ ثبوته بنقل صحيح أو دلالة العقل الصريح عليه، إضافة إلىٰ أن الشريعة المحمديَّة هي المهيمنة علىٰ سائر الشرائع، والقرآن هو النصّ الوحيد المحكم الذي يُمكن الركون إليه، والتعويل عليه، والمشهود له ـ بشهادة النصارىٰ أنفسِهم ـ بصحة نقله وتواتره.

---

(١) نقله عنه البرزالي مما كتبه بخطه في بعض الإجازات. ينظر: «العقود الدرية»: (ص٣٩)، و«الرد الوافر»: (ص٣٣).

(٢) حكاه عنه ابن عبد الهادي في «العقود الدرية»: (ص٢٦)، والذهبي في «المعجم المختص بالمحدثين»: (ص٢٥)، وابن رجب في «الذيل علىٰ طبقات الحنابلة»: (٤/ ٥٠٠).

ومنهـا: توظيـف الأسـاليب المختلفـة واسـتعمال المنـاهج المتعـددة في طرح القضايا، وبيان الأدلة، ومناقشة النصارىٰ في استدلالاتهم، فقد جمع في ذلـك بـين مـنهج الوصـف والتحليـل، ومـنهج النقـد والجـدل، والنـاظر إليـه بإنصاف يقرُّ بيقين ما يقره من فِكرٍ واعتقاد، فهو لا يكاد يذكر شبهة إلا ويُظهر فسادها ويجلِّي الحق فيها، بأصدق حجة، وأقوىٰ محجّة، شأنه في ذلك شأن سائر مؤلفاته رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومنهـا: توسُّعه في المقارنـة بـين الإسـلام والأديـان الأخـرىٰ، فلـم تقـف الموازنة عند الإسلام والنصرانية فحسب، بل تخطَّت ذلك إلىٰ الأديان والعقائد الأخرىٰ؛ كاعتقادات اليونان والهنود والفرس والتُرْك والبربر وغيرهم، وذلك لبيان وجوه المشابهة، وأوجه الاختلاف، ونقاط الالتقاء والافتراق..

فكـان في ذلـك كلـه تصـويرٌ واضـحٌ لمحاسـن الإسـلام، وإظهـارٌ بَـيِّنٌ لفضائل تعاليمه وشرائعه..

وحصل بهذا التوسع في الموازنة والمقارنة والعمق في النظر والتحليل أنْ تبيَّن للمطالع مدىٰ تأثير الوثنية في النصرانية، وتأثر النصرانية بها، ودخول التبديل والتحريف إليها عن طريقها، وهو ما يشير إليه قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠].

كما فتح هذا التوسُّع بابًا جديدًا للرد علىٰ النصارىٰ، ونقد معتقداتهم، وذلك بتوظيف مواضع الإجماع والمسلَّمات بين أهل الملل؛ لتكون ألزم في الاحتجاج بها عليهم.

ومنها: اشتماله علىٰ أكثر ما يورده النصارىٰ من شبهات وردود، وما يستشكلونه من نصوص قرآنية يدَّعون تناقضها، مع الإحاطة بمذاهب القوم وآرائهم، ومسالكهم في الاستدلال والاحتجاج، ومعرفة بطرائق الرد ودفع الافتراءات، ممهِّدًا لذلك بكليّات يشدها بأدلة الاستقراء من صحيح المنقول وصريح المعقول.

ومنها: دراسته الكتاب المقدس ـ عندهم ـ دراسة نقدية قائمة علىٰ أسس علمية منهجية، وقد وضع جملة من المعايير المنهجية التي تتوقف عليها معرفة البرهان اليقيني علىٰ صحة كتاب من الكتب الإلهية التي أوحىٰ الله بها إلىٰ أنبيائه ورسله، من ذلك:

- ثبوت نُبوة من تُنسب إليه هذه الكتب.
- العلم القطعي بإملاء النبي أو كتابته تلك الكتب بناء علىٰ وحي إلهي.
- اتصال السند المتواتر إلىٰ هذه الكتب حتىٰ وصولها إلينا.
- نَقْل متونها دون تغيير أو تبديل.
- صحة ترجمتها من لسان النبي المعيَّن إلىٰ اللغات الأخرىٰ.

وهذا كله مما يفقده كتابهم المقدس؛ إذ ليس عند اليهود ولا النصارىٰ نقل متواتر ولا آحاد بهذه الأسفار والأناجيل في الجملة، بل وقع فيها من التحريف والتبديل والتغيير ما هو ظاهر بيِّن، يدل علىٰ ذلك اختلاف نسخها في نصوصها، وترجمتها، وتفسيرها، ولذا اختلفت النسخ المعتمدة في العهد القديم، لدىٰ كل من اليهود والنصارىٰ والسّامرة كما هو معروف، وكذا العهد الجديد فإن أسفاره المعتمدة اليوم لا تمثِّل إلا نزرًا يسيرًا من عشرات الكتب المماثلة، والتي استبعدها علماء النصارىٰ في القرن الخامس الميلادي.

إضافة إلىٰ اختلاف النصوص والألفاظ بين النسخ، وتناقض المعاني وتضاربها.

ومنها: الاحتجاج علىٰ النصارىٰ بما في كتبهم، وترجمته نصوص التوراة والإنجيل من العبرانية إلىٰ العربية، ونقله منها عند الحاجة لإلزام الخصم ورد الشُّبَه والدعاوىٰ.

وللشيخ اطلاع علىٰ التوراة باللغة العبرية، كما له إلمام ومعرفة بهذه اللغة، فقد قال عن نفسه[(١)]: «والألفاظ العبرية تقارب العربية بعض المقاربة، كما تتقارب الأسماء في الاشتقاق الأكبر. وقد سمعت ألفاظ التوراة بالعبرية من مسلمة أهل الكتاب فوجدت اللغتين متقاربتين غاية التقارب، حتىٰ صرت أفهم كثيرًا من كلامهم العبري بمجرد المعرفة بالعربية».

ولذا لم يكتف بنقل البشارات بالنبي ﷺ من كتب دلائل النبوة، بل رجع إلىٰ كتب النصارىٰ بنسخها المتعددة، وقارن بينها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الاختلاف في نسخ التوراة ونسخ الإنجيل والزبور **قد رأيناه نحن بأعيننا**، ورآه غيرنا، فرأيت عدة نسخ من الزبور يخالف بعضها بعضًا اختلافًا كثيرًا»[(٢)].

إلا أنه في نقل البشارات من التوراة والإنجيل اعتمد علىٰ المصنفين السابقين، وعلىٰ الترجمات التي اعتمدوها، ولا سيما ثلاثة علماء، هم: ابن قتيبة، وأبو البقاء الهاشمي، وابن ظفر.

---

(١) في «مجموع الفتاوىٰ»: (٤/ ١١٠).

(٢) الجواب الصحيح (١/ ٣٠٨، ٢/ ٥٧، ٨٧، ٩٣).

ومنها: استيفاؤه ما كُتب قبله في الملل والنحل، بل أربىٰ عليه، حيث كشف عمّا كتبه الشهرستاني والأشعري وابن حزم وغيرهم في الرد علىٰ النصارىٰ، وزاد علىٰ ذلك.

ومنها: اشتماله علىٰ فنون كثيرة، وعلوم شتىٰ، ليس فيما يتعلق بالرد علىٰ النصارىٰ فحسب، بل تطرق لمواضيع أخرىٰ، منها:

مباحث في علم العقيدة، وفي النبوات، والتفسير، والحديث ومصطلحه، والتاريخ عمومًا، وتاريخ النصرانية خصوصًا، بل حرر مسائل فقهية قد لا توجد في كتاب، وتعرض لعلم النفس والاجتماع والسياسة الشرعية، وقارن أحوال المسلمين في ذلك بأحوال الروم، ونَقَد المنطق، وأشار إلىٰ بعض مسائله، وفنّد شبهات الفلاسفة، وذكر أبحاثا في الأدب واللغة والترجمة عند حديثه عن الكتاب المقدس ـ عندهم ـ، إلىٰ آخر تلك العلوم التي تضمنها هذا السفر العظيم.

ومنها: تضمُّنه رسائل مفقودة، ورجوعه إلىٰ مصادر ربما تكون نادرة أو مخطوطة، كرسالة الحسن بن أيوب المشار إليها، وكتاب بولس المتقدِّم ذكره في سبب تأليف الكتاب، مما يكشف سعة اطلاع الشيخ علىٰ تلك النِّحلة ومصادرها.

هذا فضلا عن مصادر إسلامية لم تتصل بنا في هذا الزمان، مثل دلائل النبوة لأبي زرعة الرازي.

ومنها: الإفادة من كتابات المهتدين للإسلام، وتوظيفها في الرد علىٰ النصارىٰ، فقد نقل رسالة الحسن بن أيوب إلىٰ أخيه علي بن أيوب،

التي أشار إليها النديم[1] حيث قال: «الحسن بن أيوب من المتكلمين، وله من الكتب كتابٌ إلىٰ أخيه: عليِّ بن أيوب في الرد علىٰ النصارىٰ، وتبيين فساد مقالتهم، وتثبيت النبوة». ولم نعثر عليها في غير هذا المصنَّف.

وقد تضمنت هذه الرسالة الردّ علىٰ معتقدات النصارىٰ ممن كان من أهلها، والشهادة بأن الدين الصحيح هو الإسلام، حيث قال الحسن بن أيوب: «ثم أُعلمُك ـ أرشدك الله ـ أن ابتداء أمري في الشك الذي دخلني فيما كنت عليه والاستبشاع بالقول به منذُ أكثر من عشرين سنة؛ لِما كنت أقف عليه في المقالة من فساد التوحيد لله عز وجل بما أُدخل فيه من القول بالثلاثة أقانيم وغيرها مما تضمَّنته شريعة النصارىٰ، ووضْع الاحتجاجات التي لا تزكو ولا تَثْبُت في تقرير ذلك، وكنت إذا تبحَّرته وأَجَلْتُ الفكر فيه، بان لي عوارُه، ونَفَرتْ نفسي من قَبوله، وإذا فكَّرت في دين الإسلام الذي منَّ الله علي به، وجدتُّ أصولَه ثابتةً وفروعَه مستقيمةً وشرائعَه جميلةً».

ومنها: تميُّزه عن سائر كتب الردود بتوسُّعه في المصادر، وإشرافه علىٰ أغلبها، فقد اعتمد في إثبات عقائد النصارىٰ علىٰ كتبهم، واعتاد الإشارة إلىٰ مصادره ـ غالبًا ـ إما بالتصريح أو التلميح، متلافيًا بذلك قصور المؤلفات قبله في اكتفائها بالنقل من المؤلفات الإسلامية في بيان عقائد النصارىٰ والرد عليهم، كما هو شأن كتاب القرافي وغيره، وسيأتي الكلام عليه.

---

(١) في «الفهرست» (ص٢١٤).

ومنها: التحرير العلمي في نقل الأقوال والمذاهب، وكذا سرد التواريخ والأحداث، أدَّىٰ إليه اعتماده علىٰ مصادر أصيلة موثوق بها، وسلوكه منهج الفحص والتحليل، غير مكتفٍ بمجرد النقل والتسليم دون نقد أو تمحيص.

ومنها: الموضوعية، والتحرّر من ركوب الهوىٰ والانقياد للميل الشخصي والنزعات الذاتية في الطّرح والتحليل وإصدار الأحكام والنتائج.

آية ذلك وشاهده: تقريره المسائل والقضايا بالاعتماد علىٰ دعائم ثلاث؛ هي: (العلم، وشمول الاستقراء والتتبع، والعدل والإنصاف في الحكم).

فقد تناول جميع جوانب النصرانية وقضاياها من زاويتين مهمتين:

- تبديل دين المسيح.
- وتكذيب محمد ﷺ.

ولم يكن الإمام في ذلك إلا متعصِّبًا للحق وحده، دائرًا معه حيث يدور، وبهذا تنطق كتبه ورسائله وآراؤه.

وليس أدلّ علىٰ التزامه التام بالعدل والإنصاف من تفضيله النصارىٰ وعلومهم بعد النسخ والتبديل علىٰ الفلاسفة وإن كانوا من المنتسبين للإسلام، وعلىٰ بعض الملاحدة كغلاة الشيعة القائلين بألوهية علي بن أبي طالب، والقائلين بوحدة الوجود من الصوفية، لأن النصارىٰ يؤلّهون المسيح وهو نبي أفضلُ ممن يؤلهه هؤلاء، كعليٍّ وغيره. كقوله: «اليهود والنصارىٰ بعد النسخ والتبديل أعلم من هؤلاء بالعلوم الإلهية والأخلاق والسياسات فضلًا عما وراء ذلك».

ومنها: التزامه الحسنىٰ في الحوار، والهدوء في المناقشة، وامتثاله الأمر بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، وقد أكد علىٰ ذلك في أكثر من موضع، لكنه قسّم أهل الكتاب إلىٰ ثلاثة أقسام:

- **أهل الذمة والعهد والمستأمن** يدخل فيمن أمر الله بدعوته ومجادلته بالتي هي أحسن.
- **والظالمون** في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وهم نوعان: ظالم مستحق للقتال، طالب للعلم معاندٌ يعلم أنه علىٰ باطل، وهذا لا يجادل بالتي أحسن، بل بطرق أخرىٰ تبين عناده وظلمه.
- **والمستجير المستأمن من أهل الحرب** فهذا قد أُمِر بإجابته وإبلاغه مأمنه، حتىٰ تقوم حجة الله عليه، لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦]، والمراد بالسمع هنا السمع الذي يمكن معه من فهم المعاني.

ولهذا يُعدّ منهجه في دراسة النصرانية خير مثال للجدل بالتي هي أحسن، ولعل هذا الكتاب أهدأ ما كتب ابن تيمية في الجدال.

ومنها: تفرُّده بمسائل وفوائد لم يسبق إليها، كتقسيمه المبتكر لأنواع المعجزات إلىٰ:

- **معجزات العلم**، كالإخبار بالغيوب.
- **ومعجزات القدرة**، ومنها ما هو في العالم العلوي، كانشقاق القمر، والإسراء والمعراج. وما في العالم السفليّ كتصرفه في الإنسان والجن والبهائم.
- **ومعجزات الغنىٰ**(١).

(١) ينظر: «منهج أهل السنة والجماعة في الردِّ علىٰ النصارىٰ، دراسة علمية من خلال جهود الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ»، للدكتور: عبد الراضي بن محمد عبد المحسن، و«المداخل إلىٰ آثار شيخ الإسلام ابن تيمية»، للشيخ بكر أبو زيد، و«ابن تيمية؛ حياته وعصره، آراؤه وفقهه» للشيخ محمد أبو زهرة.

منهـج المـؤلف في كتابــه

بيَّن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ منهجه باختصار في مقدمة كتابه، فقال: «وأنا أذكر ما ذكروه (أي: النصارىٰ) بألفاظهم بأعيانها فصلًا فصلًا، وأُتبِع كلَّ فصلٍ بما يُناسبه مِن الجواب فرعًا وأصلًا، وعقدًا وحلًّا»(١).

وقال: «ونحن ولله الحمد والمنة نبيّن أن كل ما احتجوا به من حجة سمعية من القرآن، أو من الكتب المتقدمة علىٰ القرآن، أو عقلية، فلا حجة لهم في شيء منها، بل الكتب كلها مع القرآن والعقل حجة عليهم لا لهم، بل عامة ما يحتجون به من نصوص الأنبياء، ومن المعقول فهو نفسه حجة عليهم، ويظهر منه فساد قولهم مع ما يفسده من سائر النصوص النبوية، والموازين التي هي مقاييس عقلية»(٢).

وعلىٰ ضوء هذين النصين يمكن الحديث عن معالم منهجه في أمور:

أولًا: يذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ شبهات النصارىٰ مقسّما كلام علمائهم إلىٰ فقرات، بحسب موضوعاتها.

ثانيًا: يفرد كل فقرة بعنوان فصل مستقل، يتناول ما جاء فيها بالبيان والرد، سالكًا مسلك الوصف والتحليل، والنقد والجدل.

ثالثًا: يستوعب في ردِّ الشبه الأدلة من القرآن والسنة، إضافة إلىٰ الاستشهاد بالبراهين العقلية، والقواعد المنطقية، بل يحتجّ علىٰ النصارىٰ بما في

(١) (١/ ٢٨).
(٢) (١/ ٣١).

كتبهم، ويترجم ما فيها، وينقل أقوال مَن أسلم من علمائهم، إذ هم بهذا الطريق أعرف، وبمسالكه أخبر.

رابعًا: يعتمد على المنهج التاريخي في بعض القضايا، كإثبات ضياع التوراة الأصلية بعد استيلاء «بختنصر» على بيت المقدس، وتبديل دين المسيح بإقرار «الأمانة» في مجمع نيقية (٣٢٥م)، وكذلك عند ذكره بعض دلائل نبوة محمد ﷺ.

خامسًا: قلب الأدلة التي يأتي بها أهل الضلال ليستدلوا بها على باطلهم، فإنه رحمه الله كان يبطل مذهبهم بنفس ما احتجوا به، ويبين من أي الجهات أُتوا.

سادسًا: كان رحمه الله في كثير من ردوده يكتفي (بالمنع) لأنه أصَّل قاعدةً لمناقشة ما ينقله النصارى ابتناها على ثلاثة أركان، وقد استعملها في عامة أجوبته، وكان أحيانًا يشير إليها ويحيل عليها، اكتفاء بذكرها في بعض المواضع.

وهذه الأركان هي:

- أن ما ينقلونه عن الأنبياء إنما تتم الحجةُ به إذ عُلِم إسنادُه ومتنُه، فيُعْلَم أنه منقول عنهم نقلًا صحيحًا.
- **الركن الثاني**: أن نعلم أن ترجمته من العبرية إلى اللسان الآخر، كالرومية والعربية والسريانية ترجمة صحيحة.
- **الركن الثالث**: أن يُعلم أنهم أرادوا به ذلك المعنى[١].

---

(١) الجواب الصحيح (٢/ ٢٢٩-٢٣٠).

فكان رحمه الله إذا أفسد ما ذكروه بنقض هذه المقدمات يتنزّل معهم أحيانًا بعرض ما نقلوه ويردّ عليهم بالحجج البيّنة والبراهين الواضحة التي لا تجعل لهم معها بعد ذلك أدنىٰ شبهة.

سابعًا: تنظيره رحمه الله النصارىٰ ببعض الفرق المنتسبة إلىٰ الإسلام في غلوّهم وما آل إليه أمرهم فيه سواء بسواء.

ثامنًا: من الأمور التي انتهجها المصنف رحمه الله ـ وهي عادته في عموم كتبه ـ إحالته للمسألة أو القضية التي يناقشها علىٰ مواضع أخرىٰ من الكتاب أو إلىٰ مصنفاته الأخرىٰ. وقد اجتهدنا في عزو هذه الإحالات إلىٰ مواضعها.

تاسعًا: كثيرًا ما يذكر المصنف رحمه الله المسألة ثم يأخذ في تقسيمات وتفصيلات تثري الباب وتزيد المسألة بيانًا ثم يعود بقوله: والمقصود كذا وكذا. وقد تكرر مجيء هذه العبارة في هذا الكتاب كثيرًا. وهي من سمات بحوث المؤلف الطويلة، فإنه عادة ما يستطرد، ثم يعود إلىٰ المسألة الأصلية بنحو هذه العبارات، وهذا من سيلان قلمه وذهنه المعروفين عنه.

عاشرًا: يعيد المصنف رحمه الله بعض التفصيلات أو الأوجه التي مرّت في أجوبته أحيانًا، ويكون سبب الإعادة أن الشبهة مقصودها واحد، أو أن الجواب فيه ذكر قواعد عامة تصلح لكثير مما أوردوه، أو أن المقام يستدعي التكرار بتفصيل أكبر، وهكذا فإن ما في هذا الكتاب من التكرار والاستطراد لا ينفكّ عن بيان زائد وتأكيد علىٰ القواعد وزيادة علم وتحقيق.

حادي عشر: ناقش المؤلفُ النصارىٰ بالعلم والعدل لا بـالظن والهـوىٰ. ولـم يحمله بغضه لهم علىٰ ردّ كل ما جاؤوا به، فإنه كان إذا ورد شيء من الحق من جهتهم يقرّه ويبين أن هذا مما لا ينازَعون فيه، وإذا ردّ عليهم باطلهم ردّه بحجج وأدلة دامغة.



موارد الكتاب

يمكن تقسيم موارده إلىٰ ثلاثة أقسام:

- كتب صرّح بأسمائها.
- كتب لم يصرح بأسمائها.
- أعلام نقل آراءهم، وهي علىٰ قسمين، ما عرف الكتاب الذي نقل عنه، وما لم يعرف.

۞ **أما التي صرح بأسمائها:** فهي إما كتب أو رسائل أو وثائق.

۞ **أما الكتب:**

فمن كتب الفِرق والطوائف:

- «**التاريخ المجموع علىٰ التحقيق والتصديق**» أو «**نظم الجوهر**»، لافتيشيوس، المعروف بسعيد ابن البطريق، بطريرك الاسكندرية.
- «**الملل والنِّحل**»، لأبي الفتح الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ).
- «**الفَصْل في الملل والأهواء والنِّحَل**»، لأبي محمد ابن حزم (ت ٤٥٦هـ).

ومن كتب الدلائل:

- «**دلائل النبوة**»، لأبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ).
- دلائل النبوة للبيهقي (ت٤٥٦).

ومن كتب السنة:

- الكتب الستة.
- مسند أحمد. (ت٢٤١هـ).
- صحيح ابن حبان (٣٥٤هـ)

- كتاب السنة. للخلال (٣١١هـ).
- «الموضوعات»، لأبي الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ).
- جامع الترمذي (ت٢٧٩).
- سنن أبي داود (ت٢٧٥).
- الأموال لأبي عبيد (ت٢٤١).
- الصحيحان

ومن كتب التفسير:

- تفسير ابن أبي حاتم (ت٣٢٧).
- تفسير الطبري (ت٣١٠).
- تفسير سنيد (ت٢٢٦).

ومن كتب التاريخ:

- «التاريخ الكبير»، للإمام البخاري (ت٢٥٦هـ).
- الحلية لأبي نعيم (ت٤٣٠)
- السيرة لابن إسحاق (ت١٥١)
- شرح السيرة «الروض الأنف» للسهيلي (ت٥٨١)
- الطبقات لابن سعد (ت٢٣٠).
- الفتوح لمحمد بن عائذ
- أخبار النصارىٰ = التاريخ لابن البطريق
  - كتاب فراكسيس.
- الأناجيل
- الزبور

ومن كتب الاعتقاد:

- «**الرد علىٰ الجهمية**»، للإمام أحمد (ت ٢٤١هـ).
- «**الإرشاد إلىٰ قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**»، لإمام الحرمين الجويني (ت٤٧٨هـ).
- «**شـــرح الإرشـــاد**» لأبـــي القاســـم الأنصـــاري، صـــاحب الجـــويني (ت٥١٢هـ).

ومن كتب الفلسفة:

- «**كتاب أثولوجيا**». وهـو فصـول منتزَعـة مـن «**التاسـوعات**» لأفلاطـون، وقد دفع هذا بعضَهم إلىٰ التشكيك في نسبته لأرسطو.
- «**آراء أهل المدينة الفاضلة**» للفارابي.
- «**رسائل إخوان الصفا**»
- «**المضنون به علىٰ غير أهله**»، لأبي حامد الغزالي (ت٥٠٥).
- «**نظم السلوك**» لابن الفارض (ت٦٣٢).

وأما الرسائل، فهي:

- «**رسـالة بـولس الأنطـاكي**»، وهـي سـبب تـأليف الكتـاب، كمـا سـبقت الإشارة إليه.
- «**رسالة الحسن بن أيوب، إلىٰ أخيه علي بن أيوب**»، يـذكر فيهـا سـبب إسـلامه، ويـذكر الأدلـة والبراهـين علـىٰ صـحة ديـن الإسـلام ومزايـاه، وعلىٰ بطلان دين النصارىٰ، وقد وصفه شيخ الإسلام بأنه كان من أعلم الناس بدين النصارىٰ، وأخبرهم بأقوالهم ومقالاتهم.

وأما الوثائق، فهي:

- **الأمانة المقدسة**، وهي قانون الإيمان، وخلاصة العقائد النصرانية، التي وضعها آباء المجمع المسكوني الأول المنعقد في نيقية سنة (٣٢٥هـ)

وأما الموارد التي لم يصرح بأسمائها فمنها:

- التعليقة للقاضي أبي يعلىٰ (ت٤٥٨) (١/ ٧٢).
- الشفا للقاضي عياض (ت ٥٤٤) (١/ ٢٢٧).
- نهاية العقول للرازي (ت ٦٠٦) (١/ ١١٣).

ومنها: موارد نص علىٰ أسمائها دون أسماء مؤلفيها:

مصنَّف في حيل الرهبان (١/ ٤٩١).

وأما الأعلام الذين أفاد منهم أو نقل آراءهم وصرح بأسمائهم دون أسماء كتبهم، فهم علىٰ النحو التالي مرتبين علىٰ المعجم، ويراجع فهرس الأعلام:

- ابن إسرائيل.
- ابن الجوزي، من المنتظم وكشف المشكل وزاد المسير
- ابن الفارض.
- ابن حزم، من الفصل
- ابن رشد (الجد).
- ابن رشد (الحفيد).
- ابن سبعين.
- ابن سينا.
- ابن عربي.
- ابن عقيل، من الواضح.

- ابن هشام، من السيرة.
- أبو الحسن ابن الزاغوني.
- أبو الحسن التَّميمي.
- أبو الحسن الدارقطني.
- أبو الخطاب الكلوذاني، من التمهيد
- أبو القاسم الأنصاري.
- أبو القاسم سعد بن علي الزَّنجاني.
- أبو المعالي الجويني.
- أبو بكر الأثرم.
- أبو بكر الأنباري.
- أبو بكر القفَّال.
- أبو جعفر العقيلي.
- أبو حاتم ابن حبان.
- أبو حامد الغزالي.
- أبو حنيفة النعمان.
- أبو زرعة الرازي.
- أبو سعيد الخراز.
- أبو عبد الله الرازي.
- أبو عبد الله بن حامد.
- أبو نصر السِّجزي.
- أبو نصر الفارابي.

- أبو نعيم الأصبهاني.
- أبو يعلىٰ القاضي.
- الأخفش الأوسط (سعيد بن مسعدة).
- ارسطو.
- إسحاق ابن راهويه.
- أشهب (عبد العزيز بن داود).
- الأصمعي.
- الباقلاني.
- البويطي (يوسف بن يحيىٰ).
- البيهقي.
- التلمساني (سليمان بن علي).
- الثعلبي، من تفسيره الكشف والبيان
- الجعد بن درهم.
- الجهم بن صفوان.
- الحاكم.
- حرملة بن يحيىٰ.
- الحسن بن أيوب.
- الحلاج.
- الخلال، من السنة
- الربيعي.
- زفر بن الهذيل.

- سعيد بن البطريق.
- سفيان الثوري.
- سفيان بن عُيينة.
- السهروردي.
- الشافعي.
- الششتري.
- عبد الله البلياني.
- عبد الله بن المبارك.
- عبد الله بن كُلَّاب.
- الفارابي.
- فم الذهب (من علماء النصارىٰ)
- قباد بن فيروز.
- قزمان.
- الليث بن سعد.
- محمد بن إسحاق القونوي.
- محمد بن إسحاق. (إمام المغازي).
- محمد بن الحسن الشيباني.
- محمد بن جبير.
- محمد بن نصير.
- محمود بن لبيد.
- مناني (مؤسس المنانية).
- يعقوب البرادعي.

وصف النسخ الخطية

تمكّنا بحمد الله تعالىٰ من الحصول علىٰ كل النسخ الخطية التي وجدنا إشارة إليها في الفهارس، وقد بلغ مجموعها عشر نسخ خطية، وهذا وصفها:

١. نسخة دار الكتب المصرية (د):

محفوظة بدار الكتب المصرية من مقتنيات المكتبة التيمورية برقم (٢٧٨ عقائد تيمور)، وعدد صفحاتها: (٨٣٤) صفحة، أسطر كل صفحة ما بين (٣١ ــ ٣٤) سطرًا تقريبًا، في كل سطر ما بين (١١ ــ ٢٣) كلمة؛ لتفاوت الخطوط.

وهي نسخة عتيقة ــ في أصلها ــ كتبت في حياة المصنف رحمه الله، وقرئت عليه، كما يظهر من التصويبات وعلامات المقابلة، بل عليها خطه كما في (٩٨/ أ)، وعُلّق تحته: «حاشية: هذه التخريجة بخط المصنف رضي الله عنه».

وقد تَعاقب علىٰ كتابة هذه النسخة نُسَّاخ بخطوط مختلفة متغايرة.

ووقع بها خروم في مواضع كثيرة من أولها وأثنائها وآخرها، وقد عمد بعض الناسخين وهو الحاج علي اللبدي الحنبلي فقام بترميمها وأكمل أغلب مواضع الخروم والنقص بها سنة (١٢٨١هـ)، ومع ذلك لم تسلم من طمس كثير وبياض لاسيما أعلىٰ الصفحة وأسفلها.

في أعلىٰ صفحة العنوان كتب بخط واضح: (الجواب الصحيح)، وفي وسطها ختمُ وقفيةٍ لم يتبين في التصوير.

وفي آخرها: «تم الكتاب، آخر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، والحمد لله وحده، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلّم

تسليمًا كثيرًا، بقلم أحقر الورىٰ، وأذلّ الفُقَرا، الراجي رحمة اللطيف المبْدي، الحاج علي اللبدي الحنبلي، اللهم اغفر له ذنوبه واستر عيوبه، واجمعه بحبيبه سيد المرسلين، واغفر لمن دعا له بالمغفرة والرضوان، آمين آمين، آمين.

وذلك ليلة الأربعاء في غرة ربيع الأول المبارك، من شهور سنة ألف ومائتين وواحد وثمانين من الهجرة النبوية علىٰ صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية، اللهم صل وسلم وبارك علىٰ سيدنا محمد عبدك ورسولك، النبي الأمي، وعلىٰ آله وصحبه وسلم، تم».

وعلىٰ النسخة تعليقات منقولة من نسخة السفاريني الحنبلي (ت: ١١٨٨).

وهذه النسخة اعتمد عليها محققو طبعة النيل، وقلّ أن تخرج عنها، ولعلها من الأصول التي وقفوا عليها وأشاروا إليها بقولهم: «وكل تلك الأصول صحيحة مقروء بعضها علىٰ المؤلف، وبعضها عليه قراءة بعض الأفاضل كالحافظ ابن حجر، وبهذا جاءت نسختنا غاية في الصحة والاعتناء».

٢. نسخة المكتبة الظاهرية (ظ):

محفوظة في دار الكتب الظاهرية برقم (٥٦٦٦).

وكاتب النسخة هو أحمد بن محمد بن أحمد بن المحب عبدالله المقدسي، من آل المحب المقادسة الذين كانت لهم عناية كبيرة بنسخ تراث شيخ الإسلام وجمعه والاهتمام به، قال فيه ابن حجر: «وتمهّر وَتكلم علىٰ

النَّاس[1] فأجاد وكانت له عناية بالحديث»[2]، وكانت وفاته سنة (٧٧٦هـ) في ربيع الآخر.

بيَّن ابن المحب أنه نقل النسخة من أصل عمه إبراهيم أبي إسحاق، وأن عمه نقل من نسخة المصنف.

وكتب في أواخر النسخة (ق:١٧٣): «بلغ مقابلة بنسخة عمي أبي إسحاق إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ التي قوبلت على الأصل خط المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن نقلها منه ولله الحمد والمنة على الإسلام والسنة». وذكر نحو ذلك في (ق: ١٨٥).

ومما يدل على أن الأصل المنقول منه مقابل على نسخة المؤلف ما ذكره في (ق:١٦٣) حيث كتب في أول الجملة: (لا)، وفي آخرها (إلى)، ثم كتب في الهامش: كذا عليه بخط الشيخ (لا إلى).

وأبو إسحاق إبراهيم عم الناسخ من تلاميذ المؤلف، فقد وُلد بعد سنة (٧٠٢هـ)، وَطلب الحَدِيث وقتًا، وقد وُصف بحسن الكتابة، حتى قال الذهبي: «سمع جملَة وَقَرَأَ ولديه فَضِيلَة وذهنه جيد وكتابته سريعة حلوة»[3].

وكانت وفاته فِي العشرين من رَجَب سنة (٧٤٩هـ) في الطاعون[4].

وليست هذه النسخة هي النسخة الوحيدة التي قابل عليها ابن المحب، بل هي الأصل، وقد قابل على نسخ أخرى، وأثبت الفروق بين أصله وبين

(١) مراده من الكلام على الناس: الوعظ، فقد كان مشهورا به، فقد ذكره ابن حجر في إنباء الغمر (١/ ١٠٦) وقال: وكان لوعظه وقع في القلوب.

(٢) الدرر الكامنة ١/ ٢٨٩. إنباء الغمر ١/ ٨٠.

(٣) المعجم المختص ٥١.

(٤) الدرر الكامنة ١/ ٨.

هذه النسخ، ولكنه لم يبين ما هي هذه النسخ، وإنما يكتفي بالرمز: (خـ). وفي موضع واحد (ق١٦٧) كتب: «نسخة: دعوىٰ النبوة مع..».

وما أثبته الناسخ في آخر النسخة يفيد أنه قابل علىٰ عدة نسخ، حيث ثبت فيها (ق:١٧٣): «آخر النسخ كلها».

تمتاز هذه النسخة بجودتها، وقلة السقط والتصحيف، وبأنها مقابلة علىٰ الأصل المنقول منه، حيث يثبت في الهامش بلاغات المقابلة في موضعها، وقد صان النسخة بهذه المقابلة فأثبت في هوامشها ما سقط عليه أثناء النسخ، ويضبط ذلك بكتابة: (صح) في آخر السقط.

ولا تخلو هذه النسخة من حواشٍ مفيدة، وهي علىٰ ثلاثة أنواع: إما تعريف بغريب، أو تخريج لحديث، أو عزو لبشارة في الإنجيل. وأطول هذه الحواشي ما يكون في تخريج الأحاديث، وقد أثبتناها كلها في أماكنها.

ويميز الناسخ ذلك كله بأن يكتب أولها: (حشه)، وآخرها: (صح). وربما ميّز آخرها بدائرة منقوطة.

وللناسخ تصويبات يسيرة، علق فيها علىٰ ما ثبت في الأصل.

وخط هذه النسخة واضح ومسطرتها ثابتة، ففي كل صفحة منها (٢١) سطرا، وتقع في (١٨٥) ورقة في كل ورقة صفحتان.

وعلىٰ نفاسة هذه النسخة الخطية إلا أن الموجود منها مجلد واحد فقط، وفي أوله سقط، وأول الموجود يبدأ من: «فصل نبوة حبقوق»، فتمت المقابلة علىٰ هذه النسخة في المجلد الرابع فقط، والأصل المعتمد لتحقيق هذا المجلد.

وتمتاز هذه النسخة بأن فيها زيادات عن باقي النسخ، أثبتها الشيخ أبو إسحاق في آخر نسخته التي نقلها من خط المصنف، وهذه الزيادات بقدر كراسة، تقع في (١٣) ورقة من الأصل، وهي تطبع لأول مرة.

وجاء في آخر الأصل ما صورته: «ووجدت في نسخة عمي أبي إسحاق إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ التي بخطه المنقولة من الأصل المقابلة عليه قال: وجدت فصولا في كراس منفرد، فظننت أنها إما أن تكون بعد هذا الكلام وإما أن تكون سقطت من وسطه، وإما أن تكون مستقلة، وهي علىٰ كل حال مناسبة لهذا الكلام فأحببت أن أكتبها هاهنا لتتم الفائدة».

ولا شك أن هذه الكراسة من تصنيف الشيخ، لكن هل هي من هذا الكتاب أو من غيره؟ موضع احتمال، كما ذكر أبو إسحاق ابن المحبّ، فألحقناها به كما صنع هو.

ثبت تاريخ النسخ في آخر المخطوط، وهو العشر الأوسط من شهر رمضان سنة (٧٧٢هـ)، حيث جاء في آخر الأصل ما صورته: «آخر ما وجد في الكراس وبه كمل جميع الكتاب والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

علقه لنفسه: أحمد بن محمد بن أحمد بن المحب عبدالله المقدسي، عفا الله عنهم، وفرغ منه في العشر الأوسط من شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة، والحمد لله علىٰ الإسلام والسنة».

ولم يذكر في هذه النسخة اسم الكتاب لا في أولها ولا في آخرها، ولا في أثنائها، ولا شك أن اسم الكتاب كان مسطورا في الورقة الأولىٰ، إلا أن أول

المجلدة مخروم.

٣.نسخة طوبقبو سراي (و):

هذه النسخة من محفوظات متحف طوبقبو سراي من مكتبة أحمد الثالث بإستانبول برقم (٢٨٧).

وتقع في (٢٩٢) ورقة، في كل صفحة منها ثلاثة وعشرون سطرًا، نسخت سنة ٧٣٠ أي بعد وفاة المؤلف بسنتين[١]، وهي تمثل المجلدين الأوّلَين من طبعتنا، أي نصف الكتاب، وتعتبر نسخة (مكتبة جامعة ليدن) المشار إليها بحرف (ل) مكمِّلة لها، كما سيأتي الحديث عنها.

وقد كتب علىٰ صفحة العنوان: «كتاب فيه (**بيان الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**)، تأليف شيخ الإسلام مفتي فرق الأنام مظهر سنن المرسلين وقامع الكفرة والملحدين الإمام العلامة **أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية** ﷺ».

ثم كتب تحته تملك بلفظ: «انتقل بالبيع الشرعي إلىٰ أحمد بن محمد بن زيد علىٰ يد شمس الدين اللولوي الكتبي، وعلىٰ يد ولده في أوائل شعبان **سنة إحدىٰ وسبعين وثمانمائة**. والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين وسلم تسليمًا».

وتحت الكتابة السابقة ختمان لم يتبينا.

---

(١) كما جاء في خاتمة المجلد الثاني من نسخة ليدن الآتي وصفها.

وفي أعلىٰ هذه الصفحة عبارة تملك مؤرخة: «دخل في ملك الفقير: عبد العليم ١٣٠٠هـ» وبجانب هذه العبارة توقيع علىٰ شكل ختم في داخله رقم: (٦٥)، وكتب تحته بخط حديث: «من كتب العقائد ٥٩».

ورد في هامش هذه النسخة كثيرًا وضع (مطالب) توضيحية لإبراز موضوع ما أو قضية معينة تناولها المصنف، ومما تكرر في هامشها كذلك تصويب بعض الكلمات التي قد لا تتوافق مع السياق، أو تكون مطموسة، وذلك بقوله: «لعله كذا» وتكون غالبًا هي الأنسب للنصّ. وثمّ تعليقات تدل علىٰ كونها وضعت بعد عام (٩٠٠هـ).

وهذه النسخة جيدة واضحة الخط، وهي أقرب النسخ من عهد المؤلف، وقد كان المعوَّل عليها أن تتخذ أصلًا، إلا أنه اعتراها سقط في مواضع كثيرة لانتقال النظر وغيره، وكذلك فإنها انفردت كثيًرا عن سائر النسخ في مواضع بقراءات وتصحيفات وزيادات، وفروق في السياق والكلمات. ونصّ هذه النسخة يتفق في مواضع كثيرة مع نسخة (يني جامع) فيحتمل أنها منسوخة منها.

٤ .نسخة ليدن (ل):

هذه النسخة من محفوظات مكتبة ليدن بإيرلندا، برقم (٣٣٠١).

وتقع في مجلد كبير في (٣٢٤) ورقة، في كل صفحة منها ثلاثة وعشرون سطرًا، وهي تمثل المجلدين الثالث والرابع من طبعتنا، أي نصف الكتاب الثاني، وتعتبر مكملة لنسخة (متحف طوبقبو) المشار إليها برمز (ق)، كما سبق الحديث عنها، ومن خاتمتها عرفنا تاريخ نسخها، وهو سنة ٧٣٠. حيث جاء في خاتمتها: «نجز الكتاب المسمىٰ **بالجواب الصحيح لمن بدل دين**

المسيح صلىٰ الله عليه وعلىٰ نبينا وسائر المرسلين، تأليف شيخ الإسلام تقي الدين أحمد ابن تيمية ﷺ، في سنة ثلاثين وسبعمئة، وقوبل علىٰ أصل صحيح نقل من خط مؤلفه».

كتب علىٰ صفحة العنوان داخل إطار مذهّب: «الجزء الثاني من (**الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**)، تأليف شيخ الإسلام مفتي فرق الأنام، مظهر سنن المرسلين وقامع الكفرة والملحدين الإمام العلامة **أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية** ﷺ». ثم كتب خارجه عن الإطار جهة اليسار: «وبتمامه تم جميع الكتاب».

ثم كتب تحته تملك نصه: «انتقل بالبيع الشرعي إلىٰ أحمد بن محمد بن زيد علىٰ يد شمس الدين اللولوي الكتبي، وعلىٰ يد ولده في أوائل شعبان **سنة إحدىٰ وسبعين وثمانمائة**. والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين وسلم تسليمًا».

وفي أعلىٰ هذه الصفحة تملّكان غير مؤرّخين، الأول: «تملّكه علي بن عبد [الله] الحنبلي غفر الله له»، ثم كتب تحته: «ثم ملكه سراج الدين عمر الحلبي عفىٰ الله عنه».

ويقال في هذا المجلد ما قيل في وصف نسخة طوبقبو فهي الجزء الثاني منها، تفرقت النسخة في مكتبتين في دولتين مختلفتين. ونصّ هذه النسخة يتفق في مواضع كثيرة مع نسخة (ي) الآتي وصفها.

٥. نسخة مكتبة يني جامع (ي):

أصلها محفوظ بمكتبة يني جامع (yeni cami) أي: الجامع الجديد، ويسمىٰ جامع والدة السلطان، بإسطنبول، وهي اليوم ضمن المكتبة السليمانية، برقم (٧٣٢).

تقع في (٢٣١) ورقة، تمثل نصف الكتاب الأول كنسخة متحف طوب قابي سراي، وكتب ناسخها معلقًا علىٰ آخر جملة فيها مشيرًا إلىٰ نقص نسخته بعربية فيها عجمة: «أقول: بعد قوله: معقول، كما في النسخ، قوله: فصل، قالوا: وقد جاء ...الخ. فعلىٰ هذه النسخ أن هذه النسخة نصف الكتاب، بل ناقص أيضًا عن النصف، فلا تغفل».

لم يذكر اسم الناسخ، إلا أنه قيّد تاريخ فراغه من نسخها يوم السبت الخامس عشر من رجب الفرد سنة ١٠٩٤.

وهي مكتوبة بخط نسخي جميل، وعلىٰ طررها تصحيحات واستدراكات للسقط مختومة بالتصحيح تدل علىٰ مقابلتها علىٰ أصلها، والتزم الناسخ بكتابة بلاغ المقابلة في رأس كل عشر ورقات (ق٢١/ و، ٣١/ و، ٤١/ و، ...) فيقول: «بلغ مقابلة»، وفي الطرر كذلك توضيح لبعض الكلمات التي أشكل رسمها يبدؤها بقوله: «بيان»، وإشارات إلىٰ مقابلتها علىٰ نسخة أخرىٰ بذكر فروقها مبدوءة برمز (خـ) كما في (ق٢٢/ ظ).

ومع ذلك فلم تخل النسخة من تحريف وسقط دلّ عليه ما وقع في الأصول الأخرىٰ، ولا يبعد أن تكون هي ونسخة المتحف تعودان إلىٰ أرومة واحدة، وإن اختلفتا في بعض المواضع.

وقد وضع الناسخ أو غيره خطوطًا بالحمرة فوق أوائل الجمل والفقرات لتسهيل متابعة القراءة.

وكتب أحدهم بقلم أحمر في طرة (ق١٥٥/ و): «هذا أول الجزء الرابع من الجواب الصحيح» ولم يسبق ذلك أو يتلوه إشارة إلىٰ بدايات باقي الأجزاء.

وفي آخر النسخة ختم وقفية السلطان أحمد خان بن السلطان محمد.

ويغلب علىٰ الظن أنها النسخة المصححة التي أشار إليها العلامة نعمان الآلوسي في صدر نسخته الآتي وصفها بقوله: «هذا الكتاب يوجد منه أيضًا نسخة في المكتبة المقابلة لجامع الحميدية قرب الجسر في إسلامبول المحمية، لكنها قطعة، وناقصة، نمرة ٧٣٢»، وقال في إحدىٰ طرره علىٰ نسخته: «أقول: قد راجعتُ نسخةً مصحَّحةً في إسلامبول ...».

ووقع اسم الكتاب في صفحة العنوان: «بيان الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» وبعده: «تأليف شيخ الإسلام، مفتي فرق الأنام، مظهر سنن المرسلين، وقامع الكفرة والملحدين، الإمام العلامة أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية عفي عنهم».

وتحته ختم لم يتبين، ثم قيد سنة ١١٣٧.

٦. النسخة التيمورية (ت):

أصلها في مكتبة العلامة أحمد تيمور المحفوظة في دار الكتب المصرية، برقم (٧٥٦ عقائد تيمور).

وهي قطعة جليلة قريبة العهد بالمصنف شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، تمثل الجزء الأول الكتاب، وتقع في (١٧٨) صفحة من القطع الصغير، في الصفحة عشرة

أسطر، في السطر نحو ثمان كلمات، بخط نسخي متقن، كتبها المحدث الصوفي الثقة محمد بن أبي بكر بن أحمد بن هارون الساوجي المتوفى سنة ٧٤٩[(١)]، وقيّد تاريخ نسخه لها في آخر الجزء بقوله: «وكان الفراغ منه في بكرة السبت الثاني والعشرين من شعبان سنة ست وثلاثين وسبعمئة، كتبه لنفسه العبد المعترف بتقصيره في يومه وأمسه محمد بن أبي بكر بن أحمد بن هارون الساوجي عفا الله عنه».

وعلى النسخة من دلائل الإتقان وآثار المقابلة والتصحيح واستدراك السقط ما يزكي الثقة بها وبما تفردت به من الزيادات في بعض المواضع.

وصلتنا هذه القطعة من الكتاب أوراقًا مبددة مشوشة الترتيب سقطت منها أوراق كثيرة، وقد حاول أحدهم ترتيبها فرقّم ما بقي من صفحاتها فلم يصب في مواضع عديدة. ولا ريب أن طبعة النيل الأولى للكتاب قد اعتمدت على هذه النسخة، لانفرادها بالصواب في مواضع موافقة لها، وتفردها بزيادات لا توجد إلا فيها، والظاهر أنهم كانوا يصفّون منها الحروف في المطبعة مباشرة؛ لجمال خطها ووضوحه، فتفرقت أوراقها وتبددت ملازمها بين أيدي عمال المطبعة وضاع بعضها في أثناء طباعة الكتاب، والذي بقي منها اشتراه العلامة أحمد تيمور باشا، ولعل أصل هذا الجزء الأول هو الذي كان عند الشيخ عبد السلام الأمير، كما ذكر ناشر طبعة النيل في خاتمة الطبع.

---

(١) ترجمته في «وفيات ابن رافع» (٢/ ٨٩)، و«ذيل العبر» للحسيني (٢٧٤)، و«الدرر الكامنة» (٥/ ١٣٧)، و«ذيل التقييد» (١/ ١٨١)، وغيرها.

وقد كتب الناسخ اسم الكتاب في صفحة العنوان بخط ثلث محبّر: «الأول من بيان الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تصنيف الشيخ الإمام شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية رحمة الله عليه وأحله جنته بمنه».

وأشار في آخرها إلىٰ نهاية الجزء الأول وبداية الثاني، فقال: «الثاني: فصل وكان يأتيهم بالآيات الدالة علىٰ نبوته ﷺ، ومعجزاته ...»، ثم ذكر تاريخ فراغه من نسخ الجزء.

٧. نسخة مكتبة بودليان (ب)

محفوظة بجامعة أكسفورد بإنجلترا برقم ٤٥/ ٢

ثبت اسم الكتاب في ورقة العنوان هكذا: «كتاب تخجيل أهل الإنجيل والنهج الصحيح في الرد علىٰ من بدل دين عيسىٰ ابن مريم المسيح تأليف: شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين بن أحمد بن تيمية الحراني رضي الله تعالىٰ عنه، آمين».

كذا في صفحة العنوان، ويظهر أن صفحة العنوان والتي تليها بخط مختلف عن الورقة الثالثة. وفي أول الكتاب بعد البسملة حمدلة تخالف ما في باقي النسخ، بل تخالف أسلوب المصنف، وفيها: «الحمد لله الذي شرع لنا الدين، والصلاة والسلام علىٰ أفضل من اعتصم بحبله المتين، سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله الأمين، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه الرحماء فيما بينهم الأشداء علىٰ الكافرين، صلاة دائمة متعاقبة في كل وقت وحين، وسلم تسليمًا كثيرا إلىٰ يوم الدين.

أما بعد، فيقول العبد المتمسك بذيل الألطاف الخفية، أبو العباس

أحمد بن تيمية الحنبلي، عامله المولىٰ بغفران ذنبه الخفي والجلي، هذا كتاب سميته: تخجيل أهل الإنجيل والنهج الصحيح في الرد علىٰ من بدل دين عيسىٰ بن مريم المسيح، أذكر فيه بنص الحديث، والكتاب الفصيح، فأقول والله الهادي...».

ثم بدأت النسخة بقوله: (إن النصارىٰ لهم سؤال مشهور بينهم ...) وهذا يقابل في مطبوعتنا: (٣/ ٥٠٨).

في حين أنه سمىٰ الكتاب في آخر النسخة: الرد علىٰ النصارىٰ، وسماه كذلك: النبوات. فجاء في آخر النسخة جهة اليمين بخط مغاير ما صورته:

«هذا آخر الكتاب وهو الرد علىٰ النصارىٰ ما ألف سيدنا شيخنا الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن تيمية تغمده الله بالرحمة والرضوان وأسكنه فسيح الجنان بمنه وكرمه».

وكتب الناسخ في آخر الكتاب:

«تمت النبوات تصنيف الشيخ الإمام العالم العلامة أوحد العصر فريد الدهر شيخ الإسلام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني رضي الله عنه وأرضاه آمين».

ولا شك أن هذا من وهم الناسخ، فإنه لم يكن متقنًا.

ثبت اسم الناسخ في آخر النسخة، إلا أن الأرضة قد أتت علىٰ بعض اسمه وعلىٰ تاريخ النسخ، وبقي منه ما يلي:

«كتبها العبد الفقير إلىٰ ... محمد بن يوسف بن أحمد بن ... الحنبلي المقدسي ... الله له ولوالديه وكان الفراغ ...».

ولـم نهتـد لمعرفـة الناسـخ ولا لقـراءة التـاريخ، ويغلـب علىٰ الظـن مـن أمارات هذه النسخة أنها مكتوبة في القرن التاسع، والله أعلم.

عدد أوراق هذه النسخة (٢٠٠) ورقة في كل ورقة صفحتان، في كل صفحة (٢١) سطرًا، وخطهـا واضـح، وهـي نسـخة كثيـرة التصـحيف، وفيهـا اختلال في ترتيب الجمل أحيانًا، وقـد نبهنـا علىٰ بعـض ذلـك في مواضـعه، ومـع أن الناسـخ يكتب بلاغات في هوامش نسخته، إلا أننا لـم نجـد مـا يـدل علىٰ أنـه قابلهـا إلا في موضع واحد، حيث كتب (ق:١٤٢): «بلغ المقابلة من عند الفصل».

وكذا أثبت بعض الفروق بين أصله وبين نسخة يشير إليها بـ (خـ) في موطنين، ويحتمل أن يكون هذا من هوامش الأصل لا من معارضته هـو علىٰ نسخة أخرىٰ، ولـم نـجد ما يدل علىٰ أصله الذي انتسخ منه.

ويظهر أن الناسخ كان عجلا في كتابة هذه النسخة، ولا أدل علىٰ ذلـك مـن كثرة السقط والضرب والبياض في النسخة، بل الخطأ في اسم مؤلف الكتاب!

وبين هـذه النسـخة ونسـخة (ل) تشـابه ظـاهر، فربمـا انحـدرا مـن أصـل واحد، ومـن دلائـل ذلـك: اشـتراكهما في مـواطن كثيـرة مـن اللحـق، فمـثلا في (ب: ق٧٧، ول: ق٢٣٥) وكذا اشتراكهما في مواضع البياض وقـدره، كمـا في (ب: ٨٠، ل: ٢٣٨).

٨. نسخة المتحف البريطاني (ح):

محفوظة فيه برقم (١/ ١٠٦٠٧)، وهي جزءان، تَـوفَّر بـين أيـدينا الجـزء الثاني منهما، وهو يمثّل الثلث الأخير من الكتاب، وينتهـي قبـل نهايـة الكتـاب بنحو مائة ورقة، وعدد أوراقه (٧٨) ورقة، في كل ورقة لوحتان، في كـل لوحـة

(٢٦) سطرًا.

وهذه النسخة كتبت بخط نسخ دقيق، ولم يذكر فيها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، ويظهر أنها تعود للقرن الثاني عشر. والله أعلم.

وجاء في أعلىٰ الصفحة الأولىٰ: الجزء الثاني من كتاب الرد علىٰ النصارىٰ المسمىٰ بالجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .... (كذا؛ إشارة لسقط) عليه الصلاة والسلام، تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم.

وفي آخرها عبارة قريبة.

وهذه النسخة كثيرة الخروم والسقط الطويل الذي يتجاوز عشرات الأوراق، فهي بما بقي منها قد لا تُمثِّل سوىٰ سدس الكتاب، وفي أولها اضطراب في ترتيب صفحاتها.

ومما يظهر في هذه النسخة جليًا إثقال الهوامش بكثرة احتمالات القراءة للألفاظ، مع كتابات ليست قليلة بلغة إنجليزية، وتكون عند مواضع السقط غالبًا، وكأنها إشارة إلىٰ السقط ومقداره.

وهذه النسخة تسير ونسخة الإفتاء في صف واحد، أو هما من أصل واحد، لكثرة توافقهما عند اختلاف النسخ في القدر المشترك بينهما من الكتاب.

٩. النسخة النعمانية (ع):

استكتب هذه النسخة نعمان الآلوسي كما سيأتي. وهذه النسخة جزآن وتمثل كامل الكتاب، إلا أن الذي وجد هو الجزء الأول منها ويقع في (٢٩٣ ورقة) وهي تمثل المجلدين الأولين من طبعتنا، أي نصف الكتاب.

وقد كُتِبت كما صرَّح ناسخها في آخر النسخة في دمشق سنة (١٣٠١هـ) بقلم: رسلان العطار، الشهير بالكلاس الدمشقي. وقد أشار الناسخ في آخر الجزء الأول إلىٰ أنه يليه الجزء (الثاني) أوله: «فصل قالوا: وقال أيضًا في موضع آخر: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾».

والنسخة حالتها ممتازة، وهي قليلة السقط والخطأ. في كل صفحة منها خمسة وعشرون سطرًا، في كل سطر نحو عشر كلمات، مكتوبة بخط واضح جميل.

كتب علىٰ صفحة العنوان: «**كتاب بيان الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**، تأليف شيخ الإسلام مفتي فرق الأنام مظهر سنن المرسلين وقامع الكفرة والملحدين الإمام العلامة **أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحنبلي الحراني الدمشقي** عليه الرحمة».

وكتب بجانب العنوان: الكراس أول من كتاب «رد النصارىٰ» للشيخ ابن تيمية الحنبلي عليه الرحمة.

وكتب العلامة نعمان الآلوسي في أسفل الورقة من يسارها: «هذا الكتاب يوجد منه أيضًا نسخة في المكتبة المقابلة لجامع الحميدية قرب الجسر في إسلامبول المحمية، لكنها قطعة، وناقصة، نمرة ٧٣٢». ولعله يشير إلىٰ نسخة مكتبة يني جامع (ي) المتقدم وصفها.

وكتب تحتها ما يلي: استكتبه العبد الفقير إليه سبحانه **نعمان ابن السيد محمود أفندي الشهير بآلوسي زاده مفتي بغداد** غفر لهما الجواد، وذلك سنة (١٣٠١هـ).

والظاهر أن هذه النسخة مأخوذة عن نسخة دار الكتب المصرية (د) فهي تطابقها إلىٰ حد كبير في جملة الاختلافات الواقعة، وكذلك في السقط والتصحيف والتكرار، ولغير ذلك من القرائن كوجود بعض التعليقات في هامش (د) فتجدها بنصّها هنا، وقد تكرر هذا في أكثر من موضع. ومن الأدلة الظاهرة: وجود سقط كبير في (د) وكتب في هامشها: (يتلوه في وريقة) ولم يوجد الكلام فيها، وهي كذلك هنا سواء بسواء.

كذلك من المرجحات أنه قد كتب في هامش هذه النسخة: (بياض في الأصل) وهو كذلك في (د). ثم كُتِبَ في هامشهما ذات النص، وهو قوله: «ولعله: فلما رآه النبي ﷺ ساكتًا لا يتكلم أنشده. أو نحو هذا» ولم يوجد هذا النص في سائر النسخ.

وللعلامة نعمان الآلوسي تعليقات قليلة متفرقة بخطه علىٰ هذه النسخة، وقد راجع بعض المواضع المشكلة علىٰ نسخة أخرىٰ في إسطنبول، لعلها نسخة يني جامع المشار إليها آنفًا، كما قال في موضع: «أقول: قد راجعتُ نسخةً مصحَّحةً في إسلامبول، فوجدتها محرَّرة مثل هذا الكتاب».

١٠. نسخة الإفتاء (ف):

وهي نسخة كانت ضمن مكتبة الرياض العامة بالمملكة العربية السعودية برقم ٤٤٢، ثم آلت إلىٰ مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض.

وتقع في ١١٠ ورقات، ٢٢٠ صفحة بحسب الترقيم على النسخة.

وهي تمثل الجزء الأخير من الكتاب، كما كتب على الورقة الظهرية: «الجزء الأخير من الرد على النصارى، تأليف فاروق زمانه وصديق أوانه شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية قدس الله روحَه». ثم كتب مقابلا لهذا الكلام: من كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.

وتمثل هذه النسخة نحو ثلث الكتاب، فتبدأ من طبعتنا من ٣/ ٥٠٧ إلى آخر الكتاب. عدا الزيادات التي في نسخة الظاهرية.

وعلى الورقة ختمان، الأول للشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، وختمٌ آخر لمكتبة الرياض العامة مؤرخ بـ ٢٣/ ٦/ ١٣٩٢هـ. ويبدو أنها آلت إليها إهداء من الشيخ محمد بن عبداللطيف.

وفي أعلى الصفحة تملّك نصه: تملّكه العبد الفقير إلى الله محمد بن عبداللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ.

وعلى الغلاف فوائد متعدد عن ابن الجوزي.

كتبت النسخة سنة ١٢٧٦ كما جاء في آخرها بخط أحمد بن إبراهيم بن عيسى، في شهر ربيع الأول من السنة.

والنسخة معتنى بها، كما يظهر في الطرر قيود المقابلة والتصحيح والاستدراك وغيره. وكتب في آخرها في حرد النص: بلغ مقابلة بحمد الله تعالى على أصله.



طبعـات الكتــاب وتقويمها

للكتاب طبعات عديدة، وقد طبع مبكرًا قبل أكثر من مئة وخمسة عشر عامًا، وسنعرض هنا للكلام علىٰ أربع طبعات، بدءًا بأقدمها، ثم ما أضاف جديدا إلىٰ ما قبله، مع بيان أهم الملاحظات علىٰ تلك الطبعات علىٰ وجه الإيجاز:

(١) **طبعة النيل**: وهي أولىٰ طبعات هذا الكتاب، حيث طبعت عام ١٣٢٢هـ-١٩٠٥م، بمطبعة النيل بمصر، في أربعة أجزاء، وكان ذلك بمعرفة فرج الله زكي الكردي، والشيخ مصطفىٰ القباني الدمشقي.

وقد ذكرا بأنهما تحصّلا ـ بعد بذل غاية الجهد ـ علىٰ نسخة من أجزاء متفرقة للكتاب بعد أن كاد الكتاب يُفقد، ولا تكاد توجد نسخة كاملة له في قطر من الأقطار. وتحصَّلا علىٰ الأجزاء المذكورة من بعض الأعيان في بغداد ومصر، بعضها مقروء علىٰ المؤلف، وبعضها عليه قراءة للحافظ ابن حجر.

وهذه الطبعة موافقة في الجملة لنسخة دار الكتب المصرية (د)، لكنها مع ذلك انفردت عن جميع النسخ بزيادات في مواضع كثيرة، بزيادة كلمة أو كلمتين، وهو الأكثر، وربما كانت الزيادة نحو سطر، اعتمادًا علىٰ نسخة المكتبة التيمورية علىٰ ما مضىٰ استظهاره.

كما اعتمدت طبعة النيل علىٰ نسخة عبد الرحمن الكيلاني (١٨٤١ - ١٩٢٧) نقيب أشراف بغداد الذي ذكرته بلقبه ولم تسمّه في خاتمة الطبع، ويبدو أنها نسخة قديمة وعليها خط السفاريني.

وقـد تميـزت هـذه الطبعـة بقلـة السـقط فيهـا فـلا تكـاد تجـد ذلـك إلا في مواضع قليلة جدًّا، لكنها خلـت مـن الخـدمات التـي تعين علىٰ قـراءة الـنصّ والإفاده منه؛ فلم توثّق نصوص الكتـاب، ولـم يضـبط مـا يحتـاج ضـبط، ولـم تخرج الأحاديث ولا الآثار، ولا ما يتبع ذلك من نصـوص الإنجيـل، وكـذلك فإن الكتاب يخلو من تفقير النص وعلامات الترقيم وما إلىٰ ذلـك مـن وجـوه الخدمة.

وأما الفهـارس العلميـة فقـد خلـت منهـا هـذه الطبعـة، ولـيس فيـه سـوىٰ فهرسة تتعلق بفصول الكتـاب، حيـث يعنـونُ بــ (فصـل) ثـم يُنقـل بجانبـه أول الكلام الوارد تحت الفصل. وقد يصل الكلام المنقـول في الفهـرس إلىٰ اثنـي عشر سطرًا.

(٢) **طبعة المدني**، سنة ١٣٧٩هـ في مجلدين مجموع صفحاتهما ١٤١٢ صفحة، قدم له وأشرف علىٰ طبعة علي السيد صبح المدني.

قـدم للكتـاب مقدّمـةً مقتضـبة فيهـا تعريـفٌ بالكتـاب مـن حيـثُ اسـمُه، وسبب تأليفه، ومنهجه، ومضمون الكتاب، في نحو ثلاثِ صفحات.

ثم قسّم الكتاب إلىٰ أربعةِ أجزاء، بناءً علىٰ أربعةِ عناصرَ كـان قـد أثبتهـا في مبحث مضمون الكتاب.

ثم فصّل ما احتوىٰ عليه كلُّ جزءٍ مـن الأجـزاء الأربعـة، فـذكر في الجـزء الأول أنّ المؤلِّف ردّ علىٰ الدّعاوىٰ ودحَض الأباطيل. ونقلَ نقولا تبين ذلـك في نحو ست صفحات.

ثم ابتدأ الكلامَ عن الجزء الثاني، وذكر كذلك فيه ردّ المؤلّف علىٰ بعض الدَّعاوىٰ، مع نقله لبعض النقول في نحو أربع صفحات. وكذلك صنع في الجزء الثالث.

وفي الجزء الرابع: ابتدأ فيه بالنقْل عن المؤلف بذكر بعض نقول الأنبياء، ثم ذكر أن المؤلّف انتقل من التمهيد إلىٰ صلب الدعوىٰ، ثم ختم ذلك بالأدلة الدّالة علىٰ صدق الرسول ﷺ.

لم يذكر المعتنون بهذه الطبعة أنهم قد تحصَّلوا علىٰ نسخٍ خطية أو مطبوعةٍ اعتمدوا عليها في إخراج هذا الكتاب، ولم يذكروا اختلافَ النسخ في ثنايا الكتاب وصفحاته إلا نادرا جدا، فذكروا في (١/ ٣٥) اختلاف عبارة أحالوا فيه إلىٰ (المطبوعة الأولىٰ)، وبالرجوع إلىٰ طبعةِ النيل تبيَّن أنها هي المقصودة.

وأما الاختلاف الثاني ففي (٢/ ٢٩٤)، فقد ذكروا أن العبارة الأخرىٰ في (نسخة أخرىٰ)، ولم يذكروا ما هي النسخة التي اعتمدوا عليها، إذ الخلاف المذكور كانت عليه جميع الأصول التي بأيدينا.

والذي يظهر من صنيعهم أنهم اعتمدوا علىٰ طبعة النيل في مقابلة ما أخرجوه، والذي رجّح ذلك أمور:

منها: متابعةُ طبعةِ المدني لمطبوعة النيل فيما وقفنا عليه من الأخطاء والزيادات والتحريفات التي انفردت فيها عن الأصول.

ومنها: مطابقةُ طبعة المدني لمطبوعة النيل في تقسيم الكتاب إلىٰ أربعة أجزاء.

ومنها: انتهاء كل جزء من طبعة المدني عند ذات النص الذي انتهت إليه مطبوعة النيل.

ومنهـا: مجـاراةُ نصـوصِ صـفحات طبعـةِ المـدني وأرقـام صـفحاتها لمطبوعـة النيـل وأرقامهـا، ولـم يقـع إلا اختلاف قليـل في الفـرق بـين أرقـام الصفحات.

إلّا أن طبعة المدني قد زادت علىٰ طبعة النيل بوضعِ عناوينَ - ليست في الأصول - مع كـل فصـل مـن فصـول الكتـاب، وهـذه العنـاوين هـي التي وضعت فهارس موضوعية للكتاب في آخر كل جزء.

وقد حاول الذين اعتنوا بالكتاب تقسيمَ وتفقيرَ نصوص الكتـاب، وقـد فعلـوا ذلـك في كثير مـن صـفحاته، وتركـوا كثيـرًا. وكـذلك يقـال في علامـات الترقيم.

(٣) **طبعة دار العاصمة**: وهـي ثـلاث رسـائل علميـة لنيـل درجـة الـدكتوراه بجامعـة الإمـام محمـد بـن سـعود الإسـلامية بالريـاض. أعـدَّها: علـي بـن حسـن عسيري، وعبدالعزيز العسكر، وحمدان الحمـدان، عـام ١٤٠٦ و ١٤٠٧هـ، ثـم طبعت في دار العاصمة ١٤١٩ -١٩٩٩ في ٧ مجلدات مع الفهارس.

وقد اعتمدوا في المقابلة علىٰ أربع نسخ خطية، واحدة منهـا تمثـل الكتـاب كـاملًا، وهـي نسـخة دار الكتـب المصـرية التـي رمزنـا لهـا بحـرف (د)، والنسـخ الثلاثة الباقية هي: نسخة «طوب قـابي سـراي» المشـارة إليهـا عندنا بحـرف (و) ونسـخة «يني جـامع» بإسـطنبول، ورمزهـا عنـدنا حـرف (ي). ونسـخة «مكتبـة جامعة ليدن» ورمزنا لها بحرف (ل). بالإضافة إلىٰ اعتمادهم كذلك علىٰ نسـخة مطبوعـة، وهـي طبعـة المـدني التـي طبعـت عـام ١٩٦١م، وقـد أشـاروا إلـىٰ أنهـا

مطابقة لطبعة النيل التي تقدّمتها بنحو خمس وخمسين سنة عام١٩٠٥م، ولا ندري لماذا تركوا الرجوع إلىٰ طبعة النيل مع أنها الأصل.

وقد ذكر محققوها أن هذه الطبعة قد لاقت من التحقيق والضبط وخدمة النص درجة كبيرة يظهر من خلالها الفرق الشاسع بين الكتاب في طبعته القديمة وهذه الطبعة.

ولا شك أن الباحثين قد بذلوا جهدًا مشكورًا في إخراج هذا الكتاب، خاصة فيما يتعلق بتوثيق النقل عن العهد القديم والجديد، وترجمة أعلام النصارىٰ، وكذلك فيما يتعلق بتقسيم النصّ إلىٰ فقرات، وجعل عناوين عند كل فصل توضح مضمونه في الجملة، وتضمين المقدمة عرضًا لمحتوىٰ الكتاب.

إلا أنه قد كثر الخلل في هذه الطبعة من جهات متعددة، سواء فيما يتعلق بقراءة النصّ، أو فيما يتعلق بالتعليقات.

أما فيما يتعلق بقراءة النص:

فقد وقع السقط والتحريف والتغيير والإضافة في مواضع كثيرة جدًّا، فمن أمثلة السقط:

- في (١/ ١٢٥) سقط قوله: «قبل أن يُعْلَم ما يذكره، وقد يُعْلَم ما يذكره قبل أن يُعْلَم صدقُه أو كذبه».
- في (١/ ١٦٢) سقط قوله: «وإن قالوا: نحن مقصودنا بيان تناقضه، وأن كلامه ينقض بعضه بعضًا. قيل: فهذا أيضًا يستلزم أنه ليس رسولًا صادقًا، فلا يصحُّ لكم الاحتجاج بشيءٍ من قوله علىٰ هذا التقدير، وإن كنا نحن نبيِّن أنه ولله الحمد قوله يصدِّق بعضه بعضًا، وكذلك يصدِّق قول الأنبياء قبله،

وأن قول الأنبياء كلهم يوافق صريح العقل، فلا يتناقض شيءٌ من الحقِّ المعلوم بسمعٍ أو عقل».

- في (٢/ ٣٧٧) سقط قوله: «في موضعين» بعد سياق آية المائدة.
- في (٣/ ١٧٥) سقطت عبارة: «كان عن هوىٰ» في قوله: «لأن أصل ابتداعهم هذه البدعة كان عن هوىٰ من أنفسهم مع ظن كاذب».

ومن أمثلة التحريف:

- في (٣/ ١٨٤): ما يناقض صريح النقل. وهي في جميع النسخ: **العقل**.
- في (٣/ ١٩٤): والمراد بالابن عنده المسيح الذي رباه. في جميع النسخ: عبده.

وقد يجعلون الكلام ساقطًا وهو مثبت إما في الأصل أو في الهامش. وقد يكون نفي السقط المزعوم أسطرًا. وكثيرًا ما يقع هذا معهم في نسخة دار الكتب المصرية.

مثل ما ورد في (٣/ ٣١٠) قوله: «فهذا أشد استحالة، وليس فيهم من يقول بهذا». فقد زعم المحقق سقوطها من نسخة دار الكتب. وهي ليست كذلك.

وكذلك قوله في: (٣/ ١٧٧) (وكان اليهود قد أسرفوا في ذم المسيح عليه السلام). قال في الحاشية: كلمتا (ذم) و (عليه السلام) ساقطتان. والصواب أنها مثبتة.

وقد وقع كذلك منهم عكس ما فعلوه في الفقرة الماضية فيثبتون ويضيفون كلمات ليس لها وجود في جميع النسخ. كإثباتهم (هل) في

(٣/ ٣٠٣): (هل هو صفة قائمة بغيرها). حيث زعم أن: (هل) ساقطة من (ط) فقط. وأنها مثبتة في جميع النسخ المخطوطة!

وكإثباتهم (قال) الثانية، كما في (٣/ ٢٦٠): «كما قال: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ...﴾. وهي ليست في جميع النسخ.

وربما وقع خلط كبير وحذف وتقديم وتأخير في مواضع من بعض النسخ ولم يشيروا إليه. مثل قوله في: (٣/ ٢٧٤): «فكيف ولم يستعمل في حياة الله في حق المسيح... إلىٰ قوله: قد اتحد به أقنومان». وهو بمقدار خمسة أسطر.

وأما ما يتعلق بالتعليقات والتخريج:

❁ فقد أخذ عليهم إثقال الحواشي بكثير من الفروق التي لا تؤثر.

❁ وكذلك إطالة الحواشي بالتخريج بما لا طائل تحته، كأن يكون الحديث في الصحيحين أو أحدهما: انظر: (٢/ ٣٨٢)، (٢/ ٤٢٨-٤٢٩)، (٢/ ٤٣٥)، (٢/ ٤٤٦-٤٤٧)، (٣/ ١٠٤-١٠٥)، (٣/ ١٦٠)، (٣/ ١٦١-١٦٢)، (٣/ ٢٦٧).

❁ أو بالتعليقات الطويلة التي لا تناسب المقام: انظر: (٢/ ٣٩٥). (٢/ ٣٩٩)، (٢/ ٤١١)، (٢/ ٤١٣-٤١٤) (٢/ ٤٢١)، (٢/ ٤٣٦)، (٢/ ٤٤١)، (٢/ ٤٥٠)، (٣/ ٢٩).

❁ أو بالإسهاب في تعريف بعض الفرق، أو المواضع المعروفة كمصر أو العراق، أو الأعلام المشهورين كالبخاري وأحمد بن حنبل وابن معين... الخ: انظر: (٢/ ٤٠٣-٤٠٥)، (٢/ ٤٤٣-٤٤٥)، (٣/ ١٦)،

(٣/ ٢٣)، (٣/ ٩١)، (٣/ ١٤٣)، (٣/ ١٦٨)، (٣/ ١٧٧)، (٣/ ١٨٧)

۞ والتكرار قد وقع كثيرًا في الحواشي سواء في تراجم الأعلام، أو تخريج الأحاديث، أو الفرق، أو غيرها، وبعضها قد يتكرر في ثلاثة مواضع:

انظر: (٣/ ١٤٥)، (٣/ ١٦١)، (٣/ ١٦٨)، (٣/ ١٦٩)، (٣/ ١٧١)، (٣/ ١٧٥-١٧٦)، (٥/ ١١٠)، (٤/ ٣٠٣)، (٣/ ٢٢٣)، (٤/ ٣٠٧).

۞ وقد تزاد بعض الكلمات أو العبارات في الأصل معلّلين ذلك بأن العبارة لا تستقيم بدونها. والأمر ليس علىٰ ما قاله المحقق.

كقولهم في (٣/ ٣٦٥): «بل لم تخصه إلا بما خصه الله به علىٰ لسان محمد في قول الله تعالىٰ...» وهي بدل قوله «بل لم تخصه إلا بما خصه به محمد ﷺ في قوله...» هكذا زاد المحقق في عبارته معلّلًا بأن عبارة الأصل تحيل المعنىٰ وتجعل الآية منسوبة للنبي ﷺ!

۞ ومما يؤخذ عليهم تركهم الإحالة إلىٰ كثير من المواضع التي ذكر المصنف أنه بحثها أو تكلم عليها في مواضع أخرىٰ.

➢ جرىٰ المحققون في إثبات الآيات القرآنية علىٰ رواية حفص من طريق عاصم ابن أبي النجود الكوفي، بينما كانت القراءة المثبتة في النسخ الخطية علىٰ قراءة أبي عمرو البصري، وهي القراءة التي كان يقرأ بها المصنف وأهل الشام في عصره.

(٤) **طبعة مكتبة البيان**، عناية د. سفر بن عبدالرحمن الحوالي، في مجلدين ضخمين، طُبعت عام ١٤٣٢هـ، ذكر في المقدمة أنه اعتمد علىٰ طبعة دار العاصمة في إثبات النص دون الرجوع لأيّ من النسخ الخطية.

- قدّم لها بمقدّمة في نحو سبعين صفحة، ابتدأها بعرضٍ موجزٍ للبداية التاريخية لعداوة النصارىٰ وجهود المنصِّرين، ذاكرًا تحتَ هذا العنوان أربعة مباحث:
- تحريف العقيدةِ النصرانية.
- نشر الديانة النصرانيّة في أوربا.
- تحريف الدين النصرانيّ ونشرُه في العالم الإسلامي.
- جهود التنصير قديمًا في الدخول إلىٰ الجزيرة العربية.
- ثم عرّف بالمؤلف والكتاب، مبيّنًا في تعريفه للمؤلف تمكُّنه من انتقاد الفكر اليوناني وتفوّقه فيه، وبراعةَ أساليبِه في كشف انحرافاتِهم وضلالاتهم.
- ثم ذكر سببَ تأليف الكتاب، وعرَضَ خصائصَه وما تميَّز به في تسعة نقاط.
- ثم نقل المحقِّقُ نقولا من الكتاب تحت خمسةَ عشرَ عُنوانًا في نحو ثلاثَ عشْرةَ صفحة، مبيّنًا سبب هذه النقول في كونه قد رأىٰ كثيرًا من العلماء وطلبة العلم قد عزَفوا عن قراءة هذا الكتاب؛ لظنّهم أنّه يتعلّق بالأقانيم والصَّلْب وفرقِ النصارىٰ ونحوِها من الأمور التي قد لا يحتاجها إلّا المتجرِّدُ في الردّ عليهم= فأورد المحقّق هذه النقول ليبيّن غزارةَ ما في هذا الكتاب من العلم وتنوّع موضوعاتِه.
- ثم ذكر أنه بذل الجهد في جمع الفقراتِ التي تتحدّث عن موضوعٍ واحد في مكان واحد، ذاكرًا أرقامها كلًّا بحسب موضوعه، آخذةً بذلك نحوَ نصف المقدّمة.

- وأخيرًا بيَّن المحقق عمله في الكتاب، وأنه قسّمه حسب المواضيع العامّة إلىٰ مجلدين، وقام بترقيم فقرات الكتاب حسب الموضوع وجعلها في عناوين جانبية، وقام بتخريج الآيات والأحاديث والآثار، وعرّف بالأعلام والفرق.

*** بعض المآخذ علىٰ الطبعة:**

- لم يعتمد المحقّق علىٰ نسخٍ خطيةٍ للكتاب، فقد ذكر أنه اعتمد علىٰ طبعة «دار العاصمة» التي تقدّم الكلام عنها، وقام بمقابلة أجزاء من الكتاب علىٰ بعض المصوّرات. فجاء الكتاب بطبيعة الحال تابعًا لجملة ما وقعت فيه طبعة دار العاصمة من سقط أو تحريفٍ أو زيادة.
- عدمُ بيانِ درجةِ صحةِ وضعفِ كثيرٍ من الأحاديث، مع تَكْرَارِ تخريج كثيرٍ منها.
- عدم ضبط الأبيات الشعرية، وإغفال عزوها إلىٰ قائلها.
- عامة المواضع التي ذكر المؤلف أنه قد بسطها أو بحثها في موضع آخر لم تجر الإحالة إلىٰ مواضع بسْطِه فيها، سواء في نفس الكتب أو في كتبه الأخرىٰ.



منهج التحقيق

- اعتمدنا طريقة النص المنتخب من النسخ الخطية؛ وذلك لتقاربها في الجودة، ونسخة «دار الكتب» وإن تميزت بكون أصلها مكتوبًا في حياة المصنف ومقروءًا عليه، غير أن الباقي من تلك النسخة النفيسة أقل مما فُقد منها، فضلًا عما اعتراها من آفات وعلل.

وأما المجلد الرابع فقد اعتمدنا علىٰ النسخة (ظ) وهي نسخة المكتبة الظاهرية، التي نسخها ابن المحب من أصل عمه أبي إسحاق، وقد نقلها عمه من نسخة المصنف، فهي نسخة في غاية الصحة والإتقان.

- أشرنا إلىٰ مواضع السقط والفروق بين النسخ غالبًا، واكتفينا بما له أثر وفائدة، أو نماذج من التصحيف أو التحريف الواقع في النسخ، وكذا الطبعات السابقة خاصة (النيل، والعاصمة) أشرنا إلىٰ ما وقع فيها من أخطاء أو سقط أو زيادات مقحمة ليست في النسخ الخطية.

وحيثما أطلق (المطبوع) فإنه ينصرف إلىٰ طبعة العاصمة، و(المطبوعتان) إشارة إلىٰ النيل والعاصمة.

- وثقنا نصوص أهل الكتاب من «الكتاب المقدس» عندهم، بذكر عنوان السِّفر ورقم الإصحاح والعدد، مع المقارنة بين النسخ، والإشارة إلىٰ اختلاف الترجمات حال تعارضها، لاسيما إذا كانت الترجمات الحديثة لا تتوافق مع النص الذي نقله المصنف.
- ترجمنا لأعلام النصارىٰ من مراجعهم المعتمدة، ورجعنا إلىٰ المصادر الأجنبية (الإيطالية والإنجليزية) وترجمنا ما يُحتاج إليه منها.
- عرَّفنا بالأعلام والأماكن والمصطلحات ـ باختصار ـ عند الإبهام أو الاشتباه أو الغرابة.

- ضبطنا ما يحتاج إلىٰ ضبط من نصوص الكتاب وأسماء الأعلام والأماكن والمصطلحات.
- أشرنا إلىٰ ما في الأصول الخطية من زيادات، ولحق، وحواش، وتتمات.
- تتبعنا مصادر المؤلف المختلفة، سواء التي نص عليها أو التي لم ينص، مع عزو الأقوال المنقولة منها وتوثيقها، ومعارضة ما نقله المصنف بالأصول التي صدر عنها وتقييد الفروق المهمة إن وجدت.
- وإحالة المسائل إلىٰ المواضع الأخرىٰ في كتب المؤلف التي توسّع فيها أو أضاف إليها إضافة مهمة.
- جرينا في تخريج الأحاديث علىٰ الإيجاز والتوسط، والاكتفاء بعزوها إلىٰ الصحيحين إن كانت فيهما، مع بيان الحكم عليها صحة وضعفًا ـ إن كانت في غيرهما ـ بنقل أحكام الأئمة المحققين، بعد تخريجها دون استقصاء.
- راعينا تقسيم المؤلف لكتابه وترتيبه له، ولم نضف عناوين جديدة للفصول ولا للفقرات.
- اعتنينا بتوزيع النص ووضع علامات الترقيم من النقط والفواصل وغيرها.
- وبالنسبة للأصلين (ب)، (ل) فالتشابه بينهما كبير جدًّا، حتىٰ إنه ليخيل للقارئ أنهما ينقلان من أصل واحد، ومن شدة التشابه بينهما: اشتراكهما في مواطن كثيرة في مواضع اللحق، وكذا اشتراكهما في مواضع البياض وقدره، كما في (ب: ٨٠، ل: ٢٣٨). فحصلت المقابلة علىٰ النسخة (ب) كاملة، ومواضع منتقاة من (ل).

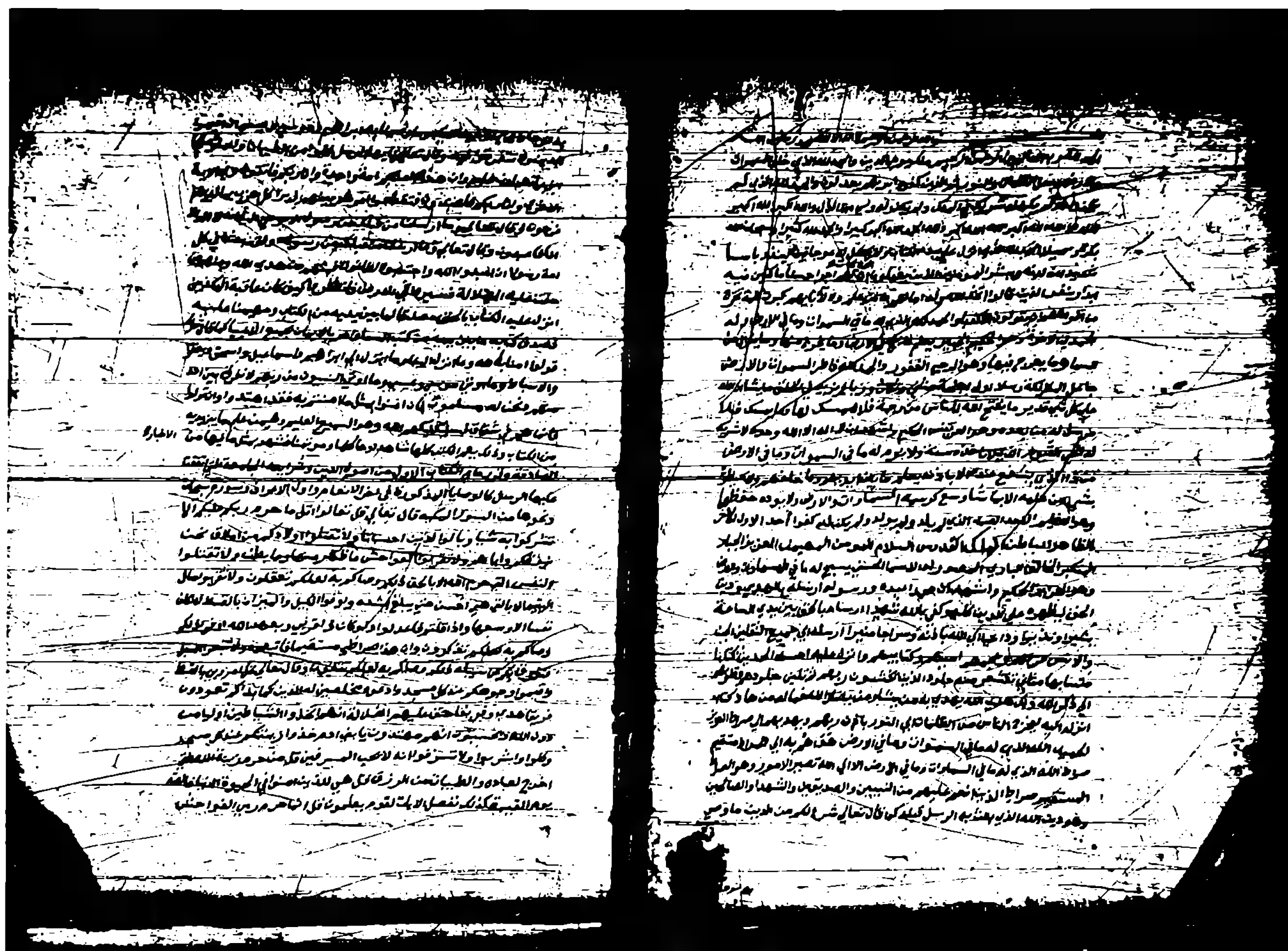
وأما التشابه ـ إلىٰ حد التطابق ـ بين نسخة دار الكتب المصرية المرموز لها (د) وبين طبعة النيل التي طبعت سنة ١٣٢٢هـ - ١٩٠٥م، فلا يخفىٰ علىٰ الناظر فيهما.

وتمتاز النسخة (د) بأنها جمعت كل ما زادته النسخ علىٰ بعضها البعض، إلا أنه أحيانا لا يفرق في هذه الزيادات بين ما ثبت منها، وما ضرب عليه في الأصل المنقول منه.

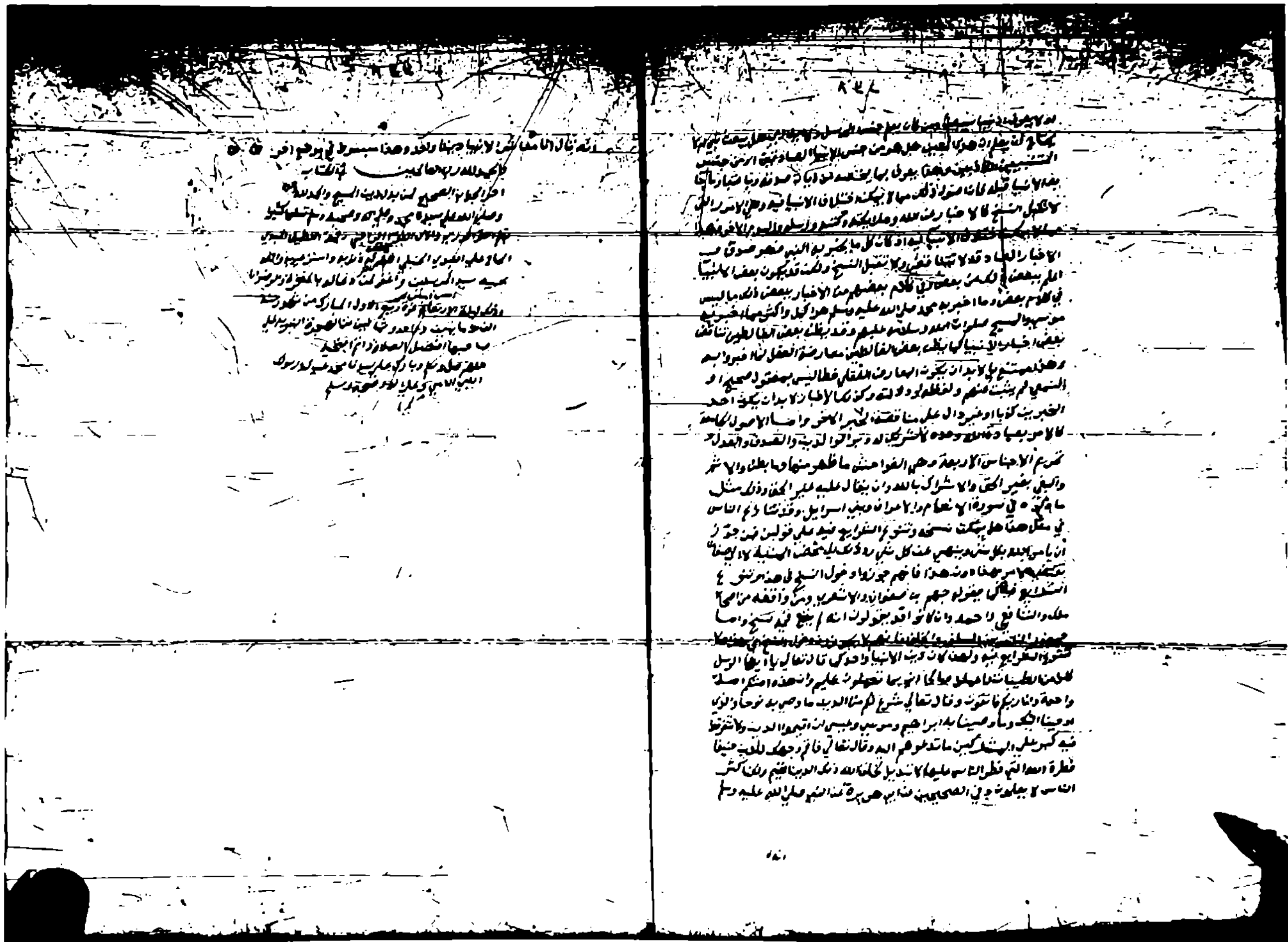
والله الموفق.



نمـاذج من النسخ الخطية



الورقة الأولى من نسخة دار الكتب (د)



الورقة الأخيرة من نسخة دار الكتب (د)

الرحيم

لا إله إلا الله محمد رسول الله الحمد لله رب العالمين

الرحمن الرحيم مالك يوم الدين الحمد لله الذي خلق

السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم

الذين كفروا بربهم يعدلون الحمد لله الذي لم

يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له

ولي من الذل وكبره تكبيرا والله أكبر الله أكبر

لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله

بكرة وأصيلا الحمد لله الذي أنزل على عبده

الكتاب ولم

الصفحة الأولى من النسخة التيمورية (ت)

الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم ومعجزاته تزيد على
الف معجزة مثل انشقاق القمر وغيره من الايات
وكان الفراغ منه بكرة السبت
الثاني والعشرين من شعبان
سنة ست وثلاثين وسبعمائة
كتبه لنفسه العبد المعترف بتقصيره في يومه وامسه
محمد بن ابي بكر بن احمد بن مروان الفارحي عفى الله عنه
الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي واله وصحبه
وسلم تسليما

الصفحة الأخيرة من النسخة التيمورية (ت)

الورقة الأولى من النسخة الظاهرية (ظ)

الورقة الأخيرة من النسخة الظاهرية (ظ)

الورقة الأولى من نسخة المتحف البريطاني (ح)

مزيد على عشرات الألوف من الآيات وهذان غير ما في كتب أهل الكتاب من الأخبار به وهذا الأخبار
المتلقاة خبرًا في شريعته التي بعث بها وغير ذلك والله أعلم
ومن آيات الأنبياء إهلاك الله مكذبيهم ونصر المؤمنين بهم فهذا من أعلام نبوتهم ودلائل
صدقهم كإغراق الله قوم نوح لما كذبوه

الجزء الثاني من كتاب الرد على النصارى المسمى بالجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح
عليه الصلاة والسلام تأليف شيخ الإسلام بركة الأنام الإمام
العلامة أوحد عصره وفريد دهره ... النبوية والملة الحنيفية بالآيات
الزاهرة والبراهين القاطعة ... ما خفي من آثار المرسلين ومانع الكفر
... المبتدعين والمارقين ... أبي العباس أحمد بن عبد الحليم

carte n.° 58

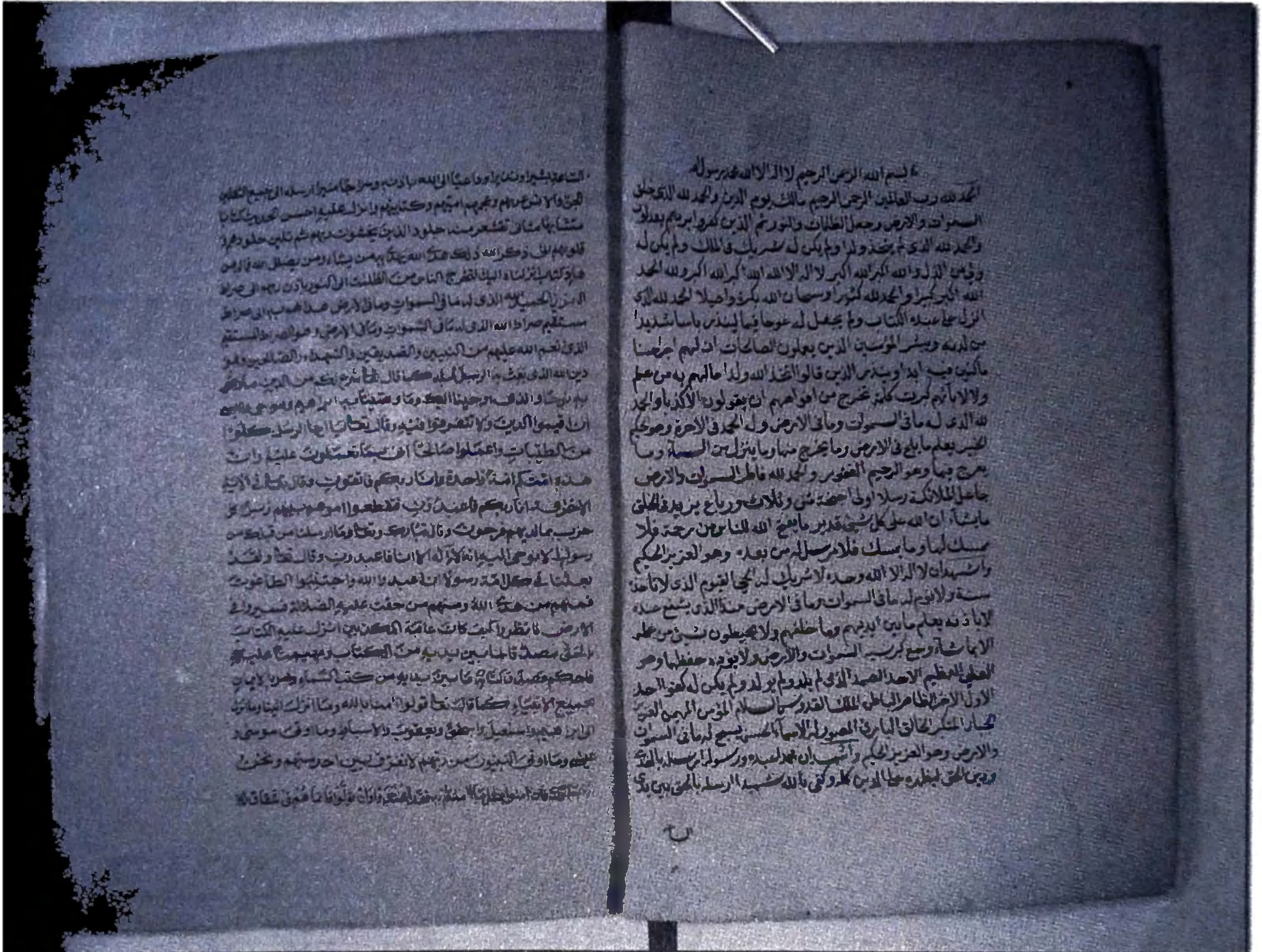
Finis ...

الورقة الأخيرة من نسخة المتحف البريطاني (ح)

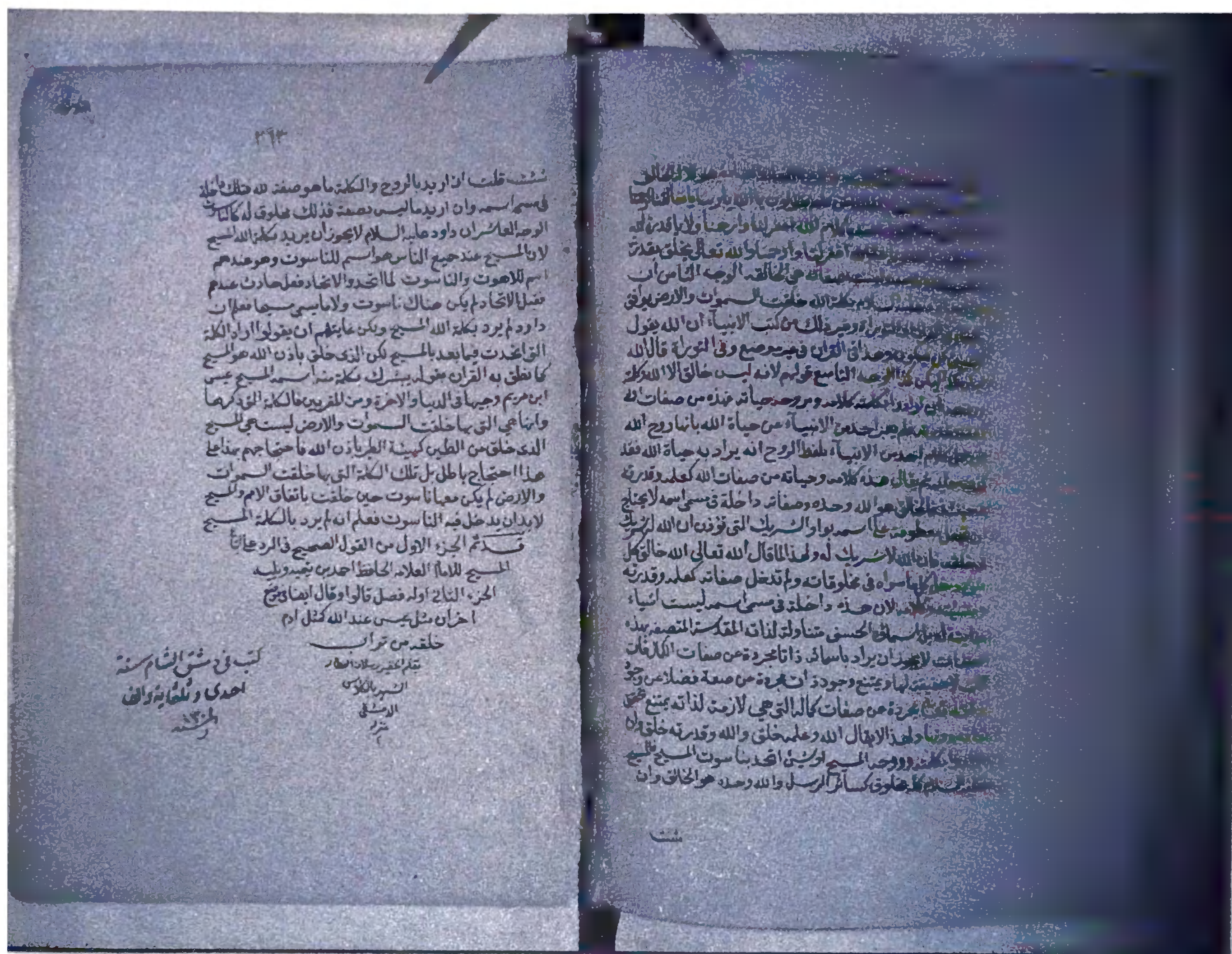
الورقة الأولى من نسخة يني جامع (ي)



الورقة الأخيرة من نسخة يني يجامع (ي)



الورقة الأولى من النسخة النعمانية (ع)



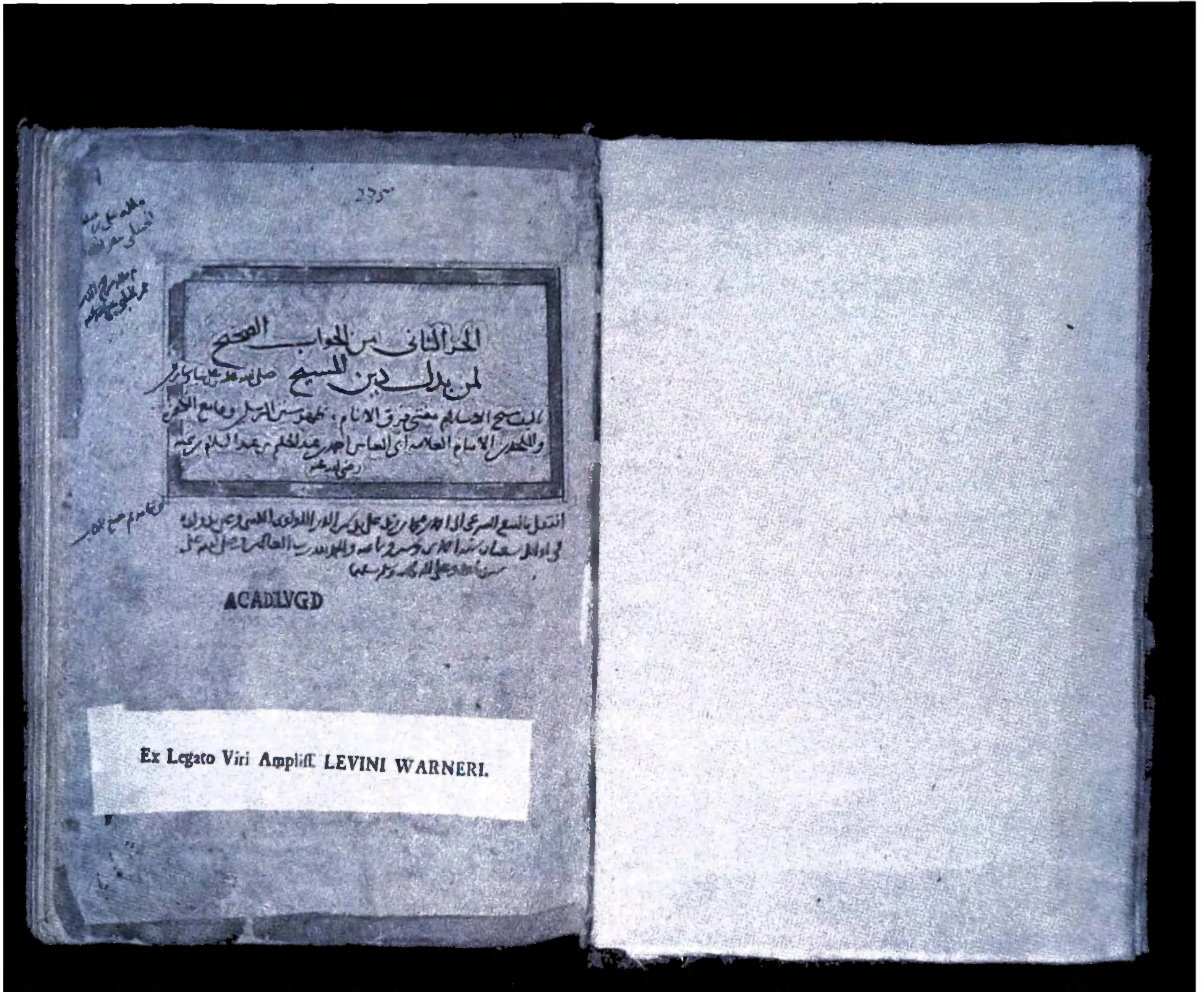
الورقة الأخيرة من النسخة النعمانية (ع)



الورقة الأولى من نسخة طوبقبوسراي (و)

٩١ ب

الورقة الأخيرة من نسخة طوبقبوسراي (و)



صفحة العنوان من نسخة ليدن (ل)

الورقة الأولى من نسخة ليدن (ل)



الورقة الأخيرة من نسخة ليدن (ل)

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذي شرع لنا الدين والصلاة والسلام على
افضل من اعتصم بحبل المتين سيدنا ومولانا محمد عبده ونبيه ورسوله الامين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الرحماء
فيما بينهم الاشداء على الكافرين صلاة دائمة متعاقبة في كل وقت وحين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين
اما بعد فيقول العبد المتمسك بذيل الالطاف الخفية ابو العباس احمد بن تيمية الحنبلي عامله المولى بغفران
ذنبه الخفي والجلي هذا كتاب سميته تخجيل اهل الانجيل والنهج الصحيح في الرد على من بدل دين
عيسى بن مريم المسيح اذكر فيه اعلام النبوات بنص الحديث والكتاب الفصيح فاقول والله
الهادي وعليه توكلي واعتمادي واليه ملجائي واستنادي اعلم وفقك الله وايانا ان
النصارى لهم قول مشهور بينهم وهو ان منهم من يقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم تبشر به النبوات على
المسيح فانه بشرت به النبوات وزعموا ان من لم تبشر به النبوات فليس بنبي وهذا القول يورد على وجهين
احدهما انه لا يكون نبيا حتى يبشر به والثاني ان من بشر به اكمل او افضل ممن لم يبشر به او ان هذا
طريق يعرف به نبوة المسيح اختص به وانتم قد قلتم ما من طريق تثبت به نبوة نبي الا ومحمد ثبتت نبوته
بمثل تلك الطريق وافضل فاما هذا الثاني فيستحق الجواب واما الاول فنحن نجيبهم عنه ايضا لكن هل يجب
الاجابة عنه فيه قولان بناء على اصل وهو انه هل من شرط النسخ الاشعار بالناسخ وللنظار للمسلمين فيه
قولان احدهما انه لا بد اذا شرع حكما يريد ان ينسخه فلا بد ان يشعر المخاطبين بانه سينسخه لئلا
يظنوا دوامه فيكون ذلك تجهيلا لهم والثاني لا يشترط ذلك وايضا من بعث بعد موسى
بشريعة هل يجب ان يكون مبشرا به فيه قولان و بكل حال فلا ريب
عند علماء المسلمين ان المسيح عليه السلام بشر بمحمد صلى الله عليه وسلم
كما قال تعالى واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني
رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا برسول
ياتي من بعدي اسمه احمد وقال تعالى الذين يتبعون الرسول
النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يامرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث

وقال

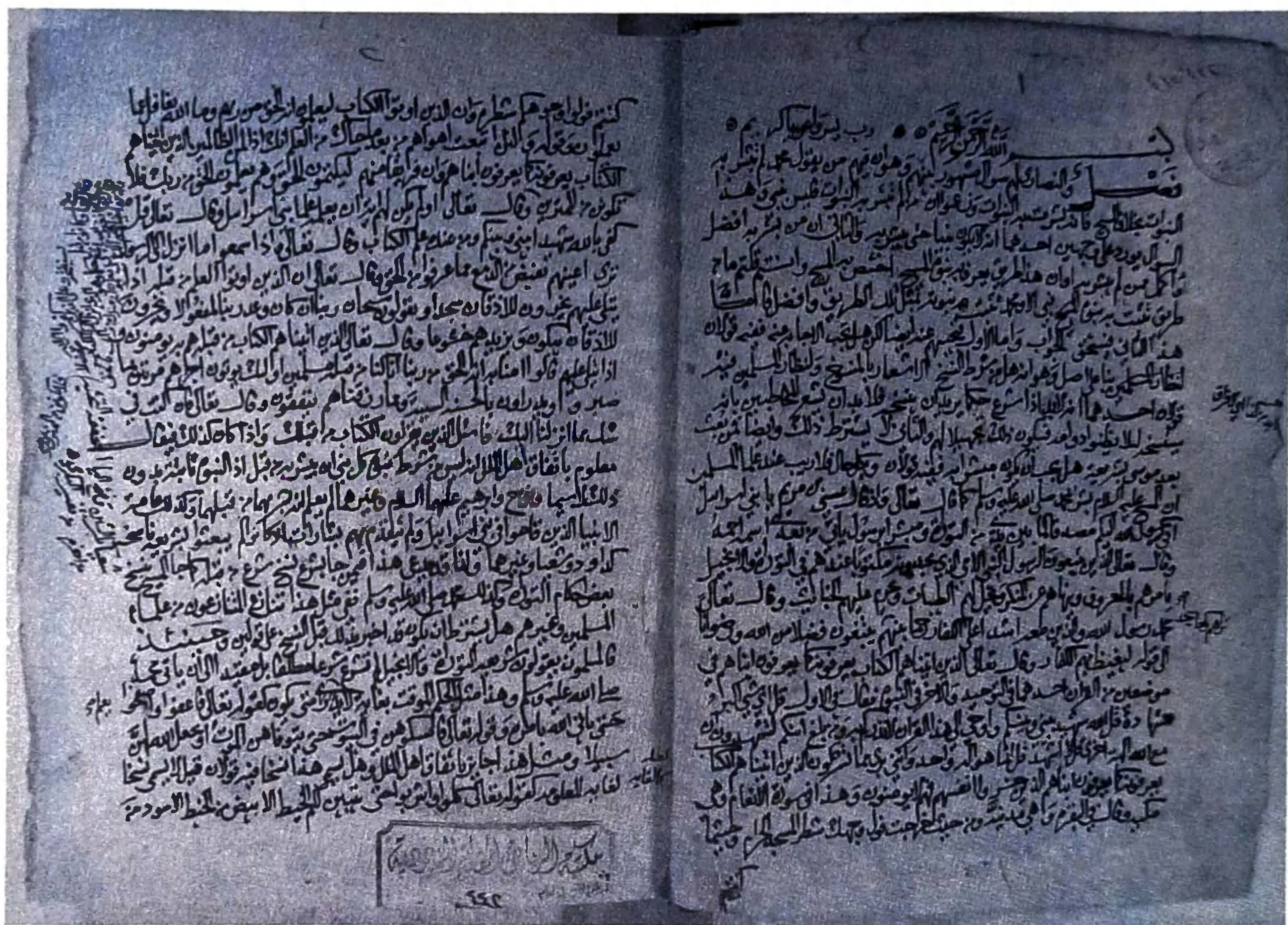
(في الهامش: المخاطبين)

الورقة الأولى من نسخة بودليان (ب)

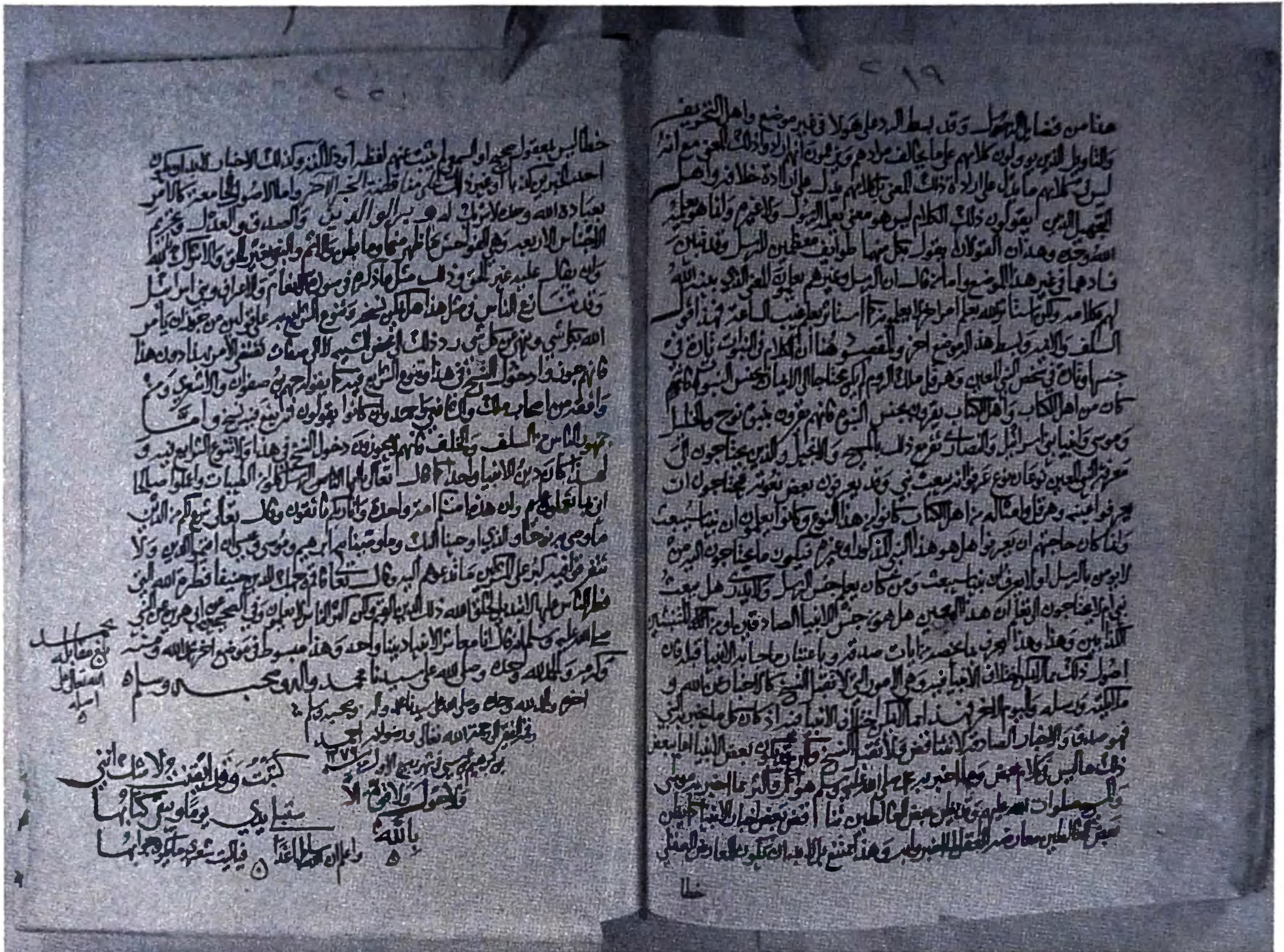
بالصفات يقتضي الأمر بهذا دون هذا فانهم جوزوا
دخول النسخ في هذا وتنوع الشرايع فيه كما يقوله جهم ابن صفوان
والأشعري ومن وافقه من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وإن
كان قد يقولون انه لم يقع فيه نسخ وأما سائر جمهور الناس
من السلف والخلف فانهم لا يجوزون النسخ في هذا ولا تنوع الشرايع
فيه ولهذا كان دين الأنبياء واحدا كما قال تعالى يا أيها الرسل كلوا
من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم
أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون وقال تعالى شرع لكم ما وصى به
نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبرهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه
كبر على المشركين ما تدعوهم إليه وقال تعالى فأقم وجهك للدين
حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها ذلك الدين القيم ولكن أكثر
الناس لا يعلمون وفي الصحيح عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد وهذا مبسوط
في موضع آخر

تمت الفتوى لمصنف الشيخ
الإمام العالم العلامة أوحد العصر
وفريد الدهر شيخ الإسلام ...
...
أعاد الله تعالى
من بركاته

الورقة الأخيرة من نسخة بودليان (ب)



الورقة الأولى من نسخة الإفتاء (ف)



الورقة الأخيرة من نسخة الإفتاء (ف)



الجواب الصحيح

لمن بدل دين المسيح

تأليف

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

(٦٦١ - ٧٢٨هـ)

تحقيق

د. عبد الرحمن بن حسن قائد

إشراف

د. علي بن محمد العمران

المجلد الأول





مركز التأصيل للدراسات والبحوث
Taseel Center for Studies & Research

الأصول المعتمدة في تحقيق هذا الجزء

(ت) نسخة المكتبة التيمورية (كتبت سنة ٧٣٦)

(د) نسخة دار الكتب المصرية (نسخة عتيقة عليها خط المصنف، ثم جرىٰ ترميمها وإكمال خرومها سنة ١٢٨١)

(و) نسخة متحف طوبقبوسراي (كتبت سنة ٧٣٠)

(ي) نسخة مكتبة يني جامع (كتبت سنة ١٠٩٤)

(ع) نسخة المكتبة النعمانية (عليها تعليقات بخط نعمان الآلوسي، كتبت في دمشق سنة ١٣٠١)

ط. النيل (الطبعة الأولىٰ للكتاب بمطبعة النيل بالقاهرة سنة ١٣٢٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إله إلا الله محمد رسول الله

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢ - ٤].

و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].

و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١].

والله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ١-٥].

و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ [سبأ: ١ - ٢].

و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ١ - ٢].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الحي القيوم، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الأحد، الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣]، ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدىٰ ودين الحق؛ ليظهره علىٰ الدِّين كله، وكفىٰ بالله شهيدًا.

أرسله بالحق بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلىٰ الله بإذنه وسراجًا منيرًا.

أرسله إلىٰ جميع الثقلين، الجن والإنس، عربهم وعجمهم، أمِّيِّهم وكتابيِّهم، وأنزل عليه ﴿أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

كتابٌ أنزله إليه(١) ليُخرِج النَّاس من الظُّلمات إلىٰ النُّور بإذن ربهم ويهديهم ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١ - ٢].

---

(١) ساقطة من ط. العاصمة. وأصلحت في (ع) لتوافق لفظ الآية: «أنزلناه إليك لتخرج الناس».

هداهم به ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾(١) [الشورى: ٥٢-٥٣]، وهو الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم(٢) من النبيِّن والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين.

وهو دينُ الله الذي بعث به الرسل قبله، كما قال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: ١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ۝٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ -وفي الآية الأخرىٰ: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢] - ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥١ - ٥٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

أنزل عليه الكتاب بالحقِّ مصدِّقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه.

فصدَّق كتابُه ما بين يديه من كتب السَّماء، وأمر بالإيمان بجميع الأنبياء،

(١) أكملت الآية في (د)، ولعله من الناسخ.
(٢) (ي، و، ع): «وهو الصراط المستقيم الذي أنعم الله عليهم».

كما قال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٦ - ١٣٧].

وهيمَن علىٰ ما بين يديه من الكتاب، وذلك يعمُّ الكتب كلَّها، شاهدًا وحاكمًا ومؤتمنًا.

فشهد(١) بمثل ما فيها من الأخبار الصَّادقة، وقرَّر ما في الكتاب الأوَّل(٢) من أصول الدِّين وشرائعه الجامعة التي اتفقت عليها الرسل، كالوصايا المذكورة في آخر الأنعام، وأول الأعراف، وسورة سبحان، ونحوها من السُّور المكية.

قال تعالىٰ(٣): ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣].

---

(١) (و، ي، ع): «يشهد». والمثبت من (د) أجود.

(٢) ط. النيل: «ما في الكتب المتقدمة».

(٣) زادت ط. العاصمة الآية (١٥٠) ﴿قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ إلىٰ آخرها، وليست في الأصول ولا في ط. النيل.

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ
وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ
ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ
﴿٣٠﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ
ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا
حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ
بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(1) [الأعراف: ٢٩ - ٣٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ
عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا
كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى
صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ
غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ
ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ
ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ
وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ
إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ
قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾
وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا
فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ
حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟

(١) الآية الأخيرة ساقطة من ط. العاصمة.

بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٣٩].

فدين الأنبياء والمرسلين دينٌ واحد، وإن كان لكلٍّ من التوراة والإنجيل والقرآن شرعةٌ ومنهاج.

ولهذا قال ﷺ في الحديث المتَّفق على صحَّته عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد، وإن أولى الناس بابن مريم لأنا، إنه ليس بيني وبينه نبيٌّ**»(١).

فدينُ المرسلين يخالفُ دينَ المشركين المبتدعين الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شِيَعًا.

قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم: ٣٠ - ٣٢].

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ في الصَّحيحين والجمع بينهما للحميدي (٣/ ٧٣). وكذلك يورده الشيخ في كتبه. انظر: «الرد على المنطقيين» (٢٩٠)، و«التدمرية» (١٦٧)، و«مجموع الفتاوى» (٣/ ٩٠، ١٥/ ١٥٩)، وغيرها. وزاد في «الصفدية» (٢/ ٣٠٥): «ولهذا ترجم البخاري على ذلك: باب ما جاء في أن دين الأنبياء واحد»، ولم أجد التبويب كذلك، ولعلها رواية وقف عليها. والحديث في البخاري (٣٤٤٢) ومسلم (٢٣٦٥) بنحوه. وفي (د، ع): «وأنا أولى الناس بابن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي».

وقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رُبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ -وقال في الآية الأخرىٰ: ﴿فَٱعْبُدُونِ﴾[1] [الأنبياء: ٩٢]- ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٠ - ٥٣].

وقال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

وقد خصَّ الله تعالىٰ محمدًا ﷺ بخصائص ميَّزه بها علىٰ جميع الأنبياء والمرسلين، وجعل له شِرْعةً ومنهاجًا أفضلَ شِرْعةٍ وأكملَ منهاجٍ مبين[2].

كما جعل أمَّته خير أمَّةٍ أُخرِجت للناس، فهم يُوفُون سبعين أمَّةً هم خيرُها وأكرمها علىٰ الله[3] من جميع الأجناس.

هداهم الله بكتابه ورسوله لما اختُلِف[4] فيه من الحقِّ قبلهم، وجعلهم وسطًا عدلًا خيارًا، فهم وسطٌ في توحيد الله وأسمائه وصفاته، وفي الإيمان برسله وكتبه وشرائع دينه من الأمر والنهي والحلال والحرام.

فأمرهم بالمعروف، ونهاهم عن المنكر، وأحلَّ لهم الطيبات، وحرَّم عليهم الخبائث.

---

(١) قوله: «وقال في الآية الأخرىٰ فاعبدون» ليست في (ي، و).
(٢) ليست في (ي، و، ع).
(٣) سيأتي تخريجه (١/ ٤١٨).
(٤) (و، د، ي، ع): «اختلفوا». وصححت في طرة (ت).

لم يحرِّم عليهم شيئًا من الطيبات كما حرَّم علىٰ اليهود، ولم يحِلَّ لهم شيئًا من الخبائث كما استحلَّتها النصارىٰ.

ولم يضيِّق عليهم باب الطهارة والنجاسة كما ضيَّق علىٰ اليهود، ولم يرفع عنهم طهارة الحدث والخبَث كما رفعته النصارىٰ، فلا يوجبون الطهارة من الجنابة، ولا الوضوء للصلاة، ولا اجتنابَ النجاسة في الصلاة، بل يَعُدُّ كثيرٌ من عبَّادهم مباشرةَ النجاسات من أنواع القُرَب والطاعات، حتىٰ يقال في فضائل الراهب: «له أربعون سنةً ما مسَّ الماء»[(١)]، ولهذا تركوا الختان مع أنه شرع إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ وأتباعه.

واليهود إذا حاضت عندهم المرأة لا يؤاكِلونها، ولا يُشَارِبونها، ولا يقعدون معها في بيتٍ واحد[(٢)]، والنصارىٰ لا يحرِّمون وطء الحائض.

وكان اليهود لا يرون إزالة النجاسة، بل إذا أصاب[(٣)] ثوبَ أحدهم قَرَضه بالمقراض، والنصارىٰ ليس عندهم شيءٌ نجسٌ يحرُم أكله أو تحرُم الصلاة معه.

وكذلك[(٤)] المسلمون وسطٌ في الشريعة؛ فلم يجحدوا شرعَه الناسخ لأجل شرعه المنسوخ كما فعلت اليهود، ولا غيَّروا شيئًا من شرعه المُحْكَم ولا ابتدعوا شرعًا[(٥)] لم يأذن به الله كما فعلت النصارىٰ.

---

(١) وكلما كان الراهب أبعد عن الطهارة وأكثر ملابسة للنجاسة كان معظمًا عندهم. انظر: «منهاج السنة» (٥/ ١٧١)، و«الصفدية» (٢/ ٣١٣)، و«اقتضاء الصراط» (١/ ٢١٦)، ومجموع الفتاوىٰ (٣/ ٣٧٢، ٢١/ ١٨، ٣٣٢، ٢٨/ ٦١٠).

(٢) أخرجه مسلم (٣٠٢) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) كذا في الأصول، من باب الحمل علىٰ المعنىٰ، والجادة: أصابت.

(٤) (و، ي): «ولذلك».

(٥) (ع): «شيئا».

ولا غَلَوا في الأنبياء والصالحين كغلوِّ النصارىٰ، ولا بخسوهم حقوقَهم كفعل اليهود.

ولا جعلوا الخالقَ سبحانه متَّصفًا بخصائص المخلوق ونقائصه ومعايبه من الفقر والبخل والعجز كفعل اليهود، ولا المخلوقَ متَّصفًا بخصائص الخالق سبحانه التي ليس كمثله فيها شيءٌ كفعل النصارىٰ.

ولم يستكبروا عن عبادته كفعل اليهود، ولا أشركوا بعبادته أحدًا كفعل النصارىٰ.

وأهل السُّنَّة والجماعة في الإسلام كأهل الإسلام في أهل المِلَل(١).

فهم وسطٌ في باب صفات الله ﷻ بين أهل الجحد والتعطيل، وبين أهل التشبيه والتمثيل، يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسله، من غير تعطيل ولا تمثيل، إثباتًا لصفات الكمال، وتنزيهًا له عن أن يكون له فيها أندادٌ وأمثال، إثباتٌ بلا تمثيل، وتنزيهٌ بلا تعطيل، كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١] ردٌّ علىٰ الممثِّلة، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١] ردٌّ علىٰ المعطِّلة.

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]، فالصَّمد: السَّيِّد المستوجِب لصفات الكمال، والأحد: الذي ليس له كفوٌ ولا مثال.

وهم وسطٌ في باب أفعال الله ﷻ بين المعتزلة المكذِّبين بالقدر(٢)،

(١) قال أبو بكر بن عياش: «السُّنة في الإسلام كالإسلام في الشرك». أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١٥١٨).
(٢) (و، ي): «للقدر».

والجبريَّة النافين لحكمة الله ورحمته وعدله، والمعارضين بالقدر أمرَ الله ونهيَه وثوابه وعقابه.

وفي باب الوعد والوعيد بين الوعيديَّة الذين يقولون بتخليد عصاة المسلمين في النار، وبين المرجئة الذين يجحدون بعض الوعيد وما فضَّل الله به الأبرار علىٰ الفجَّار.

وهم وسطٌ في أصحاب رسول الله ﷺ بين الغالي في بعضهم الذي يقول بإلهيَّةٍ أو نبوَّةٍ أو عصمة، والجافي فيهم الذي يكفِّر بعضهم أو يفسِّقه وهم خيار هذه الأمَّة.

والله سبحانه أرسل محمدًا ﷺ للناس رحمة، وأنعم به نعمةً يا لها من نعمة!

قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا﴾ [إبراهيم: ٢٨]، وهم الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ؛ فإرساله أعظمُ نعمةٍ أنعم الله بها علىٰ عباده.

فجمَع(١) الله لأمته بخاتم المرسلين(٢)، وإمام المتقين، وسيد ولد آدم أجمعين، ما فرَّقه في غيرهم من الفضائل، وزادهم من فضله أنواع الفواضل، بل آتاهم كِفْلَين من رحمته، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٨ - ٢٩].

---

(١) (و، ي): «يجمع».

(٢) (ت): «النبيين».

وفي الصَّحيحين[1] عن ابن عمر وأبي موسىٰ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما أجلُكم في أجل من خلا من الأمم ما بين صلاة العصر إلىٰ مغرب الشَّمس، وإنما مثَلُكم ومثَل اليهود والنصارىٰ كرجلٍ استعمل عمَّالًا فقال: من يعمل لي إلىٰ نصف النهار علىٰ قيراطٍ قيراط؟ فعملت اليهود إلىٰ نصف النهار علىٰ قيراطٍ قيراط[2]، ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلىٰ صلاة العصر علىٰ قيراطٍ قيراط؟ فعملت النصارىٰ من نصف النهار إلىٰ صلاة العصر علىٰ قيراطٍ قيراط، ثم قال: من يعمل من صلاة العصر إلىٰ مغرب الشَّمس علىٰ قيراطين قيراطين؟ ألا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر إلىٰ مغرب الشَّمس، ألا لكم الأجر مرتين. فغضبت اليهود والنصارىٰ، فقالوا: نحن أكثر عملًا، وأقلُّ عطاءً، فقال الله تعالىٰ: فهل ظلمتكم من حقِّكم شيئًا؟ قالوا: لا، قال الله: فإنه فضلي أعطيه من شئت**».

أما بعد؛ فإن الله ﷻ جعل محمدًا ﷺ خاتم النبيين، وأكمل له ولأمَّته الدِّين، وبعثه علىٰ حين فترةٍ من الرُّسل، وظهور الكفر وانطماس السُّبل، فأحيا به ما دَرَس من معالم الإيمان، وقمع به أهل الشرك والكفر[3] من عبَّاد الأوثان والنِّيران والصُّلبان، وأذلَّ به كفَّار أهل الكتاب، أهل الشَّكِّ[4] والارتياب، وأقام به منار دينه الذي ارتضاه، وشاد به ذكر من اجتباه من عباده واصطفاه، وأظهر به ما كان مخفيًّا عند أهل الكتاب، وأبان به ما عدلوا فيه عن منهج الصَّواب، وحقَّق به صدق التوراة والزَّبور والإنجيل، وأماط به عنها

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٧١، ٣٤٥٩)، وهو من أفراده كما في «الجمع بين الصَّحيحين» للحميدي (١/ ٣١٥، ٢/ ٢٦٩).

(٢) «علىٰ قيراط قيراط» ليست في (و، ي).

(٣) ليست في (ي)، واستدركت في طرة (و).

(٤) (ع): «الشرك»، وفي طرة (ت) إشارة إلىٰ أنها في نسخة.

ما لُبِس[1] بحقِّها من باطل التَّحريف والتبديل.

وكان من سنَّة الله ﷻ مُواترةُ الرُّسل، وتعميمُ الخلق بهم، بحيث يبعَث في كلِّ أمةٍ رسولًا؛ ليُقِيم هداه وحجَّته[2]، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المؤمنون: ٤٤]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣ - ١٦٥].

ولما أهبط آدم إلىٰ الأرض[3] قال تعالىٰ: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، وقال في الآية الأخرىٰ[4]: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

(١) أي: خُلِط. وفي الأصول سوىٰ (ت): «ليس» بالياء المعجمة، وهو تحريف.

(٢) (د، ع): «لتتم هداة حجته». (ي، و): «لتعم هداه حجته». والمثبت من (ت).

(٣) (ي، و): «أهبط آدم الأرض».

(٤) من قوله: «فإما يأتينكم» إلىٰ هنا ساقط من (و، د، ي، ع) لانتقال النظر، واستدرك في طرة (ت) مختومًا بالتصحيح. وبسبب السقط غيَّرت ط. العاصمة صدر الآية الأولىٰ ليوافق لفظ الثانية. ووقع نحو هذا السياق في «الاستقامة» (٢/ ١٦٨).

أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٧].

وقال تعالىٰ عن أهل النار: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ﴿٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ٨ - ١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٠ - ١٣١].

فصل

وكان دينُه الذي ارتضاه لنفسه هو دينَ الإسلام الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل، ولا يقبل من أحدٍ دينًا غيره لا من الأولين ولا من الآخرين.

وهو دينُ الأنبياء وأتباعهم، كما أخبر الله بذلك عن نوحٍ ومن بعده إلىٰ الحواريين.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧١ - ٧٢].

وقال تعالىٰ عن إبراهيم: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٠ - ١٣٢].

وقال تعالىٰ عن يوسف الصديق: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقال تعالىٰ عن موسىٰ أنه قال: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

وأخبر تعالىٰ عن السَّحرة أنهم قالوا لفرعون: ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

وقال تعالىٰ عن بلقيس ملكة اليمن: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [النمل: ٤٤].

وقال تعالىٰ عن أنبياء بني إسرائيل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالىٰ عن المسيح: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾(1) [آل عمران: ٥٢، ٥٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ [المائدة: ١١١].

فهذا دينُ الأولين والآخرين من الأنبياء وأتباعهم هو دين الإسلام، وهو عبادة الله وحده لا شريك له.

وعبادته تعالىٰ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ بطاعة رسله عليهم السلام؛ فلا يكون عابدًا له من عبده بخلاف ما جاءت به رسله، كالذين قال فيهم: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورىٰ: ٢١].

---

(١) الآية الأخيرة ساقطة من ط. العاصمة.

فلا يكون مؤمنًا به إلا من عبده بطاعة رسله، ولا يكون مؤمنًا به ولا عابدًا له إلا من آمن بجميع رسله وأطاع من أرسِل إليه، فيطاع[1] كلُّ رسولٍ إلىٰ أن يأتي الذي بعده، فتكون الطاعةُ للرسول الثاني، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله[2]، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤].

ومن فرَّق بين رسله، فآمن ببعضٍ وكفر ببعضٍ كان كافرًا، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥٢].

فلما كان محمدٌ ﷺ خاتم النبيين، ولم يكن[3] بعده رسولٌ ولا من يجدِّد الدِّين، لم يزل الله ﷻ يقيم لتجديد الدِّين من الأسباب ما يكون مقتضيًا لظهوره، كما وعد به في الكتاب، فيظهر به محاسن الإيمان ومحامده، ويعرف به مساوئ الكفر ومفاسده.

ومن أعظم أسباب ظهور الإيمان والدِّين، وبيان حقيقة أنباء المرسلين: ظهور المعارِضين[4] لهم من أهل الإفك المبين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ

---

(١) (د، ع): «ليطاع».
(٢) قوله: «ومن يطع الرسول فقد أطاع الله» لحقٌ مختومٌ بالتصحيح في طرة (ت)، وليس في باقي الأصول، وأثبتته ط. النيل.
(٣) (ع): «يأت».
(٤) (د، ع): «المعارض».

جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٢ - ١١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِىۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٣١].

وذلك أن الحقَّ إذا جُحِد وعُورِض بالشبهات، أقام الله تعالىٰ له ممَّا يُحِقُّ به الحقَّ ويُبْطِل به الباطل من الآيات البينات، بما يظهره من أدلة الحقِّ وبراهينه الواضحة، وفساد ما عارضه من الحجج الدَّاحضة.

فالقرآن لما كذَّب به المشركون، واجتهدوا علىٰ إبطاله بكلِّ طريق، مع أنه تحدَّاهم بالإتيان بمثله، ثم بالإتيان بعشر سُوَر، ثم بالإتيان بسورةٍ واحدة، كان ذلك ممَّا دلَّ ذوي الألباب علىٰ عجزهم عن المعارضة، مع شدَّة الاجتهاد وقوَّة الأسباب، ولو اتَّبعوه من غير معارضةٍ وإصرارٍ[1] علىٰ التَّبطيل، لم يظهر عجزهم عن معارضته التي بها يتمُّ الدليل.

---

(١) (د): «وصد». (ع): «وصر».

وكذلك السَّحرة لما عارضوا موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأبطل الله ما جاؤوا به، كان ذلك ممَّا بيَّن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ به صِدْقَ ما جاء به موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وهذا من الفروق بين آيات الأنبياء وبراهينهم التي تسمَّىٰ بالمعجزات، وبين ما قد يشتبه بها من خوارق السَّحرة وما للشَّياطين[1] من التصرُّفات؛ فإن بين هذين فروقًا متعددة:

منها: ما ذكره الله تعالىٰ في قوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢].

ومنها: ما بيَّنه في آيات[2] التحدِّي من أن آيات الأنبياء عليهم السلام لا يمكن أن تُعَارَض بالمِثْل فضلًا عن الأقوىٰ، ولا يمكِنُ أحدًا إبطالها، بخلاف خوارق السَّحرة والشياطين؛ فإنه يمكن معارضتُها بمثلها وأقوىٰ منها، ويمكِنُ إبطالها.

وكذلك سائر أعداء الأنبياء من المجرمين شياطين الإنس والجنِّ الذين يوحي بعضهم إلىٰ بعض زخرف القول غرورًا، إذا أظهروا من حججهم ما يحتجُّون به علىٰ دينهم المخالف لدين الرسول، ويموِّهون في ذلك بما يلفِّقونه من منقولٍ ومعقول، كان ذلك من أسباب ظهور الإيمان الذي وَعَد بظهوره علىٰ الدِّين كلِّه بالبيان والحجَّة والبرهان، ثم بالسَّيف واليد والسِّنان[3]، قال الله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

---

(١) (ت، ي، و): «للشيطان».

(٢) (د، ع): «من آيات».

(٣) (د، ع): «واللسان»، تحريف.

وذلك بما يقيمه الله ﷻ من الآيات والدلائل، التي يظهَر بها الحقُّ من الباطل، والحَالِي[1] من العَاطِل، والهدىٰ من الضلال، والصِّدق من المحال، والغيُّ من الرشاد، والصَّلاح من الفساد، والخطأ من السَّداد، وهذا كالمحنة للرجال التي تميِّز بين الخبيث والطيب، قال تعالىٰ[2]: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقال تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [العنكبوت: ١ - ٤].

والفتنة هي الامتحانُ والاختبار، كما قال موسىٰ عليه السلام: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، أي: امتحانُك واختبارُك، تُضِلُّ بها من خالف الرسل وتهدِي بها من اتَّبعهم.

والفتنة للإنسان، كفتنة الذَّهب إذا أُدْخِل كِيْرَ الامتحان، فإنها تميِّز جيِّده من رديئه، فالحقُّ كالذَّهب الخالص كلما امتُحِن ازداد جودةً، والباطلُ كالمغشوش المَطْلِيِّ[3] إذا امتُحِن ظهر فسادُه.

فالدِّين الحقُّ كلما نظر فيه الناظِر، وناظر عنه المُنَاظِر، ظهرت له البراهين، وقَوِيَ به اليقين، وازداد به إيمان المؤمنين، وأشرق نوره في صدور العالمين.

---

(١) (ت، د، ع) وط. النيل والعاصمة: «الخالي» بالمعجمة، وهو تصحيف. والحالي من عليه الحُلِيّ، وضده العاطل.

(٢) سقطت من هنا أوراق كثيرة من الأصل (ت).

(٣) (د) وط. النيل: «المغشى». (ع): «الغشي». وفي (و): «المضى» وزادتها ط. العاصمة همزة: «المضيء»! والوجه ما أثبت. واستشكلها ناسخ (ي) فأسقطها.

والدِّينُ الباطلُ إذا جادل عنه المجادِل، ورام أن يُقِيم عودَه المائل، أقام الله ﷻ من يقذف بالحقِّ علىٰ الباطل فيَدْمَغُه فإذا هو زاهِق، وتبيَّن أن صاحبه الأحمق كاذبٌ مائق، وظهر فيه من القبح والفساد، والحلول والاتحاد، والتناقض والإلحاد، والكفر والضلال، والجهل والمُحَال، ما يظهر به لعموم الرجال، أن أهله من أضلِّ[1] الضُّلَّال، حتىٰ يظهر فيه من الفساد، ما لم يكن يعرفه أكثرُ العباد، ويتنبَّه بذلك من سِنَة الرُّقاد[2]، من كان لا يميِّز الغيَّ من الرشاد، ويحيا بالعلم والإيمان من كان ميِّت القلب لا يعرِف معروفَ الذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين، ولا ينكِر منكرَ المغضوب عليهم والضَّالِّين.

فإن ما ذمَّ الله به اليهود والنصارىٰ في كتابه، مثل تكذيب الحقِّ المخالف للهوىٰ، والاستكبار عن قبوله، وحسد أهله، والبغي عليهم، واتباع سبيل الغيِّ، والبخل، والجبن، وقسوة القلب[3]، ووَصْفِ الله تعالىٰ بمثل عيوب المخلوقين ونقائصهم، وجَحْدِ ما وصفَ به نفسه من صفات الكمال المختصَّة به التي لا يماثله فيها مخلوق، وبمثل الغلوِّ في الأنبياء والصالحين، والإشراك في العبادة لربِّ العالمين، والقولِ بالحلول والاتحاد الذي يجعل العبدَ[4] المخلوق هو ربَّ العباد، والخروجِ في أعمال الدِّين عن شرائع الأنبياء والمرسلين، والعمل بمجرَّد هوىٰ القلب وذوقِه ووَجْدِه في الدِّين، من غير اتباع العلم الذي أنزله الله في كتابه المبين، واتخاذِ أكابر العلماء والعبَّاد أربابًا يُتَّبَعون فيما يبتدعونه من

---

(١) (د، ع): «أصل» بالمهملة، ويتجه أن تكون «أهل» بالهاء، وكلاهما يقتضي تخفيف لام «الضلال»، وهو أوفق للسجع.

(٢) ط. النيل: «من كان غافلا من سنة الرقاد».

(٣) (و، ي): «القلوب».

(٤) ليست في (د، ع).

الدِّين المخالف للأنبياء عليهم السلام، كما قال تعالىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١]، ومخالفةِ صريح المعقول وصحيح المنقول بما يُظَنُّ أنه من التنزُّلات الإلهية(١)، والفتوحات القُدسيَّة، مع كونه من وساوس اللعين، حتىٰ يكون صاحبها ممن قال الله فيه: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، إلىٰ غير ذلك من أنواع البدع والضلالات التي ذمَّ الله بها أهل الكتابَيْن = فإنها ممَّا حذَّر الله منه هذه الأمة الأخيار، وجعل ما حلَّ بأهلها(٢) عبرةً لأولي الأبصار.

وقد أخبر النبيُّ ﷺ أنه لا بدَّ من وقوعها في بعض هذه الأمة، وإن كان قد أخبر ﷺ أنه لا يزال في أمته أمةٌ قائمةٌ علىٰ الحقِّ، لا يضرُّهم من خالفهم ولا من خذلهم حتىٰ تقوم الساعة(٣)، وأن أمته لا تجتمع علىٰ ضلالة(٤)، ولا يغلبها من

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٤٠٣، ٣٥/ ١١٧)، و«جامع الرسائل» (١/ ١٩٦).

(٢) (و، ي): «بها».

(٣) ورد من حديث جماعةٍ من الصحابة في الصَّحيحين وغيرهما، وهو متواتر كما ذكر المصنف في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٨١). وانظر: «قطف الأزهار المتناثرة» للسيوطي (٢١٦)، و«نظم المتناثر» للكتاني (١٤١).

(٤) أخرج هذا الأصل أبو داود (٤٢٥٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه بإسناد فيه ضعف. وأخرجه الترمذي (٢١٦٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بسند ضعيف، وقال: «غريب من هذا الوجه». وأخرجه ابن ماجه (٣٩٥٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفي سنده لين.
=

سواها من الأمم، بل لا تزال ظاهرةً[1] منصورةً متَّبعةً لنبيِّها المهديِّ المنصور.

لكن لا بدَّ أن يكون فيها من يتَّبع[2] سنن اليهود والنصارىٰ والروم والمجوس، كما في الصَّحيحين[3] عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لتتَّبعنَّ سنن من كان قبلكم حذو القذَّة بالقذَّة، حتىٰ لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه**»، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارىٰ؟ قال: «**فمن؟!**».

وفي الصَّحيحين[4] أيضًا عن أبي سعيد الخدري[5] رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لتأخذنَّ[6] أمتي مأخذ الأمم قبلها شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع**»، قالوا: يا رسول الله، فارس والروم؟ قال: «**فمن الناسُ إلا أولئك؟!**».

وفي المُظْهِرين للإسلام منافقون، والمنافقون في الدَّرك الأسفل من النار تحت اليهود والنصارىٰ؛ فلهذا كان ما ذمَّ الله به اليهود والنصارىٰ قد يوجدُ في المنافقين المنتسبين إلىٰ الإسلام الذين يُظْهِرون الإيمان بجميع ما جاء به

= وروي من وجوه أخرىٰ لا تخلو من مقال، ولعل مجموعها يدل علىٰ أن له أصلًا. انظر: «تحفة الطالب» لابن كثير (١١٩)، و«تذكرة المحتاج» لابن الملقن (٥١)، و«موافقة الخبر الخبر» (١/ ١٠٥ - ١١٥).
وصحَّ عن أبي مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند ابن أبي شيبة (٣٨٣٤٧) موقوفًا، ومثله لا يقال من قبل الرأي، كما قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٥/ ٢٢٢٥).

(١) ليست في (و، ي).
(٢) (و، ي): «يتتبع».
(٣) صحيح البخاري (٧٣١٩) بمعناه، وهو من أفراده كما في «الجمع بين الصَّحيحين» (٣/ ٢٤٨)، ولفظه فيه قريبٌ مما أورده المصنف من حديث أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ دون قوله: «حذو القذة بالقذة» فليس في الصَّحيح، وهو عند أحمد (١٧١٣٥) من حديث شداد بن أوس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٤) صحيح البخاري (٣٤٥٦)، وصحيح مسلم (٢٦٦٩) بمعناه.
(٥) ليست في (و، ي).
(٦) (و، ي): «لتأخذ». وليس اللفظ في الصَّحيحين.

الرسول، ويُبْطِنون خلاف ذلك، كالملاحدة الباطنيَّة، فضلًا عمن يُظْهِر الإلحاد منهم.

ويوجدُ بعض ذلك في أهل البدع، ممَّن هو مقرٌّ بعموم رسالة النبي ﷺ باطنًا وظاهرًا، لكنْ اشتبه عليه بعضُ ما اشتبه علىٰ هؤلاء، فاتَّبع المتشابه، وترك المُحْكَم، كالخوارج وغيرهم من أهل الأهواء.

وللنصارىٰ في صفات الله ﷻ واتحاده بالمخلوقات ضلالٌ شاركهم فيه كثيرٌ من هؤلاء، بل من الملاحدة من هو أعظمُ ضلالًا من النصارىٰ[1].

والحلول والاتحاد نوعان: عامٌّ، وخاص[2].

فالعامُّ، كالذين يقولون: إن الله بذاته حالٌّ في كلِّ مكان، أو إن وجوده عين وجود المخلوقات.

والخاصُّ، كالذين يقولون بالحلول والاتحاد في بعض أهل البيت، كعليٍّ وغيره، مثل النصيرية وأمثالهم. أو بعض من ينتسب إلىٰ أهل البيت، كالحاكِم[3] وغيره، مثل الدُّرزية وأمثالهم. أو بعض من يعتقد فيه المَشْيَخة، كالحَلَّاجيَّة[4] وأمثالهم.

---

(١) سيأتي بسط هذا المعنىٰ (٣/ ٢١٧-٢٣١).

(٢) انظر: «درء التعارض» (٦/ ١٥١)، و«بيان تلبيس الجهمية» (٦/ ٥٤٩)، و«الرد علىٰ الشاذلي» (١٦١، ١٧٢)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٢/ ١٧١).

(٣) منصور بن نزار بن المعز بالله العبيدي، الملقب بالحاكم بأمر الله، أبو علي، صاحب مصر، كان خبيثًا ماكرًا رديء الاعتقاد مضطرب العقل سفاكًا للدماء. توفي سنة ٤١١. انظر: «وفيات الأعيان» (٥/ ٢٩٢)، و«تاريخ الإسلام» (٩/ ١٩٨).

(٤) طائفة من الحلولية تنتسب إلىٰ الحسين بن منصور الحلاج المقتول علىٰ الزندقة سنة ٣٠٩. انظر: «الفرق بين الفرق» (٢٤٦)، و«التبصير في الدين» (١٣٢).

فمن قال: «إن الله ﷻ حلَّ واتَّحَد بأحدٍ من الصحابة، أو القَرابة، أو المشايخ»، فهو من هذا الوجه أكفرُ من النصارىٰ الذين قالوا بالاتحاد والحلول في المسيح؛ فإن المسيح عليه السلام أفضلُ من هؤلاء كلهم.

ومن قال بالحلول والاتحاد العامِّ، فضلاله أعمُّ[1] من ضلال النصارىٰ.

وكذلك من قال بقدم أرواح بني آدم، أو أعمالهم، أو كلامهم، أو أصواتهم، أو مداد مصاحفهم، أو نحو ذلك، ففي قوله شعبةٌ من قول النصارىٰ.

فمعرفة[2] حقيقة دين النصارىٰ وبطلانه يُعْرَف به بطلان ما يشبه أقوالهم من أقوال أهل الإلحاد والبدع.

فإذا جاء نور الإيمان والقرآن أزهق الله به ما خالفه، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١]، وأبان الله ﷻ من فضائل الحق ومحاسنه ما كان به محقوقًا.

وكان من أسباب نصر الدِّين وظهوره أنَّ كتابًا ورد من قبرص، فيه الاحتجاج لدين النصارىٰ بما يحتجُّ به علماء دينهم وفضلاء ملَّتهم قديمًا وحديثًا من الحجج السَّمعية والعقلية، فاقتضىٰ ذلك أن نذكر من الجواب ما يحصُل به فصلُ الخطاب، وبيان الخطأ من الصواب؛ لينتفع بذلك أولو الألباب، ويظهَر ما بعث الله به رسله من الميزان والكتاب.

وأنا أذكر ما ذكروه بألفاظهم بأعيانها فصلًا فصلًا، وأُتْبِعُ كلَّ فصلٍ بما يناسبه من الجواب فرعًا وأصلًا، وعَقدًا وحَلًّا.

---

(١) كذا في الأصول، وهي مناسبة للقول بالحلول والاتحاد العام. وربما كانت «أعظم»، كما في «مجموع الفتاوىٰ» (٢/ ١٢٥، ١٣١، ١٧٣، ٢٩٦).

(٢) (ي): «ومعرفة». (و): «فبمعرفة»، وهي أجود إن حذفت «به».

وما ذكروه في هذا الكتاب هو عمدتهم التي يعتمِد عليها علماؤهم في مثل هذا الزمان، وقبل هذا الزمان، وإن كان قد يزيد بعضهم علىٰ بعض بحسب الأحوال؛ فإن هذه الرسالة وجدناهم يعتمدون عليها قبل ذلك، ويتناقلها علماؤهم بينهم، والنُّسَخ بها موجودةٌ قديمة، وهي مضافةٌ إلىٰ بولص الرَّاهب أُسْقُف صَيْدا الأنطاكي(١)، كتبها إلىٰ بعض أصدقائه، وله مصنفاتٌ في نصر النصرانية، وذكر أنه لما سافر إلىٰ بلاد الرُّوم والقسطنطينيَّة وبلاد المَلافطة(٢) وبعض أعمال الإفرنج ورُومِيَة، واجتمع بأجلَّاء أهل تلك الناحية، وفاوَض أفاضلهم وعلماءهم.

---

(١) من طائفة الروم الملكيين، اشتهر في القرن الثاني أو الثالث عشر الميلادي، وقيل: القرن الثامن، وله رسائل في اللاهوت والفلسفة والدفاع عن النصرانية، طبع كثيرٌ منها. ونُشِرت رسالته هذه في باريس مع دراسة مطولة بالفرنسية سنة ١٩٠٣م، ثم نشرها لويس شيخو في مجلة المشرق سنة ١٩٠٤م (٧/ ٧٠٢- ٧٠٩)، ثم في «مقالات دينية قديمة لبعض مشاهير الكتبة النصارىٰ من القرن التاسع إلىٰ القرن الثالث عشر»، ثم حققها ودرسها بولس خوري سنة ١٩٦٤م، وأعاد نشرها مع جواب محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي عنها سنة ٢٠١٢م. انظر: «المخطوطات العربية لكتبة النصرانية» للويس شيخو (٦٩)، وتقدمته لرسالة بولس الأنطاكي «خلاصة معتقد النصارىٰ في التوحيد والاتحاد» مجلة المشرق (١/ ٨٤٠، سبتمبر ١٨٩٨م)، و«تاريخ الكنيسة الملكية» ليوسف الشماس (٢/ ٩٦)، و«الطرفة النقية من تاريخ الكنيسة المسيحية» لعيسىٰ أسعد الخوري (٢٠١)، و«المسيحية والحضارة العربية» لجورج قنواتي (٢٦٨- ٢٧٠)، و«صيدا عبر حقب التاريخ» لمنير الخوري (١٣٥).

(٢) (د، ع): «الملافظة». وفي رسالة بولس (٤١٣): «الملاطفة»، وهو أقرب لاسم البلدة اللاتيني: maldavic. انظر: «المسيحية والحضارة العربية» لجورج قنواتي (٢٦٨). وهي بلدة قديمة في الجزء الجنوبي الشرقي لأوروبا، كانت إحدىٰ الإمارتين اللتين تتكون منهما رومانيا، وتقع اليوم بين دولتي رومانيا وأوكرانيا، وتعرف بمُلْدَافيا moldavia. وينسب إليها أهلها فيقال: «المَلادِفة» أو «المَلاطِفة»، أما تقديم الفاء «الملافطة» فخطأ، وكذلك وقع في «البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان» لعماد الدين الأصفهاني (٨١)، وهو مألوفٌ فيما يذكره العرب من أسماء البلدان الأعجمية القصيَّة.

وقد عظَّم هذه الرسالة، وسمَّاها: «الكتاب المَنْطِقي الدولة خاني[1] المُبَرْهِن عن الاعتقاد الصَّحيح والرأي المستقيم».

ومضمون ذلك ستَّة فصول:

الفصل الأول: دعواهم أن محمدًا ﷺ لم يُبْعَث إليهم، بل إلىٰ أهل الجاهلية من العرب، ودعواهم أن في القرآن ما يدلُّ علىٰ ذلك، والعقل يدلُّ علىٰ ذلك.

والفصل الثاني: دعواهم أن محمدًا ﷺ أثنىٰ في القرآن علىٰ دينهم الذي هم عليه، ومدَحه بما أوجب لهم أن يثبتوا عليه.

والفصل الثالث: دعواهم أن نبوَّات الأنبياء المتقدمين، كالتَّوراة والزَّبور والإنجيل وغير ذلك من النبوَّات، تشهد لدينهم الذي هم عليه من الأقانيم والتثليث والاتحاد وغير ذلك بأنه حقٌّ وصواب، فيجب التمسُّك به، ولا يجوز العدول عنه إذا لم يعارضه شرعٌ يرفعُه، ولا عقلٌ يدفعُه.

والفصل الرابع: فيه تقرير ذلك بالمعقول، وأن ما هم عليه من التثليث ثابتٌ بالنظر المعقول، والشرع المنقول، موافقٌ للأصول.

والفصل الخامس: دعواهم أنهم موحِّدون، والاعتذار عما يقولونه من ألفاظٍ يظهر منها تعدُّد الآلهة - كألفاظ الأقانيم - بأن ذلك[2] من جنس ما عند المسلمين من النصوص التي يظهر منها التشبيه والتجسيم.

---

(١) السلطاني، نسبة إلىٰ «خان» من ألقاب الملوك والسلاطين. «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (١٥٧). والمنطيقي: نسبة إلىٰ المنطق، ويطلق علىٰ الجدليّ العالم بالمنطق. «تكملة المعاجم» (١٠/ ٢٤٤).

(٢) (و، ي): «فإن ذلك». وهو تحريفٌ مفسد للمعنىٰ، واختارته ط. العاصمة وخطَّأت الصواب. والمثبت من (د، ع) وط. النيل.

والفصل السادس: أن المسيح عليه السلام جاء بعد موسىٰ عليه السلام بغاية الكمال، فلا حاجة بعد النهاية إلىٰ شرعٍ يزيد علىٰ الغاية، بل يكون ما بعد ذلك شرعًا غير مقبول.

ونحن -ولله الحمد والمنَّة- نبيِّن أن كل ما احتجُّوا به من حجَّة سمعيَّة من القرآن، أو من الكتب المتقدِّمة علىٰ القرآن، أو عقليَّة، فلا حجَّة لهم في شيءٍ منها، بل الكتب كلُّها مع القرآن والعقل حجَّةٌ عليهم لا لهم، بل عامة ما يحتجُّون به من نصوص الأنبياء ومن المعقول فهو نفسه حجَّةٌ عليهم، ويظهَر منه فسادُ قولهم مع ما يُفْسِدُه من سائر النصوص النبوية، والموازين التي هي مقاييسُ عقلية.

وهكذا[1] عامة ما يحتجُّ به أهلُ البدع من كتب الله ﷻ، ففي تلك النصوص ما يبيِّن[2] أنه لا حجَّة لهم فيها، بل هي بعينها حجَّةٌ عليهم، كما ذُكِر أمثال ذلك في الردِّ علىٰ أهل البدع والأهواء وغيرهم من أهل القبلة[3]، وإنما عامة ما عند القوم ألفاظٌ متشابهةٌ تمسَّكوا بما ظنُّوها تدلُّ عليه، وعَدَلوا عن الألفاظ المحكمة الصريحة المبينة، مع ما يقترن بذلك من الأهواء.

---

(١) (و، ي): «وهكذا يوجد».

(٢) (ي): «نبين».

(٣) نقل ابن القيم في «حادي الأرواح» (٢/ ٦١٨) عن شيخ الإسلام قوله: «أنا ألتزم أنه لا يحتجُّ مبطلٌ بآية أو حديث صحيح علىٰ باطله إلا وفي ذلك الدليل ما يدل علىٰ نقيض قوله». وانظر: «جامع الرسائل» (٢/ ٥١)، وما سيأتي (٢/ ٤٧٤).
وفي «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٢٨٨- ٣٠٢) قاعدة في أن «جميع ما يحتجُّ به المبطِل من الأدلة الشرعية والعقلية إنما تدل علىٰ الحق لا تدل علىٰ قول المبطِل»، وهي ناقصة فيه، وتمامها في بعض مجاميع العمرية. وتطبيقات «قلب الدليل علىٰ المخالف» سواء أكان الدليل شرعيًّا أم عقليًّا مستفيضة في آثار شيخ الإسلام.

وهذه حال جميع[1] أهل الباطل، كما قال تعالىٰ فيهم: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣]، فهم في جهلٍ وظلم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا﴾ [الأحزاب: ٧٢ - ٧٣].

فالمؤمنون الذين تاب الله عليهم من الجهل والظلم هم أتباع الأنبياء عليهم السلام؛ فإن الأنبياء[2] بُعِثوا بالعلم والعدل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١ - ٤]، فبيَّن سبحانه وتعالى أنه ليس ضالًّا جاهلًا، ولا غاويًا متَّبعًا هواه، فلا ينطق عن هواه، إنما نطقُه وحيٌ أوحاه الله سبحانه وتعالى.

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨]، فالهدىٰ يتضمَّن العلم النافع، ودينُ الحقِّ يتضمَّن العمل الصالح، ومبناه علىٰ العدل، كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ[3] وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

---

(١) ليست في (و، ي).
(٢) (د، ع): «الأنبياء الذين تاب الله عليهم»، وهو سهو.
(٣) من أول الآية إلىٰ هنا ليس في (و، ي).

وأصل العدلِ العدلُ[1] في حقِّ الله تعالىٰ، وهو عبادته وحده لا شريك له؛ فإن الشرك ظلمٌ عظيم، كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣].

وفي الصَّحيحين[2] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢][3]، شقَّ ذلك علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أيُّنا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ليس هو كما تظنُّون، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا إلىٰ قول العبد الصَّالح: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾؟**»[4].

ولمَّا كان أتباع الأنبياء هم أهل العلم والعدل، كان كلام أهل الإسلام والسُّنة مع الكفار وأهل البدع بالعلم والعدل، لا بالظنِّ وما تهوىٰ الأنفس، ولهذا قال النبي ﷺ: «**القضاة ثلاثة: قاضيان في النار، وقاضٍ في الجنة، رجل عَلِم الحقَّ وقضىٰ به فهو في الجنة، ورجل عَلِم الحقَّ وقضىٰ بخلافه فهو في النار، ورجل قضىٰ للناس علىٰ جهلٍ فهو في النار**»[5] رواه أبو داود وغيره.

---

(١) ليست في (د، ع).

(٢) صحيح البخاري (٣٢)، ومسلم (١٢٤). وقوله: «العبد الصالح» لم أجده فيهما، وذكره الحميدي في «الجمع بين الصَّحيحين» (١/ ٢٠٩)، وهو عند أحمد (٣٥٨٩)، وأبي عوانة في مستخرجه علىٰ صحيح مسلم (٢٨٠، ٢٨٢).

(٣) زادت ط. العاصمة: «الآية»، وليست في الأصول.

(٤) من هنا إلىٰ قوله: «وكفر النصارىٰ بتكذيب محمد» ساقط من (د)، وقد أشار إليه ناسخها في الطرة.

(٥) أخرجه أبو داود (٣٥٧٣)، وابن ماجه (٢٣١٥)، والترمذي (١٣٢٢) وغيرهم من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو حديثٌ حسنٌ أو صحيح، كما قال ابن عبد الهادي في «تنقيح التحقيق» (٥/ ٦٢). وصححه ابن حبان (٣٦١٦)، وابن الملقن في «البدر المنير» (٩/ ٥٥٢)، والعراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (٧٨، ١٢٣٧).

فإذا كان من يقضي بين الناس في الأموال والدماء والأعراض إذا لم يكن عالمًا عادلًا كان في النار، فكيف بمن يحكُم في المِلَل والأديان وأصول الإيمان والمعارف الإلهية والمعالم الكليَّة بلا علمٍ ولا عدل؟! كحال أهل البدع والأهواء، الذين يتمسَّكون بالمتشابه المشكوك ويَدَعون المحكَم الصَّريح من نصوص الأنبياء، ويتمسَّكون بالقَدْر المشترك المتشابه في المقاييس والآراء، ويعرضون عما بينهما من الفروق المانعة من الإلحاق والاستواء، كحال الكفار وسائر أهل البدع والأهواء، الذين يمثِّلون المخلوق بالخالق والخالق بالمخلوق ويضربون لله مثَل السَّوء بالقول الهُرَاء(١).

وذلك أن دين النصارىٰ الباطل إنما هو دينٌ مبتدَع، ابتدعوه بعد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وغيَّروا به دينَ المسيح، فضلَّ منهم من عَدَل عن شريعة المسيح إلىٰ ما ابتدعوه.

ثم لما بعث الله محمدًا ﷺ كفروا به، فصار كفرهم وضلالهم من هذين الوجهين: تبديل دين الرسول الأول، وتكذيب الرسول الثاني، كما كان كفرُ اليهود بتبديلهم أحكام التوراة قبل مبعث المسيح، ثم تكذيبهم المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ونبيِّن إن شاء الله أن ما عليه النصارىٰ من التثليث والاتحاد لم يدلَّ عليه شيءٌ من كتب الله لا الإنجيل ولا غيره، بل دلَّت علىٰ نقيض ذلك، ولا دلَّ علىٰ ذلك عقل، بل العقل الصَّريح مع نصوص الأنبياء تدلُّ علىٰ نقيض ذلك، بل وكذلك عامة شرائع دينهم محدثةٌ مبتدعةٌ لم يشرعها المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١) (ع) وط. النيل: «الهزء». وهو تحريف، والسجعة تأباه. ومشت عليه ط. العاصمة وأسقطت كلمة أخرىٰ: «ويضربون لله المثل بالقول الهزء». وعلىٰ الصواب في (ي، و): «الهرا». وانظر هذا التركيب في «التسعينية» (١/ ٢٢١).

ثـم التكـذيب لمحمدٍ ﷺ هـو كفرهم المعلـوم[1] لكـلِّ مسـلم، مثـل كفـر اليهود بالمسيح عليه السلام وأبلغ.

وهم يبالغون في تكفير اليهود بأعظم ممَّا يستحقُّه اليهود من التكفير، إذ كان اليهود يزعمون أن المسيح ساحرٌ كذاب، بل يقولون: إنه ولدُ غِيَّة[2]، كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦]، والنصارىٰ يدَّعون أنه الله[3] الذي خلق الأوَّلين والآخرين، وأنه ديَّان يوم الدِّين؛ فكانت الأمَّتان فيه علىٰ غاية التناقض والتعادي والتقابل، ولهذا كلُّ أمةٍ تذمُّ الأخرىٰ بأكثر ممَّا تستحقُّه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣].

ذكر محمدُ بن إسحاق[4]، عن محمد بن أبي محمد مولىٰ زيد بن ثابت، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لمَّا قدم وفدُ نجران

---

(١) (ي، و، ع): «مثل المعلوم».

(٢) أي: زنا. وفي (ع): «ولد بغيَّة»، وهو محتمل. وقد وقع نحو هذا الاختلاف في الرسم في أصول «منهاج السنة» (٤/ ٢٠).

(٣) ط. العاصمة: «أن الله». وهو خطأ مخالف للأصول.

(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ١٩٧). وأخرجه من طريقه ابن جرير في التفسير (٢/ ٤٣٤)، وابن أبي حاتم (١١٠٣).
ومحمد بن أبي محمد تفرد عنه ابن إسحاق، وليس فيه توثيقٌ معتبر، ولم يعرفه أبو زرعة كما في «الضعفاء» للبرذعي (٥٦٤)، وقال الذهبي في «الميزان» (٤/ ٢٥٧): «لا يُعْرَف». وقد يقوِّي أمره تخريج الضياء في «المختارة» (١٠/ ٣٥١، ١٢/ ٢٥٥) من نسخته هذه التي يرويها ابن إسحاق، ولعل ذلك مستند ابن حجر في تجويد إسنادها في «العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٣٥١)، وتبعه السيوطي في «الإتقان» (٢٣٣٦).

من النصارىٰ علىٰ رسول الله ﷺ أتتهم أحبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله ﷺ، فقال رافع بن حُرَيْمِلة[1]: ما أنتم علىٰ شيء، وكفَر بعيسىٰ والإنجيل جميعًا، فقال رجلٌ من أهل نجران من النصارىٰ لليهود: ما أنتم علىٰ شيء، وجحَد نبوة موسىٰ، وكفَر بالتوراة؛ فأنزل الله ذلك في قولهما: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [البقرة: ١١٣].

قال[2]: كلٌّ يتلو في كتابه تصديقَ ما كفَر به[3]، أي: تكفُر اليهودُ بعيسىٰ، وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم علىٰ لسان موسىٰ بالتصديق بعيسىٰ، وفي الإنجيل بإجابة عيسىٰ بتصديق موسىٰ[4]، وبما جاء به من التوراة من عند الله، وكلٌّ يكفر بما في يدي صاحبه.

قال قتادة: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ قال: بلىٰ، قد كان أوائل النصارىٰ علىٰ شيءٍ ولكنهم ابتدعوا وتفرَّقوا. ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ قال: بلىٰ، قد كانت أوائل اليهود علىٰ شيءٍ ولكنهم ابتدعوا وتفرَّقوا[5].

فاليهود كذَّبوا بدين النصارىٰ، وقالوا: ليسوا علىٰ شيء، والنصارىٰ كذَّبوا بجميع ما تميَّز به اليهود عنهم، حتىٰ في شرائع التوراة التي لم ينسَخها المسيح،

---

(١) الأصول: «ربيع بن حرملة». وهو تحريف، صوابه في مصادر التخريج، وله ذكرٌ كثير في أخبار اليهود.
(٢) يعني ابن إسحاق، تفسيرًا للآية.
(٣) ساقطة من (و، ي) وط. العاصمة.
(٤) سيرة ابن هشام: «وفي الإنجيل ما جاء به عيسىٰ عليه السلام من تصديق موسىٰ عليه السلام».
(٥) أخرجه ابن جرير (٢/ ٤٣٧)، وابن أبي حاتم (١١٠٤).

بل أمرهم بالعمل بها، وكذَّبوا بكثيرٍ من الذي[1] تميَّزوا به عنهم، حتىٰ كذَّبوا بما جاء به عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ من الحق.

لكنَّ النصارىٰ وإن بالغوا في تكفير اليهود ومعاداتهم علىٰ الحدِّ الواجب عمَّا ابتدعوه من الغلوِّ والضلال، فلا ريب أن اليهود لما كذَّبوا المسيحَ صاروا كفَّارًا، كما قال تعالىٰ للمسيح: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

وكفرُ النصارىٰ بتكذيب محمدٍ ﷺ وبمخالفة المسلمين أعظمُ من كفر اليهود بمجرَّد تكذيب المسيح؛ فإن المسيح لم ينسَخ مِن شرع التوراة إلا قليلًا، وسائر شرعِه إحالةٌ علىٰ التوراة، ولكنَّ عامة دين النصارىٰ أحدثوه بعد المسيح، فلم يكن في مجرَّد تكذيب اليهود له من مخالفة شرع الله ما في تكذيب النصارىٰ لمحمدٍ ﷺ[2] الذي جاء بكتابٍ مستقلٍّ من عند الله لم يُحِلْ شيئًا[3] من شرعه علىٰ شرع غيره.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةٗ وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٖ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

والقرآن أصلٌ كالتوراة، وإن كان أعظمَ منها، ولهذا كان علماء النصارىٰ يقرِنون بين موسىٰ ومحمد ﷺ، كما قال النجاشيُّ ملكُ النصارىٰ لمَّا سمع

---

(١) ط. العاصمة: «الذين». وهو خطأ مخالف للأصول.
(٢) قوله: «ما في تكذيب النصارىٰ لمحمد ﷺ» ساقط من ط. العاصمة.
(٣) (د، ع): «شيء».

القرآن: إن هذا والذي جاء به موسىٰ ليخرج من مشكاةٍ واحدة(١).

وكذلك قال ورقة بن نوفل - وهو من أحبار نصارىٰ العرب - لمَّا سمع كلام النبي ﷺ، فقال له: إنه يأتيك الناموسُ الذي يأتي موسىٰ، يا ليتني فيها جَذَعًا حين يخرجك قومُك، فقال النبي ﷺ: «أوَمخرجيَّ هم؟!» قال: نعم، لم يأت أحدٌ بمثل ما أتيتَ به إلا عُودِيَ، وإن يُدْرِكْني يومُك أنصُرْك نصرًا مؤزَّرًا(٢).

ولهذا يقرِن سبحانه بين التوراة والقرآن في مثل قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا﴾ يعني: التوراة والقرآن، وفي القراءة الأخرىٰ: ﴿قَالُواْ سَٰحِرَانِ﴾(٣) أي: محمد وموسىٰ(٤)، ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [القصص: ٤٨ - ٤٩]، فلم ينزل كتابٌ من عند الله أهدىٰ من التوراة والقرآن. ثم قال تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

وهؤلاء النصارىٰ ذكر كاتبُ كتابهم في كتابه(٥): أنه لما سأله سائلٌ أن يفحص له فحصًا بيِّنًا عمَّا يعتقده النصارىٰ المسيحيُّون المختلفة ألسنتهم،

---

(١) سيأتي سياق خبره تامًّا (١/ ١١٧ - ١٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) قرأ بها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (٤٩٥)، و«معاني القراءات» للأزهري (٢/ ٢٥٤).

(٤) (د، ع): «موسىٰ ومحمد».

(٥) رسالة بولس الراهب أسقف صيدا الأنطاكي التي تقدم ذكرها.

المتفرِّقة في أربع زوايا العالم، من المشرق إلىٰ المغرب، ومن الجنوب إلىٰ الشمال، والقاطنون بجزائر البحر، والمقيمون بالبرِّ المتَّصل إلىٰ مغيب الشمس، وأن الأُسْقُف دَمْيَان المَلَكِي[1] الرُّومي اجتَمع بمن اجتمع به من أجلَّائهم ورؤسائهم، وفاوَض من فاوَض من أفاضلهم وعلمائهم، فيما عَلِمَه من رأي القوم الذين رآهم بجزائر البحر قبل دخوله إلىٰ قبرص، وخاطبهم في دينهم وما يعتقدونه ويحتجُّون به عن أنفسهم.

قال الكاتب علىٰ لسان الأُسْقُف: إنهم يقولون: إنا لمَّا سمعنا[2] أن قد ظهَر إنسانٌ من العرب اسمه محمَّد، يقول: إنه رسول الله، وأتىٰ بكتابٍ فذكر[3] أنه منزَّلٌ عليه من الله، فلم نزل إلىٰ أن حصل الكتابُ عندنا.

قال: فقلت لهم: إذا كنتم قد سمعتم بهذا الكتاب وهذا الإنسان، واجتهدتم علىٰ تحصيل هذا الكتاب الذي أتىٰ به عندكم، فلأيِّ حالٍ لم تتَّبعوه، ولا سيما وفي الكتاب يقول: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]؟!

أجابوا قائلين: لأحوالٍ شتىٰ.

قال: فقلت: وما هي؟

قالوا: منها: أن الكتاب عربيٌّ، وليس بلساننا، حسب ما جاء فيه، يقول: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [يوسف: ٢]، وقال: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، وقال

(١) Damian من طائفة الروم الملكيين، وفيهم غير واحد بهذا الاسم. وتحرفت نسبته في (و، ي) إلىٰ «المللي». (د، ع) وط. النيل: «ديان الملك».
(٢) (و، ي): «إنا سمعنا».
(٣) في رسالة بولس الأنطاكي: «يذكر».

في سورة الشعراء: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ١٩٨ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٨ - ١٩٩]، وقال في سورة البقرة: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]، وقال في سورة آل عمران: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(١) [آل عمران: ١٦٤]، وقال تعالىٰ في سورة القصص: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٦]، وقال في سورة السجدة: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة: ٣]، وقال في سورة يس: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [يس: ٦].

قالوا: فلما رأينا هذا علمنا أنه لم يأتِ إلينا، بل إلىٰ جاهلية العرب الذين قال(٢): إنه لم يأتهم رسولٌ ولا نذيرٌ من قبله، وأنه لا يلزمنا اتباعه؛ لأننا نحن قد أتانا رسلٌ من قبله، خاطبونا بألسنتنا، وأنذرونا بديننا الذي نحن متمسِّكون به يومنا هذا، وسلَّموا إلينا التوراة والإنجيل بلغاتنا، علىٰ ما يشهد لهم هذا الكتاب الذي أتىٰ به هذا الرجل، حيث يقول في سورة إبراهيم: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقال في سورة النحل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل: ٣٦]، وقال في سورة الروم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الروم: ٤٧]؛ فقد صحَّ في هذا الكتاب أنه لم يأتِ إلا إلىٰ الجاهلية من العرب.

---

(١) من قوله: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ إلىٰ آخر الآية ساقط من ط. العاصمة.

(٢) أي القرآن. وفي (ع): «قالوا»، وهو خطأ.

وأما قوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، فيريد - بحسب مقتضىٰ العدل - قومَه الذين أتاهم بلغتهم، لا غيرهم ممَّن لم يأتهم بما جاء فيه. ونعلم أن الله عدلٌ، وليس مِن عدله أن يطالِبَ يوم القيامة أمةً من الأمم(١) باتباع إنسانٍ لم يأتِ إليهم، ولا وقَفوا له علىٰ كتابٍ بلسانهم، ولا من جهة داعٍ من قبله.

هذه ألفاظهم بأعيانها في الفصل الأول(٢).

وهذا الفصل لم يتعرَّضوا فيه لا لتصديقه ولا لتكذيبه، بل زعموا أن في نفس هذا الكتاب أنه لم يقل: إنه مرسلٌ إليهم، بل إلىٰ جاهلية العرب، وإن العقل أيضًا يمنع أن يرسَل إليهم.

فنحن نبدأ بالجواب عن هذا، ونبيِّن أنه ﷺ أخبر أنه مرسلٌ إليهم وإلىٰ جميع الإنس والجنِّ، وأنه لم يقل قطُّ: إنه لم يرسَل إليهم، ولا في كتابه ما يدلُّ علىٰ ذلك، وأن ما احتجُّوا به من الآيات التي غلطوا في معرفة معناها، فتركوا النصوص الكثيرة الصريحة في كتابه التي تبيِّن أنه مرسلٌ إليهم، من جنس ما فعلوه في التوراة والإنجيل والزبور وكلام الأنبياء، حيث تركوا النصوص الكثيرة الصريحة، وتمسَّكوا بقليلٍ من المتشابه الذي لم يفهموا معناه.

ومعلومٌ أن الكلام في صدق مدَّعي الرسالة وكذِبه متقدِّمٌ علىٰ الكلام في عموم رسالته وخصوصها، وإن كان قد يُعْلَم أحدُهما قبل الآخر، لكن هؤلاء القوم ادَّعوا خصوصَ رسالته، وذكروا أن القرآن يدلُّ علىٰ ذلك.

فنجيب عمَّا ذكروه علىٰ حسب ترتيبهم فصلًا فصلًا، فنقول وبالله التوفيق:

---

(١) «من الأمم» ساقطة من ط. العاصمة.

(٢) رسالة بولس الأنطاكي (٤١٣- ٤١٤).

الكلام فيمن خاطب الخلقَ بأنه رسول الله إليهم، كما فعل محمدٌ ﷺ وغيره ممَّن قال: إنه رسول الله، كإبراهيم وموسىٰ ونحوهما من الرسل[1] الصادقين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وآل كلٍّ من الصَّالحين، وكمسيلمة الكذاب والأسود العَنسِيِّ ونحوهما من المتنبِّئين الكاذبين = ينبني علىٰ أصلين:

أحدهما: أن يُعْرَف ما يقوله في خبره وأمره، فيُعْرَف ما يخبر به ويأمر به، وهل قال: إنه رسول الله إلىٰ جميع الناس، أو قال: إنه لم يرسَل إلا إلىٰ طائفةٍ معيَّنة لا إلىٰ غيرها؟

والثاني: أن يُعْرَف هل هو صادقٌ أو كاذب؟

وبهذين الأصلين يتمُّ الإيمان المفصَّل، وهو معرفة صدق الرسول، ومعرفة ما جاء به.

وأما الإيمان المجمل فيحصل بالأول، وهو معرفة صدقه فيما جاء به، كإيماننا بالرسل المتقدمة، وقد يُعْلَم صدقُه أو كذبه قبل أن يُعْلَم ما يذكره، وقد يُعْلَم ما يذكره قبل أن يُعْلَم صدقُه أو كذبه[2].

وهؤلاء بدؤوا في كتابهم هذا بما ذكره الرسول ممَّا زعموا أنه حجَّةٌ لهم علىٰ عدم وجوب اتباعه، وعلىٰ مدح دينهم الذي هم اليوم عليه بعد النسخ والتبديل، ثم ذكروا حججًا مستقلَّة علىٰ صحة دينهم، ثم ذكروا ما يقدح فيه وفي دينه؛ فلهذا قدَّمنا الجواب عمَّا احتجُّوا به من القرآن، كما قدَّموه في كتابهم.

---

(١) (د، ع): «الأنبياء».

(٢) من قوله: «قبل أن يُعْلَم ما يذكره» إلىٰ هنا ساقط من ط. العاصمة.

فصل

ودلائل صدق النبي الصادق، وكذب المتنبِّي الكذاب، كثيرةٌ جدًّا.

فإن من ادَّعىٰ النبوَّة وكان صادقًا فهو من أفضل خلق الله وأكملهم في العلم[1] والدِّين، فإنه لا أحد أفضل من رسل الله وأنبيائه صلوات الله عليهم وسلامه، وإن كان بعضهم أفضل من بعض، كما قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥].

وإن كان المدَّعي للنبوة كاذبًا فهو من أكفر خلق الله وشرِّهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٣٢ - ٣٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

فالكذب أصلٌ للشرِّ، وأعظمُه الكذبُ علىٰ الله ﷻ، والصدق أصلٌ للخير[2]، وأعظمُه الصدقُ علىٰ الله تبارك وتعالىٰ.

---

(١) (د، ع): «العدل».

(٢) (د، ع): «الخير».

وفي الصَّحيحين[1] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلىٰ البرِّ، وإن البرَّ يهدي إلىٰ الجنة، ولا يزال الرجل يَصْدُق ويتحرَّىٰ الصدق حتىٰ يُكْتَب عند الله صدِّيقًا. وإياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلىٰ الفجور، وإن الفجور يهدي إلىٰ النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرَّىٰ الكذب حتىٰ يُكْتَب عند الله كذابًا**».

ولمَّا كان هذا في[2] أعلىٰ الدرجات، وهذا في أسفل الدَّركات، كان بينهما من الفروق والدلائل والبراهين التي تدلُّ علىٰ صدق أحدهما[3] وكذب الآخر ما يظهر لكل من عرف حالهما. ولهذا كانت دلائل الأنبياء وأعلامهم الدالة علىٰ صدقهم كثيرةً متنوعة، كما أن دلائل كذب المتنبِّئين كثيرةً متنوعة، كما قد بُسِط في موضعٍ آخر[4].

---

(١) صحيح البخاري (٦٠٩٤)، وصحيح مسلم (٢٦٠٧).

(٢) ط. العاصمة: «من». وهو خطأ مخالف للأصول.

(٣) ط. العاصمة: «أحدها». وهو خطأ مخالف للأصول.

(٤) بسط القول في ذلك في قاعدته في النبوات.

فصل

إذا عُرِف هذا، فهؤلاء القوم في هذا المقام ادَّعوا أن محمدًا ﷺ لم يُرسَل إليهم، بل إلىٰ أهل الجاهلية من العرب.

فهذه الدعوىٰ علىٰ وجهين:

إما أن يقولوا: إنه بنفسه لم يدَّعِ أنه أُرسِل إليهم، ولكنَّ أمته ادَّعوا له ذلك.

وإما أن يقولوا: إنه ادَّعىٰ أنه أُرسِل إليهم، وهو كاذبٌ في هذه الدعوىٰ.

وكلامهم في صدر هذا الكتاب يقتضي الوجه الأول. وفي آخره قد يقال: إنهم أشاروا إلىٰ الوجه الثاني، لكنهم في الحقيقة لم ينكروا رسالته إلىٰ العرب، وإنما أنكروا رسالته إليهم، وأما رسالته إلىٰ العرب فلم يصرِّحوا بتصديقه فيها ولا بتكذيبه، [وإن كان ظاهر لفظهم يقتضي الإقرار برسالته إلىٰ العرب][1]، بل صدَّقوا بما وافق قولهم وكذَّبوا بما خالف قولهم.

ونحن نبيِّن أنه لا يصحُّ احتجاجهم بشيءٍ ممَّا جاء به النبيُّ ﷺ.

ثم نتكلَّم علىٰ الوجهين جميعًا، ونبيِّن أنه لا يصحُّ احتجاجهم بشيءٍ من القرآن علىٰ صحَّة دينهم بوجهٍ من الوجوه، ونبيِّن أن القرآن لا حجَّة فيه لهم ولا فيه تناقض.

وكذلك كتب الأنبياء المتقدِّمين التي يحتجُّون بها هي حجَّةٌ عليهم، ليس في شيءٍ منها حجَّةٌ لهم ولو لم يُبعَث محمدٌ ﷺ، فكيف والكتاب الذي جاء به محمدٌ ﷺ موافقٌ لسائر كلام الأنبياء عليهم السلام في إبطال دينهم وقولهم في

---

(١) زيادة من ط. النيل، وليست في الأصول التي معنا، ويشبه أن يكون لحقًا في طرة (ت)، كنظائره.

التثليث والاتحاد وغير ذلك، مع العقل الصريح؟!

فهم احتجُّوا في كتابهم هذا بالقرآن، وبما جاءت به الأنبياء قبل محمدٍ ﷺ، مع العقل، ونحن نبيِّن أنه لا حجَّة لهم فيما جاء به محمدٌ ﷺ، ولا فيما جاءت به الأنبياء قبله، ولا في العقل. بل ما جاء به محمدٌ ﷺ وما جاءت به الأنبياء قبله، مع صريح العقل، كلُّها براهين قطعية علىٰ فساد دينهم.

ولكن نذكر قبل ذلك أن احتجاجهم بما جاء عن النبي ﷺ لا يصحُّ بوجهٍ من الوجوه، وأنه لا يجوز أن يَحتجَّ بمجرَّد المنقول عن محمد ﷺ من يكذِّبه في كلمةٍ واحدة ممَّا جاء به، وكذلك كلام[1] سائر الأنبياء عليهم السلام، بخلاف الاحتجاج بكلام غير الأنبياء، فإن ذلك يمكن موافقة بعضه دون بعض، وأما ما أخبَرت به الأنبياء عليهم السلام، أو من قال: إنه نبيٌّ، فلا يمكن الاحتجاج ببعضه دون بعض، سواءٌ قُدِّر صدقُهم أو كذبهم.

فيقال لهم - علىٰ كل تقدير، سواءٌ أقرُّوا بنبوَّته إلىٰ العرب أو غيرهم، أو كذَّبوه في قوله: إنه رسول الله[2]، أو سكتوا عن هذا وهذا، أو صدَّقوه في البعض دون البعض -: إن احتجاجكم علىٰ صحة ما تخالفون[3] فيه المسلمين ممَّا جاء به محمدٌ ﷺ لا يصحُّ بوجهٍ من الوجوه؛ فاحتجاجكم علىٰ أنه لم يرسَل إليكم أو علىٰ صحة دينكم بشيءٍ من القرآن حجَّةٌ داحضةٌ علىٰ كل تقدير.

مع أنا سنبيِّن - إن شاء الله تعالىٰ - أن الكتب الإلهيَّة كلَّها مع المعقول لا حجَّة لكم في شيءٍ منها، بل كلها حجَّةٌ عليكم[4].

---

(١) ليست في (و).

(٢) ط. النيل: «رسول الله مطلقًا».

(٣) (ي، د، ع): «احتجاجهم علىٰ صحة ما يخالفون».

(٤) (١/ ١٩٢- ٢/ ٤٩٩).

وهذا بخلاف المسلمين، فإنه يصحُّ احتجاجهم علىٰ أهل الكتاب اليهود والنصارىٰ بما جاءت به الأنبياء قبل محمد ﷺ، وأهل الكتاب لا يصحُّ احتجاجهم بما جاء به محمد ﷺ؛ وذلك أن المسلمين مقرُّون بنبوة موسىٰ وعيسىٰ وداود وسليمان وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام، وعندهم يجبُ الإيمان بكل كتابٍ أنزله الله، وبكل نبيٍّ أرسله الله، وهذا أصلُ دين المسلمين، فمن كفر بنبيٍّ واحدٍ أو كتابٍ واحدٍ فهو عندهم كافر، بل من سبَّ نبيًّا من الأنبياء فهو عندهم كافرٌ مباح الدم، كما قال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ (١٣٦) فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٦، ١٣٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

و«الكتاب» اسمُ جنسٍ لكل كتابٍ أنزله الله، يتناول التوراة والإنجيل، كما يتناول القرآن، كقوله تعالىٰ: ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُ﴾ [الشورىٰ: ١٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾، وفي القراءة الأخرى[1]: ﴿وكتابه﴾[2].

وقوله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١ - ٥]، فذكر أن هذا الكتاب الذي أنزل عليه هدًىٰ للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، والذين يؤمنون بما أنزل إليه وما أنزل من قبله، وبالآخرة هم يوقنون. ثم أخبر أن هؤلاء هم المفلحون، فحصَر الفلاح في هؤلاء، فلا يكون مفلحًا إلا من كان من هؤلاء.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ هو صفةٌ للمذكورين، ليس هؤلاء صنفًا آخر؛ فإن عطف الشيء علىٰ الشيء قد يكون لتغاير الصفات وإن كانت الذاتُ واحدة. هذا هو الصَّحيح هنا.

وإن كان قد قيل: إن الصنف الثاني مؤمنُ[3] أهل الكتاب، والأول هم المسلمون[4]، فهذا ضعيف.

---

(١) قرأ بها حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (١٩٥)، و«معاني القراءات» للأزهري (١/ ٢٣٨).

(٢) زادت (و) وتبعتها ط. النيل والعاصمة: «كقوله تعالىٰ: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾»، وهو تكرارٌ وسهوٌ من الناسخ.

(٣) ط. العاصمة: «مؤمنو»، خلاف الأصول وط. النيل.

(٤) يروىٰ عن ابن عباس وغيره، واختاره ابن جرير (١/ ٢٤٤، ٢٤٦). وانظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ١٩٩، ٢٧/ ٢٧٥)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٧٠).

وأفسد منه قول هؤلاء النصارىٰ: إن «الكتاب» المراد به الإنجيل، كما سيأتي الكلام علىٰ ذلك إن شاء الله تعالىٰ(١).

والعطفُ لتغاير الصفات، كقوله تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١ - ٥]، وهو سبحانه الذي خلق فسوىٰ، والذي قدر فهدىٰ، والذي أخرج المرعىٰ، فجعله غثاء أحوىٰ. وقوله تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ٥] إلىٰ آخر الآيات(٢).

وكذلك قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ هم الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة، وممَّا رزقناهم ينفقون، وهم الذين علىٰ هدًىٰ من ربهم، وهم المفلحون.

ولكن فصَّل إيمانهم بعد أن أجمله لئلَّا يظنَّ ظانٌّ أن مجرَّد دعوىٰ الإيمان بالغيب ينفعُ وإن لم يؤمن بما أنزِل إلىٰ محمدٍ ﷺ وما أنزل إلىٰ من قبله. فلو قال أحد من الناس: أنا أؤمن بالغيب، وهو مع ذلك لا يؤمن ببعض ما أنزل علىٰ محمدٍ ﷺ، أو ببعض ما أنزل علىٰ من قبله، لم يكن مؤمنًا حتىٰ يؤمن بجميع ما أنزِل إليه وما أنزل إلىٰ من قبله.

ولو كانوا صنفًا آخر لكان المفلحون قسمين:

قسمًا يؤمنون بالغيب، ولا يؤمنون بما أنزِل إليه وما أنزل إلىٰ من قبله.

---

(١) (١/ ٤٤٧ - ٤٤٩).

(٢) انظر: «بيان تلبيس الجهمية» (٨/ ٤٩٨)، و«النبوات» (٧٥٩)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٩).

وقسمًا يؤمنون بما أنزِل إليه وما أنزِل إلىٰ من قبله، ولا يؤمنون بالغيب.

وهذا باطلٌ عند جميع الأمم: المؤمنين واليهود والنصارىٰ؛ فإن الإيمان بما أنزِل إليه وإلىٰ من قبله يتضمَّن الإيمانَ بالغيب، والإيمانُ بالغيب لا يتمُّ إلا بالإيمان[1] بجميع ما أنزله الله ﷻ.

والمسلمون لا يستجيز أحدٌ منهم التكذيبَ بشيءٍ ممَّا أُنزِل علىٰ مَن قبلَ[2] محمَّدٍ ﷺ.

لكن الاحتجاج بذلك عليهم يحتاج إلىٰ ثلاث مقدمات:

إحداها[3]: ثبوت ذلك عن الأنبياء عليهم السلام.

والثانية: صحَّة الترجمة إلىٰ اللسان العربي، أو اللسان الذي يخاطَب به، كالرُّومي والسُّرياني؛ فإن لسان موسىٰ وداود والمسيح وغيرهم من أنبياء بني إسرائيل كان عِبرانيًّا[4]، ومن قال: إن لسان المسيح كان سُريانيًّا أو روميًّا فقد غلط[5].

والثالثة: تفسير ذلك الكلام ومعرفة معناه.

فلهذا كان المسلمون لا يردُّون شيئًا من الحجج بتكذيب أحدٍ من الأنبياء في شيءٍ قاله، ولكن قد يكذِّبون الناقل عنهم، أو يفسِّرون المنقول عنهم بما أرادوه أو بمعنًىٰ آخر علىٰ وجه الغلط.

---

(١) (و، د، ع): «بأن يؤمن».
(٢) ط. النيل: «كان قبل».
(٣) (و، ي): «أحدها ... والثاني ... والثالث».
(٤) (و، د، ع، ي): «كانت عبرانية». والمثبت من ط. النيل.
(٥) انظر: «التسعينية» (٨١٨)، وما سيأتي (١/ ٣١٠، ٢/ ٧٩).

وإن كان بعض المسلمين قد يغلط في تكذيب بعض النقل، أو تأويل بعض المنقول عنهم، فهو كما يغلط من يغلط منهم ومن سائر أهل الملل في التكذيب على وجه الغلط ببعض ما يُنقَل عمَّن يقرُّ بنبوَّته أو في تأويل المنقول عنه، وهذا بخلاف تكذيب نفس النبيِّ؛ فإنه كفرٌ صريحٌ به[1].

بخلاف أهل الكتاب؛ فإنه لا يتمُّ مرادهم إلا بتكذيبهم ببعض ما أنزل الله، ومتى كذَّب بكلمةٍ واحدة ممَّا أخبر به من قال: إنه رسول الله بطل احتجاجُه بسائر كلامه، فكانت حجَّتهم التي يحتجُّون بها داحضة.

وذلك أن الذي يقول: إنه رسول الله، إما أن يكون صادقًا في قوله: إني رسول الله، وفي جميع ما يخبر به عن الله، وإما أن يكون كاذبًا ولو في كلمةٍ واحدة عن الله.

فإن كان صادقًا في ذلك امتنع أن يكذِب على الله في شيء ممَّا يبلِّغه عن الله؛ فإن من كذَب على الله ولو في كلمةٍ واحدة كان ممن افترى على الله الكذب، ولم يكن رسولًا من رسل الله.

ومن افترى على الله الكذب تبيَّن أنه من المتنبئين الكذابين، ومثل هذا لا يجوز أن يُحْتَجَّ بخبره عن الله؛ فإنه قد عُلِم أن الله لم يرسله.

وإذا قال هو قولًا، وكان صدقًا، كان كما يقوله غيرُه، لا يُقْبَلُ[2] لأنه بلَّغه عن الله ولا لأنه رسولٌ عن الله، بل كما يُقْبَلُ من المشركين وسائر الكفار ما يقولونه من الحقِّ؛ فإن عبَّاد الأوثان إذا قالوا عن الله ما هو حقٌّ، مثل إقرار مشركي العرب بأن الله خلق السماوات والأرض، لم نكذِّبهم في ذلك وإن كانوا كفارًا، وكذلك إذا قال الكافر: إن الله حيٌّ قادرٌ خالق، لم نكذِّبه في هذا القول.

---

(١) ليست في (و) وتبعتها ط. النيل وما تلاها، وإثباتها ضروري.

(٢) ط. النيل وما تبعها: «يقبل لا»، والمثبت من الأصول، وهما بمعنًى.

فمن كذب على الله في كلمةٍ واحدةٍ قال: إن الله أنزلها عليه، ولم يكن الله أنزلها عليه، فهو من الكذَّابين الذين لا يجوز أن يُحْتَجَّ بشيءٍ من أقوالهم التي يقولون: إنهم يبلِّغونها عن الله ﷻ، وما قالوه غير ذلك فهم فيه كسائر الناس، بل كأمثالهم من الكذَّابين، إن عُرِفَ صحةُ ذلك القول من جهة غيرهم قُبِل؛ لقيام الدليل على صحَّته، لا لكونهم قالوه، وإن لم يُعْرَف صحَّتُه من جهة غيرهم لم يكن في قولهم له مع ثبوت كذبهم على الله حجَّة.

وحينئذٍ، فهؤلاء إن أقرُّوا برسالة محمدٍ ﷺ، وأنه صادقٌ فيما بلَّغه عن الله من الكتاب والحكمة، وجب عليهم الإيمانُ بكل ما ثبت عنه من الكتاب والحكمة، كما يجب الإيمانُ بكل ما جاءت به الرسل.

وإن كذَّبوه في كلمةٍ واحدةٍ أو شكُّوا في صدقه فيها، امتنع مع ذلك أن يقرُّوا بأنه رسول الله، وإذا لم يقرُّوا بأنه رسول الله كان احتجاجهم بما قاله كاحتجاجهم بسائر ما يقوله مَن ليس من الأنبياء، بل من الكذَّابين أو من المشكوك في صدقهم.

ومعلومٌ أن من عُرِف كذبُه على الله فيما يقول إنه يبلِّغه عن الله أو شُكَّ في صدقه، لم يُعْلَم[1] أنه رسول الله، ولا أنه صادقٌ في كل ما يقوله ويبلِّغه عن الله. وإذا لم يُعْلَم ذلك منه لم يُعْرَف أن الله أنزل إليه شيئًا، بل إذا عُرِف كذبُه عُرِف أن الله لم ينزل إليه شيئًا ولا أرسله، كما عُرِف كذبُ مُسَيْلِمة الكذَّاب، والأسود العَنْسِي، وطُلَيْحَة الأسَدي، وغيرهم[2]، وكما عُرِف كذبُ مَانِي[3]،

(١) (و): «لا يعلم».
(٢) ليست في (و).
(٣) ماني بن فاتك الحكيم، مجوسي الأصل، وقيل: كان من أساقفة النصارى، ثم ادعى النبوة وأحدث دينًا بين المجوسية والنصرانية، وإليه تنسب «المانوية»، قتله بهرام بن هرمز ملك الفرس. انظر: «الملل والنحل» (٢/ ٤٩)، و«المنتظم» (٢/ ٨٧)، و«درء التعارض» (٥/ ٣٦٢)، وما سيأتي (١/ ٣٢٥، ٣/ ١٢٥).

وأمثاله[1] من المتنبئين الكذابين.

وإذا شُكَّ في صدقه في كلمةٍ واحدة، بل جُوِّز أن يكون كَذَبها عمدًا أو خطأً، لم يَجُز تصديقُه مع ذلك في سائر ما يبلِّغه عن الله؛ لأن تصديقه فيما يخبر به عن الله إنما يكون إذا كان رسولًا صادقًا لا يكذِب عمدًا ولا خطأً، فإن كل من أرسله الله لا بدَّ أن يكون صادقًا في كل ما يبلِّغه عن الله، لا يكذِب فيه عمدًا ولا خطأً.

وهذا أمرٌ اتفق عليه الناسُ كلهم: المسلمون، واليهود، والنصارىٰ، وغيرهم، اتفقوا علىٰ أن الرسول لا بدَّ أن يكون صادقًا معصومًا فيما يبلِّغه عن الله، لا يكذِب علىٰ الله خطأً ولا عمدًا؛ فإن مقصود الرسالة لا يحصل بدون ذلك، كما قال موسىٰ عليه السلام لفرعون: ﴿يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٠٤ - ١٠٥]. وفي القراءة المشهورة[2] يخبر أنه جديرٌ وحريٌّ وثابتٌ ومستقرٌّ علىٰ أن لا يقول[3] علىٰ الله إلا الحق، وعلىٰ القراءة الأخرىٰ[4] أخبر أنه واجبٌ عليه أن لا يقول علىٰ الله إلا الحق.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٧]، وقال تعالىٰ: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾

(١) ط. العاصمة: «وأمثاله وغيرهم»، وهو خطأ. وضرب علىٰ «وغيرهم» في (و، د).
(٢) قراءة (علىٰ) بالتخفيف. وبها قرأ عامة القراء غير نافع فقرأ (عليَّ) بتشديد الياء. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (٢٨٧)، و«حجة القراءات» لابن زنجلة (٢٨٩).
(٣) (د، ي، ع): «أقول».
(٤) قراءة (عليَّ) بتشديد الياء.

[الشورى: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠١ - ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ الآية [يونس: ١٥]، وهذا لبسطه موضعٌ آخر(١).

وإنما المقصود هنا أن احتجاجهم بكلمةٍ واحدة ممَّا جاء به محمدٌ ﷺ لا يصحُّ بوجهٍ من الوجوه:

فإنه إن كان رسولًا صادقًا في كل ما يخبر به عن الله ﷻ فقد عَلِم كلُّ أحدٍ(٢) أنه جاء بما يخالف دينَ النصارىٰ، فيلزم إذا كان رسولًا صادقًا أن يكون دينُ النصارىٰ باطلًا.

وإن قالوا في كلمةٍ واحدة ممَّا جاء به: إنها باطلة، لزم أن لا يكون عندهم رسولًا صادقًا مبلغًا عن الله. وحينئذٍ، فسواءٌ قالوا: هو ملِكٌ عادل، أو هو عالمٌ من العلماء، أو هو رجلٌ صالحٌ من الصالحين، أو جعلوه قدِّيسًا عظيمًا من أعظم القَدَادِيس(٣)، فمهما عظَّموه به ومدحوه به لِمَا رأوه من محاسنه الباهرة

---

(١) (ي، ع، د): «بسطه في موضع آخر». وانظر: «شرح الأصبهانية» (٧٢٥)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ١٥٤)، وما سيأتي (١/ ٢٤٥).

(٢) (و): «واحد».

(٣) جمع قدِّيس، وهو استعمالٌ قليل، ووقع كذلك في «مجموع الفتاوىٰ» (١٧/ ٣٣١، ٤٥٥، ١٩/ ٤٧)، وما سيأتي (٣/ ٣٦٣)، والأشهر استعماله جمعًا للقُدَّاس، من صلوات النصارىٰ. وفي ط. النيل وما تلاها: «القديسين» علىٰ الجادة. والمثبت من الأصول.

وفضائله الظاهرة وشريعته الطاهرة، متىٰ كذَّبوه في كلمةٍ واحدة ممَّا جاء به أو شكُّوا فيها كانوا مكذِّبين له في قوله: إنه رسول الله، وأنه بلَّغ هذا القرآن عن الله.

ومن كان كاذبًا في قوله: إنه رسول الله، لم يكن من الأنبياء والمرسلين، ومن لم يكن منهم لم يكن قوله حجَّةً البتة، لكن له أسوة أمثاله، فإن عُرِف صحةُ ما يقوله بدليل منفصل قُبِل القول؛ لأنه عُرِف صدقُه من غير جهته، لا لأنه قاله، وإن لم يُعْرَف صحةُ القول لم يُقْبَل.

فتبيَّن أنه إن لم يُقِرَّ المُقِرُّ لمن ذَكَر أنه رسول الله بأنه صادقٌ في كل ما يبلِّغه عن الله، معصومٌ عن استقرار الكذب خطأً وعمدًا[١]، لم يصحَّ احتجاجُه[٢] بقوله.

وهذا الأصل يُبْطِل قول عقلاء أهل الكتاب، وهو لقول جهَّالهم أعظمُ إبطالًا، فإن كثيرًا من عقلاء أهل الكتاب - أو أكثرهم[٣]- يعظِّمون محمدًا ﷺ؛ لِمَا دعا إليه من توحيد الله تعالىٰ، ولِمَا نهىٰ عنه من عبادة الأوثان، ولِمَا صدَّق التوارة والإنجيل والمرسلين قبله، ولِمَا ظهَر من عظمة القرآن الذي جاء به، ومحاسن الشريعة التي جاء بها، وفضائل أمَّته التي آمنت به، ولِمَا ظهر عنه وعنهم من الآيات والبراهين والمعجزات والكرامات.

لكن يقولون مع ذلك: إنه بُعِث إلىٰ غيرنا، وإنه ملكٌ عادل، له سياسةٌ عادلة، وإنه مع ذلك[٤] حصَّل علومًا من علوم أهل الكتاب وغيرهم، ووَضَع لهم ناموسًا

(١) (و): «أو عمدا».
(٢) ط. النيل: «احتجاجهم»، وهو خطأ. وتبعتها ط. العاصمة خلافًا للأصول.
(٣) (و) وط. العاصمة: «وأكثرهم»، وعلىٰ الصواب في باقي الأصول وط. النيل.
(٤) (ي، د، ع): «او انه ملك عادل... او انه مع ذلك».

بعلمِه ودينِه[1]، كما وضع أكابرهم لهم القوانينَ والنواميسَ التي بأيديهم.

ومهما قالوه من هذا فإنهم لا يصيرون به مؤمنين به، ولا يسُوغ لهم بمجرَّد ذلك الاحتجاجُ بشيءٍ ممَّا قاله؛ لأنه قد عُرِف بالنقل المتواتر الذي يعلمه جميعُ الأمم من جميع الطوائف أنه قال: إنه رسول الله إلىٰ جميع الناس، وأن الله أنزل عليه القرآن. فإن كان صادقًا في ذلك، فمن كذَّبه في كلمةٍ واحدة فقد كذَّب رسول الله، ومن كذَّب رسول الله فهو كافر. وإن لم يكن صادقًا في ذلك لم يكن رسولًا لله، بل كان كاذبًا، ومن كان كاذبًا علىٰ الله يقول: إن[2] الله أرسلني بذلك، ولم يرسِله به، لا يجوز أن يُحْتَجَّ بشيءٍ من أقواله.

وأما من كان من جهلاء أهل الكتاب الذين يقولون: إنه كان مَلِكًا مسلَّطًا عليهم، وإنه رسولُ غضبٍ أرسله الله إرسالًا كونيًّا لا دينيًّا[3] لينتقم به منهم، كما أرسَل بُخْت نَصَّر وسِنْحَارِيب[4] علىٰ بني إسرائيل، وكما أرسَل جَنْكِس خان وغيره من الملوك الكافرين والظالمين ممَّا ينتقِم به ممَّن عصاه، فهؤلاء أعظم تكذيبًا له وكفرًا به من أولئك؛ فإن هؤلاء الملوك لم يقل أحدٌ منهم: إن الله أنزل عليه كتابًا، ولا أن هذا الكلام الذي أبلِّغه إليكم هو كلام الله، ولا أن الله أمركم أن تصدِّقوني فيما أخبرتكم به، وتطيعوني فيما أمرتكم به، ومن لم يصدِّقني باطنًا وظاهرًا فإن الله يعذِّبه في الدنيا والآخرة، بل هؤلاء أرسلَهم إرسالًا كونيًّا قدَّره وقضاه، كما يرسِل الريحَ بالعذاب، وكما يرسِل الشياطين،

(١) أي بما معه من العلم والدين. وهو تركيبٌ مألوفٌ في كلام شيخ الإسلام كثير الوقوع. وفي ط. النيل والعاصمة: «بعلمه ورتبه»، خلاف الأصول.

(٢) ليست في (و).

(٣) «لا دينيًّا» ساقطة من ط. العاصمة، وهي في الأصول وط. النيل.

(٤) من ملوك الفرس ببابل، وهم ملوك الصابئة بعد الخليل إبراهيم عليه السلام. انظر: «المعارف» (٤٦، ٥٠)، و«تاريخ الأمم والملوك» (١/ ٥٣٢)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٢/ ٤٤٦)، و«تاج العروس» (٤/ ٤٣٧، ١٤/ ٢٢٦).

قال تعالىٰ: ﴿أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ [الإسراء: ٤ - ٥].

وهذا بخلاف قوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [نوح: ١]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ [المزمل: ١٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٣- ١٦٥]، فإن هذا يعني به الإرسال الدِّينيَّ الذي يحبُّه تعالىٰ ويرضاه، الذي هدىٰ به من اتَّبعهم وأدخله في رحمته، وعاقب من عصاهم وجعله من المستوجبين للعذاب، وهو الإرسال الذي أوجب الله به طاعة من أرسله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]، وقال تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وهذه الرسالة التي أقام بها الحجَّة علىٰ الخلق، كما قال تعالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، وهذا كما اصطفىٰ روحَ القُدس جبريل عليه السلام؛ لنزوله بالقرآن علىٰ من اصطفاه من البشر وهو محمدٌ ﷺ.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠١ - ١٠٢]، فأخبر أنه نزل به جبريل، وسمَّاه «الروح الأمين»، وسمَّاه «روح القُدس».

وقد ذكره أيضًا في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١]، ثم قال: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِظَنِينٍ(١) ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٢ - ٢٩]، فهذا الرسول جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٠ - ٤٧]، فهذا الرسول محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأما الإرسال الكوني الذي قدَّره وقضاه، مثل إرسال الرياح، وإرسال

(١) كذا في الأصول، وهي قراءة أبي عمرو، قراءة المصنف وأهل الشام لعهده.

الشياطين، فذلك نوعٌ آخر، قال تعالىٰ: ﴿أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ نُشْرًا[1] بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الفرقان: ٤٨].

والله تعالىٰ له الخلق والأمر.

فلفظ: الإرسال، والبعث، والإرادة، والأمر، والإذن، والكتاب، والتحريم، والقضاء، والكلام، ينقسم إلىٰ: خَلْقِيٍّ وأمرِيٍّ، كوني[2] ودينيٍّ.

وقد ذكرنا الإرسال.

وأما البعث، فقال تعالىٰ في البعث الدِّينيِّ[3]: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

وقال في الكونيِّ: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء: ٥]، وقال تعالىٰ: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣١].

وأما الإرادة، فقال تعالىٰ في الكونيَّة: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤].

---

(١) كذا في الأصول، وهي قراءة أبي عمرو.
(٢) ط. النيل والعاصمة: «وكوني»، وفي الأصول بلا واو.
(٣) «في البعث الديني» ساقط من ط. العاصمة.

وقال تعالىٰ في الإرادة الدِّينيَّة: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [النساء: ٢٦ - ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقال تعالىٰ في الأمر الكونيِّ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وكذلك في أظهر القولين[1] قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ [الإسراء: ١٦].

وأما الأمر الدِّينيُّ مثل قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

وأما الإذن الكونيُّ مثل قوله في السَّحرة: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

والدِّينيُّ مثل قوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦].

---

(١) انظر: «بيان تلبيس الجهمية» (٨/ ٤٢٠ - ٤٢٩)، و«شفاء العليل» لابن القيم (٤٨، ٢٨١).

والكتاب الكونيُّ مثل قوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقوله: ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

والدِّينيُّ مثل قوله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]، وقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ [البقرة: ١٧٨].

والقضاء الكونيُّ كقوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢].

والدِّينيُّ كقوله(١): ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، أي: أمَرَ.

والتحريم الكونيُّ مثل قوله: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ [القصص: ١٢]، وقوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦]، ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥].

والدِّينيُّ مثل قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾ [المائدة: ٣]، ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣].

والكلمات الكونيَّة مثل قول النبي ﷺ: **«أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهنَّ برٌّ ولا فاجر»**(٢)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾

---

(١) ساقطة من ط. العاصمة.

(٢) أخرجه أحمد (١٥٤٦١)، وأبو يعلى (٦٨٤٤) وغيرهما من حديث عبد الرحمن بن خنبش ﵁ في سياق خبر النبي ﷺ حين كادته الشياطين، وليس إسناده بالقوي، وقال البخاري كما في «الإصابة» (٦/ ٢٧٥): «في إسناده نظر». وجوَّده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٠٣)، وثبَّته شيخ الإسلام وذكر استفاضته. انظر: «جامع الرسائل» (١/ ١٠)، و«مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢٦). وشواهده كثيرة.

[التحريم: ١٢].

والدِّينيَّة مثل قول النبي ﷺ: «**اتقوا الله في النساء؛ فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله**»[(١)]، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿**قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ**﴾ [آل عمران: ٦٤].

وهذا مبسوطٌ في موضعٍ آخر[(٢)].

والمقصود هنا أنَّ[(٣)] تفرُّق أهل الكتاب في النبي ﷺ كلٌّ يقول فيه قولًا هو نظيرُ تفرُّقِ سائر الكفار؛ فإن الكفار بالأنبياء من عادتهم[(٤)] أن تقول كلُّ طائفةٍ فيه قولًا يناقض قول الطائفة الأخرىٰ، وكذلك قولهم في الكتاب الذي أُنزِل عليه، وأقوالهم كلُّها أقوالٌ مختلفةٌ باطلة.

وهذا هو الاختلافُ المذموم الذي ذكره الله تعالىٰ في قوله: ﴿**وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ**﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، وفي قوله: ﴿**إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ**﴾ [الذاريات: ٨، ٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿**وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ**﴾ [البقرة: ١٧٦]، وقوله: ﴿**وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ**﴾ [آل عمران: ١٠٥ - ١٠٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿**وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ**

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨) في حديث جابر ﵁ الطويل في صفة حج النبي ﷺ.
(٢) انظر: «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (١٩٤ - ٢٠١).
(٣) ساقطة من ط. النيل. وفي ط. العاصمة: «أنه»، وهو خطأ مخالف للأصول.
(٤) ط. العاصمة: «عاداتهم»، خلاف الأصول.

يَوۡمِ ٱلۡقِيَـٰمَةِ﴾ [المائدة: ١٤].

ومثال أقوال الكفار في الأنبياء ما ذكره تعالىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَـدًا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىۡءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرًا ۝٢ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡـهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَـٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِىَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡـهِ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦ وَقَالُواْ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِى فِى ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسۡحُورًا ۝٨ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ١ - ٩].

فبيَّن سبحانه أن الكفار ضربوا له أمثالًا كلها باطلة، ضلُّوا فيها عن الحق، فلا يستطيعون مع الضلال سبيلًا إلىٰ الحق.

وضربُ الأمثال له يتضمَّن تمثيلَه بأناسٍ آخرين، وجعلَه في تلك الأنواع التي ليس هو منها ولا مماثلًا لأفرادها، مثل قولهم: إنه[1] ﴿ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡـهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤]، مثَّلوه بالكاذب المستعين بمن يعينه علىٰ ما يفتريه، ومثَّلوه بمن يستكتبُ أساطيرَ الأوَّلين من غيره، فتُقْرَأ عليه طرفي النهار وهو يتعلم من أولئك ما يقوله، ومثَّلوه بالمسحور.

(١) (و، ي): «إنه إفك»، وغيَّرته ط. العاصمة إلىٰ «إن هذا إلا إفك» ليوافق لفظ الآية.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٥ - ٤٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٨٧ - ٩٦].

قال كثيرٌ من السلف: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ هم الذين عَضَهُوه، فقالوا: سِحْر، وشِعْر، وكهانة، ونحو ذلك(١).

كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٣٨ - ٥٢].

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير (١٤/ ١٣٧، ١٣٨).

وقال تعالىٰ: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ
شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ
أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ
مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور: ٢٩ - ٣٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ
لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن
يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟
بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟
ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾
أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ
﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ
وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ٢٠٩].

ثم قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾
إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾
وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ
عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ
﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ
﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ
يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا
يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا
ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢١٠ - ٢٢٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ
مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ
مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ
هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن
كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ
ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ
عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ
يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ
لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِۚ وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَيَأۡتِيَنَّهُم
بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾
يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾
[العنكبوت: ٤٦ - ٥٥].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ
صَٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣، ٣٤].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ
مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ
أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [هود: ١٣ - ١٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣ - ٢٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٤٩ - ٥١].

وقد أخبر تعالىٰ أن هذه سنَّة الكفار في الأنبياء قبله، كما قال: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٢ - ٥٣]، وقال تعالىٰ: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [فصلت: ٤٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقد أخبر سبحانه أن الكفار قالوا عن موسىٰ عليه السلام: إنه ساحر، وإنه مجنون، فقال فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧]، وقال[1]: ﴿يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ [الزخرف: ٤٩]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ [طه: ٧١].

وكذلك قالوا عن المسيح ابن مريم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ

(١) (و، ي): «وقالوا» ذهابًا للفظ الآية، والمثبت من (د، ع) أجود. وفي ط. العاصمة: «وقوله: وقالوا»، وهو خطأ مخالف للأصول.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [الصف: ٦].

وذكر تعالىٰ عن اليهود أنهم قالوا علىٰ مريم بهتانًا عظيمًا، فقول اليهود في المسيح من جنس أقوال الكفار في الأنبياء، وكذلك قول كفار أهل الكتاب في خاتم الأنبياء محمد ﷺ تسليمًا.

وإن قالوا: نحن مقصودنا بيان تناقضه، وأن كلامه ينقض بعضه بعضًا.

قيل: فهذا أيضًا يستلزم أنه ليس رسولًا صادقًا، فلا يصحُّ لكم الاحتجاج بشيءٍ من قوله علىٰ هذا التقدير، وإن كنا نحن نبيِّن أنه ولله الحمد قوله يصدِّق بعضه بعضًا، وكذلك يصدِّق قول الأنبياء قبله، وأن قول الأنبياء كلهم يوافق صريح العقل، فلا يتناقض شيءٌ من الحقِّ المعلوم بسمعٍ أو عقل(١).

فإذا عُلِمَ هذا فنقول بعد ذلك لمن قال: إنه رسولٌ أُرسِل إلىٰ العرب الجاهلية دون أهل الكتاب:

إنه من المعلوم بالضرورة لكلِّ من عَلِم أحواله، وبالنقل(٢) المتواتر الذي هو أعظمُ تواترًا ممَّا يُنقَل عن موسىٰ وعيسىٰ وغيرهما، وبالقرآن المتواتر عنه، وسنَّته المتواترة عنه، وسنَّة خلفائه الراشدين من بعده = أنه ﷺ ذَكَر أنه أُرسِل إلىٰ أهل الكتاب اليهود والنصارىٰ، كما ذَكَر أنه أُرسِل إلىٰ الأمِّيِّين، بل ذَكَر أنه أُرسِل إلىٰ جميع بني آدم عربهم وعجمهم، من الروم والفُرس والتُّرك والهند والبربر والحبشة وسائر الأمم، بل إنه أُرسِل إلىٰ الثَّقلين الجن والإنس جميعًا.

---

(١) من قوله: «وإن قالوا نحن مقصودنا» إلىٰ هنا ساقط من ط. العاصمة.

(٢) ط. العاصمة: «بالنقل»، وهو خطأ، والصواب المثبت من الأصول. وانظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٠٨).

وهـذا كلُّـه مـن الأمـور الظـاهرة المتـواترة عنـه التـي اتفـق علـىٰ نقلهـا عنـه أصحابه مع كثرتهم وتفرُّق ديارهم وأحوالهم، وقـد صحبه عشراتُ ألـوفٍ لا يحصي عـددهم علىٰ الحقيقـة إلا الله تعـالىٰ، ونقَـل ذلـك عـنهم التـابعون وهـم أضعاف الصحابة عددًا.

ثم ذلك منقولٌ قرنًا بعد قرنٍ إلىٰ زمننا، مع كثرة المسلمين وانتشـارهم في مشـارق الأرض ومغاربهـا، كمـا أخبَـر بـذلك قبـل أن يكـون، فقـال في الحـديث الصَّحيح: «**زُوِيَت لي الأرض، فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وسيبلغُ ملكُ أمتي مـا زُوِيَ لي منها**»(١).

وكان كمـا أخبَـر، فبلـغ ملـكُ أمَّتِـه طـرفي العمـارة شـرقًا وغربًـا، وانتشـرت دعوتـه في وسـط الأرض، كـالإقليم الثالـث والرابـع والخـامس(٢)؛ لأنهـم أكمـل عقولًا وأخلاقًا، وأعدل أمزجةً، بخـلاف طـرفي الجنـوب والشـمال؛ فـإن هـؤلاء نقصت عقولهم وأخلاقهم، وانحرفت أمزجتهم. أما طرف الجنـوب؛ فإنـه لقـوة الحـرارة احترقـت أخلاطهـم، فاسـودَّت ألـوانهم، وتجعَّـدت شـعورهم. وأمـا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨٩) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٢) الإقليم: أمـاكن تقطعهـا الشـمس في طلوعهـا وغروبهـا وارتفـاع درجهـا. والأقـاليم عنـد القـدماء في الجـزء المعمـور مـن الأرض سـبعةٌ علـىٰ هيئـة دوائـر، يقـع الإقلـيم الرابـع في وسطها، والأقاليم الستة الأخرىٰ تدور حوله. ويبتدئ الإقليم الثالـث مـن المشـرق، فيمـر علىٰ بلاد الصين، فبلاد الهند، إلىٰ جنوب العراق، ثم علىٰ بـلاد الشـام، فمصـر، إلـىٰ بـلاد المغرب. والإقليم الرابع وهو إقليم العـراق، ويقـال لـه: إقلـيم بابـل، يبتـدئ مـن المشـرق فيمر علىٰ بلاد التبت، ثم علىٰ خراسان ، إلىٰ أعالي العـراق والشـام، ثـم يمـر علـىٰ جزيـرة قبرص، إلىٰ شمال المغرب. والإقليم الخامس، وهو إقليم الروم، يبتدئ من المشـرق، ثـم يمر علىٰ شمال حرَّان، فـبلاد الـروم، إلـىٰ الأنـدلس، ثـم ينتهـي إلـىٰ بحـر المغـرب. انظـر: «التنبيـه والإشـراف» للمسـعودي (٢٩- ٣٠)، و«مـرآة الزمـان» لسـبط ابـن الجـوزي (١/ ٤٨- ٥٣).

طرف[1] الشمال؛ فلقوَّة البرد لم تنضُج أخلاطهم، بل صارت فِجَّة، فأفرطوا في سُبوطة الشعر، والبياض البارد الذي لا يُسْتَحْسَن[2].

ولهذا لمَّا ظهر الإسلام غلب أهلُه علىٰ وسط المعمورة، وهم أعدلُ بني آدم وأكملُهم، والنصارىٰ الذين تربَّوا تحت ذمَّة المسلمين أكملُ من غيرهم من النصارىٰ عقولًا وأخلاقًا، وأما النصارىٰ المحاربون للمسلمين الخارجون عن ذمَّتهم من أهل الجنوب والشمال فهم أنقصُ عقولًا وأخلاقًا، ولِمَا فيهم من نقص العقول والأخلاق ظهرت فيهم النصرانية دون الإسلام.

والمقصود أن محمدًا ﷺ هو نفسه دعا أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ إلىٰ الإيمان به وبما جاء به، كما دعا من لا كتاب له من العرب وسائر الأمم.

وهو الذي أخبر عن الله ﷻ بكفر من لم يؤمن به من أهل الكتاب وغيرهم، وبأنهم يَصْلَون جهنَّم وساءت مصيرًا، وهو الذي أمر بجهادهم، ودعاهم بنفسه ونوَّابه.

وحينئذٍ، فقولهم في الكتاب[3]: «لم يأت إلينا، بل إلىٰ الجاهليَّة[4] من العرب»، سواءٌ أرادوا أن الله بعثه إلىٰ العرب ولم يبعثه إلينا، أو أرادوا أنه ادَّعىٰ أنه أُرسِل إلىٰ العرب لا إلينا، فإنه قد عَلِم[5] جميعُ الطوائف أن محمدًا دعا

---

(١) (ت، و): «أهل طرف».

(٢) في «مفتاح دار السعادة» لابن القيم (١٢٧٢ - ١٢٧٩)، و«مقدمة ابن خلدون» (١/ ١٤٧ - ١٥٢) بحثٌ في المعتدل من الأقاليم والمنحرف، وتأثيرها في ألوان ساكنيها وطباعهم وأخلاقهم، وذلك بحسب معارف عصرهم وما انتهىٰ إليه علمهم.

(٣) رسالة بولس الراهب الأنطاكي (ص: ٤١٤).

(٤) (د، ي، ع): «الجاهلين». والمثبت من (ت، و) يوافق نص رسالة بولس.

(٥) (د، ي، ع): «ثبت وعلم»، وعلىٰ الصواب في (ت)، وضرب علىٰ «ثبت و» في (و).

اليهود والنصارىٰ إلىٰ الإيمان به، وذَكَر أن الله أرسله إليهم، وأمرَه[1] بجهاد من لم يؤمن به منهم.

فإذا قيل مع هذا: إنه قال: «لم أُبْعَث[2] إلا إلىٰ العرب» كان كذبًا[3] ظاهرًا عليه، سواءٌ صدَّقه الإنسان أو كذَّبه، فإن المقصود هنا أنه نفسَه دعا جميعَ أهل الأرض إلىٰ الإيمان به[4]، فدعا أهل الكتاب كما دعا الأمِّيِّين.

أما اليهود، فإنهم كانوا جيرانه في الحجاز وبالمدينة[5] وما حولها وخيبر، فإن المهاجرين والأنصار كلهم آمنوا به من غير سيفٍ ولا قتال، بل لِمَا ظهَر لهم من براهين نبوَّته ودلائل صدقه آمنوا به، وقد حصَل من الأذىٰ في الله لمن آمن بالله ما هو معروفٌ في السيرة[6].

وقد آمن به في حياته كثيرٌ من اليهود والنصارىٰ، بعضهم بمكة، وبعضهم بالمدينة، وكثيرٌ منهم كانوا بغير مكة والمدينة، فلما قدم المدينة عاهد من[7] لم يؤمن به من اليهود، ثم نقضوا العهد، فأجلىٰ بعضهم، وقتَل بعضهم؛ لمحاربتهم لله ورسوله.

وقد قاتلهم مرَّةً بعد مرَّة:

قاتل بني النضير، وأنزل الله تعالىٰ فيهم سورة الحشر.

---

(١) (د، ي، ع): «وأمر».

(٢) (د، ي، ع): «فإذا قيل مع هذا إنه لم يبعث». والصواب المثبت من (ت، و).

(٣) (و): «كان كاذبا كذبا». وضرب علىٰ «كاذبا» في (ت).

(٤) ليست في (و، ي، د، ع).

(٥) كذا في الأصول. وفي ط. النيل: «بالمدينة» دون الواو، وهو أجود.

(٦) من قوله: «فإن المهاجرين» إلىٰ هنا ثابتٌ في كافة الأصول، ولعله كان لحقًا في أصل المصنف ووضعه النساخ في غير موضعه.

(٧) (ت، د، ي، ع): «لمن». والمثبت من (و) هو الجادة.

وقاتل بني قريظة[1] عام الأحزاب، وذكرهم الله في سورة الأحزاب.

وقاتل قبلهم بني قينقاع.

وبعد هؤلاء غزا خيبر هو وأهل بيعة الرضوان الذين بايعوه تحت الشجرة وكانوا ألفًا وأربعمئة، ففتح الله عليهم خيبر، وأقرَّ اليهودَ فيها فلَّاحين، وأنزل الله تعالىٰ سورة الفتح يَذْكُر فيها ذلك.

فكيف يقال: إنه لم يَذْكُر أنه أُرْسِل إلا إلىٰ مشركي العرب، وهذه حال[2] اليهود معه؟!

وأما النصارىٰ، فإن أهل نجران التي باليمن كانوا نصارىٰ، فقَدِم عليه وفدُهم ستُّون راكبًا، وناظرَهم في مسجده، وأنزل الله فيهم صدر سورة آل عمران، ولمَّا ظهرت حجَّته عليهم، وتبيَّن لهم أنه رسول الله إليهم[3]، أمره الله إن لم يجيبوه أن يدعوهم إلىٰ المباهلة، فقال تعالىٰ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنْۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]، فلما دعاهم إلىٰ المباهلة طَلَبوا[4] أن يُمْهِلَهم حتىٰ يَشْتَوِروا[5]، فاشتَوَرُوا، فقال بعضهم لبعض: تَعَلَّموا[6] أنه نبيٌّ، وأنه ما باهل قومٌ نبيًّا إلا نزل بهم العذاب. فاستعفَوا من

---

(١) (ت، ي، و): «قاتل قريظة».

(٢) (د، ي، ع): «حالة».

(٣) ليست في (ك، ع).

(٤) ط. العاصمة: «طالبوا»، وهو خطأ.

(٥) تشاور القوم واشتوروا بمعنًى.

(٦) أي: اعلموا وتحققوا. انظر: «إكمال المعلم» (٨/ ٤٧٤). وتوهَّمته ط. العاصمة فعلًا مضارعًا فأضافت نون الرفع «تعلمون» متابعة لطبعة المدني، وهو في الأصول وط. النيل بغير نون. ولو كان مضارعًا فلا حاجة لإضافتها، فإن حذفها بلا ناصب أو جازم تخفيفًا مسموعٌ عن العرب وشواهده كثيرة.

المباهلة، فصالَحوه، وأقرُّوا له بالجزية عن يدٍ وهم صاغرون؛ لِمَا خافوا من دعائه عليهم، لعلمهم أنه نبيٌّ.

فدخلوا تحت حكمه، كما يدخل أهلُ الذمَّة الذين في بلاد المسلمين تحت حكم الله ورسوله، وأدَّوا إليه الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، وهم أول من أدَّىٰ الجزية من النصارىٰ.

واستعمَل عليهم وعلىٰ من أسلم منهم[1] عمرو بن حزم الأنصاري، وكتب له كتابًا مشهورًا يَذْكُر فيه شرائعَ الدِّين[2]، فكانوا في ذمَّة المسلمين تحت حكم الله ورسوله ونائب رسوله عمرو بن حزم الأنصاري رضي الله عنه.

وقصَّتهم مشهورةٌ متواترة، نقلها أهل السِّيَر، وأهل التفسير[3]، وأهل الحديث، وأهل الفقه، وأصل حديثهم معروفٌ في الصِّحاح والسُّنن، كما سنذكره إن شاء الله تعالىٰ[4].

ووفدُ نجران لمَّا قدموا أنزل الله تبارك وتعالى بسبب ما جرىٰ صدر سورة آل عمران.

---

(١) ليست في (د، ي، ع)، وهي في (ت) واستُدرِكت في طرة (و).

(٢) أخرجه النسائي (٤٨٥٣)، وابن حبان (٦٥٥٩) وغيرهما، وفي سنده كلام، وروي مرسلًا، لكن الأمر فيه كما قال ابن عبد البر في «التمهيد» (١٧/ ٣٣٨): «هو كتابٌ مشهور عند أهل السير، معروفٌ ما فيه عند أهل العلم معرفةً تستغني بشهرتها عن الإسناد؛ لأنه أشبه التواتر في مجيئه، لتلقي الناس له بالقبول والمعرفة». وقال الإمام أحمد: «أرجو أن يكون صحيحًا»، ونقل عنه شيخ الإسلام قوله: «لا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم كتبه». مسائل أبي القاسم البغوي (٣٨، ٧٢)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٢١/ ٢٦٦). وحكىٰ الإجماع علىٰ تصحيحه في «شرح العمدة» (٤/ ٢٣). وانظر: «تنقيح التحقيق» (١/ ٢٣٠)، و«التلخيص الحبير» (٥/ ٢٦١٣).

(٣) «وأهل التفسير» ساقطة من ط. العاصمة.

(٤) (١/ ٧٨-٩٢).

وذكر تعالىٰ فرضَ الحجِّ بقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

وهذا نزل إما سنة تسعٍ وإما سنة عشر، كما ذكر ذلك غير واحدٍ من العلماء، منهم القاضي أبو يعلىٰ وغيره، قالوا: «وجوب الحج ثبت بقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾، ورُوِي[1] أنه نزل في سنة عشر، ورُوِي أنه نزل في سنة تسع»[2]، وهذا قول جمهور العلماء[3]، قالوا: إنَّ فرضَ الحجِّ إنما ثبت بهذه الآية[4].

وقال بعضهم: بل ثبت ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦][5].

وهذه الآية نزلت سنة ستٍّ، عام الحديبية، لمَّا صدَّ المشركون رسول الله ﷺ عن البيت، وصالحَهم ذلك العام، وبايع المسلمين تحت الشجرة، وأنزل الله فيها سورة الفتح، ثم رجع إلىٰ المدينة، وفتح الله عليهم خيبر سنة سبع، وفيها قدم عليه جعفر بن أبي طالب مع وفد الحبشة، ثم أرسل جعفرًا وزيدًا وعبد الله بن رواحة لغزو النصارىٰ لمؤتة، ثم فتح مكة سنة ثمانٍ في رمضان.

ثم في أثناء سنة تسعٍ غزا النصارىٰ إلىٰ تبوك، وفيها حجَّ أبو بكر

---

(١) (د، ي، ع): «روي». والمثبت من (ت، و) و«التعليقة».
(٢) «التعليقة» للقاضي أبي يعلىٰ (١/ ١٢٦).
(٣) انظر: «المبسوط» (٤/ ١٦٤)، و«الذخيرة» (٣/ ١٨١)، و«زاد المعاد» (٢/ ١٢٣).
(٤) قال شيخ الإسلام: «وهذا هو الصَّحيح». انظر: «الإيمان الأوسط» (١٥١)، و«شرح العمدة» (٤/ ١١٢- ١١٧)، و«تفسير آيات أشكلت» (١/ ٣٩٩)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٢٦/ ٧، ٢٧/ ٢٦٥).
(٥) انظر: «الحاوي» (٤/ ٢٥)، و«هداية السالك» لابن جماعة (١/ ٣٢٤).

الصديق رضي الله عنه، وأمر أن لا يحجَّ بعد العام مشركٌ، ولا يطوف بالبيت عريان، وأردفه بعليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه لنبذ العهود[1].

وأنزل الله آية السَّيف المطلقة بجهاد المشركين وجهاد أهل الكتاب، فقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

وهذه الأشهر عند جمهور العلماء هي المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢][2]؛ فإن المشركين كانوا علىٰ نوعين:

نوعًا لهم عهدٌ مطلقٌ غير مؤقَّت، وهو عقدٌ جائزٌ غير لازم.

ونوعًا لهم عهدٌ مؤقَّت.

فأمر الله رسوله أن ينبذ إلىٰ المشركين أهل العهد المطلق؛ لأن هذا العهد جائزٌ غير لازم، وأمره أن يسيِّرهم أربعة أشهر، ومن كان له عهدٌ مؤقَّتٌ فهو عهدٌ لازم، فأمره الله أن يوفي له إذا كان مؤقتًا.

وقد ذهب بعض الفقهاء إلىٰ أن الهدنة لا تجوز إلا مؤقَّتة. وذهب بعضهم إلىٰ أنه يجوز للإمام أن يفسخ الهدنة المؤقَّتة[3] مع قيامهم بالواجب. والصواب

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٩، ٤٦٥٥، ٤٦٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ومن ظن أنها الأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب فقد غلط. انظر: «الصفدية» (٢/ ٣٢٠)، و«منهاج السنة» (٨/ ٥١٣)، و«الإيمان الأوسط» (١٤٢)، و«أحكام أهل الذمة» (٢/ ٨٧٩).

(٣) ساقطة من ط. العاصمة.

هو القول الثالث، وهو أنها تجوز مطلقةً ومؤقتة، فأما المطلقة فجائزةٌ غير لازمةٍ يخيَّر بين إمضائها وبين نقضها، والمؤقتة لازمة[1].

قال تعالىٰ: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ

(١) انظر: «الحاوي» (١٤/ ٣٥٢)، و«المغني» (١٣/ ١٥٤، ١٥٥)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٢٩/ ١٤٠)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٧١، ٥/ ١٣٥)، و«أحكام أهل الذمة» (٢/ ٨٧٤).

وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١ - ١٣].

والمقصود هنا ذكر قدوم وفد نجران النصارىٰ: السَّيِّد، والعاقِب، ومن معهما(١).

قال أبو الفرج ابن الجوزي(٢): «ثم دخلت سنة عشر من الهجرة، فمن الحوادث فيها: أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد إلىٰ بني الحارث بن كعب، فروىٰ ابن إسحاق(٣) قال: بعث رسول الله ﷺ خالدًا في ربيع الآخر أو جمادىٰ الأولىٰ في سنة عشر إلىٰ [بني] الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلىٰ الإسلام قبل أن يقاتلهم»، وذكر القصَّة.

ثم قال: «وفيها قدم وفدُ الأزد ....، وفيها قدم وفدُ غسَّان ....، وفيها قدم وفدُ زبيد .... .

وفيها قدم وفدُ عبد القيس. قال ابن إسحاق: قدم علىٰ رسول الله ﷺ الجارود بن عمرو في وفد عبد القيس، وكان نصرانيًّا، فأسلموا.

وفيها قدم وفدُ كِندة فأسلموا، وفيها قدم وفدُ بني حنيفة ....، وفيها قدم وفدُ بَجِيلة».

قال: «وفيها قدم العاقبُ والسَّيِّد من نجران، فكتب لهم رسول الله ﷺ كتابَ صُلْح».

---

(١) (د، ع، ي، و): «معهم».
(٢) «المنتظم» (٣/ ٣٧٩- ٣٨٤، ٤/ ٣).
(٣) سيرة ابن هشام (٤/ ٢٣٩).

وذكر محمد بن سعد في «الطبقات»[1] قدومهم في ذكر الوفود[2]، فقال: «ذِكرُ بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد في شهر ربيع الأول سنة عشرٍ إلىٰ بني الحارث بن كعب»[3]، ذكره بإسناده:

أخبرنا[4] محمد بن عمر[5]، حدثني إبراهيم بن موسىٰ المخزومي، عن عبد الله بن عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث، عن أبيه.

ثم ذكر قدوم نصارىٰ نجران من طريق علي بن محمد[6]، فقال:

أخبرنا[7] علي بن محمد القرشي -وهو المدائني المشهور[8]-، عن أبي معشر[9]، عن يزيد بن رومان، ومحمد بن كعب.

قال: وأخبرنا علي بن مجاهد[10]، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، وعكرمة بن خالد، وعاصم بن عمر بن قتادة.

---

(١) (١/ ٢٩٢).

(٢) (و): «في الوفود».

(٣) ذكر ابن سعد الخبر في «الطبقات» التي بأيدينا في «وفد الحارث بن كعب»، وليس فيه قوله: «ذكر بعث النبي ﷺ خالد ...».

(٤) (د، ع): «حدثنا»، واختُصِرت في (ي): «ثنا». وفي (و): «أبنا» وهي اختصار «أخبرنا»، وكذلك وقعت في «الطبقات». وأصلحت في (ت) بغير قلم الناسخ إلىٰ «أنبأنا».

(٥) الواقدي، ولم أر الخبر في مطبوع مغازيه، وبغير هذا الإسناد فيه (٢/ ٨٨٣).

(٦) «الطبقات» (١/ ٣٠٠).

(٧) (و): «أنا»، (ت): «أبنا»، ووقعت تامة في (د، ي، ع) و«الطبقات»، وذكر المعلق علىٰ ط. العاصمة أنها اختصار «أنبأنا»، وتلك لا تختصر.

(٨) «القرشي» و«المشهور» ليستا في (و، د، ع، ي).

(٩) (ت): «فقال أخبرنا علي بن محمد عن أبي معشر». وهو سهو.

(١٠) (و، ي، د، ع): «علي بن محمد بن مجاهد»، وضرب علىٰ «محمد بن» في (ت)، وعلىٰ الصواب في «الطبقات».

وأخبرنا[1] يزيد بن عِياض[2] بن جُعْدُبة، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم.

وعن غيرهم من أهل العلم، يزيد بعضهم علىٰ بعض.

قالوا: وفَد فلانٌ وفلان[3] في رجالٍ من خَثْعَم إلىٰ رسول الله ﷺ بعدما هدم جريرُ بن عبد الله رضي الله عنه ذا الخَلَصَة، وقُتِل من قُتِل من خَثْعَم، فقالوا: آمنَّا بالله ورسوله، فاكتب لنا كتابًا. وذكروا القصَّة، وقدوم وفودٍ متعدِّدة[4].

قالوا: وقدم وفدُ نجران[5]، وكتب رسول الله ﷺ إلىٰ أهل نجران، فخرج إليه أربعة عشر من أشرافهم نصارىٰ، وفيهم ثلاثة نفرٍ يتولَّون أمورهم:

العاقب: واسمه عبد المسيح، رجلٌ من كِندة، وهو أميرهم وصاحبُ مشورتهم، والذي يَصْدُرون عن رأيه.

وأبو الحارث: أُسْقُفُهم وإمامهم، وصاحبُ مِدْرَاسِهم[6].

والسَّيِّد: وهو صاحبُ رحلتهم.

فدخلوا المسجد وعليهم ثيابُ الحِبَرة[7] وأرديةٌ مكفوفةٌ بالحرير، فقاموا يصلُّون في المسجد نحو المشرق، فقال رسول الله ﷺ: «**دعوهم**»، ثم أتوا

---

(١) الأصول: «وأنا». وفي ط. العاصمة: «أنا» بلا واو، متصلة بما قبلها، وهو خطأ. وقائل «أخبرنا» هو علي بن محمد المدائني.

(٢) ط. العاصمة: «عايض»، وهو خطأ مخالفٌ للأصول.

(٣) هما: عثعث بن زحر وأنس بن مدرك، كما في «الطبقات».

(٤) في (د) زيادة مضروب عليها في ذكر بعض الوفود، وهي لحقٌ في (ت) لم يتبين آخره، وأثبتت في ط. النيل.

(٥) «وقدم وفد نجران» زيادة توضيحية من المؤلف، وليست في «الطبقات».

(٦) البيت الذي يدرسون فيه. ويطلق علىٰ صاحب دراسة كتبهم. «النهاية» (درس).

(٧) ثيابٌ يمانية من قطن أو كتان مخططة. «المصباح المنير» (حبر).

النبي ﷺ، فأعرض عنهم فلم يكلِّمهم، فقال لهم عثمان: ذلك من أجل زِيِّكم هذا.

فانصرَفوا يومهم ذلك، ثم غَدَوا عليه بزيِّ الرُّهبان، فسلَّموا عليه، فردَّ عليهم ودعاهم إلىٰ الإسلام، فأبَوا، وكَثُر الكلام والحِجَاج بينهم، وتلا عليهم القرآن، وقال رسول الله ﷺ: «**إن أنكرتم ما أقول فهلمَّ أباهِلْكم**».

فانصرفوا علىٰ ذلك، فغدا عبدُ المسيح ورجلان من ذوي رأيهم علىٰ رسول الله ﷺ، فقالوا: قد بدا لنا أن لا نباهلك، فاحكم علينا بما أحببتَ نُعْطِك[1] ونُصَالِحْك.

فصالَحَهم علىٰ ألفي حُلَّة في رجب، وألفٍ في صفر، أو قيمة كلِّ حُلَّةٍ من الأواقي، وعلىٰ عارية ثلاثين درعًا، وثلاثين رمحًا، وثلاثين بعيرًا، وثلاثين فرسًا، إن كان باليمن كيد، ولنجران وحاشيتهم جوارُ الله وذمَّةُ محمد رسول الله ﷺ علىٰ أنفسهم، ومِلَّتهم، وأرضهم، وأموالهم، وغائبهم، وشاهدهم، وبِيَعِهم، لا يُغَيَّر أُسْقُفٌ من سِقِّيفاه[2]، ولا راهبٌ من رهبانيَّته، ولا واقفٌ[3] من وقفانيَّته.

وأشهَد علىٰ ذلك شهودًا، منهم: أبو سفيان بن حرب، والأقرع بن حابس، والمغيرة بن شعبة.

فرجعوا إلىٰ بلادهم، فلم يلبث السَّيِّد والعاقب إلا يسيرًا حتىٰ رجعا إلىٰ النبي ﷺ فأسلما، وأنزلهما دار أبي أيوب الأنصاري.

---

(١) (و، د، ي، ع): «نعطيك» علىٰ الإشباع. والمثبت من (ت) و«الطبقات» هو الجادة.
(٢) السِّقِّيفىٰ مصدر، أي لا يُمْنَع من تسقُّفه وما يعانيه من أمر دينه. «النهاية» (سقف).
(٣) الواقف: خادم البيعة؛ لأنه وقف نفسه علىٰ خدمتها. «النهاية» (وقف).

وأقام أهل نجران علىٰ ما كتب لهم به النبي ﷺ حتىٰ قبضه الله صلوات الله عليه ورحمته ورضوانه.

ثم وَلِيَ أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فكتب بالوصاة بهم عند وفاته.

ثم أصابوا رِبًا، فأخرجهم عمر بن الخطاب من أرضهم، وكتب لهم: «هذا ما كتَب عمرُ أمير المؤمنين لنجران، أنه من سار منهم أنه آمنٌ بأمان الله، لا يضرُّهم أحدٌ من المسلمين، ووفىٰ لهم بما كتب لهم رسول الله ﷺ وأبو بكر.

أما بعد، فمن وَقَعُوا[(١)] به من أمراء الشام وأمراء العراق فليُوسِعْهم[(٢)] مِن خَراب الأرض[(٣)]، فما اعتَمَلوا من ذلك فهو لهم صدقة، وعُقْبَةٌ[(٤)] لهم مكان[(٥)] أرضِهم، لا سبيل عليهم فيه لأحدٍ ولا مَغْرَم[(٦)].

---

(١) «الأصل» لمحمد بن الحسن (٧/ ٥٥٤): «وقفوا»، وفي «الخراج» لأبي يوسف (٧٣): «مرُّوا». والمثبت من الأصول و«الطبقات» و«الأموال» لأبي عبيد (٥١٨) و«مسند الفاروق» لابن كثير (٢/ ٣٣٩) وغيرها.

(٢) أي: يمكِّنهم. وفي «الخراج»: «فليوسقهم».

(٣) أي: الأرض الموات التي لم تُزْرَع. وفي «الأموال» من طريق آخر سيأتي: «خريب الأرض». قال أبو عبيد: «ما أراه إلا خراب الأرض ولكن الكاتب كتبه: خريب». وفي ط. العاصمة: «جريب الأرض» متابعة لمطبوعة «الطبقات». والمثبت من الأصول و«مسند الفاروق». وفي «الخراج» و«الأصل»: «حرث الأرض».

(٤) أي: بدل، كما في «فقه الملوك ومفتاح الرتاج المرصد علىٰ خزانة كتاب الخراج لأبي يوسف» للرحبي (١/ ٤٨٦)، وانظر: «تاج العروس» (٣/ ٤٠١). وفُسِّرت في حاشية ط. العاصمة بأن المراد أنه يأخذها ذريتهم من بعدهم. وهو خطأ.

(٥) في الأصول وط. النيل والعاصمة: «فكان»، وهو تحريف. وفي «الطبقات»: «بمكان». وكما أثبتُّ في «الخراج» و«الأصل» و«مسند الفاروق».

(٦) «الأصل» لمحمد بن الحسن: «معترض»، وهو خطأ.

أما بعد، فمن حَضَرهم من رجلٍ مسلم فلينصرهم علىٰ من ظلمهم؛ فإنهم أقوامٌ لهم الذِّمَّة، وجِزيتُهم عنهم متروكَةٌ أربعةً وعشرين شهرًا بعد أن يَقْدَموا، ولا يُكَلَّفُوا إلا من ضَيْعَتِهم[1] التي اعتَمَلوا، غير مظلومين ولا مَعْسُوفٍ[2] عليهم».

شَهِد عثمانُ بن عفان رضي الله عنه، ومُعَيْقِيب بن أبي فاطمة.

فوقع ناسٌ منهم العراق[3]، فنزلوا النَّجرانية التي بناحية الكوفة[4].

وما ذكره ابن سعد عن علي بن محمد المدائني عن أشياخه في حديث وفد نجران، فهو يوافق ما ذكره ابن إسحاق؛ فإن قوله: «أربعة عشر من أشرافهم» يوافق قول ابن إسحاق[5] عن محمد بن جعفر قال: قَدِم علىٰ رسول الله ﷺ وفدُ نجران ستُّون راكبًا، فيهم أربعة عشر من أشرافهم، في الأربعة عشر ثلاثةُ نفرٍ إليهم يؤول أمرُهم:

العاقبُ: أمير القوم، وذو رأيهم، وصاحبُ مشورتهم، والذي لا يَصْدُرون إلا عن رأيه، واسمُه عبد المسيح.

---

(١) الضيعة: الحرفة والصناعة، والأرض المُغِلَّة، كما في «التاج» (ضيع). وفي «الخراج» و«الأصل»: «من صنعهم البر». وفي «فقه الملوك»: «البز» أي: لا يكلفوا بدفع الجزية إلا من حُلَل البزِّ التي يصنعون. وما في الأصول و«الطبقات» ظاهر.

(٢) كذا في الأصول، والعَسْف: الظلم والأخذ بقوة وعنف. وفي ط. العاصمة: «معنوف» متابعة للطبقات. وفي «الخراج»: «معتدىٰ»، وفي «الأصل»: «معنوفًا».

(٣) (ع): «في العراق». وفي بعض المصادر: «بالعراق».

(٤) «الطبقات» (١/ ٣٠٧- ٣٠٨).

(٥) «السيرة» لابن هشام (٢/ ٢٢٢). ومن طريقه ابن جرير في التفسير (٥/ ١٧٢). وانظر: تفسير ابن المنذر (١/ ١٠٨)، و«المعجم الأوسط» للطبراني (٣٩٠٦)، و«الكشف والبيان» للثعلبي (٨/ ١٦، ١٧)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٥/ ٣٨٣).

والسَّيِّد: ثِمَالهم[١]، وصاحب رَحْلِهم ونُجْعَتِهم[٢]، واسمه الأيهَم.

وأبو حارثة بن علقمة أحدُ[٣] بني بكر بن وائل: أُسْقُفُهم، وحَبْرُهم، وإمامهم، وصاحبُ مِدْرَاسِهم.

وكان أبو حارثة قد شَرُفَ فيهم، ودَرَس كتبَهم حتىٰ حَسُنَ علمُه في دينهم، فكانت ملوك الرُّوم من أهل النصرانية قد شرَّفوه، وموَّلوه، وأخدَموه، وبنوا له الكنائس، وبسَطوا له الكرامات؛ لِمَا بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم، فلما وجَّهوا إلىٰ رسول الله ﷺ من نجران جلس أبو حارثة علىٰ بغلةٍ له موجهًا، وإلىٰ جنبه أخٌ له يقال له: كُرْز بن علقمة، فعثَرت بغلةُ أبي حارثة، فقال كُرْز: تَعِسَ الأبعدُ، يريدُ رسولَ الله ﷺ، فقال له أبو حارثة: بل أنت تَعِسْتَ، فقال: لم يا أخي؟ قال: والله إنه لَلنبيُّ الذي كنَّا ننتظِر، فقال له كُرْز: فما منعَك منه وأنت تعلم هذا؟! قال: ما صنَع بنا هؤلاء القوم، شرَّفونا، وموَّلونا، وأكرمونا، وقد أبَوا إلا خلافه، فلو فعلتُ نزعوا منَّا كلَّ ما ترىٰ. فأضمر عليها منه أخوه كُرْز بن علقمة حتىٰ أسلم بعد ذلك، وهو كان يحدِّث عنه هذا الحديث فيما بلغني.

قال ابن هشام[٤]: وبلغني أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتبًا[٥] عندهم، فكلما مات رئيسٌ منهم فأفضت الرِّياسة إلىٰ غيره ختَم علىٰ تلك الكتب خاتمًا مع الخواتم التي قبله ولم يَكْسِرها، فخرج الرئيسُ الذي كان علىٰ عهد رسول الله ﷺ يمشي، فعَثَر، فقال ابنه: تَعِسَ الأبعدُ، يريد رسولَ الله ﷺ، فقال له أبوه:

(١) الثِّمال: الغِيَاث الذي يقوم بأمر قومه. «التاج» (ثمل).
(٢) كذا رسمت في الأصول دون ضبط. والنُّجعة: طلب الكلأ. وفي سيرة ابن هشام وعامة المصادر الناقلة عن ابن إسحاق: «ومجتمعهم».
(٣) (ت): «أخو»، وستأتي كذلك. والمثبت من (د، و، ع، ي) وسيرة ابن هشام.
(٤) «السيرة» (٢/ ٢٢٣).
(٥) ط. العاصمة: «كتابًا»، وهو خطأ مخالف للأصول و«السيرة».

لا تفعَل؛ فإنه نبيٌّ، واسمُه في الوضائع، يعني: الكتب. فلما مات لم تكن لابنه همَّةٌ إلا أن شدَّ فكسَر الخواتم، فوجد فيها ذكرَ النبيِّ ﷺ، فأسلم فحَسُن إسلامُه، وحَجَّ، وهو الذي يقول[1]:

إليك تغدو قَلِقًا وَضِينُها

معترضًا في بطنها جنينُها

مخالفًا دينَ النصارىٰ دينُها

قال ابن إسحاق[2]: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، قال: قَدِموا علىٰ رسول الله ﷺ المدينة، فدخلوا عليه مسجدَه حين صلىٰ العصر، عليهم ثيابُ الحِبَرات جُبَبٌ وأرديةٌ، في جَمَال رجال بني الحارث بن كعب. قال: يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي ﷺ يومئذٍ: ما رأينا بعدهم وفدًا مثلهم. وقد حانت صلاتُهم، فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ [يُصَلُّون]، فقال: «دعوهم». فصلُّوا إلىٰ المشرق.

قال ابن إسحاق: وكان تسمية الأربعة عشر الذين يؤول إليهم أمرُهم: العاقبُ وهو عبد المسيح، والسَّيِّد وهو الأيهَم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل، وأوس، والحارث، وزيد، وقيس، ويزيد، ونُبَيْه، وخُوَيلد، وعمرو[3]، وخالد، وعبد الله، ويُحَنَّس، في ستِّين راكبًا.

فكلَّم رسولَ الله ﷺ منهم: أبو حارثة بن علقمة، والعاقبُ عبدُ المسيح،

(١) (ت، و): «وهو يقول».

(٢) «السيرة» لابن هشام (٢/ ٢٢٣- ٢٢٥)، وتفسير ابن جرير (٥/ ١٧٢- ١٧٣).

(٣) ط. العاصمة: «وعمر»، وهو خطأ مخالف للأصول والمصادر.

والأيهَم السَّيِّد، وهم من النصرانية على دين المَلِك، مع اختلافهم[1] من أمرهم، يقولون: هو الله، ويقولون: هو ولدُ الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة، وكذلك قول النصرانية.

فهم يحتجُّون في قولهم: «هو الله» بأنه كان يحيي الموتىٰ، ويبرئ الأسقام، ويُخْبِر بالغيوب، ويخلقُ من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طائرًا، وذلك كله بأمر الله، وليجعله آيةً الناس.

ويحتجُّون في قولهم: «إنه ولدُ الله» بأنهم[2] يقولون: لم يكن له أبٌ يُعْلَمُ، وقد تكلَّم في المهد، وهذا شيءٌ لم يصنعه أحدٌ من ولد آدم.

ويحتجُّون في قولهم: «ثالثُ ثلاثة» بقول الله: فَعَلنا[3] وأَمَرنا وخلَقنا وقضَينا، فيقولون: لو كان واحدًا ما قال إلا: فعلتُ وقضيتُ وأمرتُ وخلقتُ، ولكنه هو وعيسىٰ[4] ومريم.

ففي كلِّ ذلك من قولهم قد نزل القرآن.

فلما كلَّمه الحَبْران، قال لهما رسول الله ﷺ: «**أَسْلِما**»، قالا: قد أسلمنا. قال: «**إنكما لم تُسْلِما، فأَسْلِما**». قالا: بلىٰ، قد أسلمنا قَبلك. قال: «**كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعواكما لله ولدًا، وعبادتكما للصَّليب، وأكلكما الخنزير**»، قالا: فمن أبوه يا محمَّد؟ فصمَت رسول الله ﷺ عنهما، فلم يُجِبْهما، فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلافهم في أمرهم كلِّه صدرًا من سورة آل عمران إلىٰ بضعٍ وثمانين آية.

(١) «السيرة» وتفسير ابن جرير: «اختلاف».
(٢) (و، ي): «فإنهم»، وهو خطأ، واختارته ط. العاصمة.
(٣) ط. العاصمة: «فعلمنا»، وهو خطأ مخالف للأصول والمصادر.
(٤) ط. العاصمة: «هو عيسىٰ»، وهو خطأ مخالف للأصول والمصادر.

وذكَر نزول الآيات بسببهم غيرُ واحد، مثلما ذكره محمد بن جرير الطبري في تفسيره[1]، قال:

حدثنا المثنىٰ، حدثنا إسحاق، حدثنا ابن أبي جعفر - يعني عبد الله بن أبي جعفر الرازي- عن أبيه، عن الربيع في قوله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١ - ٢]، قال: إن النصارىٰ أتوا رسول الله ﷺ، فخاصموه في عيسىٰ بن مريم، وقالوا له: من أبوه؟ وقالوا علىٰ الله الكذب والبهتان، لا إله إلا هو، لم يتَّخذ صاحبةً ولا ولدًا، فقال لهم النبي ﷺ: «**ألستم تعلمون أنه لا يكون ولدٌ إلا وهو يشبه أباه؟**»، قالوا: نعم. قال: «**ألستم تعلمون أن ربنا حيٌّ لا يموت، وأن عيسىٰ يأتي عليه الفناء؟**»، قالوا: بلىٰ. قال: «**ألستم تعلمون أن ربنا قيِّمٌ علىٰ كل شيءٍ يَكْلَؤُه ويحفظُه ويرزقه؟**»، قالوا: بلىٰ. قال: «**فهل يملك عيسىٰ من ذلك شيئًا؟**»، قالوا: لا. قال: «**ألستم تعلمون أن الله لا يخفىٰ عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء؟**»، قالوا: بلىٰ. قال: «**فهل يَعْلَمُ عيسىٰ من ذلك شيئًا إلا ما عُلِّم؟**»، قالوا: لا. قال: «**فإن ربنا صوَّر عيسىٰ في الرَّحِم كيف شاء**»[2]، قال: «**ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام، ولا يشربُ الشراب، ولا يُحْدِثُ الحَدَث؟**»، قالوا: بلىٰ. قال: «**ألستم تعلمون أن عيسىٰ حملته أمُّه كما تحمل المرأة، ثم وضعَته كما تَضَعُ المرأة ولدَها، ثم غُذِي كما يتغذَّىٰ الصَّبيُّ، ثم كان يَطْعَمُ الطعام ويشربُ الشراب ويُحْدِثُ الحَدَث؟**»، قالوا: بلىٰ. قال: «**فكيف يكون هذا كما زعمتم؟**». قال: فعرفوا، ثم أبَوا إلا جحودًا؛ فأنزل الله: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾.

وقد ثبت في الصِّحاح حديثُ وفد نجران:

---

(١) (٥/ ١٧٤).

(٢) في ط. الحلبي لتفسير ابن جرير زيادة: «فهل تعلمون ذلك؟ قالوا: بلىٰ».

ففي البخاري ومسلم[1] عن حذيفة[2].

وأخرجه مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] دعا رسول الله ﷺ عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا، فقال: «**اللهمَّ هؤلاء أهلي**»[3].

وفي البخاري عن حذيفة بن اليمان قال: جاء السَّيِّد والعاقبُ صاحبا نجران إلىٰ رسول الله ﷺ يريدان أن يُلاعِناه، فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل؛ فوالله لئن كان نبيًّا فلاعَنَنا لا نُفْلِح نحن ولا عَقِبُنا من بعدنا، قالا: إنما نعطيك ما سألتنا، وابعَث معنا رجلًا أمينًا، ولا تبعث معنا إلا أمينًا، قال: «**لأبعثنَّ معكم رجلًا أمينًا حقَّ أمين**». قال: فاستشرفَ لها أصحابُ رسول الله ﷺ، فقال: «**قم يا أبا عبيدة ابن الجراح**»، فلما قام قال رسول الله ﷺ: «**هذا أمينُ هذه الأمة**»[4].

وفي سنن أبي داود وغيره[5]، قال أبو داود: أخبرنا مصرِّف بن عمرو

---

(١) صحيح البخاري (٣٧٤٥، ٧٢٥٤)، ومسلم (٢٤٢٠).
(٢) «عن حذيفة» ليس في (ي، د، ع)، وهو في (ت) وألحق في (و). وسيأتي كذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه (٩٥).
(٣) صحيح مسلم (٢٤٠٤).
(٤) صحيح البخاري (٤٣٨٠).
(٥) أخرجه أبو داود (٣٠٤١) ومن طريقه البيهقي (٩/ ١٩٥) بسند لا بأس به، وخرَّجه الضياء في «المختارة» (٩/ ٥٠٨).
وأعله المنذري في مختصر سنن أبي داود (٢/ ٣٤٣) بأن في سماع إسماعيل السُّدي من عبدالله بن عباس رضي الله عنهما نظرًا. وجوابه أن السُّدي قد أدرك سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، فلا ينكَر أن يدرك ابنَ عباس وهو متأخرٌ عنه، كما أشار إلىٰ ذلك الحافظ ابن الأخرم. انظر: «تهذيب الكمال» (٣/ ١٣٧)، و«طبقات المحدثين بأصبهان» لأبي الشيخ (١/ ٣٣٤).
وأعِلَّ بما في السُّدي من مقالٍ في «البدر المنير» (٩/ ١٩٥)، وبأسباط بن نصر في «ضعيف سنن أبي داود» (٢/ ٤٤٥). والأشبه أنهما صدوقان حسنا الحديث، وهو اختيار الذهبي في «الكاشف» (١/ ٢٤٧)، و«ديوان الضعفاء» (٣٠٦)، ولم يتفردا بما لا يحتمل، ولخبرهما شواهد ذكر بعضها المصنف وابن حجر في «التلخيص» (٦/ ٢٩٦٨).

اليامي، حدثنا يونس -يعني ابن بُكَير-، حدثنا أسباط بن نصر الهَمْداني، عن إسماعيل بن عبد الرحمن القرشي، عن ابن عباس، قال: صالحَ رسولُ الله ﷺ أهل نجران علىٰ ألفي حُلَّة، النِّصف في صفر، والنِّصف في رجب، يؤدُّونها إلىٰ المسلمين، وعاريَّةٍ ثلاثين درعًا، وثلاثين فرسًا، وثلاثين بعيرًا، وثلاثين من كل صنفٍ من أصناف السلاح، يَغْزُون بها، والمسلمون ضامنون لها حتىٰ يردُّوها عليهم، إن كان باليمن[1] كيدٌ[2] ذاتُ غدرٍ، علىٰ أن لا تُهْدَم لهم بَيْعَة، ولا يُخْرَج لهم قَسٌّ، ولا يُفْتَنون عن دينهم، ما لم يُحْدِثوا حَدَثًا، أو يأكلوا الرِّبا.

قال إسماعيل: فقد أكلوا الرِّبا.

قال أبو داود: إذا نقضوا بعض ما شُرِط عليهم فقد أحدَثوا.

وما ذكره أبو داود وأهل السِّيَر من مصالحته لأهل نجران علىٰ الجزية المذكورة معروفٌ عند أهل العلم.

وقد ذكر ذلك أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب «الأموال»[3]، ذكره من طريقين:

قال أبو عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا أبو أيوب الدمشقي، قال: حدثني سَعْدان بن يحيىٰ، عن عبيد الله[4] بن أبي حُمَيد، عن أبي المَليح الهُذَلي: أن رسول الله ﷺ صالح أهل نجران، فكتب لهم كتابًا:

---

(١) ط. العاصمة: «باليمين»، خطأ مخالف للأصول والمصادر.
(٢) أي حرب.
(٣) (١/ ٢٩٦- ٢٩٨).
(٤) (د، ي، ع): «عبد الله» تحريف، وهو أبو الخطاب الهذلي، متروك. وسعدان بن يحيىٰ اللخمي نزيل دمشق، صدوق. وأبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن التميمي، صدوق يخطئ. «التقريب» (٣٧٠، ٢٤٢، ٢٥٣). ولم يعرف الثلاثة محقق ط. العاصمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما كتب محمدٌ النبيُّ ﷺ لأهل نجران، إذ كان له حكمُه عليهم: أن في كل سوداء وبيضاء وصفراء وحمراء أو ثمرةٍ ورقيق، وأفضل عليهم، وترك ذلك لهم: ألفي حُلَّة، في كل صَفَرٍ ألفُ حُلَّة، وفي كل رجب ألفُ حُلَّة، كلُّ حُلَّة أوقيَّة، ما زاد الخراج أو نقص فعلىٰ الأواقي فليُحْسَب، وما قضوا من ركابٍ أو خيلٍ أو دروعٍ أُخِذ منهم بالحساب.

وعلىٰ أهل نجران أن يُقْرُوا[1] رُسُلي عشرين ليلةً فما دونها.

وعليهم عارية ثلاثين فرسًا، وثلاثين بعيرًا، وثلاثين درعًا، إذا كان كيدٌ باليمن ذو مغدرة، وما هلك ممَّا أعاروا رسلي فهو ضامنٌ علىٰ رسلي حتىٰ يؤدُّوه[2] إليهم.

ولنجران وحاشيتها ذمَّةُ الله وذمَّةُ رسوله علىٰ دمائهم، وأموالهم، ومِلَّتهم، وبِيَعهم، ورهبانيَّتهم[3]، وأساقفتهم[4]، وشاهدهم، وغائبهم، وكلِّ ما تحت أيديهم من قليلٍ أو كثير.

وعلىٰ أن لا يغيِّروا أُسْقُفًا من سِقِّيفاه، ولا واقِهًا من وَقِيهَاه[5]، ولا راهبًا

---

(١) غيِّرت في ط. العاصمة إلىٰ «مقرىٰ» متابعة لمطبوعة «الأموال». وفي «غريب الحديث» للخطابي (١/ ٤٩٨): «مثوىٰ».

(٢) (ع): «يردوه».

(٣) (ت): «ورهبانهم»، والمثبت من سائر الأصول و«الأموال».

(٤) ط. العاصمة: «وأساقفهم»، خلاف الأصول و«الأموال».

(٥) كذا في الأصول و«الأموال». وسيأتي تفسيرها. وفي ضبطها خلافٌ قديم. انظر: «تاج العروس» (وقه)، و«النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية» للويس شيخو (٨٧)، و«المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» لجواد علي (١٢/ ٢١٧، ٢١٨).

مـن رهبانيَّتـه[1]، وعلىٰ أن لا يُحْشَـروا[2]، ولا يُعْشَـروا[3]، ولا يطـأ أرضـهم جيشٌ، ومن ملك منهم[4] حقًّا فالنِّصْفُ بينهم بنجران.

علىٰ أن لا يأكلوا الربا، فمن أكل الربا مِن ذي قِبَل[5] فذمَّتي منهم بريئة.

وعليهم الجَهْدُ والنُّصحُ فيما استقبلوا، غير مظلومين ولا معسوفٍ[6] عليهم.

شَهِد عثمانُ بن عفان، ومُعَيْقِيب.

قال أبو عبيد: الوَاقِهُ وليُّ العهد في لغة بلحارث بن كعب. يقول: إذا مات هذا الأُسْقُفُ قام الآخر مكانه.

قال أبو عبيد: قال أبو أيوب: وحدثني عيسىٰ بن يونس، عن عبيد الله[7] بن أبي حميد، عن أبي المَليح، عن النبي ﷺ مثل ذلك، وزاد في حديثه قال: فلما توفي رسول الله ﷺ أتوا أبا بكر، فوفىٰ لهم بذلك، وكتب لهم كتابًا نحوًا من كتاب رسول الله ﷺ، فلما وَلِيَ عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه أصابوا الرِّبا في زمانه، فأجلاهم عمر، وكتب لهم: أما بعد، فمن وَقَعوا به من أمراء الشام أو العراق

(١) ط. العاصمة: «رهابنه» تحريف. وعلىٰ الصواب في (ع، د، ي).
(٢) (و، د، ع): «يخسروا»، وهو تحريف، وأثبتته ط. العاصمة. والمعنىٰ: أنهم لا يندبون إلىٰ المغازي، ولا تضرب عليهم البعوث. وقيل: لا يحشرون إلىٰ عامل الزكاة ليأخذ صدقة أموالهم، بل يأخذها في أماكنهم. «النهاية» (حشر).
(٣) أي: لا يؤخذ العشر من أموالهم. «النهاية» (عشر).
(٤) «الأموال»: «ومن سأل منه». وعند ابن زنجويه (٢/ ٤٥٠): «ومن سأل منهم»، وهو أجود. والنصف: الانتصاف.
(٥) أي: فيما يستقبل. «التاج» (قبل).
(٦) ط. العاصمة: «معنوف» متابعة لمطبوعة «الأموال»، ومضىٰ الكلام عليها.
(٧) (د، ي، ع): «عبد الله» تحريف، وعلىٰ الصواب في (ت، و). وقد سبق.

فليُوسِعْهم مِن خَراب الأرض[1]، وما اعتَمَلوا من شيءٍ فهو لهم لوجه الله وعُقبىٰ من أرضهم.

قال: فأتوا العراق، فاتخَذوا النجرانية.

قال أبو عبيد: وهي قريةٌ بالكوفة.

وكتب عثمانُ إلىٰ الوليد بن عقبة: أما بعد، فإن العاقبَ والأُسْقُف وسَراة أهل نجران أتوني بكتاب رسول الله ﷺ، وأروني شرط عمر رضي الله عنه، وقد سألتُ عثمان بن حُنَيف، فأنبأني أنه قد كان بحث علىٰ ذلك[2]، فوجده ضارًّا[3] للدَّهاقين، فيردعهم[4] عن أرضهم، وإني قد وضعتُ عنهم من جزيتهم مئتي حلَّة، لوجه الله وعُقبىٰ لهم من أرضهم، وإني أوصيك بهم؛ فإنهم قومٌ لهم ذمَّة.

قال أبو عبيد: وحدثنا عثمان بن صالح، عن عبد الله بن لَهِيعة، عن أبي الأسود، عن عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ كتب لأهل نجران: من محمد النبي رسول الله ﷺ. ثم ذكر نحو هذه النسخة، وليس في حديثه قصة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[5]، وفي آخره: شهد أبو سفيان بن حرب، وغيلان بن عمرو، ومالك بن عوف من بني نصر، والأقرع بن حابس الحنظلي، والمغيرة بن شعبة.

---

(١) الأرض الموات التي لم تُزْرَع. وفي «الأموال»: «خريب الأرض». قال أبو عبيد: «ما أراه إلا خراب الأرض ولكن الكاتب كتبه خريب». وغيرته ط. العاصمة إلىٰ «جريب الأرض» متابعة لمطبوعة طبقات ابن سعد كما صنعت في الموضع المتقدم.

(٢) في «الأموال» وسائر المصادر: «بحث عن ذلك».

(٣) (ت، د، ع): «صار» وهو تحريف، واختارته ط. العاصمة دون تنبيه. والمثبت من (و، ي) و«الأموال» لأبي عبيد و«فتوح البلدان» (٧٣). وفي «الأموال» لابن زنجويه: «فوجده مضارَّة وظلمًا لتردعهم الدهاقين عن أرضيهم». والدهاقين: رؤساء القرىٰ وزعماء الفلاحين. «التاج» (دهقن).

(٤) (ت، د، ع): «فنزعهم». «الأموال»: «ليردعهم». «فتوح البلدان»: «لردعهم».

(٥) «الأموال»: «أبي بكر وعمر وعثمان».

قال أبو عبيد: حدثني سعيد بن عُفَير، عن يحيىٰ بن أيوب، عن يونس بن يزيد الأيلي، عن ابن شهاب، قال: أول من أعطىٰ الجزية أهل نجران، وكانوا نصارىٰ(١).

فإن قيل: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ٦٤]، وقد ثبت في الصَّحيحين(٢) أن النبي ﷺ قد كتب إلىٰ هِرَقل مع دِحْيَة الكلبي مدَّة هُدنتِه للمشركين، وكان أبو سفيان إذ ذاك لم يُسْلِم، وقد حضر عند هِرَقل، وسأله هِرَقل عن النبي ﷺ، وأبو سفيان أسلم عام الفتح، فدلَّ ذلك علىٰ أن هذا الكتاب كان قبل الفتح.

ونزولُ آية الجزية كان بعد الفتح سنة تسع(٣)، فدلَّ ذلك علىٰ أن هذه الآية نزلت قبل آية الجزية وقبل آية المباهلة.

وقدومُ وفد نجران قبل آية المباهلة(٤)، وآيةُ المباهلة قد عُلِم يقينًا أنها نزلت في قصَّة قدوم وفد نجران، والمفسِّرون وأهل السِّيَر ذكروا أن آل عمران نزلت بسبب مناظرة أهل نجران، وقد ذكرناه مِن نقلِ أهل الحديث بالإسناد المتَّصل.

ونقَل أهلُ المغازي والسِّيَر أن وفد نجران صالحهم علىٰ الجزية، وهم أول من أدَّاها، فعُلِم أن قدومهم كان بعد نزول آية الجزية، وآية الجزية نزلت بعد فتح مكة، فعُلِم أن قدوم وفد نجران كان بعد آية السَّيف التي هي آية الجزية.

---

(١) «الأموال» (٦٩، ٨٧).
(٢) صحيح البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٣) «سنة تسع» ليست في (د، و، ع، ي).
(٤) «وقدوم وفد نجران قبل آية المباهلة» لحقٌ مختوم بالتصحيح في طرة (ت)، وليس في باقي الأصول، وأثبتته ط. النيل.

قال الزهري: أهل نجران أول من أدَّىٰ الجزية[1].

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ بعدها آياتٌ نزلت قبل ذلك، كقوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٠ - ٧١].

فيكون هذا ممَّا تقدَّم نزولُه، وتلك ممَّا تأخَّر نزوله، وجُمِع بينهما للمناسبة، كما في نظائره؛ فإن الآيات كانت إذا نزلت يؤمر[2] النبيُّ ﷺ أن يضعها في مواضع تناسبها وإن كان ذلك ممَّا تقدَّم.

وممَّا يبيِّن ذلك: أن هذه الآية وهي قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ لفظُها يعمُّ اليهود والنصارىٰ، وكذلك ذكر أهلُ العلم أنها دعاءٌ للطائفتين[3]، وأن النبي ﷺ دعا بها اليهود[4]، فدلَّ ذلك علىٰ أن نزولها متقدِّم؛ فإن دعاءه لليهود كان قبل نزول آية الجزية، ولهذا لم يَضرِب

(١) أخرجه أبو عبيد في «الأموال» كما تقدم.

(٢) كذا رسمت بالواو في (د، و، ع، ي). وفي (ت): «يأمر»، وهو محتمل، ويدل عليه قول عثمان رضي الله عنه في الأثر المشهور: «إن رسول الله ﷺ كان إذا أنزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول: ضعوا هذا في السورة التي يُذْكَر فيها كذا وكذا» أخرجه أحمد (٣٩٩، ٤٩٩)، وفي الباب عن أبي بن كعب رضي الله عنه. ويرجِّح ما في الأصول سياق الكلام وعدم ذكر المفعول، ويشهد له ما روي بإسناد شديد الضعف أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ في آية: «ضعها علىٰ رأس ثمانين ومئتين من البقرة» أخرجه الفراء في «معاني القرآن» (١/ ١٨٣)، والثعلبي في «الكشف والبيان» (٣/ ٤٧٨) وغيرهما. وقد يقويه قول شيخ الإسلام: «وأما ترتيب آي السور فهو منزَّل منصوص عليه». «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٣٩٦).

(٣) ط. العاصمة: «لطائفتين»، خطأ مخالف للأصول.

(٤) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٢/ ٢٤٥).

الجزية علىٰ أهل خيبر وغيرهم من يهود الحجاز، ولكن لمَّا بعث معاذًا إلىٰ اليمن، وكان كثيرٌ[1] من أهلها يهودًا، أمره أن يأخذ من كلِّ حَالِمٍ دينارًا أو عِدْلَه مَعَافِر[2]، وهذا كان متأخرًا بعد غزوة تبوك، وتوفي النبيُّ ﷺ ومعاذٌ باليمن.

قال ابن أبي حاتم في تفسيره[3]: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمَّار، حدثنا الوليد، حدثنا الضحاك بن عبد الرحمن بن [أبي] حوشب وغيره، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلىٰ أَلْيُون طاغية الروم، قال: فيما أنزل الله علىٰ محمد ﷺ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: اليهود والنصارىٰ ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾.

وروىٰ بإسناده عن ابن جريج في قوله تعالىٰ: ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، قال: بلغني أن النبي ﷺ دعا يهود أهل الكتاب[4]، فأبَوا عليه، فجاهدهم.

وكذلك سائر الآيات التي فيها خطابٌ للطائفتين كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓۚ أَفَلَا

---

(١) (و): «كثيرًا» وهو خطأ، وعلىٰ الصواب في (ي، د، ع)، ومحيت الألف في (ت).
(٢) أخرجه أحمد (٢٢٠١٣)، وابن ماجه (١٨٠٣)، وأبو داود (١٥٧٦)، والترمذي (٦٢٣)، والنسائي (٢٤٩٩) وغيرهم من حديث معاذ رضي الله عنه.
وصححه ابن خزيمة (٢٢٦٨)، وابن حبان (٤٨٨٦)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٢/ ٢٧٥). وفي وصله وإرساله اختلاف. انظر: «العلل» للدراقطني (٦/ ٦٦)، و«بيان الوهم والإيهام» (٢/ ٥٧٤)، و«التلخيص الحبير» (٦/ ٢٩٦٠).
والحالم: من بلغ الحلم. والمَعَافر: برودٌ منسوبة إلىٰ قبيلة المَعَافر باليمن.
(٣) (٢/ ٦٦٩).
(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٦٩): «دعا يهود أهل المدينة إلىٰ ذلك».

تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٥ - ٦٧].

وممَّا ينبغي أن يُعْلَم أن أهل نجران المذكورة نجران اليمن لا نجران الشام[(١)]، وأهلُ نجران[(٢)] كان منهم نصارىٰ أهل ذمَّة، وكان منهم مسلمون وهم الأكثرون، والنبيُّ ﷺ بعث أبا عبيدة لهؤلاء وهؤلاء، واستعمل عمرو بن حزم علىٰ هؤلاء وهؤلاء، كما أخرجا في الصَّحيحين[(٣)] عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لكل أمة أمينًا، وإن أميننا أيتها الأمة[(٤)] أبو عبيدة بن الجرَّاح**».

وعن أنسٍ أيضًا: أن أهل اليمن قَدِموا علىٰ رسول الله ﷺ، فقالوا: ابعَث معنا رجلًا أمينًا يعلِّمنا السُّنَّة والإسلام، فأخذ بيد أبي عبيدة بن الجرَّاح، فقال: «**هذا أمينُ هذه الأمة**»[(٥)].

وفي الصَّحيحين[(٦)] عن حذيفة بن اليمان، قال: جاء أهل نجران إلىٰ رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، ابعَث إلينا رجلًا أمينًا، فقال: «**لأبعثنَّ**

---

(١) في الشام موضع يسمىٰ «نجران» بحوران من نواحي دمشق فيه ديرٌ مشهور للنصارىٰ. انظر: «معجم البلدان» (٢/ ٥٣٩، ٥/ ٢٧٠)، و«توضيح المشتبه» (١/ ٣٨٩).
(٢) «المذكورة نجران اليمن لا نجران الشام وأهل» ليس في (و، ي)، ووقع لحقًا في (د)، ولعله سقط لانتقال النظر، وأخشىٰ أن يكون تعليقًا لأحد القراء ثم أقحمه النساخ في المتن.
(٣) صحيح البخاري (٣٧٤٤)، ومسلم (٥٣/ ٢٤١٩).
(٤) (د، ع، ي): «وإن أمين هذه الأمة». والمثبت من (و) يوافق رواية الصَّحيحين.
(٥) أخرجه مسلم (٥٤/ ٢٤١٩).
(٦) صحيح البخاري (٧٢٥٤)، ومسلم (٢٤٢٠).

إليكم رجلًا أمينًا حقَّ أمين حقَّ أمين». قال: فاستَشرف لها الناس، قال: فبعَث أبا عبيدة بن الجرَّاح.

وللبخاري[1] عن حذيفة قال: جاء السَّيِّد والعاقبُ صاحبا نجران إلىٰ رسول الله ﷺ يريدان أن يُلاعِناه، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل؛ فوالله لئن كان نبيًّا فلاعَنَّا لا نُفْلِحُ نحن ولا عَقِبنا من بعدنا، قالا: إنَّا نعطيك ما سألتنا، وابعَث معنا رجلًا أمينًا، فقال: «**لأبعثنَّ معكم رجلًا أمينًا حقَّ أمين**»، فاستَشرف لها[2] أصحابُ رسول الله ﷺ، فقال: «**قم يا أبا عبيدة بن الجراح**»، فلما قام قال رسول الله ﷺ: «**هذا أمين هذه الأمة**».

وكذلك استعمل النبيُّ ﷺ عليهم عمرو بن حزم، وكتبَ له الكتابَ المشهور الذي فيه الفرائض والسُّنن، وقد رواه النسائيُّ بطوله، وروىٰ الناسُ بعضه مفرَّقًا[3].

ومحمد بن سعد لم يذكر بعد وفد نجران إلا وفد جَيْشَان[4]، فدلَّ علىٰ أن قدومهم كان متأخرًا.

ومحمد بن إسحاق ذكر قدومهم في أوائل «السيرة» مع قصة اليهود[5]؛ ليجمع بين خبر اليهود والنصارىٰ[6].

---

(١) صحيح البخاري (٤٣٨٠).
(٢) لفظ البخاري: «له» أي: استشرفوا لقوله ﷺ. والمثبت من الأصول يوافق الرواية الأخرىٰ المتقدمة، أي: استشرفوا للإمارة. انظر: «إرشاد الساري» (٦/ ٤٣٧).
(٣) تقدم تخريجه والكلام عليه (١/ ٧٣).
(٤) «الطبقات» لابن سعد (١/ ٣٠٨). وجيشان: مخلافٌ باليمن.
(٥) سيرة ابن هشام (٢/ ١٩٧).
(٦) سقط من (و): «مع قصة اليهود والنصارىٰ» لانتقال النظر.

وذكَر في سنة عشرٍ فتحَ نجران، وإرسالَ النبيِّ ﷺ خالدَ بن الوليد[1]، وإرسالُ خالدٍ ذكروا أنه كان متأخرًا قبل وفاته ﷺ بأربعة أشهر، وأنه قَدِم وفدٌ منهم بالإسلام[2]، وهذا إنما كان بعد قدوم وفد النصارىٰ، فإنه قد ذكر ابنُ سعد أن العاقب والسَّيِّد أسلما بعد ذلك[3].

والعهدُ بالجزية إنما كان مع النصارىٰ، وآية الجزية هي قوله تعالىٰ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، وهذه آية السَّيف مع أهل الكتاب، وقد ذكر فيها قتالهم إذا لم يؤمنوا حتىٰ يعطوا الجزية.

والنبيُّ ﷺ لم يأخذ من أحدٍ الجزية إلا بعد هذه الآية. بل وقالوا[4]: إن أهل نجران أولُ من أُخِذَت منهم الجزية، كما ذكر ذلك الزهريُّ وغيره[5]؛ فإنه باتفاق أهل العلم لم يضرِب النبيُّ ﷺ الجزية[6] علىٰ أحدٍ قبل نزول هذه الآية، لا من الأمِّيِّين ولا من أهل الكتاب، ولهذا لم يضرِبها علىٰ يهود قينقاع والنَّضير وقريظة، ولا ضربها علىٰ أهل خيبر؛ فإنها فُتِحت سنة سبعٍ قبل نزول آية الجزية،

(١) سيرة ابن هشام (٤/ ٢٣٩).

(٢) ذكر ابن إسحاق أن النبي ﷺ بعث خالدًا إلىٰ بني الحارث في شهر ربيع الآخر أو جمادىٰ الأولىٰ سنة عشر، فأقام فيهم حتىٰ وفدوا معه علىٰ المدينة، ورجع وفدهم إلىٰ قومهم في بقية من شوال أو في صدر ذي القعدة، فلم يمكثوا إلا أربعة أشهر حتىٰ توفي رسول الله ﷺ. سيرة ابن هشام (٤/ ٢٤١).

(٣) «الطبقات» لابن سعد (١/ ٣٠٨).

(٤) (ع): «بل قالوا»، وأحسبه من إصلاح الناسخ. والمثبت من (و، د، ي) مألوفٌ من أسلوب شيخ الإسلام، وهو خلاف الأفصح.

(٥) ليست في (ي). وفي (و): «كما ذكر ذلك أهل العلم كالزهري وغيره».

(٦) ساقطة من (و). وقدَّر الناسخ موضعها في الطرة بعد تمام الجملة.

وأقرَّهم فلَّاحين، وهادنهم هدنةً مطلقةً قال فيها: «نُقِرُّكم ما أقرَّكم الله»[1].

فإذا كان أول ما أخذها من وفد نجران عُلِم أن قدومهم عليه ومناظرتَه لهم ومحاجَّته إياهم وطلبَه المباهلة معهم كانت بعد آية السَّيف التي فيها قتالهم.

وعُلِم بذلك أن ما ذكره الله تعالىٰ من مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم مُحْكَمٌ لم ينسَخه شيء، وكذلك ما ذكره تعالىٰ من مجادلة الخلق مطلقًا بقوله: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

فإن من الناس من يقول: آياتُ المجادلة والمحاجَّة للكفار منسوخاتٌ بآية السيف[2]؛ لاعتقاده أن الأمر بالقتال المشروع ينافي المجادلة المشروعة. وهذا غلط؛ فإن النسخ إنما يكون إذا كان الحكمُ الناسخُ مناقضًا للحكم المنسوخ، كمناقضة الأمر باستقبال المسجد الحرام في الصَّلاة للأمر باستقبال بيت المقدس[3]، ومناقضة الأمر بصيام رمضان للمُقِيم للتخيير بين الصِّيام وبين إطعام كل يوم مسكينًا، ومناقضة نهيه عن تعدِّي الحدود التي فَرَضها للورثة للأمر بالوصيَّة للوالدين والأقربين، ومناقضة قوله لهم: «كُفُّوا أيديكم عن القتال» لقوله: «قاتلوهم» كما قال تعالىٰ: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «النبوات» (٦٢٠- ٦٢١)، وتفسير مقاتل (٣/ ٣٨٥)، وتفسير ابن جرير (١٨/ ٤١٩- ٤٢١)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٦/ ٢٧١)، و«نواسخ القرآن» لابن الجوزي (٢/ ٤٩٦)، و«جمال القراء» للسخاوي (٤٤٥).

(٣) زادت ط. النيل: «بالشام». ورسمت مهملة في طرة (و).

﴿خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧]، فأمرُه لهم بالقتال ناسخٌ لأمره لهم بكفِّ أيديهم عنه[1].

فأما قوله تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، فهذا لا يناقضه الأمرُ بجهاد من أمر بجهاده منهم، ولكن الأمر بالقتال يناقض النهيَ عنه والاقتصارَ علىٰ المجادلة.

فأما مع إمكان الجمع بين الجدال المأمور به والقتال المأمور به، فلا منافاة بينهما، وإذا لم يتنافيا، بل أمكن الجمعُ، لم يجز الحكمُ بالنسخ، ومعلومٌ أن كلًّا منهما ينفع حيث لا ينفع الآخر، وأن استعمالهما جميعًا أبلغ في إظهار الهدىٰ ودين الحقِّ.

وممَّا يبيِّن ذلك وجوه:

أحدها: أن من كان من أهل الذمَّة والعهد والمستأمَن منهم لا يُجاهَد بالقتال فهو داخلٌ فيمن أمر الله بدعوته ومجادلته بالتي هي أحسن، وليس هو داخلًا فيمن أمر الله بقتاله.

الثاني: أنه قال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾، فالظالم لم يؤمر بجداله بالتي هي أحسن، فمن كان ظالمًا مستحقًّا للقتال غيرَ طالبٍ للعلم والدِّين فهو من هؤلاء الظالمين الذين لا يُجَادَلون بالتي هي أحسن، بخلاف من طلبَ العلم والدِّين ولم يظهَر منه ظلمٌ،

(١) أي: عن القتال. وفي (و): «عنهم» وهو خطأ، واختارته ط. العاصمة ولم تحسن قراءة الأصول.

سواءٌ كان قصدُه الاسترشاد أو كان يظنُّ أنه علىٰ حقٍّ يقصِدُ نصرَ ما يظنُّه حقًّا. ومن كان قصدُه العنادَ يعلمُ أنه علىٰ باطلٍ ويجادل عليه، فهذا لم يؤمر بمجادلته بالتي هي أحسن، لكن قد نجادله بطرقٍ أخرىٰ نبيِّن[1] فيها عناده وظلمَه وجهله، جزاءً له بموجَب عمله.

الثالث: أنه سبحانه قال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦]، فهذا مستجيرٌ مستأمِنٌ وهو من أهل الحرب، أمر الله[2] بإجارته حتىٰ تقوم حجَّة الله عليه، ثم يُبْلِغْه مأمنَه، وهذا في سورة «براءة» التي فيها نقضُ[3] العهود، وفيها آية السَّيف.

وذكَر هذه الآية في ضمن الأمر بنقض العهود؛ ليبيِّن سبحانه أن مثل هذا يجب أمانُه حتىٰ تقوم عليه الحجَّة، لا تجوز محاربتُه كمحاربة من لم يَطْلَب أن يُبَلَّغ حجَّة الله عليه.

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ إن لم يوافقه ما تَقُصُّ عليه وتُخْبِر به[4] فأبلِغه مأمنَه. قال: وليس هذا بمنسوخ[5].

وقال مجاهد: من جاءك واستمَع ما تقول[6]، واستمَع ما أُنزِل إليك،

---

(١) (د، ع): «يجادله بطرق أخرىٰ يبين».
(٢) (ي، و): «أمره الله».
(٣) كذا في الأصول هنا وفي السطر الذي بعده. ولعلها محرفة عن «نبذ» كما وردت فيما سيأتي (١/ ١٠٨)، وهي استعمال المصنف في «الصفدية» (٢/ ٣١٨)، و«الصارم المسلول» (٦٨٢، ٨٧٧)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٩/ ٢١)، وغيرها.
(٤) (ي، ع): «نقص عليه ونخبر به».
(٥) أخرجه ابن جرير (١١/ ٣٤٨)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٧٥٦).
(٦) «واستمع ما تقول» ساقط من ط. العاصمة.

فهو آمنٌ حتىٰ يأتيك[1].

وقال عطاء في الرجل من أهل الشِّرك يأتي المسلمين بغير عهدٍ، قال: يُخَيِّره[2]، إما أن يُقِرَّه، وإما أن يُبْلِغه مأمنَه[3].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ قد عُلِم أن المراد أنه يسمعُه سمعًا يتمكَّن معه من فهم معناه؛ إذ المقصود لا يقوم بمجرَّد سَمْعِ لفظٍ لا يتمكَّن معه من فهم المعنىٰ.

فلو كان غير عربيٍّ وجبَ[4] أن يُتَرجَم له ما يقوم به عليه الحجَّة.

ولو كان عربيًّا وفي القرآن ألفاظٌ غريبةٌ ليست مِن[5] لغته وجبَ أن يبيَّن له معناها.

ولو سمع اللفظَ كما يسمعُه كثيرٌ من الناس، ولم يفقه المعنىٰ، وطلب منَّا أن نفسِّره له ونبيِّن له معناه، فعلينا ذلك.

وإن سألَنا عن سؤالٍ يقدحُ في القرآن أجبناه عنه، كما كان النبيُّ ﷺ إذا أورد عليه بعضُ المشركين أو أهل الكتاب أو المسلمين سؤالًا يوردونه علىٰ القرآن، فإنه كان يجيبُه عنه، كما أجاب ابنَ الزِّبَعْرَىٰ لمَّا قاس المسيحَ علىٰ آلهة

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٥٥). وبنحوه ابن جرير (١١/ ٣٤٧).

(٢) لم تحرر في (و، ي)، وفي مصنف عبد الرزاق و«الاستذكار» (١٤/ ١١٨): «خَيِّره»، وليست عند ابن أبي شيبة، وكما أثبت في تفسير ابن أبي حاتم. وفي (ع، د): «تجيره» وهذا يوافق لفظ الآية. والتقسيم في الكلام يشهد للتخيير. و«يُقِرّه» أي يُقِرَّ بالقرآن. وفي (ع، د، و) وعبد الرزاق: «تقره ... تبلغه».

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٤/ ٥٦١)، وابن أبي شيبة (١٧/ ٥١٩)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٧٥٦).

(٤) (د، ي، ع): «لوجب».

(٥) ساقطة من ط. العاصمة.

المشركين[1]، وظنَّ أن العلة في الأصل مجرَّد[2] كونهم معبودين، وأن ذلك يقتضي أنَّ[3] كلَّ معبودٍ غير الله فإنه يعذَّب في الآخرة، فجعل المسيحَ مثلًا لآلهة المشركين قاسَهم عليه قياسَ الفرع على الأصل.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٧ - ٥٨].

فبيَّن سبحانه الفرقَ المانعَ من الإلحاق بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١].

وبيَّن أن هؤلاء القائسين ما قاسُوه إلا جدلًا محضًا لا يوجب علمًا؛ لأن الفرق حاصلٌ بين الفرع والأصل، فإن الأصنام إذا جُعِلوا حصبًا لجهنَّم كان ذلك إهانةً وخزيًا لعابديها، من غير تعذيبِ من لا يستحقُّ التعذيب. بخلاف ما إذا عُذِّب عبادُ الله الصالحون بذنب غيرهم، فإن هذا لا يفعله الله تعالىٰ، لا سيَّما عند جماهير المسلمين وسائر أهل الملل سلفِهم وخلفِهم الذين يقولون: إن الله لا يخلق ويأمر إلا لحكمة، ولا يظلم أحدًا فيُنقِصه شيئًا من حسناته، ولا يحمِل عليه سيئاتِ غيره، بل ولا يعذِّب أحدًا إلا بعد إرسال رسولٍ إليه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا﴾ [طه: ١١٢]،

(١) أخرجه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣/ ١٥ - ١٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ١٥٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (٣٠٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما من طرقٍ يصحُّ بها. وخرَّجه الضياء في «المختارة» (١١/ ٣٤٥)، وحسنه ابن حجر في «موافقة الخُبر الخَبر» (٢/ ١٧٣).

(٢) (و): «بمجرد».

(٣) ساقطة من ط. العاصمة.

وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن: ١٣]، وقال تعالىٰ: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

ومن قال من المسلمين وغيرهم من أهل المِلَل: إنه يجوز منه تعالىٰ فعلُ كل شيء، وأن الظلم هو الممتنعُ الذي لا يدخل تحت القدرة، فهؤلاء يقولون: إنما نعلم(١) ما يفعله وما لا يفعله بدلالة خبر الصَّادق أو بالعادة، وإن كان الجمهور يستدلون بخبر الصَّادق وبغيره علىٰ ما يمتنع من الله.

وقد أخبر الله تعالىٰ أن عباده الصالحين في الجنة، لا يعذِّبهم في النار، بل يتقبَّل عنهم أحسنَ ما عملوا، ويتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة، فضلًا أن يعاقبهم بذنب من عَبَدهم(٢) مع كراهتهم(٣) لفعلهم ونهيهم عن ذلك.

ومن زعم أن لفظ (ما) كانت تتناول المسيحَ وأُخِّر بيانُ العامِّ(٤)، أو أجاب بأن لفظ (ما) لا يتناول إلا ما لا يعقِل، فالقولان ضعيفان كما قد بُسِط في موضعه(٥).

وإنما المشركون عارضوا النصَّ الصَّحيح بقياسٍ فاسد، فبيَّن الله تعالىٰ فساد القياس، وذكَر الفرق بين الأصل والفرع(٦).

---

(١) مهملة في (ي، و). وفي ط. النيل: «يعلم».

(٢) (و، ع): «بذنب غيرهم». (د): «بذنب من غيرهم». والمثبت من (ي) أجود.

(٣) (ي، د، و): «كراهية». (ع): «كراهته». وما أثبت أشبه بالصواب.

(٤) أي بيان المخصِّص للعام.

(٥) انظر: «درء التعارض» (٧/ ٥٦)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٢٠/ ٥٤٠). ولشيخ الإسلام رسالة مفردة في تفسير هذه الآية واعتراض ابن الزبعرىٰ وجوابه، ذكرها ابن رشيق في أسماء مؤلفاته (٢٨٩- الجامع لسيرته).

(٦) انظر: «الصفدية» (١/ ١٤١)، و«الإخنائية» (٢٠٧)، و«شرح الأصبهانية» (٧١٣)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ١٥، ١٦/ ٤٠).

وكذلك لما أورد بعض النصارىٰ علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم: ٢٨] ظنًّا منه أن هارون هذا هو هارون أخو موسىٰ بن عمران، وأن عمران هذا هو عمران أبو مريم أمِّ المسيح، فسئل النبيُّ ﷺ عن ذلك، أجاب بأن هارون هذا ليس هو ذاك، ولكنَّهم كانوا يُسَمُّون بأسماء الأنبياء والصَّالحين.

وبعض جهَّال النصارىٰ يقدحُ في القرآن بمثل هذا ولا يعلم هذا المُفْرِط في جهله أن آحاد الناس يعلمون أن بين موسىٰ وعيسىٰ مدَّةً طويلةً جدًّا يمتنع معها أن يكون موسىٰ وهارون خالَي المسيح، وأن هذا ممَّا لا يخفىٰ علىٰ أقل أتباع محمدٍ ﷺ، فضلًا عن أن يخفىٰ علىٰ محمدٍ ﷺ.

وهذا السؤال ممَّا أورده أهلُ نجران، كما ثبت عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله ﷺ إلىٰ أهل نجران فقالوا: ألستم تقرؤون: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم: ٢٨]؟ وقد علمتم ما بين موسىٰ وعيسىٰ، فلم أدرِ ما أجيبُهم، فرجعتُ إلىٰ رسول الله ﷺ، فأخبرته، فقال: «**ألا أخبرتَهم أنهم كانوا يُسَمُّون بأسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم؟**»(١).

وهذا السُّؤال الذي هو سؤال الطاعن في القرآن لمَّا أوردوه(٢) أهلُ نجران الكفَّار علىٰ المغيرة(٣) رسولِ رسولِ الله ﷺ ولم يُجِبهم عنه، أجاب عنه النبيُّ ﷺ، ولم يقل لهم: ليس لكم عندي إلا السَّيف، ولا قال: قد نقضتم العهد؛ إذ كانوا(٤) قد عاهدوه، وقد عُرِف أن أهل نجران لم يُرسِل إليهم رسولًا إلا والجهاد مأمورٌ به.

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٣٥).
(٢) (ع): «أورده»، ولعله من إصلاح الناسخ.
(٣) ليست في (و).
(٤) (ع، د، و) وط. النيل والعاصمة: «إن كانوا»، وهو خطأ.

وكان المسلمون يوردون الأسئلة عليه:

كما أورد عليه عمر عام الحديبية لمَّا صالحَ المشركين ولم يدخل مكة، فقال له: ألم تكن تحدِّثنا أنَّا نأتي البيت ونَطَّوَّف به؟ قال: «**بلىٰ، أقلتُ لك أنك تأتيه في هذا العام؟**» قال: لا، قال: «**فإنك آتيهِ ومُطَّوِّفٌ به**»(١). وكذلك أجابه أبو بكر ولم يكن سمع جوابَ النبي ﷺ له. ومعلومٌ أنه ليس في ظاهر اللفظ توقيتُ ذلك بعامٍ، ولكن السَّائل ظنَّ ما لا يدلُّ اللفظ عليه.

وكذلك لمَّا قال: «**من نُوقِش الحسابَ عُذِّب**»، قالت له عائشة: ألم يقل الله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧، ٨]؟ فقال: «**ذلك العَرْض، ومن نُوقِشَ الحسابَ عُذِّب**»(٢). ومعلومٌ أن الحساب اليسير لا يتناول من نُوقِش، وقد زادها بيانًا فأخبر أنه العَرْض لا المقابلة المتضمِّنة للمناقشة.

وكذلك لمَّا قال: إنه «**لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة**»، قالت له حفصة: ألم يقل الله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]؟ فأجابها بأنه قال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢](٣). فبيَّن ﷺ أن هؤلاء هم الذين يدخلون جهنم، وهذا الدخول هو الذي نفاه عن أهل الحديبية، وأما الورود فهو مرورُ الناس علىٰ الصِّراط، كما فسَّره في الحديث الصَّحيح حديث جابر بن عبد الله(٤)، وهذا المرور لا يُطْلَق عليه اسمُ الدخول الذي يُجزىٰ به العصاة ويُنفىٰ عن المتقين.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١).
(٢) أخرجه البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦).
(٣) أخرجه مسلم (٢٤٩٦).
(٤) أخرجه مسلم (١٩١).

ومثل هذا كثير[1].

وأما ما في القرآن من ذكرِ أقوال الكفَّار وحُجَجهم، وجوابها، فهذا كثيرٌ جدًّا، فإنه يجادلهم تارةً في التوحيد، وتارةً في النبوَّات، وتارةً في المعاد، وتارةً في الشَّرائع، بأحسن الحُجَج وأكملها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ۝٣٢ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٢ - ٣٣].

وقد أخبر الله تبارك وتعالى عن أولي العزم من الرسل بمجادلة الكفَّار، فقال تعالىٰ عن نوح[2]: ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا﴾ [هود: ٣٢]، وقال عن الخليل: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ﴾ [الأنعام: ٨٠- ٨٣].

وأمر الله تعالىٰ محمدًا ﷺ بالمجادلة بالتي هي أحسن.

وذمَّ سبحانه من جادل بغير علمٍ، أو في الحقِّ بعدما تبيَّن، ومن جادل بالباطل، فقال تعالىٰ: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٦]، وقال تعالىٰ: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ [الأنفال: ٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥].

وهذا هو الجدال المذكور في قوله: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤].

---

(١) انظر: «الصفدية» (١/ ١٣٩ - ١٤١)، و«درء التعارض» (٥/ ٢٢٨ - ٢٣١، ٧/ ٤٦ - ٥٥)، و«جواب الاعتراضات المصرية» (٨١)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٧/ ٣٩٥).

(٢) ط. النيل: «قوم نوح».

وإذا كان النبيُّ ﷺ يُحَاجُّ الكفَّار بعد نزول الأمر بالقتال، وقد أمره الله تعالىٰ أن يُجِير المستجيرَ حتىٰ يسمع كلام الله ثم يُبْلِغه مأمنَه، والمراد بذلك: تبليغه[1] رسالات الله، وإقامة الحجَّة عليه، وذلك قد لا يتمُّ إلا بتفسيره له الذي تقوم به الحجَّة، ويجابُ به عن المعارضة، وما لا يتمُّ الواجب إلا به فهو واجب = عُلِم بطلانُ قول من ظنَّ أن الأمر بالجهاد ناسخٌ للأمر[2] بالمجادلة مطلقًا.

الوجه الرابع: أن القائل إذا قال: إن آية[3] مجادلة الكفَّار أو غيرها ممَّا يدَّعي نسخه منسوخةٌ بآية السَّيف.

قيل له: ما تعني بآية السَّيف؟ أتعني آيةً بعينها، أم تعني كلَّ آيةٍ فيها الأمرُ بالجهاد؟

فإن أراد الأول، كان جوابه من وجهين:

أحدهما: أن الآيات التي فيها ذكرُ الجهاد متعدِّدة، فلا يجوز تخصيص بعضها.

وإن قال: أريد قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة: ٥].

قيل له: هذه في قتال المشركين، وقد قال بعدها في قتال أهل الكتاب: ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩]، فلو لم تكن آية السَّيف إلا واحدةً لم تكن هذه أولىٰ من هذه.

---

(١) ط. العاصمة: «تبليغ»، خلاف الأصول.
(٢) (و): «الأمر».
(٣) ليست في (و، ي).

وإن قال: كلُّ آيةٍ فيها ذكرُ الجهاد.

قيل له: الجهاد شُرِع على مراتب:

فأول ما أنزل الله تعالىٰ فيه الإذن بقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]، فقد ذكر غير واحدٍ من العلماء أن هذه أول آية نزلت في الجهاد(١).

ثم بعد ذلك نزل وجوبه بقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ولم يؤمروا بقتال من طلب مسالمتَهم، بل قال: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٨٩ - ٩٠].

وكذلك من هادنهم لم يكونوا مأمورين بقتاله، وإن كانت الهدنة عقدًا جائزًا غير لازم.

ثم أنزل الله في «براءة» الأمر بنبذ العهود، وأمرهم بقتال المشركين كافَّة،

(١) أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» (١١٣٤٦) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وصححه ابن حجر في «الفتح» (٧/ ٢٨٠). وروي عن عروة من قوله، وهو أصح. انظر: «العلل» لابن أبي حاتم (٤/ ٦٦٨).
وأخرجه أحمد (١٨٦٥) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه ابن حبان (٤٧١٠)، والحاكم (٢/ ٦٦)، وخرجه الضياء في «المختارة» (١٠/ ٣٥٩)، وإسناده علىٰ شرط الصَّحيحين كما قال ابن القيم في «زاد المعاد» (٣/ ٨٦).
ويروىٰ عن غير واحد من السلف. انظر: تفسير ابن جرير (١٦/ ٥٧٦).

وأمرهم بقتال أهل الكتاب إذا لم يُسْلِموا حتىٰ يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، ولم يُبِح لهم تركَ قتالهم وإن سالموهم وهادنوهم هدنةً مطلقةً مع إمكان جهادهم.

فإن قال: آية السَّيف التي نسَخت المجادلة هي آية الإذن.

قيل: فآية الإذن نزلت في أوَّل مَقْدَمِه المدينة قبل أن يبعث شيئًا من السَّرايا، وقد جادل بعد هذا الكفار.

وكذلك إن قيل: آياتُ فرض القتال.

قيل: فقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ نزلت في أول الأمر في سورة البقرة[1] قبل بدر، ولا ريب[2] أن الجهاد كان واجبًا يوم أحدٍ والخندق وفتح خيبر ومكة، وقد ذكر الله آيات فرض الجهاد في هؤلاء المغازي كما ذكر ذلك في سورة آل عمران والأحزاب.

وإن قيل: بل الجدال إنما نُسِخ لمَّا أُمِر بجهاد مَن سالم ومَن لم يسالِم.

قيل: هذا باطل؛ فإن الجدال إن كان منافيًا للجهاد فهو منافٍ لإباحته ولإيجابه ولو للمُسَالِم، وإن لم ينافِ الجهاد لم ينافِ إيجابَ الجهاد للمسالِمين، كما لم ينافِ إيجابَ جهاد غيرهم؛ فإن المسالِم قد لا يجادَل ولا يجالَد، وقد يجادَل ولا يجالَد، كما أن غيره قد يجالَد ويجادَل، وقد يُفْعَل أحدُهما. فإن كان إيجابه لجهاد المحارب المبتدئ بالقتال لا ينافي مجادلتَه، فلأن يكون جهادُ من لا يبدأ القتال لا ينافي مجادلتَه أولىٰ وأحرىٰ، فإن من كان أبعدَ عن القتال كانت مجادلتُه أقلَّ منافاةً للقتال ممن يكون أعظم قتالًا.

(١) «في سورة البقرة» ساقط من ط. العاصمة.

(٢) ط. النيل: «وقيل لا ريب».

يبيِّن هذا:

الوجه الخامس: وهو أن يقال: المنسوخ هو الاقتصار على الجدال، فكان النبيُّ ﷺ في أول الأمر مأمورًا أن يجاهد الكفَّار بلسانه لا بيده، فيدعوهم ويَعِظُهم ويجادلهم بالتي هي أحسن، ويجاهدهم بالقرآن جهادًا كبيرا، قال تعالىٰ في سورة الفرقان وهي مكية: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥١ - ٥٢].

وكان مأمورًا بالكفِّ عن قتالهم؛ لعجزه وعجز المسلمين عن ذلك، ثم لمَّا هاجر إلىٰ المدينة وصار له بها أعوانٌ أُذِن له في الجهاد، ثم لما قَوُوا كُتِب عليهم القتال ولم يُكتَب عليهم قتالُ من سالَمهم؛ لأنهم لم يكونوا يطيقون قتال جميع الكفار. فلما فتح الله مكة وانقطع قتال قريش ملوك العرب[1]، ووفدت إليه وفودُ العرب بالإسلام، أمره الله تعالىٰ بقتال الكفار كلِّهم إلا من كان له عهدٌ مؤقَّت، وأمَره[2] بنبذ العهود المطلقة، فكان الذي رفَعَه ونَسَخه تركَ القتال.

وأما مجاهدة الكفار باللسان، فما زال مشروعًا من أول الأمر إلىٰ آخره، فإنه إذا شُرِع جهادُهم باليد فباللسان أولىٰ، وقد قال النبيُّ ﷺ: «**جاهدوا المشركين بأيديكم وألسنتكم وأموالكم**»[3].

---

(١) كذا في الأصول.

(٢) (د): «وأمرهم».

(٣) أخرجه أحمد (١٢٢٤٦)، وأبو داود (٢٥٠٤)، والنسائي (٣٠٩٦) من حديث أنس رضي الله عنه بسند صحيح، وصححه ابن حبان (٤٧٠٨)، والحاكم (٢/ ٨١)، وقال ابن عبد الهادي في «المحرر» (٧٧٦): «إسناده على رسم مسلم».

وكان ينصِب لحسَّان منبرًا في مسجده[1] يجاهد فيه المشركين بلسانه جهاد هَجْوٍ، وهذا كان بعد نزول آيات القتال، وأين منفعة الهَجْوِ من منفعة إقامة الدلائل والبراهين علىٰ صحَّة الإسلام، وإبطال حجج الكفار من المشركين وأهل الكتاب؟!

الوجه السادس: أنه من المعلوم أن القتال إنما شُرِع للضرورة، ولو أن الناس آمنوا بالبرهان والآيات لما احتِيج إلىٰ القتال. فبيانُ آيات الإسلام وبراهينه واجبٌ مطلقًا وجوبًا أصليًّا، وأما الجهاد فمشروعٌ للضرورة، فكيف يكون هذا مانعًا من ذلك؟!

فإن قيل: الإسلام قد ظهرت أعلامه وآياته، فلم تبق حاجةٌ إلىٰ إظهار آياته، وإنما يُحتَاج إلىٰ السَّيف.

قيل: معلومٌ أن الله وعد بإظهاره علىٰ الدِّين كلِّه ظهورَ علمٍ وبيان، وظهورَ سيفٍ وسنان، فقال تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[2] [التوبة: ٣٣].

وقد فسَّر العلماء ظهوره بهذا وهذا[3]، ولفظ الظهور يتناولهما؛ فإن ظهور الهدىٰ بالعلم والبيان، وظهور الدِّين باليد والعمل[4]، والله تعالىٰ أرسل رسوله[5] بالهدىٰ ودين الحق؛ ليظهره علىٰ الدِّين كله.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٤٣٧)، وأبو داود (٥٠١٥)، والترمذي (٢٨٤٦) من حديث عائشة رضي الله عنها، وقال الترمذي: «حسن صحيح»، وعلقه البخاري، كما في «الجمع بين الصَّحيحين» للحميدي (٤/ ١٣١)، و«تحفة الأشراف» (١٢/ ١٠).

(٢) أكملت ط. العاصمة الآية، خلافًا للأصول.

(٣) انظر: «البسيط» للواحدي (١٠/ ٣٩٠- ٣٩٢).

(٤) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ١٢، ٢٨/ ٣٨)، وما سيأتي (١/ ١٨٦).

(٥) (د، ع): «والله أرسله».

ومعلومٌ أن ظهور الإسلام بالعلم والبيان قبل ظهوره باليد والقتال؛ فإن النبي ﷺ مكث بمكة ثلاث عشرة سنة يُظْهِر الإسلام بالعلم والبيان والآيات والبراهين، فآمنت به المهاجرون والأنصار طوعًا واختيارًا بغير سيف؛ لِمَا بان لهم من الآيات البينات والبراهين والمعجزات، ثم أظهره بالسَّيف.

فإذا وجب علينا جهاد الكفار بالسَّيف ابتداءً ودفعًا، فلَأن يجب علينا بيانُ الإسلام وإعلامه ابتداءً ودفعًا لمن يطعنُ فيه بطريق الأولىٰ والأحرىٰ؛ فإن وجوب هذا قبل وجوب ذاك، ومنفعته قبل منفعته، ومعلومٌ أنه يحتاج كلَّ وقتٍ إلىٰ السَّيف، فكذلك هو محتاجٌ إلىٰ العلم والبيان. وإظهارُه بالعلم والبيان من جنس إظهاره بالسَّيف، وهو ظهورٌ مجملٌ علا به علىٰ كلِّ دين، مع أن كثيرًا من الكفَّار لم يقهره سيفُه[1]، فكذلك كثيرٌ من الناس لم يظهر لهم آياتُه وبراهينُه، بل قد يقدحون فيه ويقيمون الحجج علىٰ بطلانه، لا سيَّما والمقهور بالسَّيف فيهم منافقون كثيرون، فهؤلاء جهادهم بالعلم والبيان دون السَّيف والسنان.

يؤكِّد هذا:

الوجه السابع: وهو أن القتال لا يكونُ إلا لظالم؛ فإن من قاتل المسلمين لم يكن إلا ظالمًا معتديًا، ومن قامت عليه الحجَّة، فشاقَّ الرسول من بعد ما تبيَّن له الهدىٰ، واتبع غير سبيل المؤمنين، لم يكن إلا ظالمًا.

وأما المجادلة فقد تكون لظالم، إمَّا طاعنٍ في الدِّين بالظلم، وإمَّا من قامت عليه الحجَّة الظاهرة فامتنع من قبولها.

وقد تكون لمسترشدٍ طالب حقٍّ لم يَبْلُغه، وإمَّا من بَلَغَه بعض أعلام نبوة محمد ﷺ ودلائل نبوته، ولكن عُورِض ذلك عنده بشبهاتٍ تنافي ذلك، فاحتاج

---

(١) (د، ع): «بسيفه».

إلىٰ جواب تلك المعارضات، وإمَّا طالبٍ لمعرفة دلائل النبوَّة علىٰ الوجه الذي يَعْلَم به ذلك.

فإذا كان القتال الذي لا يكون إلا لدفع ظلم المقاتل مشروعًا، فالمجادلة التي تكون لدفع ظلمه ولانتفاعه وانتفاع غيره مشروعةٌ بطريق الأولىٰ.

قال مجاهد: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ قال: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ من قاتلك ولم يُعْطِك الجزية(١).

وفي لفظٍ آخر عنه قال: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ أهلُ الحرب، من لا عهد له، المجادلة لهم بالسَّيف(٢).

وفي روايةٍ عنه قال: لا تقاتل إلا من قاتلك ولم يُعْطِك الجزية(٣).

وفي روايةٍ عنه قال: من أدَّىٰ منهم الجزية فلا تقولوا له إلا خيرًا(٤).

وعن مجاهد: ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ فإن قالوا شرًّا فقولوا خيرًا(٥).

فهذا مجاهدٌ لا يجعلها منسوخة، وهو(٦) قول أكثر المفسرين(٧).

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٨/ ٤١٨)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٦٩).
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٦٩).
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٦٩).
(٤) أخرجه ابن الجوزي في «نواسخ القرآن» (٢/ ٥٣٦). وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١١/ ٥٥٨) إلىٰ الفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.
(٥) أخرجه ابن جرير (١٨/ ٤١٨)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٦٩).
(٦) ط. العاصمة: «وهي»، وهو خطأ.
(٧) انظر: تفسير ابن جرير (١٨/ ٤٢٠)، والقرطبي (١٣/ ٣٥٠)، و«الناسخ والمنسوخ» لأبي جعفر النحاس (٢/ ٥٧٧)، و«نواسخ القرآن» لابن الجوزي (٢/ ٥٣٦).

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ ليست منسوخة[1].

ولكن عن قتادة قال: نسخَتها ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥]، ولا مجادلة أشدُّ من السَّيف[2].

والأول أصح؛ لأن هؤلاء من الذين ظَلَموا، فلا نسخ.

وممَّا يُعْجَبُ منه أن بعض المنكرين لمجادلة الكفار بناءً علىٰ ظهور دلائل النبوَّة تجده[3] هو ومن يعظِّمه من شيوخه الذين يَعْتَمِد في أصول الدِّين علىٰ نظرهم ومناظرتهم ويزعمون أنهم قرَّروا دلائل النبوَّة = قد أوردوا من الشُّبهات والشُّكوك والمطاعن علىٰ دلائل النبوَّة ما يبلغ نحو ثمانين سؤالًا، وأجابوا عنه بأجوبة لا تصلح أن تكون جوابًا في المسائل الظنِّيَّة، بل هي إلىٰ تقرير شُبَه الطاعنين أقرب منها إلىٰ تقرير أصول الدِّين[4]، وهم كما مثَّلهم الغزاليُّ وغيره بمن يضربُ شجرةً ضربًا يزلزلها به وهو يزعم أنه يريد أن يثبِّتها[5].

وكثيرٌ من أئمَّة هؤلاء مضطربٌ في الإيمان بالنبوَّة اضطرابًا ليس هذا موضع بسطه، وهم مع ذلك يدَّعون أنه قد ظهر عند أهل الكتاب ما لم يظهر عند شيوخ هؤلاء النظَّار، وينهون عن إظهار آيات الله وبراهينه التي هي غاية مطالب مشايخهم، وهم لم يعطوها حقَّها إما عجزًا وإما تفريطًا.

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٨/ ٤١٩)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٦٨).
(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢٢٥٩)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٦٨).
(٣) مهملة في (ي). (و): «نجده».
(٤) كما فعل الرازي في «نهاية العقول» (٣/ ٣٥٠- ٥١٦).
(٥) انظر: «إحياء علوم الدين» (١/ ٩٤).

الوجه الثامن: أن كثيرًا من أهل الكتاب يزعم أن محمدًا ﷺ وأمَّته إنما أقاموا دينهم بالسَّيف لا بالهدىٰ والعلم والآيات، فإذا طلبوا العلم والمناظرة، فقيل لهم: ليس لكم جوابٌ إلا السَّيف، كان هذا ممَّا يقرِّر ظنَّهم الكاذب، وكان هذا من أعظم ما يحتجُّون به عند أنفسهم علىٰ فساد دين[1] الإسلام، وأنه ليس دين رسولٍ من عند الله، وإنما هو دينُ مَلِكٍ أقامه بالسَّيف.

الوجه التاسع: أنه من المعلوم أن السَّيف -لا سيَّما سيفُ المسلمين وأهل الكتاب- هو تابعٌ للعلم والحجَّة، بل وسيفُ المشركين هو تابعٌ لآرائهم واعتقادهم؛ فالسَّيفُ[2] من جنس العمل، والعملُ أبدًا تابعٌ للعلم والرأي.

وحينئذ، فبيانُ دين الإسلام بالعلم، وبيانُ أن ما خالفه ضلالٌ وجهل، هو تثبيتٌ لأصل دين الإسلام، واجتثاثٌ[3] لأصل غيره من الأديان التي يقاتَل عليها أهلُها، ومتىٰ ظهر صحَّتُه وفساد غيره كان الناسُ أحد رجلين:

إمَّا رجلٍ تبيَّن له الحقُّ، فاتَّبعه، فهذا هو المقصود الأعظم من إرسال الرسل.

وإمَّا رجلٍ لم يتَّبعه، فهذا قامت عليه الحجَّة؛ إمَّا لكونه لم ينظر في أعلام الإسلام، أو نظرٍ وعَلِم، فاتَّبع هواه أو قصَّر.

وإذا قامت عليه الحجَّة كان أرضىٰ لله ولرسوله، وأنصرَ لسيف الإسلام وأذلَّ لسيف الكفار. وإذا قُدِّر أن فيهم من يعجز عن فهم الحجَّة، فهذا

(١) ليست في (ي، و).
(٢) (و، ي): «والسيف».
(٣) ط. النيل والعاصمة: «واجتناب»، وهو خطأ مخالف للأصول.

إذا لم يكن معذورًا مع عدم قيامها فهو مع قيامها أولىٰ أن لا يُعْذَر، وإن كان معذورًا مع قيامها فهو مع عدمها أعذر.

فعلىٰ التقديرين قيامُ الحجَّة أنصرُ وأعذَر، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [المرسلات: ٥، ٦]، وقال النبي ﷺ: «**ما أحدٌ أحبَّ إليه العذرُ من الله، من أجل ذلك أرسل الرسلَ مبشِّرين ومنذرين**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٦)، ومسلم (١٤٩٩) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه. وأخرجه مسلم (٢٧٦٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

فصل

وكان قبل قصَّة نجران قد آمن بالنبي ﷺ[1] كثيرٌ من اليهود والنصارىٰ، رؤساؤهم وغير رؤسائهم[2]، لمَّا تبيَّن لهم أنه رسول الله إليهم.

كما آمن به النجاشيُّ ملكُ الحبشة، وكان نصرانيًّا هو وقومه، وكان إيمانُه به في أول أمر النبيِّ ﷺ لمَّا كان أصحابه مستضعفين بمكة، وكان الكفَّار يظلمونهم ويؤذونهم ويعاقبونهم علىٰ الإيمان بالله ورسوله، فهاجر منهم طائفة، مثل: عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وعبد الله بن مسعود، وجعفر بن أبي طالب، وغيرهم من الرجال والنساء إليه.

وكان ملكًا عادلًا، فأرسل الكفَّار خلفهم رسلًا إلىٰ أرض الحبشة أرض النجاشيِّ[3] بهدايا؛ ليردَّهم إليهم، فامتنع من عدله أن يسلِّمهم إليهم حتىٰ يسمع كلامهم، فلمَّا سمع كلامهم وما أخبروه به من أمر النبيِّ ﷺ آمن بالنبيِّ ﷺ وآواهم.

ولمَّا سمع القرآن قال: إن هذا والذي جاء به موسىٰ ليخرج من مشكاةٍ واحدة، ولمَّا سألهم عن قولهم في المسيح عليه السلام قالوا: نشهد أنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم العذراء البتول التي لم يمسَّها رجل[4]، فقال النجاشي لجعفر بن أبي طالب: والله ما زاد عيسىٰ بن مريم علىٰ ما قلتَ هذا العود، فنَخَرت أصحابه، فقال: وإن نَخَرتم، وإن نَخَرتم.

---

(١) (و، ي): «آمن به».

(٢) (و، ي): «روسهم وغير روسهم».

(٣) «إلىٰ أرض الحبشة أرض النجاشي» ليست في (و). وفي (ي) موضعها: «إليه».

(٤) (و): «فحل».

وبعث ابنَه وطائفةً من أصحابه إلىٰ النبي ﷺ مع جعفر بن أبي طالب، وقَدِم جعفرُ علىٰ النبي ﷺ عام خيبر.

وقد ذكر قصَّتهم جماعةٌ من العلماء والحفَّاظ، كأحمد بن حنبل في «المسند»، وابن سعد في «الطبقات»، وأبي نعيم في «الحلية»، وغيرهم[1]، وذكرها أهلُ التفسير والحديث والفقه، وهي متواترةٌ عند العلماء.

قال أحمد[2]: حدثني يعقوب بن إبراهيم بن سعد[3]، عن أبيه، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، حدثني محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج النبي ﷺ ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لمَّا نزلنا أرض الحبشة جاوَرْنا بها خيرَ جارٍ، النجاشيَّ، أمِنَّا علىٰ ديننا، وعَبَدنا الله، لا نُؤذىٰ، ولا نسمعُ شيئًا نكرهه.

فلما بلغ ذلك قريشًا ائتمروا أن يبعثوا إلىٰ النجاشيِّ فينا رجلين جَلْدَين، وأن يُهْدُوا للنجاشيِّ هدايا ممَّا يُسْتَطْرَف من متاع مكة، وكان أعجبَ ما يأتيه منها إليه الأَدَم[4]، فجمعوا له أَدَمًا كثيرًا، ولم يتركوا من بطارقته بِطْريقًا إلا أهدوا له هديَّة، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي، وعمرو بن العاص بن وائل السَّهمي، وأمروهما أمرَهم، وقالوا لهما: ادفعوا إلىٰ كل بطريقٍ هديَّته قبل أن تكلِّموا النجاشيَّ فيهم، ثم قدِّموا إلىٰ النجاشيِّ هداياه، ثم سَلُوه أن يُسْلِمَهم إليكم قبل أن يكلِّمهم.

---

(١) سيرة ابن إسحاق (٢٨٢)، و«الطبقات» (١/ ١٧٢)، و«الحلية» (١/ ١١٥).
(٢) «المسند» (١٧٤٠، ٢٢٤٩٨)، وإسناده حسن.
(٣) مشتبهة في (و، ي). وعلىٰ الصواب في (د، ع). وفي ط. النيل: «سعيد»، وهو خطأ، وأثبتته ط. العاصمة وخطّأت الصواب مع رجوع محققها إلىٰ ترجمة يعقوب!
(٤) جمع أديم، وهو الجلد المدبوغ. «المصباح» (أدم).

قالت: فخرجا، فقَدِما علىٰ النجاشيِّ ونحن عنده بخير دارٍ عند خير جارٍ، فلم يبقَ من بطارقته بطريقٌ إلا دفعا إليه هديَّته قبل أن يكلِّما النجاشي، ثم قالا لكلِّ بطريقٍ منهم: إنه قد صَبَا[1] إلىٰ بلد الملك منَّا غلمانٌ سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدينٍ مبتدَعٍ لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثَنا إلىٰ الملك فيهم[2] أشرافُ قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم ليردَّهم[3] إليهم، [فإذا كلَّمْنا الملكَ فيهم] فأشيروا عليه أن يُسْلِمَهم إلينا ولا يكلِّمهم؛ فإن قومهم أعلىٰ بهم عينًا وأعلمُ بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم.

ثم إنهما قرَّبا هداياهم إلىٰ النجاشيِّ، فقبلها منهما، ثم كلَّماه فقالا له: أيها الملك، إنه قد صَبَا إلىٰ بلدك منَّا غلمانٌ سفهاء، فارقوا دينَ قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدينٍ مبتدَعٍ[4] لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثَنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردَّهم إليهم[5]، فهم أعلا بهم عينًا وأعلمُ بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

قالت: ولم يكن شيءٌ أبغضَ إلىٰ عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمعَ النجاشيُّ كلامنا.

فقالت بطارقته حوله: صَدَقوا أيها الملك، قومُهم أعلا بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسْلِمْهم إليهما فليرُدَّاهم إلىٰ بلادهم وقومهم.

---

(١) (د، ع): «ضوىٰ»، وكلاهما بمعنىٰ مالَ. «النهاية» (صبا، ضوا).
(٢) من هنا إلىٰ «أشراف قومهم» في الموضع الآتي ساقط من (و، ي) لانتقال النظر.
(٣) (د، ع): «بدين ابتدعوه».
(٤) (ع): «ليردوهم».
(٥) (ع): «عليهم».

قالت: فغضب النجاشيُّ، ثم قال: لا ها ايْمُ الله[1] إذًا لا أُسْلِمُهم إليهما، ولا أُكَادُ قومًا جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني علىٰ من سواي، حتىٰ أدعوَهم فأسألهم ما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولون أسْلَمْتُهم إليهما ورددتُهم إلىٰ قومهم، وإن كانوا علىٰ غير ذلك منعتُهم منهما وأحسنتُ جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلىٰ أصحاب رسول الله ﷺ، فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول: والله ما عَلِمنا، وما جاء[2] به نبيُّنا ﷺ، كائنٌ في ذلك ما هو كائن. فلما جاؤوه[3] وقد دعىٰ النجاشيُّ أساقفتَه ومعهم مصاحفهم حوله، فسألهم فقال: ما هذا الدِّين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحدٍ من هذه الأمم؟

قالت: فكان الذي كلَّمه جعفرُ بن أبي طالب، فقال: أيها الملك، كنَّا قومًا أهلَ جاهليَّة، نعبدُ الأصنام، ونأكلُ الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطعُ الأرحام، ونُسِيء الجوار، ويأكل القويُّ منَّا الضعيف، فكنَّا علىٰ ذلك حتىٰ بعث الله إلينا رسولًا منَّا نعرف نسبَه وصدقَه وأمانتَه وعفافَه، فدعانا إلىٰ الله لنوحِّده ونعبده ونخلعَ ما كنَّا نحن نعبدُ وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمَرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصِلة الرَّحم، وحُسْن الجوار، والكفِّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.

---

(١) «المسند»: «لا هَيْمُ الله» صيغة قسم، و«ها» للتنبيه. انظر: «فتح الباري» (٨/ ٣٧). وفي ط. العاصمة: «لا ها الله ايم الله»، خلاف الأصول.

(٢) «المسند»: «أمرنا».

(٣) زادت (د، ع، ي): «زاد أبو نعيم». وليست في (و، ي) و«المسند».

قالت: فعدَّد عليه أمور الإسلام.

قال: فصدَّقناه، وآمنَّا به، واتَّبعناه علىٰ ما جاء به، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئًا، وحرَّمنا ما حرَّم علينا، وأحللنا ما أحلَّ لنا، فعدا علينا قومُنا فعذَّبونا وفتنونا عن ديننا ليردُّونا إلىٰ عبادة الأوثان عن عبادة الله، وأن نستحلَّ ما كنَّا نستحلُّ من الخبائث، فلمَّا قهرونا وظلمونا وشقُّوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلىٰ بلدك، واخترناك علىٰ من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نُظْلَم عندك أيها الملك.

قالت: فقال له النجاشي: هل معك ممَّا جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم. فقال له النجاشي: فاقرأه عليَّ. فقرأ عليه صدرًا من سورة مريم[1]: ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا

(١) «المسند»: «من كهيعص»، دون سياق الآيات.

فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا
﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ
وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ
ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا
قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا
مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ
ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا
فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ
قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ
أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ
ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ
يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى
فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ
﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ
فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ
فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا
نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: ١ - ٤٠].

قالت أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فبكىٰ والله النجاشي حتىٰ أَخْضَل لحيتَه، وبكت أساقفتُه حتىٰ أَخْضَلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تُلِي عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسىٰ ليخرجُ من مشكاةٍ واحدة، ثم قال لعبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص: انطلقا، فوالله لا أُسْلِمُهم إليكما أبدًا، ولا أُكاد.

قالت أم سلمة: فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص: والله لآتينَّه غدًا أعيبُهم عنده[1]، ثم أستأصِل به خضراءهم.

قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة - وكان أبقىٰ[2] الرجلين فينا -: لا تفعل؛ فإن لهم أرحامًا وإن كانوا قد خالفونا، قال: والله لأخبرنَّه أنهم يزعمون أن عيسىٰ بن مريم عبدٌ.

قالت: ثم غدا عليه الغد، فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسىٰ بن مريم قولًا عظيمًا، فأرسِل إليهم فاسألهم عمَّا يقولون فيه.

قالت: فأرسل إليهم يسألهم عنه.

قالت: ولم ينزل بنا مثلُها، فاجتمع القوم، فقال بعضهم لبعض: ما تقولون في عيسىٰ إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله فيه ما قال الله وما جاء به نبيُّنا كائنًا في ذلك ما هو كائن.

فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسىٰ بن مريم؟ فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبيُّنا: هو عبدُ الله ورسوله وروحُه وكلمتُه ألقاها إلىٰ مريم العذراء البتول.

قالت: فضرب النجاشيُّ يده إلىٰ الأرض، فأخذ منها عودًا، ثم قال: ما عدىٰ عيسىٰ بن مريم ما قلتَ هذا العود. فتناخرت بطارقتُه حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نَخَرتم والله، اذهبوا فأنتم سُيُومٌ بأرضي -والسُّيوم: الآمنون-

---

(١) «المسند»: «لأنبئنه غدًا عيبَهم عنده».

(٢) مهملة في (ي، و). والمثبت من (ع، د)، أي: أكثرهما إبقاءً علىٰ قومه. ويروىٰ بالتاء «أتقىٰ»، وكذلك هو في مطبوع «المسند» وأكثر المصادر. انظر: «النهاية» (بقي).

من سَبَّكم غُرِّم، ثم من سَبَّكم غُرِّم، ثم من سَبَّكم غُرِّم، فما أحبُّ أن لي دَبْرًا ذهبًا وأني آذيتُ رجلًا منكم -والدَّبْر بلسان الحبشة: الجبل-. رُدُّوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لنا بها، فوالله ما أخذ الله مني الرِّشوة حين ردَّ عليَّ ملكي فآخذ الرِّشوة فيه، وما أطاع الناسَ فيَّ فأطيعهم فيه.

قالت: فخرجا من عنده مَقْبُوحَيْن، مردودٌ عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دارٍ مع خير جار.

قالت: فوالله إنَّا علىٰ ذلك إذ نَزَل به. يعني: من ينازعُه في ملكه. قالت: فوالله ما علمنا حزنًا قطُّ كان أشدَّ من حزنٍ حَزِنَّاه عند ذلك، تخوَّفنا[1] أن يظهر ذلك علىٰ النجاشي، فيأتي رجلٌ لا يعرفُ من حقِّنا ما كان النجاشيُّ يعرفُ منه.

وروىٰ عبد الله بن عامر بن الزبير، عن أبيه، قال: لما نزل بالنجاشيِّ عدوُّه من أرضه جاء المهاجرون، فقالوا: نحن[2] نخرج إليهم، فنقاتل معك، وترىٰ جزاءنا، ونجزيك بما صنعتَ بنا، فقال: ذو ينصره الله خيرٌ من الذي ينصره الناس[3]، يقول: الذي ينصره الله خيرٌ من الذي ينصره الناس، فأبىٰ ذلك عليهم[4].

رجعنا إلىٰ حديث أم سلمة:

---

(١) «المسند»: «تخوفًا».

(٢) (و): «إنا نحن».

(٣) «ذو» بمعنىٰ «الذي» لغة طيء. وتحرفت في «المستدرك» إلىٰ «دواء بنصرة الله خير من دواء بنصرة الناس». وفي «الرقة»: «من ينصره الله خير من الذي ينصره الناس».

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٤١)، وابن قدامة في «الرقة» (٢٤٧)، وصححه الحاكم، وفي سنده لين.

قالت: وسار النجاشيُّ، وبينهما عَرْض النِّيل. قالت: فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَن رجلٌ يخرج حتىٰ يحضر وَقْعَة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزبير بن العوام: أنا. قالت: وكان من أحدث القوم سنًّا، قالت: فنفخنا له قربةً، فجعلها في صدره، ثم سَبَح عليها حتىٰ خرج إلىٰ ناحية النِّيل التي بها ملتقىٰ القوم، ثم انطلق حتىٰ حضرهم.

قالت: ودعونا الله للنجاشيِّ بالظهور علىٰ عدوِّه والتَّمكين له في بلاده.

قالت: فوالله إنَّا لعلىٰ ذلك متوقِّعين لما هو كائن، إذ طلع الزبيرُ يسعىٰ ويلوِّح بثوبه، ويقول: ألا أبشروا، قد ظهر النجاشيُّ، وقد أهلك الله عدوَّه. فوالله ما علمتُ فَرِحنا فرحةً مثلها قطُّ.

قالت: فرجع النجاشيُّ، وقد أهلك الله عدوَّه، ومكَّن له في بلاده، واستَوْسَقَ عليه أمرُ الحبشة(١)، فكنَّا عنده في خير منزلٍ حتىٰ قدمنا علىٰ رسول الله ﷺ.

وقد روىٰ جُمَل هذه القصة أبو داود في سننه(٢) من حديث أبي موسىٰ.

وفي الصَّحيحين(٣) من حديث ابن موسىٰ، عن(٤) أبي موسىٰ، قال: بلَغَنا مَخْرَجُ رسول الله ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرَين إليه أنا وأخوان لي أنا

---

(١) أي: اجتمعوا علىٰ طاعته. «النهاية» (وسق). وفي (و، ع): «واستوثق».

(٢) (٣٢٠٥)، وابن سعد (٤/ ٩٨)، وابن أبي شيبة (٣٧٧٩٥)، وعبد بن حميد (٥٥٠)، وغيرهم. وأعله البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٩٩)، والذهبي في «تاريخ الإسلام» (١/ ٥٨٢). وانظر: «السير» (٢/ ٤٠٠)، و«البداية والنهاية» (٤/ ١٧٤)، و«الإصابة» (٦/ ٣٤٠)، و«فتح الباري» (٧/ ١٨٩).

(٣) صحيح البخاري (٣١٣٦)، ومسلم (٢٥٠٢، ٢٥٠٣) والسياق له.

(٤) «ابن موسىٰ عن» ساقط من (و) ولم تثبته ط. العاصمة، وتحرف في (ي، ع) إلىٰ «أبي موسىٰ عن»، وعلىٰ الصواب في (د). وابن موسىٰ هو أبو بردة.

أصغرهما في اثنين وخمسين رجلًا من قومي، فركبنا سفينة، فألقتنا سفينتُنا إلىٰ النجاشيِّ بالحبشة، فوافَقْنا جعفرَ بن أبي طالب وأصحابَه عنده. قال جعفر: إن رسول الله ﷺ بعثَنا وأمَرنا - يعني بالإقامة -، فأقيموا معنا. قال: فأقمنا معه حتىٰ قَدِمنا جميعًا.

قال: فوافَقْنا رسولَ الله ﷺ[1] حين فتَح خيبر، فأسهَمَ لنا منها، وما قَسَم لأحدٍ غائبٍ عن فتح خيبر غيرَنا إلا لمن شهد معنا أصحابَ سفينتنا مع جعفر وأصحابه قسَم لهم معهم.

قال: وكان ناسٌ[2] من الناس يقولون لنا - يعني أهل السفينة -: سبقناكم[3] بالهجرة.

قال: ودخلت أسماء بنت عُمَيْس - وهي ممَّن قدم معنا - علىٰ حفصة زائرةً، وقد كانت هاجرت إلىٰ النجاشيِّ فيمن هاجر إليه، فدخل عمرُ علىٰ حفصة وأسماءُ عندها، فقال عمر حين رأىٰ أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عُمَيْس، فقال عمر: الحبشيَّة هذه؟ البحريَّة هذه؟ قالت أسماء: نعم، فقال عمر: سبقناكم بالهجرة، نحن أحقُّ برسول الله ﷺ، فغضبَت وقالت: يا عمر، كلَّا والله، كنتم مع رسول الله ﷺ يُطْعِم جائعَكم ويَعِظُ جاهلكم، وكنَّا في أرض البُعَداء البُغَضاء بالحبشة، وذلك في الله ﷻ وفي رسول الله ﷺ، وايمُ الله لا أطعمُ طعامًا ولا أشربُ شرابًا حتىٰ أذكر ما قلتَ لرسول الله ﷺ، ونحن كنَّا نُؤذىٰ ونُخَاف، وسأذكر ذلك لرسول الله ﷺ وأسأله، والله لا أكذبُ ولا أزيغُ ولا أزيدُ علىٰ ذلك.

---

(١) (د، ع): «حتىٰ قدمنا جميعًا علىٰ رسول الله ﷺ».

(٢) الأصول: «فلما راى ناس»، وكذلك وقع في مطبوعة «تاريخ دمشق» (٣٢/ ٣٠)، وفي (٣٢/ ٣٢) علىٰ الصواب. والمثبت رواية الصَّحيح وعامة المصادر.

(٣) الأصول: «سبقناهم». وهو خطأ.

فلما جاء النبيُّ ﷺ قالت: يا رسول الله، إن عمر قال كذا وكذا، قال رسول الله ﷺ: «**فماذا قلتِ له؟**» قالت: قلتُ كذا وكذا، قال: «**ليس بأحقَّ بي منكم، وله ولأصحابه هجرةٌ واحدة، ولكم أنتم أهلَ السفينة هجرتان**».

قالت: فلقد رأيتُ أبا موسىٰ وأصحابَ السفينة يأتوني[1] أرسالًا يسألوني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيءٌ هم به أفرحُ ولا أعظمُ في أنفسهم ممَّا قال رسول الله ﷺ.

قال أبو بردة: قالت أسماء: فلقد رأيتُ أبا موسىٰ وإنه ليستعيدُ هذا الحديثَ منِّي. أخرجاه في الصَّحيحين البخاريُّ ومسلم[2].

وأخرجا في الصَّحيحين عن أبي هريرة أن النبي ﷺ نعىٰ لهم النجاشيَّ صاحبَ الحبشة في اليوم الذي مات فيه، قال: «**استغفروا لأخيكم**»[3].

وعنه رضي الله عنه قال: نعىٰ النبيُّ ﷺ النجاشيَّ يوم توفِّي، وقال: «**استغفروا لأخيكم**»، ثم خرج بالناس إلىٰ المصلَّىٰ، فصفُّوا وراءه، وصلَّىٰ عليه، وكبَّر أربع تكبيرات. أخرجاه[4].

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: إن رسول الله ﷺ صلَّىٰ علىٰ أَصْحَمَة النجاشيِّ، فكبَّر عليه أربعًا. أخرجاه في الصَّحيحين[5].

---

(١) ط. العاصمة: «يأتونني»، خلاف الأصول ورواية الصَّحيح.
(٢) أخرجه البخاري (٣١٣٦)، ومسلم (٢٥٠٢، ٢٥٠٣) والسياق له.
(٣) أخرجه البخاري (١٣٢٧)، ومسلم (٩٥١).
(٤) أخرجه البخاري (١٣٣٣)، ومسلم (٩٥١).
(٥) أخرجه البخاري (١٣٣٤)، ومسلم (٩٥٢).

فصل

وكان أول ما أنزل الله تعالىٰ عليه ﷺ الوحي، عَرَضت خديجةُ امرأتُه أمرَه علىٰ عالمٍ كبيرٍ من علماء النصارىٰ يقال له: ورقةُ بن نوفل، وكان من العرب المتنصِّرة، فقال: هذا هو الناموسُ الذي كان يأتي موسىٰ بن عمران، يا ليتني فيها جَذَعًا حين يُخرِجُك قومُك. يعني: ليتني أكون شابًّا؛ فإنه كان شيخًا كبيرًا قد كُفَّ بصرُه، فقال له النبيُّ ﷺ: «أوَمُخْرِجِيَّ هم؟!» قال: نعم، لم يأتِ أحدٌ بمثل ما أتيتَ به إلا عُودِيَ، وإن يُدْرِكْني يومُك أنصُرْك نصرًا مؤزَّرًا. رواه أصحاب الصَّحيح[1].

وقَدِم إليه بمكة طائفةٌ من أهل الكتاب من النصارىٰ، فآمنوا به، فآذاهم المشركون، فصبروا واحتملوا أذاهم، فأنزل الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٢ - ٥٥][2].

وروىٰ البيهقي في كتاب «دلائل النبوَّة وأعلام الرسالة»[3] عن أبي عبدالله الحاكم[4]، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا أحمد بن عبدالجبار،

---

(١) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) زادت ط. النيل: «وقصتهم مشهورة في كتب التفسير وغيرها».

(٣) (٢/ ٣٠٦).

(٤) (و): «ثنا الحاكم». وفي ط. النيل وما تلاها: «فقال أنبأنا أبو عبد الله الحافظ»، وكذلك مطبوعة «الدلائل» إلا أن فيها: «أخبرنا» موضع «أنبأنا».

حدثنا[1] يونس، عن ابن إسحاق[2]، قال: ثم قَدِم علىٰ رسول الله ﷺ عشرون رجلًا وهو بمكة أو قريبٌ من ذلك من النصارىٰ حين ظهر خبرُه في الحبشة، فوجدوه في المجلس، فكلَّموه وساءلوه[3]، ورجالٌ من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلمَّا فرغوا من مساءلتهم رسولَ الله ﷺ عمَّا أرادوا دعاهم رسولُ الله ﷺ[4] إلىٰ الله[5]، وتلا عليهم القرآن، فلمَّا سمعوا فاضت أعينُهم من الدَّمع، ثم استجابوا له، وآمنوا به وصدَّقوه، وعرفوا منه ما كان يوصَفُ لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا من عنده اعتَرضهم أبو جهل في نفرٍ من قريش، فقالوا: خيَّبكم الله مِن رَكْبٍ، بعَثكم مَن وراءكم من أهل دينكم ترتادون[6] لهم، فتأتونهم بخبر الرَّجل، فلم تطمئنَّ مجالسُكم عنده حتىٰ فارقتم دينكم وصدَّقتموه بما قال لكم، ما نعلمُ[7] رَكْبًا أحمقَ منكم. أو كما قال لهم. فقالوا: سلامٌ عليكم، لا نُجَاهِلُكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا نألوا لأنفسنا إلا خيرًا. ويقال - والله أعلم -: إنَّ[8] فيهم نزلت هؤلاء[9] الآيات: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٢- ٥٥].

---

(١) كذا وقعت صيغة السماع في الأصول و«الدلائل» في المواضع الثلاثة. وفي ط. النيل وما بعدها: «أنبأنا».

(٢) في «السيرة» (٢٨٧).

(٣) ط. العاصمة: «وسألوه»، خلاف الأصول و«السيرة» و«الدلائل».

(٤) من قوله: «عما أرادوا» إلىٰ هنا ساقط من ط. العاصمة.

(٥) «إلىٰ الله» ليست في (د، ي، ع).

(٦) (د، ي، ع): «لترتادوا».

(٧) (د، ع): «لا نعلم».

(٨) «والله أعلم إن» ليست في (د، ي، ع).

(٩) (د، ي، ع) وسيرة ابن إسحاق: «هذه».

[فصل]

ولمَّا كان بعد عام الحديبية ومهادنة قريش أرسل ﷺ رسله إلىٰ جميع الطوائف[1]، فأرسل إلىٰ النَّصارىٰ نصارىٰ الشام ومصر، فأرسل إلىٰ هِرَقل ملك الرُّوم.

وقد قيل: إن هِرَقل هذا هو الذي زادت النَّصارىٰ له في صومهم عشرة أيام لمَّا اقتتلت الرُّوم والفُرس، وقتَل اليهود بعد أن كان قد أمَّنَهم، فطلبت منه النَّصارىٰ قتلَهم، وضَمِنوا له أن يكفِّروا خطيئتَه بما زادوه في الصَّوم[2].

وكانت الفُرس مجوسًا، والرُّوم نصارىٰ، وكانت المجوسُ الفُرس غلبت النَّصارىٰ أولًا، وكان هذا في أوائل مبعث النبي ﷺ وهو بمكَّة وأتباعُه قليل، ففرح المشركون بانتصار الفُرس؛ لأنهم أقربُ إليهم من أهل الكتاب، واستاء[3] المسلمون لذلك، فدخل أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه علىٰ رسول الله ﷺ، وأخبره بانتصار الفُرس علىٰ الرُّوم، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ﴾ [الرُّوم: ١ - ٥][4].

(١) انظر: «الدراسات المتعلقة برسائل النبي ﷺ إلىٰ الملوك في عصره» لعز الدين إبراهيم (٦/ ٢٤٩ - ٢٨٤، بحوث المؤتمر العالمي الثالث للسيرة النبوية بالدوحة).

(٢) قيل: إنهم زادوا في صيامهم جمعة. انظر: «تخجيل من حرَّف التوراة والإنجيل» لأبي البقاء الهاشمي (٢/ ٥٩٦)، و«إغاثة اللهفان» (٢/ ١٠٦٦)، و«الخطط» للمقريزي (٤/ ٤٠٦). وذكر ابن كثير في تفسيره (٣/ ٤٨) أن قسطنطين من ملوك اليونان زاد في صيام النصارىٰ عشرة أيام من أجل ذنب ارتكبه.

(٣) لم تحرر في (و، ي). (د، ع): «واستساء». ط. النيل: «وساء المسلمين ذلك».

(٤) سيأتي سياقه وذكر أسانيده ورواياته.

وكان هذا ممَّا أخبر به النبيُّ ﷺ قبل[1] أن يكون، فكان كما أخبَر، ولمَّا ذكر ذلك[2] أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه كذَّبوه، فراهنَهم أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، كما ذكر هذا المفسِّرون والمحدِّثون.

قال سُنَيْد[3] في تفسيره - وهو شيخ البخاري -: حدثنا حجَّاج، عن ابن أبي الزِّناد، عن أبيه، عن عروة بن الزُّبير، عن نِيَار بن مُكْرَم الأسلميِّ أنه قال: لمَّا أنزل الله علىٰ رسوله ﷺ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ خرج أبو بكرٍ وهو يقرؤها بمكَّة رافعًا بها صوته: ﴿الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾، فقال له رؤوس أهل مكة: ما هذا يا ابن أبي قحافة؟ لعله[4] ممَّا يأتي به صاحبُك، قال: لا والله، ولكنه كلام الله وقوله[5] تبارك وتعالى، قالوا: فذلك بيننا وبينك إن ظهرَت الرُّوم علىٰ فارسَ في بضع سنين، فراهنَهم أبو بكر، ففتَح الله للرُّوم علىٰ فارسَ في بضع سنين[6] دون التِّسع، فأسلم عند ذلك خلقٌ كثيرٌ من المشركين.

قال ابن مُكْرَم: وإنما كانت قريشٌ تستفتحُ يومئذٍ بالفُرس لأنهم وإيَّاهم أهلُ تكذيب بالبعث وأهلُ أصنام، وإنما كان[7] المؤمنون يستفتحون يومئذٍ

(١) (د، ع): «من قبل».
(٢) ساقطة من ط. العاصمة.
(٣) (ع): «سفيان». (د): «سفين». وهو خطأ.
(٤) (د، ع): «لعل هذا».
(٥) (د، ع): «وقول الله».
(٦) «في بضع سنين» ليست في (و، ي)، والكلمتان بعدها ليستا في (د، ع).
(٧) (و، ي): «كانوا».

بالرُّوم لأنهم وإيَّاهم أهل نبوَّة وتصديقٍ بالبعث، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ﴾[1].

وهذا الحديث رواه الترمذيُّ في جامعه[2]، فقال: حدثنا محمَّد بن إسماعيل[3]، حدثنا إسماعيل بن أبي أُوَيْس، قال: حدثني ابن أبي الزِّناد، عن أبي الزِّناد، عن عروة بن الزُّبير، عن نِيَار بن مُكْرَم الأسلميِّ قال: لما نزلت: ﴿الم ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾، فكانت فارسُ يوم نزلت هذه الآية قاهرين للرُّوم، وكان المسلمون يحبُّون ظهور الرُّوم عليهم؛ لأنهم وإيَّاهم أهل كتاب، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾، وكانت قريش تحبُّ ظهور فارسَ؛ لأنهم وإيَّاهم ليسوا بأهل كتابٍ ولا إيمانٍ ببعث، فلمَّا أنزل الله هذه الآية خرج أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه يصيحُ في نواحي مكة: ﴿الم ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾، قال

---

(١) إسناده حسن. ورواه من طريق حجاج عن ابن أبي الزناد مختصرًا ابن قانع في «معجم الصحابة» (٢/ ١٠٦) بسند تالف.

(٢) (٣١٩٤). وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١١٦، ١٢١٠)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٤٠٤)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٧/ ٤٤٢)، وغيرهم من طرق عن ابن أبي الزناد به مختصرًا ومطولًا، وصحح إسناده البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٥٨٥)، وهو مقتضىٰ تخريج ابن خزيمة له دون تعليل، وقال ابن حجر في «الإصابة» (١١/ ١٤٥): «رجال السند ثقات». وفي ابن أبي الزناد كلام، لكن تصحيح الترمذي وغيره حديثه هذا يدل علىٰ أنه ليس فيه ما ينكر، وقد حدث به في المدينة، وذلك من أصح حديثه. انظر: آثار العلامة المعلمي (١١/ ٥٣- ٥٧).

(٣) الإمام البخاري، وهو في «التاريخ الكبير» (٨/ ١٣٩).

ناسٌ من قريش[1] لأبي بكر: فذلك بيننا وبينكم، زعم صاحبُكم أن الرُّوم سَتَغْلِبُ فارسَ في بضع سنين، أفلا نراهنك علىٰ ذلك؟ فارتهن أبو بكر والمشركون، فظهرت الرُّوم علىٰ فارس في بضع سنين، وأسلم عند ذلك ناسٌ كثيرٌ من المشركين.

قال الترمذي: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد». يعني غريبًا من هذا الوجه[2]، وإلا فهو مشهورٌ متواترٌ عند[3] أهل التفسير والمغازي والحديث والفقه[4]، والقصَّة متواترةٌ عند النَّاس[5].

وقال أبو جعفر بن جرير في تفسيره[6]: عن سفيان، عن حبيب بن أبي عمرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قال: كان المسلمون يحبُّون أن تغلبَ الرُّومُ علىٰ فارس؛ لأنهم أهل كتاب، وكان المشركون يحبُّون أن تغلب أهلُ فارس؛ لأنهم أهل أوثان.

قال: فذكروا ذلك لأبي بكر، فذكره أبو بكر[7] للنبيِّ ﷺ، فأنزل الله: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣

---

(١) «من قريش» ليست في (د، ع).
(٢) وكذا قال الدارقطني في «الغرائب والأفراد» (١/ ٤١ - أطرافه): غريب من حديث عروة عن نيار، تفرَّد به أبو الزناد عنه، ولم يروه عنه غير ابنه عبد الرحمن.
(٣) ط. العاصمة: «عن»، وهو خطأ مخالف للأصول.
(٤) (د، ع): «عند أهل التفسير والفقه والمغازي والحديث».
(٥) قال ابن كثير في تفسيره (٦/ ٢٩٩): «روي نحو هذا مرسلًا عن جماعة من التابعين، مثل عكرمة والشعبي ومجاهد وقتادة والسدي والزهري وغيرهم».
(٦) (١٨/ ٤٤٧) من طريق محمَّد بن أسعد التغلبي عن أبي إسحاق الفزاري عن سفيان، والتغلبي ضعيف، لكنه توبع علىٰ أصل الحديث، كما سيأتي.
(٧) (د، ع): «فذكر ذلك».

﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾، فذكره أبو بكرٍ للمشركين، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلًا، فإن غَلَبوا كان لك كذا وكذا، وإن غُلِبوا كان لنا كذا وكذا، فجعلوا بينهم أجلًا خمسَ سنين، فذكر ذلك أبو بكرٍ للنبي ﷺ، فقال له: «**هلَّا احتَطْتَ، أفلا جعلته دون العَشْر**؟»[1].

قال سعيد بن جبير: والبِضْعُ ما دون العشر.

قال: فغُلِبت الرُّوم[2]، ثم غَلَبت، فذلك قوله: ﴿الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ الآية.

وهذا أيضًا أخرجه الترمذي[3] عن الحسين بن حريث، حدثنا معاوية بن عمرو، عن أبي إسحاق الفزاري، عن سفيان، عن حبيب بن أبي عمرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريب، إنما نعرفه من حديث سفيان الثوري، عن حبيب بن أبي عمرة.

ورواه أيضًا[4] من حديث الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه.

---

(١) لفق المصنف بين متن هذه الرواية ورواية الزهري الآتية.

(٢) ليست في (د، ع).

(٣) (٣١٩٣)، وأحمد (٢٤٩٥)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٤٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٣٢٥) وغيرهم. وإسناده علىٰ شرط الصَّحيح كما قال ابن القيم في «الفروسية» (١٤٥)، وصححه الحاكم (٢/ ٤١٠) علىٰ شرط الشيخين ولم يتعقبه الذهبي، وخرجه الضياء في «المختارة» (١٠/ ١٤٤).

(٤) (٣١٩١)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٧/ ٤٤١) وغيرهما من طريق عبد الله بن عبد الرحمن الجمحي عن الزهري به. قال الدارقطني في «العلل» (١/ ٢١٢): «وغيره يرويه عن الزهري مرسلًا، وعبد الله الجمحي ليس بالقوي، والمرسل أشبه بالصواب». وخفي ذلك علىٰ الحافظ الضياء فخرجه في «المختارة» (١١/ ١٥٨).

ورواه أيضًا[1] من حديث الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه.

وذهبت طائفةٌ من العلماء إلىٰ أن الخبر جاء بظهور الرُّوم علىٰ فارس يوم بدر. وذهب آخرون إلىٰ أنه يوم الحديبية، وهذا هو الصَّحيح[2].

وهِرَقل كان قد مشىٰ شكرًا لله من حمص إلىٰ بيت المقدس، شكرًا لله[3] لمَّا نصره علىٰ الفُرس، فوافاه كتابُ النبي ﷺ يدعوه إلىٰ الإسلام عَقِبَ[4] نصرِ الله للرُّوم علىٰ فارس، ففرحَ النبيُّ ﷺ ومن معه من المؤمنين.

قال علماء السِّيَر: فلمَّا انتصرت الرُّوم، وخرج هِرَقل ملكُ الرُّوم من منزله من حمص ماشيًا علىٰ قدميه إلىٰ بيت المقدس، متشكِّرًا[5] لله ﷻ حين ردَّ عليه ما ردَّ[6]؛ ليصلِّي فيه، فلمَّا انتهىٰ إلىٰ بيت المقدس وصلَّىٰ فيه قَدِم عليه حينئذٍ كتابُ رسول الله ﷺ مع دِحْيَة الكلبيِّ يدعوه إلىٰ الإسلام.

قال ابن إسحاق[7]: حدثني الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود، عن عبد الله بن عباس، قال: حدثني أبو سفيان، قال: كنَّا قومًا تجَّارًا،

---

(١) (٢٩٣٥، ٣١٩١)، وابن جرير (١٨/ ٤٥٧)، وعطية العوفي ضعيف.

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٤/ ٢٩٨)، و«البسيط» (١٨/ ١٤)، و«الفروسية» لابن القيم (١٤٦)، وتفسير ابن كثير (٦/ ٣٠٤).

(٣) كذا تكررت جملة الشكر في الأصول. وحُذِفت من ط. النيل والعاصمة.

(٤) (و): «عقيب».

(٥) (ع، د): «مستشكرا».

(٦) (ي): «ورد عليه ما ورد».

(٧) أخرجه من طريقه ابن جرير في «تاريخ الرسل والملوك» (٢/ ٦٤٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ٢٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٣٨١).

وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله ﷺ قد حَصَرتنا حتىٰ قد[1] هَلَكت أموالنا، فلمَّا كانت الهدنة بيننا وبين رسول الله ﷺ -يعني التي عُقِدت يوم الحديبية-، فلمَّا عُقِدَت الهدنة أمِنَّا، فخرجتُ في نفرٍ من قريش تاجرًا إلىٰ الشام، وكان وجهَ متَّجرنا، فقدمتُها حين ظهر هِرَقل علىٰ من كان عارَضه من فارس، فأخرجهم منها، وانتزع له صليبُه الأعظم، وقد كانوا سلبوه إيَّاه، فلمَّا بلغه ذلك منهم وبلغه أن صليبه قد استُنْقِذَ[2] له، وكانت حمصُ منزله، فخرج منها علىٰ قدميه متشكِّرًا لله ﷻ حين ردَّ عليه ما ردَّ؛ ليصلِّي في بيت المقدس، وبُسِط له الطريق بالبُسُط وتُلْقَىٰ عليها الرَّياحين، فلمَّا انتهىٰ إلىٰ إيلياء وقضىٰ فيها صلاته ومعه بطارقتُه وأساقفتُه الرُّوم، قال: وقَدِم عليه كتابُ رسول الله ﷺ مع دِحْيَة بن خليفة الكلبيِّ فيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم، من محمَّد رسول الله إلىٰ هِرَقل عظيم الرُّوم، السَّلام علىٰ من اتَّبع الهدىٰ. أما بعد، فأَسْلِم تَسْلَم، وأَسْلِمْ يؤتك الله أجرَك مرَّتين، وإن تولَّيتَ فإن عليك إثمَ الأَرِيسيِّين**» يعني: الأكَّارين[3].

قال ابن إسحاق[4]: وقال ابن شهاب: حدثني أُسْقُفُ النَّصارىٰ في زمان عبد الملك بن مروان، زعم لي أنه أدرك ذلك من أمرِ رسول الله ﷺ وأمرِ هِرَقل، وعَقَلَه، قال: لمَّا قدم عليه كتابُ رسول الله ﷺ مع دِحية أخذه فجعله علىٰ خاصرته[5]، ثم كتب إلىٰ رجلٍ برُومِيَة كان يقرأ من العبرانية ما يقرأ، يذكر

---

(١) (و، ع): «حتىٰ هلكت».

(٢) (د، ع): «استعيد».

(٣) وهم الفلَّاحون والزُّرَّاع. «النهاية» (أرس، أكر). ولم يرد التفسير في (ي، د، ع). ورواية ابن إسحاق: «فإن إثم الأكارين عليك». أما ذكر «الأريسيين» ففي رواية الصَّحيح الآتية من غير طريقه. انظر: «فتح الباري» (١/ ٣٩).

(٤) تتمة خبره السابق.

(٥) في مصادر الخبر: «فجعله بين فخذيه وخاصرته».

له أمرَه، ويصف له شأنه، ويخبره ما جاء منه. قال: فكتب إليه صاحبُ رُومِيَة أنه النبيُّ الذي ننتظره لا شكَّ فيه، فاتَّبعه وصدِّقه. فأمر هِرَقلُ ببطارقة الرُّوم، فجُمِعوا له في دَسْكَرة مُلكِه[1]، وأمر بها فأُشْرِجَت[2] عليهم أبوابُها، ثم اطَّلع عليهم من عُلِّيَّة، وخافهم علىٰ نفسه، وقال: يا معشر الرُّوم إني قد جمعتكم لِخَبَرٍ[3]، إنه قد أتاني كتابُ هذا الرجل يدعوني إلىٰ دينه، وإنه والله لَلرجلُ الذي كنَّا ننتظرُ ونَجِدُ في كتبنا، فهلمَّ فلنتَّبعه ولنصدِّقه[4]، فتَسْلَم لنا دنيانا وآخرتنا، فنَخَروا نخرة رجلٍ واحد، ثم ابتدروا أبوابَ الدَّسْكَرة ليخرجوا منها، فوجدوها قد أُغْلِقت دونهم، فقال: كُرُّوهم عليَّ، وخافهم علىٰ نفسه، فكُرُّوا عليه، وقال: يا معشر الرُّوم، إنما قلتُ لكم هذه المقالة التي قلتُ لكم لأنظر كيف صلابتُكم علىٰ دينكم لهذا الأمر الذي حَدَث، فقد رأيتُ منكم الذي أُسَرُّ به، فوقعوا سجودًا، وأمر بأبواب الدَّسْكَرة ففُتِحت لهم، فانطلقوا.

وهذا حديثٌ مشهورٌ من حديث محمَّد بن إسحاق، وهو ذو علمٍ وبصيرةٍ بهذا الشأن، حَفِظ ما لا يحفظه غيره.

قال ابن إسحاق: وأخذ هِرَقل كتابَ رسول الله ﷺ، فجعله في قَصَبةٍ من ذهب، وأمسكَها عنده، تعظيمًا له[5].

---

(١) الدسكرة: بناء علىٰ هيئة القصر. «النهاية» (دسكر).

(٢) أي: أغلقت. لعلها من «أشرجتَ العَيبة إذا شددتها بالشَّرَج، وهي العُرىٰ». «النهاية» (شرج). وهي مهملة في (ي)، وفي (د، ع): «فاسترخت»، وفي مطبوع معجم الطبراني: «فأسرجت». والمثبت من (و) يوافق ما في تاريخ ابن جرير والدلائل.

(٣) ط. النيل والعاصمة: «لخير»، خلاف الأصول ومصادر الخبر.

(٤) (د، ع): «ونصدقه». وفي ط. العاصمة: «لنصدقه»، وهو خطأ.

(٥) لم أقف عليه من قول ابن إسحاق. وقال السهيلي في «الروض» (٧/ ٣٦٥): «روي أن هرقل وضع كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب إليه في قصبة ...» فذكره.

وهذه القصَّة مشهورةٌ ذكرها أصحاب الصِّحاح.

ففي البخاريِّ ومسلم[1] -والسياق للبخاريِّ- عن الزهري، قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أن عبد الله بن عباس أخبره، أن أبا سفيان بن حرب أخبره، أن هِرَقل أرسل إليه في ركبٍ من قريش، وكانوا تجَّارًا بالشام في المدَّة التي كان رسول الله ﷺ مادَّ[2] فيها أبا سفيان بن حرب وكفَّار قريش، فأتوه وهو بإيلياء، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الرُّوم، ثم دعاهم بالتَّرْجُمَان، فقال: أيكم أقربُ نسبًا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبيٌّ؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسبًا، فقال: أدنُوه، وقرِّبوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لتَرجُمانه: إني سائلٌ هذا عن هذا الرجل، فإن كَذَبني فكذِّبوه، قال أبو سفيان: فوالله لولا الحياء من أن يَأثِروا عليَّ الكذب لكذبتُ عليه، ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبُه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسَب. قال: فهل قال هذا القول أحدٌ منكم قطُّ قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه مِن مَلِك؟ قلت: لا. قال: فأشرافُ النَّاس اتَّبعوه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم. فقال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتدُّ منهم أحدٌ سَخْطَةً لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتَّهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال فهل يغدِر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدَّةٍ لا ندري ما هو فاعلٌ فيها. قال: ولم يمكنِّي كلمةٌ أُدْخِل فيها شيئًا غير هذه الكلمة. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت. نعم. قال: فكيف كان قتالكم إيَّاه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجالٌ، ينال منَّا وننال منه. قال: بماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصَّلاة والصِّدق

(١) صحيح البخاري (٧، ٤٥٥٣)، ومسلم (١٧٧٣).

(٢) أي: أطال. «النهاية» (مدد). وفي (ي): «هادن»، وهو خطأ، وأثبتته ط. العاصمة دون تنبيه. وضرب عليها ناسخ (و) وكتب الصواب.

والعفاف والصِّلة. فقال للتَّرْجُمَان: قل له: سألتك عن نسبه، فذكرتَ أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرُّسل تُبْعَثُ في أنساب قومها، وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول قبله؟ فذكرتَ أن لا، فقلتُ: لو كان أحدٌ قال هذا القول قبله لقلتُ: رجلٌ يتأسَّىٰ بقولٍ قيل قبله. وسألتك: هل كان من آبائه مِن مَلِك؟ فذكرتَ أن لا، فقلتُ: لو كان في آبائه مِن مَلِكٍ قلتُ: رجلٌ يطلبُ مُلْكَ أبيه. وسألتك: هل كنتم تتَّهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرتَ أن لا، فقد أعرفُ أنه لم يكن ليذر الكذبَ علىٰ النَّاس ويكذبَ علىٰ الله. وسألتك: أشرافُ النَّاس اتَّبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرتَ أن ضعفاءهم اتَّبعوه، وهم أتباع الرُّسل. وسألتك: هل يزيدون أم ينقصون؟ فذكرتَ أنهم يزيدون، وكذلك أمرُ الإيمان حتىٰ يتمَّ. وسألتك: أيرتدُّ أحدٌ سَخْطَةً لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرتَ أن لا، وكذلك الإيمانُ حين تخالطُ بشاشتُه القلوبَ لا يَسْخَطه أحد. وسألتك: هل يغدِر؟ فذكرتَ أن لا، وكذلك الرُّسل لا تغدِر. وسألتك: بم يأمركم؟ فذكرتَ أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصِّلاة والصِّدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقًّا فسيملكُ موضع قدميَّ هاتين، وقد كنتُ أعلم أنه خارجٌ، ولم أكن أظنُّ[1] أنه منكم، فلو أني أعلمُ أني أخلُص إليه لتجشَّمت لقاءه، ولو كنتُ عنده لغسلتُ عن قدميه. ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به مع دِحْيَة الكلبيِّ إلىٰ عظيم بُصْرىٰ، فدفعه عظيمُ بُصْرىٰ إلىٰ هِرَقل، فقرأه، فإذا فيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم، من محمَّد عبد الله ورسوله إلىٰ هِرَقل عظيم الرُّوم، سلامٌ علىٰ من اتَّبع الهدىٰ. أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أَسْلِمْ تَسْلَم، أَسْلِمْ يؤتك الله أجرَك مرَّتين، فإن تولَّيتَ فإن عليك إثمَ اليَرِيسيِّين**[2]، و﴿**يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا**

(١) (د، ع): «أظنه»، وهي رواية مسلم. والمثبت من (ي، و) رواية البخاري.
(٢) كذا في الأصول، وهي من روايات البخاري. وفي مسلم: «الأريسيين».

﴿نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]».

قال أبو سفيان: فلمَّا قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب، كَثُرَ عنده الصَّخبُ وارتفعت الأصوات، وأُخْرِجنا، فقلتُ لأصحابي حين أُخرِجنا: لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة؛ إنه ليخافه ملكُ بني الأصفر. فما زلتُ موقنًا أنه سيظهَر حتىٰ أدخل الله عليَّ الإسلام.

وكان ابن النَّاطُور(١) صاحبُ إيلياء أُسْقُفًا علىٰ نصارىٰ أهل الشام يحدِّث أن هِرَقل حين قدم إيلياء أصبح يومًا خبيثَ النفس، فقال له بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك. قال ابن النَّاطور: وكان هِرَقلُ حَزَّاءً(٢) ينظر في النُّجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيتُ الليلة حين نظرتُ في النجوم أن مَلِك الخِتَان قد ظهر، فمن يختَتِنُ من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختَتِن إلا اليهود، فلا يهمَّنَّك شأنُهم، واكتب(٣) إلىٰ مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود، فبينا هم علىٰ أمرهم أُتِيَ هِرَقل برجلٍ أرسَل به ملكُ غسَّان يخبر عن رسول الله ﷺ، فلمَّا استخبره هِرَقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتنٌ هو أم لا؟ فنظروا إليه فحدَّثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب قال: هم يختتنون، فقال هِرَقل: هذا مَلِكُ هذه الأمة قد ظهر، ثم كتب هِرَقل إلىٰ صاحب له برُومِيَة وكان هِرَقلُ نظيره في العلم، وسار هِرَقل إلىٰ حمص، فلم يَرِم حمصَ(٤) حتىٰ أتاه كتابٌ من صاحبه يوافق

(١) هو أسقف النصارىٰ الذي حدَّث الزهري، وكان في زمن عبد الملك بن مروان، كما مرَّ في رواية ابن إسحاق.
(٢) أي: كاهنًا. والحزَّاء: الذي يحزو الأشياء ويقدِّرها بظنه. وقيل للذي ينظر في النجوم: حزَّاءً؛ لأنه ينظر في النجوم وأحكامها بظنه. «النهاية» (حزأ).
(٣) (د، ع): «وابعث». والمثبت من (ي، و) رواية البخاري.
(٤) أي: لم يفارقها. وسقطت «فلم يرم حمص» من ط. العاصمة.

رأي هِرَقل علىٰ خروج النبي ﷺ وأنه نبيٌّ، فأذن هِرَقل لعظماء الرُّوم في دَسْكَرةٍ له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغُلِّقت، ثم اطَّلع عليهم، فقال: يا معشر الرُّوم، هل لكم في الفلاح والرُّشد وأن يثبت ملكُكم فتتابعوا هذا النبيَّ؟ فحَاصُوا حَيْصَة حُمُر الوحش إلىٰ الأبواب، فوجدوها قد غُلِّقَت، فلمَّا رأىٰ هِرَقل نفرتهم ويئس من الإيمان منهم قال: ردُّوهم عليَّ، وقال: إني قلتُ مقالتي آنفًا أختبر بها شدَّتكم علىٰ دينكم، فقد رأيتُ، فسجدوا له ورضوا عليه، فكان هذا آخر شأن هِرَقل.

قلت: وكان هِرَقلُ من أجلِّ ملوك النَّصارىٰ في ذلك الوقت، وقد أخبر غير واحدٍ أن هذا الكتاب إلىٰ الآن باقٍ عند ذرِّية هِرَقل في أرفع صُوَانٍ وأعزِّ مكان، يتوارثونه كابرًا عن كابر، وأخبر غير واحدٍ أن هذا الكتاب باقٍ إلىٰ الآن[1] عند ألفُنْش[2] صاحب قَشْتَالة وبلاد الأندلس، يفتخرون به، وهذا أمرٌ مشهورٌ معروف[3].

قال شارح «السِّيرة» -وهو أبو القاسم السُّهيلي-: وضعَ هِرَقلُ كتابَ رسول الله ﷺ في قصبةٍ من ذهب تعظيمًا له. وأنهم يتوارثونه كابرًا عن كابرٍ في أرفع صُوَانٍ وأعزِّ مكان، حتىٰ كان عند أَذْفُونْش الذي تغلَّب علىٰ طُلَيْطِلَة،

---

(١) (ي): «إلىٰ الآن باق». (د، ع): «باق الآن».

(٢) الأذفونش أو ألفونسو السادس، من ذرية هرقل، صليبيٌّ محارب للإسلام، كان له دور كبير في إذكاء الفتنة بين ملوك الطوائف بالأندلس، واستولىٰ علىٰ طليطلة عاصمة قشتالة Castilla شمال غرب أسبانيا سنة ٤٧٨، ثم هزمه المسلمون في معركة الزلاقة المشهورة سنة ٤٧٩. انظر: «دولة الإسلام في الأندلس» (٢/ ١٧٠، ٣٢٠).

(٣) ذكره اليسع بن عيسىٰ بن حزم، والسهيلي، وابن فضل الله العمري، وغيرهم. انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (١٠/ ٤٧٦)، و«التعريف بالمصطلح الشريف» لابن فضل الله (٩١)، و«المصباح المضي» لابن حديدة (٢/ ٩٦)، و«صبح الأعشىٰ» (٨/ ٣٥)، و«فتح الباري» (١/ ٤٤).

ثم كان عند ابن بنته المعروف بالسُّلَيْطِين[1].

قال السُّهيلي: وحدَّثني بعض أصحابنا من أجناد المسلمين كان يُعْرَف بابن سعيدٍ أنه رآه عندهم. قال: فأردتُ تقبيله وأخذه بيدي، فمنعوني من ذلك صيانةً له وضنًّا عليَّ به[2].

وقال الشيخ أبو عبد الله[3] محمَّد بن أحمد بن إسماعيل الأنصاري الجزري[4] المغربي: وصل هذا الكتاب إلىٰ إشبيلية عام ثمانية وستِّمئة واردًا علىٰ إمام [المسلمين] الناصر[5] أمير المؤمنين من البَبُوج[6] ملك لِيُون[7]، مفتخرًا به ومتشرِّفًا بوراثته، وهو اليوم بيد ولده فرناندو[8] وارثه ووارث أمِّه بنت أَذْفُونْش[9] صاحب قَشْتَالة، وبلاد الأندلس اليوم بيده، كقرطبة، وإشبيلية، وجَيَّان، وما أَخَذ أخذَها.

قلت: وقد حدَّثني أيضًا من رأىٰ هذا الكتاب عندهم إلىٰ الآن[10].

---

(١) أي الملك الصغير؛ لأنه تولىٰ ملك ليون وقشتالة ولمَّا يجاوز الحادية والعشرين. انظر: «دولة الإسلام في الأندلس» (٣/ ١٢٨).

(٢) «الروض الأنف» (٧/ ٣٦٥).

(٣) كتب النَّاسخ: «محمَّد» ثم ضرب عليه، ولم أعرف ترجمته.

(٤) كذا في الأصل، ولعله «الخزرجي».

(٥) محمَّد بن الإمام المنصور (ت: ٦١٠). «دولة الإسلام في الأندلس» (٤/ ٢٤٩).

(٦) لقب فرناندو الثاني، بالقشتالية El-Baboso، ومعناه: كثير اللُّعاب، الأبله. انظر: «المعجب» للمراكشي (٢٣٥)، و«دولة الإسلام في الأندلس» (٣/ ٣٩٤).

(٧) من مدن قشتالة Castilla شمال غرب أسبانيا. انظر: «الروض المعطار» (٥١٤).

(٨) (ت): «فرافده». تحريف. وهو فرناندو الثالث ملك قشتالة.

(٩) (ت): «بنت أذفونش في ملك أذفونش». ولعله من سهو النَّاسخ.

(١٠) من أول النقل عن السهيلي إلىٰ هنا وقع لحقًا في طرة الأصل (ت) مختومًا بعلامة التصحيح، وليس في الأصول الأخرىٰ. ولم تثبته ط. النيل والعاصمة. ولعله مما ألحقه شيخ الإسلام بأخرة. وقد صرح بالنقل عن شرح «السيرة» للسهيلي في موضع آخر. انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٣٢٤).

وقد روىٰ سُنَيد[1] -وهو شيخُ البخاري- في تفسيره، قال: حدثنا هُشَيْم[2]، قال: أخبرنا حُصَين، عن عبد الله بن شدَّاد بن الهاد، قال: لمَّا كتب رسول الله ﷺ إلىٰ هِرَقل، فقرأ كتابه، وجمع الرُّوم، فأبوا عليه، قال: فلمَّا كان يوم الأحد لم يحضر أُسْقُفُهم الكبير[3]، وتَمَارَض، فأرسل إليه، فأبىٰ، ثم أرسل إليه، فأبىٰ، ثلاث مرَّات، فركب إليه، فقال له: أليس قد عرفتَ أنه رسول الله ﷺ؟ قال: بلىٰ، قال: أليس قد رأيتَ ما ركبوا منِّي؟ فأنت أطوعُ فيهم منِّي، فتعال فادعُهم، قال: وتأذن لي في ذلك؟ قال: نعم، قال: اذهب هو ذا أجيءُ، قال: فجاء بسواده إلىٰ كنيستهم العظمىٰ، فلمَّا رأوه خرُّوا له سجَّدًا الملكُ وغيرُه، فقام في المذبح فقال: يا أبناء الموتىٰ، هذا النبيُّ الذي بشَّر به عيسىٰ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمَّدا رسول الله، فنَخَروا، ووثبوا إليه، فعضُّوه بأفواههم حتىٰ قتلوه، قال: وجعلوا يُخرِجون أضلاعَه بالكَلْبَتين[4] حتىٰ مات[5].

---

(١) مهملة في (ي، د). وتحرف في (ع) إلىٰ «مسدد».

(٢) الأصول: «هشام»، وهو خطأ. هشيم بن بشير الواسطي، وحصين بن عبد الرحمن السلمي.

(٣) اسمه: ضَغَاطر. وهو الرجل الذي كان بروميه وكتب إليه هرقل. انظر: «فتح الباري» (١/ ٤٣)، و«الإصابة» (٥/ ٣٦٩).

(٤) أداة يأخذ بها الحدَّاد الحديد المحمَّىٰ، وأداة تقلع بها الأسنان. وهي عربية قديمة، وليست مولدة كما توهم الزُّبيدي في «لحن العوام» (١٨٨). انظر: «تهذيب اللغة» (٩/ ٤٠٧)، و«المدخل إلىٰ تقويم اللسان» لابن هشام (٤٧).

(٥) وأخرجه من طريق حصين عن عبد الله بن شداد بن الهاد سعيد بن منصور في «السنن» (٢/ ٢٢٣)، وهو مرسلٌ جيد. ورواه عن عبد الله بن شداد عن دحية الكلبي ﵁ البزار (٢٣٧٤- كشف الأستار)، والطبراني في «الكبير» (٤/ ٢٢٥)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢٤٠) بسند ضعيف كما قال ابن حجر في «الفتح» (١/ ٣٧)، وانظر: «مجمع الزوائد» (٥/ ٣٠٩، ٨/ ٢٣٧).

وللخبر شاهد من حديث ابن إسحاق مرسلًا عند الطبري في «التاريخ» (٢/ ٦٥٠)، وأبي نعيم في «دلائل النبوة» (٥٣).

فصل

وأرسل النبيُّ ﷺ رسولًا أيضًا إلىٰ ملك مصر المُقَوْقِس ملك النَّصارىٰ في ذلك الوقت بالإسكندرية، وكان رسوله إليه حاطبَ بن أبي بلتعة رضي الله عنه.

قال حاطب: قدمتُ علىٰ المُقَوْقِس - واسمه جُرَيْج[1] بن مِيْنَا - بكتاب رسول الله ﷺ، فقلت له: إنه كان قبلك رجلٌ يزعمُ أنه الربُّ الأعلىٰ، فأخذه الله نكالَ الآخرة والأولىٰ، فانتقم به، ثم انتقم منه، فاعتَبِر بغيرك ولا يُعْتَبر بك. قال: هات. قلت: إن لك دينًا لن تدعه إلا لما هو خيرٌ منه، وهو الإسلام الكافي بعد ما سواه، إن هذا النبيَّ دعا النَّاس إلىٰ الله، فكان أشدُّهم عليه قريش، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النَّصارىٰ، ولعمري ما بشارة موسىٰ بعيسىٰ إلا كبشارة عيسىٰ بمحمَّد، وما دعاؤنا إياك إلىٰ القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلىٰ الإنجيل، وكلُّ من أدرك نبيًّا فهو من أمَّته، فالحقُّ عليهم أن يطيعوه، فأنت ممَّن أدركَ[2] هذا النبيَّ، ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكنَّا نأمرك به.

ثم ناوله كتابَ رسول الله ﷺ، فلمَّا قرأه قال: خيرًا، قد نظرتُ في هذا فوجدته لا يأمر بمزهودٍ فيه ولا ينهىٰ عن مرغوبٍ فيه، ولم أجده بالسَّاحر الضالِّ، ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آلة النبوَّة. ثم جعل الكتابَ في حُقِّ عاجٍ، وختَم عليه، ودفعه إلىٰ خازنه، وكتب جوابه إلىٰ رسول الله ﷺ: قد علمتُ أن نبيًّا[3] قد بقي، وقد أكرمتُ رسولك.

وأهدىٰ للنبيِّ ﷺ جاريتين، وبغلةً تسمىٰ: الدُّلْدُل، فقبل النبيُّ ﷺ هديَّته، واصطفىٰ الجارية الواحدة -واسمها: مَارِيَة القِبْطيَّة- لنفسه، فولدت منه

---

(١) (ت، د، ي، و): «جريح». وأثبتته ط. العاصمة، وهو خطأ.

(٢) (ي، و): «أدركت».

(٣) (د، ع): «نبينا»، وهو خطأ.

إبراهيم، وأعطىٰ الأخرىٰ لحسَّان بن ثابت، فولدت منه عبد الرحمن، وعاشت البغلةُ إلىٰ زمن معاوية.

فقال النبي ﷺ: «ضَنَّ الخبيثُ بمُلْكِهِ، ولا بقاء لمُلْكِهِ»(١).

قال محمَّد بن سعد(٢): حدثنا محمَّد بن عمر(٣)، قال: حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه، قال: لمَّا رجع رسول الله ﷺ من الحُدَيبيَة في ذي القعدة سنة ستٍّ من الهجرة، بعث حاطب بن أبي بلتعة إلىٰ المُقَوْقِس القِبطيِّ صاحب الإسكندرية، وكتب إليه معه كتابًا يدعوه فيه إلىٰ الإسلام، فلمَّا قرأ الكتاب قال له خيرًا، وأخذ الكتابَ، وكان مختومًا، فجعله في حُقٍّ من عاجٍ، وختَم عليه، ودفعه إلىٰ خازنه(٤)، وكتب إلىٰ النبي ﷺ جواب كتابه، ولم يُسْلِم، وأهدىٰ إلىٰ النبيِّ ﷺ ما تقدَّم ذكره(٥).

---

(١) انظر: «الروض الأنف» (٧/ ٥١٧)، و«عيون الأثر» (٢/ ٣٣٢).
وأخرجه ابن سعد (١/ ٢٢٢، ٢٢٤) بنحو سياقه مختصرًا عن الواقدي من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم.
وأصل الخبر مرويٌّ من وجوه مرسلة وموصولة يثبت بها. انظر: المنتخب من كتاب «أزواج النبي ﷺ» للزبير بن بكار (٥٥)، و«فتوح مصر» لابن عبد الحكم (٦٥)، و«شرح مشكل الآثار» (٦/ ٤٠٢)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٤/ ٣٩٥). وقال ابن حجر في «الإصابة» (١٠/ ٥٦٧): «إهداء المقوقس إلىٰ رسول الله ﷺ وقبوله هديته مشهورٌ عند أهل السِّيَر والفتوح».

(٢) في «الطبقات» (١/ ١١١)، والحارث بن أبي أسامة في مسنده ومن طريقه ابن الجوزي في «المنتظم» (٣/ ٢٧٥).

(٣) الواقدي.

(٤) (ي): «جاريته»، وتحرف كذلك في بعض المصادر.

(٥) مرسل، جعفر بن عبد الله بن الحكم الأنصاري (والد عبد الحميد) تابعي ثقة، وله شواهد كثيرة سلفت الإشارة إليها.

فكلٌّ من المَلِكين[1] عظَّم أمرَ رسول الله ﷺ، وتواضع له ولكتابه، واعترف بأنه الرسول المنتظر الذي بشَّرت به الأنبياء عليهم السَّلام.

وقد كان المُقَوْقِس يعرف أنه حقٌّ بما يسمعُ من صفاته من أهل الكتاب، ولكنْ ضَنَّ بمُلْكِهِ ولم يؤمن، وكان قد خرج إليه المغيرة قبل إسلام المغيرة فحدَّثه بذلك.

قال محمَّد بن عمر الواقدي[2]: حدثني محمَّد بن سعد الثقفي، وعبد الرحمن بن عبد العزيز، وعبد الملك بن عيسىٰ، وعبد الله بن عبد الرحمن ومحمَّد بن يعقوب بن عتبة عن أبيه، وغيرهم، كلٌّ قد حدَّثني من هذا الحديث بطائفة[3]، قال: قال المغيرة بن شعبة في خروجه إلىٰ المُقَوْقِس مع بني مالك، وأنهم لمَّا دخلوا علىٰ المُقَوْقِس، قال: كيف خلصتم إليَّ من طائفتكم ومحمَّدٌ وأصحابه بيني وبينكم؟ قالوا: لَصِقنا بالبحر، وقد خفناه علىٰ ذلك. قال: فكيف صنعتم فيما دعاكم إليه؟ قالوا: ما تبعه منَّا رجلٌ واحد. قال: ولم ذاك؟ قالوا: جاءنا بدينٍ مجدَّدٍ[4] لا تدينُ به الآباء ولا يدين به المَلِك، ونحن علىٰ ما كان عليه آباؤنا. قال: فكيف صنع قومه؟ قالوا: تبعه أحداثهم، وقد لاقاه من خالفه[5] من قومه وغيرهم من العرب في مواطن مرَّةً تكون عليهم الدائرة ومرَّةً تكون له. قال: ألا تخبروني إلىٰ ماذا يدعو إليه؟ قالوا: يدعونا إلىٰ أن نعبد الله

(١) هرقل، والمقوقس.
(٢) ومن طريقه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤٥)، وهو مرسل، لم يدرك شيوخ الواقدي وهم من أتباع التابعين المغيرة رضي الله عنه.
(٣) (ت، و): «بطائفة منه».
(٤) جديد. وفي مطبوعة «دلائل النبوة»: «محدث». والمثبت من الأصول، وكذلك هو في «إمتاع الأسماع» (٣/ ٣٦٢)، و«المصباح المضي» (٢/ ١٢٠).
(٥) ط. العاصمة: «خلفه»، وهو خطأ مخالف للأصول والمصادر.

وحده لا شريك له، ونخلعَ ما كان يعبد آباؤنا(١)، ويدعو إلىٰ الصلاة والزكاة. قال: وما الصلاة والزكاة؟ ألها وقتٌ يُعْرَفُ وعددٌ تنتهي إليه؟ قالوا: يصلُّون في اليوم والليلة خمسَ صلواتٍ كلُّها لمواقيتَ وعددٍ قد سمَّوه له، ويؤدُّون من كلِّ ما بلغ(٢) عشرين مثقالًا نصفَ مثقالٍ، وأخبروه بصدقة الأموال كلِّها. قال: أفرأيتم إذا أخذها أين يضعُها؟ قالوا: يردُّها علىٰ فقرائهم، ويأمر بصِلَة الرَّحم ووفاء العهد، وتحريم الزِّنا والخمر، ولا يأكل ممَّا ذُبِح لغير الله، فقال المُقَوْقِس: هذا نبيٌّ مرسلٌ إلىٰ النَّاس، ولو أصاب القِبْطَ والرُّوم اتَّبعوه، وقد أمرهم بذلك عيسىٰ بن مريم، وهذا الذي تَصِفون منه بُعِثَ به الأنبياء من قبله، وستكون له العاقبة حتىٰ لا ينازعه أحد، ويظهر دينُه إلىٰ منتهىٰ الخُفِّ والحافر ومنقطِع البحور، ويوشك قومُه أن يدافعوه بالرَّاح(٣).

قالوا: فلو دخل النَّاس كلهم معه ما دخلنا.

قال المغيرة: فأنغَض المُقَوْقِس رأسَه، وقال: أنتم في اللَّعب، ثم قال: كيف نسبُه في قومه؟ قلنا: هو أوسطهم نسبًا. قال: كذلك -والمسيح- الأنبياءُ تُبْعَثُ في نسب قومها. ثم قال: فكيف صدقُ(٤) حديثِه؟ قال: قلنا: ما يسمَّىٰ إلا الأمين مِن صدقِه. قال: انظروا في أمركم، أترونه يَصْدُق فيما بينكم وبينه ويكذبُ علىٰ الله؟! قال: فمن تبعه؟ قلنا: الأحداث. قال: هم -والمسيح- أتباعُ الأنبياء قبله. قال: فما فعلت يهودُ يثرب، فهم أهل التَّوراة؟ قلنا: خالفوه، فأوقَع بهم فقتلهم

(١) (و، ي): «الآباء».

(٢) (و): «مال بلغ»، وكذلك في مطبوعة «دلائل النبوة». والمثبت من سائر الأصول والمصادر أجود.

(٣) جمع راحة، وهي الكف. وفي مطبوعة الدلائل: «بالرماح»، وهو تحريف.

(٤) ليست في (و، ع، ي، د). وهي في (ت) والمصادر.

وسباهم وتفرَّقوا في كلِّ وجه[1]. قال: هم قومٌ حَسَدَةٌ[2] حسدوه، أما إنهم يعرفون من أمره مثل ما نعرف.

قال المغيرة: فقمنا من عنده، وقد سمعنا كلامًا ذلَّلنا لمحمَّدٍ ﷺ وخَضَّعنا له، وقلنا: ملوكُ العجم يصدِّقونه ويخافونه في بُعْدِ أرحامهم منه، ونحن أقرباؤه وجيرانه ولم ندخل معه وقد جاءنا داعيًا إلىٰ منازلنا!

قال المغيرة: فرجعتُ إلىٰ منزلنا، فأقمتُ بالإسكندرية لا أدع كنيسةً إلا دخلتها، وسألتُ أساقفتها مِن قِبْطِها ورُومِها عمَّا يجدون[3] من صفة محمَّدٍ ﷺ، وكان أُسْقُفٌ من القِبْط هو رأسُ كنيسة يُوحَنَّس[4] كانوا يأتونه بمَرضاهم فيدعو لهم لم أر قطُّ أشدَّ اجتهادًا منه، فأتيته فقلت: هل بقي أحدٌ من الأنبياء؟ قال: نعم، هو آخر الأنبياء، ليس بينه وبين عيسىٰ بن مريم أحد، وهو نبيٌّ مرسل، وقد أمَرنا عيسىٰ باتِّباعه، وهو النبيُّ الأمِّيُّ العربيُّ اسمه أحمد، ليس بالطويل ولا بالقصير، في عينيه حُمْرة، وليس بالأبيض ولا بالآدَم، يُعْفِي شعرَه، ويلبس ما غَلُظ من الثياب، ويجتزئ بما لقي من الطعام، سيفُه علىٰ عاتقه، ولا يبالي بمن لاقىٰ[5]، يباشر القتالَ بنفسه، ومعه أصحابه يفدونه بأنفسهم، هم

---

(١) (ت): «ناحية». (ع، د): «وجهة». والمثبت من (ي، و) والمصادر.

(٢) (ع، ي، د): «حُسُد»، وهو صحيح، وبالوجهين في المصادر.

(٣) (ع): «يجدونه».

(٤) غيِّرت في ط. العاصمة إلىٰ «يوحنا» خلاف الأصول، ولم يصب المعلق عليها في تحديدها. وفي طرة (ت) إشارة إلىٰ أن في نسخة: «أبو حنس». ورسمت في بعض المصادر التي نقلت الخبر: «أبي يحسر» «أبي غنىٰ» «أبي غثيم»، واستشكلها بعضهم فأسقطها. ويُوحَنَّس هو يُحَنَّس أشبعت ضمة الياء. وكنيسة «أبي يُحَنَّس» كنيسة قديمة ذات شأن في الإسكندرية أوصىٰ المقوقس أن يدفن فيها. انظر: «فتوح مصر» لابن عبد الحكم (٩٥)، و«حياة الحيوان» (٣/ ٧٣٠)، و«تاريخ الكنائس والأديرة» لأبي المكارم (١/ ١٣٨).

(٥) (ي، و): «من لاقىٰ».

له أشدُّ حبًّا من أولادهم وآبائهم، يخرج من أرضِ حَرَم، ويأتي إلىٰ حَرَم، يهاجر إلىٰ أرضٍ سِبَاخٍ ونخل، يدين بدين إبراهيم عليه السلام.

قال المغيرة: فقلتُ له: زدني في صفته[1]، قال: يأتزر علىٰ وسطه، ويَغْسِل أطرافه، ويُخَصُّ بما لا تُخَصُّ به الأنبياء قبله؛ كان[2] النبيُّ يُبْعَثُ إلىٰ قومه ويُبْعَثُ هو إلىٰ النَّاس كافَّة، وجُعِلَت له الأرض مسجدًا وطهورًا، أينما أدركته الصَّلاة تيمَّم وصلَّىٰ، ومن كان قبله[3] مشدَّدًا عليهم لا يصلُّون إلا في الكنائس والبِيَع.

قال المغيرة بن شعبة: فوعيتُ ذلك كلَّه من قوله وقول غيره وما سمعتُ من ذلك.

فذكر الواقديُّ حديثًا طويلًا في رجوعه وإسلامه، وما أخبَر به من صفات النبيِّ ﷺ، وكان ذلك ممَّا[4] يُعْجِبُ النبيَّ ﷺ ويحبُّ أن يسمعه أصحابُه. قال المغيرة: فكنت أحدِّثهم بذلك.

وهذا أمرٌ معروفٌ عند علماء أهل الكتاب وعظمائهم.

وقد أخرج أبو حاتمٍ في صحيحه[5] عن عمرو بن العاص أنه قال: خرج

---

(١) (د، ع): «من صفته».

(٢) (ع، ت، د): «وكان».

(٣) (ع، د): «قبله كان».

(٤) ليست في (ي، و).

(٥) «التقاسيم والأنواع» (٧٢٣٣)، و«الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان» (٦٥٤٦) من طريق أبي يعلىٰ (٧٣٥٣)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٦/ ١٥٩)، ولا بأس بإسناده. وقال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٢١٨): «فيه محمَّد بن عمرو بن علقمة، وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات». وقال في موضع آخر (٨/ ٢٣٨): «رجاله رجال الصَّحيح غير عمرو بن علقمة، وهو ثقة».

جيشٌ من المسلمين أنا أميرُهم حتىٰ نزلنا الإسكندرية، فقال عظيمٌ من عظمائهم: أخرجوا إليَّ رجلًا يكلِّمني وأكلِّمه، فقلت: لا يخرج إليه غيري، قال: فخرجتُ إليه ومعي ترجماني ومعه ترجمانه، فقال: ما أنتم؟ فقلت: نحن العرب، ونحن أهل الشَّوك[1]، ونحن أهل بيت الله الحرام، كنَّا أضيقَ النَّاس أرضًا، وأجهَدهم عيشًا، نأكل الميتة والدَّم، ويُغِير بعضنا علىٰ بعض، حتىٰ خرج فينا رجلٌ ليس بأعظمنا يومئذٍ، ولا بأكثرنا مالًا، فقال: أنا رسول الله إليكم، فأمَرنا بما لا نَعْرِف، ونهانا عما كنَّا عليه وكان عليه آباؤنا، فكذَّبناه ورددنا عليه مقالته، حتىٰ خرج إليه قومٌ غيرنا [فقالوا: نحن نصدِّقك، ونؤمن بك، ونتَّبعك، ونقاتل من قاتلك، فخرج إليهم، وخرجنا إليه، فقاتلناه][2]، فقَتَلنا[3] وظَهَر علينا وغَلَبنا، وتناولَ من يليه من العرب فقاتلهم حتىٰ ظهَر عليهم، ولو يعلمُ من ورائي من العرب ما أنتم فيه من العيش لم يبق أحدٌ إلا جاءكم حتىٰ يَشْرَككم فيما أنتم فيه من العيش. فضحك، ثم قال: إن رسولكم قد صدَق، قد جاءتنا رسلُنا بمثل الذي جاء به رسولكم، فإن أنتم أخذتم بأمر نبيِّكم لم يقاتلْكم أحدٌ إلا غلبتموه، ولم يُشَارِرْكم[4] أحدٌ إلا ظهرتم عليه، وإن فعلتم مثل الذي فعلنا وتركتم أمر نبيِّكم لم تكونوا أكثر عددًا منَّا ولا أشدَّ منَّا قوَّة.

---

(١) في مصادر الرواية: «أهل الشوك والقرظ»، يشير إلىٰ قسوة أرضهم.

(٢) ما بين المعقوفين ليس في الأصول، واستدركته من المصادر ليستقيم السياق.

(٣) غيِّرت في ط. العاصمة إلىٰ «فقاتلنا» خلاف الأصول والمصادر.

(٤) يخاصمكم وينازعكم، من «الشرِّ». وتحرفت في ط. العاصمة إلىٰ «يشارككم» خلاف الأصول، وتحرفت كذلك في مطبوعة «التقاسيم والأنواع» و«الإحسان»، وعلىٰ نحو آخر في «تاريخ دمشق»: «يسارقكم»، وعلىٰ الصواب في «موارد الظمآن» (٥/ ٣٦١)، ومسند أبي يعلىٰ (٧٣٥٣)، و«المقصد العلي» (٣/ ١٤٣).

فصل

ثم بعد الإرسال إلىٰ الملوك أخذ ﷺ في غزو النَّصارىٰ، فأرسل أولًا زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة في جيشٍ، فقاتلوا النَّصارىٰ بمُؤتة من أرض الكَرَك[1]، وقال لأصحابه: «**أميركم زيد، فإن قُتِل فجعفر، فإن قُتِل فعبد الله بن رواحة**»[2]، فقُتِل الثلاثة، وأخبر النبيُّ ﷺ بقتل الثلاثة في اليوم الذي قُتِلوا فيه، وأخبر أنه أخذ الراية خالدُ بن الوليد، ففتَح الله علىٰ يديه[3].

ثم إنه بعد هذا غزا النَّصارىٰ بنفسه، وأمر جميع المسلمين أن يخرجوا معه في الغَزاة، ولم يأذن في التخلُّف عنه لأحد، وغزا في عشراتِ ألوفٍ غزوة تبوك، فقدم تبوك وأقام بها عشرين ليلة[4]؛ ليغزو النَّصارىٰ عربَهم ورُومَهم وغيرهم، وأقام ينتظرهم ليقاتلهم، فسمعوا به، وأحجموا عن قتاله، ولم يَقْدِموا عليه.

وأنزل الله تعالىٰ في ذلك أكثر سورة «براءة»، وذمَّ تعالىٰ الذين تخلَّفوا عن جهاد النَّصارىٰ ذمًّا عظيمًا، والذين لم يروا جهادهم طاعةً جعلهم منافقين كافرين، لا يغفر الله لهم إذا لم يتوبوا، وقال لنبيِّه ﷺ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٨٤].

فإذا كان هذا حكمُ الله ورسوله فيمن تخلَّف عن جهادهم إذ لم يره طاعةً ولا رآه واجبًا، فكيف حكمُه فيهم أنفسِهم؟! حتىٰ قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ

---

(١) مدينة بشرقي الأردن، تشرف جبالها علىٰ البحر الميت، وتقع مؤتة وهي بلدة صغيرة علىٰ بعد ١١ كيلًا جنوبها. انظر: «المعالم الأثيرة» لمحمد حسن شراب (٢٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٦١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بمعناه.

(٣) أخرجه البخاري (١٢٤٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد (١٤١٣٩)، وصححه ابن حبان (٢٧٤٩).

ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

ثم عند موته ﷺ أمَر[1] بإخراج اليهود والنَّصارىٰ من جزيرة العرب.

ففي «صحيح مسلم»[2] أن عمر بن الخطاب قال: سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «**لأُخرِجنَّ اليهود والنَّصارىٰ من جزيرة العرب حتىٰ لا أدع إلا مسلمًا**».

وروىٰ الإمام أحمد وأبو عبيد عن أبي عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: آخر ما تكلَّم به رسول الله ﷺ قال: «**أخرجوا يهود أهل الحجاز ونصارىٰ أهل نجران من جزيرة العرب**»[3].

وقام خلفاؤه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بعده بدينه ﷺ، فأرسل أبو بكر الصِّدِّيق الجيوش لغزو النَّصارىٰ بالشام، وجرت بين المسلمين وبينهم عدَّة غزوات، ومات أبو بكر وهم محاصِرو دمشق.

ثم وَلِيَ عمرُ بن الخطاب، ففتَح عامَّة الشَّام ومصر والعراق وبعض خراسان في خلافته، وقَدِم إلىٰ الشَّام في خلافته، وسلَّم إليه النَّصارىٰ بيت

---

(١) (ت، و): «أمرنا».

(٢) (١٧٦٧).

(٣) أخرجه أحمد (١٦٩١)، والطيالسي (٢٢٦)، والحميدي (٨٥)، وأبو عبيد معلقًا في «الأموال» (٢٩٩)، وغيرهم بسند جيد، وخرَّجه الضياء في «المختارة» (٣/ ٣١٩). وانظر: «علل الدارقطني» (٤/ ٤٣٩)، و«شرح مشكل الآثار» (٧/ ١٨٦)، و«تعجيل المنفعة» (١/ ٢٩١).
ولفظه في عامة المصادر: «يهود أهل الحجاز وأهل نجران»، ولعل زيادة «نصارىٰ» لدفع الوهم. ومن قوله: «وروىٰ الإمام أحمد» إلىٰ هنا وقع لحقًا في طرة (ت)، وليس في سائر الأصول.

المقدس لِمَا رأوه من صفته عندهم.

قال أبو عبد الله محمَّد بن عائذ[1] في كتاب «الفتوح»، قال: قال عطاء الخراساني: لما نزل المسلمون بيتَ المقدس، قال لهم رؤساؤهم: إنَّا قد أجمَعنا لمصالحتكم، وقد عرفتم منزلة[2] بيت المقدس، وإنه المسجدُ الذي أُسْرِيَ بنبيِّكم إليه، ونحن نحبُّ أن يفتحها ملكُكم -وكان الخليفة عمر بن الخطاب-، فبعث المسلمون وفدًا، وبعث الرُّوم أيضًا وفدًا مع المسلمين، حتىٰ أتوا المدينة، فجعلوا يسألون عن أمير المؤمنين، فقال الرُّوم لترجمانهم: عمَّن يسألون؟ قالوا: عن أمير المؤمنين، فاشتدَّ عجبُهم، وقالوا: هذا الذي غلَب فارسَ والرُّوم، وأخذ كنوز كسرىٰ وقيصر، وليس له مكانٌ يُعْرَفُ به! بهذا غلَب الأمم، فوجدوه قد ألقىٰ نفسه حين أصابه الحرُّ نائمًا، فازدادوا تعجُّبًا، فلمَّا قرأ كتاب أبي عبيدة أقبل حتىٰ نزل بيت المقدس وفيها اثنا عشر ألفًا من الرُّوم وخمسون ألفًا من أهل الأرض، فصالَحَهم، وكان من جملة المصالحة أن لا يَدْخُل عليهم من اليهود أحد، ثم دخل المسجد فوجد زِبالةً عظيمةً علىٰ الصخرة، فأمر بكَنْسِ الزِّبالة وتنظيف المسجد، وأمر ببنائه، وجعل مصلَّاه في مقدَّمه، ثم رجع إلىٰ المدينة.

وقصَّته مشهورةٌ في كتاب الفتوحات[3].

---

(١) أبو عبد الله القرشي الدمشقي الكاتب، المؤرخ الصادق صاحب المغازي، توفي سنة ٢٣٤. «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٠٤). وكتبه في المغازي والفتوح والصَّوائف لم يعثر عليها بعد، والنقل عنها مستفيض.

(٢) ط. العاصمة: «منزل»، خلاف الأصول.

(٣) لا أدري أراد كتاب الفتوح لابن عائذ أم كتب الفتوحات؟ وانظر: «فتوح الشام» المنسوب للواقدي (١/ ٢٢٥)، و«فتوح البلدان» للبلاذري (١٨٩)، وتاريخ الطبري (٣/ ٦٠٨)، و«البداية والنهاية» (٩/ ٦٥٥).

ثم قدم مرَّةً ثانيةً إلىٰ أرض الشام لمَّا تـمَّ فتحُـه، فشـارَط بوضـع الخـرَاج وفرض الأموال، وشارَط أهل الذِّمَّة علىٰ شروطٍ[(١)]، فائتمَّ بها المسلمون بعده، وقد ذكرها أهل السِّيَر وغيرهم.

فروىٰ سفيان الثوري، عن مسروق، عن عبد الرحمن بن غَنْم، قال: كتبتُ لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين صالحَ نصارىٰ الشام، وشَرَط عليهم فيه: أن لا يُحْدِثوا في مدينتهم ولا ما حولها دَيْرًا ولا كنيسةً ولا قَلَّايَةً[(٢)] ولا صومعة راهب، ولا يجدِّدوا ما خَرِب، ولا يمنعوا كنائسهم أن ينزلها أحدٌ من المسلمين ثلاث ليالٍ يطعمونهم، ولا يؤووا جاسوسًا، ولا يكتموا غشًّا للمسلمين، ولا يعلِّموا أولادهم القرآن، ولا يُظْهِروا شركًا، ولا يمنعوا ذوي قرابتهم من الإسلام إن أرادوه، وأن يوقِّروا المسلمين، وأن يقوموا لهم إذا أرادوا الجلوس، ولا يتشبَّهوا بالمسلمين بشيءٍ من لباسهم في قلنسوةٍ ولا عمامةٍ ولا نعلين ولا فَرْقِ شَعر، ولا يتسمَّوا بأسماء المسلمين، ولا يَكْتَنوا بكُناهم، ولا يركبوا سرجًا، ولا يتقلَّدوا سيفًا، ولا يتَّخذوا شيئًا من سلاح، ولا ينقشوا خواتيمهم بالعربيَّة، ولا يبيعوا الخمور، وأن يجزُّوا مقادِم رؤوسهم، وأن يلزموا زيَّهم حيث ما كانوا، وأن يشدُّوا الزَّنانير، ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم، ولا يضربوا بالنَّاقوس إلا ضربًا خفيًّا[(٣)]، ولا يرفعوا أصواتهم بالقراءة في كنائسهم في شيءٍ من حضرة المسلمين، ولا يخرجوا شَعَانين[(٤)]، ولا يرفعوا مع موتاهم أصواتهم، ولا يظهِروا النيران معهم، ولا يشتروا من الرَّقيق ما جرت عليه سهام المسلمين، فإن خالفوا في شيءٍ ممَّا شرطوه فلا ذمَّة لهم، وقد حلَّ للمسلمين

---

(١) ط. العاصمة: «شروط المسلمين»، وهو خطأ مخالف للأصول.

(٢) وهي الصومعة، من بيوت عبادتهم. «النهاية» (قلا).

(٣) ط. العاصمة: «خفيفًا» خلاف الأصول.

(٤) من أعياد النصارىٰ. «المعجم الوسيط» (شعن).

منهم ما يحلُّ من أهل المعاندة والشِّقاق. أخرجه أبو داود في سننه[1].

وقال أبو عبيد في كتاب «الأموال»[2]: حدثنا النضر بن إسماعيل، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن خليفة بن قيس، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا يَرْفَأ، اكتب[3] إلىٰ أهل الأمصار في أهل الكتاب: أن يجزُّوا نواصيهم، وأن يربطوا الكُسْتِيجات[4] في أوساطهم؛ ليُعْرَف زيُّهم من زيِّ أهل الكتاب.

وحدثنا أبو المنذر ومصعبُ بن المِقْدام كلاهما عن سفيان، عن عبيدالله بن عمر، عن نافع، عن أسلم، قال: كتب عمر إلىٰ أمراء الأجناد أن يختِموا

(١) لم أجده في سنن أبي داود ولا رأيت من عزاه إليه. وأخرجه من طريق مسروق عن عبد الرحمن بن غنم ابن زبر في جزئه الذي أفرده للشروط العمرية (١٠)، وابن الأعرابي في «المعجم» (٣٦٥)، والبيهقي في «السنن الكبير» (١٨٧٥١) وغيرهم، وفي سنده ضعف. انظر: «مهذب سنن البيهقي» للذهبي (٧/ ٣٧٦٧)، وفتاوىٰ السبكي (٢/ ٣٩٨)، و«البدر المنير» (٩/ ٢١٤)، و«التلخيص الحبير» (٦/ ٢٩٧٧). لكنه روي من وجوه أخرىٰ وطرق يشدُّ بعضها بعضًا كما قال ابن كثير في «مسند الفاروق» (٢/ ٣٣٨). والأمر كما قال ابن القيم في «أحكام أهل الذمة» (٣/ ١١٦٤): «وشهرة هذه الشروط تغني عن إسنادها؛ فإن الأئمة تلقوها بالقبول وذكروها في كتبهم واحتجوا بها، ولم يزل ذكر الشروط العمرية علىٰ ألسنتهم وفي كتبهم، وقد أنفذها بعده الخلفاء وعملوا بموجبها». وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٣٦٥): «وهذه الشروط أشهر شيء في كتب الفقه والعلم، وهي مجمعٌ عليها في الجملة بين العلماء من الأئمة المتبوعين وأصحابهم وسائر الأئمة». وانظر: «الصارم المسلول» (٢/ ٣٩٣، ٤٩٨)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٦٥٢)، و«إرشاد الفقيه» لابن كثير (٢/ ٣٤١)، و«السيف المسلول» للسبكي (٢٨٢).

(٢) (١٤٥). وإسناده ضعيف، النضر بن إسماعيل وعبد الرحمن بن إسحاق ضعيفان، ويشهد له ما بعده.

(٣) (د، ع): «كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر فاكتب». وهو تحريف، وأثبته ط. النيل والعاصمة. والمثبت من (ت، و، ي) هو الصواب الموافق لرواية أبي عبيد. ويرفأ هو مولىٰ عمر وحاجبه.

(٤) جمع كستيج، وهو خيط غليظ يشدُّه الذميُّ فوق ثيابه دون الزنَّار. «التاج».

رقابَ أهل الذِّمة[1].

قال أبو عبيد[2]: حدثنا عبد الرحمن، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن أسلم: أن عمر أمر في أهل الذِّمَّة أن تُجَزَّ[3] نواصيهم، وأن يَركبوا على الأُكُفِ[4]، وأن يَركبوا عرضًا لا يركبوا كما يركبُ المسلمون، وأن يوثِّقوا المَناطِق. قال أبو عبيد: يعني الزَّنانير.

وكما كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أهل الذِّمَّة هذه الشُّروط والتزموها، أوصى بهم نوَّابه ومن يأتي بعده من الخلفاء وغيرهم، وهذا هو العدل الذي أمر الله به ورسوله.

ففي «صحيح البخاري»[5] عن عمر بن الخطاب أنه قال في خطبته عند وفاته: «وأوصي الخليفة من بعدي بذمَّة الله وذمَّة رسوله ﷺ، أن يُوفِي لهم بعهدهم، وأن يقاتل مَن وراءهم، ولا يكلَّفوا إلا طاقتهم».

وهذا امتثالٌ لقول النبيِّ ﷺ: «**ألا من ظلم معاهدًا، أو انتقصَه من حقِّه، أو كلَّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طِيب نفسٍ، فأنا حجيجُه**[6]

---

(١) «الأموال» (١٤٣). وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٣٣٠٤)، وصححه ابن كثير في «إرشاد الفقيه» (٢/ ٣٣٩).

(٢) «الأموال» (١٤٤).

(٣) (ت، و): «يجزوا».

(٤) جمع وِكَاف، وهي برذعة الحمار. وذلك أنهم ممنوعون من ركوب السُّرج؛ لأنها من آلات الخيل، وهي عزٌّ لأهلها، وقد مُنِعوا من التشبه بالمسلمين فيما يكون فيه معنى العز. انظر: «شرح السير» للسرخسي (١٣٧)، و«أحكام أهل الذمة» (٣/ ١٣٠١).

(٥) (٣٠٥٢).

(٦) في طرة (د) هنا تعليقٌ منقولٌ عن نسخة السفاريني، قال: «لطيفة: جرى بيني وبين بعض أحبار أهل الذمة مناظرة، فقال لي الحَبْر: نحن عند نبيكم بمنزلة عظيمة أرقى منكم؛ لأنكم أنتم تحاجُّون عن أنفسكم، ونبيُّكم يحاجج عنَّا! فأجبته فورًا: أما محاججتنا عن =

يوم القيامة» رواه أبو داود[1].

فكان هذا في النَّصارىٰ الذين أدَّوا إليه الجزية.

وعمر بن الخطاب لمَّا فتح الشام وأدَّوا إليه الجزية عن يدٍ وهم صاغرون أسلمَ منهم خلقٌ كثيرٌ لا يحصي عددهم إلا الله ﷻ؛ فإن العامَّة والفلَّاحين[2] وغيرهم كان عامَّتهم نصارىٰ، ولم يكن في المسلمين من يعمل فِلَاحةً، ولم يكن للمسلمين في دمشق مسجدٌ يصلُّون فيه إلا مسجدٌ واحدٌ؛ لقلَّتهم، ثم صار أكثر أهل الشام وغيرهم مسلمين طوعًا لا كرهًا؛ فإن إكراه أهل الذِّمَّة علىٰ الإسلام غير جائز، كما قال تعالىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٦ - ٢٥٧].

= أنفسنا لأننا حضورٌ في عرصات القيامة، وأما محاجة نبينا ﷺ عنكم فلأنكم في طماطيم جهنم، فلا يُفْرَج عنكم لتحضروا وتحتجُّوا لأنفسكم، وإنما حاجج نبينا ﷺ علىٰ ذمته التي شرعها الله تعالىٰ في كتابه وطفحت بها سنته ﷺ. محمد السفاريني الحنبلي».

(١) من حديث صفوان بن سليم عن عدة من أبناء أصحاب النبي ﷺ عن آبائهم عن رسول الله ﷺ. قال الحافظ العراقي: «وهذا إسناد جيد وإن كان فيه من لم يُسَمَّ؛ فإنهم عدة من أبناء الصحابة يبلغون حد التواتر الذي لا يشترط فيه العدالة». ووافقه ابن حجر، وحسَّنه في «موافقة الخبر الخبر» (٢/ ١٨٤)، وتبعه السخاوي في «الأجوبة المرضية» (١/ ١٦، ٢/ ٤٣٦). وهذا أجود من إعلال المنذري له في «مختصر سنن أبي داود» (٢/ ٣٤٦) بأن فيه مجهولين.

(٢) (د): «العامة الفلاحين». (ع): «العلامة الفلاحين».

قال أبو عبيد في كتاب «الأموال»[1]: عن ابن الزبير، قال: كتب النبيُّ ﷺ إلىٰ أهل اليمن: **«أنه من أسلم من يهوديٍّ أو نصرانيٍّ فإنه من المؤمنين، له ما لهم وعليه ما عليهم، ومن كان علىٰ يهوديَّةٍ أو نصرانيَّةٍ فإنه لا يُفْتَنُ عنها، وعليه الجزية»**.

---

(١) (١٥٤)، وهو مرسلٌ حسن، وابن الزبير هو عروة. ويشهد له مرسل الحسن عند ابن زنجويه في «الأموال» (١/ ١٢٥) بسند جيد. قال الحافظ ابن حجر في «التلخيص» (٦/ ٢٩٦٣): «وهذان مرسلان يقوِّي أحدهما الآخر».
ورواه محمد بن إسحاق موصولًا بسند فيه مجاهيل لا يدرىٰ من هم، أخرجه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٠٩٠)، وانظر: «لسان الميزان» (١/ ٣٠٩).
وأقوىٰ من ذلك وروده في كتاب عمرو بن حزم المشهور، أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٤١٤).

فصل

وقاتل عمرُ بن الخطاب الفُرسَ المجوس، وفتحَ أرضهم، وظهَر تصديقُ خبر رسول الله ﷺ حيث قال: «**إذا هلك كسرىٰ فلا كسرىٰ بعده، وإذا هلك قيصرُ فلا قيصرَ بعده، والذي نفسي بيده لتُنْفَقُنَّ كنوزهما في سبيل الله ﷻ**» أخرجاه في الصَّحيحين[1].

وهذا بعد أن بعث رسول الله ﷺ رسوله إلىٰ المجوس، وكتب كتابًا إلىٰ كسرىٰ ملك الفُرس، كما كتب إلىٰ ملوك النَّصارىٰ، كما تقدَّم عن قيصر والمُقَوْقِس، ولكن ملوك النَّصارىٰ تأدَّبوا معه وخضعوا له[2]، فبقيَ ملكُهم. وأما ملكُ الفُرس فمزَّق كتابه، فدعا عليهم، فقال: «**اللهم مزِّق ملكهم كلَّ ممزَّق**»[3]، فلم يبق لهم مُلْك.

قال ابن عباس: بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة بكتابه إلىٰ كسرىٰ، فدفعه إلىٰ عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلىٰ كسرىٰ، فلمَّا قرأه -يعني كسرىٰ- خرَّقه[4]، فدعا عليهم رسول الله ﷺ **أن يمزَّقوا كلَّ ممزَّق**[5].

وقال ابن إسحاق: كتب رسول الله ﷺ إلىٰ كسرىٰ وقيصر، فأما كسرىٰ

---

(١) صحيح البخاري (٣١٢٠، ٣١٢١)، ومسلم (٢٩١٨، ٢٩١٩) من حديث أبي هريرة وجابر بن سمرة رضي الله عنهما.
(٢) ليست في (د، ي، ع).
(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٢٣) من طريق الواقدي في سياقٍ طويل.
(٤) كذا في الأصول وصحيح البخاري. وغيِّر في ط. العاصمة إلىٰ «مزقه» متابعة لمطبوعة المدني ولأنه وقع كذلك في بعض روايات الحديث!
(٥) أخرجه البخاري (٢٩٣٩)، وقوله: «فدعا عليهم ...» وقع في جميع طرق الحديث من مرسل سعيد ابن المسيب، ويحتمل أن يكون سمعه من عبد الله بن حذافة صاحب القصة، كما ذكر ابن حجر في «الفتح» (٨/ ١٢٧).

فلمَّا قرأ الكتاب مزَّقه، وأما قيصر فلمَّا قرأ الكتاب طواه ووضعه عنده، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**أمَّا هؤلاء -يعني كسرىٰ- فيمزِّقون، وأما هؤلاء فستكون لهم بقيَّة**»[1].

قال ابن إسحاق[2]: بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حُذَافة بن قيسٍ السَّهمي إلىٰ كسرىٰ بن هُرْمُز ملك الفُرس[3]، وكتب: «**بسم الله الرحمن الرحيم، من محمَّد رسول الله إلىٰ كسرىٰ عظيم فارس، سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ، آمِنْ بالله ورسوله، واشهدْ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمَّدًا عبده ورسوله، فإني أدعوك بدِعاية الله، فإني رسول الله إلىٰ النَّاس كافَّة، لأنذر من كان حيًّا ويحقَّ القولُ علىٰ الكافرين، فأسْلِم تَسْلَم، وإن أبيتَ فإن إثم المجوس**[4] **عليك**»، فلمَّا قرأ كتاب رسول الله ﷺ شقَّقه، وقال: يكتبُ إليَّ بهذا الكتاب وهو عبدي؟!

قلت: وسبب قول كسرىٰ هذا واستعلائه أن الحبشة كانوا قد مَلَكوا اليمن، ومَلِكُهم سار إلىٰ مكَّة بالفيل؛ ليخرِّب البيت، وكانوا نصارىٰ، فأرسل الله عليهم من ناحية البحر طيرًا أبابيل -وهي جماعاتٌ في تَفْرِقة- تحملُ حجارةً من طين، فألقتها علىٰ الحبشة النَّصارىٰ فأهلكتهم[5]، وكان هذا آيةً عظيمةً خضعت بها الأممُ للبيت وجيران البيت.

---

(١) أخرجه أبو عبيد في «الأموال» (٥٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٣٩٤)، وهو مرسلٌ حسن، وابن إسحاق هو عمير بن إسحاق القرشي من أوساط التابعين.

(٢) محمد بن إسحاق في « السيرة». أخرجه من طريقه ابن جرير في «التاريخ» (٢/ ٦٥٤)، وابن الجوزي في «المنتظم» (٣/ ٢٨٣) وغيرهما.

(٣) (ع، د): «فارس».

(٤) (ت): «المجوسية».

(٥) (ي، د، ع): «فأهلكهم الله».

وعَلِمَ العقلاء أن هذا لم يكن نصرًا من الله لمشركي العرب؛ فإن دين النَّصارىٰ خيرٌ من دينهم، وإنما كان نصرًا للبيت وللأمَّة المسلمة التي تعظِّمه، وللنبيِّ المبعوث من البيت، وكان ذلك عام مولد النبيِّ ﷺ، فأنزل الله في ذلك: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ١ - ٥].

ثم إن سيفَ بن ذي يَزَن ذهب إلىٰ كسرىٰ، وطلب منه جيشًا يغزو به الحبشة، فأرسل معه عسكرًا من الفُرس والمجوس، فأخرجوا الحبشة من اليمن، وصارت اليمنُ بيد العرب، وبها نائبُ كسرىٰ، وسيفُ بن ذي يَزَن هذا ممَّن بشَّر بالنبيِّ ﷺ قبل ظهوره، وأخبر بذلك جدَّه عبد المطلب[1] لمَّا وفدَ عليه[2].

فلمَّا كانت اليمنُ مطيعةً لكسرىٰ، لهذا أرسل إلىٰ نائبه علىٰ اليمن[3] أن يأتيه بالنبيِّ ﷺ؛ لأن عسكر اليمن في العادة يقهرُ أهلَ مكة والمدينة.

قال ابن إسحاق[4]: فبلغني أن رسول الله ﷺ قال: «**مزَّق الله ملكه**» حين بلغه أنه شقَّق كتابه.

ثم كتب كسرىٰ إلىٰ باذان -وهو علىٰ اليمن- أن ابعث إلىٰ هذا الرجل الذي بالحجاز من عندك رجلين جَلْدَين، فليأتياني به، قال: فبعث باذانُ

---

(١) (و): «عمه أبا طالب». وضُرِب عليها في (ت) وكتب الصواب.
(٢) انظر: «دلائل النبوة» لأبي نعيم (٩٥)، والبيهقي (٢/ ٩).
(٣) (ت): «إلىٰ اليمن». (ع، د): «باليمن».
(٤) تتمة خبره المتقدم تخريجه.

قَهْرَمانَه[1] وهو بانُويه[2] -وقال غيره: فيروز الدَّيلمي- وكان حاسبًا كاتبًا، وبعث معه برجلٍ من الفُرس، وكتب معهما إلىٰ رسول الله ﷺ يأمره أن ينصرف معهما إلىٰ كسرىٰ، وقال لبانُويه: ويلك، انظُر ما الرَّجلُ، وكلِّمه، وائتني بخبره.

قال: فخرجا حتىٰ قدما إلىٰ الطائف، فسألا عن النبيِّ ﷺ، فقالوا: هو بالمدينة، واستبشروا -يعني الكفار- وقالوا: قد نَصَبَ له كسرىٰ، كُفِيتم الرجل، فخرجا حتىٰ قدما المدينة علىٰ رسول الله ﷺ، فكلَّمه بانُويه، فقال: إن شاهنشاه ملك الملوك كسرىٰ كتب إلىٰ الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك، وقد بعثني إليك، فانطلِق معي، فإن فعلتَ كتب معك إلىٰ ملك الملوك بكتابٍ ينفعك ويكفَّ عنك به، وإن أبيتَ فهو من قد علمتَ وهو مُهْلِكُك ومُهْلِكٌ قومك ومُخَرِّب بلادك.

وكانا قد دخلا علىٰ رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما، وأبقيا شواربهما، فكره النظر إليهما رسولُ الله ﷺ، وقال لهما: **«ويلكما، من أمركما بهذا؟!»**، قالا: أمرنا بهذا ربُّنا -يعنيان كسرىٰ-، فقال لهما رسول الله ﷺ: **«لكنَّ ربي ﷻ أمرني بإعفاء لحيتي وبقصِّ شاربي[3]»**، ثم قال لهما: **«ارجعا حتىٰ تأتياني الغد»**.

قال: وجاء الخبر من السماء أن الله ﷻ سلَّط علىٰ كسرىٰ ابنَه[4] شيرويه فقتله، في شهر كذا، في ليلة كذا، في ساعة كذا، فلمَّا أتيا رسول الله ﷺ قال لهما:

---

(١) القهرمان: أمين الملك ووكيله الخاص بتدبير دخله وخرجه. «المعجم الوسيط».

(٢) كذا رسم في الأصول في المواضع الثلاثة. وفي ط. العاصمة: «بابويه». وكلاهما من أسماء الفرس، انظر: «الإكمال» لابن نقطة (١/ ٢١١). وبكليهما وقع في المصادر، انظر: «تفسير ابن المنذر» (١/ ٢٣٩)، و«الإصابة» (١/ ٦٢١).

(٣) (د، ع): «شواربي».

(٤) (ت): «ولده».

«**إن ربي قتل ربَّكما ليلة كذا، في شهر كذا، بعدما مضىٰ من الليل كذا، سلَّط عليه ابنه شيرويه فقتله**»، فقالا له: هل تدري ما تقول؟! إنا قد نَقِمنا منك ما هو أيسرُ من هذا، فنكتبُ بهذا عنك ونخبر الملكَ به؟ قال: «**نعم، أخبراه ذلك عنِّي، وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغُ ما بلغ ملكُ كسرىٰ، وينتهي إلىٰ منتهىٰ الخفِّ والحافر، وقولا له: إنك إن أسلمتَ أعطيتك ما تحت يديك**[1]، **وملَّكتُك علىٰ قومك**[2] **من الأبناء**»، وأعطىٰ رفيقه مِنْطَقَةً من ذهبٍ وفضَّةٍ كان أهداها له بعض الملوك.

فخرجا من عنده حتىٰ قدما علىٰ باذان، وأخبراه الخبر، فقال: والله ما هذا بكلام مَلِك، وإني لأرىٰ الرجل نبيًّا كما يقول، ولننتظرنَّ[3] ما قد قال، فلئن كان ما قد قال حقًّا ما بقي فيه كلامٌ إنه لنبيٌّ مرسل، وإن لم يكن فسنرىٰ فيه رأينا، فلم يلبث باذان أن قَدِم عليه كتابُ شيرويه: أما بعد، فإني قد قتلتُ كسرىٰ، ولم أقتله إلا غضبًا لفارس؛ لِمَا كان قد استحلَّ من قتل أشرافهم وتَجْمِيرِهم[4] في بعوثهم، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممَّن قِبَلك، وانظر الرجلَ الذي كان كسرىٰ كتب إليك فيه فلا تَهِجْهُ حتىٰ يأتيك أمري فيه. فلمَّا انتهىٰ الكتابُ[5] -كتابُ شيرويه- إلىٰ باذان قال: إن هذا الرجل لرسول الله، وأسلَمَ لله، وأسلمت أبناء فارس من كان منهم باليمن.

---

(١) (و، ي): «قدمك».
(٢) (و، ي): «قريتك».
(٣) لم تحرر في (ت، ي). وفي بعض المصادر: «ولننظرن». والمثبت من (د، و، ع).
(٤) الأصول: «وتجهيزهم» وهو تحريف. وعلىٰ الصواب في مصادر الخبر. وتجميرُ الجيش: جمعُهم في الثغور وحبسُهم عن العود إلىٰ أهلهم. «النهاية» (جمر).
(٥) ليس في (ي، د، ع، و).

فكانت حِمْيَر تقول لخرخسره[1]: ذو المِعْجَزة، للمِنْطقة التي أعطاه إيَّاها رسول الله ﷺ، والمِنْطقة بلسان حمير: المِعْجَزة[2]، فبنُوه اليوم يُنْسَبون إليها: خرخسره ذو المِعْجَزة.

وقد قال بانُويه لباذان: ما كلَّمتُ رجلًا قطُّ أهيبَ عندي منه، فقال له باذان: هل معه شُرَط؟ قال: لا[3].

وقال أبو معشر: حدَّثني المَقْبُري قال: جاء فيروز الدَّيلمي إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال: إن كسرىٰ كتب إلىٰ باذان: بلغني أن في أرضك رجلًا تنبَّأ[4]، فاربطْه وابعث به إليَّ، فقال له رسول الله ﷺ: «**إن ربي غضب علىٰ ربك فقتله، فدمُه بنحره سُخْنٌ**[5] **السَّاعة**»، فخرج من عنده، فسمع الخبر، فأسلم وحَسُنَ إسلامُه[6].

وكان رجلًا صالحًا له في الإسلام آثارٌ جميلة، منها: قتلُ الأسود العَنْسيِّ الكذَّاب الذي ادَّعىٰ النبوَّة علىٰ عهد النبيِّ ﷺ.

وكان الأسود جبَّارًا استدعىٰ بأبي مسلم الخولاني، فقال له: أتشهد أني رسول الله؟ فقال أبو مسلم: ما أسمع. فقال له: أتشهد أن محمَّدًا رسول الله؟ قال: نعم. فردَّد ذلك عليه مرارًا، فأمر بنارٍ عظيمة، فأُضْرِمَت، ثم أمر بإلقاء أبي مسلم فيها، فلم تضرَّه، فأخمدها الله تعالىٰ حين أُلْقِيَ فيها، فقيل له: أخرِج هذا عنك من أرضك[7]؛ لئلا يُفْسِد عليك أتباعَك، فأخرجَه.

---

(١) رفيق بانويه المبعوث معه. ولم أقف علىٰ ضبطه.

(٢) لأنها تلي عَجُز المتنطِّق بها. والمِنْطَقَة: ما يُشَدُّ به الوسط. «تاج العروس» (عجز، نطق).

(٣) آخر رواية ابن إسحاق. ومن قوله: «فكانت حمير» إلىٰ هنا وقع لحقًا في طرة (ت) مختومًا بالتصحيح، وليس في سائر الأصول، وهو ثابتٌ في مصادر الخبر.

(٤) (ع، د): «نبيا». (ت): «تنبأ تنبئا».

(٥) «المنتظم»: «ودمه يثخن». (ع، د): «فدمه سخن»، وكررت مرتين في (ي) مهملة، (و): «سخن سخن»، والمثبت من (ت) وط. النيل.

(٦) أخرجه ابن الجوزي في «المنتظم» (٣/ ٢٨٤).

(٧) (د، ع): «أخرج هذا من عندك».

فقَدِم أبو مسلم المدينة، وقد توفي رسول الله ﷺ، واستخلفَ أبو بكر، فأناخ راحلته بباب المسجد، ثم دخل المسجد، فقام يصلي[1] إلىٰ سارية، فبَصُرَ به عمر، فقام إليه، فقال: ممَّن الرجل؟ قال: من أهل اليمن. قال: ما فعل الذي حرَّقه الكذَّاب؟ قال: ذلك عبد الله بن ثُوَب. قال: نشدتك بالله أنت هو؟ قال: اللهم نعم. فاعتنقه، ثم بكىٰ، ثم ذهب به حتىٰ أجلسه بينه وبين أبي بكر، فقال: الحمد لله الذي لم يُمِتني حتىٰ أراني في أمَّة محمَّدٍ ﷺ من فُعِل به كما فُعِل بإبراهيم خليل الرَّحمن[2].

ثم خرج فيروزُ الدَّيلميُّ علىٰ الأسود العَنْسِيِّ فقتله، وجاء الخبر إلىٰ رسول الله ﷺ بقتله وهو في مرض موته، فخرج فأخبر أصحابه بذلك[3]، وقال: «**قُتِل الأسودُ العَنْسِيُّ الليلة، قتله[4] رجلٌ صالحٌ من قومٍ صالحين**»[5].

وقصَّته مشهورة، وكذلك قصَّة مسيلمة الكذَّاب ونحوهما من المتنبِّئين الكذَّابين.

---

(١) (ع، ي، د): «يصلي في المسجد».

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٤/ ١٧٥٨)، وأبو القاسم الأصبهاني في «سير السلف الصالحين» (٢/ ٨٧٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٧/ ٢٠٠) وغيرهم عن شرحبيل بن مسلم الخولاني، وهو تابعيٌّ شاميٌّ صدوق، لكنه لم يدرك زمن القصة، وأوردها الذهبيُّ في ترجمته من «الميزان» (٢/ ٢٦٧) كالمستنكر لها، وأشار في «السير» (٤/ ٩) إلىٰ إرسالها، وقال ابن كثير في «مسند الفاروق» (٣/ ١٣٦): «هذا وإن كان فيه انقطاع إلا أنه مشهور».

(٣) ليست في (و، د، ي، ع).

(٤) ساقطة من ط. العاصمة.

(٥) أخرجه ابن جرير في التاريخ (٣/ ٢٣٦)، وابن عبد البر في «الاستيعاب» (٣/ ١٢٦٦) وغيرهما من طريق سيف بن عمر، وهو ضعيف. وأصل خبر قتل فيروز للأسود مشهورٌ محفوظٌ من وجوه أخرىٰ. انظر: «المغني عن حمل الأسفار» (٢/ ٨٧٢)، و«فتح الباري» (٨/ ٩٢، ٩٣).

فصل

ولمَّا فتح خلفاء النبيِّ ﷺ عمرُ وعثمانُ العراقَ وخراسانَ ضربوا الجزية علىٰ المجوس، كما ضربوها علىٰ النَّصارىٰ بعد أن دعوهم إلىٰ الإسلام، كما دعاهم رسول الله ﷺ، وكما ضرب النبيُّ ﷺ الجزية علىٰ اليهود والنَّصارىٰ والمجوس بعد أن دعاهم إلىٰ الله ﷻ.

فإنه ﷺ بعث العلاء بن الحضرميِّ إلىٰ المنذر بن ساوىٰ العَبْدِي صاحب هَجَر -وهي قريةٌ بالبحرين(١)- بكتابه ﷺ يدعوه إلىٰ الإسلام، قال العلاء: فلمَّا دخلتُ عليه قلتُ: يا منذر، إنك عظيمُ العقل في الدنيا، فلا تَصْغُرَنَّ عن الآخرة، إن هذه المجوسيَّة شرُّ دين، ليس فيها تكرُّم العرب، ولا علمُ أهل الكتاب، ينكِحون ما يُسْتَحيا من نكاحه، ويأكلون ما يُتكرَّم عن أكله، ويعبدون في الدنيا نارًا تأكلهم يوم القيامة، ولستَ بعديم عقلٍ ولا رأي، فانظر هل ينبغي لمن لا يَكْذِب أن تصدِّقه، ولمن لا يخون أن تأمَنَه، ولمن لا يُخْلِف أن تثق به، فإن كان هذا هكذا فهذا هو النبيُّ ﷺ الأمِّيُّ الذي والله لا يستطيع ذو عقلٍ أن يقول: ليت ما أمر به نهىٰ عنه، أو ما نهىٰ عنه أمر به، أو ليته زاد في عفوه أو نقَص من عقابه، إن كلَّ ذلك منه علىٰ أمنية أهل العقل وفكر أهل البصر. فقال المنذر: قد نظرتُ في هذا الذي في يدي فوجدته للدنيا دون الآخرة، ونظرتُ في دينكم فوجدته للآخرة والدنيا، فما يمنعني من قبول دينٍ فيه أمنية الحياة وراحة الممات، ولقد عجبتُ أمس ممَّن يقبله، وعجبتُ اليوم ممَّن يردُّه، وإن من إعظام من جاء به أن يعظَّم رسوله، وسأنظر(٢).

ثم أسلم المنذر، وكتب إلىٰ النبيِّ ﷺ بالإسلام والتصديق.

---

(١) هي محافظة الأحساء في المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية.

(٢) ذكره السهيلي في «الروض الأنف» (٧/ ٥١٩)، ثم الكلاعي في «الاكتفاء» (٢/ ١٦)، ولم أقف عليه مسندًا، وفيه صنعةٌ لا تشبه كلام الصدر الأول.

وقال عمرو بن عوف: بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة إلىٰ البحرين، فأتىٰ بجزيتها، وكان رسول الله ﷺ هو صالحَ أهلَ البحرين، وأمَّر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بمالٍ من البحرين، فسمعت الأنصارُ بقدوم أبي عبيدة، فوافَوا صلاة الصُّبح مع النبيِّ ﷺ، فلمَّا صلَّىٰ بهم الفجر انصرف، فتعرَّضوا له، فتبسَّم رسول الله ﷺ حين رآهم، وقال: «**أظنُّكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء؟**» قالوا: أجل يا رسول الله، قال: «**فأبشروا وأمِّلوا ما يسرُّكم، فوالله لا الفقر أخشىٰ عليكم، ولكن أخشىٰ عليكم أن تُبْسَط الدنيا عليكم كما بُسِطت علىٰ من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم**» أخرجاه في الصَّحيحين[1].

وأخرج البخاريُّ[2] عن بَجَالة بن عَبَدة أنه قال: أتانا كتابُ عمر بن الخطاب قبل موته بسنة: «فرِّقوا بين كلِّ ذي محرمٍ من المجوس»، ولم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتىٰ شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هَجَر.

وقال ابن شهاب: أخذ رسول الله ﷺ الجزية من مجوس هَجَر، وأخذ عمر بن الخطاب الجزية من مجوس فارس، وأخذها عثمان بن عفان من البربر[3].

---

(١) صحيح البخاري (٣١٥٨)، ومسلم (٢٩٦١).

(٢) (٣١٥٦، ٣١٥٧).

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» (٩٦٧)، وأبو عبيد في «الأموال» (٧٩). وروي عن الزهري عن السائب بن يزيد موصولًا، أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧/ ١٤٩). قال البخاري: «والصحيح عن مالك عن الزهري عن النبي ﷺ مرسل»، وقال الدارقطني: «رواه النَّاس عن مالك عن الزهري عن النبي ﷺ مرسلًا ليس فيه السائب، وهو المحفوظ». انظر: «العلل الكبير» للترمذي (٢٦٢)، و«نصب الراية» (٣/ ٤٤٨).

قال ابن شهاب: أول من أعطىٰ الجزية من أهل الكتاب أهل نجران فيما بلغنا وكانوا نصارىٰ، وقَبِل رسول الله ﷺ الجزية من أهل البحرين وكانوا مجوسًا، ثم أدىٰ أهلُ أيلة وأهل أذرُح إلىٰ رسول الله ﷺ الجزية في غزوة تبوك، وبعث خالد بن الوليد إلىٰ أهل دُومَة الجندل[1] فأسَروا رئيسهم أُكَيْدِر، فبايعوه علىٰ الجزية[2].

قال أبو عبيد: الجزية مأخوذةٌ من أهل الكتاب بالتنزيل، ومن المجوس والبربر وغيرهم بالسُّنَّة[3].

وروي عن الزهري عن سعيد بن المسيب، أخرجه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٥/ ٢٦٦)، قال البيهقي في «السنن الكبير» (١٩/ ٢٧): «وابن شهاب إنما أخذ حديثه هذا عن ابن المسيب، وابن المسيب حسنُ المرسل».

(١) أيلة: مدينة العقبة جنوب الأردن. وأذرح: قرية بشرقي الأردن تبعد عن مدينة معان ٢٥ كيلًا. ودومة الجندل: مدينة بمنطقة الجوف شمال المملكة العربية السعودية. انظر: «المعالم الأثيرة» (٤٠، ٢٤، ١١٧).

(٢) أخرجه أبو عبيد في «الأموال» (٨٧).

(٣) «الأموال» (١/ ٨٤).

فصل

وأخرج مسلمٌ عن أنس أن النبي ﷺ كتب إلىٰ كسرىٰ وقيصر والنجاشيِّ وإلىٰ كل جبَّارٍ يدعوهم إلىٰ الله ﷻ[1]، وليس بالنجاشيِّ الذي نعاه لأصحابه في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلىٰ المصلَّىٰ، فصفَّ وصلَّىٰ عليه، بل نجاشيٌّ آخرُ تملَّك بعده.

وأخرج مسلمٌ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**فُضِّلتُ علىٰ الأنبياء بستٍّ: أُعطِيتُ جوامعَ الكلم، ونُصِرتُ بالرُّعب، وأُحِلَّت لي الغنائم، وجُعِلت لي الأرضُ مسجدًا وطهورًا، وأُرسِلتُ إلىٰ النَّاس كافَّة، وخُتِم بي النبيُّون**»[2].

وقال ﷺ: «**كان النبيُّ يُبْعَثُ إلىٰ قومه خاصَّة، وبُعِثتُ إلىٰ النَّاس عامَّة**»[3].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

وفي القرآن من دعوة أهل الكتاب من اليهود والنَّصارىٰ، ومن دعوة المشركين وعبَّاد الأوثان، وجميع الإنس والجنِّ، ما لا يُحصىٰ إلا بكُلْفَة، وهذا كلُّه معلومٌ بالاضطرار من دين الإسلام، فكيف يقال: إنه لم يَذْكُر أنه بُعِثَ إلا إلىٰ العرب خاصَّة، وهذه دعوته ورسله وجهاده لليهود والنَّصارىٰ والمجوس بعد المشركين، وهذه سيرتُه ﷺ فيهم؟!

---

(١) صحيح مسلم (١٧٧٤).

(٢) صحيح مسلم (٥٢٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

وأيضًا، فالكتابُ المتواتر عنه -وهو القرآن- يذكر فيه دعاءه لأهل الكتاب إلىٰ الإيمان به في مواضع كثيرةٍ جدًّا، بل يذكر الله ﷻ فيه كُفْرَ من كفر من اليهود والنَّصارىٰ، ويأمر فيه بقتالهم، كقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧]، وقوله في هذه السورة أيضًا: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٢ - ٧٧].

وقال تعالىٰ في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ

وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ
جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن
فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا
يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٧١ - ١٧٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ
مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ
يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ
ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ
قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ
أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟
إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ
أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾
[التوبة: ٣٠ - ٣٢].

فصل

فهذه الدَّلائل وأضعافها ممَّا تبيِّن أنه نفسه ﷺ أخبر أنه رسولُ الله إلىٰ النَّصارىٰ وغيرهم من أهل الكتاب، وأنه دعاهم وجاهدَهم وأمر بدعوتهم وجهادهم، وليس هذا ممَّا فعلته أمَّتُه بعده بدعةً ابتدعوها، كما فعلت النَّصارىٰ بعد المسيح عليه السلام؛ فإن المسلمين لا يجوِّزون لأحدٍ بعد محمَّدٍ ﷺ أن يغيِّر[1] شيئًا من شريعته، فلا يُحَلِّل ما حَرَّم، ولا يُحَرِّم ما حَلَّل، ولا يُوجِبُ ما أسقَط، ولا يُسْقِطُ ما أوجَب، بل الحلال عندهم ما حلَّله الله ورسوله، والحرام ما حرَّمه الله ورسوله، والدينُ ما شرعه الله ورسوله، بخلاف النَّصارىٰ الذين ابتدعوا بعد المسيح بدعًا لم يَشْرَعْها المسيحُ عليه السلام، ولا نطق بها شيءٌ من الأناجيل ولا كتب الأنبياء المتقدِّمة، وزعموا أن ما شرعه أكابرهم من الدِّين فإن المسيحَ يُمْضِيه لهم.

وهذا موضعٌ تنازع فيه المللُ الثلاث: المسلمون، واليهود، والنَّصارىٰ، كما تنازعوا في المسيح عليه السلام وغير ذلك.

فاليهود لا يجوِّزون لله سبحانه وتعالى أن ينسخ شيئًا شَرَعه.

والنَّصارىٰ يجوِّزون لأكابرهم أن ينسَخوا شرع الله بآرائهم.

وأما المسلمون فعندهم أن الله له الخلقُ والأمر، لا شَرْعَ إلا ما شَرَعه الله علىٰ ألسنة رسله، وله أن ينسَخ ما شاء، كما نسَخ بالمسيح ما كان شَرَعه للأنبياء قبله.

فالنَّصارىٰ تضعُ لهم عقائدَهم وشرائعَهم أكابرُهم بعد المسيح، كما وَضَع لهم الثلاثمئة وثمانية عشر الذين كانوا في زمن قُسْطَنطين المَلِك «الأمانة» التي

(١) (ي): «يغيروا».

اتَّفقوا عليها، ولعنوا من خالفها من الأريوسيَّة(١) وغيرهم، وفيها أمورٌ لم ينزل الله بها كتابًا، بل تخالفُ ما أنزله الله من الكتب مع مخالفتها للعقل الصريح.

فقالوا فيها: «نؤمن بإلهٍ واحد، أب(٢)، ضابط الكلِّ، خالق السماوات والأرض، كلِّ ما يُرىٰ وما لا يُرىٰ، وبربٍّ واحدٍ يسوع المسيح ابن الله، الوحيد المولود من الأب قبل كلِّ الدُّهور، نور من نور، إله حقٌّ من إله حقٍّ، مولود غير مخلوق، مساوي الأب في الجوهر الذي به كان كلُّ شيء، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسَّد من روح القُدُس ومن مريم العذراء وتأنَّس، وصُلِب علىٰ عهد بِيلاطُس البُنْطِي وتألَّم وقُبِر، وقام في اليوم الثالث كما في الكتب وصَعِد إلىٰ السماء وجلس عن يمين الأب. وأيضًا، فسيأتي بمجده ليدين الأحياء والأموات، الذي لا فناء لمُلْكِه. و[نؤمن] بروح القُدُس الربِّ المحيي المنبثق من الأب مع الأب والابن مسجود له، ونمجِّد الناطق في الأنبياء، وبكنيسةٍ واحدةٍ جامعةٍ مقدَّسةٍ رسوليَّة، ونعترف بمعموديَّةٍ واحدةٍ لمغفرة الخطايا، ونترجَّىٰ قيامة الموتىٰ، وحياة الدَّهر العتيد كونه(٣)، آمين»(٤).

---

(١) أصحاب أريوس، فرقة من فرق النصارىٰ يعتقدون أن المسيح عبدٌ مرسل مخلوق، ليس بإله ولا رب. وقد اتفق النصارىٰ بنيقية علىٰ لعن أريوس والتبري منه. انظر: «تخجيل من حرف التوراة والإنجيل» (٢/ ٦٠٤)، وفهرسي الأعلام والطوائف.

(٢) كذا في الأصول وبعض المصادر. وفي عامتها: «الأب». وقال أنستاس الكرملي في مجلة «لغة العرب» (٨/ ١٥٠) منتقدًا من أورد لفظة «أب» دون لام التعريف: «الأب هنا علم للأقنوم الأول، وأداة التعريف هنا للتغليب عليه، ولا يجوز حذفها هنا؛ لئلا يظن أنه اسم جنس يشمل عدة آباء».

(٣) ط. العاصمة: «وحياة الدهر الآتي» خلاف الأصول.

(٤) ويسمونها «دستور الإيمان» و«القانون النيقاوي» نسبة إلىٰ نيقية. وانظر: «الفصل» (١/ ٥٢)، و«الملل والنحل» (٢/ ٢٨)، و«تخجيل من حرف التوراة والإنجيل» (٢/ ٥٠٠)، وما سيأتي (٢/ ٢٥، ٢٨، ٧٦، ٣/ ١٣٩، ١٤٤). وفي كثير من ألفاظها اختلافٌ في المصادر العربية الإسلامية والنصرانية؛ لتفاوت ترجماتها، وأشار ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٥٣٣) إلىٰ ركاكتها.

ووضعوا لهم من القوانين والنَّاموس ما لم يوجد في كتب الأنبياء ولا تدلُّ عليه، بل يوجد بعضه في كتب الأنبياء وزاد أكابرهم أشياء من عندهم لا توجد في كتب الأنبياء، وغيَّروا كثيرًا ممَّا شرعه الأنبياء.

فما عند النَّصارىٰ من القوانين والنَّواميس التي هي شرائع دينهم، فبعضه منقولٌ عن الأنبياء[1]، وبعضه عن الحواريِّين، وكثيرٌ منه من ابتداع أكابرهم مع مخالفته لشرع الأنبياء، فدينهم من جنس دين اليهود، قد لَبَسوا الحقَّ بالباطل.

وكان المسيح عليه السلام بُعِث بدين الله الذي بُعِث به الأنبياء قبله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، والنهيُ عن عبادة كلِّ ما سواه، وأحلَّ لهم بعض ما حرَّمه الله في التوراة، فنسَخ بعض شرع التوراة.

وكان الرُّوم واليونان وغيرهم مشركين يعبدون الهياكِل العُلْوِيَّة والأصنام الأرضيَّة، فبعَث المسيح عليه السلام رسله يدعونهم إلىٰ دين الله تعالىٰ، فذهب بعضهم في حياته في الأرض، وبعضهم بعد رفعه إلىٰ السَّماء، فدعوهم إلىٰ دين الله تعالىٰ، فدخل من دخل في دين الله، وأقاموا علىٰ ذلك مدَّة، ثم زيَّن الشيطان[2] لمن زيَّن له أن يغيِّر دين المسيح، فابتدعوا دينًا مركَّبًا من دين الله ورسله دين المسيح عليه السلام ومن دين المشركين.

وكان المشركون يعبدون الأصنام المجسَّدة التي لها ظِلٌّ، وهذا كان دين الرُّوم واليونان، وهو دين الفلاسفة أهل مَقْدُونية وأثينية، كأرِسطو وأمثاله من الفلاسفة المشَّائين وغيرهم.

---

(١) «فبعضه منقول عن الأنبياء» ساقط من ط. العاصمة.

(٢) (ي): «الشياطين».

وكان أرِسطو قبل المسيح بنحو ثلاثمئة سنة، وهو وزير الإسكندر بن فيلبس اليوناني المَقْدُوني الذي[1] يؤرَّخ له التاريخُ الرُّوميُّ من اليهود والنَّصارىٰ، وهذا كان مشركًا يعبد هو وقومه الأصنام، ولم يكن يسمَّىٰ «ذا القرنين»، ولا هو ذا القرنين المذكور في القرآن، ولا وصل هذا المقدونيُّ إلىٰ أرض التُّرك ولا بنىٰ السَّدَّ، وإنما وصل إلىٰ بلاد الفُرس، ومن ظنَّ أن أرِسطو كان وزير ذي القرنين المذكور في القرآن فقد غلط غلطًا يبيِّن أنه ليس بعارفٍ بأديان هؤلاء القوم ولا بأزمانهم[2].

فلمَّا ظهر دينُ المسيح عليه السلام بعد أرِسطو بنحو ثلاثمئة سنة في بلاد الرُّوم واليونان كانوا علىٰ التوحيد، إلىٰ أن ظهرت فيهم البدع، فصوَّروا الصُّور المرقومة في الحيطان، جعلوا هذه الصُّور عوضًا عن تلك الصور. وكان أولئك يسجدون للشمس والقمر والكواكب، فصار هؤلاء يسجدون إليها إلىٰ جهة الشرق التي تظهر منها الشَّمس والقمر والكواكب، وجعلوا السُّجود إليها بدلًا عن السُّجود لها.

ولهذا جاء خاتم الرُّسل صلوات الله عليه وسلامه الذي ختم الله به الرسالة، وأظهر به من كمال التَّوحيد ما لم يكن يظهَر بمن قبله[3]، فأمر ﷺ أن لا يتحرَّىٰ أحدٌ بصلاته طلوعَ الشَّمس ولا غروبها[4]؛ لأن المشركين يسجدون

---

(١) (ع، ي، د): «التي».

(٢) انظر: «منهاج السنة» (١/ ٣١٧، ٤١٠)، و«النبوات» (١٩٧)، و«الرد علىٰ المنطقيين» (٢٨، ١٨٢، ١٨٦، ٢٨٣، ٣٩٢)، و«درء التعارض» (٥/ ٦٨)، و«الانتصار لأهل الأثر» (٢٢٧)، و«الرد علىٰ البكري» (١٥٦، ٥٧٨)، و«الرد علىٰ الشاذلي» (١٣٥)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١١/ ١٧١، ٥٧١، ١٧/ ٣٣٢)، و«جامع المسائل» (٥/ ٢٨٦).

(٣) (ي): «ما لم يظهر من قبله».

(٤) أخرجه البخاري (٥٨٣) ومسلم (٨٢٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

لها تلك السَّاعة، فإذا صلىٰ الموحِّدون لله ﷻ في تلك السَّاعة صار في ذلك نوعُ مشابهةٍ لهم، فيُتَّخَذُ ذريعةً إلىٰ السُّجود لها، وكان من أعظم أسباب عبادة الأصنام تصوير الصُّور وتعظيم القبور.

ففي صحيح مسلم وغيره(١) عن أبي الهيَّاج الأسديِّ، قال: قال لي عليُّ بن أبي طالب: ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ فأمرني أن لا أدع قبرًا مُشْرِفًا إلا سوَّيتُه، ولا تمثالًا إلا طمستُه.

وفي الصَّحيحين(٢) أنه ﷺ قال في مرض موته: «**لعن الله اليهود والنَّصارىٰ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذِّر ما فعلوا.

وفي الصَّحيحين(٣) أنه قال قبل موته بخمس ليالٍ: «**إن من كان قبلكم كانوا يتَّخذون القبور مساجد، ألا فلا تتَّخذوا القبور مساجد، وإني أنهاكم عن ذلك**».

ولمَّا ذكروا له كنيسة(٤) بأرض الحبشة وذكروا من حُسْنِها وتصاويرَ فيها، فقال: «**إن أولئك كانوا إذا مات فيهم الرجلُ الصَّالحُ بنوا علىٰ قبره مسجدًا وصوَّروا تلك التصاوير، أولئك شِرارُ الخلق عند الله يوم القيامة**»(٥).

ونهىٰ أن يستقبل الرجلُ القبرَ في الصَّلاة؛ حتىٰ لا يتشبَّه بالمشركين الذين

---

(١) صحيح مسلم (٩٦٩)، ومسند أحمد (٧٤١)، وسنن أبي داود (٣٢١٨)، والترمذي (١٠٤٩).
(٢) صحيح البخاري (٤٣٥) ومسلم (٥٣١) من حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهم.
(٣) صحيح مسلم (٥٣٢)، وهو من أفراده، كما في «الجمع بين الصحيحين» للحميدي (١/ ٣٩١).
(٤) (ت): «ذكروا الكنيسة».
(٥) أخرجه البخاري (٤٢٧) ومسلم (٥٢٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

يسجدون للقبور، ففي الصَّحيح[1] أنه قال: «**لا تجلسوا علىٰ القبور، ولا تصلُّوا إليها**».

إلىٰ أمثال ذلك ممَّا فيه تجريدُ التوحيد لله رب العالمين الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله.

فأين هذا ممَّن يصوِّر صور المخلوقين في الكنائس ويعظِّمها ويستشفعُ بمن صُوِّرت علىٰ صورته؟! وهل كان أصلُ عبادة الأصنام في بني آدم من عهد نوحٍ عليه السلام إلا هذا؟!

والصَّلاة[2] إلىٰ الشَّمس والقمر والكواكب والسجودُ إليها ذريعةٌ إلىٰ السُّجود لها، ولم يأمر أحدٌ من الأنبياء باتخاذ الصُّور والاستشفاع بأصحابها، ولا بالسُّجود إلىٰ الشَّمس والقمر والكواكب، وإن كان يُذْكَرُ عن بعض الأنبياء تصويرُ صورةٍ لمصلحة، فإن هذا من الأمور التي قد تتنوَّع فيها الشرائع، بخلاف السُّجود لها والاستشفاع بأصحابها، فإن هذا لم يشرعه نبيٌّ من الأنبياء، ولا أمر قطُّ أحدٌ من الأنبياء أن يُدْعَىٰ غيرُ الله عز وجل لا عند قبره ولا في مَغِيبه، ولا يُسْتَشْفَع[3] به في مَغِيبه بعد موته، بخلاف الاستشفاع بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم في حياته ويوم القيامة، وبالتوسُّل بدعائه[4] والإيمان به، فهذا من شرعِ الأنبياء عليهم السَّلام.

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن

(١) صحيح مسلم (٩٧٢) من حديث أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه.
(٢) (د، ي، ع): «ويصلىٰ».
(٣) (ت): «يتشفع». وفي ط. العاصمة: «يشفع»، وهو خطأ.
(٤) (ت): «وبالتوسل به بدعائه».

رَسُولٍ إِلَّا يُوحَىٰٓ(1) إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ١ - ٤].

وذلك أن المشركين من جميع الأمم لم يكن أحدٌ منهم يقول: إن للمخلوقات خالقَيْن منفصلَيْن متماثلَيْن في الصِّفات، فإن هذا لم يقله طائفةٌ معروفةٌ من بني آدم(2)، ولكنَّ الثَّنويَّة من المجوس ونحوهم يقولون: إن العالم صادرٌ عن أصلين: النُّور والظُّلمة، والنُّور عندهم هو إله الخير المحمود، والظُّلمة هي الإله الشرير المذموم.

وبعضهم يقول: إن الظُّلمة هي الشيطان، وهذا ليجعلوا ما في العالم من الشَّرِّ صادرًا عن الظُّلمة.

---

(1) كذا في الأصول، وهي قراءة أبي عمرو، قراءة المصنف وأهل الشام لعهده.

(2) انظر: «بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ٤٣٥)، و«شرح الأصبهانية» (١١٦، ١٣٤)، و«درء التعارض» (٥/ ٣٨)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٩٦، ١١/ ٥١).

ومنهم من قال: إن الظُّلمة قديمةٌ أزليَّة، مع أنها مذمومةٌ عندهم، ليست مماثلةً للنور.

ومنهم من قال: بل هي حادثة، وأن النُّور فكَّر فكرةً رديئة، فحَدَثت الظُّلمة عن تلك الفكرة الرَّديئة.

فقال لهم أهل التوحيد: أنتم بزعمكم كرهتم أن تضيفوا إلىٰ الربِّ ﷻ خلقَ ما في العالم من الشَّرِّ، وجعلتموه خالقًا لأصل الشَّرِّ!

وهؤلاء مع إثباتهم اثنين، وتسمية النَّاس لهم بالثَّنَويَّة، فهم لا يقولون: إن الشَّرَّ[1] مماثل للخير.

وكذلك الدَّهريَّة دهريَّة الفلاسفة وغيرهم:

منهم من ينكر الصَّانع للعالم، كالقول الذي أظهره فرعون لعنه الله.

ومنهم من يُقِرُّ بعلَّةٍ يتحرَّك الفلكُ للتشبُّه بها، كأرِسطو وأتباعه.

ومنهم من يقول بالموجب بالذَّات المستلزم للفلك، كابن سينا، والسُّهْرَوردي المقتول بحلب، وأمثالهما من متفلسفة المِلَل.

وأما مشركو العرب وأمثالهم فكانوا مقرِّين بالصَّانع، وبأنه خلق السماوات والأرض، فكانت عقيدة مشركي العرب خيرًا من عقيدة هؤلاء الفلاسفة الدَّهرية؛ إذ كانوا مُقِرِّين بأن هذه السماوات مخلوقةٌ لله حادثةٌ بعد أن لم تكن، وهذا مذهبُ جماهير أهل الأرض من[2] أهل الملل الثلاثة: المسلمون واليهود والنَّصارىٰ، ومن المجوس والمشركين. وهؤلاء الدَّهرية

---

(١) (ع، ي، د): «الشرير».

(٢) ط. العاصمة: «ومن» خلاف الأصول.

من الفلاسفة وغيرهم يزعمون أن السَّماوات أزليَّةٌ قديمةٌ لم تزل.

وكانوا[1] مشركو العرب يُقِرُّون بأن الله قادرٌ يفعل بمشيئته، ويجيبُ دعاء الدَّاعي إذا دعاه، وهؤلاء المتفلسفة الدَّهريَّة عندهم أن الله لا يفعل شيئًا بمشيئته، ولا يجيب دعاء الدَّاعي، بل ولا يعلم الجزئيَّات، فلا يعرف[2] هذا الدَّاعي مِن هذا الدَّاعي، ولا يعرف إبراهيم من موسىٰ من محمَّد وغيرهم بأعيانهم من رسله، بل منهم من ينكر علمه مطلقًا، كأرِسطو وأتباعه، ومنهم من يقول: إنما يعلم الكليَّات، كابن سينا وأمثاله.

ومعلومٌ أن كلَّ موجودٍ في الخارج فهو جزءٌ معيَّن، فإن لم يَعْلَم إلا الكليَّات لم يَعْلَم شيئًا من الموجودات المعيَّنة، لا الأفلاك ولا الأملاك ولا غير ذلك من الموجودات بأعيانها.

والدعاء عندهم هو تصرُّف النفس القويَّة في هَيُولىٰ العالم[3]، كما ذكر ذلك ابن سينا وأمثاله، وزعموا أن اللوح المحفوظ هو النفسُ الفلكيَّة، وأن حوادث الأرض كلَّها إنما تحدث عن حركة الفلك، كما قد بُسِط الردُّ عليهم في غير هذا الموضع[4].

والمقصود هنا أن المشركين لم يكونوا يثبتون مع الله إلهًا آخر مساويًا له في الصِّفات والأفعال، بل ولا كانوا يقولون: إن الكواكب والشَّمس والقمر خَلَقت العالم، ولا أن الأصنام تخلق شيئًا من العالم.

---

(١) كذا في الأصول، علىٰ لغة «يتعاقبون فيكم ملائكة»، ولها نظائر في كتب المصنف.
(٢) (ت): «ولا يعرف».
(٣) الهيولىٰ لفظ يوناني بمعنىٰ الأصل والمادة. «المعجم الفلسفي» (٧٤١).
(٤) انظر: «بغية المرتاد» (٣٢٦)، و«درء التعارض» (١٠/ ١٨٩)، و«الرد علىٰ المنطقيين» (٤٧٤)، و«الرد علىٰ الشاذلي» (٣٨).

ومن ظنَّ أن قوم إبراهيم الخليل كانوا يعتقدون أن النَّجم أو الشَّمس أو القمر ربُّ العالمين، أو أن الخليل عليه السلام لمَّا قال: «هذا ربِّي» أراد به ربَّ العالمين، فقد غلط غلطًا بيِّنًا، بل قوم إبراهيم كانوا مُقرِّين بالصَّانع، وكانوا يشركون بعبادته، كأمثالهم من المشركين.

قال تعالىٰ عن الخليل: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا
تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾
أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ
تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى
خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾
وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ
هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾
وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ
﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾
وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ
يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا
يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ
إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ٦٩ - ١٠١].

فأخبر تعالىٰ عن الخليل أنه عدوٌّ لكلِّ ما يعبدونه إلا لربِّ العالمين، وأخبر أنهم يقولون يوم القيامة: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم﴾ يعني: آلهتهم(١) ﴿بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧ - ٩٨]، كما قال تعالىٰ في الموضع

(١) «يعني آلهتهم» من ط. النيل.

الآخر: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٧].

ولهذا[1] قال: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، ولم يقل: من المعطِّلين؛ فإن قومه كانوا يشركون، ولم يكونوا معطِّلين كفرعون اللعين، فلم يكونوا جاحدين للصَّانع، بل عَدَلوا به، وجعلوا له أندادًا في العبادة والمحبَّة والدعاء.

وهذا كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣]، وقال: ﴿لَّا تَجْعَلْ[2] مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢].

وقال تعالىٰ فيما حكاه عن قوم نوح: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ [نوح: ٢٣، ٢٤].

قال ابن عبَّاس وغيره من العلماء: هؤلاء كانوا قومًا صالحين في قوم نوح، فلمَّا ماتوا عَكَفوا علىٰ قبورهم، ثم صوَّروا تماثيلهم، ثم عبدوها[3].

---

(١) من ط. النيل.
(٢) في الأصول: «لا تدع»، وهو سبق قلم.
(٣) أخرجه البخاري (٤٩٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروي معناه عن غير واحد من السلف. انظر: «الدر المنثور» (١٤/ ٧١٢). وليس فيه أنهم عكفوا علىٰ قبورهم.

وهكذا عند النَّصارىٰ عن المسيح عليه السلام في كتاب «سِرِّ بِطْرُس» الذي يسمَّىٰ بشَمْعُون وسمعان[1] والصَّفا وبِطْرُس[2]، والأربعة لمسمًّىٰ واحد، عندهم عنه كتابٌ عن المسيح، فيه أسرارُ العلوم، وهذا فيه[3] عن المسيح.

فالذي تفعله النَّصارىٰ أصل عبادة الأوثان، وهكذا قال عالمهم الكبير الذي يسمُّونه «فم الذَّهب»[4] -وهو من أكبر علمائهم- لمَّا ذكر تولُّد الذُّنوب الكبار عن الصِّغار، قال: وهكذا هجمت عبادة الأصنام فيما سلف لمَّا أكرم النَّاس أشخاصًا يعظِّم بعضهم بعضًا فوق المقدار الذي ينبغي، الأحياء منهم والأموات.

وقد قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٦ - ٥٧].

قال طائفةٌ من العلماء: كان أقوامٌ يَدْعُون الملائكة والأنبياء، كالعُزَيْر والمسيح وغيرهما[5]، فبيَّن الله تبارك وتعالى أن هؤلاء عبادُه كما أنتم عبادُه، يرجون

(١) (د، ع، ي): «وشمعان».
(٢) وهو أفضل الحواريين علمًا وزهدًا وأدبًا، كما يقول الشهرستاني في «الملل والنحل» (٢/ ٢٦)، وخليفة يسوع والمرأس علىٰ سائر التلاميذ الاثني عشر والسبعين، كما يقول المسعودي في «التنبيه والإشراف» (١٠٩).
(٣) ط. النيل: «وهذا فيه عندهم».
(٤) ولد في أنطاكية، واختير أسقفًا للقسطنطينية، اسمه يوحنا، ولقب بفم الذهب لفصاحته وبلاغة عبارته، له مقالات ورسائل وتفسير للإنجيل. توفي سنة ٤٠٧م. انظر: «تاريخ مختصر الدول» لابن العبري (٨٤)، و«كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمىٰ» لأسد رستم (١/ ٢٥٩- ٢٨٦)، و«تاريخ الأمة القبطية» (٢/ ٨٦).
(٥) انظر: «الدر المنثور» (٩/ ٣٨٤).

رحمتَه كما ترجون رحمتَه، ويخافون عذابَه كما تخافون عذابَه، ويتقرَّبون إليه كما تتقرَّبون إليه.

وقال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩ - ٨٠].

فبيَّن تعالىٰ أن من اتَّخذ الملائكة والنبيِّين أربابًا فهو كافرٌ مع اعتقاده أنهم مخلوقون، فإنه لم يقل أحدٌ قطُّ: إن جميع الملائكة والأنبياء مشاركون لله سبحانه في خلق العالم.

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

قال ابن عبَّاس ومجاهد وغيرهما: تسألهم: من خلق السَّماوات والأرض؟ فيقولون: الله، وهم يعبدون غيره(١).

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] في غير موضع، فأخبر تعالىٰ عن المشركين أنهم كانوا يُقِرُّون بأن خالق العالم واحد، مع اتخاذهم آلهةً يعبدونهم من دونه سبحانه، يتَّخذونهم شفعاء إليه، أو يتقرَّبون بهم إليه.

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٣/ ٣٧٣، ٣٧٤).

فصل

وكـذلك تعظـيمُهم للصَّـليب، واسـتحلالهم لحـمَ الخنزيـر، وتعبُّـدهم بالرَّهبانيـة، وامتنـاعهم مـن الختـان، وتـركهم طهـارة الحَـدَث والخَبَـث، فلا يوجبون غُسْلَ جنابةٍ ولا وضوءًا، ولا يوجبون اجتناب شيءٍ من الخبائث في صلاتهم، لا عَذِرَةً ولا بولًا ولا غير ذلك من الخبائث، إلىٰ غير ذلـك = كلُّها شرائعُ أحدثوها وابتدعوها بعد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ودان بها أئمَّتهم وجمهورهم، ولعنوا من خالفهم فيها، حتىٰ صار المتمسِّك فيهم بدين المسيح المحض مغلوبًا مقموعًا قبل أن يبعث الله محمَّدًا ﷺ، وأكثر ما هم عليه من الشَّرائع والدِّين لا يوجد منصوصًا عن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وأما المسلمون، فكلُّ ما أجمعوا عليه إجماعًا ظاهرًا تعرفه العامَّة والخاصَّة فهو منقولٌ عن نبيِّهم ﷺ، لم يُحْدِث ذلك أحدٌ بعده[1] لا باجتهاده ولا بغير اجتهاده، بل ما قطعنا بإجماع أمة محمَّدٍ ﷺ فإنه يوجد مأخوذًا عن نبيِّهم.

وأما ما يُظَنُّ فيه إجماعُهم ولا يُقْطَعُ به، فمنه ما يكون ذلك[2] الظنُّ خطأً، ويكون بينهم فيه نزاع، ثم قد يكون[3] نصُّ الرسول ﷺ مع هذا القول، وقد يكون مع هذا القول. ومنه ما يكون ظنُّ الإجماع عليه صوابًا، ويكون فيه عن النبيِّ ﷺ أثرٌ خفيت معرفته أو دلالته علىٰ بعض النَّاس.

وذلك أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أكمل الدِّينَ بمحمَّدٍ ﷺ خاتم النبيِّين، وبيَّنه وبلَّغه البلاغ المبين، فلا تحتاج أمَّتُه إلىٰ أحدٍ بعده يغيِّر شيئًا من دينه، وإنما تحتاج إلىٰ معرفة دينه الذي بُعِثَ به فقط، وأمَّتُه لا تجتمع علىٰ ضلالة، بل لا يزال في أمَّتِه

---

(١) ساقطة من ط. العاصمة.

(٢) من ط. النيل.

(٣) في طرة (ع، د) إشارة إلىٰ أن في نسخة: «بل قد يكون».

طائفةٌ قائمةٌ بالحقِّ حتىٰ تقوم السَّاعة، فإن الله أرسله بالهدىٰ ودين الحقِّ ليظهره علىٰ الدِّين كلِّه، فأظهره بالحجَّة والبيان، وأظهره باليد والسِّنان، ولا يزال في أمَّتِه أمَّةٌ ظاهرةٌ بهذا وهذا حتىٰ تقوم السَّاعة.

والمقصود هنا أن ما أجمعت عليه الأمَّة إجماعًا ظاهرًا تعرفه العامَّة والخاصَّة فهو منقولٌ عن نبيِّهم ﷺ.

ونحن لا نشهد بالعصمة إلا لمجموع الأمَّة، وأما كثيرٌ من طوائف الأمَّة ففيهم بدعٌ مخالفةٌ للرسول، وبعضها من جنس بدع اليهود والنَّصارىٰ، وفيهم فجورٌ ومعاصي، لكن رسول الله ﷺ بريءٌ من ذلك، كما قال تعالىٰ له: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقال ﷺ: «**من رغب عن سنَّتي فليس منِّي**»(١).

وذلك مثل إجماعهم علىٰ أن محمَّدًا ﷺ أُرسِل إلىٰ جميع الأمم أهل الكتاب وغير أهل الكتاب، فإن هذا تلقَّوه عن نبيهم ﷺ، وهو منقولٌ عندهم نقلًا متواترًا يعلمونه بالضرورة.

وكذلك إجماعهم علىٰ استقبال الكعبة البيت الحرام في صلاتهم، فإن هذا الإجماع منهم علىٰ ذلك مستندٌ إلىٰ النقل المتواتر عن نبيِّهم، وهو مذكورٌ في كتابهم.

وكذلك الإجماع علىٰ وجوب الصَّلوات الخمس، وصوم شهر رمضان، وحجِّ البيت العتيق الذي بناه إبراهيم خليل الرَّحمن، ودعا النَّاس إلىٰ حجِّه، وحجَّته الأنبياء، حتىٰ حجَّه موسىٰ بن عمران ويونس بن متَّىٰ وغيرهما، وإجماعهم علىٰ وجوب الاغتسال من الجنابة، وتحريم الخبائث، وإيجاب

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

الطهارة للصَّلاة = فإن هذا كلَّه ممَّا تلقَّوه[1] عن نبيِّهم، وهو منقولٌ عنه ﷺ نقلًا متواترًا، وهو مذكورٌ في القرآن.

وأما النَّصارىٰ، فليست الصَّلوات التي يصلُّونها منقولةً عن المسيح عليه السلام، ولا الصَّوم الذي يصومونه منقولًا عن المسيح، بل جعَل أوَّلهم الصَّوم أربعين يومًا، ثم زادوا فيه عشرة أيام ونقلوه إلىٰ الرَّبيع، وليس هذا منقولًا عندهم عن المسيح عليه السلام.

وكذلك حجُّهم لقُمَامة[2]، وبيت لحم، وكنيسة صَيْدَنايا[3]، ليس شيءٌ من ذلك منقولًا عن المسيح عليه السلام.

بل وكذلك عامَّة أعيادهم، مثل: عيد القَلِنْدس[4]، وعيد الميلاد، وعيد الغطاس[5] -وهو القداس-، وعيد الخميس[6]، وعيد الصَّليب الذي

---

(١) (ت): «نقلوه»، وأصلحت في طرة الأصل.

(٢) (د، ي، ع): «للقمامة». وهي أعظم كنيسة للنصارىٰ ببيت المقدس، في وسط البلد، ولهم فيها مقبرة يسمونها القيامة لاعتقادهم أن المسيح قامت قيامته فيها، والصحيح أن اسمها قمامة؛ لأنها كانت مزبلة أهل البلد. انظر: «معجم البلدان» (٤/ ٣٩٦). وسيذكر المصنف (٢/ ١٥٦) أنه ليس لها ذكرٌ في كتب الأنبياء، وإنما ظهرت في زمن قسطنطين الملك.

(٣) وهي أعظم مزاراتهم بعد القمامة وبيت لحم حيث وُلِد المسيح عليه السلام، وتقع شمال غرب دمشق، وسيأتي خبر حيلتهم فيها (١/ ٤٩٢).

(٤) وهو رأس السنة وتمام الأسبوع من ولادة مريم، واللفظة لاتينية Kalendae. انظر: «مروج الذهب» (٣/ ٤٠٦)، و«النصرانية وآدابها» للويس شيخو (٩٦).

(٥) زعموا أن يحيىٰ عمَّد عيسىٰ عليهما السلام فيه في نهر الأردن، فالنصارىٰ يغمسون أولادهم في الماء في هذا اليوم. انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ١١)، و«صبح الأعشىٰ» (٢/ ٤٥٥). ولم يصب المعلق علىٰ ط. العاصمة في التعريف به.

(٦) ويسمىٰ عيد العنصرة، ويحتفلون به بعد خمسين يومًا من عيد الفصح، ويقولون: إن روح القدس حلَّت بالتلاميذ وتفرقت عليهم ألسنة النَّاس فتكلموا بجميعها. انظر: «نهاية الأرب» (١/ ١٩١)، و«صبح الأعشىٰ» (٢/ ٤٥٥).

جعلوه في وقت ظهور الصَّليب لمَّا أظهرته هَيْلانة الحرَّانيَّة الفُنْدُقانية أمُّ قُسْطَنطين بعد مئين من السِّنين(١)، وعيد الخميس والجمعة والسَّبت التي في آخر صومهم، وغير ذلك من أعيادهم التي رتَّبوها علىٰ أحوال المسيح، والأعياد التي ابتدعوها لكبرائهم = فإن ذلك كلَّه من بدعهم التي ابتدعوها بلا كتابٍ نزل من الله تعالىٰ.

بل هم يبنون الكنائسَ علىٰ اسم بعض من يعظِّمونه، كما في الصحيحين عن النبيِّ ﷺ: أنهم «**إذا مات فيهم الرجل الصَّالح بنوا علىٰ قبره مسجدًا، وصوَّروا فيه تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**»(٢).

وهذا بخلاف المساجد التي تبنىٰ لله ﷻ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وقال: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ [النور: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨]، والنَّصارىٰ كأشباههم من المشركين يخشون غير الله، ويدعون غير الله.

---

(١) ط. النيل: «بعد المسيح عليه السلام بمائتين من السنين». وما في الأصول أولىٰ؛ وسيأتي أن هيلانة أظهرت الصليب المزعوم وصنعت لوقت ظهوره عيدًا، وذلك زمن الملك قسطنطين بعد المسيح والحواريين بأكثر من ثلاثمئة سنة. وانظر: «تثبيت دلائل النبوة» للقاضي عبد الجبار (١/ ٩٣)، و«البداية والنهاية» (٩/ ٦٦١).

(٢) تقدم تخريجه (١/ ١٧٦).

فصل

والمقصود هنا أن الذي يَدِينُ به المسلمون من أن محمَّدًا ﷺ بُعِث رسولًا إلىٰ الثقلين الإنس والجن، أهل الكتاب وغيرهم، وأن من لم يؤمن به فهو كافرٌ مستحقٌّ لعذاب الله مستحقٌّ للجهاد، وهو ممَّا أجمع أهل الإيمان بالله ورسوله عليه؛ لأن الرسول ﷺ هو الذي جاء بذلك، وذكره الله في كتابه، وبيَّنه الرسول أيضًا في الحكمة المنزلة عليه من غير الكتاب؛ فإنه تعالىٰ أنزل عليه الكتاب والحكمة، ولم يبتدع المسلمون شيئًا من ذلك من تلقاء أنفسهم، كما ابتدعت النَّصارىٰ كثيرًا من دينهم، بل أكثر دينهم، وبدَّلوا دين المسيح وغيَّروه.

ولهذا كان كفرُ النَّصارىٰ لمَّا بُعِثَ محمَّدٌ ﷺ مثل كفر اليهود لمَّا بُعِثَ المسيحُ عليه السلام؛ فإن اليهود كانوا قد بدَّلوا شرع التوراة قبل مجيء المسيح، فكفروا بذلك، ولمَّا بُعِثَ المسيحُ إليهم كذَّبوه، فصاروا كفَّارًا بتبديل معاني الكتاب الأول وأحكامه، وبتكذيب الكتاب الثاني.

وكذلك النَّصارىٰ كانوا بدَّلوا دين المسيح قبل أن يُبْعَث محمَّدٌ ﷺ، فابتدعوا من التثليث والاتحاد وتغيير شرائع الإنجيل أشياء لم يُبْعَث بها المسيحُ عليه السلام، بل تخالف ما بُعِث به، وافترقوا في ذلك فرقًا متعدِّدة، وكفَّر فيها بعضهم بعضًا، فلمَّا بُعِث محمَّدٌ ﷺ كذَّبوه، فصاروا كفارًا بتبديل معاني الكتاب الأول وأحكامه، وبتكذيب الكتاب الثاني، كما يقول علماء المسلمين: إن دينهم مبدَّلٌ منسوخ.

وإن كان قليلٌ من النَّصارىٰ كانوا عند مبعث محمَّد ﷺ متمسِّكين بدين المسيح كما كان الذين لم يبدِّلوا دين المسيح كله علىٰ الحق، فهذا كما أن من كان متبعًا شرع التوراة عند مبعث المسيح كان متمسِّكًا بالحقِّ كسائر من اتبع

موسىٰ، فلمَّا بُعِث المسيحُ صار كلُّ من لم يؤمن به كافرًا، وكذلك لمَّا بُعِث محمَّدٌ ﷺ صار كلُّ من لم يؤمن به كافرًا.

والمقصود في هذا المقام بيان ما بُعِث به محمَّدٌ ﷺ من عموم رسالته، وأنه هو نفسه الذي أخبَر أن الله تعالىٰ أرسله إلىٰ أهل الكتاب وغيرهم، وأنه نفسه ﷺ دعا أهل الكتاب، وجاهدهم، وأمر بجهادهم.

فمن قال بعد هذا من أهل الكتاب اليهود والنَّصارىٰ: إنه لم يُبْعَث إلينا، بمعنىٰ أنه لم يقل: إنه مبعوثٌ إلينا، كان مكابرًا جاحدًا للضرورة، مفتريًا علىٰ الرسول فريةً ظاهرةً تعرفها الخاصَّة والعامَّة، وكان جحدُه لهذا[1] كما لو جحَد أنه جاء بالقرآن، أو شرع الصَّلوات الخمس، وصوم رمضان، وحجَّ البيت الحرام.

وجحدُ محمَّدٍ ﷺ وما تواتر عنه أعظمُ من جحد اتِّباع الحواريِّين للمسيح عليه السلام، وإرساله لهم إلىٰ الأمم، ومجيئه بالإنجيل، ومجيء موسىٰ عليه السلام بالتوراة، وجحد أنه كان يَسْبِت؛ فإن النقل عن محمَّدٍ ﷺ مدَّته[2] قريبة، والناقلون عنه أضعاف أضعاف أضعاف أضعاف من نقل دينَ المسيح عنه، وأضعاف أضعاف أضعاف من اتَّصل به نقلُ دين موسىٰ عليه السلام؛ فإن أمَّة محمَّدٍ ﷺ ما زالوا كثيرين منتشرين في مشارق الأرض ومغاربها، وما زال فيهم من هو ظاهرٌ بالدِّين منصورٌ علىٰ الأعداء، بخلاف بني إسرائيل فإنهم زال ملكُهم في أثناء الأمر[3] لمَّا خرب بيتُ المقدس الخرابَ الأول بعد داود عليه السلام،

(١) ط. النيل: «جحده لها».
(٢) (د، ي، ع): «مدة».
(٣) ط. النيل: «المدة».

ونقص عددُ من نقل دينَهم، حتىٰ قد قيل: إنه لم يبق من يحفظ التوراة إلا واحد[1].

والمسيح عليه السلام لم ينقل دينه عنه إلا عددٌ قليل، لكن النَّصارىٰ يزعمون أنهم رسل الله معصومون، مثل: إبراهيم وموسىٰ، وسيأتي الكلام علىٰ هذا إن شاء الله تعالىٰ إذا وصلنا إليه[2]، إذ المقصود هنا بيانُ [أنَّ] من زعم أن محمَّدًا ﷺ كان يقول: «إنه لم يُبْعَث إلا إلىٰ مشركي العرب» فإنه في غاية الجهل والضلال، أو غاية المكابرة والمعاندة؛ فإن هذا أعظم جهلًا وعنادًا ممَّن ينكر أنه كان يأمر بالطهارة والغُسل من الجنابة، ويحرِّم الخمر والخنزير، وأعظم جهلًا وعنادًا ممَّن ينكر ما تواتر من أمر المسيح وموسىٰ عليهما السَّلام، وقد ظهر بهذا بطلانُ قولهم: «عَلِمنا أنه لم يأتِ إلينا، بل إلىٰ جاهليَّة العرب»[3].

---

(١) وهو عزير. انظر: تفسير البيضاوي (٣/ ٧٨)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٤٨).

(٢) (١/ ٣٠٢، ٣١١، ٤٢٥- ٤٣٣).

(٣) رسالة بولس الأنطاكي المتقدمة (١/ ٤٠).

فصل

فإذا عُرِف هذا، فاحتجاج هؤلاء بالآيات التي ظنُّوا دلالتها علىٰ أن نبوَّته خاصَّةٌ بالعرب تدلُّ علىٰ أنهم ليسوا ممن يجوز لهم الاستدلال بكلام أحدٍ علىٰ مقصوده ومراده، وأنهم ممَّن قيل فيه: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨].

فليسوا أهلًا أن يحتجُّوا بالتوراة والإنجيل والزَّبور علىٰ مراد الأنبياء، وسائر الكلام المنقول عن الأنبياء علىٰ مراد الأنبياء عليهم السَّلام، بل ولا يحتجُّون بكلام الأطبَّاء والفلاسفة والنُّحاة وعلم أهل الحساب والهيئة علىٰ مقاصدهم.

فإن النَّاس كلهم متَّفقون علىٰ أن لغة العرب من أفصح لغات الآدميِّين وأصحِّها[1]، ومتَّفقون علىٰ أن القرآن في أعلىٰ درجات البيان والبلاغة والفصاحة، وفي القرآن من الدلالات الكثيرة علىٰ مقصود الرسول ﷺ التي يَذْكُر فيها أن الله تعالىٰ أرسله إلىٰ أهل الكتاب وغيرهم ما لا يُحصىٰ إلا بكُلْفَة، ثم مع ذلك من النُّقول المتواترة عن سيرته ﷺ في دعائه لأهل الكتاب، وأمره لهم بالإيمان به، وجهاده لهم إذا كفروا به، ما لا يخفىٰ علىٰ من له أدنىٰ خبرةٍ بسيرته ﷺ، وهذا أمرٌ قد امتلأ العالمُ به، وسمعه القاصي والدَّاني.

فإذا كان النَّاس المؤمنُ به وغير المؤمن به يعلمون أنه كان يقول: «إنه رسول الله إلىٰ أهل الكتاب وغيرهم»، وأن ظهور مقصوده بذلك ممَّا تعلمه بالاضطرار الخاصَّة والعامَّة، ثم شرعوا يظنُّون أنه كان يقول: «إني لم أُبْعَث إلا إلىٰ العرب»، واستمرَّ علىٰ ذلك حتىٰ مات، دلَّ علىٰ فساد نظرهم وعقلهم،

(١) (ي، د، ع): «وأفصحها»، والمثبت من ط. النيل.

أو علىٰ عنادهم ومكابرتهم.

وكـان الواجـبُ إذ لـم يكـن لهـم[1] معرفـةٌ بمعـاني[2] هـذه الآيـات التـي استدلُّوا بها علىٰ خصوص رسالته أن يعتقدوا أحد أمرين: إما أن لها معاني توافق ما كان يقوله، أو أنها من المنسوخ.

فقد عَلِمت العامَّة والخاصَّـة أن محمَّـدًا ﷺ كـان يصـلي بعـد هجرتـه إلىٰ بيت المقدس نحو سنةٍ ونصف، ثـم أُمِر بالصَّلاة إلىٰ الكعبـة البيـت الحـرام، والنَّصارىٰ يوافقونـا[3] علىٰ أن شـرائع الأنبياء فيهـا ناسـخٌ ومنسـوخ، مـع أن مـا ذكروه من الآيات ليس منسوخًا.

ولكـن المقصـود أن المعلوم مـن حـال الرسـول ﷺ علمًـا ضـروريًّا يقينيًّـا متواترًا لا يجوز دفعُه؛ فإن العلم بأنه كان يقول: «إنـه رسـول الله ﷺ إلىٰ جميـع الخلق» معلومٌ لكلِّ من عرف أخباره ﷺ سواءٌ صدَّقه أو كذَّبه، والعلمَ بأنـه كـان يقول: «إنه رسول الله إلىٰ جميع النَّاس» ممكـنٌ قبـل أن يُعْلَـم أنـه نبيٌّ أو لـيس بنبيٍّ، كمـا أن العلـم بنبوَّتـه وصـدقه ممكـنٌ قبـل أن يُعْلَـم عمـومُ رسـالته، فلـيس العلم بأحدهما موقوفًا علىٰ الآخر، ولهذا كـان كثيرٌ ممـن يكذِّبـه يعلـم أنـه كـان يقول: «إنه رسول الله إلىٰ جميع الخلق»، وطائفةٌ ممَّن تُقِرُّ بنبوَّته وصدقه لا تُقِرُّ بأنه رسولٌ إلىٰ جميع الخلق.

والمقصود هنا الكلام مع هؤلاء بأن العلم بعموم دعوته لجميـع الخلـق - أهـل الكتـاب وغيـرهم- هـو متـواترٌ معلـومٌ بالاضـطرار، كـالعلم بـنفس مَبْعَثِـه ودعائه الخلقَ إلىٰ الإيمان به وطاعته، وكـالعلم بهجرتـه مـن مكَّـة إلـىٰ المدينـة،

(١) ط. العاصمة: «له»، وهو خطأ مخالف الأصول. ط. النيل: «إذا لم يكن لهم».
(٢) (د، ع، ي): «معاني»، والمثبت من ط. النيل.
(٣) ط. النيل والعاصمة: «يوافقون».

ومجيئه بهذا القرآن، والصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان، وحجِّ البيت العتيق، وإيجاب الصِّدق[1] والعدل، وتحريم الظُّلم والفواحش، وغير ذلك ممَّا جاء به محمَّدٌ ﷺ.

فإن قيل: بل في القرآن ما يقتضي أن رسالته خاصَّة، وفيه ما يقتضي أن رسالته عامَّة، وهذا تناقض.

قيل: هذا باطل، ويُعْلَم بطلانُه[2] قبل العلم بنبوَّته؛ فإنه من المعلوم لكلِّ أحدٍ آمن به أو كذَّبه أنه كان من أعظم النَّاس عقلًا وسياسةً وخبرة، وكان مقصودُه دعوةَ الخلق إلىٰ طاعته واتباعه، وكان يقرأ هذا[3] القرآن علىٰ جميع النَّاس، ويأمر بتبليغه إلىٰ جميع الأمم، وكلُّ[4] من طلب منه أن يؤمِّنه حتىٰ يقرأ عليه القرآن من الكفَّار وجب عليه أن يجيبه ولو كان مشركًا، فكيف إذا كان كتابيًّا؟! كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ[5]﴾ [التوبة: ٦]. وكان قد أظهَر أنه مبعوثٌ إلىٰ أهل الكتاب وسائر الخلق، وأنه رسولٌ إلىٰ الثقلين الجنِّ والإنس. فيمتنعُ مع هذا أن يُظْهِر ما يدلُّ علىٰ أنه لم يُبْعَث إليهم، فإن هذا لا يفعله من له أدنىٰ عقل؛ لمناقضته لمراده، فكيف يفعله مثل هذا الذي اتَّفقت[6] عقلاء الأمم علىٰ أنه أعقلُ الخلق، وأحسنهم سياسةً وشريعة؟!

(١) (ع): «الصدقة».
(٢) (ت): «هذا يعلم بطلانه».
(٣) ليست في (ت).
(٤) ط. العاصمة: «وكان» خلاف الأصول.
(٥) في الأصول: «يعقلون»، وهو سهو.
(٦) (ع، ي، د): «مثل من اتفقت»، والمثبت من (ت).

وأيضًا، فكان أصحابه والمقاتلون معه لعدوِّه[1] يَنْفِرون عنه، وقد كان عادتهم أن يستشكلوا ما هو دون هذا، وهذا لم يستشكله أحد.

ثم بعد هذا[2]، فلو قُدِّر أن في القرآن ما يدلُّ علىٰ أنه لم يُبْعَث إلا إلىٰ العرب، وفيه ما يدلُّ علىٰ أنه بُعِثَ إلىٰ سائر الخلق، كان هذا دليلًا علىٰ أنه أُرْسِل إلىٰ غيرهم بعد أن لم يُرسَل إلا إليهم، وأن الله عَمَّ بدعوته بعد أن كانت خاصَّة.

فلا مناقضة بين هذا وهذا، فكيف وليس في القرآن آيةٌ واحدةٌ تدلُّ علىٰ اختصاص رسالته بالعرب، وإنما فيه إثبات رسالته إليهم، كما أن فيه إثبات رسالته إلىٰ قريش، وليس هذا مناقضًا لهذا.

وفيه إثبات رسالته إلىٰ أهل الكتاب، كقوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا[3]﴾ [النساء: ٤٧]، كما فيه إثبات رسالته إلىٰ بني إسرائيل كقوله: ﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة: ٤٠]، وليس هذا التخصيصُ لليهود[4] منافيًا لذلك التعميم.

وفي رسالته خطابٌ لليهود تارةً وللنصارىٰ تارة، وليس خطابه لإحدىٰ الطائفتين ودعوته لها مناقضًا لخطابه للأخرىٰ ودعوته لها.

وفي كتابه خطابٌ للذين آمنوا من أمَّته في دعوته لهم إلىٰ شرائع دينه، وليس في ذلك مناقضةٌ بأن يخاطِب أهلَ الكتاب ويدعوهم.

---

(١) ط. العاصمة: «معه بعد ذلك»، وهو خطأ مخالف الأصول.
(٢) «ثم بعد هذا» ليست في (ي).
(٣) الأصول: «يا أهل الكتاب آمنوا بما أنزلنا»، وهو سهو.
(٤) ليست في (ي، ع)، وضرب عليها في (د)، وأثبتها من (ت).

وفي كتابه أمرٌ بقتال أهل الكتاب النَّصارىٰ حتىٰ يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، قال تعالىٰ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، ثم لم يكن هذا مانعًا أن يأمر بقتال غيرهم من اليهود والمجوس حتىٰ يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، بل هذا الحكم ثابتٌ في المجوس بسنَّته واتفاق أمَّته، وإن قيل: إنهم ليسوا من أهل الكتاب.

فهذا كلُّه ممَّا يُعْلَم بالاضطرار من دينه قبل العلم بنبوَّته، فكيف ونحن نتكلَّم علىٰ تقدير نبوَّته، والنبيُّ لا يتناقض قوله؟!

وإذا كان العلم بعموم دعوته ورسالته معلومًا بالاضطرار قبل العلم بنبوَّته وبعد العلم بنبوَّته، فالعلم الضروريُّ اليقينيُّ لا يعارضه شيء، ولكن هذا شأن الذين في قلوبهم زيغٌ من أهل البدع النَّصارىٰ وغيرهم، يتَّبعون المتشابه ويدَعون المُحْكَم.

وبسبب مناظرة النَّصارىٰ للنبيِّ ﷺ بالمتشابه، وعدولهم عن المُحْكَم، أنزل الله تبارك وتعالى فيهم: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

والتأويل: يراد به تفسيرُ القرآن، ومعرفة معانيه، وهذا يعلمه الرَّاسخون،

ويراد به ما استأثر الربُّ بعلمه من معرفة كُنْهِه، وكُنْهِ[1] ما وَعَد به، ووقت السَّاعة، ونحو ذلك ممَّا لا يعلمه إلا الله[2].

والضُّلَّال يذكرون آياتٍ تشتبه عليهم معرفةُ[3] معانيها، فيتَّبعون تأويلها[4] ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويلها، وليسوا من الرَّاسخين في العلم الذين يعلمون تأويلها، مع أن هؤلاء الآيات التي ذكروها[5] من أوضح الآيات.

وهذا الذي سلكوه في القرآن هو نظيرُ ما سلكوه في الكتب المتقدِّمة وكلام الأنبياء من التَّوراة والإنجيل والزَّبور وغيرها؛ فإن فيها من النصوص الكثيرة الصَّريحة بتوحيد الله وعبوديَّة المسيح ما لا يحصىٰ إلا بكُلْفَة، وفيها كلماتٌ قليلةٌ فيها اشتباه، فتمسَّكوا بالقليل المتشابه الخفيِّ المُشْكِل من الكتب المتقدِّمة، وتركوا الكثير المُحْكَم المُبيَّن[6] الواضح.

فهم سلكوا في القرآن ما سلكوه في الكتب المتقدِّمة، لكنَّ تلك الكتب يُقِرُّون بنبوَّة أصحابها ومحمَّدٌ ﷺ هم فيه مضطربون متناقضون، فأيُّ قولٍ قالوه فيه ظهر فسادُه وكذبهم فيه إذا لم يؤمنوا بجميع ما أُنزِل إليه.

وإن قالوا: كلامه متناقض، ونحن نحتجُّ بما يوافق قولنا، إذ مقصودنا بيان تناقضه.

---

(١) (ت، ع): «وكنه معرفة»، وفي طرة (د) إشارة إلىٰ أنها كذلك في نسخة، وضرب علىٰ «معرفة» في (ي).

(٢) انظر: «الانتصار لأهل الأثر» (٩٩) والمصادر المذكورة بحاشيته.

(٣) ليست في (د، ع).

(٤) كذا في الأصول. والوجه أن تكون: «فيتبعونها».

(٥) «التي ذكروها» ليست في (و).

(٦) (د، ي، ع): «البيِّن».

قيل لهم[1]: عن هذا أجوبة:

أحدها: أنه في الكتب المتقدِّمة ممَّا يُظَنُّ أنه متعارضٌ أضعافُ ما في القرآن وأقربُ إلىٰ التناقض، فإذا كانت تلك الكتب متَّفقةً لا تناقض فيها، وإنما يَظُنُّ تناقضها من يجهل معانيها ومراد الرُّسل، فيكون كما قيل:

وكم من عائبٍ قولًا صحيحًا ... وآفتُه من الفهم السَّقيم[2]

فكيف القرآن الذي هو أفضل الكتب؟!

الثاني: أنهم متمسِّكون بالمتشابه في تلك الكتب، ومخالفون المُحْكَم منها، كما فعلوه بالقرآن وأبلغ.

الثالث: أنه إذا[3] كان ما جاء به متناقضًا لم يكن رسول الله؛ فإن ما جاء به من عند الله لا يكون مختلفًا متناقضًا، وإنما يتناقض ما جاء[4] من عند غير الله، قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

فكلُّ كتابٍ ليس من عند الله لا بدَّ أن يكون فيه تناقض، وما كان من عند الله لا يتناقض. وحينئذٍ، فإن كان متناقضًا لم يَجُز لهم الاحتجاجُ بشيءٍ منه؛ فإنه ليس من عند الله. وإن لم يكن متناقضًا ثبت أن ما فيه من عموم رسالته وأنه رسولٌ إليهم ليس[5] فيه شيءٌ يناقضه؛ فإن ما جاء من عند الله لا يتناقض.

---

(١) (ي، ع): «كان» موضع «قيل لهم»، وفي طرة (د) إشارة إلىٰ أنها في نسخة.
(٢) البيت للمتنبي في ديوانه (٢١٦).
(٣) (د، ي، ع): «من»، وضرب عليها في (ي).
(٤) (ع): «جاء به»، وألحقت «به» في (ت).
(٥) ط. العاصمة: «فليس»، وهو خطأ مخالف للأصول.

الرابع: أنَّا نبيِّن أن ما فيه من عموم رسالته لا ينافي ما فيه من أنه أُرسِل إلىٰ العرب، كما أن ما فيه من إنذار عشيرته الأقربين وأمر قريش لا ينافي ما فيه من دعوة سائر العرب؛ فإن تخصيص بعض العامِّ بالذِّكر إذا كان له سببٌ يقتضي التَّخصيص لم يدلَّ علىٰ أن ما سوىٰ المذكور يخالفه[1]، وهذا الذي يسمىٰ «مفهوم المخالفة» و«دليل الخطاب».

والنَّاس كلُّهم متَّفقون علىٰ أن التخصيص بالذِّكر متىٰ كان له سببٌ يوجب الذِّكر غير الاختصاص بالحكم لم يكن للاسم[2] اللقب مفهوم، بل ولا للصِّفة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]؛ فإنه نهاهم عن ذلك لأنه هو الذي كانوا يفعلونه، وقد حرَّم في موضعٍ آخر قتل النفس بغير حقٍّ، سواء كان ولدًا أو غيره، ولم يكن ذلك مناقضًا لتخصيص الولد بالذِّكر[3].

الخامس: أنه في ذلك أسوةُ المسيح[4] عليه السلام؛ فإن المسيح خصَّ أوَّلًا بالدَّعوة، ثم عَمَّ.

كما قال[5] في الإنجيل: «ما بُعِثت وأُرسِلت إلا لبني إسرائيل»، وقال أيضًا في الإنجيل: «ما بُعِثت إلا لهذا الشَّعب الخبيث»[6].

ثم عَمَّ، فقال لتلامذته حين أرسلهم كما في الإنجيل: «كما بعثني

(١) (ت، ي، و): «مخالفه».

(٢) (ت): «لاسم». وكلاهما صحيح.

(٣) انظر: «بيان تلبيس الجهمية» (٥/ ٤٦٤)، و«منهاج السنة» (٧/ ٣٣١)، و«الاستقامة» (١/ ٢٩٤)، و«الرد علىٰ البكري» (٢/ ٤٦١)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ١٣٨).

(٤) أي: مثله. وفي ط. العاصمة: «أسوة بالمسيح» خلاف الأصول.

(٥) ط. العاصمة: «قيل» خلاف الأصول.

(٦) في إنجيل متىٰ (١٥: ٢٤): «لم أرسل إلا إلىٰ خراف بيت إسرائيل الضالة»، ونحوه في (١٠: ٦).

أبي أبعثُ بكم، فمن قَبِلكم فقد قَبِلني»[١].

وقال[٢]: «أرسلني أبي، وأنا أرسلكم»[٣].

وقال[٤]: «كما أفعل أنا بكم، كذلك افعلوا أنتم بعباد الله، فسِيروا في البلاد، وعمِّدوا النَّاس باسم الأب والابن والروح القُدُس، ولا يكون لأحدكم ثوبان، ولا يحمل معه فضَّةً ولا ذهبًا ولا عصًا ولا حذاءً[٥]».

ونحو ذلك ممَّا هو في الأناجيل التي بين أيديهم من تخصيص الدَّعوة ثمَّ تعميمها، وهو صادقٌ في ذلك كلِّه، فكيف يسوغ لهم إنكار ما في الإنجيل عن المسيح نظيرُه؟!

ثم يقال في بيان الحال: إن الله تعالىٰ بعث محمَّدًا ﷺ كما بعث المسيح وغيره، وإن كانت رسالته أكمل وأشمل[٦] -كما يُذْكَر[٧] في موضعه-، فأمره بتبليغ رسالته بحسب الإمكان إلىٰ طائفةٍ بعد طائفة، وأمر بتبليغ الأقرب منه مكانًا ونسبًا، ثم بتبليغ طائفةٍ بعد طائفة، حتىٰ تبلغ النِّذارة إلىٰ جميع أهل الأرض، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] أي: من بلغه القرآن، فكلُّ من بلغه القرآن فقد أنذره محمَّدٌ ﷺ.

---

(١) إنجيل متىٰ (١٠: ٤٠)، إنجيل يوحنا (١٣: ٢٠).

(٢) في طرة (د) إشارة إلىٰ أن في نسخة: «وقد» موضع «وقال».

(٣) إنجيل يوحنا (٢٠: ٢١).

(٤) إنجيل متىٰ (٢٨: ١٦ - ٢٠)، إنجيل لوقا (٩: ٣).

(٥) مهملة في (ي، و)، (ت، ع، د): «حذا»، وفي طرة (ت) بقلم حديث: «حرابة»، وأثبت به في ط. النيل والعاصمة، وهو خطأ. وفي إنجيل لوقا: «خبزًا». والمثبت من الأصول يوافق ما في إنجيل برنابا (٢٥: ١٦ - ١٨): «فليكفكم إذن ثوبٌ واحد، ارموا كيسكم، لا تحملوا مزودًا ولا حذاءً في أرجلكم».

(٦) (ع، د): «وأشهر»، تحريف.

(٧) (ي): «نذكر».

وتبيَّن[1] هنا أن النِّذارة ليست مختصَّةً بمن شافههم بالخطاب، بل ينذرهم به وينذر من بَلَغهم القرآن، فأمره الله ﷻ أوَّلًا بإنذار عشيرته الأقربين وهم قريش، فقال تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

ولمَّا أنزل الله عليه هذه الآية انطلق ﷺ إلىٰ مكانٍ عالٍ فَعَلا عليه، ثم جعل ينادي: **«يا بني عبد مناف، إني نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديد، إنما مثلي ومثلكم كمثل رجلٍ رأىٰ العدوَّ، فانطلق يَرْبَأ[2] أهله، فخشي أن يسبقوه، فجعل يهتف: يا صباحاه، يا صباحاه»**[3].

وهذه القصَّة رواها ابن عبَّاس، وأبو هريرة، وعائشة، وغيرهم في الصَّحيحين وغيرهما من كتب السُّنن والمسانيد والتفسير.

قال ابن عباس: لمَّا نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ (ورهطك منهم المخلصين)[4]، خرج رسول الله ﷺ حتىٰ صَعِد الصَّفا، فجعل ينادي: **«يا بني فِهْر، يا بني عَدِيّ»** -لِبُطون قريش- حتىٰ اجتمعوا، فجعل الرَّجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو؟ فاجتمعوا إليه، فقال: **«أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا تريد أن تُغِير عليكم، أكنتم مُصَدِّقِيَّ؟»** قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليك إلا صدقًا، ما جرَّبنا عليك كذبًا. قال: **«فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديد»**[5].

---

(١) مهملة في (ي)، (و): «ويبين».

(٢) (ت، ع): «يريد». وهو تحريف، وأثبتته ط. النيل والعاصمة. ويربأ أهله: أي يحفظهم من عدوهم، والربيئة: الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدو. «النهاية» (ربأ).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٧) من حديث قبيصة بن مخارق وزهير بن عمرو رضي الله عنهما.

(٤) قال القرطبي (١٦/ ٨٣): «ظاهر هذا أنه كان قرآنًا يتلىٰ، وأنه نُسِخ، إذ لم يثبت نقله في المصحف ولا تواتَر». وانظر: «إكمال المعلم» (١/ ٥٩٤).

(٥) أخرجه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨).

وقال أبو هريرة: لمَّا نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشًا، فاجتمعوا، فعَمَّ وخَصَّ، فقال: «**يا بني كعب بن لؤيٍّ أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مُرَّة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد منافٍ أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمَّد أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئًا غير أن لكم رحمًا سَأَبُلُّها بِبَلالها**»(١).

وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لمَّا نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ قام رسول الله ﷺ على الصَّفا، فقال: «**يا فاطمة بنت محمَّد، يا صفيَّة عمَّة رسول الله، يا عباس عمَّ رسول الله لا أملك لكم من الله شيئًا**»(٢).

وقال ابن إسحاق(٣): لمَّا نزلت هذه الآية جعل النبي ﷺ ينادي: «**يا بني عبد المطَّلب، يا بني عبد مناف، يا بني زهرة**»، حتى عدَّد الأفخاذ من قريش، ثم قال: «**إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، وإني لا أملكُ لكم من الله شيئًا إلا أن تقولوا: لا إله إلا الله**»، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟! تبًّا لك سائر اليوم، فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ١ - ٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٢٧)، ومسلم (٢٠٤) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٥).

(٣) لم أقف عليه من طريقه. وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٦٩) من حديث داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ودعا قريشًا إلىٰ الله، وأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وأنزل الله تعالىٰ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ① إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ② فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ [قريش: ١ - ٣].

وقد أنزل الله عليه في غير موضع أمرَ جميع الخلق بعبادته، كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقريشٌ هم قومه الذين كذَّبه جمهورهم أولًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٦٦]، كما أن جمهور بني إسرائيل وهم قوم المسيح كذَّبوه أولًا.

ثم أمره الله تعالىٰ أن يدعو سائر العرب، فكان يخرُج بنفسه ومعه[1] أبو بكرٍ صِدِّيقُه إلىٰ قبائل العرب قبيلةً قبيلة، وكانت العرب لم تزل تحجُّ البيت من عهد إبراهيم الخليل عليه السلام، فكان ﷺ يأتيهم في منازلهم بمنًىٰ، وعُكاظ، ومَجَنَّة، وذي المَجَاز، فلا يجد أحدًا إلا دعاه إلىٰ الله، ويقول: «**يا أيها النَّاس، إني رسول الله إليكم**[2]**، آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وأن تخلعوا ما يُعبَد من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي وتصدِّقوني وتمنعوني حتىٰ أبيِّن عن الله ما بعثني به، يا أيها النَّاس إن قريشًا منعوني أن أبلِّغ كلام ربِّي، فمن يمنعني لأبلِّغ**[3] **كلام ربِّي؟ ألا رجلٌ يحملني إلىٰ قومه؟ فإن قريشًا منعوني أن أبلِّغ كلام ربِّي، يا أيها النَّاس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، وتملِكوا بها العرب، وتَذِلّ لكم**

---

(١) ليست في (د، ع).
(٢) ليست في (ع، و، د). وفي (ي): «إليكم جميعًا».
(٣) (ت، و): «أن أبلغ».

بها العجم» فيقولون: يا محمَّد، أتريد أن تجعل الآلهة إلهًا واحدًا؟! إن أمرك هذا لعجب[١].

وما زال رسول الله ﷺ يُعْلِن دعوته، ويُظْهِر رسالته، ويدعو الخلق إليها، وهم يؤذونه ويجادلونه ويكلِّمونه، ويردُّون عليه بأقبح الرَّدِّ، وهو صابرٌ علىٰ أذاهم، ويقول: «**اللهمَّ لك الحمد، لو شئتَ لم يكونوا هكذا**»[٢].

فلمَّا اشتدَّ عليه أمرُ قريش خرج إلىٰ الطَّائف -وهي مدينةٌ معروفةٌ شرقيَّ مكة بينهما نحو ليلتين- ومعه زيد بن حارثة، ومكث بها عشرة أيام، لا يدع أحدًا من أشرافهم إلا جاءه في منزله وكلَّمه ودعاه إلىٰ التوحيد، فلم يُجِبْه أحدٌ منهم، وخافوه علىٰ أحداثهم، وأغرَوا به سفهاءهم[٣]، فجعلوا يرمونه بالحجارة إذا مشىٰ، حتىٰ إن رجليه لتَدْمَيان، وزيدٌ مولاه يَقِيه بنفسه، حتىٰ ألجؤوه[٤] إلىٰ ظلِّ كَرْمةٍ في حائطٍ لعتبة وشيبة ابني ربيعة، فرجع عنه من كان[٥] تبعه من سفهائهم، فدعا، فقال: «**اللهمَّ إليك أشكو ضعف قوَّتي وقلَّة حيلتي وهواني علىٰ النَّاس، يا أرحم الراحمين، أنت ربُّ المستضعفين، وأنت ربِّي، إلىٰ من تكلني؟ إلىٰ بعيدٍ يتجهَّمني، أم إلىٰ عدوٍّ ملَّكتَه أمري؟ إن لم يكن بك غضبٌ**

---

(١) لم أجده مجموعًا بهذا السياق. وأخرج صدره وبعض آخره ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٨٤) من طريق الواقدي. وأخرج قوله: «هل من رجل يحملني إلىٰ قومه، فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي» أحمد (١٥١٩٢)، وابن ماجه (٢٠١)، وأبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٥) من حديث جابر رضي الله عنه بسند صحيح. وأخرج آخره ابن إسحاق (١/ ٤١٧- سيرة ابن هشام) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) جزء من الحديث السابق عند ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٨٤).

(٣) (ت): «فأغروا سفهاءهم».

(٤) ط. العاصمة: «ألجأوا» خلاف الأصول.

(٥) (ي، ت، و): «ما كان».

عليَّ فلا أبالي، ولكنَّ عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظُّلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك، أو يحلَّ عليَّ سخطك، لك العتبىٰ حتىٰ ترضىٰ، ولا حول ولا قوة إلا بك».

فلمَّا رأىٰ ابنا ربيعة ما صُنِع به رَثَيا له، وقالا لغلامٍ لهما يقال له: عَدَّاس -وكان نصرانيًّا-: خذ قِطفًا من عنب، ثم اجعله في طبق، ثم اذهب إلىٰ ذلك الرَّجل يأكله، ففعل عَدَّاس، وأقبل به حتىٰ وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، فلمَّا وضع رسول الله ﷺ يده، قال: «**بسم الله**»، ثم أكل، فنظر عَدَّاس إلىٰ وجهه، ثم قال له: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة، فقال له رسول الله ﷺ: «**من أي البلاد أنت؟ وما دينك؟**»، فقال عَدَّاس: أنا نصرانيٌّ، وأنا رجلٌ من أهل نِينَوىٰ، فقال له رسول الله ﷺ: «**أمن قرية الرجل الصَّالح يونس بن متَّىٰ؟**»، فقال له عَدَّاس: وما يدريك ما يونس بن متَّىٰ؟ والله لقد خرجت من نِينَوىٰ وما فيها عشرةٌ يعرفون متَّىٰ، من أين عرفت أنت متَّىٰ وأنت أميٌّ وفي أمَّةٍ أمِّيَّة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هو أخي، كان نبيًّا، وأنا نبيٌّ**»، فأكبَّ عَدَّاس علىٰ رسول الله ﷺ يقبِّل رأسه ويديه ورجليه، فلمَّا رجع عَدَّاس فقالا: ويلك يا عَدَّاس، مالك تقبِّل رأس هذا الرَّجل ويديه ورجليه[1]، فقال: يا سيِّدي، ما في الأرض خيرٌ من هذا الرَّجل[2]، لقد أخبرني بأمرٍ لا يعلمه إلا نبيٌّ[3].

---

(١) «ويديه ورجليه» ليست في (د، ع).

(٢) ليست في (ي، د، ع).

(٣) «السيرة» لابن هشام (٢/ ٦٠- ٦٣) من حديث ابن إسحاق عن يزيد بن زياد عن محمَّد بن كعب القرظي مرسلًا، ومن طريقه ابن جرير في التاريخ (٢/ ٣٤٤)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٣/ ٥٠١).

وله شواهد تقويه من مرسل الزهري عند البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٤٣)، ومرسل عروة بن الزبير عند أبي نعيم في «دلائل النبوة» (٢٩٥)، ومرسل سليمان التيمي عند ابن منده في «المستخرج من كتب النَّاس للتذكرة» (١/ ٧٣). =

ثم انصرف رسول الله ﷺ من الطائف راجعًا إلىٰ مكة وهو محزونٌ، إذ[1] لم يستجب له رجلٌ واحدٌ ولا امرأة، فقال له زيد بن حارثة: كيف تدخل[2] عليهم يا رسول الله وقد فعلوا وفعلوا؟! فقال: «**يا زيد، إن الله ﷻ جاعلٌ لما ترىٰ فرجًا ومخرجًا، وإن الله ناصرٌ دينَه ومُظْهِرٌ نبيَّه**»[3].

ثم ذكر ابن إسحاق[4] دخوله إلىٰ مكة، وكان رسول الله ﷺ لمَّا لقي من أهل مكة والطائف ما لقي، ودعا بالدَّعاء المتقدِّم، نزل عليه جبريل ومعه مَلَكُ الجبال، كما في «صحيح البخاري»[5] أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت للنبيِّ ﷺ: هل أتىٰ عليك يومٌ كان أشدَّ من يوم أحد؟ فقال: «**لقد لقيتُ من قومك، وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يوم العقبة، إذ عرضتُ نفسي علىٰ ابن عبد ياليل بن عبد كُلَال، فلم يجبني إلىٰ ما أردت، فانطلقتُ وأنا مهمومٌ علىٰ وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقَرْنِ الثَّعالب، فرفعتُ رأسي، فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلَّتني، فنظرتُ، فإذا فيها جبريل، فناداني: إن الله قد سمع قول قومك وما رَدُّوا عليك، وقد بعَث إليك مَلَكَ الجبال لتأمره بما شئتَ فيهم**». قال: «**فناداني مَلَكُ الجبال وسلَّم عليَّ، ثم قال: يا محمَّد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا مَلَكُ الجبال قد بعثني**

= وأخرج الدعاء والخبر مختصرًا الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣/ ٧٣)، و«الدعاء» (١٠٣٦) بسند حسن من طريق ابن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وخرجه الضياء في «المختارة» (٩/ ١٨١). وانظر تتمة تخريجه في التعليق علىٰ «الوابل الصيب» (١١٥-١١٦).

(١) ليست في (و)، وألحقت في (ت، ي).

(٢) (ع): «ندخل».

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٨٠) من طريق الواقدي عن محمد بن جبير بن مطعم مرسلًا.

(٤) «السيرة» لابن هشام (٢/ ٦٣).

(٥) (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

ربُّك[1] إليك لتأمرني بأمرك، إن شئتَ أن أُطْبِق عليهم الأَخْشَبَيْن»، فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يُخْرِجَ الله من أصلابهم من يعبدُ الله وحده لا شريك له[2]».

وأخرج مسلمٌ في صحيحه[3] عن أبي هريرة: أنه قيل للنبيِّ ﷺ: ادعُ الله علىٰ المشركين، فقال: «إني لم أُبْعَث لعَّانًا، وإنما بُعِثْتُ رحمة».

وفي الصَّحيحين[4] عن خبَّاب بن الأرَتِّ، أنه قال: لمَّا اشتدَّ البلاء علينا من المشركين أتينا النبيَّ ﷺ، فقلنا: ألا تدعُ الله لنا؟ ألا تَستنصِرُ الله لنا؟ فقال: «لقد كان من قبلكم يؤخذُ الرجلُ فيُحْفَرُ له في الأرض، ثم يُجَاء بالمنشار فيُجْعَل فوق رأسه حتىٰ يُجْعَل فِرْقتين، ما يَصْرِفه ذلك عن دينه، ويُمْشَطُ بأمشاطِ الحديد ما دون لحمه من عظمٍ وعَصَب، ما يَصْرِفه ذلك عن دينه، وليُتِمَنَّ الله هذا الأمر حتىٰ يسير الرَّاكبُ من صنعاء إلىٰ حضرموتَ لا يخشىٰ إلا الله، ولكنَّكم تستعجلون».

وذَكَر[5] ما لقي النبيُّ ﷺ من قومه من الأذىٰ والاستهزاء والإغراء، وهو صابرٌ محتسِب، مُظْهِرٌ لأمر الله، مبلِّغٌ[6] رسالتَه، لا تأخذه في الله لومةُ لائم، مواجهٌ لقومه بما يكرهون مِن عَيْبِ دينهم وآلهتهم، وتضليل آبائهم، وتسفيه أحلامهم، وإظهار عداوتهم[7]، وقتاله إيَّاهم = ما بلغ مبلغَ القطع.

---

(١) (د، ع): «ربي».

(٢) كذا في الأصول، وهي رواية في مستخرج أبي عوانة (١٤/ ٥٤٢). ورواية الصحيحين: «لا يشرك به»، وسترد كذلك في آخر الكتاب (٤/ ٥٣٦).

(٣) (٢٥٩٩).

(٤) صحيح البخاري (٣٦١٢) وهو من أفراده كما في «الجمع بين الصحيحين» للحميدي (٣/ ٣٦٣).

(٥) ابن إسحاق.

(٦) (ي، و): «بتبليغ».

(٧) (و): «عداوته».

قال عكرمة، عن ابن عباس: ولمَّا رجع النبيُّ ﷺ إلىٰ مكة، فلمَّا[1] حضر الموسمُ حجَّ نفرٌ من الأنصار، فانتهىٰ النبيُّ ﷺ إلىٰ فريقٍ منهم، فقرأ عليهم القرآن، ودعاهم إلىٰ الله، وأخبرهم بالذي آتاه الله، فأيقنوا واطمأنَّت قلوبهم إلىٰ دعوته، وعرفوا ما كانوا يسمعون من أهل الكتاب مِن ذكرِهم إيَّاه بصفته وما يدعوهم إليه، فصدَّقوه وآمنوا به، وكان من أسباب الخير الذي ساق اللهُ للأنصار[2] ما كانوا[3] يسمعون من الأخبار في صفته، فلمَّا رجعوا إلىٰ قومهم جعلوا يدعونهم سرًّا، ويخبرونهم بأقوال[4] رسول الله ﷺ والذي بعثه الله به من النُّور والهدىٰ والقرآن، فأسلموا، حتىٰ قَلَّ[5] دارٌ من دُورِهم إلا أسلم فيها ناسٌ لا محالة[6].

وقد[7] ذكر الله ذلك في القرآن، وأخبر أن أهل الكتاب كانوا يخبرون به العربَ ويَسْتَفْتِحون به عليهم، فكان أهل الكتاب مُقِرِّين بنبوَّته، مخبرين بها

---

(١) ليست في (ي، د، ع).

(٢) (و): «ساق الله به الأنصار».

(٣) أي: أن ما سمعه الأنصار من أهل الكتاب من صفة النبي ﷺ كان من أسباب إيمانهم وما ساق الله لهم من الخير. وفي (ت): «إلىٰ ما كانوا». والعبارة مختلفة في المصادر التالية، ورواية البيهقي: «فلما سمعوا قوله أيقنوا به واطمأنت قلوبهم إلىٰ ما سمعوا منه، وعرفوا ما كانوا يسمعون من أهل الكتاب من صفته، فصدقوه واتبعوه، وكانوا من أسباب الخير الذي سُبِّبَ له ﷺ».

(٤) (د، ع): «بأحوال»، وكُتِبت في طرة (ت) بغير خط النَّاسخ.

(٥) زيد في (و) فوق السطر: «أن يوجد»، وليست في سائر الأصول والمصادر.

(٦) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٣٦٢)، ومن طريقه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٣٠٦) من حديث ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير مرسلًا، وفي سنده ضعف. انظر: «مجمع الزوائد» (٦/ ٤٠). ومن مرسل الزهري، أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٤٣٠).

(٧) (ع، د): «قال وقد».

مبشِّرين بها قبل أن يُبْعَث، فقال تعالىٰ فيما يخاطبُ(١) به أهل الكتاب: ﴿ وَلَقَدْ
ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ
وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ
وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾
وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾
بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ
عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا
وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨٧ - ٩١].

فقد أخبَر تعالىٰ أن أهل الكتاب كانوا يَسْتَفْتِحون علىٰ العرب بمحمَّد ﷺ قبل أن يُبْعَث، أي يستنصِرون به، وكانوا هم والعرب يقتتلون، فتغلبُهم العرب، فيقولون: سوف يُبْعَثُ النبيُّ الأميُّ من ولد إسماعيل فنتَّبعه ونقتلكم معه شرَّ قِتْلة، وكانوا ينعتونه بنعوته، وأخبارهم بذلك كثيرةٌ متواترة، وكما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

وأخبَر بما كانت عليه اليهود من أنه كلَّما جاءهم رسولٌ(٢) بما لا تهوىٰ أنفسهم كذَّبوا بعضهم وقتلوا بعضهم.

---

(١) (د، ع): «خاطب».
(٢) ط. العاصمة: «رسول الله» خلاف الأصول.

وأخبَر أنهم باءوا بغضبٍ علىٰ غضب؛ فإنهم ما زالوا يفعلون ما يُغْضِب الله عليهم:

فإما أن يراد بالتَّثنية [تكرُّرُ] غضب الله عليهم[1].

وإما أن يراد به مرَّتان، والغضبُ الأول تكذيبهم للمسيح والإنجيل، والغضبُ الثاني لمحمَّد والقرآن[2].

---

(١) فهو غضبٌ بعد غضب بحسب تكرُّر كفرهم وإفسادهم وقتلهم الأنبياء، وليس المراد التثنية التي تشفع الواحد. انظر: «بدائع الفوائد» (٢/ ٤٣٦).
وزادت ط. النيل وتبعتها المطبوعات: «تأكيد» قبل «غضب الله» وليست في الأصول، وزيادة «تكرُّر» أشبه بالصواب.

(٢) هذا آخر الجزء الأول من الأصل (ت)، وهو آخر ما وصلنا منه.

فصل

وكان يأتيهم بالآيات الدَّالة علىٰ نبوَّته ﷺ، ومعجزاتُه تزيد علىٰ ألف معجزة[1]، مثل انشقاق القمر وغيره من الآيات، ومثل القرآن المُعْجِز، ومثل أخبار أهل الكتاب قبله وبشارة الأنبياء به، ومثل أخبار الكهَّان والهَواتِف به، ومثل قصَّة الفيل التي جعلها الله آيةً عام مولده، وما جرىٰ عام مولده من العجائب الدَّالة علىٰ نبوَّته، ومثل امتلاء السَّماء ورميها بالشُّهُب التي تُرْجَمُ بها الشَّياطين بخلاف ما كانت العادة عليه قبل مبعثه وبعد مبعثه، ومثل إخباره بالغيوب التي لا يعلمها أحدٌ إلا بتعليم الله ﷻ من غير أن يعلِّمه إيَّاها بشر، فأخبرهم بالماضي مثل قصَّة آدم ونوح وإبراهيم وموسىٰ والمسيح وهود وشعيب وصالح وغيرهم، وبالمستقبَلات.

وكان قومه يعلمون أنه لم يتعلَّم من أهل الكتاب ولا غيرهم، ولم يكن بمكَّة أحدٌ من علماء أهل الكتاب ممَّن يتعلَّم هو منه، بل ولا كان يجتمع بأحدٍ منهم يعرفُ اللِّسان العربيَّ، ولا كان هو يُحْسِنُ لسانًا غير العربيِّ، ولا كان يكتب كتابًا، ولا يقرأ كتابًا مكتوبًا.

ولا سافر قبل نبوَّته إلا سَفرتين:

سفرةٍ وهو صغيرٌ مع عمِّه أبي طالب، لم يفارقه، ولا اجتمع بأحدٍ من أهل الكتاب ولا غيرهم.

---

(١) انظر: «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (٢١٢).
وذكر النووي في مقدمة «شرح مسلم» (١/ ٢) أن معجزات النبي ﷺ تزيد علىٰ الألف والمئين، وفي «تهذيب الأسماء» (١/ ٣٣): «تبلغ ألوفًا». وقال البيهقي: بلغت ألفًا، وقال الزاهدي من الحنفية: ظهر علىٰ يديه ألف معجزة، وقيل: ثلاثة آلاف. انظر: «فتح الباري» (٦/ ٥٨٢)، و«الشفا» للقاضي عياض (٣١٣، ٤٦٤).

وسفرةٍ أخرىٰ وهو كبيرٌ مع رَكْبٍ من قريش، لم يفارقهم، ولا اجتمع بأحدٍ من أهل الكتاب.

وأخبَر من كان معه بإخبار أهل الكتاب بنبوَّته، مثل إخبار بَحِيرَا الرَّاهب بنبوَّته وما ظهر لهم منه ممَّا دلَّهم[1] علىٰ نبوَّته، ولهذا تزوَّجت به خديجة[2] قبل نبوَّته لِمَا أُخْبِرَت به من أحواله.

وهذه الأمور مبسوطةٌ في موضعٍ آخر[3].

ولكن المقصود هنا التنبيه بأن محمَّدًا ﷺ له معجزاتٌ كثيرة، مثل نبع الماء من بين أصابعه غير مرَّة[4]، ومثل تكثيرِ الطعام القليل حتىٰ أكل منه الخلقُ العظيم[5]، وتكثيرِ الماء القليل حتىٰ شرب منه الخلقُ الكثير، وهذا قد جرىٰ غير مرَّةٍ له[6].

ولأمَّته من الآيات ما يطول وصفه، فكان بعض أتباعه يحيي الله له الموتىٰ من النَّاس والدَّوابِّ[7]، وبعض أتباعه يمشي بالعسكر الكثير علىٰ البحر حتىٰ

---

(١) (و): «ما دلهم».
(٢) (د، ع): «خديجة بنت خويلد».
(٣) سيأتي الكلام عليها في آخر الكتاب.
(٤) أخرجه البخاري (١٦٩، ٣٥٧٩، ٤١٥٢) من حديث أنس بن مالك وعبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم.
(٥) أخرجه البخاري (٢٦١٨، ٣٥٧٨، ٤١٠٢)، ومسلم (٢٠٣٩، ٢٠٤٠، ٢٠٥٦) من حديث أنس بن مالك وجابر بن عبد الله وعبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهم.
(٦) أخرجه البخاري (٣٤٤، ٣٥٧٧)، ومسلم (٦٨١، ٦٨٢، ١٧٢٩) من حديث البراء بن عازب وسلمة بن الأكوع وعمران بن حصين رضي الله عنهم.
(٧) كما وقع لصلة بن أشيم وغيره. انظر: «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (٢٢٥)، و«البداية والنهاية» (٩/ ٤٩، ٥٠).

يعبُروا إلىٰ الناحية الأخرىٰ[1]، ومنهم من ألقي في النار فصارت عليه بردًا وسلامًا[2]، وأمثال ذلك كثير[3].

ولكن المقصود هنا ذكر بعض ما في القرآن من أنه كان يخبرهم بالأمور الماضية خبرًا مفصَّلًا لا يعلمه أحدٌ إلا أن يكون نبيًّا أو مَن أخبره نبيٌّ، وقومه يعلمون أنه لم يخبره بذلك أحدٌ من البشر، وهذا ممَّا قامت به الحجَّة عليهم، وهم مع قوَّة عداوتهم له وحرصهم علىٰ ما يطعنون به عليه لم يمكنهم أن يطعنوا طعنًا يُقْبَل منهم، وكان علمُ سائر الأمم بأن قومه المُعَادِين له المجتهدين في الطعن عليه وهم[4] لم يمكنهم أن يقولوا: إن هذه الغيوب علَّمه إيَّاها[5] بشرٌ يوجبُ[6] علىٰ جميع الخلق[7] أن يتحقَّقوا[8] أن هذا لم يعلِّمه إيَّاها بشر.

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ [هود: ٤٩]، فأخبر أنه لم يكن يعلم ذلك هو ولا قومه، وقومه تُقِرُّ بذلك، ولم يتعلَّم من أحدٍ غير قومه.

ولهذا لمَّا[9] زعم بعضهم أنه تعلَّم من بشرٍ ظهر كذبُه لكلِّ أحد، كما قال

(١) كما جرىٰ للعلاء بن الحضرمي ﵁ وغيره. انظر: «البداية والنهاية» (٩/ ٥٤، ٣١٠-٣١٧).
(٢) كما تقدم في قصة أبي مسلم الخولاني (١/ ١٦٤-١٦٥).
(٣) انظر: «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (٢١٣- ٢٢٩).
(٤) ليست في (و).
(٥) (و): «علمها إياه».
(٦) الجملة الفعلية خبر كان. وفي (و): «فوجب».
(٧) (د، ع): «علىٰ علم جميع الخلق».
(٨) «أن يتحققوا» كتبت في (و) فوق السطر، وليست في باقي الأصول.
(٩) ساقطة من ط. العاصمة.

تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ٩٨ - ١٠٣].

وكان بمكة رجلٌ أعجميٌّ مملوكٌ لبعض قريش، فادَّعىٰ بعض النَّاس أن محمَّدًا كان يتعلَّم من ذلك الأعجميِّ(١)، فبيَّن الله أن هذا كذبٌ ظاهر، فإن ذلك رجلٌ أعجميٌّ لا يمكنه أن يتكلَّم بكلمةٍ من هذا القرآن العربيِّ، ومحمَّدٌ ﷺ عربيٌّ لا يعرف شيئًا من ألسنة العجم، فمن كلَّمه بغير العربية لا يفقه كلامَه، فلا ذاك الرجلُ يُحْسِنُ التكلُّم بالعربية، ولا محمَّد ﷺ يفهم كلامًا بغير العربية، فلهذا قال تعالىٰ: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ أي(٢): يميلون إليه ويضيفون إليه أنه علَّم محمَّدًا ﴿أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾.

وكذلك قال بعض النَّاس عن القرآن: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ قال تعالىٰ: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٤ - ٦].

---

(١) ط. النيل: «الرجل الأعجمي»، وفي طرة (د) أنها كذلك في نسخة.
(٢) ليست في (ي).

فبيَّن سبحانه أن قول هذا من الكذب الظاهر المعلوم لأعدائه فضلًا عن أوليائه، فإنهم يعلمون أنه ليس عنده أحدٌ يُعِينه علىٰ ذلك، وليس في قومه ولا في بلده من يُحْسِنُ ذلك ليُعِينَه عليه؛ فلهذا قال تعالىٰ: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾؛ فإن جميع أهل بلده وقومه المُعَادِين له يعلمون أن هذا ظلمٌ له وزورٌ، ولهذا لم يقل هذا أحدٌ من عقلائهم المعروفين.

وكذلك قولهم: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، فإن قومه المكذِّبين له[1] يعلمون أنه ليس عنده من يُمْلِي عليه كتابًا.

وقد بيَّن ما يُظْهِر كذبَهم بقوله: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ فإن في القرآن من الأسرار ما لا يَعْلَمه بشرٌ إلا بإعلام الله إيَّاه، فإن الله يعلم السِّرَّ في السماوات والأرض.

ثم لمَّا تبيَّن[2] بطلان قولهم هذا ذكر ما قَدَحوا به في نبوَّته، فقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ [الفرقان: ٧، ٨] فهذا كلام المعارضين له الذين أنكروا أكله ومشيَه في الأسواق التي يُبَاع فيها ما يؤكَل وما يُلْبَس، وقالوا: هلَّا أُنْزِل إليه مَلَكٌ فيكون معه نذيرًا، أو يستغنيَ عن ذلك بكنزٍ ينفقُ منه أو جنَّةٍ يأكل منها، ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٨].

---

(١) ط. النيل: «المعادين له».

(٢) في طرة (د) إشارة إلىٰ أن في نسخة: «بيَّن».

قال تعالىٰ: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: ٤٨]، يقول: مثَّلوك بالكاذب وبالمسحور[(١)] والناقل عن غيره، وكلُّ من قال[(٢)] هذه الأقوال يَظْهَر كذبُه[(٣)] لكلِّ من عرفك.

ولهذا قال تعالىٰ ﴿فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا﴾، والضَّالُّ: الجاهل العادل عن الطريق، فلا يستطيع الطريقَ الموصلة إلىٰ المقصود، بل ظهر عجزُهم وانقطاعُهم في المناظرة.

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [طه: ١٣٣]، فإنه أتاهم بجَلِيَّة[(٤)] ما في الصُّحف الأولىٰ[(٥)]، كالتَّوراة والإنجيل، مع علمهم بأنه لم يأخذ عن أهل الكتاب شيئًا، فإذا أخبرهم بالغيوب التي لا يعلمها إلا نبيٌّ أو من أخبره نبيٌّ، وهم يعلمون أنه لم يَعْلَم ذلك بخبر أحدٍ من الأنبياء، تبيَّن لهم أنه نبيٌّ، وتبيَّن ذلك لسائر الأمم؛ فإنه إذا كان قومه المُعَادِين[(٦)] له وغير المُعَادِين له مُقِرِّين بأنه لم يجتمع بأحدٍ يعلِّمه ذلك صار هذا منقولًا بالتواتر، وكان ممَّا أقرَّ به مخالفوه مع حرصهم علىٰ الطَّعن لو أمكن.

فهذه الأخبار بالغيوب المتقدِّمة قامت بها الحجَّة علىٰ قومه وعلىٰ جميع من بَلَغه خبرُ ذلك.

---

(١) ط. العاصمة: «والمسحور» خلاف الأصول.
(٢) من ط. النيل، وليست في سائر الأصول.
(٣) (ي): «كذبها».
(٤) (ع): «جملية»، (د): «جلية»، وهي مهملة في (ي)، والمثبت من ط. النيل.
(٥) من قوله: «فإنه أتاهم» إلىٰ هنا ساقط من (و) لانتقال نظر الناسخ.
(٦) كذا في الأصول، وفي ط. النيل: «المعادون»، وهي الجادة.

وقد أخبَر بالغيوب المستقبَلة، وهذه تقوم بها الحجَّة علىٰ من عرفَ تصديقَ ذلك الخبر، كما قال تعالىٰ: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾، ثم قال: ﴿وَهُم[1] مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ﴾ [الرُّوم: ١ - ٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٣ - ٢٤]، فأخبر أنهم لن يفعلوا[2] ذلك في المستقبل، وكان كما أخبَر.

وقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، فأخبَر أنه لا يقدِر الإنسُ والجنُّ إلىٰ يوم القيامة أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وهذا الخبر قد مضىٰ له أكثر من سبعمئة سنة، ولم يقدر أحدٌ من الإنس والجنِّ أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

وقال عن الكفار وهو بمكة: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، وظهر تصديقُ ذلك يوم بدرٍ وغيره بعد[3] ذلك بسنين كثيرة.

وقال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ

---

(١) ط. العاصمة: «الم غلبت الروم في أدنىٰ الأرض وهم»، خلاف الأصول.
(٢) (و): «لم يفعلوا»، وهو خطأ.
(٣) (و): «وبعد»، وهو خطأ كسابقه، وأثبتته ط. العاصمة.

﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النور: ٥٥]، وكان الأمر كما وَعَده، وظهر تصديقُ ذلك بعد سنين كثيرة.

وكذلك قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ [الفتح: ٢٨]، فأظهر الله ما بعثه به بالآيات والبرهان، واليد والسِّنان.

وقال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٢]، فكان كما أخبرهم، غُلِبوا في الدنيا، كما شاهده النَّاس، وهذا يصدِّق الخبر الآخَر(١) وهو أنهم يُحْشَرون إلىٰ جهنَّم وبئس المهاد.

وقد أيَّده تأييدًا لا يؤيَّد به(٢) إلا الأنبياء، بل لم يؤيَّد أحدٌ من الأنبياء كما أُيِّد به(٣)، كما أنه بُعِث بأفضل الكتب إلىٰ أفضل الأمم بأفضل الشَّرائع، وجعله سيِّد ولد آدم ﷺ.

فلا يُعْرَف قطُّ أحدٌ ادَّعىٰ النبوَّة وهو كاذبٌ إلا قطع الله دابرَه، وأذلَّه، وأظهر كذبه وفجورَه.

وكلُّ من أيَّده الله من المدَّعين للنبوَّة لم يكن إلا صادقًا، كما أيَّد نوحًا وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ وداود وسليمان، بل وأيَّد شعيبًا وهودًا وصالحًا؛ فإن سنة الله أنه(٤) ينصرُ رسلَه والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وهذا هو الواقع.

---

(١) (و): «الأخير».

(٢) ط. النيل: «لا يؤيِّده».

(٣) ليست في (د، ع، ي). وفي ط. النيل: «كما أيده».

(٤) (و، ع): «أن»، وأصلحت في (د).

فمن كان لا يَعْلَم ما يفعله الله إلا بالعادة، فهذه عادة الله وسنَّته يُعْرَفُ(١) بها ما يَصْنَع، ومن كان يعلم ذلك بمقتضىٰ حكمته فإنه يعلم أنه لا يؤيِّد من ادَّعىٰ النبوَّة وكذب عليه تأييدًا لا يمكن أحدًا معارضته.

وهكذا أخبرت الأنبياء قبله أن الكذَّاب لا يُتِمُّ الله أمرَه، ولا ينصره، ولا يؤيِّده(٢).

فصار هذا معلومًا من هذه الجهات.

ولهذا أمر سبحانه أن نعتبر بما فعله في الأمم الماضية مِن جعلِ العاقبة للأنبياء وأتباعهم، وانتقامه ممَّن كذبهم وعصاهم.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣]، وقال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ

---

(١) مهملة في (ي). ط. النيل: «تعرف».
(٢) (ي، د): «ويؤيده».

أَهْلَكْنَٰهَا(١) وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٠ - ٤٦].

وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الرُّوم: ٩- ١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٤ - ٥].

وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر: ٢١ - ٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ

(١) كذا في الأصول، وهي قراءة أبي عمرو، قراءة المصنف وأهل الشام لعصره.

بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر: ٨٢ - ٨٥].

وقال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ [ص: ١٢-١٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَا(١) يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الشعراء: ٥-٦]، فأخبر أن المكذِّبين له سيأتيهم في المستقبل أخبارُ القرآن الذي استهزؤوا به، وبيَّن أن ما أخبرهم به حقٌّ بوقوع المُخْبَرِ(٢) مطابقًا للخبر، وكان الأمر كذلك.

ومثله قوله: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣]، أخبر أنه سيريهم في أنفسهم وفي الآفاق ما يبيِّن أن القرآن حقٌّ، بأن يروا ما أخبَر به كما أخبَر به، ثم قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾، فإنه قد شَهِد(٣) للقرآن بأنه حقٌّ بالآيات البينات والبراهين الدَّالة علىٰ صدقه التي تتبيَّن بشهادة الربِّ بأنه حقٌّ، فلا يحتاج مع الشَّهادة الحاضرة إلىٰ انتظار الآيات المستقبَلة.

---

(١) في الأصول: «ما»، وهو سهو، أو أراد الاستشهاد لا التلاوة. وفي الآية الأخرىٰ في سورة الأنبياء: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾.

(٢) ط. العاصمة: «الخبر»، وهو خطأ مخالف للأصول.

(٣) ط. النيل والعاصمة: «يشهد»، والمثبت من الأصول.

وقال تعالىٰ: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ۝٣ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ۝٤ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر: ١ - ٥]، أخبَر باقتراب السَّاعة، وانشقاقِ القمر، وانشقاقُ القمر قد عاينوه وشاهدوه وتواترت به الأخبار(١)، وكان النبيُّ ﷺ يقرأ هذه السُّورة في المَجامع الكبار مثل الجُمَع والأعياد(٢)؛ ليسمع النَّاس ما فيها من آيات النبوَّة ودلائلها والاعتبار، وكلُّ النَّاس يُقِرُّ ذلك ولا ينكره، فعُلِم أن انشقاق القمر كان معلومًا عند النَّاس عامَّة.

ثم ذكر حال الأنبياء ومكذِّبيهم، فقال: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ۝١٠ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ۝١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ۝١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر: ٩ - ١٥]، فأخبر أنه أبقىٰ السُّفن آيةً علىٰ قدرة الربِّ وعلىٰ ما جرىٰ لنوح مع قومه.

ثم قال: فكيف كان عذابي لمن كذَّب ونُذُرِي؟!

وكذلك ذكر قصَّة عادٍ وثمود ولوط وغيرهم، يقول في عقب كلِّ قصَّة: ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ ونُذُره: إنذارُه(٣)، وهو ما بلَّغته عنه الرُّسل من الإنذار، وكيف كانت عقوبته للمُنْذَرين، والإنذار هو الإعلام بالمَخُوفِ؛ فتبيَّن بذلك صدقُ ما أخبرت به الرُّسل من الإنذار وشدَّة عذابه لمن كذَّب رسله.

---

(١) انظر: «نظم المتناثر» للكتاني (٢١١-٢١٢).

(٢) سيأتي تخريجه قريبًا.

(٣) (و): «وإنذاره»، وهو خطأ، واختارته ط. العاصمة.

وذكر قصَّة فرعون فقال: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤١ - ٤٥].

وذكر في قصَّة محمَّد ﷺ مع النَّاس أنواعًا من ذلك، فقال: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران: ١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٢ - ٤].

ومثل هذا كثيرٌ في القرآن مِن ذكرِ دلائل النبوَّة وأعلام الرسالة ليس هذا موضع بسطه، وإنما المقصود هنا التنبيه علىٰ جنس[1] ذلك.

وما يذكره بعض أهل الكتاب أو غيرهم من أنه نَصَر فرعونَ ونُمْرُودَ وسِنْحَارِيبَ وجَنْكِسخَان وغيرهم من الملوك الكافرين = جوابُه ظاهر؛ فإن هؤلاء لم يدَّع أحدٌ منهم النبوَّة، وأن الله أمره أن يدعو إلىٰ عبادة الله[2] وطاعته،

(١) (و): «جزء».
(٢) ط. النيل: «عبادته».

ومن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، بخلاف من ادَّعىٰ أن الله أرسله بذلك، فإنه لا يكون إلا رسولًا صادقًا ينصره الله ويؤيِّده، وينصر أتباعَه ويجعل العاقبة لهم، أو يكون كذابًا فينتقم الله منه ويقطع دابره، ويتبيَّن أن ما جاء به[1] ليست من الآيات والبراهين التي لا تقبل المعارضة، بل هي من جنس مَخَارِق السَّحرة والكهَّان والكذَّابين التي تقبل المعارضة، فإن معجزات الأنبياء من خواصِّها أنه لا يقدر أحدٌ أن يعارضها ويأتي بمثلها، بخلاف غيرها، فإن معارضتَها ممكنةٌ، فتبطل[2] دلالتها.

والمسيح الدَّجَّال يدَّعي الإلهية، ويأتي بخوارق، ولكن نفس دعواه الإلهية دعوىٰ ممتنعةٌ في نفسها، ويرسل الله عليه المسيحَ ابن مريم فيقتله ويُظْهِر كذبَه، ومعه ما يدلُّ علىٰ كذبه من وجوه:

منها: أنه مكتوبٌ بين عينيه «كافر».

ومنها: أنه أعور، والله ليس بأعور.

ومنها: أن أحدًا لن يرىٰ ربه حتىٰ يموت.

ويريد أن يقتل الذي قتله أولًا، فيعجز عن قتله.

فمعه من الدَّلائل الدَّالة علىٰ كذبه ما يبيِّن أن ما معه ليس آيةً علىٰ صدقه، بخلاف معجزات الأنبياء، فإنه لا يمكن أحدًا من الإنس والجنِّ أن يأتي بنظيرها ولا يبطلها، مثل قلب العصا حيَّـةً لموسىٰ، وإخراج ناقة لصالح من الأرض، وإحياء الموتىٰ للمسيح، وانشقاق القمر وإنزال القرآن وغير ذلك لمحمَّدٍ ﷺ.

فإن المشركين لمَّا سألوا النبيَّ ﷺ آيةً واقترحوا عليه انشقاق القمر،

---

(١) ط. العاصمة: «جاءه به»، وهو خطأ مخالف للأصول.

(٢) مهملة في (ي)، (د، و): «فيبطل».

فأراهم ذلك، وقد أخبر الله تعالىٰ بذلك في القرآن، فقال تعالىٰ: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ٢ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ٣ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ٤ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ٥ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ٦ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ﴾ [القمر: ١ - ٧].

ثم ذكر تعالىٰ ما جرىٰ قبله للمكذِّبين مع رسلهم(١)، فذكر قصَّة قوم نوحٍ وهودٍ وصالحٍ ولوطٍ، ثم فرعون.

وهذه السُّورة كان النبيُّ ﷺ يقرأ بها في أعظم اجتماعات النَّاس عنده وهي الأعياد، والنَّاس كلهم يسمعون ما يذكره من انشقاق القمر، وقول المكذِّبين: إنه سحرٌ، والنَّاس كلهم المؤمن به والمنافق والكافر يُقِرُّون علىٰ هذا لم يقل أحدٌ منهم: إن القمر لم ينشقَّ، ولا أنكره أحد.

وفي صحيح مسلم(٢) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبا واقدٍ الليثي: ما [كان] يقرأ به رسول الله ﷺ في الأضحىٰ والفطر؟ فقال: كان يقرأ فيهما بـ ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [ق: ١]، و﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

ومعلومٌ بالضرورة في مطَّرد العادة أنه لو لم يكن انشقَّ لأسرع النَّاسُ المؤمنون به إلىٰ تكذيب ذلك، فضلًا عن أعدائه من الكفَّار والمنافقين، لا سيَّما وهو يقرأ عليهم ذلك في أعظم مَجَامِعهم.

---

(١) «مع رسلهم» ساقطة من ط. العاصمة.
(٢) (٨٩١).

وأيضًا، فمعلومٌ أن محمَّدًا ﷺ كان من أحرص الخلق علىٰ تصديق النَّاس له واتباعهم إيَّاه، مع أنه كان أخبَر النَّاس بسياسة الخلق، فلو لم يكن القمر انشقَّ لما كان يُخْبِر بهذا ويقرؤه علىٰ جميع الخلق ويستدلُّ به ويجعله آيةً له؛ فإن من يكون من أقلِّ النَّاس خبرةً بالسِّياسة لا يتعمَّد[1] إلىٰ ما يعلم جميعُ النَّاس أنه كاذبٌ به فيجعله من أعظم آياته الدَّالة علىٰ صدقه، ويقرأه علىٰ النَّاس في أعظم المَجَامع[2].

وقال[3]: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ بصيغة الفعل الماضي، ولم يقل: «قامت السَّاعة» ولا «ستقوم»، بل قال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ﴾ أي: دَنَت وقَرُبَت، ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ الذي هو دليلٌ علىٰ نبوَّة محمَّدٍ وعلىٰ إمكان انخراق[4] الفَلَك الذي هو قيام القيامة[5].

وهو سبحانه قرَن بين خبره باقتراب السَّاعة وخبره بانشقاق القمر؛ فإن مبعث محمَّدٍ ﷺ هو من أشراط السَّاعة، وهو دليلٌ علىٰ قربها، كما قال ﷺ في الحديث الصَّحيح: «**بُعِثْتُ أنا والسَّاعة كهاتين**»، وجمَع بين أصبعيه السَّبَّابة والوسطىٰ[6].

---

(١) كذا في الأصول. والجادة: يعمد.
(٢) ط. العاصمة: «المجاميع»، وهو خطأ مخالف للأصول.
(٣) (ي، ع): «وهي».
(٤) ط. العاصمة: «انحراق» بالمهملة، وهو خطأ.
(٥) من قوله: «وقال اقتربت» إلىٰ هنا لحقٌ في طرة (د) بخط شيخ الإسلام، وكتب تحته أحدهم: «هذه التخريجة بخط المصنف ﵁».
(٦) أخرجه البخاري (٤٩٦٣، ٦٥٠٤، ٦٥٠٥) ومسلم (٨٦٧، ٢٩٥١) من حديث سهل بن سعد وأنس بن مالك وأبي هريرة وجابر بن عبد الله ﵃.

وقد قال تعالىٰ: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمَّد: ١٨].

وعلمُ السَّاعة أخفاها الله عن جميع خلقه، كما يُذْكَر ذلك عن المسيح في الإنجيل أنه لمَّا سئل عنها، فقال: إنها لا يعلمها أحدٌ من النَّاس ولا الملائكة ولا الابن، وإنما يعلمها الأبُ وحده[1]، وهذا ممَّا يدل علىٰ أنه ليس هو ربَّ العالم.

وكذلك محمَّدٌ ﷺ أخبر بذلك لمَّا سئل عنها، قال تعالىٰ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: خَفِيَت علىٰ أهل السماوات والأرض، ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وفي الصَّحيح[2] عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**تسألوني عن السَّاعة، وإنَّما علمُها عند الله**».

فانشقاقُ القمر كان آيةً علىٰ شيئين:

علىٰ صدق الرسول.

وعلىٰ مجيء السَّاعة وإمكان انشقاق الفلك.

فإن المنكرين لقيام القيامة الكبرىٰ -قيام النَّاس من قبورهم لربِّ العالمين، وانشقاق السَّماوات وانفطارها- سواءٌ أقرُّوا بالقيامة الصُّغرىٰ، وأن الأرواح بعد

---

(١) إنجيل متىٰ (٢٤: ٣٦)، إنجيل مرقس (١٣: ٣٢).

(٢) صحيح البخاري (٢٥٣٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

الموت تتنعَّم[1] أو تُعَذَّب، كما هو قول الفلاسفة الإلهيِّين[2]، أو أنكروا المعاد مطلقًا، كما أنكر ذلك من أنكره من مشركي العرب والفلاسفة الطبيعيِّين وغيرهم = ينكرون انشقاق السَّماوات.

ويزعم هؤلاء الدَّهرية أن الأفلاك لا يجوز عليها الانشقاق، كما ذكر ذلك أرِسطو وأتباعه[3]، وزعموا أن الانشقاق يقتضي حركةً مستقيمة، وهي ممتنعةٌ بزعمهم في الفلك المحدَّد؛ إذ لا خلاء وراءه عندهم، وهذا لو دلَّ فإنما يدلُّ علىٰ ذلك في الفلك الأطلس لا فيما دونه، فكيف وهو باطل؟ فإن الحركة المستقيمة هناك بمنزلة جعل الأفلاك ابتداءً في هذه الأحياز التي هي فيها سواءٌ سمِّي خلاءً أو لم يسمَّ، كما هو مذكورٌ في غير هذا الموضع[4].

والمقصود هنا أنه تعالىٰ أخبر بانشقاق القمر مع اقتراب السَّاعة؛ لأنه دليلٌ علىٰ إمكان انشقاق الأفلاك وانفطارها الذي هو قيام السَّاعة الكبرىٰ، وهو آية علىٰ نبوَّة محمَّد ﷺ الذي هو من أشراط السَّاعة، والله تعالىٰ في كتابه يجمعُ بين ذكر القيامة الكبرىٰ والصغرىٰ، كما في سورة الواقعة، ذكر في أولها القيامة الكبرىٰ، وفي آخرها القيامة الصغرىٰ، وذلك كثيرٌ في سور القرآن، مثل سورة ق، وسورة القيامة، وسورة التكاثر، وسورة الفجر، وغير ذلك[5].

---

(١) مهملة في (ي)، (و): «تنعم».

(٢) رسمها مشتبه في (د، و): «الاالاهيين»، وجعلتها ط. العاصمة: «اللا إلهيين»، وهو تحريف، والتعليق عليه خطأ محض، وعلىٰ الصواب في (ي، ع). والفلاسفة الإلهيون يثبتون معاد الأرواح ونعيمها أو عذابها. انظر: «شرح الأصبهانية» (٧٢٠)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٨٣).

(٣) انظر: «الأربعين» للرازي (٢/ ٤٤، ٤٧).

(٤) انظر ما سيأتي (٤/ ٣٤٧-٣٤٩).

(٥) انظر: «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (٤٤)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٦٢)، و«جامع المسائل» (٨/ ١١٥)، وما سيأتي (٤/ ٢٢٩).

وقد استفاضت الأحاديثُ بانشقاق القمر، ففي الصَّحيحين[1] عن ابن مسعودٍ أنه قال: انشقَّ القمر علىٰ عهد رسول الله ﷺ فرقتين: فرقةٍ فوق الجبل، وفرقةٍ دونه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا».

وفي لفظ[2]: ونحن معه بمنًىٰ، فقال كفار قريش: سَحَرَكم ابنُ أبي كبشة، فقال رجل منهم: إن محمَّدًا إن كان سَحَرَ[3] القمرَ فإنه لا يبلغ مِن سِحْرِه أن يسحرَ الأرض كلَّها، فاسألوا من يأتيكم من بلدٍ آخر: هل رأوا هذا؟ فأتوا، فسألوهم، فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك.

وعن أنس بن مالكٍ أنه قال: سأل أهلُ مكة النبيَّ ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر فرقتين حتىٰ رأوا حراء بينهما، فنزلت: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١، ٢][4].

وهذا حديثٌ صحيحٌ مستفيض، رواه ابن مسعود وأنس بن مالك وابن عباس[5]، وهو أيضًا معروفٌ عن حذيفة[6].

قال أبو الفرج ابن الجوزي: والرِّوايات في الصَّحيح بانشقاق القمر عن ابن عمر وابن مسعود وابن عباس وأنس رضي الله عنهم[7].

---

(١) صحيح البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠).
(٢) نقله المصنف عن «الشفا» للقاضي عياض (٣٤٤- ٣٤٥)، وقوله: «ونحن معه بمنىٰ» في البخاري (٣٨٦٩) ومسلم (٢٨٠٠)، وما يليه بمعناه في مسند الطيالسي (٢٩٣).
(٣) (د، ي، ع): «ساحر».
(٤) أخرجه البخاري (٣٨٦٨) ومسلم (٢٨٠٢)، ونزول الآية عند الترمذي (٣٢٨٦).
(٥) أخرجه البخاري (٤٨٦٦) ومسلم (٢٨٠٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٥٩٤٤) وعبد الرزاق (٥٣٤٣).
(٧) «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (١/ ٢٨٧).

ولمَّا زعموا أن هذا القرآن هو ألَّفه، قال الله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣، ٣٤].

ثم تحدَّاهم بعشر سور، فقال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣ - ١٤].

ثم تحدَّاهم بسورةٍ واحدة، فقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٣]، وقال تعالىٰ أيضًا: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٣٨].

فعجز جميعُ الخلق أن يعارضوا ما جاء به، ثم أسجَل علىٰ جميع الخلق بالعجز[١] إلىٰ يوم القيامة بقوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، فأخبَر من ذلك الزَّمان أن الإنس والجنَّ إذا اجتمعوا لا يقدرون علىٰ معارضة القرآن بمثله، فعجز لفظه[٢]، ومعناه ومعارفُه وعلومُه أكملُ معجزةً وأعظمُ شأنًا[٣].

(١) أي أطلق عليهم الخبر بالعجز وأرسله. انظر: «الصواعق المرسلة» (٢/ ٤٦٦، ٤٦٨)، و«التاج» (سجل). ط. العاصمة: «**سجل** علىٰ جميع الخلق **العجز**» خلاف الأصول في الكلمتين، وإن كان المعنىٰ قريبًا، يقال: سجَّل عليه بكذا شَهَره ووَسَمه.

(٢) كذا في الأصول. والمراد أنه معجزٌ بلفظه.

(٣) انظر: «التسعينية» (٨١٩)، و«المسودة» (٢٠١)، وما سيأتي (٤/ ١٨٧، ١٩٣).

والأمر كذلك، فإنه لم يقدر أحدٌ من العرب وغيرهم مع قوَّة عداوتهم له[1]، وحرصهم علىٰ إبطال أمره بكلِّ طريق، وقدرتهم علىٰ أنواع الكلام، أن يأتوا بمثله.

وأنزل الله إذ ذاك آياتٍ بيَّن فيها أنه رسولٌ[2] إليهم، ولم يذكر فيها أنه لم يُرْسَل إلىٰ غيرهم.

فقال تعالىٰ في سورة القصص: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ٤٣ - ٤٧].

وقال في سورة السجدة: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة: ٣].

وقال في سورة يس: ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [يس: ١ - ٦].

---

(١) ساقطة من ط. العاصمة.

(٢) ط. النيل: «رسول الله».

ذكر تعالىٰ في هذه الآيات الثلاثة[1] نعمتَه علىٰ هؤلاء، وحجَّته عليهم بإرساله، وذكر بعض حكمته في إرساله، وذلك لا يقتضي أنه لم يُرْسلَ إلا لهذا، بل مثل هذا كثيرٌ معروفٌ في لسان العرب وغيرهم.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]، ومعلومٌ أن في هذه الدَّوابِّ منافعُ غير الرُّكوب.

وقال تعالىٰ: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾ [غافر: ١٥]، فقد أخبر أنه يُنْزِل الملائكة بالوحي علىٰ الأنبياء؛ ليُنذِروا يوم القيامة، وذلك لا يمنعُ أن يكونوا نزلوا بالبشارة للمؤمنين، والأمر والنَّهي بالشَّرائع.

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، فأخبر تعالىٰ أنه خلق العالم العلويَّ والسُّفليَّ؛ ليعلم العبادُ قدرتَه وعلمَه، ومع هذا ففي خلق ذلك له من الحكمة أمورٌ أخرىٰ غير علم العباد.

ومثل ذلك قوله تعالىٰ: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧]، ومعلومٌ أن في جعل الكعبة قيامًا للنَّاس والهدي والقلائد حِكَمًا ومنافع أخرىٰ.

---

(١) كذا في الأصول، من باب الحمل علىٰ المعنىٰ.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴾ [النجم: ٣١]، ومعلومٌ أن في مُلكِ الله[1] حِكَمًا أخرىٰ غير جزاء المحسن والمسيء. وكذلك قوله: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ ﴾ [النساء: ١٦٣]. إلىٰ قوله: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥]، ومعلومٌ أن في إرسال الرُّسل من[2] سعادة من آمن بهم وغيرها حكمةً أخرىٰ غير دفع حجَّة الخلق علىٰ الله.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾ [الحج: ٣٧]، ومعلومٌ أن في تسخيرها حِكَمًا ومنافع غير التكبير.

وقوله: ﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤]، ومعلومٌ أن لله حِكَمًا في خلق الشَّمس والقمر والليل والنهار غير انتفاع بني آدم.

---

(١) (ع): «ملكه».
(٢) ليست في (ع، و).

وكذلك قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ [يونس: ٦٧]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]، وفيها حِكَمٌ أخرىٰ.

وقال: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وفي إنزال الكتاب مِن هدىٰ من اهتدىٰ به واتِّعاظه وغير ذلك مقاصدُ غير الحُكم بين النَّاس فيما اختلفوا فيه.

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٨ - ٣٩]، ومعلومٌ أن في بعث(١) الخلق يوم القيامة مقاصدَ غير بيان المختَلَف في علم هؤلاء.

وممَّا يبيِّن ذلك أنه قال في الآية التي احتجُّوا بها: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يس: ٦]، ومعلومٌ أنه لم يُبْعَث لمجرَّد الإنذار، بل وليبشِّر من آمن به، ولأمرِهم بالمعروف، ونهيِهم عن المنكر، وتحليل الطيِّبات، وتحريم الخبائث، وغير ذلك من مقاصد الرُّسل، كما قال تعالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الأنعام: ٤٨] لا ينافي كونه لم يصفهم في موضعٍ آخر إلا بالإنذار.

وقد قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا

(١) (و، ي): «مبعث».

حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ١ - ٥].

وكان المسلمون مرَّةً صلَّوا صلاة العيد بحضرة حِصَار النَّصارىٰ، فقام خطيبُهم فخطب بهذه الآية، ولمَّا قرأ قوله: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أشار إلىٰ جند الإيمان، ولمَّا قرأ قوله: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ أشار إلىٰ جند الصُّلبان.

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، وفي إنزال الكتاب والميزان حِكَمٌ أخرىٰ من البشارة والإنذار وغير ذلك.

وكذلك قوله عن أهل الكهف: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا﴾ [الكهف: ١٢]، وفي بعثهم حِكَمٌ أخرىٰ، بدليل قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ [الكهف: ٢١].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ [الجن: ٢٧ - ٢٨]، ومعلومٌ أن في ذلك مقاصد أخرىٰ من هداية الخلق، وقيام الحجَّة علىٰ من بلغهم، وغير ذلك.

وقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وفيه حِكَمٌ أخرىٰ من قيام الحجَّة علىٰ الخلق، وضلال من ضلَّ به.

ومثله قوله: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ

أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، ومعلومٌ أن في ذلك مقاصد أخرىٰ من البشارة، والأمر والنَّهي، وغير ذلك.

وكذلك قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٨ - ٢٩]، ومعلومٌ أن في جزاء المؤمنين مقاصد أخرىٰ غير علم أهل الكتاب وما معه.

وقال تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢]، ومعلومٌ أن فيه حكمةً أخرىٰ، مثل تبشير من آمن به، والأمر والنهي، وإنذار غير هؤلاء من العرب.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يس: ٦٩ - ٧٠]، ومعلومٌ أن فيه حكمةً أخرىٰ غير الإنذار.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةًۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٢]، ومعلومٌ أن فيه حكمةً أخرىٰ من إنذار الخلق كلِّهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتبشير المؤمنين.

وقال(١) تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٧ - ٨]، ومعلومٌ أن في أخذ الميثاق حكمًا أخرىٰ.

---

(١) في الأصول: «فقال»، ولعله سهو.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ١ - ٢].

وقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ إلىٰ قوله: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١].

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿لِتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [الإسراء: ١٢]، وكذلك قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥].

وفي ذلك كلِّه حِكَمٌ أخرىٰ.

وكذلك قوله: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، وإن كانت هذه لام العاقبة، فليست العاقبة منحصرةً في ذلك، بل في ذلك من الإحسان إلىٰ موسىٰ وتربيته وغير ذلك حِكَمٌ أخرىٰ.

ومثل قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ الآية [الأنعام: ١٣٧].

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣]، وفي إرساله حِكَمٌ أخرىٰ.

وكذلك قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥]، وفي إنزاله تبشيرٌ وإنذار، وأمرٌ ونهي، ووعدٌ ووعيد.

وكذلك قوله في عيسىٰ بن مريم: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٢١].

وكذلك قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [الجاثية: ١٢]، وفيه حِكَمٌ أخرىٰ، كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [النحل: ١٤]، وقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [فاطر: ١٢].

وقال تعالىٰ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣].

وكذلك قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وفي كونهم وسطًا حِكَمٌ أخرىٰ.

وكذلك قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، وفيهما حِكَمٌ أخرىٰ.

وكذلك قوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وفي ذلك حِكَمٌ أخرىٰ من البشارة والأمر والنهي.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [آل عمران: ١٤٠-١٤١]، وفي ذلك حِكَمٌ أخرىٰ.

ومثل ذلك كثيرٌ في كلام الله ﷻ وغير كلام الله، إذا ذكر حكمةً للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمةٌ أخرىٰ، لكن لا بدَّ لتخصيص تلك الحكمة بالذِّكر في ذلك الموضع من مناسبة(١).

وهذا كالمناسبة في قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يس: ٦]؛ فإن هؤلاء كانوا أول المُنْذَرِين، وأحقَّهم بالإنذار، فكان في تخصيصهم بالذِّكر فائدة، لا أنه خصَّهم لانتفاء إنذار من سواهم(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥]، ومعلومٌ أنه نزل به ليكون بشيرًا، وليأمر بالمعروف، وينهىٰ عن المنكر، ويُحِلَّ الطيِّبات، ويحرِّم الخبائث، ويضع الآصار والأغلال ﷺ.

---

(١) الأصول: «مناسبته». والمثبت من ط. النيل أقرب.

(٢) وانظر ما سيأتي (٢/ ١٦٤).

وأما احتجاجهم بقوله تعالىٰ: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [البقرة: ١٥١]، وقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، فهذا كقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وهذا في عمومه نزاع[1]:

فإنه إما أن يكون خطابًا لجميع النَّاس، ويكون المراد: إنا بعثنا إليكم رسولًا من البشر، إذ كنتم لا تطيقون أن تأخذوا عن ملكٍ من الملائكة، فمنَّ الله عليكم بأن أرسل إليكم رسولًا بشريًّا، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٨ - ٩].

وإما أن يكون الخطاب للعرب.

وعلىٰ التقديرين، فإن ما تضمَّن ذَكر إنعامه علىٰ المخاطبين بإرساله رسولًا من جنسهم، وليس في هذا ما يمنع أن يكون مرسلًا إلىٰ غيرهم، فإنه إن كان خطابًا للإنس كلِّهم فهو أيضًا مرسلٌ إلىٰ الجنِّ وليس من جنسهم، فكيف

(١) قال شيخ الإسلام: «والتحقيق أنه خوطب به أولًا العرب، بل خوطب به أولًا قريش، ثم العرب، ثم سائر الناس من أهل الكتاب والأميين غير العرب». انظر: «تفسير آيات أشكلت» (١/ ٢٣٦ - ٢٣٨)، و«الرد علىٰ المنطقيين» (٥٤٠)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٦/ ١٨٩ - ١٩٢).

يمتنع إذا كان خطابًا[1] للعرب بما امتنَّ به عليهم أن يكون قد امتنَّ علىٰ غيرهم بذلك؟!

فالعجمُ أقربُ إلىٰ العرب من الجنِّ إلىٰ الإنس، وقد أخبر في الكتاب العزيز أن الجنَّ لمَّا سمعوا القرآن آمنوا به، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٢].

وقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ[2] قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا (١) يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا (٩) وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا (١١) وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا (١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (١٣) وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا (١٤)

(١) ط. النيل: «إذا كان الخطاب خطابًا».
(٢) لم ترد البسملة في (ي، ع)، وضرب عليها في (د).

وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا
﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ نَسْلُكْهُ[1] عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ
فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قَالَ[2] إِنَّمَآ
أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ
ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَـٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ
لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ
نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾
عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ
بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ
كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ [الجن: ١ - ٢٨].

ونظير هذا قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ[3]﴾ [الزخرف: ٤٤]، وقومُه قريش، ولا يمنع أن يكون ذكرًا[4] لسائر العرب، بل لسائر النَّاس، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [القلم: ٥١ - ٥٢]، وقال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص: ٨٦ - ٨٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾

(١) مهملة في (ي)، (د، ع): «يسلكه»، والمثبت من (و) قراءة أبي عمرو.
(٢) كذا في الأصول، وهي قراءة أبي عمرو.
(٣) أكملت الآية في ط. النيل والعاصمة، خلاف الأصول.
(٤) (و): «ولا يمنع أنه ذكر».

وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِظَنِينٍ[1] ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٧٩].

وهذا علىٰ أصحِّ القولين، وأن المراد بقوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ أنه ذكرٌ لهم يَذْكُرونه فيهتدون به.

وقيل: إن المراد أنه شرفٌ لهم[2]. وليس بشيء؛ فإن القرآن هو شرفٌ لمن آمن به من قومه وغيرهم، وليس شرفًا لجميع قومه، بل من كذَّب به منهم كان أحقَّ بالذم، كما قال تعالىٰ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد: ١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأنعام: ٦٦].

بخلاف كونه تذكرة وذكرىٰ؛ فإنه تذكرةٌ لهم ولغيرهم، كما قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٩٠]، فعَمَّ العالمين جميعَهم، فقال: ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ[3] عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٤].

---

(١) (و، ع): «بضنين»، والمثبت من (د، ي) قراءة أبي عمرو. وانظر: «درء التعارض» (١٠/ ٢١٨)، و«النبوات» (١٠٤٧)، «الرد علىٰ المنطقيين» (٢٧٨).

(٢) روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم، واختاره ابن جرير (٢٠/ ٦٠٢)، ولم يحك سواه. وانظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٢٩)، و«المحرر الوجيز» (١٣/ ٢٣٠).

(٣) الأصول وط. النيل: «أسألهم»، وهو سهو.

فصل

هذا الكلام على **الوجه الأول**، وهو قول من يقول: «إنه لم يَقُل: إنه أُرْسِل إلا إلىٰ العرب»[1].

وأما **الوجه الثاني**: وهو أن نقول: هو ذَكَر أنه رسولٌ إلىٰ النَّاس كافَّة، كما نطق به القرآن في غير موضع، كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾[2] [سبأ: ٢٨]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقد صرَّح فيه بدعوة أهل الكتاب وبدعوة الجنِّ في غير موضع.

فإذا سلَّموا أنه ذَكَر ذلك، ولكن كذَّبوه في ذلك، فإما أن يقرُّوا برسالته إلىٰ العرب، أو لا يقرُّوا.

فإن أقرُّوا بأنه رسولٌ أرسله الله، لم يمكن مع ذلك تكذيبُه، كما تقدَّم[3]، بل يجبُ الإقرار برسالته إلىٰ جميع الخلق كما أخبَر بذلك، كما تقدَّم أن من ذَكَر أنه رسول الله لا يكون إلا من أفضل الخلق وأصدقهم، أو من شرِّ الخلق وأكذبهم؛ فإنه إن كان صادقًا فهو من أفضلهم، وإن كان كاذبًا فهو من شرِّهم، وإذا كان الله قد أرسله -ولو إلىٰ قرية، كما أرسل يونس بن متَّىٰ إلىٰ أهل نِيْنَوىٰ- كان من أفضل الخلق، وكان صادقًا لا يَكْذِب علىٰ الله، ولا يقول عليه إلا الحقَّ، ولو كَذَب علىٰ الله ولو في كلمةٍ واحدةٍ لكان من الكاذبين، لم يكن

(١) رسالة بولس الأنطاكي المتقدمة (١/ ٤٠).
(٢) زادت ط. العاصمة: «بشيرًا»، وليست في الأصول.
(٣) (١/ ٥٢).

من رسل الله الصادقين، فإن الكاذب لا يكذبُ في كلِّ شيء، بل في البعض، فمن كَذَب علىٰ الله في كلمةٍ واحدة فقد افترىٰ علىٰ الله الكذب، وكان من القسم الكاذبين في دعوىٰ الرسالة لا من الصَّادقين.

وأيضًا، فإن مقصود الرسالة تبليغُ رسالات الله علىٰ وجهها، فإذا خُلِط الكذبُ بالصِّدق لم يحصل مقصود الرسالة.

وأيضًا، فإذا عُلِم أنه كَذَب في بعضها لم يتميَّز ما صَدَق فيه ممَّا كَذَب فيه إلا بدليلٍ آخر غير رسالته، فلا يحصل المقصود برسالته.

ولهذا أجمع أهلُ المِلَل قاطبةً علىٰ أن الرُّسل معصومون فيما يبلِّغونه عن الله ﷻ، لم يقل أحدٌ قطُّ: إن من أرسله الله يَكْذِب عليه.

وقد قال تعالىٰ ما يبيِّن أنه لا يُقِرُّ كاذبًا عليه، قال[1] تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٧].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورىٰ: ٢٤]، ثم قال تعالىٰ: ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾، فقوله تعالىٰ: ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ﴾ كلامٌ مستأنف، ليس داخلًا في جواب[2] الشَّرط؛ فإنه لو كان معطوفًا علىٰ جواب الشَّرط لقال: (ويُحِقِّ الحقَّ) بالكسر لالتقاء الساكنين، كما في قوله ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾ [المزمل: ٢]، فلمَّا قال: ﴿وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ﴾ بالضمِّ دلَّ علىٰ أنه

---

(١) ط. النيل: «بقوله».

(٢) (و): «جزاء».

جملةٌ مستأنفةٌ أخبَر فيها أنه تعالىٰ يمحو الباطل كباطل الكاذبين عليه، ويحقُّ الحقَّ كحقِّ الصَّادقين عليه، فمحوُ الباطل نظيرُ إحقاقِ الحق، ليس ممَّا عُلِّق بالمشيئة، بل لا بدَّ منه، بخلاف الختم علىٰ قلبه، فإنه معلقٌ بالمشيئة، ولا يجوز أن يُعَلَّق بالمشيئة محوُ الباطل كتعليق الختم، بل يقذفُ بالحقِّ علىٰ الباطل فيدمغُه[1].

وقال تعالىٰ في صيانته وإحكامه لما تبلِّغه رسلُه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٣ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الحج: ٥٢ - ٥٤].

وأيضًا، فإذا لم يكن أُرسِل إلا إلىٰ العرب، وقد دعا اليهود والنَّصارىٰ إلىٰ الإيمان به، وكفَّرهم إذا لم يؤمنوا به، وجاهدهم، وقتل مُقَاتِلهم، وسبىٰ ذريَّاتهم[2]، كان ذلك ظلمًا لا يفعله إلا من هو من أظلم النَّاس، ومن كان نبيًّا قد أرسله الله فهو منزَّهٌ عن هذا وهذا.

فالإقرار برسالته إلىٰ العرب دون غيرهم، مع ما ظهر من عموم دعوته للخلق كلِّهم، قولٌ متناقضٌ ظاهر الفساد، وكلُّ ما دلَّ عليه أنه رسولٌ فإنه يستلزم رسالتَه إلىٰ جميع الخلق، وكلُّ من اعترف بأنه رسولٌ لزمه الاعترافُ

---

(١) انظر: «النبوات» (٨٩٩)، وتفسير ابن جرير (٢٠/ ٥٠٤).

(٢) (ع): «ذراريهم»، وفي طرة (د) إشارة إلىٰ أنها في نسخة.

بأنه رسولٌ إلىٰ جميع الخلق، وإلا لزم أن يكون الله أرسل رسولًا يفتري عليه الكذب، ويقول للناس: إن الله أمركم باتِّباعي، وأمرني بجهادكم إذا لم تفعلوا، وهو كاذبٌ في ذلك، ومعلومٌ أن كلَّ ما دلَّ علىٰ أن الله أرسله فإنه يدلُّ علىٰ أنه صادقٌ في الرِّسالة، وإلا فلا، فالرسولُ الكاذبُ لا يحصل به مقصود الرسالة، بل يكون من جملة المفترين علىٰ الله الكذب، وأولئك ليسوا من رسل الله، ولا يجوز تصديقهم في قولهم: إن الله أرسلهم.

فصل

وأما إن لم[1] يُقِرُّوا برسالته إلىٰ العرب ولا غيرهم، بل قالوا فيه ما كان يقوله مشركو العرب من أنه شاعرٌ أو ساحرٌ أو مفترٍ كاذب ونحو ذلك، فيقال لهم علىٰ هذا التقدير: فدليلكم أيضًا باطل، ولا يجوز أن تحتجُّوا بتقدير تكذيبكم لمحمَّدٍ ﷺ بشيءٍ من كلام الأنبياء قبله، سواءٌ صدَّقتم محمَّدًا ﷺ في جميع ما يقوله أو في بعضه أو كذَّبتموه، فدليلكم باطل، فيلزم بطلان دينكم علىٰ كلِّ تقدير، وما ثبت بطلانه علىٰ كلِّ تقديرٍ فهو باطلٌ في نفس الأمر، فيثبت أنه باطلٌ في نفس الأمر.

وذلك أنكم إذا كذبتم محمَّدًا لم يبق لكم طريقٌ تعلمون به صدقَ غيره من الأنبياء، فيمتنع مع تكذيبه القولُ بصدق غيره، بل من اعتقد كذبه وصدَّق غيره لم يكن عالمًا بصدق غيره، بل يكون مصدِّقًا لهم بغير علم، وإذا لم يكن عالمًا بصدقهم لم يجز احتجاجه قطُّ بأقوالهم، بل ذلك قولٌ منه بلا علم، ومحاجَّةٌ فيما[2] لا علم له بها.

فإن الدلائل الدَّالة علىٰ صدق محمَّدٍ ﷺ أعظمُ وأكثر من الدلائل الدَّالة علىٰ صدق موسىٰ وعيسىٰ، ومعجزاته أعظمُ من معجزات غيره، والكتابَ الذي أُرسِل به أشرفُ من الكتاب الذي بُعِث به غيره، والشَّريعة التي جاء بها أكملُ من شريعة موسىٰ وعيسىٰ عليهما السَّلام، وأمَّته أكملُ في جميع الفضائل[3] من أمَّة هذا وهذا، ولا يوجد في التوراة والإنجيل علمٌ نافعٌ وعملٌ صالحٌ إلا وهو في القرآن أو مثله أو أكمل[4] منه، وفي القرآن من العلم النافع

---

(١) (و): «وإما أن لا».

(٢) ليست في (و).

(٣) (ع): «التفاصيل».

(٤) ساقطة من ط. العاصمة.

والعمل الصَّالح ما لا يوجد مثله في التوراة والإنجيل، فما من مطعنٍ من مطاعن أعداء الأنبياء يُطْعَنُ به علىٰ محمَّدٍ ﷺ إلا ويمكن توجيه ذلك الطعن وأعظم منه علىٰ موسىٰ وعيسىٰ.

وهذه جملةٌ مبسوطةٌ في موضعٍ آخر[1]، لم نبسطها هنا؛ لأن جواب كلامهم لا يحتاج إلىٰ ذلك، فيمتنع الإقرار بنبوَّة موسىٰ وعيسىٰ عليهما السَّلام مع التكذيب بنبوَّة محمَّدٍ ﷺ، ولا يفعل ذلك إلا من هو من أجهل النَّاس وأضلِّهم، أو من أعظمهم عنادًا واتباعًا لهواه.

وذلك أن هؤلاء القوم[2] احتجُّوا بما نقلوه عن الأنبياء، ولم يذكروا الأدلة الدَّالة علىٰ صدقهم، بل أخذوا ذلك مسلَّمًا، وطلبوا أن يحتجُّوا بما نقلوه عن الأنبياء قبله، وبما نقلوه عنه علىٰ صحة دينهم.

وهذه حجَّةٌ داحضة، سواءٌ صدَّقوه أو كذَّبوه، فإن صدَّقوه بطل دينُهم وإن كذَّبوه بطل دينُهم؛ فإنهم إن صدَّقوه فقد عُلِمَ أنه دعاهم وجميعَ أهل الأرض إلىٰ الإيمان به وطاعته، كما دعا المسيحُ وموسىٰ وغيرهما من الرُّسل، وأنه أبطل ما هم عليه من الاتِّحاد وغيره، وكفَّرهم في غير موضع.

ولهذا كان مجرَّد التصديق بأن محمَّدًا رسول الله -ولو إلىٰ العرب- يوجبُ بطلان دين النَّصارىٰ واليهود وكلِّ دينٍ يخالف دينه؛ فإن من كان رسولًا لله فإنه لا يَكْذِب علىٰ الله، ومحمَّدٌ ﷺ قد عُلِمَ منه أنه دعا النَّصارىٰ واليهود إلىٰ الإيمان به وطاعته كما دعا غيرَهم، وأنه كفَّر من لم يؤمن به ووَعَدَه النار، وهذا متواترٌ عنه تواترًا تعلمه العامَّة والخاصَّة.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٠١- ٢٠٨)، وما سيأتي (١/ ٢٦٠، ٢٧٥).

(٢) (و): «وهؤلاء القوم».

وفي القرآن من ذلك ما يكثر ذكرُه، كما قال تعالىٰ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ١ - ٨].

وقال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٨ - ٢٠].

وقد ذكر كفر اليهود والنَّصارىٰ في غير موضع، كقوله تعالىٰ عن النَّصارىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧].

وقال تعالىٰ أيضًا: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ

(١) سقطت البسملة من ط. العاصمة، وهي ثابتة في جميع الأصول.

مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٢- ٧٧].

وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧١ - ١٧٥]

وقال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠- ٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٦- ١١٧].

فقد قال تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ١٧، ٧٢] في موضعين[1]، وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ [المائدة: ٧٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ﴾ [النساء: ١٧١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠].

والنَّصارىٰ قالت الأقوال الثلاثة، فذكر الله عنهم هذه الأقوال[2]، لكن من النَّاس من يظنُّ أن هذا قول طائفةٍ منهم، وهذا قول طائفةٍ منهم، وهذا قول طائفةٍ منهم[3]، كما ذكره طائفةٌ من المفسِّرين كابن جرير الطبري والثعلبيِّ

---

(١) ط. العاصمة: «الموضعين» خلاف الأصول.

(٢) هذه الجملة متقدمة علىٰ التي قبلها في (د، ي، ع).

(٣) «وهذا قول طائفةٍ منهم» الثالثة ساقطة من ط. العاصمة. وفي (ع، د) هاهنا زيادة يشبه أنها كانت في مسودة المصنف ثم ضرب عليها، وسيأتي مضمونها بعد، وهي: «وقولهم ثالث =

وغيرهما[1]، وظنَّ ابن جرير الطبري أن هذه الطوائف كانوا قبل اليعقوبيَّة، والنُّسْطوريَّة، والمَلَكيَّة[2].

ثم تارةً يحكون عن اليعقوبيَّة أن عيسىٰ هو الله، وعن النُّسْطوريَّة أنه ابن الله، وعن المَرْقُوسِيَّة[3] أنه ثالث ثلاثة، وتارةً يحكون عن النُّسْطوريَّة أنه ثالث ثلاثة، وعن المَلَكيَّة أنه الله، ويفسِّرون قولهم: «ثالث ثلاثة» بالأب والابن وروح القُدُس[4].

والصواب[5] أن هذه الأقوال جميعها قول طوائف النَّصارىٰ المشهورة: المَلَكِيَّة، واليعقوبيَّة، والنُّسْطوريَّة؛ فإن هذه الطوائف كلُّها تقول بالأقانيم الثلاثة: الأب والابن وروح القُدُس[6]، فتقول: إن الله ثالث ثلاثة، وتقول عن المسيح: إنه الله، وتقول: إنه ابن الله، وهم متَّفقون علىٰ اتِّحاد اللاهُوت والنَّاسُوت، وأن المتَّحد هو الكلمة، ومتَّفقون علىٰ عقيدة إيمانهم التي تتضمَّن ذلك، وهو قولهم: «نؤمن بإلهٍ واحد، أب، ضابطِ الكُلِّ، خالق السماوات

= ثلاثة قول النسطورية، وقولهم إنه ابن الله قول الملكانية، ومنهم من يقول قوله إن الله هو المسيح بن مريم قول اليعقوبية، وقولهم والابن وروح القدس».

(١) انظر: تفسير ابن جرير (٨/ ٥٧٩، ٥٨٠)، والبغوي (٢/ ٣١٣)، و«الكشف والبيان» للثعلبي (١١/ ٩٢، ٢٤١، ٤٤٩، ١٣/ ٢٩٧، ١٧/ ٣٨٣).

(٢) من قوله: «وظن ابن جرير» إلىٰ هنا ليس في (و)، ولم تثبته ط. العاصمة، ووقع في (ع، د) قبل قوله: «كما ذكره طائفة»، وهو سهو، وتأخر موضعه في (ي).

(٣) نسبة إلىٰ مرقوس. وفي الأصول وط. النيل والعاصمة: «المريوسية»، وهو تحريف.

(٤) اليعقوبية: أتباع يعقوب البراذعي، والنسطورية: أصحاب نسطور الحكيم، وكان بطريرك القسطنطينية. والملكية: فرقة كانت علىٰ دين ملك الرومان. وظهرت هذه الفرق في عهد التثليث بعد مجمع نيقية. انظر: «التاريخ المجموع» لابن البطريق، و«الملل والنحل» (٢/ ٢٧- ٣٢)، و«محاضرات في النصرانية» لأبي زهرة (١٥٧- ١٦٠).

(٥) ضبب عليها في (و) وكتب بحذائها في الطرة: «والحق».

(٦) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ٢٣٣، ٨/ ١٠٠).

والأرض، كلِّ ما يُرىٰ وما لا يُرىٰ، وبربٍّ واحدٍ يَسُوع المسيح ابن الله، الوحيد، المولود من الأب قبل كل الدَّهور، نورٌ من نور، إلهٌ حقٌّ من إلهٍ حق، مولودٌ غير مخلوق»[١].

وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ﴾، وقوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾، فقد فسَّروه بالتثليث المشهور عنهم، المذكور في أمانتهم.

ومن النَّاس من يقول: «إن الله هو المسيح ابن مريم» قول اليعقوبيَّة، وقولهم[٢]: «ثالث ثلاثة» هو قول النَّصارىٰ الذين يقولون بالأب والابن وروح القُدُس[٣]، وهم قد جعلوا الله فيها ثالث ثلاثة، وسمَّوا كلَّ واحدٍ من الثلاثة بالإله والربِّ.

وقد فسَّره طائفةٌ بجعلهم عيسىٰ وأمَّه إلهين يُعْبَدان من دون الله.

قال السُّدِّي في قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾، قال: قالت النَّصارىٰ: إن الله هو المسيحُ وأمُّه، فذلك قوله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[٤].

وقد قيل قولٌ ثالثٌ أغربُ من ذلك عن أبي صخر[٥]، قال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ قال: هو قول اليهود: عزيرٌ ابن الله، وقول

---

(١) تقدم الكلام علىٰ أمانتهم هذه (١/ ١٧٣).

(٢) ليست في (و).

(٣) «وروح القدس» ليست في (د، و، ع). وبعدها في (ي): «وظن ابن جرير الطبري ...» العبارة التي سبق ذكرها.

(٤) أخرجه ابن جرير (٨/ ٥٨١)، وقال ابن كثير (٣/ ١٥٨): «وهذا القول هو الأظهر».

(٥) حميد بن زياد، ابن أبي المخارق المدني، من صغار أتباع التابعين (ت: ١٨٩). انظر: «تهذيب الكمال» (٧/ ٣٦٦).

النَّصارىٰ: المسيح ابن الله، فجعلوا الله ثالث ثلاثة[1]، وهذا ضعيف[2].

وقد ذكر سعيد بن البطريق[3] في أخبار النَّصارىٰ أن منهم طائفةً يقال لهم «المَرْيَمِيَّة»[4] يقولون: إن مريم إله، وإن عيسىٰ إله[5].

فقد يقال: إن هذا قول هؤلاء، كما أن القول بأن عزير ابن الله قول اليهود[6].

وأما الأول[7] فمتوجِّه؛ فإن النَّصارىٰ المتفقين علىٰ «الأمانة» كلُّهم يقولون: إن الله ثالث ثلاثة، والله تعالىٰ قد نهاهم عن أن يقولوا ذلك، فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡ﴾ [النساء: ١٧١]، فذكر سبحانه في هذه الآية التثليث والاتِّحاد، ونهاهم عنهما، وبيَّن أن المسيح إنما هو رسول الله وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروحٌ منه، وقال: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ﴾، ثم قال: ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡ﴾، لم يذكر هنا أمَّه.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١١٧٩).

(٢) قال ابن كثير (٣/ ١٥٨): «وهذا قولٌ غريب».

(٣) طبيبٌ نصراني، له دراية بعلوم النصارىٰ ومذاهبهم، عيِّن بطريركًا علىٰ الإسكندرية، توفي سنة ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م. انظر: «تاريخ الأنطاكي» (٢٣)، و«عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (٥٤٥)، و«الوافي» (١٥/ ٢٠٣)، و«الأعلام» (٣/ ٩٢).

(٤) الأصول: «المريسية»، وهو تحريف. وفي تاريخ ابن البطريق: «المريميين». وستأتي (٣/ ١٤٢، ١٧٥) بلفظ: «المريمانية». ويقال لهم: البربرانية. انظر: «النصرانية وآدابها» للويس شيخو (٤٩)، و«محاضرات في النصرانية» لمحمد أبو زهرة (١٢٤).

(٥) تاريخ ابن البطريق المسمىٰ «نظم الجوهر» (١/ ١٢٦).

(٦) من قوله: «فقد يقال» إلىٰ هنا ساقط من ط. العاصمة.

(٧) وهو تفسيره بالتثليث المشهور عنهم.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾:

قال معمر، عن قتادة: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾: هو قوله: «كُنْ»، فكان[١].

وكذلك قال قتادة: ليس الكلمة صارت[٢] عيسىٰ، ولكن بالكلمة صار عيسىٰ[٣].

وكذلك قال الإمام أحمد[٤] في مصنَّفه الذي صنَّفه في كتبه[٥] في الرَّدِّ علىٰ الجهميَّة، وذكره عنه الخلَّال والقاضي أبو يعلىٰ[٦].

قال أحمد: ثم إن الجَهْمَ ادَّعىٰ أمرًا آخر[٧]، فقال: إنَّا وجدنا في كتاب الله آيةً تدلُّ علىٰ أن القرآن مخلوق.

قلنا: أيَّ آية؟ قال: قول الله ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ﴾، وعيسىٰ مخلوق[٨].

فقلنا: إن الله منعكم الفهم في القرآن، عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ تجري عليه ألفاظ

---

(١) أخرجه ابن جرير (٧/ ٧٠٣).
(٢) الأصول: «صار»، والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم أقوم.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١١٢٣).
(٤) (د، ع): «أحمد بن حنبل».
(٥) كذا في الأصول. وفي ط. العاصمة: «كتابه». ولعل الصواب: «فيما كتبه». انظر: «بيان تلبيس الجهمية» (٥/ ٧٨)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ٤٠٩، ١٧/ ٣٩١، ٤١٢).
(٦) انظر: الانتصار لأهل الأثر (١٠١) والتعليق عليه.
(٧) ساقطة من ط. العاصمة.
(٨) «وعيسىٰ مخلوق» ساقطة من ط. العاصمة.

لا تجري علىٰ القرآن؛ لأن عيسىٰ تجري عليه تسمية: مولود[1]، وطفل، وصبيّ، وغلام، يأكل ويشرب، وهو يُخَاطَبُ بالأمر والنَّهي، يجري عليه الوعدُ والوعيد، هو من ذرِّية نوحٍ ومن ذريَّة إبراهيم، ولا يحلُّ لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسىٰ، هل سمعتم الله يقول في القرآن ما قال في[2] عيسىٰ؟!

ولكن المعنىٰ في قوله جل ثناؤه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾، فالكلمة التي ألقاها إلىٰ مريم حين قال له: «كُنْ»، فكان عيسىٰ بـ«كُنْ»، وليس عيسىٰ هو الـ«كُنْ»، ولكن بالـ«كُنْ» كان، فالـ«كُنْ» من الله قولُه، وليس الـ«كُنْ» مخلوقًا.

وكَذَبَت النَّصارىٰ والجهميَّة علىٰ الله في أمر عيسىٰ.

وذلك أن الجهميَّة قالوا: عيسىٰ روحُ الله وكلمته؛ لأن الكلمة مخلوقة.

وقالت النَّصارىٰ: روحُ الله مِن ذات الله، وكلمةُ الله مِن ذات الله، كما يقال: هذه الخِرْقة من هذا الثَّوب.

وقلنا نحن: إن عيسىٰ بالكلمة كان، وليس عيسىٰ هو الكلمة.

قال أحمد: وأما قوله جل ثناؤه: ﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾ يقول: مِن أمرِه كان الرُّوحُ فيه، كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُ﴾ [الجاثية: ١٣] يقول: مِن أمرِه.

---

(١) (ع، د): «نسمة ومولود»، وهو تحريف، وأثبتته ط. العاصمة. وفي (و): «لأن عيسىٰ مولود». وكما أثبتُّ في (ي) وبعض نسخ «الرد علىٰ الزنادقة والجهمية»، وفي بعضها: «لأنه يسميه مولودًا ...». وانظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢١٩، ٨/ ٤١٤).

(٢) ساقطة من ط. العاصمة.

وتفسير «روح الله» إنما معناها أنها روحٌ بكلمة الله خَلَقَها[1]، كما يقال: عبدُ الله وسماءُ الله، -وفي نسخة: روحٌ يملكها الله، خلقها الله-[2].

وقال الشَّعبي في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾: الكلمة حين قال له: «كُنْ»، فكان عيسىٰ بـ «كُنْ »، وليس عيسىٰ هو الـ«كُنْ»، ولكن بالـ«كُنْ» كان[3].

وقال ليثٌ عن مجاهد: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ قال: رسولٌ منه[4].

يريدُ مجاهدٌ قولَه: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [مريم: ١٧- ١٩].

والمعنىٰ: أن عيسىٰ خُلِق من هذه[5] الرُّوح، وهو جبريل روحُ القُدُس، سُمِّي روحًا كما سمِّي كلمةً؛ لأنه خُلِق بالكلمة.

والنَّصارىٰ يقولون في أمانتهم: «تجسَّد من مريم ومن روح القُدُس»؛ لأنه جاء[6] كذلك في الكتب المتقدمة، لكن ظنُّوا أن روح القُدُس هو صفةٌ لله، وجعلوها حياته وقدرته، وهو ربٌّ، وهذا غلطٌ منهم، فإنه لم يُسَمِّ أحدٌ من الأنبياء حياة الله ولا قدرته ولا شيئًا من صفاته: روح القُدُس، بل روحُ القُدُس في غير موضعٍ من كلام الأنبياء عليهم السَّلام يراد بها ما ينزله الله علىٰ قلوب الأنبياء، كالوحي والهدىٰ والتأييد، ويراد بها المَلَك.

---

(١) ط. النيل و«الرد علىٰ الزنادقة والجهمية»: «خلقها الله».
(٢) «الرد علىٰ الزنادقة والجهمية» (٢٤٩- ٢٥٢).
(٣) لم أقف عليه. وهو لفظ الإمام أحمد.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١١٢٣).
(٥) ساقطة من ط. العاصمة.
(٦) ليست في (و، ي).

وهكذا في تفسير ابن السَّائب، عن أبي صالح، عن ابن عباس: أن عيسىٰ بن مريم استقبل رهطًا من اليهود، فلمَّا رأوه قالوا: قد جاء السَّاحر ابن السَّاحرة، والفاعل ابن الفاعلة، فقذفوه وأمَّه، فلمَّا سمع عيسىٰ ذلك قال: اللهم أنت ربي، وأنا من روحك خرجتُ، وبكلمتك خلقتني[1]، ولم آتِهم من تلقاء نفسي، وذكَر تمام الحديث[2].

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢]، فهذا يوافق قوله تعالىٰ: ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [مريم: ١٧- ١٩].

وهذا مبسوطٌ في موضعٍ آخر[3].

والمقصود هنا أنهم سواءٌ صدَّقوا محمَّدًا أو كذَّبوه، فإنه يلزم بطلان دينهم علىٰ التقديرَين؛ فإنه إن كان نبيًّا صادقًا فقد بلَّغ عن الله في هذا الكتاب كُفْرَ النَّصارىٰ في غير موضع، ودعاهم إلىٰ الإيمان به، وأمر بجهادهم، فمن عَلِم أنه نبيٌّ ولو إلىٰ طائفةٍ معيَّنة يجبُ[4] تصديقُه في كلِّ ما أخبر به، وقد أخبَر بكفر النَّصارىٰ وضلالهم.

---

(١) (و): «خُلِقت».

(٢) ساقه بتمامه الثعلبيُّ في «الكشف والبيان» (١١/ ٦٦)، والبغويُّ في «معالم التنزيل» (٢/ ٤٤)، وابن السائب الكلبي متهمٌ بالكذب.

(٣) قوله: «وهذا مبسوط في موضع آخر» ساقط من ط. العاصمة. وانظر: مسألة في «أن عيسىٰ كلمة الله» لشيخ الإسلام (٥٦- ٥٨)، وما سيأتي (٢/ ٤٩٤، ٣/ ١٩٧).

(٤) (د، ع): «فيجب».

وإذا ثبت هذا لم يُغْنِ عنهم الاحتجاجُ بشيءٍ من الكتب والمعقول، بل يُعْلَمُ من حيث الجملة أن كلَّ ما يحتجُّون به علىٰ صحَّة دينهم فهو باطل، وإن لم يبيَّن فساد حججهم علىٰ التفصيل؛ لأن الأنبياء لا يقولون إلا حقًّا، كما أن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ لمَّا حكم بكفر من كذَّبه من اليهود كان كلُّ ما يحتجُّ به اليهود علىٰ خلاف ذلك باطلًا، فكلُّ ما عارض قول النبيِّ المعصوم فهو باطل.

وإن كذَّبوا محمَّدًا تكذيبًا عامًّا مطلقًا، وقالوا: ليس هو نبيٌّ أصلًا، ولا أُرسِل إلىٰ أحدٍ، لا إلىٰ العرب ولا إلىٰ غيرهم، بل كان كذَّابًا[1] من الكذَّابين، امتنع مع هذا أن يصدِّقوا بنبوَّة غيره؛ فإن الطريق الذي يُعْلَمُ به نبوَّة موسىٰ وعيسىٰ يُعْلَمُ به نبوَّة محمَّدٍ ﷺ بطريق الأولىٰ.

فإذا قالوا: عُلِمَت نبوَّة موسىٰ والمسيح بالمعجزات، وعُرِفَت المعجزاتُ بالنقل المتواتر إلينا.

قيل لهم: معجزاتُ محمَّدٍ أعظم، وتواترُها أبلغ، والكتابُ الذي جاء به محمَّدٌ ﷺ أكمل، وأمَّـتُه أفضل، وشرائعُ دينه أحسن، وموسىٰ جاء بالعدل، وعيسىٰ جاء بتكميلها بالفضل، وهو ﷺ قد جمع في شريعته بين[2] العدل والفضل.

فإن ساغ لقائلٍ أن يقول: هو مع هذا كاذبٌ مفترٍ، كان علىٰ هذا التقدير الباطل غيره أولىٰ أن يقال فيه ذلك، فيبطل بتكذيبهم محمَّدًا ﷺ جميعُ ما معهم من النبوَّات؛ إذ حكمُ أحد الشيئين حكمُ مثله، فكيف بما هو أولىٰ منه؟!

---

(١) ليست في (ع، د).

(٢) ليست في (و)، (ي): «به».

فلو قال قائل: إن هارون ويُوشَع وداود وسليمان كانوا أنبياء، وموسىٰ لم يكن نبيًّا، أو إن داود وسليمان ويُوشَع ويحيىٰ[1] كانوا أنبياء، والمسيحَ لم يكن نبيًّا.

أو قال ما تقوله السَّامرة[2]: إن يُوشَع كان نبيًّا، ومَنْ بعده كداود وسليمان والمسيح لم يكونوا أنبياء.

أو قال ما يقوله اليهود: إن داود وسليمان وأشعيا وحبقوق ومليخا وعاموص ودانيال[3] كانوا أنبياء، والمسيح بن مريم لم يكن نبيًّا.

كان هذا قولًا متناقضًا معلوم البطلان؛ فإن الذين نفىٰ هؤلاء عنهم النبوَّة أحقُّ بالنبوَّة وأكملُ نبوَّةً ممَّن أثبتوها له، ودلائل نبوَّة الأكمل أفضل[4]، فكيف يجوز إثبات النبوَّة للنبيِّ المفضول دون الفاضل؟!

وصار هذا كما لو قال قائل: إن زُفَر وابن القاسم والمزني والأثرم كانوا فقهاء، وأبا حنيفة ومالكًا والشافعيَّ وأحمد لم يكونوا فقهاء.

أو قال: إن الأخفش وابن الأنباري والمُبَرِّد كانوا نحاة، والخليل وسيبويه والفرَّاء لم يكونوا نحاة.

---

(١) ساقطة من ط. العاصمة.

(٢) من فرق اليهود، يخالفون سائر اليهود في توراتهم وشريعتهم، ولا يعترفون بالمِشْنا ولا بنبوة من بعد موسىٰ ويوشع، وهم في اليهود «كالرافضة في المسلمين»، كما يقول شيخ الإسلام. انظر: «الملل والنحل» (١/ ١٩٩)، و«منهاج السنة» (١/ ٣٧، ٥/ ١٧٤)، و«الرد علىٰ المنطقيين» (٢٩٠)، و«جامع الرسائل» (١/ ٢٧٠)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٤٧٩)، وما سيأتي (٢/ ٥٦).

(٣) من أنبياء بني إسرائيل المذكورين في العهد القديم، ومنهم من لم يثبت عند المسلمين أنه نبي، كمليخا وعاموص، كما سيأتي (٣/ ٤٨٤).

(٤) (ي، و): «الأفضل أكمل».

أو قال: إن صاحبَ «المَلَكِي» و«المَسِيحي»[1] ونحوهما من كتب الطبِّ كانوا أطبَّاء، وبقراط وجالينوس ونحوهما لم يكونوا أطبَّاء.

أو قال: إن كُوشِيَار والخَرَقِيَّ[2] ونحوهما كانوا يعرفون علمَ الهيئة، وبَطْلَمْيُوس[3] ونحوه لم يكن لهم علمٌ بالهيئة.

ومن قال: إن داود وسليمان ومليخا وعاموص ودانيال كانوا أنبياء، ومحمَّد بن عبد الله لم يكن نبيًّا، فتناقضه أظهر، وفساد قوله أبينُ من هذا جميعه.

بل وكذلك من قال: إن موسىٰ وعيسىٰ رسولان، والتوراة والإنجيل كتابان منزَّلان من عند الله، ومحمَّدًا ليس برسول، والقرآن لم ينزل من الله، فبطلان قوله في غاية الظهور والبيان لمن تدبَّر ما جاء به محمَّدٌ ﷺ وما جاء به

---

(١) الملكي: هو كتاب «كامل الصناعة الطبية الضرورية» لعلي بن العباس المجوسي، قال القفطي: مال الناسُ إليه في وقته ولزموا درسَه إلىٰ أن ظهر كتاب «القانون» لابن سينا فمالوا إليه وتركوا «الملكيَّ» بعض التَّرك، و«الملكيُّ» في العمل أبلغ، و«القانون» في العلم أثبت. واشتهر بالملكي؛ لأنه صنفه للملك عضد الدولة فنَّاخُسرو البويهي. انظر: «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» (١/ ٢٨٠)، و«عيون الأنباء» (٣٢٠)، و«الأعلام» (٤/ ٢٩٧).
والمسيحي: هو كتاب «كنَّاش مَسِيح»، ويقال له: «المسيحي» نسبة إلىٰ مؤلفه عيسىٰ بن حكم الدمشقي الطبيب المشهور بمَسِيح. انظر: «عيون الأنباء» (١٧٧)، وتعليق شيخنا الإصلاحي علىٰ «زاد المعاد» (٤/ ١١٤، ٢٦٨، ٥٣٤).

(٢) كوشيار: أبو الحسن كوشيار بن لبان الجِيلي، توفي سنة ٣٥٠، وقيل بعدها، فلكيٌّ مهندس، له كتاب «الزيج الجامع»، و«مجمل الأصول في أحكام النجوم»، وغيرهما. انظر: «تتمة صوان الحكمة» (٩١)، و«الأعلام» (٥/ ٢٣٦).
والخَرَقي: أبو بكر محمد بن أحمد المروزي، له «التبصرة في علم الهيئة»، توفي سنة ٥٣٣. انظر: «الفوائد البهية» للكنوي (٩٢)، و«الأعلام» (٥/ ٣١٧).

(٣) كذا في الأصول، ويقال: بطليموس (بتقديم الياء)، وكلاهما صحيح. انظر: «تاج العروس» (١٥/ ٤٥٩)، و«معجم أعلام المورد» (١٠٧).

من قبله، وتدبَّر كتابه والكتبَ التي قبله، وآيات نبوَّته[1] وآيات نبوَّة هؤلاء، وشرائع دينه وشرائع دين هؤلاء.

وهذه الجملة مفصَّلةٌ مشروحةٌ في غير هذا الموضع[2]، لكنَّ المقصود هنا التنبيه علىٰ مجامع جوابهم.

وهؤلاء القوم لم يأتوا بدليل واحدٍ يدلُّ علىٰ صدق من احتجُّوا به من الأنبياء، فلو ناظَرَهم من يكذِّب بهؤلاء الأنبياء كلِّهم[3] من المشركين والملاحدة لم يكن فيما ذكروه حجَّةٌ لهم، ولا حجَّة لهم أيضًا علىٰ المسلمين الذين يُقِرُّون بنبوَّة هؤلاء؛ فإن جمهور المسلمين إنما عرفوا صدق هؤلاء الأنبياء بإخبار محمَّدٍ أنهم أنبياء، فيمتنعُ أن يصدِّقوا بالفرع مع القدح في الأصل الذي به عَلِمُوا صدقَهم.

وأيضًا، فالطريق الذي به عُلِمَت نبوَّة هؤلاء بما ثبت من معجزاتهم وأخبارهم، فكذلك تُعْلَمُ نبوَّة محمَّدٍ بما ثبت من معجزاته وأخباره بطريق الأولىٰ، فيمتنعُ أن يصدِّق أحدٌ من المسلمين بنبوَّة واحدٍ من هؤلاء مع تكذيبه لمحمَّدٍ في كلمةٍ ممَّا جاء به.

---

(١) (ع): «نبوة محمد».
(٢) سيأتي تفصيل ذلك (١/ ٢٧٥).
(٣) ليست في (ع).

فصل[1]

وممَّا ينبغي أن يُعْلَم[2] أن كثيرًا من النَّصارىٰ إنما يعتمدون في النبوَّات علىٰ بشارة[3] الأنبياء بمن يأتي بعدهم، فيقولون: المسيح عليه السلام بشَّرت به الأنبياء قبله، بخلاف محمَّدٍ ﷺ، فإنه لم يبشِّر به نبيٌّ.

وجوابُ هؤلاء من وجهين:

أحدهما: أن يقال: بل البشارة بمحمَّدٍ ﷺ في الكتب المتقدِّمة أعظمُ من البشارة بالمسيح عليه السلام، وكما أن اليهود يتأوَّلون البشارة بالمسيح علىٰ أنه ليس هو عيسىٰ بن مريم، بل هو آخر ينتظرونه، وهم في الحقيقة إنما ينتظرون المسيحَ الدَّجَّال؛ فإنه الذي يتبعه اليهود، ويخرج معه سبعون ألف مُطَيْلَسٍ من يهود أصبهان[4]، ويقتلهم المسلمون معه، حتىٰ يقول الشَّجر والحجر: يا مسلمُ، هذا يهوديٌّ ورائي، تعالَ فاقتله[5]، كما ثبت ذلك في الصَّحيح عن النبيِّ ﷺ.

وثبت أيضًا في الصَّحيح عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**ينزل عيسىٰ بنُ مريم من السَّماء علىٰ المنارة البيضاء شرقيَّ دمشق**»[6]، «**فيكسِر الصَّليب، ويقتُل الخنزير، ويضع الجزية**»[7]، ويقتل مسيحُ الهدىٰ عيسىٰ بنُ مريم مسيحَ الضلالة

(١) ليست في (و).

(٢) (ي): «ومما يعلم».

(٣) (ع): «بشارات».

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٤٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، ولفظه: «سبعون ألفًا عليهم الطيالسة»، جمع طيلسان، وهو ثوبٌ يلبس علىٰ الكتف يحيط بالبدن.

(٥) أخرجه البخاري (٢٩٢٥، ٢٩٢٦)، ومسلم (٢٩٢١) من حديث عبد الله بن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم.

(٦) أخرجه مسلم (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

(٧) أخرجه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الأعورَ الدَّجَّال علىٰ بضع عشرة خطوةٍ من باب لُدٍّ[1]؛ ليتبيَّن للنَّاس أن البشر لا يكون إلهًا، فيَقْتُل من ادُّعِيَ فيه أنه الله وهو بريءٌ ممَّا ادُّعِيَ فيه من[2] ادَّعىٰ في نفسه أنه الله وهو دجَّالٌ كذَّاب.

فهكذا البشاراتُ بمحمَّد ﷺ في الكتب المتقدِّمة، وقد يتأوَّلها بعض أهل الكتاب علىٰ غير تأويلها، كما قد بُسِط في موضع آخر؛ فإن بسط الكلام في ذكر محمَّدٍ ﷺ في الكتب التي بأيدي أهل الكتاب له موضعٌ آخر[3].

الجواب الثاني: أن يقال: ليس من شرطِ النبيِّ أن يبشِّر به من تقدَّمه، كما أن موسىٰ كان رسولًا إلىٰ فرعون، ولم يتقدَّم لفرعون به بشارة، وكذلك الخليل عليه السلام أُرْسِل إلىٰ نمرود ولم يتقدَّم به بشارة نبيٍّ إليه، وكذلك نوحٌ وهودٌ وصالحٌ وشعيبٌ ولوطٌ لم يتقدَّم بواحدٍ من[4] هؤلاء بشارةٌ إلىٰ قومهم بهم مع كونهم أنبياء صادقين؛ فإن دلائل نبوَّة النبيِّ لا تنحصر في إخبار من تقدَّمه، بل دلائل النبوَّة منها المعجزاتُ ومنها غير المعجزات، كما قد بُسِط في موضع آخر[5].

وهؤلاء النَّصارىٰ إنما مستنَد دينهم في التثليث والاتِّحاد وغير ذلك هو السَّمع، وهو دعواهم أن الكتب الإلهيَّة جاءت بذلك، ليس مستندهم فيه العقل، فإذا تبيَّن أنهم مع تكذيبهم بمحمَّدٍ ﷺ يمتنع أن تثبت نبوَّةُ غيره امتنع استدلالهم بالسَّمعيات.

---

(١) أخرجه مسلم في حديث النواس المتقدم، دون ذكر عدد الخطوات فلم أره مرفوعًا.
(٢) الأصول: «لمن»، والمثبت أشبه.
(٣) سيأتي ذلك مفصَّلًا (٤/ ٧٠-١٠٢).
(٤) «بواحد من» ليست في (و، ي).
(٥) كما سيأتي (٤/ ١٧٦-١٨٣).

وأما العقليات، فإن تشبَّثوا ببعضها فهم معترفون بأن حجَّتهم فيها ضعيفة، وأنها علىٰ نقيض مذهبهم أدلُّ منها علىٰ مذهبهم، وسنبيِّن إن شاء الله أن لا حجَّة لهم في سمعٍ ولا عقل، بل ذلك كلُّه حجةٌ عليهم.

وأما تمثيلُهم الكتابَ[1] بالوثيقة التي كُتِب الوفاء في ظهرها[2]، فتمثيلٌ باطلٌ غير مطابق؛ لأن الإقرار بالوفاء إقرارٌ بسقوط الدَّين، ولا مناقضة بين ثبوت الدَّين أولًا وسقوطه آخرًا بالوفاء، بل أمكَنَ مع هذا دعواه.

وأمَّا من يَذْكُر أنه رسول الله، فلا يمكن أن يُقَرَّ بأنه رسول الله في بعض ما

---

(١) يعني القرآن.

(٢) رسالة بولس الأنطاكي (٤١٩). قال: «فإن المسلمين إذا احتججنا عليهم بما في كتابهم يقولون: إذا كنتم تحتجُّون ببعضه فيلزمكم قبوله كله. قالوا: ليس الأمر علىٰ هذه الصورة، لأنه إذا كان لإنسانٍ علىٰ إنسانٍ كتابٌ بدَيْن مئة دينار، وقد ذُكِر في الكتاب أنه قد وفىٰ، فأظهر صاحبُ الدَّين الكتابَ وطالب المديون بالمئة دينار، أيجوز إذا احتجَّ المديون بما في الكتاب من أنه قد وفىٰ أن يقول له صاحبُ الدَّين: كما تقبل هذا اقبل المئة دينار وأدِّنيها؟! كلا، بل يدفع عنه المئة دينار التي في الكتاب بما في الكتاب أيضًا من أنه قد وفىٰ. وكذلك أي شيء قيل عنَّا واحتُجَّ به علينا من هذا الكتاب دفعناه من هذا الكتاب بما نجده فيه من الحجج لنا».
وإنما نقلتُ النصَّ بتمامه ليُفْهَم سياق الكلام؛ إذ لم يسبق ذكرُ تمثيلهم بوثيقة الدَّين، وقد أشكل ذلك علىٰ السَّفاريني، فكتب عند هذا الموضع حاشية علىٰ نسخته نقلها ناسخا (د، ع) في الطرة، قال: «قوله: وأما تمثيلهم الكتاب إلىٰ آخر الفصل = فليس ممَّا يلي ما قبله، بل بين الكلامين تنافر، فيحتاج إلىٰ تصحيح ذلك إن وُجِدت نسخةٌ صحيحة. اهـ سفاريني». وتعقبه نعمان الآلوسي، فكتب بخطِّه تحته في نسخة (ع): «أقول: قد راجعتُ نسخةً مصحَّحةً في إسلامبول، فوجدتها محرَّرة مثل هذا الكتاب، فلعلَّ السفاريني قال: إنها متنافرة بحسب الظاهر، وأن قول الشيخ: وأما تمثيلهم إلخ راجعٌ إلىٰ ما حرَّره النَّصارىٰ في كتابهم المرسول إليه، فليراجَع. الفقير نعمان». وقد راجعتُ رسالتهم، ونقلت كلامهم في صدر هذه التعليقة، وبه يستبين استقامة النصِّ وسلامته من التنافر؛ فإن شيخ الإسلام ذكر أن مستند دينهم هو السمع، وأن ما أوردوه من العقليات ضعيف، ثم ذكر تمثيلهم القرآن بوثيقة الدَّين نموذجًا لعقلياتهم الواهية، وأجاب عنه جوابًا مفصَّلًا.

أنبأ به عن الله دون بعض، ولا يمكن اتِّباع بعض كتابه الذي ذكر أنه منزَّلٌ من عند الله دون بعض.

فإنه إن كان صادقًا في قوله: «إنه رسول الله» كان معصومًا في كلِّ[1] ما يخبر به عن الله، لا يجوز أن يَكْذِب في شيءٍ منه لا عمدًا ولا خطأً، ووجب اتِّباع الكتاب الذي جاء به من عند الله، ولم يمكن ردُّ شيءٍ ممَّا ذَكَر أنه جاء به من الله.

وإن كان كاذبًا في كلمةٍ واحدةٍ ممَّا أخبَر به عن الله فهو من الكاذبين المفترين، فلا يجوز أن يُحْتَجّ لشيءٍ[2] من دينهم ولا دين غيرهم بمجرَّد إخباره عن الله، بل ولا بمجرَّد خبره وقوله وإن لم يَذْكُر أنه خبرٌ عن الله، كما لا يجوز مثل ذلك في سائر من عُرِف أنه كاذبٌ في قوله: «إني رسول الله»، كمُسَيْلِمَة الحنفي، والأسود العَنْسِي، وطُلَيْحَة الأسدي[3]، والحارث الدِّمشقي[4]، وبابا الرُّومي[5]، وأمثالهم من الكذَّابين.

---

(١) ساقطة من ط. العاصمة.

(٢) (د، و، ع): «بشيء»، والمثبت من (ي) أقوم.

(٣) مسيلمة والأسود وطليحة تراجمهم وأخبارهم مشهورة.

(٤) الحارث بن سعيد، نشأ بالشام متعبدًا زاهدًا، ثم ادعىٰ النبوة، بعث عبد الملك بن مروان في طلبه حتىٰ عثر عليه ببيت المقدس، وصلبه وقتله سنة ٧٩. انظر: «تاريخ دمشق» (١١/ ٤٢٧)، و«تاريخ الإسلام» (٢/ ٨٠٣).

(٥) متنبئ تركماني، ظهر بالروم، وادعىٰ النبوة، وكان يقول: لا إله إلا الله، البابا وليُّ الله، واجتمع عليه خلقٌ عظيم، فجهز صاحب الروم جيشًا لقتاله، وقتل في الموقعة سنة ٦٣٨. انظر: «مرآة الزمان» (٢٢/ ٣٧٠)، و«تاريخ مختصر الدول» (٢٥١)، و«تاريخ الإسلام» (١٤/ ٢٩)، و«الوافي» (١٠/ ٦١).
وقد ذكره شيخ الإسلام في مواضع من كتبه، ولم يعرفه محققوها: «شرح الأصبهانية» (٣٣١)، و«النبوات» (١٦٨، ٢٣٣، ٤٩٧)، و«الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (١١٤)، وكتابنا «الجواب الصحيح» (٢/ ٣٣، ٣٤٣، ٣/ ٥٠٠، ٦/ ٤٢٣- ط. العاصمة).

والواحدُ من المسلمين وإن كان الله لا يؤاخذه بالنسيان والخطأ، بل والرسول أيضًا وإن لم يكن مؤاخذًا[1] بالنسيان والخطأ في غير ما يبلِّغه عن الله عند السَّلف والأئمَّة وجمهور المسلمين، لكنَّ ما يبلِّغه عن الله لا يجوز أن يستقرَّ فيه خطأ؛ فإنه لو جاز أن يبلِّغ عن الله ما لم يقله الله، ويستقرَّ ذلك، ويأخذه النَّاس عنه معتقدين أن الله قاله، ولم يقله الله = كان هذا مناقضًا لمقصود الرسالة، ولم يكن رسولًا لله في ذلك، بل كان كاذبًا في ذلك وإن لم يتعمدَّه، وإذا بلَّغ عن الله ما لم يقله وصُدِّق في ذلك كان قد صُدِّق من قال على الله غير الحقِّ، ومن تقوَّل عليه ما لم يقله وإن لم يكن متعمِّدًا.

ويمتنع في مثل هذا أن يصدِّقه الله في كلِّ ما يخبر به عنه، أو أن يُقِيم له من الآيات والبراهين ما يدلُّ على صدقه في كلِّ ما يخبر به عنه، مع أن الأمر ليس كذلك. ومن قامت البراهين والآيات على صدقه فيما يبلِّغه عن الله كان صادقًا في كلِّ ما يخبر به عن الله، لا يجوز أن يكون في خبره عن الله شيءٌ من الكذب لا عمدًا ولا خطأً.

وهذا ممَّا اتَّفق عليه جميعُ النَّاس[2] من المسلمين واليهود والنَّصارى وغيرهم، لم يتنازعوا أنه لا يجوز أن يستقرَّ في خبره عن الله خطأ.

وإنما تنازعوا: هل يجوز أن يقع من الغلط ما يستدركه ويبيِّنه، فلا ينافي مقصود الرِّسالة، كما نَقَل من ذَكَر **«تلك الغرانيقُ العُلَى، وإن شفاعتها لتُرْتَجى»**[3].

---

(١) (و): «يؤاخذ».

(٢) «جميع الناس» ليست في (ي).

(٣) رويت من وجوه كثيرة مرسلة وموصولة لا تخلو من علة، قال ابن كثير في تفسيره (٥/ ٤٤١): «ولم أرها مسندة من وجه صحيح»، لكن كثرة طرقها تدل على أن للقصة =

هذا فيه قولان للناس:

منهم من منع(١) ذلك أيضًا، وطَعَن في وقوع ذلك. ومن هؤلاء من قال: إنهم سمعوا ما لم يَقُله، فكان الخطأ في سمعِهم، والشيطان ألقىٰ في سمعهم.

ومن جوَّز ذلك(٢) قال: إذا حصل البيان، ونُسِخ ما ألقىٰ الشيطان، لم يكن في ذلك محذورٌ، وكان ذلك دليلًا علىٰ صدقه وأمانته وديانته، وأنه غير متَّبعٍ هواه ولا مصرٍّ علىٰ غير الحق، كفعل طالب الرِّياسة المصرِّ علىٰ خطئه. وإذا كان نسخُ ما جُزِم(٣) بأن الله أنزله لا محذور فيه، فنسخُ مثل هذا أولىٰ أن لا يكون فيه محذور. واستدلَّ علىٰ ذلك بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٢- ٥٤].

وعلىٰ كلِّ قول، فالنَّاس متَّفقون علىٰ أن من أرسله الله وأقام الآيات علىٰ صدقه فيما يبلِّغه عن الله لم يكن ما يبلِّغه عنه إلا حقًّا، وإلا كانت الآيات الدَّالة علىٰ صدقه دلَّت علىٰ صدقِ من ليس بصادق، وبطلانُ مدلول الأدلة اليقينيَّة ممتنع.

= أصلًا، كما قال ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٤٣٩). وانظر: «الشفا» للقاضي عياض (٦٤٥)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٣٩١- ٣٩٥).

(١) (و): «يمنع».

(٢) وشيخ الإسلام يميل إلىٰ تجويزه، ويحكيه عن السلف، وينسب المنع للمتأخرين. انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٢٩١)، و«منهاج السنة» (١/ ٤٧١، ٢/ ٤٠٩).

(٣) صححت في طرة (ي) إلىٰ «جزم الله».

والصِّدق الذي هو مدلول آيات الأنبياء وبراهينهم هو أن يكون خبرُه عن الله مطابقًا لمُخْبَره[1]، لا يخالفه عمدًا ولا خطأً.

ولو قال قائل: أنا لا أسمِّي[2] الخطأ كذبًا، أو قال: إن المخطئ لا إثم عليه في خطئه[3].

قيل له: هذا لا ينفع هنا؛ فإن الآيات دلَّت علىٰ أن الله أرسله ليبلِّغ عنه رسالاته، والله لا يرسل من يَعْلَمُ أنه يخبِر عنه بخلاف ما قال له، كما لا يجوز إرسال من يتعمَّد عليه الكذب، بل الواحد من النَّاس لا يرسل من يَعْلَمُ أنه يبلِّغ خلاف ما أرسله به، ولو عَلِم أنه يقول عليه ما لم يقل وأرسله مع ذلك لكان جاهلًا سفيهًا ليس بعليمٍ حكيم، فكيف يجوز ذلك علىٰ أعلم العالمين وأحكم الحاكمين؟!

وأيضًا، فإن الآيات والبراهين دلَّت علىٰ صدقه في كلِّ ما يبلغه عن الله، وأن الله مصدِّقه في كلِّ ما يبلِّغه عنه، فيمتنعُ أن لا يكون صادقًا في شيءٍ من ذلك، ويمتنع أن يصدِّق اللهُ في كلِّ ذلك من لا يَصْدُق في كلِّ ذلك؛ فإن تصديق من لا يَصْدُق كذب، والكذب ممتنعٌ علىٰ الله.

وإذا تبيَّن أن من ذَكَر أنه رسول الله إما أن يكون رسولًا صادقًا في جميع ما يبلِّغه، فيمتنع مع هذا تناقضُ أخباره؛ لأنها كلها صادقة، وإما أن يكون غير صادقٍ ولو في كلمة، فلا يكون رسولًا لله، فلا يُحْتَجُّ بشيءٍ ممَّا يخبر به عن الله = كان تمثيلُ من ذَكَر أنه رسول الله بالمُقِرِّ باستيفاء وثيقته تمثيلًا باطلًا؛ فإن صاحبَ الوثيقة الذي أقرَّ بوفائها بعدُ كانت له حجَّةٌ ثم استوفاها، ومن

(١) (ي): «الخبره».
(٢) (و، ي): «ألا أسمي»، وهو خطأ كسابقيه.
(٣) (ع): «خطائه»، وهو صحيح. وتحرفت في (د) إلىٰ «خطابه».

ذَكَر أنه رسول الله إما صادقٌ وإما كاذب، وعلىٰ التقديرين لا يجوز أن يُحْتَجَّ ببعض كلامه دون بعض.

وإذا قال القائل: مقصودي أبيِّن أنه متناقض، وأن نفس كلامه يبيِّن أنه لم يُرسَل إلينا، وأن ديننا حقٌّ، كما أن نفس كلام الذي كان له الحقُّ هو المُقِرُّ بالوفاء.

قيل: إن كان كلامه متناقضًا فليس برسول، وحينئذٍ فلا يجوز لك أن تحتجَّ بشيءٍ ممَّا بلَّغه عن الله، بخلاف المُقِرِّ بالوفاء، فإن إقراره مقبولٌ علىٰ نفسه؛ فإنه شاهدٌ علىٰ نفسه بالوفاء، وإقرارُ المُقِرِّ علىٰ نفسه(١) وشهادتُه علىٰ نفسه مقبولةٌ ولو كان كافرًا وفاسقًا، بخلاف شهادته علىٰ الله أن الله أرسله، إذا كَذَب في كلمةٍ واحدةٍ لم يكن الله أرسله؛ فلا يُقْبَلُ شيءٌ من شهادته(٢) وخبره عن الله.

فمن شبَّه إقرار المُقِرِّ علىٰ نفسه بقول الذي يقول: إنه رسول الله، دلَّ ذلك علىٰ غاية جهله بالقياس والاعتبار والتمثيل؛ فإن إقرار المُقِرِّ علىٰ نفسه حجَّةٌ عليه ولو كان فاسقًا معروفًا بالكذب، ليس هو مثل شهادة الإنسان علىٰ غيره؛ فإن شهادته علىٰ غيره لا تُقْبَل إذا كان معروفًا بالكذب، فكيف بمن شهد علىٰ الله بأن الله أرسله؟!

فالمُقِرُّ علىٰ نفسه يمكن قبولُ إقراره علىٰ نفسه، ولا يُقْبَل دعواه علىٰ غيره، وكذلك الشاهد قد تُقْبَل شهادته فيما ليس هو خصمًا فيه ولا تُقْبَل شهادته بما ادعاه.

---

(١) «بالوفاء وإقرار المقر علىٰ نفسه» سقط من (د، ع) لانتقال النظر.

(٢) من قوله: «علىٰ الله أن الله أرسله» إلىٰ هنا سقط كذلك من (و، ي) لانتقال النظر، ولم تثبته ط. العاصمة.

وأما من يقول: إنه رسول الله، فلا يمكن أن يصدَّق في بعض ما يخبِر به عن الله ويكذَّب في بعض، بل إن كان كاذبًا في كلمةٍ واحدةٍ فليس هو رسولًا لله، فلا يُحْتَجُّ بكلامه، وإن قُدِّر أن الكلام في نفسه صدقٌ، لكنَّ نسبته إلىٰ الله أن الله أرسله به وأوحاه لا يكون صادقًا فيه إذا كَذَب في كلمةٍ واحدة؛ لأن الله لا يرسل كاذبًا. وإن لم يكن كاذبًا في كلمةٍ واحدةٍ وجب تصديقُه في كلِّ ما يخبِر به، فلا يمكن تصديقُه في بعض ما يخبِر به عن الله دون بعض، بخلاف المُقِرِّ والشاهد.

وإن كان المقصود بيان تناقضه، كان هذا احتجاجًا علىٰ أنه ليس برسول، فلا ينفعهم ذلك، مع أنه تبيَّن أنه ليس بمتناقض.

وإن كان المقصود إلزام المسلمين به، فقد بيَّنَّا أنه لا يلزمهم[1] من وجوهٍ متعدِّدة.

فهذا بيانُ أنهم لا يجوز لهم الاحتجاج بشيءٍ من كلام محمَّد ﷺ سواءٌ صدَّقوه أو كذَّبوه.

ثم يقال لهم **ثانيًا** في الجواب[2] عن التمثيل بالوثيقة: إن الإقرار بالاستيفاء يناقض استيفاء الحقِّ، وأما القرآن الذي جاء به محمَّدٌ[3] ﷺ فليس في إخباره بأنه أُرسِل إلىٰ قريش ثم إلىٰ العرب ما يناقض إخباره بأنه أُرسِل إلىٰ جميع النَّاس أهل الكتاب وغيرهم، كما أنه ليس في إخباره أنه أُرسِل إلىٰ بني إسرائيل ومخاطبة الله لهم بقوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة: ٤٠] ما يمنعُ[4] أن يكون مرسلًا إلىٰ اليهود من غير بني إسرائيل وإلىٰ النَّصارىٰ والمشركين.

(١) (د، ع): «يلزمه».
(٢) (د، ع): «فالجواب».
(٣) (ي): «وأما محمد».
(٤) (و): «يمنعه».

وهو لم يقل[1] قطُّ: إني لم أُرسَل إلا إلىٰ العرب، ولا قال ما يدلُّ علىٰ هذا، بل ثبت عنه بالنقل المتواتر أنه قال: إنه مرسلٌ إلىٰ جميع الجنِّ والإنس، إلىٰ أهل الكتاب وغيرهم.

ولو قُدِّر أنه قال: إنه لم يُرْسَل إلا إلىٰ العرب، ثم قال: إني أُرسِلتُ إلىٰ أهل الكتاب، لكان قد أُرسِل إلىٰ أهل الكتاب بعد إرساله إلىٰ العرب، كما قال: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، وقال أيضًا: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ﴾ [النحل: ١١٥]، ثم إنه بعد هذا حرَّم الله أشياء، فلم يكن بين نفي تحريمها في الزَّمن الأول وإثبات تحريمها في الزَّمن الثاني منافاة.

ولكنَّ نظيرَ[2] الدَّين إذا أوجَب شيئًا ثم نسَخ إيجابَه، كما نسَخ إيجابَ الصَّدقة بين يدي النجوىٰ، ففي مثل هذا يُتمسَّك بالنصِّ النَّاسخ دون المنسوخ، كما يُتَمسَّك بالإقرار بالوفاء النَّاسخ للإقرار بالدَّين.

---

(١) (ي): «ولم يقل»، (د، ع): «وهو أنه لم يقل».

(٢) مهملة في (ي). (و): «يظهر»، وهو تحريف، وأثبتته ط. العاصمة.

فصل

وقد ذكرنا أنه لا يجوز أن يحتجُّوا بشيءٍ من القرآن وما نُقِل عن محمَّدٍ ﷺ إلا مع التصديق برسالته، وأنه مع التكذيب برسالته لا يمكن الإقرارُ بنبوَّة غيرِه، ولا الاحتجاجُ بشيءٍ من كلام الأنبياء، فتكذيبهم به[1] يستلزم تكذيبهم بغيره، فإذا ثبتت نبوَّة غيره ثبتت نبوَّته، وذلك يستلزم بطلان دينهم، فكان صحَّةُ دليلهم يستلزم بطلانَ المدلول، وفسادُ المدلول يستلزم فسادَ الدليل؛ فإن الدليل ملزومٌ للمدلول عليه، وإذا تحقَّق الملزوم تحقَّق اللازم، وإذا انتفىٰ اللازم انتفىٰ الملزوم، فإذا ثبت[2] الدليل ثبت المدلول عليه، وإذا فسد المدلول عليه لزم فساد الدليل؛ فإن الباطل لا يقوم عليه دليلٌ صحيح.

فإن كان محمَّدٌ رسولَ الله ﷺ لزم بطلانُ دينهم، وإذا بطل دينُهم لم يجز أن يقوم دليلٌ صحيحٌ علىٰ صحَّته، وإذا[3] لم يكن رسول الله لم يَجُز الاستدلال بقوله؛ فثبت أن استدلالهم بقوله باطلٌ علىٰ التقديرين.

ونحن نذكر هنا أنه لا يجوز استدلالهم بقول أحدٍ من الأنبياء أو الرُّسل علىٰ صحَّة دينهم.

وأيضًا، فإن الذين احتجُّوا بقولهم مثل موسىٰ وداود والمسيح وغيرهم، إما أن يكونوا عَرَفوا أنهم أنبياء بدليل علىٰ نبوَّتهم، كالاستدلال بآياتهم وبراهينهم التي تسمَّىٰ بالمعجزات، وإما أن يكونوا قد اعتقدوا ذلك بلا علمٍ ولا دليل، وإما أن يكونوا احتجُّوا بذلك علىٰ المسلمين لأنهم يسلِّمون نبوَّة هؤلاء.

---

(١) ساقطة من ط. العاصمة.

(٢) (ي): «صح».

(٣) (ي، و): «وإن».

وعلىٰ كلِّ تقديرٍ لا يصحُّ استدلالهم بقولهم:

أما علىٰ الأول، فلأنه أيُّ طريقٍ ثبتت[1] بها نبوَّة واحدٍ من هؤلاء الأنبياء عليهم السَّلام فإنه تَثْبُتُ نبوَّة محمَّد ﷺ بمثلها وأعظمَ منها.

وحينئذٍ، فإن لم يقرُّوا بنبوَّة محمَّدٍ ﷺ مع أن كل دليلٍ يدلُّ علىٰ نبوَّة موسىٰ وداود وعيسىٰ وغيرهم يدلُّ علىٰ نبوَّة محمَّد ﷺ لزم أن يكونوا قد نقضوا دليلهم، فجعلوه قائمًا مع انتفاء مدلوله، وإذا انتقض الدليلُ بطلت دلالتُه؛ فإنه إنما يدلُّ إذا كان مستلزمًا للمدلول، فإذا كان تارةً يوجد مع المدلول وتارةً لا يوجد لم يكن مستلزمًا له، فلا يكون دليلًا.

فإن من جعل المعجزات دليلًا علىٰ نبوَّة نبيٍّ، وقال: المعجزة هي الفعلُ الخارق للعادة، المقرونُ بالتحدِّي، السَّالم من المعارضة، ونحو ذلك ممَّا يُذْكَر في هذا المقام، وجعلوا ذلك دليلًا علىٰ نبوَّة موسىٰ وعيسىٰ وغيرهما من الأنبياء.

قيل له: إن كان هذا دليلًا فهو دليلٌ علىٰ نبوَّة محمَّدٍ ﷺ، وإن لم يكن دليلًا لم يكن دليلًا علىٰ نبوَّة موسىٰ وعيسىٰ؛ فإنه قد ثبت عن محمَّدٍ من المعجزات ما لم يثبت مثلُه عن غيره، ونقلُ معجزاته متواترٌ أعظمُ مِن نقلِ معجزات عيسىٰ وغيره، فيمتنع التصديقُ بآياته مع التكذيب بآيات محمَّدٍ ﷺ.

وإن قالوا: معجزاتُ محمَّدٍ ﷺ لم تتواتر عندنا.

قيل: ليس من شرط التواتر أن يتواتر عند طائفةٍ معينة، بل هذا كما يقول المشركون والمجوس وغيرهم: لم تتواتر عندنا معجزاتُ موسىٰ[2] والمسيح

---

(١) (د، ع): «ثبت».

(٢) (و): «لم يتواتر عندنا موسىٰ».

عليهما السَّلام. وإنما تتواتر أخبار كلِّ إنسانٍ عند من[1] رأىٰ المشاهِدين له أو رأىٰ من رآهم وهلمَّ جرًّا[2].

ومعلومٌ أن أصحاب محمَّدٍ ﷺ الذين رأوه ونقلوا معجزاته أضعافُ أصحاب المسيح عليه السلام، والتابعون الذين نقلوا ذلك عن الصَّحابة كذلك، فيلزم من التصديق بمعجزات المسيح عليه السلام التصديقُ بمعجزات محمَّدٍ ﷺ، ومن التكذيب بمعجزات محمَّد التكذيبُ بمعجزات المسيح.

وإن قالوا: عُرِفت نبوَّة المسيح ببشارات الأنبياء قبله.

قيل: وفي الكتب المتقدِّمة من البشارات بمحمَّدٍ ﷺ مثل ما فيها من البشارات بالمسيح وأكثر، كما سيأتي بعضها إن شاء الله[3].

وإن تأوَّلوا تلك البشارات بمحمَّدٍ ﷺ بما يَمْنَعُ دلالتَها.

قيل لهم: واليهود يتأوَّلون بشارات المسيح بما يَمْنَعُ دلالتَها علىٰ المسيح.

فإذا قالوا: تلك التأويلات باطلةٌ من وجوهٍ معروفة، بُيِّن لهم أن هذه باطلةٌ أيضًا بمثل تلك الوجوه وأقوىٰ. فما من جنسٍ من الأدلة يدلُّ علىٰ نبوَّة موسىٰ والمسيح إلا ودلالتُه علىٰ نبوَّة محمَّدٍ ﷺ أقوىٰ وأكثر، فيلزم من ثبوت نبوَّة موسىٰ والمسيح ثبوت نبوَّة محمَّدٍ ﷺ، ومِن الطَّعن في نبوَّة محمَّدٍ ﷺ الطَّعنُ في نبوَّة موسىٰ والمسيح.

---

(١) (د، ع): «كل من».

(٢) انظر: «درء التعارض» (١/ ١٩٦)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٨/ ٥١، ٦٩)، وما سيأتي (٤/ ٤٥١-٤٦٩).

(٣) (٤/ ٧٠-١٠٢).

وإن قالوا: إن المسيح إلهٌ.

قيل لهم: ثبوت كونه إلهًا لو كان ممكنًا أبعدُ من ثبوت كونه رسولًا، فكيف إذا كان ممتنعًا؟!

وذلك أنه ليس معهم ما يدل علىٰ إلهيَّته إلا ما ينقلونه من أقوال الأنبياء، أو الخوارق.

والخوارقُ لا تدلُّ علىٰ الإلهيَّة؛ فإن الأنبياء ما زالوا يأتون بالآيات الخارقة للعادة ولم تدلَّ علىٰ إلهيَّة أحدٍ منهم.

وأما أقوال الأنبياء عليهم السَّلام، فلا ريب أن دلالتها علىٰ رسالته ورسالة محمَّدٍ ﷺ أظهرُ من دلالتها علىٰ إلهيَّة المسيح؛ فيمتنعُ الاحتجاجُ بها علىٰ إلهيَّة المسيح دون رسالة محمَّدٍ ﷺ ورسالة المسيح.

ومتىٰ ثبت أن محمَّدًا رسول الله ﷺ بطلت إلهيَّة المسيح؛ فإنه كفَّر من قال: إنه الله أو ابنُ الله. بل وكذلك متىٰ ثبت أن المسيح رسولُ الله بطل كونه إلهًا؛ فإن كونه هو الله مع كونه رسولَ الله متناقضٌ.

وقولهم: إنه إلهٌ بلاهُوتِه، ورسولٌ بناسُوتِه، كلامٌ باطلٌ من وجوه:

منها: أن الذي كان يكلِّم النَّاس إما أن يكون هو الله أو هو رسول الله، فإن كان هو الله بَطَل[1] كونُه رسول الله، وإن كان رسول الله بَطَل كونُه هو الله. ولهذا لمَّا كان الذي كلَّم موسىٰ عليه السلام من الشَّجرة هو الله لم تنطق الكتبُ بأنه[2] رسول الله.

---

(١) لم تحرر في (ي، ع) في الموضعين، وعلىٰ الصواب في (و) وطرة (د).
(٢) أي المتكلِّم.

وهذا واردٌ بأيِّ وجهٍ فسَّروا الاتِّحاد؛ فإنه من المعلوم أن النَّاس كانوا يسمعون من المسيح كلامًا بصوته المعروف، وصوتُه لم يختلف[1] ولا حاله عند الكلام تغيَّرت كما يختلفُ [صوتُ][2] الإنسان وحالُه عند الكلام إذا حلَّ[3] فيه الجنِّيُّ وإذا فارقه الجنِّيُّ؛ فإن الجنِّيَّ إذا تكلَّم علىٰ لسان المصروع ظهر الفرقُ بين ذلك المصروع وبين غيره من النَّاس، بل اختلف حال المصروع وحال كلامه، وسُمِع منه من الكلام ما يُعْلَم يقينًا أنه لا يعرفه، وغاب عقله بحيث يظهَر ذلك للحاضرين، واختلف صوتُه ونغمتُه، فكيف بمن يكون ربُّ العالمين هو الحالُّ فيه المتَّحدُ به المتكلِّم بكلامه؟! فإنه لا بدَّ أن يكون بين كلامه وصوته وكلام سائر البشر وصوتهم من الفرق أعظمُ من الفرق الذي بين المصروع وغير المصروع بما لا نسبة بينهما.

يبيِّن هذا أن موسىٰ لمَّا سمع كلامَه سمع صوتًا خارقًا للعادة، مخالفًا لما يَعْهَد من الأصوات، ورأىٰ من الآيات الخارقة والعجائب ما يبيِّن أن ذلك الذي سمعه لا يَقْدِر علىٰ التكلُّم به إلا الله.

وأما المسيح فلم يكن بين كلامه وصوته طولَ[4] عمره وكلام سائر النَّاس فرقٌ يدلُّ علىٰ أنه نبيٌّ فضلًا عن أن يدلَّ علىٰ أنه إله، وإنما عُلِم أنه نبيٌّ بأدلةٍ منفصلة. ولم يكن حاله يختلف، مع أنهم يقولون: إن الاتِّحاد ملازمٌ له من حين خُلِق ناسوتُه في بطن أمِّه مريم وإلىٰ الأبد، لا يفارق اللاهوتُ لذلك النَّاسوت أبدًا. وحينئذٍ، فمن المعلوم أن خطابه للناس إن كان خطابَ ربِّ العالمين لم

(١) ط. النيل: «يختلف عليهم».
(٢) ليست في الأصول والطبعات، والسياق يقتضيها.
(٣) ط. النيل: «دخل»، وفي طرة (د) إشارة إلىٰ أنها في نسخة.
(٤) (و): «مع طول»، وهو خطأ، وأثبتته ط. العاصمة.

يكن هو رسوله، وإن كان خطابَ رسوله لم يكن ذلك صوتُ ربِّ العالمين.

الوجه الثاني: أن خطابه خطابُ رسولٍ ونبيٍّ، كما ثبت ذلك عنه في عامَّة المواضع.

الثالث: أن مصير الشَّيئين شيئًا واحدًا مع بقائهما علىٰ حالهما بدون الاستحالة والاختلاط ممتنعٌ في صريح العقل، وإنما المعقول مع الاتِّحاد أن يستحيلا ويختلطا، كالماء مع الخمر واللَّبن، فإنهما إذا صارا شيئًا واحدًا استحالا واختلطا.

الرابع: أنه مع الاتِّحاد يصير الشَّيئان شيئًا واحدًا، فيكون الإله هو الرَّسول، والرَّسول هو الإله؛ إذ هذا هو هذا، وإن كان الإله غير الرَّسول فهما شيئان.

ومهما مثَّلوا به قولَهم، كتشبيههم ذلك بالنَّار في الحديد، والرُّوح في البدن[1]، فإنه يدلُّ علىٰ فساد قولهم؛ فإن الحديد متىٰ طُرِق أو وُضِع في الماء كان ذلك مصيبًا للنَّار، وكذلك البدن إذا جاع أو صُلِبَ وتألَّم كان ذلك الألم مصيبًا للرُّوح، فيلزم أن يكون ربُّ العالمين قد أصابه ألمُ الجوع والعطش، وكذلك الضَّربُ والصَّلبُ علىٰ قولهم، وهذا شرٌّ من قول اليهود: إنه فقيرٌ، وإنه بخيلٌ، وإنه مسَّه اللُّغوب.

---

(١) انظر: رسالة بولس الأنطاكي (٤٢٠، ٤٢١).

فصل

وإن كان مقصودهم الاحتجاج بذلك على المسلمين، قيل لهم:

أولًا: هذه حجَّةٌ جدليَّة، فما مستندكم فيما بينكم وبين الله في تصديق شخصٍ وتكذيب آخر، مع أن دلالة الصِّدق فيهما واحدة، بل هي في الذي كذَّبتموه أظهر؟! فإن كانت حقًّا لزم تصديقُ من كذَّبتموه وفسَد دينُكم، وإن كانت باطلةً بطل استدلالكم بها على دينكم. فثبت أنهم مع تكذيب محمَّدٍ ﷺ لا يستقيم لهم الاستدلال بكلام أحدٍ من الأنبياء عليهم السَّلام.

وقيل لهم **ثانيًا**: المسلمون إنما عَرفوا صدقَ هؤلاء الأنبياء بما دلَّهم على صدق محمَّدٍ ﷺ، فإن لم يكن محمَّدٌ صادقًا لم يعرفوا صدقَ هؤلاء، فيبطل دليلكم، وإن كان صادقًا بطل دين النَّصارى، فيبطل دليل صحَّته؛ فثبت بطلان دليلهم على كلِّ تقدير.

وقيل لهم **ثالثًا**: المسلمون لم يصدِّقوا نبوَّة أحدٍ من هؤلاء إلا مع نبوَّة محمَّدٍ ﷺ، وإن قيل: إنهم عرفوا ذلك بطريقٍ آخر، فإن الدليل الذي يدلُّ على صدق واحدٍ منهم يدلُّ على صدق محمَّدٍ ﷺ بطريق الأولى، فلا يمكنهم تصديق نبيٍّ[1] مع تكذيب محمَّدٍ ﷺ.

وقيل لهم **رابعًا**: هم إنما يصدِّقون موسى[2] وعيسى اللذَين بشَّرا بمحمَّدٍ ﷺ، فإن كانا قد بشَّرا به فثبتت نبوَّته، وإن لم يكونا بشَّرا به فهم لا يؤمنون إلا بالمبشِّرين به وبالتَّوراة والإنجيل التي[3] هو مكتوبٌ فيهما، فإن قُدِّر عدم ذلك فهم لا يسلِّمون وجود موسى وعيسى وتوراةٍ وإنجيلٍ منزَّلَيْن من الله ليس فيهما ذكرُه ﷺ.

---

(١) مهملة في (ي)، (و): «موسى»، ط. النيل: «شيء»، والصواب المثبت من (د، ع).

(٢) (ع): «بموسى».

(٣) كذا في الأصول، وفي طرة (ع) إشارة إلى أن في نسخة: «اللذين».

وإن قالوا: نحن صدَّقنا هؤلاء الأنبياء بلا علم لنا بصدقهم وطريقٍ يدلُّ علىٰ صدقهم؛ لأن هذا دين آبائنا وجدناهم يعظِّمون هؤلاء ويقولون: هم أنبياء، فاتَّبعنا آباءنا في ذلك من غير علم. وهذا هو الواقع من أكثرهم.

قيل: فإذا كان هذا قولكم في الأنبياء وفيما شهدوا به -إن كانوا شهدوا- فيلزم أن لا يكونوا عالِمين به، بل متَّبعين فيه لآبائهم بغير علمٍ بطريق الأولىٰ، وبهذا يحصل المقصود، وهو أن ما أنتم عليه من اعتقاد دين النصرانيَّة لا علم لكم به[1] ولا دليل لكم علىٰ صحَّته، بل أنتم فيه متَّبعون لآبائكم، كاتِّباع اليهود والمشركين لآبائهم.

ولا ريب أن هذا حال النَّصارىٰ، ولهذا سمَّاهم الله ضُلَّالًا في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ [الكهف: ٤، ٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ﴾ [النساء: ١٥٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ﴾ [الشورىٰ: ١٤]. ولهذا كان النَّصارىٰ معروفين بالجهل والضلال، كما أن اليهود معروفون[2] بالظُّلم والقسوة والعناد.

فتبيَّن بما ذكرناه أنه لا يمكنهم مع تكذيب محمَّدٍ ﷺ في كلمةٍ واحدةٍ الاحتجاجُ بقول أحدٍ[3] من الأنبياء علىٰ شيءٍ من دينهم ولا دين غيرهم.

---

(١) ساقطة من ط. العاصمة.

(٢) الأصول: «معروفين»، سبق قلم.

(٣) (و): «واحد».

فصل

وأما كونُ القرآن أُنزِل باللسان العربي وحده، فعنه أجوبة:

أحدها: أن يقال: والتَّوراة إنما أُنزِلت باللسان العِبْري وحده، وموسىٰ عليه السلام لم يكن يتكلَّم إلا بالعِبْرية، وكذلك المسيح لم يكن يتكلَّم بالتَّوراة والإنجيل وغيرهما إلا بالعِبْرية، ثمَّ[1] وكذلك سائر الكتب لا ينزلها الله إلا بلسانٍ واحد، بلسان الذي أُنزِلت عليه ولسانِ قومه الذين يخاطبهم أولًا.

وسائر الأنبياء إنما يخاطِبون النَّاس بلسان قومهم الذي يعرفونه أوَّلًا[2]، ثم بعد ذلك تُبلَّغ الكتبُ وكلامُ الأنبياء لسائر الأمم، إما بأن يُتَرْجَم لمن لا يَعْرِفُ لسان ذلك الكتاب، وإما بأن يتعلَّم النَّاس بلسان[3] ذلك الكتاب، فيعرفون معانيه، وإما بأن يبيِّن للمُرْسَل[4] إليه معاني ما أُرسِل به الرسول إليه بلسانه وإن لم يعرف سائر ما أُرسِل به.

وقد أخبر الله في القرآن ما قالته الرُّسُل لقومهم وما قالوا لهم، وأكثرهم لم يكونوا عربًا، وأنزل[5] الله باللسان العربيِّ.

وحينئذٍ، فإن شرط التكليف تمكُّن العباد من فهم ما أُرسِل به الرسولُ إليهم، وذلك يَحْصُل بأن يُرْسَل بلسانٍ[6] يُعْرَفُ به مرادُه، ثم جميعُ النَّاس متمكِّنون من معرفة مراده بأن يعرفوا ذلك اللسان، أو يعرفوا معنىٰ الكتاب بترجمة من يُتَرْجِمُ معناه، وهذا مقدورٌ للعباد.

---

(١) ليست في (ي).

(٢) من قوله: «وسائر الأنبياء» إلىٰ هنا ساقط من ط. العاصمة.

(٣) كذا في الأصول. وفي ط. النيل وما تلاها: «لسان».

(٤) (د، ي، ع): «المرسل».

(٥) كذا في الأصول. وفي ط. النيل وما تلاها: «وأنزله».

(٦) (ي، د، و): «بلسانه»، وفي طرة (و): «لعله بلسان»، وأشار في طرة (د) إلىٰ أنها في نسخة، والمثبت من (ع).

ومن لم يمكنه فهمُ كلام الرسول إلا بتعلُّم اللغة التي أُرسِل بها وجبَ عليه ذلك؛ فإن ما لا يتمُّ الواجبُ إلا به فهو واجب، بخلاف ما لا يتمُّ الوجوبُ إلا به فإنه ليس بواجب[1]، ولا يكلِّف الله نفسًا إلا وسعها، لا في الأصل ولا في التَّمام، فلا نحتاج أن نقول: ما لا يتمُّ الواجبُ إلا به وكان مقدورًا للمكلَّف فهو واجب؛ فإن ما ليس مقدورًا عليه لا يكلَّف به العباد، بل وقد يكون مقدورًا عليه ولا يكلَّفون به، فلمَّا كانت الاستطاعة شرطًا في وجوب الحجِّ لم يجب تحصيلُ الاستطاعة، بخلاف قطع المسافة[2]، فإنه ليس شرطًا في الوجوب، فلهذا يجب علىٰ الإنسان الحجُّ من المسافة البعيدة والقريبة إذا كان مستطيعًا.

وجمهورُ النَّاس لا يعرفون معاني الكتب الإلهيَّة التَّوراة والإنجيل والقرآن إلا بمن يبيِّنها ويفسِّرها لهم، وإن كانوا يعرفون اللغة، فهؤلاء يجبُ عليهم طلبُ علمِ ما يَعْرِفون به ما أمرهم الله به ونهاهم عنه، وهذا هو طلبُ العلم المفروض علىٰ الخلق.

وكذلك ما بيَّنه الرسول ﷺ من معاني الكتاب الذي أنزله الله عليه يجبُ علىٰ الخلق طلبُ علم ذلك ممَّن يعرفه، إذا كان معرفة ذلك لا تحصل بمجرَّد اللسان، كما يروىٰ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «تفسير القرآن[3] علىٰ أربعة أوجه: تفسيرٌ تعرفه العربُ من كلامها، وتفسيرٌ لا يُعْذَرُ أحدٌ بجهالته، وتفسيرٌ يَعْلَمُه العلماء، وتفسيرٌ لا يَعْلَمُه إلا الله تبارك وتعالى، فمن ادَّعىٰ علمَه فهو كاذب»[4].

---

(١) انظر: «درء التعارض» (١/ ٢١٢- ٢١٣).

(٢) (و): «المسافات».

(٣) (ع): «التفسير».

(٤) أخرجه ابن جرير (١/ ٧٠) بسند حسن، إلا أن فيه إرسالًا. وروي من وجه آخر يقويه عند الطبراني في «مسند الشاميين» (١٣٨٥). ورفعه محمد بن السائب الكلبي إلىٰ النبي ﷺ، =

والله تعالىٰ قال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [إبراهيم: ٤]، لم يقل: «وما أرسلنا من رسولٍ إلا إلىٰ قومه»، لكن لم يرسله إلا بلسان قومه الذين خاطبَهم أولًا؛ ليبيِّن لقومه، فإذا بيَّن لقومه ما أراده[١] حصَل بذلك المقصود لهم ولغيرهم؛ فإن قومه الذين بلَّغ إليهم أولًا يمكنهم أن يبلِّغوا عنه اللفظ، ويمكنهم أن ينقلوا عنه المعنىٰ لمن لا يعرف اللغة، ويمكنُ غيرَهم أن يتعلَّم منهم لسانه، فيعرف مرادَه.

فالحجة تقوم علىٰ الخلق ويحصل لهم الهدىٰ بمن ينقل عن الرسول، تارةً المعنىٰ وتارةً اللفظ؛ ولهذا يجوز نقل حديثه بالمعنىٰ.

والقرآن يجوز ترجمة معانيه لمن لا يعرف العربيَّة باتفاق العلماء[٢]. وجوَّز بعضهم أن يقرأ بغير العربيَّة عند العجز عن قراءته بالعربيَّة، وبعضهم جوَّزه مطلقًا، وجمهور العلماء منعوا أن يُقْرَأ[٣] بغير العربيَّة[٤]، وإن جاز أن يُتْرَجَم للتفهيم[٥] بغير العربيَّة، كما يجوز تفسيره وبيان معانيه، وإن كان التفسير ليس قرآنًا متلوًّا، وكذلك التَّرجمة.

= أخرجه ابن جرير (١/ ٧٠)، وقال: «في إسناده نظر»، والكلبي متروك الحديث متهم بالكذب، قال ابن كثير (١/ ١٥): «قد يكون إنما وهم في رفعه، ولعله من كلام ابن عباس». وقد روي من طريق الكلبي موقوفًا عند ابن المنذر في تفسيره (١/ ١٣١)، وفي سنده إعضال.

(١) (و): «فإذا تبين ما أراده».

(٢) انظر: «بيان تلبيس الجهمية» (٤/ ٣٩٠، ٨/ ٢٣٠، ٤٧٤)، و«التسعينية» (٨١٩)، و«درء التعارض» (١/ ٤٣)، و«منهاج السنة» (٢/ ٦١٢)، و«الانتصار لأهل الأثر» (١٧٢)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٥٤٢)، وما سيأتي (١/ ٢٩١، ٢/ ٦٩).

(٣) (ع): «وجمهور العلماء أن لا يقرأ».

(٤) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٥١٩)، وما سيأتي (٢/ ٦٩).

(٥) (و): «للتفهم».

وقد قال النبيُّ ﷺ: «**نضَّر الله امرءًا سمع منَّا حديثًا، فبلَّغه إلىٰ من لم يسمعه، فرُبَّ حامل فقهٍ غير فقيه، ورُبَّ حامل فقهٍ إلىٰ من هو أفقه منه**»[1].

وقال أيضًا في الحديث الصَّحيح: «**مثلُ ما بعثني الله به من الهدىٰ والعلم كمثل غيثٍ أصاب أرضًا، فكانت منها طائفةٌ طيِّبةٌ قَبِلت الماء، فأنبتت الكَلأ والعشبَ الكثير، وكانت منها طائفةٌ أمسكت الماء فنفع الله به النَّاس فزرعوا وسَقوا، وكانت منها طائفةٌ إنما هي قِيعانٌ لا تمسك ماءً ولا تنبتُ كلأً، فذلك مَثَلُ من فَقُهَ**[2] **في دين الله ونفعه ما بعثني الله به من الهدىٰ والعلم، ومَثَلُ من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبَل هدىٰ الله الذي أُرسِلتُ به**»[3].

فدعا النبيُّ ﷺ لمن يبلِّغ حديثَه وإن لم يتفقَّه[4]، وقال: «**ربَّ حامل فقهٍ غير فقيه، وربَّ حامل فقهٍ إلىٰ من هو أفقهُ منه**».

وقد كانت[5] العارفون باللغة العربيَّة حين بعث الله محمَّدًا ﷺ إنما يوجدون في جزيرة العرب وما والاها، كأرض الحجاز واليمن وبعض الشَّام والعراق، ثم انتشر[6] فصار أكثرُ السَّاكنين في وسط المعمورة يعرفون[7]

---

(١) أخرجه أحمد (٤١٥٧)، والترمذي (٢٦٥٧)، وابن ماجه (٢٣٢)، وغيرهم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وصححه الترمذي، وابن حبان (٦٦، ٦٨، ٦٩).
وروي من وجوه أخرىٰ كثيرة تبلغ حد التواتر، وحديث ابن مسعود أصحُّ ما في الباب.
انظر: «شرف أصحاب الحديث» (١٨)، و«موافقة الخبر الخبر» (١/ ٣٦٤)، و«مفتاح دار السعادة» (١/ ١٩٦).

(٢) (و، د): «تفقه»، وهو خطأ. وأشار في طرة (د) إلىٰ أن «فقه» في نسخة. والمثبت من (ع، ي) رواية الصحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٧٩) ومسلم (٢٢٨٢) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

(٤) ألحق في (و) فوق السطر بعدها: «فيه»، وليست في سائر الأصول.

(٥) كذا في الأصول. وغيِّرت في ط. العاصمة إلىٰ «كان».

(٦) الأمر، أو العلم بالعربية.

(٧) ساقطة من ط. العاصمة.

العربيَّة، حتىٰ اليهود والنَّصارىٰ الموجودون في وسط الأرض يتكلَّمون بالعربيَّة كما يتكلَّم بها أكثرُ المسلمين[1]، بل كثيرٌ من اليهود والنَّصارىٰ يتكلَّمون بالعربيَّة أجود ممَّا يتكلَّم بها كثيرٌ من المسلمين.

وقد انتشرت هذه اللغة أكثر ممَّا انتشرت سائر اللغات، حتىٰ إن الكتب القديمة من كتب أهل الكتاب، ومن كتب الفُرس والهند واليونان والقِبْط وغيرهم، عُرِّبت بهذه اللغة.

ومعرفةُ الكتب المصنَّفة بالعربيَّة والكلام العربيِّ أيسرُ علىٰ جمهور النَّاس من معرفة الكتب المصنَّفة بغير العربيَّة؛ فإن اللسان العِبْري[2] والسُّريانيَّ والرُّوميَّ والقِبطيَّ وغيرها وإن عرفه طائفةٌ من النَّاس فالذين يعرفون اللسان العربيَّ أكثر ممَّن يعرف لسانًا من هذه الألسنة.

وأيضًا، فمعرفةُ ما أمر الله به[3] عباده أمرًا عامًّا هو ممَّا نقلته[4] الأمَّة عن نبيِّها محمَّدٍ ﷺ نقلًا متواترًا، وأجمعت عليه، مثل الأمر بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمَّدًا رسول الله، وأنه أُرسِل إلىٰ جميع النَّاس أمِّيِّهم وغير أمِّيِّهم، وإقام الصلوات الخمس، وإيتاء الزكاة، وصيام شهر رمضان، والحجِّ[5]، وإيجاب الصِّدق، وتحريم الفواحش والظُّلم، والأمر بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت = هو ما يعرفه المسلمون معرفةً عامَّة، ولا يحتاج

---

(١) (و): «يتكلم بها المسلمون»، وضرب علىٰ «أكثر». وفي (د، ي): «أكثر المسلمون». والمثبت من (ع).
(٢) (و، ي، د): «العربي»، وعلىٰ الصواب في (ع)، وأشير في طرة (د) إلىٰ أنه في نسخة.
(٣) ساقطة من ط. العاصمة.
(٤) ط. العاصمة: «نقله»، وهو خطأ مخالف للأصول.
(٥) ليست في (ي، د، و). وفي (د): «وحج البيت العتيق من استطاع إليه سبيلًا» مضروبًا عليها، وأثبتت في ط. النيل وما بعدها. والمثبت من (ع).

الإنسانُ في معرفة ذلك إلىٰ أن يحفظ القرآن، بل يمكنُ الإنسان معرفة ما أمر الله به علىٰ لسان رسوله وإن لم يعرف اللغة العربيَّة، ويكفيه أن يقرأ فاتحة الكتاب وسُوَرًا معها يصلِّي بهنَّ.

وكثيرٌ من الفرس والرُّوم والتُّرك والهند والحبشة والبربر وغيرهم لا يعرفون أن يتكلموا بالعربيَّة الكلام المعتاد، وقد أسلموا وصاروا من أولياء الله المتَّقين، ومنهم من يحفظ القرآن كلَّه وإذا كلَّم النَّاس لا يستطيعُ أن يكلِّمهم إلا بلسانه، لا بالعربيَّة، وإذا خوطب بالعربيَّة لم يفقه ما قيل له!

الوجه الثاني: أن المسيح عليه السلام كان لسانه عِبْريًّا، وكذلك ألسنة الحواريِّين الذين اتَّبعوه أولًا، ثم إنه أرسلهم إلىٰ الأمم يخاطبونهم ويترجمون لهم ما قاله المسيح عليه السلام.

فإن قالوا: إن رُسُل المسيح حُوِّلت ألسنتُهم إلىٰ ألسنة من أُرسِل إليهم.

قيل: هذا منقولٌ في رُسُل المسيح، وفي رُسُل محمَّدٍ صلىٰ الله عليهما(١) وسلَّم الذين أرسلهم إلىٰ الأمم، ولا ريب أن رُسُلَ رُسُلِ الله كرُسُل محمَّدٍ والمسيح عليهما الصلاة والسَّلام(٢) إلىٰ الأمم لا بدَّ أنَ يعرفوا لسان من أرسَلهم الرسولُ إليهم، أو أن يكون عند أولئك من يفهَم لسانَهم ولسانَ الرَّسول ليُتَرْجِمَ لهم، فإذا لم يكن عند من أُرسِل المسيحُ إليهم من يعرفُ بالعربية(٣) فلا بدَّ أن يكون رسوله ينطقُ بلسانهم.

وكذلك رُسُل النبيِّ صلى الله عليه وسلم الذين أرسلهم إلىٰ الأمم(٤)، فإن النبيَّ صلى الله عليه وسلم لمَّا

(١) (و): «عليه»، (ي): «عليهم».
(٢) (و): «محمد صلى الله عليه وسلم والمسيح عليه السلام».
(٣) كذا في الأصول. وسيأتي نظيره (١/ ٢٩١، ٣١٧): «يعرف بلسان العرب»، «عرف بالعربية».
(٤) «إلىٰ الأمم» ليست في (ي، د، ع).

رجع من الحديبية أرسل رُسُله إلىٰ أهل الأرض، فبعث إلىٰ ملوك العرب باليمن والحجاز والشَّام والعراق، وأرسل إلىٰ ملوك النَّصارىٰ بالشَّام ومصر قِبطهم ورُومهم وعربهم وغيرهم[1]، وأرسل إلىٰ الفُرس المجوس ملوك العراق وخراسان.

قال محمَّد بن سعد في «الطبقات»[2]: ذِكرُ بعثة رسول الله ﷺ الرُّسُل بكتبه إلىٰ الملوك وغيرهم يدعوهم، وذِكرُ ما كتَب به رسول الله ﷺ لناسٍ من العرب وغيرهم.

ثم قال: أخبرنا محمَّد بن عمر الأسلمي، قال: حدثني معمر بن راشد ومحمَّد بن عبد الله، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباسٍ قال.

وعن الواقدي، حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة، عن المِسْوَر بن رفاعة.

وحدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه.

[وحدثنا عمر بن سليمان بن أبي حَثْمة، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حَثْمة][3]، عن جدَّته الشِّفاء.

وحدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة، عن محمَّد بن يوسف، عن السَّائب بن يزيد، عن العلاء بن الحضرمي.

وحدثنا [معاذ] بن محمَّد الأنصاري، عن جعفر بن عمرو بن جعفر بن عمرو بن أميَّة الضمري، عن أهله، عن عمرو بن أمية الضَّمْري.

---

(١) (د، ع): «وعبرهم». وفي ط. النيل: «وعربهم وعبرهم وغيرهم».
(٢) (١/ ٢٢٢).
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من الأصول، وكذا المواضع الآتية، واستدركتها من طبقات ابن سعد.

دخل حديثُ بعضهم في حديث بعض.

قالوا: إن رسول الله ﷺ لمَّا رجع من الحديبية في ذي الحجَّة سنة ستٍّ أرسل إلىٰ الملوك يدعوهم إلىٰ الإسلام، وكتب إليهم كتبًا، فقيل: يا رسول الله، إن الملوك لا يقرؤون كتابًا إلا مختومًا، فاتَّخذ رسول الله ﷺ يومئذٍ خاتمًا من فضَّةٍ فَصُّه منه، نقشُه ثلاثة أسطر: «محمَّد، رسول، الله»، وختَم به الكتب.

فخرج ستَّة نفرٍ منهم في يومٍ واحد، وذلك في المحرَّم سنة سبع، وأصبح كلُّ واحدٍ منهم يتكلَّم بلسان القوم الذين بعثه إليهم.

أرسل النبيُّ ﷺ إلىٰ هِرَقل دِحْيَة بن خليفة الكلبي، وإلىٰ المُقَوْقِس صاحب مصر والإسكندرية حاطبَ بن أبي بلتعة، وإلىٰ كسرىٰ عبد الله بن حذافة السَّهمي، وأرسل إلىٰ الحارث بن أبي شَمِر الغسَّاني -وكان نصرانيًّا بظاهر دمشق- فبعث إليه شجاع بن وهب الأسدي، وأرسل إلىٰ غير هؤلاء.

وقال أيضًا(١): أخبرنا الهيثم بن عدي، قال: أخبرنا دَلْهَمُ بن صالح وأبو بكر الهذلي، عن عبد الله بن بُرَيدة، [عن أبيه بُرَيدة] بن الحُصَيب الأسلمي.

قال: وحدثنا محمَّد بن إسحاق، عن يزيد بن رُومَان والزُّهري.

وحدثنا الحسن بن عمارة، عن فراس، عن الشَّعبي.

دخل حديثُ بعضهم في حديث بعض.

أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «ائتوني(٢) **بأجمعكم بالغداة**»، وكان رسول الله ﷺ إذا صلىٰ الفجر يجلس في مصلَّاه قليلًا يسبِّح ويدعو، ثم التفت

---

(١) (١/ ٢٢٧).

(٢) «الطبقات»: «وافوني».

إليهم فبعث عدَّةً إلىٰ عدَّةٍ، وقال ﷺ لهم[1]: «**انصَحوا الله في أمر عباده، فإن من استُرْعِيَ شيئًا[2] من أمور المسلمين ثم لم ينصَح حرَّم الله عليه الجنَّة، انطلقوا، ولا تصنعوا كما صنعت رُسُل عيسىٰ بن مريم، فإنهم أتوا القريبَ وتركوا البعيد**»، فأصبحوا -يعني الرُّسُل- وكلٌّ منهم يعرف[3] بلسان القوم الذين أُرسِل إليهم، وذُكِر ذلك للنبيِّ[4] ﷺ، فقال: «**هذا أعظمُ ما كان من حقِّ الله ﷻ عليهم في أمر عباده**».

الوجه الثالث: أن النَّصارىٰ فيهم عربٌ كثيرٌ من زمن النبيِّ ﷺ، وكلٌّ من يفهمُ اللسان العربيَّ فإنه يمكن فهمُه للقرآن وإن كان أصل لسانه فارسيًّا أو روميًّا أو تركيًّا أو هنديًّا أو قِبطيًّا.

وهؤلاء الذين أرسلوا هذا الكتاب من علماء النَّصارىٰ[5] قد قرؤوا المصحف، وفَهِموا منه ما فَهِموا، وهم يفهمونه بالعربيَّة، واحتجُّوا بآياتٍ من القرآن، فكيف يسوغ لهم مع هذا أن يقولوا: كيف تقوم الحجَّة علينا بكتابٍ لم نفهمه؟!

الوجه الرابع: أن حُكْمَ أهل الكتاب في ذلك حُكْمُ المشركين، ومعلومٌ أن المشركين فيهم عربٌ وفيهم عجمٌ تركٌ وهندٌ وغيرهما.

---

(١) ليست في (و، د).
(٢) تحرفت في الأصول إلىٰ «أخبر عن شيء». وتبعتها ط. النيل والعاصمة. والتصحيح من «الطبقات».
(٣) «الطبقات»: «يتكلم».
(٤) ط. العاصمة: «النبي»، وهو خطأ مخالف للأصول و«الطبقات».
(٥) يريد المذكورين في رسالة بولس الأنطاكي.

فكما أن جميع المشركين كمشركي العرب، وكذلك جميع أهل الكتاب كأهل الكتاب من العرب، وفي اليهود والنَّصارىٰ ممَّن يعرفُ بلسان(١) العرب من لا يحصيه إلا الله ﷻ.

الوجه الخامس: أنه ليس فهم كلِّ آيةٍ من القرآن فرضًا علىٰ كلِّ مسلم، وإنما يجبُ علىٰ المسلم أن يَعْلَم ما أمره الله به(٢) وما نهاه عنه بأيِّ عبارةٍ كانت، وهذا ممكنٌ لجميع الأمم، ولهذا دخل في الإسلام جميعُ أصناف العجم من الفُرس والتُّرك والهند والصَّقالبة والبربر، ومِن هؤلاء من يَعْلَمُ اللسانَ العربيَّ، ومنهم من يَعْلَمُ ما فرض الله عليه بالتَّرجمة(٣).

وقد قدَّمنا(٤) أنه يجوز ترجمة القرآن في غير الصَّلاة للتَّفهيم(٥)، كما يجوز تفسيره باتفاق المسلمين، وإنما تنازعوا: هل يقرأ بغير العربيَّة تلاوةً كما يقرأ في الصَّلاة؟ فجمهور العلماء منعوا من ذلك(٦)، وحينئذٍ فإذا قرأ الأعجميُّ فاتحة الكتاب وسورتين معها بالعربيَّة أجزأه، وكذلك التشهُّد وغيره من الذِّكر المأمور به، وهذا أمرٌ يسيرٌ أيسر من أكثر الواجبات، فكيف يمتنع أن يأمر الله ﷻ عباده بذلك؟!

---

(١) كذا في الأصول، وسبق نظيره. وفي ط. النيل: «يعرف لسان».
(٢) «به» ليست في (ي). و«به الله» ليست في (و).
(٣) ط. العاصمة: «الترجمة»، وهو خطأ مخالف للأصول.
(٤) (١/ ٢٨٤).
(٥) (د، ع): «والتعبير»، وهي مهملة في (ي، و)، وصححت في طرة (و) إلىٰ «والتفسير»، والأشبه ما أثبت، وقد سبقت العبارة بهذا اللفظ في الموضع المتقدم.
(٦) انظر: «المحلىٰ» (٢/ ٢٨٥، ٣/ ٧٢)، و«المغني» (٢/ ١٥٨).

وأما جُمَلُ ما أمر به الرسول ﷺ من الصَّلاة، والزكاة، والصَّوم[1]، والحجِّ، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرَّحم، وما حرَّمه الله من الشرك، والفواحش، والظلم، وغير ذلك = فهذا ممَّا يمكن أن يعرفه كلُّ أحدٍ[2] بتعريفِ مَن يَعْرِفه، إمَّا باللسان العربيِّ، وإما بلسانٍ آخر، لا يتوقَّفُ تعريفُ ذلك علىٰ لسان العرب.

(١) من ط. النيل، وليست في الأصول.

(٢) (و): «واحد».

فصل

وأما قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ [فصلت: ٤٤]، وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]، فهذا يتضمَّنُ إنعامَ الله به[1] علىٰ عباده؛ لأن اللسان العربيَّ أكملُ الألسنة وأحسنُها بيانًا للمعاني، فنزول الكتاب به أعظمُ نعمةً علىٰ الخلق من نزوله بغيره.

وهو إنما خوطبَ به أولًا العربُ ليفهموه، ثمَّ من يَعْلَمُ لغتَهم يَفْهَمُه كما فَهِمُوه، ثمَّ من لم يَعْلَم لغتَهم ترجَمَه له مَن عَرَف لغتَهم. وكان إقامة الحجَّة به علىٰ العرب أولًا، والإنعام به عليهم أولًا؛ لمعرفتهم بمعانيه قبل أن يعرفه غيرهم.

قال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: ٥٨]، [وقال]: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧]، واللُّدُّ جمع الألَدِّ، وهو الأعوج في المناظرة، الذي يروغ عن الحقِّ[2]، كما قال النبي ﷺ: «**إن أبغض الرِّجال إلىٰ الله الألدُّ الخَصِم**»[3].

وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، فهو كما قال تعالىٰ، وقومُ محمَّدٍ ﷺ هم قريش، وبلسانهم أُرْسِل، وهو سبحانه لم يقل: «وما أرسلنا من رسول إلا إلىٰ قومه»، بل الرسول يبعثه الله إلىٰ قومه وغير قومه، كما تقول النَّصارىٰ: إنه بَعَث المسيح عليه السلام

(١) ليست في (و)، ولم تثبتها ط. العاصمة.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٤/ ٤٤٥).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٥٧)، ومسلم (٢٦٦٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

والحواريِّين[1] إلىٰ غير بني إسرائيل وليسوا من قومه، فكذلك بُعِث محمَّدٌ ﷺ إلىٰ قومه وغير قومه، ولكن إنما يُبْعَثُ بلسان قومه ليبيِّن لهم، ثم يَحْصُل البيان لغيرهم بتوسُّط البيان لهم، إمَّا بلغتهم ولسانهم، وإمَّا بالتَّرجمة لهم.

ولو لم يتبيَّن لقومه أولًا لم يحصل مقصود الرِّسالة لا لهم ولا لغيرهم، وإذا تبيَّن لقومه أولًا حصل البيانُ لهم ولغيرهم بتوسُّطهم، وقومُه إليهم بُعِث أولًا، ولهم دعا أولًا، وأنذر أولًا[2]، وليس في هذا أنه لم يُرْسَل إلىٰ غيرهم، لكن إذا تبيَّن لقومه لكونه بلسانهم أمكنَ بعد هذا أن يعرفه غيرُ قومه، إمَّا بتعلُّمه بلسانهم وإما بتعريفٍ بلسانٍ يُفْهَمُ به.

والرَّجلُ يكتب كتابَ علمٍ في طبٍّ أو نحوٍ أو حسابٍ بلسان قومه، ثم يُتَرْجَمُ ذلك الكتاب ويُنْقَل إلىٰ لغاتٍ أُخَر، وينتفع به أقوامٌ آخرون، كما تُرْجِمَت كتبُ الطبِّ والحساب التي صُنِّفَت[3] بغير العربي، وانتفع بها العربُ وعرفوا مراد أصحابها، وإن كان المصنِّف لها أولًا إنما صنَّفها بلسان قومه.

وإذا كان هذا في بيان الأمور التي لا يتعلَّق بها سعادة الآخرة والنَّجاة من عذاب الله، فكيف يمتنعُ في العلوم التي يتعلَّق بها سعادة الآخرة والنَّجاة من العذاب أن يُنْقَل من لسانٍ إلىٰ لسانٍ حتىٰ يفهم أهلُ اللسان الثاني بها ما أراده بها المتكلِّم بها أولًا باللسان الأول؟!

وأبناء فارس المسلمون لمَّا كان لهم عنايةٌ[4] بهذا ترجموا مصاحفَ كثيرة، فيكتبونها بالعربيِّ، ويكتبون التَّرجمة بالفارسيَّة، وكانوا قبل الإسلام أبعد

(١) ليست في (د)، وفي (ي): «أو الحواريين».
(٢) من قوله: «وقومه إليهم بعث» إلىٰ هنا ليس في (و).
(٣) مهملة في (ي)، (د، ع): «صنعت».
(٤) ط. العاصمة: «من عناية»، وهو خطأ مخالف للأصول.

عن المسلمين من الرُّوم النَّصارىٰ[1]، فإذا كان الفرسُ المجوسُ قد وصل إليهم معاني القرآن بالعربيِّ وترجمَتْه، فكيف لا يصل إلىٰ أهل الكتاب وهم أقربُ إلىٰ المسلمين منهم؟! وعامَّة الأصول التي يذكرها القرآن عندهم شواهدُها ونظائرُها في التَّوراة والإنجيل والزَّبور وغير ذلك من النبوَّات.

بل كلُّ من تدبَّر نبوَّات الأنبياء وتدبَّر القرآن جزم جزمًا[2] يقينًا بأن محمَّدًا رسول الله حقًّا، وأن موسىٰ رسول الله صدقًا؛ لما يرىٰ من تصادق الكتابين التَّوراة والقرآن، مع العلم بأن موسىٰ عليه السلام لم يأخذ عن محمَّدٍ ﷺ، وأن محمَّدًا ﷺ لم يأخذ عن موسىٰ؛ فإن محمَّدًا ﷺ باتفاق أهل المعرفة بحاله[3] كان أمِّيًّا من قوم أمِّيِّين، مقيمًا بمكة، ولم يكن عندهم من يحفظ التَّوراة ولا الإنجيل ولا الزَّبور، ومحمَّدٌ لم يخرج من بين ظهرانيهم، ولم يسافر قطُّ إلا سفرتين إلىٰ الشَّام: خرج مرةً مع عمِّه أبي طالب قبل الاحتلام، ولم يكن يفارقه، ومرةً أخرىٰ مع ميسرة في تجارته، وكان ابن بضع وعشرين سنة، مع رفقةٍ كانوا يعرفون جميع أحواله، ولم يجتمع قطُّ بعالمٍ أخذ عنه شيئًا لا من علماء اليهود ولا النَّصارىٰ ولا من غيرهم، لا بَحِيرَا ولا غيره، ولكن كان بَحِيرَا الرَّاهب لمَّا رآه عرفه؛ لِمَا كان عنده من ذكره ونعته، فأخبر أهله بذلك، وأمرهم بحفظه من اليهود، ولم يتعلَّم لا من بَحِيرَا ولا من غيره كلمةً واحدة، وسنبيِّن -إن شاء الله- الدلائل الكثيرة علىٰ أنه لم يأخذ عن أحدٍ من أهل الكتاب كلمةً واحدة[4]، وقصَّة بَحِيرَا مذكورة، ذكرها أربابُ السِّيَر وأصحاب المسانيد والسُّنن.

---

(١) ط. العاصمة: «الروم والنَّصارىٰ»، وهو كذلك خطأ مخالف للأصول.

(٢) ساقطة من ط. العاصمة.

(٣) ليست في (و).

(٤) كما سيأتي (١/ ٢٩٩، ٤/ ١١٠-١٢١).

قال الحافظ أبو عيسىٰ محمَّد بن عيسىٰ بن سورة التِّرمذيُّ في جامعه[1]: حدثنا الفضل أبو العباس البغدادي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن غزوان أبو نوح، أخبرنا يونس بن أبي إسحاق، عن أبي بكر بن أبي موسىٰ الأشعري، عن أبيه، قال: خرج أبو طالب إلىٰ الشَّام، وخرج معه النبيُّ ﷺ في أشياخٍ من قريش، فلما أشرفوا علىٰ الرَّاهب هبطوا، فحَلُّوا رحالهم، فخرج إليهم الرَّاهب، وكانوا قبل ذلك يمرُّون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت. قال: فهم يَحُلُّون رحالهم فجعل يتخلَّلهم الرَّاهب حتىٰ جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ، فقال: هذا سيِّد العالمين، هذا رسول ربِّ العالمين، يبعثه الله رحمةً للعالمين. فقال له أشياخٌ من قريش: ما عِلْمُك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجرٌ ولا حجرٌ إلا خرَّ ساجدًا، ولا يسجدان[2] إلا لنبيٍّ، وإني أعرفه بخاتم النبوَّة أسفل من غُرْضُوفِ[3] كتفِه مثل التُّفَّاحة، ثم رجع فصنع لهم طعامًا، فلما أتاهم به -

---

(١) (٣٩٤٨). وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٧٦٩٦)، والبزار (٣٠٩٦)، والحاكم (٢/ ٦٧٢) وغيرهم بهذا الإسناد. وقد تفرَّد به عبد الرحمن بن غزوان، ولقبه قُرَاد، وهو ثقة له أفرادٌ وغرائب، وأنكر حديثه هذا الذهبيُّ في مواضع من كتبه، وقال: «هو حديثٌ منكرٌ جدًّا»، وقال: «يشهد القلب بوضعه»، وقال متعقبًا الحاكم في تصحيحه: «أظنه موضوعًا، وبعضه باطل»، انظر: «تاريخ الإسلام» (١/ ٥٠٢- ٥٠٤)، و«المغني» (٢/ ٣٨٤)، و«تلخيص المستدرك» (٢/ ١٠٧٤- مختصره لابن الملقن)، و«السير» (٩/ ٥١٩)، و«الميزان» (٢/ ٥٨١)، وابن القيم في بعض فوائده (٢١- ٥٣)، وقال: «لم يروه البخاري ولا مسلم ولا أحدٌ من أصحاب الصحيح»، ثم قال: «وهو حديثٌ منكرٌ جدًّا من وجوه»، وأفاض في بيان ما تضمَّنه من ألفاظٍ منكرة. والأشبه أن أصل الحديث محفوظ، وفيه زياداتٌ وألفاظٌ وَهِمَ فيها قُرَاد أو شيخه يونس، كما أشار إلىٰ ذلك ابن كثير في «الفصول» (٩٤)، وابن حجر في «هدىٰ الساري» (٤١٨)، و«الفتح» (٨/ ٧١٦)، و«الإصابة» (١/ ٦٤٣)، وقد ميَّزت تلك الألفاظ بحرفٍ غليظ، وأحسن شيخ الإسلام إذ أسقط من الرواية أن أبا بكرٍ بعث مع النبي ﷺ بلالًا حين ردَّه أبو طالب، فإنها غلطٌ بلا ريب.

(٢) (د، و، ي): «يسجدن». والمثبت من (ع) يوافق رواية الترمذي.

(٣) الغرضوف والغضروف: كل عظم ليِّن. «التاج» (غرضف).

وكان هو في رِعْيَة الإبل-، فقال: أرسِلوا إليه، فأقبل **وعليه غمامةٌ تُظِلُّه**، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلىٰ فيء الشجرة، **فلما جلس مال فيءُ الشجرة عليه**، فقال: انظروا إلىٰ فيء الشجرة مال عليه. قال: فبينما هو قائمٌ عليهم يناشدهم أن لا يذهبوا به إلىٰ الرُّوم، فإن الرُّوم إن رأوه عرفوه بالصِّفة فيقتلونه، فالتفتَ فإذا بسبعةٍ قد أقبلوا من الرُّوم، فاستقبلهم الرَّاهب، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جئنا أنَّ هذا النبيَّ خارجٌ في هذا الشَّهر، فلم يبق طريقٌ إلا بُعِثَ إليه بأناس، وإنا قد أُخْبِرْنا خبَرَه لطريقك[(١)] هذه. فقال: أفرأيتم أمرًا أراد الله أن يقضيه، هل يستطيع أحدٌ من النَّاس ردَّه؟ قالوا: لا. قال: **فتابَعُوه**[(٢)] وأقاموا معه. قال: أنشدكم الله يا معشر العرب أيكم وليُّه؟ فقال أبو طالب: أنا، فلم يزل يناشده حتىٰ **ردَّه أبو طالب**، وزوَّده الرَّاهبُ من الكعك والزَّيت.

قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

ورواه البيهقي في كتاب «دلائل النبوَّة»[(٣)] من حديث العباس بن محمَّد، عن قُرَادٍ أبي نوح[(٤)]، وقال العباس[(٥)]: لم يحدِّث به -يعني بهذا الإسناد- غير قُراد، وسمعه يحيىٰ وأحمد من قُرَاد.

قال البيهقي: «أراد أنه لم يحدِّث به[(٦)] بهذا الإسناد سوىٰ هؤلاء[(٧)]، فأما القصَّة فهي عند أهل المغازي مشهورة».

---

(١) (د، ع): «بطريقك».

(٢) كذا في الأصول، وهي رواية البزار وابن أبي شيبة وغيرهما. وعند الترمذي وغيره: «فبايعوه». وانظر: «الزهر الباسم» لمغلطاي (١/ ٤٤٢).

(٣) (٢/ ٢٤- ٢٦).

(٤) ط. العاصمة: «بن نوح»، وهو خطأ مخالف للأصول والمصادر.

(٥) العباس بن محمد الدوري الحافظ.

(٦) ساقطة من ط. العاصمة.

(٧) في مطبوع «الدلائل»: «وإنما أراد به بإسناده هذا موصولًا».

وقال ابن سعد في «الطبقات»[1]: حدثنا محمَّد بن عمر، قال: حدثني محمَّد بن صالح وعبد الله بن جعفر وإبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة، عن داود بن الحصين، قال: لمَّا بلغ رسول الله ﷺ اثنتي عشرة سنة خرج به أبو طالب إلىٰ الشَّام في العِير التي خرج فيها للتِّجارة، فنزلوا بالرَّاهب بَحِيرَا، فقال بَحِيرَا لأبي طالب في النبيِّ ﷺ ما قال، وأمره أن يحتفظ به، فردَّه أبو طالب معه إلىٰ مكة، وشبَّ رسول الله ﷺ مع أبي طالب، يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أمور الجاهلية ومعايبها؛ لِمَا يريده به من كرامته، حتىٰ بلغ أن كان رجلًا، أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقًا، وأكرمهم مخالطة، وأعظمهم حلمًا وأمانة، وأصدقهم حديثًا، وأبعدهم من الفحش والأذىٰ، فما رئي مُلَاحِيًا ولا مُمَارِيًا أحدًا، حتىٰ سمَّاه قومه: الأمين؛ لِمَا جُمِعَ فيه من الأمور الصَّالحة.

وقال ابن الجوزي[2]: خرج أبو طالب إلىٰ الشَّام، ومعه رسول الله ﷺ، وهو ابن اثنتي عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام، فنزل الرَّكبُ ببُصْرَىٰ وبها راهبٌ يقال له: بَحِيرَا في صومعةٍ له، وكان ذا علمٍ بالنصرانية، ولم يزل في تلك الصَّومعة راهبٌ تنتهي إليه علمُ النصرانية صاغرًا عن كابر، وفيها كتبٌ يَدْرُسونها، وكان كثيرًا ما يمرُّ به[3] الرَّكبُ فلا يكلِّمهم، حتىٰ إذا كان في ذلك العام نزلوا منزلًا قريبًا من الصَّومعة، فصنع لهم الرَّاهب طعامًا، ودعاهم، وإنما حمله علىٰ ذلك لشيءٍ رآه، فلمَّا رأىٰ بَحِيرَا ذلك نزل من صومعته، وأمر بذلك الطعام، فحضر، وأرسل إلىٰ القوم، فقال: يا معشر قريش، أحبُّ أن تحضروا طعامي ولا يتخلَّف منكم أحد، فقال: وهذا شيءٌ تكرموني [به]، فلمَّا حضروا عنده جعل يلاحظ النبيَّ ﷺ لحظًا شديدًا، وينظر إلىٰ جسده، وجعل أبو طالب

---

(١) (١/ ٩٩). وهو معضل، داود بن الحصين من أتباع التابعين.
(٢) انظر: «المنتظم» (٢/ ٢٩٢)، و«الوفا» (٨٢)، و«صفة الصفوة» (١/ ٢٨).
(٣) ساقطة من ط. العاصمة.

يخاف عليه من الرَّاهب، ثم قال الرَّاهب لأبي طالب: ارجع بابن أخيك؛ فإنه كائنٌ له شأنٌ عظيم، فإنَّا نجد صفته في كتبنا، ونرويه[1] عن آبائنا، فلمَّا فرغوا من التِّجارة رجع به أبو طالب سريعًا إلىٰ مكة، فما خرج بعدها به أبو طالب خوفًا عليه.

هذا مع أن في القرآن من الردِّ علىٰ أهل الكتاب في بعض ما حرَّفوه، مثل دعواهم أن المسيح عليه السلام صُلِبَ، وقول بعضهم: إنه إله، وقول بعضهم: إنه ساحر، وطعنهم علىٰ سليمان عليه السلام وقولهم: إنه كان ساحرًا، وأمثال ذلك = ما يبيِّن أنه لم يأخذ عنهم.

وفي القرآن من قصص الأنبياء عليهم السَّلام ما لا يوجد في التَّوراة ولا الإنجيل[2]، مثل قصَّة هود وصالح وشعيب وغير ذلك.

وفي القرآن مِن ذكرِ المعاد وتفصيله، وصفة الجنَّة والنَّار، والنَّعيم والعذاب، ما لا يوجد مثله في التَّوراة والإنجيل، بل التَّوراة ليس فيها تصريحٌ بذكر المعاد، وعامَّة ما فيها من الوعد والوعيد فهو في الدُّنيا، كالوعد بالرِّزق والنصر والعاقبة، والوعيد بالقحط والأمراض والأعداء[3]. وإن كان ذكرُ المعاد موجودًا في غير التَّوراة من النبوَّات، ولهذا كان أهل الكتاب يُقِرُّون بالمعاد وقيام القيامة الكبرىٰ، وقد قيل: إن ذلك مذكورٌ في التَّوراة أيضًا، لكن لم يُبْسَط كما بُسِط في غير التَّوراة.

---

(١) مهملة في (د، ي). (ع): «فيرونه»، (و): «ويروونه»، وكلاهما خطأ، وأثبتت الثاني منهما ط. العاصمة. وفي «المنتظم» و«صفة الصفوة»: «وما روينا».

(٢) (و): «والإنجيل».

(٣) انظر: «درء التعارض» (٥/ ٣١٠)، و«المنهاج» للحليمي (١/ ٣٦٨، ٣٦٩)، و«تنقيح الأبحاث» لابن كمونة (٤٠)، و«قصة الحضارة» (٢/ ٣٤٥)، و«اليهودية» لأحمد شلبي (١٩٥)، و«موسوعة اليهود واليهودية» للمسيري (٥/ ٢٧٨، ٢٨٣، ٢٨٩).

فصل

فإن قالوا: إن الكتب التي عندنا من التَّوراة والإنجيل وغيرهما ترجَمها لنا الحواريُّون، وهم عندنا رسلٌ معصومون، وترجموها لجميع الأمم، بخلاف القرآن؛ فإنه إنما يترجمه من ليس بمعصوم.

فعن هذا أجوبة:

أحدها: أن هذا كذبٌ بيِّن؛ فإن من العرب من النَّصارىٰ من لا يحصي عدده إلا الله تعالىٰ، وكان فيهم نصارىٰ كثيرون تنصَّروا قبل مبعث محمَّدٍ ﷺ، وكان فيهم قومٌ علىٰ دين المسيح الذي لم يبدَّل، وهم مؤمنون من أهل الجنَّة، كسائر من كان علىٰ دين المسيح عليه السلام؛ فإن كلَّ من كان علىٰ دين المسيح عليه السلام الذي لم يبدَّل قبل مبعث محمَّدٍ ﷺ فإنه مؤمنٌ مسلمٌ من أهل الجنَّة.

ومع هذا فليس علىٰ وجه الأرض توراةٌ ولا إنجيلٌ مُعَرَّبٌ من عهد الحواريِّين، بل التَّوراة العِبْرية تُنْقَلُ من اللسان العِبْريِّ أو غيره إلىٰ العربيَّة، وكذلك الإنجيل يُنْقَلُ من اللسان الرُّومي أو السُّرياني أو اليوناني[1] أو غيرها إلىٰ العربيَّة.

فلو كان عند كلِّ أمَّةٍ من الأمم توراةٌ وإنجيلٌ ونبوَّاتٌ بلسانهم لكان نصارىٰ العرب أحقَّ بهذا من نصارىٰ الحبشة والصَّقالبة والهند؛ فإنهم جيران البيت المقدَّس، وهم بنو إسماعيل عليه السلام.

والأناجيل عندهم أربعة، وهم يدَّعون أن كلَّ واحدٍ كتبها بلسانٍ، كُتِبَت بلسان العِبْري والرُّومي واليوناني، مع أن في بعض الأناجيل ما ليس في بعض،

---

(١) «أو اليوناني» ليست في (د)، وأخرت في (ي) إلىٰ بعد «العربية».

مثل قولهم: «عمِّدوا النَّاس باسم الأب والابن وروح القُدُس» الذي جعلوه أصل دينهم، وهذا إنما هو قوله في إنجيل متَّىٰ[1].

وإذا كان كلُّ واحدٍ من الأربعة كتب إنجيلًا بلسانه لم يكن هناك إنجيلٌ واحدٌ أصليٌّ ترجع إليه الأناجيلُ كلُّها.

ثم هم مع هذا يدَّعون أنها تُرْجِمَت باثنين وسبعين لسانًا، وهذا فيه من الكذب والتناقض أمورٌ سننبه إن شاء الله علىٰ بعضها، لكن غاية ما يدَّعون أنه تُرْجِمَ باثنين وسبعين لسانًا، ومعلومٌ أن الألسنة الموجودة في بني آدم في جميع المعمورة في زماننا وقبل زماننا أكثر من هذا، كما يعرفه من عَرَف أحوال العالم، بل اللسان الواحد كالعربي والفارسي والتُّركي جنسٌ تحته أنواعٌ مختلفةٌ لا يفهَم بعضُهم لسانَ بعض إلا أن يتعلَّمه منهم.

والعرب أقربُ الأمم إلىٰ بني إسحاق بني إسرائيل والعِيص[2]؛ فإنهم بنو إسماعيل وجيرانهم، فإن أهل الحجاز جيران الشَّام، ومكة لم تزل تَحُجُّ إليها العرب، ولم يكن قطُّ عند العرب توراةٌ ولا إنجيلٌ عربيَّان من عهد المسيح عليه السلام، بل ولا كان بمكة لا توراةٌ ولا إنجيلٌ لا معرَّبٌ ولا غير معرَّب، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [القصص: ٤٦]، فكيف يُدَّعىٰ أن التَّوراة والإنجيل ترجمها الحواريُّون لكلِّ قومٍ من جميع بني آدم شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالًا بلسانٍ يفهمونه به؟! وهل يقولُ هذا إلا من هو من أكذب النَّاس وأجهلهم؟!

---

(١) إنجيل متىٰ (٢٨: ١٩).

(٢) العيص بن إسحاق بن إبراهيم، أخو يعقوب (إسرائيل)، عليهم السلام. انظر: تاريخ ابن جرير (١/ ٣١٩، ٣٣٠)، و«المنتظم» (١/ ٣٠٧).

الوجه الثاني: أن يقال: ترجمةُ الكلام من لغةٍ إلىٰ لغةٍ لا تحتاج إلىٰ معصوم، بل هذا أمرٌ تَعْلَمُه الأمم، فكلُّ من عرف اللسانين أمكنه التَّرجمة، ويحصُل العلمُ بذلك إذا كان المترجمون كثيرين متفرِّقين لا يتواطؤون علىٰ الكذب، وبقرائن تقترن بخبر أحدهم، وبغير ذلك، وهذا موجودٌ معلوم. بل إذا ترجمه اثنان كلٌّ منهما لا يعرفُ ما يقوله الآخر، ولم يتواطئا[1]، حصل بذلك المقصود في الغالب، وهم يذكرون أن التَّوراة ترجمها اثنان وسبعون حبرًا من اليهود، ولم يكونوا معصومين، وأن[2] المَلِك فرَّقهم لئلا يتواطؤوا علىٰ الكذب، واتَّفقوا علىٰ ترجمةٍ واحدة، وهذا كان بعد الخراب الأول، فهكذا يمكنُ ترجمةُ غير التَّوراة.

وهذه التَّوراة في زماننا والإنجيل والزَّبور يُتَرْجَمُ باللغة العربيَّة، ويُعْرَفُ المقصودُ به بلا ريب، فكيف بالقرآن الذي يفهَم أهلُه معناه، ويفسِّرونه، ويترجمونه أكملَ وأحسنَ ممَّا يترجم أهلُ التَّوراة والإنجيل التَّوراة والإنجيل؟!

الوجه الثالث: أن دعوىٰ العصمة في كلِّ واحدٍ من الحواريِّين، وأنهم رسل الله بمنزلة إبراهيم وموسىٰ عليهما السَّلام، دعوىٰ ممنوعة، وهي باطلة، وإنما هم رسلُ المسيح عليه السلام، بمنزلة رسل موسىٰ ورسل إبراهيم ورسل محمَّد صلىٰ الله عليهم وسلَّم، وأكثر النَّصارىٰ أو كثيرٌ منهم[3] أو كلُّهم يقولون: هم رسلُ الله وليسوا بأنبياء.

وكلُّ من ليس بنبيٍّ فليس برسولٍ لله[4]، وليس بمعصوم، وإن كانت له خوارقُ عاداتٍ، كأولياء الله من المسلمين وغيرهم؛ فإنه وإن كانت لهم كراماتٌ

---

(١) ط. العاصمة: «يتواطئوا»، خلاف الأصول.

(٢) (ي): «فإن».

(٣) (و): «أو أكثرهم».

(٤) (ي، د، ع): «برسول الله».

من الخوارق فليسوا معصومين من الخطأ، والخوارق التي تجري علىٰ يدي غير الأنبياء عليهم السَّلام لا تدلُّ علىٰ أن أصحابها أولياء الله عند أكثر العلماء، فضلًا عن كونهم معصومين؛ فإن وليَّ الله من يموت علىٰ الإيمان، ومجرَّد الخارق لا يدلُّ علىٰ أنه يموت علىٰ الإيمان، بل قد يتغيَّر عن ذلك الحال.

وإذا قطعنا بأن الرجل وليُّ الله، كمن أخبر النبيُّ ﷺ بأنه من أهل الجنَّة[1]، فلا يجب الإيمانُ بكلِّ ما يقوله إن لم يوافق ما قالته الأنبياء، بخلاف الأنبياء عليهم السَّلام؛ فإنهم معصومون، لا يجوز أن يستقرَّ فيما يبلِّغونه خطأ، ولهذا أوجب الله الإيمان بهم، ومن كفر بواحدٍ منهم فهو كافر، ومن يسبُّ واحدًا منهم وجب قتله في شرع الإسلام، كما قال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٦- ١٣٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وهذا مبسوطٌ في موضعٍ آخر[2].

---

(١) من قوله: «تجري علىٰ» إلىٰ هنا ليس في (د)، واستدرك في طرة (ع)، وهو في (ي، و).

(٢) انظر: «الصفدية» (١/ ٢٦١، ٢/ ٣١١)، و«شرح الأصبهانية» (٦١٥)، و«الصارم المسلول» (١٨٨، ١٩١، ٤٢١، ١٠٤٨)، و«الإخنائية» (٤٧٣)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٢٩٠، ١٩/ ١٨٥).

فصل

وأما قولهم: «لا يلزمنا اتباعه؛ لأننا نحن قد أتانا رسلٌ من قبله، خاطبونا بألسنتنا، وأنذرونا بديننا الذي نحن متمسِّكون به يومنا هذا، وسلَّموا إلينا التَّوراة والإنجيل بلغتنا، علىٰ ما يشهد لهما الكتابُ الذي أتىٰ به هذا الرَّجل[1]، حيث يقول في سورة إبراهيم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقال في النحل[2]: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل: ٣٦]»[3].

فالجواب عنه من وجوه:

أحدها: أن إثبات رسولٍ من قبله إليكم لا يمنعُ إتيانَ رسولٍ ثانٍ؛ فإن بني إسرائيل قد بعث الله إليهم موسىٰ عليه السلام، وكانوا علىٰ شريعة التَّوراة، ثم بعث الله تبارك وتعالى إليهم المسيح عليه السلام، ووجب[4] عليهم الإيمانُ به، ومن لم يؤمن به كان كافرًا وإن قال: إني متمسِّكٌ بالكتاب الذي أُنزِل إليَّ. فكذلك إذا أرسل الله رسولًا بعد المسيح وجب الإيمانُ به، ومن لم يؤمن به كان كافرًا، كما أن من لم يؤمن بالمسيح من بني إسرائيل كان كافرًا.

وبنو إسرائيل أكثر اختصاصًا بموسىٰ والتَّوراة من الرُّوم وغيرهم بالمسيح[5] والإنجيل؛ فإنهم كانوا عِبْرانيين والتَّوراة عِبْرانية.

الوجه الثاني: دعواهم أنهم متمسِّكون في هذا الوقت بالدِّين الذي نقله

---

(١) ليست في (د، ي، ع)، وألحقت في (و) مع التصحيح.

(٢) ط. النيل: «سورة النحل».

(٣) رسالة بولس الأنطاكي (٤١٤).

(٤) (ي، د، ع): «وجب».

(٥) مهملة في (ي، و). وفي (د): «فالمسيح»، وهو تحريف، وأثبتته ط. النيل والعاصمة، والصواب المثبت من (ع).

الحواريُّون عن المسيح عليه السلام كذبٌ ظاهر، بل هم عامَّة ما هم عليه من الدِّين عقائده وشرائعه، كالأمانة، والصَّلاة إلىٰ المشرق، واتِّخاذ الصُّوَر والتماثيل في الكنائس، واتِّخاذها وسائط، والاستشفاع بأصحابها، وجعلِ الأعياد بأسمائهم، وبناء الكنائس علىٰ أسمائهم، واستحلال الخنزير، وترك الختان، والرَّهبانيَّة، وجعلِ الصِّيام في الرَّبيع، وجعلِه خمسين يومًا، والصَّلوات، والقرابين، والنَّاموس = لم ينقله الحواريُّون عن المسيح، ولا هو موجودٌ لا في التَّوراة ولا في الإنجيل، وإنما هم متمسِّكون بقليلٍ ممَّا جاءت به الأنبياء.

وأمَّا كفريَّاتهم وبدعهم فكثيرةٌ جدًّا، ولا ينقل[(١)] أحدٌ عن المسيح والحواريِّين أنهم أمروهم أن يقولوا ما يقولونه في صلاتهم السَّحَرية: «تعالوا بنا نسجد للمسيح إلهنا»، وفي الصلاة الثانية والثالثة: «يا والدة الإله، مريم العذراء، افتحي لنا أبواب الرَّحمة»[(٢)].

الوجه الثالث: قولهم: إنهم سلَّموا إليهم[(٣)] التَّوراة والإنجيل بلغاتهم، إنما يستقيم إن كان صحيحًا في بعض النَّصارىٰ لا في جميعهم؛ فإن العرب من النَّصارىٰ وغير العرب لم يسلِّم أحدٌ إليهم توراةً وإنجيلًا بلسانهم، وهذا أمرٌ معروف، ولا يوجد[(٤)] قطُّ توراةٌ ولا إنجيلٌ معرَّبٌ من زمن الحواريِّين، وإنما عُرِّبت في الأزمان المتأخرة، فإذا كانت النَّصارىٰ من العرب تقوم[(٥)] عليهم الحجَّة قبل محمَّدٍ ﷺ بكتابٍ نزل بغير لسانهم ثم عُرِّبَ لهم، فكيف لا تقوم علىٰ الرُّوم وغيرهم الحجَّة بكتابٍ نزل بغير لسانهم ثم تُرْجِمَ بلسانهم؟!

---

(١) ط. العاصمة: «لم ينقل»، خلاف الأصول.

(٢) انظر: «تخجيل من حرَّف التوراة والإنجيل» (١/ ١٢١، ٣٦٣، ٢/ ٦٢٩).

(٣) (د، ع): «إلينا».

(٤) (و): «توجد».

(٥) (ي): «لن تقوم»، وهو خطأ.

الوجه الرابع: أن يقال: الأمَّة إذا غيَّرت دينَ رسولها الذي أُرسِل إليها وبدَّلته أرسل الله إليها من يدعوها إلىٰ الدِّين الذي يحبُّه الله ويرضاه، كما أن بني إسرائيل لمَّا غيَّروا دينَ موسىٰ وبدَّلوه بعث الله إليهم وإلىٰ غيرهم المسيحَ بالدِّين الذي يحبُّه ويرضاه(1)، وكذلك النَّصارىٰ لمَّا بدَّلوا دينَ المسيح وغيَّروه بعث الله إليهم وإلىٰ غيرهم محمَّدًا ﷺ بالدِّين الذي يحبُّه ويرضاه.

وقد ثبت في الصَّحيح(2) عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إن الله نظر إلىٰ أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب**»، وأولئك البقايا الذين كانوا(3) متمسِّكين بدين المسيح قبل مبعث محمَّدٍ ﷺ كانوا علىٰ دين الله ﷻ، وأما مِن حين بُعِثَ محمَّدٌ ﷺ فمن لم يؤمن به فهو من أهل النَّار، كما قال ﷺ في الحديث الصَّحيح: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمَّة يهوديٌّ ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسِلتُ به، إلا كان من أصحاب النَّار**»(4).

الوجه الخامس: أن يقال: دعواهم أن الرُّسل سلَّموا إليهم التَّوراة والإنجيل وسائر النبوَّات باثنين وسبعين لسانًا، وأنها باقيةٌ إلىٰ اليوم علىٰ لفظٍ واحد، دعوىٰ يُعْلَمُ أن قائلها متكلِّمٌ(5) بلا علم، بل مفترٍ كاذب(6)، وذلك أن هذا يقتضي أنه الآن في الأرض هذه الكتب باثنين وسبعينَ لسانًا، كلها منقولةٌ

---

(1) (د، ع): «يحبه الله».

(2) صحيح مسلم (2865) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه.

(3) (ي): «وأولئك البقايا إن كانوا».

(4) أخرجه مسلم (153) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(5) مهملة في (ي)، (د، و، ع): «يتكلم». والأشبه ما أثبت.

(6) (و): «كذاب».

عن الحواريِّين، وكلها متَّفقةٌ غير مختلفةٍ البتَّة، فهُنَا[1] أربع دعاوىٰ:

* أنها موجودةٌ باثنين وسبعين لسانًا.

* وأنها متَّفقة.

* وأنها كلها منقولةٌ عن الحواريِّين.

* الرابعة: أنهم معصومون.

فيقال: من الذي منكم لو قُدِّرَ أن هذه الكتب التي باثنين وسبعين لسانًا هي عن الحواريِّين، وهي موجودةٌ اليوم، فمن الذي يمكنه أن يشهد بموافقة بعضها بعضًا؟!

وذلك لا يمكن إلا لمن يَعْلَم الاثنين وسبعين لسانًا، ويكون ما عنده من الكتب يَعْلَم أنها[2] مأخوذةٌ عن الحواريِّين، ويَعْلَم أن كلَّ نسخةٍ في العالم بذلك[3] اللسان توافق النُّسخة التي عنده، وإلا فلو جمَع اثنين[4] وسبعين نسخةً باثنين وسبعين لسانًا لم يَعْلَم أن كلَّ نسخةٍ من هذه هي المأخوذة عن الحواريِّين إن قُدِّرَ أنه أُخِذَ عنهم اثنان وسبعون[5] لسانًا، ولا يَعْلَم أن كلَّ نسخةٍ في العالم توافق تلك النسخة[6]؛ فإنه من المعلوم أنه في زماننا وقبل زماننا لم تزل هذه الكتبُ تُنْقَل من لسانٍ إلىٰ لسان، كما يُتَرْجَم من العِبْرانيَّة إلىٰ العربيَّة،

---

(١) في الأصول: «فهذا»، وكذلك أثبتتها الطبعات، وهو تحريف. والتركيب كثير الوقوع في كلام المصنف.
(٢) (ع، د): «أنما هي».
(٣) ط. العاصمة: «بهذا»، خلاف الأصول.
(٤) كذا في الأصول، من باب الحمل علىٰ المعنىٰ، والجادة: اثنتين.
(٥) (ع، د): «اثنين وسبعين».
(٦) من قوله: «ولا يعلم أن كل نسخة» إلىٰ هنا ليس في (و، ي).

ومن السُّريانية والرُّومية واليونانية إلىٰ العربيَّة وغيرها، وحينئذٍ فإذا وُجِدت نسخةٌ بالعربيَّة لم يَعْلَم أنها ممَّا عُرِّبَت بعد الحواريِّين، أو هي من المأخوذ عن الحواريِّين، إذا قُدِّرَ أنه أُخِذَ عنهم نسخةٌ بالعربيَّة.

ولا يمكنُ أحدًا[1] أن يجمع جميعَ النُّسخ المعرَّبة، ويقابل بينها، بل وقد وجدنا النُّسخ المعرَّبة يخالف بعضها بعضًا في التَّرجمة مخالفةً شديدةً تمنع الثِّقة ببعضها.

وقد رأيتُ أنا بالزَّبور عدَّة نسخ معرَّبة بينها من الاختلاف ما لا يكاد ينضبط، وما يشهد بأنها مبدَّلةٌ مغيَّرةٌ لا يوثق بها، ورأيتُ من التَّوراة المعرَّبة من النُّسخ ما يكذِّب بكثيرٍ من ترجمتها طائفةٌ من أهل الكتاب.

فكيف يمكنه أن يجمعَ جميع النُّسخ التي بالاثنين وسبعين لسانًا، ويقابل بين نسخ كلِّ لسانٍ حتىٰ يكون فيها النُّسخة القديمة المأخوذة عن الحواريِّين، ثم يقابل بين نسخ جميع الألسنة؟!

ولا يمكن ذلك إلا لمن يكون عارفًا بالاثنين وسبعين لسانًا معرفةً تامَّة، وليس في بني آدم من يقدر علىٰ ذلك، ولو قُدِّر وجود ذلك فلم يُعْرَف أن القادر علىٰ ذلك فعل ذلك وأخبَرنا باتفاقها.

ولو وُجِد ذلك لكان هذا خبرَ واحد، وأن يُتَرجِم[2] كلَّ لسانٍ من يعلم صحَّة ترجمته حتىٰ تنتهي التَّرجمة إلىٰ لسانٍ واحدٍ كالعربيِّ مثلًا، ويعلم حينئذٍ اتفاقها.

---

(١) غيَّرتها ط. العاصمة إلىٰ «لأحد» متابعة لطبعة المدني ومخالفة للأصول، وهي علىٰ الصواب في ط. النيل.

(٢) (ي، و): «أو أن يترجم».

وإلا فإذا تُرْجِم هذا الكتاب بلسانٍ أو لسانين أو أكثر، وتُرْجِم الآخر كذلك، لم يعلم اتفاقها إن لم يعلم أن المعنىٰ بهذا اللسان هو المعنىٰ بهذا اللسان، وهذا لا يكون إلا ممَّن يعرف اللسانين، أو من يُتَرْجَم له اللسانان باللسان الذي يعرفه. ومعلومٌ أن أحدًا لم يُتَرْجَم له الاثنان وسبعون لسانًا بلسانٍ واحد أو ألسنةٍ يعرفها، ولا يُعْرَفُ أحدٌ باثنين وسبعين لسانًا.

وحينئذٍ، فالجزم باتفاق جميع الكتب المكتوبة باثنين وسبعين لسانًا، أو الجزم بأنَّ نسخ كلِّ لسانٍ متَّفقة، جزمٌ بما لا يُعْلَمُ صحَّتُه، لو لم يكن في الأرض اليوم الاثنان وسبعون لسانًا منقولة عن الحواريِّين لم تختلط بالمترجم بعد ذلك، فكيف وأكثر ما بأيدي النَّاس هو ممَّا تُرْجِمَ بعد ذلك بالعربي وغيره؟!

هذا إذا ثبت أن الحواريِّين سلَّموها باثنين وسبعين لسانًا، وأنها باقيةٌ إلىٰ اليوم، وهذا أمرٌ لا يمكن أحدًا معرفتُه، فليس اليوم توراةٌ وإنجيلٌ ونبوَّاتٌ يشهد لها أحدٌ أنها مترجَمةٌ باللسان العربيِّ من عهد الحواريِّين، بل ولا بأكثر الألسنة، وإلا فإذا قُدِّر أن الحواريِّين سلَّموها باثنين وسبعين لسانًا مع حصول التَّرجمة بعد ذلك وكثرة المترجَمات أمكن وقوعُ التَّغيير في بعض المترجَمات.

وحينئذٍ، فالعلمُ بأن تلك النُّسخ القديمة[1] لا تغيير[2] فيها، لا يمنعُ وقوعَ التغيير في بعض ما تُرْجِم بعدها، أو في بعض ما نُسِخ منها[3]، ولا سبيل إلىٰ العلم باتفاقها مع كونها باثنين وسبعين لسانًا، بخلاف القرآن الذي هو بلسان العرب وخطِّ العرب؛ فإن العلم باتفاق ما يوجد من نُسَخِه[4] ممكنٌ، وهو

---

(١) ليست في (د، ع).

(٢) ط. العاصمة: «تتغير»، وهو خطأ مخالف للأصول.

(٣) (د، ع): «بعدها».

(٤) ط. العاصمة: «نسخة»، وهو خطأ مخالف للأصول.

محفوظٌ في الصُّدور، لا يحتاج إلىٰ حفظٍ في الكتب، فهو منقولٌ بالتواتر لفظًا وخطًّا.

الوجه السادس: قولهم: «وسلَّموا إلينا التَّوراة والإنجيل بلساننا، علىٰ ما يشهد لهما الكتابُ الذي أتىٰ به هذا الرَّجل[1]».

فيقال لهم: ليس في القرآن ما يشهد لكم بأن التَّوراة والإنجيل سُلِّمَت إليكم بلسانكم، فاستشهادكم بالقرآن علىٰ هذه الدعوىٰ من جنس استشهادكم به علىٰ أن دينكم حقٌّ، ومن جنس استشهادكم بالنبوَّات علىٰ ما أحدثتموه وغيَّرتم به دينَ المسيح عليه السلام من التثليث والاتِّحاد وغير ذلك.

وقولهم: «حيث يقول الله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤] وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا﴾ [النحل: ٣٦]».

فيقال: لا ريب أن قوم موسىٰ عليه السلام هم بنو إسرائيل، وبلسانهم نزلت التَّوراة، وكذلك بنو إسرائيل هم قوم المسيح عليه السلام، وبلسانهم كان المسيحُ يتكلَّم، فلم يخاطِب واحدٌ من الرَّسولَيْن أحدًا إلا باللسان العِبْراني، لم يتكلَّم أحدٌ منهما لا بروميَّةٍ ولا سُريانيَّةٍ ولا يونانيةٍ ولا قِبْطية.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا﴾ [النحل: ٣٦] كلامٌ مطلقٌ عامٌّ، كقوله: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ [فاطر: ٢٤]، ليس في هذا تعرُّضٌ لكون التَّوراة والإنجيل سُلِّمَت إليهم بألسنتهم.

الوجه السابع: أن يقال: عمدتهم في هذه الحجَّة أنهم يقولون: الحواريُّون هم عندنا رسل الله، كإبراهيم وموسىٰ، والمسيح عندنا هو الله، وهو أرسل

---

(١) ليست في (ع، ي، د).

هؤلاء إلينا[1]، فيجب أن يكونوا أُرسِلوا إلينا بلساننا، وأن يكونوا سلَّموا إلينا التَّوراة والإنجيل بلساننا.

فيقال لهم: هَبْ أنكم تدَّعون هذا وتعتقدونه -ونحن سنبيِّن إن شاء الله تعالىٰ أن هذه دعاوىٰ باطلة-، لكن أنتم في هذا المقام تذكرون أن هذا الكتابَ الذي هو القرآن الذي جاء به محمَّدٌ ﷺ يشهد لكم بذلك، وهذا كذبٌ ظاهرٌ علىٰ محمَّد ﷺ وعلىٰ كتابه، وأنتم صدَّرتم كتابكم بأن كتابه يشهد لكم.

ونحن نبيِّن كذبكم وافتراءكم عليه، سواءٌ أقررتم بنبوَّته أو لم تُقِرُّوا بها؛ فإنه من المعلوم يقينًا عنه أنه لم يشهد للمسيح بأنه الله، بل كفَّر من قال ذلك، ولا يشهد للحواريِّين بأنهم رسلٌ أرسلهم الله، بل إنما شهد للحواريِّين بأنهم قالوا: إنا مؤمنون مسلمون، وأنهم قالوا: نحن أنصار الله، كما شهد لمن آمن به بأنهم مؤمنون مسلمون ينصرون الله ورسوله، بل وأنهم أفضل من الحواريِّين؛ لكون أمَّته خير الأمم، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

(١) (و): «إلينا هؤلاء».

وسيأتي الكلام علىٰ هذا مبسوطًا[1]، ونبيِّن أن الرُّسل المذكورين في سورة «يس» ليس هم الحواريِّين[2]، ولا كانوا رسلًا للمسيح، بل كان هذا الإرسال قبل المسيح، وأهلُ القرية كذَّبوا أولئك الرُّسل، فأهلكهم الله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ [يس: ٢٨-٢٩].

والرُّسل المذكورون في سورة «يس» هم ثلاثة، وكان في القرية رجلٌ آمن بهم، وهذه وإن كانت أنطاكِيَة[3] فكان هذا الإرسال قبل المسيح، والمسيح عليه السلام ذهب إلىٰ أنطاكِيَة اثنان من أصحابه بعد رفعه إلىٰ السَّماء، ولم يُعَزَّزوا بثالث، ولا كان حبيبٌ النَّجار[4] موجودًا إذ ذاك، وآمن أهل أنطاكية بالمسيح عليه السلام، وهم[5] أول مدينةٍ آمنت به[6]، كما قد بُسِط في غير هذا الموضع[7].

والمقصود هنا أن محمَّدًا ﷺ لم يشهد للمسيح بالإلهيَّة، ولا للحواريِّين بأنهم رسل الله، ولا أنهم سلَّموا إليهم التَّوراة والإنجيل بلسانهم، ولا بأنهم معصومون.

---

(١) (١/ ٤٢٥-٤٣٣).
(٢) (ي، و، د): «الحواريون».
(٣) مدينة تاريخية علىٰ الضفة اليسرىٰ لنهر العاصي، شمال غرب الشام، تبعد ٣٠ كيلًا من شاطئ البحر المتوسط، كانت تابعة لحلب ضمن لواء إسكندرون، ثم آلت إلىٰ تركيا منذ سنة ١٩٣٩ وهي اليوم ضمن محافظة هتاي.
(٤) الرجل الذي جاء من أقصىٰ المدينة يسعىٰ، المذكور في سورة يس. انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٥٧٠).
(٥) ط. العاصمة: «وهي» خلاف الأصول وط. النيل.
(٦) انظر: سِفر أعمال الرسل (١١: ٢٦).
(٧) انظر: «جامع الرسائل» (١/ ٦٦)، وما سيأتي (١/ ٤٢٦).

وما ذكروه من قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ٤] إنما يتناول رُسُلَ الله، لا رُسُلَ رُسُلِ الله، بل رُسُلُ رُسُلِ الله يجوز أن يبلِّغوا رسالات الرُّسل بلسان الرُّسل إذا كان هناك من يترجم لهم ذلك اللسان، وإن لم يكن هناك من يترجم ذلك اللسان كانت رُسُلُ الرُّسل تخاطبهم بلسانهم، لكن لا يلزم من هذا أن يكونوا قد كتبوا الكتب الإلهيَّة بلسانهم، بل يكفي أن يقرؤوها بلسان الأنبياء عليهم السَّلام، ثم يترجموها بلسان أولئك.

وهو سبحانه قال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾، ولم يقل: «وما أرسلنا من رسولٍ إلا إلىٰ قومه»، بل محمَّدٌ أُرسِل بلسان قومه وهم قريش، وأُرسِل إلىٰ قومه وغير قومه، كما يذكرون هم[1] ذلك عن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١) ليست في (ي، و).

فصل

وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ فحقٌّ، وتمام[1] الآية: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

وهذا كقوله تعالىٰ في الآية الأخرىٰ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقوله: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] في أصحِّ الأقوال[2]، أي: ولكل قومٍ داعٍ يدعوهم إلىٰ توحيد الله وعبادته، كما أنت هادٍ، أي داعٍ لمن أُرسلتَ إليه.

والهادي بمعنىٰ الداعي المعلِّم المبلِّغ، لا بمعنىٰ الذي يَجعل الهدىٰ في القلوب[3]، كقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورىٰ: ٥٢- ٥٣] وقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧].

ومعلومٌ أن بني إسرائيل كانوا أكثر الأمم أنبياء، بُعِثَ إليهم موسىٰ، وبُعِثَ إليهم بعده أنبياء كثيرون، حتىٰ قيل: إنهم ألف نبيٍّ[4]، وكلهم يأمرون بشريعة

---

(١) (د، ع): «فتمام».

(٢) وضعَّف القول بأن الهادي هنا هو الله، أو النبي ﷺ، أو علي ﵁. انظر: «منهاج السنة» (٧/ ١٣٨ - ١٤٣)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٥٨١، ١٣/ ٣٥٤).

(٣) انظر: «الرد علىٰ البكري» (٤٣٥)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٦/ ١٥٦، ١٨/ ١٧٢).

(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٣٥) عن ابن عباس ﵄ موقوفًا بسندٍ واهٍ من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه، وهما متروكان، وقال ابن رجب في «فتح الباري» (٤/ ٣٤٣): «هذا إسنادٌ ضعيفٌ لا يعتمد عليه». =

التَّوراة ولا يغيِّرون منها شيئًا، ثم جاء المسيح بعد ذلك بشريعةٍ أخرىٰ غيَّر فيها بعض شرع التَّوراة بأمر الله ﷻ.

فإذا كان إرسالُ موسىٰ والأنبياء بعده إليهم لم يمنع إرسالَ المسيح إليهم، فكيف يمتنع إرسالُ محمَّدٍ ﷺ إلىٰ أهل الكتاب من اليهود والنَّصارىٰ ولهم[1] من حين المسيح لم يأتهم رسولٌ من الله، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [المائدة: ١٩]؟!

وهذه الفترة التي كانت بين المسيح ومحمَّد صلوات الله عليهما وسلامه، وهي فيما ذكره غير واحدٍ من العلماء، كسلمان الفارسي وغيره، كانت ستمئة سنة[2]، وقد قيل: ستمئة[3] شمسيَّة، وهي ستمئة وعشرون أو ثمانية عشر هلاليَّة، وذلك أن كل مئة شمسيَّة تكون مئةً وثلاث سنين هلاليَّة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ [الكهف: ٢٥]، وهذه تسعٌ[4] وبعض العاشرة، والتاريخ قد تُحْسَبُ فيه التَّامَّة وتُحْسَبُ فيه النَّاقصة، فمن قال: عشرين حَسَب النَّاقصة، ومن قال: ثمانية عشر حَسَب التَّامَّة فقط[5].

= وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٩٧) عن الأعمش.
وذكره مقاتل في مواضع من تفسيره (١/ ٨٥، ٢١٢، ٤٧٩، ٣/ ٨٣٧).
وأخرج أبو يعلىٰ (٤١٣٢)، والطبراني في «الأوسط» (٧٧٤) عن أنس ﷺ بسند ضعيف مرفوعًا: «بُعِث نبيُّ الله ﷺ بعد ثمانية آلاف نبي، منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل».

(١) ط. النيل: «وهم».

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٤٨) عن سلمان الفارسي ﷺ.

(٣) ط. النيل: «ستمائة سنة». وكذا الموضع الآتي: «مائة سنة».

(٤) ط. النيل: «التسع».

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٧٠)، و«فتح الباري» (٧/ ٢٧٧).

فصل

وأما قولهم: «نعلم أن الله عدلٌ، وليس من عدله أن يطالب أمَّةً يوم القيامة[1] باتِّباع إنسانٍ لم يأتِ إليهم، ولا وقفوا له علىٰ كتابٍ بلسانهم ولا من جهة داعٍ من قِبَلِه»[2].

فيقال: الجواب من وجوه:

أحدها: أن هذا الكلام لا يجوز أن يقوله من كتب هذا الكتاب ولا أحدٌ يفهم بالعربيَّة؛ فإن هؤلاء يفهمون هذا الكتاب بالعربيَّة، وقد قرؤوه وناظَروا بما فيه، وإذا كانوا مع ذلك يفهمون بغير العربيَّة كان ذلك أبلغ في قيام الحجَّة عليهم؛ فإنهم يمكنهم فهمُ ما قال بالعربيَّة وتفهيمُ[3] ذلك لقومهم باللسان الآخر.

الثاني: أنهم[4] يفهمون ما في كتبهم الرُّومية والسُّريانية والقِبطية وغيرها، ويترجمونها للعرب من النَّصارىٰ بالعربيَّة، فإذا قامت الحجَّة علىٰ عرب النَّصارىٰ باللسان الرُّوميِّ فلأن تقوم علىٰ الرُّوم باللسان العربيِّ أولىٰ؛ فإن اللسان العربيَّ أكثر انتشارًا في العالم من اللسان الرُّومي، والناطقون به بعد ظهور الإسلام أكثر من الناطقين بغيره، وهو أكمل بيانًا وأتمُّ تفهيمًا[5].

وحينئذٍ، فيكون وصول المعاني به إلىٰ غير أهل لسانه أيسر؛ لكمال معناه، ولكثرة العارفين به، وهؤلاء علماء النَّصارىٰ يقرؤون كتب الطبِّ والحساب

---

(١) رسالة بولس: «أمة من الأمم».

(٢) رسالة بولس الأنطاكي (٤١٤، ٤١٨).

(٣) (د، ع): «ويفهم».

(٤) (ع، و، د): «كما أنهم».

(٥) مهملة في (ي)، (د، ع): «تفهما».

والفلسفة وغير ذلك باللسان العربي، مع أن مصنِّفيها كانوا عجمًا مِن روميٍّ ويونانيٍّ وغير ذلك، فما المانع أن يُقْرَأ القرآنُ العربيُّ وتفسيرُه وحديثُ النبي ﷺ باللسان العِبْري مع أنه أُخِذ عن الرسول بالعربي؟! فهو أولىٰ بأن يُعْرَف به مراد المتكلِّم به.

الوجه الثالث: أن يقال: النَّاس لهم في عدل الله ثلاثة أقوال(١):

قيل: كلُّ ما يكون مقدورًا لله(٢) فهو عدل.

وقيل: العدل منه نظيرُ العدل من عباده.

وهما قولان ضعيفان.

وقيل: مِن عدلِه أن يجزي المحسن بحسناته، لا يَنْقُصه شيئًا منها، ولا يعاقبه بلا ذنب.

ومعلومٌ أنه إذا أمر العبدَ بما يقدر عليه كان جائزًا باتفاق طوائف أهل الملل من المسلمين واليهود والنَّصارىٰ، وإن كان الفعل مكروهًا للإنسان؛ فإن الجنَّة حُفَّت بالمكاره وحُفَّت النَّار بالشَّهوات، وقد كُلِّفَت بنو إسرائيل والنَّصارىٰ من الأعمال ما هو مكروهٌ لهم وشاقٌّ عليهم، فكيف يمتنع أن يأمرهم وينهاهم بلغةٍ يبيِّن بعضُ المسلمين معناها لهم؟!

والعربُ الذين(٣) نزل القرآن بلسانهم طبَّقوا الأرض، ومنهم نصارىٰ لا يُحْصَون، فكلُّ من عَرَف بالعربيَّة(٤) من النَّصارىٰ أمكنه فهمُ ما يقال

---

(١) انظر: «منهاج السنة» (١/ ١٣٤، ٦/ ٤٠٢)، و«تفسير آيات أشكلت» (١/ ٤٤٤)، و«جامع الرسائل» (١/ ١٢١- ١٤٢)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١/ ٢١٩، ١٨/ ١٣٨)، وما سيأتي (١/ ٣٢٨).

(٢) ساقطة من ط. العاصمة.

(٣) لم تحرر في (و، ي). (د، ع): «الذي». والوجه ما أثبت.

(٤) تقدمت الإشارة إلىٰ هذا الاستعمال (١/ ٢٨٧).

بالعربي، ومن كان منهم روميًّا كان له أسوة من أسلم من سائر طوائف الأعاجم، كالفُرس والتُّرك والهند والبربر والحبشة وغيرهم، وهو متمكِّنٌ من معرفة ما أمره الله والعمل به كما يمكن هؤلاء كلهم[1]، بل الرُّوم أقدر علىٰ ذلك من غيرهم، فلأيِّ وجهٍ يمتنع أن يأمرهم الله بذلك؟!

وما لا يتمُّ الواجبُ إلا به إذا كان مقدورًا للعبد فعليه أن يفعله، باتفاق أهل الملل المسلمين واليهود والنَّصارىٰ.

وإنما ما تنازع النَّاس فيه: هل يسمَّىٰ واجبًا؟

فقيل: يسمَّىٰ واجبًا.

وقيل: لا يسمَّىٰ واجبًا؛ فإن الآمر لم يقصده بالأمر، وقد لا يخطر بباله إذا كان الآمر مخلوقًا.

قال هؤلاء: ولأن الواجب ما يُذَمُّ تاركُه شرعًا أو يعاقَبُ تاركُه شرعًا، أو ما يستحقُّ تاركُه الذَّمَّ أو العقاب[2]، أو ما يكون تركُه سببًا للذَّمِّ أو العقاب.

قالوا: وما لا يتمُّ الواجبُ إلا به لا يستحقُّ تاركُه الذَّمَّ والعقاب؛ فإن الحجَّ إذا وجب علىٰ شخصين أحدهما بعيدٌ والآخر قريبٌ، ولم يفعلاه، لم تكن عقوبة البعيد علىٰ التَّرك أعظمَ من عقوبة القريب، مع أن المسافة التي لا بدَّ لهما من قطعها أكثر. وكذلك من وجب عليه قضاء دينه من غير احتياجٍ إلىٰ بيع شيءٍ من ماله، ليست عقوبته علىٰ التَّرك بأقلَّ من عقوبة من يحتاج إلىٰ بيع مالٍ له ليقضي به دينه.

وفصل الخطاب: أن ما لا يتمُّ الواجبُ إلا به هو من لوازم وجود الواجب،

---

(١) ليست في (ع).

(٢) «أو العقاب» ليست في (و)، ولم تثبتها ط. العاصمة.

ووجودُ الملزوم بدون لازمه ممتنع، فالمأمور به لا يمكن فعلُه إلا بلوازمه، والمنهيُّ عنه لا يمكن تركُه إلا بترك ملزوماته، لكن هذا الملزوم لزومُه[1] عقليٌّ أو عاديٌّ، فوجوبه وجوبٌ عقليٌّ عاديٌّ، لا أن الآمر نفسه قصد إيجابه والذمَّ والعقابَ علىٰ تركه[2].

وتنازع النَّاس: هل يقال: ما لا يتمُّ الواجبُ إلا به فهو واجب، سواءٌ كان وجوبه شرعيًّا أو عقليًّا؟ أو يحتاج أن يقال: ما لا يتمُّ الواجب إلا به، وكان مقدورًا للمكلَّف، فهو واجب؟

فالجمهور أطلقوا العبارة الأولىٰ، وبعض المتأخرين قيَّدوها بالقدرة[3]، ولا حاجة إلىٰ ذلك؛ فإن ما لم يكن مقدورًا ينتفي الوجوب مع انتفائه، فيكون شرطًا في الوجوب، لا في فعل الواجب. والجمهور قالوا: ما لا يتمُّ الواجب إلا به فإنه يجب.

والمقصود هنا أن الله إذا أوجب علىٰ العباد شيئًا، واحتاج أداء[4] الواجب إلىٰ تعلُّم شيءٍ من العلم، كان تعلُّمه واجبًا[5].

فإذا كان معرفة العبد لما أمره[6] الله به تتوقَّف علىٰ أن يعرف معنىٰ كلامٍ تكلَّم به بغير لغته، وهو قادرٌ علىٰ تعلُّم معنىٰ تلك الألفاظ التي ليست بلغته، أو علىٰ معرفة ترجمتها بلغته، وجب عليه تعلُّم ذلك.

---

(١) الأصول: «لزوم»، والمثبت أشبه، أو يكون: «لكن هذا اللزوم لزومٌ ...».

(٢) انظر: «المسودة» (١/ ١٨٧ - ١٨٩)، و«درء التعارض» (١/ ٢١١ - ٢١٣)، و«جامع الرسائل» (٢/ ١٦٨).

(٣) ط. النيل: «بالمقدور»، وفي طرة (د، ع) إشارة إلىٰ أنها في نسخة.

(٤) ليست في (د، ع).

(٥) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٥٢٧).

(٦) (و): «أمر».

ولو جاءت رسالةٌ من ملكٍ إلىٰ ملكٍ بغير لسانه لطلب من يترجم مقصودَ الملك المُرسِل، ولم يَجُزْ أن يقول: أنت لم تبعث إليَّ من يخاطبني بلغتي، مع قدرته علىٰ أن يفهم مراده بالتَّرجمة، فكيف يجوز أن يقال ذلك لرب العالمين؟!

ولو أمر[1] بعض الملوك بعض رعاياه وجنوده بلغته، وهم قادرون علىٰ معرفة ما أمرهم به، إما بتعلُّم لغته، وإما بمن يترجم لهم ما قاله، لم يكن ذلك ظلمًا، فكيف يكون ظلمًا من ربِّ العالمين، مع أنه ليس بظلمٍ من المخلوقين؟!

ولو وجب لبعض الرَّعيَّة حقٌّ علىٰ بعض، أو ظلم بعضهم بعضًا، لوجب علىٰ الملك أن يُنْصِفَ المظلوم، ويرسل إلىٰ الظالم من يأمره بالعدل والإنصاف، ويعاقبه إذا لم يُنْصِف إذا كان الظالم متمكِّنًا من معرفة أمر الملك بالتَّرجمة أو غيرها. وهذا هو العدل، ليس العدل أن يترك النَّاس ظالمين في حقِّ الله وحقِّ عباده.

والله تعالىٰ أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم النَّاسُ بالقسط، كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، فليس لأحدٍ ممَّن أُرسِل إليه رسولٌ، وهو قادرٌ علىٰ معرفة ما أُرسِل به إليه بالتَّرجمة أو غير[2] التَّرجمة، أن يمتنع من شرع الله الذي أنزله، وهو القسطُ الذي بَعَث به رسوله، لكون الرَّسول ليس لغتُه لغتَه، مع قدرته علىٰ أن يعرف مراده بطرقٍ متعددة.

والنَّاسُ في مصالح دنياهم يتوسَّل أحدُهم إلىٰ معرفة مراد الآخر بالتَّرجمة وغيرها، فيتبايعون وبينهم ترجمانٌ يبلِّغ بعضَهم عن بعض، ويتراسلون في

---

(١) (و، ي): «أمر به».

(٢) (و): «وغير».

عمارة بلادهم وأغراض نفوسهم بالتَّراجم الذين يترجمون لهم.

وأمرُ الدين أعظم من أمر الدنيا؛ فكيف لا يتوسَّلون إلىٰ معرفة مراد بعضهم من بعض؟! وكيف يكون أمر الدنيا أهمَّ من أمر الدِّين إلا عند من أغفل الله قلبَه عن ذكر ربِّه، واتَّبع هواه، وأعرض عن ذكر ربِّه، ولم يُرِد إلا الحياة الدنيا، ذلك مبلغهم من العلم.

قال تعالىٰ: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [النجم: ٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

الوجه الرابع: أنه من العجب أن تَعُدَّ النَّصارىٰ مثل هذا ظلمًا خارجًا عن العدل، وهم قد نسبوا[(١)] إلىٰ الله من الظُّلم العظيم علىٰ هذا الأصل ما لم ينسبه إليه أحدٌ من الأمم، كما سبُّوه وشتموه مَسَبَّةً ما سبَّه إيَّاها أحدٌ من الأمم.

فهم من أبعد الأمم عن توحيده وتمجيده وحمده والثَّناء عليه، وذلك أنهم يزعمون أن آدم لما أكل من الشَّجرة غضب الرَّبُّ عليه وعاقبه، وأن تلك العقوبة بقيت في ذرِّيته، إلىٰ أن جاء المسيح وصُلِب، وأنه كانت الذُّرِّيَّة في حبس إبليس، فمن مات منهم ذهبت روحُه إلىٰ جهنَّم في حبس إبليس، حتىٰ قالوا ذلك في الأنبياء: نوح وإبراهيم وموسىٰ وداود وسليمان وغيرهم!

ومعلومٌ أن إبراهيم كان أبوه كافرًا، ولم يؤاخذه الله بذنب أبيه، فكيف يؤاخذه بذنب آدم وهو أبوه الأبعَد؟! هذا لو قُدِّر أن آدم لم يَتُبْ، فكيف وقد أخبر الله عنه بالتَّوبة؟!

---

(١) (ع): «وهم نسبوا».

ثم يزعمون أن الصَّلْبَ الذي هو من أعظم الذُّنوب والخطايا به خَلَّص الله آدم وذريتَه من عذاب الجحيم، وبه عاقبَ إبليس، مع أن إبليس ما زال عاصيًا لله مستحقًّا للعقاب من حين امتنع من السُّجود لآدم ووسوس لآدم إلىٰ حين مبعث المسيح، والربُّ قادرٌ علىٰ عقوبته، وبنو آدم لا عقوبة عليهم في ذنب أبيهم.

فمن كان قولهم مثل هذه الخرافات التي هي مَضَاحِكُ العقلاء، والتي لا تصلح أن تضاف إلىٰ أجهل الملوك وأظلمهم، فكيف يدَّعون مع هذا أنهم يصفون الله بالعدل، ويجعلون من عدله أنه لا يأمر الإنسانَ بتعلُّم ما يقدر علىٰ تعلُّمه وفيه صلاحُ معاشه ومعاده، ويجعلون مثل هذا موجبًا لتكذيب كتابه ورسله، والإصرار علىٰ تبديل الكتاب الأوَّل وتكذيب الكتاب الآخر، وعلىٰ أنَّه يتضمَّن مخالفة موسىٰ وعيسىٰ وسائر الأنبياء والرُّسل؟!

والنَّصارىٰ[١] يقولون: إن المسيح الذي هو عندهم اللَّاهُوت والنَّاسُوت جميعًا إنما مكَّن الكفَّار من صَلْبِه ليحتال بذلك علىٰ عقوبة إبليس[٢].

قالوا: فأخفىٰ نفسه عن إبليس لئلا يَعْلَم.

قالوا[٣]: ومكَّن أعداءه من أخذِه وضربه والبصاق في وجهه ووضعِ الشَّوك علىٰ رأسه وصَلْبِه، وأظهَر الجزع من الموت، وصار[٤] يقول: يا إلهي، لم سلَّطتَ أعدائي عليَّ؟ ليختفي[٥] بذلك عن إبليس، فلا يعرف إبليس أنه الله

---

(١) قبلها في (ع): «فصل»، ولا وجه له.
(٢) كما سيأتي (٢/ ٣٧).
(٣) ليست في (و، ي).
(٤) (د، ع): «وجعل»، وفي طرتها إشارة إلىٰ أن «صار» في نسخة.
(٥) (د، ع): «ليخفي».

أو ابن الله، ويريد إبليس أن يأخذ روحَه إلىٰ الجحيم كما أخذ أرواحَ نوحٍ وإبراهيم وموسىٰ وغيرهم من الأنبياء والمؤمنين، فيحتجُّ عليه الربُّ حينئذٍ، ويقول: بماذا استحللتَ يا إبليس أن تأخذ روحي؟ فيقول له إبليس: بخطيئتك، فيقول: ناسُوتي لا خطيئة له كنَواسِيت الأنبياء، فإنه كان لهم خطايا استحقُّوا بها أن تؤخذ[1] أرواحُهم إلىٰ جهنَّم، وأنا لا خطيئة لي!

قالوا: فلما أقام الله الحجَّة علىٰ إبليس، جاز للرَّبِّ حينئذٍ أن يأخذ إبليس ويعاقبه، ويخلِّص ذريَّة آدم من إذهابهم إلىٰ الجحيم.

وهذا الكلام فيه من الباطل ونسبة الظُّلم إلىٰ الله ما يطول وصفُه، فمَن هذا قولُه فقد قَدَح في علم الربِّ وحكمته وعدله قدحًا ما قدحه فيه أحد، وذلك من وجوه:

أحدها: أن يقال: إبليس إن كان أخذ الذُّرِّيَّة بذنب أبيهم فلا فرق بين ناسُوت المسيح وغيره، وإن كان بخطاياهم فلم يأخذهم بذنب أبيهم، وهم قالوا: إنما أخذهم بذنب آدم.

الثاني: أن يقال: من خُلِق بعد المسيح من الذُّرِّيَّة كمن خُلِق قبله، فكيف جاز أن يمكَّن إبليس من الذُّرِّيَّة المتقدِّمين دون المتأخِّرين، وكلُّهم بالنسبة إلىٰ آدم سواء؟! وهم أيضًا يخطئون أعظم من خطايا الأنبياء المتقدِّمين، فكيف جاز تمكُّن[2] إبليس من عقوبة الأنبياء المتقدِّمين ولم يمكَّن من عقوبة الكفَّار والجبابرة الذين كانوا بعد المسيح؟!

---

(١) (د، ي، ع): «تأخذ».

(٢) ط. العاصمة: «تمكين»، خلاف الأصول وط. النيل.

الوجه الثالث: أن يقال: أخذُ إبليس لذريَّة آدم وإدخالهم جهنَّم، إما أن يكون ظلمًا من إبليس، وإما أن يكون عدلًا. فإن كان عدلًا فلا لوم علىٰ إبليس، ولا يجوز أن[1] يُحْتَال عليه ليمتنع من العدل الذي يستحقُّه، بل يجب تمكينُه من المتأخِّرين والمتقدِّمين. وإن كان ظلمًا فلم لا يمنعه الرَّبُّ منه قبل المسيح؟!

فإن قيل: لم يَقْدِر، فقد نسبوه إلىٰ العجز. وإن قيل: قَدِر علىٰ دفع ظلم إبليس، ولم يفعله، فلا فرق بين دفعه في زمانٍ دون زمان، إن جاز[2] ذلك جاز في كلِّ زمان، وإن امتنع امتنع في كلِّ زمان.

الوجه الرابع: أن إبليس إن كان معذورًا قبل المسيح فلا حاجة إلىٰ عقوبته، ولا ملام[3] عليه، وإن لم يكن معذورًا استحقَّ العقوبة، ولا حاجة إلىٰ[4] أن يحتال عليه بحيلةٍ تُقَام بها الحجَّة عليه.

الوجه الخامس: أنه بتقدير أنه لم يُقِم عليه حُجَّةً[5] قبل الصَّلب فلم يُقِم عليه حُجَّةً[6] بالصَّلب؛ فإنه يمكنه أن يقول: أنا ما علمتُ أن هذا النَّاسُوتَ هو ناسوتُ الرَّبِّ، وأنت يا ربِّ قد أذنتَ لي أن آخذ جميع ذريَّة آدم فأَرِدَ بهم[7] إلىٰ

(١) «يجوز أن» ليست في (ع).
(٢) (د، ع): «أو جاز»، وهو خطأ.
(٣) (د، ع): «يلام».
(٤) ليست في (د، ع).
(٥) (و): «الحجة».
(٦) ليست في (ي، د، ع).
(٧) مهملة في (ي)، ورسمت في (د، و، ع): «فاوديهم»، وكذلك أثبتتها الطبعات. وأرجو أن الصواب ما قرأت، وقد جاء في التنزيل أن فرعون يورد قومه النار، وبئس الورد المورود. وأما «فأُودِيهم» أو «فأُرْدِيهم» بمعنىٰ «أُهلِكُهم» فلا يلتئم بها سياق الكلام.

الجحيم، وهذا واحدٌ منهم، وما علمتُ أنك أو ابنك اتَّحَد به، ولو علمتُ ذلك لعظَّمتُه، فأنا معذورٌ في ذلك، فلا يجوز أن تظلمني.

الوجه السادس: أن يقال[1]: إن إبليس يقول حينئذٍ: يا ربِّ، فهذا النَّاسُوت الواحد أخطأتُ في أخذِ روحه، لكن سائر بني آدم الذين بعده لي أن أحبس أرواحَهم في جهنَّم، كما حبستُ أرواحَ الذين كانوا قبل المسيح، إمَّا بذنب أبيهم وإما بخطاياهم أنفسهم. وحينئذٍ، فإن كان ما يقوله النَّصارىٰ حقًّا فلا حجَّة لله علىٰ إبليس.

الوجه السَّابع: أن يقال: هَبْ أن آدم أذنبَ وبنوه أذنبوا بتزيين الشيطان، فعقوبة بني آدم علىٰ ذنوبهم هي إلىٰ الله أو إلىٰ إبليس؟! فهل يقول عاقلٌ أن إبليس له أن يغويَ بني آدم بتزيينه لهم، ثم له أن يعاقبهم جميعًا بغير إذنٍ من الله له[2] في ذلك؟!

وهل هذا القول إلا من جنس[3] قول المجوس الثَّنويَّة الذين يقولون: إن كلَّ ما في العالم من الشرِّ من الذنوب والعقاب وغير ذلك هو من فعل إبليس، لم يفعل الله شيئًا من ذلك، ولا عاقب الله أحدًا علىٰ ذنب؟

ولا ريب أن هذا القول سرىٰ إلىٰ النَّصارىٰ من المجوس؛ ولهذا[4] لا ينقلون هذا القول في كتابٍ منزَّل، ولا عن أحدٍ من الحواريِّين، ولهذا كان المانَوِيَّة دينهم مركَّبًا من دين النَّصارىٰ والمجوس، وكان رأسهم ماني نصرانيًّا

---

(١) ليست في (و، ي)، وفي (د): «نقول».
(٢) ليست في (و).
(٣) ليست في (و، د، ع).
(٤) ط. العاصمة: «لهذا» خلاف الأصول.

مجوسيًّا[1]، فالنسبُ بين النَّصارىٰ والمجوس[2] بل وسائر المشركين نسبٌ معروف[3].

الوجه الثامن: أن يقال: إبليسُ عاقَبَ بني آدم وأدخلهم جهنَّم بإذن الله أو بغير إذنه؟

إن قالوا: بإذنه، فلا ذنب له، ولا يستحقُّ أن يحتال عليه ليعاقَب ويُمْنَع[4].

وإن كان بغير إذنه، فهل جاز في عدل الله أن يمكِّنه من ذلك أم لم يَجُزْ؟ فإن جاز ذلك في زمانٍ جاز في جميع الأزمنة، وإن لم يَجُزْ في زمانٍ لم يَجُزْ في جميع الأزمنة، فلا فرق بين ما قبل المسيح وما بعده.

الوجه التاسع: أن يقال: هل كان الله قادرًا علىٰ منع إبليس وعقوبته بدون هذه الحيلة، وكان ذلك عدلًا منه لو فعله أم لا؟

فإن كان ذلك مقدورًا له وهو عدلٌ منه لم يَحْتَجْ أن يحتال علىٰ إبليس، ولا يَصْلِب نفسَه أو ابنه. ثم إن كان هذا العدل واجبًا عليه وجب منعُ إبليس، وإن لم يكن واجبًا جاز تمكينُه في كلِّ زمان، فلا فرق بين زمانٍ وزمان.

وإن قيل: لم يكن قادرًا علىٰ منع إبليس، فهو تعجيزٌ للرَّبِّ عن[5] منع إبليس، وهذا من أعظم الكفر باتفاق أهل المِلَل، من جنس قول الثَّنويَّة الذين

---

(١) تقدمت ترجمته (١/ ٥٢).

(٢) ليست في (د، ع).

(٣) انظر: «درء التعارض» (٥/ ٣٦٢)، و«تثبيت دلائل النبوة» (١/ ١٦٩)، و«تخجيل من حرف التوراة والإنجيل» (٢/ ٨٤٨).

(٤) مهملة في (و، ي)، (د، ع): «ويمتنع».

(٥) (د، ع): «علىٰ».

يقولون: لم يكن يَقْدِر النُّورُ أن يمنع الظُّلمة[1] من الشَّرِّ، ومن جنس قول دِيمُقراطيس[2] والحَرْنَانيِّين[3] الذين يقولون: لم يمكن واجبُ الوجود أن يمنع النَّفسَ من[4] ملابسة الهَيُولىٰ[5]، بل تعلَّقت النفسُ بها بغير اختياره[6].

الوجه العاشر: أن ما فعله به الكفَّارُ اليهودُ الذين صلبوه، هل كان[7] طاعةً لله أو معصية؟

فإن كان طاعةً لله استحقَّ اليهودُ الذين صلبوه أن يثيبهم ويكرمهم علىٰ طاعته، كما يثيبُ سائر المطيعين له. والنَّصارىٰ متَّفقون علىٰ أن أولئك من أعظم النَّاس إثمًا، وهم من شرِّ الخلق، وهم يستحلُّون من دمهم ولعنتهم ما لا يستحلُّونه من غيرهم، بل يبالغون في طلب اليهود وعقوبتهم في آخر صومهم الأيام التي تشبه أيَّام الصَّليب.

وإن كان أولئك اليهود عصاةً لله، فهل كان قادرًا علىٰ منعهم من هذه المعصية أم لا؟ فإن لم يكن قادرًا لم يكن قادرًا علىٰ منع إبليس من ظلم الذُّرِّيَّة

---

(١) (ي): «الظلم»، (د، ع) وط. النيل: «العالم»، وهو خطأ.

(٢) فيلسوف يوناني، قبل أفلاطون، كان يقول بالجزء الذي لا يتجزأ. انظر: «طبقات الأطباء والحكماء» لابن جلجل (٣٣)، و«الملل والنحل» (٢/ ١٤٠، ١٧٠).

(٣) مهملة في (ي، و)، (ع، د): «والحنانين»، وهو تحريف، وأثبتته ط. النيل والعاصمة.
والحرنانيون: جماعةٌ من الصابئة الكلدانيين، نسبتهم إلىٰ حرَّان (من مدن الجزيرة الفراتية، جنوب شرق تركيا اليوم) علىٰ غير قياس، يقولون بالقدماء الخمسة. انظر: «الفهرست» (٣/ ٣٥٧)، و«الملل والنحل» (٢/ ١١٢)، و«محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين» (٨٤)، و«الصحاح» (حرن).

(٤) (د، ع): «لم يكن واجب الوجود الذي يمنع النفس عن».

(٥) وهي الأصل والمادة، كما مضىٰ (١/ ١٨٠).

(٦) انظر: «درء التعارض» (٩/ ٣٤٧)، و«منهاج السنة» (١/ ٢٠٩)، و«شرح الأصبهانية» (٢٨٠)، و«جامع الرسائل» (١/ ١٠٦).

(٧) «هل كان» ليست في (و). (ع، د): «قد كان».

في الزَّمن المستقبل، وإن كان قادرًا علىٰ منعهم من المعاصي ولـم يمنعهم كـان قادرًا علىٰ منع إبليس بدون هذه الحيلة، وإذا كان[1] حسنًا منه تمكينُهم من هذه المعصية كان حسنًا منه تمكينُ إبليس من ظلـم الذُّرِّيَّة في الماضـي والمستقبل، فلا حاجة إلىٰ الحيلة عليه.

واعلم أن الوجوه الدَّالة علىٰ فساد دين النَّصارىٰ كثيرةٌ جدًّا، وكلَّما تصـوَّر العاقلُ مذهبَهم وتصوَّر لوازمه تبيَّن له فساده، لكن المقصود هنا بيـانُ تناقضـهم في أنهم يُقِيمون عذرَ أنفسهم في تركـ الإيمان بكتابه ورسوله ودينه لكونه سبحانه عدلًا لا يأمر النَّاس بما يعجزون عنه، وهو سبحانه لـم يـأمرهم إلا بمـا يقـدِرون عليه، وقد نسبوا إليه من الظُّلم ما لم ينسبه إليه أحدٌ من بني آدم.

يوضِّح هذا **الوجه الحادي عشر**: وهـو أنـه إمَّـا أن يقـال في الظُّلـم بقـول[2] الجهميَّة المُجْبِرَة الذين يقولـون: يفعل ما يشاء بلا حكمـةٍ ولا سـببٍ ولا مراعـاة عدل.

وإمـا أن يقـال بقـول القدريَّـة أنـه يجـبُ عليـه العـدل الـذي يجـب علـىٰ المخلوقين.

وإما أن يقال: هو عادلٌ منزَّه عن الظلم ولكنْ ليس عدله كعدل المخلوق.

فهذه أقوال النَّاس الثلاثة[3].

فإن قيل بـالأول جاز أن يسلَّط إبليسُ علـىٰ جميـع الذُّرِّيَّـة بـلا ذنـب، وأن يعاقبهم جميعًا بلا ذنب، ولا حاجة حينئذٍ إلىٰ الحيلة علىٰ إبليس.

---

(١) (د، ع): «وإن كان».

(٢) (د، ع): «وهو إما أن تقول في الظلم كما تقول».

(٣) كما تقدم في مسألة عدل الله (١/ ٣١٧).

وإن قيل بالثاني فمعلومٌ أن الواحد من النَّاس لو عَلِم أن بعض مماليكِه أمره غيرُه[1] بذنبٍ يكرهه السَّيِّدُ، ففعله، كان العدلُ منه أن يعاقب الآمرَ والمأمورَ جميعًا. وأما تسليطُه للآمر علىٰ عقوبة المأمور فليس من العدل، وكذلك تسليط الآمر الظَّالم علىٰ جميع ذريَّة المأمور الذين لم يذنبوا ذنب أبيهم ليس من العدل.

وإن قيل: بل هو استحقَّ أن يستعبدهم لكون أبيهم أطاعه.

قيل: فحينئذٍ يستحقُّ أن يأسر الأوَّلين والآخرين، فلا يجوز أن يُمْنَع من حقِّه بالاحتيال عليه.

وإن قيل: إنما يستحقُّ أخذهم بخطاياهم[2].

قيل: فله أن يأخذ الأوَّلين والآخرين.

وإن قيل: هو لمَّا طلبَ أخذَ روحِ ناسُوتِ المسيح مُنِع بهذا الذَّنب.

قيل: هذا إن كان ذنبًا فهو أخفُّ ذنوبه، فإنه لم يَعْلَم أنه ناسوتُ الإله. وإذا استحقَّ الرَّجلُ أن يَسْتَرِقَّ أولادَ غيره، فطَلَب رجلًا ليَسْتَرِقَّه لظنِّه أنه منهم، ولم يكن منهم، لم يكن هذا ذنبًا يمنعُ استرقاقَ الباقين.

وإن قيل: إن عدل الرَّبِّ ليس كعدل المخلوقين، بل مِن عدلِه أن لا يَنْقُصَ أحدًا من حسناته، ولا يعاقبه إلا بذنبه، لم يَجُزْ حينئذٍ أن يعاقب ذريَّة آدم بذنب أبيهم، ولم يَجُزْ أن يعاقب الأنبياء الذين ليس لهم ذنبٌ إلا ذنبٌ تابوا منه بذنب غيرهم؛ فإن[3] الأنبياء معصومون أن يُقَرُّوا علىٰ ذنب، فكلُّ من مات منهم مات

(١) (و، ي): «أمر غيره»، وهو خطأ، وأثبتته ط. العاصمة.
(٢) ط. العاصمة: «خطاياهم»، وهو خطأ مخالف للأصول.
(٣) (د) وط. النيل: «بأن»، (ي): «وإن». والصواب المثبت من (و، ع).

وليس له ذنبٌ يستحقُّ عليه العقوبة، فكيف يعاقبون بعد الموت بذنب أبيهم، إن قُدِّر أنه مات مصرًّا علىٰ الذَّنب؟! مع أن هذا تقديرٌ باطل، ولو قُدِّر أن الأنبياء لهم خطايا يستحقُّون بها العقوبةَ بعد الموت وتسليطَ إبليس علىٰ عقوبتهم -مع أن هذا تقديرٌ باطل- فمَن بعدَ المسيح من غير الأنبياء أولىٰ بذلك، فكيف يجوز في العدل الذي يوجبُ التَّسوية بين المتماثلَين عقوبةُ الأنبياء ومنعُ عقوبة من هو دونهم بل من هو من الكفَّار؟!

الوجه الثاني عشر: أن الرَّبَّ إذا قصَد بهذا دفعَ ظلم إبليس، فهلَّا اتَّحد بناسُوتِ بعض أولاد آدم ليحتال علىٰ إبليسَ فيمنعَه من ظلم من تقدَّم؟ فإنَّ المنعَ من الشرِّ الكثير أولىٰ من المنع من الشرِّ القليل، أتراه ما كان يعلمُ أن إبليس يعملُ هذا الشرَّ كلَّه؟! فهذا تجهيلٌ له، أو كان يَعْرِفُ[1] وعَجَز عن دفعه؟! فهذا تعجيزٌ له. ثم ما الفرق بين زمانٍ وزمان؟! إن[2] كان تركُ منعِه عدلًا منه فهو عدلٌ في كلِّ زمان.

(١) (د، ع) وط. النيل: «يعترف»، وهو خطأ.

(٢) الأصول: «أم». والمثبت أشبه بالصواب.

فصل

وأما تفسيرهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] بأن مراده قومُه، كما قالوا: «وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ يريد بحسب(١) مقتضىٰ العدل قومَه الذين أتاهم بلغتهم، لا غيرهم ممَّن لم يأتهم بما(٢) جاء فيه»(٣).

فيقال لهم: من فسَّر مرادَ متكلِّمٍ -أيَّ متكلِّم كان(٤)- بما يعلم النَّاسُ أنه خلاف مراده فهو كاذبٌ مفترٍ عليه، وإن كان المتكلِّم من آحاد العامَّة، ولو كان المتكلِّم من المتنبِّئين الكذَّابين؛ فإن من عُرِف كذبُه إذا تكلَّم بكلامٍ وعُرِف مراده به لم يَجُزْ أن يُكْذَب عليه، فيقال: أراد كذا وكذا؛ فإن الكذب حرامٌ قبيحٌ علىٰ كلِّ أحدٍ سواءٌ كان صادقًا أو كاذبًا، فكيف بمن يفسِّر مراد الله ورسوله بما يَعْلَم كلُّ(٥) من خَبَر حالَه علمًا ضروريًّا أنه لم يُرِد ذلك، بل يعلم علمًا ضروريًّا أنه أراد العموم؟!

فإن قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾ صيغةٌ عامَّة، وصيغة «مَن» الشَّرطية من أبلغ صيغ العموم، كقوله تعالىٰ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧- ٨].

---

(١) رسالة بولس الأنطاكي: «يريد به حسب».
(٢) رسالة بولس الأنطاكي: «حسبما»، وهو أجود، أي: حسب ما جاء في القرآن من أنه لم يُرسَل إلا للجاهلية من العرب.
(٣) رسالة بولس الأنطاكي (٤١٤).
(٤) ليست في (د، ع).
(٥) ليست في (د، ع).

ثم إن سياق الكلام يدلُّ علىٰ أنه أراد أهل الكتاب وغيرهم؛ فإن هذا في سورة آل عمران في أثناء مخاطبته لأهل الكتاب ومناظرته للنصارىٰ؛ فإنها نزلت لمَّا قدم علىٰ النبيِّ ﷺ وفدُ نجران النَّصارىٰ، ورُوِيَ أنهم كانوا ستِّين راكبًا، وفيهم: السَّيِّد، والأيهَم، والعاقب، وقصَّتهم مشهورةٌ معروفة، كما تقدَّم ذكرُها[1].

وقد قال قبل هذا الكلام يَذُمُّ[2] دينَ النَّصارىٰ الذي[3] ابتدعوه، وغيَّروا به دينَ المسيح، ولَبَسوا الحقَّ الذي بُعِث به المسيحُ بالباطل الذي ابتدعوه، حتىٰ صار دينهم مركَّبًا[4] من حقٍّ وباطل، واختلط أحدُهما بالآخر فلا يكاد يوجد معه من يَعْرِف ما نسخه المسيحُ من شريعة التَّوراة ممَّا أقرَّه، والمسيحُ قرَّر أكثر شرع التَّوراة وغيَّر البعض[5]، وعامَّة النَّصارىٰ لا يميِّزون ما قرَّره ممَّا غيَّره، فلا تَعْرِفُ[6] دينَ المسيح[7].

قال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩- ٨٠]، فقد بيَّن أن من اتَّخذ

---

(١) (١/ ٧٧-٨٨).

(٢) مهملة في (ي)، (د، و، ع): «بذم»، والمثبت أقوم.

(٣) (ع، د): «الذين».

(٤) (ع): «متركبا».

(٥) (ي، ع): «المعنى». وهو تحريف، وأثبتته ط. النيل والعاصمة.

(٦) أي عامة النصارىٰ. وهي مهملة في (ي)، وفي ط. النيل والعاصمة: «يعرف».

(٧) من قوله: «دين المسيح ولبسوا» إلىٰ هنا سقط من (و) لانتقال النظر، وسقط معظمه من (د، ع).

الملائكة والنبيِّين أربابًا فهو كافر، فمن اتَّخذ مَن دونهم أربابًا كان أولىٰ بالكفر، وقد ذكَر أن النَّصارىٰ اتَّخذوا من هو دونهم أربابًا بقوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

ثم قال تعالىٰ في آل عمران[1]: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

قال ابن عبَّاس وغيره من السَّلف: ما بعث الله نبيًّا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بُعِث محمَّدٌ وهو حيٌّ ليؤمنَنَّ به ولينصرَنَّه، وأمره أن يأخذ الميثاق علىٰ أمَّته لئن بُعِث محمَّدٌ وهم أحياءٌ ليؤمنُنَّ به ولينصرُنَّه[2].

والآية تدلُّ علىٰ ما قالوا؛ فإن قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ يتناول جميع النبيِّين، ﴿لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾، وهذه اللام الأولىٰ تسمَّىٰ «اللام الموطِّئة للقَسَم»، واللام الثانية تسمَّىٰ «لام جواب القَسَم»، والكلام إذا اجتمع فيه شرطٌ وقَسَمٌ وقُدِّم القَسَمُ سَدَّ جوابُ القَسَمِ مَسَدَّ جواب الشَّرط[3].

---

(١) ط. النيل: «سورة آل عمران».

(٢) أخرجه ابن جرير (٥/ ٥٤٠، ٥٤١) عن علي رضي الله عنه وقتادة والسدي، وبنحو معناه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «الرد علىٰ المنطقيين» (٤٥٣- ٤٥٤)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٧٢٨).

والقَسَم كقوله تعالىٰ: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الحشر: ١٢]، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [التوبة: ٧٥]، وقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ [الأنعام: ١٠٩]، وقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا﴾ [النور: ٥٣]، وقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ [فاطر: ٤٢]، ومنه قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥]، ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٩]، ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦٠]، ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦]، وقوله: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المائدة: ٧٣]، ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢]، وقوله: ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ [الرُّوم: ٥٨]، ﴿وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٠]، ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ [هود: ٨].

ومثلُ هذا كثير.

وحيث لم يُذْكَر(١) القَسَمُ فهو محذوفٌ مراد، تقديرُ الكلام: واللهِ ﴿لَئِنْ

---

(١) (ع): «لا يذكر»، وسقطت «لم» من (و).

﴿أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾، والله ﴿لئن[1] قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾.

ومن محاسن لغة العرب أنها تحذفُ من الكلام ما يدلُّ المذكور عليه، اختصارًا وإيجازًا، لا سيَّما فيما يكثُر استعماله، كالقَسَم.

وقوله: ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ هي (ما) الشَّرطيَّة، والتقدير: أيَّ شيءٍ أعطيتُكم من كتابٍ وحكمة، ثم جاءكم رسولٌ مصدِّقٌ لما معكم، لتؤمنُنَّ به ولتنصرُنَّه، ولا تكتفوا بما عندكم عما جاء به، ولا يحملنَّكم ما آتيتكم من كتابٍ وحكمةٍ علىٰ أن تتركوا متابعتَه، بل عليكم أن تؤمنوا به وتنصروه، وإن كان معكم من قبله من كتابٍ وحكمةٍ فلا تستغنوا بما آتيتكم[2] عمَّا جاء به؛ فإن ذلك لا ينجيكم من عذاب الله.

فدلَّ ذلك علىٰ أنه من أدرك محمَّدًا من الأنبياء وأتباعهم وإن كان معه كتابٌ وحكمةٌ فعليه أن يؤمن بمحمَّدٍ وينصره، كما قال: ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾.

وقد أقرَّ الأنبياء بهذا الميثاق، وشهد الله عليهم به، كما قال تعالىٰ: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، ثم قال: ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾، ثم قال: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، ثم قال تعالىٰ: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ

(١) كذا في الأصول، أراد الاستشهاد، والتلاوة: (ولئن).
(٢) (و): «فلا يغنيكم ما آتيتكم».

وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾، ثم قال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٢- ٨٥].

قال طائفةٌ من السَّلف[1]: لمَّا أنزل الله هذه الآية[2] قال من قال من اليهود والنَّصارىٰ: نحن مسلمون، فقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ﴾، فقالوا: لا نحجُّ، فقال تعالىٰ: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

فكلُّ من لم ير حجَّ البيت واجبًا عليه -مع الاستطاعة- فهو كافرٌ، باتفاق المسلمين، كما دلَّ عليه القرآن، واليهود والنَّصارىٰ لا يرونه واجبًا عليهم، فهم من الكفَّار، حتىٰ إنه روي في حديثٍ مرفوع إلىٰ النبيِّ ﷺ: «**من ملك زادًا وراحلةً تُبْلِغُه إلىٰ بيت الله، ولم يحجَّ، فليمت إن شاء يهوديًّا وإن شاء نصرانيًّا**»[3]، وهو محفوظٌ من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه[4].

---

(١) أخرجه ابن جرير (٥/ ٦٢٢) عن عكرمة، والبيهقي (٤/ ٣٢٤) عن مجاهد.
(٢) ليست في (ع).
(٣) أخرجه البيهقي (٤/ ٣٣٤) وغيره من حديث أبي أمامة رضي الله عنه بسند ضعيف، وقال ابن عدي في «الكامل» (٧/ ٤٤٥): «غير محفوظ».
وروي من حديث علي وأبي هريرة رضي الله عنهما، ولا يثبت في الباب شيءٌ مرفوع إلىٰ النبي ﷺ.
انظر: «تنقيح التحقيق» (٣/ ٤٠٤- ٤١٠)، و«تخريج أحاديث الكشاف» (١/ ٢٠٢)، و«البدر المنير» (٦/ ٣٨- ٤٥).
(٤) أخرجه أحمد كما في «السنة» للخلال (٥/ ٤٤، ٤٧). وأخرجه الإسماعيلي في «مسند عمر» بإسناد صحيح، كما قال ابن كثير في «مسند الفاروق» (١/ ٤٤٨)، وابن حجر في «التلخيص الحبير» (٤/ ١٥١٠).

وقد اتَّفق المسلمون علىٰ أن من جحد وجوب مباني الإسلام الخمس: الشهادتين، والصَّلوات الخمس، والزكاة، وصيام شهر رمضان، وحجِّ البيت، فإنه كافر.

وأيضًا، فقد قال تعالىٰ في أول سورة آل عمران(١): ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٨-٢٠].

فقد أمره تعالىٰ بعد قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ أن يقول: أسلمتُ وجهيَ لله ومن اتَّبعنِ، وأن يقول للذين أوتوا الكتاب -وهم اليهود والنَّصارىٰ-، والأمِّيِّين -وهم الذين لا كتاب لهم من العرب وغيرهم-: أأسلمتم؟

فالعرب الأمُّيُّون يدخلون في لفظ «الأمِّيِّين» باتفاق النَّاس، وأما من سواهم فإمَّا أن يشمله هذا اللفظ، أو يدخل في معناه بغيره من الألفاظ المبيِّنة أنه أُرسِل إلىٰ جميع النَّاس.

قال تعالىٰ: ﴿فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ

(١) (و): «أول السورة».

﴿بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾[1]، فقد أمَر أهلَ الكتاب بالإسلام، كما أمَر به الأمِّيِّين، وجعلهم إذا أسلموا مهتدين، وإن لم يُسْلِموا فقد قال: «إنما عليك البلاغ» أي: تُبَلِّغُهم رسالات ربك إليهم، والله هو الذي يحاسبهم.

فدلَّ بهذا[2] كلِّه علىٰ أنه عليه أن يبلِّغ أهل الكتاب ما أمرهم به من الإسلام كما يبلِّغ الأمِّيِّين، وأن الله يحاسبهم علىٰ ترك الإسلام كما يحاسب الأمِّيِّين.

وفي الصَّحيحين[3] عن النبيِّ ﷺ في الكتاب الذي كتبه إلىٰ هِرَقل ملك النَّصارىٰ: **«من محمَّدٍ رسول الله إلىٰ هرقل عظيم الرُّوم، سلامٌ علىٰ من اتَّبع الهدىٰ، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أَسْلِمْ تَسْلَم، وأَسْلِمْ يؤتِك الله أجرك مرَّتين، وإن تولَّيتَ فإن عليك إثم الأريسيِّين»**.

و﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وأبلغُ من ذلك أن الله تعالىٰ أخبر في كتابه أن الإسلام دين الأنبياء، كنوحٍ وإبراهيم ويعقوب وأتباعهم إلىٰ الحواريِّين، وهذا تحقيقٌ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وأن الدِّين عند الله الإسلام في كلِّ زمانٍ ومكان.

---

(١) من قوله: «فقد أمره تعالىٰ» إلىٰ هنا ساقط من (ع).
(٢) (و): «هذا».
(٣) صحيح البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

قال تعالىٰ عن نوح أولِ رسولٍ بعثه الله إلىٰ أهل الأرض: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧١- ٧٢]، فهذا نوحٌ الذي أغرق[1] الله أهل الأرض بدعوته، وجعل جميع الآدميِّين من ذريَّته، يَذْكُر أنه أُمِر أن أكون[2] من المسلمين.

وأما الخليل، فقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾،[3] ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٢٧- ١٢٨، ١٣٠- ١٣٢]، فقد أخبر تعالىٰ أنه أمَر الخليل بالإسلام، وأنه قال: «أسلمتُ لربِّ العالمين»، وأن إبراهيم وصَّىٰ بنيه ويعقوبُ وصَّىٰ بنيه[4] أن لا يموتُنَّ إلا وهم مسلمون.

وقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧- ٦٨].

---

(١) (ي، و): «غرق». وسقط لفظ الجلالة من ط. العاصمة، وهو في الأصول كلها.
(٢) كذا في الأصول علىٰ حكاية لفظ الآية. وفي ط. النيل والعاصمة: «يكون».
(٣) زادت ط. العاصمة هنا: «قال تعالىٰ»، وليست في الأصول.
(٤) «ويعقوب وصىٰ بنيه» ليست في (و).

وقال تعالىٰ عن يوسف الصِّدِّيق ابن يعقوب أنه قال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقال تعالىٰ عن موسىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

وقال عن السَّحرة الذين آمنوا بموسىٰ: ﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝٥٠ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٥٠- ٥١]، وقالوا أيضًا[1]: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

وقال تعالىٰ في قصَّة سليمان: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٠- ٣١]، وقال: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨]، وقال: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٤٢].

وقال تعالىٰ عن بلقيس التي آمنت بسليمان: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وقال عن أنبياء بني إسرائيل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [المائدة: ٤٤].

---

(١) ليست في (د، ع). وفي طرة (د) أن في نسخة: «وقال تعالىٰ».

وقال تعالىٰ عن الحواريِّين: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ [المائدة: ١١١]،[1] ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٣].

فهؤلاء الأنبياء[2] وأتباعهم كلُّهم يذكر تعالىٰ أنهم كانوا مسلمين، وهذا ممَّا يبيِّن أن قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[3] [آل عمران: ٨٥]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، لا يختصُّ بمن بُعِث إليه محمَّد ﷺ، بل هو حكمٌ عامٌّ في الأوَّلين والآخرين.

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١١، ١١٢].

---

(١) زادت ط. العاصمة هنا: «وقال تعالىٰ»، وليست في الأصول.

(٢) (د، ع): «الأنبياء كلهم».

(٣) أُكمِلت الآية في (د، ع).

فصل

قولهم: «ثم وجدنا في هذا الكتاب مِن تعظيم السَّيِّد[1] المسيح وأمِّه، حيث يقول في سورة الأنبياء: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]، وقال في سورة آل عمران: ﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢].

مع الشَّهادات للسَّيِّد المسيح بالمعجزات، وأنه حبلت به أمُّه من غير مُبَاضَعة رجل، [بل] ببشارة[2] مَلَاكِ[3] الله لأمِّه، وأنه تكلَّم في المهد، وأحيا الميت، وأبرأ الأكمَه، ونقَّىٰ الأبرص[4]، وأنه خَلَق من الطِّين كهيئة الطَّير فنفَخ فيه فكان طيرًا[5] بإذن الله، أي بإذن اللاهُوت الذي هو كلمة الله المتَّحدة في النَّاسوت.

ووجدنا أيضًا في الكتاب أن الله رفعه إليه، قال في سورة النساء: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨]، وفي سورة آل عمران: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقال في سورة البقرة: ﴿وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ

---

(١) ليست في (و).

(٢) (ي، و): «بشارة». (ع، د): «لبشارة». والمثبت وما بين المعقوفين من رسالة بولس.

(٣) (د، ع): «ملائكة»، وفي الطرة إشارة إلىٰ أن «ملاك» في نسخة، وهي التي في رسالة بولس الأنطاكي.

(٤) (ع): «وإحياء الميت وإبراء الأكمه ونقي الأبرص».

(٥) (ي، و): «طائرا».

مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧]، وقال في سورة الحديد: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ [الحديد: ٢٧]، وقال في سورة آل عمران: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣، ١١٤].

ثم وجدناه يعظِّم إنجيلنا»[(١)].

الجواب: أمَّا تعظيمُ المسيح وأمُّه فهو حقٌّ، وكذلك مدحُ من كان علىٰ دينه الذي لم يبدَّل قبل أن يُبْعَث ﷺ[(٢)]، أو بقي علىٰ ذلك إلىٰ أن بُعِث محمَّدٌ ﷺ فآمن به؛ فإن هؤلاء مؤمنون مسلمون مهتدون، وكذلك من كان علىٰ دين موسىٰ الذي لم يبدَّل إلىٰ أن بُعِث المسيحُ فآمن به، فهؤلاء مؤمنون مسلمون مهتدون.

وقد قدَّمنا[(٣)] أن المسلمين هم عدلٌ متوسِّطون، لا ينحرفون لا[(٤)] إلىٰ غلوٍّ ولا إلىٰ تقصير، وأما اليهود والنَّصارىٰ فهم علىٰ طرفي نقيض، هؤلاء ينحرفون إلىٰ جهة، وهؤلاء إلىٰ الجهة[(٥)] التي تقابلها، كما ذكرنا تقابُلهم في النَّسخ، وكذلك تقابُلهم في التَّحريم والتَّحليل والطَّهارة والنجاسة.

---

(١) رسالة بولس الأنطاكي (٤١٤- ٤١٥).
(٢) (د، ع): «قبل أن انبعث محمد ﷺ».
(٣) (١/ ١١-١٤).
(٤) ليس في (و).
(٥) (د، ي، ع): «جهة».

فإن اليهود حرِّمت عليهم الطَّيِّبات، وهم يبالغون في اجتناب النجاسات، حتىٰ إن الحائض لا يؤاكلونها ولا يساكنونها[1] ولا يجامعونها، وكانوا لا يرون إزالة النجاسة من الثوب، بل يُقْرَض موضعُها، ويستخرجون الدَّم من العروق، إلىٰ غير ذلك من الآصار والأغلال التي كانت عليهم.

وأما النَّصارىٰ ففي مقابلتهم، تجد عامَّتهم لا يرون شيئًا حرامًا ولا نجسًا إلا ما كرهه الإنسانُ بطبعه، ويصلُّون مع الجنابة والحَدَث وحملِ النَّجاسات، ويأكلون الخبائث، كالدَّم والميتة ولحم الخنزير، إلا من كره منهم شيئًا فتركه.

والمسلمون وسطٌ، كما قال تعالىٰ فيهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أي عدلًا خِيارًا.

قال[2] تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦ - ١٥٧].

ولهذا كان من انحرف من المسلمين إلىٰ شَبَه اليهود والنَّصارىٰ مأمورًا بترك ذلك الانحراف، واتِّباع الصِّراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم

(١) (ع، د): «يشاربونها».
(٢) (ع، د): «كما قال».

من النبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين، وحَسُنَ أولئك رفيقًا، غير المغضوب عليهم كاليهود، ولا[1] الضَّالِّين كالنَّصارىٰ.

وذلك مثلُ من يبالغ[2] في اجتناب النَّجاسات، فيُنَجِّس ما لم يُنَجِّسه الله ورسوله، ويحرِّم ما لم يحرِّمه الله ورسوله، ويأخذه الوسواس في اجتناب النَّجاسات، ويحرِّم طيِّباتٍ أحلَّها الله للمسلمين، مثل: من يرىٰ أن القياس أن النَّجاسة لا تزول لا بماءٍ ولا بغيره[3]، أو يرىٰ أنها وإن زالت فلم يبق لها أثرٌ فالمحلُّ نجسٌ إذا لم تَزُل بما يشترطه هو من الماء أو غيره، أو يرىٰ أن الطيِّبات التي أحلَّ[4] الله حرامٌ خبيثةٌ لأنها مستحيلةٌ عن المحرَّم، مع أن الخَلَّ حلالٌ وإن كان قد كان خمرًا باتفاق المسلمين إذا بدأ اللهُ بإحالته[5]، أو يرىٰ أن الماء الطيِّب والمائعات الطَّيِّبة التي ليس فيها أثرٌ من الخبيث حرامٌ لكون الخبيث لاقاها أو استهلك فيها، مع أنها من الطَّيِّبات لا من الخبائث، أو يرىٰ تحريم ما سوىٰ موضع الدَّم الذي هو أذًىٰ، إلىٰ غير ذلك من أقوالٍ قالها بعض العلماء، ولكنَّ غيرهم نازعهم في ذلك واتَّبع ما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة.

---

(١) (و، ي): «وغير».

(٢) (د، ع): «بالغ».

(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٢١/ ٤٧٦).

(٤) ط. النيل وما تلاها: «أحلها».

(٥) يشير إلىٰ قول عمر رضي الله عنه: «لا تأكل من خمرٍ أُفْسِدَت حتىٰ يكون الله بدأ فسادَها»، أخرجه ابن أبي شيبة (٢٤٥٧٧)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٨/ ٣٩٢)، والبيهقي (٦/ ٣٧) وغيرهم. أي: حتىٰ يكون الله ابتدأ قلبها وإحالتها، فلا يجوز القصد إلىٰ تخليلها. انظر: «شرح العمدة» (١/ ٦٦)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٢١/ ٤٨٤، ٥٠٣، ٦٠١). وتحرفت الجملة في ط. العاصمة إلىٰ «إذا بدا إلىٰ حالته» متابعة للمطبوعة، وزعمت أن ما في الأصول «جملة مضطربة»!

وأعظمُ من ذلك من يكفِّر من خالفه من المسلمين، ويرىٰ نجاسة الكفَّار، كما عليه[1] كثيرٌ من أهل البدع من الرَّافضة والخوارج وغيرهم، فإذا أكل غيرُهم من وعائهم نجَّسه عندهم.

وأمَّا ما يفعله كثيرٌ من النَّاس -من غير أن يقوله عالمٌ- مثلُ من يغسل يديه وثيابه وحُصُر بيته يتوهَّم[2] نجاستها، أو يأمر الحائض إذا طَهُرَت أن تبدِّل ثيابها الأُوَل أو تغسلها، أو يمنع الجُنُبَ أن يأكل أو يشرب حتىٰ يغتسل، فهذا كثيرٌ فيمن يُشْبِه اليهود، بل يُشْبِه سامرة اليهود[3].

وأما من يشبه النَّصارىٰ فمثل من يُحْسِنُ الظَّنَّ بمن لا يتطهَّر ولا يصلِّي من المنسوبين إلىٰ الفقر والزُّهد والعبادة، مثل من يكون في مواضع الشَّياطين والنجاسات، كالحمَّام والأتاتين[4] والمزابل، وهو متلوِّثٌ بالبول والعَذِرة، ويعاشِر الكلاب، ولا يتوضأ ولا يغتسل من الجنابة، بل ولا يصلِّي، أو يصلِّي بلا وضوء. وقد عُلِم بالاضطرار من دين الإسلام أن الصَّلوات الخمس فرضٌ علىٰ كل أحد، وأن الوضوء من الحَدَث والاغتسال من الجنابة فرضٌ لا يصلي إلا به مع القدرة، ولا[5] يتيمَّم مع القدرة، فمن أنكر وجوب ذلك فهو كافرٌ باتفاق المسلمين.

ومن جعَل الزَّاهد العابد الذي له نوعٌ من الخوارق -مثل نوعٍ من الكشف والتَّصرُّف الذي يكون من الشَّياطين والجهَّال، يظنُّون أنه من كرامات

---

(١) (د، ع): «كما دل عليه».

(٢) مهملة في (ي)، (ع، د): «بتوهم».

(٣) يقصد الرافضة. انظر: «منهاج السنة» (١/ ٣٧، ٥/ ١٧٤).

(٤) جمع أتون، وهو الموقد الكبير، كموقد الحمَّام. «المعجم الوسيط» (أتن).

(٥) (د، ع): «وأن لا».

أولياء الله- إذا لم يكن يصلِّي الصَّلوات الخمس، ويتوضأ، ويغتسل من الجنابة = من المؤمنين أو من أولياء الله، فهو كافرٌ باتفاق المسلمين.

ومن لم يحرِّم الخبائث التي حرَّمها الله ورسوله، كالبول، والعَذِرة، والدَّم، والميتة، ولحم الخنزير، والخمر، فهو كافرٌ باتفاق المسلمين.

ومن جعل مستحلَّ ذلك -مع العلم بمخالفته لدين الرَّسول- وليًّا لله، فهو كافرٌ باتفاق المسلمين.

وكذلك فيمن ينتحِلُ الإسلام، ويذمُّ أهل الكتاب، من يكون منافقًا في الدَّرك الأسفل من النَّار، ويكون كثيرٌ من اليهود والنَّصارىٰ أخفَّ عذابًا في الآخرة منه، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٥-١٤٦].

وكذلك المسلمون وأهل السُّنَّة في المسلمين، وكذلك[1] في التَّوحيد.

فإن اليهود شبَّهوا الخالق بالمخلوق فيما يختصُّ بالمخلوق، وهو صفات النَّقص الذي يجب تنزيه الرَّبِّ عنها، والنَّصارىٰ شبَّهوا المخلوق بالخالق فيما يختصُّ بالخالق، وهو صفات الكمال التي لا يستحقُّها إلا الله تبارك وتعالى.

فقال من قال من اليهود: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وهو بخيل.

وقالوا: إنه خلق العالم، فتَعِبَ، فاستراح.

---

(١) ليست في (د، ع).

وحُكِي عن بعضهم أنه قال: بكىٰ علىٰ الطوفان حتىٰ رَمَدَ وعادته الملائكة، وأنه ناح علىٰ بعض مَن أهلكه من عباده كما ينوحُ المصابُ علىٰ ميِّته.

وأمثال ذلك ممَّا يتعالىٰ الله عنه ويتقدَّس ﷻ[1].

وأيضًا، فهم يستكبرون عن عبادة الله وطاعة رسله، ويعصون أمره، ويتعدَّون حدوده، ولا يجوِّزون له أن ينسَخ ما شرَعه، بل يَحْجُرون عليه.

والنَّصارىٰ يصفون المخلوق بما يتَّصف به الخالق، فيجعلونه[2] ربَّ العالمين، خالق كلِّ شيءٍ ومليكَه، الذي هو بكلِّ شيءٍ عليم، وعلىٰ كلِّ شيءٍ قدير، واتَّخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيحَ ابن مريم، وما أُمِروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عمَّا يشركون، واتَّخذوا الملائكة والنبيِّين أربابًا من دون الله[3]، وصوَّروا تماثيل المخلوقات واتَّخذوهم شفعاء يشفعون لهم عند الله، كما فعلت[4] عبَّاد الأوثان، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٨]، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السجدة: ٤].

---

(١) انظر: «الملل والنحل» (١/ ١٠٦)، و«منهاج السنة» (٢/ ٦٢٨)، و«درء التعارض» (٦/ ١٣٧، ٣٤٨)، وما سيأتي (٣/ ٣٦٠).

(٢) (ي، و): «فجعلوه».

(٣) «من دون الله» ليست في (و، ي).

(٤) (و): «فعل».

والمسلمون وسطٌ، يصفون الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله[(١)] من غير تحريفٍ ولا تعطيل، ولا تكييفٍ ولا تمثيل، يصفونه بصفات الكمال، وينزِّهونه عن النقائص التي يمتنعُ[(٢)] على الخالق ولا يتَّصف به المخلوق[(٣)]، فيصفونه بالحياة والعلم[(٤)] والقدرة والرَّحمة والعدل والإحسان، وينزِّهونه عن الموت والنَّوم والجهل والعجز والظُّلم والفناء، ويعلمون مع ذلك أنه لا مِثْل[(٥)] له في شيءٍ من صفات الكمال، فلا أحد يعلمُ كعلمه، ولا يقدرُ كقدرته، ولا يَرحمُ كرحمته، ولا يسمعُ كسمعه، ولا يبصِرُ كبصره، ولا يخلقُ كخلقه، ولا يستوي كاستوائه، ولا يأتي كإتيانه، ولا ينزل كنزوله، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

ولا يصفون أحدًا من المخلوقين بخصائص الخالق جلَّ جلاله، بل كلُّ ما سواه من الملائكة والأنبياء وسائر الخلق فقيرٌ إليه عبدٌ له، وهو الصَّمد الذي يحتاجُ إليه كلُّ شيء، ويسأله كلُّ أحد، وهو غنيٌّ بنفسه، لا يحتاجُ إلىٰ أحدٍ في شيءٍ من الأشياء، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) (د، ع): «رسله».
(٢) كذا في الأصول، من الحمل على المعنىٰ، أي النقص الذي يمتنع.
(٣) أقحمت «إلا» في (و) قبل «المخلوق»، وأثبتتها ط. العاصمة وذكرت في تعليقها أنها لازمة للسياق. وليست في سائر الأصول وط. النيل، وهو الصواب، يريد أن ما تنزه المخلوق عن الاتصاف به من النقص فالخالق أولىٰ بالتنزيه عنه. انظر: «التدمرية» (٥٠)، و«درء التعارض» (٤/ ٧)، و«شرح الأصبهانية» (٣٩٥).
(٤) ليست في (د، ع).
(٥) ط. العاصمة: «مثيل»، خلاف الأصول.

﴿وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ٩٤ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾ [مريم: ٨٨- ٩٥].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾ [النساء: ١٧١- ١٧٣].

وكذلك هم في المسيح.

فالنَّصارىٰ يقولون: هو الله، ويقولون أيضًا: هو(١) ابن الله، وهو إلهٌ تامٌّ وإنسانٌ تامٌّ.

واليهود يقولون: هو ولد زنا، وهو ابن يوسف النَّجَّار(٢)، ويقولون عنه: هو ساحرٌ كذَّاب(٣)، ويقولون عن مريم: إنها بغيٌّ بعيسىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ١٥٦].

---

(١) (ع): «إنه».

(٢) من قرابة مريم، تزعم المصادر النصرانية أنه كان خاطبًا لها. انظر: تفسير ابن جرير (١٥/ ٤٩٤)، و«تخجيل من حرف التوراة والإنجيل» (١/ ١١٧) والتعليق عليه.

(٣) تأخرت جملة «ويقولون عنه هو ساحر كذاب» في (و، د، ي) إلىٰ آخر الفقرة.

وأما المسلمون، فيقولون: هو عبد الله ورسوله، وكلمتُه ألقاها إلىٰ مريم العذراء البتول، وروحٌ منه[1]، وهو وجيهٌ في الدُّنيا والآخرة، ومن المقربين. ويصفونه بما وصفه الله به في كتابه، لا يغلون فيه غلوَّ النَّصارىٰ، ولا يقصِّرون في حقِّه تقصير اليهود.

وكذلك قولهم في سائر الأنبياء والمرسلين، وفي أولياء الله.

فاليهود قتلوا النبيِّين والذين يأمرون بالقسط من النَّاس.

والنَّصارىٰ اتَّخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيحَ بن مريم، وما أُمِروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو، سبحانه عما يشركون.

ومع هذا، فقد شارك النَّصارىٰ لليهود[2] في نقص حقِّ كثيرٍ من الأنبياء، فيقولون: إن سليمان لم يكن نبيًّا، ويقولون: إن الحواريِّين مثل موسىٰ وإبراهيم، ويقولون: إن من عمل بوصايا الله من غير الأنبياء صار مثل الأنبياء وكان له أن يشرع شريعةً.

وبعض اليهود غلوا في العُزَيْر حتىٰ قالوا: إنه ابن الله.

ولهذا قال نبيُّنا ﷺ في الحديث الصَّحيح: «**لا تُطْرُوني كما أَطْرَت النَّصارىٰ عيسىٰ بن مريم، فإنما أنا عبد الله، فقولوا: عبد الله ورسوله**»[3].

والله تعالىٰ ذكر في القرآن في سورة (كهيعص) قصَّة ابني الخالة يحيىٰ وعيسىٰ، ويحيىٰ يسمُّونه النَّصارىٰ «يُوحَنَّا»، وهو يُوحَنَّا المُعْمِدَاني[4] عندهم،

---

(١) من قوله: «وكلمته ألقاها» إلىٰ هنا ليس في (و).

(٢) كذا في الأصول. وفي ط. العاصمة: «اليهود»، وهو الجادة.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٤٥) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٤) زعموا أنه كان يعمِّد التائبين في نهر الأردن بعد أن يعترفوا بخطاياهم. انظر: «محيط المحيط» (٦٣١)، و«قاموس الكتاب المقدس» (١١٠٧).

فقال تعالىٰ بعد أن ذكر قصّة يحيىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا
مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا
﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِيَهَبَ[1]
لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾
قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا
مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ
جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا
تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا
﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا
فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا
فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ
قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا
﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا
بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ
حَيًّا﴾، ثم قال الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾
مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَبِّى
وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن
مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾
[مريم: ١٦ - ٣٨].

(١) كذا في الأصول. وهي قراءة أبي عمرو، قراءة المصنف وأهل الشام لعهده. وسيأتي الكلام عليها (١/ ٣٥٦).

فذكر سبحانه قصَّة مريم والمسيح في هذه السُّورة المكِّيَّة التي أنزلها في أول الأمر بمكَّة في السُّور التي ذكر فيها أصول الدِّين التي اتَّفق عليها الأنبياء، ثم ذكرها في سورة آل عمران، وهي من السُّور[1] المدنيَّة التي يخاطِبُ فيها من اتَّبع الأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين لمَّا قدم عليه نصارىٰ نجران، فكان فيها الخطابُ لأهل الكتاب، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٣- ٣٦].

وفي الصَّحيحين[2] عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**ما من مولودٍ إلا يمسُّه الشَّيطان، فيستهلُّ صارخًا من الشَّيطان، إلا مريم وابنها**»، ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

قال تعالىٰ[3]: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾.

ثم ذكر قصَّة زكريا ويحيىٰ، ثم قال[4]: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ

---

(١) من قوله: «التي اتفق عليها» إلىٰ هنا ساقط من ط. العاصمة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٣١)، ومسلم (٢٣٦٦).

(٣) من قوله: «وفي الصحيحين» إلىٰ هنا لحقٌ مختومٌ بالتصحيح في طرة (د، ع).

(٤) كذا في الأصول. والأشبه أن تكون: «فقال».

هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي
فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌۖ قَالَ
كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةًۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ
ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًاۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾
يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ
إِلَيْكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ
يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ
عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ
وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكِ
ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ
وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا
تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ
﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ
نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ
وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ
خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ

كَفَرُوٓاْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ
فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا
فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ
وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن
فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ
ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ
فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ
وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ
ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا
وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ
﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ
بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ
فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا
وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ
ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٨- ٦٨].

فهو سبحانه قد ذكر قصَّة مريم والمسيح في هاتين السُّورتين:

إحداهما: مكِّيَّة، نزلت في أوَّل الأمر مع السُّور الممهِّدة لأصول الدِّين، وهي سورة (كهيعص).

والثانية: مدنيَّة، نزلت بعد أن أُمِر بالهجرة والجهاد، ولهذا تضمَّنت مناظرة أهل الكتاب ومباهلتَهم، كما نزلت في براءة مجاهدتُهم.

فأخبر في السُّورة المكِّيَّة أنها لمَّا انفردت للعبادة أرسل الله إليها روحَه، فتمثَّل لها بشرًا سويًّا، فقالت: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾.

قال أبو وائل[1]: «عَلِمَتْ أن المتَّقي[2] ذو نُهْيَة»[3]، أي تقواه ينهاه[4] عن الفاحشة، وأنها خافت منه أن يكون قصدُه الفاحشة، فقالت: أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًّا، أي تتقي الله.

وما يقوله بعض الجهَّال من أنه كان فيهم رجلٌ فاجرٌ اسمه «تقيّ»[5]، فهو من نوع الهذيان[6]، وهو من الكذب الظاهر الذي لا يقوله إلا جاهل.

ثم قال: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِيَهَبَ[7] لَكِ﴾، وفي القراءة الأخرىٰ: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾[8]، فأخبر هذا الرُّوحُ الذي تمثَّل لها بشرًا سويًّا أنه رسولُ ربها، فدلَّ الكلام علىٰ أن هذا الرُّوح عينٌ قائمةٌ بنفسها ليست صفةً

---

(١) شقيق بن سلمة الأسدي، من كبار التابعين، توفي سنة ٨٢.

(٢) كذا في الأصول. وفي مصادر الأثر: «التقي»، وهو لفظ الآية.

(٣) علقه البخاري مجزومًا به في الصحيح (٤/ ١٦٥، ٦/ ٩٣)، ووصله نعيم بن حماد في زيادات «الزهد» لابن المبارك (٢/ ١٩)، والحربي في «غريب الحديث» (١٠٥٩)، وابن جرير في التفسير (١٥/ ٤٨٧)، وغيرهم. انظر: «تغليق التعليق» (٤/ ٣٧).

(٤) كذا في الأصول، من الحمل علىٰ المعنىٰ، والجادة: تنهاه.

(٥) نسبه الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٦٣) إلىٰ ابن عباس دون إسناد. وحكاه مكي في «الهداية» (٧/ ٤٥١٠) عن وهب بن منبه، وأخرجه ابن جرير (١٥/ ٤٨٦) عنه مختصرًا، وهو أشبه، قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٦/ ١٧): «وهو ضعيفٌ ذاهبٌ مع التخرُّص».

(٦) (ع): «نوع من الهذيان».

(٧) هذه قراءة أبي عمرو، وهي قراءة المصنف وأهل الشام لعهده، كما سلف مرارًا.

(٨) قرأ بها الجماعة غير أبي عمرو ونافع في رواية ورش والحلواني وسالم بن هارون عن قالون. انظر: «جامع البيان» للداني (٣/ ١٣٤٠).

لغيرها، وأنه رسولٌ من الله ليس صفةً من صفات الله، ولهذا قال جماهير العلماء: إنه جبريل عليه السلام[1]؛ فإن الله سمَّاه ﴿ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وسمَّاه ﴿رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ [النحل: ١٠٢]، وسمَّاه ﴿جِبْرِيل﴾ [البقرة: ٩٧][2].

وهكذا عند أهل الكتاب أنه تجسَّد من مريم ومن روح القُدُس، لكن ضلالهم حيث يظنُّون أن روح القُدُس حياة الله، وأنه إلهٌ يخلق ويرزق ويُعْبَد، وليس في شيءٍ من الكتب الإلهيَّة ولا في كلام الأنبياء أن الله سمَّىٰ صفته القائمة به «روح القُدُس»، ولا سمَّىٰ كلامه ولا شيئًا من صفاته «ابنًا».

وهذا أحد[3] ما يتبيَّن[4] به ضلالُ النَّصارىٰ، وأنهم حرَّفوا كلام الأنبياء، وتأوَّلوه علىٰ غير ما أرادت الأنبياء؛ فإن أصل تثليثهم مبنيٌّ علىٰ ما في أحد الأناجيل من أن المسيح عليه السلام قال لهم: «عمِّدوا النَّاسَ باسم الأب والابن وروح القُدُس»[5].

فيقال لهم: هذا إذا كان قد قاله المسيح. وليس في لغة المسيح ولا لغة أحدٍ من الأنبياء أنهم يسمُّون صفة الله القائمة به ولا كلمته[6] ولا حياته لا «ابنًا» ولا «روح قُدُس»، ولا يسمُّون كلمته «ابنًا»، ولا يسمُّونه نفسه «ابنًا» ولا «روح قُدُس»[7]، ولكن يوجد فيما ينقلونه عنهم أنهم يُسَمُّون[8] المصطفىٰ المكرَّم

(١) انظر: تفسير ابن جرير (١٥/ ٤٨٥)، و«الدر المنثور» (١٠/ ٤٩).
(٢) انظر: مسألة في «أن عيسىٰ كلمة الله» لشيخ الإسلام (٤٥، ٤٧، ٥٦- ٥٨).
(٣) (ع): «آخر».
(٤) مهملة في (ي)، ولم تحرر في (و). والتركيب مألوف في كلام المصنف.
(٥) إنجيل متىٰ (٢٨: ١٩).
(٦) (د، ي، ع): «لا كلمته».
(٧) كما سيأتي (٢/ ١٩٧-١٩٨).
(٨) (و): «يصفون».

«ابنًا»، وهذا موجودٌ في حقِّ المسيح وغيره، كما يذكرون أنه قال تعالىٰ لإسرائيل: «أنت ابني بِكْرِي»[١] أي بني إسرائيل[٢].

و«روح القُدُس» يراد به الرُّوح التي تنزل علىٰ الأنبياء، كما نزلت علىٰ داود وغيره؛ فإن في كتبهم أن روح القُدُس كانت في داود وغيره، وأن المسيح قال لهم: «أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم»[٣]، فسمَّاه «أبًا» للجميع، لم يكن المسيح مخصوصًا عندهم باسم «الابن»، ولا يوجد عندهم لفظ[٤] «الابن» إلا اسمًا لمخلوق، لا اسمًا لشيءٍ من صفات الله، ولا في كتب الأنبياء أن صفة الله تولَّدت منه[٥].

وإذا كان كذلك، كان في هذا ما يبيِّن أنه ليس المراد بالابن كلمة الله القديمة الأزليَّة التي يقولون: إنها تولَّدت من الله عندهم، مع كونها أزليَّة، ولا بروح القُدُس حياة الله، بل المراد بالابن ناسوتُ المسيح، وبروح القُدُس ما أُنزِل عليه من الوحي والمَلَكُ الذي نزل به، فيكون قد أمرهم بالإيمان بالله وبرسوله وبما أنزله علىٰ رسوله والمَلَك الذي نزل به. وبهذا أمرت الأنبياء كلُّهم، وليس للمسيح خاصَّةٌ استحقَّ بها أن يكون فيه شيءٌ من اللاهوت، لكن ظهر فيه نورُ الله وكلامُ الله وروحُ الله، كما ظهر في غيره من الأنبياء والرُّسل؛

---

(١) سفر الخروج (٤: ٢٢).

(٢) كذا في الأصول. ولعل الصواب حذف «بني» كما في (٣/ ٩٩). وإسرائيل هو يعقوب عليه السلام. وانظر: «تثبيت دلائل النبوة» (١/ ١٢٠)، و«تخجيل من حرف التوراة والإنجيل» (١/ ٢٠٥، ٢٤٣- ٢٦٢)، وما سيأتي (٢/ ١٥٠، ١٩٥، ١٩٨).

(٣) إنجيل يوحنا (٢٠: ١٧).

(٤) (ي): «لغة».

(٥) ط. النيل: «إلا اسمًا للمصطفىٰ المكرم، لا اسمًا لشيء من صفات الله القديمة حتىٰ يكون الابن صفة الله تولدت منه».

ومعلومٌ أن غيره[1] أيضًا فيما ينقلونه عن الأنبياء يسمَّىٰ «ابنًا» وروح القُدُس حلَّت فيه، وهذا مبسوطٌ في غير هذا الموضع[2].

والمقصود هنا التنبيه علىٰ أن كلام الأنبياء عليهم السَّلام يصدِّق بعضه بعضًا، وأنه ليس مع النَّصارىٰ لا حجَّة سمعيَّة ولا عقليَّة توافق ما ابتدعوه، ولكن فسَّروا كلام الأنبياء بما لا يدلُّ عليه، وعندهم في الإنجيل أنه قال: «إن السَّاعة لا يعلمها الملائكة ولا الابن، وإنما يعلمها الأب وحده»[3]، فبيَّن أن الابن لا يعلم السَّاعة، فعُلِم أن الابن ليس هو القديم الأزليَّ، وإنما هو المُحْدَث الزَّماني.

(١) (و): «فإن غيره»، وليس فيها «ومعلوم».
(٢) سيأتي (٣/ ٣٩٥-٣٩٨).
(٣) إنجيل متىٰ (٢٤: ٣٦)، إنجيل مرقس (١٣: ٣٢).

فصل

والمضاف إلىٰ الله نوعان[1]؛ فإن المضاف:

* إما أن يكون صفةً لا تقوم بنفسها، كالعلم والقدرة والكلام والحياة.

* وإما أن يكون عينًا قائمةً بنفسها.

فالأول: إضافةُ صفةٍ، كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، وقول النبيِّ ﷺ في الحديث الصَّحيح حديث الاستخارة: «**إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهمَّ إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك**»[2]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كلماتُ[3] رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة: ١٠]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق: ٥].

والثاني: إضافةُ عينٍ، كقوله تعالىٰ: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ [الحج: ٢٦]، وقوله: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشمس: ١٣]، وقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦].

فالمضافُ في الأول صفةٌ لله قائمةٌ به، ليست مخلوقةً له بائنةً عنه[4]،

---

(١) انظر: «درء التعارض» (٧/ ٢٦٥)، و«الصفدية» (٢/ ٦٧)، و«بيان تلبيس الجهمية» (٦/ ٥٣٤)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٧/ ١٥١).

(٢) أخرجه البخاري (١١٦٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) كذا في الأصول، وهي قراءة أبي عمرو.

(٤) (د، ي، ع): «مخلوق له بائن عنه»، وأصلحت في (و).

والمضافُ في الثاني مملوكٌ لله مخلوقٌ له بائنٌ عنه، لكنَّه مفضَّلٌ مشرَّف؛ لما خصَّه الله به من الصِّفات التي اقتضت إضافته إلىٰ الله ﷻ، كما خصَّ ناقة صالحٍ من بين النُّوق، وكما خصَّ بيته بمكَّة من بين[1] البيوت، وكما خصَّ عباده الصَّالحين من بين الخلق.

ومن هذا الباب قوله تعالىٰ: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: ١٧]، فإنه وصف هذا الرُّوح بأنه تمثَّل[2] بشرًا سويًّا، وأنها استعاذت بالله منه إن كان تقيًّا، وأنه قال: «إنما أنا رسول ربك»، وهذا كلُّه يدلُّ علىٰ أنها عينٌ قائمةٌ بنفسها، وهي التي تسمَّىٰ في اصطلاح النُّظَّار «جوهرًا»، وقد تسمَّىٰ «جسمًا» إذا كانت مشارًا إليها، مع اختلاف النَّاس في الجسم هل هو مركَّبٌ من الجواهر المفردة، أم من المادَّة والصُّورة، أم ليس مركَّبًا لا من هذا ولا من هذا؟[3].

وإذا كان الله قد بيَّن أن المضاف هنا ليس من الصفات القائمة بغيرها، بل من الأعيان القائمة بنفسها، عُلِم أن المضاف مملوكٌ لله مخلوقٌ له، لكن إضافته إلىٰ الله تدلُّ علىٰ تخصيص الله له من الاصطفاء والإكرام بما أوجب التخصيصَ بالإضافة.

وقد ذكرتُ فيما كنتُ كتبته قبل هذا من الرَّدِّ علىٰ النَّصارىٰ الكلام في ذلك وغيره[4]، وبيَّنتُ أن المضافات إلىٰ الله نوعان: أعيانٌ، وصفات.

---

(١) ساقطة من ط. العاصمة.

(٢) ط. النيل: «تمثل لها».

(٣) والصواب ثالثها. انظر: «درء التعارض» (٣/ ٤٤٢، ٤/ ١٣٤، ٨/ ٣٢٠، ١٠/ ٣١٢)، و«منهاج السنة» (٢/ ١٣٦، ١٦٥، ٢١٠، ٥٣١).

(٤) لعله يشير إلىٰ جوابه عن إيراد بعض النصارىٰ علىٰ المسلمين قولهم: إن عيسىٰ كلمة الله وهو مخلوق، والقرآن كلام الله وهو غير مخلوق، وقد نُشِر في رسالة مفردة.

فالصِّفات إذا أضيفت إليه، كالعلم والقدرة والكلام والحياة والرِّضا والغضب ونحو ذلك، دلَّت الإضافة علىٰ أنها إضافةُ وصفٍ له قائمٍ به، ليست مخلوقة؛ لأن الصِّفة لا تقوم بنفسها، فلا بدَّ لها من موصوفٍ تقوم به، فإذا أضيفت إليه عُلِم أنها صفةٌ له، لكن قد يعبَّر باسم الصفة عن المفعول بها، فيسمَّىٰ[1] المقدورُ قدرةً، والمخلوقُ بالكلمة كلامًا، والمعلومُ علمًا، والمرحومُ به رحمةً، كقول النبي ﷺ: «**إن الله خلق الرَّحمة يوم خلقها مئة رحمة**»[2]، وقوله تعالىٰ فيما يروي عنه نبيُّه أنه قال للجنَّة: «**أنت رحمتي أرحم بك من أشاء**»[3]، ويقال للمطر والسَّحاب: هذه قدرةُ قادرٍ، وهذه قدرةٌ عظيمة، ويقال في الدعاء: «غفر الله لك علمَه فيك» أي معلومَه[4].

وأما الأعيان إذا أضيفت إلىٰ الله تعالىٰ، فإما أن تضاف بالجهة العامَّة التي يشترك فيها المخلوق، مثل كونها مخلوقةً ومملوكةً له ومقدورةً ونحو ذلك، فهذه إضافةٌ عامَّةٌ مشتركة، كقوله: ﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان: ١١].

وقد يضاف لمعنًىٰ يختصُّ بها يميَّز به المضافُ عن غيره، مثل: بيت الله، وناقة الله، وعبد الله، ورُوح الله؛ فمن المعلوم اختصاصُ ناقة صالح بما تميَّزت به عن سائر النِّياق، وكذلك اختصاص الكعبة، واختصاص العبد الصالح الذي عبَد الله وأطاع أمره، وكذلك الرُّوح المقدَّسة التي امتازت بما فارقت به غيرها من الأرواح.

---

(١) (د، ي، ع): «يسمىٰ»، وأصلحت في (و).
(٢) أخرجه البخاري (٦٤٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) انظر: «الحجة» لأبي علي (٢/ ١٤١)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٣٤٣).

فإن المخلوقات اشتركت في كونها مخلوقةً مملوكةً مربوبةً لله يجري عليها حكمُه وقضاؤه وقدرُه، وهذه الإضافة لا اختصاص فيها ولا فضيلة للمضاف علىٰ غيره، وامتاز بعضها بأن الله يحبُّه ويرضاه ويصطفيه ويقرِّبه إليه ويأمر به أو يعظِّمه ويحبُّه، فهذه الإضافة يختصُّ بها بعض المخلوقات، فإضافة[1] البيت والنَّاقة والرُّوح وعباد الله من هذا الباب.

وقد قال تعالىٰ في سورة الأنبياء: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]، وقال في سورة التحريم: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١١- ١٢].

فذكر امرأة فرعون التي ربَّت موسىٰ بن عمران، وجمعت بينه وبين أمِّه حتىٰ أرضعته أمُّه[2] عندها، وذكر مريم أمَّ المسيح التي ولدته وربَّته، فهاتان المرأتان ربَّتا هذين الرَّسولين الكريمين.

فلمَّا قال هنا: ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا﴾ أي في المرأة، و﴿فِيهِ﴾ أي في فرجها، ﴿مِن رُّوحِنَا﴾، وقال هنا: ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾ إلىٰ قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِيَهَبَ[3] لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾ [مريم: ١٧- ١٩] = دلَّ علىٰ أن قوله: ﴿رُوحَنَا﴾

---

(١) (د، ي، ع): «كإضافة».

(٢) ليست في (ع).

(٣) كذا في الأصول، وهي قراءة أبي عمرو، كما سلف.

ليس المراد به أنه صفةٌ لله، لا الحياة ولا غيرها، ولا هو ربٌّ خالق، فلا هو الربُّ الخالقُ ولا صفة الربِّ الخالق، بل هو روحٌ من الأرواح التي اصطفاها الله وأكرمها، كما تقدَّم في قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾، وأن الأكثرين علىٰ أنه جبريل[1].

وهذا الأصل الذي ذكرناه من الفرق فيما يضاف إلىٰ الله بين[2] صفاته وبين مملوكاته أصلٌ عظيمٌ ضلَّ فيه كثيرٌ من أهل الأرض من أهل المِلَل كلِّهم؛ فإن كتب الأنبياء التَّوراة والإنجيل والقرآن وغيرها أضافت إلىٰ الله أشياء علىٰ هذا الوجه وأشياء علىٰ هذا الوجه، فاختلف النَّاسُ في هذه الإضافة:

* فقالت المعطِّلة نفاة الصِّفات من أهل المِلَل: إن الجميع إضافةُ مُلْكٍ، وليس لله حياةٌ قائمةٌ به، ولا علمٌ قائمٌ به، ولا قدرةٌ قائمةٌ به، ولا كلامٌ قائمٌ به، ولا حبٌّ ولا بغض، ولا غضبٌ ولا رضىٰ، بل جميع ذلك مخلوقٌ من مخلوقاته.

وهذا أول ما ابتدعه[3] في الإسلام الجهميَّة، وإنما ابتدعوه بعد انقراض عصر الصَّحابة وأكابر التَّابعين لهم بإحسان، وكان مُقَدَّمهم رجلٌ يقال له: الجهم بن صفوان[4]، فنُسِبت[5] الجهميَّة إليه، ونفوا الأسماء والصفات، واتَّبعهم المعتزلة وغيرهم، فنفوا الصِّفات دون الأسماء، ووافقهم طائفةٌ من الفلاسفة أتباع[6] أرسطو.

---

(١) (ع): «هو جبريل».
(٢) (د، ع): «من».
(٣) ط. العاصمة: «ابتدعته»، خلاف الأصول.
(٤) الجهم بن صفوان، أبو محرز السمرقندي، المتكلم، رأس الجهمية وأساس البدعة، قتل سنة ١٢٨. انظر: «تاريخ الإسلام» (٣/ ٣٨٩)، و«لسان الميزان» (٢/ ٥٠١).
(٥) مهملة في (ي)، (و): «فنسب».
(٦) (ي): «وأتباع».

* وقالت الحلوليَّة: بل ما يضاف إلىٰ الله قد يكون هو صفةً له[1] وإن كان بائنًا عنه. بل قالوا: هو قديمٌ أزليٌّ. فقالوا: روح الله قديمةٌ أزليَّةٌ صفةٌ لله. حتىٰ قال كثيرٌ منهم: إن أرواح بني آدم قديمةٌ أزليَّةٌ صفةٌ[2] لله. وقالوا: إن ما يسمعه النَّاسُ من أصوات القرَّاء ومداد المصاحف قديمٌ[3] أزليٌّ وهو صفةٌ لله.

وقال حذَّاق هؤلاء: بل غضبه ورضاه وحبه وبغضه وإرادته لما يخلقه قديمٌ أزليٌّ[4]، وكلامُه الذي سمعه موسىٰ قديمٌ أزليٌّ، وأنه لم يزل راضيًا محبًّا لمن عَلِم أنه يطيعُه قبل أن يُخْلَق، ولم يزل غضبانَ ساخطًا علىٰ من عَلِم أنه يكفر قبل أن يُخْلَق، ولم يزل ولا يزال قائلًا: يا آدم، يا نوح، يا إبراهيم، قبل أن يوجدوا، وبعد موتهم، ولم يزل ولا يزال يقول: يا معشر الجنِّ والإنس، قبل أن يُخْلَقوا، وبعدما يدخلون الجنَّة والنَّار.

* وأما سلفُ المسلمين من الصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسان، وأئمَّة المسلمين المشهورون بالإمامة فيهم كالأربعة وغيرهم، وأهل العلم بالكتاب والسُّنَّة، فيفرِّقون بين مملوكاته وبين صفاته، فيعلمون أن العباد مخلوقون، وصفات العباد مخلوقة، وأجسادهم وأرواحهم وكلامهم وأصواتهم بالكتب الإلهيَّة وغيرها، ومدادهم وأوراقهم، الملائكة[5] والأنبياء وغيرها.

ويعلمون أن صفات الله القائمة به ليست مخلوقة، كعلمه وقدرته وكلامه وإرادته وحياته وسمعه وبصره ورضاه وغضبه وحبِّه وبغضه، بل هو موصوفٌ

---

(١) (و): «بل ما يضاف إلىٰ صفة الله هو صفة له».
(٢) ط. العاصمة: «وصفة»، خلاف الأصول.
(٣) (ع): «حق قديم».
(٤) زادت ط. العاصمة هنا من (ي): «وهو صفة لله»، مع أن الناسخ ضرب عليه وكتب فوقه (لا ... إلىٰ)، وليس في سائر الأصول.
(٥) بدل من «العباد». وتحرفت في (و) إلىٰ «المكتبة». ط. النيل: «والملائكة».

بما وصف به نفسَه وبما وصفته[1] به رسلُه، من غير تحريفٍ ولا تعطيل، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل.

فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفته[2] به رسله، ولا يحرِّفون الكَلِم عن مواضعه ولا يتأوَّلون كلام الله بغير ما أراده، ولا يمثِّلون صفات الخالق بصفات المخلوق، بل يعلمون أن الله سبحانه ليس كمثله شيءٌ، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، بل هو موصوفٌ بصفات الكمال، منزَّهٌ عن النقائص، وليس له مِثْلٌ في شيءٍ من صفاته.

ويقولون: إنه لم يزل ولا يزال موصوفًا بصفات الكمال، لم يزل متكلمًا إذا شاء بمشيئته وقدرته، ولم يزل عالمًا، ولم يزل قادرًا، ولم يزل حيًّا سميعًا بصيرًا، ولم يزل مُرِيدًا، فكلُّ كمالٍ لا نقص فيه يمكنُ اتصافُه به فهو موصوفٌ به، لم يزل ولا يزال متصفًا بصفات الكمال، منعوتًا بنعوت الجلال والإكرام ﷻ.

والنَّصارىٰ من أعظم النَّاس اضطرابًا في هذا الأصل، فتارةً يجعلون كلامَه الذي تكلَّم به -كالتَّوراة والإنجيل- مخلوقًا منفصلًا عنه[3]، وينفون عنه الصِّفات، وتارةً يجعلون كلمته قديمةً أزليَّةً متولِّدةً عنه، لم تَزَل ولا تزال، ثم يقولون: هذه الكلمة هي ابنُه، ويجعلون هذه الكلمة علمَه أو حكمتَه، ويقولون: إن هذه الكلمة هي إلهٌ خالق، وهو الذي خلق السَّماوات والأرض، ويقولون[4]: هذه الكلمة هي المسيح، والمسيح إلهٌ خالق العالم، ويقولون مع هذا: إن هذه الكلمة ليست هي الأب الذي خلق السَّماوات والأرض.

---

(١) (د، ع): «وصفه».
(٢) (د، ع): «ولا بما وصفه».
(٣) ليس في (ع، د).
(٤) (و، ي): «وأن».

فيجعلون كلمته صفةً قديمةً أزليَّة، ويجعلونها ابنًا له، ويجعلون الصِّفة إلهًا خالقًا، ويجعلون المسيح هو الإله الخالق، ويقولون مع هذا: هو إلهٌ حقٌّ من إلهٍ حقٍّ من جوهر أبيه.

ولهم في كلام الله وصفاته من التناقض والاضطراب، ومخالفة كلام الأنبياء، وتفسيره بغير ما أرادوه، ومخالفة صريح المعقول وصحيح المنقول، ما سنذكر إن شاء الله منه ما ييسِّره الله ﷻ؛ إذ بيان فساد أقوال[1] النَّصارىٰ بالاستقصاء لا يتَّسع له هذا الكتاب.

ولمَّا قصَّ الله تعالىٰ قصَّة المسيح قال: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ﴾ [مريم: ٣٤] أي يشكُّون ويتمارَون كتَمَاري اليهود والنَّصارىٰ.

ثم قال تعالىٰ: ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾ [مريم: ٣٧]، فاختلفت اليهود والنَّصارىٰ فيه.

ثم اختلفت النَّصارىٰ فيه، وصاروا أحزابًا كثيرةً جدًّا، كالنُّسْطُوريَّة، واليعقوبيَّة، والمَلَكيَّة[2]، والمارونيَّة[3]، والمَرْيمانيَّة[4]، والشِّمْشَاطيَّة[5]، وأمثال هذه الطوائف، كما سنذكر إن شاء الله كثيرًا من طوائفهم واختلافهم في مجامعهم كما حكىٰ ذلك عنهم أحدُ أكابرهم سعيدُ بن البطريق[6] وغيره؛ فإنه

---

(١) (د، ع): «دين».
(٢) تقدم التعريف بهذه الطوائف الثلاث (١-٢٥٣).
(٣) مهملة في (ي، د، ع). وفي ط. النيل والعاصمة: «والباروبية»، تحريف.
(٤) تقدم التعريف بهم (١/ ٢٥٥).
(٥) مهملة في (ي، د، ع). وفي ط. النيل والعاصمة: «والسمياطية»، تحريف.
(٦) تقدمت ترجمته (١/ ٢٥٥).

ليس في الأمم أكثر اختلافًا في ربِّ العالمين منهم[1].

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من هذه الطوائف كلِّها ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ يقول تعالىٰ: ما أسمعَهم وما أبصرَهم يوم يأتوننا، ﴿لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ﴾ كالنَّصارىٰ الذين ظَلَموا بإفكهم وشركهم ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [مريم: ٣٨] ضلُّوا عن الحقِّ في المسيح.

وقد وصف الله النَّصارىٰ بالضلال في مثل قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ [الكهف: ٤]؛ لأن الغالب عليهم الجهل بالدِّين، وأنهم يتكلَّمون بكلامٍ لا يعقلون معناه، ليس منقولًا عن الأنبياء حتىٰ يُسَلَّم[2] لقائله، بل هم ابتدعوه، وإذا سألتهم عن معناه قالوا: هذا لا يُعْرَفُ بالعقول، فيبتدعون كلامًا يعترفون[3] بأنهم لا يعقلونه[4]، وهو كلامٌ متناقضٌ ينقض أوَّلُه آخرَه، ولهذا لا تجدهم يتَّفقون علىٰ قولٍ واحدٍ في معبودهم، حتىٰ قال بعض النَّاس: لو اجتمع عشرة نصارىٰ افترقوا علىٰ أحد عشر قولًا!

---

(١) من قوله: «والمارونية» إلىٰ هنا ليس في (و).
(٢) (ي، ع، د): «سلم». والمثبت من ط. النيل أشبه.
(٣) الأصول: «يعرفون»، وهو خطأ. وانظر ما سيأتي (٣/ ٢١١).
(٤) من قوله: «ليس منقولا» إلىٰ هنا ليس في (و).

وقال الربيعي(١): النَّصارىٰ أشدُّ النَّاس اختلافًا في مذاهبهم، وأقلُّهم تحصيلًا لها، لا يمكن أن يُعْرَف لهم مذهب، ولو سألتَ قَسًّا من أقسَّائهم(٢) عن مذهبهم في المسيح، وسألت أباه وأمَّه، لاختلفوا عليك الثَّلاثة، ولقال كلُّ واحدٍ منهم قولًا لا يشبه قول الآخر.

وقال بعض النُّظَّار: ما من قولٍ يقوله طائفةٌ من العقلاء إلا إذا تأمَّلتَه تصوَّرتَ منه معنًىٰ معقولًا وإن كان باطلًا، إلا قول النَّصارىٰ، فإنَّك كلَّما تأمَّلتَه لم تتصوَّر له حقيقةً تُعْقَل، لكنَّ غايتهم أن يحفظوا «الأمانة» أو غيرها، وإذا طولبوا بتفسير ذلك فسَّره كلٌّ منهم بتفسيرٍ يكفِّر به الآخر، كما يكفِّر اليعقوبيَّة والمَلَكانيَّة والنسطوريَّة بعضهم بعضًا؛ لاختلافهم في أصل التوحيد والرِّسالة، إذ كان قولهم في التوحيد والرِّسالة من أفسد الأقوال وأعظمها تناقضًا، كما بُيِّن في موضعٍ آخر(٣).

---

(١) مهملة في (ي، د). ولم أعرفه. وفي ط. العاصمة: «الربعي».

(٢) لم أر الجمع في معاجم العربية، علىٰ كثرة وقوعه في كلام المتأخرين، وفي أثر متقدم في «تاريخ دمشق» (٢/ ٢٥٥). وانظر: «تكملة المعاجم» لدوزي (٨/ ٢٦٦).

(٣) انظر: «الصفدية» (١/ ١٢٨)، و«بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ١٢٧)، و«درء التعارض» (٥/ ٤٣، ١٠/ ٢٣٧)، و«التسعينية» (٨٦٠)، و«شرح الأصبهانية» (١١٨)، و«الرد علىٰ الشاذلي» (١٧٠)، و«الرد علىٰ البكري» (١/ ١٨١)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٧/ ٢٧٣-٢٨٥)، وما سيأتي من الكتاب.

فصل

وأما قولهم: «فكان طيرًا بإذن الله، أي بإذن اللاهوت الذي هو كلمة الله المتَّحدة في النَّاسوت»(١).

فهذا إذا قالوه علىٰ أنه مذهبهم، من غير أن يقولوا: إن محمَّدًا أراده، تكلَّمنا معهم في ذلك، وبيَّنَّا فساد ذلك عقلًا ونقلًا.

وأما قولهم: إن محمَّدًا ﷺ كان يقول: إن المراد إذْنُ اللاهوت الذي هو كلمة الله المتَّحدة في النَّاسوت، فهذا من البهتان الظاهر علىٰ محمَّدٍ ﷺ، وهو من جنس قولهم: «إن قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧] أراد به: النَّصارىٰ»، ومن جنس قولهم: «إن قوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾ [آل عمران: ٨٥] أراد به: من العرب»، ومن جنس قولهم: «﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الحديد: ٢٥] أراد بهم: الحواريِّين»، ومن جنس قولهم: «﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١، ٢] أراد به: الإنجيل»(٢).

فهذه المواضع التي فسَّروا بها القرآن، وزعموا أن محمَّدًا ﷺ الذي بيَّن للنَّاس ما أُنزِل إليهم كان يريد بما(٣) يتلوه من القرآن هذه المعاني التي ذكروها، هي من الكذب الظَّاهر الذي يدلُّ علىٰ غاية جهل قائلها أو غاية معاندته، ولكنَّ مثل هذا التأويل غير مستنكرٍ من النَّصارىٰ؛ فإنهم قد فسَّروا مواضع كثيرةً من التَّوراة والإنجيل والزَّبور والنبوَّات بنحو هذه التفاسير التي حرَّفوا فيها الكلام الذي جاءت به الأنبياء عن مواضعه تحريفًا ظاهرًا، فبدَّلوا بذلك كتبَ الله

---

(١) رسالة بولس الأنطاكي (٤١٥).
(٢) رسالة بولس الأنطاكي (٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٨).
(٣) (ي، د، ع): «بها ما».

ودينَ الله، وضاهوا بذلك اليهود الذين حرَّفوا وبدَّلوا وإن اختلف[1] جهةُ التَّحريف والتبديل.

فتحريفهم للقرآن من جنس تحريفهم للتَّوراة والإنجيل، وهم من الذين يَدَعون المُحْكَم ويتَّبعون ما تشابه[2] منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، لكن في هذه المواضع حرَّفوا المُحْكَم الذي معناه ظاهرٌ لا يحتمل إلا معنًىٰ واحدًا، فكانوا من الجهل والمعاندة أبعدَ عن الصَّواب ممَّن حرَّف معنىٰ المتشابه.

وذلك أنه قد عُلِم بالاضطرار من دين محمَّدٍ ﷺ أنه كان يقول: إن المسيح عبدٌ لله[3] مخلوقٌ كسائر المرسلين، وأنه يكفِّر النَّصارىٰ الذين يقولون: هو الله أو ابن الله.

قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧].

وقال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ

(١) كذا في الأصول. وفي ط. النيل: «اختلفت».
(٢) ط. العاصمة: «نشأ به»، وهو تحريف مخالف للأصول.
(٣) (ع): «عند الله».

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٢- ٧٧].

فقد ذكر كُفْرَ النَّصارىٰ في قولهم: «هو الله» مرَّتين، وذكر أنه ليس المسيحُ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرُّسل، فغايته الرِّسالة، كما قال في محمَّدٍ ﷺ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وغاية أمِّه أن تكون صِدِّيقة، ودلَّ بهذا أنها ليست بنبيَّة[١]، ثم قال: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ وهذا من أظهر الصِّفات النافية للإلهيَّة؛ لحاجة الآكِل إلىٰ ما يدخل في جوفه ولما يخرج منه مع ذلك من الفَضَلات.

والربُّ تعالىٰ أحدٌ صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، والنَّصارىٰ يقولون[٢]: إنه يلد، وإنه يولد، وإن له كفوًا، كما قد بيِّن في موضعٍ آخر[٣].

وقد أخبَر بعبوديَّة المسيح في غير موضع، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ

(١) انظر: «الصفدية» (١/ ١٩٨)، و«النبوات» (٥٢٥)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٣٩٦، ١١/ ٣٦٤، ١٨/ ٢٦٦)، وما سيأتي (١/ ٥٠٠).
(٢) (د، ي، ع): «تقول».
(٣) سيأتي (٢/ ٢٢٣).

﴿إِلَّا جَدَلَۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٧- ٥٩].

وأخبر تعالىٰ أن أوَّل شيءٍ نطق به المسيح قوله: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾ الآيات إلىٰ قوله: ﴿شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦- ١١٧].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ الآيات كلها [النساء: ١٧١- ١٧٣].

فإذا كان قد عُلِم بالاضطرار من دين محمَّدٍ ﷺ، وبالنَّقل المتواتر عنه، وبإجماع أمَّته إجماعًا يستندون فيه إلىٰ النَّقل عنه، وبكتابه المنزَّل عليه، وبسنَّته(١) المعروفة عنه، أنه كان يقول: إن المسيح عبد الله ورسوله، ليس هو إلا رسولٌ، وأنه يكفِّر النَّصارىٰ الذين يقولون: هو الله وهو ابن الله، والذين يقولون: ثالث ثلاثة، وأمثال ذلك = كان بعدَ هذا تفسيرُهم لقول الله الذي بلَّغه نبيُّه محمَّدٌ ﷺ: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: «أي بإذن اللاهوت الذي هو كلمة الله المتَّحدة بالنَّاسوت» كذبًا ظاهرًا علىٰ محمَّدٍ ﷺ.

وهذا ممَّا يعرف كذبَهم فيه علىٰ محمَّد ﷺ جميعُ أهل الأرض العالِم بحال محمَّدٍ ﷺ، سواءٌ أقرُّوا بنبوَّته أو أنكروها.

---

(١) (و، ي): «وسنته».

فالمقصود في هذا المقام أن هؤلاء كذبوا علىٰ محمَّدٍ ﷺ كذبًا ظاهرًا معلومًا للخلق المؤمنين به والمكذِّبين له، ليس هو كذبًا خفيًّا، وإن قُدِّر أن ما قالوه يكون ممكنًا[1] معقولًا، فكيف إذا كان ممتنعًا في صرائح العقول؟! بل هو قولٌ غير معقول، أي غير معقولٍ ثبوتُه في الخارج، وإن كان يُعْقَلُ ما يَخْتَلِقون[2] ويُعْلَم به فساد عقولهم، كمن قال[3] سائر الأقوال المتناقضة الفاسدة التي يمتنع ثبوتها في الخارج، وذلك كما قد بُسِط في موضعٍ آخر.

فإن قولهم: «بإذن اللاهوت الذي هو كلمة الله المتَّحدة في النَّاسوت» باطلٌ من وجوه:

منها: أن تلك الكلمة إما أن تكون هي الله، أو صفةٌ لذاته، أو لا هي ذاته ولا هي[4] صفةٌ له، أو الذَّات والصِّفة جميعًا.

فإن لم تكن هي ذات الله ولا صفته، ولا الذَّات والصِّفة، كانت بائنةً عنه مخلوقةً له، ولم تكن لاهوتًا، بل ولا خالقةً. وحينئذٍ فلم يتَّحد بالمسيح لاهوتٌ، بل لم يتَّحد به -إن كان[5] اتَّحد به- إلا مخلوق.

وإن كانت الكلمة هي الذَّات أو الذَّات والصِّفة فهي ربُّ العالمين، وهي الأب عندهم، وهم متَّفقون علىٰ أن المسيح ليس هو الأب، ولم يتَّحد به الأب، بل الابن.

---

(١) ساقطة من ط. العاصمة.

(٢) الأصول: «يختلفون». والمثبت أشبه.

(٣) الأصول: «لمن قال». وبما أثبت يلتئم السياق.

(٤) ليست في (و، ي).

(٥) ط. العاصمة: «بل إنه لم يتحد به إنه كان»، وهو خطأ مخالف للأصول.

وإن كانت الكلمة صفةً لله ﷻ فصفة الله ليست هي الإله الخالق، والمسيح عندهم هو الإله الخالق. وأيضًا، فصفة الله قائمةٌ بذاته، لا تفارق ذاته وتحلُّ بغيره وتتَّحد به، وكلمة الله عندهم اتَّحدت بالمسيح.

وإن قالوا: قولنا هذا كما تقول[1] طائفةٌ من المسلمين: إن القرآن أو التَّوراة أو الإنجيل حلَّ في القرَّاء أو اتَّحد بهم، وإن القديم حلَّ في المخلوق أو اتَّحد به، ونحو ذلك.

قيل: لو كان قول هؤلاء صوابًا لم يكن لهم فيه حجَّة؛ فإنه علىٰ هذا التقدير لا فرق بين المسيح وبين سائر من يقرأ التَّوراة والإنجيل والزَّبور والقرآن، وأنتم تدَّعون أن المسيح هو الله أو ابن الله مخصوصًا بذلك دون غيره.

وأيضًا، فهؤلاء وجميع الأمم متَّفقون علىٰ أن قرَّاء القرآن وسائر الكتب الإلهيَّة ليس واحدٌ منهم هو الله، ولا هو ابن الله، ولا أنه خالقٌ للعالم، فإذا جعلتم قولكم مثل قول هؤلاء لزمكم أن لا يكون المسيحُ هو الله ولا ابن الله ولا ربًّا للعالم.

وأيضًا، فلم نعلم[2] أحدًا من هؤلاء قال: إن اللاهوت اتَّحد بالنَّاسوت، ولا إن القديم اتَّحد بالمُحْدَث، ولا إن كلام الله صار هو والمخلوق شيئًا واحدًا، فالاتِّحاد باطلٌ باتفاق هؤلاء وغيرهم، ولكن طائفةً منهم أطلقت لفظ «الحلول»، وطائفة أنكرت لفظ «الحلول» وقالوا: إنما نقول ظهَر القديمُ في المُحْدَث لا حلَّ فيه، لكن قالوا ما يستلزم الحلول.

---

(١) (د، ع): «يقول».
(٢) (ع، د): «يعلم».

وسلفُ المسلمين وجمهورهم يخطِّئون هؤلاء، ويبيِّنون خطأهم عقلًا ونقلًا، وقولهم ليس هو قول أحدٍ من أئمَّة المسلمين، ولا قول طائفةٍ مشهورةٍ من طوائف المسلمين، كالمالكيَّة والشافعيَّة والحنفيَّة والحنبليَّة والثوريَّة والدَّاوديَّة والإسحاقيَّة وغيرهم، ولا قول طائفةٍ من طوائف المتكلِّمين من المسلمين، لا المنتسبين إلىٰ السُّنَّة كالأشعريَّة والكرَّاميَّة، ولا غيرهم كالمعتزلة والشِّيعة وأمثالهم.

وإنما قال ذلك طائفةٌ قليلةٌ انتسبت إلىٰ بعض علماء المسلمين، مثل قليلٍ من المالكيَّة والشافعيَّة والحنبليَّة، وهؤلاء غايتهم أن يقولوا بحلول صفةٍ من صفات الله.

وكذلك من قال بحلول الربِّ واتِّحاده في العبد من طوائف الغلاة المنتسبين إلىٰ التشيُّع[1] والتصوُّف أو غيرهم، فهم ضُلَّالٌ كالنَّصارىٰ، مع أنه لا حجَّة للنصارىٰ علىٰ هؤلاء؛ إذ كان ما يقولونه لا يختصُّ به المسيح، بل هو مشتركٌ بينه وبين غيره من الأنبياء والصَّالحين، والنَّصارىٰ تدَّعي اختصاص المسيح بالاتِّحاد، مع أن المتَّحد بالنَّاسوت صار هو والنَّاسوت شيئًا واحدًا، ومع الاتِّحاد فيمتنع أن يكون لأحدهما فعلٌ أو صفةٌ خارجٌ عن الآخر، والنَّصارىٰ يدَّعون الاتِّحاد ثم يتناقضون، فمنهم من يقول: جوهرٌ واحد، ومنهم من يقول: جوهران، ومنهم من يقول: مشيئةٌ واحدة، ومنهم من يقول: مشيئتان، كما سيأتي الكلام إن شاء الله علىٰ ذلك[2].

---

(١) (د، ي، ع): «الشيع»، وكلاهما صحيح، والمثبت من (و) أجود.
(٢) (٣/ ٥-٢٦).

فصل

وأما قوله تعالىٰ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٥٥] فهذا حقٌّ كما أخبر الله به، فمن اتَّبع المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ جعله الله فوق الذين كفروا إلىٰ يوم القيامة، وكان الذين اتبعوه علىٰ دينه الذي لم يبدَّل قد جعلهم الله فوق اليهود، وأيضًا فالنَّصارىٰ فوق اليهود الذين كفروا به إلىٰ يوم القيامة.

وأما المسلمون فهم مؤمنون به ليسوا كافرين به، بل لمَّا بدَّل النَّصارىٰ دينه، وبعث الله محمَّدًا ﷺ بدين الله الذي بعث به المسيح وغيره من الأنبياء، جعل الله محمَّدًا وأمته فوق النَّصارىٰ إلىٰ يوم القيامة، كما في الصَّحيحين عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد، وإن أولىٰ النَّاس بابن مريم لأنا، أنه ليس بيني وبينه نبيٌّ**»(١).

وقال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥١- ٥٣].

فكلُّ من كان أتمَّ إيمانًا بالله ورسله كان أحقَّ بنصر الله تعالىٰ؛ فإن الله يقول في كتابه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾

---

(١) تقدم تخريجه والكلام علىٰ لفظه في صدر الكتاب (١/ ١٠).

[غافر: ٥١]، وقال في كتابه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣].

واليهود كذَّبوا المسيح ومحمَّدًا صلىٰ الله عليهما وسلَّم، كما قال الله فيهم: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠]، فالغضب الأول بتكذيبهم للمسيح، والثاني بتكذيبهم لمحمَّدٍ(١) ﷺ.

والنَّصارىٰ لم يكذِّبوا المسيح؛ فكانوا(٢) منصورين علىٰ اليهود، والمسلمون منصورون علىٰ اليهود والنَّصارىٰ؛ فإنهم آمنوا بجميع كتب الله ورسله، ولم يكذِّبوا بشيءٍ من كتبه، ولا كذَّبوا أحدًا من رسله، بل اتَّبعوا ما قال الله لهم حيث قال: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ولمَّا(٣) كان المسلمون هم المتَّبعون لرسل الله كلِّهم المسيح وغيره، وكان الله قد وعد أن ينصر(٤) الرُّسل وأتباعهم، قال النبيُّ ﷺ في الحديث

(١) (د، ع): «تكذيبهم المسيح والثاني تكذيبهم محمدًا».
(٢) (د، ع): «وكانوا».
(٣) (ي): «فلما».
(٤) «أن ينصر» ليست في (ع، د).

الصَّحيح: «**لا تزال طائفةٌ من أمَّتي ظاهرةٌ علىٰ الحقِّ، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتىٰ تقوم الساعة**»[1].

وقال أيضًا: «**سألتُ ربي أن لا يسلِّط علىٰ أمَّتي عدوًّا من غيرهم، فيجتاحهم، فأعطانيها**» الحديث[2].

فكان ما احتجُّوا به حجَّةً عليهم لا لهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه. وأخرجه مسلم (١٩٢٠، ١٩٢٤) من حديث ثوبان وعقبة بن عامر رضي الله عنهما. وهو حديثٌ متواتر، كما سبق (١/ ٢٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢١٢٥) من حديث معاذ رضي الله عنه. وبمعناه عند مسلم (٢٨٨٩) من حديث ثوبان رضي الله عنه. وشواهده كثيرة من حديث ابن عمر وعلي وأنس وخباب بن الأرت وأبي هريرة وغيرهم رضي الله عنهم.

فصل

وأما قوله تعالىٰ(١): ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧]، فهذا حقٌّ كما أخبر الله به(٢).

وقد ذكر تعالىٰ تأييد عيسىٰ بن مريم بروح القُدُس في عدَّة مواضع، فقال تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧]، وقال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى﴾ [المائدة: ١١٠].

وقد(٣) قال تعالىٰ في القرآن: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠١- ١٠٢]، وقال تعالىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٣- ١٩٤] وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن كَانَ

---

(١) (د، ع): «وأما قولهم» يعني احتجاج النصارىٰ بالآية.

(٢) (د، ع): «كما قال تعالىٰ».

(٣) «قد» ساقطة من ط. العاصمة.

﴿عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[1] [البقرة: ٩٧].

فروح القُدُس الذي نزل[2] بالقرآن من الله هو الرُّوح الأمين، وهو جبريل.

وثبت في الصَّحيح[3] عن أبي هريرة أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول لحسَّان بن ثابت: «**أجب عنِّي، اللهمَّ أيِّده بروح القُدُس**».

وفي صحيح مسلم[4] وغيره عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: سمعت النبيَّ ﷺ يقول لحسَّان بن ثابت: «**إن روح القُدُس لا يزال يؤيِّدك ما نافحتَ عن الله ورسوله**».

وفي الصَّحيحين[5] عن البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسَّان بن ثابت: «**اُهْجُهم** -أو هاجِهم- **وجبريلُ معك**».

فهذا حسَّان بن ثابت واحدٌ من المؤمنين، لمَّا نافح عن الله ورسوله وهجا المشركين الذين يكذِّبون الرَّسول أيَّده الله بروح القُدُس، وهو جبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ.

وأهل الأرض يعلمون أن محمَّدًا ﷺ لم يكن يجعل اللاهوتَ متَّحدًا بناسوت حسَّان بن ثابت، فعُلِم أن إخباره بأن الله أيَّده بروح القُدُس لا يقتضي اتِّحاد اللاهوت بالنَّاسوت، فعُلِم أن التَّأييد بروح القُدُس ليس من خصائص المسيح، وأهل الكتاب يُقِرُّون بذلك، وأن غيره من الأنبياء كان مؤيَّدًا بروح القُدُس، كداود وغيره، بل يقولون: إن الحواريِّين كانت فيهم روح القُدُس.

---

(١) زادت ط. العاصمة: «مصدقا» خلاف الأصول.
(٢) (ي): «ينزل».
(٣) صحيح البخاري (٤٥٣)، ومسلم (٢٤٨٥).
(٤) (٢٤٩٠).
(٥) صحيح البخاري (٣٢١٣)، ومسلم (٢٤٨٦).

وقد ثبت باتفاق المسلمين واليهود والنَّصارىٰ أن روح القُدُس يكون في غير المسيح، بل في غير الأنبياء، كما سيأتي إن شاء الله[1].

وإنما المقصود في هذا المقام بيان كذبهم علىٰ محمَّدٍ ﷺ.

وهذا التَّأييد نظيرُ قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، فهذا التَّأييد برُوحٍ منه عامٌّ لكلِّ من لم يحبَّ أعداء الرُّسل وإن كانوا أقاربه، بل يحبُّ من يؤمن بالرُّسل وإن كانوا أجانب، ويبغض من لم يؤمن بالرُّسل وإن كانوا أقارب.

وهذه ملَّة إبراهيم، قال[2] تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦- ٢٨] وقال: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤].

وهذا التَّأييد بروح القُدُس لمن ينصر الرُّسلَ عامٌّ في كلِّ من نصرهم علىٰ من خالفهم من المشركين وأهل الكتاب، كما تقدَّم[3].

---

(١) (٣/ ٣٩٥-٣٩٨).

(٢) ط. العاصمة: «وقال»، وهو خطأ مخالف للأصول.

(٣) (ي): «كما كان»، (و): «كما كان تقدم».

وليس في القرآن ولا في الإنجيل ولا غير ذلك من كتب الأنبياء أن روح القُدُس الذي أُيِّد به المسيحُ هو صفة الله القائمة به، وهي حياته، ولا أن روح القُدُس ربٌّ[1] يَخْلُق ويَرْزُق، فليس روح القُدُس هي الله ولا صفةٌ من صفات الله، بل ليس في شيءٍ من كلام الأنبياء أن صفة الله القائمة به تسمَّىٰ ابنًا ولا روح القُدُس.

فإذا تأوَّل النَّصارىٰ قول المسيح: «عمِّدوا النَّاسَ باسم الأب والابن وروح القُدُس»[2] علىٰ أن الابنَ صفتُه التي هي العلم، وروحَ القُدُس صفتُه التي هي الحياة = كان هذا كذبًا بيِّنًا علىٰ المسيح؛ فلا[3] يوجد قطُّ في كلامه ولا كلام غيره من الأنبياء تسمية الله ولا شيئًا من صفاته «ابنًا» ولا حياته «روحَ القُدُس».

وأيضًا، فهم يذكرون في «الأمانة»[4] أن المسيح تجسَّد من مريم ومن روح القُدُس، وهذا يوافق ما أخبر الله به من أنه أرسَل روحه الذي هو جبريل، وهو روح القُدُس، فنفخ في مريم، فحملت بالمسيح، فكان المسيح متجسِّدًا مخلوقًا من أمِّه ومن ذلك الرُّوح، وهذا الرُّوح ليس صفةً لله، لا حياته ولا غيرها.

بل «روح القُدُس» قد جاء ذكرها كثيرًا في كلام الأنبياء، ويراد بها إما المَلَك، وإمَّا ما يجعله الله في قلوب أنبيائه وأوليائه من الهدىٰ والتَّأييد ونحو ذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا

(١) ليس في (ع، د).
(٢) إنجيل متىٰ (٢٨: ١٩).
(٣) (د، ع): «ولا».
(٤) تقدم ذكرها بتمامها (١/ ١٧٣).

﴿ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال تعالىٰ: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾(١) [النحل: ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿يُلۡقِي(٢) ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥].

فسمَّىٰ المَلَكَ روحًا، وسمَّىٰ ما ينزل به المَلَكُ روحًا، وهما متلازمان، والمسيح عليه السلام مؤيَّدٌ بهذا وهذا. ولهذا قال كثيرٌ من المفسِّرين: إنه جبريل، وقال بعضهم: إنه الوحي(٣).

وهذا كلفظ «النَّاموس» يراد به صاحبُ سرِّ الخير، كما يراد بالجاسوس صاحبُ سرِّ الشَّرِّ، فيكون «النَّاموس» جبريل، ويراد به الكتاب الذي نزل به وما فيه من الأمر والنهي والشَّرع، ولمَّا قال ورقة بن نوفل للنبيِّ ﷺ: «هذا هو النَّاموس الذي كان يأتي موسىٰ»(٤)، فُسِّر «الناموس» بهذا وهذا(٥)، وهما متلازمان.

(١) أتمت ط. العاصمة الآية خلافًا للأصول.

(٢) زادت ط. العاصمة قبلها: «ذو العرش» وليست في الأصول.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير (٢/ ٢٢٣، ١٧/ ٦٤١، ٢٠/ ٢٩٤).

(٤) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) لم أر من ذكر التفسير الثاني. قال النووي في «شرح مسلم» (٢/ ٢٠٣): «واتفقوا علىٰ أن جبريل عليه السلام يسمىٰ الناموس، واتفقوا علىٰ أنه المراد هنا». وانظر: «أعلام الحديث» للخطابي (١/ ١٣٠)، و«فتح الباري» (١/ ٢٥)، و«شرح الحديث المقتفىٰ في مبعث النبي المصطفىٰ» لأبي شامة (١٥٧).

فصل

وأما قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٥- ٢٦] فهو حقٌّ كما قال تعالىٰ، وليس في ذلك مدحٌ للرَّهبانيَّة، ولا لمن بدَّل دين المسيح، وإنما فيه مدحٌ لمن اتَّبعه بما جعل الله في قلوبهم من الرَّأفة والرَّحمة[1]، حيث يقول: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: ٢٧].

ثم قال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: وابتدعوا رهبانيَّةً ما كتبناها عليهم، وهذه الرَّهبانيَّة لم يشرعها الله[2] ولم يجعلها مشروعةً لهم، بل نفىٰ جَعْلَه عنها، كما نفىٰ ذلك عمَّا ابتدعه المشركون بقوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة: ١٠٣].

وهذا الجَعْل المنفيُّ عن البدع هو الجَعْل الذي أثبته للمشروع بقوله تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وقوله: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [الحج: ٦٧].

فالرَّهبانيَّة ابتدعوها[3]، لم يشرعها الله.

---

(١) ط. العاصمة: «الرحمة والرأفة» خلاف الأصول ونظم الآية.

(٢) (ي، و): «لم يشرعها لهم».

(٣) ليست في (ع).

وللناس في قوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾ قولان(١):

أحدهما: أنها منصوبة، يعني: ابتدعوها، إمَّا بفعلٍ مضمرٍ علىٰ قومه وأصحابه(٢)، يفسِّره ما بعده.

أو يقال: هذا الفعل عمل(٣) في المُضْمَر والمُظْهَر، كما هو قول الكوفيِّين، حكاه عنهم ابن جرير وثعلب وغيرهما.

ونظيره قوله: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ [الإنسان: ٣١]، وقوله: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [الأعراف: ٣٠].

وعلىٰ هذا القول فلا تكون الرَّهبانيَّة معطوفةً علىٰ الرَّأفة والرَّحمة.

والقول الثاني: أنها معطوفةٌ عليها، فيكون الله قد جعل في قلوبهم الرَّأفة والرَّحمة والرَّهبانيَّة المبتدعة، ويكون هذا جَعْلًا خَلْقِيًّا كونيًّا. والجَعْل الكوني يتناول الخير والشَّرَّ، كقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [القصص: ٤١].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٣٠)، و«الإيضاح العضدي» لأبي علي الفارسي (٣١)، و«البسيط» (١٢/ ٣١٥)، و«إعراب القرآن» للباقولي (١/ ٣٧٨)، و«البحر المحيط» (٢٤/ ٢٠٢)، و«الدر المصون» (١٠/ ٢٥٤)، و«مغني اللبيب» (٦/ ٢٠٩)، و«مدارج السالكين» (١٤٧٦). وقال الزجاج: «هذه الآية صعبةٌ في التفسير».

(٢) الأصول: «قوله وأصحابه»، والمثبت أشبه، أي عائد علىٰ قوم عيسىٰ وأصحابه. وهو أولىٰ من التأويل المذكور في طرة (د): «المعنىٰ ابتدعوا رهبانيَّةً ابتدعوها. **وأصحاب هذا يقولون:** يفسِّره ما بعده». وجملة «علىٰ قومه وأصحابه» ثابتة في جميع الأصول، وأسقطتها ط. العاصمة، وقال محققها: «يبدو لي أنها زائدة لا مكان لها»!

(٣) (د، ع): «يعمل».

وعلىٰ هذا القول فلا مدح للرَّهبانيَّة بجَعْلِها[1] في القلوب.

فثبت علىٰ التقديرين أنه ليس في القرآن مدحٌ للرَّهبانيَّة[2].

ثم قال: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ أي لم يَكْتُب عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، وابتغاء رضوان الله بفعل ما أمَر به لا بما يُبْتَدَع.

وهذا يسمىٰ استثناء منقطعًا[3]، كما في قوله: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ﴾ [النساء: ١٥٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ﴾ [الانشقاق: ٢٠- ٢٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة: ٢٥- ٢٦]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [النساء: ٩٢].

وهذا أصحُّ الأقوال في هذه الآية، كما هو مبسوطٌ في موضعٍ آخر. ولا يجوز أن يكون المعنىٰ: أن الله كتبها عليهم ابتغاء رضوان الله؛ فإن الله لا يفعل شيئًا ابتغاء رضوان نفسه، ولا أن المعنىٰ أنهم ابتدعوها ابتغاء رضوانه، كما يظنُّ هذا وهذا بعض الغالطين، كما قد بُسِط في موضعٍ آخر[4].

---

(١) (ي، د، ع): «لأنها».

(٢) ليست في (د، ع).

(٣) انظر: «الكشاف» (٤/ ٤٨٢).

(٤) سيأتي (١/ ٣٩٠-٣٩١).

وذكر أنهم ابتدعوا الرَّهبانيَّة وما رعوها حقَّ رعايتها، وليس في ذلك مدحٌ لهم، بل هو ذمٌّ.

ثم قال تعالىٰ: ﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ﴾، وهم الذين آمنوا بمحمَّدٍ ﷺ، ﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾.

ولو أريد: الذين آمنوا بالمسيح أيضًا، فالمراد من اتَّبعه علىٰ دينه الذي لم يبدَّل، وإلا[1] فكلُّهم يقولون: إنهم مؤمنون بالمسيح.

وبكلِّ حال، فلم يمدَح سبحانه إلا من اتَّبع المسيح علىٰ دينه الذي لم يبدَّل، ومن آمن بمحمَّدٍ ﷺ، لم يمدَح النَّصارىٰ الذين بدَّلوا دين المسيح، ولا الذين لم يؤمنوا بمحمَّدٍ ﷺ.

فإن قيل: قد قال بعض النَّاس: إن قوله تعالىٰ: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا﴾ عطفٌ علىٰ ﴿رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ﴾، وإن المعنىٰ: أن الله جعل في قلوب الذين اتَّبعوه رأفةً ورحمةً ورهبانيَّةً أيضًا[2] ابتدعوها، وجعلوا الجَعْلَ شرعيًّا ممدوحًا.

قيل: هذا غلط؛ لوجوه:

منها: أن الرَّهبانيَّة لم تكن في كلِّ من اتبعه، بل الذين صحبوه كالحواريِّين لم يكن فيهم راهبٌ، وإنما ابتُدِعَت الرَّهبانيَّة بعد ذلك، بخلاف الرَّأفة والرَّحمة، فإنها جُعِلت في قلب كلِّ من اتَّبعه.

ومنها: أنه أخبر أنهم ابتدعوا الرَّهبانيَّة، بخلاف الرَّأفة والرَّحمة فإنهم لم يبتدعوها، وإذا كانوا ابتدعوها لم يكن قد شرعها لهم. فإن كان المراد هو

---

(١) (د، ع): «والآن».

(٢) ليست في (د، ي، ع).

الجَعْل الشَّرعيّ الدينيّ لا الجَعْل الكونيّ القدريّ فلم تدخل الرَّهبانيَّة في ذلك، وإن كان المراد الجَعْل الخَلْقِيّ الكونيّ فلا مدح للرَّهبانيَّة في ذلك.

ومنها: أن الرَّأفة والرَّحمة جعلها في القلوب، والرَّهبانيَّة لا تختصُّ بالقلوب، بل الرَّهبانيَّة تتضمَّن(١) ترك المباحات من النكاح واللَّحم وغير ذلك.

وقد كان طائفةٌ من الصَّحابة رضوان الله عليهم همُّوا بالتَّرهُّب(٢)، فأنزل الله تعالىٰ نهيَهم عن ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧](٣).

وثبت في الصَّحيحين(٤) أن نفرًا من أصحاب النبيِّ ﷺ قال أحدهم: أمَّا أنا فأصوم لا أفطر، وقال الآخر: أمَّا أنا فأقوم لا أنام، وقال الآخر: أمَّا أنا فلا أتزوَّج النساء، وقال آخر: أمَّا أنا فلا آكل اللَّحم، فقام النبيُّ ﷺ خطيبًا، فقال: «**ما بال رجال يقول أحدهم كذا وكذا؟ لكنِّي أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوَّج النساء، وآكل اللَّحم، فمن رغب عن سنَّتي فليس منِّي**».

وفي «صحيح البخاري»(٥) أن النبيَّ ﷺ رأىٰ رجلًا قائمًا في الشَّمس، فقال: «ما هذا؟» قالوا: هذا أبو إسرائيل(٦)، نذر أن يقوم في الشَّمس،

(١) ساقطة من ط. العاصمة.
(٢) (و): «بالرهبانية». وما في باقي الأصول أجود. انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٥١١، ١١/ ٥٨٤، ١٤/ ٤٥٦، ١٧/ ١٨١).
(٣) أخرجه ابن جرير (٨/ ٦٠٧ - ٦١٦) من وجوه كثيرة. وأصله في البخاري (٤٦١٥) ومسلم (١٤٠٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
(٤) صحيح البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٥) (٦٧٠٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٦) الأنصاري أو القرشي. اسمه يسير، وقيل قشير. قال الحافظ عبد الغني بن سعيد: ليس في الصحابة من يكنىٰ أبا إسرائيل غيره. انظر: «الإصابة» (١٢/ ٢٠).

ولا يستظلَّ، ولا يتكلَّم، ويصوم، فقال: «مُرُوه فليجلس، وليستظلَّ، وليتكلَّم، وليتمَّ صومه».

وثبت في «صحيح مسلم»[1] عن النبيِّ ﷺ أنه كان يقول في خطبته: **«خير الكلام كلام الله[2]، وخير الهدي هدي محمَّد، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ بدعةٍ ضلالة».**

وفي السُّنن[3] عن العرباض بن سارية أن النبي ﷺ قال: **«عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين من بعدي، تمسَّكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور؛ فإن كلَّ بدعةٍ ضلالة».** قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيح[4].

وقد بيَّنت النُّصوص الصَّحيحة أن الرَّهبانيَّة بدعةٌ وضلالة، وما كان بدعةً وضلالةً لم يكن هدًى، ولم يكن الله جَعَلَها بمعنىٰ أنه شَرَعَها، كما لم يَجْعَل الله ما شرعه المشركون من البَحِيرة والسَّائبة والوَصِيلة والحَامِ.

فإن قيل: قد قال طائفة: معناها ما فعلوها إلا ابتغاء رضوان الله، ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله.

وقالت طائفة: ما فعلوها أو ما[5] ابتدعوها إلا ابتغاء رضوان الله.

---

(١) (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) كذا يورد المصنف رحمه الله الحديث في كتبه معزوًّا إلىٰ مسلم، ولفظه في الصحيح: «خير الحديث كتاب الله». وعند النسائي (١٣١١): «أحسن الكلام كلام الله».

(٣) سنن ابن ماجه (٤٣)، وأبي داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦).

(٤) وصححه طائفة من أهل العلم. وانظر تخريجًا له مبسوطًا في التعليق علىٰ «ذم الكلام» لأبي إسماعيل الأنصاري (٣/ ١٢٢ - ١٤٨ ط. الغرباء).

(٥) (و): «وما».

قيل: كلا القولين خطأ، والأول أظهر خطأً؛ فإن الرَّهبانيَّة لم يكتبها الله عليهم، بل لم يشرعها لا إيجابًا ولا استحبابًا.

ولكن ذهبت طائفةٌ إلىٰ أنهم لمَّا ابتدعوها كَتَب عليهم إتمامها.

وليس في الآية ما يدل علىٰ ذلك؛ فإنه قال: ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾، فلم يذكر أنه كَتَب عليهم نفس الرَّهبانيَّة ولا إتمامها ولا رعايتها، بل أخبَر أنهم ابتدعوا بدعة، وأن تلك البدعة لم يرعوها حقَّ رعايتها.

فإن قيل: قوله تعالىٰ: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ يدلُّ علىٰ أنهم لو رعوها حقَّ رعايتها لكانوا ممدوحين.

قيل: ليس في الكلام ما يدلُّ علىٰ ذلك، بل يدل علىٰ أنهم مع عدم الرِّعاية يستحقُّون من الذَّمِّ ما لا يستحقُّونه بدون ذلك، فيكون ذمُّ من ابتدع البدعة ولم يرعها حقَّ رعايتها أعظمَ من ذمِّ من رعاها، وإن لم يكن واحدٌ منهما محمودًا، بل مذمومًا، مثل نصارىٰ بني تَغْلِب[1] ونحوهم ممَّن دخل في النَّصرانيَّة ولم يقوموا بواجباتها، بل أخذوا منها ما وافق أهواءهم[2]، فكان كفرُهم وذمُّهم أغلظ ممَّن هو أقلُّ شرًّا منهم، والنَّار دركاتٌ كما أن الجنَّة درجات.

وأيضًا، فالله تعالىٰ إذا كتب شيئًا علىٰ عباده لم يَكْتُب ابتغاء رضوانه، بل العباد يفعلون ما يفعلون ابتغاء رضوان الله.

---

(١) (ع): «نصارىٰ تغلب».

(٢) قيل: إنهم لم يأخذوا من دين أهل الكتاب إلا شرب الخمر. انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٥٦، ٣٢/ ١٩٠، ٣٥/ ٢٢٣).

وأيضًا، فتخصيص الرَّهبانيَّة بأنه كتبها ابتغاء رضوان الله دون غيرها تخصيصٌ بغير موجِب؛ فإن ما كتبه ابتداءً لم يَذْكُر أنه كتبه ابتغاء رضوانه، فكيف بالرَّهبانيَّة؟!

وأما قول من قال: ما فعلوها إلا ابتغاء رضوان الله، فهذا المعنىٰ لو دلَّ عليه الكلام لم يكن في ذلك مدحٌ للرَّهبانيَّة[1]؛ فإن من فعل ما لم يأمر الله به بل نهاه عنه مع حُسْنِ مقصده غايتُه أن يثاب علىٰ قصده، لا يثاب علىٰ ما نُهِيَ عنه، ولا علىٰ ما ليس بواجب ولا مستحبٍّ، فكيف والكلام لا يدلُّ عليه؟! فإن الله قال: ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾، ولم يقل: ما فعلوها إلا ابتغاء رضوان الله، ولا قال: ما ابتدعوها إلا ابتغاء رضوان الله.

ولو كان المراد: ما فعلوها أو ما ابتدعوها إلا ابتغاء رضوان الله، لكان منصوبًا علىٰ المفعول[2]، ولم يتقدَّم لفظ الفعل ليعمَل فيه، ولا نفىٰ الابتداع، بل أثبته لهم، وإنما تقدَّم لفظ الكتابة.

فعُلِم أن القول الذي ذكرناه هو الصَّواب، وأنه استثناءٌ منقطع، فتقديره: وابتدعوا رهبانيَّةً ما كتبناها عليهم، لكن كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله؛ فإن إرضاء الله واجبٌ مكتوبٌ علىٰ الخلق، وذلك يكون بفعل المأمور وبترك المحظور، لا بفعل ما لم يأمر بفعله وبترك ما لم ينهه[3] عن تركه، والرَّهبانيَّة فيها فعلُ ما لم يأمر به وتركُ ما لم ينهه عنه.

---

(١) (ع): «الرهبانية».

(٢) المفعول له. وفي (ع): «الفعل». ط. النيل: «المفعولية»، ولا تجري هذه اللفظة علىٰ قلم المصنف. انظر: «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٦)، و«الصارم المسلول» (٣/ ٧١١، ٧٢٣)، و«جامع المسائل» (١/ ١٦٠، ٦/ ٦٠).

(٣) (و): «يؤمر بفعله وبترك ما لم ينه» في الموضعين.

فصل

وأمَّا قوله تعالىٰ: ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣- ١١٤] فهذه الآية لا اختصاصَ فيها للنَّصارىٰ، بل هي مذكورةٌ بعد قوله تعالىٰ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾، ثم قال: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ﴾ [آل عمران: ١١٠- ١١٣].

ومعلومٌ أن الصِّفة المذكورة في قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾ صفة اليهود، وكذلك قوله: ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُ﴾، فقوله عقب ذلك: ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ﴾ لا بدَّ أن يكون متناولًا لليهود.

ثم قد اتَّفق المسلمون والنَّصارىٰ علىٰ أن اليهود مع كفرهم بالمسيح ومحمَّدٍ صلىٰ الله عليهما وسلَّم ليس فيهم مؤمن، وهذا معلومٌ بالاضطرار من دين محمَّدٍ ﷺ، والآية إذا تناولت النَّصارىٰ كان حكمهم في ذلك حكم اليهود، والله تعالىٰ إنما أثنىٰ علىٰ من آمن من أهل الكتاب، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنۡ

﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

وقد ذكر أكثر العلماء أن هذه الآية الأخرىٰ[(١)] في آل عمران نزلت في النجاشيِّ[(٢)] ونحوه ممَّن آمن بالنبيِّ ﷺ، لكنه لم تُمْكِنه الهجرةُ إلىٰ النبيِّ ﷺ، ولا العمل بشرائع الإسلام؛ لكون[(٣)] أهل بلده نصارىٰ لا يوافقونه علىٰ إظهار شرائع الإسلام.

وقد قيل: إن النبيَّ ﷺ إنما صلىٰ عليه لمَّا مات لأجل هذا، فإنه لم يكن هناك من يُظْهِر الصَّلاة عليه في جماعةٍ كثيرةٍ ظاهرةٍ كما يصلِّي المسلمون علىٰ جنائزهم[(٤)].

ولهذا جُعِل من أهل الكتاب، مع كونه آمن بالنبيِّ ﷺ، بمنزلة من يؤمن[(٥)] بالنبيِّ ﷺ في بلاد الحرب ولا يتمكَّن من الهجرة إلىٰ دار الإسلام، ولا يمكنه العملُ بشرائع الإسلام الظَّاهرة، بل يعمل ما يمكنه ويَسْقُط عنه ما يعجز عنه، كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، فقد يكون الرَّجل في الظَّاهر من الكفَّار وهو في الباطن مؤمنٌ كما كان مؤمنُ آل فرعون.

---

(١) (ي، د): «الآخرة». وسقط من (و) من «الآية» إلىٰ «عمران».
(٢) كما سيأتي عن جماعة من السلف. وانظر: تفسير ابن جرير (٦/ ٣٢٧).
(٣) (د، ي، ع): «لكونه».
(٤) ذكر ذلك الخطابي وغيره. انظر: «معالم السنن» (١/ ٣١٠)، و«التمهيد» (٦/ ٣٣١)، و«إكمال المعلم» (٣/ ٤١٤)، و«فتح الباري» (٣/ ١٨٨)، و«جامع المسائل» (٤/ ١٧٦).
(٥) (ي): «من لم يؤمن»، وهو سهو.

قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ
رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ
كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ
مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ (٢٨) يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ
ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ (٢٩) وَقَالَ
ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ (٣٠) مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ
وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ (٣١) وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ
(٣٢) يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ (٣٣) وَلَقَدۡ
جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ
قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ
(٣٤) ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ (٣٥) وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ
ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ (٣٦) أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي
لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ
فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ (٣٧) وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ
ٱلرَّشَادِ (٣٨) يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ (٣٩)
مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ
مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ (٤٠) ۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ
أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ (٤١) تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ
مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ (٤٢) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ
لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ
ٱلنَّارِ (٤٣) فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ

بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾
ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ
ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٢٨- ٤٦].

فقد أخبر سبحانه أنه حاق بآلِ فرعون سوء العذاب، وأخبر أنه كان من آل فرعون رجلٌ مؤمنٌ يكتم إيمانه، وأنه خاطبهم بالخطاب الذي ذكره، فهو من آل فرعون(١) باعتبار النَّسب والجنس والظَّاهر، وليس هو من آل فرعون الذين يدخلون أشدَّ العذاب.

وكذلك امرأة فرعون ليست من آل فرعون هؤلاء، قال الله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: ١١]، وامرأة الرَّجل من آله؛ بدليل قوله: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾
إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾(٢) [الحجر: ٥٩- ٦٠].

وهكذا أهل الكتاب، فيهم من هو في الظاهر منهم وهو في الباطن يؤمن بالله ورسوله محمَّد ﷺ، يعملُ بما يقدِر عليه، ويَسْقُط عنه ما يعجز عنه علمًا وعملًا، ولا يكلِّف الله نفسًا إلا وسعها، وهو عاجزٌ عن الهجرة إلىٰ دار الإسلام كعجز النجاشيِّ(٣).

---

(١) ليست في (ي).
(٢) (د، ي، و): «إلا امرأته كانت من الغابرين»، وهو سهو، تلك آية أخرىٰ في سورة الأعراف: ٨٣. وأصلحت في (ع) لتوافق الصواب.
(٣) انظر: «منهاج السنة» (٥/ ١١١- ١٢٥)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٧١، ٣٥/ ٢٥)، و«اجتماع الجيوش الإسلامية» (٥٨).

وكما أن الذين يُظْهِرون الإسلام فيهم من هو[1] في الظاهر[2] مسلمون وفيهم من هو منافقٌ كافرٌ في الباطن إمَّا يهوديٌّ وإمَّا نصرانيٌّ وإمَّا مشركٌ وإمَّا معطِّل، كذلك في أهل الكتاب والمشركين من هو في الظاهر منهم وهو[3] في الباطن من أهل الإيمان بمحمَّدٍ ﷺ، يفعل ما يقدر علىٰ علمه وعمله، ويَسْقُط[4] ما يعجز عنه من ذلك[5].

وفي حديث حمَّاد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، قال: لمَّا مات النجاشي قال النبي ﷺ: «**استغفروا لأخيكم**»، فقال بعض القوم: تأمرنا أن نستغفر لهذا العِلْج يموت بأرض الحبشة؟! فنزلت: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٩]. ذكره ابن أبي حاتم وغيره بأسانيدهم[6].

وذكره حمَّاد بن سلمة، عن ثابت، عن الحسن البصري: أن رسول الله ﷺ قال: «**استغفروا لأخيكم النجاشيِّ**»، فذكر مثله[7].

---

(١) ط. النيل: «هم».

(٢) (ي): «الذين يظهرون الإسلام هم في الظاهر».

(٣) (و): «ومن هو». والمثبت من سائر الأصول أقوم.

(٤) (ي، ع، د): «ويسقط عنه».

(٥) ط. العاصمة: «في ذلك» خلاف الأصول.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٨٤٦)، والطبراني في «الأوسط» (٢٦٦٧)، وخرجه الضياء في «المختارة» (١٦٤٩)، وليس إسناده بالقوي، قال ابن حجر في «العجاب» (٢/ ٨٢٠): «وهو من رواية مؤمل بن إسماعيل عن حماد، وفيه لين».
وروي من طريق حميد الطويل عن أنس رضي الله عنه. أخرجه البزار (٦٥٥٦)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٠٢٢، ١١٠٢٣)، وابن المنذر في «التفسير» (١٢٨٧) وغيرهم، وخرجه الضياء في «المختارة» (٢٠٣٧، ٢٠٣٨)، وفي إسناده اختلاف.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٨٤٦). والمرسل أشبه بالصواب.

وكذلك ذكر[١] طائفةٌ من المفسِّرين عن جابر بن عبد الله[٢]، وابن عبَّاس، وأنس، وقتادة، أنهم قالوا: نزلت هذه الآية في النجاشيِّ ملك الحبشة، واسمه أصحمة، وهو بالعربية: عطيَّة. وذلك أنه لمَّا مات نعاه جبريل للنبيِّ ﷺ في اليوم الذي مات فيه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**اخرجوا فصلوا علىٰ أخ لكم مات بغير أرضكم**» قالوا: ومن[٣] هو؟ قال: «**النجاشي**»، فخرج رسول الله ﷺ إلىٰ البقيع[٤].

وزاد بعضهم: وكُشِف له من المدينة إلىٰ أرض الحبشة، فأبصر سرير النجاشيِّ، وصلَّىٰ عليه، وكبَّر أربع تكبيرات، واستغفر له، وقال لأصحابه: «**استغفروا له**»، فقال المنافقون: انظروا[٥] إلىٰ هذا، يصلِّي علىٰ عِلْجٍ حبشيٍّ نصرانيٍّ لم يره قطُّ وليس علىٰ دينه! فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية[٦]: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩][٧].

---

(١) ليست في (و).
(٢) «بن عبد الله» من (و).
(٣) ط. العاصمة: «من» خلاف الأصول.
(٤) هذا سياق الثعلبي في «الكشف والبيان» (٩/ ٥٨٥- ٥٨٦)، وعنه نقل الواحدي في «أسباب النزول» (٢٧١)، والبغوي في «معالم التنزيل» (٢/ ١٥٥). وانظر لتفصيل رواياته: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٢٦٥، ٢٦٦)، و«العجاب» لابن حجر (٢/ ٨١٩- ٨٢٢)، و«الفتح السماوي» للمناوي (١/ ٤٩٩).
(٥) (ي، د، ع): «ابصروا».
(٦) «هذه الآية» ساقطة من ط. العاصمة.
(٧) تتمة سياق الرواية السابقة عند الثعلبي.

وقد ذهبت طائفةٌ من العلماء إلىٰ أنها نزلت فيمن كان علىٰ دين المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ أن بُعِث محمَّدٌ ﷺ فآمن به، كما نُقِل ذلك عن عطاء[1].

وذهبت طائفةٌ إلىٰ أنها نزلت في مؤمن[2] أهل الكتاب كلِّهم[3].

والقول الأول أجود[4]؛ فإن من آمن بمحمَّدٍ ﷺ، وأظهرَ الإيمان به، وهو من أهل دار الإسلام، يعمل ما يعمله المسلمون ظاهرًا وباطنًا، فهذا من المؤمنين، وإن كان قبل ذلك مشركًا[5] يعبد الأوثان، فكيف إذا كان كتابيًّا؟!

وهذا مثلُ عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وغيرهما.

وهؤلاء لا يقال: إنهم من أهل الكتاب، كما لا يقال في المهاجرين والأنصار: إنهم من المشركين وعبَّاد الأوثان، ولا يُنْكِر[6] أحدٌ من المنافقين ولا من غيرهم أن يصلَّىٰ علىٰ واحدٍ منهم، بخلاف من هو في الظَّاهر منهم وفي الباطن من المؤمنين.

وفي بلاد النَّصارىٰ من هذا النوع خلقٌ كثيرٌ يكتمون إيمانهم، إمَّا مطلقًا، وإمَّا يكتمونه عن العامَّة ويظهرونه لخاصَّتهم[7]، وهؤلاء قد يتناولهم قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ الآية [آل عمران: ١٩٩]،

---

(١) نقله الثعلبي في «الكشف والبيان» (٩/ ٥٨٧)، وذكره المصنف بالمعنىٰ.

(٢) ط. العاصمة: «مؤمني» متابعة لطبعة المدني، وخلافًا للأصول وط. النيل.

(٣) أخرجه ابن جرير (٦/ ٣٣٠)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٤٦) عن مجاهد، ورجحه ابن جرير.

(٤) انظر: «منهاج السنة» (٥/ ١١٤ - ١٢١).

(٥) (و): «قبل ذلك من المشركين».

(٦) (و): «يمكن»، وهو تحريف مفسد للمعنىٰ، وأثبتته ط. العاصمة، وزادت «من» قبل «أن يصلىٰ» خلافًا للأصول.

(٧) «يكتمونه» و«يظهرونه لخاصتهم» سقطت من (و).

فهؤلاء لا يَدَعون الإيمان بكتاب الله ورسوله لأجل مالٍ يأخذونه، كما يفعل كثيرٌ من الأحبار والرُّهبان الذين يأكلون أموال النَّاس بالباطل، ويصدُّونهم عن سبيل الله، فيمنعونهم من[1] الإيمان بمحمَّدٍ ﷺ.

وأمَّا قوله تعالىٰ: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣- ١١٤]، فهذه الآية تتناول اليهود أقوىٰ ممَّا تتناول النَّصارىٰ.

ونظيره[2] قوله تعالىٰ: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، وهذا[3] مدحٌ مطلقٌ لمن تمسَّك بالتَّوراة، ليس في ذلك مدحٌ لمن كذَّب المسيح، ولا فيها مدحٌ لمن كذَّب محمَّدًا ﷺ.

وهذا الكلام يفسِّره[4] سياقُ الكلام، فإنه قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾، ثم قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فقد جعلهم نوعين: نوعًا مؤمنين، ونوعًا فاسقين وهم أكثرهم.

وقوله تعالىٰ: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ يتناول من كان منهم مؤمنًا قبل مبعث

---

(١) ليست كذلك في (و).
(٢) (و): «ونظيرها».
(٣) (د، ع، ي): «هذا».
(٤) (د، ع): «تفسيره».

محمَّد ﷺ(١)، كما يتناولهم قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧].

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦]، وقوله عن إبراهيم الخليل: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١١٣].

ثم لمَّا قال: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ قال: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١١- ١١٢]

وضربُ الذِّلَّة عليهم أينما ثُقِفُوا، ومَبَاؤهم بغضبٍ من الله(٢)، وما ذُكِر معه من قتل الأنبياء بغير حقٍّ، وعصيانهم، واعتدائهم = كان اليهود متَّصفين به قبل مبعث محمَّدٍ ﷺ، كما قال تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا

(١) (د، ع): «لقوله تعالىٰ منهم المؤمنون يتناول من كان مؤمنًا قبل من كان قبل مبعث محمد ﷺ». والصواب المثبت من (و، ي).

(٢) من قوله: «ذلك بأنهم كانوا» إلىٰ هنا ليس في (و). ووقع في الأصول هنا زيادة كلمة «الآية»، ولعل المراد إن صح إثباتها: ما ذُكِر في الآية من ضرب المسكنة عليهم. والأشبه أن المصنف لم يكمل الآية أولًا وكتب «الآية» كما في (و)، ثم ألحق تتمتها والعبارة التي بعدها كما وقع في الأصول الأخرىٰ، وسها عن الضرب علىٰ «الآية». وأسقطت ط. العاصمة «الآية» استشكالًا لها.

وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١].

ثم قال بعد ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]، فتناولت هذه الآية من كان من أهل هذه[1] المِلَل الأربع متمسِّكًا بها[2] قبل النَّسخ بغير تبديل.

كذلك آية آل عمران لمَّا وصف أهلَ الكتاب بما كانوا متَّصفًا به أكثرهم قبل محمَّدٍ ﷺ من الكفر، قال: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣ - ١١٤].

وهذا يتناول من كان متَّصفًا منهم بهذا قبل النَّسخ، فإنهم كانوا علىٰ الدِّين الحقِّ الذي[3] لم يبدَّل ولم يُنسَخ، كما قال في الأعراف: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ

(١) ليست في (ي).
(٢) «متمسكًا بها» ليس في (و).
(٣) ليست في (و).

سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٨- ١٧٠].

وقد قال تعالىٰ مطلقًا[١]: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]، فهذا خبرٌ من الله عمَّن كان متَّصفًا بهذا[٢] الوصف قبل مبعث محمَّدٍ ﷺ، ومن أدرك من هؤلاء محمَّدًا ﷺ فآمن به كان له أجرُه مرَّتين[٣].

(١) ساقطة من ط. العاصمة.

(٢) (و): «به بهذا».

(٣) في (د) ههنا زيادة مضروب عليها، وليست في سائر الأصول وط. النيل.

فصل

قالوا: «ثم وجدناه يعظِّم إنجيلنا، ويقدِّم صوامعَنا ويشرِّف مساجدنا[1]، ويشهد بأن اسم الله يُذْكَر فيها كثيرًا، وذلك مثل قوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠]»[2].

والجواب: أن فيها ذكر الصَّوامع والبِيَع، وأمَّا قوله: ﴿يُذْكَرُ[3] فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ فإنما ذكره عقب ذكر[4] المساجد، والمساجدُ للمسلمين، وليس المراد بها كنائس النَّصارىٰ، فإنها هي البِيَع.

ثم قوله تعالىٰ: ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ إمَّا أن يكون مختصًّا بالمساجد، فلا يكون في ذلك إخبارٌ بأن اسم الله يُذْكَر كثيرًا في الصَّوامع والبِيَع، وإمَّا أن يكون ذكرُ اسم الله[5] في الجميع، فلا ريب أن الصَّوامع والبِيَع قبل أن يبعث الله محمَّدًا ﷺ كان فيها من يتَّبع دينَ المسيح الذي لم يبدَّل ويذكر فيها اسم الله كثيرًا.

وقد قيل: إنها بعد النسخ والتبديل يُذْكَر فيها اسمُ الله كثيرًا، وإن الله يحبُّ أن يُذْكَر اسمُه.

---

(١) في رسالة بولس: «ويقدِّم صوامعنا وبِيَعنا علىٰ المساجد» يعني في الآية، وهو أجود مما وقع في الأصول.
(٢) رسالة بولس الأنطاكي (٤١٥).
(٣) الأصول: «ويذكر»، يريد الاستشهاد لا التلاوة، وأثبتُّ لفظ الآية.
(٤) (و): «ذكره».
(٥) (ي): «ذكر الله».

قال الضحَّاك: «إن الله يحبُّ أن يُذْكَر اسمُه وإن كان يُشْرَكُ به»[1]، يعني أن المشركَ به خيرٌ من المعطِّل الجاحد الذي لا يذكر اسم الله بحالٍ.

وأهل الكتاب خيرٌ من المشركين، وقد ذكرنا[2] أنه لمَّا اقتتل فارس والرُّوم، وانتصرت الفُرس، ساء ذلك أصحابَ رسول الله ﷺ، وكرهوا انتصار الفُرس على النَّصارى؛ لأن النَّصارى أقربُ إلى دين الله من المجوس.

والرُّسل بُعِثوا بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وتقديم خير الخيرَيْن على أدناهما حسب الإمكان، ودفع شرِّ الشَّرَّيْن بخيرهما، فهدمُ صوامع النَّصارى وبِيَعهم فسادٌ إذا هدمها المجوسُ والمشركون، وأمَّا إذا هدمها المسلمون وجعلوا أماكنها مساجدَ يُذْكَر فيها اسمُ الله كثيرًا فهذا خيرٌ وصلاح.

وهذه الآية ذُكِرَت في سياق الإذن للمسلمين بالجهاد بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]، وهذه الآية أولُ آيةٍ نزلت في الجهاد، ولهذا قال: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾، ثم قال: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الحج: ٤٠]، فيدفع بالمؤمنين الكفَّار، ويدفع شرَّ الطَّائفتين بخيرهما، كما دفع المجوسَ بالرُّوم النَّصارى، ثم دفع النَّصارى بالمؤمنين أمة محمَّد ﷺ، وهذا كما قال تعالى في سورة البقرة ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ

(١) لم أره بهذا اللفظ، وهو لازم قول الضحاك بالعموم في الآية وأن اسم الله يُذْكَر كثيرًا في البيع والصوامع والمساجد، كما أخرجه ابن جرير (١٦/ ٥٨٦).
(٢) في صدر الكتاب (١/ ١٣١-١٣٥).

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وأمَّا التقديم في اللفظ، فإنه يكون للانتقال من الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ، كقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٦]، وقوله: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ [الذاريات: ١ - ٤]، ونظائره متعدِّدة.

وكذلك في قوله تعالىٰ: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾، بيَّن[1] سبحانه أنه لولا دفعُ الله النَّاس بعضهم ببعض لهُدِّمت مواضعُ العبادات، وهدمُها فسادٌ إذا هدمها من لا يبدِّلها بخيرٍ منها، وأدناها هي الصوامع؛ فإن الصومعة تكون لواحدٍ أو طائفةٍ[2] قليلة، فبدأ بأدنىٰ المعابد، وختَم بأشرفها، وهي المساجدُ التي يُذْكَر فيها اسمُ الله كثيرًا.

ففي الجملة حكمُ هذه المعابد حكمُ أهلها، وأهلها قبل النَّسخ والتَّبديل مؤمنون مسلمون، وهدمُ معابد المؤمنين المسلمين فساد.

وبعد النَّسخ والتَّبديل إذا غلب أهلَ الكتاب من هو شرٌّ منهم كالمجوس والمشركين، وهدموا معابدهم، كان ذلك فسادًا. وإذا هدمها من هو خيرٌ منهم كأمَّة محمَّد ﷺ، وأبدلوها مساجد يُذْكَر فيها اسمُ الله كثيرًا ولا يُشْرَكُ به، ويُذْكَر فيها الإيمانُ بجميع كتبه ورسله، كان ذلك صلاحًا لا فسادًا.

(١) (و): «فبين».
(٢) (و): «لطائفة».

ولهذا أمر النبيُّ ﷺ أن تتَّخذ[1] المساجدُ مواضعَ معابد الكفَّار[2]، كما كان لثقيف أهل الطَّائف معبدٌ يعبدون فيه اللَّات التي قال الله فيها: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩]، فأمر النبيُّ ﷺ أن يُهْدَم ذلك المعبد، ويتَّخذ مكانه المسجدُ الذي يُعْبَد الله وحده فيه[3].

فإن المساجد هي بيوت الله في الأرض، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ﴾ الآية إلىٰ قوله: ﴿ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ الآية إلىٰ قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٥-٣٨].

---

(١) مهملة في (ي)، (د، ع): «يتخذ».

(٢) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢٦٦)، و«زاد المعاد» (٢/ ٣٥٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٧٤٣)، وأبو داود (٤٥٠) عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ «أمره أن يجعل مسجد الطائف حيث كانت طواغيتهم»، وجوَّده النووي في «المجموع» (٢/ ١٨٠)، وصححه مغلطاي في «الإعلام» (٤/ ١٢٢٩)، وفي سنده من لا يعرف. وروي من وجه آخر غريب عند ابن منده في «معرفة الصحابة» (١/ ٣٢٨)، وأبي نعيم في «معرفة الصحابة» (١/ ٤٥٨)، ولا يصح.
وأقوىٰ منه أمره ﷺ أهل اليمامة أن يتخذوا مسجدًا مكان بيعةٍ كانت عندهم. أخرجه أحمد (٣٩/ ٤٦٢)، والنسائي (٧٠١) بسند حسن من حديث قيس بن طلق عن أبيه طلق بن علي رضي الله عنه، وصححه ابن حبان (١١٢٣)، وخرجه الضياء في «المختارة» (٨/ ١٦٣).
وانظر: «بيان الوهم والإيهام» (٤/ ١٤٤)، و«تهذيب الكمال» (٢٤/ ٥٧)، و«البدر المنير» (٢/ ٤٦٦).

ثم لمَّا ذكر المؤمنين ذكر الكفَّار من أهل الكتاب والمشركين، فذكر أهل الجهل المركَّب والبسيط، فقال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٣٩- ٤٠].

فقد تبيَّن أنه ليس لهم حجَّةٌ في شيءٍ ممَّا جاء به محمَّد ﷺ، بل ما جاء به حجَّةٌ عليهم من وجوهٍ متعدِّدة.

فصل

قالوا: «وهذا وغيره أوجب لنا التمسُّك بديننا، وأن لا نهمل ما معنا، ولا نرفض مذهبنا، ولا نتَّبع غير السَّيِّد المسيح كلمة الله وروحه، وحواريِّيه الذين أرسلهم إلينا»[(١)].

والجواب: أنهم احتجُّوا بحجَّتين باطلتين:

إحداهما[(٢)]: أن محمَّدًا ﷺ لم يُرسَل إليهم، بل إلىٰ العرب[(٣)]، وقد تبيَّن أن الاحتجاج بها من أعظم الكذب والافتراء علىٰ محمَّدٍ ﷺ؛ فإنه لم يقل قطُّ: إني لم أُرسَل إلىٰ أهل الكتاب، ولا قال قطُّ: إني لم أُرسَل إلا إلىٰ العرب، بل نصوصه المتواترة عنه وأفعاله تبيِّن أنه مرسلٌ إلىٰ جميع أهل الأرض أمِّيِّهم وكتابيِّهم.

والحجة الثانية: قولهم: إن محمَّدًا ﷺ أثنىٰ علىٰ دين النَّصارىٰ بعد التَّبديل والنَّسخ[(٤)]، وهي أيضًا أعظم كذبًا عليه من التي قبلها.

كيف يثني عليهم وهو يكفِّرهم في غير موضعٍ من كتابه، ويأمر بجهادهم وقتالهم، ويذمُّ المتخلِّفين عن جهادهم غاية الذَّمِّ، ويصف من لم ير طاعته في قتالهم بالنفاق والكفر، ويَذْكُر أنه يدخل جهنَّم؟!

وهذا كلُّه يخبر به عن الله ويَذْكُره تبليغًا لرسالة ربه، وإنما يضاف إليه لأنه بلَّغه وأدَّاه، لا لأنه أنشأه وابتداه، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ

(١) رسالة بولس الأنطاكي (٤١٥).
(٢) (ي، د، ع): «أحدهما»، من الحمل علىٰ المعنىٰ.
(٣) رسالة بولس الأنطاكي (٤١٤، ٤١٨).
(٤) رسالة بولس الأنطاكي (٤١٥- ٤١٧).

﴿بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٤٠- ٥٢].

وأمَّا ثناء الله ورسوله على المسيح وأمِّه، وعلى من اتَّبعه وكان على دينه الذي لم يبدَّل، فهذا حقٌّ، وهو لا ينافي وجوبَ اتِّباع محمَّدٍ ﷺ على من بُعِث إليه(١).

فلو قُدِّر أن شريعة المسيح لم تبدَّل، وأن محمَّدًا ﷺ أثنى على كلِّ من اتَّبعها، وقال مع ذلك: إن الله أرسلني إليكم، لم يكن(٢) متناقضًا، وإذا كفَّر من لم يؤمن به لم يناقض ذلك ثناؤه عليهم قبل أن يكذِّبوه. فكيف وهو إنما مدح من اتَّبع دينًا لم يبدَّل؟! وأمَّا الذين بدَّلوا دين المسيح فلم يمدحهم، بل ذمَّهم، كما قال: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤](٣).

---

(١) في طرة (و) تعليق لأحد القراء: «بل يجب عليهم اتباعه ولو سكت عن دعوتهم؛ لأمر الله تعالى لهم في كتبهم السابقة باتباعه، بل ولو لم يؤمروا في الكتب السابقة؛ لظهور معجزاته الخارقة، وتحديهم بالقرآن، وصدق ما أخبر فيه مما تقدم وما تأخر وما وعد به المؤمنين من الفتوح والنصر والظفر والظهور على الدين كله».

(٢) (و): «لم يكن ذلك».

(٣) في طرة (و) تعليق آخر: «وكفى بها معجزة دالة على صدقه ﷺ؛ فإن العداوة من حين نزولها إلى قيام الساعة دائمة كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله».

وقد قدَّمنا[١] أن النَّصارىٰ كفروا كما كفرت اليهود، كفرًا[٢] بتبديلهم ما في الكتاب الأوَّل، وكفرًا بتكذيبهم بالكتاب الثاني. وأمَّا من لم يبدِّل الكتاب أو أدرك محمَّدًا ﷺ فآمن به، فهؤلاء مؤمنون.

وممَّا يبيِّن ذلك أن تعظيم المسيح للتَّوراة، واتِّباعه لها، وعمله[٣] بشرائعها، أعظمُ من تعظيم محمَّدٍ ﷺ للإنجيل، ومع هذا فلم يكن ذلك مسقطًا عن اليهود وجوبَ اتِّباعهم للمسيح، فكيف يكون تعظيمُ محمَّدٍ ﷺ للإنجيل مسقطًا عن النَّصارىٰ[٤] وجوبَ اتِّباعه؟!

---

(١) (١/ ١٨٩).

(٢) ط. النيل: «كفروا». وكذلك الموضع الثاني.

(٣) (ي): «وعلمه».

(٤) من قوله: «وجوب اتباعهم» إلىٰ هنا سقط من (ع) لانتقال النظر.

فصل

وأمَّا قولهم: «وحواريِّيه الذين أرسلهم إلينا أنذرونا بلغاتنا[1]، وسلَّموا لنا[2] ديننا، الذين قد عُظِّموا في هذا الكتاب بقوله في سورة الحديد: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، وقال في سورة البقرة: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

فأعنىٰ[3] بقوله: أنبياءه المبشرين ورسله ينحو بذلك[4] الحواريِّين الذين داروا في سبعة أقاليم العالم، وبشَّروا بالكتاب الواحد الذي هو الإنجيل الطاهر؛ لأنه لو عنىٰ[5] عن إبراهيم وداود وموسىٰ ومحمَّد لكان قال: معهم الكتب؛ لأن كلَّ واحدٍ منهم جاء بكتابٍ دون غيره، ولم يقل إلا الكتاب الواحد؛ لأنه ما أتىٰ جماعةٌ مبشِّرين بكتابٍ واحدٍ غير الحواريِّين الذين أتوا بالإنجيل الطاهر.

وجاء أيضًا في الكتاب: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠]، يعني الحواريِّين، لم يقل: «رسول» إنما قال: المرسلين»[6].

---

(١) ط. العاصمة: «بلغتنا»، خلاف الأصول.

(٢) (ع): «إلينا». وضرب علىٰ الجملة في (و).

(٣) كذا في الأصول. أي: عنىٰ. وسيرد كذلك في مواضع. وليس بمسموع، وهو من عجمة كاتب الرسالة، وكذلك قوله: «عنىٰ عن».

(٤) أي: يقصد.

(٥) وردت في الموضع الآتي (١/ ٤٣٤): «أعنىٰ».

(٦) رسالة بولس الأنطاكي (٤١٥)، وفي النص الذي بين أيدينا من الرسالة اختصار.

والجواب من وجوه:

أحدها: أنه ليس فيما ذُكِر ولا في غيره ما يوجبُ تكذيب الرَّسول الذي أُرسِل إليكم وإلىٰ غيركم، وتمسُّككم بدينٍ مبدَّلٍ منسوخ، كما أنه ليس فيما يعظَّم به موسىٰ والتَّوراة ومن اتَّبع موسىٰ ما يوجب لليهود تكذيب الرَّسول الذي أُرسِل إليهم وتمسُّكهم بدينٍ مبدَّل منسوخ.

الثاني: أن قولهم: «ولا نتَّبع غير المسيح وحواريِّيه» قولٌ باطل؛ فإنهم ليسوا متَّبعين لا للمسيح ولا لحواريِّيه لوجهين:

أحدهما: أن دينهم مبدَّل، ليس كلُّه عن المسيح والحواريِّين، بل أكثر شرائعهم أو كثيرٌ منها ليست عن المسيح والحواريِّين.

الثاني: أن المسيح بشَّر بأحمد، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، فإذا لم يتَّبعوا أحمد كانوا مكذِّبين للمسيح.

وعندهم من البشارات عن المسيح وغيره من الأنبياء بأحمد ما هو مبسوطٌ في موضعٍ آخر(١) كما سيأتي إن شاء الله(٢)، وإنما المقصود هنا منع احتجاجهم بشيءٍ ممَّا جاء به محمَّد ﷺ، وبيان أنه حجَّةٌ عليهم لا لهم؛ إذ زعموا أن في بعضه حجَّةً لهم.

الثالث: أن قولهم عن الحواريِّين: «إنهم الرُّسل الذين عُظِّموا في هذا الكتاب» قولٌ باطلٌ فسَّروا به القرآن تفسيرًا باطلًا من جنس تفسيرهم ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] بالنَّصارىٰ، وتفسيرهم ﴿بِإِذْنِى﴾ [المائدة: ١١٠] أي: ينفخ

---

(١) (٤/ ٥-١٠٢).

(٢) «كما سيأتي إن شاء الله» ليست في (و)، وكأنها مما ألحقه المصنف.

فيه فيكون طيرًا بإذن اللاهوت الذي هو كلمة الله المتَّحدة في النَّاسوت، وتفسيرهم ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة: ١] بالإنجيل، وتفسيرهم ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1] [البقرة: ٣] هم النَّصارىٰ، وتفسيرهم قوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦] هم النَّصارىٰ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ هم اليهود[2]، وأمثال ذلك من تفسيرهم القرآن بمثل[3] ما يفسِّرون به التَّوراة والإنجيل والزَّبور من التَّفاسير التي هي من تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في آيات الله، والكذب علىٰ أنبيائه، بما يظهَر أنه كذبٌ علىٰ الأنبياء[4] لكلِّ من تدبَّر ذلك.

وبطلان ذلك يظهر من وجوه:

أحدها: أن الله قال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ اسمُ جمعٍ مضافٍ يعمُّ جميع من أرسله الله تعالىٰ.

الثاني: أن أحقَّ الرُّسل بهذا الحكم الرُّسلُ[5] الذين سمَّاهم الله[6] في القرآن، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ

(١) زادت ط. العاصمة الآية التي بعدها، وليست في الأصول.
(٢) رسالة بولس الأنطاكي (٤١٦، ٤١٨).
(٣) (و): «مثل».
(٤) (و): «أنبيائه».
(٥) ساقطة من ط. العاصمة.
(٦) لفظ الجلالة ليس في (و، ي).

وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣- ١٦٥].

وقال في سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾، ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١)، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٥-١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥].

---

(١) زادت الأصول هنا: «فاتقوا الله وأطيعون»، وليس هو موضعها من المصحف.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، وذكر قصَّته، ثم قال بعد[1] ذلك: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، ثم لما قضىٰ[2] قصَّته قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾، فذكر إرسال رسله ﴿تَتْرَا﴾ أي متواترة، ثم ذكر إرسال موسىٰ وهارون، وإرسالُ موسىٰ وهارون قبل المسيح[3] بمدَّةٍ طويلة.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦]، فهذا إخبارٌ منه ﷻ بأنه بعث في كلِّ أمَّةٍ رسولًا يدعوهم إلىٰ عبادة الله وحده.

وقال تعالىٰ في المسيح صلوات الله عليه: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]، فأخبر أن المسيح رسولٌ من هؤلاء الرُّسل، قد خلت من قبله الرُّسل، وقبله قد بعَث في

(١) ط. النيل: «من بعد».
(٢) كذا في الأصول. ويشبه أن يكون الصواب: «قصَّ».
(٣) ط. النيل: «قبل إرسال المسيح».

كلِّ أمَّةٍ رسولًا[1].

وقد رُوِي في حديث أبي ذرٍّ عن النبيِّ ﷺ **أن الأنبياء مئة ألفٍ وأربعةٌ وعشرن ألف**[2] **نبيٍّ، وأن الرُّسل منهم ثلاثمئة وثلاثة عشر**[3]، وبعض النَّاس يصحِّح هذا الحديث، وبعضهم يضعِّفه، فإن كان صحيحًا فالرُّسل ثلاثمئة وثلاثة عشر، وإن لم تُعْرَف صحَّتُه أمكن أن يكونوا بقدر ذلك وأن يكونوا أكثر، كما يمكن أن يكونوا أقلَّ؛ فإن الله تعالىٰ أخبَر أنه بَعَث في كلِّ أمَّةٍ رسولًا، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]،

---

(١) (و): «رسول».

(٢) «وأربعة وعشرون ألف» ساقطة من ط. العاصمة.

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٢٨٨) في سياق طويل من حديث معان بن رفاعة عن علي بن يزيد الألهاني عن القاسم أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة رضي الله عنه، وعلي بن يزيد الألهاني والراوي عنه ضعيفان.

وأخرجه ابن حبان (٣٦١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٦٦) وغيرهما من حديث إبراهيم بن هشام بن يحيىٰ الغساني عن أبيه عن جده عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر رضي الله عنه، وهذا إسنادٌ شديد الضعف.

وأصحُّ ما في الباب: حديث زيد بن سلام عن أبي سلام عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رجلًا قال: يا رسول الله، كم كانت الرسل؟ قال: «ثلاثمئة وخمسة عشر»، أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦١٧٧)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ١١٨) وغيرهما بسند قوي، وصححه ابن حبان (٦١٩٠) دون موضع الشاهد، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٨٨) علىٰ شرط مسلم، وأبو عبد الله ابن منده في كتاب «التوحيد» (٣/ ١٤١)، وقال: «وروي من حديث القاسم أبي عبد الرحمن وغيره عن أبي أمامة عن أبي ذر بأسانيد فيها مقال».

قال ابن حجر في «الكاف الشاف» (٤/ ٢٠٤- الكشاف): «وأفرط ابن الجوزي فذكره في الموضوعات، ولم يصب في ذلك»، ثم أورد بعض متابعاته. وقال السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ١٣١): «أخرجه ابن حبان في صحيحه، وابن الجوزي في الموضوعات، وهما في طرفي نقيض، والصواب أنه ضعيفٌ لا صحيحٌ ولا موضوع».

وانظر: «شعب الإيمان» للبيهقي (١/ ٢٧٨)، و« البداية والنهاية» (٣/ ٩٠)، و«مجمع الزوائد» (١/ ١٥٩، ١٩٦، ٨/ ٢١٠)، و«الروض البسام» (٤/ ٢٤٣).

ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال[1]: «**أنتم تُوفُون سبعين أمَّةً أنتم أكرمُها وأفضلُها على الله**»[2]، وهو حديثٌ جيِّد.

وقد قال تعالىٰ في سورة الزمر: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، وقال تعالىٰ في سورة تبارك: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾، وقال تعالىٰ[3]: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ﴾، فهذا إخبارٌ منه بأن كلَّ فوجٍ ممَّن[4] يلقىٰ في النَّار قد[5] جاءهم نذير، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: ١٥].

وقد قال تعالىٰ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

---

(١) (و): «أن النبي ﷺ قال».

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٠٢٩)، وابن ماجه (٤٢٨٨)، والترمذي (٣٠٠١) من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده معاوية بن حيدة رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حديث حسن»، وصححه الحاكم (٤/ ٨٤) ولم يتعقبه الذهبي، وقال ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٢٢٥): «حديث حسن صحيح».

(٣) «وقال تعالىٰ» ليست في (و)، وأكملت فيها الآيات في سياق واحد.

(٤) ليست في (و، ي).

(٥) (ي، ع، د): «وقد». وهو خطأ، وأثبتته ط. العاصمة.

فقد أرسل الله قبل المسيح رسلًا كثيرين إلىٰ جميع الأمم، فكيف يجوز أن يدَّعىٰ أن المراد بقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الحديد: ٢٥] هم الحواريُّون فقط الذين أرسلهم المسيح؟!

مع أن الحواريِّين رسل المسيح بمنزلة رسل موسىٰ وإبراهيم ورسل محمَّد ﷺ، ومن أرسله رسولُ الله ﷺ وجبت علىٰ النَّاس طاعتُه فيما يبلِّغه عن رسول الله، كما في الصَّحيحين[1] عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصاني فقد عصىٰ الله، ومن عصىٰ أميري فقد عصاني**».

وبيَّن[2] أن أميره إنما تجبُ طاعتُه في المعروف الذي أمر الله به ورسوله لا في كلِّ ما يأمر به.

ففي الصَّحيحين[3] عن عليٍّ أن رسول الله ﷺ بعث جيشًا، وأمَّر عليهم رجلًا، وأمرهم أن يسمعوا ويطيعوا، فأغضبوه، فقال: اجمعوا لي حطبًا، فجمعوا له، ثم قال: أوقدوا نارًا، فأوقدوا نارًا، ثم قال: ألم يأمركم رسول الله أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قالوا: بلىٰ، قال: فادخلوها. فنظر بعضهم إلىٰ بعض، فقالوا: إنما فررنا إلىٰ رسول الله من النَّار. فكانوا كذلك حتىٰ سكن غضبُه، فلمَّا رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، وقال: «**لو دخلوها ما خرجوا منها أبدًا**»، وقال: «**لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف**».

(١) صحيح البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) (و، ع، ي): «فبين».
(٣) صحيح البخاري (٤٣٤٠)، ومسلم (١٨٤٠).

وفي الصَّحيحين[1] عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: **«علىٰ المرء المسلم السَّمعُ والطَّاعة فيما أحبَّ وكَرِه، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أُمِر بمعصيةٍ فلا سمع ولا طاعة»**.

وفي صحيح[2] مسلم[3] عن أمِّ الحصين سمعت رسول الله ﷺ في حجَّة الوداع يقول: **«ولو استُعمِل عليكم عبدٌ أسودٌ يقودكم بكتاب الله فاسمعوا وأطيعوا»**.

وفي الصَّحيحين[4] عنه ﷺ أنه قال: **«فليبلِّغ[5] الشاهدُ الغائب؛ فربَّ مبلَّغٍ أوعىٰ له من سامع»**.

وفي «صحيح البخاري»[6] عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: **«بلِّغوا عنِّي ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأ مقعده من النَّار»**.

وفي السُّنن[7] عنه أنه قال: **«نضَّر الله امرأً سمع منَّا حديثًا، فبلَّغه[8] إلىٰ من لم يسمعه، فربَّ حامل فقهٍ غير فقيه، وربَّ حامل فقهٍ إلىٰ من هو أفقه منه»**.

فالحواريُّون في تبليغهم عن المسيح كسائر أصحاب الأنبياء في تبليغهم عنهم.

---

(١) صحيح البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).
(٢) ساقطة من ط. العاصمة.
(٣) (١٢٩٨، ١٨٣٨).
(٤) صحيح البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.
(٥) (و): «ليبلغ». وكلاهما مرويّ.
(٦) (٣٤٦١).
(٧) تقدم تخريجه (١/ ٢٨٥).
(٨) (ي، د، ع): «استمع فسمع منا حديثًا ويبلغه».

وقال الله تعالىٰ في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وأولو الأمر هم العلماء والأمراء، فإذا أمروا بما أمر الله به ورسوله وجبت طاعتُهم، وإن تنازع النَّاس في شيءٍ وجب ردُّه إلىٰ الله والرَّسول ﷺ، لا يُرَدُّ إلىٰ أحدٍ دون الرُّسل الذين أرسلهم الله.

كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]، والكتاب اسم جنسٍ لكلِّ كتابٍ أنزله الله، ليس المراد به كتابًا معيَّنًا.

كما قال تعالىٰ: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ولم يرد بهذا أن يؤمن بكتابٍ معيَّنٍ واحد، بل هذا[1] يتضمَّن الإيمان بالتَّوراة والإنجيل والقرآن وكلِّ ما أنزله الله من كتاب.

كما قال في سورة الشورىٰ: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُ﴾ [الشورىٰ: ١٥]، فأمره الله تعالىٰ أن يؤمن بكلِّ ما أنزله الله من كتاب، وأن يعدل بين من بلغتهم رسالتُه.

---

(١) (و): «بل وهذا». وهو سائغ، والمثبت أفصح.

كما قال: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، فكلُّ من بلغه القرآن فهو مخاطبٌ به يتناوله خطاب القرآن(١)، وفي الصَّحيحين(٢) عن النبي ﷺ أنه قال: «بلِّغوا عنِّي ولو آية».

وقال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وفي القراءة الأخرىٰ ﴿وكتابه وَرُسُلِهِۦ﴾(٣)، وكلا القراءتين موافقةٌ للأخرىٰ(٤).

وقوله تعالىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [البقرة: ٢١٣] أي: فاختلفوا بعد ذلك، كما قال في السورة الأخرىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْ﴾ [يونس: ١٩].

فلما اختلف بنو آدم بعث الله(٥) النبيِّين مبشِّرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب، وذلك يتناول كلَّ كتابٍ أنزله الله؛ ليحكم الله ويحكم كتابه بين النَّاس بالحقِّ، فالحاكم بين النَّاس هو الله تعالىٰ، وحكمُه في كتبه المنزَّلة؛ فلهذا أمر الله المؤمنين إذا تنازعوا في شيءٍ أن يردُّوه إلىٰ الله والرَّسول، والردُّ إلىٰ الله هو الردُّ إلىٰ كتابه؛ فأمرهم بالردِّ إلىٰ كتابه ورسوله.

وقد ذمَّ تعالىٰ من لم يتحاكم إلىٰ كتابه ورسوله، فقال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى

---

(١) قوله: «فكل من بلغه» إلىٰ هنا وقع متأخرًا بعد الحديث في (د، ع، ي).
(٢) تقدم تخريجه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وهو من أفراد البخاري كما في «الجمع بين الصحيحين» للحميدي (٣/ ٤٤٠).
(٣) قرأ بها حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (١٩٥)، و«حجة القراءات» (١٥٢).
(٤) (ع، ي، د): «الأخرىٰ».
(٥) لم يثبت لفظ الجلالة في ط. العاصمة.

﴿الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا
إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا
(٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ
عَنكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ
جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ
مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (٦٣)
وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ
جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (٦٤)
فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي
أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٠ - ٦٥].

فقد تبين أن الرُّسل الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد: ٢٥] يتناول الرُّسل الذين أرسلهم الله تعالىٰ كلَّهم، ومِن أحقِّهم بذلك الرُّسلُ الذين أخبر في القرآن أنه أرسلهم إلىٰ عباده، فظهر بطلان قولهم: إنهم الحواريُّون.

الوجه الثالث: أنه قال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]، فذكر أنه أنزل الحديد أيضًا؛ ليتبيَّن من يجاهد في سبيل الله بالحديد. والنَّصارىٰ يزعمون أن الحواريِّين والنَّصارىٰ لم يؤمروا بقتال أحدٍ بالحديد[١].

(١) انظر: إنجيل متىٰ (٥: ٣٨-٤٤).

الوجه الرابع: أنه قال بعد ذلك: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: ٢٦، ٢٧]، وإخباره بإرسال نوحٍ وإبراهيم بعد قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ من باب ذكر الخاصِّ بعد العامِّ وبيان ما اختصَّ به الخاصُّ من الأحكام التي امتاز بها عن غيره ممَّا دخل في العامِّ، كما يأمر السلطانُ العسكرَ بالجهاد، ويأمر فلانًا وفلانًا بأن يفعلوا كذا وكذا، ومثل أن يقال: أرسل رسله إلىٰ فلانٍ وفلان(١)، وأرسل إليهم فلانًا وأمره بكذا وكذا.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾، فنوحٌ هو أبو الآدميِّين الذين حَدَثوا بعد الطُّوفان؛ فإن الله أغرق ولد آدم إلا أهل السَّفينة، وقال في نوح: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧].

وإبراهيم جعل الأنبياء بعده من ذريَّته، كما قال تعالىٰ في إبراهيم: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

ثم قال بعد أن ذكر إرسال نوح وإبراهيم، وأنه جعل في ذريتهما النبوَّة والكتاب: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾ [الحديد: ٢٧].

فأخبر أنه قفَّىٰ علىٰ آثارهم برسله، وقفَّىٰ بعيسىٰ بن مريم وآتاه الإنجيل،

---

(١) ساقطة من ط. العاصمة.

وهؤلاء رسلٌ قبل المسيح، وآخرهم المسيح، ولم يذكر أنه أرسل أحدًا من أتباع المسيح، بل أخبر أنه جعل في قلوب الذين اتَّبعوه رأفةً ورحمة، فكيف يجوز أن يقال: إن مراده بالرُّسل الذين أرسلهم بالبينات وأنزل معهم الكتاب والميزان هم الحواريُّون دون الرُّسل الذين ذكرهم وأرسلهم قبل المسيح؟!

الوجه الخامس: أنه ليس في القرآن آيةٌ تنطق بأن الحواريِّين رسلُ الله[1]، بل[2] ولا صرَّح في القرآن بأنه أرسلهم، لكن قال في سورة يس: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم
مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا
بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن
شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا
ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾
وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن
لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾
ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا
يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ
ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾
۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا
صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

---

(١) ط. النيل: «هم رسل الله».

(٢) ليست في (ي).

فهـذا كـلام الله لـيس فيه ذكـرُ أن هـؤلاء المرسـلين كـانوا مـن الحـواريِّين، ولا أن الذين أُرسِلوا[1] إليهم آمنوا بهم، وفيه أن هؤلاء القوم الذين أُرسِل إليهم هؤلاء الثلاثة أنزل الله عليهم صيحةً واحدةً فإذا هم خامدون.

وقد ذكر طائفةٌ من المفسِّرين أن هـؤلاء كـانوا مـن الحـواريِّين، وأن القريـة أنطاكِيَـة، وأن هـذا الرَّجـل[2] اسـمه حبيـب النَّجَّـار، ثـم إن بعضـهم يقـول: إن المسيح أرسلهم في حياته[3]، لكن المعروف عند النَّصارىٰ أن أهل أنطاكِيَة آمنوا بالحواريِّين واتَّبعوهم[4]، لم يهلك الله أهل أنطاكِيَة، والقرآن يـدلُّ علىٰ أن الله أهلك قوم هذا الرَّجل الذي آمن بالرُّسل.

وأيضًا، فالنَّصارىٰ يقولون: إنما جاءوا إلىٰ أهل أنطاكِيَة بعد رفع المسيح، وأن الذين جاءوا كانوا اثنين لم يكن لهما ثالث، قيل: أحدهما شمعون الصَّفا، والآخر بولص[5]. ويقولون: إن أهل أنطاكِيَة آمنوا بهم. ولا يذكرون حبيب

---

(١) (د، ع): «أرسل».

(٢) الذي جاء من أقصىٰ المدينة يسعىٰ، كما تقدم (١/ ٣١٢).

(٣) قدَّمه ابن جرير في التفسير (١٩/ ٤١٢)، وأخَّره في التاريخ (٢/ ١٩)، ورواه فيهما عن قتادة. ورواه ابن المنذر عن ابن جريج، كما في «الدر المنثور» (١٢/ ٣٣٤). وحكاه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٢/ ٢٦٠) عن «العلماء بأخبار الأنبياء». وعليه أكثر المفسرين، قال ابن كثير (٦/ ٥٧٣): «وهو الذي لم يَذكر غيرُ واحدٍ من متأخري المفسرين غيرَه». وانظر: «البسيط» (١٨/ ٤٦٣)، و«الكشاف» (٤/ ٧)، و«معالم التنزيل» (٧/ ١٠)، و«مفاتيح الغيب» (٢٦/ ٢٦٠).

(٤) انظر: سِفر أعمال الرسل (١١: ٢٦).

(٥) في سِفر أعمال الرسل (١١: ٢٥) أن اللذين ذهبا إلىٰ أنطاكية هما: برنابا، وشاول. وانظر: «التحرير والتنوير» (٢٢/ ٣٥٩). وفي تسميتهم خلافٌ في المصادر. وذكر أبو عبيد البكري في «المسالك والممالك» (١/ ١٤٢) أسماءهم بالسريانية والرومية. وفيما حكاه الثعلبي (٢٢/ ٢٦١) عن العلماء بأخبار الأنبياء أن شمعون الصفا هو الثالث وهو الذي دعا الله.

النَّجَّار، ولا مجيء رجلٍ من أقصىٰ المدينة، بل يقولون: إن شمعون وبولص دعوا الله حتىٰ أحيا ابن المَلِك.

فالأمر المنقول عند النَّصارىٰ أن هؤلاء الرُّسل[1] المذكورون[2] في القرآن ليسوا من الحواريِّين، وهذا أصحُّ القولين عند علماء المسلمين وأئمَّة المفسِّرين[3]، ذكروا[4] أن الرُّسل[5] المذكورين في القرآن في سورة «يس» ليسوا من الحواريِّين، بل كانوا قبل المسيح، وسمَّوهم بأسماءٍ غير أسماء[6] الحواريِّين، كما ذكر محمَّد بن إسحاق.

قال سلمة بن الفضل: كان من حديث صاحب «يس» فيما حدَّثني محمَّد بن إسحاق، عن ابن عباس، وعن كعب، وعن وهب بن منبه: أنه كان رجلًا من أهل أنطاكِيَة، وكان اسمه حبيبًا، وكان يعمل الحرير[7]، وكان رجلًا سقيمًا قد أسرع فيه الجُذَام، وكان منزله عند بابٍ من أبواب المدينة يُتَاجِر[8]، وكان مؤمنًا ذا صدقةٍ، يجمع كسبَه إذا أمسىٰ -فيما يذكرون- فيقسمه نصفين، فيطعِم نصفَه عياله ويتصدَّق بنصفه، وكان بالمدينة التي هو بها -مدينة أنطاكِيَة- فرعونٌ من

(١) ليست في (و، ي).
(٢) ط. النيل: «المذكورين»، وهي الجادة.
(٣) قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٧/ ١١): «وهو ظاهر القرآن»، ومال إليه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٧/ ٢٣٩)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (١٨/ ٨٢)، ونصره ابن كثير (٦/ ٥٧٣).
(٤) (و، ي): «وذكروا».
(٥) ليست في (و، ي).
(٦) ليست في (و).
(٧) ط. النيل: «بالحرث». وفي بعض أصول تفسير ابن جرير: «الجرير» بالمعجمة، ووقع تفسيرها بالحِبَال إدراجًا عند ابن كثير. وعن السُّدي: «أنه كان قصَّارًا»، وهو مبيِّض الثياب. وقيل: كان إسكافًا. وقيل: كان حرَّاثًا.
(٨) ط. النيل: «يتأجر». وعند ابن جرير: «قاصيًا»، وهو أقرب للفظ الآية.

الفراعنة يقال له: أنطخس بن أنطخس[1]، يعبد الأصنام، صاحب شركٍ، فبعث الله إليه المرسلين، وهم ثلاثة: صادق، وصدوق، وشلوم[2]، فقدَّم الله إليه وإلىٰ أهل المدينة منهم اثنين، فكذَّبوهما، ثم عزَّز الله بالثالث[3].

وروىٰ الرَّبيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٣ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٍ﴾: لكي تكون الحجَّة عليهم أشدَّ، فأتوا أهل القرية فدعوهم إلىٰ الله وحده وعبادته لا شريك له، فكذَّبوهم، فأتوا علىٰ رجلٍ في ناحية القرية في زرعٍ له، فسألهم الرَّجل: ما أنتم؟ قالوا: نحن رسل ربِّ العالمين، أرسلنا إلىٰ أهل هذه القرية ندعوهم إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له، قال لهم: أتسألون علىٰ ذلك أجرًا؟ قالوا: لا، قال: فألقىٰ ما في يده، ثم أتىٰ أهل المدينة ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرًا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[4].

وهذا القول هو الصَّواب[5]، وأن هؤلاء المرسلين كانوا رسلًا لله قبل المسيح، وإن كانوا[6] قد أُرسِلوا إلىٰ أنطاكِيَة وآمن بهم حبيب النَّجَّار فهم كانوا قبل المسيح، ولم تؤمن أهل القرية[7] بالرُّسل، بل أهلكهم الله تعالىٰ، كما أخبر في القرآن، ثم بعد هذا عمِّرت أنطاكِيَة، وكان أهلها مشركين، حتىٰ جاءهم من جاءهم من الحواريِّين، فآمنوا بالمسيح علىٰ أيديهم، ودخلوا دين المسيح.

---

(١) اضطربت المصادر وأصولها في رسم هذا الاسم: «أبطيحس، أنطبخس، أنطيخس».
(٢) (د، ي، ع): «سلوم» بالمهملة. وكذلك اختلفت المصادر.
(٣) أخرجه ابن جرير في التفسير (١٩/ ٤١٤، ٤١٩)، والتاريخ (٢/ ١٨).
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» (١٢/ ٣٣٥).
(٥) انظر: «جامع الرسائل» (١/ ٦٥- ٦٦).
(٦) (و): «وأنهم كانوا». وهو خطأ، وأثبتته ط. العاصمة.
(٧) (و): «المدينة».

ويقـال: إن أنطاكِيَـة أول المـدائن الكبـار الـذين آمنـوا بالمسـيح عليه السلام[1]، وذلك بعد رفعه إلىٰ السَّماء، ولكن ظنَّ من ظنَّ من المفسِّرين أن المذكورين في القرآن هم رسلُ المسيح، وهم من الحواريِّين.

وهذا[2] غلطٌ؛ لوجوه[3]:

منها: أن الله قد ذكر في كتابه أنه أهلك الذين جاءتهم الرُّسل، وأهلُ أنطاكِيَة لمَّا جاءهم من دعاهم إلىٰ دين المسيح آمنوا ولم يهلكوا.

ومنها: أن الرُّسـل في القـرآن ثلاثـة، وجـاءهم رجـلٌ مـن أقصـىٰ[4] المدينـة يسعىٰ، والذين جاءوا من أتباع المسيح كـانوا اثنين، ولـم يـأتهم رجـلٌ يسـعىٰ لا حبيبٌ ولا غيره.

ومنها: أن هؤلاء جاءوا بعد المسيح، فلم يكن الله أرسلهم.

وهذا كما أن الله ذكر في القرآن أنه أهلك أهل[5] مَـدْيَن بالظُّلَّـة لمَّـا جـاءهم شعيب، وذكر في القرآن أن موسىٰ أتاهـا وتـزوَّج ببنت واحـدٍ منهـا، فظـنَّ بعـض النَّاس أنه شعيبٌ النبيُّ ﷺ، وهذا غلطٌ عند علمـاء المسـلمين، مثـل ابـن عبـاس والحسن البصري وابن جريج وغيرهم، كلُّهـم ذكـروا أن الـذي صـاهره موسـىٰ ليس هو شعيبًا النبيَّ ﷺ[6]، وحُكِي أنـه شـعيبٌ عمَّـن لا يُعْـرَف[7]، ولـم يثبت

---

(١) في سِفر أعمال الرسل (١١: ٢٦): «ودُعِي التلاميذ مسيحيِّين في أنطاكية أولًا».
(٢) (د، ي، ع): «فهذا».
(٣) ذكر بعضها ابن كثير في التفسير (٦/ ٥٧٣).
(٤) (د، ي، ع): «أهل».
(٥) ليست في (و).
(٦) آثارهم في «الدر المنثور» (١١/ ٤٥٤، ٤٥٥).
(٧) زادت (و): «من العلماء». وممن ذهب إليه مقاتل وطائفة من المؤرخين والمفسرين، وروي في حديث مرفوع لا يثبت، أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٧٠). انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٣٤١)، و«المحبَّر» لابن حبيب (٣٨٩)، وتفسير ابن جرير (١٨/ ٢٢٣)، وتاريخه =

ذلك[1] عن أحدٍ من الصَّحابة والتَّابعين، كما قد بسطناه في موضعٍ آخر[2].

وأهل الكتاب يُقِرُّون بأن الذي صاهره موسىٰ ليس هو شعيبًا، بل رجلٌ من أهل مدين. ومنهم من يقول: إنها غير مدين التي أهلك الله أهلها، والله أعلم.

وكذلك ذكر المفسِّرون في «المرسلين»، هل أرسلهم الله، أو أرسلهم المسيح؟ قولين: **أحدهما**: أن الله هو الذي أرسلهم.

قال أبو الفرج ابن الجوزي: وهذا ظاهر القرآن، وهو مرويٌّ عن ابن عباس، وكعب، ووهب بن منبه[3].

قال: وقال: المفسِّرون في قوله: ﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً﴾ [يس: ٢٩]: أخذ جبريل بعِضَادَتَي باب المدينة، ثم صاح[4] بهم صيحةً واحدة، فإذا هم ميِّتون[5] لا يُسْمَع لهم حِسٌّ، كالنَّار إذا أطفئت، وذلك قوله: ﴿فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ﴾، أي:

= (١/ ١٦٧)، و«زاد المسير» (٦/ ٢١٦)، وتفسير ابن كثير (٦/ ٢٣٠)، وتاريخه (٢/ ٤٧)، و«الدر المنثور» (١١/ ٤٤٦). قال ابن جرير: «وهذا مما لا يُدْرَك علمُه إلا بخبر، ولا خبر بذلك تجب حجَّته».

وإنما قال شيخ الإسلام: «وحُكِي أنه شعيبٌ عمَّن **لا يُعْرَف**» مع أنه قول مقاتل وطائفة من المؤرخين والمفسرين اعتمادًا علىٰ قول الحسن: «يقولون: إنه شعيب، وليس بشعيب، ولكنه سيد الماء يومئذ»، قال شيخ الإسلام: «فالحسن يذكر أنه شعيب عمَّن **لا يُعْرَف**، ويردُّ عليهم ذلك، ويقول ليس هو شعيب». «جامع الرسائل» (١/ ٦٣).

(١) ليس في (و).

(٢) (و، ي): «في موضعه». وقد بسط ذلك المصنف في رسالة لطيفة مفردة منشورة في «جامع الرسائل» (١/ ٥٩- ٦٦). وانظر: «الانتصار لأهل الأثر» (٢٢٦)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٢٠/ ٤٢٩).

(٣) «زاد المسير» (٧/ ١١).

(٤) (و): «وصاح».

(٥) (ع): «فإذا هم خامدون أي ميتون».

ساكنون كهيئة الرَّماد الخامد(١).

ومعلومٌ عند النَّاس أن أهل أنطاكِيَة لم يُصِبهم ذلك بعد مبعث المسيح، بل آمنوا قبل أن يبدَّل دينُه، وكانوا مسلمين مؤمنين به علىٰ دينه، إلىٰ أن تبدَّل دينُه بعد ذلك.

وممَّا يبيِّن ذلك أن المعروف عند أهل العلم أنه بعد نزول التَّوراة لم يهلك الله مكذِّبي الأمم بعذابٍ سماويٍّ(٢) يعمُّهم(٣)، كما أهلك قوم نوحٍ وعادٍ وثمود وقوم لوطٍ وفرعون وغيرهم، بل أمر المؤمنين بجهاد الكفَّار، كما أمر بني إسرائيل علىٰ لسان موسىٰ بقتال الجبابرة. وهذه القرية أهلك الله أهلها بعذابٍ من السَّماء، فدلَّ ذلك علىٰ أن هؤلاء الرُّسل(٤) المذكورين في «يس» كانوا قبل موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وأيضًا، فإن الله لم يذكر في القرآن رسولًا أرسله غيرُه(٥)، وإنما ذكر الرُّسل الذين أرسلهم هو.

وأيضًا، فإنه قال: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: ١٤]، فأخبر أنه أرسلهم، كما أخبر أنه أرسل نوحًا وموسىٰ وغيرهما، وفي الآية: ﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ﴾ [يس: ١٥]، ومثل هذا هو

---

(١) «زاد المسير» (٧/ ١٤).
(٢) (و): «بعذاب من السماء».
(٣) وهو عذاب الاستئصال. انظر: «النبوات» (١/ ٢٠٩)، و«جامع الرسائل» (٢/ ٣٣٦)، وما سيأتي (٤/ ٥٣٧).
(٤) ليست في (و).
(٥) غير الله ﷻ.

خطابُ المشركين لمن قال: إن الله أرسله وأنزل عليه الوحي، لا لمن[1] جاء رسولًا من عند رسول. وقد قال بعد هذا: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [يس: ٣٠]، وهذا إنما هو في الرُّسل الذين جاءوهم من عند الله لا من عند رسله.

وأيضًا، فإن الله ضرب هذا مثلًا لمن أرسل إليه محمَّدًا ﷺ، يحذِّرهم أن ينتقم الله منهم كما انتقم من هؤلاء. ومحمَّدٌ إنما يُضْرَب له المثلُ برسولٍ نظيره، لا بمن أصحابه أفضلُ منهم؛ فإن أبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا أفضل من الحواريِّين باتفاق علماء المسلمين. ولم يبعث الله بعد المسيح رسولًا، بل جعل ذلك الزمان زمان فترة؛ لقوله[2]: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [المائدة: ١٩].

وأيضًا، فإنه قال تعالىٰ: ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُنَا﴾ [يس: ١٤، ١٥]، ولو كانوا رُسُلَ رسولٍ لكان التكذيبُ لمن أرسلهم، ولم يكن في قولهم: «إن أنتم إلا بشرٌ مثلنا» شبهة؛ فإن أحدًا لا ينكر أن يكون رسلُ رسلِ الله بشرًا، وإنما أنكروا أن يكون رسول الله بشرًا.

وأيضًا، فلو كان التكذيبُ لهما وهما رسلُ الرَّسول لأمكنهما أن يقولا: فأرسِلوا إلىٰ من أرسلَنا أو إلىٰ أصحابه؛ فإنهم يعلمون صدقنا في البلاغ عنه. بخلاف ما إذا كانا رسل الله.

---

(١) (ع، د، ي): «من».

(٢) (ي): «كقوله». وهو خطأ، وأثبتته ط. النيل والعاصمة.

وأيضًا، فقوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ [يس: ١٤] صريحٌ في أن الله هو المرسِل، ومن أرسلهم غيرُه إنما أرسلهم ذلك، لم يرسلهم الله، كما لا يقال لمن أرسله محمَّد بن عبد الله: إنهم رسلُ الله، فلا يقال لِدِحْيَة بن خليفة الكلبيِّ: إن الله أرسله، ولا يقال ذلك للمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن حُذَافة، وأمثالهما ممَّن أرسلهم الرَّسول، وذلك أن النبيَّ ﷺ أرسل رسله إلىٰ ملوك الأرض، كما أرسل دِحْيَة بن خليفة إلىٰ قيصر، وأرسل عبد الله بن حُذَافة إلىٰ كسرىٰ، وأرسل حاطبَ بن أبي بلتعة إلىٰ المُقَوقس، كما تقدَّم ذكر ذلك(١).

ومعلومٌ أنه لا يقال في هؤلاء: إن الله أرسلهم، ولا يُسَمَّون عند المسلمين «رسل الله»، ولا يجوز باتِّفاق المسلمين أن يقال: هؤلاء داخلون في قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الحديد: ٢٥]. فإذا كانت رسلُ محمَّدٍ ﷺ لم يتناولهم اسمُ «رسل الله» في الكتاب الذي جاء به، فكيف يجوز أن يقال: إن هذا الاسم يتناول رسلَ رسولٍ غيره؟!

والمقصود هنا بيان معاني القرآن، وما أراده الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٣ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ [يس: ١٣، ١٤]، هل مراد الله ورسوله محمَّدٍ ﷺ مَن أرسلهم الله أو من أرسلهم رسوله؟ وقد عُلِم يقينًا أن محمَّدًا ﷺ لم يدخل في مثل هذا، فمن قال: إن محمَّدًا ﷺ أراد بذلك من أرسله رسولٌ فقد كذب علىٰ محمَّدٍ ﷺ عمدًا أو خطأً.

---

(١) (١/ ١٣٠-١٦٦).

فصل

وقد تبيَّن بما ذكرناه فساد قولهم في تفسير آية البقرة، فإنهم قالوا: «وقال في سورة البقرة: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّـرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]».

قالوا: «فأعنىٰ بقوله: أنبياءه المبشِّرين ورسله، ينحو بذلك عن[1] الحواريِّين الذين داروا في سبعة أقاليم العالم، وبشَّروا بالكتاب الواحد[2] الذي هو الإنجيل الطاهر؛ لأنه لو كان أعنىٰ عن إبراهيم وموسىٰ وداود ومحمَّد لكان قال: ومعهم الكتب؛ لأن كل واحدٍ منهم جاء بكتابٍ دون غيره، ولم يقل: إلا الكتاب الواحد؛ لأنه ما أتىٰ جماعةٌ مبشِّرين بكتابٍ واحدٍ غير الحواريِّين الذين أتوا بالإنجيل الطَّاهر»[3].

فيقال لهم: قد تقدَّم بعض ما يدلُّ علىٰ فساد هذا التَّفسير[4].

وأيضًا، فإنه قال تعالىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: فاختلفوا ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّـرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾، والحواريُّون ليسوا من النبيِّين، وإن كان المسيحُ أرسلهم، ولا يلزم من إرساله لهم أن يكونوا أنبياء، كمن أرسلهم موسىٰ ومحمَّدٌ وغيرهما، ولهذا تسمِّيهم عامة النَّصارىٰ «رسلًا» ولا يسمُّونهم «أنبياء».

وأيضًا، فإنه قال: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾، والحواريُّون لم ينزل معهم الكتاب، إنما أُنزِل الكتابُ مع المسيح، ولكن الأنبياء أُنزِل معهم جنسُ الكتاب؛ فإن الكتاب اسمُ جنس، فيدخل فيه الكتب المنزَّلة كلها، كما في قوله:

---

(١) كذا في الأصول. وتقدم النص (١/ ٤١٢) بدون «عن».
(٢) ساقطة من ط. العاصمة.
(٣) رسالة بولس الأنطاكي (٤١٥). وقد تقدم (١/ ٤١٢).
(٤) (١/ ٤١٣-٤٣٣).

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وفي قوله: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وفي القراءة الأخرىٰ: ﴿وكتابه وَرُسُلِهِۦ﴾[(١)]، وكذلك قوله عن مريم: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التحريم: ١٢]، وفي القراءة الأخرىٰ: ﴿وكتابه﴾[(٢)].

وأيضًا، قال تعالىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقال تعالىٰ في سورة يونس: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [يونس: ١٩]، وهذا يدلُّ أنه لمَّا اختلفت بنو آدم بعث الله النبيِّين، وكان اختلافهم[(٣)] قبل المسيح، بل قبل موسىٰ، بل قبل الخليل، بل قبل نوح، كما قال ابن عباس: «كان بين آدم ونوح عشرةُ قرونٍ كلُّهم علىٰ الإسلام، ثم حدث فيهم الشِّرك»[(٤)].

والاختلافُ علىٰ وجهين:

* تارةً يختلفون، فيؤمن بعضهم، ويكفر بعضهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال تعالىٰ: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] يعني أهل الإيمان والكفر.

---

(١) من قوله: «وفي القراءة» إلىٰ هنا ليس في (و).

(٢) قرأ بالأولىٰ حمزة والكسائي، وبالثانية عامة القراء غير أبي عمرو وحفص عن عاصم. انظر: «السبعة» (١٩٥)، و«حجة القراءات» (٧١٥).

(٣) (و): «واختلافهم كان».

(٤) أخرجه ابن جرير (٣/ ٦٢١)، وصححه الحاكم (٢/ ٤٨٠) ولم يتعقبه الذهبي، وثبته شيخ الإسلام في «منهاج السنة» (٥/ ٢٥٧).

* وقد يكون المختلفون كلُّهم علىٰ باطل، كقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]، وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

وأيضًا، فالإنجيل ليس فيه حكمٌ بين النَّاس فيما اختلفوا فيه، بل عامَّته مواعظ ووصايا وأخبار المسيح، بخلاف التَّوراة والقرآن، فإن فيهما من الحكم بين النَّاس فيما اختلفوا فيه ما ليس في الإنجيل.

وأيضًا، فإنه قال: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وذلك يقتضي أن الله هدىٰ الذين آمنوا بعد اختلاف الذين أوتوا الكتاب بغيًا بينهم لما اختلفوا فيه من الحقِّ، وهذا ذمٌّ لمن أوتوا الكتاب فاختلفوا، والنَّصارىٰ داخلون في هذا الذَّمِّ، ولو كان المراد الإنجيل لكانوا(١) هم المذمومين دون غيرهم، وليس كذلك، بل اليهود وغيرهم من المختلفين مذمومون أيضًا.

وإنما الممدوح هم المؤمنون الذين هداهم الله لما اختَلف أولئك فيه من الحقِّ بإذنه، وهذا يتناول أمة محمَّد ﷺ قطعًا، وقد يتناول كلَّ من آمن من الأمم المتقدمة، كالذين كانوا علىٰ دين موسىٰ والمسيح وإبراهيم الخليل، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

---

(١) (د، ي، ع): «كانوا».

وأمَّا أمة محمَّدٍ ﷺ، فإن الله هداهم لما اختلف فيه الأممُ قبلهم من الحقِّ بإذنه. وهذا بيِّن؛ فإنهم على الحقِّ والعدل الوسط بين طرفي الباطل، وهذا ظاهرٌ في اتِّباعهم الحقَّ الذي اختلفت فيه اليهودُ والنَّصارى في التوحيد، والأنبياء، والأخبار، والتشريع، والنَّسخ، والحلال والحرام، والتصديق والتكذيب، وغير ذلك[1].

أمَّا التوحيد، فإن اليهود شبَّهوا الخالق بالمخلوق، فوصفوا الرَّبَّ سبحانه بصفات النَّقص الذي يختصُّ بها المخلوق، فقالوا: إنه فقير[2]، وبخيل، وإنه يَتْعَبُ، وغير ذلك.

والنَّصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق، صفاتِ الكمال التي[3] يختصُّ بها الخالق، فقالوا عن المسيح: إنه خالق السَّماوات والأرض، القديم الأزليُّ، علَّام الغيوب، القادر على كلِّ شيء، و﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآية[4] [التوبة: ٣١].

والمسلمون هداهم الله لما اختُلِف[5] فيه من الحقِّ، فلم يشبِّهوا الخالق بالمخلوق، ولا المخلوق بالخالق، بل أثبتوا لله ما يستحقُّه من صفات الكمال، ونزَّهوه عن النقائص، وأقرُّوا بأنه أحدٌ ليس كمثله شيء، وليس له كفوًا أحدٌ في شيء من صفات الكمال، فنزَّهوه عن النقائص خلافًا لليهود[6]، وعن مماثلة المخلوق له خلافًا للنَّصارى.

---

(١) (و): «وغير ذلك من التصديق والتكذيب».
(٢) (و): «إن الله فقير».
(٣) (و): «الذي».
(٤) ليست في (ي، د).
(٥) (و): «اختلفوا».
(٦) (و): «خلاف اليهود».

وأمَّا الأنبياء عليهم السَّلام، فإن اليهود قتلوا بعضًا وكذَّبوا بعضًا، كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

والنَّصارىٰ أشركوا بهم وبمن هو دونهم، فعبدوا المسيح، بل اتَّخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، وجعلوا الحواريِّين رسلًا لله، وزعموا أن الإنسان يصير بطاعته[1] بمنزلة الأنبياء، وصوَّروا تماثيل الأنبياء والصَّالحين وصاروا يدعونهم ويستشفعون بهم بعد موتهم، وإذا مات فيهم الرَّجلُ الصَّالح بنوا علىٰ قبره مسجدًا وصوَّروا فيه تماثيلهم.

وفي الصَّحيحين[2] أن النبيَّ ﷺ ذُكِر له كنيسةٌ بأرض الحبشة، وذُكِر مِن حُسْنِها وتصاوير فيها، فقال: «**أولئك إذا مات فيهم الرَّجلُ الصَّالح بنوا علىٰ قبره مسجدًا، وصوَّروا فيه تلك التَّصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**».

وأمَّا المسلمون، فهداهم الله لما اختُلِف فيه من الحقِّ بإذنه، فآمنوا بأنبياء الله كلِّهم، ولم يفرِّقوا بين أحدٍ منهم، ولم يَغْلُوا فيهم غلوَّ النَّصارىٰ، ولا قصَّروا في حقِّهم تقصيرَ اليهود.

وكذلك قَتَل اليهودُ الذين يأمرون بالقسط من النَّاس، والنَّصارىٰ يطيعون من يأمر بالشِّرك و﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، ويطيعون من يحرِّم الحلال ويحلِّل الحرام، والمسلمون يطيعون من يأمر بطاعة الله، ولا يطيعون من يأمر بمعصية الله.

---

(١) (ي، د، ع): «بطاعته يصير».
(٢) صحيح البخاري (٤٢٧) ومسلم (٥٢٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

والنَّصارىٰ فيهم الشِّرك بالله، واليهود فيهم الاستكبار عن عبادة الله، كما قال تعالىٰ في النَّصارىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، وقال في اليهود: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

والإسلام هو أن يستسلم العبدُ لله وحده، فيعبده وحده بما أمره به، فمن استسلم له ولغيره كان مشركًا، والله لا يغفر أن يُشْرَك به، ومن لم يستسلم له بل استكبر عن عبادته كان ممَّن قيل فيه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

فلهذا كان جميعُ الأنبياء وأممهم مسلمين لله، يعبدونه وحده بما أمرهم به، وإن تنوَّعت شرائعهم، فالمسيح لم يزل مسلمًا لمَّا كان متَّبعًا لشرع التَّوراة ولمَّا نسَخ الله له ما نسخه[1] منها، ومحمَّدٌ ﷺ لم يزل مسلمًا لمَّا كان يصلِّي إلىٰ بيت المقدس، ثم لمَّا صلىٰ إلىٰ الكعبة، ولمَّا بعثه الله إلىٰ الخلق كانوا كلُّهم مأمورين بطاعته، وكانت عبادة الله طاعته، فمن لم يطعه لم يكن عابدًا لله، فلم يكن مسلمًا.

وأمَّا التَّشريع، فإن اليهود زعموا أن ما أمر[2] الله به يمتنعُ منه أن ينسَخه، والنَّصارىٰ زعموا أن ما أمر الله به يسوغ لأكابرهم أن ينسخوه، فهدىٰ الله المؤمنين لما اختُلِف[3] فيه من الحقِّ، فقالوا: إن الله سبحانه له أن ينسخ ما

(١) ط. العاصمة: «نسخ الله له نسخة». وهو خطأ مخالف للأصول.
(٢) (ع، د، ي): «أمره».
(٣) (و): «اختلفوا».

شَرَعه خلافًا لليهود، وليس للمخلوق[1] أن يغيِّر شيئًا من شرع الخالق خلافًا للنَّصارىٰ.

وأمَّا الحلال والحرام، والطَّهارة والنجاسة، فإن اليهود حُرِّمت عليهم الطَّيِّبات، وشُدِّد عليهم في أمر[2] النجاسات، فمُنِعوا[3] من مؤاكلة الحائض والجلوس معها في بيتٍ، ومن إزالة النجاسة، وحُرِّم عليهم شحمُ الثَّرْب[4] والكُليتين وكلُّ ذي ظُفرٍ وغير ذلك[5].

والمسيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أحلَّ لهم بعض الذي حُرِّم عليهم، فقابلهم النَّصارىٰ، فقالوا: ليس شيءٌ محرَّمٌ لا الخنزير ولا غيره، بل ولا شيء نجس، لا البول ولا غيره، وزعموا أن بعض أكابرهم رأىٰ مُلاءةً[6] صُوِّر له فيها صورُ الحيوان وقيل له: كُل ما طابت نفسُك ودع ما تكره، وأنه أبيح لهم جميعُ الحيوان، ونَسَخوا شرع التَّوراة بمجرَّد ذلك[7]، فالحلال عندهم ما اشتهته أنفسُهم، والحرام عندهم ما كرهته أنفسُهم[8].

فهدىٰ الله الذين آمنوا لما اختُلِف فيه من الحقِّ، فأحلَّ الله لهم الطَّيِّبات، وحرَّم عليهم الخبائث، وأزال عنهم الآصار والأغلال التي كانت علىٰ بني إسرائيل خلافًا لليهود، وأمرهم بالطَّهارة -طهارة الحَدَث والخَبَث- خلافًا للنَّصارىٰ.

---

(١) (د، ع): «لمخلوق»، (ي): «المخلوق».
(٢) (و): «وشددت عليهم من أمر». وهو خطأ، وأثبتته ط. العاصمة.
(٣) (و): «حتىٰ منعوا».
(٤) وهو شحمٌ رقيقٌ يغشي الكرش والأمعاء. «التاج» (ثرب).
(٥) قيل: إن المحرمات عليهم ثلاثمئة وستون نوعًا. «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٣٧٢).
(٦) وهي الملحفة تكون من ثوب رقيق. «المعجم الوسيط» (ريط، لحف، ملأ).
(٧) من قوله: «وأنه أبيح لهم» إلىٰ هنا ليس في (و).
(٨) ليست في (و).

والمسيحُ عليه السلام جعلته اليهودُ ولد زنًا كذَّابًا ساحرًا، وجعلته النَّصارىٰ هو الله خالق السَّماوات والأرض، فهدىٰ الله الذين آمنوا لما اختُلِف[1] فيه من الحقِّ بإذنه، فشهدوا أنه عبدُ الله مخلوقٌ خلافًا للنَّصارىٰ، وأنه رسولُ الله[2] وجيهٌ في الدُّنيا والآخرة ومن المقرَّبين خلافًا لليهود.

وأمَّا التَّصديق والتَّكذيب، فإن اليهود من شأنهم التَّكذيب بالحقِّ، والنَّصارىٰ من شأنهم التصديق بالباطل؛ فإن اليهود كذَّبوا من كذَّبوه من الأنبياء وقد جاءوا بالحق، كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، والنَّصارىٰ يصدِّقون بمُحَالات العقول والشَّرائع، كما صدَّقوا بالتَّثليث والاتِّحاد ونحوهما من الممتنعات.

---

(١) (و): «اختلفوا».

(٢) ليس في ط. العاصمة.

فصل

ثم[1] قالوا عن القرآن: إنه شهد[2] لهم أنهم أنصار الله، حيث يقول: ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ[3] مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤][4].

فيقال: هذا حقٌّ، والحواريُّون مؤمنون مسلمون، وهم أنصار الله، لكن ليس في هذا أنهم رسلُ الله، ولا في هذا أنَّ كلَّ ما أنتم عليه من الدِّين مأخوذٌ عنهم، ولا في هذا أنَّ الواحد من الحواريِّين معصومٌ من الغلط.

بل أمر[5] الله المؤمنين من أمَّة محمَّدٍ ﷺ أن يكونوا أنصار الله، كما طلب المسيحُ ذلك بقوله: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

وقد وصف الله المؤمنين أصحابَ النبيِّ[6] ﷺ من أهل المدينة النَّبويَّة بأنهم أنصارٌ[7] بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، والمهاجرون

(١) ليست في (ي، د، ع).
(٢) (و): «يشهد».
(٣) ساقطة من (و، ي).
(٤) رسالة بولس الأنطاكي (٤١٥). ولم تحسن ط. العاصمة قراءة هذا الموضع.
(٥) (د، ع): «يأمر».
(٦) (ي): «من أصحاب النبي».
(٧) (و): «أنصار الله».

أفضل من الأنصار[1]، وهم أيضًا من أنصار الله، نصروه كما نصره الأنصار، لكن لمَّا كان لهم اسمٌ يخصُّهم وهو «المهاجرون» وهو أفضل الاسمين خصَّ الأنصار بهذا الاسم.

والمهاجرون والأنصار أفضلُ ممَّن آمن بموسىٰ ومن آمن بعيسىٰ عند المسلمين، ومع هذا فليس فيهم عندهم نبيٌّ ولا رسولٌ لله، ولكن فيهم رسلُ رسول الله ﷺ تسليمًا.

(١) انظر: «منهاج السنة» (٧/ ١٥٢)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١١/ ١٣٢، ١٦/ ١٩١).

فصل

قالوا: «وأمَّا تعظيمه لإنجيلنا وكتبنا التي في أيدينا[1]، فيقول: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ[2] ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال في سورة آل عمران: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١ - ٤].

وقال في سورة البقرة ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١ - ٥]، فأعنىٰ بالكتاب الإنجيلَ، و﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ نحن النَّصارىٰ الذين آمنَّا بالمسيح وما رأيناه، ثم أتبع بالقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ فأعنىٰ بهم المسلمين الذين آمنوا بما أتىٰ به وما أتىٰ من قبله.

وقال في سورة المائدة: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى[3] وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٦ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٦ - ٤٧]، وقال في سورة آل عمران: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، فأعنىٰ أيضًا بالكتاب المنير الذي هو الإنجيل المقدَّس.

---

(١) (و): «بأيدينا».

(٢) في الأصول: «ثم أنزلنا عليك». وهو خطأ في أصل رسالة بولس، كما سينبه المصنف إلىٰ ذلك، ولم أستجز إثبات لفظ الآية المحرَّف.

(٣) سقط من ط. العاصمة من أول الآية إلىٰ هنا.

وقال أيضًا: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤].

فثبت بهذا ما معنا. ونفىٰ عن إنجيلنا وكتبنا التي في أيدينا التُّهم والتَّبديل[١] والتَّغيير لما فيها بتصديقه إيَّاها»[٢].

والجوابُ -بعد أن تعرف أن لفظ الآية الأولىٰ في[٣] سورة المائدة ﴿وَأَنزَلْنَآ[٤] إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾- أن يقال:

أمَّا تصديقُ خاتم الرُّسل محمَّدٍ[٥] ﷺ لما أنزل الله قبله من الكتب، ولمن جاء قبله من الأنبياء، فهذا معلومٌ بالاضطرار من دينه، متواترًا تواترًا ظاهرًا، كتواتر إرساله إلىٰ الخلق كلهم.

وهذا من أصول الإيمان، قال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٦ - ١٣٧]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ

---

(١) رسالة بولس: «بالتبديل». وهو أجود.

(٢) رسالة بولس الأنطاكي (٤١٥).

(٣) ط. العاصمة: «من»، خلاف الأصول.

(٤) الأصول: «ثم أنزلنا»، سها عن إصلاح هذه، وأصلح كلمة «إليك».

(٥) (و): «محمد رسول الله».

أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٤ - ٨٥]، وقال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٥ - ٢٨٦].

وتصديقُه للتَّوراة والإنجيل مذكورٌ في مواضع من القرآن، وقد قال: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقال: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [يوسف: ٣].

فبيَّن أنه أنزل هذا القرآن مهيمنًا علىٰ ما بين يديه من الكتب، والمهيمنُ: الشَّاهد المؤتمَن الحاكم، يشهدُ[1] بما فيها من الحقِّ، وينفي[2] ما حُرِّف فيها، ويحكم بإقرار ما أقرَّه الله من أحكامها، وينسَخ ما نسخه الله منها، وهو مؤتمنٌ في ذلك عليها.

وأخبر أنه أحسنُ الحديث، وأحسنُ القصص، وهذا يتضمَّن أنه[3] كلُّ من كان متمسِّكًا بالتَّوراة قبل النَّسخ من غير تبديل شيءٍ من أحكامها فإنه من أهل الإيمان والهدىٰ، وكذلك من كان متمسِّكًا بالإنجيل من غير تبديل شيءٍ من أحكامه قبل النَّسخ فهو من أهل الإيمان والهدىٰ، وليس في ذلك مدحٌ لمن تمسَّك بشرعٍ مبدَّل، فضلًا عمَّن تمسَّك بشرعٍ مبدَّلٍ[4] منسوخٍ ولم يؤمن بما أرسل الله إليه من الرُّسل وما أنزل إليه من الكتب، بل قد بيَّن سبحانه كفر اليهود والنَّصارىٰ بتبديل الكتاب الأوَّل وبترك الإيمان بمحمَّد ﷺ في غير موضع.

وأمَّا تأويلهم قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أنه الإنجيل، وأنَّ ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ عنىٰ بهم النَّصارىٰ، فهو من تحريف الكلم عن مواضعه وتبديل كلام الله، كما فعلوه في قوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾ [آل عمران: ٨٥]، وفي قوله: ﴿بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠] أي بإذن اللاهوت[5]، وفي قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، وفي غير ذلك ممَّا ذكروه وتأوَّلوه من القرآن علىٰ غير المعنىٰ الذي أراد الله به.

---

(١) (د، ع): «فشهد».
(٢) ط. النيل: «ويبين»، وفي طرة (د، ع) إشارة إلىٰ أنها في نسخة.
(٣) كذا في الأصول.
(٤) ساقطة من ط. العاصمة.
(٥) (و): «أي باللاهوت».

وهذا ممَّا يؤيِّد أنهم فعلوا كذلك بالتَّوراة والإنجيل؛ فإنه إذا كان القرآن الذي قد عَرَف تفسيره والمرادَ به العامُّ والخاصُّ، ونُقِل ذلك عن الرَّسول نقلًا متواترًا حتىٰ عُرِف معناه علمًا يقينيًّا[1] اضطراريًّا، فيبدِّلون معناه، ويحرِّفون الكَلِم عن مواضعه، فماذا يصنعون بالتَّوراة والإنجيل ولم يُنْقَل لفظُ ذلك ومعناه كما نُقِل القرآن، وليس في أهل تلك الكتب ممَّن[2] يذبُّ عن لفظها ومعناها كما يذبُّ المسلمون عن لفظ القرآن ومعناه؟!

وهؤلاء غرَّهم قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾، فظنُّوا أن لفظ ﴿ذَٰلِكَ﴾ لمَّا كان يشار بها إلىٰ الغائب أشير بها إلىٰ الإنجيل!

فيقال لهم: هذا كقوله: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨] وأشار بذلك إلىٰ ما تلاه قبل هذه الآية، وقوله: ﴿وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة: ١٠]، وقوله: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ[3] بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ[4] ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [الطلاق: ٢]، ومثله قوله تعالىٰ بعد أن ذكر خبر يوسف الصِّدِّيق: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [يوسف: ١٠٢]، وقال أيضًا لمَّا ذكر خبر مريم: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾ [آل عمران: ٤٤]، كما قال لمَّا ذكر آياتٍ يخبر

---

(١) مهملة في (و)، (ي): «يقينًا».

(٢) ط. النيل: «من». والمثبت من الأصول مستقيم.

(٣) الأصول: «سرحوهن»، وهو سهو، تلك آية البقرة: ٢٣١.

(٤) «وأقيموا الشهادة لله» ليست في الأصول.

فيها عن نوح: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾ الآية[1] [هود: ٤٩].

وقال: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١ - ٢]، و«تلك» في المؤنَّث مثل «ذلك» في المذكَّر، ومع هذا فأشار إلىٰ القرآن بها[2]، ومنه قوله: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ١]، وقوله: ﴿طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ١]، ومنه قوله: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [القصص: ١ - ٢]، ومنه قوله: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الشورىٰ: ١ - ٣]، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الشورىٰ: ٧]، وقوله: ﴿الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ الآية [الرعد: ١]، ومثل هذا كثير.

وذلك أنه لما أنزل قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾، و﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾، ونحو ذلك، لم يكن الكتابُ المشارُ إليه قد أُنزِل تلك السَّاعة، وإنما كان قد أُنزِل قبل ذلك، فصار كالغائب الذي يشار إليه كما يشار إلىٰ الغائب.

وهو باعتبار حضوره عند النبيِّ ﷺ يشار إليه كما يشار إلىٰ الحاضر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، ولهذا قال غير واحدٍ من السَّلف: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي: هذا الكتاب[3]، يقولون: المراد هذا الكتاب، وإن كانت الإشارة تكون تارةً إشارة غائب، وتارةً إشارة حاضر.

---

(١) ساقطة من ط. العاصمة.

(٢) رسمها مشتبه في (د)، وليست في (ي، ع، و).

(٣) ذكر ابن جرير (١/ ٢٢٨) أنه قول «عامة المفسرين»، ورواه عن مجاهد وعكرمة وابن جريج والسُّدي.

وقد قال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾، وقد وصف النَّصارىٰ بأنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، وأنهم كافرون ظالمون، فكيف يجعلهم المتَّقين الذين يؤمنون بالغيب؟!

قال تعالىٰ: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

وأوَّل التقوىٰ تقوىٰ الشِّرك، وقد وَصَف النَّصارىٰ بالشرك في قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، وقال تعالىٰ لمَّا ذكر المسيح: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٣٧ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [مريم: ٣٧ - ٣٨]، وقال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢]، ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

ونهىٰ عن موالاتهم، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، وقد أخبر أن الله وليُّ المتقين، فقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨ - ١٩].

فلو كانوا من المتَّقين -فضلًا عن أن يكونوا هم المتَّقين- لكان الله وليَّهم، ولكانت موالاتهم واجبةً علىٰ المؤمنين، وهو قد نهىٰ عن موالاتهم، وجعل من يتولَّاهم ظالمًا، وجعل المؤمنين بعضهم أولياء بعض، والكفَّار بعضهم أولياء بعض.

ولهذا لمَّا قطع الله الموالاة بين المؤمنين وبين الكافرين قال النبيُّ ﷺ في الحديث الصَّحيح: «**لا يَرِثُ المسلمُ الكافرَ، ولا يَرِثُ**[1] **الكافرُ المسلمَ**»[2]، واتفق المسلمون علىٰ أن اليهوديَّ والنصراني لا يرث مسلمًا ولو كان ابنه وأباه[3]؛ لأن الله قطع الموالاة بينهما، وقد قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وأيضًا، فإنه قال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾، وهي الصلاة التي أمر بها في قوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، وقد قال ﷺ: «**لا يقبل الله صلاةً بغير طهور**»[4]، والنَّصارىٰ يُصَلُّون بغير طهور، وقال ﷺ: «**لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب**»[5]، وهم لا يقرؤونها.

---

(١) ساقطة من ط. العاصمة.

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٦٤)، ومسلم (١٤١٦) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «الاستذكار» (١٥/ ٤٩٢)، و«الإقناع» لابن القطان (٢/ ١٠٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٥) أخرج البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب».

والصَّلاة التي فرضها وأثنىٰ عليها مشتملةٌ علىٰ استقبال الكعبة، وعلىٰ ركوعٍ وسجدتين في كلِّ ركعة، وغير ذلك ممَّا لا يفعله النَّصارىٰ، فكيف يمدحهم بإقامة الصلاة وهم لا يقيمون الصَّلاة التي أَمَر[1] بإقامتها؟!

ثم لو قال اليهوديُّ: المراد بقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ التَّوراة، وبالمتقين اليهود، لكان هذا -مع بطلانه- أقرب من قول القائل: إن المراد بالكتاب الإنجيل؛ لأن التَّوراة أحقُّ بذلك من الإنجيل؛ فإنها الأصل، والله تعالىٰ يَقْرِن بينها وبين القرآن في غير موضع، كقوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هود: ١٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠].

وقد قالت الجن لمَّا سمعت القرآن: ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠]، وقال النجاشيُّ لمَّا سمع القرآن: «إن هذا والذي جاء به موسىٰ ليخرج من مشكاةٍ واحدة»[2]، وكذلك ورقةُ بن نوفل قال: «هذا هو النَّاموسُ الذي كان ينزل[3] علىٰ موسىٰ بن عمران»[4].

(١) (ع): «أمرنا».
(٢) تقدم تخريجه (١/ ١١٨) في حديث أم سلمة الطويل.
(٣) (ي): «نزل».
(٤) تقدم تخريجه (١/ ٣٨، ١٢٨، ٣٨٤).

وقال تعالىٰ: ﴿قَالُوا[1] لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا﴾ أي: التَّوراة والقرآن، و﴿قَالُوا۟ سَاحِرَانِ[2] تَظَٰهَرَا﴾ أي: موسىٰ ومحمَّد، ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾، قال الله: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [القصص: ٤٩]، فقد بيَّن أنه لم يأت من عند الله كتابٌ أهدىٰ من التَّوراة والقرآن.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ أي: الله هو الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسىٰ[3] ﴿نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: ٩١ - ٩٢].

وأمَّا قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ فهي صفةٌ ثانيةٌ للذين يؤمنون بالغيب، وَصَفهم بالإيمان بالغيب[4] مجملًا، ثمَّ وَصَفهم بإيمانٍ مفصَّلٍ بما أُنزِل إليه[5] وما أُنزِل من قبله.

---

(١) الأصول: «وقالوا».

(٢) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر، كما سلف (١/ ٣٨).

(٣) ألحقت الجملة التفسيرية في طرة (د، ي) مختومة بالتصحيح، ووقعت في المتن بعد الآية في (ع)، وخلت منها (و)، ولم تثبتها ط. العاصمة.

(٤) «وصفهم بالإيمان بالغيب» ساقطة من ط. العاصمة.

(٥) ط. العاصمة: «إليك»، وهو خطأ مخالف للأصول.

والعطفُ بالواو يكون لتغاير الذَّوات، ويكون لتغاير الصِّفات[1]، كقوله تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١ - ٥]، والذي خلق فسوَّىٰ هو الذي قدَّر فهدىٰ، وهو الذي أخرج المرعىٰ.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝١١ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الزخرف: ٩ - ١٢].

ومثله[2] قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ١١]، فهم صنفٌ واحدٌ وصَفَهم[3] بهذه الصِّفات بحرف الواو.

وكذلك في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ

---

(١) تقدم تقرير ذلك (١/ ٤٨-٤٩).
(٢) (ي): «ومثل».
(٣) (ع): «وصفهم الله».

حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج: ١٩ - ٣٥].

وقد قيل: إنَّ قوله[(١)]: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ صفة المؤمنين من غير أهل الكتاب، كمشركي العرب، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ صفةُ من آمن به[(٢)] من أهل الكتاب[(٣)].

وعلىٰ هذا القول هؤلاء غير هؤلاء، لكن هذا ضعيف؛ فإنه لا بدَّ في المؤمنين من غير أهل الكتاب أن يؤمنوا بما أُنزِل إليه وما أُنزِل من قبله، ولا بدَّ في مؤمن أهل الكتاب أن يؤمن بالغيب، فكلٌّ من الإيمانين واجبٌ علىٰ كلِّ واحد، ولا يكون أحدٌ علىٰ هدًىٰ من ربِّه مفلحًا إلا بهذا وهذا.

وأمَّا قول النَّصارىٰ: «نحن الذين آمنَّا بالسَّيِّد المسيح وما رأيناه»، فهكذا اليهود آمنوا بموسىٰ عليه السلام وما رأوه، والمسلمون آمنوا بمحمَّدٍ ﷺ وما رأوه، بل المسلمون آمنوا بموسىٰ وعيسىٰ وسائر النبيِّين وما رأوهم، بخلاف اليهود والنَّصارىٰ الذين آمنوا ببعضٍ وكفروا ببعض.

---

(١) (ع): «وقد فسر قبل إن قوله». (و): «وقد فسر قوله». وكلاهما خطأ. وصُحِّح كما أثبتُّ في طرة (د، ي). وفي ط. العاصمة: «وقد فسر قبل قوله».
(٢) ليست في (ي).
(٣) يروىٰ عن ابن عباس وغيره، واختاره ابن جرير، كما مضىٰ (١/ ٤٨).

ثم «الغيب» ليس المراد به صورة النبيِّ عليه السلام؛ فإن صورة النبيِّ ليست من الغيب، فإن النَّاس يرونها، وليس في رؤيتها ما يوجب إيمانًا ولا كفرًا، ولكن الغيب ما غاب عن مشاهدة الخلق، وهو ما أخبرت به الأنبياء من الغيب، فيدخل فيه الإيمانُ بالله وملائكته وكتبه ورسله، وهو الإيمان بأنهم رسلُ الله، وسواءٌ رُئِيَت[1] أبدانهم أو لم تُرَ فقد يراهم من لم يؤمن برسالتهم، وقد يؤمن برسالتهم من لم يرهم. والمقصود الإيمانُ برسالتهم، لا بنفس صورهم حتىٰ يقول القائل: آمنَّا بنبيٍّ ولم نره، وقد يَعْلَم من دلائل نبوَّته وأعلام رسالته من لم يره أكثر ممَّا يعلمها من رآه.

(١) (ع): «كانت رئيت».

فصل

وأمَّا قوله في سورة المائدة: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ[1] وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٦ - ٤٧]، فهذا ثناءٌ منه على المسيح والإنجيل، وأمرٌ للنَّصارىٰ بالحكم بما أنزل فيه، كما أثنىٰ علىٰ موسىٰ والتَّوراة بأعظم ممَّا عظَّم به المسيحَ والإنجيل.

فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ [المائدة: ٤١]، أي: قائلون للكذب، مصدِّقون مستجيبون مطيعون لقومٍ آخرين لم يأتوك، فهم مصدِّقون للكذب، مطيعون لمن[2] يخالفك وأنت رسول الله، فكلٌّ من تصديق الكذب والطَّاعة لمن خالف رسول الله ﷺ من أعظم الذُّنوب.

ولفظ «السَّمع»[3] يراد به الإحساسُ بالصَّوت، ويراد به فهمُ المعنىٰ[4]، ويراد به قبولُه، فيقال: فلانٌ سَمِعَ ما يقول فلان، أي: يصدِّقه أو يطيعُه ويقبل منه[5].

---

(١) «مصدقًا لما بين يديه من التوراة» ليست في الأصول.

(٢) ط. النيل: «لما».

(٣) ط. العاصمة: «السميع»، وهو خطأ مخالف للأصول.

(٤) في طرة (د، ع) إشارة إلىٰ أن في نسخة: «فهم الصوت».

(٥) انظر: «بيان تلبيس الجهمية» (٨/ ٤٣٤ - ٤٣٦)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١/ ٢٠٨)، و«قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق» (١٣٣)، و«مفتاح دار السعادة» (٢١٨ - ٢١٩).

فقوله: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ أي: مصدِّقون به، وإلا مجرَّد سماع صوت الكاذب وفهم كلامه ليس مذمومًا علىٰ الإطلاق.

وكذلك ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ أي: مستجيبون لهم مطيعون لهم[1]، كما قال في حقِّ المنافقين: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧] أي: مستجيبون مطيعون لهم.

ومن قال: إن المراد به الجاسوس، فهو غالطٌ كغلط من قال: ﴿سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ هم الجواسيس[2]؛ فإن الجاسوس إنما ينقل خبر القوم إلىٰ من لا يعرفه، ومعلومٌ أن النبيَّ ﷺ كان ما يذكره ويأمر به ويفعله يراه ويسمعه كلُّ من بالمدينة مؤمنُهم ومنافقُهم، ولم يكن يَقْصِد أن يَكْتُمَ يهودَ المدينة ما يقولُه ويفعلُه، خلاف من كان يأتيه من اليهود[3] وهم يصدِّقون الكذبَ ويطيعون لليهود الآخرين الذين لم يأتوه[4].

والله نهىٰ نبيَّه ﷺ أن يُحْزِنَه المسارعون في الكفر من هاتين[5] الطَّائفتين: المنافقين[6] الذين أظهروا الإيمان به ولم تؤمن قلوبهم، ومن أهل الكتاب الذين يطلبون أن يحكم بينهم وليس مقصودهم أن يطيعوه ويتَّبعوا حكمَه، بل إن حَكَم بما يَهْوَونه قبلوه، وإن حكم بخلاف ذلك لم يقبلوه؛ لكونهم مطيعين

---

(١) ليست في (و، ع).
(٢) انظر: «درء التعارض» (٥/ ٢٦٢)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٤/ ٤٥٢، ٢٨/ ١٩٤).
(٣) في طرة (د) إشارة إلىٰ أن في نسخة: «من يأتيهم من اليهود».
(٤) (و، ي): «ويطيعون لليهود الآخرين ويسارعون في الكفر من الذين لم يأتوه». وضرب علىٰ «ويسارعون في الكفر من» في (د).
(٥) (و، ي): «أن تحزنه هاتين».
(٦) ط. العاصمة: «المنافقتين»، وهو خطأ مخالف للأصول.

لقومٍ آخرين لم يأتوه.

قال تعالىٰ: ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ[1]﴾ أي: لم يأتك أولئك القوم الآخرون، ﴿يَقُولُونَ﴾ أي يقول السَّمَّاعون: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۚ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُولَـٰٓئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى الدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى الْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١].

والحكمُ يفتقر إلىٰ الصِّدق والعدل، فلا بدَّ أن يكون الشاهدُ صادقًا والحاكمُ عادلًا، وهؤلاء يصدِّقون الكاذبين من الشُّهود[2]، ويبغون[3] حكمَ المخالفين للرُّسل الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، وإذا لم يكن قصدُهم اتِّباع الصِّدق والعدل فليس عليك أن تحكم بينهم، بل إن شئتَ فاحكم بينهم وإن شئتَ فلا تحكم، ولكن إذا حكمتَ فلا تحكم إلا بما أنزل الله إليك؛ إذ هو العدل.

قال تعالىٰ: ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، ثم قال: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُولَـٰٓئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا التَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّـٰنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَـٰبِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ

(١) «لم يأتوك» ساقطة من ط. العاصمة.
(٢) (ي، و): «اليهود».
(٣) مهملة في (ي، و). (ع): «يبتغون». وفي ط. النيل والعاصمة: «يتبعون»، وهو تحريف. يشير المصنف إلىٰ قوله تعالىٰ عن اليهود: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾.

فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٢ - ٤٥].

فهذا ثناؤه على التَّوراة، وإخباره أن فيها حكم الله، وأنه أنزل التَّوراة وفيها ﴿هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾، وقال عقب ذكرها: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾.

وهذا أعظمُ ممَّا ذكره في الإنجيل؛ فإنه قال في الإنجيل: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٦]، وقال فيه: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، وقال في التَّوراة: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾، وقال عقب ذكرها: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، فهو سبحانه مع إخباره بإنزال الكتابين يصف التَّوراة بأعظم ممَّا يصف به الإنجيل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾.

وإذا كان ما ذكره من مدح موسى والتَّوراة لم يوجب ذلك مدحَ اليهود الذين كذَّبوا المسيح ومحمَّدًا صلى الله عليهما وسلَّم تسليمًا(١)، وليس فيه ثناءٌ

---

(١) ليست في (و).

علىٰ دين اليهود المبدَّل المنسوخ باتِّفاق المسلمين والنَّصارىٰ، فكذلك[1] أيضًا ما ذكره من مدح المسيح والإنجيل ليس فيه مدحُ النَّصارىٰ الذين كذَّبوا محمَّدًا ﷺ، وبدَّلوا أحكام التَّوراة والإنجيل، واتَّبعوا المبدَّل المنسوخ.

واليهود توافق المسلمين علىٰ أنه ليس فيما ذُكِر مدحٌ للنَّصارىٰ، والنَّصارىٰ توافق المسلمين علىٰ أنه ليس فيما ذُكِر مدحٌ لليهود بعد النَّسخ والتَّبديل، فعُلِم اتفاقُ أهل الملل كلِّها -المسلمين[2] واليهود والنَّصارىٰ- علىٰ أنه ليس فيما ذُكِر في القرآن من ذكر التَّوراة والإنجيل وموسىٰ وعيسىٰ مدحٌ لأهل الكتاب الذين كذَّبوا محمَّدًا ﷺ، ولا مدحٌ لدينهم المبدَّل قبل مبعثه، فليس في ذلك مدحٌ لمن تمسَّك بدينٍ مبدَّلٍ ولا بدينٍ منسوخ، فكيف بمن تمسَّك بدينٍ مبدَّلٍ منسوخ؟!

---

(١) (ي، د): «وكذلك». وأشار في طرة (د) إلىٰ أن «فكذلك» في نسخة.

(٢) (د، و، ي): «المسلمون». والمثبت من (ع) علىٰ الجادة.

فصل

وهنا[1] أصلٌ لا بدَّ من بيانه[2]، وهو أنه قد دلَّت النُّصوص علىٰ أن الله لا يعذِّب إلا من أرسَل إليه رسولًا تقوم به الحجَّة عليه.

قال تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقال تعالىٰ عن أهل النَّار: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾[3] [الملك: ٨ - ٩]، وقال: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ

---

(١) (د، ع): «وهذا». وفي طرة (ع) إشارة إلىٰ أن «هنا» في نسخة.

(٢) (د، ع): «ثباته».

(٣) أكملت الآية في (د، ع).

﴿ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ[1] رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا﴾ إلىٰ قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ﴾ [القصص: ٤٧-٤٨].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[2] [المائدة: ١٥]، ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [المائدة: ١٩].

وإذا كان كذلك، فمعلومٌ أن الحجَّة إنما تقوم بالقرآن علىٰ من بَلَغَه؛ لقوله[3]: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩]، فمن بَلَغَه بعضُ القرآن دون بعضٍ قامت عليه الحجَّة بما بَلَغَه دون ما لم يَبْلُغْه.

وإذا اشتبه معنىٰ بعض الآيات، وتنازع النَّاسُ في تأويل الآية، وجب ردُّ ما تنازعوا فيه إلىٰ الله ورسوله[4]، فإذا اجتهد النَّاسُ في فهم ما أراده الرَّسول ﷺ فالمصيبُ له أجران والمخطئ له أجر.

---

(١) في الأصول: «ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا»، وهو سهوٌ وانتقال ذهن إلىٰ الآية الأخرىٰ في سورة طه: ١٣٤.
(٢) الآية ليست في (د، ع).
(٣) (د، ع): «كقوله».
(٤) (ي، د، ع): «والرسول».

فلا يمتنع[1] أن يقال ذلك في أهل الكتاب قبلنا، فمن لم يبلغه جميعُ نصوص الكتاب قبلنا لم تقم عليه الحجَّة إلا بما بَلَغَه، وما[2] خفي عليه[3] معناه منه، فاجتهد في معرفته، فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر، وخطؤه محطوطٌ عنه. فأمَّا من تعمَّد تحريف الكتاب لفظِه أو معناه، وعرف ما جاء به الرَّسول فعانَدَه، فهذا مستحقٌّ للعقاب، وكذلك من فرَّط في طلب الحقِّ واتِّباعه، متبعًا لهواه، مشتغلًا عن ذلك بدنياه.

وعلىٰ هذا، فإذا كان بعض أهل الكتاب قد حرَّفوا بعض الكتاب، وفيهم آخرون لم يعلموا ذلك، وهم[4] مجتهدون في اتِّباع ما جاء به الرَّسول = لم يجب أن يُجْعَل هؤلاء من المستوجبين للوعيد.

وإذا[5] جاز أن يكون في أهل الكتاب من لم يعرف جميع ما جاء به المسيح، بل خفي عليه بعض ما جاء به أو بعض معانيه، فاجتهد = لم يعاقب علىٰ ما لم يَبْلُغْه.

وقد تُحْمَل أخبار اليهود الذين كانوا مع تُبَّع[6]، والذين كانوا ينتظرون

---

(١) (و): «يمنع».
(٢) (د، ع): «لم تقم عليه الحجة بما بلغه فيما».
(٣) (و، د، ع): «عليهم».
(٤) (و): «فهم». وهو خطأ.
(٥) (د، ع): «فإذا».
(٦) تُبَان أسعد أبو كَرِب، من ملوك حمير باليمن، قدم المدينة يريد قتال أهلها، فجاءه حبران **من أحبار اليهود من بني قريظة فقالا** له: لا تفعل، فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة؛ **فإنها مهاجر نبيٍّ يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان، تكون داره وقراره**. فتناهىٰ، ورأىٰ أن لهما علمًا، وانصرف عن المدينة، **وصحبهما معه**، واتبعهما علىٰ دينهما. انظر: «السيرة» لابن هشام (١/ ٢٠، ٢٢).

الإيمان بمحمَّد ﷺ من أهل المدينة، كابن الهَيِّبان[1] وغيره = على هذا، وأنهم لم يكونوا مكذِّبين للمسيح تكذيبَ غيرهم من اليهود.

وقد تنازع النَّاس: هل يمكن مع الاجتهاد واستفراغ الوُسْع أن لا يَبِين للنَّاظر[2] المستدلِّ صدقُ الرَّسول أم لا؟ وإذا لم يَبِن[3] له ذلك هل يستحقُّ العقوبة في الآخرة أم لا يستحقُّها[4]؟

بل تنازع[5] بعض النَّاس في المقلِّد منهم أيضًا.

والكلام في مقامين:

[المقام الأول][6]: في بيان[7] خطأ المخالف للحقِّ وضلاله. وهذا مما يُعْلَم بطرقٍ متعدِّدةٍ عقليَّة وسمعيَّة، وقد يُعْرَفُ الخطأ في أقوال كثيرٍ[8] من أهل القبلة المخالفين للحقِّ وغير أهل القبلة بأنواعٍ متعددة من الدَّلائل.

---

(١) أبو عمير، رجلٌ صالحٌ من يهود الشام، قدم المدينة قبل الإسلام يلتمس بعثة النبي ﷺ، فلم يدركه، وكان يبشِّر بظهوره ويحثُّ اليهود على اتباعه. انظر: «السيرة» لابن إسحاق (٨٥)، و«الطبقات» لابن سعد (١/ ١٣٤، ٥/ ٣٩٥)، وسيذكر المصنف خبره فيما يأتي. وتحرف اسمه في (ع): «الهيتاني»، وعلى الصواب في (و، ي). وفي ط. النيل: «الهتيان». وغيَّره محقق ط. العاصمة إلى «التيِّهان»، وترجم لأبي الهيثم ابن التيِّهان الأنصاري الصحابي رضي الله عنه !

(٢) (د، ع): «للمناظر».

(٣) (و): «يبين». (ي): «يتبين» مهملة.

(٤) ليست في (و).

(٥) (و، ي): «بل وتنازع». وسقطت «بل» من ط. العاصمة.

(٦) من ط. النيل، وليس في الأصول.

(٧) (د، ع): «شأن».

(٨) (و، د، ع): «كثيرة».

والمقام الثاني: الكلام في كفرهم واستحقاقهم الوعيد في الآخرة. فهذا فيه ثلاثة أقوالٍ للناس، بل كلٌّ[1] من أصحاب الأئمَّة المشهورين مالك والشافعي وأحمد لهم الأقوال الثلاثة[2]:

قيل: إنه يعذَّبُ في النَّار من لم يؤمن، وإن لم يُرسَل إليه رسول؛ لقيام الحجَّة عليه بالعقل. وهذا قول كثيرٍ ممَّن يقول بالحكم العقليِّ من أهل الكلام والفقه من أصحاب أبي حنيفة وغيرهم، وهو اختيار أبي الخطَّاب[3].

وقيل: لا حجَّة عليه بالعقل، بل يجوز[4] أن يعذب من لم تقم عليه حجَّةٌ لا بالشَّرع ولا بالعقل. وهذا قول من يجوِّز تعذيب أطفال الكفَّار ومجانينهم، وهذا قول كثيرٍ من أهل الكلام، كالجهم، وكأبي الحسن الأشعري وأصحابه، والقاضي أبي يعلىٰ، وابن عقيل، وغيرهم[5].

والقول الثالث، وعليه السَّلف والأئمَّة: إنه لا يعذَّب إلا من بلغته الرِّسالة، ولا يعذَّب إلا من خالف الرُّسل، كما دلَّ علىٰ ذلك[6] الكتابُ والسُّنَّة، قال تعالىٰ لإبليس[7]: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥].

---

(١) «بل كل» لحقٌ في (ي) مع التصحيح، وليس في (و، ع).

(٢) وهو من فروع الخلاف في مسألة الحسن والقبح العقليَّين. انظر: «التحسين والتقبيح» للشهراني (٢/ ٢٢٤- ٢٢٧)، وما سيأتي (١/ ٤٧١-٤٧٤).

(٣) انظر: «التمهيد» لأبي الخطاب الكلوذاني (٤/ ٢٩٤- ٣٠٦).

(٤) (د، ع): «لا يجوز». وهو خطأ مبطلٌ للمراد، وأثبته ط. العاصمة.

(٥) انظر: «الواضح» لابن عقيل (١/ ٤٩٥)، و«درء التعارض» (٨/ ٤٩٣)، و«النبوات» (٤٦٨- ٤٧٠).

(٦) (ع، ي، د): «دل عليه».

(٧) ليست في (ع، د).

وإذا كان كذلك، فنحن فيما نناظِر[1] فيه أهل الكتاب متقدِّميهم ومتأخِّريهم:

* تارةً نتكلَّم في المقام الأوَّل، وهو بيان مخالفتهم للحقِّ وجهلهم وضلالهم، فهذا تنبيهٌ لجميع الأدلة الشرعية والعقلية.

* وتارةً نبيِّن[2] كفرَهم الذي يستحقُّون به العذابَ في الدُّنيا والآخرة، فهذا أمره إلىٰ الله ورسوله، لا يُتكلَّم فيه إلا بما أخبرت به الرُّسل[3]، كما أنَّا أيضا لا نشهدُ بالإيمان والجنَّة إلا لمن شهدت له الرُّسل، ومن لم تَقُم عليه الحجَّة في الدنيا بالرِّسالة -كالأطفال والمجانين وأهل الفترات- فهؤلاء فيهم أقوالٌ أظهرها ما جاءت به الآثار: أنهم يُمْتَحنون يوم القيامة، فيبعث الله إليهم من يأمرهم بطاعته، فإن أطاعوه استحقُّوا الثَّواب، وإن عصوه استحقُّوا العقاب[4].

---

(١) (د، ع): «فهو كما نناظر».

(٢) (و، د، ع): «ونبين»، بلا «تارة».

(٣) (و): «أخبر به الرسول».

(٤) روي في ذلك حديث الأسود بن سريع رضي الله عنه عن النبي ﷺ عند أحمد (١٦٣٠١)، والبزار (٩٥٩٧)، وصححه ابن حبان (٧٣٥٧).
وفي الباب عن أبي هريرة وأبي سعيد وأنس ومعاذ بن جبل وثوبان رضي الله عنهم. قال المصنف في «درء التعارض» (٨/ ٤٣٧): «روي به آثار متعددة عن النبي ﷺ حسانٌ يصدِّق بعضها بعضًا». وانظر: «الصفدية» (٢/ ٢٤٥).
وذهب بعض أهل العلم إلىٰ تضعيف تلك الآثار وما دلت عليه، قال ابن عبد البر في «الاستذكار» (٨/ ٤٠٣): «وهي كلها أسانيد ليست بالقوية، ولا تقوم بها حجة ....، وأهل العلم ينكرون أحاديث هذا الباب؛ لأن الآخرة دار جزاء وليست دار عمل ولا ابتلاء ...».
وأجاب عنه ابن القيم في «أحكام أهل الذمة» (١١٤٩ - ١١٥٨) جوابًا جيدًا من جهتي الثبوت والدلالة.
وانظر: «درء التعارض» (٨/ ٤٠٠)، و«جامع المسائل» (٣/ ٢٣٤، ٢٣٨)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٤٦، ٢٧٧، ٣٠٣، ٢٤/ ٣٧٢).

وإذا كان كذلك، فنحن نشهد لمن كان مؤمنًا بموسىٰ متَّبعًا له أنه[1] مؤمنٌ مسلمٌ مستحقٌّ للثَّواب، وكذلك من[2] كان مؤمنًا بالمسيح متَّبعًا له.

ونشهد لمن قامت عليه الحجَّة بموسىٰ فلم يتَّبعه -كآل فرعون- أنهم من أهل النَّار، وكذلك من قامت عليه الحجَّة بالمسيح الذين قال الله فيهم: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥]، والذين قال فيهم: ﴿يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٥ - ٥٧].

وأمَّا من بَعُدَ عهدُه بالمسيح وبَلَغَته بعض أخباره دون بعض، أو بموسىٰ وبَلَغته[3] بعض[4] أخباره دون بعض، فهؤلاء قامت عليهم الحجَّة بما بلغهم من أخبارهم دون ما لم يبلغهم من أخباره.

وإذا اختلفوا في تأويل بعض التَّوراة والإنجيل، فمن قَصَد الحقَّ واجتهد في طلبه لم يَجِب أن يعذَّبَ وإن كان مخطئًا للحقِّ جاهلًا به ضالًّا عنه، كالمجتهد في طلب الحقِّ من أمة محمَّدٍ ﷺ.

---

(١) ليست في (د، ع).
(٢) (د، ع): «لمن».
(٣) (و، ي): «وبلغه».
(٤) ساقطة من ط. العاصمة.

وعلىٰ هذا، فإذا قيل: إن الحواريِّين أو بعضهم، أو كثيرًا من أهل الكتاب أو أكثرهم، كانوا يعتقدون أن المسيح نفسه صُلِب، كانوا مخطئين في ذلك، ولم يكن هذا الخطأ ممَّا يقدح في إيمانهم بالمسيح إذا آمنوا بما جاء به، ولا يوجبُ لهم النَّار(١)؛ فإن الأناجيل التي بأيدي أهل الكتاب فيها ذِكرُ صَلْبِ المسيح، وعندهم أنها مأخوذةٌ عن الأربعة: مرقس، ولوقا، ويوحنَّا، ومتَّىٰ، ولم يكن في الأربعة من شهد صلبَ المسيح، ولا من الحواريِّين، بل ولا في أتباعه من شهد صلبَه(٢)، وإنما الذين شهدوا الصَّلبَ طائفةٌ من اليهود.

فمن النَّاس من يقول: إنهم علموا أن المصلوب غيرُه، وتعمَّدوا الكذب في أنهم صلبوه، وشُبِّه صلبُه علىٰ من أخبروهم. وهذا قول طائفةٍ من أهل الكلام المعتزلة وغيرهم، وهو قول ابن حزمٍ وغيره(٣).

ومنهم من يقول: بل اشتبه علىٰ الذين صلبوه. وهذا قول أكثر النَّاس(٤).

والأولون يقولون: إن قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧] أي: شُبِّه للنَّاس الذين أخبرهم أولئك بصلبه، والجمهور يقولون: بل شُبِّه للذين صلبوه(٥)، كما قد ذُكِرَت القصَّة في غير هذا الموضع(٦).

والمقصود هنا أن النَّاس في هذا المقام علىٰ طرفين ووسط:

أمَّا **الطرف الواحد**، فهم الغلاة من النَّصارىٰ الذين يدَّعون أن الحواريِّين

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ١٠٨- ١٠٩).
(٢) (د، ع): «الصلب».
(٣) انظر: «الفصل» لابن حزم (١/ ٥٦).
(٤) انظر: تفسير ابن جرير (٧/ ٦٥٠- ٦٦٠)، وما سيأتي (٢/ ٧٥).
(٥) (د، ع): «للذين يقولون صلبوه».
(٦) انظر: «تثبيت دلائل النبوة» (١/ ١٢١)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٢٨٤).

كانوا معصومين فيما يقولونه ويروونه ويَرَونه، وكذلك يقولون بتصويب علماء النَّصارىٰ فيما تقوله[1] من تأويل الإنجيل.

والطرف الآخر يقول: بل كلُّ من غلط وأخطأ في شيءٍ من ذلك فإنه مستحقٌّ للوعيد[2]، بل كافر.

والثالث الوسط: أنهم لا يُعَصَّمون ولا يُؤَثَّمون، بل قد يكونون مخطئين خطأً مغفورًا لهم إذا كانوا مجتهدين في معرفة الحقِّ واتِّباعه بحسب وسعهم وطاقتهم. وعلىٰ هذا تدلُّ[3] الأدلَّة الصَّحيحة. وكُتُبُ الله تدلُّ علىٰ ذمِّ الضَّالِّ والجاحد[4] ومقتِه، مع أنه لا يعاقَب إلا بعد إنذاره.

وقد ثبت في الصَّحيح[5] عن عياض بن حِمَار عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إن الله نظر إلىٰ أهل الأرض، فمَقَتَهم عربَهم وعجمَهم إلا بقايا من أهل الكتاب**»، فأخبر أنه مَقَتهم إلا هؤلاء البقايا، والمَقْتُ هو البغض، بل أشدُّ البغض.

ومع هذا، فقد أخبر في القرآن أنه لم يكن ليعذِّبهم حتىٰ يبعث إليهم رسولًا، فقال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه: ١٣٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ [القصص: ٤٧]

---

(١) (د، ع): «يقولونه».
(٢) (د، ع): «يستحق الوعيد».
(٣) (د، ع): «تصح».
(٤) ليست في (ي).
(٥) صحيح مسلم (٢٨٦٥).

﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه: ١٣٤][1]، فدلَّ ذلك علىٰ أن المقتضي لعذابهم قائم، ولكنَّ شرط العذاب هو بلوغ[2] الرسالة، ولهذا قال: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وفي الصَّحيحين[3] عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما أحدٌ أحبّ إليه العذرُ من الله؛ من أجل ذلك أرسل الرُّسل وأنزل الكتب**»، وفي رواية: «**من أجل ذلك بعث الرُّسل مبشِّرين ومنذرين، وما أحدٌ أحبّ إليه المدحُ من الله؛ من أجل ذلك مَدَح نفسه، وما أحدٌ أغير من الله، من أجل ذلك حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن**»[4].

وقد تنازع النَّاسُ في حُسْنِ الأفعال وقُبْحِها، كحُسْنِ العدل والتَّوحيد والصِّدق، وقُبْحِ الظُّلم والشِّرك والكذب، هل يُعْلَمُ بالعقل أم لا يُعْلَمُ إلا بالسَّمع؟ وإذا قيل: إنه يُعْلَمُ بالعقل، فهل يعاقَب من فعل ذلك قبل أن يأتيه رسول؟ علىٰ ثلاثة أقوالٍ معروفةٍ في أصحاب الأئمَّة الأربعة[5] وغيرهم، وهي ثلاثة أقوال لأصحاب الإمام أحمد وغيرهم[6].

---

(١) وقع في الأصول هاهنا اضطراب في سياق الآيتين، ولم ترد الثانية في (و، ي)، وسيأتي سياقهما علىٰ الوجه.

(٢) (د، ع): «بعد بلوغ».

(٣) صحيح مسلم (٢٧٦٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) صحيح البخاري (٧٤١٦)، ومسلم (١٤٩٩) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٥) ساقطة من ط. العاصمة.

(٦) انظر: «النبوات» (٤٥٢- ٤٦٠)، و«الرد علىٰ المنطقيين» (٤٢٠- ٤٢٢)، و«التسعينية» (٩٠٧- ٩٠٨)، و«بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٤٨)، و«درء التعارض» (٨/ ٤٩٢- ٤٩٣، ٩/ ٤٩-٥٠)، و«شرح الأصبهانية» (٧٠٣- ٧٠٥)، و«منهاج السنة» (٣/ ٢٨، ٥/ ١٢٧)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ٩٠، ٤٢٨- ٤٣٦)، و«جامع المسائل» (٧/ ٣٧٧- ٣٩٠).

فقالت طائفة: لا يُعْرَفُ ذلك إلا بالشَّرع، لا بالعقل. وهذا قول نظَّار المُجْبِرة، كالجهم بن صفوان وأمثاله، وهو قول أبي الحسن الأشعري وأتباعه من أصحاب الأئمة الأربعة، كالقاضي أبي بكر بن الطيِّب، وأبي عبد الله بن حامد، والقاضي أبي يعلىٰ، وأبي المعالي، وأبي الوفاء ابن عقيل، وغيرهم.

وقيل: بل قد يُعْلَمُ حُسْنُ الأفعال[1] وقُبْحُها بالعقل. قال أبو الخطَّاب محفوظ بن أحمد: «وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلِّمين»[2]. وهذا هو المنقول عن أبي حنيفة نفسه، وعليه عامَّة أصحابه، وكثيرٌ من أصحاب مالك والشافعيِّ وأحمد وأهل الحديث، كأبي الحسن التَّميمي، وأبي الخطَّاب، وأبي بكر القفَّال، وأبي نصر السِّجزي، وأبي القاسم سعد بن علي الزَّنجاني، وهو قول الكرَّاميَّة وغيرهم من نظَّار المثبتة للقدر، وهو قول المعتزلة وغيرهم من نظَّار القدريَّة.

ثم هؤلاء علىٰ قولين:

منهم من يقول: يستحقُّون عذاب الآخرة بمجرَّد مخالفتهم للعقل، كقول المعتزلة والحنفيَّة وأبي الخطَّاب. وقول هؤلاء مخالفٌ للكتاب والسُّنَّة.

ومنهم من يقول: بل[3] لا يعذَّبون حتىٰ يُبْعَث إليهم رسول، كما دلَّ عليه الكتابُ والسَّنَّة، لكن أفعالهم تكون مذمومةً ممقوتة، يذمُّها الله ويبغضها، ويوصَفون بالكفر الذي يذمُّه الله ويبغضه، وإن كان لا يعذِّبهم حتىٰ يبعث إليهم

---

(١) (د، ع): «الأقوال».

(٢) في «التمهيد» (٤/ ٢٩٥): «وإلىٰ هذا ذهب عامة أهل العلم من الفقهاء والمتكلمين، وعامة الفلاسفة».

(٣) ليست في (د، ع).

رسولًا، كما قال النبيُّ ﷺ في الحديث الصَّحيح[1] كما تقدَّم: «**إن الله نظر إلىٰ أهل الأرض، فمَقَتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وإن ربي قال لي: قم في قريشٍ فأنذِرهم، قلت: إذًا يَثْلَغُوا رأسي حتىٰ يَدَعوه خُبْزَةً. قال: إني مبتليكَ ومُبْتَلٍ بك، ومُنْزِلٌ عليك كتابًا لا يَغْسِله الماء، تقرؤه نائمًا ويقظانًا، فابعَثْ جندًا أبعثْ مِثْلَيهم، وقاتِلْ بمن أطاعك من عصاك، وأنفقْ أُنفِقْ عليك. وقال: إني خلقتُ عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشَّياطين، وحرَّمَت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرَتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا**».

وقال النبيُّ ﷺ في الحديث الصَّحيح: «**كلُّ مولودٍ يولد علىٰ الفطرة**» - وفي رواية: «**علىٰ هذه الملة**» - «**فأبواه يهوِّدانه وينصِّرانه ويمجِّسانه، كما تُنْتَجُ البهيمةُ بهيمةً جَمْعاء، هل تُحِسُّون فيها من جَدْعاء؟**»، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: اقرءوا إن شئتم: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الرُّوم: ٣٠]. قيل: يا رسول الله، أرأيتَ من يموتُ من أطفال المشركين[2] وهو صغير؟ قال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»[3].

ومع مقتِ الله لهم، فقد أخبر أنه لم يكن ليعذِّبهم حتىٰ يبعث إليهم رسولًا، وهذا يدلُّ علىٰ إبطال قول من قال: إنهم لم يكونوا مسيئين ولا مرتكبين لقبيحٍ حتىٰ جاء السَّمع، وقول من قال: إنهم كانوا معذَّبين بدون السَّمع، إمَّا لقيام الحجَّة بالعقل كما يقوله من يقوله من القدريَّة، وإمَّا لمحض المشيئة كما يقوله المُجْبِرة.

---

(١) حديث عياض بن حمار رضي الله عنه المتقدم (١/ ٣٠٦، ٤٧٠)، وقد أخرجه مسلم (٢٨٦٥) باختلافٍ في سياقه وبعض ألفاظه.

(٢) «من أطفال المشركين» ليست في (و، د، ع).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٩٩)، ومسلم (٢٦٥٨).

قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ [القصص: ٥٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص: ٤٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾ [طه: ١٣٤]، فهذا يبيِّن أنه لم يكن ليعذِّب الكفَّار حتىٰ يبعث إليهم رسولًا، وبيَّن أنهم كانوا قبل الرَّسول(١) قد اكتسبوا الأعمال التي توجب المقتَ والذَّمَّ، وهي سببٌ للعذاب(٢)، لكن شرط العذاب قيام الحجَّة عليهم بالرسالة.

---

(١) (و، ي): «قبل الرسول كانوا».

(٢) (و): «سبب العذاب».

فصل

ومما ينبغي أن يُعْلَم أن سبب ضلال النَّصارىٰ وأمثالهم من الغَالِيَة، كغَالِيَة العُبَّاد والشِّيعة وغيرهم، ثلاثة أشياء:

أحدها: ألفاظٌ متشابهةٌ مجملةٌ مشكلةٌ منقولةٌ عن الأنبياء، عَدَلوا[(١)] عن الألفاظ الصَّريحة المحكمة وتمسَّكوا بها، وهم كلَّما سمعوا لفظًا لهم فيه شبهةٌ تمسَّكوا به وحملوه علىٰ مذهبهم، وإن لم يكن دليلًا علىٰ ذلك. والألفاظ الصَّريحة المخالفة لذلك إمَّا أن يفوِّضوها، وإمَّا أن يتأوَّلوها كما يصنع أهلُ الضَّلال، يتَّبعون المتشابه من الأدلَّة العقليَّة والسَّمعيَّة، ويَعْدِلون عن المُحْكَم الصَّريح من القسمين.

والثاني: خوارق ظنُّوها آياتٍ[(٢)]، وهي من أحوال الشَّياطين، وهذا ممَّا ضلَّ به كثيرٌ من الضُّلَّال المشركين وغيرهم، مثل دخول الشَّياطين في الأصنام وتكليمهم[(٣)] للنَّاس، ومثل إخبار الشَّياطين للكهَّان بأمورٍ غائبة، ولا بدَّ لهم مع ذلك من كذب، ومثل تصرُّفاتٍ تقع من الشَّياطين.

والثالث: أخبارٌ منقولةٌ إليهم ظنُّوها صدقًا، وهي كذب، وإلا فليس مع النَّصارىٰ ولا غيرهم من أهل الضَّلال علىٰ باطلهم لا معقولٌ صريح، ولا منقولٌ صحيح، ولا آيةٌ من آيات الأنبياء.

بل[(٤)] إن تكلَّموا بمعقولٍ تكلَّموا بألفاظٍ متشابهةٍ مجملة، فإذا استُفْسِروا عن معاني تلك الكلمات، وفُرِّق بين حقِّها وباطلها، تبيَّن ما فيها من التلبيس

---

(١) (د، و، ع): «وعدلوا».
(٢) (د، ع): «الآيات». ط. النيل: «من الآيات».
(٣) (و، ي): «وتكليمها».
(٤) ليست في (د، ع).

والاشتباه. وإن تكلَّموا بمنقول، فإمَّا أن يكون صحيحًا لكن[1] لا يدلُّ علىٰ باطلهم، وإمَّا أن يكون غير صحيحٍ[2] ثابت، بل مكذوب.

وكذلك ما يذكرونه[3] من خوارق العادات، إمَّا أن يكون صحيحًا قد ظهر علىٰ يد نبيٍّ، كمعجزات المسيح ومَن قبله كإلياسَ واليَسَع وغيرهما من الأنبياء، وكمعجزات موسىٰ ﷺ، فهذه حق.

وإمَّا أن تكون قد ظهرت علىٰ يد بعض الصَّالحين، كالحواريِّين، وذلك[4] لا يستلزم أن يكونوا معصومين كالأنبياء؛ فإن الأنبياء معصومون فيما يبلِّغونه، لا يُتَصَوَّر أن يقولوا علىٰ الله إلا الحق، ولا يستقرُّ في كلامهم باطلٌ لا عمدًا ولا خطأً.

وأمَّا الصَّالحون، فقد يغلط أحدهم ويخطئ، مع ظهور الخوارق علىٰ يديه، وذلك لا يخرجه عن كونه رجلًا صالحًا، ولا يوجب أن يكون معصومًا إذا كان هو لم يدَّعِ العصمة، ولم يأت بالآيات دلالةً[5] علىٰ ذلك. ولو ادَّعىٰ العصمة وليس بنبيٍّ لكان[6] كاذبًا لا بدَّ أن يظهر كذبُه، فتقترن[7] به الشَّياطين فتضلُّه، ويدخل في قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١].

---

(١) ليست في (د، ع).
(٢) ليست في (د، ي، ع).
(٣) (د، ع): «يظهرونه».
(٤) (د، ع): «ذلك».
(٥) (د، ي، ع): «دالة».
(٦) (ي): «إذ كان».
(٧) (و، ي): «وتقترن».

والنَّصارىٰ عندهم منقولٌ في الأناجيل[(١)] أن الذي صُلِب ودُفِن في القبر رآه بعض الحواريِّين وغيرهم بعد أن دُفِن قام من قبره، رأوه[(٢)] مرَّتين أو ثلاثًا، وأراهم موضع المسامير، وقال: لا تظنُّوا أني شيطان. وهذا إذا كان صحيحًا فذاك شيطانٌ ادَّعىٰ أنه المسيح، والتبس[(٣)] علىٰ أولئك[(٤)].

ومثل هذا قد جرىٰ لخلقٍ كثيرٍ[(٥)] في زماننا وقبل زماننا، كناسٍ كانوا بتَدْمُر، فرأوا شخصًا عظيمًا طائرًا في الهواء، وظهر لهم مرَّاتٍ بأنواعٍ من اللباس، وقال لهم: أنا المسيحُ ابن مريم، وأمرهم بأمورٍ يمتنع أن يأمر بها المسيحُ عليه السلام، وحضروا إلىٰ عند النَّاس وبيَّنوا لهم أن ذلك هو شيطانٌ أراد أن يضلَّهم[(٦)].

وآخرون يأتي أحدُهم إلىٰ قبر من يعظِّمه ويحسنُ به الظنَّ من الصَّالحين وغيرهم، فتارةً يرىٰ القبر قد انشقَّ وخرج منه إنسانٌ علىٰ صورة ذلك الرَّجل،

---

(١) إنجيل يوحنا (٢٠: ١٤- ٢٩)، إنجيل متىٰ (٢٨: ٩- ٢٠)، إنجيل مرقس (١٦: ٩- ١٤)، إنجيل لوقا (٢٤: ١٥- ٥١).
(٢) ليست في (د، ع).
(٣) مهملة في (ي). (ع، د): «وألبس».
(٤) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٩٤، ١٠٧، ٢٧/ ٣٩٠).
(٥) (و، ي): «عظيم».
(٦) ذكر المصنف هنا وفي مواضع من كتبه كثيرًا من صور تمثُّل الشيطان بالإنس لإضلال الناس وإغوائهم. انظر: «النبوات» (١٠٥٣- ١٠٥٩، ١٠٩٦)، و«الرد علىٰ البكري» (١٤٦، ٤٨٠، ٥١١، ٥٦٣، ٥٩١، ٦٧٨)، و«الإخنائية» (١٩٠)، و«اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٢٦٨)، و«منهاج السنة» (١/ ٤٨٣)، و«الصفدية» (٢/ ٢٩٢)، و«بغية المرتاد» (٣٧٢)، و«الرد علىٰ المنطقيين» (١٨٤، ١٨٥)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١/ ٨٢، ١٦٨- ١٧٨، ٣٥٠، ٣٦٠، ١٠/ ٤٠٦، ١١/ ٣٠٩، ٦٦٤، ١٣/ ٧١- ٧٩، ٨٤، ٩١- ٩٤، ١٤/ ٢٨٣- ٢٨٤، ١٧/ ٤٥٦، ٢٧/ ١٨، ٣٩١، ٣٥/ ١١٥)، و«جامع الرسائل» (١/ ١٩٥- ١٩٦)، و«جامع المسائل» (١/ ٩١، ٢١٦).

وتارةً يرىٰ ذلك الإنسان قد دخل في القبر، وتارةً يراه إمَّا راكبًا وإمَّا ماشيًا داخلًا إلىٰ مكان ذلك الميِّت كالقبَّة المبنيَّة علىٰ القبر، وتارةً يراه خارجًا من ذلك المكان ويظنُّ أن ذلك هو ذلك الرَّجل الصَّالح، وقد يظنُّ أن قومًا استغاثوا به فذهب إليهم، ويكون ذلك شيطانًا تصوَّر بصورته[1]، وهذا جرىٰ لغير واحدٍ ممَّن أعرفهم.

وتارةً يستغيث أقوامٌ بشخصٍ يحسنون به الظنَّ إمَّا ميِّتٍ وإمَّا غائب، فيرونه بعيونهم قد جاء، وقد يكلِّمهم، وقد يقضي بعض حاجاتهم، فيظنُّونه ذلك الشخص الميِّت، وإنما هو شيطانٌ زعم أنه هو وليس هو إيَّاه، وكثيرًا ما يأتي الشَّخصُ بعد الموت في صورة الميِّت، فيحدِّثهم ويقضي ديونًا ويردُّ ودائع ويخبرهم عن الموتىٰ، ويظنُّون أنه هو الميِّت نفسه قد جاء إليهم، وإنما هو شيطانٌ تصوَّر بصورته.

وهذا كثيرٌ جدًّا، لا سيَّما في بلاد الشِّرك، كبلاد الهند ونحوها.

ومن هؤلاء من يراه ابنُه[2] تحت سريره آخذًا بيد ابنه في الجنازة[3]، ومنهم من يقول: إذا متُّ فلا تدعوا أحدًا يغسِّلني، فأنا آتي من هذه الناحية أغسِّل نفسي، فيأتي بعد الموت شخصٌ في الهواء علىٰ صورته يغسِّله هو والذي أوصاه، ويظنُّ ذاك أنه جاء، وإنما هو شيطانٌ تصوَّر بصورته[4].

وتارةً يرىٰ أحدهم شخصًا، إمَّا طائرًا في الهواء، وإمَّا عظيم الخِلقة، وإمَّا أن يخبره بأشياء غائبة، ونحو ذلك، ويقول له: أنا الخَضِر، ويكون ذلك شيطانًا

---

(١) (ي، د): «بصورة».

(٢) مهملة في (ي)، (د، ع): «تراه انت»، وهو تحريف، وأثبتته ط. العاصمة.

(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١/ ١٧٨، ١٣/ ٧٩).

(٤) من قوله: «ومن هؤلاء من تراه» إلىٰ هنا ليس في (و).

كذب علىٰ ذلك الشَّخص، وقد يكون الرَّائي من أهل الدِّين والزُّهد والعبادة، وقد جرىٰ هذا لغير واحد.

وتارةً يرىٰ عند قبر نبيٍّ أو غيره أن الميِّت قد خرج إمَّا من حجرته وإمَّا من[1] قبره، وعانق ذلك الزَّائر وسلَّم عليه، ويكون شيطانًا تصوَّر بصورته.

وتارةً يجيء من يجيء إلىٰ عند قبر ذلك الشَّخص، فيستأذنه في أشياء، ويسأله عن أمور، فيخاطبه شخصٌ يراه، أو يسمع صوتًا ولا يرىٰ[2] شخصًا، ويكون ذلك شيطانًا أضلَّه.

وقد يرىٰ أشخاصًا في اليقظة، إمَّا ركبانًا وإمَّا غير ركبان، ويقولون: هذا فلانٌ النبيُّ، إمَّا إبراهيم وإمَّا المسيح وإمَّا محمَّد، وهذا فلانٌ الصِّدِّيق، إمَّا أبو بكرٍ وإمَّا عمر وإمَّا بعض الحواريِّين، وهذا فلانٌ لبعض من يُعْتَقَدُ فيه الصَّلاح، إمَّا جُرْجِس[3] أو غيره[4] ممَّن تعظِّمه النَّصارىٰ، وإمَّا بعض شيوخ المسلمين[5]، ويكون ذلك شيطانًا ادَّعىٰ أنه ذلك النبيُّ أو ذلك الشَّيخ أو الصِّدِّيق أو القِدِّيس.

ومثل هذا يجري كثيرًا لكثيرٍ من المشركين والنَّصارىٰ، وكثيرٍ من

---

(١) (ع): «أو من».
(٢) (د، ع): «أو يرىٰ»، وهو خطأ.
(٣) مار جرجس، قديسٌ صالح، ولد في الرملة في النصف الآخر من القرن الثالث بعد مولد عيسىٰ عليه السلام، وقيل: أدرك بقايا من حوارييه. عذبه بعض القياصرة وقتله بفلسطين، والنصارىٰ تعظمه وتنسب له كثيرًا من الخوارق. انظر: «نظم الجوهر» (١/ ١١٦)، وتاريخ ابن جرير (٢/ ٢٤- ٣٦)، و«تثبيت دلائل النبوة» (١/ ١٤٣)، و«التحرير والتنوير» (١٥/ ٣٦٣)، و«النصرانية وآدابها» (١٢٦، ١٥٢).
(٤) (د، ع): «وإما غيره».
(٥) (و): «المتكلمين».

المسلمين، ويرىٰ أحدهم شيخًا يحسنُ به الظنَّ، ويقول: أنا الشَّيخ فلان، ويكون شيطانًا.

وأعرف من هذا شيئًا كثيرًا، وأعرف غير واحدٍ ممَّن يستغيث ببعض الشُّيوخ الغائبين والموتىٰ، يراه قد أتاه في اليقظة وأعانه.

وقد جرىٰ مثلُ هذا لي ولغيري ممَّن أعرفه، ذكر غيرُ واحدٍ أنه استغاث بي من بلادٍ بعيدة، وأنه رآني قد جئته، ومنهم من قال: رأيتك راكبًا بثيابك[1] وصورتك، ومنهم من قال: رأيتك علىٰ جبل، ومنهم من قال غير ذلك، فأخبرتهم أني لم أُغِثهم، وإنما ذلك شيطانٌ تصوَّر بصورتي؛ ليضلَّهم لمَّا أشركوا بالله ودعوا غير الله[2].

وكذلك غير واحدٍ ممَّن أعرفه من أصحابنا، استغاث به بعضُ من يحسنُ به الظنَّ، فرآه قد جاءه وقضىٰ حاجته، قال صاحبي: وأنا لا أعلم بذلك.

ومن هؤلاء الشُّيوخ[3] من يقول[4]: إنه يسمع صوت ذلك الشَّخص المستغيث به، ويجيبُه، وتكون الشَّياطين أسمعته صوتًا يشبه صوتَ[5] المستغيث به، فأجابه الشَّيخُ بصوته، فأسمعَت المستغيثَ صوتًا يشبه صوتَ

(١) (و): «بلباسك».

(٢) قال شيخ الإسلام: «فذكرت لهم أني ما دريتُ بما جرىٰ أصلًا وحلفتُ لهم علىٰ ذلك حتىٰ لا يظنوا أني كتمتُ ذلك كما تُكْتَم الكرامات». وهذا من دلائل صدقه وتجرُّده، ورغبته عن طلب الرياسة والعلو في الأرض، رحمه الله ورفع درجته. انظر: «قاعدة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق» (١٥٤)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١/ ٣٥٠، ٣٦٠، ١٣/ ٩٢، ١٧/ ٤٥٨، ١٩/ ٤٧، ٣٥/ ١١٥)، و«جامع الرسائل» (١/ ١٩٥).

(٣) (ي): «من الشيوخ». وضرب علىٰ «من» في (و).

(٤) (ي، و): «يقال».

(٥) ط. العاصمة: «صوت الشيخ»، وهو خطأ مخالف للأصول.

الشَّيخ، فيظنُّ أنه صوتُ[1] الشَّيخ.

وهذا جرىٰ لمن أعرفه، وأخبر[2] بذلك عن نفسه، وقال: بقي الجنِّيُّ الذي يحدِّثني يبلِّغني مثل صوت المستغيثين بي، ويبلِّغهم مثل[3] صوتي، ويريني في شيءٍ أبيض نظيرَ ما أُسأَل عنه، فأُخبِر به النَّاسَ أني رأيته، وأنه سيأتي، ولا أكون قد رأيته، وإنما رأيت شبيهه[4].

وهكذا تفعلُ الجنُّ بمن يُعَزِّم عليهم[5] ويُقْسِم عليهم.

وكذلك ما رآه قسطنطين من الصَّليب الذي رآه من نجوم[6]، والصَّليب الذي رآه مرَّةً أخرىٰ، هو ممَّا مثَّلته الشَّياطين، وأرتهم ذلك؛ لتُضِلَّهم به[7]، كما فعلت الشَّياطينُ ما هو أعظم من ذلك لعبَّاد[8] الأوثان.

وكذلك من ذَكَر أن المسيح جاءه في اليقظة وخاطبه بأمور، كما يُذْكَر عن بولس؛ فإنه إذا كان صادقًا كان ذلك الذي رآه في اليقظة[9] وقال: إنه المسيحُ شيطانًا من الشَّياطين، كما جرىٰ مثل ذلك لغير واحد.

---

(١) من قوله: «المستغيث» إلىٰ هنا سقط من (و) لانتقال النظر.
(٢) (د، ع): «فأخبر».
(٣) (و): «من».
(٤) مهملة في (ي)، (ع، د): «شبهه».
(٥) المعزِّم: الراقي بالعزائم، وهي الرقىٰ التي يُعْزَم بها علىٰ الجن، كأنه يُقْسَم بها عليهم. انظر: «المطلع» (٤٦٢)، و«تاج العروس» و«المعجم الوسيط» (عزم)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٩/ ٤٥)، و«تحريم أقسام المعزِّمين» للمصنف.
(٦) سيأتي ذكر قصته نقلًا عن تاريخ ابن البطريق (٣/ ١٣٦، ٢٩١، ٢٩٢).
(٧) (د، ع): «مثله الشياطين وأراهم ذلك ليضلهم به»، وهو خطأ، وأثبتته ط. العاصمة.
(٨) (و): «بعباد».
(٩) من قوله: «وخاطبه» إلىٰ هنا ليس في (ع، د).

والشَّيطان إنما يضلُّ النَّاس ويغويهم بما يظنُّ[1] أنهم يطيعونه فيه، فيخاطب النَّصارىٰ بما يوافق دينهم، ويخاطب من يخاطب من ضُلَّال المسلمين بما يوافق اعتقاده، وينقله إلىٰ ما يستجيب له[2] فيه بحسب اعتقادهم.

ولهذا يتمثَّل لمن يستغيث من النَّصارىٰ بجُرْجِس[3] في صورة جُرْجِس أو بصورة من يستغيث به النَّصارىٰ[4] من أكابر دينهم، إمَّا بعض البتاركة، وإمَّا بعض المَطارنة، وإمَّا بعض الرُّهبان.

ويتمثَّل لمن يستغيث به من ضُلَّال المسلمين بشيخٍ من الشُّيوخ في صورة ذلك الشَّيخ، كما تمثَّل لجماعةٍ ممَّن أعرفهم[5] في صورتي وفي صورة جماعةٍ من الشُّيوخ الذين ذكروا لي[6] ذلك، ويتمثَّل كثيرًا في صورة بعض الموتىٰ، تارةً يقول: أنا الشَّيخ عبد القادر[7]، وتارةً يقول: أنا الشَّيخ أبو الحجَّاج الأقصُرِي[8]، وتارةً يقول: أنا الشَّيخ عَدِيّ[9]، وتارةً يقول: أنا أحمد ابن

---

(١) (و): «والشياطين إنما تضل الناس وتغويهم بما تظن».
(٢) (و، ي): «لهم».
(٣) تقدمت ترجمته قريبًا. وذكر المصنف فتنة النصارىٰ به في مواضع. انظر: «الإخنائية» (١٩٨)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١١/ ٣٠٩، ١٧/ ٤٥٥، ٤٥٦، ١٩/ ٤٧).
(٤) (د، ع): «من النصارىٰ».
(٥) (ع، ي، د): «أعرفه».
(٦) (د، و، ع): «في». وهو خطأ، وأثبتته ط. العاصمة.
(٧) الجيلي الحنبلي الإمام العارف. توفي سنة ٥٦١. «السير» (٢٠/ ٤٣٩).
(٨) يوسف بن عبد الرحيم، شيخ زاهدٌ صوفي له أتباعٌ ومريدون. توفي سنة ٦٤٤. «تاريخ الإسلام» (١٤/ ٥٠٩)، و«الطالع السعيد» (٧٢٢).
(٩) عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسىٰ الشامي، الشيخ الصالح، زاهد وقته. توفي سنة ٥٥٧. «السير» (٢٠/ ٣٤٢). ولشيخ الإسلام رسالةٌ جليلة إلىٰ أتباعه، في «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٣٦٦- ٤٣٠)، أثنىٰ عليه فيها ثناء حسنًا (٣/ ٣٧٧).

الرِّفاعي[1]، وتارةً يقول: أنا أبو مَدْيَن المغربي[2].

وإذا كان يقول: أنا المسيح، أو إبراهيم، أو محمَّد، فغيرهم بطريق الأولىٰ.

والنبيُّ ﷺ قال: **«من رآني في المنام فقد رآني حقًّا؛ فإن الشَّيطان لا يتمثَّل في صورتي»**[3]، وفي رواية: **«في صور[4] الأنبياء»**[5]، فرؤيا الأنبياء في المنام حقٌّ، وأمَّا رؤية الميِّت في اليقظة فهذا جنِّيٌّ تمثَّل في صورته.

وبعض النَّاس يسمي هذا «روحانيَّة الشَّيخ»، وبعضهم[6] يقول: هي رقيقتُه[7].

---

(١) أحمد بن علي ابن رفاعة المغربي، الشيخ الزاهد، توفي سنة ٥٧٨. وللمنتسبين إليه من الرفاعية الأحمدية مخارق وضلالات، ولشيخ الإسلام معهم مناظراتٌ وصولات. قال الذهبي: «ولكن أصحابه فيهم الجيد والرديء، وقد كثر الزغل فيهم، وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذت التتار العراق من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحيات، وهذا لا عرفه الشيخ ولا صلحاء أصحابه». انظر: «العبر» (٤/ ٣٣٤)، و«تاريخ الإسلام» (١٢/ ٦٠٥)، و«النبوات» (١٥٨، ١٦٢)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١١/ ٤٤٥-٤٧٦، ٤٩٤)، و«الجامع لسيرة شيخ الإسلام» (١٦٠، ١٦١، ٢٠٩، ٥٠٣).

(٢) شعيب بن الحسين، أبو مدين الأندلسي، الزاهد العارف، شيخ أهل المغرب، وكبير الصوفية في عصره. توفي سنة ٥٩٤. «تاريخ الإسلام» (١٢/ ٩٢٢)، و«نيل الابتهاج بتطريز الديباج» (١٩٣). ولم يقف علىٰ ترجمته محقق ط. العاصمة.

(٣) أخرجه البخاري (١١٠، ٦٩٩٤)، ومسلم (٢٢٢٦، ٢٢٦٨) من حديث أبي هريرة وأنس وجابر ﭫ، دون قوله: «حقًّا».

(٤) (و): «صورة».

(٥) لم أقف عليها. وقد جعل بعض أهل العلم هذا مما خُصَّ به النبيُّ ﷺ دون غيره من الأنبياء. انظر: «غاية السول» لابن الملقن (٢٩٣). وذهب بعضهم إلىٰ عموم ذلك للأنبياء. انظر: «شرح السنة» للبغوي (١٢/ ٢٢٨)، و«شرح المصابيح» لابن ملك (٥/ ١٣٤). والأول أظهر.

(٦) (د، ع): «وبعض الناس».

(٧) مهملة في (ي). وتحرفت في (د، ع) إلىٰ «رفيقه»، وكذلك أثبتتها المطبوعات. وعلىٰ =

وكثيرٌ من هؤلاء يُرى[1] يقوم من مكانه ويَدَعُ في مكانه صورةً مثل صورته، وكثيرٌ من هؤلاء ومن هؤلاء من يُرى[2] في مكانين، ويُرى واقفًا بعرفاتٍ وهو في بلده لم يذهب، فيبقى النَّاسُ الذين لا يعرفون حائرين؛ فإن العقل الصَّريح يعلم أن الجسم الواحد لا يكون في الوقت الواحد في مكانين، والصَّادقون قد رأوا ذلك عيانًا لا يشكُّون فيه، ولهذا يقع النزاع كثيرًا بين هؤلاء وهؤلاء، كما قد جرى ذلك غير مرَّة، وهذا صادقٌ فيما رأى وشاهَدَ، وهذا صادقٌ فيما دلَّ عليه العقلُ[3] الصَّريح، لكن ذلك المرئيَّ كان جنِّيًّا تمثَّل في صورة[4] الإنسان، والحِسِّيَّاتُ إن لم يكن معها عقليَّاتٌ تكشف حقائقها وإلا وقع فيها غلطٌ كثير[5].

وهذا القسم المشهود في الخارج غيرُ ما يتخيَّله الإنسان في نفسه؛ فإن هذا يعرفه جميعُ النَّاس، ويُقِرُّ به[6] جميعُ العقلاء، يتخيَّلون أشياء في أنفسهم كما يتخيَّله النَّائم في منامه، وتكون تلك الصُّورة موجودةً في الخيال لا في الخارج.

= الصواب في (و). وانظر: «مجموع الفتاوى» (١/ ١٥٨، ١٧٣، ١٧٨، ١٣/ ٧٨، ١٤/ ٢٨٤). وذكر محقق ط. العاصمة أن المقصود: قرينه ورفيقه من الشياطين!
و«الرقيقة» من مصطلحات المتصوفة، يعنون بها اللطيفة الروحانية والواسطة اللطيفة الرابطة بين الشيئين. انظر: «لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام» للقاشاني (١/ ٤٠٥)، و«التعريفات» (١١١)، و«المعجم الصوفي» لسعاد الحكيم (٥٣٥).
وترد كذلك بمعنى الجزء اليسير من الشيء، كالأنموذج. انظر: «طريق الهجرتين» (١/ ٦٩)، و«زاد المعاد» (٤/ ٣٣).

(١) (د، ع): «من».
(٢) ليست في (ي). (و): «من يقول يرى».
(٣) ليست في (و، د، ع).
(٤) (ي، و): «بصورة».
(٥) ط. العاصمة: «كبير»، خلاف الأصول.
(٦) (و): «ويصوبه»، (د، ع): «ويعرفه». والمثبت من (ي) أشبه.

والفلاسفة وسائر[1] العقلاء يعترفون بهذا، لكنْ كثيرٌ من الفلاسفة يظنُّ أن ما رأته الأنبياء من الملائكة وما سمعته من الكلام كان من هذا النَّوع، ويظنُّون أن ما يُرىٰ من الجنِّ هو من هذا النوع، وهؤلاء جهَّالٌ غالطون في هذا، كما جهلوا وغلطوا في ظنِّهم أن خوارق العادات سببها قوًىٰ نفسانيَّة أو طبيعيَّة أو قوًىٰ فلكيَّة، وأن الفرق بين النبيِّ ﷺ والسَّاحر إنما هو[2] حُسْنُ قصدِ هذا وفسادُ قصد[3] الآخر، وإلا فكلاهما خوارقُه[4] سببها قوًىٰ نفسانيَّة أو فلكيَّة. وهذا النفيُ باطل، كما قد بسطنا الكلام عليه وبيَّنَّا جهل هؤلاء وضلالهم في غير هذا الموضع[5].

والذين شاهدوا ذلك في الخارج، وثبت عندهم بالأخبار الصَّادقة المتواترة وغير المتواترة[6] وجودُ ذلك في الخارج، يعلمون أن هؤلاء جاهلون ضالُّون، ويعلمون أن الملائكة تظهر في صورة البشر، كما ظهرت لإبراهيم ولوط ومريم في صورة البشر، وكما كان جبريلُ يظهر للنبيِّ ﷺ تارةً في صورة دِحْيَة الكلبيِّ، وتارةً في صورة أعرابيٍّ، ويراه كثيرٌ من النَّاس عيانًا، وما في خيال الإنسان لا يراه غيره.

وكذلك الشَّياطين[7]، كما ظهر إبليسُ[8] للمشركين في صورة الشَّيخ

---

(١) (د، ع): «وجميع».

(٢) (ع): «ما هو إلا».

(٣) (د، ع): «قصد ظن».

(٤) ط. النيل: «خوارق». وتبعتها ط. العاصمة خلافًا للأصول.

(٥) انظر: «النبوات» (١٣٨، ٥٠٦، ٦٧٨-٧٠٤، ٨٣٧-٨٦٦)، «الصفدية» (١/ ١٣٤-١٦٣، ١٦٥، ٢٢٢)، و«شرح الأصبهانية» (٥٧٥)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٧/ ٣٣٧، ١٩/ ١٥٨).

(٦) «وغير المتواترة» ساقطة من ط. النيل والعاصمة.

(٧) ليست في (و، ع، د). ولم تثبتها ط. العاصمة.

(٨) (د، ع): «لما ظهر الشيطان».

النَّجديِّ[1]، وظهر لهم يوم بدرٍ في صورة سُراقة بن مالك بن جُعْشُم، فلمَّا رأىٰ الملائكة هرب، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۚ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

وروي عن ابن عبَّاس وغيره قال: تبدَّىٰ إبليسُ في جندٍ من الشَّياطين ومعه رايةٌ في صورة رجالٍ من مُدْلِجٍ، والشَّيطانُ في صورة سُراقة بن مالك بن جُعْشُم، فقال: لا غالب لكم اليوم من النَّاس، وإني جارٌ لكم، وأقبل جبريلُ عليه السلام علىٰ إبليس، فلمَّا رآه وكانت يده في يد رجلٍ من المشركين انتزع[2] إبليسُ يده وولَّىٰ مدبرًا هو وشيعته، فقال الرَّجل: يا سُراقة، أتزعم أنك لنا جار؟! فقال: إني أرىٰ ما لا ترون، إني أخاف الله، والله شديد العقاب. قال ابن عباس: وذلك لمَّا رأىٰ الملائكة[3].

قال الضَّحَّاك: سار الشَّيطان معهم برايته وجنوده، وألقىٰ في قلوب المشركين أن أحدًا لن يغلبكم، وأنتم تقاتلون علىٰ دينكم ودين آبائكم[4].

وكثيرٌ من النَّاس تحمله الجنُّ إلىٰ مكانٍ بعيد، فتحمل كثيرًا من النَّاس إلىٰ عرفاتٍ وغير عرفات، وإذا رئي واحدٌ من هؤلاء في غير بلده يكون تارةً محمولًا قد حملته[5] الجنُّ، وتارةً قد[6] تصوَّرت علىٰ صورته، ولا يكون هذا من أولياء

---

(١) (د، ع): «النجدي وغيره».
(٢) (د، ع): «نزع».
(٣) أخرجه ابن جرير (١١/ ٢٢٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٧٩).
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٧١٥).
(٥) (د، ع): «تارة قد حملته».
(٦) ليست في (ي، و).

الله المتَّقين الذين لهم كرامات، بل قد[1] يكون من الكافرين أو الفاسقين، وأعرف من ذلك قضايا كثيرةً ليس هذا موضع تفصيلها[2].

وعند المشركين والنَّصارىٰ من ذلك شيءٌ كثيرٌ يظنُّونه من جنس الآيات التي للأنبياء، وإنما[3] هي من جنس ما للسَّحرة والكهَّان.

ومن لم يفرِّق بين أولياء الرَّحمن وأولياء الشَّيطان، ويفرِّق بين معجزات الأنبياء وكرامات الصَّالحين، وبين خوارق السَّحرة والكهَّان ومن تقترن بهم الشَّياطين، وإلا التبس عليه الحقُّ بالباطل، فإمَّا أن يكذِّب بالحقِّ الذي جاء به الأنبياء الصَّادقون، وإمَّا أن يصدِّق بالباطل الذي يقوله الكاذبون[4] والغالطون.

وهذه الأمور مبسوطةٌ في موضعٍ آخر[5]، والمقصود هنا التَّنبيه علىٰ هذا الأصل.

وعلماء النَّصارىٰ يسلِّمون هذا، وعندهم من ذلك أخبارٌ كثيرةٌ من حكايات أولياء الشَّيطان الذين عارضهم أولياء الرَّحمن وأبطلوا أحوالهم، كما أبطل موسىٰ صلوات الله عليه ما عارضته به السَّحرة من الخوارق، كما ذُكِر ذلك[6] في التَّوراة[7]، وكما يذكرونه عن فلان وفلان، مثل حكاية سِيمون السَّاحر مع الحواريِّين[8]، وغير ذلك.

---

(١) ليست في (ي).

(٢) (د، ع): «قصصًا كثيرة ليس تفصيلها في هذا الموضع».

(٣) ط. العاصمة: «إنما»، خلاف الأصول.

(٤) (د، ع): «الكافرون».

(٥) بسطها في قاعدة «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، والمصادر السابقة في الفرق بين خوارق العادات من الأنبياء والسحرة.

(٦) ليست في (د، ع).

(٧) سِفر الخروج (٧: ٩- ١٣).

(٨) سِفر أعمال الرسل (٨: ٩- ٢٤). ومعنىٰ سِيمون بالعبرانية: السَّامع، ولفظه في الأصل نفس لفظ الاسم «سمعان». وقد كان لسيمون الساحر أتباعٌ يعتبرونه مسيحهم. انظر: «موسوعة الكتاب المقدس» (٥٠٩).

فإذا كان هذا معلومًا كان ما يذكرونه من هذا الجنس إذا كان مخالفًا لما ثبت عن الأنبياء من الشَّيطان، فلا يجوز أن يُحْتَجَّ به علىٰ ما يخالف شرائع الأنبياء الثَّابتة عنهم، بل هؤلاء من جنس الدَّجَّال الكبير الذي أنذرت به الأنبياء كلُّهم، حتىٰ نوحٌ أنذره[1] قومَه، وقال خاتم الرُّسل ﷺ: «**ما من نبيٍّ إلا قد أنذره أمَّته، حتىٰ نوحٌ أنذره قومَه. وسأقول لكم فيه قولًا لم يقله نبيٌّ لأمَّته: إنه أعور، وإنَّ ربَّكم ليس بأعور، مكتوبٌ بين عينيه: كافر (ك ف ر)، يقرؤه كلُّ مؤمنٍ قارئٍ وغير قارئ**»، وقال: «**واعلموا أن أحدًا منكم لن يرىٰ ربَّه حتىٰ يموت**»[2].

وقد أخبَر أن المسيحَ عيسىٰ بن مريم مسيحَ الهدىٰ ينزل إلىٰ الأرض علىٰ المنارة البيضاء شرقيَّ دمشق، فيقتل مسيحَ الضَّلالة، وهذا هو الذي تنتظره اليهودُ ويجحدون المسيحَ عيسىٰ بن مريم، ويقولون: هذا هو الذي بشَّرت به الأنبياء، ويتبعه من يهود أصبهان سبعون ألفًا مُطَيْلَسِين، ويقتلهم المسلمون مع عيسىٰ بن مريم شرَّ قِتْلة، حتىٰ يقول الشَّجر والحجر: يا مسلمُ هذا يهوديٌّ ورائي تعالَ اقتُلْه[3].

وكلُّ هذا ثابتٌ في الصَّحيح عن النبيِّ ﷺ.

ولهذا أمر أمَّته أن يستعيذوا بالله من فتنته، فقال: «**إذا قعد أحدكم في التَّشهُّد في الصَّلاة فليتعوَّذ بالله من أربع: من عذاب جهنَّم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدَّجَّال**»[4].

---

(١) غيَّرته ط. العاصمة إلىٰ «أنذر» هنا وفي الموضعين الآتيين في نصِّ الحديث، مخالفة للأصول ومتابعة للمطبوعة، وزعمت أنه خطأ واضح!

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٥٧) ومسلم (٤/ ٢٢٤٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وهو في الصحيحين من حديث أنس بن مالك وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم.

(٣) مضىٰ تخريجه (١/ ٢٦٤).

(٤) أخرجه مسلم (٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والأنبياء كلُّهم أنذروا بالكذَّابين الذين يتشبَّهون بالأنبياء، لكن من النَّاس من يتعمَّد الكذب، وكثيرٌ منهم لا يتعمَّد، بل يلتبس عليه، فيغلط، فيخبر بما يظنُّه حقًّا ولا يكون كذلك، ويرىٰ في اليقظة ما يظنُّه فلانًا الوليَّ أو النبيَّ ﷺ أو الخَضِر ولا يكون كذلك[1].

والغلط جائزٌ علىٰ كلِّ أحدٍ إلا الأنبياء عليهم السَّلام، فإنهم معصومون لا يُقَرُّون علىٰ خطأ، فمن لم يَزِن علومه وأعماله وأقواله وأفعاله بالمعلوم[2] عن الأنبياء وإلا كان ضالًّا، فنسأل الله العظيم أن يهدينا الصِّراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين، وحَسُنَ أولئك رفيقًا.

والمسلمون وأهل الكتاب متَّفقون علىٰ إثبات مسيحَيْن: مسيح هدًىٰ من ولد داود، ومسيح ضلالٍ يقول أهل الكتاب: إنه من ولد يوسف.

ومتَّفقون علىٰ أن مسيح الهدىٰ سوف يأتي كما يأتي مسيح الضَّلالة، لكنْ المسلمون والنَّصارىٰ يقولون: مسيح الهدىٰ هو عيسىٰ بن مريم، وإن الله أرسله، ثم يأتي مرَّةً ثانية.

لكنْ المسلمون يقولون: إنه ينزل قبل يوم القيامة، فيقتل مسيحَ الضلالة، ويكسر الصَّليب، ويقتل الخنزير، ولا يبقي دينًا إلا دين الإسلام، ويؤمنُ به أهلُ الكتاب اليهود والنَّصارىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩]، والقول الصَّحيح الذي عليه الجمهور: قبل موت

---

(١) من قوله: «ويرىٰ في اليقظة» إلىٰ هنا سقط من (د، ع).

(٢) (ع، د): «بالعلوم».

المسيح[1]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١].

وأمَّا النَّصارىٰ فتظنُّ أنه الله، وأنه يأتي يوم القيامة لحساب الخلائق وجزائهم، وهذا ممَّا ضلُّوا فيه، واليهود تعترف بمجيء مسيح هدًىٰ يأتي، لكن يزعمون أن عيسىٰ عليه السلام لم يكن مسيح هدًىٰ؛ لظنِّهم[2] أنه جاء بدين النَّصارىٰ المبدَّل، ومن جاء به فهو كاذب، وهم ينتظرون المسيحَيْن[3].

(١) انظر: تفسير ابن جرير (٧/ ٦٦٣- ٦٦٦، ٦٧٢)، وما سيأتي (٢/ ٤٦٨).

(٢) (د، ي، ع): «لزعمهم».

(٣) من قوله: «والمسلمون وأهل الكتاب» إلىٰ هنا وقع متأخرًا خطأً في (ع، د) وط. النيل بعد صفحات، وهذا حاقّ موضعه.

فصل

والخوارق التي تُضِلُّ[1] بها الشَّياطين لبني[2] آدم، مثلُ تصوُّر الشَّيطان بصورة شخصٍ غائبٍ أو ميِّتٍ ونحو ذلك، ضلَّ بها خلقٌ[3] كثيرٌ من النَّاس من المنتسبين إلىٰ المسلمين أو إلىٰ أهل الكتاب وغيرهم، وهم بَنَوا ذلك علىٰ مقدمتين:

إحداهما: أن من ظهرت هذه علىٰ يديه فهو وليٌّ لله، وبلغة النَّصارىٰ: هو قِدِّيسٌ عظيم.

الثانية: أن من يكون كذلك فهو معصوم، وكلُّ[4] ما يخبر به فهو حقٌّ، وكلُّ ما يأمر به فهو عدلٌ، وقد لا يكون ظهرت علىٰ يديه خوارقُ لا رحمانيَّة ولا شيطانيَّة، ولكنْ صَنَع حيلةً من حِيَل أهل الكذب والفجور، وحِيَلُ أهل الكذب والفجور كثيرةٌ جدًّا، فيُظَنُّ أن ذلك من العجائب الخارقة للعادة، ولا يكون كذلك، مثل الحِيَل المذكورة عن الرُّهبان[5].

وقد صنَّف بعض النَّاس مصنَّفًا[6] في حِيَل الرُّهبان.

---

(١) مهملة في (ي)، (د، ع): «يضل».

(٢) كذا في الأصول.

(٣) ليست في (ع، د).

(٤) (و، ي): «فكل».

(٥) انظر: «جامع المسائل» (٥/ ٢٢٤)، و«إغاثة اللهفان» (١٠٥٦، ١٠٥٩- ١٠٦١).

(٦) ذكر شيخ الإسلام في مواضع أخرىٰ أنها مصنفاتٌ وكتب. انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٦٠٩، ٦٦١). وقد أفرد زين الدين الجوبري (من علماء القرن السابع) فصلًا لكشف حيل الرهبان ومخاريقهم في كتابه «المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار» (٨٠- ٨٧)، والخزرجي (ت: ٥٨٣) في «مقامع الصلبان» (١٧٣- ١٧٧)، والقرطبي (ت: ٦٧١) في «الإعلام» (٣٨٤- ٣٨٦)، والقرافي (ت: ٦٨٤) في «الأجوبة الفاخرة» (٦١- ٦٦)، وأشار الجاحظ إلىٰ طرف منها في «الحيوان» (٤/ ٤٨٣).

مثل الحيلة المحكيَّة عن أحدهم في جعلِ الماء زيتًا، بأن يكون الزَّيتُ في جوف منارة، فإذا نقص صبَّ فيها ماءً، فيطفو الزَّيت علىٰ الماء، فيظنُّ الحاضرون أن نفس الماء انقلب زيتًا.

ومثل الحيلة المحكيَّة عنهم في ارتفاع النَّخلة، وهو أن بعضهم مرَّ بدَيْر راهب، وأسفل منه نخلة، فأراه النَّخلة صعدت شيئًا شيئًا حتىٰ حاذت الدَّير، فأخذ من رُطَبها، ثم نزلت حتىٰ عادت كما كانت. فكشف الرَّجلُ الحيلة، فوجد النَّخلة في سفينةٍ في مكانٍ منخفضٍ إذا أرسل عليه الماء امتلأ حتىٰ تصعد السَّفينة، وإذا صرف الماء إلىٰ موضعٍ آخر هبطت السَّفينة.

ومثل الحيلة المحكيَّة عنهم في التكحُّل بدموع السَّيِّدة، يضعون كحلًا في ماءٍ متحرِّكٍ حركةً لطيفة، فيسيل حتىٰ ينزل من تلك الصُّورة، فيخرج من عينها، فيُظَنُّ أنه دموع.

ومثل الحيلة التي صنعوها بالصُّورة التي يسمُّونها «القُونَة»(١) بصَيْدَنايا، وهي أعظم مزاراتهم بعد القُمَامة وبيت لحم حيث وُلِد المسيح وحيث قُبِر؛ فإن هذه هي(٢) صورة السَّيِّدة مريم، وأصلها خشبةُ نخلةٍ سُقِيَت بالأدهان حتىٰ تنعَّمت(٣)، وصار الدُّهن يخرج منها دهنًا مصنوعًا(٤) يُظَنُّ أنه من بركة الصُّورة.

ومن حِيَلهم الكثيرة: النَّار التي يظنُّ عوامُّهم أنها تنزل من السَّماء في

---

(١) قال المصنف: «ويحجُّون إلىٰ القونة التي بصيدنايا، والقونة الصورة، وغير ذلك من كنائسهم التي بها الصُّور التي يعظمونها ويدعونها ويستشفعون بها». مجموع الفتاوىٰ (٢٧/ ٣٥٥). والقونة والأيقونة: التمثال والصورة، معرَّب إيكونيا باليونانية. انظر: «محيط المحيط» (٢٣، ٧٦٤)، و«تفسير الألفاظ الدخيلة» للعنيسي (٥).

(٢) ليست في (و).

(٣) (د، ع): «سمت». ط. النيل: «سمنت».

(٤) (د، ع): «يخرج منها مصنوع».

عيدهم في قُمَامة[1]، وهي حيلةٌ قد شهدها غيرُ واحدٍ من المسلمين والنَّصارىٰ، ورأوها بعيونهم أنها نارٌ مصنوعةٌ يُضِلُّون بها عوامَّهم، يظنُّون أنها نزلت من السَّماء ويتبرَّكون بها، وإنما هي صنعةُ صاحبِ مُحَالٍ وتلبيس.

ومثل ذلك كثيرٌ من حِيَل النَّصارىٰ، فجميع ما عند النَّصارىٰ المبدِّلين لدين المسيح من الخوارق إمَّا حالٌ شيطانيٌّ وإمَّا مُحَالٌ بهتانيٌّ ليس فيه شيءٌ من كرامات الصَّالحين.

وكذلك أهل الإلحاد المبدِّلين لدين محمَّدٍ ﷺ، الذين يتَّخذون دينًا لم يشرعه الله ورسوله، ويجعلونه طريقًا إلىٰ الله، وقد يختارونه علىٰ الطَّريق التي شرعها الله ورسوله، مثل أن يختاروا سماع الدُّفوف والشَّبَّابات[2] علىٰ سماع كتاب الله تعالىٰ، فقد يحصل لأحدهم من الوجد والغرام الشَّيطاني ما يَلْبَسُه معه الشَّيطان حتىٰ يتكلَّم علىٰ لسان أحدهم بكلامٍ لا يعرفه ذلك الشَّخص إذا أفاق، كما يتكلَّم الجنِّيُّ علىٰ لسان المصروع، وقد يخبر بعضَ الحاضرين بما في نفسه، ويكون ذلك من الشَّيطان، فإذا فارق الشَّيطانُ ذلك الشخص لم يدر ما قال.

ومنهم من يحمله الشَّيطان ويصعد به قدَّام النَّاس في الهواء.

ومنهم من يشير إلىٰ بعض الحاضرين، فيموت، أو يمرض، أو يصير مثل الخَشَبة.

ومنهم من يشير إلىٰ بعض الحاضرين، فيَلْبَسُه الشَّيطان، ويزول عقلُه،

---

(١) أعظم كنيسة لهم ببيت المقدس، وتقدم التعريف بها وبكنيسة صيدنايا (١/ ١٨٧).

(٢) جمع شبَّابة، وهي اليراعة، قصبةٌ يُزَمَّر بها. انظر: «التلخيص» لأبي هلال (٤٢٢)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١١/ ٣٤٦)، و«شفاء الغليل» للخفاجي (١٨٤). وظن محقق ط. العاصمة أن المراد بها التشبيب بالنساء!

حتىٰ يبقىٰ دائرًا زمانًا طويلًا بغير اختياره.

ومنهم من يدخل النَّار ويأكلها، ويبقىٰ لَهَبُها في بدنه وشعره.

ومنهم من تُحْضِر له الشَّياطينُ طعامًا أو شيئًا من لادَنٍ[1] أو سكَّر أو زعفران أو ماء ورد.

ومنهم من تأتيه بدراهم تسرقها الشَّياطينُ من بعض المواضع، ثم من هؤلاء من[2] إذا فرَّق الدَّراهم علىٰ الحاضرين أُخِذَت منهم، فلا يُمَكَّنون من التصرُّف فيها.

إلىٰ أمور يطول وصفُها.

وآخرون ليس لهم من يُعِينُهم علىٰ ذلك من الشَّياطين، فيصنعون حِيَلًا ومَخَاريق.

فالملحدون المبدِّلون لدين الرُّسل -دين المسيح أو دين محمَّدٍ صلىٰ الله عليهما وسلَّم- هم كأمثالهم من أهل الإلحاد والضَّلال الكفَّار المرتدِّين والمشركين[3] ونحوهم[4]، كمُسَيْلِمة الكذَّاب، والأسود العَنْسِي، والحارث الدمشقي، وبابا الرُّومي[5]، وغيرهم ممَّن لهم خوارقُ شيطانية.

وأمَّا أهل الحِيَل فيَكْثُرون، وهؤلاء ليسوا أولياء الله، بل خوارقهم إذا

(١) وهو رطوبةٌ وندًى يكون علىٰ نباتٍ ترعاه المعزىٰ، فيتعلَّق بها، ويتَّخذ منه دواءٌ وعطر. انظر: «الفروع» (٤/ ١٢٤)، و«تاج العروس» (لذن)، و«المعتمد» (٣١٩)، و«تكملة المعاجم» (٩/ ٢٢٥).

(٢) ليست في (ع، د).

(٣) (د، ع): «المشركين».

(٤) (و، د، ع): «وغيرهم».

(٥) مضت ترجمته وترجمة الحارث الدمشقي (١/ ٢٦٧).

كانت شيطانيَّةً من جنس خوارق الكهنة والسَّحرة، لم يكن لهم حالٌ شيطانيٌّ بل مُحَالٌ بهتانيٌّ، فهم متعمِّدون للكذب والتلبيس، بخلاف من تقترن به الشَّياطين، فإن فيهم من يلتبسُ[1] عليه فيظنُّ أن هذا من جنس كرامات الصَّالحين، كما أن فيهم من يعرف أن ذلك من الشَّياطين ويفعله لتحصيل أغراضه.

فالمقصود أنه كثيرٌ[2] من الخوارق ما يكون من الشَّياطين أو يكون حِيَلًا ومَخَاريق، ويُظَنُّ أنها من كرامات الصَّالحين، فإن ما يكون سببُه[3] الشِّرك أو الفجور إنما يكون من الشَّيطان، مثل أن يشرك الرَّجلُ بالله، فيدعو الكواكبَ، أو يدعو مخلوقًا من البشر ميِّتًا أو غائبًا، أو يُعَزِّم ويُقْسِم بأسماء مجهولة لا يَعْرِف معناها أو يَعْرِف أنها أسماء الشَّياطين، أو يستعين بالفواحش والظُّلم، فإن ما كان هذا سببه من الخوارق فهو من الشَّيطان، كما قد بُسِط الكلام علىٰ ذلك في غير هذا الموضع[4].

والصَّالحون لهم كرامات، مثل كرامات صالحي هذه الأمَّة، ومثل كرامات الحواريِّين وغيرهم ممَّن كان علىٰ دين المسيح، لكن وجود الكرامات علىٰ أيدي الصَّالحين لا توجبُ أن يكونوا معصومين كالأنبياء، بل[5] يكون الرَّجلُ صالحًا وليًّا لله وله كراماتٌ ومع هذا فقد يغلط ويخطئ فيما يظنُّه، أو فيما يسمعه ويرويه، أو فيما يراه، أو فيما يفهمه من الكتب.

---

(١) (د، ع): «يلبس».

(٢) كذا في الأصول، وهو سائغ.

(٣) مهملة في (ي). وفي (و): «شبيه»، وهو تحريف، وأثبتته ط. العاصمة. وسيأتي علىٰ الصواب في قوله: «فإن ما كان هذا سببه من الخوارق ...».

(٤) تقدمت الإحالة إلىٰ مظانٍّ هذا (١/ ٤٨٥، ٤٨٧).

(٥) (و): «لكن»، وهو خطأ، وأثبتته ط. العاصمة.

ولهذا كان كلُّ من سوىٰ الأنبياء يؤخذ من قولهم[(١)] ويُتْرَك، بخلاف الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، فإنه يجب تصديقهم في كلِّ ما أخبروا به من الغيب، وطاعتهم في كلِّ ما أمروا به.

ولهذا أوجب الله الإيمان بكلِّ ما أوتوه[(٢)]، ولم يوجب الإيمان بجميع ما يأتي به غيرُهم. قال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ولهذا اتَّفق المسلمون علىٰ أن من كذَّب نبيًّا معلوم النبوَّة فهو كافرٌ مرتدٌّ، ومن سبَّ نبيًّا وجب قتله[(٣)]، بل يجب الإيمانُ بجميع ما أوتيه النبيُّون كلُّهم، وأن لا يُفرَّق بين أحدٍ منهم فيؤمَن ببعضٍ ويُكْفَر ببعض[(٤)]، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

---

(١) (ع): «قوله».

(٢) (ي، و): «الإيمان بما أوتوه».

(٣) حكىٰ إسحاق بن راهويه الإجماع علىٰ كفر من شتم نبيًّا، كما في «تعظيم قدر الصلاة» (٩٣٠)، وانظر لقتله: «الصارم المسلول» (١٨٨، ٤٢١، ١٠٤٨).

(٤) (و): «نفرق بين أحد منهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض».

وليس هذا لأحدٍ غير الأنبياء، ولو كان من رُسُل الأنبياء وكانوا من أعظم الصِّدِّيقين القدِّيسين[١].

فضلال الضُّلَّال من هؤلاء مبنيٌّ على مقدِّمتين:

إحداهما[٢]: أن هذا له كرامة، فيكون وليًّا لله.

والثانية: أن وليَّ الله لا يجوز أن يخطئ، بل يجب تصديقُه في كلِّ ما أخبر، وطاعته في كلِّ ما أمر. وليس لأحدٍ من البشر أن يصدَّق في كلِّ ما أخبَر به ويطاع في كلِّ ما أمر به[٣] إلا أن يكون نبيًّا.

والمقدِّمتان المذكورتان قد تكون إحداهما باطلة، وقد تكون كلاهما باطلة[٤]. فالرَّجل المعيَّن:

* قد لا يكون من أولياء الله، وتكون[٥] خوارقُه من الشَّياطين.

* وقد يكون من أولياء الله، ولكن ليس بمعصوم، بل يجوز عليه الخطأ.

* وقد لا يكون من أولياء الله، ولا يكون له خوارق، ولكن له مُحَالاتٌ وأكاذيب[٦].

---

(١) (و، د): «المقدمين».
(٢) (د، ع): «أحدهما ... والثاني».
(٣) ليست في (و، ع، د). وفي ط. العاصمة: «في كل أمر»، خلاف الأصول.
(٤) ط. العاصمة: «باطلًا»، خلاف الأصول.
(٥) (ي، و): «تكون».
(٦) هنا موضع النص الذي سبقت الإشارة إلى وقوعه متأخرًا في (د، ع) وط. النيل، ويبدأ بقوله: «والمسلمون وأهل الكتاب متفقون على إثبات مسيحين» إلى آخر الفصل.

فصل

قالوا: «وقال في سورة آل عمران: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، فأعنى أيضًا بالكتاب المنير الذي هو الإنجيل المقدَّس»[١].

فيقال: قد تقدَّم أن «الرُّسل» تتناول[٢] قطعًا الرُّسل الذين ذكرهم الله في القرآن، لا سيَّما أولو العزم، كنوحٍ وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ بن مريم؛ فإن هؤلاء مع محمَّد ﷺ خاتم النبيِّين -صلوات الله عليهم وسلامه- خصَّهم الله وفضَّلهم بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧ - ٨]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

فالدِّينُ دينُ رسل الله دينٌ واحد، كما بيَّنه الله في كتابه وكما ثبت في الصَّحيحين عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إنَّا معاشر الأنبياء ديننا واحد، وإن أولىٰ النَّاس بابن مريم لأنا، إنَّه**[٣] **ليس بيني وبينه نبيٌّ**»[٤].

ويتناول أيضًا اسم «الرُّسل» من لم يسمِّهم[٥] بأعيانهم في القرآن، قال

(١) رسالة بولس الأنطاكي (٤١٦).
(٢) (د، ع): «يتناول».
(٣) (د، ع): «وأنا أولىٰ الناس بابن مريم لأنه».
(٤) تقدم تخريجه في صدر الكتاب (١/ ١٠).
(٥) (ي): «يسم».

تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٣ - ١٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَ﴾ [غافر: ٧٨].

وأمَّا الحواريون، فإن الله تعالىٰ ذكرهم في القرآن، ووصفهم بالإسلام واتباع الرَّسول وبالإيمان بالله، كما أنزل في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٢ - ٥٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

ولم يذكر الله تعالىٰ في القرآن أنه أرسلهم البتة، بل ذكر أنه ألهمهم الإيمان به وبرسوله، وأنهم أُمِروا باتباع رسوله.

وقولُه: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ﴾ لا يدلُّ علىٰ النبوَّة؛ فإنه قال تعالىٰ: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]، وأمُّ موسىٰ لم تكن نبيَّة، بل ليس

في النساء نبيَّة[1]، كما تقوله عامَّة علماء المسلمين[2]، وقد ذكر إجماعهم على ذلك غيرُ واحد، مثل القاضيين: أبي بكر بن الطيِّب وأبي يعلى ابن الفرَّاء[3]، والأستاذ أبي المعالي الجويني، وغيرهم[4].

ويدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا يُوحَىٰٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ [يوسف: ١٠٩]، وقوله تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾ [المائدة: ٧٥]، فجعل غاية مريم الصِّدِّيقيَّة، كما جعل غاية المسيح الرِّسالة.

وقد ثبت في الصَّحيحين[5] عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**كَمَل من الرِّجال كثير، ولم يَكْمُل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية بنت مُزاحِم**»، يعني من نساء الأمم قبلنا. وهذا يدلُّ على أن أمَّ موسى ليست ممَّن كَمَل من النساء، فكيف تكون نبيَّة؟!

وقوله تعالى: ﴿جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، والكتاب اسمُ جنسٍ كما تقدَّم[6]، يتناول كلَّ كتابٍ أنزله تعالى.

---

(١) كما تقدم في مريم (١/ ٣٧٢).

(٢) (ع) وط. النيل: «عامة علماء النصارى والمسلمين»، وأشار في طرة (د) إلى أنها في نسخة. وفي ط. العاصمة: «عامة النصارى والمسلمين». وكلاهما خطأ.

(٣) (د، ع): «ابن أبي الفراء»، وهو خطأ، وأثبتته ط. العاصمة.

(٤) انظر: «الأذكار» للنووي (١١٩)، و«شرح مسلم» (١٥/ ١٩٩). وخالف في ذلك أبو الحسن الأشعري وابن حزم والقرطبي. انظر: «الفصل» (٥/ ١٢)، و«فتح الباري» (٦/ ٤٤٧).

(٥) صحيح البخاري (٣٤١١)، ومسلم (٢٤٣١) من حديث أبي موسى ﵁.

(٦) (١/ ٤٧، ٤٢١، ٤٣٤).

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ [الحج: ٨]، وقوله: ﴿وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ نكرةٌ في سياق النَّفي[١] تَعُمُّ[٢] كلَّ كتابٍ منير، ولو لم يكن إلا الإنجيل لقيل: «ولا الكتاب المنير».

وأيضًا، فالتَّوراة أعظمُ من الإنجيل، وقد بيَّن الله أنه لم ينزل كتابًا أهدىٰ من التَّوراة والقرآن، فقال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ[٣] أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ﴾ - وقرئ[٤]: ﴿سَٰحِرَانِ﴾ - ﴿تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ٤٨ قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [القصص: ٤٨- ٤٩].

وهذا تعجيزٌ لهم أن يأتوا بكتابٍ من عند الله هو أهدىٰ منهما، كقوله: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ[٥]﴾ [يونس: ٣٨]، وهذا يبيِّن أنه ليس الإنجيل ولا الزَّبور أهدىٰ من التَّوراة والقرآن، فكيف يُجْعَل «الكتابُ المنير» هو الإنجيل دون التَّوراة والزبور؟!

وأيضًا، فإن الله تعالىٰ إنَّما يخصُّ بالذِّكر من الكتب المتقدِّمة التَّوراة دون غيرها، فهي التي يَقْرِنها بالقرآن، كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ

---

(١) ط. العاصمة: «المعنىٰ»، وهو تحريف مخالفٌ للأصول.
(٢) (و): «فيعم».
(٣) وقع صدر الآية في الأصول: «وقالوا لن نؤمن حتىٰ نؤتىٰ مثل ما أوتي موسىٰ»، وهو سهو وانتقال ذهن إلىٰ آية الأنعام: ١٢٤. وأصلحها ناسخ (ع) في الطرة.
(٤) قرأ بها ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر، كما تقدم (١/ ٣٨).
(٥) الأصول: «من مثله»، وهو سهو، تلك آية البقرة: ٢٣.

يَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [الأنعام: ٩١ - ٩٢]، وقد وصف التَّوراة بأن فيها نورًا وهدًىٰ للناس، فكيف يُجْعَلُ النور في الإنجيل دونها؟!

وقال تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾ [الأنعام: ١٥٤ - ١٥٦]، فقد ذكر التَّوراة والقرآن، وقولَهم: أُنزِل الكتابُ علىٰ طائفتين[١]، فبيَّن أن «الكتاب» اسمُ جنسٍ يتناول هنا التَّوراة والإنجيل، كقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [المائدة: ٥]، فذكر «الكتاب» بلفظ المفرد[٢]، ومعلومٌ أنه أراد بالذين أوتوا الكتاب من قبلنا اليهودَ والنَّصارىٰ، لا يختصُّ ذلك بالنَّصارىٰ، كما قال: ﴿ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا ﴾.

وقد تبيَّن[٣] بطلانُ قول هؤلاء الذين يحرِّفون الكَلِم عن مواضعه، ويفسِّرون كلام الله ورسوله بما يَعْلَمُ كلُّ من عرف حاله من مؤمنٍ وكافرٍ أنه لم يُرِدْه.

---

(١) زادت ط. النيل: «من قبلنا».
(٢) (و): «المنفرد»، وهو خطأ، وأثبتته ط. العاصمة.
(٣) (و): «بين». وكذا الموضع الآتي.

وتبـيَّن أن الله لـم يُـرِد بالكتـاب الإنجيـلَ وحـده، كمـا لـم يُـرِد بالرُّسـل الحواريِّين، بل أراد بالكتاب المنير ما أنزله الله مـن الكتـب كـالتَّوراة والإنجيـل، كما أراد بالرُّسـل مـن أرسـله الله مطلقًـا كنـوحٍ وإبـراهيم وموسىٰ والمسـيح ابـن مريم صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين.

فصل

قالوا: «وقال أيضًا: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤]»[1].

فيقال لهم: من المعلوم بالاضطرار أنه ليس المراد بهذا النَّصارىٰ فقط، كما تقدَّم[2]، بل اليهود يقرؤون الكتاب من قبلنا، والنَّصارىٰ يقرؤون الكتاب من قبلنا، و«الكتاب» اسمُ جنس، كما تقدَّم نظائره في قوله: ﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ [الأنعام: ١٥٦]، وقوله: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [المائدة: ٥]، وقوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٦٤] في غير موضع، وقوله: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البينة: ١]، وقوله تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٨ - ٢٠].

وقد قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ

---

(١) رسالة بولس الأنطاكي (٤١٥).
(٢) (١/ ٤٢١، ٥٠٢).

﴿أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧]، وتناوُلُ لفظ «أهل الكتاب» هنا لليهود أظهر من تناوله للنَّصارىٰ؛ لذكره لعنة أصحاب السَّبت.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢]، فهذا خبرٌ عن[1] طائفةٍ من اليهود قالوا ذلك.

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، وسبب نزولها أنه[2] أراد طائفةٌ من اليهود إلقاء الفتنة بين المسلمين[3]، فهم داخلون قطعًا، وإن كان الخطاب مطلقًا يتناول الطائفتين.

وأمرُه تعالىٰ بسؤال الذين يقرؤون الكتاب من قبله علىٰ تقدير الشَّكِّ لا يقتضي أن يكون الرَّسولُ شكَّ ولا سأل[4]، إن قيل: الخطابُ له، وإن قيل: لغيره فهو أولىٰ وأحرىٰ؛ فإن تعليق الحكم بالشَّرط لا يدلُّ علىٰ تحقيق الشَّرط، بل قد يعلَّق بشرطٍ ممتنعٍ لبيان حكمه.

قال تعالىٰ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ

(١) ليست في (و).
(٢) ليست في (ي، د). وألحقت في (و، ع).
(٣) روي عن جماعة من السلف. انظر: «العجاب في بيان الأسباب» (٢/ ٧٢٣- ٧٢٨)، و«الدر المنثور» (٣/ ٦٩٨- ٧٠١).
(٤) (ع): «يشك ولا يسأل».

﴿مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[1] [الأنعام: ٨٤ - ٨٨]، فأخبر أنهم لو أشركوا لحَبِط عنهم ما كانوا يعملون، مع انتفاء الشِّرك عنهم، بل مع امتناعه؛ لأنهم قد ماتوا، ولأن[2] الأنبياء معصومون من الشِّرك به[3].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٤ - ٦٦]، فهذا خطابٌ للجميع، وذكر هنا لفظ «إن»[4] لأنه خطابٌ لموجود، وهناك خبرٌ عن ميِّت[5].

وكذلك قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ﴾ لا يدلُّ علىٰ وقوع الشكِّ ولا السُّؤال[6]، بل النبيُّ ﷺ لم يكن شاكًّا، ولا سأل أحدًا منهم، بل رُوِي عنه أنه قال: «**والله لا أَشُكُّ ولا أَسأل**»[7].

---

(١) سقطت الآيتان الأخيرتان من ط. العاصمة. وهي في الأصول وط. النيل.
(٢) ط. العاصمة: «لأن»، وهو خطأ مخالف الأصول.
(٣) ليست في (د، ي، ع).
(٤) في قوله تعالىٰ: «لئن أشركت».
(٥) انظر: «الرد علىٰ البكري» (٤٦٣).
(٦) انظر: «النبوات» (١٨٠)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٠٩، ١٦/ ٣٢٥)، و«أحكام أهل الذمة» (١/ ٩٩- ١٠٥).
(٧) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» (١١٧٣)، وابن جرير (١٢/ ٢٨٨) عن قتادة قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «لا أشك ولا أسأل». وهو مرسلٌ صحيح الإسناد.
وأخرج ابن أبي حاتم (١٠٥٨٣) من طريق سعيد بن شرحبيل عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لم يشكَّ رسول الله ﷺ ولم يسأل»، وظاهر إسناده الصحة، وخرجه الضياء في «المختارة» (١٠/ ٩٤)، وصححه ابن حجر في «نتائج الأفكار» (٤/ ١٣٧)، إلا أنه معلول، والصواب روايته من قول سعيد بن جبير، كما أخرجه سعيد بن منصور (١٠٧٦، ١٠٧٧)، وابن جرير (١٢/ ٢٨٧) من طريق جماعة من الثقات الكبار عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد.

ولكن المقصود بيانُ أن أهل الكتاب عندهم ما يصدِّقك فيما كذَّبك فيه الكافرون، كما قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ الآية[1] [القصص: ٥٢- ٥٣]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣]، وقال تعالىٰ: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ[2]﴾ [النساء: ١٦٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].

فالمقصود بيانُ أن أهل الكتاب عندهم ما يصدِّقك فيما كذَّبك فيه الكافرون، وذلك من وجوه:

(١) كذا في الأصول. وأسقطتها ط. العاصمة.

(٢) ألحق في (و) بقلم حديث فوق السطر كلمة «إليك»، وليست في سائر الأصول.

أحدها: أن الكتب المتقدِّمة تنطق بأن موسىٰ وغيره دعوا إلىٰ عبادة الله وحده ونَهَوا عن الشِّرك، فكان في هذا حجَّةٌ علىٰ من ظنَّ أن الشِّرك دينٌ.

ومثل هذا قوله تعالىٰ: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا يُوحَىٰٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

الوجه الثاني: أن أهل الكتاب يعلمون أن الله إنما أرسل إلىٰ النَّاس بشرًا مثلهم، لم يرسل إليهم مَلَكًا؛ فإن من الكفَّار من كان يزعم أن الله لا يرسل إلا ملكًا أو بشرًا معه مَلَك، ويتعجَّبون من إرسال بشرٍ ليس معه مَلَكٌ ظاهر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤- ٩٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٢٣ - ٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ الآية[1] [القمر: ٢٣- ٢٤].

---

(١) يعني الآيات. وأسقطتها ط. العاصمة.

وكذلك قال الذين من بعدهم: ﴿مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٣، ٣٤].

وكذلك قال قوم فرعون لموسىٰ وهارون: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧]، وقال فرعون: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف: ٥٢- ٥٣].

وكذلك قالوا لمحمَّدٍ ﷺ، قال[1] تعالىٰ: ﴿الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[2] [يونس: ١- ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٨ – ٩].

فبيَّن سبحانه أنكم لا تطيقون التَّلقِّي عن المَلَك، فلو أنزلناه مَلَكًا لجعلناه في صورة بشر، وحينئذٍ كنتم تظنُّونه بشرًا، فيحصل[3] اللَّبسُ عليكم، فأمر الله تعالىٰ بسؤال أهل الكتاب عمَّن أُرسِل إليهم أكان بشرًا أم كان مَلَكًا؟ ليقيم الحجَّة بذلك علىٰ من أنكر إرسال بشر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَىٰ إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]،

---

(١) (و، ي): «وقال». وضرب علىٰ الواو في (د).

(٢) أكملت الآية في ط. العاصمة، خلافًا للأصول.

(٣) مهملة في (ي)، (ع): «فيجعل» وهو خطأ، وأصلحت في (د) لتوافق الصواب.

وقال تعالىٰ[1]: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٧ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ۝٨ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأنبياء: ٧ - ٩]، وأهل الذِّكر هم أهل الذِّكر الذي أنزله[2] الله تعالىٰ.

الوجه الثالث: أنهم يسألون أهل الكتاب عمَّا جرىٰ للرُّسل مع أممهم، وكيف كان عاقبة المؤمنين بهم، وعاقبة المكذِّبين لهم.

الوجه الرابع: يسألون أهل الكتاب عن الدِّين الذي بعث الله به رسله، وهو دينُ الإسلام الذي اتَّفقت عليه الرُّسل، كالأمر بالتَّوحيد والصِّدق والعدل وبرِّ الوالدين وصلة الأرحام، والنَّهي عن الشِّرك والظُّلم والفواحش.

الوجه الخامس: يسألونهم عمَّا وصفت به الرُّسل ربَّهم هل هو موافقٌ لما وصفه به محمَّدٌ أم لا؟ وهذه الأمور المسؤول عنها متواترةٌ عند أهل الكتاب، معلومةٌ لهم، ليست مما يشكُّون فيه. وليس إذا كان مثلُ هذا معلومًا لهم بالتَّواتر، فيُسألون[3] عنه، يجب أن يكون كلُّ ما يقولونه معلومًا لهم بالتَّواتر.

وأيضًا، فإنهم يُسألون أيضًا عمَّا عندهم من الشَّهادات والبشارات بنبوَّة محمَّد ﷺ.

وقد أخبر الله بذلك في القرآن، فقال تعالىٰ[4]: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ۝١٥٦

---

(١) من أول الآية السابقة هنا سقط من (و) لانتقال النظر، ولم تثبته المطبوعات.
(٢) (و): «أنزل».
(٣) (و): «يسألون».
(٤) «فقال تعالىٰ» ليست في (و).

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٦ - ١٥٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦]، فقد أخبر عن عيسىٰ أنه صدَّق بالرَّسول والكتاب الذي قبله وهو التَّوراة، وبشَّر بالرَّسول الذي يأتي بعده وهو أحمد.

قال تعالىٰ: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ (١) فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤- ١٤٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٧].

وقال تعالىٰ عن من أثنىٰ عليه من النَّصارىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ (٢) [المائدة: ٨٣].

---

(١) أول الآية في الأصول: «ومن حيث خرجت»، وهو سهوٌ وانتقال ذهنٍ للآية الأخرىٰ. وأثبتُّ الصواب، كما صنعت في نظائره.

(٢) زادت ط. العاصمة: «يقولون ربنا آمنا»، وليست في الأصول.

وقال تعالىٰ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٦ - ١٠٩]، وقال تعالىٰ: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: ٥١ - ٥٤].

وقال تعالىٰ في سورة الأنعام: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

والأخبارُ بمعرفة أهل الكتاب بصفة محمَّدٍ ﷺ عندهم في الكتب المتقدِّمة متواترةٌ عنهم.

وكان قبل أن يُبْعَث النبيُّ ﷺ تجري حروبٌ وقتالٌ بين العرب وبين أهل الكتاب، فيقول(١) أهل الكتاب: قد قَرُبَ مبعثُ هذا النبيِّ ﷺ الأمِّيِّ الذي يُبْعَثُ بدين إبراهيم، فإذا ظهر اتَّبعناه وقتلناهم معه شرَّ قِتلة(٢)، فلمَّا بُعِثَ النبيُّ

(١) مهملة في (د، ي)، (و): «فتقول».

(٢) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (٨٤)، ومن طريقه ابن جرير (٢/ ٢٣٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٧٥) عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخٍ له من الأنصار.

ﷺ كان منهم من آمن به ومنهم من كفر به، فقال تعالىٰ: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾ أي: يستنصرون بمحمَّدٍ ﷺ على الذين كفروا ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

ولهذا كان النبيُّ ﷺ في خطابه لأهل الكتاب يقول لهم: «**والله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله**»[(١)]، وكذلك من أسلم منهم كعبد الله بن سَلَام كان يقول لغيره من أهل الكتاب: «والله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنَّه رسول الله ﷺ»[(٢)]، وهذا أمرٌ معروفٌ في الأحاديث الصِّحاح المخرَّجة في الصَّحيحين وغيرهما.

فظهر بما ذكرناه تحريفُ هؤلاء لكلام الله، وأنه لا حجَّة لهم فيما أُنزِل علىٰ محمَّدٍ ﷺ، كما تقدَّم نظائر ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩١١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) جزء من حديث أنس السابق.

فصل

قالوا: «فثبت بهذا ما معنا. نعم، ونفىٰ عن إنجيلنا وكتبنا التي في أيدينا التُّهَم والتَّبديل[1] لها والتَّغيير لما فيها بتصديقه[2] إيَّاها»[3].

فيقال: كلامكم الذي تحتجُّون به في هذا الموضع وغيره إمَّا أن يكون باطلًا محضًا، وإمَّا أن يكون ممَّا لَبَسْتُم فيه الحقَّ بالباطل.

فإنَّ قولكم: «بتصديقه إيَّاها» إن أردتم أنه صدَّق التَّوراة والإنجيل والزَّبور التي أنزلها الله علىٰ أنبيائه فهذا لا ريب فيه؛ فإن هذا مذكورٌ في القرآن في غير موضع، وقد أوجب علىٰ عباده أن يؤمنوا بكلِّ كتابٍ أنزله، وكلِّ نبيٍّ من الأنبياء، مع إخباره أنه أنزل هذه الكتب قبل القرآن، وأنزل القرآن مصدِّقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه.

قال[4] تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١ - ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِ﴾ [النساء: ٤٧]، وقال: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ [فاطر: ٣١]،

---

(١) رسالة بولس: «بالتبديل». وهو أجود.
(٢) (د، و، ع): «تصديقه». ومضىٰ علىٰ الصواب غير مرة.
(٣) رسالة بولس الأنطاكي (٤١٥).
(٤) ط. العاصمة: «وقال»، خلاف الأصول.

وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١]، وقال تعالىٰ: ﴿ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ [النساء: ٤٧](١).

وقد أوجب علىٰ عباده أن يؤمنوا بجميع كتبه ورسله، وحَكَم بكفر من آمن ببعضٍ وكفر ببعض، فقال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٦ - ١٣٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥٢].

فذمَّ التَّفريق(٢) بينهم بأن يُؤمَن ببعض دون بعض، وبيَّن أنه فضَّل بعضهم علىٰ بعض، فقال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]،

---

(١) وقع في سياق الآيات اضطرابٌ في الأصول، ولعل ذلك لأن المصنف ألحق بعضها في طرر نسخته فاشتبهت مواضعها علىٰ النساخ، وقد أثبتُّ مجموعها.

(٢) ط. النيل: «المفرِّق»، وتبعتها المطبوعات، خلاف الأصول.

فبيَّن أنه فضَّل بعضهم علىٰ بعض، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥][١].

وقد اتَّفق المسلمون علىٰ ما هو معلومٌ بالاضطرار من دين الإسلام، وهو أنه يجبُ الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، وبجميع ما أنزله[٢] الله من الكتب.

فمن كفر بنبيٍّ واحدٍ تُعْلَمُ نبوَّته، مثل: إبراهيم ولوط وموسىٰ وداود وسليمان ويونس وعيسىٰ، فهو كافرٌ عند جميع المسلمين، حكمُه حكمُ الكفَّار، وإن كان مرتدًّا استُتِيب، فإن تاب وإلا قُتِل.

ومن سبَّ نبيًّا واحدًا من الأنبياء قُتِل أيضًا باتفاق المسلمين.

وما عَلِم المسلمون أن نبيًّا من الأنبياء أخبر به فعليهم التصديقُ به، كما يصدِّقون بما أخبر به محمَّدٌ ﷺ، وهم يعلمون أن أخبار الأنبياء لا تتناقض ولا تختلف.

وما لم يعلموا أن النبيَّ أخبَر به فهو كما لم يعلموا أن محمَّدًا أخبَر به صلىٰ الله عليهم أجمعين، ولكن لا يكذِّبون إلا بما علموا أنه كذب، كما لا يجوز أن يصدِّقوا إلا بما علموا أنه صِدق.

وما لم يعلموا أنه كذبٌ ولا صدقٌ لم يصدِّقوا به ولم يكذِّبوا به، كما أمرهم نبيُّهم محمَّدٌ ﷺ[٣]، وبهذا أمر[٤] المسيحُ عليه السلام، فقال: «الأمور ثلاثة:

---

(١) من هنا إلىٰ آخر الفصل كتبه ناسخ (د) في ورقة طيارة، وأشار إليه في الطرة بقوله: «الوريقة»، وهي من جملة ما أعاد الناسخ المتأخر ترميمه من النسخة.
(٢) (د، ع): «أنزل».
(٣) أخرجه البخاري (٤٤٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) (و، د، ع): «أمرهم»، وهو خطأ، وأثبتته المطبوعات.

أمرٌ تبيَّن رشدُه فاتَّبعوه، وأمرٌ تبيَّن غيُّه فاجتنبوه، وأمرٌ اشتبه عليكم فكِلُوه إلىٰ عالِمه»[1].

---

(١) أخرجه عبد بن حميد (٦٧٥)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٣٨٧)، وغيرهما بإسناد ضعيف جدًّا من طريق هشام بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إن عيسىٰ بن مريم قام في قومه فقال ...» فذكره في سياق طويل. وهشام متروك الحديث. وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٧٠)، فتعقبه الذهبيُّ في تلخيصه وأعله بهشام وحكم ببطلانه، وأعله به في «معجم الشيوخ» (١/ ٣٦)، وكذا البوصيري في «إتحاف الخيرة» (٧/ ٤٠٧)، وضعف إسناده العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (١٧٧٥).

ولم يسمعه هشام من محمد بن كعب، وإنما يرويه عن يحيىٰ بن فلان عن محمد بن كعب، كما ذكر عفان بن مسلم فيما رواه عنه مسلم في مقدمة «الصحيح» (١/ ١٨)، ورواه من طريق عفان ابن سعد في «الطبقات» (٧/ ٣٦٠). قال ابن حجر في «النكت الظراف» (٥/ ٢٣٥): «فأفادت هذه الطريق أن بين هشام ومحمد بن كعب فيه شخصًا مجهولًا».

وسرقه بعض المتروكين من هشام، ولم يحدث به عن محمد بن كعب ثقة، كما قال العقيلي في «الضعفاء» (١/ ٤٦٩)، وانظر: «نصب الراية» (٣/ ٦٣).

وأخرج أبو دواد طرفًا من الحديث (١٤٨٥) من طريق راوٍ لم يسمَّ -ويشبه أن يكون هشامًا، كما ذكر ابن عدي في «الكامل» (١٠/ ٣٢٩) في إسنادٍ نحوه- عن محمد بن كعب به، وقال: «روي هذا الحديث من غير وجه عن محمد بن كعب، كلُّها واهية، وهذا الطريق أمثلها، وهو ضعيفٌ أيضًا». وقال العقيلي في «الضعفاء» (٦/ ٢٦٠): «ليس لهذا الحديث طريقٌ يثبت»، وقال ابن خزيمة في صحيحه (١/ ٤١٨): «لم يرو ذلك الخبر أحدٌ يجوز الاحتجاج بخبره».

ولم يصب الحافظ المنذري حين قال في «الترغيب والترهيب» (١/ ٧٩): «رواه الطبراني في الكبير بإسناد لا بأس به»، ولا الهيثمي إذ قال في «مجمع الزوائد» (١/ ١٥٧): «رجاله موثقون».

فهرس موضوعات المجلد الأول

الموضوع	الصفحة
مقدمة مركز تأصيل	٥
مقدمة المشرف علىٰ تحقيق الكتاب	٩
بين يدي الكتاب	١٣
اسم الكتاب	١٨
إثبات نسبة الكتاب للمؤلف	٢٤
سبب تأليف الكتاب	٢٨
موضوع الكتاب وأهميته وترتيبه	٣١
منهج المؤلف في كتابه	٤٤
موارد الكتاب	٤٨
وصف النسخ الخطية	٥٥
طبعات الكتاب وتقويمها	٧٣
منهج التحقيق	٨٣
نماذج من النسخ الخطية	٨٦
النص المحقق: كتاب الجواب الصحيح	
خطبة الكتاب	٥
تصديق القرآن للكتب السماوية وهيمنته عليها	٧
دين الأنبياء والمرسلين واحد	١٠
خصائص أمة الإسلام	١١
مواترة الرسل وتعميم الخلق بهم	١٦
الإسلام دين الله الذي بعث به الرسل	١٨
عبادة الله بطاعة رسله عليهم السلام	١٩
الإيمان بجميع الرسل	٢٠

من أعظم أسباب ظهور الدين ظهور المعارضين للمرسلين	٢٠
الفرق بين آيات الأنبياء وخوارق السحرة	٢٢
الدين الحق والدين الباطل	٢٣
اتباع بعض المسلمين سنن اليهود والنصارىٰ	٢٥
الحلول والاتحاد نوعان	٢٧
سبب تأليف الكتاب	٢٨
الرسالة الواردة من قبرص في الاحتجاج لدين النصارىٰ	٢٨
تفصيل مضامين تلك الرسالة	٣٠
منهج المصنف في نقض الرسالة	٣١
كل ما يحتج به المبطلون من النصوص هو حجة عليهم	٣١
الأنبياء وأتباعهم هم أهل العلم والعدل	٣٢
دين النصارىٰ الباطل دينٌ مبتدع	٣٤
تناقض اليهود والنصارىٰ وتعاديهم	٣٥
مقدمة رسالة الأسقف بولص في الاحتجاج لدين النصارىٰ	٣٨
سبب عدم اتباعهم للنبي ﷺ ودين الإسلام	٣٩
الجواب عن زعمهم أنه أرسل إلىٰ العرب ولم يرسل إليهم	٤١
دلائل صدق النبي وكذب المتنبئ	٤٣
الرد المفصل علىٰ دعواهم أن النبي ﷺ لم يرسل إليهم	٤٥
الجواب عن احتجاجهم بآيات من القرآن	٤٦
الإرسال الديني والإرسال الكوني ونظائرهما	٥٧
تفرق الكفار واختلافهم وطعنهم في الأنبياء والرسل	٦٢
تتمة الجواب عن دعوىٰ النصارىٰ أن النبي ﷺ لم يرسل إليهم	٦٨
تواتر الأخبار عن النبي ﷺ أنه أرسل إلىٰ جميع بني آدم	٦٨
دعوة النبي ﷺ لأهل الكتاب	٧٠
خبر وفد نجران النصارىٰ الذين قدموا علىٰ النبي ﷺ	٧٢
نزول آية الجزية وأول من أداها	٩٢

الأمر بمجادلة أهل الكتاب محكم لم ينسخه شيء ٩٨
وجوه الجمع بين آيات الجدال وآيات القتال: ٩٩
الوجه الأول ٩٩
الوجه الثاني ٩٩
الوجه الثالث ١٠٠
الوجه الرابع ١٠٧
الوجه الخامس ١١٠
الوجه السادس ١١١
الوجه السابع ١١٢
الوجه الثامن ١١٥
الوجه التاسع ١١٥
قصة إيمان النجاشي وهجرة المسلمين إلىٰ الحبشة ١١٧
أول نزول الوحي علىٰ النبي ﷺ بمكة وإيمان بعض النصارىٰ به ١٢٨
إرسال النبي ﷺ رسله إلىٰ جميع الطوائف بعد عام الحديبية ١٣٠
إرساله إلىٰ هرقل ملك الروم ١٣٠
إرساله إلىٰ المقوقس ملك مصر ١٤٤
غزو النبي ﷺ النصارىٰ بعد الإرسال إلىٰ ملوكهم ١٥١
أمره ﷺ بإخراج اليهود والنصارىٰ من جزيرة العرب ١٥٢
قيام خلفائه ﷺ أبي بكر وعمر بذلك من بعده ١٥٣
فتح عمر الشام وبيت المقدس ومشارطته أهل الذمة ١٥٤
إرسال النبي ﷺ رسوله إلىٰ كسرىٰ وتمزّق ملكه ١٥٩
ضرب الجزية علىٰ المجوس ١٦٦
تواتر آيات القرآن في دعوة أهل الكتاب إلىٰ الإيمان بالنبي ﷺ ١٦٩
اختلاف أهل الملل في نسخ الشرائع وتغيير الدين ١٧٢
إظهار النبي ﷺ من كمال التوحيد ما لم يظهر بمن قبله ١٧٥
المقارنة بين مقالة المشركين والثنوية والفلاسفة ١٧٨

النصارىٰ وعبادة الأوثان ١٨٣
الفرق بين ما أجمع عليه المسلمون وما ابتدعه النصارىٰ ١٨٥
كفر النصارىٰ بالنبي ﷺ ككفر اليهود بالمسيح عليه السلام ١٨٩
احتجاج النصارىٰ بالقرآن علىٰ أن نبوة النبي ﷺ خاصة بالعرب دليل علىٰ عدم أهليتهم للاستدلال ١٩٢
الجواب عن زعم تناقض القرآن في عموم رسالته ﷺ وخصوصها ١٩٤
الجواب عن زعمهم تناقض القرآن واحتجاجهم بما يوافق قولهم ١٩٧
عموم رسالته ﷺ لا ينافي إرساله إلىٰ العرب ١٩٩
النذارة ليست مختصة بمن شافههم النبي ﷺ بالخطاب ٢٠١
دعوة النبي ﷺ قريشًا وغيرهم من قبائل العرب ٢٠٣
معجزات النبي ﷺ الدالة علىٰ صدقه ٢١١
إخباره ﷺ بالغيوب الماضية والمستقبلة ٢١٣
كل من أيده الله من المدعين للنبوة لا يكون إلا صادقًا ٢١٨
سورة القمر وإخبارها بانشقاق القمر ٢٢٥
انشقاق القمر آية علىٰ صدق النبي ﷺ وعلىٰ مجيء الساعة ٢٢٧
إمكانية انشقاق القمر والرد علىٰ الدهرية ٢٢٨
الأحاديث الواردة في انشقاق القمر علىٰ عهد النبي ﷺ ٢٢٩
تحدي العرب بالقرآن وعجزهم أن يأتوا بمثله ٢٣٠
إخبار القرآن أن النبي ﷺ أرسل إلىٰ العرب لا يقتضي أنه لم يرسل لغيرهم ونظائر ذلك من القرآن ٢٣١
الجواب عن احتجاج النصارىٰ ببعض الآيات علىٰ أنه ﷺ إنما أرسل إلىٰ العرب خاصة ٢٤٠
إخبار النبي ﷺ أنه أرسل إلىٰ الناس كافة كما نطق به القرآن ٢٤٤
إلزام النصارىٰ ببطلان دينهم إن كذبوا محمدًا ﷺ ٢٤٨
التصديق بأن محمدًا رسول الله يوجب بطلان كل دين خالفه ٢٤٩
أقوال النصارىٰ في عيسىٰ عليه السلام ٢٥٢

كلام الإمام أحمد في كتاب الرد علىٰ الجهمية ٢٥٦
الطريق الذي يُعْلَم به نبوة موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام يُعْلَم به نبوة محمد ﷺ بطريق الأولىٰ ٢٦٠
الجواب عن زعم النصارىٰ أن عيسىٰ عليه السلام بشرت به الأنبياء بخلاف محمد ﷺ ٢٦٤
الجواب عن تمثيل النصارىٰ القرآن بالوثيقة التي كُتِب الوفاء في ظهرها ٢٦٦
النزاع في جواز وقوع الغلط من الأنبياء ٢٦٨
تتمة الجواب عن تمثيل النصارىٰ القرآن بالوثيقة ٢٧٠
لا يجوز استدلال النصارىٰ بقول أحد من الأنبياء علىٰ صحة دينهم ٢٧٤
ولا يجوز لهم الاحتجاج بذلك علىٰ المسلمين ٢٨٠
الأجوبة عن كون القرآن نزل باللسان العربي وحده ٢٨٢
الوجه الأول ٢٨٢
الوجه الثاني ٢٨٧
الوجه الثالث ٢٩٠
الوجه الرابع ٢٩٠
الوجه الخامس ٢٩٠
توجيه بعض الآيات الواردة بإنزال القرآن باللسان العربي ٢٩٣
قصة بحيرا الراهب ودلالتها علىٰ نبوته ﷺ ٢٩٦
في القرآن من ذكر المعاد وتفصيله ما لا يوجد في التوراة والإنجيل ٢٩٩
الأجوبة عن زعم النصارىٰ أن كتبهم ترجمها لهم الحواريون وهم معصومون، بخلاف القرآن الذي لم يترجمه معصوم ٣٠٠
الجواب الأول ٣٠٠
الجواب الثاني ٣٠٢
الجواب الثالث ٣٠٢
الجواب عن قول النصارىٰ: لا يلزمنا اتباعه لأنه قد جاءتنا رسل من قبله ٣٠٤
الوجه الأول ٣٠٤

الوجه الثاني ٣٠٤
الوجه الثالث ٣٠٥
الوجه الرابع ٣٠٦
الوجه الخامس ٣٠٦
الوجه السادس ٣١٠
الوجه السابع ٣١٠
الجواب عن قول النصارىٰ: ليس من عدل الله أن يطالب أمة باتباع إنسان لم يأت إليهم ٣١٦
الوجه الأول ٣١٦
الوجه الثاني ٣١٦
الوجه الثالث ٣١٧
اختلاف الناس في عدل الله ٣١٧
النزاع فيما لا يتم الواجب إلا به ٣١٨
الوجه الرابع ٣٢١
الرد علىٰ زعم النصارىٰ أن الله إنما مكّن الكفار من صلب عيسىٰ ليحتال بذلك علىٰ عقوبة إبليس ٣٢٢
الرد علىٰ تفسير النصارىٰ الآيات التي فيها عدم قبول غير دين الإسلام بأن المراد بها قوم النبي ﷺ لا غيرهم ٣٣١
تعظيم القرآن للمسيح وأمه ٣٤٣
المسلمون وسطٌ بين اليهود والنصارىٰ في الشريعة والعقيدة ٣٤٣
ذكر القرآن لقصة يحيىٰ وعيسىٰ عليهما السلام ٣٥١
ورود قصة مريم وعيسىٰ في سورتين مكية ومدنية ٣٥٥
المراد بـ «روح القدس» وضلال النصارىٰ فيه ٣٥٦
المضاف إلىٰ الله نوعان: إضافة صفة وإضافة عين ٣٦٠
اختلاف الناس في هذا الباب ٣٦٤
اضطراب النصارىٰ في كلام الله ٣٦٦

من تفاسير النصارىٰ الباطلة وتحريفهم لآيات القرآن ٣٧٠
بطلان تفسيرهم قوله تعالىٰ: (فيكون طيرًا بإذن الله) ٣٧٤
المراد بقوله تعالىٰ: (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا) ٣٧٧
معنىٰ تأييد عيسىٰ عليه السلام بروح القدس ٣٨٠
الرهبانية التي ابتدعها النصارىٰ وتفسير آية سورة الحديد ٣٨٦
الآيات التي فيها ثناءٌ علىٰ أهل الكتاب والمراد بها ٣٩٣
كيف ذكر القرآن معابد أهل الكتاب من الصوامع والبيع ٤٠٤
الرد علىٰ زعم النصارىٰ أن القرآن أوجب لهم التمسك بدينهم ٤٠٩
الرد علىٰ استدلال النصارىٰ بالقرآن علىٰ ما يعتقدونه في الحواريين ٤١٢
الحواريون رسل المسيح لا رسل الله المذكورون في القرآن ٤١٣
الرد علىٰ من زعم أن الحواريين هم (المرسلون) في سورة يس ٤٢٦
تتمة الرد علىٰ استدلال النصارىٰ بآيات القرآن علىٰ الحواريين ٤٣٤
اختلاف بني آدم علىٰ وجهين ٤٣٥
المسلمون علىٰ الحق والعدل بين طرفي الباطل من اليهود والنصارىٰ ٤٣٧
توجيه شهادة القرآن للحواريين بأنهم أنصار الله ٤٤٢
الرد علىٰ زعم النصارىٰ تعظيم القرآن لما بين أيديهم من الكتب وبيان معاني الآيات التي احتجوا بها ٤٤٤
دلالة النصوص علىٰ أن الله لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه ٤٦٢
هل يمكن ألا يبين للناظر المجتهد صدق الرسول؟ وإذا لم يتبين له هل يستحق العقوبة في الآخرة؟ ٤٦٥
طريقة المصنف في مناظرة أهل الكتاب ٤٦٧
حكم من اعتقد من أهل الكتاب المؤمنين بعيسىٰ أنه صُلِب ٤٦٩
نزاع الناس في حسن الأفعال وقبحها ٤٧١
أسباب ضلال النصارىٰ وأمثالهم من الغالية ٤٧٥
من صور تمثّل الشياطين بالإنس لإضلال الناس ٤٧٧
مسيح الهدىٰ ومسيح الضلالة ٤٨٩

سبب ضلال الناس بالخوارق التي تضل بها الشياطين بني آدم ٤٩١
من حيل النصارىٰ ومخاريقهم ٤٩٢
ومن حيل أهل الإلحاد المبدلين لدين محمد ﷺ ٤٩٣
الجواب عن بعض استدلالات النصارىٰ بالقرآن علىٰ الإنجيل والحواريين ٤٩٨
عامة علماء المسلمين علىٰ أنه ليس في النساء نبيَّة ٥٠٠
الكلام علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ ٥٠٤
وجه تصديق القرآن للكتب السابقة ٥١٤
الإيمان بجميع رسل الله وكتبه ٥١٥
فهرس موضوعات المجلد الأول ٥١٩



الجواب الصحيح

لمن بدل دين المسيح

تأليف

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

(٦٦١ - ٧٢٨هـ)

تحقيق

د. عبد الله بن غالب الكلاعي

إشراف

د. علي بن محمد العمران

المجلد الثاني



طبع برعاية

مؤسسة عبد اللطيف العيسى الخيرية



مركز التأصيل للدراسات والبحوث

Taseel Center for Studies & Research

راجع هذا المجلد

د. سُلَيْمَان بن عَبْدالله العُمَيْر

د. سُعُود بن عَبْدالعَزِيز العريفي

ح مركز دار التأصيل للنشر والتوزيع، ١٤٤٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن تيمية، احمد بن عبدالحليم
الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. /احمد بن عبد الحليم ابن تيمية ؛ علي محمد العمران - جدة ، ١٤٤٠ هـ

٥ مج.

ردمك: ٧-٠-٩١٣١٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ١-٢-٩١٣١٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢)

١- الإسلام و النصرانية ٢- الديانات المقارنة أ-العمران ، علي محمد (محقق) ب.العنوان

ديوي ٢٩١ ١٤٤٠/١١٣١٧

رقم الإيداع: ١٤٤٠/١١٣١٧
ردمك: ٧-٠-٩١٣١٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ١-٢-٩١٣١٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢)

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠١٩م



مركز التأصيل للدراسات والبحوث
Taseel Center for Studies & Research

جدة، شارع عبدالله السليمان، مقابل اكسترا

المملكة العربية السعودية

هاتف: 00966126288685
جوال: 00966596747896

الرمز البريدي: 22246، الرقم الإضافي: 6929
البريد الإلكتروني: sabban.taseel@gmail.com

الجواب الصحيح

لمن بدل دين المسيح

تأليف

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

(٦٦١ - ٧٢٨ هـ)

تحقيق

د. عبد الله بن غالب الكلاعي

إشراف

د. علي بن محمد العمران

المجلد الثاني





بسم الله الرحمن الرحيم

المخطوطات المستخدمة في هذا المجلد

(د) نسخة دار الكتب المصرية (نسخة عتيقة عليها خط المصنف، ثم جرىٰ ترميمها وإكمال خرومها سنة ١٢٨١).

(و) نسخة متحف طوبقبوسراي (كتبت سنة ٧٣٠).

(ي) نسخة مكتبة يني جامع (كتبت سنة ١٠٩٤).

(ع) نسخة المكتبة النعمانية (عليها تعليقات بخط نعمان الآلوسي، كتبت في دمشق سنة ١٣٠١).

ط. النيل (الطبعة الأولىٰ للكتاب بمطبعة النيل بالقاهرة سنة ١٣٢٢).

فصل

وإن أرادوا بتصديقه كتبَهم أنه صدَّق ما هم عليه من العقائد والشَّرائع التي ابتدعوها بغير إذنٍ من الله، وخالفوا بها ما تقدَّمه من شرائع المرسلين[1]، أو خالفوا بها الشَّرع الذي بُعِث به، مثل القول بالتَّثليث والأقانيم، والقولِ بالحلول والاتِّحاد بين اللَّاهوت والنَّاسوت، وقولهم: إن المسيح هو الله وابن الله، وما هم عليه من إنكار ما يجب الإيمان به؛ من الإيمان بالله واليوم الآخر، ومن تحليل ما حرَّمه الله ورسلُه، كالخنزير وغيره، ومن[2] أنهم لا يدينون بدين الحقِّ الذي أنزل به كتابه وأرسل به رسوله، بل بدينٍ مبتدعٍ ابتدعه لهم أكابرهم كما قال تعالىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ [التوبة: ٣١].

وقد بيَّن النَّبيُّ ﷺ ذلك لعديِّ بن حاتم ـ وكان نصرانيًّا ـ لما جاءه ليؤمن به، وقد آمن به عديٌّ وكان من خيار الصَّحابة، فسمعه يقرأ هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١] قال عديٌّ: قلت: يا رسول الله، ما عبدوهم، قال: **«إِنَّهُمْ أحلُّوا لَهُمُ الحَرَامَ وحَرَّمُوا عَلَيْهم الحَلالَ فأَطَاعُوهُمْ، فكَانَتْ تِلْكَ عِبادَتُهم إيَّاهُم»**[3].

---

(١) (ي، ط.النيل): «المسلمين».

(٢) (د، ي، ع، ط.النيل): «بين».

(٣) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه. وقال: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث» وحسّنه المصنف كما في «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٦٧).

فإن أرادوا بتصديقهم[1] في هذه الأمور، أو أنَّ[2] محمَّدًا ﷺ صدّق ما عندهم مما لم يأت به الأنبياء عن الله، فقد كذبوا على محمَّدٍ ﷺ كذبًا ظاهرًا معلومًا بالاضطرار من دينه، وإنما صدَّق ما جاءت به الأنبياء قبله، وأما ما أحدثوه وابتدعوه فلم يصدّقه.

كما أنه لم يَشْرعْ لهم أن يستمرُّوا على ما هم عليه من الشَّرع الأوَّل ولو لم يكن مبدَّلًا، بل دعاهم وجميعَ الإنس والجنِّ إلى الإيمان به وبما جاء به، واتباع ما بُعث به من الكتاب والحكمة، وحَكَمَ بكفر كلِّ من لم يتَّبع كتابه المنزَّلَ عليه، وأوجب مع خلودهم في عذاب الآخرة جهادَهم في الدنيا حتَّى يكون الدين كلُّه لله، وحتَّى تكون كلمةُ الله هي العليا.

وقد دعا أهلَ الكتاب من اليهود والنَّصارى عمومًا، ثم كلًّا من الطائفتين خصوصًا في غير موضع، مع دعائه الناس كلَّهم أهلَ الكتاب وغيرَهم، كقوله تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا

(١) بعدها في (ع، د، ط.النيل) «كتبهم».
(٢) (ع): «وأن» بدل: «أو أن».

هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦ - ١٥٨]

وقال تعالىٰ يخاطب النَّصارىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٧١ - ١٧٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ١٧، ٧٢] في موضعين(١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة: ١٤]

أخبر سبحانه أنَّ النَّصارىٰ تركوا حظًّا ممَّا ذكَّرهم به؛ وبسبب ذلك أغرىٰ بينهم العداوة والبغضاء إلىٰ يوم القيامة، فعُلِم أنه سبحانه بَيَّنَ أنهم تركوا بعضَ ما جاء به المسيحُ ومَنْ قَبْلَه من الأنبياء، واستحَقُّوا لذلك أن يغريَ بينهم العداوةَ والبغضاءَ إلىٰ يوم القيامة.

---

(١) «في موضعين» ساقطة من (المطبوع).

هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦ - ١٥٨]

وقال تعالىٰ يخاطب النَّصارىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٧١ - ١٧٣].

وقال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧، ٧٢] في موضعين(١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤]

أخبر سبحانه أنَّ النَّصارىٰ تركوا حظًّا ممَّا ذكَّرهم به؛ وبسبب ذلك أغرىٰ بينهم العداوة والبغضاء إلىٰ يوم القيامة، فعُلِم أنه سبحانه بَيَّنَ أنهم تركوا بعض ما جاء به المسيحُ ومَنْ قَبْلَه من الأنبياء، واستحَقُّوا لذلك أن يغريَ بينهم العداوةَ والبغضاءَ إلىٰ يوم القيامة.

---

(١) «في موضعين» ساقطة من (المطبوع).

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ (١) ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

فنهاهم عن الغلوِّ في دينهم وعن اتِّباع أهواء الذين ابتدعوا بدعًا غيَّروا بها شرع المسيح، فضلَّوا من قَبْلِ هؤلاء الأتباع، وأضلَّوا كثيرًا من هؤلاء الأتباع وغيرهم، وضلَّوا عن سواء السبيل، وهو وسط السبيل، بيَّنَ الضَّلالَ، وقَيَّدَه بعد أن أطلقه وأجْمَله.

وقال تعالىٰ: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]

وقد خرج النَّبيُّ ﷺ لقتالهم بنفسه عام تبوك، واستنفر لقتالهم جميع المؤمنين، لم يأذن لأحدٍ من القادرين علىٰ الغزو في التخلُّف، ومن تخلَّف لأنه لم ير قتالهم واجبًا كان كافرًا، وإن أظهر الإسلام كان منافقًا ملعونًا، بيَّن الله أنه لا يَغْفِر لهم، ونهىٰ نبيَّه عن الصَّلاة عليهم، وأنزل في ذلك جُمهورَ سورة براءة بالنقل المتواتر، حتىٰ بيَّن كفر الذين استأذنوه في ترك الخروج معه لقتال النصارىٰ، فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ

---

(١) مفتتح الآية بـ«قل» وقد جرىٰ المصنف في بعض المواضع علىٰ هذا النحو، يقتصر علىٰ جزء من الآية لاستيفائه موضع الدلالة. وقد نبهت علىٰ هذا لئلا يتوهَّمَ أنه سقط أو خطأ في إيراد الآية.

ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا
وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾
إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا
فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ
سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾
ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ
لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ
بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ
أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ
لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا
يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ
يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ
ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا
زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ
عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ
ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴾ [التوبة: ٣٨ – ٤٨].

فصل

فتبين أن قولهم: «فثبَّت بهذا ما معَنا، نعم، ونفىٰ عن إنجيلنا وكتبنا التي في أيدينا التهمَ والتبديلَ لها والتغييرَ لما فيها بتصديقه إياها».

إن أرادوا به أنه ثبَّت ما جاءت به الأنبياء قبله عن الله فهذا حقٌّ.

وإن أرادوا به أنه ثبَّت ما هم عليه بعد مبعثه من الشَّرع الذي خالف شرعه أو ما ابتدعوه مِمَّا[1] لم يأت به الأنبياء عليهم السلام قبله فهذا باطل.

وإن أرادوا بذلك أنه صدَّق ألفاظ الكتب التي بأيدينا، أي: التَّوراةِ والإنجيل، فهذا مما يُسَلِّمه لهم بعضُ المسلمين، ويُنازِعُهم فيه أكثر المسلمين، وإن كان أكثر ذلك مما يسلِّمه أكثرُ المسلمين.

فأما تحريفُ معاني الكتب بالتَّفسير، والتَّأويل، وتبديل أحكامها، فجميع المسلمين، واليهود، والنصارىٰ يشهدون عليهم[2] بتحريفها وتبديلها، كما يشهدون هم والمسلمون علىٰ اليهود بتحريف كثيرٍ من معاني التَّوراة وتبديل أحكامها، وإن كانوا هم واليهود يقولون: إن التَّوراة لم تُحرَّف ألفاظُها.

وحينئذٍ فلا ينفعهم بقاء حروف الكتب عندهم مع تحريف معانيها، إلا كما ينفع اليهود بقاء حروف التَّوراة والنُّبوات عندهم مع تحريف معانيها، بل جميعُ النُّبوات التي يُقِرُّونَ بها هي عند اليهود، وهم مع اليهود ينفون عنها التُّهم والتبديل لألفاظها، مع أن اليهود عندهم من أعظم الخلق كفرًا واستحقاقًا لعذاب الله في

(١) (و): «ومما».
(٢) (ع): «عليها».

الدنيا والآخرة، وهم عند النصارىٰ الذين يُكَفِّرون المسلمين أكفر[1] من هؤلاء وشرٌّ منهم، فإن النَّصارىٰ متَّفقون علىٰ أن المسلمين خيرٌ من اليهود، وكذلك اليهود متَّفقون علىٰ أن المسلمين خيرٌ من النَّصارىٰ، بل جميع الأمم المخالفين للمسلمين يشهدون أن المسلمين خيرٌ من سائر الأمم و[2]الطوائف إلا أنفسهم، وشهادتُهم لأنفسهم لا تقبل، فصار هذا اتِّفاق أهل الأرض علىٰ تفضيل دين الإسلام.

فعُلِم أن بقاء حروف الكتاب مع الإعراض عن اتِّباع معانيها وتحريفها لا يوجب إيمان أصحابها، ولا يمنع كفْرهم.

وحينئذٍ فليس شهادة محمّدٍ ﷺ وأمّتِه للمسيح عليه السلام ولما أُنزل عليه من الإنجيل في تثبيت ما عند النَّصارىٰ بأعظمَ من شهادة المسيح عليه السلام والحواريِّين وسائرِ[3] من اتَّبعه لموسىٰ ولما أنزل عليه من التَّوراةِ في تثبيت ما عند اليهود؛ فإن المسيح أمر أتباعه باتِّباع التَّوراة إلا القدرَ اليسير الذي نسخه منها.

وأما محمّدٌ ﷺ فبُعث بكتابٍ مستقلٍّ، وشرعٍ مستقلٍّ كاملٍ تامٍّ، لم يحْتَجْ معه إلىٰ شرعٍ سابقٍ تتعلمه أمَّتُه من غيره، ولا إلىٰ شرعٍ لاحقٍ يُكَمِّلُ شرعَه؛ ولهذا قال النَّبيُّ ﷺ في الحديث الصَّحيح: «إنَّه[4] **قَدْ كَانَ فِي الأُمَمِ قَبْلَكَم**

---

(١) المثبت من (و)، وفي سائر النسخ: (أكثر).

(٢) «الأمم و»: من (و) وليست في باقي الأصول.

(٣) (و): «للحواريين ولسائر» (د، ع، ط. النيل): «والحواريين وبسائر» والمثبت من (ي) وهو أنسب للسياق.

(٤) بعدها في جميع النسخ: «قال» وليست في المصادر.

محدَّثون[1]**، فإن يَكُنْ في أُمَّتِي أحَدٌ فعُمَرُ**»[2].

فجَزَم بأنَّ من كان قبله كان فيهم محدَّثون، وعلَّق الأمر في أمَّتِه، وإن كان هذا المعلَّق قد تحقَّق؛ لأن أمَّتَه لا تحتاج بعده إلىٰ نبيٍّ آخر، فَلَأن لا تحتاج معه إلىٰ محدَّثٍ مُلْهَمٍ أوْلىٰ وأحْرىٰ.

وأما مْنَ كان قبله فكانوا[3] يحتاجون إلىٰ نبيٍّ بعد نبيٍّ، فأَمْكَنَ حاجتهم إلىٰ المحدَّثين المُلْهَمِين؛ ولهذا إذا نزل المسيح ابن مريم في أمَّتِه لم يحكم فيهم إلا بشرع محمَّدٍ ﷺ.

وإذا كان مع هذا شهادة المسيح والحواريين وكلُّ من آمن بالمسيح للتَّوراة بأنها حقٌّ، ولموسىٰ بأنه رسولٌ، لا تمنع كفر اليهود؛ لكونهم بدَّلوا شرع التَّوراة، وكذَّبوا بالمسيح وبالإنجيل، فكيف تكون شهادة محمَّدٍ وأمَّتِه للإنجيل بأنه منزَّلٌ من عند الله، وللمسيح بأنه رسول الله مانعةً من كفر النَّصارىٰ، مع تبديلهم شرعَ الإنجيل، وتكذيبهم بمحمَّدٍ ﷺ وشرعِ القرآن؟

وأما إيمان من يؤمن منهم بأن محمَّدًا رسول الله إلىٰ العرب، أو بكثيرٍ مما جاء به القرآن، فلا يمنع كفرَهم إذا كفروا ببعض ما جاء به، بل من كذَّبَ بشيءٍ مما جاءت به الرُّسل عن الله فهو كافر وإن آمن بأكثر ما جاءت به الرسل، كما قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ

---

(١) قال ابن وهب: «تفسير محدَّثون: ملهمون». أورده مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٦٤) عقب هذا الحديث.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦٩)، ومسلم (٢٣٩٨) عن أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما.

(٣) (ط. النيل): «فإنهم كانوا».

وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٥٠] وقال تعالىٰ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥].

وقد صرَّح بكفر النصارىٰ في غير موضعٍ، وأمر بجهادهم وقتالِهم، وحَكَمَ بكفر من لا يوجب جهادَهم وقتالَهم، أو لا يرىٰ ذلك عبادةً لله وطاعةً له، كما تقدم التَّنبيه علىٰ ذلك(١). فإذا كان مَن لا يرىٰ جهادَهم عبادةً لله كافرًا عند محمد ﷺ فكيف حالُهُم هم(٢) عنده ﷺ؟

(١) انظر: (١/ ١٥١-١٥٢، ٤٠٩).

(٢) «هم» ساقطة من (المطبوع).

فصل

وإذا تبين للخاصَّة والعامَّة مِمَّن آمن بمحمَّدٍ ﷺ ومن كفر به أنه كان مصدِّقًا لما بين يديه من الكتب والأنبياء، مصدِّقًا للتَّوراة والإنجيل، شاهدًا بأن موسىٰ عليه السلام ومن كان متَّبعًا له علىٰ الحقِّ، وأن المسيح عليه السلام ومن اتَّبعه علىٰ الحقِّ، وإن[1] كان يُكَفِّرُ جميعَ اليهود والنصارىٰ وغيرِهم ممن بلغته رسالتُه ولم يؤمن به، وشهد عليهم بأنهم حرَّفوا كثيرًا من معاني التَّوراة والإنجيل قبل نبوَّته، وأنَّ أهل الكتاب كلَّهم مع المسلمين يشهدون أيضًا بأن كثيرًا من معاني التَّوراة والإنجيل حرَّفها كثيرٌ من أهل الكتاب= لم يجُزْ لأحدٍ من أهل الكتاب أن يحتجَّ بقول محمَّدٍ ﷺ علىٰ صحَّة دينهم الذي شهد محمَّدٌ ﷺ بأنه باطلٌ مبدَّلٌ منسوخ، وأهله من أهل النار، كما تقدم بسطه[2].

وإذا قالوا: نحن نذكر ذلك لنُبيِّنَ تناقُضَه حيثُ صدَّقَها وهي تُناقض بعضَ ما أخبر به، أو لنبيِّن أنّ ما أخبرت به الأنبياء قبله يناقض خبره، فيكون ذلك قدحًا فيما جاء به.

أجاب المسلمون عن هذا بعدة طرق:

أحدها: أن يقولوا: أمَّا مناقضة بعض خبره لبعضٍ كما يزعمه هؤلاء؛ من أن[3] كتابه يَمْدح أهل الكتاب مرَّةً ويذُمُّهم أخرىٰ، وأنه يصدِّق الكتب المنزَّلة تارةً، ويذمُّها أخرىٰ، فهذا قد ظهر بطلانه؛ فإنه إنما مدَحَ من اتَّبع موسىٰ والمسيح علىٰ الدِّين الذي لم يبدَّل ولم ينسخ.

---

(١) أشير في هامش (و) بقوله: لعله «محمدًا». فتكون العبارة: «وإن محمدًا كان يكفر...».

(٢) انظر: (١/ ٤٥، ٢٧٤).

(٣) (ي): «أهل» كذا.

وأما من اتبع الدِّين المبدَّل المنسوخ فقد كفَّره.

فأما دعواهم مناقضةَ خبره لخبر غيره فيقال: هو مصدِّقٌ للأنبياء فيما أخبروا به.

وأما ما بُدِّل من ألفاظهم أو غُيِّر[1] بالترجمة أو فُسِّر بغير مرادهم فلم يصدِّقه.

ويقال أيضًا: إن نبوَّة محمَّدٍ ﷺ تَثْبُت[2] بمثل ما تَثْبُت به نُبُوَّات الأنبياء قبله وبأعظم من ذلك، كما قد بُسِط في موضعٍ آخر[3] وبُيِّنَ أن التكذيب بنبوة محمد ﷺ مع التصديق بنبوة غيره في غاية التناقض والفساد، وأنه ما من طريق يُعْلَمُ بها نبوَّةُ غيره إلا ونبوَّتُه تُعلم بمثل تلك الطريق وبأعظمَ منها، فلو لم تكن نبوَّته وطريق ثبوتها[4] إلا مثلَ نبوَّةِ غيره وطريقِ ثبوتها[5] لوجب التصديق بنبوَّتِه، كما وجب التصديق بنبوَّة غيره، ولكان تكذيبه كتكذيب إبراهيم وموسىٰ وغيرِهما من الرُّسل، فكيف إذا كان ذلك أعظمَ من وجوهٍ متعددة؟

وحينئذٍ فالأنبياء كلهم صادقون مصدوقون[6] معصومون فيما يخبرون به[7] عن الله، لا يجوز أن يَثْبُتَ في خبرهم عن الله خبرٌ باطلٌ لا عمدًا ولا خطأً، فلا يجوز أن يُخْبِرَ أحدُهُم بخلاف ما أَخْبَرَ به غيرُه، بل ولا يفترقون في الدين

---

(١) (ع، ط.النيل): «غيرها».

(٢) (ط. النيل): «ثبتت»، (ي، د): بلا نقط.

(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٠١).

(٤) المثبت من (و)، وسائر النسخ «بطريق نبوتها».

(٥) (د، ي، ع): «نبوتها» (ط.النيل) «نبواتها».

(٦) (المطبوعتان): «مصدقون».

(٧) «به» من (و) وليست في باقي النسخ.

الجامع، كما قال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورىٰ: ١٣] وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥١ - ٥٣].

وإنما يقع النسْخ في بعض الشَّرائع كما يقع النسْخ في شريعة الرسول الواحد، وحينئذٍ فيُعْلَمُ أن كلَّ ما يُنقَلُ عن الأنبياء المتقدِّمين ممَّا يناقض ما عُلِم من إخبار محمدٍ ﷺ فهو باطلٌ، سواءٌ كان اللَّفظ نفسه باطلًا لم يقلْه ذلك النبيُّ، أو قد قال لفظًا وغلط المترجمون له من لغةٍ إلىٰ لغة، أو كان اللَّفظ وترجمته صحيحين لكن وقع الغلط في معرفة مراد ذلك النبيِّ[1] بذلك الكلام.

فإنَّ كلَّ ما يُحتَجُّ به من الألفاظ المنقولة عن الأنبياء؛ أنبياءِ بني إسرائيل وغيرهم مِمَّن أُرْسِل بغير اللَّغة العربيَّة لا بدَّ في الاحتجاج بألفاظه من هذه المقدِّمات: أن يُعلمَ اللفظُ الذي قاله، ويُعْلَمَ تَرجمتُه، ويُعلمَ مرادُه بذلك اللَّفظ.

والمسلمون وأهلُ الكتاب متَّفقون علىٰ وقوع الغلط في تفسير بعض الألفاظ وبيان مراد الأنبياء بها، وفي ترجمة بعضها، فإنك تجد بالتَّوراة عدَّةَ نسخٍ مترجمةٍ وبينها فروقٌ يختلف بها المعنىٰ المفهوم، وكذلك في الإنجيل وغيره.

فهذا الطَّريق في الجواب طريقٌ عامٌّ لكلِّ من آمن بمحمَّدٍ ﷺ وشهد أنه رسول الله باطنًا وظاهرًا، يخاطَب به كلُّ يهوديٍّ ونصرانيٍّ علىٰ وجه الأرض، وإن لم يكن عارفًا بما عند أهل الكتاب؛ فإنه لا يقدر أحدٌ من أهل الأرض

(١) (ي، ع): «الشيء».

أن[1] يقيم دليلًا صحيحًا علىٰ نبوَّة موسىٰ وعيسىٰ وبطلان نبوة محمَّدٍ ﷺ، فإنَّ هذا ممتنعٌ لذاته، بل ولا يمكنه أن يقيم دليلًا صحيحًا علىٰ نبوَّة أحدهما إلا وإقامةُ مثلِ ذلك الدَّليلِ أو أعظمَ منه علىٰ نبوَّة محمَّدٍ ﷺ أولىٰ، وحينئذٍ فلا يمكن أحدًا من أهل الكتاب أن يحتجَّ بشيءٍ من المنقولات عن الأنبياء المخالفة لما ثبت عن محمَّدٍ ﷺ، سواءٌ أقرَّ بنبوَّته أو أنكرها، بل إن احتجَّ بشيءٍ ممَّا نُقِل عن محمَّدٍ ﷺ بُيِّنَ له بطلانُ احتجاجه به، وأنه حجةٌ عليه لا له.

وإن احتجَّ بشيءٍ من المنقول عن غيره من الأنبياء عليهم السلام طولِب بتقدير نبوَّة ذلك النَّبيِّ مع تكذيب محمَّدٍ ﷺ، وإلا فبتقدير أن يُنقل عن اثنين ادَّعيا النُّبوَّة، وأتَيا بالآيات التي تَثْبُتُ بها النُّبوَّات خبَرَان مناقِضَان، لا يجوز تصديق هذا وتكذيب ذاك إن لم يتبيَّن ما يدلُّ علىٰ صدق هذا وكذب هذا، وكذلك إذا عورض أحدُهما بجنس ما يعارَض الآخر.

وهذا لا يَرِدُ علىٰ المسلمين إذا رَدُّوا ما يَحتَجُّ به أهل الكتاب ممَّا ينقلونه عن الأنبياء مخالفًا لخبر محمَّدٍ ﷺ؛ فإنَّ المسلمين لا يطعنون في نبوَّة أحدٍ من الأنبياء المعروفين، وإنما يطْعنون في أنهم أَخْبَرُوا بما يخالِف خبرَ محمَّدٍ ﷺ، فإن ذلك لا يثبت، أي: لم يثبت اللَّفظ والتَّرجمة وتفسير اللَّفظ.

وهذه المقدِّمات يمتنع أن تقوم علىٰ شيءٍ يخالف خبر محمَّدٍ ﷺ لا جملةً ولا تفصيلًا. **فأهل الكتاب يطالَبون فيما يعارِضونَ به بثلاث مقدمات.**

أحدها: تقدير أن أولئك صادقون، ومحمّدٌ ﷺ كاذب.

والثاني: ثبوت ما أتوا به لفظًا.

---

(١) كتبت «أن» فوق السطر في (ع) بقلم مغاير. وليست في سائر النسخ.

والثالث: معرفة المراد باللفظ ترجمة وتفسيرًا.

وإن قال الكتابيُّ للمسلم: أنت توافقني علىٰ نبوَّة هؤلاء المتقدِّمين؟

أجابه المسلم بوجوه:

منها أن يقول: إني لم أوافقك علىٰ نبوَّة واحدٍ منهم مع التكذيب بمحمّدٍ ﷺ، بل دين المسلمين كلِّهم أنه من آمن ببعضِ الأنبياء وكفر ببعضٍ فهو كافر، فكيف بمن كَفَرَ بمن هو عند المسلمين أفضلُ الأنبياء وخاتمُهم؟! بل قد يقول له أكثر المسلمين: نحن لم نعلم نبوَّة أولئك إلا بإخبار محمَّدٍ أنهم أنبياء، فلو قدحنا في الأصلِ الذي قد علمنا[1] به نبوَّتهم لزم القدح في نبوَّتهم، والفرع إذا قُدِحَ في أصله دلَّ علىٰ فساده في نفسه سواء؛ قُدِّرَ أصْلُه صحيحًا أو فاسدًا، فإنه إن كان أصلُه فاسدًا فسد هو، وإن كان أصْله صحيحًا وهو يناقضه بطل هو[2]، فهو إذا ناقَضَ[3] أصْلَه= باطلٌ علىٰ كل تقدير.

وكذلك إذا قال له الكتابيُّ: قد اتَّفقنا علىٰ تصديق موسىٰ والتَّوراة أو[4] المسيح والإنجيل.

قال له المسلم: إنَّما وافقتك علىٰ تصديق موسىٰ وعيسىٰ اللَّذَيْنِ بَشَّرا بمحمَّدٍ ﷺ كما أخبرنا به محمَّدٌ ﷺ عن الله، حيث قال الله تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾

---

(١) (ي): «علمت».

(٢) «فإنه إن كان أصله... بطل هو». العبارة مكررة في (المطبوع).

(٣) بعدها في (ع) «من». وبعدها في (و): «بان». وقد أشار إليها في الهامش بقوله: «كأنها زائدة، أو تكون «بان» ماضي «تبين» بمعنىٰ: ظهر، وتكون أنّ ولكن سقطت. والله أعلم».

(٤) (و): «و» بدل: «أو».

[الأعراف: ١٥٦ - ١٥٧] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] إلىٰ أمثال ذلك.

فأما الإيمان بموسىٰ الذي ذَكَرَ أن شريعتَه مؤبَّدةٌ(١) لا يُنسخ منها شيء، أو بمسيح ادَّعىٰ أنه الله، أو أن الله اتَّحد به أو حلَّ فيه، ونحو ذلك مما يدَّعيه أهل الكتاب في الرَّسولين والكتابين، ويخالفهم فيه المسلمون، فهذا من موارد النِّزاع لا من مواقع الإجماع، فليس لأحدٍ من أهل الكتاب أن يحتجَّ علىٰ أحدٍ من المسلمين بموافقته له علىٰ ذلك.

ومن تمام ذلك أن يقول المسلم: نعم أنا أُقِرُّ بنبوَّة موسىٰ والمسيح، وأن التَّوراة والإنجيل كلامُ الله، لكن يمتنع عقلًا الإقرارُ بنبوَّة واحدٍ من هؤلاء دون نبوَّة محمَّدٍ ﷺ، فإن البراهين والآيات والأدلَّة الدَّالة علىٰ صدق موسىٰ والمسيح تدلُّ علىٰ نبوَّة محمَّدٍ ﷺ بطريق الأولىٰ، فلو انْتَقَضَتْ تلك الأدلةُ لزم فسادُها، وأن لا أُصَدِّقَ بأحدٍ من الأنبياء، وإن كانت حقًّا لزم تصديقُهم كلِّهم، فلزم إما أن نُصَدِّقهم كلَّهم، وإما أن نُكَذِّبهم(٢) كلَّهم، ولهذا كان من آمن ببعضٍ، وكذَّب ببعضٍ كافرًا.

ومن الأجوبة للمسلمين أن يقولوا: نحن نُصدِّق الأنبياء المتقدِّمين في كلِّ ما أخبروا به، لكن مَن نقل عنهم أنهم أخبروا بما يناقِض خبر محمَّدٍ ﷺ فلا بُدَّ

---

(١) في (المطبوع): «مؤيدة»، خطأ.

(٢) (د، ع، ط.النيل): «فلزم أن أصدقهم كلهم، وإما أن أكذبهم» بدل: «فلزم إما أن نصدقهم كلهم وإما أن نكذبهم».

له من مقدِّمتين: ثبوتُ ذلك اللَّفظ عن الأنبياء، والعلمُ بمعناه الذي يعلم أنه مناقضٌ للمعنىٰ الذي عُلِمَ أن محمَّدًا ﷺ عناه.

ثم العلم باللَّفظ يحتاج مع الخطاب بغير ألسن الأنبياء العربيَّة، سواء كانت عَربيَّةً، أو رُوميَّةً، أو سُرْيانيَّةً، أو قِبطيَّةً، إلىٰ أن يُعرف أن هذا اللَّفظ الذي تُرجم به لفظُه مطابقٌ للفظه، ويمتنع ثبوت المقدِّمتين؛ لأن في ثبوتهما تَنَاقُضَ الأدلَّة العلمِيَّة، والأدلَّةُ العلميَّةُ لا تتناقض.

الطريق[1] **الثاني**: أن يقول المسلمون: ما تذكرونه من المنقول عن الأنبياء مناقَضَةً لما أخبر به محمَّدٌ ﷺ أمورٌ لم تُعْلَم صحَّتُها، فلا يجوز اعتقاد ثبوتها والجزم بها، ولو لم يُعْلَم أن محمّدًا ﷺ أخبر بخلافها، فكيف إذا عُلِم أنه أخبر بخلافها؟ **وذلك أن العلمَ بثبوتها مبنيٌّ علىٰ مقدِّماتٍ**:

أحدها[2]: العلم بنبوَّتِهم، وهذا ممتنعٌ مع تكذيب محمَّدٍ ﷺ.

والثَّانية: أنهم قالوا هذه الألفاظ، وهذا يحتاج إلىٰ إثبات تواتُر هذه الألفاظ عن الأنبياء، ولم يثْبُت أنها تواترت عنهم.

والثَّالثة: أنَّ معناها هو المعنىٰ المناقِضُ لخبر محمَّدٍ ﷺ، ولم يُعلم ذلك.

وكلُّ واحدةٍ من هذه المقدِّمات تَمنع العلم بثبوت هذه المعاني المناقضةِ لخبر محمَّدٍ ﷺ، فكيف إذا اجتمعت؟! وهي تمنع العلمَ بصحَّتها ولو لم تُناقِض خبر محمَّدٍ ﷺ، فكيف إذا ناقضته؟!

---

(١) «الطريق» ليست في (د، ع).

(٢) كذا في الأصول، والوجه: «إحداها».

الطَّريق الثَّالث: طريق من يُبيِّنُ[1] أنَّ ألفاظ هذه الكتبِ لم تتواتر، ويثبتون ذلك بانقطاع تواتر التَّوراة[2] لما خُرِّبَ بيتُ المقدس، وانقطاعِ تواتر الإنجيل في أول الأمر.

الطَّريق الرَّابع: طريق من يُبيِّنُ أنَّ بعض ألفاظ الكتب حُرِّفت، ويقيمُ الأدلَّة الشَّرعيَّة والعقليَّة علىٰ تبديل بعض ألفاظها.

الطَّريق الخامس: أن يُبيِّن أنَّ الألفاظ التي بأيديهم لا تُناقِضُ ما أخبر به محمّدٌ ﷺ، بل تدلُّ علىٰ صدق محمَّدٍ ﷺ، ويتكلَّم علىٰ تفسيرِ تلك الألفاظ بأعيانها.

وهذه الطَّريق يسْلكها من لا ينازع في ثبوت الألفاظ من المسلمين.

وأما الجمهور الذين يقولون بتبديل هذه الألفاظ فيسلكون هذه الطريق[3]، ويسلكون أيضًا بيانَ عدم تواتر الألفاظ، بل بيانَ التَّبديلِ في ألفاظها.

---

(١) (د، ع، ط.النيل): «يتبيّن».

(٢) بعدها في (جميع النسخ): «وبسط الأمر»، (ي): «وفي بسط الأمر»، وأشير إليها في هامش(و) بحرف (ظ) والظاهر أنها مقحمة هنا. وسيأتي موضعها قريبًا.

(٣) (د): «الطرق».

فصل[1]

ومن حُجَّةِ الجمهور الذين يمنعون أن تكون جميعَ ألفاظِ هذه الكتب المتقدِّمة الموجودةِ عند أهل الكتاب منزَّلةً من عند الله لم يقع فيها تبديل، ويقولون: إنه وقع التبديل في بعض ألفاظها، أو[2] يقولون: إنه لم يُعلم أن ألفاظها منزلةٌ من عند الله، فلا يجوز أن يُحْتَجَّ بما فيها من الألفاظ في معارضة ما عُلِم ثبوته= أنهم قالوا: التَّوراة والإنجيل الموجودة اليوم بيد أهل الكتاب لم تتواتر عن موسىٰ وعيسىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، أما التَّوراة فإنَّ نقْلها انقطَع لما خُرِّبَ بيتُ المقدس أولًا، وأُجليَ منه بنو إسرائيل، ثم ذكروا أن الذي أملاها عليهم بعد ذلك شخصٌ واحدٌ يقال له: عازر[3]، وزعموا أنه نبيٌّ.

ومن النَّاس من يقول: إنه لم يكن نبيًّا، وإنها قوبلت بنسخةٍ وجِدت[4] عتيقة.

---

(١) بياض في (د).

(٢) (و): «و» بدل: «أو».

(٣) (المطبوع): «عزرا» خلافًا للأصول. وجاء اسمه في «الكتاب المقدس» عندهم، كما في الإصحاح السابع من سفره: «عزرا بن سرايا بن عزريّا. كان عظيم الكهنة وهو كاتب ماهر في شريعة موسىٰ» اهـ.
وكان من أمر عزرا أنه لما استولىٰ بختنصر علىٰ بيت المقدس، «رأىٰ أن القوم قد أحرق هيكلهم وزالت دولتهم وتفرَّق جمعهم ورفع كتابهم، فجمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفَّق منه هذه التوراة التي بأيديهم، ولذلك بالغوا في تعظيمه غاية المبالغة، وزعموا أن النور إلىٰ الآن يظهر علىٰ قبره عند بطائح العراق، لأنه عمِل لهم كتابا يحفظ دينهم، فهذه التوراة التي بأيديهم علىٰ الحقيقة كتاب عزرا وإن كان فيها أو أكثرها من التوراة التي أنزلها الله علىٰ موسىٰ». انظر: «هداية الحيارىٰ» (ص٢٤٨).

(٤) (د، ع، ط.النيل): «وجدوها».

وقد قيل: إنه أحضرت نسخة كانت بالمغرب، وهذا كلُّه لا يوجب تواتر جميع ألفاظها، ولا يمنع وقوعَ الغلط في بعضها؛ كما يجري مثل ذلك في الكتب التي يلي نسخَها ومقابلتَها وحفظَها القليلُ: الاثنان والثلاثة.

وأما الإنجيل الذي بأيديهم فهم معترفون بأنه لم يكتبه المسيح عليه السلام ولا أملاه علىٰ مَن كَتَبه، وإنما أمْلَوْه بعد رفع المسيح: «متَّىٰ ويوحنَّا»، وكانا قد صحبا المسيح - ولم يحفظه خلقٌ كثيرٌ يبلغون عدد التواتر - و«مرقس ولوقا»، وهما لم يريا المسيح عليه السلام.

وقد ذكر هؤلاء أنهم ذكروا بعض ما قاله المسيح وبعضَ أخباره، وأنهم لم يستوعبوا ذِكْر أقواله وأفعاله.

ونقْلُ اثنين، وثلاثة، وأربعة يجوز عليه الغلط، لا سيَّما وقد غلطوا في المسيح نفسه حتىٰ اشتبه عليهم بالمصلوب.

ولكنَّ النصارىٰ يزعمون أن الحواريِّين رسلُ الله مثلُ إبراهيم[1] وموسىٰ عليهما السلام، وأنهم معصومون، وأنهم سَلَّموا إليهم التَّوراة والإنجيل، وأن لهم معجزات، وقالوا لهم: هذه التَّوراة وهذا الإنجيل، ويُقِرُّون مع هذا بأنهم ليسوا بأنبياء، فإذا لم يكونوا أنبياء فمن ليس بنبيٍّ ليس بمعصومٍ من الخطأ ولو كان من أعظم أولياء الله، ولو كان له خوارقُ عادات، فأبو بكرٍ وعمرُ وعثمان وعليٌّ وغيرهم من أفاضل الصحابة عند المسلمين أفضلُ من الحواريِّين، ولا معصوم عندهم إلا مَن كان نبيًّا.

ودعوىٰ أنهم رسل الله مع كونهم ليسوا بأنبياء تناقُض، وكونهم رُسُل الله

(١) (د، ع): «ابن مريم» بدل: «إبراهيم»، (المطبوعتان): «عيسىٰ بن مريم». وهو خطأ، إذ ابن مريم عندهم هو الله، والحواريون رسله، فهم بمنزلة رسل الله كإبراهيم وموسىٰ وغيرهما.

هو مبنيٌّ علىٰ كون المسيح هو الله، فإنهم رُسُل المسيح، وهذا الأصل باطل، ولكن في طريق المناظرة والمجادلة بالتي هي أحسن نمنعهم في هذا المقام ونطالبهم بالدليل علىٰ أنهم رُسُل الله، وليس لهم علىٰ ذلك دليل؛ فإنه لا يَثْبُتُ أنهم رسل الله إن لم يَثْبُتْ أن المسيح هو الله.

وإثباتهم أن المسيح هو الله إما أن يكون بالعقل أو بالسمع، والعقل لا يُثْبِتُ ذلك بل يُحِيْلُه[1]، وهم لا يدَّعون ثبوت ذلك بالعقل، بل غاية ما يدَّعون إثبات إمكانه بالعقل، لا إثبات وجوده، مع أن ذلك أيضًا باطل، وإنما يدَّعون ثبوت[2] وجوده بالسَّمع، وهو ما ينقلونه عن الأنبياء من ألفاظٍ يدَّعون ثبوتَها عن الأنبياء، ودلالتَها علىٰ أن المسيح هو الله، كسائر من يحتجُّ بالحجَّة السَّمعية، فإن غايتهم[3] بيان صحَّة الإسناد[4] دون بيان دلالة المتن، وكلا المقدمتين باطلة.

ولكن يقال لهم في هذا المقام: أنتم لا يمكنكم إثباتُ كونِ المسيح هو الله إلا بهذه الكتب، ولا يمكنكم تصحيح هذه الكتب إلا بإثبات أن الحواريِّين رُسُل الله معصومون، ولا يمكنكم[5] إثباتُ أنهم رسل الله إلا بإثبات أن المسيح هو الله، فصار ذلك دورًا ممتنعًا.

فإنه لا تُعلَم إلهيَّة المسيح إلا بثبوت هذه الكتب، ولا تثبت هذه الكتب إلا بثبوت أنهم رسل الله، ولا يثبت ذلك إلا بثبوت أنه الله، فصار ثبوت الإلهية

---

(١) (د، ع): «بحيلة».

(٢) «ثبوت» ليست في (ع).

(٣) المثبت من هامش (و)، وفي سائر النسخ: «عامة».

(٤) في أصل (و): «الأشياء» وكتب في الهامش: لعله: «الإسناد».

(٥) (ي، د، ع، ط.النيل): «يمكنهم».

متوقفًا علىٰ ثبوت إلهيته، وثبوت كونهم رسل الله متوقفًا علىٰ كونهم رسل الله، فصار ذلك دَورًا ممتنعًا.

وقد يدَّعون عصْمة الحوارِيِّين وعِصْمةَ أهلِ المجامع[1] بعد الحواريِّين، كأهلِ المَجْمَعِ الأوَّلِ الذي كان بحضْرة قُسْطَنطين، الذي حضره ثلاثُمائةٍ وثمانيةَ عشر، ووضعوا لهم «الأمانة»[2] التي هي عقيدة النَّصارىٰ، التي لا يصحُّ لهم قربانٌ إلا بها، فيزعمون أن الحواريِّين، أو هؤلاء جرت علىٰ أيديهم خوارق، وقد يذكرون أنَّ منهم من جرىٰ إحياء الموتىٰ علىٰ يديه.

وهذا إذا كان صحيحًا -مع أن صاحبه لم يذكر أنّه نبيٌّ- لا يدلُّ علىٰ عصمته؛ فإن أولياء الله من الصَّحابة والتَّابعين بعدهم بإحسانٍ، وسائر أولياء الله من هذه الأمة وغيرها لهم من خوارق العادات ما يطول وصفه، وليس فيهم معصومٌ يجب قبول كل ما يقول، بل يجوز الغلط علىٰ كلِّ واحدٍ منهم، وكلُّ أحدٍ يؤخذ من قوله ويترك إلا الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ ولهذا أوجب الله الإيمان بما أوتِيَتْه الأنبياء، ولم يوجب الإيمان بكل ما يقوله كلُّ وليٍّ لله.

قال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ [البقرة: ١٣٦] وقال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧] ولهذا وجب الإيمان بالأنبياء جميعهم وما أوتوه كلهم.

---

(١) انظر تفصيل ابن القيم لهذه المجامع في «هداية الحيارىٰ» حيث صدّر كلامه بقوله (ص٣٨٦): «ونحن نذكر الأمر كيف ابتدأ، وتوسَّط، وانتهىٰ، حتىٰ كأنَّك تراه عيانًا».
(٢) تقدّمت الإشارة إلىٰ هذه الأمانة. انظر: (١/ ١٧٣، ٢٥٣).

ومن كذَّب نبيًّا واحدًا تُعلَم نبوَّتُه فهو كافرٌ باتِّفاق المسلمين، ومن سبَّه وجب قتله كذلك، بخلاف من ليس بنبيٍّ فإنه لا يكفُر أحدٌ بمخالفته ولا يقتل بمجرَّد سبِّه إلا أن يقْترن بالسبِّ ما يكون مبيحًا للدم.

والذي عليه سلف الأُمَّة كالصَّحابة، والتابعين لهم بإحسان، وأئمَّة الدِّين، وجماهير المسلمين: أنّ أفضل هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكرٍ، ثم عمر، وليس بعد الأنبياء أفضل منهما، وهذه الأمَّة أفضل الأمم، وقد ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «**قَدْ كَانَ قَبْلَكُم فِي الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، فَإِن يَكُنْ فِي أُمَّتِي أَحدٌ فَعُمَرُ**»[1]. والمُحَدَّث: المُلهَم المخاطَب.

وكان عُمَرُ قد جعل الله الحقَّ علىٰ قلبه ولسانه، وما كان يقول لشيءٍ «إني لأراه كذا وكذا» إلا كان كما يقول، وكانت السَّكينة تنطق علىٰ لسانه، ومع هذا فلم يكن لا هو ولا غيره - ممَّن ليس بنبيٍّ - معصومٌ[2] من الغلط، ولا يجب علىٰ المسلم قبولُ ما يقولُه إن لم يدلَّ عليه الكتاب والسنة، ولا كان يجوز له العمل بما يُلقىٰ في قلبه إن لم يعرضْه علىٰ الكتاب والسُّنَّة، فإن وافق ذلك قَبِلَه، وإن خالف ذلك ردَّه.

وعند المسلمين أنه ليس في أتْباعِ المسيح عليه السلام مثلُ أبي بكرٍ وعمر رضوان الله عليهما، فإذا قالوا عن الحواريِّين: إنهم ليسوا معصومين. فهم يقولون ذلك فيمن هو عندهم أفضلُ من الحواريِّين، كما أنهم إذا قالوا عن المسيح: إنه عبدٌ مخلوقٌ ليس بإله. فهم يقولون ذلك فيمن هو عندهم أفضلُ من المسيح، كمحمَّدٍ وإبراهيم، عليهما أفضل الصلاة والسلام.

---

(١) تقدّم تخريجه (٢/ ١١).

(٢) كذا في الأصول، والوجه: النصب.

وفي الملاحدة المنتسبين إلىٰ الأمَّة مَن فيه بدع من الغلو يشبه غلو النصارىٰ، كمن يدَّعي الإلهيَّةَ من الإسماعيليَّةِ[1] كبني عُبيدٍ القَدَّاح[2] كالحاكم[3] وغيره، أو من[4] يدَّعي الإلهيَّةَ في علي بن أبي طالبٍ أو غيره كدعوىٰ النُّصَيْرِيَّة[5]، وهؤلاء كفارٌ عند المسلمين.

وكذلك من يدَّعي الإلهيَّةَ في بعض المشايخ كغُلاة العَدَوِيَّة[6]، والحَلَّاجِيَّةِ[7]، واليُونُسِيَّة[8]، وغيرهم، وكذلك من يدَّعي عصمة بني عُبيدٍ، أو عصمة الاثني عشر، أو عصْمة بعض المشايخ، فإن النَّصارىٰ يدَّعون عصمة

---

(١) نسبة إلىٰ إسماعيل بن جعفر الصَّادق، فرقةٌ من فِرَقِ الإماميّة، يزعمون أن الإمامة صارت من جعفر إلىٰ ابنه إسماعيل، وكذَّبهم في هذه المقالة جميع أهل التواريخ، لما صح عندهم من موت إسماعيل قبل أبيه جعفر، يقولون بكفر من خالف عليًا، وهي من الفرق الباطنية الذين يرون أن للقرآن باطنًا لا يعرفه إلا الأئمة.
انظر: «التنبيه والرد علىٰ أهل الأهواء والبدع» (ص٣٢)، «الفصل في الملل» (٢/ ٩١)، «التبصير في الدين» (ص٣٨).

(٢) نسبة إلىٰ عبيد الله، أبو محمد، أول من قام من الخلفاء الخوارج العبيديَّة الباطنيَّة الذين قلبوا الإسلام، وأعلنوا بالرَّفض، وأبطنوا الكفر، فهم «قرامطةٌ باطنيَّة» الذين منهم الإسماعيلية والنصيرية. وادعىٰ هذا أنه فاطمي من ذرية جعفر الصادق، وما زالت علماء الأمة المأمونون علمًا ودينًا يقدحون في نسبهم ودينهم.
انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣٥/ ١٣١) «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ١٤١).

(٣) تقدّم ذكره (١/ ٢٧).

(٤) (و): «ويدعي»، (ي): «أو يدّعي».

(٥) تقدّم ذكرهم (١/ ٢٧).

(٦) نسبة إلىٰ عدي بن مسافر. تقدّم ذكره (١/ ٤٨٢).

(٧) نسبة إلىٰ الحسين الحلاج. تقدّم ذكره (١/ ٢٧).

(٨) أتباع يونس بن يوسف بن مساعد الشيباني، المخارقي، القنيي، شيخ الطائفة اليونسية، صوفيَّةٌ من أولي الشّطح، وقلَّة العقل. انظر: «تاريخ الإسلام» (٤٤/ ٤٧١).

الحواريِّين الاثْني عشر، وهؤلاء يدَّعون عصمة الأئمَّة الاثْنيْ عشر.

وهؤلاء يسندون أصل دينهم إلىٰ قول الحواريِّين المعصومين عندهم، ويقولون: إنهم معصومون في النَّقل عن المسيح وفي الفتيا، وإنَّ ما قالوه فقد قاله المسيح عليه الصلاة والسلام.

وهؤلاء يقولون عن أولئك: إنهم معصومون في النَّقل والفُتْيا، وإنَّ ما قالوه فقد قاله الرسول ﷺ.

وهذا مبسوطٌ في موضعٍ آخر(١).

والمقصود هنا أنه ليس مع النَّصارىٰ نقلٌ متواترٌ عن المسيح بألفاظ هذه الأناجيل، ولا نقلٌ لا متواترٌ ولا آحادٌ بأكثر ما هم عليه من الشرائع، ولا عندهم ولا(٢) عند اليهود نقلٌ متواترٌ بألفاظ التَّوراة ونبوَّات الأنبياء كما عند المسلمين نقلٌ متواترٌ بالقرآن، وبالشَّرائع الظَّاهرة المعروفة للعامَّة والخاصَّة.

وهذا مثل «الأمانة» التي هي أصل دينهم، وصلاتهم إلىٰ الشَّرق، وإحلال الخنزير، وترك الختان، وتعظيم الصَّليب، واتخاد الصُّور في الكنائس، وغير ذلك من شرائعهم، ليست منقولةً عن المسيح، ولا لها ذِكْرٌ في الأناجيل التي ينقلونها عنه.

وهم متَّفقون علىٰ أن «الأمانة» التي جعلوها أصْل دينهم، وأساسَ اعتقادهم، ليست ألفاظها موجودةً في الأناجيل، ولا هي مأثورةٌ عن الحواريِّين،

---

(١) انظر ما تقدّم (١/ ٣٠٠)، ومنهاج السنة (٦/ ١٨٧).

(٢) «لا» ليست في (د، ع).

وهم متَّفقون علىٰ أن الذين[1] وضعوها أهلُ المَجْمَع الأوّلِ الذين كانوا عند قُسْطَنطين الذي حضره ثلاثُمائةٍ وثمانيةَ عشر، وخالفوا عبد الله بن أريوس[2] الذي جعل المسيح عبدًا لله كما يقوله المسلمون، ووضعوا هذه «الأمانة».

وهذا المَجْمَع كان بعد المسيح بمدةٍ طويلةٍ تزيد علىٰ ثلاثِمائةِ سنة، وبَسْطُ هذا[3] له موضعٌ آخر[4].

وإنما المقصود هنا الجواب عن قولهم: «إن محمدًا ﷺ ثبَّت ما معهم، وأنه نفىٰ عن إنجيلهم وكتبهم التي بأيديهم التُّهَم والتَّبديل لها والتغييرَ لما فيها بتصديقه إياها».

وقد تبيَّن أن محمَّدًا ﷺ لم يصدِّق شيئًا من دينهم المبدَّل والمنسوخ، ولكن صدَّق الأنبياء قبله وما جاءوا به، وأثنىٰ علىٰ من اتَّبعهم، لا علىٰ من خالفهم، أو كذَّب نبيًّا من الأنبياء، وأنَّ كفر النَّصارىٰ من جنس كفر اليهود؛ فإن اليهود بدَّلوا معاني الكتاب الأول، وكذَّبوا بالكتاب الثاني وهو: الإنجيل، وكذلك النَّصارىٰ بدَّلوا معاني الكتاب الأول: التَّوراة والإنجيل، وكذَّبوا بالكتاب الثاني وهو: القرآن، وأنهم ادَّعوا أن محمَّدًا ﷺ صدَّق بجميع ألفاظ

---

(١) (د، ي، ع): «الذي».

(٢) كان بطريرك الإسكندرية، من قوله: التوحيد المجرد، وأن عيسىٰ عليه السلام عبدٌ مخلوق، وأنه كلمة الله التي بها خلق السموات والأرض، مخلوق قبل خلق العالم، وهو خالق الأشياء. وكان في زمن قسطنطين الأول، وأول من تنصَّر من ملوك الروم. انظر: «الفصل في الملل» (١/ ٤٧)، «الملل والنحل» (٢/ ٣٢).

(٣) «هذا» ساقطة من (ي، د، ع)، (ط.النيل): «وبسطه له».

(٤) انظر ما تقدّم (١/ ١٧٢)، وما سيأتي (٢/ ٣٩٢)، (٣/ ٢٩١).

الكتب التي عندهم.

فجمهور المسلمين يمنعون هذا، ويقولون: إن بعض ألفاظها بُدِّل كما قد بُدِّل كثيرٌ من معانيها.

ومن المسلمين من يقول: التَّبديل إنما وقع في معانيها لا في ألفاظها[١]. وهذا القول يُقِرُّ به عامَّة اليهود والنَّصارىٰ.

وعلىٰ القولين فلا حُجَّة لهم في تصديق محمَّدٍ ﷺ لما هم عليه من الدِّين الباطل؛ فإن الكتب الإلهيَّةَ التي بأيديهم لا تدلُّ علىٰ صحَّة ما كفَّرهم به محمّدٌ ﷺ وأمَّتُه، مثل التثليث، والاتحاد[٢]، وتغيير شريعة المسيح، وتكذيب محمَّدٍ ﷺ.

فليس في الكتب التي بأيديهم ما يدل -لا نصًّا ولا ظاهرًا- علىٰ «الأمانة» التي هي أصل دينهم، وما في ذلك من التثليث، والاتحاد، والحلول، ولا فيها ما يدلُّ علىٰ أكثر شرائعهم، كالصَّلاة إلىٰ الشَّرق، واستحلال المحرَّمات من الخنزير، والميتة، ونحو ذلك، كما قد بُسِطَ في موضعٍ آخر[٣].

ويقال لهم: أين ما[٤] معكم عن محمَّدٍ ﷺ ما[٥] يدلُّ علىٰ أنّ ألفاظ

---

(١) «بدل كما قد... لا في ألفاظها» ساقطة من (ي) لانتقال النظر.

(٢) بعدها في (المطبوعتين): «والحلول» وليست في الأصول، وضرب عليها في (د).

(٣) كتب في هامش (د، ع، ط.النيل): «وسيأتي ما بدَّلوه من الشرائع وغيرها بنقل علمائهم في آخر هذا الكتاب».
تقدّم بعض ذلك: (١/ ٣٠٥)، (٢/ ٥)، وسيأتي (٢/ ٣٩١).

(٤) «ما» ليست في (ع، ي، د).

(٥) (المطبوعتان): «مما».

الكتب التي بأيديكم لم يُغَيَّر فيها شيء؟

ومعلومٌ أن المسلمين وغيرهم إذا اختلفوا لم يكن قول فريق حجَّةً علىٰ الفريق الآخر.

فإذا كان المسلمون قد اختلفوا في تبديل بعض ألفاظ الكتب[1] المتقدِّمة لم يكن قول فريقٍ حجَّةً علىٰ الأخرىٰ، ولا يجوز لأحدٍ من المسلمين ولا منكم أن يضيف إلىٰ الرَّسول قولًا إلا بدليل.

فأين في القرآن والسُّنَّة الثابتة عن محمَّدٍ ﷺ أن جميع ما بأيدي أهل الكتاب من التَّوراة والإنجيل والزَّبور ونبوَّات الأنبياء لم تبدَّل بشيءٍ من ألفاظها حتَّىٰ يقولوا: إن محمَّدًا ﷺ نفىٰ عن كتبهم ذلك؟

وهؤلاء بَنَوْا كلامهم علىٰ أنَّ ألفاظَ كتُبِهِم تدلُّ علىٰ صحَّة دينهم الذي هم عليه بعد مبعث محمَّدٍ ﷺ، وبعد تكذيبهم لمحمَّدٍ ﷺ، وأنه لم يُبدَّل شيءٌ من ألفاظها.

وقد تبيَّن فسادُ ذلك من وجوهٍ متعدِّدة.

ثم زعموا أن المسلمين يدَّعون أن ألفاظ هذه الكتب حُرِّفت كلُّها بجميع لغاتها بعد مبعث محمَّدٍ ﷺ، وهذا القول لم يقلْه أحدٌ من المسلمين فيما أعلم، وظنُّوا أنَّهم بالجواب عن هذا يكونون[2] قد أجابوا المسلمين.

---

(١) بعدها في (ط. النيل): «الإلـهية».

(٢) (و): «يكونوا».

فصل

فقال الحاكي عنهم: «فقلتُ لهم: إن قال قائل: إن التَّبديل والتغيير يجوز أن يكون بعد هذا القول. فقالوا: إنّا نعجب من هؤلاء القوم -علىٰ علمهم وذكائهم ومعرفتهم - كيف يحتجُّون علينا بمثل هذا القول؟ وذلك أنَّا أيضًا إذا احتجَّينا عليهم بمثل هذا القول، وقلنا: إن الكتاب الذي في أيديهم يومَنا هذا قد غيَّروه وبدَّلوه وكتبوا فيه ما أرادوا واشتهوا، هل كانوا يجوِّزون كلامنا؟

قال الحاكي عنهم: فقلت لهم: هذا مِمَّا لا يجوز، ولا يمكن أحدًا أن يقوله، ولا يمكن أن يتغير منه...» إلىٰ آخر الفصل، وسيأتي بألفاظٍ بعد هذا.

والجواب: أن هذا السَّائل النَّصرانيَّ الذي ذكر عن المسلمين سؤالًا لا يقولونه، وعن علماء النصارىٰ جوابه، هو وهُم بَنَوْا كلامهم علىٰ **أصلين فاسدين**:

أحدهما: أن الرسول ثبَّتَ ما معهم، ونفىٰ عن كتبهم التي بين أيديهم التُّهمَ والتَّبديلَ والتَّغييرَ لها.

ومقصودهم بذلك لا يتمُّ إلا إذا نَفَىٰ التَّبديلَ عن لفظها ومعناها، وهذا مما يَعلم كلُّ عاقلٍ أن الرَّسول لم ينفه عنها، بل النَّقل المتواتر عنه بنقيض ذلك.

وهم أيضًا وكلُّ عاقلٍ يعلم أن الكتب التي بأيديهم في تفسيرها من الاختلاف والاضطراب بين فرقِ النَّصارىٰ، وبين النصارىٰ واليهود ما يوجب القطع بأن كثيرًا من ذلك مبدَّلٌ محرَّف، وكذلك وقع في تغيير شرائع هذه الكتب، فإن الكتب تضمَّنت أصلين: الإخبارَ والأَمرَ. والإيمانُ بها[١] لا يتمُّ إلا

(١) «بها» ساقطة من (ع).

بتصديقها فيما أخبرت، وإيجابِ طاعتها فيما أوجبته.

وأهل الكتاب يُكذِّبون بكثيرٍ ممَّا أخبرت به[١]، ولا يوجبون طاعتها في كثيرٍ مما أوجبته وأمرت به، وكلُّ فرقةٍ منهم تشهد علىٰ الفرقة الأخرىٰ بمثل ذلك.

والنَّصارىٰ لهم سبْعُ مجامِعَ مشهورةٍ عندهم، وهم في كلِّ مَجْمَعٍ يلعنون طائفةً منهم كبيرة[٢] ويُكَفِّرونهم، ويقولون عنهم: إنهم كذَّبوا ببعض ما في تلك الكتب ولم يوجبوا طاعةَ بعضِ أمرها، وتلك الطائفة تشهد علىٰ الأخرىٰ بأنها كذَّبت ببعض[٣] ما فيها، ثم فِرَقُهم الثَّلاثةُ المشهورةُ: النُّسْطُوريَّةُ والملَكِيَّةُ واليَعْقُوبيَّة[٤]، كلُّ طائفةٍ تكفِّر الأخرىٰ، وتلعنُها، وتشهد عليها أنها مكذِّبةٌ ببعض ما في النُّبوَّات، غيرُ موجبةٍ لطاعة بعض ما فيها.

بل اختلافهم في نفس التَّوحيد والرِّسالة، يزعم[٥] كلُّ فريقٍ منهم أن المسيح جاء بما هم عليه، والمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ وجميع الرسل بريئون من الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شِيَعًا، وبريئون ممَّن يقول علىٰ الله غير الحقّ، أو يقول علىٰ الله ما لا يَعلم، وبريئون من كل قولٍ باطلٍ يقال علىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ وإن كان قائله مخطئًا لم يتعمَّد الكذب، وفي مقالات النَّصارىٰ من هذه الأنواع ما يطول وصفه، وقد بُسِطَ في غير هذا الموضع[٦].

---

(١) «به» ساقطة من (المطبوع).

(٢) (د، ع، ط.النيل): «كثيرة».

(٣) المثبت من (و)، وفي سائر النسخ: «لبعض».

(٤) تقدّم الكلام عن هذه الفرق (١/ ٢٥٣).

(٥) (المطبوعتان): «فزعم».

(٦) انظر ما سيأتي (٣/ ٥).

وإذا عرفت أن جميع الطَّوائف من المسلمين، واليهود، والنصارىٰ يشهدون أنه قد وقع في هذه الكتب تحريفٌ وتبديلٌ في معانيها، وتفاسيرها، وشرائعها، فهذا القدر كاف، وهم من حين بعث محمدٌ ﷺ صار كلُّ من لم يؤمن به كافرًا، بخلاف حال النَّصارىٰ قبل مبعث محمّدٍ ﷺ فإنه كان فيهم مَنْ هو متَّبعٌ لدين المسيح.

والمسلمون وإن كان فيهم مَن حرَّف الدين وبدَّله، فجمهورهم خالفوا هؤلاء، فلا يزال فيهم طائفةٌ ظاهرةٌ علىٰ الحقِّ لا يضُرُّهم من خالفهم وخذلهم حتىٰ تقوم الساعة، بخلاف النصارىٰ؛ فإنهم كفروا جميعُهم، كما كفرت اليهود بتكذيب المسيح.

والمسلمون يُثبتون بالدَّلائل الكثيرة أنهم بدَّلوا معاني التَّوراة والإنجيل والزبور وغيرهم من نبوَّات الأنبياء، وابتدعوا شرعًا لم يأت به المسيح ولا غيرُه، ولا يقوله عاقل، مثل زعمهم: أن جميع بني آدم من الأنبياء والرُّسل وغيرهم كانوا في الجحيم في حبس الشيطان؛ لأجل أنّ أباهم آدم أكل من الشجرة، وأنهم إنما تخلَّصوا من ذلك لما صُلِب المسيح.

فإن هذا الكلام لو نقله ناقلٌ عن بعض الأنبياء لقطعنا بكذِبه عليهم، فكيف وهذا الكلام ليس منقولًا عندهم عن أحدٍ من الأنبياء؟ وإنما ينقلونه عمَّن ليس قوله حجَّةً لازمة، فإنّ كثيرًا من دينهم مأخوذٌ عن رؤوسهم الذين ليسوا بأنبياء. فإذا قطعنا بكذب من ينقُلُه عن الأنبياء فكيف إذا لم ينقله[1] عنهم[2]؟

---

(١) (د، ع، ط.النيل): «ينقل».

(٢) (و): «غير» وكتب في الهامش: لعله «عنهم». وفي (ي): «يبين» فتكون العبارة: «فكيف إذا لم ينقله. يبين ذلك أن». وفي (د، ع، ط. النيل): «عنهم، ذلك فإن»، والمثبت من هامش (و).

وذلك أن الأنبياء عليهم السلام يخبرون الناس بما تَقْصُر عقولُهم عن معرفته، لا بما يعرفون أنه باطلٌ ممتنع، فيخبرونهم بمَحَارات[1] العقول لا بمُحالات[2] العقول.

وآدم عليه السلام وإن كان أكل من الشَّجرة فقد تاب الله عليه واجتباه وهداه، قال تعالىٰ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١-١٢٢] وقال تعالىٰ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧] وليس عند أهل الكتاب في كتبهم ما ينفي توبتَه، وإنما قد يقول قائلهم: إنّا لا نعلم أنه[3] تاب، أو: ليس عندنا توبته، وعدم العلم بشيءٍ ليس علمًا بعدمه، وعدم وجود الشيء في كتابٍ من كتب الله لا ينفي أن يكون في كتابٍ آخر، ففي التَّوراة ما ليس في الإنجيل، وفيهما ما ليس في الزَّبور، وفي الإنجيل والزبور ما ليس في التوراة، وفي سائر النبوَّات ما لا يوجد في هذه الكتب، والقرآن لو كان دون التَّوراة والإنجيل والزَّبور والنبوَّات، أو كان مثلَها لأمكن أن يكون فيه ما ليس فيها، فكيف إذا كان أفضلَ وأشرف، وفيه من العلم أعظمُ مما في التَّوراة والإنجيل؟

وقد بيَّن الله تعالىٰ فضله عليهما في غير موضع، كقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣] وقال تعالىٰ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ

---

(١) (المطبوع): «بمحيرات» وأشار في الهامش إلىٰ النسخ الأخرىٰ بأنها: «بمحاراث» بالثاء. وليس كذلك.

(٢) (المطبوعتان): «محالات».

(٣) «أنه» ساقطة من (ي، د، ط. النيل). وكتب في هامش (و): لعله: «أنه». وكتبت في (ع) فوق السطر بخط صغير.

﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [يوسف: ٣] وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وسواءٌ تاب آدم أو لم يتب؛ فكيف يجوز أن يكون رُسُل الله الذين هم أفضلُ منه محبوسين في حبس الشَّيطان في جهنم بذنبه؟

وإبراهيمُ خليل الرحمن كان أبوه كافرًا ولم يؤاخذْه الله بذنبه؛ فكيف يجعله في جهنَّم في حبس الشيطان بسبب ذنب أبيه الأقصىٰ آدم مع أنه كان نبيًّا؟

ونوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ قد مكث في قومه ألف سنةٍ إلا خمسين عامًا يدعوهم إلىٰ عبادة الله وحده، وأغرق الله أهلَ الأرضِ بدعوته، وجعل ذرِّيَّتَه هم الباقين، فكيف يكون في جهنم في حبس الشيطان لأجل ذنب آدم؟

وموسىٰ بن عمران[1] كلمه الله تكليمًا، وأظهر علىٰ يديه من البراهين والآيات ما لم يَظْهَر مثله علىٰ يَدَيِ المسيح، وقَتَل نفسًا لم يُؤمر بقتلها، فغفر الله له ذلك، وله من المنزلة عند الله والكرامة ما لا يُقْدَر قدرُه، فكيف يكون في جهنم في حبس الشيطان؟

ثم أيُّ مناسبةٍ بين الصَّلب الذي هو من أعظم الذنوب، سواء صلبوا المسيح، أو المُشَبَّه به وبين تخليص هؤلاء من الشيطان؟ فإنَّ الشَّيطان إن فعل ذلك بالذُّرِّيَّة كان ظالمًا معتديًا، والله عَزَّوَجَلَّ قادرٌ علىٰ منعه من ظلمهم، بل وعلىٰ عقوبته إذا لم ينته عن ظلمهم، فلماذا أخَّر منعه من ظلمهم[2] إلىٰ زمن المسيح؟

---

(١) بعدها في (و): «الذي» وألحقت في الهامش بقلم مغاير.
(٢) «فلماذا أخر منعه من ظلمهم» ساقطة من (و).

وهو سبحانه وليُّ المؤمنين وناصرهم ومؤيِّدُهم، وهم رُسُله الذين نصرهم علىٰ من عاداهم، بل أهلك أعداءهم الذين هم جُند الشيطان، فكيف لا يمنع الشيطانَ بعد موتهم أن يظلمهم ويجعل أرواحهم في جهنم؟ هذا إن قُدِّر أن الشيطان كان قادرًا علىٰ ذلك، وكيف يجوز أن يجعل الشيطان بعد موت أنبيائه وأوليائه، وسقوطِ التكليف عنهم واستحقاقِهم كرامتَه وإحسانَه وجنَّتَه بحكم وعده ومقتضىٰ حكمته، فجعله مسلَّطًا علىٰ حبسهم في جهنم؟!

وإن قالوا: الربُّ ﷻ ما كان يقدر علىٰ تخليصهم من الشّيطان مع علمه بأنه ظالمٌ معتدٍ عليهم بعد الموت إلا بأن يحتال عليه بإخفاء نفسه ليتمكن الشيطان منه كما يزعمون -فهذا مع ما فيه من الكفر العظيم وجعْلِ الربِّ سبحانه عاجزًا كما جعلوه أولًا ظالمًا - فيه من التَّناقُض ما يقتضي عظيمَ جهْلِهِم الذي جعلوا به الربَّ جاهلًا.

فإنهم يقولون: إنه احتال علىٰ الشّيطان ليأخذه بعدل، كما احتال الشّيطان علىٰ آدم بالحيَّة فاختفىٰ منه لئلا يعلم أنه ناسوتُ الإله، وناسوتُ الإله لم يعمل خطيئةً قطُّ بخلاف غيره، فلما أراد الشيطان أخْذَ روحِه ليحبسه في جهنم كسائر من مضىٰ، وهو لم يعمل خطيئة؛ استحقَّ الشيطانُ أن يأخذه الربُّ ويُخلِّصَ الذريَّة من حبسه.

وهذا تجهيلٌ منهم للرَّبِّ ﷻ عمَّا يقولون، مع تعجيزه وتظليمه، فإنه إن كان هو سلَّط الشيطانَ علىٰ بني آدم كما يقولون، فلا فرق بين ناسوت المسيح وغيره؛ إذ الجميع بني[1] آدم، وأيضًا فإذا قُدِّر أن النَّاسوت دفع[2] الشيطان عن

(١) كذا في (و)، والوجه الرفع «بنو»، وفي (د، ع، ط.النيل): «ببني».
(٢) (و): «يدفع».

نفسه بحق، فإنهم يقولون: إنه دخل الجحيم وأخرج منه ذرية آدم.

فيقال: إن كان تسلط الشيطان علىٰ حبسهم في الجحيم بحق لأجل ذنوبهم مع ذنب أبيهم، لم يجز إخراجهم لأجل سلامة ناسوت المسيح[1] من الذنب، وإن كانوا مظلومين مع الشيطان وجب تخليصُهم[2] قبل صَلْبِ الناسوت، ولم يجز تأخير ذلك، فليس في مجرَّد سلامة المسيح من الذنوب ما يوجب سلامة غيره، وإن قالوا: إنه كان بدون تسلطه علىٰ صَلْبِه عاجزًا عن دفعه، فهو مع تسلطه علىٰ صَلْبِه أعجزُ وأعجزُ.

الأصل الثاني الفاسد الذي بنوا عليه سؤالهم الذي جعلوه من جهة المسلمين وجوابهم: ظنُّهُم أن المسلمين يقولون: إن هذه الكتب حُرِّفَت ألفاظُ جميع النُّسخ الموجودة منها بعد مبعث محمّدٍ ﷺ.

وهذا ممَّا لا يقوله المسلمون، ولكن قد يقول بعضهم: إنه حُرِّف بعد مبعث محمدٍ ﷺ ألفاظُ بعضِ[3] النسخ، فإن الجمهور الذين يقولون: إن بعض ألفاظها حُرِّفَتْ؛ منهم من يقول: كان هذا قبل المبعث[4]. ومنهم من يقول: كان بعده، ومنهم من يثبت الأمرين أو يُجَوِّزهما، ولكن لا يقولون: إنه حُرِّفَت ألفاظُ جميع النسخ الموجودة في مشارق الأرض ومغاربها، كما حكاه هذا الحاكي عنهم، ولكن علماء المسلمين، وعلماء أهل الكتاب متفقون علىٰ وقوع التحريف في المعاني والتفسير، وإن كانت كلُّ طائفةٍ تزعم أن الأخرىٰ هي التي حرَّفت المعاني.

---

(١) (ع): «الجحيم» خطأ.
(٢) (و، ي): «تخلّصهم».
(٣) (د، ع، ط.النيل): «بعد» تصحيف.
(٤) المثبت من (و) وفي سائر النسخ: «البعث».

وأما ألفاظ الكتب؛ فقد ذهبت طائفة من علماء المسلمين إلىٰ أن ألفاظها لم تبدَّل، كما يقول ذلك من يقوله من أهل الكتاب، وذهب كثيرٌ من علماء المسلمين، وأهل الكتاب إلىٰ أنه بُدِّل بعضُ ألفاظها.

وهذا مشهورٌ عن كثيرٍ من علماء المسلمين، وقاله أيضًا كثيرٌ من علماء أهل الكتاب.

حتىٰ في صَلْب المسيح ذهبت طائفةٌ من النَّصارىٰ إلىٰ أنه إنما صلب الذي شُبِّهَ بالمسيح كما أخبر به[1] القرآن، وإن الذين أخبروا بصلبه كانوا قد أخبروا بظاهر الأمر، فإنه لما أُلقي شبهُهُ علىٰ المصلوب ظنوا أنه هو المسيح، أو تعمَّدوا الكذب[2].

ثم هؤلاء منهم الذين يقولون: «إن في ألفاظ الكتب ما هو مُبَدَّل» فيهم[3] من يجعل المبدَّل من التَّوراة والإنجيل كثيرًا منهما، وربما جعل بعضُهم المبدَّل أكثرَهما لا سيَّما الإنجيل؛ فإن الطَّعن فيه أكثر وأظهر منه في التَّوراة[4]. ومن هؤلاء من يُسْرِف حتىٰ يقول: إنه لا حُرْمة لشيءٍ منهما، بل يجوز الاستنجاء بهما!

ومنهم من يقول: الذي بُدِّلتْ ألفاظُه قليلٌ منهما. وهذا أظهر. والتبديل في الإنجيل أظهر، بل كثيرٌ من الناس يقول: هذه الأناجيل ليس فيها من كلام الله إلا القليل، والإنجيل الذي هو كلام الله ليس هو هذه الأناجيل[5].

---

(١) بعدها في (د، ع، ط.النيل): «في».
(٢) «أو تعمّدوا الكذب» ليست في (و).
(٣) (المطبوعتان) «وفيهم».
(٤) هنا أتت عبارة: «أو تعمّدوا الكذب» التي سقطت من (و) قريبًا. والسياق هنا لا يقتضيها.
(٥) (و): «هذا الإنجيل».

والصَّحيح أن هذه التوراة والإنجيل[1] الذي بأيدي أهل الكتاب فيها ما هو حكم الله، وإن كان قد بُدِّل وغُيِّر بعضُ ألفاظهما[2]، لقوله[3] تعالىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ﴾ [المائدة: ٤١] إلىٰ قوله: ﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٣] فعُلِمَ أن التوراة التي كانت موجودةً بعد خراب بيت المقدس، وبعد مجيء بُخْتُنَصَّر[4]، وبعد مبعث المسيح، وبعد مبعث محمَّدٍ ﷺ= فيها حُكْم الله.

والتَّوراة التي كانت عند يهود المدينة علىٰ عهد رسول الله ﷺ وإن قيل: إنه غُيِّر بعضُ ألفاظها بعد مبعثه، فلا نشهد علىٰ كل نسخةٍ في العالم بمثل ذلك، فإن هذا غيرُ معلوم لنا، وهو أيضًا متعذِّر، بل يمكن تغييرُ كثيرٍ من النُّسَخ، وإشاعةُ ذلك عند الأتباع حتىٰ لا يوجد عند كثيرٍ من الناس إلا ما غُيِّر بعد ذلك، ومع هذا فكثيرٌ[5] من نسخ التَّوراة والإنجيل متَّفِقةٌ في الغالب، إنما تختلف في اليسير من ألفاظها، فتبديل ألفاظ اليسير من النُّسَخ بعد مبعث الرسول ﷺ ممكنٌ، لا يمكن أحدٌ أن يجزم بنفيه، ولا يقدر أحدٌ من اليهود والنَّصارىٰ أن يشهد بأن كلَّ نسخةٍ في العالم بالكتابين متَّفقةُ الألفاظ؛ إذ هذا لا سبيل لأحدٍ إلىٰ عِلْمِه، والاختلافُ اليسير في ألفاظ هذه الكتب موجودٌ في الكثير من النسخ،

(١) (والإنجيل): ساقطة من (المطبوع).
(٢) (و، ي): «ألفاظها».
(٣) (و، ي): «كقوله».
(٤) تقدّم ذكره (١/ ٥٦).
(٥) (و، ي): «التي» بدل «فكثير» وأشير إليها في هامش (و) بحرف (ظ).

كما قد تختلف نسخ بعض كتب[1] الحديث، أو تُبدَّل بعضُ ألفاظ بعض النُّسخ، وهذا بخلاف القرآن المجيد الذي حُفِظَت ألفاظُه في الصُّدور بالنَّقْل[2] المتواتر، لا يَحتاج أن يُحفظ في كتاب، كما قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]

وذلك أن اليهود قبل النَّبيِّ ﷺ، وعلىٰ عهده، وبعده منتشرون في مشارق الأرض ومغاربها، وعندهم نسخٌ كثيرةٌ من التَّوراة.

وكذلك النَّصارىٰ عندهم نسخٌ كثيرةٌ من التَّوراة، ولم يتمكَّن أحدٌ مِن جمع[3] هذه النسخ وتبديلها، ولو كان ذلك ممكنًا لكان هذا من الوقائع العظيمة التي تتوفَّر الدواعي علىٰ نقلها.

وكذلك في الإنجيل، قال تعالىٰ: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ﴾ [المائدة: ٤٧] فَعُلِمَ أن في هذا الإنجيل حكمًا أنزله الله تعالىٰ، لكنَّ الحكمَ هو من باب الأمر والنهي، وذلك لا يمنع أن يكون التغيير في باب الأخبار، وهو الذي وقع فيه التَّبديل لفظًا، وأما الأحكام التي في التَّوراة فما يكاد أحدٌ يدّعي التبديل في ألفاظها.

وقد ذكر طائفةٌ من العلماء[4] أنّ قوله تعالىٰ في الإنجيل: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ﴾ [المائدة: ٤٧] هو خطابٌ لمن كان علىٰ دين المسيح قبل النسخ والتبديل، لا الموجودين بعد مبعث محمّدٍ ﷺ.

---

(١) بعدها في (و): «أهل».
(٢) المثبت من (و) وفي سائر النسخ: «وبالنقل».
(٣) (و): «جميع».
(٤) انظر: «تفسير القرطبي» (٦/ ٢٠٩).

وهذا القول يناسب مناسبةً ظاهرةً لقراءة من قرأ: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ﴾ بكسر اللام، كقراءة حمزة[1]، فإن هذه لام كي، فإنه تعالىٰ قال: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٦ - ٤٧] فإذا قرئ: ﴿وَلِيَحْكُمَ﴾ كان المعنىٰ: وآتيناه الإنجيل لكذا وكذا، وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه، وهذا يوجب الحكم بما أنزل الله في الإنجيل الحقّ، لا يدلُّ علىٰ أن الإنجيل الموجود في زمن الرسول ﷺ هو ذلك الإنجيل.

وأما قراءة الجمهور: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ﴾ [المائدة: ٤٧] فهو أَمْرٌ بذلك، فمن العلماء من قال: هو أمر لمن كان الإنجيل الحقّ موجودًا عندهم أن يحكموا بما أنزل الله فيه، وعلىٰ هذا يكون قوله تعالىٰ: ﴿وَلْيَحْكُمْ﴾ أمر لهم قبل مبعث محمدٍ ﷺ.

وقال آخرون: لا حاجة إلىٰ هذا التكلُّف[2]؛ فإن القول في الإنجيل كالقول في التَّوراة، وقد قال تعالىٰ: ﴿۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۚ

(١) انظر: «النشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٤).
(٢) المثبت من (ي) وهو الأصوب. وفي سائر النسخ: «التكليف».

وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ
أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾
سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ
وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ
ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ
يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا
هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ
بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ
وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ
بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ
فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيۡنَا
عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ﴾
[المائدة: ٤١ - ٤٦]

فهذا قد صرَّح بأن أولئك الذين تحاكموا إلىٰ النَّبيِّ ﷺ من اليهود عندهم التَّوراة فيها حُكْم الله، ثم تولوا عن حكم الله، وقال بعد ذلك: ﴿وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة: ٤٧]. وهذه لامُ الأمر، وهو أمرٌ من الله أنزله علىٰ لسان محمد، وأمْرُ مَن مات قبل هذا الخطاب ممتنع، وإنما يكون الأمر أمرًا لمن آمن به من(١) بعد خطاب الله لعباده بالأمر، فُعلم أنه أمرٌ لمن كان موجودًا حينئذ أن يحكموا بما أنزل الله في الإنجيل، والله أنزل في الإنجيل الأمرَ

(١) «من» ليست في (د، ي، ع).

باتباع محمد ﷺ كما أمر به في التَّوراة، فليحكموا[1] بما أنزل الله في الإنجيل مما لم ينسخه محمَّدٌ ﷺ، كما أمر أهل التَّوراة أن يحكموا بما أنزله مما لم ينسخه المسيح، وما نسخه فقد أُمِروا فيها باتِّباع المسيح، وقد أمر في الإنجيل باتِّباع محمَّدٍ ﷺ، فمن حَكَم من أهل الكتاب بعد مبعث محمّدٍ ﷺ بما أنزل الله في التَّوراة والإنجيل لم يحكم بما يخالف حكم محمَّدٍ ﷺ؛ إذ كانوا مأمورين في التَّوراة والإنجيل باتباع محمَّدٍ ﷺ، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

فجَعَلَ القرآنَ مهيمنًا. والمهيمنُ: الشَّاهد الحاكم المؤتَمَن، فهو يحكم بما فيها ممَّا لم ينسخه الله، ويشهد بتصديق ما فيها مما لم يُبدَّل؛ ولهذا قال: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]

وقد ثبت في الصِّحاح والسنن والمساند هذا. ففي «الصحيحين»[2] عن عبد الله بن عُمَر رضي الله عنهما أنه قال[3]: «**إنَّ اليَهُودَ جَاءوا إلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فذَكَرُوا لَهُ أنَّ امْرَأةً مِنْهُم ورجلًا زنَيَا، فقالَ لهُمْ رسُولُ اللهِ ﷺ: مَا تَجِدونَ في التَّوْراة في شَأْنِ الرَّجْم؟ قالوا: نفضَحُهُم ويُجلَدُونَ. فقال عبدُ الله بنُ سَلَام: كذَبْتُم، إنَّ فِيهَا**

(١) (و، ي): «فيحكموا».
(٢) البخاري (٦٨٤١)، ومسلم (١٦٩٩).
(٣) «أنه قال» ليست في (و).

الرَّجْم. فأَتَوا بالتَّوراة فَنَشَرُوها، فَوَضَعَ أحدُهم يدَه على آيةِ الرَّجْمِ، فَقَرأَ ما قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَها، فقَالَ لهُ عبدُ اللهِ بنُ سلامٍ[1]: ارْفَعْ يدَك. فَرفَع يَدَه فَإِذَا فِيهَا آيةُ الرَّجم. فَقَالُوا: صَدَقَ يا مُحَمَّد. فَأَمَر بِهِما النَّبيُّ ﷺ فَرُجِمَا».

وأخرج البخاري[2] عن عبد الله بن عمر أنه قال: «أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بيهَودِيٍّ ويهُودِيَّةٍ قدْ زَنَيَا، فانْطَلَقَ حتَّىٰ جاءَ يهُودَ، فقَالَ: ما تَجِدُونَ في التَّوراةِ علىٰ من زنىٰ؟ قالوا: نُسَوِّدُ وجوهَهُما، ويُطافُ بهِما. قال: ﴿فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٩٣﴾ [آل عمران: ٩٣] قال: فجَاءُوا بها فقرأُوها، حتَّىٰ إذا مرُّوا بآيةِ الرَّجْم وضَعَ الفتَىٰ الذي يقْرَأُ يده علىٰ آيةِ الرَّجْمِ، وقَرَأَ ما بَيْنَ يَدَيْها، وما وَرَاءَهَا، فَقَال عبْدُ اللهِ بن سَلام وهُوَ مع رَسُولِ اللهِ ﷺ: مُرْهُ فلْيَرفعْ يدَه. فَرفَعَها فإِذَا تَحْتَهَا آيةُ الرَّجْم. قَالُوا: صَدَقَ، فيهَا آيةُ الرَّجْم، ولكنَّنَا نتكَاتَمُه بيْنَنَا، وإنَّ أحْبَارَنَا أحْدَثُوا التَّحْمِيمَ والتَّجْبِيَةَ[3]، فأمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ برَجْمِهِمَا فَرُجِمَا».

وأخرج مسلم[4] عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «مُرَّ علىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بيهُودِيٍّ مُحَمَّمٍ مَجْلُودٍ؛ فَدَعَاهُمْ، فَقَالَ: هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ. فَدَعَىٰ رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ، فَقَالَ: أَنْشُدُكَ اللهَ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَىٰ مُوسَىٰ، أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي في كِتَابِكُمْ[5]؟ قَالَ: لا، وَلَوْلا أَنَّكَ نَشَدْتَني

---

(١) «ابن سلام» ليست في (د، ع، ط.النيل).

(٢) أخرج أجزاء من هذا الحديث في مواضع متعددة من صحيحه. انظر: (٣٦٣٥)، (٦٨١٩)، (٧٥٤٣).

(٣) سيأتي (ص٤٧).

(٤) (١٧٠٠).

(٥) «قالوا: «نعم فدعىٰ... حد الزاني في كتابكم» ساقطة من (ي) لانتقال النظر.

بِهَذَا لَمْ أُخْبِرْكَ، نَجِدُهُ الرَّجْمَ، وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا، فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ، وَإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ، فَقُلْنَا تَعَالَوْا فَلْنَجْتَمِعْ عَلَىٰ شَيْءٍ نُقِيمُهُ عَلَىٰ الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ، فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ وَالْجَلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوه. فأَمَرَ به فَرُجِم، فأنزل اللهُ تَعالىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [المائدة: ٤١] إلىٰ قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، إلىٰ ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، إلىٰ ﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾. قال: هي في الكفَّارِ كلِّها.

وفي «صحيح مسلمٍ»[1] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: «رَجَمَ النَّبيُّ ﷺ رجلًا مِنْ أَسْلَمَ، ورُجلًا من اليَهُودِ».

وأما السُّنن: ففي «سنن أبي داود»[2]، عن زيد بن أسلم، عن ابن عُمر رضي الله عنهما، أنه قال: «أَتَىٰ نَفَرٌ مِنَ اليَهُودِ[3] فَدَعَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ إلىٰ القُفِّ[4]، فَأَتَاهُمْ فِي بَيْتِ الْمِدْرَاسِ فَقَالُوا: يا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّ رَجُلًا مِنَّا زَنَىٰ بِامْرَأَةٍ، فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ، فَوَضَعُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وِسَادَةً فَجَلَسَ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: ائْتُونِي بالتَّوْرَاة. فَأُتِيَ بِهَا فَنَزَعَ الْوِسَادَةَ مِنْ تَحْتِهِ وَوَضَعَ التَّوْرَاةَ عَلَيْهَا، وَقَالَ: آمَنْتُ بِكِ وَبِمَنْ أَنْزَلَكِ، ثُمَّ قَالَ: ائْتُونِي بِأَعْلَمِكُمْ. فَأُتِيَ بِشَابٍّ»، ثم ذكر قصَّة الرَّجم.

---

(١) (١٧٠١).

(٢) (٤٤٤٩). والحديث أصله في الصحيحين. وقد تقدّم قريبًا.

(٣) «من اليهود» ساقطة من: (ع).

(٤) أصل القف: ما غلظ من الأرض وارتفع. وقفّ البئر: هو الدّكة التي تجعل حولها. «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٩١).

وأخرج أيضًا أبو داود[1] وغيره عن أبي هريرة أنه قال: «زَنَىٰ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ بِامْرَأَةٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: اذْهَبُوا بِنَا إِلَىٰ هَـٰذَا النَّبِيِّ؛ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ بُعِثَ بِالتَّخْفِيفِ، فَإِنْ أَفْتَانَا بِفُتْيَا دُونَ الرَّجْمِ قَبِلْنَاهَا وَاحْتَجَجْنَا بِهَا عِنْدَ اللهِ؛ فَقُلْنَا: نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَائِكَ. قَالُوا: فَأَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا تَرَىٰ فِي رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ مِنْهُمْ زَنَيَا. فَلَمْ يُكَلِّمْهُمْ كَلِمَةً حَتَّىٰ أَتَىٰ بَيْتَ مِدْرَامِسِهِمْ[2] فَقَامَ عَلَىٰ الْبَابِ، فَقَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَىٰ مُوسَىٰ مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ عَلَىٰ مَنْ زَنَىٰ إِذَا أَحْصَنَ؟ قالوا نُحَمِّمُه[3]، ونُجْبِيهِ، ونَجْلِدُه[4]. والتَّجْبِيَةُ: أن يُحْمَلَ الزَّانِيَانِ علىٰ حِمَارٍ ويُقَابلَ أقفيتُهُمَا، ويُطافَ بهما[5]. قال: وَسَكَتَ شابٌّ مِنْهُمْ، فلمَّا رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ سَكَتَ أَلَظَّ بِهِ النَّشْدَةَ[6]، فَقَالَ: اللَّهم إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّا نَجِدُ فِي التَّوراةِ الرجم. فَقَالَ ﷺ: فَمَا أَوَّلُ ما ارْتَخَصْتُم أَمْرَ الله؟ قال: زَنَىٰ ذُو قَرَابَةٍ مِنْ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِنَا، فأَخَّرَ عَنْهُ الرَّجْمَ،

---

(١) (٤٤٥٠)، قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٤/ ١٥٥): إسناده ضعيف، وأصل قصة اليهوديين في الزنا والرجم، دون ذكر الإحصان في «الصحيحين» من حديث ابن عمر.

(٢) (و، ي): «مدارسهم». والمدراس: البيت الذي يدرسون فيه. «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ١١٣).

(٣) (و، د، ع، ط): «نحمم». قال الخطابي: التحميم: تسويد الوجه بالحمم. «معالم السنن» (٣/ ٣٢٧).

(٤) (ي) «ويُجلد»، (ع): وفي (و، د) بلا نقط في الكلمة.

(٥) نقل ابن حجر كما في «فتح الباري» (١٢/ ١٦٨) عن إبراهيم الحربي أنه جزم بأن تفسير التجبية من قول الزهري، فكأنه أدرج في الخبر؛ لأن أصل الحديث من روايته.اهـ.

(٦) قوله: «سكت ألظّ به النشدة» مكانها بياض في (و، د)، وفي (ي) بياض في قوله: «ألظّ به النشدة». وفي (ع): «سكت ألظ به النشدة». وهو الموافق للفظ رواية أبي داود. وفي هامش(د، ع) كتب: «بياض في الأصل، ولعله: فلما رآه النبي ﷺ ساكتًا لا يتكلم أنشده. أو نحو هذا». وفي (المطبوعتين): «ساكتًا أنشده». ومعنىٰ: «ألظّ به النشدة»: ألَحَّ في سؤاله وألزمه إياه. انظر: «النهاية» (٤/ ٢٥٢).

ثُمَّ زَنَىٰ رَجُلٌ فِي أُسْرَةٍ مِنَ النَّاسِ، فَأَرَادَ رَجْمَهُ، فَحَالَ قَوْمُه دونَه وقَالَوا: لا يُرْجَمُ صَاحِبُنَا حَتَّىٰ تَجِيءَ بِصَاحِبِكَ فَتَرْجُمَهُ. فاصْطَلَحُوا هَذِهِ العُقُوبَةَ بَيْنَهُمْ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فإِنِّي أَحْكُمُ بِمَا فِي التَّوْرَاةِ فَأَمَرَ بِهِمَا فَرُجِمَا». قال الزُّهريّ: فبلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم: ﴿ **إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ** ﴾ [المائدة: ٤٤] **فكَانَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهُمْ.**

وأيضًا فقد تحاكموا إليه في القوَد الذي كان بين بني قريظةَ والنضير، وكان النضيرُ أشرفَ من قريظة، فكان إذا قتل بعضُ إحدىٰ القبيلتين قتيلًا من الأخرىٰ فيقتلونه[1] ولم يضعِّفوا الدِّية، وإذا قُتِلَ من القبيلة الشَّريفة قَتَلُوا به، وأضعفوا الدِّية.

قال أبو داود سليمان بن الأشعث في «سننه»[2]: حدثنا محمد بن العلاء[3]، حدثنا عبيد الله بن موسىٰ[4]، عن علي بن صالح[5]، عن سِماك بن

---

(١) بعدها في هامش (ي): «به».

(٢) (٤٤٩٤)، وأخرجه النسائي (٤٧٣٢)، والحاكم (٨٠٩٤) وصحّحه، ووافقه الذهبي.
وقد أُعلّ هذا الإسناد من أجل اضطراب رواية سماك عن عكرمة وأنه قد وهم في متن الحديث إذ جعل للنضير القصاص ولقريظة الدية، والمحفوظ أنه كان للنضير الدية كاملة ولقريظة نصف الدية، كما رواه عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس عند أحمد (٢٢١٢)، وكما رواه داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس كذلك عند أحمد (٣٤٣٤) وأبي داود (٣٥٩١). ليس فيهما ذكر القتل قصاصًا. والإسنادان حسنان.

(٣) هو ابن كريب الهمداني، أبو كريب الكوفي، مشهور بكنيته، من الثقات روىٰ عنه أصحاب الكتب الستة. انظر: «التقريب» (ص٥٠٠).

(٤) ابن أبي المختار ابن باذام العبسي الكوفي، أبو محمد، من الثقات وكان يتشيع، روىٰ عنه أصحاب الكتب الستة. انظر: «التقريب» (ص٣٧٥).

(٥) الهمداني، أبو محمد الكوفي، أخو حسن، من الثقات العبّاد. انظر: «التقريب» (ص٤٠٢).

حرب[1]، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: «كان قريظة والنضير، وكان النضير أشرف من قريظة، فكان إذا قَتَل رجلٌ من قريظة رجلًا من النضير قُتِل به، وإذا قَتَلَ رجلٌ من النضير رجلًا من قريظة وُدِيَ مائة وَسْقٍ مِن تمر. فلمَّا بُعِث النبي ﷺ قتلَ رجلٌ من النضير رجلًا من قريظة فقالوا: ادفعوه إلينا نقتلْه. فقالوا: بيننا وبينكم محمَّدٌ فأتوه، فنزلت: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ [المائدة: ٤٢] والقسط: النفس بالنفس. ثم نزلت: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] قال أبو داود: «قريظة والنضير من ولد هارون».

وَبَسْطُ هذا له موضعٌ آخر[2]، وعلىٰ كلِّ قولٍ، فقد أخبر الله ﷻ أن في التَّوراة الموجودة بعد المسيح عليه السلام حكم الله، وأن أهل الكتاب اليهود تركوا حكم الله الذي في التَّوراة مع كفرهم بالمسيح، وهذا ذمٌّ من الله لهم علىٰ ما تركوه من حُكْمه الذي جاء به الكتابُ الأول ولم ينسخه الرَّسول الثَّاني.

وهذا من التَّبديل الثَّاني الذي ذُمُّوا عليه، ودلَّ ذلك علىٰ أنَّ في التَّوراة الموجودة بعد مبعث المسيح حُكمًا أنزله الله أُمِرُوا أن يحكموا به، وهكذا يمكن أن يُقال في الإنجيل.

ومعلومٌ أن الحكم الذي أُمِرُوا أن يحكموا به من أحكام التَّوراة لم ينسخه الإنجيل ولا القرآن، فكذلك ما أمروا أن يحكموا به من أحكام الإنجيل هو ما لم ينسخه القرآن؛ وذلك أن الدِّين الجامع: أن يُعبدَ الله وحدَه، ويأمرَ بما أمر الله به، ويحكمَ بما أنزله الله[3] في أيِّ كتابٍ أنزله ولم ينسخه، فإنه يُحْكَم به.

---

(١) هو ابن أوس ابن خالد الذهلي البكري الكوفي أبو المغيرة (صدوق) وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة وقد تغير بأخرة فكان ربما تلقن. انظر: «التقريب» (ص٢٥٥).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ١٠٢).

(٣) بعدها في هامش (ي): «فما أنزله الله» وهي مناسبة للسياق.

ولهذا كان مذهب جماهير السلف والأئمة أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه[1]، ومن حكَم بالشَّرع المنسوخ فلم يحكم بما أنزل الله، كما أن الله أمر أمَّة محمَّدٍ ﷺ أن يحكموا بما أنزل الله في القرآن، وفيه الناسخ والمنسوخ[2]. فهكذا القول في جنس الكتب المُنزَّلة.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠) ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٥١) فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ (٥٣) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ

---

(١) انظر: «المسوّدة» (ص١٩١).

(٢) بعدها في هامش (ي): «وإنما علّمهم أن يحكموا بالناسخ دون المنسوخ».

﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٤٨ - ٥٦].

فقد أمَر نبيَّه محمدًا ﷺ أن يحكم بما أنزل الله إليه، وحذَّره اتباع أهوائهم، وبيّن أن المخالف لحكمه هو حُكْمُ الجاهليَّة، حيث قال تعالىٰ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] وأخبره تعالىٰ أنه جعل لكلٍّ من أهل التوراة والإنجيل والقرآن شِرْعةً ومنهاجًا، وأمْرُه تعالىٰ بالحكم بما أنزل الله أَمْرٌ عامٌّ لأهل التَّوراة والإنجيل والقرآن، ليس لأحدٍ في وقتٍ من الأوقات أن يحكم بغير ما أنزل الله، والذي أنزله الله هو دينٌ واحدٌ اتفقت عليه الكتب والرُّسل، وهم متَّفقون في أصول الدين وقواعد الشريعة - وإن تنوَّعوا- في الشِّرْعَة والمنهاج، بين ناسخٍ ومنسوخ، فهو شبيهٌ بتنوُّع حال الكتاب[1]، فإنَّ المسلمين كانوا أولًا مأمورين بالصَّلاة لبيت المقدس، ثم أمروا أن يُصَلُّوا إلىٰ المسجد الحرام، وفي كلا الأمرين إنما اتَّبعوا ما أنزل الله ﷻ.

وكذلك موسىٰ عليه السلام كان مأمورًا بالسبت[2] محرَّمًا عليه ما حرَّمه الله في التوراة، وهو متبع ما أنزل الله ﷻ، والمسيحُ ﷺ أحلَّ بعض ما حرَّمه الله في التوراة، وهو متّبعٌ ما أنزل الله ﷻ، فليس في أمر الله لأهل التَّوراة والإنجيل أن يحكموا بما أنزل الله أمرٌ بما نُسخ، كما أنه ليس في أمر أهل القرآن أن يحكموا بما أنزل الله أمْرٌ بما نسخ، بل إذا كان ناسخٌ ومنسوخ؛ فالذي أنزل الله هو الحكم

(١) بعدها في هامش (ي): «الواحد» وليست في سائر النسخ. والسياق يقتضيها.
(٢) (و): «بالسبب» تصحيف. وفي (ع): بلا نقط.

بالناسخ دون المنسوخ، فمن حكم بالمنسوخ فقد حكم بغير ما أنزل الله ﷻ.

ومما يوضِّح هذا قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨] فإن هذا يُبيِّن أنَّ هذا أمرٌ لمحمّدٍ ﷺ أن يقول لأهل الكتاب الذي بعث إليهم: إنهم ليسوا علىٰ شيء حتىٰ يقيموا التَّوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم. فدلَّ ذلك علىٰ أنهم(١) عندهم ما يُعْلَم أنه منزلٌ من الله، وأنهم مأمورون بإقامته؛ إذ كان ذلك مما قرَّره محمَّدٌ ﷺ ولم ينسخه.

ومعلومٌ أن كلَّ ما أمر الله به علىٰ لسان نبيٍّ ولم ينسخه النبيُّ الثاني بل أقرَّه، كان الله أمر به علىٰ لسان نبيٍّ بعدَ نبيٍّ، ولم يكن في بِعْثَة الثاني ما يُسقط وجوبَ اتباع ما أمر به النبيُّ الأول، وقرَّره النبيُّ الثاني.

ولا يجوز أن يقال: إن الله ينسخ بالكتاب الثاني جميعَ ما شرَعَه بالكتاب الأول، وإنما المنسوخ قليلٌ بالنسبة إلىٰ ما اتفقت عليه الكتب والشرائع.

وأيضًا ففي التَّوراة والإنجيل ما دلَّ علىٰ نبوَّة محمَّدٍ ﷺ، فإذا حَكَمَ أهلُ التَّوراة والإنجيل بما أنزل الله فيهما حكموا بما أوجبَ عليهم اتباع محمد ﷺ.

وهذا يدلُّ علىٰ أن في التَّوراة والإنجيل ما يعلمون أن الله أنزله؛ إذ لا يؤمرون أن يحكموا بما أنزل الله ولا يعلمون ما أنزل الله، والحكم إنما يكون في الأمر والنهي، والعلمُ ببعض معاني الكتب لا ينافي عدمَ العلم ببعضها.

وهذا متَّفقٌ عليه في المعاني؛ فإن المسلمين واليهود والنَّصارىٰ متَّفقون

---

(١) (ي): «أن».

علىٰ أن في الكتب الإلهيَّة الأمرَ بعبادة الله وحده لا شريك له، وأنه أَرْسَل إلىٰ الخلق رسلًا من البشر، وأنه أَوْجَب العدل، وحرم الظُّلم والفواحش والشِّرك، وأمثالَ ذلك من الشَّرائع الكُلِّية، وأن فيها الوعد بالثَّواب، والوعيد بالعقاب، بل هم متَّفقون علىٰ الإيمان باليوم الآخر، وقد تنازعوا في بعض معانيها، واختلفوا في تفسير ذلك، كما اختلفت اليهود والنَّصارىٰ في المسيح المبَشَّرِ به [في] النبوَّات، هل هو المسيح ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ أو مسيحٌ آخر ينتظر؟

والمسلمون يعلمون أن الصَّواب في هذا مع النَّصارىٰ، لكن لا يوافقونهم علىٰ ما أحدثوا فيه من الإفك والشرك.

وكذلك يقال: إذا بُدِّل قليلٌ من ألفاظها الخبريَّة لم يمنع ذلك أن يكون أكثر ألفاظها لم يبدل، لا سيما إذا كان في نفس الكتاب ما يدلُّ علىٰ المبدَّل.

وقد يقال: إنَّ ما بُدِّل من ألفاظ التَّوراة والإنجيل، ففي نفس التَّوراة والإنجيل ما يدلُّ علىٰ تبديله.

فبهذا يحصل الجواب عن شبهة من يقول: إنه لم يبدَّل شيءٌ من ألفاظها، فإنهم يقولون: إذا كان التبديل قد وقع في ألفاظ التَّوراة والإنجيل قبل مبعث محمَّدٍ ﷺ لم يُعلم الحقُّ من الباطل، فسقط الاحتجاج بهما، ووجوبُ العمل بهما علىٰ أهل الكتاب؛ فلا يُذَمُّون حينئذٍ علىٰ ترك اتِّباعهما، والقرآنُ قد ذمَّهم علىٰ ترك الحكم بما فيهما واستشهد بهما في مواضع.

وجواب ذلك: أن ما وقع من التَّبديل قليل، والأكثر لم يُبدَّل، والذي لم يبدَّل فيه ألفاظٌ صريحةٌ بيِّنةٌ بالمقصود تُبيِّن غلط[1] ما خالفها، ولها شواهد

---

(١) العبارة في (و): «يتبين بها المقصود من غلط».

ونظائر متعدِّدةٌ يُصَدِّق بعضُها بعضًا، بخلاف المبدَّل فإنه ألفاظٌ قليلة، وسائر نصوص الكتب يناقضها، وصار هذا بمنزلة كتب الحديث المنقولة عن النَّبيِّ ﷺ؛ فإنه إذا وقع في «سنن أبي داود» والترمذي أو غيرِهما أحاديثُ قليلةٌ ضعيفةٌ، كان في الأحاديث الصَّحيحة الثابتة عن النبيِّ ﷺ ما يُبيِّن ضعف تلك.

بل وكذلك «صحيح مسلم» فيه ألفاظٌ قليلةٌ غلط، وفي نفس الأحاديث الصَّحيحة مع القرآن ما يُبيِّنُ غلَطَها، مثل ما روي: «**أنَّ الله خَلقَ التُّربَةَ يَوْمَ السَّبتِ وجَعَل خَلْقَ المخْلُوقَاتِ في الأيَّام السَّبْعةِ**»[1]. فإن هذا الحديث قد بيَّن أئمَّة الحديث، كيحيىٰ بن معين، وعبد الرحمن بن مهدي، والبخاري، وغيرهم أنه غلط، وأنه ليس في كلام النَّبيِّ ﷺ، بل صرَّح البخاري في «تاريخه الكبير»[2] أنه من كلام كعب الأحبار[3]، كما قد بُسِطَ في موضعه[4].

والقرآن يدلُّ علىٰ غلط هذا، ويبيِّن[5] أن الخلق[6] في ستة أيام، وثبت في «الصَّحيح»[7] أن آخر الخلق كان يومَ الجمعة، فيكون أولُ الخلق يومَ الأحد.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٨٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قال البخاري (١/ ٤١٣): «ورویٰ إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد الأنصاري عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «خلق الله التربة يوم السبت»، وقال بعضهم: عن أبي هريرة عن كعب. وهو أصح».

(٣) هو كعب بن ماتع الحميري، الحبر، كان يهوديًّا، فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر رضي الله عنه، فجالس الصحابة وكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويحفظ عجائب، ويأخذ السنن، وكان حسن الإسلام.

انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (٧/ ٣٠٧)، «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٤٨٩).

(٤) انظر: «مجموع الفتاویٰ»: (١/ ٢٥٧-٢٥٦)، (١٧/ ٢٣٦-٢٣٥)، (١٨/ ١٨-١٩).

(٥) المثبت من (ي)، وسائر النسخ: «بيّن».

(٦) زاد بعدها في هامش (ي): «كان».

(٧) مسلم (٢٧٨٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وكذلك ما روي: أنه ﷺ صلىٰ الكسوف بركوعين أو ثلاثة[1]، فإن الثابت المتواتر عن النبي ﷺ في «الصَّحيحين» وغيرِهما من حديث عائشةَ[2]، وابنِ عبَّاس[3]، وعبد الله بن عَمرو[4]، وغيرهم، أنه صلىٰ كلَّ ركعةٍ بركوعين.

ولهذا لم يخرِّج البخاريُّ إلا ذلك، وضعَّف الشافعيُّ والبخاريُّ[5] وأحمدُ في إحدىٰ[6] الروايتين عنه وغيرهم حديثَ الثَّلاثِ والأربع؛ فإن النَّبيَّ ﷺ إنما صلَّىٰ الكسوف مرةً واحدة، وفي حديث الثلاث والأربع أنه صلَّاها يوم مات إبراهيمُ ابنه، وأحاديث الركوعين كانت ذلك اليوم.

فمثل هذا الغلط إذا وقع: كان في نفس الأحاديث الصَّحيحة ما يبيِّن أنه غلط. والبخاريُّ إذا روىٰ الحديث بطُرُقٍ[7] في بعضِها غلطٌ في بعض الألفاظ ذَكَر معه الطُّرقَ التي تبيِّنُ ذلك الغلط، كما قد بسطْنا الكلامَ علىٰ ذلك في موضعه[8].

فكذلك إذا قيل: إنه وقع تبديل في بعض ألفاظ الكتب المتقدِّمة كان في الكتب ما يبيِّنُ ذلك الغلط، وقد قدَّمنا أن المسلمين لا يدَّعون أن كلَّ نسخةٍ في العالم من زمن محمَّدٍ ﷺ بكلِّ لسانٍ من التَّوراة والإنجيل والزَّبور بُدِّلت

---

(١) مسلم (٩٠١) عن عائشة رضي الله عنها.
(٢) البخاري (١٠٤٦)، ومسلم (٩٠١).
(٣) البخاري (٣٢٠٢)، ومسلم (٩٠٢).
(٤) البخاري (١٠٤٥)، ومسلم (٩١٠).
(٥) «البخاري» ليس في (ع).
(٦) (د، ع): «آخر». (ي): بلا نقط. (ط.النيل): «أخذ» تصحيف.
(٧) «بطرق» ليست في (و).
(٨) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٣٥٠).

ألفاظها، فإن هذا لا أعرف أحدًا من السَّلف[1] قاله، وإن كان من المتأخِّرين من قد يقول ذلك، كما في بعض المتأخِّرين من يُجوِّز الاستنجاء بكل ما في العالم من نسخ التَّوراة والإنجيل، فليست هذه الأقوال ونحوُها من أقوال سلف الأمة وأئمَّتِها.

وعمرُ بن الخطاب رضي الله عنه لما رأىٰ بيد كعبِ الأحبار نسخةً من التَّوراة قال: «يا كعب إن كنت تعلم أن هذه هي التَّوراة التي أنزلها الله علىٰ موسىٰ بن عمران فاقرأها»[2]. فعلَّق الأمر علىٰ ما يمتنع العلم به، ولم يجزم عمر رضي الله عنه بأن ألفاظ تلك مبدَّلةً لمَّا لم يتأمَّل كلَّ ما فيها.

والقرآن والسُّنة المتواترة يدلَّان علىٰ أن التَّوراةَ والإنجيل الموجودَيْنِ في زمن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فيها ما أنزله الله عز وجل. والجزم بتبديل ذلك في جميع النُسَّخ التي في العالم متعذِّر، ولا حاجة بنا إلىٰ ذكره، ولا علم لنا بذلك، ولا يمكن أحدًا من أهل الكتاب أن يدَّعيَ أن كلَّ نسخةٍ في العالم بجميع الألسنة من الكتب متَّفقةٌ علىٰ لفظٍ واحد، فإنَّ هذا ممَّا لا يمكن أحدًا من البشر أن يعرفه باختباره[3] وامتحانه، وإنما يعلم مثلُ هذا بالوحي، وإلا فلا يمكن أحدًا من البشر أن يقابل كلَّ نسخةٍ موجودةٍ في العالم بكلِّ نسخةٍ من جميع الألْسِنة بالكتب الأربعة والعشرين، وقد رأيناها مختلفةً في الألفاظ اختلافًا بيّنًا.

---

(١) (و): «المسلمين».

(٢) أخرجه مالك في «الموطأ» (١/ ١٠٨) رواية أبي مصعب الزهري، بسنده عن زيد بن أسلم. وانظر: «التمهيد» (١٤/ ٣٨٧).

(٣) (ع، ط.النيل): «باختياره».

والتَّوراة هي أصحُّ الكتب، وأشهرُها عند اليهود والنصارىٰ، ومع هذا فنسخة السَّامِرة مخالفةٌ لنسخة اليهود والنَّصارىٰ، حتىٰ في نفس الكلمات العشر، ذُكِرَ في نسخة السَّامِرة منها من أمر استقبال الطُّورِ ما ليس في نسخة اليهود والنَّصارىٰ، وهذا ممَّا يبيِّن أن التَّبديل وقع في كثيرٍ من نسخ هذه الكتب، فإن عند السَّامِرة نسخًا متعدِّدة.

وكذلك رأينا في الزَّبور نسخًا متعدِّدةً تخالف بعضُها بعضًا مخالفةً كثيرةً في كثيرٍ من الألفاظ والمعاني، يقطَعُ من رآها أن كثيرًا منها كذبٌ علىٰ زبور داود، ليست من زبور داود عَلَيْهِ السَّلَامُ[1]، وأما الأناجيل فالاضطراب فيها أعظم منه في التَّوراة.

فإن قيل: فإذا كانت الكتب المتقدِّمة منسوخةً؛ فلماذا ذُمَّ أهلُ الكتاب علىٰ ترك الحكم بما أنزل الله منها؟

قيل: النَّسْخ لم يقع إلا في قليلٍ من الشَّرائع، وإلا فالإخبار عن الله وعن اليوم الآخر وغير ذلك لا نسخ فيه.

وكذلك الدِّينُ الجامع، والشَّرائع الكلِّيَّةُ لا نسخ فيها، وهو سبحانه ذمَّهم علىٰ ترك اتِّباع الكتاب الأول؛ لأن أهل الكتاب كفروا من وجهين: من جهة تبديلهم الكتابَ الأوَّل وتركِ الإيمان والعمل ببعضه، ومن جهة تكذيبهم بالكتاب الثاني وهو القرآن، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ

(١) «ليست من زبور داود» ليست في (ي).

﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١] فبيَّن أنهم كفروا قبل مبعثه بما أنزل عليهم وقتلوا الأنبياء، كما كفروا حين مبعثه[1] بما أنزل عليه[2].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٨٣] وقال تعالىٰ: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤] وقال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [القصص: ٤٨ - ٤٩]

وإذا كان الأمر كذلك فهو سبحانه يذمُّهم علىٰ ترك اتِّباع ما أنزله في التَّوراة والإنجيل، وعلىٰ ترك اتِّباع ما أنزله في القرآن، ويبيِّن كُفْرهَم بالكتاب الأول، وبالكتاب الثاني، وليس في شيءٍ من ذلك أمْرُهم أن يحكموا بالمنسوخ من الكتاب الأول، كما ليس فيه أمرُهم أن يحكموا بالمنسوخ في الكتاب الثاني.

---

(١) (ي): «مبعثك».

(٢) (ي): «عليك».

فصـل

فحينئذ فقولهم: «إنّا نعجب من هؤلاء القوم علىٰ علمهم وذكائهم ومعرفتهم، كيف يحتجُّون علينا بمثل هذا القول؟

وذلك أنا أيضًا إذا قلنا واحتججنا عليهم[1] بمثل هذا القول: إن الكتاب الذي بأيديهم يومَنا هذا قد غيروه، وبدَّلوه، وكتبوا فيه ما أرادوا واشتهوا، هل كانوا يجوِّزون كلامنا؟

قال الحاكي عنهم: فقلت لهم: هذا ما[2] لا يجوز ولا يمكن لأحدٍ أن يقوله، ولا يمكن تغييرُه، ولا تبديل حرفٍ واحدٍ منه.

فقالوا: سبحان الله العظيم! إذا كان الكتاب الذي لهم، الذي هو باللِّسان الواحد لا يمكن تبديلُه، ولا تغييرُ حرفٍ واحدٍ منه، فكيف يمكن تغييرُ كتبنا التي هي مكتوبةٌ باثنين وسبعين لسانا؟ وفي كلِّ لسانٍ منها كذا وكذا ألفِ مصحف[3]، وجاز عليها إلىٰ مجيء محمَّدٍ أكثر من سِتِّمائة سنة[4]، وصارت في أيدي الناس يقرؤونها باختلاف ألسنتهم علىٰ تشاسُع بلدانهم.

فمن الذي تكلَّم باثنين وسبعين لسانًا؟ ومن هو الذي حكم علىٰ الدنيا جميعِها؛ ملوكها، وقساقستها[5]، وعلمائها[6]، حتىٰ حكم علىٰ جميعها في

---

(١) «عليهم» ليست في (ع).

(٢) (ط.النيل): «مما».

(٣) كذا في (جميع النسخ)، وسيأتي كذلك في (٢/ ٧٨). وفي (المطبوعتين): «نسخة».

(٤) «سنة» ساقطة من (ي).

(٥) كذا في الأصول، وهو جمع صحيح «القسّ» علىٰ غير قياس، كما في «لسان العرب» (٦/ ١٧٤). وسيأتي كذلك في (٢/ ٨٦، ٩٢). وفي (المطبوع): «قساوستها».

(٦) (د، ع، ط.النيل): «وغالبها». والصواب المثبت، كما سيأتي في (٢/ ٨٦، ٩٢).

أقطار الأرض[1]، وجمعها في أربع زوايا العالم حتىٰ يغيِّرها؟

وإن كان غيَّر بعضَها وترك بعضَها، فهذا لا يمكن أن يكون؛ لأن كلَّها قولٌ واحدٌ، ولفظٌ واحد في جميع الألسُن، فهذا ما[2] لا يجوز لقائل أن يقوله أبدًا».

والجواب أن يقال:

أولًا: هذا الكلام منهم يدل علىٰ غاية جهلهم بما يقوله المسلمون في كتبهم، وتَبَيَّن أنهم -لفرط جهلهم- يظنُّون أن المسلمين يقولون مقالةً لا يخفىٰ فسادُها علىٰ من له أدنىٰ عقلٍ ومعرفة.

والمسلمون فلا يشكُّ أحدٌ من الأمم أنهم أعظم الأمم عقولًا وأفهامًا، وأتمّهم معرفةً وبيانًا، وأحسنُ قصدًا وديانةً وتحرِّيًا للصِّدق والعدل، وأنهم لم يحصل في النَّوع الإنسانيِّ أمَّةٌ أكملُ منهم، ولا ناموسٌ أكملُ من النَّاموس الذي جاء به نبيُّهم محمَّدٌ ﷺ، وحُذَّاقُ الفلاسفة معترفون لهم بذلك، وأنه لم يقْرع العالمَ ناموسٌ أكملُ من هذا النَّاموس.

وقد جمع الله للمسلمين جميعَ طرقِ المعارف الإنسانيَّةِ وأنواعها، فإن الناس نوعان: أهل كتاب، وغير أهل كتاب، كالفلاسفة والهند[3].

والعلم ينال بالحسِّ والعقل وما يحصل بهما، وبوحي الله إلىٰ أنبيائه الذي هو خارجٌ عما يشترك فيه الناس من الحسِّ والعقل.

ولهذا قيل: الطرق العلمية: البصر والنظر والخبر. الحس والعقل

(١) (ي): «جميع من بأقطار».

(٢) «ما» ليست في (و)، (ط.النيل): «مما».

(٣) (المطبوعتان): «والهنود».

والوحي. الحس والقياس والنبوة.

فأهل الكتاب امتازوا عن غيرهم بما جاءهم من النُّبوَّة، مع مشاركتهم لغيرهم فيما يشترك فيه النَّاس من العلوم الحسِّيَّة والعقليَّة.

والمسلمون حصل لهم من العلوم النبويَّةِ والعقليَّةِ ما كان للأمم قبلهم، وامتازوا عنهم بما لا تعرفه الأمم. وما اتَّصل إليهم من عقليَّات الأمم هذَّبوه لفظًا ومعنًى حتىٰ صار أحسنَ ممَّا كان عندهم، ونفوْا عنه من الباطل[1]، وضمُّوا إليه من الحقِّ ما امتازوا به علىٰ من سواهم.

وكذلك العلوم النبويَّة أعطاهم الله منها[2] ما لم يعطه أمَّةً قبلهم، وهذا ظاهرٌ لمن تدبَّر القرآنَ مع تدبُّر التَّوراة والإنجيل؛ فإنه يجد من فضل علم القرآن ما لا يخفىٰ إلا علىٰ العُمْيان.

فكيف يُظَنُّ مع هذا بالمسلمين أن يخفىٰ عليهم فسادُ هذا الكلام الذي ظنَّه بهم هؤلاء الجُهَّال.

ويقال ثانيًا: الجواب من وجوه:

أحدها: أن المسلمين لم يدَّعوا أن هذه الكتبَ حُرِّفت بعد انتشارها وكَثْرة النُسَّخ بها، ولكنَّ جميعَهم متَّفِقون علىٰ وقوع التَّبديل والتغيير في كثيرٍ من معانيها، وكثيرٍ من أحكامها.

وهذا ممَّا تُسَلِّمه النصارىٰ جميعُهم في التَّوراة، والنُّبوَّات المتقدِّمة، فإنهم

---

(١) (و، ع، ط.النيل): «الناموس» كذا، والصواب هو المثبت؛ لدلالة سياق ما بعده؛ إذ هو مقابَل «بالحق».

(٢) «منها» سقطت من (المطبوع).

يسلمون أن اليهود بدلوا كثيرًا من معانيها وأحكامها.

ومما تُسَلِّمه النَّصارىٰ في فرقهم، فإن كلَّ فرقةٍ تخالف الأخرىٰ فيما تفسِّر به الكتبَ المتقدِّمة، وتُسَلِّمه اليهود؛ فإنهم متَّفِقون علىٰ أن النَّصارىٰ تفسِّر التَّوراة والنُّبوَّات المتقدِّمة علىٰ الإنجيل بما يخالف معانيها، وأنها بَدَّلت أحكامَ التَّوراة، فصار تبديل كثيرٍ من معاني الكتب المتقدِّمة متَّفقًا عليه بين المسلمين واليهود والنصارىٰ.

وأما تغييرُ بعضِ ألفاظها ففيه نزاعٌ بين المسلمين.

والصواب الذي عليه الجمهور: أنه بُدِّل بعضُ ألفاظها، كما ذُكِر ذلك في مواضعه[1].

الوجه الثاني: أن قياسَهم كتبَهم علىٰ القرآن وأنه كما لا تُسْمَع دعوىٰ التبديل فيه فكذلك في كتبهم= قياسٌ باطلٌ في معناه ولفظِه.

أما معناه: فكلُّ ما أجمع المسلمون عليه من دينهم إجماعًا ظاهرًا معروفًا عندهم فهو منقولٌ عن الرَّسول نقلًا متواترًا، بل معلومًا بالاضطرار من دينه، فإن الصَّلوات الخمس، والزكاةَ، وصيامَ شهر رمضان، وحجَّ البيت العتيق، ووجوبَ العدل والصِّدقِ، وتحريمَ الشرك والفواحشِ والظُّلمِ، بل[2] وتحريمَ الخمر، والميسر، والرِّبا، وغير ذلك، منقولٌ عن النَّبيِّ ﷺ نقلًا متواترًا كنقل ألفاظ القرآن الدَّالَّة علىٰ ذلك.

ومن هذا الباب: عمومُ رسالته ﷺ، وأنه مبعوثٌ إلىٰ جميع الناس، أهل الكتاب وغيرِ أهل الكتاب، بل إلىٰ الثَّقلين، الإنس والجن، وأنه كان يُكَفِّرُ

(١) انظر ما مضىٰ (٢/ ٢٢، ٢٩).

(٢) «بل» ليست في (و).

اليهود والنصارىٰ الذين لم يتِّبعوا ما أنزل الله عليه، كما كان يُكَفِّر غيرَهم ممَّن لم يؤمن بذلك، وأنه جاهدهم وأمر بجهادهم.

فالمسلمون عندهم منقولًا عن نبيِّهم نقلًا متواترًا ثلاثةُ أمور: لفظ القرآن، ومعانيه التي أجمع المسلمون عليها، والسُّنَّة المتواترة، وهي الحكمة التي أنزلها الله عليه غير القرآن[1].

كما قال تعالىٰ: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣]. وقال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [البقرة: ٢٣١]. وقال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

وبذلك دعا الخليل حيث قال لمَّا بنىٰ هو وإسماعيل الكعبة بأرض فاران[2] المذكورة في الكتاب الأول، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة:١٢٧-١٢٩].

---

(١) «غير القرآن» ليست في (و).

(٢) فاران: كلمة عبرانية معربة، وهي من أسماء «مكة» ذكرها في التوراة، قيل: هو اسم لجبال مكة. «معجم البلدان» (٤/ ٢٢٥).

وقال ﷺ: «ألا إنِّي أوتيتُ الكِتابَ ومِثْلَه مَعَهُ»[1].

فالمسلمون عندهم نقلٌ متواترٌ عن نبيِّهم بألفاظ القرآن ومعانيه المتَّفق عليها، وبالسُّنة المتواترة عنه، مثلُ: كون الظهر والعصر والعشاء أربعًا، وكونُ المغرب ثلاثَ ركعات، وكون الصُّبْح ركعتين، ومثل الجهر في العشائين والفجر، والمخافتةِ في الظُّهر والعصْر، ومثلُ كون الرَّكعة فيها سجدتان، وكونُ الطَّواف بالبيت وبين الصَّفا والمروة سبعًا، ورمي الجمرات كلُّ واحدةٍ سبعُ حصيات، وأمثال ذلك.

وأيضًا فالمسلمون يحفظون القرآن في صدورهم حفظًا يستغنون به عن المصاحف، كما ثبت في الصَّحيح الذي رواه مسلم[2] عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ رَبِّي قال لي: إني مُنَزِّلٌ عَلَيْكَ كتابًا لا يَغْسِلُه المَاء، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا ويَقْظَانَ».

يقول: ولو غُسِلَ بالماء من المصاحف لم يُغْسَل من القلوب كالكتب المتقدمة؛ فإنه لو عُدِمت نسخُها لم يوجد من ينقلها نقلًا متواترًا محفوظةً في الصُّدور.

والقرآن ما زال محفوظًا في الصُّدور نقلًا متواترًا، حتىٰ لو أراد مريدٌ أن يغيِّر شيئًا من المصاحف وعَرض ذلك علىٰ صِبْيان المسلمين لعرفوا أنه قد غَيَّر المصحفَ -لحفظهم للقرآن من غير أن يقابلوه بمصحف- وأنكروا ذلك.

---

(١) أخرجه أحمد (١٧١٧٤) وأبو داود (٤٦٠٤) عن المقدام بن معدي كرب ﷺ. ورجال إسناد هذا الحديث ثقات رجال الصحيح، غير عبد الرحمن بن أبي عوف الجرشي، وهو ثقة كما في «التقريب» رقم (٣٩٧٤).

(٢) (٢٨٦٥).

وأهل الكتاب يقدر الإنسان(١) أن يكتب نُسَخًا كثيرةً بالتوراة والإنجيل، ويُغَيِّرَ بعضَها، ويعرضَها علىٰ كثيرٍ من علمائهم، ولا يعرفون ما غُيِّر منها إن لم يعرضوه علىٰ النُّسَخ التي عندهم.

ولهذا لما غُيِّر مِن(٢) نسخ التَّوراة راجَ ذلك علىٰ طوائف منهم ولم يعلموا التَّغْيير.

وأيضًا فالمسلمون لهم الأسانيد المتَّصلة بنقل العدول الثقات(٣) لدقيق الدين، كما نقلَ العامَّةُ جليلَه، وليس هذا لأهل الكتاب.

وأيضًا فما ذكروه من أن كتبهم مكتوبةٌ باثنين وسبعين لسانًا هو أقرب إلىٰ التَّغْيير من الكتاب الواحد باللُّغة الواحدة؛ فإنَّ هذا مما يحفظه الخلق الكثير فلا يقدر أحدٌ أن يغيِّره.

وأما الكتب المكتوبة باثنين وسبعين لسانًا، فإذا قُدِّرَ أن بعض النُّسخ الموجودة ببعض الألسنة غُيِّرَ بعضُ ما فيها، لم يعلم بذلك سائر أهل الألسُن الباقية(٤)، بل ولم يعلم بذلك سائرُ أهل النُّسَخ الأُخَر، فالتغيير فيها ممكنٌ كما يمكن في نظائر ذلك.

وما ادَّعوه مِن تعذُّر جمْعِ جميع النُّسَخ هو حجّةٌ عليهم، فإن ذلك إذا كان متعذِّرًا لم يمكن الجزم باتفاق جميع(٥) النسخ لواحد، حتىٰ يشهد بأنها كلَّها متَّفقةٌ لفظًا ومعنًى، بل إمكان التَّغْيير فيها أيسر من إمكان الشَّهادة باتفاقها.

(١) بعدها في (المطبوعتين): زيادة «منهم» وليست في الأصول.
(٢) (ي): «بعض».
(٣) بعدها في (ي) «الناقلين».
(٤) «الباقية» ليست في (ي).
(٥) (د، ع، ط.النيل): «جمع».

ولهذا لا يمكن أحدًا تغيير القرآن، مع كونه محفوظًا في القلوب منقولًا بالتَّواتر، مع أنَّا لا نشهد لجميع المصاحف بالاتفاق، بل قد يقع في بعض نسخ المصاحف ما هو غلطٌ يعلمه حفَّاظ القرآن، ولا يحتاجون إلىٰ اعتبار ذلك بمصحفٍ آخر.

وتلك الكتب لا يحفظ كلًّا منها قومٌ من أهل التَّواتر حتىٰ تُعتَبر النُّسَخ بها، ولكن لمَّا كان الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فيهم موجودين، كانوا هم المرجع للنَّاس فيما يعتمدون عليه إذا غَيَّر بعضُ الناس شيئًا من الكتب، فلما انقطعت النبوَّة فيهم أسرع فيهم التغيير.

فلهذا بدَّل كثيرٌ من النصارىٰ كثيرًا من دين المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد رفعه بقليلٍ من الزمان، وصاروا يبدِّلون شيئًا بعد شيء، وتبقَّىٰ فيهم طائفةٌ متمسكةٌ بدين الحقِّ إلىٰ أن بعث الله محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد بقي من أولئك الذين علىٰ[1] الحقِّ طائفةٌ قليلة، كما في الحديث الصَّحيح الذي رواه مسلم[2] في «صحيحه»، عن عياض بن حمار المجاشعي[3] عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إنَّ الله نَظَرَ إلىٰ أهْلِ الأرْضِ فمَقَتَهم عَرَبَهُم وعجَمَهُم إلا بقَايَا مِنْ أهْلِ الكِتَابِ**» ماتوا قبيل مبعثه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد أدرك سلمانُ الفارسي - وكان قد تنصَّر بعد أن كان مجوسيًّا - طائفةً

(١) بعدها في هامش (ي): «الدين».
(٢) (٢٨٦٥).
(٣) (د، ع، ط.النيل): «المشاجعي» تصحيف. وقد كانت هكذا في (و) فضرب عليها، وألحقها في الهامش علىٰ الصواب.

ممن كانوا متَّبعين لدين المسيح عليه السلام، واحد بالموصل، وآخَرُ بنَصيبِين[1]، وآخرُ بعَمُّوريَّة[2].

وكل منهم يخبره بأنه لم يبْق علىٰ دين المسيح عليه السلام إلا قليل، إلىٰ أن قال له آخرهم: لم يبق عليه أحد، وأخبره أنه يُبْعَث نبيٌّ بدين إبراهيم من جهة الحجاز، فكان ذلك سببَ هجرة سلمانَ إليه وإيمانه به.

فالدِّين الذي اجتمع عليه المسلمون اجتماعًا ظاهرًا معلومًا، هو منقولٌ عن نبيِّهم نقلًا متواترًا، نقلوا القرآن ونقلوا سنَّته[3]، وسنَّتُه مفسِّرةٌ للقرآن مبيِّنةٌ له، كما قال تعالىٰ له: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فبَيَّنَ ما أنزل الله[4] لفظَه ومعناه، فصار معاني القرآن التي اتَّفق عليها المسلمون اتفاقًا ظاهرًا ممَّا توارثته الأمَّة عن نبيِّها، كما توارثت عنه ألفاظ القرآن.

فلم يكن -ولله الحمد- فيما اتَّفقت عليه الأمَّة شيءٌ محرَّفٌ مبدَّلٌ من المعاني، فكيف بألفاظ تلك المعاني؟ فإنَّ نقْلها والاتفاقَ عليها أظهر منه في الألفاظ، فكان الدِّين الظاهرُ للمسلمين الذي اتَّفقوا عليه مما نقلوه عن نبيِّهم، لفظه ومعناه، فلم يكن فيه تحريفٌ ولا تبديل، لا للَّفظ ولا للمعنىٰ، بخلاف التوراة والإنجيل فإن من ألفاظها ما بَدَّل معانيَه وأحكامه اليهودُ والنصارىٰ،

(١) مدينة كانت علىٰ جادّة القوافل من الموصل إلىٰ الشام، بينها وبين الموصل ستة أيام. «معجم البلدان» (٥/ ٢٨٨)، «المعالم الأثيرة» (٢٨٨).

(٢) كانت مدينة كبيرة للروم في هضبة الأناضول، تقع وسط تركيا، جنوب غربي أنقرة، وتسمىٰ اليوم «سيلفي حصار». انظر: «معجم البلدان» (٤/ ١٥٨)، «المعالم الأثيرة» (٢٠٢).

(٣) «نقلوا القرآن ونقلوا سنته» ليست في (و).

(٤) (ي): «إليه».

أو مجموعَهما تبديلًا ظاهرًا مشهورًا في عامَّتهم، كما بدَّلت اليهودُ ما في الكتب المتقدِّمة من البشارة بالمسيح ومحمَّدٍ ﷺ، وما في التَّوراة من الشرائع، وأمره، وفي بعض الأخبار.

وكما بدَّلت النَّصارىٰ كثيرًا مما في التَّوراة والنبوَّات من الأخبار، ومن الشَّرائع التي لم يغيِّرها المسيح، فإنَّ ما نسَخَه الله علىٰ لسان المسيح من التَّوراة يجب اتباعُ المسيح فيه.

وأما ما بُدِّل بعد المسيح، مثل: استحلال لحم الخنزير، وغيره مما حرَّمه الله ولم يبحه المسيح، ومثلُ: إسقاط الخِتان، ومثلُ الصَّلاة إلىٰ الشَّرق[1]، واتخاذِ الصُّور في الكنائس، وتعظيم الصَّليب، واتباع الرَّهْبانيَّة، فإن هذه كلَّها شرائعُ لم يشرعها نبيٌّ من الأنبياء، لا المسيحُ ولا غيرُه، خالفوا بها شرع الله الذي بَعَثَ به الأنبياء من غير أن يشرعها[2] الله علىٰ لسان نبي.

الوجه الثالث: أن القرآن قد ثبت بالنَّقل المتواتر المعلوم بالضَّرورة للموافق والمخالف أنَّ محمدًا ﷺ كان يقول: إنه كلامُ الله لا كلامُه، وإنه مبلّغ له عن الله، وكان يفرِّق بين القرآن وبين ما يتكلَّم به من السُّنة، وإن كان ذلك ممَّا يجب اتِّباعه فيه تصديقًا وعملًا؛ فإن الله أنزل عليه الكتاب والحكمة، وعلّم أمته الكتاب والحكمة، كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. وقال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ

---

(١) بعدها في (المطبوعتين): «وزيادة الصوم ونقله من زمان إلىٰ زمان». وليست في الأصول.
(٢) الأقرب في الأصول أنها: «شرعها»، والمثبت من (المطبوعتين).

وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣١] وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]. وقال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤] وقال تعالىٰ عن الخليل وابنه إسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة:١٢٨-١٢٩].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «ألا إنِّي أُوتيتُ الكِتَابَ ومثْلَه مَعَهُ»(١)، فكان يُعَلِّمُ أمَّته الكتاب، وهو القرآن العزيز الذي أخبرهم أنه كلامُ الله لا كلامُه، وهو الذي قال عنه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨].

وهو الذي شرع لأمَّته أن تقرأه في صلاتهم، فلا تصحُّ صلاةٌ إلا به، وعلَّمهم مع ذلك الحكمةَ التي أنزلها اللهُ عليه، وفرَّق بينها وبين القرآن من وجوه:

منها: أن القرآن معجز.

ومنها: أن القرآن هو الذي يُقرأ في الصلاة دونها.

ومنها: أن ألفاظ القرآن العربيَّةَ منزلةٌ علىٰ ترتيب الآيات، فليس لأحدٍ أن يغيرها باللِّسان العربيِّ باتِّفاق المسلمين، ولكن يجوز تفسيرها باللسان العربي، وترجمتها بغير العربيّ.

---

(١) تقدّم تخريجه (ص٦٤).

وأما تلاوتها بالعربيِّ بغير لفظها فلا يجوز باتفاق المسلمين، بخلاف ما علَّمهم من الحكمة، فإنه ليس حكمُ ألفاظها حكمَ ألفاظ القرآن.

ومنها: أن القرآن لا يمسُّه إلا طاهر[1]، ولا يقرؤه الجنب[2]، كما دلَّت عليه سنَّتُه عند جماهير أمَّتِه، بخلاف ما ليس بقرآن.

والقرآن تلقَّتْه الأمَّةُ منه حفظًا في حياته، وحفظ القرآن جميعه في حياته غيرُ واحدٍ من أصحابه، وما من الصَّحابة إلا من حفظ بعضه، وكان يحفظ بعضهم ما لا يحفظه الآخر، فهو جميعه منقول سماعًا منه بالنَّقْل المتواتر، وهو يقول: إنه مُبلِّغٌ له عن الله، وهو كلام الله لا كلامُه.

وفي القرآن ما يُبَيِّن أنه كلام الله نصوصٌ كثيرة، وكان الذين رأوا محمدًا ﷺ ونقلوا ما عاينوه من معجزاته، وأفعاله، وشريعته، وما سمعوه من القرآن، وحديثه، ألوفًا مؤلفةً، أكثرَ من مائة ألف رأوه وآمنوا به.

وأما الإنجيل الذي بأيدي النصارىٰ، فهي أربعة أناجيل: إنجيل متَّىٰ، ويوحنَّا، ولوقا، ومرقس، وهم متَّفقون علىٰ أن لوقا ومرقس لم يريا المسيح،

---

(١) مشهور عند أهل العلم بكتاب رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم رضي الله عنه. أخرجه الدارمي (٢٣١٢)، وابن حبان (٦٥٥٩) والدارقطني (٤٣٨)، وغيرهم. قال الإمام أحمد كما في «جزء في مسائل عن أحمد للبغوي» (ص٥١): «أرجو أن يكون صحيحًا». ونقل عنه ابن عبد الهادي في «تنقيح التحقيق» (٣/ ١١) أنه قال: «صحيح». وقال ابن عبد البر في «التمهيد» (١٧/ ٣٣٨): «روي مسندًا من وجه صالح، وهو كتاب مشهور عند أهل السير معروف ما فيه عند أهل العلم معرفة تستغني بشهرتها عن الإسناد؛ لأنه أشبه التواتر في مجيئه؛ لتلقي الناس له بالقبول والمعرفة».

(٢) أخرجه أبو داود (٢٢٩) والترمذي (١٣١) وابن ماجه (٥٩٤) وقال الترمذي: وهو قول أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ، والتابعين، ومن بعدهم. مثل: سفيان الثوري، وابن المبارك، والشافعي، وأحمد. وصححه الحاكم (١/ ٢٥٣) ووافقه الذهبي.

وإنما رآه متَّىٰ ويوحنَّا، وأن هذه المقالات الأربعة التي يُسَمُّونها الإنجيل، وقد يسمُّون كلَّ واحدٍ[1] إنجيلًا، إنما كتبها هؤلاء بعد أن رُفِع المسيح، فلم يذكروا فيها أنها كلامُ الله، ولا أنَّ المسيح بلَّغها عن الله، بل نقلوا فيها أشياء من كلام المسيح، وأشياء من أفعاله ومعجزاته.

وذكروا أنهم لم ينقلوا كلَّ ما سمعوه منه ورأوه، فكانت من جنس ما يرويه أهل الحديث، والسِّيَر والمغازي عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله التي ليست قرآنًا.

فالأناجيل التي بأيديهم شِبْهَ كتاب السِّيرة، وكتب الحديث، ومثل هذه الكتب، وإن كان غالبها صحيحًا.

وما قاله المسيح[2] عليه السلام فهو مبلِّغٌ له عن الله، يجب فيه تصديقُ خبره وطاعةُ أمره كما[3] قاله الرسول من السُّنة، فهو يشبه ما قاله الرسول من السُّنة، فإنّ منها ما يذكر الرسول أنه قول الله، كقوله: يقول الله تعالىٰ: «**مَنْ عَادَىٰ لي وَلِيًّا فَقَدْ آذنْتُه بالحَرْبِ**»[4] ونحو ذلك.

ومنها ما يقوله هو، ولكن هو أيضًا ممَّا أوحاه الله إليه، فمن أطاع الرسول فقد أطاع الله، فهكذا ما يُنقَلُ في الإنجيل هو من هذا النَّوع، فإنه وإن[5] كان أمرًا من المسيح، فأمْرُ المسيح أمرُ الله، ومن أطاع المسيح فقد أطاع الله.

---

(١) بعدها في (المطبوعتين): «منهم».
(٢) «المسيح» ليس في (المطبوع).
(٣) كتب في هامش (و): لعله: «فما».
(٤) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).
(٥) (وإن) ساقطة من (المطبوع).

وما أخبر به المسيحُ عن الغيب فاللهُ أخبَرَه به، فإنه معصومٌ أن يَكْذِبَ[1] فيما يخبِرُ به.

وإذا كان الإنجيل يشبه السُّنَّة المنَزَّلة، فإنه قد يقع في بعض ألفاظها غلط، كما يقع في كتاب[2] السِّيرة، و«سننِ أبي داود»، والتِّرمذي، وابن ماجه.

ثم هذه الكتب قد اشتهرت واستفاضت بين المسلمين فلا يمكن أحدٌ - بعد اشتهارها وكثرة النُّسَخ بها- أن يبدِّلها كلَّها، لكن في بعض ألفاظها غلطٌ وقع فيها قبل أن تشتهر، فإن المحدِّث - وإن كان عدلًا - فقد يغلط، لكن[3] ما تلقَّاه المسلمون بالقبول، والتَّصديق، والعمل من الأخبار فهو مما يجزم جُمْهورُ المسلمين بصدْقِهِ عن نبيِّهم، هذا مذهب السَّلف، وعامَّة الطَّوائف، كجمهور الطَّوائف الأربعة، وجمهور أهل الكلام، من الكُلَّابية، والكَرَّاميَّة، والأشعريَّة، وغيرهم[4].

ولكن ظنّ بعض أهل الكلام أنه لا يُجزم بصدقها؛ لكون الواحد قد يغلط أو يكذب، وهذا الظن إنما يتوجَّه في الواحد الذي لم يُعرف صدقُه وضبطُه، أما إذا عُرِفَ صدقُه وضبطُه، إما بالمعجزات كالأنبياء، وإما بتصديق النَّبيِّ له فيما

(١) «أن يكذب» ليست في (و، ي).
(٢) (المطبوع): «كتب». خلافًا للأصول.
(٣) «لكن ما تلقاه...ماعند المسلمين» ساقط من (د) وهو في نحو صفحتين.
(٤) تقدّم ذكر الكرّامية والأشعرية (١/ ٣٧٦). وأما الكُلّابية فهم: أتباع عبد الله بن سعيد بن كُلّاب، الذي سلك الأشعري خطته، وهو أول من عرف عنه إنكار قيام الأفعال الاختيارية بذات الربّ تعالىٰ، وأن القرآن معنًى قائم بالذات. انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ١٣٠) و«اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٤٣٢).

يقول، وإمَّا باتِّفاق الأمَّة المعصومة علىٰ صدقه، أو اتِّفاقهم[1] علىٰ العمل بخبره، أو اتفاقهم علىٰ قبول خبره وإقراره، وذكره من غير نكير، أو ظهور دلائلَ وشواهدَ وقرائنَ احتفَّت بخبره، ونحوِ ذلك من الدَّلائل الدَّالَّة[2] علىٰ صدق المخبِر، فهذه يجب معها الحكم بصدقه، وأنه لم يكذب ولم يغلط، وإن كان خبره لو تجرَّد عن تلك الدَّلائل أمكن كذِبُه أو غلطه، كما أن الخبرَ المجرَّد لا يُجْزَمُ بكذِبه إلا بدليلٍ يدلُّ علىٰ ذلك، إما قيامِ دليلٍ عقليٍّ قاطع، أو سمعيٍّ قاطع علىٰ أنه بخلافٍ مخبره، فيُجزم ببطلان خبره[3]، وحينئذ فالمخبِرُ إمَّا كاذب، أو غالط، وقد يُعلم أحدهما بدليل.

فالمسلمون عندهم من الأخبار عن نبيِّهم ما هو متواتر، وما اتَّفقت الأمَّةُ المعصومة علىٰ تصديقه، وما قامت دلائل صدقه من غير هذه الجهة مثل: أن يخبر واحدٌ، أو اثنان، أو ثلاثة بحضرة جمْعٍ كثير لا يجوز أن يتواطؤوا علىٰ الكذب بخبر يقولون: إن أولئك عاينوه وشاهدوه، فَيُقِرُّونهم علىٰ هذا ولا يكذِّبُه[4]منهمً أحد، فيُعلم بالعادة المطَّرِدة أنه لو كان كاذبًا لامتنع اتفاق أهل التَّواتر علىٰ السُّكوت عن تكذيبه، كما يمتنع اتفاقُهم علىٰ تعمُّد الكذب.

وإذا نقل الواحدُ والاثنانُ ما توجِبُ العادةُ اشتهارَه وظهورَه ولم يظهر، ونقلوه مسْتَخْفين بنقله لم ينقلوه علىٰ رؤوس الجمهور، عُلِم أنهم كذبوا فيه.

---

(١) (ع. ط.النيل): «واتفاقهم».

(٢)«الدالة» ساقطة من (المطبوع).

(٣) (ي، ع، ط.النيل): «مخبره».

(٤) (المطبوعتان): «يكذب به».

ودلائل صدق المخبِر وكذبِه كثيرةٌ متنوعةٌ، ليس هذا موضع بسْطِها. **ولكنَّ المقصود هنا**: أنَّ المسلمين تواتر عندهم عن نبيِّهم ألفاظُ القرآن ومعانيه المجمع عليها، والسُّنَّةُ المتواترة. وعندهم عن نبيِّهم أخبارٌ كثيرةٌ معلومةُ الصِّدق بطرقٍ متنوعة، كتصديق الأمَّة المعصومة، ودلالةِ العادات، وغير ذلك، وهم يحفظون القرآن في صدورهم، لا يحتاجون في حفظه إلىٰ كتابٍ مسطور، فلو عُدِمت المصاحفُ من الأرض لم يقدح ذلك فيما حفظوه.

بخلاف أهل الكتاب؛ فإنه لو عُدمت نُسَخ[1] الكتب لم يكن عندهم به نقلٌ متواترٌ بألفاظها؛ إذ لا يحفظها -إن حفظها- إلا قليلٌ لا يوثَقُ بحفظهم؛ فلهذا كان أهل الكتاب بعد انقطاع النُّبوَّة عنهم يقع فيهم من تبديل الكتب، إمّا تبديل بعض معانيها وأحكامها، وإما تبديل بعض ألفاظها ما لم يقوموا بتقويمه؛ ولهذا لا يوجد فيهم الإسناد الذي للمسلمين، ولا لهم كلامٌ في نَقَلَة العلم، وتعديلِهم وجرحِهم، ومعرفةِ أحوال نَقَلَة العلم ما للمسلمين، ولا قام دليلٌ سمعيٌّ ولا عقليٌّ علىٰ أنهم لا يجتمعون علىٰ خطأ، بل قد عُلم أنهم اجتمعوا علىٰ الخطأ لمَّا كذَّبوا المسيح، ثم كذَّبوا محمَّدًا ﷺ.

فإذا كانت الكتب المنقولة عن الأنبياء من جنس الكتب المنقولة عن محمّد، ولم تكن[2] متواترةً عنهم، ولم يكن تصديقُ غير المعصوم حجَّة، لم يكن عندهم من العلم بالتمييز بين الصِّدق والكذب ما عند المسلمين[3].

---

(١) «نسخ» ساقطة من (و).

(٢) (و، ي): «وليست» بدل: «ولم تكن».

(٣) هنا انتهىٰ السقط في (د).

فهذه الأناجيل التي بأيدي النصارىٰ من هذا الجنس، فيها شيءٌ كثيرٌ من أقوال المسيح وأفعاله ومعجزاته، وفيها ما هو غلطٌ عليه بلا شك، والذي كتبها في الأوَّل إذا لم يكن ممَّن يُتَّهم بتعمُّد[1] الكذب[2]؛ فإن الواحد والاثنين والثلاثة والأربعة لا يمتنع وقوعُ الغلط والنسيان منهم، لا سيَّما ما سمعه الإنسان ورآه ثم حدَّث به بعد سنينَ كثيرة، فإن الغلط في مثل هذا كثير، ولم يكن هناك أمَّةٌ معصومةٌ يكون تلقيها لها بالقبول والتصديق موجبًا للعلم بها، لئلا تجتمع الأمَّةُ المعصومة علىٰ الخطأ، والحواريُّون كلهم اثنا عشر رجلًا.

وقصَّة الصَّلب ممَّا وقع فيها الاشتباه، وقد قام الدَّليل علىٰ أن المصلوب لم يكن هو المسيح عليه السلام، بل شَبَهه، وهم ظنوا أنه المسيح، والحواريُّون لم يَر أحدٌ منهم المسيحَ مصلوبًا، بل أخبرهم بصَلْبه بعضُ مَن شهد ذلك من اليهود[3].

فبعض الناس يقول: إن أولئك تعمَّدوا الكذب، وأكثر الناس يقول: اشتبه عليهم، ولهذا كان جمهور المسلمين يقولون في قوله: ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧] عن أولئك، ومن قال بالأول جعل الضمير في ﴿شُبِّهَ لَهُمْ﴾ عن السَّامعين لخبر أولئك، فإذا جاز أن يغلطوا في هذا، ولم يكونوا معصومين في نقله، جاز أن يَغلطوا في بعض ما ينقلونه عنه. وليس هذا مما يقدح في رسالة المسيح، ولا فيما تواتر نقْلُه عنه بأنه رسولُ الله الذي يجب اتباعه، سواء صُلِب

(١) «بتعمد» ليست في (و، ي).
(٢) (و): «بالكذب».
(٣) (و): «الشهود».

أو لم يُصْلب، وما تواتر عنه فإنه يجب الإيمان به، سواء صلب أو لم يصلب.

والحواريون مصدَّقون فيما ينقلونه عنه، لا يُتَّهَمُون بتعمُّد الكذب عليه، لكن إذا غلط بعضهم في بعض ما ينقله لم يمنع ذلك أن يكون غيره معلومًا، لا سيَّما إذا كان ذلك الذي غلط فيه مما تبيَّن غلطُه فيه في مواضعَ أخر.

وقد اختلف النَّصارىٰ في عامَّة ما وقع فيه الغلط، حتّىٰ في الصَّلْب، فمنهم من يقول: المصْلوب لم يكن المسيح، بل الشَّبَه كما يقوله المسلمون، ومنهم من يُقِرُّ بعبوديَّته لله وينكر الحلولَ والاتحاد كالأريوسيَّة، ومنهم من ينكر الاتحاد، وإن أقرَّ بالحُلول كالنُّسطورية.

وأما الشَّرائع التي هم عليها، فعلماؤهم يعلمون أن أكثرها ليس عن المسيح عليه السلام، فالمسيح لم يشرع لهم الصَّلاة إلىٰ المشرق، ولا الصِّيام الخمسين[1]، ولا جعَلَه في زمن الرَّبيع، ولا عيدَ الميلاد والغطَّاس، وعيد الصَّليب، وغير ذلك من أعيادهم[2]، بل أكثر ذلك مما ابتدعوه بعد الحواريين، مثل: عيد الصَّليب؛ فإنه مما ابتدعتْه هيْلانة الحرَّانيَّة أمُّ قُسْطَنطين[3].

وفي زمن قُسْطَنطين غيَّروا كثيرًا من دين المسيح، العقائد والشرائع، فابتدعوا «الأمانة» التي هي عقيدة إيمانهم، وهي عقيدةٌ لم ينطق بها شيءٌ من كتب الأنبياء التي هي عندهم، ولا هي منقولةٌ عن أحدٍ من الأنبياء، ولا عن أحدٍ من الحواريِّين الذين صحبوا المسيح، بل ابتدعها لهم طائفةٌ من أكابرهم، قالوا:

---

(١) بعدها في (ع): «يومًا».
(٢) تقدّم ذكر هذه الأعياد وغيرها (١/ ١٨٧).
(٣) تقدّم ذكر هيلانة (١/ ١٨٨).

كانوا ثلاثَمائةٍ وثمانيةَ عشر، واستندوا في ذلك إلىٰ ألفاظٍ متشابهة في الكتب. وفي الكتب: ألفاظٌ محكمةٌ تناقض ما ذكروه، كما قد بُسِط في موضعٍ آخر(١).

وكذلك عامَّة شرائِعهم التي وضعوها في كتاب «القانون»(٢)، بعضها منقولٌ عن الأنبياء، وبعضها منقولٌ عن الحواريِّين، وكثيرٌ منها مما ابتدعوه ليست منقولةً عن أحدٍ من الأنبياء، ولا عن الحواريين، وهم يجوِّزون لأكابر أهل العلم والدِّين أن يغيِّروا ما رأوه من الشَّرائع، ويضعوا شرعًا جديدًا؛ فلهذا كان أكثرُ شرعهم مبتدعًا، لم يَنْزِل به كتاب(٣)، ولا شرَعَه نبيٌّ.

---

(١) انظر: (٢/ ٢٢٢-٢٢٣).

(٢) وهو «قانون الإيمان» أو «شريعة الإيمان» أو «القانون النيقاوي» المعروفة بـ«الأمانة». وانظر: «تخجيل من حرف التوراة والإنجيل» (٢/ ٤٩٩)، وما تقدّم (١/ ١٧٣).

(٣) (و): «ينزل الله به كتابًا».

فصـل

وأما قولهم: «كيف يمكن تغييرُ كتبنا التي هي مكتوبةٌ باثنين وسبعين لسانًا، وفي كل لسانٍ منها كذا وكذا ألفِ مصحف[1]، ومضىٰ عليها إلىٰ مجيء محمَّدٍ أكثر من ستِّمِائة سنة»؟

فيقال: أما بعد انتشارها هذا الانتشار فلم يقُل المسلمون، بل ولا طائفةٌ معروفةٌ منهم: إن ألفاظ جميعِ كلِّ نسخةٍ في العالم غُيِّرَت، لكنَّ جمهورَ المسلمين الذين يقولون: إن في ألفاظها ما غُيِّر، إنما يدَّعون تغييرَ بعضِ ألفاظها قبل المبعث، أو تغييرَ بعضِ النُّسَخ بعد المبعث، لا تغيير جميع النُّسَخ، فبعض الناس يقول: إن ذلك التغيير وقع في أوَّلِ الأمر، ويقول بعضهم: إن منها ما غُيِّر بعد مبعث محمَّدٍ ﷺ، ولا يقولون: إنه غُيِّر كلُّ نسخةٍ في العالم، بل يقولون: غُيِّر بعضُ النُّسَخ دون البعض، وظهر عند كثيرٍ من النَّاس النُّسخُ المبدَّلة دون التي لم تُبدَّل، والنسخ التي لم تُبدَّل هي موجودةٌ عند بعض الناس.

ومعلومٌ أن هذا لا يمكن نفيه؛ فإنه لا يمكن أحدًا أن يعلم أن كلَّ نسخةٍ في العالم بكلِّ لسانٍ مطابقٌ لفظُها سائرَ النُّسخ بسائر الألسنة، إلا من أحاط علمًا بذلك، وهم قد سلَّموا أن أحدًا لا يمكنه ذلك.

وأما مَن ذَكَر أن التَّغْيير وقع في أوَّل الأمر، فهم يقولون: إنما أُخِذت الأناجيل عن أربعة: اثنان منهم لم يريا المسيح، بل إنما رآه اثنان مِن نَقَلَة الإنجيل: متَّىٰ، ويوحنَّا. ومعلومٌ إمكانَ التَّغيير في مثل ذلك.

---

(١) (ع): «كذلك مصحف».

وأما قولهم: «إنها مكتوبة باثنين وسبعين لسانًا» فمعلومٌ باتِّفاق النَّصارىٰ أن المسيح لم يكن يتكلَّم إلا بالعِبْرية كسائر أنبياء بني إسرائيل، وأنه كان مختونًا، خُتِن بعد السابع كما يخْتَتِن بنو إسرائيل، وأنه كان يصلِّي إلىٰ قبلتهم، لم يكن يصلي إلىٰ الشرق، ولا أُمِر بالصَّلاة إلىٰ الشَّرق.

ومن قال: إن لسانه كان سُريانيًّا كما يظنّه بعض الناس فهو غالط، فالكلام المنقول عنه في الأناجيل إنما تكلَّم به عِبْريًا، ثم[1] تُرْجِمَ من تلك اللغة إلىٰ غيرها.

والتَّرجمة يقع فيها الغلط كثيرًا، كما وجدنا في زماننا ما يترجموا[2] التَّوراة من العِبْريَّة إلىٰ العربيَّة، ويَظْهَر في التَّرجمة من الغلط ما يشهد به الحُذَّاق الصَّادقون ممَّن يعرف اللُّغتين.

والنصارىٰ يقولون: إنما كُتِبَت بأربع لغات: بالعِبْريَّة، والرُّوميَّة، واليونانيَّة، والسُّريانيَّة[3].

وأما قولهم: «إنها كتبت باثنين وسبعين لغة» فهذا إن كان صحيحًا فإنما كتبت بعد أن كتبت تلك الأربعة، فإذا كان الغلط وقع في مواضع من تلك الأربعة لم يرفعه بعد ذلك كتابتُها باثنين وسبعين لغة، فإن المسلمين لا يقولون: إنها[4] كتبت باثنين وسبعين لغة غُيِّرَ لفظُه[5] في جميع الألسن لاثنين وسبعين

---

(١) «ثم» ساقطة من (ي). وفي (أ) زاد بعد (ثم) جملة: «نقله الإنجيل إن نقوله بلغته كان عبريًا فقد» مقحمة. وقد كانت أثبتت في (د) ثم ضرب عليها.

(٢) كذا في الأصول: «ما يترجموا». وفي (المطبوعتين): «من يترجم».

(٣)«والسريانية» ليست في (ي).

(٤) كتب في هامش (و) هنا: «لعله: بعد». فتكون العبارة: «فإن المسلمين لا يقولون: إنها بعد كتبت...».

(٥) (المطبوعتان): «لفظها».

لغة في كل نسخة من ذلك.

وإنما يقال[1]: التَّغيير وقع قبل ذلك، كما يقال في سائر ما يروونه[2] عن المسيح وموسىٰ ومحمد - عليهم صلوات الله وسلامه - من الحديث، مثل «سيرة ابن إسحاق» وأحاديث السُّنن والمسانِد المأثورة عن النبي ﷺ، فإنّ في العالم بكلِّ كتابٍ منها نسخٌ كثيرة، لا يمكن أن يُغَيَّر منها فصلٌ طويل، ولكن في نفس السِّيرة وقع غلطٌ في مواضع، وأحاديث وقعت في السُّنن هي غلطٌ في الأصل، فاشتهار النُّسخ بها بعد ذلك لا يَمْنع وقوعَ الغلط في الأصل، وهذه كتب التَّفسير، والفقه، والرقائق[3]، ما من كتابٍ إلا وبه نسخٌ كثيرةٌ في العالم، لا يمكن تغييرُ فصلٍ طويلٍ منها، وفيها أحاديثُ غلطٌ في الأصل.

والأناجيل التي بأيدي النَّصارىٰ تشبه هذا؛ ولهذا أُمِروا أن يحكموا بما فيها، فإن فيها أحكامَ الله، وعامَّة ما فيها من الأحكام لم يبدَّل لفظُه، وإنما بُدِّلت بعضُ ألفاظ الخبريَّات، وبعضُ معاني الأمْريَّات، كما نؤمر نحن أن نعمل بأحاديث الأحكام المعروفة عن النَّبيِّ ﷺ، فإن العلماء اعتنَوْا بضبطها أكثرَ من اعتنائهم بضبط الخبريَّات، كأحاديث الزُّهد، والقصص، والفضائل، ونحوِ ذلك؛ إذ حاجة الأمم إلىٰ معرفة الأمر والنَّهي أكثرُ من حاجتهم إلىٰ معرفة التَّفاصيل بالخبريَّات التي يُكتفىٰ بالإيمان[4] المُجْملِ[5] بها.

---

(١) «يقال»: ليست في (و، ي).

(٢) (د، ط.النيل): «يرونه»، (ي): «يرويه»، (المطبوع): «ورد».

(٣) (المطبوعتان): «الدقائق» تصحيف.

(٤) (و، د، ع): «بالآيات». وكتب في هامش (و): لعله «بالإيمان» وهو الذي اقتضاه السياق.

(٥) (ي): «الإنسان بالمجمل».

وأما الأمر والنَّهي، فلابد من معرفته علىٰ وجه التَّفصيل؛ إذ العمل بالمأمور لا يكون إلا مفصَّلًا، والمحظور الذي يجب اجتنابه لابد أن يُمَيَّز بينه وبين غيره، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾[التوبة: ١١٥].

والنَّصارىٰ لا يحتاجون عند أنفسهم إلىٰ هذا؛ فإنه لا يجب عندهم أن يتمسَّكوا بشرعٍ منقولٍ عن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، و[١]عندهم لأكابرهم أن يشرعوا دينًا لم يشرعه المسيح، ويقولون: ما شرعه هؤلاء فقد شرعه المسيح، فلم يكن لهم عنايةٌ ولا معرفةٌ بشرع المسيح كما للمسلمين عنايةٌ ومعرفةٌ بشرعِ محمَّدٍ ﷺ.

---

(١) هامش(ي): «بل يجوز عندهم...».

فصل

وأما التَّوراة، فمن المعلوم عند المسلمين واليهود والنَّصارىٰ أن بيت المقدس خَرِبَ الخراب الأوَّل، وجلا[١] أهله منه وسُبُوا، ولم يكن هناك بالتوراة[٢] نسخٌ كثيرةٌ ظاهرة، بل إنما أُخِذَت عن نفرٍ قليل.

كما يقولون: إن عُزَيرًا أملاها، وإنهم وجدوا نسخةً أخرىٰ فقابلوها بها. والمقابلة تحصل باثنين، وقد يغلط أحدهما. وهم يذكرون أن من الملوك من أَمَر اثنين وسبعين حَبْرًا منهم بنقلها، واعْتُبِرَ بعضُ تلك النُّسخِ ببعض، وهذا إذا كان صدقًا لا يمنع أن يكون الغلط وقع في بعض ألفاظها قبل ذلك، إلا أن يَثْبُت أنها مأخوذةٌ عن نبيٍّ معصوم، أو أقَرَّ جميعَ ألفاظها نبيٌّ معصوم.

فما قاله المعصوم فهو حقٌّ، وما ثبت بالنَّقل المتواتر فهو حقٌّ.

وهؤلاء القائلون: إنه وقع التَّغْيير في بعض ألفاظها في ذلك الزَّمان[٣] يقولون: لم تؤخذ عن نبيٍّ معصوم، ولا نُقِلَت بالتَّواتر.

ومن نازع من المسلمين وأهل الكتاب يقولون: أُخِذَت عن العُزَير، وهو نبيٌّ معصوم. وهذا ممَّا يَحْتَاجُ المثبت فيه والنَّافي إلىٰ تحقيقه.

وإذا قالت النَّصارىٰ: فالمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ أقرَّها.

قيل: المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يمكنه[٤] أن يُلْزِمَهم بما أوجبه الله عليهم من

(١) (د، ع، ط.النيل): «وخلا».
(٢) غيّرت في (المطبوعتين) إلىٰ: «من التوراة».
(٣) بعدها في هامش (ي): «فإنهم».
(٤) المثبت من (و) وفي سائر النسخ: «يمكن».

الإيمان به وطاعته، فكيف كان يمكنه أن يغير نُسَخَ التَّوراة التي عندهم مع كثرتها، وهم قد طلبوا قتْلَه وصلْبَه لعجزه وضعفه، وصلبوا شبيهه كما يقوله المسلمون، أو صلبوه[1] نفسَه كما يقوله النَّصارىٰ[2]، فكيف كان يمكنه أن يُصلح ما غُيِّر منها؟

وأما مَن بعد المسيح فليس معصومًا، والمسيح غيَّر بعض أحكامها، وأقرَّ أكثرها، والأحكام إنما يدَّعي المسلمون فيها النَّسْخَ وتبديلَها بالاعتقادِ بخلاف موجبها والعمل بذلك، لا يحتاجون إلىٰ دعوىٰ تبديل ألفاظها، كما بدَّلوا شريعة الرَّجم بغيرها، وهو مكتوبٌ في التَّوراة، بخلاف الخبريَّات؛ فإن هذه يقول أكثر المسلمين: إن التَّغيير وقع في بعض ألفاظها.

وأما النبوَّاتُ المنقولةُ عن الاثنين وعشرين نبيًّا، فهذه لا تُعْلَم منها نبوةٌ واحدةٌ تواترت جميعُ ألفاظها، بل أحسنُ أحوالها أن تكون بمنزلة الإنجيل، وهو بمنزلة ما يُنْقَل من أقوال الأنبياء وسيرهم، كسيرة ابن إسحاق، أو بعض كتب المسانِد والسُّنن التي يَنْقُل فيها ما ينقله النَّاقلون من أقوال النَّبيِّ ﷺ وأفعاله، وأكثره صدق، وبعضه غلط، ولكنَّ هذه الأمة حفظ الله لها ما أنزله، كما قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾.

فما[3] في تفسير القرآن أو نقل الحديث أو تفسيره من غلطٍ، فإن الله يقيم له من الأمَّة من يُبيِّنه، ويذكرُ الدَّليل علىٰ غلط الغالط وكَذِب الكاذب؛ فإنّ هذه الأمَّةَ لا تجتمع علىٰ ضلالة، ولا يزال فيها طائفة ظاهرة علىٰ الحقِّ حتىٰ تقوم

(١) (و، ع، ط.النيل): «صلبوا». ولم تحرر في (د).
(٢)(و، ي): «علىٰ قولهم» بدل: «كما يقوله النصارىٰ». وسقطت العبارة من (د).
(٣) بعدها في هامش (ي): «وقع».

الساعة؛ إذ كانوا آخر الأمم فلا نبيَّ بعد نبيِّهم، ولا كتاب بعد كتابهم.

وكانت الأمم قبلهم إذا بدَّلوا وغيّروا بعث الله نبيًّا يبيِّن لهم ويأمرهم وينهاهم، ولم يكن بعد محمَّدٍ ﷺ نبي، وقد ضمن الله أنه يحفظ ما أنزله من الذِّكر، وأن هذه الأمة لا تجتمع علىٰ ضلالة، بل[1] أقام الله لهذه الأمة في كل عصرٍ من يحفظ به دينَه من أهل العلم والقرآن[2]، وينفي به تحريف الغالين، وانتحال المبطلين[3]، وتأويل الجاهلين.

(١) أثبتها من (المطبوعتين). وليست في الأصول.
(٢) (ي): ضرب علىٰ كلمة «والقرآن» وكتب في الهامش: «والعدل». وقد يشهد له أنه مقتبس من الأثر: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله...»، ولأن القرآن أصل العلوم كلها.
(٣) المثبت من (و) وفي باقي النسخ: «المضلّين».

فصل

وأما من قال: إنه غُيِّر بعضُ ألفاظها بعد مبعث محمَّدٍ ﷺ.

فهؤلاء يقولون: إنه كان في التَّوراة والإنجيل وغيرهما ألفاظٌ صريحةٌ بأمورٍ منها: اسمُ محمَّدٍ ﷺ، وأنه عمَد بعضُ أهل الكتاب فغيَّروا بعض الألفاظ في النُّسخ التي كانت عندهم. لا يقولون: إن هؤلاء غيَّروا كلَّ نسخةٍ كانت علىٰ وجه الأرض، لكن غيَّروا بعض ألفاظ النُّسَخ، وكَتَبَ النَّاسُ من تلك النُّسَخ المُغَيَّرة نُسَخًا كثيرةً انتشرت، فصار أكثرُ ما يوجد عند كثيرٍ من أهل الكتاب هو من تلك النُّسخ المُغَيَّرة.

وفي العالم نسخٌ أخرىٰ لم تُغَيَّر، فذكر كثيرٌ من النَّاس أنه رآها وقرأها، وفي تلك النُّسخ ما ليس في النُّسخ الأخرىٰ. ومما يدلُّ علىٰ ذلك أنك في هذا الزمان إذا أخذت نُسَخَ التَّوراة الموجودةَ عند اليهود والنَّصارىٰ والسَّامِرَةِ وجدت بينهما اختلافًا في مواضعَ متعدِّدة.

وكذلك نُسَخُ الإنجيل، وكذلك نُسَخُ الزَّبور مختلفةً اختلافًا متباينًا، بحيث لا يعلم العاقل أنَّ جميع نُسَخ التَّوراة الموجودةِ متفقةٌ علىٰ لفظٍ واحد، ولا يعلم أن جميع نسخ الإنجيل متَّفقة علىٰ لفظٍ واحد، ولا يعْلَم أنَّ جميع نسخ الزَّبُور متَّفقة علىٰ لفظٍ واحدٍ فضلًا عن سائر النُّبوَّات.

ومعلومٌ أنه لا يمكن أهلَ الكتاب إقامة حجَّةٍ علىٰ أن جميع النُّسخ بجميع اللُّغات في زوايا الأرض متَّفقةٌ علىٰ لفظٍ واحدٍ في جميع ما هو موجودٌ من جميع النُّبوَّات، والحُجَّة التي احتجُّوا بها علىٰ تعذُّر تغييرها كلِّها تدلُّ علىٰ تعذُّر العلم بتساويها كلها.

فإذا قالوا: فمن هو الذي تكلَّم باثنين وسبعين لسانًا؟ ومن هو الذي حكم علىٰ الدُّنيا كلها ملوكِها وقساقستها وعلمائها حتىٰ حَكَم علىٰ جميع مَنْ بأقطار الأرض وجَمَعَها من أربع زوايا الأرض حتّىٰ يُغَيِّرها؟

قيل لهم: ومن الذي يعلم اثنين وسبعين لغة؟ ومن هو الذي حكم علىٰ الدنيا ملوكها وقساقِسَتها وعلمائها، حتىٰ حكم علىٰ جميع مَنْ بأقطار الأرض وجمَعَها من أربع زوايا الأرض، وأحضر كلَّ نسخةٍ موجودةٍ في جميع الأرض، وقابل كلَّ نُسْخةٍ موجودةٍ في جميع الأرض[(١)] بجميع النُّسخ، فوجد جميع ألفاظِ جميع النُّسخ التي باثنين وسبعين لسانًا من جميع أقطار الأرض لفظًا متَّفقًا لم يختلف ألفاظها؟

فإن دعوىٰ العلم بهذا ممتنعٌ أعظمُ من امتناع دعوىٰ تغييرها، فإنه إن أمكن أحدًا أن يجمع جميع النُّسَخ كانت قدرتُه علىٰ تغيير بعض ألفاظها كلِّها أيسرُ عليه من مقابلة كلِّ ما في نسخةٍ بجميع ما في سائر النُّسَخ.

فإنا إذا أحضرنا بكتابٍ[(٢)] من الكتب عشر نسخ، كان تغييرُ بعض ألفاظ العشرة أيسرُ علينا مِن مقابلة كلِّ واحدةٍ من العشرة بالتِّسعة الباقية؛ إذ المقابلة يُحتَاجُ فيها إلىٰ معرفة جميع ألفاظ كلِّ نسخةٍ ومساواتها للأخرىٰ.

وأما التغيير فيُكْتَفَىٰ فيه أن يغيِّر من كلِّ نسخةٍ ما يغيِّرُه من الأخرىٰ، فإن كان تغيير[(٣)] جميع النُّسَخ ممتنعًا في العادة فالعلم باتِّفاقها أشدُّ امتناعًا، وإن كان العلم باتفاقها ممكنًا، فإمكان تغيير بعضِ ألفاظها أيسرُ وأيسر.

---

(١) «موجودة في جميع الأرض» ليست في: (و، ي).
(٢) كذا في الأصول، وهو مستعملٌ في كلام المصنف كثيرًا.
(٣) (و): «يعتبر».

وأما قولهم: «إن قيل: إنه غَيَّرَ بعْضَها وتَرَكَ بعضها، فهذا لا يمكن أن يكون؛ لأن[1] كلَّها قولٌ واحد، ولفظٌ واحدٌ في جميع الألسن».

فيقال: أما إمكان هذا فظاهرٌ لا ينازع فيه عاقل، وهو واقع؛ فإنا قد رأينا التَّوراة التي عند السَّامِرة تخالف توراة اليهود والنَّصارىٰ حتىٰ في «العشر الكلمات»، فذَكَر السامرةُ فيها من أمْرِ استقبال الطُّور ما لا يوجد في نُسخ اليهود والنَّصارىٰ[2]، وكذلك بين نسخ اليهود والنَّصارىٰ اختلافٌ معروف، ونسخ الإنجيل مختلفة، ونسخُ الزَّبور مختلفةٌ اختلافًا أكثرَ من ذلك.

وبكلِّ حالٍ فلا يقدر عاقلٌ أن يقول: يمتنع تغييرُ بعض النُّسخ، ولكن إذا قالوا: لم يُغَيَّر شيءٌ منها؛ لأن جميعها قولٌ واحدٌ، ولفظٌ واحد في جميع الألسن، **كانت هذه الدَّعوىٰ باطلةً من وجهين.**

أحدهما: أن دعوىٰ العلمِ بتساوي جميعِ النُّسخ أبلغُ من دعوىٰ إمكان تغييرِها، فإن كان التغييرُ ممتنعًا علىٰ جميعها، كان علمُ الواحد بما في جميعها وأنها متماثلةُ الألفاظ مع اختلاف الألسن أولىٰ بالامتناع.

الثَّاني: أن هذا دعوىٰ خلافِ الواقع، فإنَّ الاختلاف في نسخ التَّوراة والإنجيل والزبور موجودٌ قد رأيناه نحن بأعيننا، ورآه غيرنا، فرأيت عِدَّة نسخٍ بالزَّبور يخالف بعضُها بعضًا اختلافًا كثيرًا، ورأينا بعضَ ألفاظ التَّوراة التي ينقلها هذه الطائفة، وهي مكتوبةٌ عندهم يدَّعون أنها هي التَّوراةُ الصَّحيحة المنقولةُ عندهم بالتَّواتر تخالف بعض ألفاظ توراة الطَّائفة الأخرىٰ،

---

(١) (المطبوعتان): «لأنها».

(٢) «حتىٰ في العشر الكلمات... نسخ اليهود والنصارىٰ» سقطت من (و) لانتقال النظر.

وكذلك بالإنجيل(١).

وبالجملة قولهم: «هذا لا يمكن أن يكون؛ لأنها كلَّها قولٌ واحدٌ ولفظٌ واحدٌ في جميع الألسن»= تضمَّن شيئين:

تضمَّن دعوىٰ كاذبة، وحُجَّةً باطلة، فإن قولهم: «هذا لا يمكن» مكابرةٌ ظاهرة، فإن إمكان تغييرِ بعض النُّسخ ممَّا لا ينازِع عاقلٌ في إمكانه، لكن قد يقول القائل: إذا غُيِّرَ بعضُ النُّسخ وأُظْهِرَ ذلك، شاع ذلك، فرأىٰ سائرُ أهل النُّسخ تلك النسخةَ مغايرةً لنُسْختِهم فأنكروه، فإن الهمم والدَّواعي متوفرةٌ علىٰ إنكار ذلك، كما يوجَدُ اليومَ مثلُ ذلك لو أراد رجلٌ أن يُغَيِّرَ كتابًا مشهورًا عند الناس، به نسخٌ متعدِّدة، فإذا غَيَّره فوصلت تلك النُّسْخة إلىٰ من يعرفُ ما في تلك النُّسخ أنكروا ذلك.

فيقال: هذا يمكن إذا كانت تلك النُّسْخةُ المغيَّرة وصلت إلىٰ طائفةٍ يمتنع عليهم مواطأتُهُم علىٰ الكذب؛ فإنه كما يمتنع في الأخبار المتواترة التواطؤ علىٰ الكذب، فيمتنع التواطؤ علىٰ كتمان ما يتعذَّر كتمانه في العادة.

ومعلومٌ أنه لا يمتنع علىٰ الجماعة القليلة التواطؤ علىٰ تغيير بعض النُّسخ، والنُّسخ إنّما هي موجودةٌ عند علماء أهلِ الكتاب، وليس عامَّتُهم(٢) يحفظ ألفاظها كما يحفظ عوامُّ المسلمين ألفاظَ القرآن، فإذا قصد طائفةٌ منهم تغييرَ نسخةٍ أو نسخٍ عندهم أمكن ذلك، ثم إذا تواطئوا(٣) طائفةٌ أخرىٰ علىٰ أن

(١) (المطبوعتان): «الإنجيل».

(٢) (د، ع): «عامّيهم».

(٣) (المطبوعتان): «تواطأت» والمثبت من النسخ علىٰ لغة: ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة٧١].

لا يذكروا ذلك أمكن ذلك، ولكن إذا كانت الطَّوائف ممَّن لا يمكن تواطؤها علىٰ الكذب أو الكتمان امتنع ذلك فيهم.

وقد رأينا عند أهل الكتاب كتبًا يدَّعون أنها عندهم من النَّبيِّ ﷺ بخطِّ عليِّ بن أبي طالب(١)، فيها أمورٌ تتعلَّق بأغراضهم، وقد التبس أمرُها علىٰ كثيرٍ من المسلمين، وعظَّموا ما فيها، وأعطَوْا أهلَ الكتاب ما كُتِب لهم فيها معتقدين أنهم ممتثلين ما فيها، فلما وصلت إلىٰ مَن وصلت إليه من علماء المسلمين بيَّنوا كَذِبها بطرقٍ معلومةٍ بالتَّواتر، مثل ذكرهم فيها: «شهد بما فيها كعب بن مالكٍ الحَبْرُ علىٰ النَّبيِّ ﷺ» يعنون كعبَ الأحبار، وكعب الأحبار إنما أسلم علىٰ عهد عمر بن الخطاب، لم يدرك النَّبيَّ ﷺ، واسمه: كعب بن ماتع(٢)، ولكن في الأنصار كعبُ بن مالك، الشَّاعر، الذي أنزل الله توبته في سورة (براءة)، فظنَّ هؤلاء الجهال أن هذا هو ذاك.

ومثلُ ذِكْرِهم شهادةَ سعد بن معاذٍ الذي اهتزَّ لموته عرشُ الرَّحمن، ذكروا شهادتَه عام خيبر، وقد اتَّفق أهلُ العلم أنه مات عَقِب غزوة الخندق، قبل غزوة خيبر بمدَّة، وأمثال ذلك.

وأما حجَّتُهم الدَّاحضةُ فقولهم: «إن جميع كتبِ النُّبوَّات التي في العالم من التَّوراة، والإنجيل، والزبور، والنبوَّات، موجودةٌ باثنين وسبعين لسانًا، بلفظٍ واحد، وقولٍ واحد». فهل يقول عاقلٌ من العقلاء إنه علم ذلك؟ وإنه علم أن

---

(١) هذه إشارة من المؤلف لوثيقة اليهود المزوّرة بوضع الجزية عنهم. وذكرها أيضًا في «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٦٦٤)، وانظر: «زاد المعاد» (٣/ ١٧٧)، و«أحكام أهل الذمة» (١/ ١٧٠).

(٢) تقدّم ذكره (١/ ٤٢٧).

كلَّ نسخةٍ من النُّبوَّات الأربعة وعشرين بأحد الألْسِنة الاثنين وسبعين موافقةٌ لكلِّ نسخةٍ في سائر الألسنة؟ ولو ادَّعىٰ مدّعٍ أن كلَّ نسخةٍ من التَّوراة في العالم باللِّسان العربي، أو كلَّ نسخةٍ من الإنجيل في العالم باللِّسان العربي، أو كلَّ نسخةٍ في العالم من الزَّبور باللِّسان العربيِّ موافقةٌ لجميع النُّسخ العربيَّة الموجودة في زوايا العالم، لَكَان قد[1] ادَّعىٰ ما لا يعْلَمُه ولا يمكنه علْمُه، فمن أين له ذلك؟ وهل رأىٰ كلَّ نسخةٍ عربيَّةٍ بهذه الكتب، أو أخبَرَه من يعلم صدقه أنّ جميع النُّسخ العربيَّة الموجودة في العالم موافقةٌ لهذه النُّسخة؟

وكذلك إذا ادَّعىٰ ذلك في اللِّسان اليوناني، والسُّرياني، والرُّومي، والعِبْرانِي، والهندي، فإن كان في العالم بكلِّ كتابٍ من هذه اثنان وسبعون لسانًا، فدعوىٰ[2] اتفاقُ نُسَخِ كلِّ لسانٍ من جنس دعوىٰ اتِّفاق النُّسخ العربيَّة، فكيف إذا ادَّعىٰ اتفاق[3] النُّسخ بجميع الألسنة؟

وهب أنه يمكن أن يقال ذلك في نسخ لسانٍ يقلُّ أهلُه والناطقون به، فكيف يمكن دعواه في لسانٍ كَثُر النَّاطقون به وانتشر أهله؟

وليس هذا كدعوىٰ اتّفاق مصاحف المسلمين بالقرآن؛ فإن القرآن لا يَتَوقَّف نقْلُه علىٰ المصاحف، بل القرآن محفوظٌ في قلوب ألوفٍ مؤلفةٍ من المسلمين، لا يحصي عدَدَهم إلا الله ﷻ، فلو عُدِمَ كلُّ مصحفٍ في العالم لم يقدح ذلك في نقل لفظٍ من ألفاظ القرآن، بخلاف الكُتُب المتقدِّمة؛ فإنه قلَّ أن تجد من أهل الكتاب أحدًا يحفظ كتابًا من هذه الكتب، فقلَّ أن يوجد من

---

(١) «قد» ليست في (و).

(٢) (د): «بدعوىٰ»، (ع): «يدَّعوا»، (ط.النيل): «يدّعون».

(٣) (ي): بعدها في الهامش: «جميع».

اليهود من يحفظ التوراة.

وأما النَّصارىٰ فلا يوجد فيهم من يحفظُ التَّوراة والإنجيل والزَّبور والنبواتِ كلَّها فضلًا عن أن يحفظها باثنين وسبعين لسانًا، وإن وُجِد ذلك فهو قليلٌ لا يمتنع عليهم لا الكذب ولا الغلط.

فتبيَّن أن ما ذكروه من انتشار كتبهم بالألسنة المختلفة هو من أقوىٰ الأمور في عدم العلم بتماثل ما فيها من الألفاظ، وأن القرآن إذا كان منقولًا بلغةٍ واحدة، وذلك اللِّسان يحفظه خلقٌ كثير من المسلمين= فكان ذلك مما يُبيِّن أن القرآن لا يمكن أحدًا أن يغيِّر شيئًا من ألفاظه، وإن أمكن تغييرُ بعض ألفاظ التَّوراة والإنجيل عند كثيرٍ من أهل الكتاب.

والمسلمون لا يدَّعون أنه غُيِّرَ جميعُ ألفاظ جميع النسخ بعد مبعث النبي ﷺ كما ظنَّه بهم هؤلاء الجهَّال، بل إنما ادَّعوا ما يسوِّغه العقل، بل ويظهر دليلُ صدقه، ولكن هؤلاء الجهال ادَّعوا العلم بأن جميع النسخ بجميع الألْسِنة بجميع الكتب بلفظٍ واحد، فادَّعوا ما لا يمكن أحدًا علمُه، وادعوا ما يُعْلَم بطلانُه.

فصل

وقد ظهر الجواب عن قولهم: «فَمَنْ هو الذي تكلَّم باثنين وسبعين لسانًا، أو من هو الذي حكم علىٰ الدنيا جميعِها، ملوكِها وقساقِستها وعلمائها، حتىٰ حكم علىٰ[1] جميعها من أربعِ زوايا العالم حتىٰ غيَّرها، وإن كان ممَّا أمكنه جمعُها كلّها ولكن[2] بعضها، فهذا ما لا يُمكن؛ إذ جميعُها قولٌ واحدٌ، ونصٌّ واحدٌ، واعتقاد واحد».

وقد ظهر الجواب عن ذلك من وجوه:

أحدها: أنَّا لم ندَّع تغييرَها بعد أن صارت بهذه الألسُن وانتشرت بها النُّسَخ، بل لا ندَّعي التغيير بعد انتشار النُّسَخِ فيما ليس من كتب الأنبياء، مثل كُتب النَّحو، والطِّب، والحساب، والأحاديث، والسُّنَن المنقولة عن الأنبياء، ممَّا نُقِل في الأصْل نقْلَ آحاد، ثم صارت النُّسَخ به كثيرةً منتشرةً، فإنّ أحدًا لا يدَّعي أنه بعد انتشار النُّسَخ بكتابٍ في مشارق الأرض ومغاربها حَكَمَ إنسانٌ علىٰ جميع المعْمُورة وجمَعَ النسخَ به[3] وغيَّرها.

ولا ادَّعىٰ أحدٌ مثل ذلك في التَّوراة والإنجيل، وإنما ادَّعىٰ ذلك فيها لمَّا كانت النُّسَخُ قليلة: إما نسخةً، وإمَّا اثنتين، وإما أربعة، ونحوَ ذلك.

أو ادَّعىٰ تغْييرَ بعضِ ألفاظ النُّسَخ، فإن بعض النسخ يمكن تغييرها.

---

(١) بعدها في (المطبوع): «الدنيا» وليست الأصول.
(٢) (المطبوعتان): «أو».
(٣) (المطبوع): «التي بها». وليست في الأصول.

ونُسَخُ التَّوراة والإنجيل والزَّبور موجودةٌ اليوم وفي بعضها اختلاف، لكنه اختلافٌ قليل، والغالب عليها الاتفاق.

وذلك يظهر **بالوجه الثاني**: أن قولهم: «إن جميعها قولٌ واحد، ونصٌّ واحد، واعتقادٌ واحد» ليس كما قالوه، بل نسخ التَّوراة مختلفةٌ في مواضع، وبين توراة اليهود والنَّصارىٰ والسَّامِرة اختلافٌ، وبيْنَ نُسَخِ الزَّبور اختلافٌ أكثرُ من ذلك، وكذلك بين الأناجيل، فكيف بنسخ النُّبوَّات؟

وقد رأيتُ أنا من نُسخ الزَّبور ما فيه تصريحٌ بنبوَّة محمَّدٍ ﷺ باسمه، ورأيتُ نسخةً أخرىٰ بالزبور، فلم أرَ ذلك فيها، وحينئذٍ فلا يمتنع أن يكون في بعض النُّسَخ من صفات النَّبيِّ ﷺ ما ليس في أخرىٰ.

الوجه الثالث: أن التَّبديل في التفسير أمرٌ لا ريب فيه، وبه يحصل المقصود في هذا المقام، فإنَّا نعْلم قطعًا أن ذِكْر محمَّدٍ ﷺ كان[1] موجودًا في زمنه من التَّوراة والإنجيل، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ولا ريب أن نُسَخَ التَّوراة والإنجيل علىٰ عهده كانت كثيرةً منتشرةً في مشارق الأرض ومغاربها، فلابدَّ من أحد الأمرين:

إما أن يكون غُيِّر اللفظُ من بعض النسخ، وانتشرت النُّسخُ المغيَّرة.

---

(١) المثبت: من (و)، وفي سائر النسخ: «فيما كان موجودًا» بزيادة «فيما» وقد كانت مثبتة في (و) فضرب عليها. وفي (المطبوع): «مكتوب فيما كان موجودًا» بزيادة «مكتوب» وقد ذكر المحقق أن (مكتوب) ساقطة من (ط) فقط. وهي ليست في الأصول.

وإما أن يكون ذِكْرُه في جميع النُّسخ، كما استخرجه كثيرٌ من العلماء ممَّن كان من أحبار اليهود والنَّصارىٰ، وممَّن لم يكن من أحبارهم استخرجوا ذِكْرَه والبشارةَ به في مواضعَ كثيرةٍ متعدِّدةٍ من التَّوراة والإنجيل ونبوَّاتِ الأنبياء، كما هو مبسوطٌ في موضعٍ آخر[١].

ومن قال: إن ذِكْرَه موجودٌ فيها أكثرَ من هذا وأصرحَ في بعض النُّسخ، لا يمكن هؤلاء دفعه بأن يقولوا: قد اطلعنا علىٰ كلِّ نسخة[٢] بالتَّوراة والإنجيل في مشارق الأرض ومغاربها، فوجدناها علىٰ لفظٍ واحد، فإن هذا لا يقوله إلا كذَّاب، فإنه لا يمكن بشرًا أن يطَّلع علىٰ كلِّ نسخةٍ في مشارق الأرض ومغاربها، كما لا يمكنه أن يغيِّر كلَّ نسخةٍ في مشارق الأرض ومغاربها، فلو لم يَعْلَم اختلافَ النُّسَخ لم يمكنه الجزمُ باتِّفاقها في اللَّفظ، فكيف وقد ذَكَرَ الناسُ المطَّلعون عليها من اختلاف لفظها ما تَبَيَّنَ به كذبُ من ادَّعىٰ اتفاقَ لفظها؟ وكيف يمكن اتفاقُ لفْظِها وهي بلغاتٍ مختلفة[٣]؟

(١) انظر ما تقدّم: (١/ ٢٦٤)، وما سيأتي: (٢/ ٣٦٧)، (٣/ ٥٢١)، (٤/ ٥).
(٢) بعدها في (المطبوعتين): «في العالم».
(٣) «وكيف يمكن اتفاق لفظها وهي بلغات مختلفة» ساقطة من (ي، ع، ط.النيل).

فصـل

قالوا: «ثم وجدنا في هذا الكتاب، ما هو أعظم من هذا برهانًا، مثل[1] قوله في سورة الشورى: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥].

وأما لغير أهل الكتاب، يقول: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ (١) لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون:١-٣] السورة كلها».

والجواب: أما قوله: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥] فهذه الآية مذكورةٌ بعد قوله تعالىٰ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣) وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١٤) فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ الآية. [الشورى:١٣-١٥].

فقد أخبر أنه شَرَع لنا مِن الدِّين ما وصَّىٰ به نوحًا وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ أن أقيموا الدين، ولا تتفرقوا فيه، كما قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ:

(١) مثبتة من (ي)، وليست في باقي الأصول. وفي «رسالة بولس» (ص٤١٦): «وهو».

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم: ٣٠-٣٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥١-٥٣]. ثم أخبر عن تفرُّق الذين أوتوا الكتاب، كتفرُّق اليهود والنَّصارىٰ، وتفرُّق فرق اليهود، وفرق النَّصارىٰ كالنُّسطُوريَّة واليعْقُوبيَّة والملكيَّة.

ثم قال: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ [الشورىٰ: ١٤] - أولئك المفترِّقين - ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾[الشورىٰ:١٤]. وهكذا توجد عامَّة اليهود والنصارىٰ في شكٍّ من ذلك مُريب.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ [فصلت:٤٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨].

ثم قال تعالىٰ: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ﴾ [الشورىٰ: ١٥]. إلىٰ الدِّين الذي شرعه الله لنا ﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [الشورىٰ: ١٥]. هذا يتناول أهواء

أهل الكتاب، كما يتناول أهواءَ المشركين، وقد صرّح بذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٤٥].

كما صرَّح بنهيه عن اتِّباع أهواء المشركين في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾(١) [الأنعام:١٥٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الشورىٰ: ١٥]. حق؛ فإن الله أمره وجميعَ الخلق أن يؤمنوا بجميع ما أنزل الله(٢).

وكذلك قوله: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورىٰ: ١٥]. فإنَّ الله أمره أن يعدل بين جميع الخلق. وقوله: ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ [الشورىٰ: ١٥]. هذه براءةٌ منه لمن يُخاطَب بذلك من المشركين

---

(١) بعدها في هامش (ي): «ونهاه عن اتِّباع كل من خالف شريعته في قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية: ١٨-١٩].

(٢) بعدها في (و): «إليه».

وأهل الكتاب، كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١].

ومثله قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ [البقرة: ١٣٩].

وكذلك قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون ١-٦] فإن هذه الكلمة كقوله: ﴿لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١] وهي كلمةٌ توجب براءَته من عملهم، وبراءتهم من عمله؛ فإنّ حرفَ اللّام في لغة العرب يدلُّ علىٰ الاختصاص.

فقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦] يدل[1] علىٰ أنكم مختصُّون بدينكم لا أشْرَكُكم فيه، وأنا مختصٌّ بديني لا تَشْرَكوني فيه، كما قال: ﴿لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١].

ولهذا قال النبي ﷺ في ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: ١] «**هي بَراءةٌ من الشِّرك**»[2]، وليس في هذه الآية أنه رضي بدين المشركين، ولا أهل الكتاب، كما يظنُّه بعض الملحدين، ولا أنه نهىٰ عن جهادهم، كما ظنَّه بعض

---

(١) (و، ي): «يوجب».

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٨٠٧) وأبو داود (٥٠٥٥) والترمذي (٣٤٠٣) وصحح بعض طرقه، وكذا صنع الدارقطني في «العلل» (١٣/ ٢٧٧)، وقال ابن حجر في «تغليق التعليق» (٤/ ٤٠٨): «إسناده صحيح».

الغالطين، وجعلوها منسوخة، بل فيها براءتُه من دينهم وبراءتُهم من دينه، وأنه لا تضُرُّه أعمالُهم، ولا يُجْزَون بعمله ولا ينفعهم.

وهذا أمرٌ مُحْكَمٌ لا يقبل النَّسْخ، ولم يرض الرَّسول بدين المشركين ولا أهلِ الكتاب طرفة عينٍ قط، ومن زعم أنه رضي بدين الكفَّار واحتج بقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون١-٦]. فظنّ[1] هذا الملحد أن قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾[2] [الكافرون: ٦] معناه: أنه رضي بدين الكفار، ثم قال: هذه الآية منسوخة، فيكون قد رضي بدين الكفار، وهذا من أبين الكذب والافتراء علىٰ محمَّدٍ ﷺ، فإنه لم يرض قطّ إلا بدين الله الذي أرسل به رسله، وأنزل به كتبه، ما رضي قطُّ بدين الكفَّار، لا من المشركين، ولا من أهل الكتاب.

وقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] لا يدل علىٰ رضاه بدينهم، بل ولا علىٰ إقرارِهم عليه، بل يدلُّ علىٰ براءته من دينهم، ولهذا قال النبي ﷺ: «**إنَّ هَذِه السُّورَةَ براءةٌ مِن الشِّرْك**».

ونظير هذه الآية قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١].

---

(١) (و): «فقال».

(٢)«فظن هذا الملحد...ولي دين». سقطت من: (د،ع) لانتقال النظر.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ [الشورىٰ:١٥].

وقد يظنُّ بعض الناس أيضًا أن قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] الآية، أني لا آمر بالقتال، ولا أنهىٰ عنه، ولا أتعرَّض له بنفيٍ ولا إثبات، وإنما فيها أن دينكم لكم أنتم مختصُّون به، وأنا بريءٌ منه، وديني لي وأنا مختصٌّ به، وأنتم برآء منه.

وهذا أمرٌ محكمٌ لا يمكن نسْخُه بحال، كما قال تعالىٰ عن الخليل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧]. وقد قال تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء:١٣]. وهو ما طار عنه من خيرٍ وشر. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وقال تعالىٰ:(١) ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقال تعالىٰ: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧].

بل قد قال تعالىٰ لنبيِّه: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٥-٢١٦]. فإذا كان قد برَّأه الله من معصية من عصاه من أتباعه المؤمنين، فكيف لا يبرئه مِن كُفْر الكافرين الذين هم أشدُّ له معصية ومخالفة؟!

---

(١) في (و، ي) الآية من أولها: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

فصـل

وأما قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون١-٦]. فهو أمرٌ بالقول لجميع الكافرين من المشركين وأهل الكتاب.

فإن أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بما أنزل إليه من ربِّه كافرون، قد شهد عليهم بالكفر، وأمر بجهادهم، وكفَّر من لم يجعلهم كافرين ويوجب جهادهم، قال تعالىٰ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة:١].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١٧]. ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣].

وقال تعالىٰ: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]. وحرف «من» في مثل[1] هذه المواضع لبيان الجنس، فتُبيِّنُ جنس المُتَقدِّم، وإن كان ما قبلها يدخل في جميع الجنس الذي بعدها، بخلاف ما إذا كانت للتبعيض، كقوله: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

(١) «مثل» ليست في (د، ع، ط.النيل).

مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ [1]﴾ [البينة:١]؛ فإنه يدخل في (الذين كفروا) بعد مبعث النَّبيِّ ﷺ جميعُ المشركين، وأهل الكتاب.

وكذلك دخل في (الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق)، جميعُ أهل الكتاب الذين بلغَتْهم دعوته ولم يؤمنوا به.

وكذلك قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم [2]﴾ [الفتح:٢٩].

وإن كان جميعهم آمنوا وعملوا الصَّالحات، وهذا إذا كان الجنس يتناول المذكورين وغيرهم، لكن لم يبق في الجنس إلا المذكورون، كما يقول: هنا رجلٌ من بني عبد المطلب، وإن لم يكن بقيَ منهم غيره.

ووصفهم بالشِّرك، وبأنهم يعبدون غير الله، كما قال تعالىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١].

فأخبر أنهم اتَّخذوا من دون الله أربابًا، واتَّخذوا المسيح ربًّا، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا، وهؤلاء باتخاذهم غيرَه أربابًا عبدوهم فأشركوا بالله سبحانه وتعالى عمَّا يشركون.

---

(١) «والمشركين» ليست في (و).

(٢) (المطبوعتان): ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [النور:٥٥]. وخطَّأ محقق (المطبوع) ما ورد في (الأصول) بأن الآية فيها زيادة «منهم» بعد «الصالحات». وهما آيتان متغايرتان.

وقال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٧٩-٨٠]. فقد أخبر أيضًا أنه من اتَّخذ الملائكة والنبيِّين أربابًا فهو[1] كافر.

وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤) مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة:٧٣-٧٦]. فقد وبَّخ أهل التثليث علىٰ أنهم يعبدون ما لا يملك لهم ضرًّا ولا نفعًا، والله هو السميع العليم، فدخلوا في قوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون:١-٣].

كما دخل في ذلك غيرُهم من الكفَّار، لا سيَّما وقد دخل في ذلك اليهود، وهم أَوْلىٰ بالدخول من غيرهم، فإن قوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ يتناولُ صفاتِ المعبود، والإلهُ الذي يعبده المؤمنون هو الإله الذي أنزل التَّوراةَ والإنجيلَ والقرآن، وأرسل موسىٰ وعيسىٰ ومحمدًا - صلوات الله عليهم وسلامه -.

---

(١) (و، ي): «أنه»، (المطبوعتان): «فإنه».

والإله المتَّصف بهذه الصِّفات لا يعبدُه اليهود والنَّصارىٰ، وهذا كقوله: ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

فهذا الإله الذي يعبده محمَّدٌ ﷺ وأمَّتُه، وليس هو إلهَ المشركين الذي يعبدونه، وإن كان هو المستحقَّ لأن يعبدوه، فإنهم يشركون بعبادته ويصفونه بما هو بريءٌ منه، فلا يخلصون له الدِّين، فعبدوا معه آلهةً أخرىٰ، إن لم يستكبروا عن عبادته، وإله العبد الذي يعبده بالفعل ليس حالُه معه كحاله مع الذي يستحقُّ أن يعبُدَه، وهو لا يعبده، بل يشرك به، أو يستكبر عن عبادته، فهذا هو الذي قال فيه: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ [الكافرون:٢].

والشِّرك غالبٌ علىٰ النصارىٰ، والكبر غالبٌ علىٰ اليهود.

فصـل[1]

وأما قوله تعالىٰ: ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ [الشورىٰ: ١٥] الآية، فهذا ليس خطابًا للنَّصارىٰ خصوصًا، بل هو خطابٌ للجميع، وهؤلاء النَّصارىٰ ظنُّوا أن معنىٰ هذا: لا تحاجُّوا أهل الكتاب؛ كما ظنوا في قوله: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ [العنكبوت:٤٦] أن معناه: لا تجادلوا أهل الكتاب - أي النصارىٰ - إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا، أي: اليهود.

وهذا من تحريف كَلِم الله عن مواضعه، وهو يشبه تحريفهم[2] لما عندهم من التوراة، والإنجيل، والزبور، وسائر النبوات؛ فإنهم أعظم تسلُّطًا علىٰ تحريف معانيها منهم علىٰ تحريف معاني القرآن؛ إذ كان القرآن له أُمَّةٌ تحفظه، وتعرف معانيه، وتذبُّ عنه من يحرِّف لفظَه أو معناه.

وأما تلك الكتب، فليس لها من يذبُّ عن لفظها ومعناها، فلهذا عَظُم تحريفُهم لها، وكان أعظمَ من تحريفهم للقرآن.

ومما يبيِّن أن هذا الخطاب ليس مختصًّا بالنَّصارىٰ، أن هذه السورة مكيّة، والسور المكِّيَّة كانت تتناول من لا يقرأُ الكتاب[3]، لا تختصُّ بأهل الكتاب، بل كانت تعمُّ الأممَ، أو تختصُّ بالمشركين.

(١) بياض في (د).
(٢) (د، ع، ط.النيل): «تشبيه بتحريفهم»، (ي، المطبوع): «شبيه بتحريفهم».
(٣) (و): «يقرّ بالكتاب».

والسُّور المدنيَّة خطابها تارةً لأهل الكتاب، وتارةً تخْتَصُّ بالمؤمنين[1]، وتارةً تعم، وقد قال تعالىٰ: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورىٰ:١٣]. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [الشورىٰ: ١٤].

فالخطاب إمّا أن يعمَّ المشركين وأهل الكتاب، أو يخصَّ المشركين. وأهلُ الكتاب: اليهود والنصارىٰ. وبكل تقدير فلا وجه لتخصيص النصارىٰ به.

وأمّا قوله تعالىٰ: ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ [الشورىٰ: ١٥]. فهو نظير قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ [البقرة: ١٣٩]. وقوله: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ [آل عمران: ٢٠].

فالحُجَّة: اسمٌ لما يُحتجُّ به مِن حقٍّ وباطل، كقوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠].

فإن الظَّالمين يحتَجُّون عليكم بحجَّةٍ باطلة، كقول المشركين لما حُوِّلت القبلةُ إلىٰ الكعبة: قد عاد إلىٰ قبلتكم فسوف يعود إلىٰ مِلَّتكم[2]. فهذه حُجَّةٌ داحضةٌ من الظالمين.

(١) (و، ي): «تارة يخصُّ أهل الكتاب، وتارة يخصُّ المؤمنين».
(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٦٨٥).

ومما يبيِّنُ ذلك قوله بعد ذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ﴾ [الشورىٰ:١٦].

فسمَّاها حُجَّةً وجعلها داحضة، وهؤلاء الذين يُحَاجُّون في الله من بعد ما استجيب له، هم: الكفَّار من المشركين وأهل الكتاب. فهم يحاجُّون المؤمنين ليردُّوهم عن دينهم.

وقال عن النَّصارىٰ: ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران:٦١].

فكان الكفَّار يحاجُّون المؤمنين حتىٰ يردُّوهم عن دينهم، كما كانوا[(١)] يؤذونهم، فهؤلاء حجَّتُهم داحضةٌ عند ربهم، وعليهم غضب، ولهم عذابٌ شديد.

ومُحَاجَّتُهم للمؤمنين من باب الظلم لهم، والعدوان عليهم، وقولِ الباطل، فأمره تعالىٰ أن يقول: ﴿لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ﴾ [الشورىٰ: ١٥].

أي ليس لكم أن تظلمونا، وتعتدوا علينا بحجَّتِكم الدَّاحضة، وليس المراد بذلك أنَّا نحن لا نحاجُّكم وندعوكم إلىٰ الحقِّ بالحجج الصحيحة؛ فإنه تعالىٰ قال: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

---

(١) «كانوا» سقطت من (المطبوع).

فأمره تعالىٰ أن يجادل أهل دعوته مطلقًا من المشركين وأهل الكتاب بالتي هي أحسن، وقد قال تعالىٰ: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ [العنكبوت: ٤٦]؛ فإن الظالمَ باغٍ معتدٍ مستحقٌّ للعقوبة، فيجوز أن يقابَل بما يستحقُّه من العقوبة، لا يجب الاقتصار معه علىٰ التي هي أحسن، بخلاف مَن لم يظلم، فإنه لا يُجادَل إلا بالتي هي أحسن.

وأهل الكتاب: اسمٌ يتناول اليهود والنصارىٰ، كما في نظائره من القرآن؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [المائدة: ٥] الآية. وقوله: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾ [البينة:١]. وأمثال ذلك.

والظالم يكون ظالمًا بترك ما تبيَّن له من الحق، واتِّباعِ ما تبين له أنه باطل، والكلامِ بلا علم، فإذا ظهر له الحق فعَنِد عنه كان ظالمًا.

وذلك مثل الألدِّ في الخصام، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤]. وقال: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ [الأنفال: ٦]. وقال: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ [آل عمران: ٦٦].

فصـل

وقولهم: «إنه لم يقل: كونوا له مسلمين، ولكن ﴿وَنَحْنُ﴾، أي: عنه وعن العرب التابعين له، ولِما أتىٰ به وجاء في كتابه».

فيقال لهم: هذا ونظائرُه كلامُ من لم يفهم القرآن، بل ولا يفهمُ كلامَ سائر النَّاس، فإنَّه إذا عُرِفَ مِن صاحب كتابٍ يقول: إنه مُنَزَّلٌ من الله، أو يقول: إنه صنَّفه هو، أنه يدعو قومًا بالأقوال الصَّريحة الكثيرة، والأعمالِ البيِّنة الظَّاهرة، كان سكوته عن دعائهم في بعض الألفاظ لا ينافي دعاءهم له. لكن إن كان حكيمًا في كلامه كان للسُّكوت عن دعائهم في بعض المواضع حكمةٌ تناسب ذلك، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٩].

أفتراه لمَّا أمرَ أُمَّته أن يقولوا: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾ } [البقرة: ١٣٩] لم يكن أهل الكتاب مأمورين بالإخلاص لله؟ وقد ذَكَر أمْرَ أهلِ الكتاب بالإخلاص في غير موضع، كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٤-٥].

وكذلك دعاهم إلىٰ الإسلام وتوعَّدهم علىٰ التَّولِّي عنه في مثل: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ

وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٨-٢٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣٣].

فقد بيَّن سبحانه أنه لا يرغَبُ عن مِلَّة إبراهيم إلا مَن سَفِهَ نَفْسَه، أي: سَفِه نفسًا، أي كانت نفسُه سفيهةً جاهلة. هذا أصحُّ القولين في ذلك، وهو مذهب الكوفيِّين من النحاة، يجوِّزون أن يكون المنصوب علىٰ التمييز معرفة، كما يكون نكرة(١).

ثم أخبر عنه أنه: ﴿قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، وذكر أنَّ إبراهيم وصَّىٰ بها بَنِيه، ويعقوبُ وصَّىٰ بها بنيه أيضًا(٢)، كلاهما قال لبنيه: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

ثم ذكر أن يعقوب عند موته: ﴿قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

---

(١) انظر: «شرح الأشموني» علىٰ ألفية ابن مالك (١/ ١٧٠).
(٢) «أيضًا» ليست في (و).

فهؤلاء إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب كلُّهم على الإسلام، وهم يأمرون بالإسلام. ثم قال بعد ذلك: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:١٣٥].

ثم قال: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

ثم قال: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

فقد أخبر أنهم إن تولَّوْا عن الإيمان بمثل ما آمنتم به المتضمِّنِ قولَكُم: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾؛ فإنما هم في شقاق، أي: مشاقُّون لله ورسوله كما قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢]. إلىٰ قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٦] في العنكبوت فهو مثل قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣] في البقرة، مع دعائهم(١) إلىٰ الإسلام.

---

(١) (و، ي): «دعائه لهم».

وكذلك في سورة آل عمران في قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. فقد دعاهم أولًا إلىٰ الإسلام، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وأن لا يتَّخذ بعضُهم بعضًا أربابًا من دون الله، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

ثم قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. وهذه الآية هي التي كتبَ بها النَّبيُّ ﷺ إلىٰ قيصرَ مَلِكِ الرُّوم لما دعاه إلىٰ الإسلام، وقال في كتابه: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله، إلىٰ هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلامٌ علىٰ مَنِ اتَّبعَ الهُدىٰ، أَمَّا بَعْدُ: فَإنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإسْلامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ[١]، أَسْلِم يُؤْتِكَ اللهُ أجْرَكَ مَرَّتَين، وإنْ تَوَلَّيْتَ فَإنَّما عَلَيْكَ إِثْم الأَرِيسِيِّينَ و: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٢]». [آل عمران: ٦٤]. فدعاه النَّبيُّ ﷺ إلىٰ الإسلام في كتابه الذي أرسله إليه.

وقال أيضًا في آل عمران: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ

---

(١) «أسلم تسلم» سقطت من (ع).

(٢) تقدّم تخريجه (١/ ١٣٨).

وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩-٨٠].

فذكر التَّوحيد في هذه الآية، وكفَّر من اتَّخذ الملائكةَ والنبيِّين أربابًا، فكيف بمن اتخذ الأحبارَ والرهبانَ أربابًا؟

ثم ذكر الإيمان بخاتم الرسل فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١-٨٥].

فقد ذكر أنه أخذ الميثاق علىٰ النبيِّين وأمَمِهم مهما ﴿ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾. وهذا يتناول الأمرَ لكلِّ أهل كتابٍ إذا جاءهم رسولٌ ثانٍ أن يؤمنوا به وينصروه وإن كان عندهم من الكتاب والحكمة مهما كان، ولا يقولون: نحن مستغنون بما عندنا من الكتاب والحكمة، لا نؤمن بالرسول الذي جاءنا.

ونخصُّ[1] الإيمان بمحمد ﷺ فإنه خاتم الرسل، وهو آخر رسول جاء مصدقًا لما بين يديه من الكتاب، فوجب علىٰ من جاءه أن يؤمن به وينصره، وإن كان عنده من الكتاب والحكمة ما كان.

وهذا الميثاق أخذه الله علىٰ الأنبياء، وأخذوه علىٰ أُمَمِهم.

ثم قال: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾[2] [آل عمران: ٨٣]. وهذا هو دين الله[3] الذي أرسل به رسلَه وأنزل به كتبَه، فمن ابتغىٰ غيرَه فقد ابتغىٰ غير دين الله، وهذا هو دين الإسلام[4]: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

---

(١) قوله: «ونخصّ» ليس تابعًا لكلام أهل الكتاب الذين يقولون: «نحن مستغنون».

(٢) (و، ي) أكمل الآية: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

(٣) (د، ع، ط.النيل): «الإسلام».

(٤) بعدها في (د، ع، ط.النيل): «الذي قال».

فصل

وأما قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. أَمْرٌ للمؤمنين أن يقولوا الحقَّ الذي أوجبه الله عليهم وعلىٰ جميع الخلق ليُرْضُوا به الله، وتقومَ به الحُجَّة علىٰ المخالفين، فإن هذا من الجدال بالَّتي هي أحسن، وهو أن تقول كلامًا حقًّا يلزمك ويلزم المنازعَ لك أن يقوله، فإن وافقك وإلا ظهر عنادُه وظلمُه، كما قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ: ﴿ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٩].

فإنا مشتركون في أنه ربُّنا كُلّنا، وأنَّ عملَ كلِّ عاملٍ له لا لغيره، وامْتَزْنا[١] نحن بأنَّا مخلصون له، وأنتم لستم مخلصين له، فأوجبَ هذا أنَّ الحقَّ معنا دونكم، وأن أعمالَنا صالحةٌ مقبولة، وأعمالَكم مردودة.

ويشبه ذلك قولَه تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

فأمْرُه لهم أن يقولوا: ﴿ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ يتضمَّن إقامةَ الحُجَّة عليهم، كما كان المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول.

---

(١) (و): «وأمرنا».

فصل

ثم قالوا: «فأما الذين ظلموا فما يَشُكُّ أحدٌ في أنهم اليهود الذين سجدوا لرأس العجل، وكفروا بالله مرارًا كثيرةً ليست واحدة، وقتلوا أنبياءَه ورسُلَه، وعبدوا الأصنام، وذبحوا للشياطين ليس حيواناتٍ غير ناطقةٍ فقط، بل بنيهم وبناتهم حسب ما شهد الله عليهم قائلًا علىٰ لسان داود النَّبيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في كتاب الزبور في مزمور مائةٍ وخمسةٍ يقول: «ذبحوا بنيهم وبناتهم للشياطين وأراقوا دمًا زكيًّا؛ دمَ بنيهم وبناتهم الذين ذبحوا للمنحوتات بكنْعَان، وقد تنجَّست الأرض بالدِّماء، وتنجَّست أعمالُهم، وزنوا بضعائنهم، وسخِط الرب عليهم، ورذَّل ميراثهم»[1].

وقال أيضًا علىٰ لسان أشعيا النَّبيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يقول الله في بني إسرائيل: لم يسمعوا وصاياي، لم يحفظوا كلَّ ما أوصيتُهم به، بل غيَّروا ونقضوا الميثاق الذي كنتُ جعلتُه لهم إلىٰ الأبد، فلذلك أجلستُهم علىٰ الحُزْنِ والخراب[2]، وأهلكتهم، وانقطع ممَّن يبقىٰ منهم الفرح والسرور»[3].

---

(١) جاء في سفر المزامير، الإصحاح (١٠٦)، الفقرة (٣٧-٤٠): «وذبحوا بنيهم وبناتهم للشياطين، وسفكوا دمًا زكيًّا، دم بنيهم وبناتهم، الذين ذبحوهم لأصنام كنعان، فتدنّست الأرض بالدماء، وتنجسوا بأعمالهم، وزنوا بأفعالهم، فغضب الرب علىٰ شعبه، واستقبح ميراثه». وكذلك هو في «رسالة بولس الأنطاكي» (ص٤١٦). وما بعد هذا النقل إلىٰ آخر الفصل ليس في الرسالة المذكورة.

(٢) «والخراب» سقطت من (المطبوع).

(٣) جاء في سفر أشعيا، الإصحاح (٢٤)، الفقرة (٥-٦): «تدنَّست الأرض تحت سكانها؛ لأنهم تعدّوا الشرائع، ونقضوا الحكم، ونكثوا العهد الأبدي؛ فلذلك أكلت اللعنةُ الأرضَ، وعوقب الساكنون فيها؛ ولذلك احترق سكان الأرض فبقي نفرٌ قليل».

هكذا قال الله علىٰ سكان بيت المقدس[1] بني إسرائيل: «سأبدِّدهم بين الأمم، وفي تلك الأيام يرفعون الأممُ أصواتَهم، ويسبِّحون الله ويمجِّدونه بأصواتٍ عالية، ويجتمعون من أقطار الأرض، ومن جزائر البحر، ومن البلدان البعيدة، ويقدِّسون اسم الله، ويرجعون إلىٰ الله إلهِ إسرائيل، ويكونون شعبة، وأما بنو إسرائيل فيكونون مبدَّدين في الأرض»[2].

وقال أشعيا النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ: يقول الله: «يا بني إسرائيل نجَّستم جبلي المقدس، فإني سأفنيكم بالحرب وتموتون، وذلك لأني دعوتكم فلم تُجيبوا، وكلمتُكم فلم تسمعوا، وعملتم الشرَّ[3] بين يدي»[4].

وقال أشعيا أيضًا: «إن الله قد بغَّض بني إسرائيل، وأخرجهم من بيوتهم ومن بيته، ولا يغفر لهم؛ لأنهم لعنة، وجُعِلوا لعنة الناس، فلذلك أهلكهم الله، وبدَّدَهم بين الأمم، ولا يعود يرحمهم، ولا ينظر إليهم برحمةٍ[5] إلىٰ أبد الآبدين، ولا يُقَرِّبون لله قربانًا ولا ذبيحةً في ذلك اليوم وذلك الزَّمان، ولا يفرح

---

(١) بعدها في (المطبوعتين) «من».

(٢) جاء في سفر أشعيا، الإصحاح (٢٤)، الفقرة (١): «ها إن هذا الرب يخرب الأرض ويدمّرها، ويقلب وجهها ويبدّد سكانها». وفي الفقرة (١٤-١٥) «هؤلاء يرفعون أصواتهم بالهُتاف لدىٰ عظمة الرب، يهتفون من الغرب، فلذلك في الأنوار مجِّدوا الربّ في جزر البحر، اسم الربّ إلهِ إسرائيل».

(٣) (د، ع، ط.النيل): «الشيء».

(٤) ورد في سفر أشعيا، الإصحاح (٦٥)، الفقرة (١١،١٢): قال: «وأنتم الذين تركوا الرب ونسوا جبل قدسي الذين يهيئون المائدة لجدّ، ويعدّون الممزوج لمناة، فسأعدكم للسيف، وتركعون جميعكم للذبح؛ لأني دعوت ولم تجيبوا، تكلمت فلم تسمعوا، وصنعتم الشر في عينيّ، وما لم أشأ اخترتم».

(٥) (و، ي): «برحمته».

بنو إسرائيل[1]؛ لأنهم قد ضلّوا عن الله ﷻ»[2].

وقال أرْمِيا النَّبيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كما أن الحَبَشِيَّ لا يستطيع أن يكون أبيض، فكذلك بنو إسرائيل لا يتركون عادتَهم الخبيثة[3]، ولذلك إني لا أرحم، ولا أشفق، ولا أَرِقُّ علىٰ الأمة الخبيثة، ولا أرثي لها»[4].

وقال حَزْقِيل النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قال الله: إنما رفعتُ يدي عن بني إسرائيل وبدَّدتُهم بين الأمم، لأنهم لم يعملوا بوصاياي، ولم يطيعوا أمري، وخالفوني فيها[5] فيما قلت لهم ولم يسمعوا لي»[6].

ومثل هذا القول في التوراة، وكتب الأنبياء، وزبور داود شيء كثير يقرؤونها اليهود في كنائسهم ويُقَرِّونها ولا ينكرون منها حرفًا واحدًا، ومثل ما هو عندهم، وكذلك عندنا في جميع الألسن».

والجواب أن يقال: أما كون اليهود ظالمين كافرين معتدين مستحقين لعذاب الله وعقابه، فهذا معلوم بالاضطرار من دين محمد ﷺ منقول بالتواتر،

---

(١) «بنو إسرائيل» ساقطة من (و).
(٢) لم أعثر علىٰ هذا النص عن أشعيا عَلَيْهِ السَّلَامُ.
(٣) «الخبيثة» ليست في (و).
(٤) جاء في سفر «أرميا» الإصحاح (١٣)، الفقرة (٢٣-٢٤): «هل يُغَيِّر الحبشيُّ جلدَه والنَّمِر رقطه؟ وأنتم، فهل تقتدرون أن تصنعوا الخير وأنتم معتادون الشر؟».
(٥) «فيها» ليست في (ع).
(٦) جاء في سفر «حزقيل» الإصحاح (٢٠)، الفقرة (١٥، ١٦): «ورفعت يدي إليهم في البرية علىٰ أن لا آتي بهم إلىٰ الأرض التي أعطيتها لهم التي تدرُّ لبنًا حليبًا وعسلًا، وهي زينة الأرض؛ لأنهم رفضوا أحكامي ولم يسيروا علىٰ فراضي وانتهكوا سُبوتي، إذ كانت قلوبهم تسير وراء قذاراتهم».

كما عُلِم بالاضطرار والنَّقْل المتواتر عنه ﷺ أن النَّصارىٰ أيضًا ظالمون معتدون كافرون مستحقُّون لعذاب الله وعقابه. وفي اليهود من الكفر ما ليس في النصارىٰ، وفي النصارىٰ ما ليس في اليهود؛ فإنَّ اليهود بدَّلوا شريعة التَّوراة قبل أن يأتيهم المسيح ابن مريم، فلما أتاهم كفروا به وكذَّبوه، فلما بُعِث محمَّدٌ ﷺ كذبوه فباءوا بغضبٍ علىٰ غضب.

كما قال تعالىٰ عنهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا
جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ
أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ
فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ
بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ
رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا
غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا
عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن
يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو
بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ
قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم
مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟
سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم

بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨٥-٩٣]. فغضب عليهم أولًا بتكذيب المسيح، وثانيًا بتكذيب محمد ﷺ.

وقال تعالىٰ: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[1] [المائدة: ٧٨-٧٩]. وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[2] [المائدة:٦٠].

فتبيَّن أن اليهود لعنهم الله، وأنهم عبدوا الطاغوت، وأنه جعل منهم القردة والخنازير[3]. ومثل هذا في القرآن كثير.

لكن قول القائل إنهم المرادون بقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت:٤٦]. في قوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [العنكبوت: ٤٦] غَلَطٌ بيِّن؛ ولهذا كان باطلًا باتِّفاق المسلمين؛ فإن

---

(١) (د، ي، ع، ط.النيل) وقع انتقال نظر بين آيتي سورة المائدة مع آية سورة آل عمران قبلها، فبعد قوله: «يعتدون» في آل عمران اتصل السياق بقوله تعالىٰ: «كانوا لا يتناهون...» ولم تُثبت الآية الكريمة: «لعن الذين كفروا...».

(٢) أشار هنا في هامش (ي) بقوله: «أي من لعنه الله، ومن عبد الطاغوت».

(٣) من قوله: «وقال تعالىٰ» إلىٰ «والخنازير» ليست في (و).

قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. نهي عن مجادلة أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ إلا بالتي هي أحسن. وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ [العنكبوت:٤٦]. من الطائفتين معًا(١).

ولهذا كان الواجب علىٰ المسلمين إذا جادلهم اليهوديُّ والنصرانيُّ أن يجادلوه بالتي هي أحسن، إلا من ظلم من الطائفتين، فإنه يعاقَب باللِّسان تارةً وباليد أخرىٰ، كما أمر الله ورسوله بجهاد الظالمين من هؤلاء وهؤلاء، فجاهد النَّبيُّ ﷺ اليهودَ الذين كانوا بالمدينة النَّبويَّة وحولَها وقريبًا منها، كما جاهد بني قينقاع، والنضير، وقريظة، وأهل خيبر، وأهل وادي القرىٰ(٢)، وغيرهم.

وكما جاهد النصارىٰ عام تبوك، غزاهم بالشام عربَهم وروَمهم، وأغزاهم قبل ذلك نُوَّابَه: زيدَ بن حارثة، وجعفرَ بن أبي طالب، وعبدَ الله بن رَواحة، وأمر بغزوهم، فغزاهم بعده خلفاؤه الراشدون.

والنَّبيُّ ﷺ لما قدم وفد نجران النصارىٰ(٣) جادلهم في مسجده بالتي هي أحسن، ثم أمره الله سبحانه أن يدعوهم إلىٰ المباهلة، فامتنعوا عن مباهلته، وأقرُّوا بأداء الجزية عن يدٍ وهم صاغرون(٤)، كما تقدَّم ذكر ذلك مفصَّلًا(٥).

---

(١) (د، ع، ط.النيل): «جميعًا». وقد ذكر في حاشية (المطبوع) أن المثبت من (و، ي) «معنا»، والصواب ما أثبت.

(٢) سمي الوادي بذلك لكثرة قراه، وهو بين المدينة وتبوك، وأعظم مدنه اليوم: مدينة «العلا» شمال المدينة، علىٰ مسافة (٣٥٠) كيلا، ويعرف «وادي القرىٰ» اليوم، باسم: «وادي العلا». انظر: «المعالم الأثيرة» (ص ٢٢٤).

(٣) «النصارىٰ» ليست في (د، ع، ط.النيل).

(٤) تقدّم تخريجه.

(٥) انظر: (١/ ٧٩).

فجادل بعضَهم بالتي هي أحسن، والظالمُ منهم عاقَبَه وجاهدَه، كما عاقب الظَّالم من اليهود.

ومن أعجب الأشياء قولهم: «وأما الذين ظلموا، فلا يَشُكُّ أحدٌ أنهم اليهود» فإن هذا من جنس قولهم: «ثم وجدنا في الكتاب ما هو أعظم من هذا برهانًا، وهو[1] قوله في سورة الشورىٰ: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ [الشورىٰ:١٥] كما تقدم[2].

ومن جنس قولهم في قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢-٣]. أنه عنىٰ بالكتاب: الإنجيل. و﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾: النصارىٰ. ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [البقرة: ٤] هم: المسلمون. وزعمُهم أن قولَهم هذا قولٌ[3] ظاهرٌ بيّنٌ[4].

وتفاسير النصارىٰ للكتب الإلهيَّة فيها من التحريف لكلمات الله، والإلحاد في أسماء الله وآياته ما يطول وصفه، ولا ينقضي التعجب منه، لكنَّ إقدامهم علىٰ تفسير القرآن بالإلحاد والتَّحريف أعجبُ وأعجب، كقولهم: إن محمَّدًا ﷺ ذكَرَ أنه لم يُرسَل إليهم، وأنه أثنىٰ علىٰ الدِّين الذي هم عليه بعد النَّسخ والتَّبديل، بعد مبعثه ﷺ، وأن قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]

---

(١) بعدها في (و): «قولهم»، فتكون العبارة: «وهو قولهم قوله».
(٢) انظر: (٢/ ٩٥).
(٣) «قول» ليس في (د، ع، ط.النيل).
(٤) ذكر في حاشية (المطبوع) أن المثبت من (و، ي): «ظاهرتين» وليس بصواب. وستكرر قريبًا.

أراد به النصارىٰ. وقوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ [الحديد: ٢٥] أراد به الحواريِّين. وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ [الحديد: ٢٥] أراد به الإنجيل.

فإن في هذا من الكذب الظَّاهر والافتراء علىٰ محمَّدٍ ﷺ بأنه أراد هذه الأمور ما هو من جنس افترائهم علىٰ الأنبياء، فإنهم أخبروا أن المسيح هو خالق السماوات والأرض، وأن التَّوراة والزَّبور وغيرَهما من الكتب أخبرت بذلك، ثم يأتون إلىٰ ما يعلم كلُّ عاقلٍ أن محمَّدًا ﷺ لم يُرِدْه، فيقولون: إنه لا يشكُّ فيه أحد، وإنه قول ظاهرٌ بيِّن.

وكل مَن عَرف حال محمَّدٍ ﷺ، وما جاء به من القرآن والدين يعلم علمًا يقينيًّا ضروريًّا أن محمدًا ﷺ لم يكن يجعل النصارىٰ مؤمنين دون اليهود، بل كان يكفِّر الطائفتين، ويأمرُ بجهادهم، ويكفِّرُ مَن لم ير جهادَهم واجبًا عليه.

وهذا ممَّا اتَّفق عليه المسلمون، وهو منقولٌ عندهم عن نبيِّهم نقلًا متواترًا، بل هذا يعلمُه مِن حاله الموافقُ والمخَالِف، إلا من هو مُفْرِطٌ في الجهل بحاله، أو من هو معاندٌ عنادًا ظاهرًا.

فصـل

وأما ما نقلوه عن الأنبياء مما يدلُّ علىٰ كفر اليهود، فهذا لا ننازعهم فيه، ولا حاجة بنا إلىٰ الاستدلال بما نقلوه، وإن كان فيما يَثْبُت عن الأنبياء ما يبيِّن كُفْرَهم لمَّا بدَّلوا دين موسىٰ عليه السلام، كما كَفَرَ النصارىٰ لمَّا بدَّلوا دين المسيح، فهذا حقٌّ موافقٌ لما أخبر به خاتَمُ الرُّسل ﷺ، فإنا قد علمنا كفرَهم من جهةٍ لا نشكُّ في صدقها.

وما أخبرونا به عن الأنبياء إن عَلِمْنا صِدْقَهم فيه صدَّقناهم فيه، وإن عَلِمنا كَذِبَهم فيه كذَّبناهم فيه، وإن لم نعلم صدقه ولا كَذِبَه لم نصدِّقه ولم نكذِّبه، بل نقول: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

فإن الإيمان بجميع ما أوتي النبيُّون حقٌّ واجب، لكن وجوب التصديق في الشيء[١] المعيَّن الذي لم نعْلَمْه مِن غيرهم يقف علىٰ مقدِّمتين: أن يكون اللفظ قد قاله النَّبيّ، وأن يكون المعنىٰ الذي فسَّروه به مرادًا للنبيِّ الذي تكلم بذلك القول. فلابد من ثبوت الإسناد ودلالة المتن.

وهاتان المقدِّمتان[٢]، لابدَّ منهما في جميع المنقول عن الأنبياء. وقد يُحتاج إلىٰ مقدِّمة ثالثةٍ في حقِّ مَن لم يعرف اللغة العِبْريَّة، فإن موسىٰ وداود والمسيح وغيرهم إنما تكلموا باللغة العبرية، فمن لم يُعرف بها، وإنما يُعرَف بالعربيَّة أو الرُّوميَّة، لابد أن يعرف أن المترجِم من تلك اللغة إلىٰ هذه قد ترجم ترجمةً مطابقة.

---

(١) المثبت من (ي). وسائر النسخ: «النبي» والمثبت أظهر.

(٢) أشير في هامش (و) بما نصّه: «أراد أن هاتين هي المقدمتان اللتان قال: تقف علىٰ مقدمتين، ففسر المقدّمتين بثبوت الإسناد ودلالة المتن، والله أعلم».

فصل

وأما[1] قولهم: «وأما نحن النصارىٰ فلم نعمل شيئا مما عملته اليهود».

فيقال لهم: الكُفْر والفسوق والعصيان لم ينْحصر في ذنوب اليهود، فإن لم تعملوا مثل أعمالهم فلكم من الأقوال والأعمال ما بعضُه أعظمُ من كفر اليهود، وإن كنتم أنتم ألينَ من اليهود وأقربَ مودَّة، فأنتم أيضًا أجهلُ وأضلُّ من اليهود. وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٨-٩٥].

وقال تعالىٰ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ١-٥].

وقال تعالىٰ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[التوبة:٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ

---

(١) «وأما» ليست في (د، ع، ط.النيل).

ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ
قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ
أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ
إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠-٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ
نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ
لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ
كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٢ - ٣٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ
حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ
وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤].

وقال تعالىٰ لما قصَّ قِصَّة المسيح عليه السلام: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ
ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن
فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ
بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ
ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [مريم: ٣٤-٣٨].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ
أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾
[المائدة: ٧٧].

فصــل

ومن تدبَّر حال اليهود والنَّصارىٰ مع المسلمين، وجد اليهود والنصارىٰ متقابلين، هؤلاء في طرف ضلال، وهؤلاء في طرفٍ يقابله، والمسلمون هم الوسط، وذلك في التَّوحيد، والأنبياء، والشَّرائع، والحلال والحرام، والأخلاق[1]، وغير ذلك.

فاليهود يشبّهون الخالقَ بالمخلوق في صفات النَّقص المختصَّة بالمخلوق التي يجب تنزيه الربِّ سبحانه عنها، كقول من قال منهم: إنه فقير، وإنه بخيل، وإنه تَعِب لما خلقَ السماوات والأرض.

والنَّصارىٰ يُشَبِّهون المخلوقَ بالخالق في صفات الكمال المختصَّة بالخالق التي ليس له فيها مِثْلٌ، كقولهم: إن المسيح هو الله، وابن الله.

وكلٌّ من القولين يستلزم الآخر.

والنَّصارىٰ أيضًا يصفون اللَّاهوت بصفات النَّقص التي يجب تنزيهُ الربِّ عنها، ويسبُّون الله سبًّا ما سبَّه إياه أحدٌ من البشر، كما كان معاذ بن جبل يقول: «لا ترحموهم؛ فإنهم قد سبُّوا الله مسبَّة ما سبَّه إياها أحدٌ من البشر»[2].
واليهود تزعم أن الله يمتنع منه أن ينسخ ما[3] شرعه، كما يمتنع منه ما لا يدخل في القُدْرة أو ما ينافي العلم والحكمة.

---

(١) (و): «والاختلاف».

(٢) أخرجه الطبراني بنحوه في «مسند الشاميين» (١٠٤١) عنه رضي الله عنه، بلفظ: «لا تلووا عليكم - يعني أهل الذمة - فإن الله ضرب علىٰ رقابهم بذلِّ مُغْرَمٍ، وإنهم سبُّوا الله سبًّا لم يسبّه أحد من خلقه، -وعزّ الله- ثالث ثلاثة».

(٣) (د، ع، ط.النيل): «مما».

والنصارىٰ يجوِّزون لأكابرهم أن ينسخوا شرعَ الله الذي بعث به رسله، فَيُحَلِّلوا ما حرَّم، كما حلَّلوا الخنزير وغيرَه من الخبائث، بل لم يحرِّموا شيئًا، ويحرِّمون ما حلل، كما يحرِّمون في رهبانيتهم التي ابتدعوها، وحرَّموا فيها من الطَّيِّبات ما أحلّه الله، ويُسْقِطون ما أوجب، كما أسقطوا الخِتَان وغيرَه، وأسقطوا أنواعَ الطَّهارة من الغُسْل، وإزالة[1] النَّجاسة، وغير ذلك. ويوجبون ما أسقط، كما أوجبوا من القوانين ما لم يوجبه الله وأنبياؤه.

والمسلمون وصفوا الربَّ بما يستحِقُّه من صفات الكمال، ونزَّهوه عن النقص، وأن يكون له مِثْلٌ، فوصفوه بما وصَف به نفسَه، وبما وصفتْه به رسُلُه من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ، مع علمهم أنه ليس كمثله شيءٌ لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

وقالوا: له[2] الخلق والأمر، فكما لا يخلق غيره لا يأمر غيره، بل الدين كلُّه له، هو المعبود المطاع الذي لا يستحقُّ العبادة إلا هو، ولا طاعةَ لأحدٍ إلا[3] طاعته، وهو ينسخ ما ينسخه مِن شَرْعِه، وليس لغيره أن ينسخَ شَرْعَه.

واليهود بالغوا في اجتناب النَّجاسات، وتحريم الطَّيبات.

والنَّصارىٰ استحلُّوا الخبائث، وملابسةَ[4] النَّجاسات.

والمسلمون أحلَّ الله لهم الطيبات خلافًا لليهود، وحرم عليهم الخبائث، خلافًا للنصارىٰ.

---

(١) (و): «ومن» بدل «وإزالة».
(٢) (المطبوعتان): «ألا له» بزيادة: «ألا» خلافًا للأصول.
(٣) بعدها في هامش (ي): «في».
(٤) (ي): «وملامسة».

واليهود يبالغون في طهارة أبدانهم مع خبث قلوبهم، والنَّصارىٰ يدَّعون أنهم يطهِّرون قلوبَهم مع نجاسة أبدانهم.

والمسلمون يطهِّرون أبدانهم وقلوبهم جميعًا.

والنصارىٰ لهم عباداتٌ وأخلاق، بلا علمٍ ومعرفةٍ ولا ذكاء.

واليهود لهم ذكاءٌ و[1]علمٌ ومعرفةٌ، بلا عباداتٍ ولا أخلاقٍ حسنة.

والمسلمون جمعوا بين العلم النَّافع والعمل الصَّالح، بين الزَّكاء والذَّكاء، فإن الله أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق، فالهدىٰ يتضمَّن العلمَ النافع، ودينُ الحقِّ يتضمَّن العملَ الصَّالح؛ ليُظْهِره علىٰ الدِّين كلِّه، والظهورُ يكون بالعلم واللسان؛ ليبيِّن أنه حقٌّ وهدىٰ، ويكون باليد والسِّلاح؛ ليكون منصورًا مؤيَّدًا، والله أظهره هذا الظهور وهذا الظهور[2]، فهم أهل الصِّراط المستقيم، صراطِ الذين أنعم الله عليهم من النَّبيِّين والصِّديقين والشهداء والصَّالحين وحَسُنَ أولئك رفيقًا، ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾ عليهم الذين يعرفون الحقَّ ولا يعملون به، كاليهود، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ الذين يعملون ويعبدون ويزهدون بلا علمٍ كالنَّصارىٰ.

واليهود قتلوا النبيِّين، والذين يأمرون بالقسط من الناس.

والنَّصارىٰ اتَّخذوا أحبارَهم ورهبانَهم أربابًا من دون الله والمسيحَ ابنَ مريم.

والمسلمون اعتدلوا فآمنوا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، ولم يُفَرِّقوا بين أحدٍ من رسله، وآمنوا بجميع النَّبيِّين وبكلِّ كتابٍ أنزله الله، فلم يُكَذِّبوا الأنبياء

---

(١) «ذكاء و» ليست في (د، ع، ط.النيل).

(٢) «وهذا الظهور» ليست في (د، ع، ط.النيل).

ولا سبُّوهم ولا غَلَوْا فيهم ولا عبدوهم، وكذلك في أهل العلم والدين لا يبخسونهم حقَّهم ولا غَلَوْا فيهم.

واليهود يغضبون لأنفسهم وينتقمون، والنصارىٰ لا يغضبون لربِّهم ولا ينتقمون.

والمسلمون المعتدلون المتَّبعون لنبيِّهم يغضبون لربِّهم، ويعفون عن حظوظهم، كما في «الصحيحين»[1] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: **«ما ضَرَبَ رسُولُ اللهِ ﷺ بيَدِهِ خَادِمًا لَهُ، ولا امْرَأةً ولا شيْئًا قطّ، إلا أن يُجَاهِدَ في سَبيلِ اللهِ، ولا نِيلَ مِنْهُ شيءٌ قطُّ فانْتَقَمَ لِنَفْسِهِ، إلا أَنْ تُنْتَهكَ مَحَارِمُ اللهِ فيَنْتَقِمُ للهِ»**. وفي «الصَّحيحين»[2] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: **«خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فمَا قَالَ لِي: أُفٍّ قَطُّ، ومَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ فعَلْتُه: لِمَ فَعَلْتَه؟ وَلا لِشَيْءٍ لمْ أَفْعَلْهُ: لِمَ لا فَعَلْتَه[3]؟»**. وكان بعضُ أهله إذا عاتبني علىٰ شيءٍ يقول: **«دَعُوهُ فَلَوْ قُضِيَ شيءٌ لكان»**[4]. هذا في حقِّ نفسه.

وأما في حدود الله، ففي «الصَّحيحين»[5]، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن قريشًا أهمَّهم شأنُ المخْزوميَّة التي سرقت، فقالوا: من يكلِّم فيها رسولَ الله ﷺ؟

---

(١) مسلم (٤/ ١٨١٤) والبخاري (٦١٢٦) وليس عنده إلا قوله: «وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط، إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم بها لله»

(٢) البخاري(٦٠٣٨) مسلم (٢٣٠٩).

(٣) (المطبوعتان): «لِمَ لَمْ تفعله». ولفظ البخاري «فما قال لي: أف، ولا: لم صنعت؟ ولا: ألا صنعت». وعند مسلم: «ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا».

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٣٤١٩) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٧٣). ورجال أحمد ثقات.

(٥) البخاري (٣٤٧٥)، مسلم (١٦٨٨).

فقالوا: من يجْترئ عليه إلا أسامةُ بن زيد، حِبُّ رسولِ الله ﷺ[1] فكلَّمه فيها أسامة، فقال: «يا أسَامَةُ، أتَشْفعُ في حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ، إنّما أهْلَك مَنْ كَانَ قَبْلكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تركُوهُ، وإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أقَامُوا عَلَيْهِ الحُدُودَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أنَّ فَاطِمَةَ بنتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لقَطَعْتُ يَدَهَا».

وقد وصف الله أمَّة محمَّدٍ ﷺ بأنهم أنفع الأمم للخلق، فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ففي أمَّة محمَّدٍ ﷺ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي فيه صلاحُ العباد في المعاش والمعاد ما لم يوجد مثلُه في الأُمَّتين.

---

(١) «فقالوا: من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حِبُّ رسول الله ﷺ» ليست في (و، ي).

فصل

ثم قالوا: «وكذلك جاء في هذا الكتاب يقول: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة:٨٢].

فذكر القسِّيسين والرهبانَ، لئلا يقال: إنَّ هذا قيل عن غيرنا، ودلَّ بهذا على أفعالِنا وحُسْنِ نيَّاتنا، ونفىٰ عنَّا اسم الشِّرك بقوله: اليهود والذين أشركوا أشدُّ عداوةً للذين آمنوا، والذين قالوا إنا نصارىٰ أقربهم مودَّة»[1].

والجواب أن يقال: تمام الكلام: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٨٣-٨٥].

فهو سبحانه لم يَعِدْ بالثَّواب في الآخرة إلا لهؤلاء الذين آمنوا بمحمَّدٍ ﷺ الذين قال فيهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

والشَّاهدون هم الذين شهدوا له بالرِّسالة فشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسولُ الله، وهم الشُّهداء الذين قال فيهم:

---

(١) «رسالة بولس» (ص٤١٦-٤١٧).

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1] [البقرة:١٤٣].

ولهذا قال ابن عبَّاسٍ وغيرُه في قوله: ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٣]. قال: مع محمد ﷺ وأمته[2].

وكل من شهد للرُّسل بالتَّصديق فهو من الشَّاهدين، كما قال الحواريُّون: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٣].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[3] [الحج:٧٧-٧٨].

---

(١) بعدها في (ي): وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ فهو سبحانه جعلهم أمة وسطًا وسماهم المسلمين من قبل، أي من قبل نزول القرآن، وفي القرآن ليكون الرسول عليهم شهيدًا ويكونوا شهداء علىٰ الناس.
وبعدها في (و): وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾.

(٢) أخرجه ابن المنذر في «تفسيره» (٥٢١) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٦٨٢) والحاكم في «المستدرك» (٣٢٢٢) وصححه.

(٣) تقدّمت الإشارة قريبًا إلىٰ ورود هاتين الآيتين في (ي). وفي (و) أورد صدر الآية الأولىٰ إلىٰ قوله: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾.

وأما قوله في أول الآية: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾ [المائدة: ٨٢].

فهو كما أخبر ﷻ؛ فإن عداوةَ المشركينَ واليهود للمؤمنين أشدُّ من عداوة النصارىٰ، والنصارىٰ أقرب مودة لهم، وهذا معروف من أخلاق اليهود، فإن اليهود فيهم من البُغْض والحَسَدِ والعداوة ما ليس في النَّصارىٰ، وفي النَّصارىٰ من الرَّحمة والمودَّة ما ليس في اليهود.

والعداوة أصلها البغض، فاليهود كانوا يُبغضون أنبياءَهم، فكيف ببغضهم للمؤمنين؟!

وأمَّا النَّصارىٰ فليس في الدِّين الذي يَدِينون به عداوةٌ ولا بغضٌ لأعداء الله الذين حاربوا الله ورسوله وسعوْا في الأرض فسادًا، فكيف بعداوتهم وبغضهم للمؤمنين المعتدلين أهل ملَّة إبراهيم، المؤمنين بجميع الكتب والرسل.

وليس في هذا مدحٌ للنَّصارىٰ بالإيمان بالله، ولا وعدٌ لهم بالنَّجاة من العذاب واستحقاق الثواب، وإنما فيه أنهم أقربُ مودَّة.

وقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [المائدة: ٨٢] أي: بسبب هؤلاء، وسبب ترك الاستكبار، يَصير فيهم من المودَّة ما يصير، وهم بذلك خيرٌ من المشركين وأقرب مودَّةً من اليهود والمشركين.

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة:٨٣].

فهؤلاء الذين مدحهم بالإيمان ووعدهم بثواب الآخرة. والضميرُ وإن عاد إلىٰ المتقدِّمين، فالمراد به جنسُ المتقدِّمين لا كلُّ واحدٍ منهم، كقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[1] [آل عمران: ١٧٣].

وكأنَّ جنس النَّاس قالوا لهم: إن جنسَ النَّاس قد جمعوا. ويمتَنعُ العموم؛ فإن القائل من النَّاس، والمقول له من النَّاس، والمقول عنه من النَّاس، ويمتنع أن يكون جميع النَّاس قال لجميع النَّاس: إنه قد جمع لكم جميع النَّاس.

ومثل هذا قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]. أي جنس اليهود قال هذا، لم يقل هذا كلُّ يهودي.

ومن هذا أنَّ في النَّصارىٰ من رقَّة القلوب التي توجب لهم الإيمانَ ما ليس في اليهود، وهذا حقٌّ.

وأما قولهم: «ونفىٰ عنَّا اسم الشرك» فلا ريب أن الله فرَّق بين المشركين وأهل الكتاب في عدَّة مواضع، ووصف مَن أشرك منهم في بعض المواضع، بل قد ميَّز بين الصَّابئين والمجوس وبين المشركين في بعض المواضع، وكلا الأمرين حق، فالأول كقوله تعالىٰ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البينة: ١]. وقوله تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ [الحج:١٧]. وقال تعالىٰ: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [المائدة: ٨٢].

---

(١) وردت الآية في (و، ي) إلىٰ قوله: ﴿جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾.

وأما وصفهم بالشِّرك ففي قوله: ﴿ اتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

فنزَّه نفسه عن شركهم، وذلك أن أصل دينهم ليس فيه شرك، فإن الله إنَّما بعث رسُلَه بالتَّوحيد والنهي عن الشِّرك، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا يُوحَىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥].

فالمسيح صلوات الله عليه وسلامه وَمَن قبله من الرسل إنما دَعَوا إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له، وفي التوراة من ذلك ما يَعْظُم وصفه، لم يأمر أحدٌ[1] من[2] الأنبياء بأن يُعبد ملكٌ ولا نبيٌّ ولا كوكبٌ ولا وثن، ولا أن تُسأل ولا تُطلب الشَّفاعةُ إلىٰ الله من ميِّتٍ ولا غائب، لا نبيٍّ ولا ملك، فلم يأمر أحدٌ[3] من الرُّسل بأن يدعو الملائكة، ويقول: اشفعوا لنا إلىٰ الله، ولا يدعوَ الأنبياءَ والصَّالحين الموتىٰ والغائبين، ويقول: اشفعوا لنا إلىٰ الله، ولا تُصوَّر تماثيلُهم، لا مجسَّدةً ذاتَ ظل، ولا مصوَّرةً في الحيطان، ولا يُجعلُ دعاءُ تماثيلهم وتعظيمُها قربةً وطاعةً، سواءٌ قصدوا دعاء أصحاب التماثيل وتعظيمَهم والاستشفاعَ بهم، وطلبوا منهم أن يسألوا الله تعالىٰ، وجعلوا تلك

(١) (و): «أحدًا».
(٢) «من» ساقطة من (المطبوع).
(٣) (و): «أحدًا».

التماثيل تذكرة[1] بأصحابها، أو قصدوا دعاء التماثيل، ولم يستشعروا أنَّ المقصود دعاءُ أصحابها، كما فعله جُهَّال المشركين، وإن كان في هذا جميعه إنما يعبدون الشَّيطان وإن كانوا لا يقصدون عبادته، فإنه قد يتصوَّر لهم في صورةٍ ما، يظنُّون أنها صورةُ الذي يعظِّمونه، ويقول: أنا الخَضِر، أنا المسيح، أنا جرجس، أنا الشَّيخ فلان. كما قد وقع هذا لغير واحدٍ من المنتسبين إلىٰ المسلمين والنَّصارىٰ. وقد يدخل الشيطان في بعض التَّماثيل فيخاطبُهُم، وقد يقضي بعضَ حاجاتِهم؛ فبهذا السَّبب وأمثاله ظهر الشركُ قديمًا وحديثًا، وفَعَل النصارىٰ وأشباهُهُم ما فعلوه من الشِّرك.

وأما الأنبياء والرسل -صلوات الله عليهم وسلامه - فنهوا عن هذا كلِّه، ولم يشرع أحدٌ منهم شيئًا من ذلك.

والنَّصارىٰ لا يأمرون بتعظيم الأوثان المجسَّدة، ولكن بتعظيم التماثيل المصوَّرة، فليسوا علىٰ التَّوحيد المحض، وليسوا كالمشركين الذين يعبدون الأوثان ويُكَذِّبون الرُّسل، فلهذا جعلهم الله نوعًا غيرَ المشركين تارة، وذمَّهم علىٰ ما أحدثوه من الشِّرك تارة.

وإذا أُطْلِق لفظُ الشِّرك فطائفةٌ من المسلمين تُدْخِلُ فيه جميعَ الكفَّار من أهل الكتاب، وغيرهم، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟﴾ ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾[2] [البقرة: ٢٢١].

---

(١) (ي): «مذكرة».

(٢) قدّم المصنف في نصِّ الآية «الذكور» لمناسبتهم لاستشهاده. ونصُّ الآية بتمامها: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟﴾.

فمن الناس من يجعل اللفظ عامًّا لجميع الكفار، ولا سيَّما النصارىٰ، ثم من هؤلاء من ينهىٰ عن نكاح هؤلاء، كما كان عبد الله بن عمر ينهىٰ عن نكاح النصرانيَّة[1]، ويقول: «لا أعلم شركًا أعظم من أن تقول: إن عيسىٰ ربها»[2].

وهذا قول طائفةٍ من الشِّيعة وغيرهم. وأما جُمهورُ السَّلف والخلف، فيُجَوِّزون نكاحَ الكتابيَّات ويبيحون ذبائحَهم[3]، لكن إذا قالوا: لفظُ المشركين عام، قالوا: هذه الآية مخصوصةٌ أو منسوخةٌ بآية المائدة، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥].

وطائفة أخرىٰ تجعل لفظ المشركين إذا أطلق لا يدخل فيه أهل الكتاب.

وأما كون النصارىٰ فيهم شرك - كما ذكره الله - فهذا مُتَّفقٌ عليه بين المسلمين، كما نطق به القرآن، كما أنَّ المسلمين مُتَّفِقون علىٰ أنّ قوله: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ [المائدة: ٨٢]. أنَّ النصارىٰ لم يدخلوا في لفظ الذين أشركوا، كما لم يدخلوا في لفظ اليهود.

---

(١) (د، ع، ط.النيل): «هؤلاء».

(٢) (د، ع، ط.النيل): «لا أعظم شركًا من أن يقول: عيسىٰ ربنا» بدل: «لا أعلم شركًا أعظم من أن تقول: إن عيسىٰ ربها».
وقد أخرج البخاري هذا الأثر في صحيحه (٥٢٨٥) عن نافع، أن ابن عمر، كان إذا سئل عن نكاح النصرانية واليهودية، قال: «إن الله حرم المشركات علىٰ المؤمنين، ولا أعلم من الإشراك شيئا أكبر من أن تقول المرأة: ربها عيسىٰ، وهو عبد من عباد الله».

(٣) وانظر كلام المصنف علىٰ هذه المسألة في «مجموع الفتاوىٰ» (٣٢/ ١٨١).

وكذلك قوله: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البينة: ١]. ونحو ذلك، وهذا لأن اللَّفظ الواحد تتنوَّع دلالتُه بالإفراد[1] والاقتران، فيدْخُلُ فيه مع الإفراد والتَّجْريد ما لا يدخل فيه عند الاقتران بغيره، كلفظ المعروف والمنكر في قوله تعالىٰ: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. فإنه هنا يتناول جميعَ ما أمر الله به فإنه معروف، وجميع ما نهىٰ عنه فإنه منكر.

وفي قوله: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]. فهنا قرن الصَّدقة بالمعروف[2] والإصلاح بين الناس.

وكذلك المنكر في قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. قرن الفحشاء بالمنكر.

وقوله: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]. قرن الفحشاء بالمنكر والبغي.

وكذلك لفظ البرِّ والإيمان، إذا أفردَه أدْخَلَ فيه الأعمالَ الصَّالحة[3] والتَّقوىٰ، كقوله: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الآية [البقرة: ١٧٧]. وقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [الانفطار:١٣]. وقوله:

---

(١) (ي): «بحسب الإفراد».

(٢) (و، ي): «المعروف بالصدقة».

(٣) «الصالحة» ليست في (د، ع، ط.النيل).

﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾(١). وقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢].

وقد يقرنه بغيره كقوله: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٢]. وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

وكذلك لفظُ الفقير والمسكين إذا أُفْرِد أحدُهما دخل فيه معنىٰ(٢) الآخر، وقد يجمع بينهما في قوله: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ [التوبة: ٦٠]. فيكونان هنا صنفين، وفي تلك المواضع صنفٌ واحد.

فكذلك لفظ الشِّرك في مثل قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾(٣) [التوبة: ٢٨]. يدخل فيه جميعُ الكفار، أهلُ الكتاب وغيرُهم عند عامَّة العلماء؛ لأنه أفرده وجرَّده، وإن كانوا إذا قُرِن بأهل الكتاب كانا صنفين.

وفي «صحيح مسلم»(٤) عن بُرَيْدة أن النَّبيَّ ﷺ: كان إذا أَرْسَل أميرًا علىٰ سريَّةٍ، أو جيشٍ أوصاه في خاصَّةِ نفسه بتقوىٰ الله، وأوصاه بمن معه من المسلمين خيرًا، وقال لهم: «**اغْزُوا بِسْمِ اللهِ، فِي سَبِيلِ اللهِ(٥)، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ**

---

(١) وقوله: ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ ﴾ ليست في (و، ي).
(٢) (د، ع، ط.النيل): «لفظ».
(٣) «بعد عامهم» ليست في (و، ي)، فختم الآية عند قوله: «المسجد الحرام» وكلمة: «هذا» متعلقة بما بعدها في السياق.
(٤) (١٧٣١).
(٥) بعدها في (د، ع، ط.النيل): «في دعة» وليست في المصدر.

باللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ المُشْرِكِينَ فادْعُهُمْ إلىٰ إحْدَىٰ خِلَالٍ ثَلاثٍ فأَيَّهُم ما[1] أجَابُوكَ إِلَيْهَا فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ادْعُهُمْ إلىٰ الإسْلامِ فإنْ أَجَابُوكَ إلىٰ ذَلِكَ فَاقبَلْ مِنْهُمْ وكُفَّ عَنْهُم، ثُمَّ ادْعُهُمْ إلىٰ التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إلىٰ دَارِ المُهَاجِرينَ، وأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إن فَعَلُوا ذَلِكَ؛ فإنَّ لَهُمْ ما للمُهَاجِرينَ وعَلَيْهِم مَا عَلَيْهِم، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَىٰ المُسْلِمِينَ[2]، وَلَيْسَ لَهُمْ في الغَنِيمَةِ والفَيْءِ نَصِيبٌ، إلَّا أن يُجَاهِدُوا مع المُسْلِمينَ، فإنْ هُمْ أبَوا فاسْأَلْهُمُ الجِزْيَةَ، فإنْ هُمْ أجَابُوا[3] فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ».

وهذا الحديث كان بعد نزول آية الجزية، وهي إنَّما نزلت عام تبوك لمَّا قاتل النَّبيُّ ﷺ النصارىٰ بالشَّام، واليهودَ باليمن.

وهذا الحكم ثابتٌ في أهل الكتاب باتِّفاق المسلمين، كما دلَّ عليه الكتابُ والسُّنَّة، ولكن تنازعوا في الجزية: هل تؤخذ من غير أهل الكتاب؟ وهذا مبسوطٌ في موضعه[4].

---

(١) المثبت من (و)، وفي (د، ع، ط.النيل): «فإنهم ما»، (ي): «فإنْ هم ما»، (المطبوع): «فإن هم» ولفظ الصحيح: «فأيتهن ما».

(٢) هامش (و): «الأعراب في الإسلام» بدل: «المسلمين».

(٣) (و): «أجابوك إلىٰ ذلك».

(٤) انظر مسألة (من تؤخذ منهم الجزية) في: «المغني» (٩/ ٣٢٨)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٩/ ١٩-٢٣)، و«شرح الزركشي علىٰ مختصر الخرقي» (٦/ ٥٦٧).

فصـل[1]

قالوا: «وقال في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢] فسَاوىٰ بهذا القول بين سائر الناس: اليهودِ و[2] المسلمين وغيرهم».

والجواب أن يقال: أولًا: لا حُجَّة لكم في هذه الآية علىٰ مطلوبكم؛ فإنه يسوِّي بينكم وبين اليهود والصَّابئين، وأنتم مع المسلمين متَّفِقون علىٰ أنَّ اليهود كفارٌ من حين بُعِث المسيحُ إليهم فكذَّبوه.

وكذلك الصَّابئون، من حين بُعِث إليهم رسولٌ فكذَّبوه، فهم كفار.

فإن كان في الآية مدحٌ لدينكم الذي أنتم عليه بعد مَبْعَثِ محمَّدٍ ﷺ، ففيها مدحُ دينِ اليهود أيضًا، وهذا باطلٌ عندكم وعند المسلمين. وإن لم يكن فيها مدحٌ لدين[3] اليهود بعد النَّسْخ والتَّبديل فليس فيها مدحٌ لدين النَّصارىٰ بعد النَّسخ والتبديل.

وكذلك يقال لليهوديِّ إن احتجَّ بها علىٰ صحَّة دينه.

وأيضًا، فإنَّ النَّصارىٰ يكفِّرون اليهود. فإن كان دينهم حقًّا لَزِم كفرُ اليهود، وإن كان باطلًا لَزِم بطلانُ دينِهم، فلابد من بطلان أحد الدِّينَيْن، فيمتنع أن تكون الآية مدحتهما، وقد سوَّت بينهما، فَعُلِم أنها لم تمدح واحدًا منهما بعد النسخ

---

(١) بياض في (د).
(٢) «الناس اليهود و» ليست في (و، ي).
(٣) «الدين» ساقطة من (المطبوع).

والتبديل، وإنما معنىٰ الآية: أن المؤمنين بمحمَّدٍ ﷺ، والذين هادوا الذين اتَّبعوا موسىٰ عليه السلام، وهم الذين كانوا علىٰ شرعه قبل النَّسْخ والتبديل، والنَّصارىٰ الذين اتَّبعوا المسيح عليه السلام، وهم الذين كانوا علىٰ شريعته قبل النَّسخ والتبديل، والصَّابئين وهم الصَّابئون الحنفاء، كالذين كانوا من العرب وغيرهم علىٰ دين إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ قبل التَّبديل والنسخ.

فإن العرب من ولد إسماعيلَ وغيرِه[1] الذين كانوا جيرانَ البيتِ العتيق الذي بناه إبراهيم وإسماعيل، كانوا حنفاءَ علىٰ ملَّةِ إبراهيم، إلىٰ أن غيَّر دِينَه بعضُ ولاة خزاعة، وهو عَمرو بن لُحَيٍّ، وهو أولُ من غيَّر دينَ إبراهيم بالشِّرك وتحريمِ ما لم يحرِّمْه الله، ولهذا قال النبي ﷺ: «**رَأَيْتُ عَمْرَو بن لُحَيٍّ يَجُرُّ قُصْبَه - أي أمْعَاءَه - فِي النَّارِ، وَهُوَ أول من بحَّر البَحِيرَة، وسَيَّبَ السَّوائِبَ، وغيَّر دينَ إبْرَاهِيمَ**»[2].

وكذلك بنو إسحاق الذين كانوا قبل مبعث موسىٰ متمسِّكين بدين إبراهيم، كانوا من السُّعداء المحمودين، فهؤلاء الذين كانوا علىٰ دين موسىٰ والمسيح وإبراهيم ونحوُهم، هم الذين مدحهم الله تعالىٰ: فقال[3]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

(١) «وغيره» ليست في (و، ي).
(٢) أخرجه البخاري (٤٦٢٣) ومسلم (٢٨٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) «فقال» ساقطة من (المطبوع).

فأهل الكتاب بعد النَّسخ والتبديل ليسوا مِمَّن آمن بالله ولا باليوم الآخر وعمل صالحًا، كما قال تعالىٰ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

وقد تقدَّم أنه كفَّر أهلَ الكتاب الذين بدَّلوا دينَ موسىٰ والمسيح، وكذَّبوا بالمسيح أو بمحمَّدٍ ﷺ في غير موضع، وتلك آياتٌ صريحة، ونصوصٌ كثيرة، وهذا مُتَواتِرٌ معلومٌ بالاضطرار من دين محمَّدٍ ﷺ.

ولكن هؤلاء النَّصارىٰ سلكوا في القرآن ما سلكوه في التَّوراة والإنجيل، يدَعون النصوصَ المحكمةَ الصَّريحةَ البيِّنةَ الواضحةَ التي لا تحتمل إلا معنًى واحدًا، ويتمسَّكُون بالمتشابه المُجْمل[1] المُحْتَمل، وإن كان فيه ما يدل علىٰ خلاف مرادهم، كما قال تعالىٰ فيهم وفي أمثالهم: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2] [آل عمران: ٧].

---

(١) (د، ع): «المحكم» خطأ.

(٢) من قوله: «كما قال تعالىٰ فيهم وفي أمثالهم...» إلىٰ آخر الآية، ليست في (و).

فصـل[1]

قالوا: «ثم مدح قرابيننا وتواعدنا[2] إن أهمَلْنا ما مَعَنا وكَفَرْنا بما أُنْزِل إلينا أن يعذِّبنا عذابًا لم يعذبْه أحدًا من العالمين بقوله ذلك في سورة المائدة: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ إلىٰ قوله[3]: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة:١١٥] فالمائدة هي: القُرْبان المقدَّس الذي يُتقَرَّبُ به في كلِّ قُدَّاس».

والجواب أن يقال: هذا كذبٌ ظاهرٌ علىٰ القرآن في هذا الموضع، كما كذبتم عليه في غير هذا الموضع، فإنه ليس في الآيات ذكرُ قرابينِكُم البتَّة، وإنما فيه ذكرُ المائدة التي أنزلها الله تعالىٰ في عهد المسيح عليه السلام.

وقولهم: «فالمائدة هي: القُربان الذي يُتَقَرَّب به في كلِّ قدَّاس».

هو أولًا: قولٌ لا دليل عليه، **وثانيًا**: هو قولٌ معلومُ الفساد بالاضطرار من دين المسلمين الذين نقلوا هذا القرآن عن محمَّدٍ ﷺ لفظَه ومعْنَاه، فإنهم متَّفقون علىٰ أن المائدةَ مائدةٌ أنزلها الله من السماء[4] علىٰ عهد المسيح عليه السلام، وقصَّتُها مشهورةٌ في عامَّةِ الكتب، تعرفها العامَّةُ والخاصَّة، ولم يقل أحدٌ إنها

(١) بياض في (د)، وكتب في هامش (و): «آخر الكتاب الأول هنا». وفي (ي): «هذا أول الجزء الرابع من الجواب الصحيح».
(٢) كذا في الأصول. وفي «رسالة بولس» (ص٤١٧): «وتوعّدنا».
(٣) وفي (المطبوع) ساق الآيات بتمامها. خلافًا للأصول.
(٤) «من السماء» ليست في (د، ع، ط.النيل).

قرابين النَّصارىٰ، وليس في لفظ الآية ما يدلُّ علىٰ ذلك، بل يدلُّ علىٰ خلاف ذلك، فإنَّ الآية تُبيِّن أن المائدة منزَّلةٌ من السماء، وقرابينُهم هي عندهم في الأرض لم تنزل من السماء.

وفي الآية أنّ عيسىٰ قال: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٤-١١٥].

وفي أوَّل الكلام: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ١١٢-١١٣]. فأين هذا من قرابينِهم الموجودة اليوم[1]؟

---

(١) «اليوم» ليست في (ي).

فصل

قالوا: «ولِما تقدَّم به القول؛ لأنه غيرُ لائقٍ عند ذوي الألباب أن نهمل «روح القدس» و«كلمةَ الله» الذي شهد لهما في هذا الكتاب بالعظائم، فقال عن «كلمة الله»: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٩].

والجواب: أن الله تعالىٰ لم يبعث محمَّدًا ﷺ بإهمال ما يجب من حقِّ المسيح عليه السلام، بل أمره بالإيمان بالمسيح وبما جاء به، كما أمر بالإيمان بموسىٰ وبما جاء به، وكما أمر المسيح بالإيمان بموسىٰ وبما جاء به، ولكنه أَمَرَ بإهمال ما ابتُدع من الدِّين الذي لم يشرعه الله علىٰ لسان المسيح عليه السلام، وما نسخه الله من شرعه علىٰ لسان محمَّدٍ ﷺ، فيهمل المبدَّل والمنسوخ، كما أمر الله المسيح أن يهْمِل ما ابتدعتْه اليهود من الدِّين الذي لم يشرعه، وما نسخه من شرع موسىٰ.

فكما أَمَرَ المسيحَ أن يُهْمِل المبدَّلَ والمنسوخَ من التَّوراة التي جاء بها موسىٰ عليه السلام، ولم يكن في ذلك إهمالٌ لما يجب من حقِّ التَّوراة وموسىٰ عليه السلام، فكذلك إذا أُهْمِلَ المُبَدَّلُ والمنسوخُ من دين أهل الإنجيل لم يكن في ذلك إهمالٌ لما يجب من حقِّ الإنجيل والمسيح، بل ما جاء به محمَّدٌ ﷺ يتضمَّن الإيمانَ بجميع الكتب والرُّسل، وأن لا نفرِّق بين أحدٍ منهم، ونحن له مسلمون، كما قال تعالىٰ: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

والنصارىٰ كاليهود، آمنوا ببعضٍ وكفروا ببعض، فأيُّما هو اللائق عند أولي الألباب، أن نؤمنَ بجميع كتب الله ورسله، أو نؤمنَ ببعضٍ ونكفرَ ببعضٍ؟ وأيُّما هو اللائق عند أولي الألباب أن نعبدَ الله وحده لا نشركَ به شيئًا، ونعبدَه بما شرعه علىٰ لسان رسوله، أو نبتدعَ من الشِّرك والعبادات المبتدعة ما لم يُنْزِل به الله[1] كتابًا، ولا بعَثَ به رسولًا، ونضاهي المشركين عبَّاد الأوثان[2]؟

قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[3] [آل عمران: ٦٤]. فالمسلمون لم يُهْمِلوا «روح القدس» و«كلمةَ الله». وقد قال تعالىٰ عن «كلمة الله»: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩].

بل هم الذين اتبعوا دينه ودين الرسل قبله، فإنَّ دين الأنبياء عليهم السلام جميعهم

---

(١) (و، ي): «الله به».

(٢) (و): «الأصنام».

(٣) هذه الآية ليست في (و). وفي (ي) بعدها: «وقال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ﴾ الآية».

واحد، كما ثبت في «الصحيحين»[1] عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّا مَعَاشِرَ الأنبياءِ دِينُنا وَاحِدٌ**». وقد قال تعالىٰ: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

فدين المرسلين كلِّهم دينٌ واحدٌ، ويتنوَّع شرْعُهم ومناهجُهم كتَنَوُّعِ شريعة الرَّسول الواحد، فإن دين المسيح هو دينُ موسىٰ، وهو دين[2] الخليل قبلهما، ودين محمد بعدهما، مع أن المسيح كان علىٰ شريعةِ التَّوراة، ثم نسخ الله علىٰ لسانه ما نسخ منها، وهو قبل النَّسخ وبعده دينُه دين موسىٰ، ولم يُهْمِل دينَ موسىٰ.

كذلك المسلمون هم علىٰ دين المسيح وموسىٰ وإبراهيم[3] وسائرِ الرُّسل، وهم الذين اتبعوا المسيح، ولهذا جعلهم الله فوقَ النَّصارىٰ إلىٰ يوم القيامة.

والنَّصارىٰ الذين بدَّلوا دينَ المسيح وكذَّبوا محمَّدًا ﷺ بريئون من دين المسيح، والمسيحُ بريءٌ منهم كبراءة موسىٰ ممَّن بدَّل وغيَّر دينَه وكذَّب المسيح.

والمسلمون أشدُّ تعظيمًا للمسيح عليه السلام واتِّباعًا له بالحقِّ ممن بدَّل دينه وخالفه من النصارىٰ، فإن المسلمين يصدِّقونه[4] في كل ما أخبر به عن نفسه،

---

(١) البخاري (٣٤٤٣) ومسلم (٢٣٦٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه. ولفظه عند البخاري: «أنا أولىٰ الناس بعيسىٰ ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتىٰ ودينهم واحد».

(٢) بعدها في (ع): «إبراهيم».

(٣) «وإبراهيم» ليس في (و).

(٤) «فإن المسلمين يصدقونه» ليست في (و، ي).

ولا يُحَرِّفون ما قاله عن مواضعه، ولا يفسِّرون كلامَه بغير مرادِه وكلامِ غيره من الأنبياء كما فعلت النَّصارىٰ.

فإنهم نقلوا عن المسيح أنه قال: «عَمِّدُوا الناسَ باسم الأبِ والابن وروحِ القُدُس»[(١)]. وهذا إذا قاله المسيح فإنه[(٢)] يُفَسَّر بلغته وعادتِه في خطابه وعادة سائر الأنبياء، وليس في كلام المسيح ولا في كلام سائر[(٣)] الأنبياء ولا كلام غيرهم أن كلمة الله القائمةَ بذاتِه سبحانه و تعالىٰ تُسَمَّىٰ ابنًا، ولا روح قدس، ولا تُسَمَّىٰ صِفَتُه القديمةُ ابنًا، ولا روح قدس، ولا يوجد قطُّ في كلام الأنبياء اسمُ الابن واقعًا إلا علىٰ مخلوق.

والمراد في تلك اللغة: أنه مصطفًى محبوبٌ لله، كما ينقلونه أنه قال لإسرائيل[(٤)]: «أنت ابني بكري»[(٥)]. ولداود: «أنت ابني وحبيبي»[(٦)]. وأن المسيح قال للحواريِّين: «أبي وأبيكم»، فجَعَله أبًا للجميع، وهم كلُّهم مخلوقون، فيكونُ اسمُ الابن واقعًا علىٰ المسيح الذي هو ناسوتٌ مخلوق، فعَمَدَ هؤلاء الضُّلَّال فجعلوا اسمَ الابن واقعًا علىٰ اللَّاهوت، قديٌم أزليٌّ مولودٌ غير مخلوق.

---

(١) تقدم هذا النص عن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ (١/ ٢٠٠).
(٢) «فإنه» ليست في (و).
(٣) «المسيح ولا في كلام سائر» ليست في (و، ي) فأصبحت العبارة: «وليس في كلام الأنبياء ولا كلام غيره أن صفة الله...».
(٤) (و): «ليعقوب».
(٥) المثبت من (و)، وقد تقدم بنصِّه (١/ ٣٥٨) وسائر الأصول: «أنه ابنه بكره».
(٦) جاء في سفر المزامير، الإصحاح (٢)، الفقرة (٧): «أعلنت حكم الرب، قال لي: أنت ابني، وأنا اليوم ولدتك».

وزعموا أن «الابن» يراد به الابن بالوضع، وهو المخلوق، وهو الابن بالطبع، وهو القديم الأزليُّ المولود غيرُ المخلوق، وهذا التَّفريق هم أحدثوه وابتدعوه، ولا يوجد قطُّ في كلام المسيح ولا غيرِه أنه سمَّىٰ القديمَ الأزليَّ ابنًا، ولا جعل له ابنًا قديمًا[1] مولودًا غير مخلوق[2]، ولا سمىٰ شيئًا من صفات الله قطّ ابنًا.

وكذلك لفظ «روح القدس» موجودٌ في غير موضع من كلام الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لا يراد بهذا قطُّ حياة الله ولا صفةٌ قائمةٌ به، وإنما يراد به: ما أيّد الله به الأنبياء والأولياء ويجعله في قلوبهم مِن هُدَاهُ ونورِه ووحيِهِ وتأييدِهِ، ومِمَّا[3] يُنَزِّلُ بذلك من الملائكة.

وهذا الذي تُسَمِّيه الأنبياء «روحَ القُدُس» لم يختصَّ به المسيحُ باتِّفاق المسلمين وأهل الكتاب، بل قد أنزله الله علىٰ غيره من الأنبياء والصَّالحين، كما هو موجودٌ في كتبهم: إن «روح القدس» كانت في داود وغيره، وكانت أيضًا عندهم في الحواريين[4]. وهكذا خاتم الرسل، كان يقول لحسَّانَ بنِ ثابت: «**إنَّ رُوحَ القُدُسِ مَعَكَ مَا دُمْتَ تُنَافِحُ عَنْ نَبِيِّه**»، ويقول: «**اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ القُدُسِ**»[5].

---

(١) «قديمًا» ليست في (و). وفي (ي) «مولودًا قديمًا».
(٢) «غير مخلوق» ليست في (و).
(٣) (د، ع، ط.النيل): «ومن».
(٤) «وكانت أيضًا عندهم في الحواريين» ليست في (و).
(٥) تقدّم تخريج الحديثين (١/ ٣٨١).

وقد قال الله تعالىٰ عن عباده المؤمنين: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فروح القدس لا اختصاص للمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ بها، بل ما يُفَسَّرُ به اسمُ «الابن» واسمُ «روح القدس» وغير ذلك مما وُصِف به المسيح= فهو مشتركٌ بينه وبين غيره من الرُّسل، وإذا فسَّروا الحلول بظهور نور الله وعلمِه وهدَاه في الأنبياء فهذا حق، وهو مشتركٌ بين المسيح وغيره.

فأمَّا نفسُ ذاتِ الله فلم تحلَّ في أحدٍ من البشر.

والمسلمون مع شهادتهم للمسيح بأنه عبدُ الله ورسولُه يقولون: إنه مؤيَّدٌ منصورٌ، عصَمَه الله من أعدائه، وطهَّره منهم، ولم يسلِّطْهم عليه.

والنَّصارىٰ يدَّعون أن اسم المسيح اسمُ اللَّاهوت والنَّاسوت، وأنه إلهٌ تامٌّ وإنسانٌ تام، وهذا يمتنع شرعًا وعقلًا، ثم يصفونه بالصِّفات المتناقضة، يصفونه بأن طائفةً من شِرَار اليهود وضعوا الشَّوك علىٰ رأسه، وبصقوا في وجهه، وأهانوه، وصلبوه، وفعلوا به ما لا يُفعل بأخسِّ الناس، ويقولون مع هذا: إنه(١) ربُّ السَّماوات والأرض وما بينهما.

---

(١) بعدها في (و، ي): «هو».

فصــل

قالوا: «ثم شهد لقرابيننا وذبائحنا أنها مقدَّسةٌ مقبولةٌ لدىٰ الله من كتب اليهود التي في أيديهم يومَنا هذا، المُنَزَّلة من الله علىٰ أفواه الأنبياء المرسلين».

قال أشعيا: «قال الله: إني أعرف بني إسرائيل وقلوبَهم القاسية الخبيثة، فإذا أنا ظهرتُ إلىٰ الأمم فنظروا إلىٰ كرامتي، أُقِيمُ منهم أنبياءَ وأبعث منهم مخلِّصين يُخَلِّصُونَ الأممَ من البلدان القاصية الذين لم يسمعوا بسماعي، ولم يعرفوه من قَبْلِ كرامتي، ويكونُ اسمي فيهم، ويَجْلِبون إخوتهم من الأمم كلها، ويُجِيبون[1] قرابينَ الله علىٰ الدَّوابِّ والمراكب إلىٰ جبلٍ قدسيٍّ، بيتِ المَقْدِس[2]، فَيُقَرِّبون لي القرابين بالسَّميد، كما كان بنو إسرائيل من قبل، وكذلك باقي الأمم، وتقرِّب القرابين بين يدَيّ، فهم وزرعُهم إلىٰ الأبد، ويحُجُّون في كلِّ سنة، وفي كلِّ شهر، ومن سنةٍ إلىٰ سنةٍ إلىٰ بيت المقدس، بيت الله، ويُقَرِّبون لله ربِّهم فيه قرابينَ زكيَّةً نقيَّة، وينظرون إلىٰ الأمَّة الخبيثة الماردة، بني إسرائيل، لا يبلىٰ حُزْنُها[3] ولا ينقطعُ بلاؤها إلىٰ الأبد»[4].

---

(١) (ع): «يجلبون».

(٢) ستكرر العبارة في (٢/ ١٥٦) هكذا: «جبلِ قدسٍ بيت اللهِ المقدس».

(٣) (د، ع، ط.النيل): «حرمها».

(٤) جاء في سفر أشعيا، الإصحاح (٦٦)، الفقرة (١٨-٢٣): «أما أنا فأنظُرُ إلىٰ أعمالِهم وأفكارهم، قد حان أحشرُ جميعَ الأمم والألسنة، فتأتي وترىٰ مجْدي، وأجعلُ بينهم آية، وأرسِل ناجين منهم إلىٰ الأمم إلىٰ ترشيش و فول ولود التي تشدُّ القسي، وتويل وياوان والجزر البعيدة التي لم تسمع بسمعتي، و لم تر مجْدِي، فينادون بمجدي بين الأمم، ويأتون بجميع إخوتكم من جميع الأمم، تقدمةً للربِّ علىٰ الخيل والمركبات والهوادِج والبغال والمَحَامل إلىٰ جبل قدسي أورشليم.

قال الرب: كما يأتي بنو إسرائيل بالتقدمة في إناءٍ طاهر إلىٰ بيت الرب، ومنها أيضًا أتخذ كهنة ولاويين. قال الرب: لأنه كما أن السماوات الجديدة والأرض الجديدة التي أصنعها =

وقال دانيال النَّبيُّ[1] عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وسيأتي علىٰ شعبِك[2] وقريةِ قدسِك سبعون سابوعًا، وتنقضي الذنوب، وتفنىٰ الخطايا وغفران الإثـم، ويؤتىٰ بـالحقِّ الـذي لـم ينـزل مـن قبـل، وتـتِمُّ نبـوَّاتُ الأنبيـاء وكتـبُ الرسـل، وتبيـد قريـة القُـدْس، وتخْرب مع مجيء المسيح، ويفنىٰ الميثاقُ العتيقُ من الناس، ومـن بعـد أسبوعٍ ونصفٍ تَبْطُلُ ذبائحُ اليهود وقرابينُهم، وتصير علىٰ كفِّ النَّجاسة والفساد إلىٰ انقضاء الدَّهر»[3].

وقال ميخا النَّبيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قال الله في آخر الزمان: إذا أتـىٰ المسيحُ يـدعو الأممَ المبـدَّدة، ويضعُهم شعبًا واحدًا، ويبطُل قتال بني إسرائيل وسلاحهم وقرابينهم إلىٰ الأبد»[4].

وقـال عـاموص النَّبـيُّ: «لا تـذبحوا[5] العجـول بعـد؛ فـإنّ الـربَّ سـيأتي

= تدوم أمامي، يقول الرب: فكذلك تدوم ذريتكم و اسمكم، ومن رأس شهرٍ إلىٰ رأس شهر، ومن سبت إلىٰ سبت، كلُّ بشرٍ يأتي ليسجد أمامي».

(١) «النبي» ليست في (د، ع، ط.النيل).

(٢) (د، ع، ط.النيل): «بيعتك».

(٣) ورد في سفر «دانيال» الإصحاح (٩)، الفقرة (١٠-١٧): «إن سبعين أسبوعًا حُدِّدت علىٰ شعبك، وعلىٰ مدينة قدسك، لإفناء المعصية، وإزالة الخطيئة، والتكفير عن الإثم، والاتيان بالبرّ الأبدي، وختم الرؤيا والنبوءة ومسح القدوسين، فاعلم وافهم، إنه من صدور الأمر بإعادة أورشليم إلىٰ رئيس مسيح، سبعة أسابيع ثم في اثنين وستين أسبوعًا، تعود وتبنىٰ السوق والسور، ولكن في ضيق الأوقات. وبعد الأسابيع الاثنين والستين، يفصل مسيح ولا يكون له... ويأتي رئيس فيدمر المدينة والقدس بالطُّوفان تكون نهايتها، وإلىٰ النهاية يكون ما قضي من القتال والتخريب».

(٤) لم أعثر علىٰ هذا النص عن ميخا عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٥) (و): «تدعوا»، (د، ع، ط.النيل): «يذبحوا».

صِـهْيونَ ويُحْـدِثُ وصـيةً جديـدةً طـاهرةً مـن الخُبْـزِ النَّقِـيّ والخمـر الزَّكِـيّ، ويصيرون بنو[1] إسرائيل مطرودين»[2].

والجواب من وجوه:

أحـدها: أن مـا يحتجُّـون بـه مـن النَّقـل عـن الأنبيـاء صـلوات الله علـيهم يحتاجون فيه إلىٰ أربع مقدمات: إلىٰ أن تُعْلَم نبوَّةُ المنقـول عنـه، والـىٰ أن يُعْلَـم لفظُه الذي تكلَّم به، وإلىٰ أن يُعْلَم [أن] ما ذكروه ترجمـةً صـحيحةً عنـه[3]، فـإن أولئك الأنبياء لم يتكلموا بالعربيَّة، بل ولا بالرُّوميَّة والسُّريانيَّة واليونانيَّة، وإنّمـا تكلمـوا بالعِبْريَّـة، كالمسـيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، والرابـع: أن يُعلَـم أنّ مـا ذكـروه مـن كـلام الأنبياء دليلٌ علىٰ ما ادَّعوه من قبول قرابينهم في هذا الزمان.

ونحن في هذا المقام نقتصر علىٰ منازعتهم في هـذه المقدِّمـة، فلـيس فيمـا ذكروه دليلٌ علىٰ مدح قرابينهم وذبائحهم بعد التَّبديل والنسخ، ولكن غايتهـا أن يدلَّ علىٰ مدحها قبل النّسخ والتَّبديل، وهذا ممَّا لا ينازع فيه المسلمون.

---

(١) (و، ي): «بني»، المطبوعتان: «ويصير بنو».

(٢) أشير في هامش (ي) بقوله: «فما يكون أعظم من هذا وأقوىٰ شهادة، وقـد أوردنـا مـن كتـب أعدائنا المخالفين لـديننا، وهـم يقرّون بـذلك ويقرؤونـه في كتابهم ولـم ينكـروا منـه حرفًـا واحدًا».
وأما هذا النص عن عاموص فقد ورد في الإصحاح (٦) الفقرة (٤-٧): «يضّجعون علىٰ أسرَّة من عاجٍ، وينبطحون علىٰ أرائكهم، ويأكلون الحُملان من الغنم والعجول المختـارة من المعلف، ويرتجلون علىٰ صوت العود، ومثل داود يخترعون آلات الطرب، ويشربون الخمـر بـالكؤوس، ويـدّهنون بالأدهـان النفيسـة، ولا يكتئبـون لانكسـار يوسـف، لـذلك يُجلون في رأس المجْلوِّين فيزول فجور المنبطحين».

(٣) (و، ي): «عنده».

الوجه الثاني: أن هذه النُّعوتَ المذكورةَ عن «أشعيا» وغيره من الأنبياء لا توافق ما عليه النَّصارىٰ؛ فإن النَّصارىٰ لا يُقَرِّبونَ القرابينَ بالسَّميد كما كان بنو إسرائيل من قبل، ولا يحجُّون في كل شهرٍ، ومن سنة إلىٰ سنة إلىٰ بيت المقدس بيت الله ويُقَرِّبون لله ربهم فيه قرابينَ نقيَّةً زكيَّةً، وإنما يحُجُّون إلىٰ «قمامةَ»[1] الخارجةِ عن بيت الله الذي كانت الأنبياء تقصده وتصلِّي فيه؛ فإن الأنبياء إنما كانوا يُصَلُّون في بيت المقدس، ويزورون بيتَ المقدس نفسَه، وأمَّا «قمامة» فليس لها ذكرٌ في كتب الأنبياء عليهم السلام، بل إنما ظهرت «قمامة» في زمن قُسطنطين الملك، لما أظهرتها أمُّه هَيْلانة الحرَّانيَّة لما جاءت بيت المقدس واختارت من اليهود ثلاثة، وسألتهم أن يدلُّوها علىٰ موضع الصَّلْب[2] فامتنعوا، فعاقبتهم بالحبس والجوع، فدلّوها علىٰ موضعه في مزبلةٍ فاستخرجوه، وجعَلَتْه في غلافٍ من ذهبٍ وحمَلَتْه، وبَنَتْ كنيسة «القمامة» في موضعه، كما ذكر ذلك ابن البطريق في «تاريخه»[3] وغيره، كما سيأتي[4]. وذلك بعد المسيح بأكثر من ثلاث مائة سنة.

ومن ذلك الوقت أظهروا الصليب[5]، وجعلوا «عيد الصليب»، ولم يشرع ذلك لا المسيحُ ولا الحواريُّون، وهذا مذكورٌ في كتبهم متفقٌ عليه بين علمائهم، كما قد ذُكِر في موضعٍ آخر[6]، ولا هم يأتون بقرابين لله علىٰ الدوابِّ والمراكب

---

(١) تقدّم ذكر «قمامة» (١/ ١٨٧)، وانظر ما يأتي (٣/ ١٤٧).
(٢) (المطبوع): «الصليب». خلافًا للأصول.
(٣) انظر: «تاريخ ابن البطريق» (ص١٢٩)، وقد تقدّمت ترجمته (١/ ٢٥٥).
(٤) انظر: (٣/ ١٤٦).
(٥) (ي): «الصلب».
(٦) «كما قد ذكر في موضع آخر» ليس في (ي). ومن قوله: «بل إنما ظهرت قمامة...» إلىٰ هذا الموضع ليس في (و). وانظر ما يأتي: (٣/ ١٤٤ وما بعدها).

إلىٰ جبلِ قدسِ بيت الله المقدس.

الوجه الثَّالث: أن ما ذكروه عن «دانيال» لا يتضمَّن مدح دينهِم بعد النسخ والتبديل، وإنما يتضمَّن أن الله يبعث المسيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بالحقِّ الذي لم يزَلْ من قبل، وهو الدِّين الذي بُعثت به الرسلُ قبله، وهو عبادة الله وحده، وأن «بيت المقدس» يخرب مع مجيء المسيح، ويفنىٰ الميثاق العتيق، يعني ما نُسِخ من شرع التَّوراة، وأنه يُبْطِلُ ذبائحَ اليهود وقرابينَهم.

وهذا كلُّه إنما يدلُّ علىٰ نسخ شرع التَّوراة وبطلانِ دولة اليهود، ويدلُّ علىٰ أن المسيح جاء بالحق، ومن اتَّبع المسيح كان علىٰ الحق، وهذا ممَّا لا ينازع فيه المسلمون؛ فإنهم متَّفقون علىٰ أن من كان متمسكًا بما أَمَر به المسيح فإنه من عباد الله الصالحين، ولكن من جاء بشرعٍ لم يأت به المسيح، أو أراد اتِّباع شرْعَه بعد النسخ فهو بمنزلة اليهود الذين نسَخَ اللهُ ما نسخه من شَرْعِهم وأزال دولتَهم، وكذلك فعل بالنَّصارىٰ لما بعث الله محمَّدًا ﷺ أزال دولتهم عن وسط الأرض وخيارِها، وحيث بُعِثَت الأنبياء، كأرض الشام، ومصر، والجزيرة، والعراق، وإرْمينيَة[1]، وأَذْرَبِيجان[2]، وأجلاهم إلىٰ طرَفَي الأرض من جهة الشّمال والجنوب، وصار الذين في وسط الأرض منهم أحسن أحوالهم إذا لم يُسْلِمُوا أن

---

(١) بكسر أوله ويفتح، وإسكان ثانيه، بعده ميم مكسورة وياء، ثم نون مكسورة. فتحت في زمان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فتحها سلمان بن ربيعة الباهلي سنة أربع وعشرين.
تحدّها تركيا من الغرب، وأذربيجان من الشرق، وإيران من الجنوب، وجورجيا من الشمال. انظر: «معجم ما استعجم» (١/ ١٤١)، «معجم البلدان» (١/ ١٥٩) «الروض المعطار» (ص٢٥) «موسوعة دول العالم» (ص٦٢).

(٢) بفتح أوله وإسكان ثانيه، بعده راء مهملة مفتوحة، وباء مكسورة. تقع علىٰ الساحل الغربي لبحر كاذبيان في أقصىٰ الجنوب الشرقي من القوقاز. انظر: «معجم ما استعجم» (١/ ١٢٩)، «معجم البلدان» (١/ ١٢٨) «موسوعة دول العالم» (ص٦٤).

يؤدّوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون.

وكذلك ما ذكروه عن «ميخا» و «عاموص» إنما يدلُّ علىٰ مجيء المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ وبطلان ما نسخه الله وأبطله من شَرْعِ اليهود ومُلْكِهم، لا يدلُّ علىٰ صحَّة دين النَّصارىٰ الذي لم يشْرَعه المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا علىٰ صِحَّته بعد أن نُسخ بشرع محمَّدٍ ﷺ نسخًا هو أبلغ مِن[1] نسخ بعضِ شرع موسىٰ بشرع المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

هذا إذا سُمِّي الشَّرع المؤقَّت بغايةٍ مجهولةٍ نسخًا؛ فإن الأوَّل لم يبشِّر بالثاني، وأما إذا كان الأول بشَّر بالثَّاني، وكانت شريعةُ الأول مؤقَّتةٌ إلىٰ مجيء الثَّاني لم يُسَمَّ ذلك نسخًا، فالمسيح ومحمَّدٌ صلىٰ الله عليهما وسلم لم ينسخا شيئًا، بل كان شَرْع موسىٰ إلىٰ مجيء المسيح، وشَرْعُ المسيح إلىٰ مجيء محمَّدٍ صلىٰ الله عليهما وسلم[2].

وأما ما حُكيَ عن «أشْعِيا» عن الله أنه قال: «فإذا ظهرتُ إلىٰ الأمم» فهذا قد يحتجَّ به النصارىٰ وبأمثاله من كلام الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ علىٰ الحُلول الذي ابتدعوه، وهو باطل؛ فإن مثل[3] هذا اللَّفظ مذكورٌ في كتب أهل الكتاب في غير موضع، ولا يراد بشيء منها حلولُ ذاتِ الله في أحدٍ من البشر، كما ذكر في التَّوراة أن الله عَزَّ وَجَلَّ اسْتَعْلن لإبراهيم وغيره، وأن الله يأتي من طور سَيْناء، ويشرفُ من سَاعِير، ويستعلن من جبال فاران[4].

---

(١) (و، ي): «مما».

(٢) «هذا إذا سمي الشرع...صلىٰ الله عليهما وسلم» ليست في (و، ي).

(٣) «مثل» ليست في (د، ع، ط.النيل).

(٤) ورد هذا النص في سفر التثنية كما في الإصحاح (٣٣) الفقرة (٢): قال: «أقبل الرب من سيناء، وأشرق لهم من سِعير، وسطع من جبل فاران».

ومعلومٌ عند جميع أهل الملل أن الله سبحانه و تعالىٰ لم يحُلَّ في موسىٰ ولا غيره لمَّا كلَّمه، ولا يحُلُّ في شيءٍ من جبال فاران، مع إخباره أنه اسْتَعلن منها.

وقد[1] قال تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة: ٣٣]. فأظهره بالعلم والحُجَّة والبيان، وأظهره باليد والسِّنان[2]، كما قال تعالىٰ: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾[3] [النور: ٣٥]. قال أُبيُّ بن كعبٍ وغيره: «مثل نوره في قلب المؤمن»[4].

وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾ [الحديد: ٢٨].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

---

(١) «وقد» ليست في (د، ع، ط.النيل).
(٢) (ع): «واللسان».
(٣) أكمل بعدها في (د، ع) قوله تعالىٰ: ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ﴾.
(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٩/ ١٨٣)، «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٩).

وفي الترمذي[1]، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه قال: «**اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ٧٥﴾** [الحجر:٧٥]. قال الترمذي: حديثٌ حسن.

وقد جاء عن بعض السَّلف أن قلوب المؤمنين تضيء لأهل السَّماوات كما تضيء الكواكب لأهل الأرض[2].

والمخلوق الذي تظهر محبَّتُه وذِكْرُه وطاعتُه في بعض البلاد يقال: فلانٌ قد ظهر في هذه الأرض. فإذا ظهر ذِكْرُ الله وذِكْرُ أسمائه وصفاته وتوحيدِه وآياته وعبادته حتىٰ امتلأت القلوب بذلك بعد أن كانت ممتلئةً بظُلْمةِ الكُفْر والشِّرك، كان ذلك مما أخبر به من ظهوره، وهذا أعظمُ ما يكون في بيوته التي يُعْبَد فيها ويذكرُ فيها اسمُه.

ولهذا لما[3] ذكر تعالىٰ آية النور وقال: ﴿۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ

---

(١) (٣١٢٧) وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٤٩٧) والبيهقي في «الزهد الكبير» (٣٥٨) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال الهيثمي: رواه الطبراني، وإسناده حسن. «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٦٨)، وقال السيوطي: حسن صحيح. «اللآلىء المصنوعة» (٢/ ٢٧٨)، وقال الشوكاني: وعندي أن الحديث حسن لغيره وأما صحيح فلا. «الفوائد المجموعة» (٢٤٤).

(٢) روىٰ ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٠٢٥) بسنده عن ابن سابط، قال: «إن البيوت التي يقرأ فيها القرآن لتضيء لأهل السماء كما تضيء السماء لأهل الأرض» وفي سنده ضعف.

(٣) «لما» من (و) وليست في سائر النسخ.

عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٥] قال عقب ذلك: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [النور:٣٦-٣٨].

وكذلك ما في الكتب من ظهوره ببيت المقدس فهو كظهوره بطور سيناء، وبجبل فاران، ومع هذا فلم يره موسىٰ ولا غيرُه، لا مجرَّدًا ولا حالًّا في غيره. وقد أخبر المسيحُ أنه لم يره أحدٌ، كما أخبر غيرُه، وذلك نفيٌ عامٌّ يوجب أنه لا يُرىٰ لا مجرَّدًا ولا حالًّا في دار الدنيا، كما قد بُسط هذا في موضعٍ آخر(١).

ومعلومٌ أن ملابسة الشيء أبلغُ من رؤيته، فإذا كان الربُّ تعالىٰ لا يراه ناسوت؛ فأَن لا يلابسه ناسوتٌ بطريق الأولىٰ والأحرىٰ، والنصارىٰ يزعمون أنه اتَّحد هو والنَّاسوت، وهذا أعظم من الرؤية(٢).

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٢/ ٣٣٥)، (٥/ ٤٩٠).

(٢) «ومعلوم أن ملابسة...أعظم من الرؤية» ليست في (و).

فصل

قالوا: «فماذا يكون أعظمَ من هذا برهانًا، وأقوىٰ شهادة؛ إذ[1] كُتُب أعدائِنا المخالفين لدينِنا، وهم يُقِرُّون بذلك، ويقرؤونه في كنائسهم، ولم ينكروا منه كلمةً واحدةً، ولا حرفًا واحدًا».

والجواب: أن الأمر إذا كان علىٰ ما قالوه من[2] ثبوت هذه الكلمات عن بعض الأنبياء، فليس فيها مدحٌ لدينهم بعد التَّبديل، فكيف بعد النَّسْخ والتَّبديل؟ وإنما فيها إخبارٌ بزوال مُلْكِ بني إسرائيل، وبنَسْخ ما نُسِخ من شَرْعِهم بمجيء المسيح عليه السلام، وهذا دليل علىٰ نبوَّة المسيح وصدقه، وهذا ممَّا اتَّفق عليه المسلمون.

والمسيح عليه السلام عندهم كما أخبر الله عنه، بقوله تعالىٰ لمريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥ - ٤٦].

وأما قولهم: «إن هذا وغيره موجودٌ في كتب أعدائنا اليهود».

فيقال لهم: لا ريب أن اليهود يخالفونكم في تفسير الكتب، فأنتم تفسِّرونها بشيء، وهم يفسِّرونها بشيءٍ آخر، وقد يكون كلا التفسيرين باطلًا، وحينئذٍ فيقال لكم: كما أن كُتُبَ الأنبياء شاهدةٌ للمسيح ولدينه وإن خالفكم اليهود في

(١) بعدها في (المطبوع): «هذه» وليست في الأصول.
(٢) (و): «علىٰ».

تفسيرها، فكذلك هي شاهدةٌ لمحمَّدٍ ﷺ وأمَّتِه، وإنْ خَالَفَ أهلُ الكتاب في تفسيرها، كما قد بَيَّن الله في كتب الأنبياء صفةَ محمَّدٍ وأُمَّتِه[1] في غير موضع.

والواجب في الكتب إذا تنازعت الأمم في تفسيرها أن يُبَيَّن الحقُّ الذي يقومُ عليه الدَّليلُ الشَّرعيُّ والعقليّ، وحينئذٍ يتبيَّن[2] أنكم فسَّرتم كُتُبَ الله بأشياءَ تخالف مرادَ الله في أمر التَّثليث والاتحاد وغيره، كما فعلت اليهود بتفسير الكتب، كما قد بُسِط في غير هذا الموضع[3].

(١) «الله في كتب الأنبياء صفة محمد وأمته» ليست في (و).

(٢) المثبت من (ي)، وفي باقي النسخ: (تبين).

(٣) انظر ما تقدّم (١/ ١٨٩)، (٢/ ٢٩).

فصـل

قالوا: «وأيضًا في قول هذا الإنسان ممَّا أتىٰ في كتابه حيث أَتْبَعَ القول إنه لم يُرْسَل إلينا، مع تشكُّكِه فيما أتىٰ به في هذا الكتاب في سورة سبأ حيث يقول: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ: ٢٤]. وأيضًا في سورة الأحقاف يقول: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾» [الأحقاف: ٩].

والجواب: أن نقلهم عنه أنه قال: «إنه لم يُرْسَل إليهم» كَذِبٌ ظاهرٌ عليه؛ فإنَّ كتابه مملوءٌ بدعوتهم وأَمْرِه لهم بالإيمان به واتِّباعه، بل وبعموم رسالته إلىٰ جميع الناس، بل وإلىٰ الجنِّ والإنس، وليس فيه قطُّ أنه لم يُرْسَل إلىٰ أهل الكتاب، بل فيه التَّصريح بدعوة أهل الكتاب في غير موضعٍ، كقوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقد كتب النَّبيُّ ﷺ بهذه الآية إلىٰ قيصرَ مَلِكِ النَّصارىٰ الذي اسمُه «هرقل» بالشَّام، وقد تقدَّم ذكر ذلك(١)، وتقدَّم أيضًا(٢) أن قوله تعالىٰ: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ﴾ [يس: ٦] يقتضي أنه ينذر الأُمِّيِّين، وليس فيه أنه لا ينذرُ غيرهم، كما أن قوله: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] يقتضي إنذار قومه، ولا ينفي(٣) أن ينذر غيرهم من العرب، كما أن قوله في قريش:

---

(١) انظر: (١/ ١٣٦).

(٢) انظر: (١/ ٤١، ٢٣٢).

(٣) (المطبوعتان): «ينافي».

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣-٤]. لا يمنع أن يكون غير قريشٍ مأمورين بعبادة ربِّ هذا البيت، بل قد أمر الله جميعَ الثقلين: الجنِّ والإنس أن يعبدوا ربَّ هذا البيت.

فإن قيل: فقد سكت عن ما سوىٰ الأميِّين في هذا، فيُشْعِر بالنَّفْي بدليل الخطاب الذي يُسَمَّىٰ مفهوم المخالفة.

قيل: ذاك إنَّما يدلُّ إذا لم يكن في التخصيص فائدةٌ سوىٰ الاختصاص بالحكم، ولم يكن هناك تصريحٌ بأنَّ حكمَ المسكوتِ كحكم المنطوق، وهنا لمَّا بعث الله محمَّدًا ﷺ، أُمِرَ أن يُنْذِر عشيرتَه الأقربين أوَّلًا، ثم يُنْذِر العربَ الأميِّين، ثم أهلَ الكتاب والمجوسَ وغيرَهم. وقد تقدَّم بسْطُ هذا[1].

(١) انظر: (١/ ٦٨).

فصــل[1]

وأما قولهم: «مع تشكُّكِه فيما أتىٰ به». فمن الكذب البيِّن؛ فإنه تعالىٰ قال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٦].

فإنه لمَّا دعاهم إلىٰ التوحيد وبيَّن أن ما يدْعُونَه من دون الله لا يملك مثقالَ ذرَّةٍ في السَّماوات ولا في الأرض، ولا هو شريكٌ ولا ظهير، ولا ينفع شفيعٌ إلا بإذنه= نفىٰ بذلك جميع وجوهِ الشِّرك، فإن ما يشرَكُ به إمَّا أن يكون له ملك، أو شريك في الملك، أو يكونَ مُعيناً، فإذا انتفت الثلاثة لم يبق إلا الشَّفاعةُ التي هي دعاءٌ لك[2] ومسألة، وتلك لا تنفع عنده إلا لمن أذن له.

ثم ذكر بعد هذا: أنه لا رازق يرزق من السَّماء والأرض إلا الله، دلّ بهذا وهذا علىٰ التوحيد، كما في قوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥٣-٥٥].

فلما ذكر ما دلَّ علىٰ وجوب توحيده، وبيانِ أن أهلَ التَّوحيد هم علىٰ الهدىٰ، وأن أهلَ الشِّرك علىٰ الضَّلال قال: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى

---

(١) بياض في «د».

(٢) هامش (و) لعله «له». وهو أنسب.

﴿ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤].

يقول: إن أحد الفريقين: أهلِ التَّوحيد الذين لا يعبدون إلا الله[١]، وأهلِ الشَّرك، لعلىٰ هدًى، أو في ضلالٍ مبين.

وهذا من الإنصاف في الخطاب الذي كلُّ من سمعه من وليٍّ وعدوٍّ قال لمن خُوطِب به: قد أنصفك صاحبُك. كما قال العادل الذي ظهر عدلُه للظَّالم الذي ظهر ظلْمُه: الظالم إمَّا أنا، وإمَّا أنت. لا للشكِّ في الأمر الظَّاهر، لكن لبيان أن أحدَنا ظالمٌ ظاهرُ الظلم، وهو أنتَ، لا أنا.

فإنه إذا قيل: أهلُ التَّوحيد الذين يعبدون الله علىٰ هدًى، أو في ضلال[٢]، وأهلُ الشِّرك الذين يعبدون ما لا يضرُّ ولا ينفع علىٰ هدًى أو في ضلال مبين[٣]= تَبَيَّن أنَّ أهلَ التَّوحيد علىٰ الهدىٰ، وأهلَ الشِّرك علىٰ الضلال، وهذا ممَّا يعلمه جميعُ الملل من المسلمين واليهود والنَّصارىٰ، يعلمون أن أهل التَّوحيد علىٰ الهدىٰ، وأهلَ الشِّرك علىٰ الضَّلال.

وفي القرآن في بيان مثل هذا ما لا يُحْصَىٰ إلا بِكُلْفة، بل قطبُ القرآن، وسائرُ الكتب ومدارُها علىٰ عبادة الله وحده، فكيف يقال: إن الرَّسول كان يشكُّ هل المهتدي هم أهل التَّوحيد أم أهل الشرك؟ وهل يقول هذا إلا من هو في غاية الجهل والعناد؟

ثم الآية خطابٌ للمشركين، ليست خطابًا للنَّصارىٰ خصوصًا[٤].

---

(١) (د، ع، ط.النيل): «الحق».

(٢) بعدها في (المطبوعتين): «مبين».

(٣) «مبين» مثبتة من (و) وليست في سائر النسخ.

(٤) هذه الجملة ليست في (و، ي).

فَصْلٌ

وأما قوله تعالىٰ: قل ما أدري ما يفعل بي ولا بكم. فلفظ الآية[1]: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٩].

وهذا بعد قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾﴾ [الأحقاف: ٨].

ونظير هذا قوله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾[2] [الأنعام: ٥٠].

وهذا قاله نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أول الرسل، وأَمَرَ محمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخرَ الرُّسل أن يقوله.

ومثل قوله: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[3] [الجن: ٢١- ٢٣].

وهذا ونحوُه يتضمَّن اعترافَه بأنه عبدُ الله ورسولٌ من الله، لا يتعدَّىٰ حدَّ الرِّسالة، ولا يدَّعي المشاركةَ في الإلهيَّة، كما ادَّعتْه النَّصارىٰ في المسيح

(١) كذا سيق الكلام في (و): «وأما قوله تعالىٰ: قل ما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحىٰ إلي وما أنا إلا نذير مبين». فيه سقط وخطأ مخالف للمثبت من سائر النسخ.

(٢) أُكمِلت الآية هنا في جميع النسخ بقوله: «وما أنا إلا نذير مبين» وهو خطأ؛ إذ تمام الآية قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾.

(٣) «ومن يعص الله ورسوله... خالدين فيها أبدًا» ليست في (و، ي).

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥].

فتبيَّن(١) أنه لا يتعدَّىٰ حدَّ الرِّسالة، وهو كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ولهذا قال ﷺ في الحديث المتَّفق علىٰ صِحَّته: «**لا تُطْرونِي كَمَا أطْرَتِ النَّصارىٰ عيسىٰ ابنَ مرْيم، فَإِنَّما أنا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ ورَسُولُه**»(٢).

فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]. يقول: لستُ أولُ من أُرسِل أو ادَّعىٰ الرِّسالة، بل قد تقدَّم قبلي رسل: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٩] يقول: لا أدَّعي علم الغيب، إن أتَّبعُ إلا ما يُوحَىٰ إليَّ وما أنا إلا نذيرٌ(٣) أُنْذِرُكم بما أمرني الله أن أنذركم به، لا أقول لكم: عندي خزائن الله، ولا أعلم الغيب، ولا أقول إني ملك.

وهذا من كمال صِدْقه وعَدْله وعبوديَّته لله وطاعته، وتمييز ما يستحقُّه الخالقُ وحدَه ممَّا يستحقُّه العبد، فإن العلم بعواقب الأمور علىٰ وجه التَّفصيل ممَّا استأثر الله بعلمه، فلا يعلمه ملكٌ مقرَّب، ولا نبيٌّ مرسل، وليس من شرط الرَّسول أن يعلم كلَّ ما يكون.

(١) (و) «فبيّن».
(٢) تقدّم تخريجه (١/ ١٥٣).
(٣) «يقول: لا أدعي...» إلىٰ هنا، ساقطة من (د، ع) لانتقال النظر.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡ﴾ [الأحقاف: ٩]. نفيٌ لعلمه بجميع ما يُفْعَل به وبهم، وهذا لا يعلمه إلا الله ﷻ، وهذا لا ينفي أن يكون عالمًا بأنه سعيدٌ من أهل الجنَّة، وإن[1] لم يَدْرِ تفاصيل ما يجري له في الدُّنيا من المحن والأعمال، وما يتجدَّدُ له من الشَّرائع، وما يُكْرَمُ به في الآخرة من أصناف النعيم، فإنه قد ثبت في الصَّحيح[2] عن النبي ﷺ أنه قال: يقول الله تعالىٰ: «أعْدَدتُ لعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ». وأيضًا هذا مأثورٌ عن غيره من الأنبياء عليهم السلام.

ولا من شَرْطِ النبيِّ أن يعلم حالَ المخاطبين: من يؤمن به، ومن يكفر، وتفصيل ما يصيرون إليه. هذا إن قيل: إنه لم يعلم بعد هذه الآية ما نُفي فيها، وإن قيل: إنه أُعْلِم بذلك، فمعلومٌ أن الله لم يُعْلِمْه بكلِّ شيءٍ جملةً، بل أعلمه بالأمور شيئًا بعد شيء.

وقد قال له[3] بعد ذلك: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ١-٣]. وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ [الفتح: ٢٨].

وفي القرآن والأحاديث عنه ﷺ من الإخبار بما سيكون في الدنيا وفي الآخرة أضعافُ أضعافِ ما يوجد عن الأنبياء قبله، حتىٰ إنه ينبئ عن الشَّيء

---

(١) (ع): «فإنه».
(٢) البخاري (٣٢٤٤) ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) (ط.النيل): «الله».

الذي يكون بعد مئين[1] من السِّنين خبراً أكمل من خبر من عاين ذلك، كقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**لا تَقُومُ السَّاعةُ حتَّىٰ تُقَاتِلُوا التُّركَ صِغارَ الأعين، ذُلْفَ الأنوف، حُمْرَ الخُدُودَ، يَنْتَعِلُونَ الشَّعْرَ، كأنَّ وجُوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَة**»[2]، فمن رأىٰ هؤلاء التُّركَ الذين قاتلهم المسلمون من حين خرجَ جَنْكِسْخان[3] مَلِكُهم الأكبر[4]، وأولادُه وأولادُ أولادِه، مثلُ هولاكو، وغيرِه من ملوك[5] التُّركِ الكفار الذين قاتلهم المسلمون لم يحسن أن يصفهم بأحسنَ من هذه الصفة. وقد أخبر بهذا قبل ظهوره بأكثرَ من ستِّمائة سنة.

وقوله ﷺ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّىٰ تَخْرُجَ نارٌ مِنْ أرْضِ الحِجَازِ تُضِيءُ لَهَا أعْنَاقُ الإبلِ بِبُصْرَىٰ**»[6] وهذه النَّارُ ظهرت سنة خمسٍ وخمسين[7] وستِّمائةٍ بأرض الحجاز، فكانت تُحْرِق الحجر ولا تُنْضِجُ اللَّحم، ورأىٰ أهلُ بُصْرىٰ

---

(١) الأقرب في (و) أنها هكذا. وفي (د، ع، ط.النيل): «يبين» ولم تحرر في (ي).
(٢) البخاري (٢٩٢٨) ومسلم (٢٩١٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) «جنكسخان» ليست في (و، ي). قال الذهبي في ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٤٥/ ١٨٦): «جنكزخان طاغية التّتار وملكهم الأوّل. الّذي خرب البلاد، وأباد العباد. وليس للتّتار ذكر قبلَه، وإنّما كانوا ببادية الصّين، فملَّكوه عليهم، وأطاعوه طاعة أصحاب نبيٍّ لنبيّ، بل طاعة العِباد المُخلصين لربّ العالمين. وكان مبدأ ملْكه في سنة تسع وتسعين وخمسمائة، واستولىٰ علىٰ بخارىٰ وسمرقنْد في سنة ست عشرة، واستولىٰ عَلَىٰ مدن خراسان في سنة ثمان عشرة، وآخر سنة سبعَ عشرة. مات في رابع رمضان من سنة أربع وعشرين».
(٤) بعدها في (و): «هلاوون».
(٥) «ملوك» ليست في (د، ع، ط.النيل).
(٦) البخاري (٧١١٨) ومسلم (٢٩٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٧) كذا في الأصول أنها سنة خمس وخمسين. والمعروف أنها سنة أربع وخمسين. انظر: «تاريخ الإسلام» (٤٨/ ١٨)، «البداية والنهاية» (١٣/ ١٨٧)، «السلوك لمعرفة دول الملوك» (١/ ٤٨٩)، «التحفة اللطيفة» (١/ ٤٤).

أعناق الجمال من ضوء تلك النار، وكانت منذرة بما يكون بعدها، ففي سنة ستٍّ وخمسين وستِّمائة دخل هولاكو[1] ملكُ الكفَّار بَغْداد، وقَتَل فيها مَقْتَلَةً عظيمةً مشهورة. وسيأتي إن شاء الله[2] بعضُ أخبار أنه شاهَد الناسُ وقوعَها كما أخبر، عند ذكرنا معجزاته.

(١) قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٧/ ٤٦٨): «هولاكو خان بن تولي خان بن جنكيز خان ملك التتار ابن ملك التتار، وهو والد ملوكهم، وقد كان هولاكو ملكًا جبَّارًا فاجرًا كفَّارًا لعنه الله، قتل من المسلمين شرقًا وغربًا ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم وسيجازيه علىٰ ذلك شر الجزاء، كان لا يتقيد بدينٍ من الأديان، كانت همته في تيسير مملكته وتملك البلاد شيئا فشيئا، حتىٰ أباده الله في هذه السنة -خمس وستين وستمائة-، وقيل في سنة ثلاث وستين، ودفن في مدينة تلا، لا رحمه الله، وقام في الملك من بعده ولده أبغا خان وكان أبغا أحد إخوة عشرة ذكور».

(٢) في (٤/ ١٨٢، ٢٩٢).

فَصْـلٌ

ثم قالوا: «مع الأمر له في فاتحة الكتاب أن يسأل الهداية إلىٰ الصِّراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضَّالين، فأعنىٰ[(١)] بقوله: المُنْعَمِ عليهم، والمغضوبِ عليهم، والضَّالين الثلاثَ أمم الذين كانوا في عصره، وهم: النَّصارىٰ، واليهودُ وعبَّادُ الأصنام، ولم يكن في زمانه غيرَ هؤلاء الثَّلاثِ أمم.

فالمُنْعَم عليهم نحن النَّصارىٰ، والمغضوب عليهم فلا يُشَكُّ أنهم اليهود الذين غضب الله عليهم في كتب التَّوراة والأنبياء وهذا الكتاب، والضَّالين فهم عُبَّاد الأصنام الذين ضلُّوا عن الله، فهذا أمرٌ واضحٌ بيِّنٌ ظاهرٌ عند كلِّ أحد، ولا سيَّما عند ذوي العقول والمعرفة.

والصِّراط: هو المذهب، أي الطَّريق، وهذه اللَّفْظة روميَّة؛ لأن الطريق بالروميَّة: اسطراطا»[(٢)].

والجواب: أما قولهم[(٣)]: «المُنْعَم عليهم نحن النصارىٰ». فمن العجائب التي تدلُّ علىٰ فرْطِ جَهْلِ صاحبها، وأعجبُ من ذلك قولُهم: «إن هذا شيءٌ بيِّنٌ واضحٌ عند كلِّ أحد، لَا سيَّما عند ذوي العقل والمعرفة». فيا سبحان الله! ألم يعْرِف العامُّ والخاصُّ علمًا ضروريًّا لا تمكن المنازَعةُ فيه من دين محمَّدٍ ﷺ ودينِ أمَّتِه الذي تلقَّوه عنه من تكفير النَّصارىٰ وتجهيلهم وتضليلهم واستحلال جهادهم وسبْيِ حريمهم وأخذ أموالهم ما يناقض كلَّ المناقضة أن

---

(١) (المطبوع): «فإنه عنىٰ». وقد تقدّم التنبيه علىٰ هذه الكلمة (١/ ٤١٢).

(٢) ورد ما سبق من أول هذا الفصل مختصرًا في «رسالة بولس» (٤١٧-٤١٨).

(٣) بعدها في هامش (و، ي): «أنه عنىٰ بقوله».

يكون محمدٌ ﷺ وأمَّتُه في كل صلاة يقولون: اللهم اهدنا صراط النصارىٰ؟!
وهل يَنْسِبُ محمَّدًا ﷺ وأُمَّته إلىٰ أنَّهم في كلِّ صلاةٍ يطلبون من الله أن يهديهم صراطَ النَّصارىٰ إلا من هو مِن أكذبِ الكذَّابين، وأعظمِ الخلق افتراءً ووقاحةً وجَهْلًا وضلالًا؟!

ولو كانوا يسألون الله هدايةَ طريق النَّصارىٰ لدخلوا في دين النَّصارىٰ، ولم يكفّروهم ويقاتلوهم، ويضعوا عليهم الجزية التي يؤدُّونها عن يدٍ وهم صاغرون، ولم يشهدوا عليهم بأنهم من أهل النار.

وأمَّتُه أخذوا ذلك جميعَه عنه، منقولًا عنه بالنَّقل المتواتر بإجماعهم، لم يبتدعوا ذلك كما ابتدعت النَّصارىٰ من العقائد والشَّرائع ما لم يأذن به الله، فلا يُلامُ المسلمون في اتِّباعهم لرسول الله الذي جاء بالبيِّنات والهدىٰ.

ومحمَّدٌ ﷺ إن كان رسولًا صادقًا، فقد كفَّر النَّصارىٰ وأمرَ بجهادهم، وتبرَّأ منهم ومن دينهم، وإن كان كاذبًا لم يُقبل شيءٌ مما نقله عن الله ﷻ.

وقد تقدَّم غيرُ مرَّةٍ قولُه تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢]. ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]. ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠-٣١].

فمن يقول عن النصارىٰ مثل هذه الأقوال هل يأمر أُمَّته في كل صلاةٍ أن يقولوا: اهدنا طريقَهُم؟!

ثم يقال: أيُّ شيءٍ في الآية ممَّا يدل على أن قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة:٧] هم النصارى. وإنما المُنْعَم عليهم هم الذين ذكرهم الله في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩].

فهؤلاء الذين أمر الله عبادَه أن يسألوا هدايةَ صِراطِهم.

وأما النَّصارى(١) الذين كانوا على دين المسيح قبل النَّسخ والتَّبديل فهم من المُنْعَم عليهم، كما أنَّ اليهود الذين كانوا على دين موسى قبل النَّسخ والتَّبديل كانوا مِن المُنْعَم عليهم.

وأما النَّصارى بعد النسخ والتَّبديل فهم من الضَّالين لا من المُنْعَم عليهم عند الله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٧]. وقال تعالى: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [مريم: ٣٨].

وعُبَّاد الأصنام من الضَّالين المغضوب عليهم. وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «**اليَهُودُ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، والنَّصَارَىٰ ضَالُّونَ**». رواه الإمام أحمد والتِّرمذي(٢) عن عديِّ بن حاتم، عن النَّبيِّ ﷺ. وقال التِّرمذي: هذا حديثٌ صحيح.

---

(١) بعدها في (و): «منهم».

(٢) «مسند أحمد» (١٩٣٨١) و«جامع الترمذي» (٢٩٥٣) قال ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣١) عقب هذا الحديث: «ولا أعلم بين المفسرين في هذا الحرف اختلافاً» يعني في تفسير الآية بما جاء عن رسول الله ﷺ.

وسبب ذلك أن اليهود يعرفون الحقَّ ولا يعملون به، والنَّصارىٰ يعبدون بلا علم، وقد وصف الله اليهود بأعمال، والنَّصارىٰ بأعمال، فوصف اليهود بالكِبْر والبُخْل والجُبْن والقَسْوة وكِتْمان العلم وسلوك سبيل[1] الغيِّ وهو سبيل الشَّهوات والعدوان.

وذَكَر عن النَّصارىٰ الغلوَّ والبدعَ في العبادات والشِّرك والضَّلال واستحلالَ محارمِ الله، فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾ [النساء: ١٧١-١٧٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]. أي: لكن كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله، لم نكتب عليهم الرَّهبانيَّة، بل هم ابتدعوها، ومع ابتداعهم إيَّاها فما رعوها حقَّ رعايتها، وكلُّ بِدْعةٍ ضلالة، فهم مذمومون علىٰ ابتداع الرَّهبانيَّة، وعلىٰ أنهم لم يرعوها حقَّ رعايتِها.

---

(١) «سبيل» ليست في (د، ع، ط.النيل).

وأما ما كَتَب عليهم من ابتغاء رضوان الله فيحصل بفعل ما شرَعَه الله لهم من واجبٍ ومستحب، فإنَّ ذلك هو الذي يرضاه، ومن فعل ما يرضاه الله فقد فعل ما كُتِب عليه. ويحْصُل رضوانُ الله أيضًا بمجرَّد فِعْل الواجبات، وهذا هو الذي كَتَب علىٰ العباد، فإذا لم يَكْتُب عليهم إلا ابتغاء رضوان الله كان ابتغاء رضوانه واجبًا، فما ليس بواجبٍ لا يُشترط في حصول ما كَتَب عليهم.

ولهذا ضعَّف أحمدُ بن حنبل وغيره الحديثَ المرويّ: «أوَّلُ الوقتِ رضوانُ الله، وآخرُه عفو الله»(١)، فإنَّ مَن صلىٰ في آخر الوقت كما أُمِر فقد فعل الواجب، وبذلك يرضىٰ الله عنه، وإن كان فِعْل المستحبَّات، والمسابقةُ إلىٰ الطَّاعات أبلغَ في إرضاء الله(٢)، ويحصل له بذلك من رضوان الله ومحبَّته ما لا يحصُل بمجرَّد الواجبات. كما قال موسىٰ عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤].

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاريُّ(٣) وغيره عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقول الله تعالىٰ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالمُحَارَبَة، ومَا تَقَرَّب إليَّ عَبْدِي(٤) بِمِثْلِ أداءِ ما افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، ولا يَزَالُ عَبْدِي يتقَرَّبُ إليَّ بالنَّوَافِلِ حتَّىٰ أُحِبَّه، فَإِذَا أَحْبَبْتُه كُنْتُ سَمْعَه الذي يسْمَعُ بِهِ وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ**

(١) الترمذي (١٧٢) وقال البيهقي عقب روايته للحديث في «السنن الكبرىٰ» (٢٠٤٨): هذا حديث يعرف بيعقوب بن الوليد المدني، ويعقوب منكر الحديث، ضعفه يحيىٰ بن معين، وكذبه أحمد بن حنبل وسائر الحفاظ، ونسبوه إلىٰ الوضع، نعوذ بالله من الخذلان، وقد روي بأسانيد أخر كلها ضعيفة».

(٢) بعدها في (د، ع، ط.النيل): «عنه».

(٣) (٦٥٠٢).

(٤) (د، ع، ط.النيل): «عبد».

به، ويَدَه التي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَه التي يَمْشِي بِهَا، فَبِي يَسْمَعُ، وبي يُبْصِر، وَبِي يَبْطِش، وبِي يَمْشِي، فَلَئِن سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّه، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَ بِي لأُعِيذَنَّه، وما تَرَدَّدتُ عنْ شَيءٍ أَنَا فَاعِلُه تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ[1] عَبْدِي المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ، وأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ، وَلا بُدَّ لَهُ مِنْهُ».

فقوله: «حَتَّىٰ أُحِبَّه»: يريد المحبَّةَ المطْلَقةَ الكاملةَ، وأمَّا أصلُ المحبة[2]: فَهِي حاصِلةٌ بِفِعْل الواجبات، فإنَّ الله يُحِبُّ المتَّقين والمقسطين، ومن أدَّىٰ الوَاجِبات فهو من المتَّقين المقسطين.

وقال تعالىٰ فيهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠-٣١].

وقال تعالىٰ لهم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٧].

وهو سبحانه خاطب النصارىٰ بهذا؛ لأن النَّصارىٰ يعتمدون في دينهم علىٰ ما يقوله كبراؤهم الذين وضعوا لهم القوانين والنواميس، ويسوِّغون لأكابرهم الذين صاروا عندهم عظماءَ في الدين أن يضعوا[3] لهم شريعة وينسخوا بعضَ

---

(١) (د، ع، ط.النيل): «روح».

(٢) بعدها في (و، ي): «المطلقة الكاملة» والسياق لا يقتضيها.

(٣) (د، ع، ط.النيل): «يصنعوا».

ما كانوا عليه قبل ذلك، لا يردُّون ما يتنازعون فيه من دينهم إلىٰ الله ورسله، بحيث لا يمكِّنون أحدًا من الخروج عن كُتُبِ اللهِ المُنَزَّلةِ كالتَّوراةِ والإنجيل، وعنِ اتِّباع ما جاء به المسيحُ ومَن قبلَه من الأنبياء عليهم السلام.

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة:٦٨].

بل ما[1] وضعه لهم أكابِرُهم من القوانين الدِّينيَّة والنواميس الشَّرعيَّة بعضُها ينقلونه عن الأنبياء، وبعضُها عن الحواريين، وكثيرٌ من ذلك ليس منقولًا لا عن الأنبياء ولا عن الحواريِّين، بل مِن وَضْعِ أكابرهم وابتداعهم.

كما ابتدعوا لهم «الأمانة» التي هي أصلُ عقيدتهم، وابتدعوا لهم الصَّلاة إلىٰ الشرق، وابتدعوا لهم تحليل لحم الخنزير، وسائر المحرمات، وابتدعوا لهم الصَّوم وقت الربيع، وجعلوه خمسين يومًا، وابتدعوا لهم أعيادَهم كعيد الصَّليب وغيرِه من الأعياد.

وكذلك قال النبي ﷺ لعَدِيِّ بن حاتِمٍ لمَّا سَمِعَه يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

فقال: لم يعبدوهم. فقال له النبي ﷺ: «**إِنَّهُم أَحَلُّوا لَهُمُ الحَرَامَ فأَطَاعُوهُم، وحَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الحَلالَ فَأَطَاعُوهُمْ، فَكَانَتْ تِلْكَ عِبادَتُهُمْ**»[2].

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

---

(١) (و، ي) «وما» مع سقوط «بل» في (و).
(٢) تقدّم تخريجه (٢/ ٥).

فإنهم يَتَّبعون أهواءَ أكابرهم الذين مضوا من قَبْلِهم، وأولئك ضَلُّوا من قبلِ هؤلاء، وأضَلُّوا أتباعهم، وهم كثيرون، وضَلُّوا عن سواء السَّبيل، وهو وسطَ السَّبيل، وهو الصِّراط المستقيم.

فإذا كانوا هم وأتباعُهم ضالِّين عن الصِّراط المستقيم، فكيف يجوز أن يأمر الله عباده أن يهديهم الصِّراط المستقيم ويعني به صراطَ هؤلاء الضَّالين المضلِّين عن سواء السبيل، وهو الصِّراط المستقيم؟ وقد قال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ﴾ هؤلاء؛ لأن أصل ابتداعِهم هذه البدعةَ كان عن هوًى[1] من أنفسهم مع ظنٍّ كاذب، فكانوا مِمَّن قيل فيهم: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣]. ومِمَّن قيل فيه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

وسبب ذلك: أنَّ المسيح ﷺ لما رفُع إلىٰ السَّماء وعاداه اليهودُ، وعادَوا أتباعه عداوةً شديدة، وبالغوا في أذاهم وإذلالِهم وطلبِ قتلِهم ونَفْيِهم، صار في قلوبهم من بغض اليهود وطلبِ الانتقام منهم ما لا يوصف، فلما صار لهم دولةٌ ومُلْكٌ مثلَ ما صار لهم في دولة قُسْطَنطين صاروا يريدون مقاتلة[2] اليهود، كما جرت العادة في مثل ذلك بين الطَّوائف المتقابلة المتنازِعين في المُلْك، والمتنازعين في البدع كالخوارج والروافض، والجبريَّة مع القدريَّة، والمعطِّلة مع المُمَثِّلة، وكالدَّولتين المتنازِعَتَين علىٰ الملك والأهواء، بمنزلة قيسٍ ويَمَن، وأمثال ذلك، إذا ظهرت طائفةٌ علىٰ الأخرىٰ بعدما آذتْها الأخرىٰ وانتقمت منها

---

(١) «كان عن هوًى» سقطت من (المطبوع).
(٢) المثبت من (و)، وسائر النسخ: «مقابلة».

تريد أن تأخذ بثأرها، ولا تقفَ عند حدِّ العدل، بل تعتدي علىٰ تلك كما اعتدت تلك عليها.

فصار النَّصارىٰ يريدون مناقضةَ اليهود؛ فأحَلُّوا ما يحرِّمه اليهودُ، كالخنزير وغيره، وصاروا يمتحنون مَنْ دَخَل في دينهم بأكل الخنزير، فإن أكَلَه وإلا لم يجعلوه نصرانيًّا.

وتركوا الختان، وقالوا: إن المعموديَّة عِوَضٌ عنه، وصَلَّوا إلىٰ قبلةٍ غيرِ قبلة اليهود.

وكان اليهود قد أسرفوا في ذمِّ المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ وزعموا أنه ولدُ زنا، وأنه كذَّابٌ ساحر، فغَلَوْا هؤلاء في تعظيم المسيح وقالوا: إنه الله وابن الله، وأمثال ذلك، وصار من يطْلُبُ أن يقول فيه القولَ العَدْلَ مثلَ كثيرٍ من علمائهم وعُبَّادهم، يجمعون له مجْمَعًا ويلعنونه فيه علىٰ وجه التَّعَصُّب واتِّباع الهوىٰ، والغلُوِّ فيمن يعظمونه، كما يجري مثلُ ذلك لأهل الأهواء، كالغلاة[1] في بعض المشايخ، وبعض أهل البيت، وبعض العلماء، وبعض الملوك، وبعض القبائل، وبعض المذاهب، وبعض الطَّرائق، فإنما كان مصدرُ ضلالهم أهواءَ نفوسهم، قال تعالىٰ للنَّصارىٰ الذين كانوا في وقت النَّبيِّ ﷺ ومَن بعدهم: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

---

(١) (المطبوع): «كالفلاة» خطأ.

وأما قولهم: «إن الصِّراط هو المذهب، أي: الطريق، وهذه لفظةٌ روميَّة؛ لأن الطَّريق بالرُّوميَّة اسطراطا».

فيقال لهم: الصِّراط في لغة العرب: هو الطريق. يقال: هو الطَّريق الواضح، ويقال: هو الطَّريق المحدود بجانبين الذي لا يخرج عنه. ومنه الصِّراطُ المنصوب علىٰ جهنم، وهو الجِسْر الذي يَعْبُر عليه المؤمنون إلىٰ الجنة، وإذا عَبَر عليه الكفَّارُ سقطوا في جهنم.

ويقال فيه: معنىٰ الاستواء والاعتدال الذي يوجب سرعة العبور عليه.

وفيه ثلاثُ لغات، هي ثلاث قراءات[1]: الصِّراط، والسِّراط، والزِّراط. وهي لغةٌ عربيَّةٌ عرباء ليست من المعرَّب، ولا مأخوذةً من لغة الرُّوم كما زعموا.

ويقال: أصْلُه من قولهم: سرطت الشيء أسْرُطه سرْطًا إذا ابتلعْتُه، واسترطتُه ابتلعْتُه؛ فإن المُبْتَلِع يجري بسرعة في مجرًىٰ محدود.

ومن أمثال العرب: لا تكن حُلْوًا فتُسْتَرَط، ولا مرًّا فتُعْقىٰ، من قولهم: أعْقَيْتَ الشَّيءَ، إذا أزَلْتَه مِن فيك لمرارته. ويقال: فلان يسترط ما يأخذ من الدين[2].

وحكىٰ يعقوب بن السِّكِّيت[3]: الأخذ سُرَّيط، والقضاء ضُرَّيط.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص١٠٥) لابن مجاهد.

(٢) انظر: «إصلاح المنطق» (ص١٩٤)، و«الأمثال» (ص٢٧٨)، للهاشمي، و«مجمع الأمثال» (٢/ ٢٣٢).

(٣) هو يعقوب بن إسحاق، أبو يوسف، اللغوي، صاحب كتاب «إصلاح المنطق». كان من أهل الفضل والدّين، موثوقا بروايته. مات سنة ثلاث وأربعين ومائتين، وقد بلغ ثمانيًا وخمسين سنة. «إنباه الرواه» (٤/ ٥٨). والنصُّ في «إصلاح المنطق» (ص١٥٥).

والسِّرطَاط: الفالوذَج، لأنه يُسْتَرط اسْتِراطًا. وسيف سُرَاطِيٌّ أي: قاطع؛ فإنه ماضٍ سريعُ المَذْهَب في مَضْربه[1].

فالصِّراط هو: الطريق المحدود المعتدل الذي يصل بسالكه إلىٰ مطلبه بسرعة، وقد ذكر الله لفظ الصراط في كتابه في غير موضع، ولم يسمّ الله سبلَ الشيطان سراطًا، بل سمَّاها سبلًا[2]، وخصَّ طريقَه باسم الصراط، كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وفي السُّنَن[3] عن عبد الله بن مسعود قال: «خَطَّ لنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خطًّا، وخَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِه وَشِمَالِه، ثُمّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللهِ، وَهَذِه سُبُل؛ عَلَىٰ كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ مَنْ أَجَابَهُ قَذَفَهُ فِي النَّارِ ثُمّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾» [الأنعام: ١٥٣]. فسمَّىٰ سبحانه طريقَه صراطًا، وسمىٰ تلك سُبُلًا، ولم يُسَمِّها صِراطًا كما سمَّاها سبيلًا[4]، وطريقُه يُسَمِّيه سَبِيلًا كما يُسَمِّيه صراطًا.

وقال تعالىٰ عن موسىٰ وهارون: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الصافات:١١٧-١١٨].

---

(١) انظر: «الصحاح» (٣/ ١١٣٠)، «لسان العرب» (٧/ ٣١٣).

(٢) (ي): «سبيلًا».

(٣) «مسند أحمد» (٤١٤٢) وابن ماجه (١١) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه. وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢٩٣٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) (و، ي): «سبلًا».

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ١-٣].

وهذه الهداية الخاصَّة التي أعطاه إياها بعد فتح الحديبية أخصُّ ممَّا تقدَّم؛ فإن السالك إلىٰ الله لا يزال يتقرَّب إليه بشيءٍ بعد شيء، ويزيده الله هدًى بعد هدى، وأقومُ الطريق وأكملُها الطريق التي بَعَث الله بها نبيَّه محمَّدًا ﷺ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

فصل

قال الحاكي عنهم: «فقلت[1]: إنهم ينكرون علينا في قولنا: أبٌ وابنٌ، وروحُ قدس. وأيضًا في قولنا: إنهم ثلاثة أقانيم[2]. وأيضًا في قولنا: إن المسيح ربٌّ وإله وخالق. وأيضًا يطلبون منا إيضاح تجسّد تجسم[3] كلمة الله الخالق بإنسانٍ مخلوق.

أجابوا قائلين: لو علموا قولَنا هذا إنما نريد به [تصحيح][4] القول[5] أن الله شيءٌ حيٌّ ناطقٌ لما أنكروا علينا ذلك؛ لأننا معشر النَّصارىٰ لما رأينا حدوث الأشياء علمنا أن شيئًا غيرَها أحدثها؛ إذ لا يمكن حدوثها من ذواتها لما فيها من التضادد[6] والتقلُّب.

فقلنا: إنه شيءٌ لا كالأشياء المخلوقة؛ إذ هو الخالق لكلِّ شيء، وذلك لننفيَ عنه العدم، ورأينا الأشياء المخلوقة تنقسم قسمين: شيءٌ حيّ، وشيءٌ غيرُ حي، فوصفناه بأجلِّهما، فقلنا: هو شيءٌ حيٌّ لننفيَ الموت عنه، ورأينا[7] الحيَّ ينقسم قسمين: حيٌّ ناطق، وحيٌّ غيرُ ناطق. فوصفناه بأفضلهما، فقلنا: هو شيءٌ حيٌّ ناطقٌ لننفيَ الجهلَ عنه.

---

(١) بعدها في (و، ي): «لهم».
(٢) «وأيضًا في قولنا: إنهم ثلاثة أقانيم» ليست في (ي).
(٣) (و): «تجسيم».
(٤) إضافة من الصفحة التالية حيث تكررت العبارة. وهي كذلك مثبتة في «رسالة بولس» (ص٤١٨).
(٥) بعدها في (المطبوعتين): «الذي». وفي (المطبوع) بعد «الذي» زيادة: «يعني» فصارت العبارة: «إنما نريد به القول الذي يعني أن الله شيء...» خلافًا للأصول.
(٦) (ع، ط.النيل): «التضاد».
(٧) (و): «وقلنا».

والثلاثة أسماء وهي: إلهٌ واحد، مسمًّى واحد، وربٌّ واحد، خالقٌ واحد، شيءٌ حيٌّ ناطق، أي: الذّاتُ والنطق والحياة. فالذَّات عندنا: الأب الذي هو ابتداء الاثنين، والنُّطق: الابن الذي هو مولودٌ منه لولادة النُّطق من العقل، والحياة: روح القدس»[1].

والجواب من وجوه:

أحدها: قولهم: «أما قولنا أب، وابن، وروح قدس، فلو علموا قولنا هذا إنما نريد به تصحيح القول بأن الله حيٌّ ناطقٌ لما أنكروا ذلك علينا».

فيقال: ليس الأمر كما ادَّعوه؛ فإنَّ النصارىٰ يقولون: إن هذا القول تلقَّوه عن الإنجيل، وإن في الإنجيل عن المسيح - صلوات الله عليه وسلامه - أنه قال: «عَمِّدوا النَّاسَ باسم الأب، والابن، وروح القدس» فكان أصل قولهم هو ما يذكرونه من أنه متلقًى من الشرع المنَزَّل، لا أنهم أثبتوا الحياة والنُّطقَ بمعقولهم، ثم عبَّروا عنها بهذه العبارات، كما ادَّعوه في مناظرتهم.

ولو كان الأمر كذلك لما احتاجوا إلىٰ هذه العبارة، ولا إلىٰ جَعْلِ الأقانيم ثلاثة، بل معلومٌ عندهم وعند سائر أهل الملل أن الله موجودٌ حيٌّ عليمٌ قديرٌ متكلِّمٌ، لا تختصُّ صفاته بثلاثة، ولا يعبَّر عن ثلاثةٍ منها بعبارةٍ لا تدلُّ علىٰ ذلك، وهو لفظ: «الأب»، و«الابن»، و«روح القدس»؛ فإن هذه الألفاظ لا تدلُّ علىٰ ما فسَّروها به في لغة أحدٍ من الأمم، ولا يوجد في كلام أحدٍ من الأنبياء أنه عبَّر بهذه الألفاظ عمَّا ذكروه من المعاني، بل إثباتُ ما ادَّعوه من التَّثليث والتَّعبير عنه بهذه الألفاظ هو ممَّا ابتدعوه، لم يدلَّ عليه لا شرعٌ ولا عقل.

---

(١) زادت (المطبوعتان) بعدها: «وهذه أسماء لم نسمه نحن بها». ولا وجود لها في النسخ.

وهم يدَّعون أن التَّثليثَ والحلولَ والاتحادَ إنما صاروا إليه من جهة الشَّرع، وهو نصوص الأنبياء[1] والكتب المنزَّلة، لا من جهة العقل، وزعموا أن الكتب الإلهيَّة نطقت بذلك، ثم تكلَّفوا لِمَا ظنُّوه مدلولَ الكتب طريقًا عقليَّةً فسَّروه بها تفسيرًا ظنُّوه جائزًا في العقل.

ولهذا تجد النَّصارىٰ لا يلجؤون في التَّثليث والاتحاد[2] إلّا إلىٰ الشرع والكتب، وهم يجدون نفرةَ عقولهم وقلوبهم عن التَّثليث والاتحاد والحلول؛ فإن فطرة الله التي فَطَر النَّاسَ عليها وما جعله الله في قلوب الناس من المعارف العقليَّةِ التي قد يُسَمُّونها ناموسًا[3] طبيعيًا يدفع ذلك وينفيه وينفِر عنه، لكن يزعمون أن الكتب الإلهيَّة جاءت بذلك، وأن ذلك أمرٌ يفوق العقل، وأنَّ هذا الكلام من طورٍ وراء طور العقل، فينقلونه لظنِّهم أن الكتب الإلهيَّةَ أخبرت به، لا لأنّ العقول دلَّت عليه، مع أنه ليس في الكتب الإلهيَّة ما يدلُّ علىٰ ذلك، بل فيها ما يدلُّ علىٰ نقيضه كما سنذكره إن شاء الله تعالىٰ[4]، ولا يميِّزون بين[5] ما يُحِيله العقلُ ويُبْطِله ويَعْلَم أنه مُمْتنع، وبين ما يَعْجز عنه العقلُ فلا يعرفه ولا يَحْكُم[6] فيه بنفيٍ ولا إثبات، وأن الرُّسل أخبرت بالنَّوع الثَّاني، ولا يجوز أن تخبر بالنوع الأول، فلم يفرِّقوا بين مُحالات العقول ومَحارات العقول، وقد ضاهوا في ذلك مَن قَبلهم من المشركين الذين جعلوا لله ولدًا شريكًا.

قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ

---

(١) «وهو نصوص الأنبياء» ليست في (و).
(٢) بعدها في (ع): «والحلول».
(٣) زادت (المطبوعتان) بعدها: «عقليًا».
(٤) انظر ما سيأتي: (٣/ ٣٠١).
(٥) «بين» ساقطة من النسخ، وألحقت في هامش (ي).
(٦) (د، ع، ط.النيل): «يعلم».

ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقد ضاهاهم في ذلك أهلُ البدع والضلال المُشْبِهُون لهم من المنتسبين إلىٰ الإسلام الذين يقولون بنحو قولهم من الغُلوِّ في الأنبياء، وأهل البيت[١]، والمشايخ، وغيرهم، ومن يدَّعي الوَحْدةَ أو الحُلولَ، أو الاتِّحادَ الخاصَّ المعيَّنَ كدعوىٰ النصارىٰ، ودعوىٰ الغالية من الشيعة في عليٍّ وطائفة من أهل البيت، كالنُّصيْريَّة ونحوهم ممَّن يدعي إلهيَّة علي، وكدعوىٰ بعض الإسماعيليَّة الإلهيَّة في الحاكم، وغيره من بني عبد الله بن ميمونٍ القدَّاح المنتسبين إلىٰ محمد بن إسماعيل بن جعفر، ودعوىٰ كثيرٍ من النَّاس نحوَ ذلك في بعض الشيوخ، إما المعروفين بالصَّلاح، وإما مَن يُظَنُّ به الصَّلاحُ وليس من أهله، فإن لهم أقوالًا من جنس أقوال النصارىٰ، وبعضُها شرٌّ من أقوال النَّصارىٰ.

وعامَّة هؤلاء إذا خوطبوا ببيان فساد قولهم قالوا من جنس قول النصارىٰ: هذا أمرٌ فوق العقل، ويقول بعضهم ما كان يقوله التِّلمسانيُّ[٢] لشيخ[٣] أهل الوحدة، يقول: ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل[٤]. ويقولون: لمن أراد أن يسلك سبيلهم: دع العقل والنقل، أو اخرج عن العقل والنقل.

---

(١) (د، ع، ط.النيل): «الكتب» تصحيف.

(٢) هو سليمان بن علي بن عبد الله بن علي، قال الذهبي: أحد زنادقة الصوفية. وقد قيل له مرة أألت نصيري فقال: النصيري بعض مني. توفي سنة تسعين وستمائة وله ثمانون سنة. انظر: «تاريخ الإسلام» (٥١/ ٤٠٦)، «العبر» (٣/ ٣٧٢)، «الوافي بالوفيات» (١٥/ ٢٤٩).

(٣) (و، ي): «شيخ».

(٤) (المطبوع): «النقل» خلافًا للأصول.

وينشدون فيهم:

مجانينُ إلا أَنَّ سِرَّ جُنُونِهمُ عزيزٌ علىٰ أقدامه[1] يسجد العَقلُ
هُمُ معْشرٌ حَلُّوا النِّظامَ وحرَّقُوا[2] السِّياجَ فلا فَرضٌ لدَيْهِمْ ولا نَفْلُ[3]

وهؤلاء مُقلِّدون لمشايخهم، متَّبعون لهم فيما يخرجون به عن شريعة الرسول، وما ابتدعوه مما لم يأذن به الله باتِّخاذ البدع عبادات، واستحلالِ المحرَّمات كتقْلِيد بعض[4] النَّصارىٰ لشيوخهم، وإذا اعتُرِض علىٰ أحدٍ منهم يقولون: الشيخ يُسلَّم له حالُه[5]، ولا يُعترض عليه، كما يقوله النَّصارىٰ لشيوخهم.

ومن هؤلاء من يقول: نحن أولاد الله، ويقول: المسيح[6] هو ولد الله، وينطق أيضًا بلفظ الشَّهوة، فيقول: إنهم أولاد شهوته، ويقول: إنه زوج[7] مريم، كما يقول ذلك من يقوله من النَّصارىٰ.

وغاية ما عندهم أنهم يحكون عن شيوخهم نوعًا من خَرْقِ العادات، قد يكون كذبًا وقد يكون صدقًا. وإذا كانت صدقًا فقد يكون من أحوال أولياء الشيطان كالسَّحرة والكهَّان، وقد يكون من أحوال أولياء الرحمن، وإذا كانت

---

(١) (و): «أبوابه».
(٢) (و، ي): «وخرقوا».
(٣) (المطبوع): «نقل». خلافًا للأصول. والبيتان أوردهما الصفدي في الوافي بالوفيات (١٢/ ٩٨) ونسبهما لبدر الدين بن هود، توفي سنة تسع وتسعين وستمائة.
(٤) «بعض» ليست في (و، ي).
(٥) «حاله» من (و) وليست في سائر النسخ.
(٦) (د، ع، ط.النيل): «الشيخ».
(٧) (و): «روح».

من أحوال أولياء الرحمن لم يكن في ذلك ما يوجب تقليد الوليِّ في كل ما يقوله؛ إذ الوليُّ لا يجب أن يكون معصومًا، ولا يجب اتِّباعه في كل ما يقوله، ولا الإيمانُ بكل ما يقوله، وإنما هذا من خصائص الأنبياء الذين يجب الإيمان بكلِّ ما يقولونه، فيجب تصديقُهم في كل ما يخبرون به من الغيب، وطاعتُهم فيما أوجبوه علىٰ الأمم، ومن كفر بشيءٍ ممَّا جاءوا به فهو كافر، ومن سبَّ نبيًّا واحدًا منهم[1] وجب قتْلُه، وليس هذا لغير الأنبياء من الصَّالحين.

فهؤلاء المبتدعةُ الغلاةُ المشركون القائلون بنوعٍ من الحلول هم مضاهئون للنَّصارىٰ بقدر ما شابهوهم فيه وخالفوا فيه دين المسلمين، ومنهم من تكون موافقته لدين المسلمين أكثر، وأما الغلاة منهم فموافقتهم للنَّصارىٰ أكثر، ومنهم من هو أكفر من النصارىٰ.

ولما كان مستند النَّصارىٰ هو ما ينقلونه إمَّا عن الأنبياء، وإمَّا عن غيرهم ممن يوجبون اتِّباعه، كانوا إذا أوردوا علىٰ علمائهم ما يقتضي امتناع ذلك، قالوا: هكذا في الكتاب، وبهذا نطق الكتاب، وهذه الكتب جاءت بها الرسل، يعنون المؤيَّدين بالمعجزات، ويعنون بالرُّسل الحواريين، فاعتصامهم بهم إنما هو لما ظنوه مذكورًا في الكتب الإلهيَّة، وإن رأوه مخالفًا لصريح المعقول.

ولهذا ينهون جُمهورَهم عن البحث والمناظرة في ذلك؛ لعلمهم بأن العقل الصَّريح متىٰ تَصَوَّر دينَهم عَلِم أنه باطل.

فدعوىٰ المدَّعين أنَّا إنما قلنا: أبٌ وابنٌ وروح قدس؛ لتصحيح القول: بأن الله حيٌّ ناطق. كذبٌ ظاهر، وهم يعلمون أنه كذب، وتصحيح القول: بأن الله حيٌّ متكلِّم. لا يقف علىٰ هذه العبارة، بل يمكنه تصحيح ذلك بالأدلة

---

(١) «منهم» سقطت من (المطبوع).

الشرعيَّة[1] والسَّمعيَّة والعقليَّة، والتعبير عنه بالعبارات البيِّنة كما يقوله[2] المسلمون وغيرهم بدون قولنا: «أب» و«ابن» و«روح قدس».

ومما يبيِّن ذلك الوجه الثاني: وهو أن النَّصارىٰ المقرِّون[3] بأن هذه العبارة في الإنجيل المأخوذِ عن المسيح مختلفون في تفسير هذا الكلام، فكثيرٌ منهم يقول: الأب هو الوجود، والابن هو الكلمة وروح القدس هو الحياة[4].

ومنهم من يقول: بل الأب هو الوجود، والابن هو الكلمة، وروح القدس هو القدرة.

وبعضهم يقول: إن الأقانيم الثلاثة: جوادٌ حكيمٌ قادر، فيجعل الأب هو الجواد، والابن هو الحكيم، وروح القدس هو القادر، ويزعمون أن جميع الصِّفات تدخل تحت هذه الثلاثة، ويقولون: إنا استدللْنا علىٰ وجوده[5] بإخراجه الأشياء من العدم إلىٰ الوجود، وذلك من جوده. وقد رأيتُ في كتب النصارىٰ هذا وهذا.

ومنهم من يعبِّر عن الكلمة بالعلم، فيقولون: موجودٌ حيٌّ عالم، أو موجودٌ عالمٌ قادر. كما يقول بعضهم: ناطق، ومنهم من يقول: موجودٌ حيٌّ حكيم، ومنهم من يقول: قائمٌ بنفسه حيٌّ حكيم، وهم متَّفقون علىٰ أن المتَّحد بالمسيح

---

(١) «الشرعية» ليست في (و، ي).

(٢) (و، ي): «يفعله».

(٣) كذا في الأصول بالرفع. والوجه: النصب.

(٤) (و): «القدرة».

(٥) (و): «جوده».

أو[1] الحالّ فيه هو أقنومُ الكلمة، وهو الذي يُسَمُّونه الابن دون الأب. ومن أنكر الحلول والاتحاد منهم كالأَرْيُوسِيَّة يقول[2]: إن المسيح عليه السلام عبدٌ مرسل، كسائر الرسل -صلوات الله عليهم وسلامه-، فوافقهم على لفظ: الأب، والابن، وروح القدس، ولا يفسِّر ذلك بما يقوله منازعوه من الحلول والاتحاد.

كما أن النُّسْطُورِيَّة يوافقونهم أيضًا على هذا اللَّفظ، وينازعونهم في الاتحاد الذي يقوله اليَعْقُوبيَّة والمَلكيَّة، فإذا كانوا متَّفقين على اللَّفظ متنازعين في معناه عُلِم أنهم صدقوا أوَّلًا باللَّفظ[3]؛ لأجل اعتقادهم مجيءَ الشَّرع به، ثم تنازعوا بعد ذلك في تفسير الكتاب، كما يختلفون هم وسائرُ أهلِ الملل في تفسير بعض الكلام الذي يعتقدون أنه منقولٌ عن الأنبياء عليهم السلام، وعُلِم بذلك أن أصل قولهم: «الأب، والابن، وروح القدس». لم يكن لأجل تصحيح القول بأن الله موجودٌ حيٌّ ناطقٌ الذي علموه أوَّلًا بالعقل.

يوضِّح هذا الوجه الثالث وهو قولهم: «إنا لمَّا رأينا حدوثَ الأشياء عَلِمْنا أن شيئًا غيرها أحدثها».

إن كان المتكلِّم بهذا طائفةً معيَّنةً من النَّصارىٰ، فيقال لهؤلاء: القول بالأب، والابن، وروح القدس، موجودٌ عند النَّصارىٰ قبل وجودكم وقبل نظركم هذا واستدلالكم، فلا يجوز أن يكون نظرُكُم هو الموجِب لقول النَّصارىٰ هذا، وإن كان المراد به أن جميع النَّصارىٰ من حين قالوا هذا الكلام نظروا واستدلُّوا حتَّىٰ قالوا ذلك، فهذا كَذِبٌ بيِّن؛ فإن هذا الكلام يقول

---

(١) (المطبوعتان): «و».

(٢) (و، ي): «ويقولون».

(٣) (و، ي): «باللفظ أولًا».

النصارىٰ إنهم تلقَّوه عن الإنجيل، وإن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «عَمِّدوا الناس باسم الأب، والابن، وروح القدس».

والمسيح والحواريُّون لم يأمروهم بهذا النظر الموجِب لهذا القول، ولا جَعَل المسيحُ هذا القولَ موقوفًا عندهم علىٰ هذا البحث، فعُلِم أن جعْلَهم هذا القولَ ناشئًا عن هذا البحث قولٌ باطلٌ يعلمون هم بطلانه.

الوجه الرابع: أن هذا القول إن كان المسيح لم يقُلْه فلا يجوز أن يقال، ولو عنىٰ به الإنسان معنًى صحيحًا؛ فإن هذه العبارة إنما يُفْهَم منها عند الإطلاق المعاني الباطلة، ولهذا يوجد كثيرٌ من عوامِّ النصارىٰ يعتقدون أن المسيحَ ابنُ الله، البنوَّةُ المعروفةُ في المخلوقات، ويقولون: إن مريم زوجة الله.

وهذا لازمٌ لعامَّة النَّصارىٰ وإن لم يقولوه؛ فإن الذي يلد لابد له من زوجة؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].

وجَعْلُ الربِّ والدًا لمولود أنكرُ في العقول من إثبات صاحبةٍ له، سواءً فُسِّرت الولادة بالولادة المعروفة، أو بالولادة العقليَّةِ التي يقولها علماء النَّصارىٰ، فإنّ من أثبت صاحبةً له يمكنه تأويل ذلك كما تأوَّلوا هم الولد، ويقولون: إن الأبَ وُلدت منه الكلمة، ومريمَ وُلِد منها النَّاسوت، واتَّحد النَّاسوت باللَّاهوت، فكما أن الأب أبٌ باللَّاهوت لا بالنَّاسوت، ومريمَ أمٌّ للنَّاسوت لا للَّاهوت= فكذلك هي صاحبةٌ للأب بالنَّاسوت، واللَّاهوتُ زوجُ مريمَ بلاهوته، كما أنه أبٌ للمسيح(١) بلاهوته، وإذا اتَّحد اللَّاهوت بناسوت

(١) (و، ي): «أبو المسيح».

المسيح مدةً طويلةً فلماذا يمتنع أن يجتمع اللَّاهوت بناسوت مريم مدةً قصيرةً؟ وإذا جُعِلَ الناسوتُ الذي ولدته ابنًا للاهوت، فَلِأَيِّ شيء لا تجعل هي صاحبة وزوجة للّاهوت؟ فإن المسيح عندهم اسمٌ لمجموع اللاهوت والناسوت، وهو عندهم إله تام وإنسان تام، فلاهوته من الله، وناسوته من مريم، فهو من أصلين: لاهوت وناسوت، فإذا كان أحدُ الأصلين أباه[1] والآخر أمّه، فلماذا لا تكون أمُّه زوجَةَ أبيه بهذا الاعتبار، مع أن المُصَاحَبَةَ قبل البنوَّة[2]؟ فكيف يَثْبُتُ الفرع الملزوم بدون ثبوت الأصل اللازم؟

وليس في ذلك من المحال علىٰ أصلهم إلا ما هو من جنس إثبات بنوَّة المسيح وأقلُّ امتناعًا.

وإن كان المسيح عليه السلام قال هذا الكلام فقد علمنا أن المسيح عليه السلام وغيره من الأنبياء معصومون لا يقولون إلا الحق، وإذا قالوا قولًا فلابد له من معنًى صحيح، ويمتنع أن يريدوا بقولهم ما يعلم[3] بطلانه بسمعٍ أو عقل، فإذا كانت العقول ونصوص الكتب المتقدِّمة مع نصوص القرآن تناقض ما ابتدعته النصارىٰ في المسيح، علم أن المسيح لم يرد معنًى باطلًا يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول.

بل نقول في الوجه الخامس: إن صحَّت هذه العبارة عن المسيح المعصوم عليه الصلاة والسلام، فإنه أراد بذلك ما يناسب سائر كلامه.

وفي الموجود في كتبهم تسمية الربِّ أبًا، وتسمية عباده أبناء، كما يذكرون

---

(١) (و، ي): «أبوه».
(٢) (و، ي، ط.النيل): «النبوة».
(٣) (د، ع، ط.النيل): «يمتنع».

أنه قال في التوراة ليعقوب[1]: «أنت ابني بكري»، وقال لداود في الزبور: «أنت ابني وحبيبي»، وفي الإنجيل في غير موضعٍ يقول المسيح: «أبي وأبيكم». كقوله: «إني أذهب إلىٰ أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم»[2]. فيسمِّيه أبًا لهم كما يسميهم أبناءً له.

فإن كان هذا صحيحًا، فالمراد بذلك أنه الربُّ المربِّي الرحيم، فإن الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها، والابن هو المربَّىٰ المرحوم، فإن تربية الله لعبده أكملُ من تربية الوالدة لولدها، فيكون المراد بالأب: الرب، والمراد بالابن: عبده[3] المسيح الذي ربَّاه.

وأما «روح القدس»: فهي لفظة موجودةٌ في غير موضعٍ من الكتب التي عندهم، وليس المراد بها حياة الله باتفاقهم، بل روح القدس عندهم تحُلُّ في إبراهيم وموسىٰ وداود وغيرهم من الأنبياء الصالحين.

والقرآن قد شهد أن الله أيَّد المسيح بروح القدس، كما قال تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة:٨٧، ٢٥٣]. في موضعين من البقرة.

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [المائدة: ١١٠].

وقد قال النبي ﷺ لحسَّان بن ثابت: «إِنَّ رُوحَ القُدُسِ مَعَكَ مَا دُمْتَ تُنَافِحُ

(١) بعدها في (د، ع، ط.النيل): «إسرائيل».
(٢) تقدّم هذا النص (١/ ٣٥٨).
(٣) (المطبوع): «عنده» تصحيف.

عن نَبيِّه». وقال: «اللَّهُمَّ أيِّدْه بِروحِ القُدُس»[1]. كما تقدَّم ذكر هذا كله مبسوطًا[2].

وروح القدس: قد يراد بها المَلَك المقدَّس كجبريل، ويُرَاد بها الوحي والهدىٰ والتَّأييد الذي يُنْزِلُه الله بواسطة المَلَك أو بغير واسطته، وقد يكونان متلازِمَيْن؛ فإن الملك يَنزل بالوحي، والوحي يَنزل به الملك، والله تعالىٰ يُؤيِّد رسله بالملائكة وبالهدىٰ، كما قال تعالىٰ: عن نبيِّه محمد ﷺ: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠، ٢٦]. في موضعين من سورة براءة.

وقال تعالىٰ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩]. وقال تعالىٰ: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال: ١٢]. الآية[3]. وقال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢]. وقال تعالىٰ: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل:٢]. وقال تعالىٰ: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر:١٥]. وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[4] [الشورىٰ: ٥٢]

(١) تقدم ذكر هذين الحديثين (١/ ٣٨١).
(٢) انظر ما سبق (١/ ٣٨٠)، وما سيأتي (٢/ ٢٣٩، ٢٥٥).
(٣) «الآية» سقطت من (المطبوع).
(٤) من قوله: «وقال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾ إلىٰ هنا سقط من (و).

وإذا كان «روح القدس» معروفًا في كلام الأنبياء المتقدِّمين والمتأخرين أنها أمرٌ يُنْزِلُه الله علىٰ أنبيائه وصالحي عباده، سواءً كان ملائكةً تنزل بالوحي والنصر، أو وحيًا وتأييدًا مع الملك وبدون الملك، ليس المراد بروح القدس أنها حياة الله القائمة به كان المعصوم إن كان[1] قال: «عَمِّدوا النَّاس باسم الأب والابن وروح القدس» مراده: مُرُوا النَّاس أن يؤمنوا بالله ونبيِّه الذي أرسله، وبالمَلَك الذي أنزل عليه الوحي[2] الذي جاء به، فيكون ذلك أمرًا لهم بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وهذا هو الحقُّ الذي يدلُّ عليه صريح المعقول وصحيح المنقول.

فتفسير كلام المعصوم بهذا التَّفسير الذي يوافق سائر ألفاظ الكتب التي عندهم ويوافق القرآن ويوافق العقل أولىٰ من تفسيره بما يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول.

وهذا تفسيرٌ ظاهرٌ ليس فيه تكلُّف، ولا هو من التَّأويل الذي هو صَرْف الكلام عن ظاهره إلىٰ ما يخالف ظاهرَه، بل هو تفسيرٌ له بما يدلُّ ظاهرُه عليه باللُّغة المعروفة والعبارةِ المألوفة في خطاب المسيح، وخطابِ سائر الأنبياء.

وأما تفسير النصارىٰ بأن الابن مولودٌ قديمٌ أزليّ، هو العلم أو كلمة الله، فتفسير للَّفظ بما[3] لم يُستعمل هذا اللفظ فيه، لا في كلام أحدٍ من الأنبياء، ولا لغةِ[4] أحدٍ من الأنبياء.

---

(١) «المعصوم إن كان» ساقطة من (ط.النيل).

(٢) (ي): «والوحي».

(٣) (و): «ما».

(٤) (و): «أمة».

وكذلك تفسير «روح القدس» بحياة الله، فالذي فَسَّر النصارىٰ به[1] كلامَ المسيح هو تفسيرٌ لا تدلُّ عليه لغةُ المسيح وعادتُه في كلامه، ولا لغة غيره من الأنبياء والأمم، بل المعروف في لغته وكلامه وكلام سائرِ الأنبياء تفسيرُه بما فسَّرناه، وبذلك فسَّره أكابر علماء النصارىٰ.

وأما ضُلَّال النصارىٰ المحرِّفون لمعاني كتب الله ﷻ ففسَّروه بما يخالف معناه الظاهر، وينكره العقلُ والشَّرع.

وتمام هذا بالوجه السادس وهو: أن النَّصارىٰ لما كان عندهم في الكتب تسمية المسيح عليه السلام ابنًا، وتسمية غيره من الأنبياء عليهم السلام ابنًا، كقوله ليعقوب: «أنت ابني بكري». وتسمية الحواريِّين أبناء، قالوا: «هو ابنه بالطَّبع، وغيره هو ابنه بالوضع». فجعلوا لفظ الابن[2] مشتركًا بين معنيين وأثبتوا لله طبعًا، جعلوا المسيح ابنَه باعتبار ذلك الطَّبع. وهذا يُقَرِّر قول من يفهم منهم أنه ابنُه البنوَّةُ المعروفة في المخلوقين، وأن مريم زوجة الله.

وكذلك جعلوا «روح القدس» مشتركة بين حياة الله وبين «روح القدس» التي تنزل علىٰ الأنبياء والصَّالحين، ومعلومٌ أن الاشتراك علىٰ خلاف الأصل، وأن اللفظ إذا اسْتُعْمِل في عدَّة مواضع كان جعلُه حقيقةً متواطئًا في القدر المشترك أولىٰ من جعله مشتركًا اشتراكًا لفظيًّا، بحيث يكون حقيقةً في خصوص هذا وخصوص هذا[3]، أو يكون مجازًا في أحدهما، فإن المجاز والاشتراك علىٰ خلاف الأصل، هذا إن قُدِّر أن لفظ «الابن» و«روح القدس»

---

(١) بعدها في (المطبوعتين): «ظاهر».
(٢) (ط.النيل): «الأب».
(٣) «وخصوص هذا» سقطت من (المطبوع).

اسْتُعْمِل في نطق الله وحياته كما يزعم النصارىٰ، فكيف إذا لم يوجد في كلام الأنبياء أنهم قالوا لفظ «الابن» ولفظ «روح القدس»، وأرادوا به شيئًا من صفات الله، لا كلامِه ولا حياتِه ولا علمِه[1] ولا غير ذلك، بل لم يوجد استعمال لفظ «الابن» في كلام الأنبياء إلا في شيءٍ مخلوق، ولم يوجد استعمال «روح القدس» بما[2] هو من صفات الله القائمة به، ونحن إذا فسَّرنا «الأب» و«روح القدس»[3] ببنوَّة التربية، و«روح القدس» بما يَنْزِل علىٰ الأنبياء كنا قد جعلنا اللَّفظ مفردًا متواطئًا، وهم يحتاجون أن يجعلوا اللفظ مشتركًا أو مجازًا في أحد المعنيين، فكان تفسيرُهم مخالفًا لظاهر اللَّغة التي خوطبوا بها، ولظاهر الكتب التي بأيديهم، وتفسيرُنا موافقًا لظاهر لغتهم وظاهر الكتب التي بأيديهم، وحينئذٍ فقد تبيَّن أنه ليس معهم بالتَّثليث لا حجَّةٌ سمعيَّةٌ ولا عقليَّة، بل هو باطلٌ شرعًا وعقلًا.

يؤيِّد هذا الوجه السابع: وهو أنهم في أمانتهم أثبتوا من المعاني ولفظ الأقانيم وغير ذلك ما لا تدلُّ عليه الكتب التي بأيديهم البتة، بل فهموا منها معنًى باطلًا، وضمُّوا إليه معانيَ باطلةً من عند أنفسهم، فكانوا محرِّفين لكتب الله في ذلك، مفترين علىٰ الله الكذب، وهذا مبسوطٌ في موضعٍ آخر[4].

الوجه الثامن: أن قولهم بالأقانيم مع بطلانه في العقل والشرع لم ينطق به عندهم[5] كتاب، ولم يوجد هذا اللفظ في شيء من كتب الأنبياء التي بأيديهم

---

(١) «ولا علمه» سقطت من (و، ي).

(٢) (ي): «إلا فيما ليس»، (و): «كما». وأشار إليها في الهامش بحرف (ظ) أي: الظاهر.

(٣) الأظهر أن قوله: «الأب وروح القدس» مقحمة. والأنسب أن يجعل مكانها: «الابن». لاقتضاء السياق له. فتكون العبارة: «ونحن إذا فسّرنا الابن ببنوة التربية».

(٤) انظر: (٢/ ١٨٥، ٢٥٠).

(٥) «عندهم» ليست في (د، ع).

ولا في كلام الحواريِّين، بل هي لفظةٌ ابتدعوها، ويقال: إنها روميَّة. وقد قيل: الأقنوم في لغتهم معناه: «الأصل». ولهذا يضطربون في تفسير الأقانيم، تارةً يقولون: أشخاص، وتارةً خواص، وتارةً صفات، وتارةً جواهر، وتارةً يجعلون الأقنوم اسمًا للذَّات والصِّفة معًا، وهذا تفسير حُذَّاقهم.

الوجه التاسع: قولهم في المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنه خالق» قولٌ مع بطلانه في الشَّرع والعقل قولٌ لم ينطق به شيءٌ من النُّبوَّات التي عندهم، ولكن يستدلُّون علىٰ ذلك بما لا يدلُّ عليه ذلك، كما سنبيِّنه إن شاء الله تعالىٰ[1].

الوجه العاشر: قولهم في تجسُّد اللَّاهوت أيضًا، هو قولٌ مع بطلانه في العقل والشَّرع قولٌ لا يدلُّ عليه شيءٌ من كلام المعصوم من النَّبيِّين والمرسلين.

الوجه الحادي عشر: أنّا نقول: لا ريب أن الله حيٌّ عالمٌ قادرٌ متكلِّم، وللمسلمين علىٰ ذلك من الدَّلائل العقليَّة التي دلَّ الرَّسول عليها وأرشد إليها فصارت معروفةً بالعقل مدلولًا عليها بالشَّرع ما هو مبسوطٌ في موضعه[2]، وأنتم مع دعواكم أنكم تثبتون ذلك بالعقل لم تذكروا علىٰ ذلك دليلًا عقليًّا.

فقولكم: «لمَّا رأينا حدوث الأشياء علمنا أن شيئًا غيرَها أحدثها؛ إذ لا يمكن حدوثها من ذواتها لما فيها من التضادد[3] والتقلّب» كلامٌ قاصرٌ لوجوه:

أحدها: أنكم لم تروا حدوث جميع المخلوقات، وإنما رأيتم حدوث ما يُشهَد حدوثُه كالسَّحاب والمطر والحيوان والنَّبات ونحوِ ذلك، فأين دليلُكم علىٰ حدوث سائر الأشياء؟

---

(١) انظر ما سيأتي (٢/ ٤٧٤).

(٢) وسيأتي قريبًا (٢/ ٢١٠).

(٣) «رسالة بولس» (ص٤١٨): «التضادّ».

الثاني: أنه كان ينبغي أن تقولوا: لمَّا عُلِم[1] حدوثُ المُحْدَثات، أو حدوث المخلوقات، أو حدوث ما سوىٰ الله، ونحو ذلك مما يبيِّن أن المحدَث ما سوىٰ الله، فأمّا إطلاق حدوث جميع الأشياء فباطل، فإنّ الله يسمَّىٰ عندكم وعند جمهور المسلمين شيئًا من الأشياء، وهذا بخلاف قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد:١٦]. فإنّ هذا التركيب يبيِّن أن الخالق غيرُ المخلوق، خلاف قول القائل: حدوث الأشياء.

الثالث: أن العلم بأن المحدَث لابدَّ له من محدِث، علمٌ فطريٌّ ضروريٌّ، ولهذا قال تعالىٰ: في القرآن: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]. قال جُبير بن مُطعِم: «لمَّا سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يَقرأُ بِها في صَلاةِ المَغْرِبِ أحسَسْتُ بفُؤادي قَد انصَدعَ»[2]. يقول تعالىٰ: أخُلِقوا[3] من غير خالقٍ خلقهم، أم هم الخالقون لأنفسهم؟

ومعلومٌ بالفطرة التي فطرَ اللهُ عليها عباده بصريح العقل أن الحادث لا يحدُث إلا بمحدِثٍ أحدثه، وأنّ حدوث الحادث بلا محدِثٍ أحدثه معلومُ البطلانِ بضرورة العقل، وهذا أمرٌ مركوزٌ في بني آدم حتىٰ الصِّبيان، لو ضُرِب الصبيُّ ضربةً، فقال: مَن ضربني؟ فقيل له: ما ضربك أحد، لم يصدِّق عقلُه أنَّ الضربة حدثت من غير فاعل.

---

(١) (و): «علمتم».

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٥٤).

(٣) «أخلقوا» ساقطة من (د، ع).

ولهذا لو جوَّز مجوِّزٌ أن يَحدُث كتابةٌ أو بناءٌ[1] أو غراسٌ ونحوُ ذلك من غير محدث لذلك= لكان عند العقلاء إما مجنونًا وإما مُسَفْسِطًا، كالمنكر للعلوم البديهيَّة والمعارف الضَّروريَّة، وكذلك معلومٌ أنه لم يُحدث نفسه، فإن كان معدومًا قبل حدوثه لم يكن شيئًا، فيمتنع أن يحدِث غيره فضلًا عن أن يحدث نفسه.

فقولكم: «لم يكن حدوثها من ذواتها لما فيها من التضادد والتقلّب». تعليلٌ باطل؛ فإنَّ عِلْمَنا بأن حدوثها لم يكن من ذواتها ليس لأجل ما فيها من التضادد والتقلّب، بل سواء كانت متماثلةً أو مختلفةً أو متضادةً= نحن نعلم بصريح العقل أن المحدَث لا يحدِث نفسَه، وهذا من أظهر المعارف وأبينها للعقل، كما يُعلم أن العدم لا يخلق موجودًا، وأن المحدِث للحوادث الموجودة لا يكون معدومًا.

الوجه الرابع: أنكم ذكرتم حجةً علىٰ أنّها لم تُحدِث نفسها، وهي حجةٌ ضعيفة، ولم تذكروا حجةً علىٰ[2] أنها حدثت بلا محدث، لا أنفسها ولا غيرها، فإن كان امتناع كونها أحدَثَت نفسَها محتاجًا إلىٰ دليلٍ فكذلك امتناع حدوثها بلا محدث، وإن كان معلومًا ببديهة العقل، وهو من العلوم الضَّروريَّة، فكذلك الآخر، فذِكْرُ الدليل علىٰ أحدهما دون الآخر خطأ لو كنتم ذكرتم دليلًا صحيحًا، فكيف إذا كان الدليل باطلًا؟ ومن يكون مبلغهم من العلم بالأدلة العقليَّة التي يُثْبِتون بها العلم بالصَّانع وصفاته هذا المبلغ ثم يريدون مع ذلك أن يثبتوا معانيَ عقليَّةً ويزعمون أنها موافقةٌ لفهمِهِمُ الباطل من الكتب الإلهيَّة، فهم ممن قال الله فيهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا

---

(١) (د، ع، ط.النيل): «نساجة».

(٢) يقتضي السياق أن تكون العبارة: «علىٰ [امتناع] أنها حدثت» بزيادة ما بين المعكوفتين.

جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٣٩-٤٠].

الوجه الثاني عشر: قولكم: «فقلنا: إنه شيءٌ لا كالأشياء المخلوقة؛ إذ هو الخالق لكل شيء؛ لننفيَ عنه العدم».

فيقال لهم: لا ريب أن الله كما وصف نفسه بقوله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]. وقوله: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥] أي مثلًا يستحقُّ أن يسمّىٰ بأسمائه.

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص:١- ٤].

وقد دلَّ علىٰ ذلك العقل؛ فإن المِثْلَين اللَّذين يسدُّ أحدُهما مسدَّ الآخر يجب لأحدهما ما يجب للآخر، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه، ويجُوز عليه ما يجوز عليه، فلو كان للخالق مِثْلٌ للزم أن يشتركا فيما يجب ويجوز ويمتنع.

والخالق يجب له الوجود والقدم، ويمتنع عليه العدم، فيلزم أن يكون المخلوق واجب الوجود قديمًا أزليًّا لم يعدم قط، وكونه محدَثًا مخلوقًا يستلزم أن يكون كان معدومًا، فيلزم أن يكون موجودًا معدومًا قديمًا محدثًا[1]، وهو جمعٌ بين النَّقيضين يمتنع في بَدَايِهِ[2] العقول، وأيضًا فالمخلوق يمتنع عليه القدم، ويجب له سابقة العدم، فلو وجب للخالق القديم ما يجب له لوجب

(١) (ع): «حادثًا».

(٢) (د، ع، ط.النيل): «بداية».

كون الواجب القِدَم واجب الحدوث بعد العدم، وهذا جمعٌ بين النقيضين، فالعقل الصَّريح يجزم بأن الله ليس كمثله شيء. والكلام علىٰ هذا مبسوطٌ في موضعٍ آخر[(١)].

لكن أنتم لم تذكروا علىٰ ذلك حجَّة، بل قلتم: «إنه شيءٌ لا كالأشياء المخلوقة، إذ هو الخالق لكل شيء» فلم تذكروا حجةً علىٰ أنه خالق كلِّ شيء؛ إذ كان عمدتكم علىٰ ما شاهدتم حدوثَه، وليس ذلك كلَّ شيء، ولم تذكروا حجةً مع كونه خالقَ كلِّ شيءٍ علىٰ أنه ليس كمثله شيء، بل قلتم: «لأننا معشر النصارىٰ لما رأينا حدوث الأشياء علمنا أن شيئًا غيرها أحدثها لما فيها من التضادد والتقلّب فقلنا: إنه شيء لا كالأشياء المخلوقة؛ إذ هو الخالق لكلِّ شيء، وذلك لننفيَ العدم عنه» ودليلكم لو دلَّ علىٰ العلم بالصَّانع لم يدلَّ إلّا علىٰ أنّه خالق، فكيف إذا لم يدل؟

ولا ريب أن الخالق سبحانه يجب أن يكون موجودًا لا معدومًا، وهذا معلومٌ بالضَّرورة لا يحتاج إلىٰ دليلٍ عند جمهور العقلاء والنُّظّار، وإن كان بعضهم أثبت وجودَه بالدَّليل النظريّ، لكن ليس في دليلكم ما يدلّ علىٰ أنه ليس كالأشياء المخلوقة.

وقولكم: «إذ هو الخالق لكل شيء» يتضمّن أنه خالقٌ لكلِّ ما سواه، ليس فيه بيانُ نفي المماثلة عنه، ولكن بيَّنتم بهذا الكلام جهلَكم بالدَّلائل العقليَّة، كجهلكم بالكتب المنزَّلة، وكذلك أخبر تعالىٰ عن أهل النَّار أنهم يقولون: ﴿لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

---

(١) انظر «درء التعارض» (٨/ ١٢٧).

فصـل

وأما قولكم: «ورأينا الأشياء المخلوقة تنقسم قسمين: شيءٌ حيٌّ، وشيءٌ غير حيٍّ، فوصفناه بأجلِّ القسمين فقلنا: إنه حيٌّ لننفيَ الموت عنه».

فيقال: لا ريب أن الله حيٌّ كما نطقت بذلك كتُبُه المنزَّلةُ التي هي آياته القوليَّة، ودلَّت علىٰ ذلك آياته كمخلوقاته التي هي آياته الفعليَّة، قال تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]. أي: القرآن حقٌّ، وقد تقدَّم ذكر القرآن في قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٥٢].

فالله تعالىٰ يري عباده من آياته المشاهَدة المعاينة الفعليَّة ما يُبَيِّن صدقَ آياته المنزَّلة المسموعة القوليَّة.

قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨].

والدَّلائل علىٰ حياته كثيرة: منها: أنه قد ثبت أنه عالم، والعلم لا يقوم إلا بحيٍّ، وثبت أنه قادرٌ مختارٌ يفعل بمشيئته، والقادر المختار لا يكون إلا حيًّا.

ومنها: أنه خالق الأحياء وغيرِهم، والخالق أكمل من المخلوق، فكلّ كمالٍ ثبت للمخلوق فهو من الخالق، فيمتنع أن يكون المخلوق أكملَ من خالقه، وكمالُه أكملَ منه. والمتفلسفة القائلون بالموجب بالذَّات يسلِّمون هذا، ويقولون: كمال المعلول مستفادٌ من علَّته، فإذا كان خالقًا للأحياء كان حيًّا بطريق الأولىٰ والأحرىٰ.

ومنها: أن الحيَّ أكملُ من غير الحيِّ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر:٢٢]. فلو كان الخالق غير حيٍّ لزم[1] أن يكون الممكن المحدَثُ المخلوق أكملَ من الواجب القديم الخالق، فيكونَ أنقصُ الموجودين أكملَ من أكملِهما، وهذا الوجه يتناول ما ذكروه من الدَّليل، وإن كانوا لم يبيِّنوه بيانًا تامًّا، لكن قولهم: «قلنا: إنه حيٌّ لننفيَ الموت عنه» كلامٌ مستدرك؛ فإنّ الله موصوفٌ بصفات الكمال الثُّبوتيَّة، كالحياة، والعلم، والقدرة، فيلزم من ثبوتها سلبُ صفات النَّقص، وهو سبحانه لا يُمْدَح بالصِّفات السِّلبيَّة إلا لتضمُّنها المعاني الثبوتيَّة، فإن العدم المحض والسَّلب الصِّرف لا مدْح فيه ولا كمال؛ إذ كان المعدوم يوصف بالعدم المحض، والعدم نفيٌ محضٌ لا كمال فيه، وإنما الكمال في الوجود[2].

ولهذا جاء كتاب الله تعالىٰ علىٰ هذا الوجه، فيصف سبحانه نفسه بالصِّفات الثبوتيَّة صفات الكمال، وبصفات السَّلب المتضمِّنة للثبوت كقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فنفيُ أخذ السِّنَةِ والنوم يتضمن كمالَ حياته وقيُّوميَّته؛ إذ النوم أخو الموت، ولهذا كان أهل الجنّة لا ينامون مع كمال الرَّاحة، كما لا يموتون.

والقيُّوم: القائم المقيم لما سواه، فلو جُعِلَت له سِنَةٌ أو نومٌ لنقصت حياته وقيُّوميَّته، فلم يكن قائمًا ولا قيُّومًا، كما ضرب الله المثل لبني إسرائيل

---

(١) «لزم» ساقطة من (د). (ع): «لوجب».
(٢) (د، ع، ط.النيل): «الموجود».

لما سألوا موسىٰ: هل ينام ربُّك؟ فأَرَّقه ثلاثًا[1]، ثم أعطاه قوارير فأخذه النّوم فتكسّرت[2].

بيَّن بهذا المثل أن خالق العالم لو نام لفسد[3] العالم.

ثم قال تعالىٰ: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فإنكاره ونفْيُه أن يشفع أحدٌ عنده إلا بإذنه يتضمَّن كمال ملكه لما في السَّماوات وما في الأرض، وأنه ليس له شريك، فإن من شفع عنده غيره بغير إذنه وقبل شفاعته كان مشاركًا له؛ إذ صارت شفاعته سببًا لتحريك المشفوع إليه، بخلاف من لا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه؛ فإنه منفردٌ بالملك ليس له شريكٌ بوجهٍ من الوجوه.

---

(١) «ثلاثًا» ليست في (و).

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٦٦٦٩) والطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٨٦) وفيه أن موسىٰ عليه السلام الذي سأل: هل ينام ربك؟ وقد أورده ابن كثير في «تفسيره» (٦/ ٥٥٨) وقال: «والظاهر أن هذا الحديث ليس بمرفوع، بل من الإسرائيليات المنكرة فإن موسىٰ عليه السلام أجل من أن يجوز علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ النوم». قلتُ: وهي غير الرواية التي استشهد بها المصنف التي فيها أن بني إسرائيل هم الذين سألوا موسىٰ عليه السلام عن ذلك. وقد جاءت الرواية الأولىٰ من طريق شبل بن أمية وخولف فيها. قال ابن حجر في «لسان الميزان» (١/ ٤٧٦): أمية بن شبل له حديث منكر... وذكر الحديث، ثم قال: رواه عنه هشام بن يوسف وخالفه معمر عن الحكم عن عكرمة، وهو أقرب، ولا يسوغ أن يكون هذا وقع في نفس موسىٰ عليه السلام، وإنما روي أن بني إسرائيل سألوا موسىٰ عليه السلام عن ذلك.

(٣) في الأصول: «نفذ» وقد ضرب عليها في أصل (ي) وكتب في الهامش: «فسد». وهي الصواب.

ثم قال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. فنفىٰ أن يعلم أحدٌ شيئًا من علمه إلا بمشيئته ليُبَيِّن[١] أنه منفردٌ بالتَّعليم، فهو العالم بالمعلومات، ولا يعلم أحدٌ شيئًا إلا بتعليمه، كما قالت الملائكة: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥]. أي لا يُكْرِثُه ولا يُثْقِل عليه، فبيَّن بذلك كمالَ قدرته، وأنه لا يلحقه أدنىٰ مشقَّةٍ ولا أيْسَرُ كُلْفَةٍ في حفظ المخلوقات، كما قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

بيّن بذلك كمالَ قدرته، وأنه لا يلحقه اللُّغوب في الأعمال العظيمة، مثل خلقه السماوات والأرض، كما يلحق المخلوقَ اللُّغوبُ إذا عمل عملًا عظيمًا، واللغوب: الانقطاع والإعياء. وهذا بابٌ واسعٌ مبسوطٌ في موضعٍ آخر[٢].

والمقصود هنا: أنه موصوفٌ بصفات الكمال التي يستحقُّها بذاته ويمتنع اتصافه بنقائضها، وإذا وُصف بالسُّلوب فالمقصود هو إثبات الكمال. وهؤلاء قالوا: «قد وصفناه بالحياة لننفيَ عنه الموت»، كما قالوا: «هو شيءٌ لننفيَ العدم عنه» والحياة صفة كمالٍ يستحقُّها بذاته، والموت مناقضٌ لها، فلم يوصف

(١) (و، د، ع): «ليس». (المطبوعتان): «ليس إلا». والمثبت من هامش (ي) وكتب فوقها: «بيان». وهو أوضح.
(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٣٥)، (١٧/ ١٠٨)، «منهاج السنة» (٢/ ١٨٣).

بالحياة لأجل نفي الموت، بل وصْفُه بالحياة يستلزم نفيَ الموت، فَيُنفَىٰ عنه الموت لأنه حيٌّ، لا يُثبت له الحياة لنفي الموت[1]، وكذلك لِتُثْبِتَ له أنه شيءٌ موجود، وذلك يستلزم نفي العدم عنه، لا أنّ إثباتَ وجودِه لأجل نفي العدم[2]، بل نفي العدم عنه لأجل وجوده، كما أن نفيَ الموت عنه لأجل حياته.

وكذلك قولهم: «قلنا: إنه شيء لا كالأشياء المخلوقة، وذلك لننفيَ العدم عنه» لكن كان مرادُهم والله أعلم -وإن كانت عبارتُهم قاصرة- إثباتَ الوجود ونفيَ العدم، وإثباتَ الحياة ونفيَ الموت.

---

(١) بعدها في (و): «وكذلك تثبت له الحياة لننفي الموت» كذا أقحمت هذه العبارة هنا.

(٢) بعدها في (و): «عنه».

فصـل

ثـم قـالوا: «ورأينـا الحـيَّ ينقسـم قسـمين: حيًّـا ناطقًـا، وحيًّـا غيـر نـاطق، فوصفناه بأفضل الوصفين فقلنا: إنه ناطقٌ لننفيَ الجهل عنه».

فيقال لهم: لا ريب أن الربَّ سبحانه موصوفٌ بأنه حيٌّ عليمٌ قديرٌ متكلمٌ مختار، لكن قولهم: «فقلنا: إنه نـاطقٌ لننفـيَ الجهـل عنـه» يقتضـي أنكـم أردتـم النطق المناقض للجهل، وهذا هو العلم؛ فإن العلم ينـاقض الجهـل، لـم تريـدوا بذلك النطق الـذي هـو العبـارة والبيـان، ولـم تريـدوا بـذلك مـا جعلـه بعـض النُّظَّـار كلامًا، وهي معاني قائمةٌ بالنفس ليست من جنس العلوم، ولا من جنس الإرادات، وحينئذٍ فيقال لكم: ليس في الأحياء إلا ما هو شاعر، فكل حيٍّ فله شعورٌ بحسبه.

وكلما قويت الحياة قـوي شـعورها، وشـعورُ الحيـوان قـد يعبَّـر عنـه بلفـظ العلم، كما يقول الناس: عِلْمُ الفَهْدِ والبازيِّ والكلب، ويقال: كلبٌ مُعَلَّـمٌ وغير مُعَلَّم، وبازِيٌّ مُعلَّم.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤]. وقال النبيُّ ﷺ: «**إذا أرسلتَ كلبَكَ المُعَلَّمَ، وذكرتَ اسمَ الله فقتَلَ فكُلْ**»[١].

ولا ريب أن العلم[٢] صفةُ كمال، فالعالِم أكمل من الجاهل[٣]، والدَّلائل الدَّالة علىٰ علم الله كثيرة، مثل أنه سبحانه خالق كلِّ شيءٍ بإرادته.

---

(١) البخاري (١٧٥) ومسلم (١٩٢٩) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.
(٢) (د، ع): «المعلم».
(٣) (ي): «فالعلم أكمل من الجهل».

والإرادة تستلزم تصوُّر المراد، فلابد أن يعلم المخلوقات قبل أن يخلقها.

وكلُّ ما وجد في الخارج فهو موجود وجودًا معيّنًا يمتاز به عن غيره، فإذا خلقها كذلك فلابد أن يعلمها علمًا مفصَّلًا[1] يمتاز به كل معلوم عما سواه، ولو قُدِّرَ أنه علمها علىٰ وجه كليٍّ فقط لم يكن علم منها شيئًا؛ لأنَّ الكُلِّيَّ إنما يكون كليًّا في الأذهان، وأما ما هو موجودٌ في الخارج فهو مُعَيَّنٌ مختصٌّ بعينه ليس بكلِّيٍّ.

وكلُّ واحدٍ من الأفلاك معيَّن، فلو لم يعلم إلا الكلِّيَّات لم يكن عالمًا بشيءٍ من الموجودات، وقد بُسِط في غير هذا الموضع تمامُ الكلام علىٰ هذا[2]، وبُيِّنَ فساد شُبَه نفاة ذلك بما ادعوه من لزوم التغيُّر أو التكثُّر، وبُيِّنَ أنه لا يلزم من ثبوت عِلْم الله بالأشياء كلِّها علىٰ وجه التفصيل محذورٌ ينفيه دليلٌ صحيح.

فإن التكثُّر فيما يقوم به من المعاني هو مدلول الأدلَّة العقليَّة والسمعيَّة؛ فإنه عالمٌ قادرٌ حي[3]، وليس العلم هو القدرة، ولا القدرة هي الحياة، ولا الصِّفة هي الموصوف. ومَن جعَل كلَّ صفةٍ هي الأخرىٰ، وجعل الصِّفات هي الموصوف، فهو قولٌ في غاية السَّفْسَطة.

وأيضًا فإنه خالق العالمين من الملائكة والجنِّ والإنس، وجاعلهم[4] علماء، فيمتنع أن يجعل غيره عالمًا مَن ليس هو في نفسه بعالم، فإن العلم صفةُ كمال، ومن يعلمُ أكملُ ممن لا يعلم، وكلُّ كمالٍ للمخلوق فهو من الخالق، فيمتنع أن يكون المخلوق أكمل من الخالق، وأيضًا فإن في الممكنات المحْدَثة

---

(١) (و، ي): «منفصلًا».

(٢) انظر: «درء التعارض» (١٠/ ٢٩، ١٦٦)، «مجموع الفتاوىٰ» (١٢/ ٥٩٥).

(٣) بعدها في (و) «القدرة»، والظاهر أنها مقحمة، وقد كتبت في (ي) ثم ضرب عليها.

(٤) (و، ي): «وأيضًا فإنه جاعلهم».

المخلوقة ما هو عالم، والواجب القديم الخالق أكمل من الممكن المحدَث، فيمتنع أن يتَّصف بالكمال الموجود النَّاقص الخسيس دون الموجود الكامل الشَّريف، وهذا يتناول معنىٰ حجَّتِهم[1].

وأيضًا فإنه حيٌّ، والحياة مستلزمةٌ لجنس العلم، وإذا كانت حياته أكمل من كلِّ حياة فعلمه أكمل من كلِّ علم، لكن يقال لكم: كما أنه حيٌّ عالمٌ فهو أيضًا قادر، كما[2] ذكرتم بأن الموجودات أو الأحياء تنقسم إلىٰ قادرٍ وغير قادر، فيجب أن يوصف بأجلِّ القسمين، وهو القدرة.

لا سيَّما ودلائلُ كونه قادرًا أظهرُ من دلائل كونه عالمًا، فإن نفس كونه خالقًا فاعلًا يستلزم كونَه قادرًا؛ فإنَّ الفعل بدون القدرة ممتنع، حتىٰ إذا قيل: إن الجماد يفعل فإنما يفعل بقوة فيه، كالقوىٰ الطَّبيعيَّة التي في الأجسام الطبيعيَّة، فيمتنع في خالق العالم أن لا يكون له قوة ولا قدرة. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨]، وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

وفي «صحيح البخاري»[3] حديث الاستخارة: «**اللَّهُمَّ إني أسْتخيرُكَ بعلْمِكَ وأسْتقدِرُكَ بقُدْرَتِكَ، وأسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ ولا أَقْدِر، وتعْلَمُ ولا أعْلَمُ، وأنتَ علَّامُ الغُيُوبِ**».

وكثيرٌ من نُظَّارِ المسلمين المصنِّفين في أصول الدين الذين يقيمون الدليل علىٰ كونه قادرًا قبل كونه عالمًا وحيًّا، ويقولون: العلم بذلك أسبق في السلوك

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٧٦).

(٢) في الأصول عدا (ي): «فيما». (ي) «بما». وكتب في هامش (و): «لعله كما». وهو الذي أثبتُّه.

(٣) (٦٣٨٢) عن جابر رضي الله عنه.

الاستدلاليِّ النظريِّ؛ لدلالة الإحداث والفعل علىٰ قدرة المحدث الفاعل، فيجب أن يثبتوا له صفة القدرة مع العلم.

وكذلك يقولون: إن الحيَّ لمَّا كان ينقسم إلىٰ سميعٍ وغير سميع، وبصيرٍ وغير بصير، وصفناه بأشرف القسمين، وهو السَّميع والبصير.

وكذلك في النُّطق إذا أريد به البيان والعبارة ولم يرد به مجرَّد العلم، أو معنًى من جنس العلم، فإن الحيَّ ينقسم إلىٰ متكلِّمٍ مُبيِّنٍ معبِّرٍ عمَّا في نفسه، وإلىٰ ما ليس كذلك، فيجب أن تصفوه بأشرف القسمين، وهو الكلام المُبَيِّنُ المعبِّر عمَّا في النَّفس من المعاني.

ومما يُستدلُّ به علىٰ ثبوت جميع صفات الكمال أنه لو لم يوصف بكونه حيًّا عالمًا قادرًا سميعًا بصيرًا متكلِّمًا لوصف بضدِّ ذلك، كالموت والجهل والعجز والصَّمم والبَكَم والخَرَس، ومعلومٌ وجوب تقدُّسه عن هذه النقائص، بل هذا معلومٌ بالضَّرورة العقليَّة، فإنه أكملُ الموجودات وأجلُّها وأعظمُها، وربُّ كلِّ ما سواه وخالقُه ومالكُه، وجاعلُ كلِّ ما سواه[1] حيًّا عالمًا قادرًا سميعًا بصيرًا متكلمًا، فيمتنع أن يكون هو شيئًا عاجزًا جاهلًا أصمَّ أبكمَ أخرسَ، بل من المعلوم بضرورة العقل أن المتصف بهذه النقائص يمتنع أن يكون فاعلًا، فضلًا عن أن يكون خالقًا لكلِّ شيء.

ولبعض الملاحدة من المتفلسفة ومن اتبعهم هنا سؤالٌ مشهور[2] وهو: أنه إنما يلزم إذا لم يتصف بصفات الكمال أن يوصف بأضدادها إذا كان قابلًا لها، فأما إذا لم يكن قابلًا لها لم يلزم.

---

(١) (و، ي): «غيره» بدل: «كل ما سواه».

(٢) انظر: «درء التعارض» (٢/ ٢٢٢)، «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٨٨).

قالوا: وهذه الصِّفات متقابلةٌ تقابُل العدم والمَلَكَة، وهو عدم الشيء عمَّا من شأنه أن يكون قابلًا له كعدم الحياةِ والسَّمعِ والبصرِ والكلامِ عن الحيوان الذي هو القابل له، فإذا لم يكن قابلًا له كالجماد فلا يُسَمَّىٰ مع عدم الحياة والسَّمع والبصر والكلام ميتًا ولا أصمَّ ولا أعمىٰ ولا أخرس.

وجواب ذلك من أوجه:

أحدها: أنه إمَّا أن يكون قابلًا للاتصاف بصفات الكمال، وإما أن لا يكون.

فإن لم يكن قابلًا لزم أن يكون أنقص ممَّن قبلها ولم يتصف بها، فالجماد أنقص من الحيوان الذي لم يتصف بعدُ بصفات كماله.

وإن كان قابلًا لها لزم إذا[1] عَدِمَها أن يتَّصف بأضدادها.

وهؤلاء قد يقولون: في إثباتها تشبيهٌ له بالحيوان. فيقال لهم: وفي نفيها تشبيهٌ له بالجماد الذي هو أنقص من الحيوان، فإذا لم يكن في نفيها تشبيهٌ له بالجماد، فكذلك لا يكون في إثباتها تشبيهٌ له بالحيوان، وإن كان في ذلك تشبيهٌ بالحيوان[2] فهو محذور، فالمحذور في تشبيهه بالجماد أعظم، وإن لم يكن مثل هذا التشبيه محذورًا في ذلك، فأن لا يكون محذورًا في هذا بطريق الأَوْلىٰ.

الوجه الثاني: أنَّ جَعْلَهم سلبَ الموتِ والصَّمم والبكم عن الجماد لزعمهم أنه غيرُ قابلٍ له اصطلاحٌ محض؛ فإنه موجودٌ في كلام الله تسمية الجماد ميتًا، كما قال تعالىٰ في الأصنام: ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ﴾ [النحل: ٢١].

---

(١) ضبطت «إذًا» بالتنوين في (و) خطأ.

(٢) «وإن كان في ذلك تشبيه بالحيوان» ساقطة من (و) لانتقال النظر.

الثالث: أنه يكفي عدم هذه الصِّفات، فإنَّ مجرَّدَ عدم الحياة والعلم والقدرة صفة نقص، سواءٌ قُدِّر الموصوف قابلًا لها أو غير قابل، بل إذا قُدِّر أنه غيرُ قابلٍ لها كان ذلك أبلغَ في النقص.

فعُلِم أن نفيَ هذه الصفات عنه ونفيَ قبولها يوجب أن يكون أنقصَ[1] من الحيوان الأعمىٰ الأصمِّ الذي يقبلها وإن لم يتصف بها.

الوجه الرابع: أن الكمال في الوجود، والنَّقصَ في العدم، فنفس ثبوت هذه الصِّفات كمال، ونفس نفيها نقص، وإن لم يتصف بها لزم نقصُه، وأن يكون المفعول أكمل من الفاعل، وأن يكون المحدَث الممكن[2] المخلوق[3] أكمل من القديم الأزليِّ الواجبِ الوجود الخالق، وهذا ممتنعٌ في بدايه العقول، وهذه الأمور مبسوطةٌ في غير هذا الموضع[4]. ولكن نبَّهنا عليها هنا لبيان بعض الطرق التي بها تعرف صفات الرب، وبيانِ أن هؤلاء القوم من أجهل أهل الملل بالرَّبِّ والطرقِ التي يُعرف بها كمالُه في العقليَّة والسَّمعيَّة، وأن القوم عندهم من ألفاظ الأنبياء ما لم يفهموا كثيرًا منه، وما حرَّفوا كثيرًا منه، وعندهم من المعقول[5] في ذلك ما يفضُلُهم اليهود فيه، لكن اليهودَ وإن كانوا أعلم[6] منهم فهم أعظم عنادًا وكِبراً وجحدًا للحق، والنصارىٰ أجهل وأضلُّ من اليهود، لكن هم أعبد وأزهد وأحسن أخلاقًا، ولهذا كانوا أقربَ مودةً للذين آمنوا من اليهود والمشركين.

---

(١) (و): «النقص».

(٢) (و، ي): «الممكن المحدث».

(٣) «المخلوق» ليست في (د، ع، ط.النيل).

(٤) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٢١)، (٨/ ٢١).

(٥) (و، ي): «المعقولات».

(٦) (د، ع، ط.النيل): «أعظم».

فصل

قالوا: «والثلاثة أسماء فهي: إلهٌ واحد، وربٌ واحد، وخالقٌ واحد، مسمًّى واحدٌ لم يزل ولا يزول، شيئًا حيًّا ناطقًا، أي: الذات، والنطق، والحياة. فالذَّات عندنا: الأب الذي هو ابتداء الاثنين. والنطق: الابن الذي هو مولودٌ منه كولادة النطق من العقل. والحياة: هي الروح القدس»(١).

والجواب عن هذا من وجوه:

الأول: أن أسماء الله تبارك و تعالىٰ متعدِّدةٌ كثيرةٌ، فإنه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤]. وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]. وقال تعالىٰ: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن

---

(١) ورد هذا النص في «رسالة بولس» (ص٤١٨) هكذا: «والثلاثة الأسماء هي: الإله الواحد الذي لم يزل ولا يزال، شيئًا حيًّا ناطقًا، فالذّات عندنا: الأب. والابن: الناطق. الحياة: روح القدس».

﴿تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ١-٨].

وفي «الصحيحين»[1] عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**إنَّ للهِ تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أحْصَاها دخَلَ الجنَّةَ**». وهذا معناه في أشهر قولي العلماء وأصحِّهما أن من أسمائه تعالىٰ تسعة وتسعين اسمًا[2]، من أحصاها دخل الجنة، وإلا فأسماؤه تبارك و تعالىٰ أكثرَ من ذلك، كما في الحديث الآخر الذي رواه أحمد في «مسنده»، وأبو حاتم في «صحيحه»[3]، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما أصابَ عبدًا قطُّ همٌّ ولا حزنٌ فقال: اللَّهُمَّ إني عبْدُكَ ابنُ عبدِكَ ابنُ أمَتِكَ، ناصيتِي بيدِكَ، ماضٍ فيَّ حُكْمُكَ، عدلٌ فيَّ قضَاؤكَ، أسألُكَ بكُلِّ اسمٍ هو لكَ سمَّيْتَ به نفسَكَ، أو أنزَلْتَه في كتابكَ، أو علَّمتَه أحدًا من خَلْقِكَ، أو استأْثَرْتَ بهِ في عِلْمِ الغَيْبِ عِندكَ، أن تجْعَلَ القُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، ونُورَ صَدْرِي، وجَلاءَ حُزْنِي، وذَهَابَ هَمِّي وغَمِّي، إلّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّه وغَمَّه، وأَبْدَلَه مَكَانَه فرحًا. قَالُوا: يا رَسُولَ اللهِ، أفلا نَتَعَلَّمُهُنَّ، قال: بلىٰ ينْبغي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أن يَتَعَلَّمَهُنَّ**».

---

(١) البخاري (٢٧٣٦) ومسلم (٢٦٧٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «اسمًا» ليست في (و، د).

(٣) «مسند أحمد» (٣٧١٢) «صحيح ابن حبان» (٩٧٢). وقد أورد الدارقطنيُّ هذا الحديثَ في «العلل»(٥/ ٢٠٠-٢٠١)، فذكر طريق أبي سلمة الجهني، وطريق عبد الرحمن بن إسحاق، كلاهما عن القاسم، عن أبيه، عن ابن مسعود، وطريق علي بن مسهر، عن عبدالرحمن بن إسحاق، عن القاسم، عن ابن مسعود، مرسلا، ثم قال: وإسناده ليس بالقوي.
وفي إسناده علّتان: أبو سلمة الجهني، والعلّة الأخرىٰ الانقطاع. قال الحاكم بعد تخريجه للحديث: «صحيحٌ علىٰ شرط البخاريّ إن سلم من إرسال عبد الرحمن عن أبيه». قال الذَّهبي معقبًا: «وأبو سلمة لا يدرىٰ من هو، ولا رواية له في الكتب الستة».

وإذا كانت أسماء الله كثيرة، كالعزيز والقدير وغيرها، فالاقتصار علىٰ ثلاثة أسماء دون غيرها باطل، وأيُّ شيءٍ زعم الزَّاعم في اختصاص هذه الأسماء به دون غيرها[1] فهو باطل، كما قد بُسِط في موضعٍ آخر[2].

الوجه الثاني: قولهم: «الأب: الذي [هو][3] ابتداء الاثنين، والابن: النطق الذي هو مولودٌ منه، كولادة النطق من العقل» كلامٌ باطل؛ فإن صفات الكمال لازمةٌ لذات الربِّ ﷻ أولًا وآخرًا، لم يزل ولا يزال حيًّا عالمًا قادرًا، لم يَصِر حيًّا بعد أن لم يكن حيًّا، ولا عالمًا بعد أن لم يكن عالمًا.

فإذا قالوا: «إن الأب الذي هو الذَّات هو ابتداء الحياة والنطق» اقتضىٰ ذلك أن يكون الأب قبل الحياة والنطق، وأن يكون فاعلًا للحياة والنطق، فإنَّ ما كان ابتداءً لغيره يكون متقدِّمًا عليه أو فاعلًا له، وهذا في حق الله باطل.

وكذلك قولهم: «إن النطق مولودٌ منه كولادة النطق من العقل»؛ فإن المولود من غيره متولِّد منه، فيحدث بعد أن لم يكن، كما يحدث النطق شيئًا فشيئًا، سواءٌ أريد بالنطق العلمُ أو البيانُ، فكِلاهُما لم يكن لازمًا للنَّفْس الناطقة، بل حدث فيها واتَّصفت به بعد أن لم يكن، وإن كانت قابلةً له ناطقةً[4] بالقوة، فإذا مثَّلوا تولُّد[5] النطقِ من الرَّبِّ كتولُّده عن العقل لزم أن يكون الرَّبُّ كان ناطقًا بالقوة، ثم صار ناطقًا بالفعل، فيلزم أنه صار عالمًا بعد أن لم يكن عالمًا، وهذا من أعظم الكفر وأشدِّه استحالة؛ فإنه لا شيء غيره يجعله متَّصفًا بصفات

---

(١) «به دون غيرها» ليست في (و). وفي (ي) سقطت «به» فقط.

(٢) انظر ما مضىٰ (٢/ ١٨٦)، وما سيأتي (٢/ ٤٠٧)، «الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٦/ ٥٨٨).

(٣) ساقطة من (الأصول)، وقد وردت في (٢/ ٢١٦).

(٤) بعدها في (د، ع، ط.النيل): «له».

(٥) (د، ع، ط.النيل): «قوله».

الكمال بعد أن لم يكن متصفًا بها؛ إذ كل ما سواه فهو مخلوقٌ له وكماله منه، فيمتنع أن يكون هو جاعلُ الرَّبِّ سبحانه و تعالىٰ كاملًا.

وذلك دورٌ ممتنعٌ في صريح العقل؛ إذ كان الشيء لا يَجعل غيرَه متَّصفًا بصفات الكمال حتىٰ يكون هو متصفًا بها، فإذا لم يتصف بها حتىٰ جعله غيره متصفًا بها لزم الدور الممتنع، مِثْلُ كونِ كلٍ من الشَّيئين فاعلًا للآخر وعلةً له أو لبعض صفاته المشروطة في الفعل، فتبيَّن بطلانُ كونِ نطقه متولِّدًا منه كتولُّدِ النطق من العقل، كما بطل أن يكون لصفاته اللازمة له ما هو مبدأ لها متقدِّمٌ عليها، أو فاعلٌ لها.

الوجه الثالث: أن قولهم في الابن: «إنه مولودٌ من الله» إن أرادوا به أنه صفةٌ لازمةٌ له، فكذلك الحياة صفةٌ لازمةٌ لله، فيكون روحُ القدس أيضًا ابنًا ثانيًا، وإن أرادوا به أنه حصل منه بعد أن لم يكن، لزم أن يكون صار عالمًا بعد أن لم يكن عالمًا، وهذا مع كونه باطلًا وكفرًا فيلزم مثله في الحياة، وهو أنه صار حيًّا بعد أن لم يكن حيًّا.

الوجه الرابع: أن تسمية حياة الله «روح القدس» أمرٌ لم ينطق به شيءٌ من كتب الله المنزَّلة، فإطلاق «روح القدس» علىٰ حياة الله من تبديلهم وتحريفهم.

الوجه الخامس: أنهم يدَّعون أن المتَّحد بالمسيح هو الكلمة الذي هو العلم، وهذا إن أرادوا به نفس الذَّات العالمةِ الناطقةِ، كان المسيح هو الأب، وكان المسيح نفسه هو الأب، وهو الابن، وهو روح القدس، وهذا عندهم وعند جميع الناس باطلٌ وكفر.

وإن قالوا: «المتَّحد به هو العلم» فالعلم صفةٌ لا تفارقُ العالم، ولا تفارقُ الصِّفةَ الأخرىٰ التي هي حياة، فيمتنع أن يتَّحد به العلمُ دون الذَّات، ودون الحياة.

الوجه السَّادس: أن العلم أيضًا صفةٌ، والصِّفة[1] لا تخلق ولا ترزق، والمسيحُ نفسه ليس هو صفةً قائمةً بغيرها باتفاق العقلاء، وأيضًا فهو عندهم خالق السماوات والأرض، فامتنع أن يكون المتَّحد به صفةً، فإن الإله المعبود هو الإله الحيُّ العالم القادر، وليس هو نفسَ الحياة، ولا نفسَ العلم والكلام.

فلو قال قائل: يا حياة الله، أو يا علم الله، أو يا كلام الله، اغفر لي وارحمني واهدني، كان هذا باطلًا في صريح العقل، ولهذا لم يجوِّز أحدٌ من أهل الملل أن يقال للتَّوراة أو الإنجيل وغير ذلك من كلام الله: اغفر لي وارحمني، وإنما يقال للإله المتكلِّم بهذا الكلام: اغفر لي وارحمني.

والمسيح عليه السلام عندكم هو الإله الخالق الذي يقال له: اغفر لنا وارحمنا، فلو كان هو نفسَ علم الله وكلامه لم يجز أن يكون إلهًا معبودًا، فكيف إذا لم يكن هو نفسَ علم الله وكلامه، بل هو مخلوقٌ بكلامه حيث قال له: كن فيكون؟

يبيِّنُ[2] ذلك أن كلمات الله كثيرةٌ لا نهاية لها، وفي الكتب الإلهيَّة كالتَّوراة أنه خلق الأشياء بكلامه، وكان في أوَّل التَّوراة أنه قال: «ليكن كذا ليكن كذا»[3].

ومعلومٌ أن المسيح ليس هو كلماتٌ كثيرة، بل[4] غايته أن يكون كلمةً واحدة؛ إذ هو مخلوقٌ بكلمةٍ من كلمات الله عز وجل.

---

(١) «والصفة» ليست في (و، ي).

(٢) (و) «فيبين». (د، ع، ط.النيل): «فتبين» وفي هامش (د): نسخة «يبين ذلك» وهو المثبت. وفي (المطبوعتين) زيادة «من» بعدها: «فتبيّن من».

(٣) سفر التكوين. الإصحاح (١)، فقرة (١-٦).

(٤) بعدها في (و): «هو».

الوجه السَّابع: أن أمانتكم التي وضعها أكابرُكم بحضرة قُسْطَنطين، وهي عقيدة إيمانكم التي جعلتموها أصلَ دينكم، تُناقض ما تدَّعونه من أن الإله واحد، وتُبيّن أنكم تقولون لمن يناظركم خلافَ ما تعتقدونه.

وهذان أمران معروفان في دينكم:[1] تناقضُكم، وإظهارُكم في المناظرة خلاف ما تقولونه من أصل دينكم، فإن الأمانة التي اتَّفق عليها جماهير النَّصارىٰ يقولون فيها:

«أومن بإلهٍ واحد، أبٍ ضابط الكل، خالق السماوات والأرض، كلِّ ما يُرىٰ وما لا يُرىٰ، وبربٍّ واحدٍ يسوع المسيح ابن الله، الوحيد، المولود من الأب قبل كلِّ الدّهور، نورٍ من نور، إلهٍ حقٍّ من إلهٍ حقٍّ، من جوهر أبيه، مولودٍ غيرِ مخلوق، مساوٍ للأب في الجوهر الذي به كان كلُّ شيء، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسَّد من روح القُدُس، ومن مريم العذراء، وتأنَّسَ وَصُلِبَ وتألَّمَ وَقُبِرَ، وقام في اليوم الثالث -علىٰ ما في الكتب المقدَّسة- وصعد إلىٰ السماء، وجلس عن يمين الأب. وأيضًا سيأتي بمجده لِيَدِينَ الأحياءَ والأموات، الذي لا فناء لمُلْكِه، وبروح القُدُس الربِّ المحيي المنبثق من الأب الذي هو مع الأب والابن المسجود له، وممجَّدٌ ناطقٌ في الأنبياء، كنيسةٌ واحدةٌ جامعةٌ رسُوليَّة، وأعترف بمعموديَّةٍ واحدةٍ لمغفرة الخطايا، وابنٍ جاء قيامة الموتىٰ، وحياة الدَّهر العتيد[2] كونه، آمين»[3].

(١) المثبت من (و، هامش د)، وفي باقي النسخ: «إيمانكم».
(٢) (ط.النيل): «العبيد».
(٣) تقدّمت الإشارة إلىٰ هذه الأمانة غير مرة. انظر: (١/ ١٧٣، ٢٥٣).

ففي هذه الأمانة التي جعلتموها أصل دينكم ذكر الإيمان بثلاثة أشياء:

«بإلهٍ واحد، خالقِ السَّماوات والأرض، خالقِ ما يُرىٰ وما لا يُرىٰ» فهذا هو ربُّ العالمين الذي لا إله غيره، ولا ربَّ سواه، وهو إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب وسائر الأنبياء والمرسلين، وهو الذي دَعَتْ جميع الرسل إلىٰ عبادته وحده لا شريك له، ونَهوا أن يُعْبَد غيرُه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وقال تعالىٰ: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

ثم قلتم: «وبربٍّ واحدٍ، يسوع المسيح، ابنِ الله الوحيد، المولود من الأب قبل كلِّ الدهور، نورٍ من نور، إلهٍ حقٍّ من إلهٍ حقٍّ، من جوهر أبيه، مولودٍ غير مخلوق، مساوٍ الأبَ في الجوهر».

فصرَّحتم بالإيمان مع خالق[1] السماوات والأرض بربٍ واحدٍ مخلوقٍ مساوٍ الأب، ابنِ الله الوحيد، وقلتم: «هو إلهٌ حقٌّ من إلهٍ حقٍّ من جوهر أبيه» وهذا تصريحٌ بالإيمان بإلهين، أحدُهما من الآخر.

وعِلْمُ الله القائم به أو كلامه أو حكمته القائمة به الذي سمَّيتموه ابنًا.

ولم يسمِّ أحدٌ من الرُّسل لصفة الله ابنًا ليس هو إله حقٌّ من إلهٍ حقٍّ، بل إلهٌ واحد، وهذا صفة الإله، وصفة الإله ليست بإله، كما أن قدرته وسمعه وبصره وسائرَ صفاتِه ليست بآلهة، ولأن الإله واحد، وصفاته متعدِّدة، والإله ذاتٌ متَّصفةٌ بالصِّفات قائمةٌ بنفسها، والصفة قائمةٌ بالموصوف، ولأنكم سمَّيتم الإله

(١) (و): «خلق».

جوهرًا، وقلتم: هو القائم بنفسه، والصِّفةُ ليست جوهرًا قائمًا بنفسه.

وهم في هذه الأمانة قد جعلوا الله والدًا وهو الأب، ومولودًا وهو الابن، وجعلوه مساويًا له في الجوهر.

وقد نزَّه الله نفسه عن الأنواع الثلاثة. فقالوا: «مولودٌ غير مخلوق، مساوٍ الأبَ في الجوهر» فصرّحوا بأنه مساوٍ له في الجوهر، والمساوي ليس هو المساوىٰ.

ولا يساوي الأب في الجوهر إلا جوهر، فوجب أن يكون الابن[1] جوهرًا ثانيًا، وروح القدس جوهرٌ ثالثٌ كما سيأتي. وهذا تصريح بإثبات ثلاثة جواهر، ثلاثة آلهة.

ويقولون مع ذلك: «إنما نثبت جوهرًا واحدًا وإلهًا واحدًا».

وهذا جمعٌ بين النقيضين وهو حقيقةُ قولهم، يجمعون بين جعْلِ الآلهة واحدًا، وإثبات ثلاثة آلهة، وبين إثبات جوهرٍ واحد، وبين إثبات ثلاثة جواهر، وقد نزَّه الله نفسه عن[2] هذا بقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤]. فنزَّه نفسه أن يلد كما يقولون: هو الأب، وأن يولد كما يقولون: هو الابن، وأن يكون له كفوًا أحد، كما يقولون: إن له من يساويه في الجوهر.

وإذا قلتم: نحن نقول: أحديُّ الذات ثلاثيُّ الصفات.

قيل لكم: قد صرَّحتم بإثبات إلهٍ حقٍّ من إله حق، وبأنه مساوٍ للأب في

(١) المثبت من (و) وفي النسخ: «الأب».

(٢) (و، د، ع) بعدها: «ذلك» حشو، وضرب عليها في (ي)، (المطبوعتين): «عن ذلك بقوله».

الجوهر، وهذا تصريحٌ بإثبات جوهرٍ ثاني لا بصفة، فجمعتم بين القولين: بين إثبات ثلاثة جواهر، وبين دعوىٰ إثبات جوهرٍ واحد.

ولا ينجيكم عن هذا اعتذار من اعتذر منكم كيحيىٰ بن عدي[1] ونحوه حيث قالوا: هذا بمنزلة قولك: زيدٌ الطبيب الحاسب الكاتب، ثم تقول: زيدٌ الطبيب وزيدٌ الحاسب وزيدٌ الكاتب[2]، فهو مع كل صفةٍ له حكمٌ خلافُ حكمه مع الصِّفة الأخرىٰ. وقد يفسِّرون الأقنوم بهذا فيقولون: الأقنوم هو الذات مع الصفة، فالذَّات مع كل صفةٍ أقنوم، فصارت الأقانيم ثلاثة.

لأن هذا المثال لا يطابق قولكم، فإن زيدًا هنا هو جوهر واحد له ثلاث صفات: الطبُّ والحساب والكتابة، وليس هنا ثلاثة جواهر، ولكن لكل صفةٍ حكمٌ ليس للأخرىٰ.

ولا يقول عاقل: إن الصِّفة مساويةٌ للموصوف في الجوهر، ولا أَنَّ الذَّات مع هذه الصِّفة تساوي الذَّات مع الصِّفة الأخرىٰ في الجوهر؛ لأنّ الذَّات واحدة، والمساوي ليس هو المساوىٰ، ولأن الذات مع الصِّفة هي الأب، فإن كان هذا هو الذي اتَّحد بالمسيح فالمتَّحد به هو الأب، ولأنكم قلتم عن هذا الذي قلتم: «إنه إله حقٌّ من إلهٍ حق، من جوهر أبيه الذي هو مساوٍ الأبَ في الجوهر: إنه[3] نزل وتجسَّد من روح القدس، ومن مريم العذراء، وتأنَّس وصُلب وتألَّم» فاقتضىٰ ذلك أن يكون الإله الحقُّ المساوي للأب في الجوهر

---

(١) الفيلسوف، نزيل بغداد، نصرانيٌّ يعقوبيٌّ انتهت إليه رئاسة المنطق ومعرفة العلوم الحكمية. وله ولع بالتصانيف. مات سنة أربع وستين وثلاثمائة. انظر: «أخبار العلماء» للقفطي (ص٢٧٠)، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص٣١٧).

(٢) «تقول: زيد الطبيب وزيد الحاسب وزيد الكاتب» ساقطة من (و) لانتقال النظر.

(٣) (د، ع، ط.النيل): «الذي».

صُلِب وتألَّم، فيكون اللَّاهوت مصلوبًا متألِّمًا، وهذا تُقِرُّ به طوائفُ منكم، وطوائفُ تنكره، لكن مقتضىٰ أمانتكم هو الأول.

وأيضًا فإذا كان تجسَّد من روح القدس ومريم، فإن كان روح القدس هو حياة الله كما زعمتم فيكون المسيح كلمة الله وحياته، فيكون لاهوته أقنومين من الأقانيم الثلاثة، وعندهم إنما هو أقنوم الكلمة فقط، وإن كان روح القدس ليس هو حياة الله بطل تفسيركم لروح القدس بأنه[١] حياة الله. وقيل لكم: لا يجب أن يكون روح القدس صفةً الله ولا أقنومًا.

ثم ذكرتم في عقيدة أمانتكم: أنكم تؤمنون بروح القدس الربِّ المحيي. فأثبتُّم[٢] ربًّا ثالثًا؛ قلتم: المنبثق من الأب. والانبثاق: الانفجار، كالاندفاق والانصباب، ونحو ذلك، يقال: بَثَقَ السيلُ موضع كذا يبْثُقه بثقًا أي: خرقه وشقَّه، فانبثق أي: انفجر[٣]. فاقتضىٰ ذلك أن يكون هذا الربُّ المحيي انفجر من الأب واندفق منه.

ثم قلتم: «هو مع الأب مسجود له ومُمَجَّدٌ ناطق في الأنبياء»[٤] فجعلتموه مع الأب مسجودًا له فأثبتُّم إلهًا ثالثًا يُسجد له.

ومعلومٌ أن حياة الله التي هي صفته[٥] ليست منبثقةً منه، بل هي قائمةٌ به لا تخرج عنه البتة، وهي صفةٌ لازمةٌ له لا تتعلَّق بغيره، فإن العلم يتعلَّق بالمعلومات، والقدرةَ بالمقدورات، والتكليمَ بالمخاطبين، بخلاف التكلُّم فإنه

---

(١) المثبت من (ي) وفي النسخ: «فإنه».

(٢) (و): «فأتيتم».

(٣) انظر: «لسان العرب» (١٠/ ١٣)، «تاج العروس» (٢٥/ ٣٢).

(٤) (و): «الأشياء» وكذا كانت في (ي) فأصلحها إلىٰ المثبت.

(٥) (ي): «صفة».

صفةٌ لازمة، يقال: عَلِم الله كذا، وقدر اللهُ علىٰ كلِّ شيءٍ، وكلَّم الله موسىٰ.

وأما الحياة: فاللفظ الدالُّ عليها لازمٌ لا يتعلَّق بغير الحيّ، يقال: حييٰ يحييٰ حياة، ولا يقال: حييٰ كذا ولا بكذا، وإنما يقال: أحيا كذا، والإحياء فِعْلٌ غير كونه حيًّا، كما أن التَّعليم غيرُ العلم، والإقدارَ غير القدرة، والتَّكليمَ غير التَّكلُّم.

ثم جعلتم «روح القدس» هذا ناطقًا في الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وحياة الله صفةٌ قائمةٌ به لا تَحُلُّ في غيره.

و«روحُ القدس» الذي يكون في الأنبياء والصَّالحين ليس هو حياة الله القائمة به، ولو كان «روح القدس» الذي في الأنبياء هو أحد الأقانيم الثلاثة لكان كلٌّ من الأنبياء إلهًا معبودًا قد اتَّحد ناسوته باللَّاهوت كالمسيح عندكم، فإن المسيح لمَّا اتحد به أحد الأقانيم صار ناسوتًا ولاهوتًا، فإذا كان «روح القدس» الذي هو أحد الأقانيم الثلاثة ناطقًا في الأنبياء كان كلٌّ منهم فيه لاهوتٌ وناسوت كالمسيح، وأنتم لا تُقِرُّون بالحلول والاتِّحاد إلا للمسيح وحده مع إثباتكم لغيره ما ثبت له.

وهم تارة يشبِّهون الأقنومين: العلم والحياة التي يسمُّونها: «الكلمة» و«روح القدس» بالضِّياء والحرارة التي للشَّمس مع الشَّمس، ويشبِّهون ذلك بالحياة والنطق الذي للنَّفس مع النَّفس، وهذا تشبيهٌ فاسد؛ فإنهم إن أرادوا بالضَّياء والحرارة ما يقوم بذات الشمس فذلك صفةٌ للشمس قائمةٌ بها لم تَحُلَّ بغيرها ولم تتَّحد بغيرها، كما أن صفة النفس كذلك، هذا إن قيل: إن الشَّمس تقوم بها حرارة، وإلا فهذا ممنوع. **والمقصود هنا: بيانُ فسادِ كلامِهم وقياسِهم.**

وإن أرادوا ما هو بائنٌ عن الشمس قائمٌ بغيرها، كالشُّعاع القائم بالهواء والأرض، والحرارة[1] القائمة بذلك، كان هذا دليلًا علىٰ فساد قولهم من وجوه:

منها: أن هذه أعراضٌ منفصلةٌ[2] بائنةٌ عن الشمس قائمةٌ بغيرها لا بها، ونظير هذا ما يقوم بقلوب الأنبياء من العلم والحكمة والوحي الذي أنذروا به، وعلىٰ هذا التقدير فليس في النَّاسوت شيءٌ من اللَّاهوت، وإنما فيه آثار حكمته وقدرته.

ومنها: أن الحرارة والضوء القائمَ بالهواء والجدران أعراضٌ قائمةٌ بغير الشمس، و«الكلمة» و«روح القدس» عندهم هما جوهران.

ومنها: أن هذا ليس هو الشَّمس ولا صفةٌ من صفات الشَّمس، وإنما هو أثرٌ حاصلٌ في غير الشَّمس بسبب الشَّمس، ومثل هذا لا يُنكَرُ قيامُه بالأنبياء والصَّالحين، ولكن ليس للمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ بذلك اختصاص، فما حلَّ بالمسيح حلَّ بغيره من المرسلين، وما لم يَحُلَّ بغيره لم يحلَّ به، فلا اختصاص له بأمرٍ يوجب أن يكون إلهًا دون غيره من الرُّسل، ولا هنا اتِّحادٌ بين اللَّاهوت والنَّاسوت، كما لم تتَّحد الشَّمس ولا صفتها القائمة بها بالهواء، والأرض التي حصل بها الشُّعاع والحرارة.

---

(١) «والحرارة» ساقطة من (و).

(٢) «منفصلة» ضرب عليها في (ي).

فصـــل[1]

قالوا: «وهذه الأسماء لم نُسَمِّه نحن معشر النصارىٰ بها من ذات أنفسنا، بل الله سمَّىٰ لاهوتَه بها، وذلك أنه قال علىٰ لسان موسىٰ النَّبيِّ في التَّوراة مخاطبًا لبني إسرائيل قائلًا: «أليس هذا الأبُ الذي صنَعك وبراك واقتناك»[2]؟ وعلىٰ لسانه أيضًا قائلًا: «وكان روح الله ترِفُّ علىٰ الماء»[3]. وقوله علىٰ لسان داود النَّبيّ: «روحُك القدسُ لا تُنزَع مني»[4]. وأيضًا علىٰ لسانه: «بكلمة الله تَشَدَّدت السماوات والأرض، وبروح فاه جميع فواهن»[5].

وقوله: علىٰ لسان أشعيا: «يَيْبَسُ القتاد، ويَجِفُّ العشب، وكلمة الله باقية إلىٰ الأبد»[6]. وعلىٰ لسان أيوب الصِّدِّيق: «روح الله خلقني وهو يعلمني»[7].

وقال السيد المسيح في الإنجيل المقدس للتَّلاميذ الأطهار: «اذهبوا إلىٰ جميع العالم وعمِّدوهم باسم الأب والابن وروح القدس، إلهٍ واحد،

---

(١) (ع) في الهامش: «فصل في الأب وروح القدس»

(٢) جاء في سفر التثنية تحت عنوان: «نشيد موسىٰ»، الإصحاح (٣٢)، فقرة (٦): «أليس هو أبوك الذي خلقك، الذي صنعك وأقامك».

(٣) جاء في سفر التكوين، الإصحاح (١)، فقرة (٤): «وروح الله يرِفُّ علىٰ وجه المياه».

(٤) سفر المزامير، الإصحاح (٥١)، فقرة (٦).

(٥) كذا في الأصول: «فواهن» وجاء في سفر المزامير، الإصحاح (٣٣)، فقرة (٢): «بكلمة الرب صُنعت السماوات، وبروح فمه صنع كل جيشها». وفي «رسالة بولس» (ص٤١٨): «وبروح فيه كل قوّاتها».

(٦) جاء في سفر أشعيا، الإصحاح (٤٠)، فقرة (٧): «العشب ييبس، وزهره يذوي، وأما كلمة إلهنا فتبقىٰ للأبد».

(٧) جاء في سفر أيوب، الإصحاح (٣٣)، فقرة (٤): «روح الله هو الذي صنعني، ونسمة القدير أحيتني».

وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به»[1].

وقد قال في هذا الكتاب: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٧١]، وقال أيضًا: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [المائدة: ١١٠]، وقال أيضًا: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]

وقال في سورة التحريم: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢]، وسائر المسلمين يقولون: «إن الكتاب كلامُ الله ولا يكون كلامٌ[2] إلا لحيٍّ ناطق، وهذه صفات جوهريَّةٌ تجري مجرىٰ الأسماء، وكلُّ صفةٍ منها غير الأخرىٰ، والإله واحدٌ لا يتبعَّض ولا يتجزَّأ».

والجواب من وجوه:

أحدها: أن نقول[3]: إن كلام الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يكون إلا حقًّا وصدقًا، ولا يكون فيه شيءٌ يُعلم بطلانه بصريح العقل، وإن كان فيه ما يعجز العقل عن معرفته بدون إخبار الأنبياء، ولا يكون كلامُ النَّبيِّ الذي يخبِرُ به مناقضًا لكلامه في موضعٍ آخر، ولا لكلام سائر الأنبياء، بل كل ما أخبرت به الأنبياء فهو حقٌّ وصدق، يصدِّق بعضه بعضًا.

---

(١) تقدَّم هذا النص عن المسيح عليه السلام مرارًا.

(٢) كذا بالرفع، والكلام من مقول النصارىٰ. وفي (ع): «كلاما».

(٣) بعدها في (ي): «لولا».

وقد أوجب الله علينا أن نؤمن بكلِّ ما أخبروا به، وحكم[1] بكفر من آمن ببعض ذلك وكفر ببعضه، فما عُلم بصريح العقل لا يناقِض ما عُلم بالنَّقل الصحيح عن الأنبياء، وما عُلم بالنَّقل الصَّحيح عن بعضهم لا يناقض ما عُلم بالنَّقل الصَّحيح عن غيره، ولكن قد يختلف بعضُ الشرع والمناهجِ في الأمر والنهي.

فأما ما يخبرون به عن الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وغير ذلك، فلا يجوز أن يناقض بعضه بعضًا.

وإذا كان كذلك فما ينقلونه عن الأنبياء إنما تتمُّ الحجَّة به إذ عُلِم إسناده ومتنه، فَيُعْلَم أنه منقولٌ عنهم نقلًا صحيحًا، ونعلم أن ترجمته من العِبْرِيَّة إلىٰ اللِّسان الآخر كالرُّوميَّة والعربيَّة والسُّريانيَّة ترجمةٌ صحيحة، ويُعْلَم بعد ذلك أنهم أرادوا به ذلك المعنىٰ.

وليس مع النَّصارىٰ حجةٌ عن الأنبياء تَثْبُتُ فيها هذه المقدِّمات الثلاث، ونحن في هذا المقام يكفينا المنع، والمطالبة لهم بتصحيح هذه المقدِّمات؛ فإنهم ادَّعوا أن التَّثليث أخذوه عن الأنبياء، فنحن نطالبهم بتصحيح هذه المقدِّمات.

والجواب الثاني: أنَّا نبيِّن تفسير ما ذكروه من الكلمات، أما قوله علىٰ لسان موسىٰ عليه السلام مخاطبًا لبني إسرائيل قائلا: «أليس هذا الأب الذي صنعك وبراك واقتناك»؟ فهذا فيه أنه سمَّاه أبًا لغير المسيح عليه السلام، وهذا نظير قوله لإسرائيل:

(١) (د): «وأخبر»، (ع): «وأخبروا».

«أنت ابني بِكْري»، ولداود: «ابني وحَبيبي». وقول المسيح: «أبي وأبيكم» وهم يسلِّمون أن المراد بهذا في حق غير المسيح بمعنىٰ الربِّ لا معنىٰ التولُّد[1] الذي يخصُّون به المسيح.

الثالث: أن هذا حجةٌ عليهم، فإذا كان في الكتب المتقدِّمة تسميته أبًا لغير المسيح وليس المراد بذلك إلا معنىٰ الرب، عُلم أن هذا اللفظ في لغة الكتب يرادُ به الربّ، فيجب حمله في حقِّ المسيح علىٰ هذا المعنىٰ؛ لأن الأصل عدم الاشتراك في الكلام.

الرابع: أن استعماله في المعنىٰ الذي خصُّوا به المسيح إنما يثبت إذا علم أنه أريد المعنىٰ الذي ادّعوه في المسيح، فلو أُثبت ذلك المعنىٰ بمجرد إطلاق لفظ الأب لَزِم الدَّوْر، فإنه لا يعلم أنه أُريد به ذلك المعنىٰ من حيث يُثبَت أنه كان يراد به في حق الله هذا المعنىٰ، ولا يُثبَت ذلك حتىٰ يُعلم أنه أريد به ذلك المعنىٰ في حق المسيح، فإذا توقَّف العلم بكلٍّ منهما علىٰ الآخر لم يُعلم واحدٌ منهما، فتبيَّن أنه لا عِلْم عندهم بأنه أُريد في حقِّ المسيح بلفظ الأب ما خصُّوه به في محلِّ النِّزاع.

الوجه الخامس: أنه لا يوجد[2] في كتب الأنبياء وكلامهم إطلاق اسم «الأب» والمراد به أبُ اللاهوت، ولا إطلاق اسم «الابن» والمراد به شيءٌ من اللَّاهوت، لا كلمتُه ولا حياتُه، بل لا يوجد لفظ «الابن» إلا والمراد به المخلوق، فلا يكون لفظ «الابن» إلا لابنٍ مخلوق.

---

(١) (د): «المتولد».

(٢) (ع): «يؤخذ».

وحينئذٍ فيلزم من ذلك أن يكون مسمَّىٰ «الابن» في حقِّ المسيح هو النَّاسوت، وهذا يُبطل قولهم: إن «الابن» و«روح القدس» أنهما صفتان لله، وأن المسيح اسمٌ للَّاهوت والنَّاسوت.

فتبيَّن أن نصوص كتب الأنبياء تُبطل مذهب النصارىٰ، وتناقض أمانتهم، **فهم بين أمرين:**

بين الإيمان بكلام الأنبياء وبطلان دينهم، وبين تصحيح دينهم وتكذيب الأنبياء[1]. وهذا هو المطلوب.

---

(١) «وبطلان دينهم وبين تصحيح دينهم وتكذيب الأنبياء» ساقطة من (و) لانتقال النظر.

فصل

قالوا: «وعلىٰ لسانه أيضًا قائلًا: «وكان روح الله تَرِفُّ علىٰ الماء».

فيقال: هذا في السِّفر الأول «سفر الخليقة» في أوله، لمَّا ذكر أنه في البدء خلق السماوات والأرض، وأنه كانت الأرض مغمورةً[1] بالماء، وكانت روح الله تَرِفُّ علىٰ الماء= أخبر أنه كان الماء فوق التراب، والهواءُ فوق الماء، وروحُ الله هي الريح التي كانت فوق الماء.

هذا تفسير جميع الأمم من المسلمين واليهود وعقلاء النصارىٰ.

ولفظ الكلمة بالعِبْريَّة «رُوّح» بضم الراء وتشديد الواو، وهي الروح.

والريح تسمىٰ روحًا، وجمعها أرواح، ولم يُرِد بذلك أن حياة الله كانت ترفُّ علىٰ الماء؛ فإن هذا لا يقوله عاقل، فإن حياة الله صفةٌ قائمةٌ به لا تفارقه ولا تقوم بغيره، فيمتنع أن تقوم بماءٍ أو غيره فضلًا عن أن ترفَّ علىٰ الماء، والذي يرفُّ علىٰ الماء جسمٌ قائمٌ بنفسه، وهذا إخبارٌ عن الرِّيح التي كانت تتحرَّك فوق الماء.

ومثلُ هذا قولُ النبيِّ ﷺ: **«لا تَسُبُّوا الرِّيحَ فَإِنَّها مِن رَوْحِ اللهِ، تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ وَتَأْتِي بِالعَذَابِ، فَلا تَسُبُّوها، ولكِنْ تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ شَرِّها وسَلُوا اللهَ خَيْرَهَا»**[2]. وقوله: **«إِنِّي لأَجِدُ نَفَسَ الرَّحْمَنِ مِنْ قِبَلِ اليَمَنِ»**[3].

---

(١) (د، ي، ع، ط.النيل): «معمورة».

(٢) أبو داود (٥٠٩٧) وابن ماجه (٣٧٢٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وقد ذكر الدارقطني في «علله» (٨/ ٢٧٦) اختلاف الرواة فيه علىٰ الزهري ثم قال: «والصحيح حديث الزهري، عن ثابت بن قيس الزرقي، عن أبي هريرة». وحسنه النووي في خلاصة الأحكام (٢/ ٨٨٦). وثبت التعوذ بالله من شر الريح وسؤاله من خيرها في «صحيح مسلم» (٨٩٩).

(٣) «مسند أحمد» (١٠٩٧٨) قال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (ص١٢٢): «رجاله ثقات». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٥٦): «رجاله رجال الصحيح غير شبيب، وهو ثقة».

فصـل

قالوا: وقوله علىٰ لسان داود النبي ﷺ: «رُوحُكَ القُدُسُ لا تُنْزَع مني».

فيقال: هذا دليلٌ علىٰ أن «روح القدس» كانت في داود، فعُلم بذلك أن «روح القدس» التي كانت في المسيح من هذا الجنس، فعلم بذلك أن «روح القدس» لا تختصُّ بالمسيح، وهم يسلِّمون[1] ذلك، فإن ما في الكتب التي بأيديهم في غير موضعٍ أن «روح القدس» حلَّت في غير المسيح في داود، وفي الحواريِّين، وفي غيرهم.

وحينئذٍ فإن كان «روح القدس» هو حياة الله ومن حلّت فيه يكون لاهوتًا، لزم أن يكون إلهًا، لزم أن يكون كلُّ هؤلاء فيهم لاهوتٌ وناسوتٌ كالمسيح، وهذا خلاف إجماع المسلمين والنَّصارىٰ واليهود.

ويلزم من ذلك أيضًا أن يكون المسيح فيه لاهوتان: «الكلمة»، «وروح القدس» فيكون المسيح مع النَّاسوت أقنومين: أقنوم الكلمة، وأقنوم روح القدس.

وأيضًا فإن هذه ليست صفةً لله قائمةً به، فإن صفة الله القائمة بل وصفةَ كلِّ موصوفٍ لا تفارقه وتقوم بغيره، وليس في هذا أن الله اسمه «روحُ القدس»، ولا أن حياته اسمها «روح القدس»، ولا أن «روح القدس» الذي تجسَّد المسيح[2] منه ومن مريم هو حياة الله ﷻ.

---

(١) (د، ع): «يعلمون» وفي هامشهما: نسخة كالمثبت.

(٢) «المسيح» ليس في (د، ع).

وأنتم قلتم: «إنا معاشر النصارىٰ لم نسمّه بهذه الأسماء من ذات أنفسنا، ولكن الله سمَّىٰ لاهوتَه بها».

وليس فيما ذكرتموه عن الأنبياء أن الله سمَّىٰ نفسه ولا شيئًا من صفاته بروح القدس، ولا سمَّىٰ نفسه ولا شيئًا من صفاته ابنًا، فبطل تسميتكم لصفته التي هي الحياة بروح القدس، ولصفته التي هي العلم بالابن.

وأيضًا فأنتم تزعمون أن المسيح مختصٌّ بالكلمة والروح، فإذا كانت «روح القدس» في داود عليه السلام والحواريِّين وغيرهم= بطل ما خصَصْتم به المسيح، وقد عُلم بالاتِّفاق أن داود عَبْدُ الله ﷺ، وإن كانت «روح القدس» فيه، كذلك المسيْحُ عبد الله وإن كانت «روح القدس» فيه، فما ذكرتموه عن الأنبياء حُجَّةٌ عليكم لأهل الإسلام، لا حُجَّةٌ لكم.

فصل

قالوا: وأيضًا علىٰ لسان داود النبي عليه السلام: «بكلمة الله تشدَّدت السَّماوات والأرض، وبروح فاه جميع فواهن»[1].

فيقال: أما قوله: «بكلمة الله تشددت السماوات والأرض» فهو أيضًا حُجَّةٌ عليكم لوجوه:

أحدها: أن الله خلق الأشياء بكلمته التي هي «كن»، كما قال في التوراة: «ليكن كذا، ليكن كذا، ليكن كذا» وكذلك في الزَّبور: «لأنه قال فكانوا، وهو أمر فخُلقوا»[2]. فجعل كونهم عن قوله.

ومثل قوله في الزَّبور[3]: «الكلُّ بحكمةٍ صَنَعْتُ»[4].

وفي القرآن: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. وليس المسيح هو هذه الكلمات.

الثاني: أن «كلمة الله» اسم جنس، فإن كلمات الله لا نهاية لها. قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

والتَّوراة تدل علىٰ تعدُّد الكلمات، وإذا كان كذلك فالمسيح ليس هو

(١) تقدّم التنبيه علىٰ قوله: «وبروح فاه جميع فواهن» (٢/ ٢٢٨).
(٢) جاء في سفر المزامير، الإصحاح (١٤٨)، الفقرة (٥): «فلتسبح اسم الرب؛ فإنه هو أمر فخلقت».
(٣) بعدها في (و): «لأنه قال فكانوا» مقحمة.
(٤) جاء في سفر المزامير، الإصحاح (٤٢)، الفقرة (٢٤): «ما أعظم أعمالَك يارب، لقد صنعت جميعها بالحكمة».

مجموع الكلمات، بل خلق بكلمة منها.

الثالث: أن المسيح عندكم هو الخالق، وأنتم مع قولكم: «إنه الابن والكلمة»، تقولون: «إنه الإله الخالق» وتقولون: «إنه إله حقٌّ من إلهٍ حق» وتقولون: «إله واحد» فتجمعون بين النقيضين.

وإذا كان هو الخالق فهو الذي يشدِّدُ السماوات والأرض، لا يقال: به تشدَّدت السَّماوات والأرض، وإنما يقال «به» فيما كان[1] صفةً للموصوف، فيقال: خلق الله الأشياء بكن، وخلق الأشياء بقدرته. وقوله: «بكلمته تشدَّدت السماوات والأرض» يقتضي أن الكلمة صفةٌ فُعِلَ بها، لا أنها[2] هي الخالقة، والمسيح عندكم هو الخالق ليس هو صفةً خُلق بها.

الرابع: أن «كلمة الله» يراد بها جنس كلماته، كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠]. وكقول النبي ﷺ: «**من قاتَلَ لِتكُونَ كَلِمةُ اللهِ هي العُلْيَا فهُوَ في سَبِيلِ اللهِ**»[3].

وحينئذٍ فالمراد أن الله أقام السَّماوات والأرض بكلمته، كقوله: «كن» وليس في هذا تعرُّضٌ للمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وأما نقْلُكم أنه قال: «وبروح فاه جميع فواهن» فهذه الكلمة سواء كانت حقًّا أو باطلًا، لا حجَّة لكم فيها؛ لأنه إن أريد بهذه الكلمة «حياة الله» فإثبات

---

(١) بعدها في (و): «لا».

(٢) (و، ي، ط.النيل): «لأنها» وفيه تحريف للمعنىٰ.

(٣) البخاري (٢٨١٠) مسلم (١٩٠٤) عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حياة الله حق، وهو لم يسمِّ[1] «حياة الله» روح القدس كما زعمتم.

وإن أراد شيئًا غير «حياة الله» لم تنفعكم، فأنتم ادَّعيتم حياة الله روح القدس حتىٰ قلتم مراده في الإنجيل بقوله: «عمِّدوا الناسَ باسم الأب والابن وروح القدس» هو «حياة الله»، وادَّعيتم أن الأنبياء سمَّوه بذلك، ولم تذكروا نقلًا عن الأنبياء أنهم سمَّوا حياته «روح القدس»، بل ذكرتم عنهم ما يوافق ما في القرآن أن «روح القدس» ليس المراد بها «حياة الله»، ولو قُدِّر أن هذا اللفظ استُعمل في هذا وهذا لم يتعيّن أن المسيح أراد بقوله: روح القدس «حياة الله»، فكيف إذا لم يستعمل في كلام الأنبياء -صلوات الله عليهم وسلامه عليهم أجمعين- في حياة الله قط؟!

---

(١) (و، ي): «بعدمهم» كتبت بلا نقط. وقد كانت هكذا في (د) ثم ضرب عليها وأصلحها إلىٰ المثبت.

فصـل

قالوا: «وقوله على لسان أيوب الصدِّيق: «روح الله خلقني وهو يعلمني»[1].

فيقال: هذا لا حجَّة فيه؛ لأنكم ادَّعيتم أن الأنبياء سمَّت «حياةَ الله» روح القدس، وهذا لم يقل «روح القدس»، بل قال: روح الله.

وروح الله يراد به[2] الملك الذي هو روحٌ اصطفاه الله فأحبَّها[3]، كما قال في القرآن: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٧-١٩].

فقد أخبر أنه أرسل إليها روحَه فتمثَّل لها بشرًا سويًّا، وتبيَّن أنه رسوله.

فعُلم أن المراد بالرُّوح: مَلَكٌ، هو روحٌ اصطفاها فأضافها إليه كما يضاف إليه الأعيان التي خصَّها بخصائص يحبُّها، كقوله: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشمس: ١٣]، وقوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦]. وقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦].

والمضاف إلى الله: إن كان صفةً لم تقم بمخلوقٍ كالعلم والقدرة والكلام والحياة كان صفةً له، وإن كان عينًا قائمةً بنفسها أو صفةً لغيره كالبيت والناقة والعبد والرُّوح كان مخلوقًا مملوكًا مضافًا إلى خالقه ومالكه، لكنَّ الإضافة تقتضي اختصاص المضاف بصفاتٍ تَمَيَّز بها عن غيره حتى استحقَّ الإضافة، كما اختصَّت الكعبة والنَّاقة والعباد الصالحون بأن يقال فيهم: «بيت الله»

---

(١) تقدمت الإشارة إلى هذا النص (٢/ ٢٢٨).

(٢) (ع): «بها».

(٣) (و): «اصطفاها الله وأحبها».

و«ناقة الله» و«عباد الله» كذلك اختصَّت الروح المصطفاة بأن يقال لها: «روح الله».

بخلاف الأرواح الخبيثة كأرواح الشَّياطين والكفَّار، فإنها مخلوقة لله[1] ولا تضاف إليه إضافة الأرواح المقدَّسة، كما لا تضاف إليه الجمادات كما تضاف[2] الكعبة، ولا نُوْقُ النَّاس كما تضاف ناقة صالح التي كانت آيةً من آياته، كما قال تعالىٰ: ﴿هَـٰذِهِۦ نَاقَـةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [الأعراف: ٧٣].

وإذا كان كذلك؛ فهذا اللفظ إن كان ثابتًا عن النَّبيِّ وتُرْجِم ترجمةً صحيحة فقد يكون معناه أن المَلَكَ صوَّرني في بطن أمي وهو يعلِّمني، فإنّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إذا مَرَّ بالنُّطْفَةِ ثِنتَانِ وأربعُونَ ليْلةً بَعَث اللهُ إليها مَلَكًا فصوَّرَها وخلَقَ سمْعَها وبصَرَها وجِلْدَها ولحْمَها وعِظَامَها، ثمَّ قال: يا ربِّ أذكرٌ أم أنثىٰ، فيَقْضِي ربُّك ما شَاء، ويَكْتُبُ المَلَكُ، ثمَّ يقُولُ: يا ربِّ أجلُه؟ فيقول رَبُّك ما شاء، ويَكْتُبُ المَلَكُ، ثمَّ يقُولُ: يا ربِّ رِزْقُهُ؟ فيقُولُ ربُّكَ ما شَاء، ويَكْتُبُ المَلَكُ، ثمَّ يَخْرُجُ المَلكُ بالصَّحِيفَةِ في يَدِهِ، فلا يُزادُ علىٰ أمرٍ ولا يُنْقَصُ**» رواه مسلم[3] من حديث حذيفة بن أسيدٍ الغفاري.

وقد يقال: مِن هذا قوله في الزبور[4] في مزمور الخليقة: «تُرسِلُ روحَك فيُخْلَقون»[5]. وفي المزمور أيضًا: «هو قال فكانوا وأمر فخُلِقوا»[6].

---

(١) (و): «به».

(٢) بعدها في (و): «إليه».

(٣) (٢٦٤٥).

(٤) «في الزبور» ليست في (و).

(٥) جاء في سفر المزامير، الإصحاح (١٠٤)، الفقرة (٣٠): «تُرسِل روحَك فيخلَقون».

(٦) «وفي المزمور أيضًا هو قال فكانوا وأمر فخلقوا» ليست في (و). وقد جاء في سفر المزامير، الإصحاح (١٤٨)، الفقرة (٥): «فإنه هو أمر فخُلِقَت».

فقد يضاف الخلق إلىٰ الملك.

ومن هذا الباب قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى﴾ [المائدة: ١١٠].

فأخبر أنه يخلق من الطِّين كهيئة الطيْرِ فيكون طيرًا بإذن الله، وكذلك المَلَك يخلق النُّطفةَ في الرَّحِم بإذن الله.

ولا يجوز أن يريد به أن حياة الله خلقَتْني وتعلِّمُني، فإن الصِّفة لا تَخْلق ولا تُعَلِّم، وإنما يَخْلق ويُعَلّم الربُّ الموصوف الذي خلق الإنسان من علق، الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، ولكن هو سبحانه يخلق بواسطة الملائكة؛ فإن الملائكة رسل الله في الخلق، فجاز أن يُضاف الفعلُ إلىٰ الوسائط تارة، وإلىٰ الربِّ أخرىٰ، وهذا موجودٌ في الكتب الإلهيَّة في غير موضعٍ، كما في القرآن: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وفي موضعٍ آخر: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]. وفي موضعٍ ثالث: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

والجميع حقٌّ، فإذا وُجِدَ لفظٌ له معنًى في كلام بعض الأنبياء ولم يوجد له معنًى يخالف ذلك من كلامهم= كان حمله علىٰ ذلك المعنىٰ أولىٰ من حمله علىٰ معنًى يخالف كلامهم، ولا يوجد في كلامهم أن حياة الله تسمىٰ «روحًا» ولا أنَّ صفات الله تخلق المخلوقات.

فصل

قالوا: وقوله: علىٰ لسان أشعيا النبي: «يَيْبس القتاد، ويَجِفُّ العُشْب، وكلمته باقيةٌ إلىٰ الأبد».

فيقال: إما أن يريد بكلمة الله علمَه، أو كلمةً معينة، أو تكون «كلمة الله» اسمَ جنس، وعلىٰ التقديرات الثَّلاثة لا حجَّةَ لكم في ذلك؛ فإنه إن كان «كلمةُ الله» اسمَ جنسٍ لكلِّ ما تكلَّم الله به، كما قال: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠] وقال النَّبيُّ ﷺ: «من قاتَلَ لِتكُونَ كلمةُ اللهِ هي العُلْيا فهُوَ في سَبيلِ الله»[١].

ولهذا جمعها في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]. وفي قوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] فالمُرادُ بذلك أن ما قاله الله فهو حقٌّ ثابتٌ لا يبطل.

كما قال تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

يعني بتمامها: نفاذ[٢] ما وعدهم به من النَّصر علىٰ فرعون وإهلاكه، وإخراجهم إلىٰ الشام.

---

(١) متفق عليه. وقد تقدّم.

(٢) (و): «فعاد».

وقال تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، ومنه قوله: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧].

وقوله: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥]، ومن هذا الباب قول المسيح: «السماء والأرض يزولان، وكلامي لا يزول»[(١)].

فإن أراد علم الله: فعلم الله باق، سواءٌ أراد به علمَه القائمَ بذاته أو معلومَه الذي أخبر ببقائه، فلا حجَّة لكم فيه.

وكذلك إن أراد كلمةً معيَّنة؛ فإن المسيح عندكم ليس كلمةً معيَّنةً من كلامه، بل هو عندكم هو «الكلمة»، وهو الله الخالق، وليس في هذا اللفظ ما يدلُّ علىٰ أنه أراد بالكلمة المسيح.

والمسيح عندكم أزليٌّ أبديٌّ لا يوصف بالبقاء دون القِدَم[(٢)]، ولو قُدِّرَ أنه أراد بالكلمة المسيح، فنحن لا ننكر أنه يسمَّىٰ بالكلمة، لأنه قال له: «كن» فكان، كما سيأتي بيان ذلك[(٣)].

ويريد بذلك إما بقاؤه إلىٰ أن ينزل إلىٰ الأرض، وإما أن يُرِيدَ بقاءَ ذِكْرِه والثناءِ عليه، ولسانِ صدقٍ له إلىٰ آخر الزمان.

---

(١) (د، ع، ط.النيل): «هذا لا يتغير» بدل قوله: «لا يزول».
وقد ورد هذا النص في سفر متّىٰ، الإصحاح (٢٤)، الفقرة (٣٥): «السماء والأرض تزولان وكلامي لن يزول».
(٢) (ي): «العدم».
(٣) انظر: (٢/ ٤٨٠).

ومما يوضِّح هذا وأنه ليس المراد به ما يدَّعونه، أنه قال: «وكلمة الله باقية إلىٰ الأبد» فوصفها بالبقاء دون القِدَم(١).

وعندهم أن الكلمة المولودة(٢) من الأب قديمةٌ أزليَّةٌ لم تَزَل ولا تزال، ومثل هذا لا يحتاج أن يوصف بالدَّوام والبقاء، بخلاف ما وعد به من النَّعيم والرحمة والثَّواب، فإنه يوصف بالبقاء والدوام كما في القرآن: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥]

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤].

وفي الزبور: «اعترفوا للربِّ؛ فإنه صالح(٣)، وإنه إلىٰ الأبد رحمته»(٤).

---

(١) (و، ي): «العدم».
(٢) (و، ي): «المذكورة».
(٣) (و): «مليء».
(٤) جاء في سفر المزامير، الإصحاح (١١٨)، الفقرة (١): «احمدوا الرب، لأنه صالح؛ لأن للأبد رحمته».

فصل[1]

قالوا: «وقال السَّيد المسيح في الإنجيل المقدَّس لتلاميذه الأطهار: «اذهبوا إلىٰ جميع الأمم وعمِّدوهم باسم الأب والابن وروح القدس الإله الواحد، وعلِّموهم أن يحفظوا جميعَ ما أوصيكم به»».

فيقال لهم: هذا عمدتكم علىٰ ما تدَّعونه من الأقانيم الثلاثة، وليس فيه شيءٌ يدل علىٰ ذلك لا نصًّا ولا ظاهرًا، فإن لفظ «الابن» لم يُستعمل قطُّ في الكتب الإلهيَّة في معنىٰ صفةٍ من صفات الله، ولم يُسَمِّ أحدٌ من الأنبياء علمَ الله ابنه، ولا سمَّوا كلامه ابنه، ولكن عندكم أنهم سمَّوا عبده أو عباده ابنه أو بنيه،

وإذا كان كذلك فدعواكم أن المسيح أراد بالعلم ابن الله وكلامه= دعوىٰ في غاية الكذب علىٰ المسيح، وهو حملٌ للفظه علىٰ ما لم يستعمله هو ولا غيره فيه لا حقيقةً ولا مجازًا، فأيُّ كذبٍ وتحريفٍ لكلام الأنبياء أعظمُ من هذا.

ولو كان لفظ «الابن» يُستعمل في صفة الله لسُمِّيت حياتُه ابنًا، وقدرتُه ابنًا، فتخصيص العلم بلفظ «الابن» دون الحياة خطأ ثانٍ لو كان لفظ «الابن» يستعمل في صفة الله، فكيف إذا لم يكن كذلك؟

وكذلك[2] «روح القدس» لم يستعملوها في حياة الله ولا أرادوا بهذا اللفظ حياة الله التي هي صفته، وإنما أرادوا بذلك ما ينزله علىٰ الصدِّيقين والأنبياء ويؤيِّدهم به كما في قول داود: «روحك القدس لا تنزع مني».

وعندهم أن «روح القدس» حلَّتْ في الحواريين، وقد قدَّمنا أن «روح

(١) «فصل» ليس في (و، ي).
(٢) «وكذلك» ساقطة من (و).

القدس» يراد به الملَك، ويراد به ما يجعله في القلوب من الهدىٰ والقوَّة، ومنه قوله في بعض النُّبوَّات: «وفي تلك الأيام أسْكُب من روحي علىٰ كل قِدِّيس»[1]. وفي زبور داود: «روحُك الصَّالح يَهْدِيني في أرضٍ مُسْتقيمة»[2].

يوضِّح هذا أنهم قالوا في أمانتهم: «الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسَّد من روح القدس، ومن مريم العذراء». وذكروا أن ذلك في الكتب المقدَّسة، والذي في الكتب المقدَّسة لا يكون إلا حقًّا. ولا ريب أن فيها مثلَ ما في القرآن، وفي القرآن أن الله أرسل روحه إلىٰ مريم فنفخ فيها فحملت بالمسيح عليه السلام، قال تعالىٰ: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝١٧ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ۝١٩ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۝٢١ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [مريم: ١٧-٢٢]. إلىٰ آخر القصة.

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:٩١] وقال تعالىٰ: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ

---

(١) جاء في سفر أعمال الرسل، الإصحاح الثاني، الفقرة (١٧): «سيكون في الأيام الأخيرة، يقول الله: إني أفيض من روحي علىٰ كل بشر».

(٢) جاء في سفر المزامير، الإصحاح (١٤٣)، الفقرة (٣): «ليهديني روحكَ الصالح في أرض مستوية».

﴿مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢].

وهذا الرُّوح هو الرَّسول كما قال: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ[1] لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩]. ونفخ فيها من هذا الرُّوح، فكان المسيح مخلوقًا من هذا الرُّوح ومن أمِّه مريم، كما قالوا في الأمانة: «إنه تجسَّد من مريم ومن روح القدس».

لكن اعتقدوا أن «روح القدس» التي خُلق المسيحُ منها ومن مريم هي حياة الله. وهذا ليس في الكتب ما يدلُّ عليه، بل الكتب كلُّها صريحةٌ في نقيض هذا، وهو أيضًا مناقضٌ لقولهم: إن المتَّحد بالمسيح هو أقنوم الكلمة، وهو العلم، فإن كان قد تجسَّد من مريمَ وأقنومِ الكلمة لم يكن متجسدًا من «روح القدس» وإن كان من «روح القدس» لم يكن[2] من الكلمة، وإن كان منهما جميعًا كان المسيح أقنومين: أقنوم الكلمة وأقنوم الروح.

والنصارىٰ بفرقهم الثلاثة كلهم يقولون: «إنما المتحد به أقنوم الكلمة لا أقنوم الحياة» فتبيَّن تناقضُهم في أمانتهم، وتبيَّن خطؤهم فيما فسَّروا به كلام الأنبياء.

وتبيَّن أنّ ما ثبت عن الأنبياء فهو حقٌّ موافقٌ لما أخبر به محمدٌ خاتم النبيِّين لا يناقض شيئًا[3] من كلام الأنبياء، كما أنه لا يناقض شيئًا من كلامهم صريح المعقول.

---

(١) بعدها في (و): أو «لأهب». قرأ بها ابن كثير وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي، وقالون بخلف عنه. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص٤٠٨).

(٢) بعدها في (ع): «تجسد» وقد وضع خطًا فوق الكلمة.

(٣) (د، ي، ع): «يتناقض شيء».

وتبيَّن أنهم حملوا كلام الأنبياء في لفظ «الابن»، و«روح القدس»، وغيره علىٰ ما لم يوجد استعمال هذا اللفظ فيه، وتركوا حمله علىٰ المعنىٰ الموجود في كلامهم، وهذا من أبلغ ما يكون من تحريف كلامهم عن مواضعِه، وتبديل معاني كلام الله[1]، فكيف يجوز أن يُحمل لفظُ «روحِ القدس» علىٰ معنًى لم يستعمله فيه الأنبياء ولا أرادوه به، ويُترك حملُه علىٰ المعنىٰ المعروف الذي يستعملونه فيه دائمًا؟

وهل هذا إلا من فِعْل مَنْ يُحرِّف كلامَ الأنبياء ويفتري الكذب عليهم؟ بل ظاهر هذا الكلام أن يعمِّدُوهم باسم الأب الذي يريدون به -في لغتهم- الربّ، والابن الذي يريدون به -في لغتهم- المُربَّىٰ، وهو هنا المسيح، و«روح القدس»، وهو «روح القدس» الذي أَيَّدَ الله به المسيح من الملَك والوحي وغير ذلك، وبهذا فَسَّرَ هذا الكلام من فسَّره من أكابر علمائهم.

---

(١) «الابن وروح القدس وغيره...وتبديل معاني كلام الله» وقع بين هاتين العبارتين خلط وحذف في (و)، وقد كان وقع ذلك في (د) فضرب عليه وأصلحه إلىٰ المثبت.

فصلٌ

فهذا ما ذكروه في كتابهم يحتجُّون بها على ما يعتقدونه من الأقانيم الثلاثة قائلين: «إن تسمية الله أنه أبٌ وابنٌ وروحُ القدس أسماء لم نسمِّه نحن النصارى بها[1] من ذوات أنفسنا، بل الله سمَّى لاهوتَه بها».

وقد تبيَّن أنه ليس فيما ذكروه عن الأنبياء ما يدلُّ لا نصًّا ولا ظاهرًا على أن أحدًا من الأنبياء سمّى اللهَ ولا شيئًا من صفاته ابنًا، ولا روحَ قدس.

وتبيَّن أن تسميتهم لعلم الله وكلامه ابنًا، وتسميتَهم لحياته «روحَ القدس» أسماء ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان، وأنه ليس معهم على ما ادَّعوه من الأقانيم حجةٌ أصلًا، لا سمعيّةٌ ولا عقليّةٌ، وأنه ليس لقولهم بالتثليث وحصرهم لصفات الله في ثلاثة مستندٌ شرعيٌّ، كما تبيّن أنه ليس له مستندٌ عقليٌّ، وأن القوم ممن قيل فيهم:

﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]، وممن قيل فيهم: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

---

(١) «بها» ليست في (و).

فصـــل

ثم أخذوا يزعمون أن فيما أنزل علىٰ محمَّدٍ ﷺ حجةً لهم علىٰ الأقانيم التي ادَّعوها، وهم[1] ابتدعوا القول بالأقانيم والتَّثليث قبل أن يُبعث محمدٌ ﷺ، وذلك معروفٌ عندهم من حين ابتدعوا «الأمانة» التي لهم، التي وضعها الثلاثُمائة وثمانيةَ عشرَ منهم بحضرة قُسْطَنطِين الملك، فإذا لم يكن لهم مستندٌ عقليٌّ ولا سمعيٌّ عن الأنبياء قبل[2] محمَّدٍ ﷺ، فكيف يكون لهم مستندٌ فيما جاء به محمَّدٌ ﷺ بعد ابتداعهم الأمانة؟

لا سيَّما مع العلم الظَّاهر المتواتر أن محمَّدًا ﷺ كفَّرهم في الكتاب الذي أُنْزِل عليه، وضلَّلهم وجاهدهم بنفسه وأمر بجهادهم[3]، كقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ [المائدة:١٧]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقال: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾ [المائدة: ٧٣]، وقال: ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡ﴾ [النساء: ١٧١]. ونحو ذلك من الآيات.

---

(١) بعدها في (و، ي): «ابتدعوها وابتدعوا...».

(٢) بعدها في (ع): «مبعث».

(٣) بعدها (و): «الله الذي أنزل عليه قوله...» (د): «الله أنزل عليه» وقد ضرب عليها.

وقالوا: وقد قال في هذا الكتاب أيضًا: «ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا الصالحين»!

فيقال لهم: حرَّفتم لفظ الآية ومعناها؛ فإن لفظها: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

فالكلمة التي سبقت لعباده المرسلين قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ [الصافات: ١٧٢] أخبر أنه سبق منه كلمة لعباده المرسلين لينصرنَّهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: ١٢٩]

وقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود: ١١٠] وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٦].

وقوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورىٰ: ١٤]. وقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

والكلمة في لغة العرب: هي الجملة المفيدة؛ سواءٌ كانت جملةً اسميَّةً أو فعليَّة، وهي القول التام، وكذلك الكلام عندهم هو الجملة التامَّة.

قال سيبويه: واعلم أنهم يحكون بالقول ما كان كلامًا ولا يحكون به ما كان قولًا(١).

---

(١) انظر: «الكتاب» لسيبويه (١/ ١٢٢).

ولكنَّ النَّحاة اصطلحوا علىٰ أن يُسَمُّوا ما تسمِّيه العربُ حرفًا يسمُّونه كلمة، مثل زيد وعمرو، ومثل: قعد وذهب، وكلّ حرفٍ جاءَ لمعنىٰ ليس باسمٍ ولا فعل، مثل: إن، وثم، وهل، ولعل.

قال تعالىٰ: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [الكهف: ٤، ٥]. فسمَّىٰ هذه الجملة كلمة.

وقال تعالىٰ: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، وهو قول: «لا إله إلا الله». وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]. وقال تعالىٰ ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤]

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦]. وقال النبي ﷺ: «**كَلِمتَانِ حَبِيبتَانِ إلىٰ الرَّحْمنِ خَفِيفَتانِ علىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلتَانِ في الميزانِ: سُبْحانَ اللهِ وبحمْدِه، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ**»[(١)]، وقال ﷺ: «**أَصْدَقُ كَلِمةٍ قَالَها شَاعِرٌ، كَلِمةُ لَبِيدٍ**[(٢)]:

(١) البخاري (٦٤٠٦) ومسلم (٢٦٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) هو لبيد بن ربيعة بن عامر الكلابي الجعفري، أبو عقيل الشاعر المشهور، كان فارسًا شجاعًا شاعرًا سخيًّا، قال الشِّعر في الجاهليَّة دهرًا، ثم أسلم ولم يقل في الإسلام شعرًا وقال: أبدلني الله بذلك القرآن. انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (٦/ ١٠٧)، «الإصابة» (٥/ ٥٠٠).

ألا كُلُّ شَيءٍ ما خَلا اللهَ بَاطِلُ»[1]. وقال النبيُّ ﷺ: «**اتَّقُوا النَّارَ ولو بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فمَنْ لم يَجِدْ فبِكَلِمةٍ طَيِّبة**»[2].

ولما شاع عند المشتغلين بالنَّحو استعمالُ لفظِ «الكلمة» في الاسم أو الفعل وحرف المعنىٰ، صاروا يظنُّون أنّ هذا هو كلام العرب، ثم لمَّا وجد بعضهم ما سمعه من كلام العرب أنه يراد بالكلمة الجملةُ التامَّة صار يقول:

وكِلْمة بها كلامٌ قد يُؤم[3]

فيجعل ذلك من القليل، ومنهم من يجعل ذلك مجازًا، وليس الأمر كذلك، بل هذا اصطلاح هؤلاء النحاة، فإن العرب لم يُعرف عنهم أنهم استعملوا لفظ الكلمة والكلام إلا في الجملة التَّامَّة، وهكذا نقل عنهم أئِمَّة النحو كسيبويه وغيره. فكيف يقال: إن هذا هو[4] المجاز، وإن هذا قليل[5].

وهذا كما أن لفظ «القديم» في لغة العرب هو المتقدِّم علىٰ غيره، كما قال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس:٣٩]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١]. وقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ

(١) البخاري (٣٨٤١)، ومسلم (٢٢٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) البخاري (١٤١٧)، ومسلم (١٠١٦) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.
(٣) هذا عجز بيت من «ألفية ابن مالك»، وصدره:

واحدُه كلمةٌ والقولُ عَم

(٤) «هو» ليست في (و).
(٥) بعدها في (المطبوع): «وكثير» حشو. والمؤلف في سياق الإنكار علىٰ من يقول: إن إطلاق لفظ الكلمة علىٰ الجملة التامة قليل.

﴿تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ﴾ [الشعراء: ٧٥ - ٧٦].

ثم إن من أهل الكلام من خَصَّ لفظ القديم بما لم يسبقه عدمٌ، أو ما لم يسبقه غيره، وصار هذا عندهم هو حقيقة اللَّفظ، حتىٰ صار كثيرٌ منهم يظنُّ أن استعمال القديم في المتقدِّم علىٰ غيره مطلقًا مجاز.

فتبيَّن أن مراده تعالىٰ بقوله: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٧١] من جنس قوله: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا﴾ [طه: ١٢٩]. فسبق منه كلمته بما سيكون من نصر المرسلين، وملء جهنَّم من الجنة والناس أجمعين، ونحو ذلك.

فحرّف هؤلاء الضُّلَّال لفظ الآية فقالوا: لعبادنا الصالحين، وجعلوا «الكلمة» هي المسيح، وليس في اللَّفظ ما يدلُّ علىٰ ذلك بوجهٍ من الوجوه، ولا في كون المسيح سَبَقَ لعبادنا المرسلين معنًى صحيح، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

فَصْـلٌ

قالوا: وقال أيضًا: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [المائدة: ١١٠].

فيقال: هذا ممَّا لا ريب فيه، ولا حُجَّة لكم فيه، بل هو حجَّةٌ عليكم؛ فإن الله أيَّد المسيح عليه السلام بروح القدس كما ذكر ذلك في هذه الآية، وقال تعالىٰ: في البقرة: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧]. وقال تعالىٰ: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وهذا ليس مختصًّا بالمسيح، بل قد أيَّد غيره بذلك، وقد ذكروا هم أنه قال لداود: «روحك القدس لا تنزع مني». وقد قال نبينا ﷺ لحسان بن ثابت: **«اللَّهم أيِّده بِرُوحِ القُدُس»**، وفي لفظ: **«رُوْحُ القُدُسِ معَكَ ما دُمْتَ تُنافِحُ عن نبيِّه»** وكلا اللفظين في الصَّحيح[1].

وعند النَّصارىٰ أنَّ الحواريِّين حلَّتْ فيهم «روح القدس»، وكذلك عندهم «روح القدس» حلَّتْ في جميع الأنبياء.

وقد قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ

(١) تقدّمت الإشارة إلىٰ تخريجهما مرارًا.

رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٩٨-١٠٢].

وقد قال تعالىٰ في موضعٍ آخر: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤]. وقال: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧]. فقد تبيَّن أن «روح القدس» هنا: جبريل.

وقال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

وقال تعالىٰ: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢]. وقال: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥].

فهذه الرُّوح التي أوحاها والتي تنزل بها الملائكة علىٰ من يشاء من عباده غيرُ الرُّوحِ الأمين التي تنزل بالكتاب، وكلاهما يُسَمَّىٰ روحًا، وهما متلازمان؛ فالرُّوح التي ينزل بها الملك مع الرُّوح الأمين التي ينزل بها «روحُ القدس» يراد بها هذا وهذا.

وبكلا القولين فسَّر المفسِّرون قوله في المسيح: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾، ولم يقل أحدٌ: إن المراد بذلك حياة الله، ولا اللفظ يدل علىٰ ذلك ولا استعمل فيه.

وهم إما أن يسلِّموا أن «روح القدس» في حقِّ غيره[1] ليس المراد بها حياة الله، فإذا ثبت أن لها معنًى غيرَ الحياة، فلو استُعملت في حياة الله أيضًا لم يتعيَّن أن يراد بها ذلك في حق المسيح[2]، فكيف ولم يستعمل في حياة الله في حق المسيح[3]؟

وإما أن يدَّعوا أن المراد بها حياة الله في حق الأنبياء والحواريِّين، فإن قالوا ذلك لزمهم أن يكون اللَّاهوت حالًّا في جميع الأنبياء والحواريِّين، وحينئذٍ فلا فرق بين هؤلاء وبين المسيح.

ويلزمهم أيضًا أن يكون في المسيح لاهوتان: لاهوت الكلمة، ولاهوت الرُّوح[4]، فيكون قد اتَّحد به أقنومان.

ثم في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧]، يمتنع أن يراد بها حياة الله، فإن حياة الله صفةٌ قائمةٌ بذاته لا تقوم بغيره، ولا تختصُّ ببعض الموجودات غيره، وأما عندهم فالمسيح هو الله الخالق؛ فكيف يؤيَّد بغيره؟

وأيضًا فالمتَّحد بالمسيح هو «الكلمة» دون الحياة، فلا يصحُّ تأييده بها.

فتبيَّن أنهم يريدون أن يحرِّفوا القرآن كما حرَّفوا غيره من الكتب المتقدِّمة، وأن كلامهم في تفسير[5] المتشابه من الكتب الإلهيَّة من جنسٍ واحد.

---

(١) يعني غير المسيح.
(٢) بعدها في (و): «في حق المسيح ذلك» تقديم وتأخير.
(٣) عبارة: «في حق المسيح» مكررة؛ لأن الكلام تم بدونها.
(٤) (و): «المزاج» كذا.
(٥) (و): «تدبر».

فصل

قالوا: «وقال أيضًا: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾» [النساء: ١٦٤].

فيقال لهم: وأي حُجَّةٍ لكم في هذا؟ وإنما هو حجَّةٌ عليكم، فإنه قد ثبت أن الله كلَّم موسىٰ تكليمًا، وكلام الله الذي سمعه منه موسىٰ عليه السلام ليس هو المسيح، فعُلِم أن المسيح ليس هو كلام الله، وعندهم هو كلمة الله، وهو عِلْم الله، وهو الله.

ومعلومٌ أن كلام الله كثير، كالتوراة، والإنجيل، والقرآن، وغير ذلك من كلامه، وليس المسيح شيئًا من ذلك، والمسيح عندهم خالق، ولو كان المسيح نفسَ كلام الله لم يكن خالقًا ولا معبودًا، فإن كلام الله لم يخلق السماوات والأرض، ولا كلام الله هو الإله المعبود، بل كلامه كسائر صفاته مثل حياته(١) وقدرته، ولا يقول أحد: يا عِلْمَ الله اغفر لي، ولا يا كلام الله اغفر لي. وإنَّما يُعبد ويُدعىٰ الإله الموصوف بالعلم والقدرة والكلام الذي كلم(٢) موسىٰ تكليمًا.

(١) بعدها في (و): «وعلمه».

(٢) بعدها في (ع، ي، ط.النيل): «الله». وفي (ع) وضع خطًا فوق الكلمة.

فصل

قالوا: وقال أيضًا في سورة التحريم: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢].

فيقال: أمَّا قوله تعالىٰ: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢]، وقوله: في سورة الأنبياء: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١].

فهذا قد فسَّره قوله تعالىٰ: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٧- ١٩].

وفي القراءة الأخرىٰ: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾[1].

فأخبر أنه رسوله وروحه، وأنه تمثَّل لها بشرًا، وأنه ذكر أنه رسول الله إليها، فعُلم أن روحه مخلوقٌ مملوكٌ له، ليس المراد حياته التي هي صفته ﷻ.

وكذلك قوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١]. وهو مثل قوله في آدم عليه السلام: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩].

وقد شُبِّه المسيح بآدم في قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ

---

(١) «وفي القراءة الأخرىٰ: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ ساقطة من (و). وقد تقدَّم التنبيه علىٰ اختلاف هذه القراءة (٢/ ٢٤٧).

﴿مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

والشبهة في هذا نشأت[١] عند بعض الجهَّال من أن[٢] الإنسان إذا قال: «روحي» فروحه هي الرُّوح التي في البدن[٣]، وهي عينٌ قائمةٌ بنفسها، وإن كان من الناس من يعني بها الحياة.

والإنسان مؤلَّفٌ من بدن وروح، وهي عينٌ قائمةٌ بنفسها عند سلف المسلمين وأئمتهم وجماهيرِ الأمم.

والربُّ تعالىٰ منزَّهٌ عن هذا، وأنه ليس مركَّبًا من بدنٍ وروح، ولا يجوز أن يراد بروحه ما يريد الإنسان بقوله: «روحي» بل[٤] تضاف إليه ملائكته وما يُنَزِّله علىٰ أنبيائه من الوحي والهدىٰ والتأييد ونحو ذلك[٥].

---

(١) في هامش (د، ع): نسخة «في هذا الباب» بدل قوله: «في هذا نشأت».
(٢) (و): «لأن» بدل «من أن».
(٣) كذا العبارة في (و): «إذا قال روحي فهي روحه من الروح التي في البدن».
(٤) (و): «بأن».
(٥) بعدها في (و، ي): «وقد يراد بروحه» والظاهر أنها حشو، وقد ضرب عليها في (د).

فصل

قالوا: «وسائر المسلمين يقولون: إن الكتابَ كلامُ الله، ولا يكون كلامٌ إلا لحيٍّ ناطق، وهذه صفاتٌ جوهرية تجري مجرىٰ الأسماء، وكلُّ صفةٍ منها غير الأخرىٰ، فالإله واحد، خالقٌ واحد، وربٌّ واحد، لا يتجزّأ».

فيقال لهم: أما قول المسلمين: إن الكتاب -أي القرآن- كلام الله، فهذا حقٌّ، والكلام لا يكون إلا لمتكلَّم.

والمسلمون يقولون: إن الله حيٌّ متكلم، وإنه تكلَّم بالتَّوراة والإنجيل والقرآن وغير ذلك من كلامه، والقرآن قد أخبر بكلام الله في مواضعَ كثيرة.

وهل يسمَّىٰ الربُّ ناطقًا وكلامه نطقًا؟ فيه نزاع، فبعض المسلمين يجيزه، وبعضهم يمنع منه لكونه[1] لم يَرِدْ به الشَّرع، وليس في التوراة والإنجيل والزَّبور تسميةُ الله ناطقًا، بخلاف لفظ القول[2] والكلام.

وقد تنازع المسلمون بعد ظهور البدع فيهم كما تنازع أهل الكتاب في كلام الله، هل هو قائمٌ به؟ أو مخلوقٌ منفصل عنه؟

والذي عليه سلف الأمة وأئمتُها وجمهورُها أن كلام الله قائمٌ به، وكذلك سائر ما يوصف به: من الحياة والقدرة وغير ذلك.

وأحدث قومٌ منهم بعد انقراض الصَّحابة وأكابرِ التابعين بعد أكثرَ من مائة[3] سنةٍ من موت النبي ﷺ أنه مخلوقٌ خلقه في غيره، وشاركهم في هذه البدعة كثيرٌ من اليهود والنصارىٰ.

---

(١) (و): «لكنه».

(٢) (و): «القرآن».

(٣) (و): «ثلاثمائة».

وظهرت هذه المقالة بعد المائة الثانية، وانتصر لها قومٌ من الولاة وغيرهم، ثم أطفأها الله بمن أقامه من أئمَّة الإسلام والسُّنة الذين بيَّنوا فسادها، وبيَّنوا ما اتَّفق عليه السَّلف من أن كلام الله منزَّلٌ منه غير مخلوق، بل منه بدأ، لم يبتدئ من شيء من المخلوقات، ومع هذا فلم يقل أحدٌ من المسلمين: إن كلام الله يكون إلهًا ولا ربًّا.

وكذلك حياته: لم يقل أحدٌ منهم: إن حياته تكون إلهًا ولا ربًّا، ولا إنَّه مساوٍ للربِّ تعالىٰ في الجوهر.

فصــل

وأما قـولهم: «هـذه صـفاتٌ جوهريَّـةٌ تجـري مجرىٰ الأسـماء» فـإن أرادوا بقولهم: «جوهرية» أن كلَّ صـفةٍ جـوهر، فهـذا كـلامٌ ظـاهرُ الفسـاد؛ فـإنّ الصِّـفة القائمةَ بغيرها لا تكون جوهرًا قائمًا بنفسه، ومن ظنَّ أن حرارة النَّـار القائمـةَ بهـا جوهرٌ قائمٌ بنفسه كالنَّار، فهو إما مصابٌ في عقله، وإما مُسَفْسِطٌ معاند.

والأول: يستحقُّ علاج المجانين.

والثاني: يستحقُّ العقوبة التي تردعه عن العناد.

ثم إن جاز أن تكون الصفة جوهرًا كانت القدرة أيضًا جوهرًا.

وإن أرادوا بقولهم: «جوهريَّـة» أنهـا صـفاتٌ ذاتيَّـة، وغيرُهـا صـفاتٌ فعليَّـةٌ كالخالق والرازق، فمعلومٌ أن صفاته الذاتيَّة منها: القدرة وغيرها، لـم تنحصـر في هذه. وأيضًا فالكلام وإن كـان قائمًـا بذاتـه، فقيـل: هـو متعلِّـقٌ بمشـيئته وقدرتـه، وهو قول السَّلف والأكثرين، وقيل: ليس كذلك.

والمتكلِّم قيل: هو من فعَل الكلام ولو كـان منفصـلًا عنـه، وقيـل: هـو مـن قام به الكلام وإن لـم يكـن بمشـيئته وقدرتـه، وقيـل: المـتكلِّم مـن قـام بـه الكـلام بمشيئته وقدرته، وهذا قول السَّلف والأكثرين، فبطل قولُهم علىٰ كل تقدير.

وإن أرادوا بالجوهريَّة أنها ذاتيَّةٌ مقوِّمة، وباقي الصِّفات عرضـيَّةٌ علىٰ رأي أهـل المنطـق اليونـان الـذين يفرِّقـون في الصِّـفات اللازمـةِ للموصـوف بـين هـذا وهذا، كان هذا فاسدًا من وجوه:

منها: أن تفريق هؤلاء في الصِّفات اللازمة للموصوف بين صفةٍ وصفة، وجعْل بعضِها ذاتيًّا مقوِّمًا داخلًا في الماهيَّة، وبعضها عرضيًّا لاحقًا خارجًا عن الماهيَّة= كلامٌ باطلٌ عند جماهير نُظَّار الأمم من أهل الملل وغيرهم، كما قد بُسِط الكلام عليه[1] في الردِّ علىٰ هؤلاء المتفلسفة، وبُيِّنَ أن ما يدَّعونه من تركيب الأنواع من الأجناس والفصول إنما هو تركيبٌ في الأذهان لا حقيقة له في الأعيان، وأن ما يقوم بالأذهان يختلف باختلاف تصوُّر الأذهان. فتارة يَتَصَوَّرُ الشيءَ مجملًا، وتارة يَتَصَوَّرُه مفصَّلًا، وما سمَّوه «تمام الماهيَّة» و«الداخل في الماهيَّة» و«الخارج عنها اللازم لها» يعود عند التَّحقيق إلىٰ ما يدلُّ عليه اللَّفظ بالمطابقة والتضمُّن والالتزام.

ومدلولُ اللَّفظ هو بحسَب ما يعنيه المتكلِّمُ ويقصِدُه ويتصَوَّرُه، وهذا يختلف باختلاف إرادات الناس، لا يرجع ذلك إلىٰ حقيقةٍ عقليَّةٍ ولا صفةٍ ذاتيَّةٍ للموجودات.

ولهذا لمَّا كان كلامُهم باطلًا لم يُمْكِنْهم ذِكْرُ فَرْقٍ صحيح بين الذَّاتيِّ والعَرَضي اللازم؛ إذ كان كلاهما لازمًا للموصوف، بل ذكروا ثلاثة فروق، والثلاثة باطلة، واعترف حُذَّاقُهم ببطلانها، كقولهم: إن الذاتيَّ يَثْبُتُ للموصوف بلا وسط، والعرضيَّ اللازم إنما يثبت بوسط.

ثم حذَّاقُهم يفسِّرون الوسط بالدليل، كما فسَّره ابن سينا، ومنهم من يفسر الوسط بصفةٍ قائمةٍ بالموصوف، كما يفسره الرَّازي[2] وغيرُه، وهؤلاء

---

(١) انظر: «الرد المنطقيين»، «الفتاوىٰ الكبرىٰ»: (٦/ ٣٨٠، ٤٩١)، «درء التعارض» (٢/ ٣٠٤).

(٢) هو محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل المتكلم. توفي سنة ست وستمائة. انظر: «العبر» (٣/ ١٤٢)، «البداية والنهاية» (١٧/ ١١).

لـم يفهمـوا مـراد أولئـك فـزاد غلطهـم، وأولئـك أرادوا بالوسـط الـدليل، كمـا يريدون بالحدِّ الأوسط ما يُقْرَن[1] باللام في قولك: «لأنه» فصار العرضيُّ اللازم عندهم ما يُعلَم ثبوته للموصوف بدليل، وهذا لا يرجع إلىٰ حقيقةٍ ثابتةٍ في نفس الأمر، بل هذا أمرٌ يتعلَّق بالعالم بالصفات.

فمنهم مـن يكـون تـامَّ التَّصـوُّر فـيعلم لـزوم الصِّـفة للموصـوف بـلا دليـل، ومنهم من لا يكون تامَّ التَّصور فلا يعلم ذلك إلا بدليل.

ثم كلُّ ما كان مستلزمًا لشيءٍ فإنه يمكن الاستدلال به عليه؛ إذ كان الدَّليل هـو الـذي يلـزم مـن تحقُّقـه تَحَقُّـق المـدلول[2]، فيكـون الوسـط كـلَّ مـا كـان[3] مستلزمًا للعرض، فيكون العرض[4] لازم اللَّازم.

وهـم معترفـون بـأن مـن العَرَضيَّات مـا يلـزم بـلا وسـط، وقـد مثَّلـوا ذلـك بالزوجيَّة والفرديَّة في العدد، فإن العلم بـأن الأربعـة زوجٌ والثَّلاثـةَ فـرد وإن كـان ظاهرًا لكنَّ العلمَ بأن خَمْسَمائةٍ وثلاثة وأربعينَ نصفُ ألـفٍ وستَّةٍ وثمـانين قـد يفتقر إلىٰ دليلٍ قد يفتقر إلىٰ تأمُّلٍ وفكر.

وهم يقولـون مـا يقـول ابـن سينا أفضـلُ متـأخِّريهم وغيـرُه مـن أن العـرض المنقسم إلىٰ الكيف والكَمِّ وغير ذلك هو ذاتيٌّ لموصوفاته.

---

(١) (د، ي، ع): «يعرف».
(٢) (و): «الدليل».
(٣) بعدها في (و، ي): «ملزومًا»، وضرب عليها في (د).
(٤) (و): «مستلزمًا للعرضي فيكون العرضي».

واللون المنقسم إلىٰ السَّواد والبياض هو ذاتيٌّ للمتلوِّن، والسَّواديَّة والبياضيَّة[1] صفتان ذاتيَّة، بخلاف الزوجيَّة والفرديَّة.

قالوا: لأن كون هذا أسودَ وأبيضَ وعرضًا قائمًا بغيره لا يفتقر إلىٰ استدلالٍ ونظرٍ، بخلاف كون هذا العدد زوجًا أو فردًا، فإن هذا قد يفتقر إلىٰ نظرٍ واستدلال، فإنه ينقسم إلىٰ[2] قسمين متساويين أو لا ينقسم.

ومعلومٌ أن هذا فَرْقٌ يعود إلىٰ عِلْم العالم بهذه الصِّفات، هل هو جليٌّ أو خفي؟ وهل يفتقر إلىٰ نظرٍ واستدلالٍ أو لا يفتقر؟ ليس هو فرقًا يعود إلىٰ الصِّفة في نفسها ولا إلىٰ موصوفها، فعلم أنه ليس بين ما جعلوه ذاتيًّا مقوِّمًا داخلًا في الماهيَّة وما جعلوه عرضيًّا لازمًا خارجًا عن الماهيَّة فَرْقٌ يعود إلىٰ نفس الماهيَّة التي هي الذَّات الموصوفةُ الموجودة في الخارج ولا إلىٰ صفاتها، بل جميع صفاتها اللازمة لها سواءٌ في ذلك، ليست الماهيَّةُ مركَّبةً من هذا دون هذا، ولا فيها شيءٌ يتقدَّم علىٰ الماهيَّة في الوجود الخارجيّ، كما يقولون: إن الذاتيَّ يتقدَّم علىٰ الماهيَّة في الوجود والذهن.

ولا هي الصِّفاتُ جواهرُ موجودةٌ في الخارج أجزاؤها[3] الأجسام المركَّبة، وإنما هي صفاتٌ قائمةٌ بالموصوف يمتنع تقدُّم شيءٍ منها علىٰ الموصوف.

---

(١) (و): «والسواد والبياض».
(٢) «إلىٰ» ليست في (و).
(٣) (و، د): «أجزاء لها» ولم تحرَّر في (ي).

ولكن إذا قيل في الإنسان: هو جسم حسَّاسٌ تامٌّ متحركٌ بالإرادة ناطق. فهنا قد يتَصَوَّر الذهن في هذه الأمور[1] ويُعبِّرُ عنها، فكلٌّ واحد منهما جزءٌ من الجملة التي في ذهنه ولسانه.

والجملة التي في ذهنه ولسانه مركَّبةٌ من هذه الأجزاء، لا[2] أن الإنسان الموجود في الخارج مركَّبٌ من هذه الأجزاء وأنها متقدِّمةٌ عليه أو أنها جواهر، فإن هذا كلَّه مما يُعلَم بصريح العقل أنه باطل، لكنَّ[3] هؤلاء المتفلسفةَ اليونانَ ومن اتَّبعهم كثيرًا ما يشتبه عليهم ما يتصوَّرونه في الأذهان بما يوجد في الأعيان، كما أثبت من أثبت من قدمائهم مثل فيثاغورس[4] وأتباعِه أعدادًا مجرَّدةً موجودةً في الخارج.

وقد ردّ ذلك عليهم سائرُ العقلاء، كما ردَّه مَنْ بعده منهم.

وقالوا: إن العدد المجرَّد والمقدار المجرَّد إنما يوجد في الذهن لا في الخارج، وإنما يوجد في الخارج المعدوداتُ والمُقَدَّراتُ، مثلُ الأجسامِ المتفرِّقَةِ التي تعدُّ كالكواكب، أو المتَّصلة التي تُقَدَّر[5] كالأفلاك، وذلك هو المتَّصف بالكمِّ المتصل والكمِّ المنفصل الموجودِ في الخارج.

---

(١) (ع): «هذه» بدل: «في هذه الأمور».

(٢) (ع): «إلا».

(٣) (ي): «لأن».

(٤) الفيلسوف المشهور، من فلاسفة اليونان، أدخل علم الهندسة والطبيعة إلىٰ بلاد اليونان ولم يكونوا يعلمونها قبل ذلك. له تصانيف في النوم واليقظة، والنفس والجسد، وغير ذلك إلىٰ مائتين وثمانين كتابًا، غير الكتب المكذوبة عليه. ترجمته في: «إخبار العلماء بأخيار الحكماء» (ص١٩٦)، «عيون الأنباء» (ص٦١)، «سلم الوصول إلىٰ طبقات الفحول» (٣/ ١٥).

(٥) (و): «تعد».

وأثبت أصحابُ أفلاطن[1] الكلِّيات العقليَّة في الخارج التي يُسَمُّونها المُثُلَ الأفْلاطونيَّة، وزعموا أنها قديمةٌ أزليةٌ وأثبتوا بُعْدًا موجودًا مجرَّدًا جوهرًا هو الخلاء، وجوهرًا[2] قائمًا بنفسه هو الدَّهر، وجوهرًا مجرَّدًا قائمًا بنفسه هو المادّة والهَيُولىٰ الأزليَّة.

وهذه كلُّها إنما تُتَصَوَّرُ في الأذهان لا في الأعيان، بل وما أثبتوه من العقول المجرَّدة العشرة هي أيضًا عند التَّحقيق ترجع إلىٰ ما يجرِّده الذهن ويقدِّره فيه، لا إلىٰ موجودٍ في الخارج.

وأصل قولهم: المجرَّداتُ والمفارقاتُ هو مأخوذٌ من مفارقة النَّفس الناطقة[3] للبدن بالموت، وهذا حقٌّ؛ فإن الذي عليه الأنبياء وأتباعهم وجمهور العقلاء: أن الرُّوح تفارق البدن، وتبقىٰ بعد فراق البدن، ومن قال من متكلِّمة أهل الملل: إنه لا يبقىٰ بعد البدن روحٌ تفارقه، وإن الرُّوح جزءٌ من البدن أو عرضٌ من أعراض البدن، فقوله -مع أنه خطأ في العقل الصريح - هو أيضًا مخالفٌ لكتب الله المنزَّلة ولرسله ولمن اتَّبعهم من جميع أهل الملل، وهذه الأمور مبسوطةٌ في غير هذا الموضع[4].

---

(١) يقال: فلاطن وأفلاطن وأفلاطون. من أهل مدينة «أثينا»، رومي يوناني. فيلسوف، طبي، عالم بالهندسة وطبائع الأعداد. له تأليف في الطب والفلسفة. أخذ عن «سقراط» ولازمه خمس سنين، وأخذ عن أصحاب «فيثاغورس». بلغ من العمر إحدىٰ وثمانين سنة. ترجمته في: «إخبار العلماء بأخيار الحكماء» (ص٢١)، «عيون الأنباء» (ص٨٠).

(٢) بعدها في (و): «مجردًا».

(٣) «الناطقة» ليست في (د، ي، ع).

(٤) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٩/ ٩٨) «درء التعارض» (٢/ ٣٧٤).

والمقصود هنا: التنبيه علىٰ أن تفريق هؤلاء اليونانيِّين في الصِّفات اللَّازمة للموصوف بين الصِّفات الذاتيَّة والعرضيَّة اللَّازمة، وجعْلَهُم اللَّازمةَ منها: ما هو لازمٌ للماهيَّةِ، ومنها: ما هو لازمٌ لوجودها= هو مبنيٌّ علىٰ أصلين فاسدين لهم، خالفهم فيها جمهور عقلاء الأمم من نُظَّارِ أهل الملل وغيرهم:

أحدُ الأصلين: هو ما تقدَّم من جَعْلِهم الصِّفات اللَّازمة للموصوف هي في الخارج منقسمةٌ إلىٰ ذاتيٍّ، جزءٌ من الماهيَّة داخلٌ فيها، وإلىٰ عَرَضِيٍّ خارجٍ عنها لازمٍ لها.

والثاني: زَعْمُهم أن كلَّ موجودٍ ممكنٌ، وله في الخارج ماهيَّةٌ هي ذاته، وحقيقته غير الموجود المعلوم المعيَّن الثابت في الخارج، وهذا أيضًا مما اشتبه عليهم فيه ما في الذهن بما في الخارج.

فإنه إذا أُريد بالماهيَّة ما يُتصَوَّر في الذهن، وهو المقول في جواب ما هو، وبالوجود[1] ما هو ثابت متحقِّقٌ في الخارج، فمعلومٌ أن هذا غيرُ هذا، كما يقولون: إنا نتصوَّر المثلَّث قبل أن نعلم وجوده في الخارج، فعُلم أن ماهيَّة المثلَّث غيرُ المثلَّث الموجودِ في الخارج.

فإنه يقال لهم: إن أردتم أن ما يُتَصَوَّر في الذِّهن من المثلَّث غير الموجود في الخارج وهذا حقٌّ، لكن ليس في هذا ما يدلُّ علىٰ أنه في الخارج عن الذهن شيئين:

أحدهما: ماهيَّةُ المثلَّث التي هي حقيقته وذاته.

والثاني: المثلث الموجود الذي هو زاوية الحائط.

---

(١) (و): «وبالموجود»، (ع): «وبالوجوب».

وإن أردتم أن في الخارج شيئين، فهذا غلط، وهذا الموضع مما اشتبه على كثيرٍ من النُّظَّار حتىٰ صار بعض أكابرهم حائرًا متوقِّفًا.

وبعضهم يختلف قوله ويتناقض، وسبب ذلك عدم تمييزهم بين ما يُتَصَوَّرُ في الأذهان وبين ما يوجد في الأعيان، ثم هذا الموضع نقلوه إلىٰ الكلام في صفات الله اللَّازمة له، كحياته وعلمه وقدرته، هل هي ذاتيَّةٌ أو عرضيَّة؟

فإن قيل: ذاتيَّةٌ لزم أن تكون له أجزاءٌ متقدِّمةٌ عليه ترَكَّب منها، وإن كانت عرضيَّةً لازمةً لزم أن يكون قابلًا[1] وفاعلا، فإن كونه فاعلًا غير كونه قابلًا[2]، فلزم أن يكون فيه جهتان، وهذا من التَّركيب الذي زعموه منتفيًا؛ وذلك يستلزم التركيب، وهو التركيب من الذاتيَّات، وقد بُيِّن فسادُ هذا من وجوهٍ متعددة:

منها: أن التركيب المعقول هو تركيب الحيوان والنبات والمعادن من أبعاضه وأخلاطه[3]، وتركيبُ المبنيَّات والملبوسات والأطعمة والأشربة من أبعاضها وأخلاطها.

وأما تركُّب الأجسام من الجواهر المنفردة أو من المادَّة والصُّورة فهذا مما تنازع فيه جمهور العقلاء، وكذلك تركُّب الشيء من الموجود[4] والماهيَّة سواءٌ كان واجبًا أو ممكنًا هو مما نفاه[5] جمهور العقلاء، وكذلك تركُّبه من الصِّفات الذاتيَّةِ المشتركة والمميِّزة التي يُسَمُّونها: الجنس، والفصل.

---

(١) (و، ع): «قائلًا».

(٢) كالتي قبلها.

(٣) (ي): «واختلاطه».

(٤) (و، ي): «الوجود».

(٥) (و): «نقله»، (المطبوعتان): « مما تنازع فيه جمهور...» بدل قوله: «مما نفاه جمهور...».

وأما اتِّصاف الذَّات بصفاتٍ تقوم بها، فهذا هو الذي يعرفه عامَّة العقلاء، ولكن لا يُسَمُّون هذا تركيبًا، فمن سمَّاه تركيبًا لم يكن نزاعه اللَّفظيُّ قادحًا فيما عُلم بالأدلَّة السمعيَّة والعقليَّة.

ثم هم يقولون: المركَّب يفتقر إلىٰ أجزائه، وأجزاؤه غيرُه، وواجب الوجود لا يفتقر إلىٰ غيره. وهذه كلها ألفاظٌ مجملة؛ فإن لفظ «الافتقار» هنا لم يَعْنُوا به افتقار المفعول إلىٰ فاعله، ولا المعلولِ إلىٰ علَّته الفاعليَّة، فإن جزءَ الشيء لا يكون فاعلَه ولا علّتَه الموجِبةَ له، بل يريدون به التلازمَ والاشتراط، فإن وجود المجموع مستلزمٌ لوجود أجزائه، وهو مشروطٌ بذلك.

ومنها: لفظ «الجزء» فليس مرادهم جزءًا مباينًا للجملة، فإن جزء الجملة ليس مباينًا لها.

ومنها: لفظ «الغير» فإنه يراد بالغَيْرَينِ ما يجوز مباينة أحدهما لصاحبه، أو مفارقتُه له بزمانٍ أو مكانٍ أو وجود، ويراد بهما ما يجوز العلم بأحدهما دون الآخر، وبعض المجموع وصفة الموصوف لا يجب أن تفارقه وتباينه، بل قد يجوز أن تباينَه، ويجوز أن لا تباينه.

فصفات الرَّبِّ ﷻ اللازمةُ له لا يجوز أن تفارقه وتباينه، وحينئذٍ فمن الناس من لا يسمِّيها غيرًا له، ومن سمَّاها غيرًا له فذاته مستلزمةٌ لها، ليست الصفاتُ فاعلةً للذات، ولا علَّةً موجبة لها.

ولفظ «واجب الوجود» يراد به الموجود بنفسه الذي لا فاعل له، ولا علة فاعلةً له، وذاتُ الربِّ ﷻ وصفاتُه واجبة الوجود بهذا الاعتبار، ويراد به مع

ذلك المستغني عن محلٍّ يقوم به، والذَّاتُ بهذا المعنىٰ[1] واجبةٌ دون الصِّفات.

ويراد به ما لا تعلق له بغيره، وهذا لا حقيقة له؛ فإن الرَّبَّ تعالىٰ له تعلُّقٌ بمخلوقاته، لا سيَّما عند هؤلاء الفلاسفة الدَّهريَّة الذين يقولون: إنه موجِبٌ بذاته للأفلاك مستلزمٌ لها، فيجعلونه ملزومًا لمفعولاته، فكيف ينكرون أن تكون ذاته ملزومةً لصفاته؟

وهؤلاء المتفلسفة اليونانيُّون الذين يُسَمَّون «المشَّائين» أتباع أرسطو صاحب التعاليم المنطق والطبيعيّ، والرياضيّ، والإلهيّ، يقولون: إن موضوع العلم الطبيعيِّ متعلقٌ بالمادَّة في الذِّهن والخارج، وهو الجسم وأحكامه.

والثاني: الرياضيُّ وهو متعلِّقٌ بالمادة في الخارج لا في الذهن، فإنه لا يوجد عددٌ ولا مقدارٌ في جسمٍ في الخارج أو عرضٍ معدود[2]، أو مقدرٍ متَّصل، بخلاف الذهن، فإنه يجرِّد أعدادًا ومقادير[3] مجردةً عن المعدودات والمقدَّرات.

والثالث: الذي يُسَمُّونه علم ما بعد الطبيعة باعتبار السُّلوك العلمي، وهو علم ما قبلها باعتبار الوجود العينيّ، ويُسَمُّونه أيضًا العلمَ الإلهي، وموضوعه عندهم: المجرَّد عن المادة في الذهن والخارج، وهو الموجود من حيث هو موجود، وانقسامه إلىٰ جوهرٍ وعرض، وانقسام الجوهر إلىٰ جسمٍ وغير جسم،

---

(١) (و): «العين».

(٢) (و): «ولا مقدار في الخارج إلا في جسم أو عرض معدود»، (المطبوعتان): «ولا مقدار في الخارج إلا في جسم في الخارج أو عرض معدود».

(٣) بعدها في (و): «متصلة».

وانقسام غير[1] الجسم إلىٰ المادة والصورة والعقول والنفوس.

والعلة الأولىٰ يسمِّيها أرسطو وأتباعه «جوهرًا»، ولا يسمِّيها «واجبَ الوجود»، وأما متأخِّروهم كابن سينا وأتباعه يُسمُّونها «واجب الوجود»، ولا يُسمُّونها «جوهرًا»، والكلام علىٰ هؤلاء مبسوطٌ في موضع آخر[2]، إذ **المقصود هنا** أن هذه الأمور التي يقولون هي موضوع العلم الإلهي وهي المجرَّدة عندهم عن المادة في الذهن والخارج= هي عند التحقيق وجودها في الأذهان لا في الأعيان.

فإن الوجود العامَّ الكليَّ لا يوجد عامًّا كلِّيًّا إلا في الأذهان لا في الأعيان، كما أن الإنسان العامَّ الكليَّ، والحيوان العامَّ الكلِّيَّ لا يوجد عامًّا كلِّيًّا إلا في الأذهان لا في الأعيان.

وقد بُسط الكلام علىٰ هؤلاء في غير هذا الموضع[3]، وبُيِّن أن اليهود والنصارىٰ بعد النسخ والتبديل أقربُ إلىٰ الحق في الأمور الإلهية منهم.

وهذه الأمور مبسوطة في موضع آخر، ولكن نبهنا عليها لتعلُّقها هنا بقول هؤلاء النصارىٰ: إن صفات الرب الثلاث هي جوهرية دون غيرها، وأنهم إن عنَوْا بذلك ما يعنيه هؤلاء بالذاتيَّة فقولهم باطلٌ مبنيٌّ علىٰ أصلٍ باطل.

فإن تفريق هؤلاء اليونان في الصفات اللازمة بين الذاتيِّ والعرضيِّ اللازم للموجود، والعرضيِّ اللازم للماهيَّة، والعرضيِّ اللازم للموصوف فرقٌ باطل، **وقد ذكروا ثلاثَ فروقٍ كلُّها باطلة، كما تقدم:**

---

(١) «غير» ساقطة من (المطبوع).

(٢) انظر: «الرد علىٰ المنطقيين» (١٤٤)، «درء التعارض» (٣/ ٦٥).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١١/ ٢٢٨).

الأول: الوسط. **والفرق الثاني**: تقَدُّمُ الذَّاتِيِّ ذهنًا ووجودًا، بخلاف[1] اللازم العرضيِّ.

والثالث: توقُّف الحقيقة علىٰ الذَّاتيِّ.

وقد تبيَّن بطلان هذا في غير هذا الموضع[2].

والنصارىٰ ليس مرادُهم بالجوهريَّةِ ما يريده هؤلاء بالذاتيَّة، فلهذا لم نبسط الكلام عليه، بل يقولون: إن الثلاثةَ جواهرٌ، وهؤلاء المنطقيون يفرِّقون بين اللَّازم للماهيَّة واللازم لوجودها، بناءً علىٰ أن في الخارج شيئين: الوجود، وماهيَّةٌ أخرىٰ غير الوجود.

والكلام علىٰ هذا كلِّه مبسوطٌ في موضعٍ آخر[3].

ومنها[4]: أنه لو قُدِّر أن صفات الموصوفات اللَّازمة لها تنقسم إلىٰ ذاتيٍّ مقوِّمٍ، وعرضَيٍّ لازم، وأن صفاتِ الربِّ سبحانه كذلك، لم يكن تخصيص العلم بأنه ذاتيٌّ[5] أولىٰ من القدرة، فليس ذِكْرُ القائم بنفسه الحيِّ العالِمِ بأولىٰ من ذكر القائم بنفسه الحيِّ القادر.

والنصارىٰ لما كانت الأقانيم عندهم ثلاثة، وزعموا أن الشَّرع المنزَّل دلَّ علىٰ ذلك، وكانوا في ذلك مخالفين للشرع المنزَّل إليهم، -كما قد بسط في

(١) بعدها في (و): «العرضي».
(٢) انظر: «الرد علىٰ المنطقيين» (ص٤١٨).
(٣) انظر ما تقدّم قريبًا من إحالات علىٰ المباحث السالفة.
(٤) عاد المصنف هنا إلىٰ سياق الكلام الذي بدأه عن وجوه فساد قول النصارىٰ بالصفات الجوهرية علىٰ تقدير أنهم أرادوا: «ذاتية» علىٰ مصطلح المناطقة.
(٥) بعدها في (و): «بذلك».

موضعه[1]- صار طائفةٌ منهم يقولون: موجودٌ حيٌّ عالم، وطائفةٌ يقولون: موجودٌ عالمٌ قادر، فيجعلون القادر مكان الحيّ، ويجعلون «روح القدس» هو القدرة.

وهذا القول وإن كان أحسنَ في المعنىٰ، لكنَّ تفسير «روح القدس» بالقدرة في غاية البعد الذي يظهر فساده لكل أحد.

ولا بد لهم من إثبات أقنوم الكلمة الذي يقولون تارة: هي العلم، وتارة: هي الحكمة، ويسمُّونها تارة: النطق، كما سمَّوْها في كتابهم هذا؛ لأن الذي اتَّحد بالمسيح عندهم هو أقنوم الكلمة، فصاروا تارةً يضمُّون إليها الحياة، وتارة يضمُّون إليها القدرة.

و«الأب» تارةً يقولون: هو الوجود، وتارةً يقولون: القائم بنفسه، وتارةً يقولون: الذَّات، وتُسَمَّىٰ القائِمُ بنفسه بالسُّريانيَّة: الكيان، وتارةً يقولون: الجود. وكلُّ هذا من الحيرة والضَّلال؛ لأنهم لا يجدون ثلاث معانٍ هي المستحَقَّة لأنْ تكون جوهريَّةً دون غيرها من الصِّفات، سواءٌ فُسِّرت الجوهريَّة بأنها جواهر، أو بأنها ذاتيَّةٌ مقوِّمة، أو بغير ذلك.

ومنها قولهم: «تجري مجرىٰ أسماء» فإن أرادوا بذلك أسماءَ أعلامٍ أو جامدةً، وسائرها صفات، فاسم الحيِّ[2] والعالم اسمٌ مشتَقٌّ يدلُّ علىٰ معنىٰ العلم والحياة، كما يدل القدير علىٰ القدرة، وإن أرادوا أنه يُسمَّىٰ بها، فلله تعالىٰ أسماءٌ كثيرة، فإنه سبحانه له الأسماء الحسنىٰ.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٧/ ٢٧٣).

(٢) (و): «الحق».

ومن أسمائه: «القدير»، والقدرة تستلزم من قدرته علىٰ المخلوقات ما لا يدلُّ عليه العلم، وخَلْقُه للمخلوقات دلَّ علىٰ قدرته أبلغ من دلالته علىٰ علمه، واختصاصُه بالقدرة أظهرُ من اختصاصه بالعلم، حتىٰ إن طائفةً من النُّظَّار كأبي الحسن الأشعريِّ وغيره يقول: أخصُّ وصْفِه: «القدرة علىٰ الاختراع»، فلا يوصف بذلك غيره، والجهم بن صفوان قبله يقول: «ليس في الوجود قادرٌ غيره، ولا لغيره قدرة».

والأشعريُّ وإن أثبت للمخلوق قدرة، لكن يثبت قدرةً لا تؤثر في المقدور، ولم يقل أحدٌ من العقلاء: إن أخصَّ وصفه الحياةُ والعلم، ولا إن غيرَه ليس بحيٍّ ولا عالم، فكان جَعْلُ القديرِ اسمًا وغيرِه صفةً -إن كان الفرق حقًّا- أولىٰ من العكس، فكيف إذا كان الفرق باطلًا؟! فإن أسماءه تعالىٰ التي يعرفها الناس هي أسماء، وهي صفاتٌ في اصطلاح أهل العربيَّة تدلُّ علىٰ معانٍ هي صفاتُه القائمةُ به؛ «فالحيُّ» يدلُّ علىٰ الحياة، «والعليم» يدل علىٰ العلم، «والقدير» يدلُّ علىٰ القدرة، هذا مذهب سلف الأمة وجماهيرها وجماهير الأمم.

ومن الناس فرقةٌ شاذَّةٌ تزعم أن هذه الأسماء لا تدلُّ علىٰ معان، كأسماء الأعلام.

وقد تنازع الناس فيما يُسَمَّىٰ[1] به سبحانه، ويُسَمَّىٰ به غيره، كالحيِّ والعليم والقدير.

---

(١) (و) «تسمىٰ الله».

فالجمهور علىٰ أنه حقيقة فيهما.

وقالت طائفةٌ كأبي العباس الناشي[1]: «إنها حقيقةٌ في الرب ﷻ مجازٌ في المخلوق».

وقالت طائفةٌ عكسَ هؤلاء من الجهميَّة والملاحدة والمتفلسفة: «إنها مجازٌ في الربِّ ﷻ حقيقةٌ في المخلوق».

والأولون هي عندهم متواطئة، وقد يسمُّونها مشكِّكة؛ لما فيها من التفاضل، وبعضهم يقول: هي مشتركَةٌ اشتراكًا لفظيًّا.

---

(١) هو عبد الله بن محمد الناشي الأنباري المعروف بابن شرشير، كان من الشعراء المجيدين، وهو في طبقة ابن الرومي والبحتري، كان متبحرًا في عَدة علوم، من جملتها: علم المنطق، وكان من أوائل من نقد المنطق اليوناني رغم اعتزاله. كانت وفاته في مصر سنة ثلاثٍ وتسعين ومائتين. انظر: «وفيات الأعيان» (٣/ ٩١)، «شذرات الذهب» (٣/ ٣٩٣)

فصل

وأما قولهم: «كل صفة منها غير الأخرىٰ».

فهذا إن أرادوا به أن صفات الربِّ ﷻ قد تباينه وتنفصل عنه، وهو حقيقة قولهم، ويقولون مع ذلك: إنها[1] متَّصِلةٌ به= فهو جمْعٌ بين النقيضين، وتمثيلُهم بشعاع الشمس تمثيلٌ باطل، وهو حجَّةٌ عليهم لا لهم.

فإن الشَّعاع القائم بالهواء والأرض والجبال والشجر والحيطان ليس هو قائمًا بذات الشمس، والقائم بذات الشمس ليس هو قائمًا بالهواء والأرض.

فإن قالوا: بل ما يقوم به من العلم يَفِيضُ منه علىٰ قلوب الأنبياء علومٌ كما يَفيض الشعاعُ من الشمس.

قيل لهم: لا اختصاص للمسيح بهذا، بل هذا قدرٌ مشتركٌ بينه وبين غيره من الأنبياء، وليس في هذا حلولُ ذات الربِّ ولا صفتِه القائمة به بشيءٍ من مخلوقاته، ولا أن العبد بما حلَّ فيه من العلم والإيمان يصير إلهًا معبودًا.

وإن أرادوا أنها قائمةٌ به، وتُسمَّىٰ كلُّ واحدةٍ غير الأخرىٰ، فهنا نزاعٌ لفظيّ، هل تُسمىٰ غيرًا أو لا تسمىٰ غيرًا؟

فإن من الناس من يقول: كلُّ صفةٍ للربِّ ﷻ فهي غيرُ الأخرىٰ، ويقول: الغيرانِ ما جاز وجود أحدهما مع عدم الآخر، أو ما جاز[2] العلم بأحدهما مع الجهل بالآخر.

ومنهم من يقول: ليست هي الأخرىٰ، ولا هي هي؛ لأن «الغيرين»: ما

(١) (و): «إنها مع ذلك»، (د، ي): «مع ذلك إنها مع ذلك».
(٢) «ما جاز» ليست في (ي)

جاز وجود أحدهما مع عدم الآخر، أو ما جاز مفارقةُ أحدهما الآخر بزمانٍ أو مكانٍ أو وجود.

والذي عليه سلف الأمَّة وأئمتُها إذا قيل لهم: علم الله وكلام الله، هل هو غير الله أم لا؟ لم يُطلقوا النفي ولا الإثبات؛ فإنه إذا قال: «غيره»[1] أَوْهَمَ أنه مباينٌ له.

وإذا قال: ليس غيره؛ أَوْهَمَ أنه هو، بل يَستفصِل السائل، فإن أراد بقوله: «غيره» أنه مباينٌ له منفصلٌ عنه فصفات الموصوف لا تكون مباينةً له منفصلةً عنه، وإن كان مخلوقًا، فكيف بصفات الخالق؟

وإن أراد «بالغير» أنها ليست هي هو، فليست الصِّفة هي الموصوف، فهي غيره بهذا الاعتبار، واسم الربِّ تعالىٰ إذا أُطلِق يتناول الذَّات المقدَّسة بما يستحقُّه من صفات الكمال، فيمتنع وجود الذَّات عريَّةً عن صفات الكمال.

فاسم الله يتناول الذَّات الموصوفةَ بصفات الكمال، وهذه الصفات ليست زائدةً علىٰ هذا المسمَّىٰ، بل هي داخلةٌ في المسمَّىٰ، ولكنها زائدةٌ علىٰ الذَّات المجرَّدة التي تثبتها نفاةُ الصفات، فأولئك لمَّا زعموا أنه ذاتٌ مجرَّدةٌ قال هؤلاء: بل الصِّفات زائدة علىٰ ما أثبتموه من الذات.

وأما في نفس الأمر فليس هناك ذاتٌ مجرَّدةٌ تكون الصِّفات زائدةً عليها، بل الرَّبُّ تعالىٰ هو الذَّات المقدَّسة الموصوفة بصفات الكمال، وصفاتُه داخلةٌ في مسمَّىٰ أسمائه سبحانه وتعالى.

---

(١) «قال غيره» مثبتة من (ي) وفي باقي النسخ: «قيل لهم غيره».

فصـل

وقولهم: «فالإله واحد، خالقٌ واحد، ربٌ واحد» هو حقٌّ في نفسه، لكن قد نقضوه بقولهم في عقيدة إيمانهم: «نؤمن بربٍّ واحد، إيسوع المسيح[1] ابن الله الوحيد، إلهٍ حقٍّ من إلهٍ حق، من جوهر أبيه، مساوٍ الأبَ في الجوهر» فأثبتوا هنا إلهين، ثم أثبتوا روح القدس إلهًا ثالثًا، وقالوا: إنه مسجودٌ له، فصاروا يثبتون ثلاثةَ آلهةٍ، ويقولون: إنما نثبت إلهًا واحدًا. وهو تناقضٌ ظاهر، وجمعٌ بين النَّقيضين، بين الإثبات والنفي.

ولهذا قال طائفةٌ من العقلاء: إن عامَّة مقالات الناس يمكن تصوُّرها إلا مقالة النصارىٰ، وذلك أن الذين وضعوها لم يتصوَّروا ما قالوا، بل تكلَّموا بجهل، وجمعوا في كلامهم بين النَّقيضين، ولهذا قال بعضهم: لو اجتمع عشْرَةُ نصارىٰ لتفرَّقوا عن أحدَ عشرَ قولًا.

وقال آخر: لو سألت بعض النَّصارىٰ، وامرأته، وابنه، عن توحيدهم، لقال الرجل قولًا، وامرأته قولًا آخر، وابنه قولًا ثالثًا.

---

(١) «المسيح» ليست في (د، ي، ع).

فصـل

وقـولهم: «لا يتـبعَّض ولا يتجـزَّأ» منـاقضٌ لمـا ذكـروه في أمـانتهم، ولمـا يمثِّلونه به؛ فإنهم يمثِّلونه بشعاع الشمس، والشعاعُ يتبعَّض ويتجزَّأ، فإن ما يقـوم منه بهذا الموضع بعضٌ وجزءٌ منه، ويمكن زوال بعضه مع بقـاء بعـض، فإنـه إذا وُضِعَ علىٰ مَطْرَحِ الشعاع شيءٌ فُصِل ما بين جانبيه، وصار الشُّعاع الـذي كـان بينهما علىٰ ذلك الفوقانيِّ فاصلًا بين الشُّعاعين السَّافلين.

يبيِّن ذلك أن الشُّعاع قائمٌ بالأرض والهواء، وكلٌّ منهما متجزِّئ متبعِّض، وما قام بالمتبعِّض فهو متبعِّض، فإن الحالَّ يتبع المحل، وذلك يستلزم التبعيض والتجزيء فيما قام به.

ويقولون أيضًا: «إنه اتحد بالمسيح، وإنـه صَعِد إلىٰ السـماء وجلس عـن يمين الأب» وعندهم أن اللَّاهوت منذ اتحد بالنَّاسوت لم يفارقْه، بل لمَّـا صَعِد إلىٰ السماء وجلس عن يمين الأب كان الصَّاعد عنـدهم هـو المسـيح الـذي هـو ناسوتٌ ولاهوتٌ[1] إلهٌ تام وإنسانٌ تام، فهم لا يقولـون: إن الجـالس عـن يمـين الأب هـو الناسـوت فقـط، بـل اللَّاهـوت المتَّحـد بالناسـوت جلـس عـن يمـين اللَّاهوت، فأيُّ تبعيضٍ وتجزئةٍ أبلغُ من هذا؟

وليس هذا من كلام الأنبياء حتىٰ يقال: إن له معنًى لا نفهمـه، بـل هـو مـن كلام أكابرهم الذي وضعوه وجعلوه عقيـدةَ إيمـانهم، فـإن كـانوا تكلَّمـوا بمـا لا يعقلونه، فهم جهالٌ لا يجوز أن يُتَّبعوا، وإن كانوا يعقلون[2] ما قـالوه فـلا يَعْقِـل أحدٌ من كون اللَّاهوت المتَّحِدِ بالنَّاسـوت جلـس عـن يمـين اللَّاهـوت المجـرَّد

---

(١) (و): «اللاهوت وناسوت» بدل «ناسوت ولاهوت».

(٢) (ط.النيل): «لا يعقلون».

عن الاتِّحاد، إلا أن هذا اللَّاهوت المجرَّد منفصلٌ مباينٌ للَّاهوت المتَّحد، وليس هو متصلًا به، بل غايته أن يكون مماسًّا له، بل يجب أن يكون الذي يُماسُّ اللَّاهوت المجرَّدَ هو النَّاسوت مع اللَّاهوت المتَّحد به، فهذا حقيقة التبعيض والتجزئة مع انفصال أحد البعضين عن الآخر.

وأيضًا فيقال لهم: المتَّحد بالمسيح أَهُوَ ذات ربِّ العالمين أم صفةٌ من صفاته؟

فإن كان هو الذَّات، فهو الأب نفسه، ويكون المسيح هو الأب نفسه، وهذا مما اتَّفق النصارىٰ علىٰ بطلانه؛ فإنهم يقولون: هو الله، وهو ابن الله، كما حكىٰ الله عنهم، ولا يقولون هو الأب[1]، والأب عندهم هو الله، وهذا من تناقضهم.

وإن قالوا: المتحد بالمسيح صفة الرب فصفة الربِّ لا تفارقه، ولا يمكن اتحادها ولا حلولها في شيءٍ دون الذات.

وأيضًا فالصِّفة نفسُها ليست هي الإله الخالق ربُّ العالمين، بل هي صفته، ولا يقول عاقل: إن كلامَ الله أو علمَ الله أو حياة الله هي ربُّ العالمين الذي خلق السماوات والأرض، فلو قُدِّر أن المسيح هو صفةُ الله نفسُها لم يكن هو الله، ولم يكن هو ربُّ العالمين، ولا خالق السماوات والأرض.

والنصارىٰ يقولون: إن المسيح ربُّ العالمين خالقُ كلِّ شيء، وهو خالق آدم ومريم، وإن كان ابن آدم ومريم، فإنه خالق ذلك بلاهوته، وهو ابن آدم ومريم[2] بناسوته.

---

(١) بعدها في (المطبوعتين): «والابن».

(٢) «وإن كان ابن آدم ومريم...وهو ابن آدم ومريم» ساقط من (و) لانتقال النظر.

فلو قُدِّرَ أن المسيح هو صفةُ الرَّبِّ لم تكن الصفةُ هي الخالق، فكيف والمسيح ليس هو[1] صفةَ الله نفسَها، بل هو مخلوقٌ بكلمة الله، وسُمِّي كلمة الله؛ لأن الله كوَّنه (بكن)؟[2] وسمَّاه روحَه؛ لأنه خلقه من نفخ روح القدس في أمِّه، لم يخلقْه كما خلق غيرَه من أبٍ آدميّ.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[3] [آل عمران: ٤٥-٤٧]

وإن قـالوا: المتَّحـد بـه بعـض ذلـك دون بعـض، فقـد قـالوا بـالتبعيض والتجزئـة، فهـم بـين أمـرين: إمـا بطـلانُ مـذهبهم، وإمـا اعـترافُهم بـالتبعيض والتجزئة مع بطلانه.

وأيضًا فقولهم: «إلهٌ حق من إلهٍ حقٍّ، من جوهر أبيه، مولودٌ غيرُ مخلوق، مساوٍ للأب في الجوهر، ابنُ الله الوحيد، المولودُ قبل كلِّ الدُّهور».

يقال لهم: هذا الابن المولود المساوي للأب في الجوهر الذي هو إلهٌ حقٌّ من إلهٍ حق، هو صفةٌ قائمةٌ بغيرها؟ أو عينٌ قائمةٌ بنفسها؟

فإن كان الأول فالصَّفة ليست إلهًا ولا هي خالقة، ولا يقال لها: مولودة

---

(١) «هو» ليست في (ي).

(٢) قدّم هنا في «المطبوع» قوله: وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ...﴾ وذكر الآيتين بتمامها.

(٣) بعدها في (و): وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٤-٣٥].

من الله، ولا إنها مساويةٌ لله في الجوهر، ولم يُسَمِّ قطُّ أحدٌ من الأنبياء ولا أتباعِ الأنبياء صفاتِ الله لا ابنًا له ولا ولدًا، ولا قال: إن صفة الله تولَّدت منه، ولا قال عاقل: إن الصِّفة القديمة تولَّدت من الذَّات القديمة.

وهم يقولون: إن المسيح إلهٌ خلق السماوات والأرض لاتِّحاد ناسوته[1] بهذا الابن المولود قبل كلِّ الدُّهور، المساوي الأبَ في الجوهر.

وهذا كلُّه نعتُ[2] عينٍ قائمةٍ بنفسها، كالجواهر القائمة بنفسها، لا نعتُ صفاتٍ قائمةٍ بغيرها، وإذا كان كذلك كان التبعيض والتجزئة لازمةً لقولهم؛ فإنَّ القول بالولادة الطبيعيَّة مستلزمٌ لأن يكون خرج منه جزء، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾[3] [الزخرف: ١٥-١٩].

وأما هذا المعنىٰ الذي يُثْبِتُه مَنْ يثبته[4] من علماء النصارىٰ ويُسَمُّونه ولادةً وبُنُوَّةً فيُسَمُّون الصِّفة القديمة الأزليَّةَ القائمة بالموصوف ابنًا، ويسمُّونها تارةً النطقَ، وتارةً الكلمةَ، وتارةً العلمَ، وتارةً الحكمةَ، ويقولون: هذا مولود من

---

(١) (و): «ما يثبتونه».
(٢) «نعت» ليست في (ي).
(٣) بعدها في (و): «ولم يقولوا ما تعقله العقلاء، فضلُّوا فيما نقلوه عن الأنبياء» وهذه العبارة سيأتي موضعها قريبًا وقد سقطت من (و) هناك.
(٤) (و): «سنّه من سنّه» بدل: «يثبته من يثبته».

الله، وابن الله= فهذا لم يقلْه أحدٌ من الأنبياء وأتباعهم، ولا من سائر العقلاء غيرُ هؤلاء المبتدعة من النصارىٰ، ولا يفهم أحدٌ من العقلاء من اسم الولادة والبُنُوَّة هذا المعنىٰ.

والأنبياء لم يطلقوا لفظ «الابن» إلا علىٰ مخلوق، وهم يقولون: هو أبٌ للمسيح بالطَّبع، ولغيره بالوضع، فلا يعقل جمهور العقلاء[1] وغيرُهم من هذا المعنىٰ[2] إلا البنوَّة المعقولة بانفصال جزءٍ من الوالد، وهذا ينكره من ينكره من علمائهم.

لكنهم لم يتِّبعوا الأنبياء، ولم يقولوا ما تعقله العقلاء، فضلَّوا فيما نقلوه عن الأنبياء[3]، وأضلُّوا أتباعهم فيما قالوه وعوامَّهم، وإن كانوا لا يقولون: إن ولادة الله مثل[4] ولادة الحيوان بانفصال شيءٍ يوجد، فيقولون: ولادةٌ لاهوتيَّةٌ بانفصال جزءٍ من اللَّاهوت حلَّ في النَّاسوت، لا يُعْقَل من الولادة غير هذا.

وأيضًا فقولهم: «ونؤمن بروح القدس الربِّ المحيي المنبثق من الأب، الذي هو مع الأب مسجودٌ له، وممجَّدٌ ناطقٌ في الأنبياء».

فقولهم: «المنبثق من الأب الذي هو مع الأب مسجود له وممجَّد»= يَمتنع أن يقال هذا في حياة الربِّ القائمةِ به؛ فإنها ليست منبثقةً منه كسائر الصِّفات؛ إذ لو كان القائم بنفسه منبثقًا لكان علمه وقدرته وسائر صفاته منبثقةً[5] منه، بل الانبثاق في الكلام أظهرُ منه في الحياة؛ فإن الكلام يخرج من

(١) (ي): «النصارىٰ».
(٢) «المعنىٰ» ليست في (د، ي، ع).
(٣) «ولم يقولوا ما تعقله العقلاء، فضلَّوا فيما نقلوه عن الأنبياء» ساقطة من (و) لانتقال النظر.
(٤) (و): «وإن كانوا لا يقولون الولادة عن الله مثل هؤلاء ولادة...».
(٥) (د): «مشتقة».

المتكلم، وأما الحياة فلا تخرج من الحيّ، فلو كان في الصِّفات ما هو منبثقٌ لكان الصِّفةُ التي يُسَمُّونها «الابن»، ويقولون: هي العلم والكلام، أو النُّطق أو الحكمة، أولىٰ بأن تكون منبثقةً من الحياة التي هي أبعد عن ذلك من الكلام.

وقد قالوا أيضًا: «إنه مع الأب مسجودٌ له وممجَّد» والصِّفة القائمةُ بالربِّ ليست معه مسجودٌ لها.

وقالوا: «هو ناطقٌ في الأنبياء» وصفة الربِّ القائمةُ به لا تُنطق في الأنبياء، بل هذا كُلُّهُ صفةُ «روحِ القدس» الذي يجعله الله في قلوب الأنبياء، أو صفةُ ملكٍ من الملائكة كجبريل، فإذا كان هذا منبثقًا من الأب، والانبثاق الخروج، فأيُّ تبعيضٍ وتجزئةٍ أبلغُ من هذا.

وإذا شبَّهوه بانبثاق الشُّعاع من الشّمس كان هذا باطلًا من وجوه:

- **منها**: أن الشُّعاع عرضٌ قائمٌ بالهواء والأرض، وليس جوهرًا قائمًا بنفسه، وهذا عندهم حيٌّ مسجودٌ له، وهو جوهر.
- **ومنها**: أن ذلك الشُّعاعَ القائمَ بالهواء والأرض ليس صفةً للشَّمس، ولا قائمًا بها، وحياةُ الربِّ صفةٌ قائمةٌ به.
- **ومنها**: أن الانبثاق خصُّوا به «روح القدس»، ولم يقولوا في «الكلمة»: إنها منبثقة.

والانبثاق لو كان حقًّا لكان بالكلام أشبهَ منه بالحياة.

وكلَّما تدبَّر العاقل كلامهم في «الأمانة» وغيرِها وجد فيه من التَّناقض والفساد ما لا يخفىٰ إلا علىٰ أجهل العباد، ووجد فيه من مناقضة التَّوراة والإنجيل وسائرِ كتب الله ما لا يخفىٰ علىٰ من تدبَّر هذا وهذا.

ووجد فيه من مناقضة صريح المعقول[1] ما لا يخفىٰ إلا علىٰ معاندٍ أو جهول، فقولهم متناقضٌ في نفسه، مخالفٌ لصريح المعقول وصحيحِ المنقول عن جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين.

---

(١) (و، ي): «العقول».

فصـــل

قالوا: «وأما تَجَسُّمُ كلمة الله الخالقة[1] بإنسانٍ مخلوقٍ وولادَتُهُما معًا، أي: الكلمة مع الناسوت، فإنه لم يخاطِب الباري أحدًا من الأنبياء إلا وحيًا أو من وراء حجاب، حسَب ما جاء في هذا الكتاب بقوله: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١].

وإذا كانت اللَّطائف لا تظهر إلا في الكثائف[2]، روح القدس[3] وغيرها، فكلمة الله التي بها خلقت اللَّطائف والكثائف، تظهر في غير كثيفٍ كُلًّا.

ولذلك ظهر في عيسىٰ ابن مريم، إذ الإنسان أجلُّ ما خلقه الله، ولهذا خاطب الخلق، وشاهدوا منه ما شاهدوا».

والجوابُ من طرق:

أحدها: أنه يقال: هذا الذي ذكروه وادَّعوا أنه تجسُّم كلمة الله الخالقة بإنسانٍ مخلوقٍ وولادتُهما معًا، أي: الكلمة مع النَّاسوت، وهو الذي يُعَبَّر عنه باتِّحاد اللَّاهوت بالنَّاسوت= هو أمرٌ ممتنعٌ في صريح العقل، وما علم أنه ممتنعٌ في صريح[4] العقل لم يجز أن يخبِر به رسول؛ فإن الرسل إنما تخبر بما لا يُعلم بالعقل أنه ممتنع، فأما ما يعلم بصريح العقل أنه ممتنعٌ فالرسل منزَّهون عن الإخبار عنه.

---

(١) (و): «الخالق».

(٢) (و): «الكتائف» (د، ي) بلا نقط. والمثبت من (ع، ط.النيل). وفي (د) بعدها: «مثل».

(٣) (و): «الروح» بدل: «روح القدس».

(٤) «صريح» ليست في (ع).

الطريق الثاني: أن الأخبار الإلهيَّة صريحةٌ بأنَّ المسيح عبدُ الله، ليس بخالق العالم، والنصارىٰ يقولون: هو إلهٌ تامٌّ وإنسانٌ تام.

الطريق الثالث: الكلام فيما ذكروه.

فأما الطَّريق الأول فمن وجوه:

أحدها: أن يقال: المتَّحد بالمسيح إما أن يكون هو الذَّات المتَّصفة بالكلام أو الكلام فقط، وإن شئتَ قلت: المتَّحد به إما الكلام مع الذَّات، وإما الكلام بدون الذَّات. فإن كان المتَّحد به الكلام مع الذَّات[1] كان المسيح هو الأب وهو الابن وهو روح القدس، وكان المسيح هو الأقانيم الثلاثة.

وهذا باطلٌ باتِّفاق النَّصارىٰ، وسائرِ أهل الملل، وباتِّفاق الكتب الإلهيَّة، وباطلٌ بصريح العقل، كما سنذكره إن شاء الله[2].

وإن كان المتَّحد به هو الكلمة فقط، فالكلمة صفة، والصِّفة لا تقوم بغير موصوفها، والصِّفة ليست إلهًا خالقًا، والمسيح عندهم إلهٌ خالق، فبطل قولهم علىٰ التقديرين.

وإن قالوا: المتَّحد الموصوف بالصِّفة، فالموصوف هو الأب، والمسيح عندهم ليس هو الأب.

وإن قالوا: الصِّفة فقط، فالصِّفة لا تفارق الموصوف ولا تقوم بغير الموصوف، والصِّفة لا تخلق ولا ترزق، وليست الإله، والصفة لا تقعد عن يمين الموصوف، والمسيح عندهم صعد إلىٰ السماء وجلس عن يمين أبيه.

---

(١) «وإما الكلام بدون الذات، فإن كان المتحد به الكلام مع الذات» ساقط من (ي).

(٢) انظر: (٢/ ٣٠٢).

وأما كونه هو الأب فقط، وهو الذَّات المجرَّدة عن الصِّفات، فهذا أشدُّ استحالة، وليس فيهم من يقول بهذا.

الوجه الثاني: أن الذَّات المتحدة بناسوت المسيح مع ناسوت المسيح إن كانتا بعد الاتحاد ذاتين، وهما جوهران كما كانا قبل الاتحاد، فليس ذلك باتحاد.

وإن قيل: صارا جوهرًا واحدًا كما يقول من يقول منهم: إنهما صارا كالنار مع الحديدة، أو اللبن مع الماء= فهذا يستلزم استحالةَ كلٍّ منهما وانقلابَ صفة كلٍّ منهما، بل حقيقته: كما استحال الماء واللبن إذا اختلطا، والنارُ مع الحديدة، وحينئذٍ فيلزم أن يكون اللاهوت استحال وتبدَّلت صفته وحقيقته، والاستحالة لا تكون إلا بعدم شيءٍ ووجود آخر، فيلزم عدم[1] شيء من القديم الواجب الوجود بنفسه.

وما وجب قِدَمه استحال عدمه، وما وجب وجوده امتنع عدمه؛ فإن القديم لا يكون قديمًا إلا لوجوبه بنفسه، أو لكونه لازمًا للواجب بنفسه؛ إذ لو لم يكن لازمًا له بل كان غير لازمٍ له لم يكن قديمًا بِقِدَمه، والواجب بنفسه يمتنع عدمه، ولازمه لا يعدم إلاَّ بعدمه، فإنه يلزم من انتفاء اللازم انتفاء الملزوم.

الوجه الثالث أن يقال: الناس لهم في كلام الله ﷻ عدَّة أقوال، وقول النصارىٰ باطلٌ علىٰ جميع الأقوال التي قالها الناس في كلام الله، فثَبَت بطلانُه علىٰ كلِّ تقدير.

وذلك أن كلام الله سبحانه إما أن يكون صفةً له قائمًا به، وإما أن يكون

---

(١) «عدم» ليست في (و).

مخلوقًا له بائنًا عنه، وإما أن لا يكون لا هذا ولا هذا بل هو ما يوجد في النفوس.

وهذا الثالث هو أبعد الأقوال عن أقوال الأنبياء، وهو قول من يقول من الفلاسفة والصابئة: إن الربَّ لا تقوم به الصفات وليس هو خالقًا باختياره. ويقولون مع ذلك: إنه ليس عالمًا بالجزئيَّات ولا قادرًا علىٰ تغيير الأفلاك، بل كلامه عندهم ما يفيض علىٰ النُّفوس، وربما سمَّوه «كلامًا» بلسان الحال.

وهؤلاء ينفون الكلام عن الله، ويقولون: ليس بمتكلِّم، وقد يقولون: متكلمٌ مجازًا، لكن لما نطقت به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أطلقه من دخل في الملل منهم ثم فسَّره بمثل هذا، وهذا أحد قولَي الجهمية.

والقول الثاني: أنه متكلِّمٌ حقيقة، لكن كلامه مخلوق، خلقه[1] في غيره، وهو قول المعتزلة وغيرِهم، والقول الآخر للجهمية.

وعلىٰ هذين القولين، فليس لله كلامٌ قائمٌ به حتىٰ يتَّحد بالمسيح أو يحُلَّ به، والمخلوق عرَضٌ من الأعراض ليس بإلهٍ خالق، وكثيرٌ من أهل الكتاب اليهود والنصارىٰ من يقول بهذا وهذا.

وأما القول الأول، وهو قول سلف الأمَّة وأئمتِها وجمهورِها، وقولُ كثيرٍ من[2] سلف أهل الكتاب، وجمهورهم.

فإما أن يقال: الكلام قديمُ النَّوع، بمعنىٰ: أنه لم يزل يتكلم بمشيئته[3]، أو قديمُ العين، وإما أن يقال: ليس بقديم، بل هو حادث. **والأول هو القول المعروفُ عن أئِمَّة السُّنَّة والحديث.**

---

(١) «خلقه» ليست في (و).

(٢) «كثير من» ليست في (و).

(٣) (ع): «متكلمًا بمشيئته»، (ط.النيل): «متكلمًا بمشيئة».

وأما القائلون بقِدَم العين، فهم يقولون: الكلام لا يتعلَّق بمشيئته وقدرته، لاعتقادهم أنه لا تَحلُّه الحوادث، وما كان بمشيئته وقدرته لا يكون إلا حادثًا، ولهم قولان: **منهم من قال**: القديم معنًى واحد، أو خمسةُ معانٍ، وذلك المعنىٰ يكون أمرًا ونهيًا وخبرًا، وهذه صفاتٌ له لا أقسامٌ له، وإن عبَّر عنه بالعربيَّة كان قرآنًا، وإن عبَّر عنه بالعبريَّة كان توراة(١).

ومنهم من قال: هو حروف، أو حروفٌ وأصواتٌ قديمةُ الأعيان.

والقول الثالث: إنه متكلِّمٌ بمشيئته وقدرته كلامًا قائمًا بذاته، قالوا: وهو حادث، ويمتنع أن يكون قديمًا؛ لامتناع كون المقدور المراد قديمًا.

وهذه الطوائف بنوا أقوالهم علىٰ أن ما لم يخل عن الحوادث فهو حادثٌ؛ لامتناع وجود ما لا نهاية له عندهم، وإذا امتنع ذلك تعيّن أن يكون لنوع الحوادث ابتداءٌ، كما للحادث المعيَّن ابتداءٌ، وما لم يَسْبق الحوادث كان معه أو بعده فيكون حادثًا، فلهذا منع هؤلاء أن تكون كلماتُ الله لا نهاية لها في الأزل، وإن كان من هؤلاء من يقولُ بدوام وجودها في الأبد.

وأما القول بأن كلماتِ الله لا نهاية لها مع أنها قائمةٌ بذاته، فهو القول المأثور عن أئمَّة السلف، وهو قول أكثر أهل الحديث، وكثيرٍ من أهل الكلام ومن الفلاسفة، وهذه الأقوال قد بُسِط الكلام عليها في غير موضع(٢).

والمقصود هنا: أن قول النصارىٰ باطلٌ علىٰ كل قولٍ من هذه الأقوال الأربعة، كما تقدَّم بيان بطلانه علىٰ ذَيْنِكَ القولين؛ فإنه علىٰ قول الجمهور الذين يجعلون لله كلماتٍ كثيرة: إما كلماتٌ لا نهاية لها ولم تزل، وإما كلماتٌ

---

(١) بعدها في (و): «وإنجيلًا».
(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ»: (١٢/ ٣٧، ٣٥٠).

لها ابتداء، وإذا كان له كلماتٌ كثيرةٌ فالمسيح ليس هو الكلمات الذي لا نهاية لها، وليس هو كلماتٌ كثيرة[1]، بل إنما خُلِقَ بكلمةٍ من كلمات الله، كما في الكتب الإلهيَّة القرآنِ والتوراةِ: أنه يخلق الأشياء بكلماته.

قال تعالىٰ في قصَّة بشارة مريم بالمسيح:

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧].

وقال أيضًا: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

وقال: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٤ - ٣٥]،

وقد أخبر الله في القرآن بخلقه للأشياء بكلماته في غير موضعٍ بقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢)﴾ [يس: ٨٢].

وفي التوراة: «ليكن يوم الأحد، ليكن كذا، ليكن كذا».

وأيضًا فعلىٰ قول هؤلاء، وعلىٰ قول من يجعل كلامَه إما معنًى واحدًا، وإما خمسة معان، وإما حروفٌ وأصواتٌ هي شيءٌ واحد= فكلُّهم يقولون: إن الكلام صفةٌ قائمةٌ بالموصوف لا يُتصَوَّر أن يكون جوهرًا قائمًا بنفسه، ولا يُتصَوَّر أن يكون خالقًا، ولا للكلام مشيئة، ولا هو جوهرٌ آخرُ غيرُ جوهرِ المتكلِّم، ولا يتَّحد بغير المتكلِّم، بل جمهورهم يقولون: إنه لا يَحُلُّ أيضًا بغير المتكلِّم.

---

(١) «وليس هو كلمات كثيرة» ليست في (و).

ومن قال بالحلول منهم فلا يقول: إن الحالَّ جوهر، ولا إلهٌ خالق. فتبيَّن أن ما قاله النصارىٰ باطلٌ علىٰ جميع الأقوال التي قالها الناس في كلام الله، مع أن أكثر هذه الأقوال خطأ، ولمَّا كان قول النَّصارىٰ فساده أظهر للعقلاء، كان الخطأ الذي في أكثر هذه الأقوال قد خفي علىٰ العقلاء الذين قالوها، ولم يَخْفَ عليهم فسادُ قول النصارىٰ.

وأيضًا فالذين قالوا بالحلول من الغلاة الذين يكفِّرهم المسلمون، كالذين يقولون بحلوله في بعض أهل البيت أو بعض المشايخ، هم وإن كانوا كفارًا شاركوا النَّصارىٰ في الحلول، ولكن لم يقولوا: إن الكلمة التي حلَّت هي الإله الخالق فيتناقضون تناقضًا ظاهرًا، بل ما في قول النصارىٰ من التَّناقض البيِّن ما ليس في قول هؤلاء، وإن كانوا في بعض الوجوه قولُهم شرٌّ من قول النصارىٰ.

الوجه الرابع: أن يقال: لو كان المسيح نفسَ[1] كلمةِ الله، فكلمةُ الله ليست هي الإله الخالق للسماوات والأرض، ولا هي تَغْفِر الذُّنوب، وتَجْزِي الناسَ بأعمالهم، سواءٌ كانت كلمتُه صفةً له أو مخلوقةً له كسائر صفاته ومخلوقاته.

فإن علمَ الله وقدرتَه وحياته لم تَخْلُق العالم، ولا يقول أحد: يا علم الله اغفر لي، و يا قدرة الله تُوْبي علي، و يا كلام الله ارحمني، ولا يقول: يا توراة الله، أو يا إنجيله، أو يا قرآنه، اغفر لي وارحمني، وإنما يُدْعىٰ الله سبحانه، وهو سبحانه متَّصِفٌ بصفات الكمال، فكيف والمسيح ليس هو نفسَ الكلام؟!

فإن المسيح جوهرٌ قائمٌ بنفسه، والكلام صفةٌ قائمةٌ بالمتكلم، وليس هو نفسَ الرَّبِّ المتكلِّم، فإن الربَّ المتكلِّم هو الذي يُسَمُّونه الأب، والمسيح ليس هو الأب عندهم، بل الابن، فضلّوا في قولهم من جهات:

---

(١) بعدها في (و): «الكلمة».

منها: جَعْلُ الأقانيم ثلاثة، وصفات الله لا تختصُّ بثلاثة.

ومنها: جعل الصِّفة خالقة، والصفةُ لا تخلق.

ومنها: جعلُهم المسيحَ نفسَ الكلمةِ، والمسيحُ خُلِقَ بالكلمة، فقيل له: «كن» فكان. كما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ تفسير ذلك.

وإنما خُصَّ المسيحُ بتسميته كلمةَ الله دون سائر البشر؛ لأن سائر البشر خُلِقوا علىٰ الوجه المعتاد في المخلوقات، يُخلق الواحد من ذرية آدم من نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم يُنفخ فيه الروح، وخُلِقوا من ماء الأبوين: الأب والأم.

والمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يُخْلَق من ماء رجل، بل لما نَفَخَ روح القدس في أمِّه حَبَلَتْ به، وقال الله له: «كن» فكان.

ولهذا شبَّهه الله بآدمَ في قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] فإن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ خُلِقَ من ترابٍ وماء، فصار طينًا، ثم أيْبَس الطِّين، ثم قال له: «كن» فكان. وهو حين نَفَخَ الروحَ فيه صار بشرًا تامًّا، لم يَحْتَجْ بعد ذلك إلىٰ ما احتاج إليه أولادُه بعد نفخ الرُّوح.

فإن الجنين بعد نفخ الرُّوح يَكْمُلُ خَلْقُ(١) جسدِه في بطن أمه، فيبقىٰ في بطنها نحوَ خمسةِ أشهر، ثم يخرج طفلًا يَرتضِعُ، ثم يكبر شيئًا بعد شيء.

وآدمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حين خُلِقَ جسده قيل له: «كن» فكان بشرًا تامًّا بنفخ الروح فيه، ولكن لم يُسَمَّ كلمة الله؛ لأن جسده خُلِق من التُّراب والماء، وبقي مدةً طويلة يقال: أربعين سنة، فلم يكن خَلْقُ جسده إبداعيًا في وقتٍ واحد، بل خُلق شيئًا فشيئًا، وخَلْقُ الحيوان من الطِّين معتادًا(٢) في الجملة.

---

(١) «خلق» ليست في (و).

(٢) كذا في الأصول «معتادًا» بالنصب.

وأما المسيح عليه السلام فخُلق جسدُه خلقًا إبداعيًا بنفس نفخ روح القدس في أمِّه، قيل له: «كن» فكان. فكان له من الاختصاص بكونه خُلِق بكلمة الله ما لم يكن لغيره من البشر.

ومن الأمر المعتاد في لغة العرب وغيرهم أن الاسم العامَّ إذا كان له نوعان خَصَّت أحدَ النوعين باسم، وأبقت الاسم العامَّ مختصًّا بالنَّوع، كلفظ الدابَّة والحيوان، فإنه عامٌّ في كلِّ ما يدبُّ، وكلِّ حيوان، ثم لمَّا كان للآدميِّ اسمٌ يخصُّه بقي لفظ[1] الحيوان يختصُّ به البهيم، ولفظ الدابَّة يختصُّ به الخيل، أو هي والبغال والحمير ونحو ذلك، وكذلك لفظ الجائز، والممكن، وذوي الأرحام، وأمثال ذلك، فلمَّا كان لغير المسيح ما يختصُّ به أُبقي اسمُ الكلمة العامَّة مختصًّا بالمسيح.

الطريق الثاني: أن ما ذكروه حجةٌ عليهم، فإن الله إذا لم يكلِّم أحدًا من الأنبياء إلا وحيًا أو من وراء حجاب= فالمسيح عيسىٰ ابنُ مريمَ يجب أن لا يكلِّمه إلا وحيًا، أو من وراء حجاب، أو يرسل إليه رسولًا.

وقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ [الشورىٰ: ٥١]. يعمُّ كلَّ بشر: المسيحَ وغيرَه.

وإذا امتنع أن يكلِّمه إلا وحيًا أو من وراء حجاب، فامتناع أن يتَّحد به، أو يَحُلَّ فيه أَوْلَىٰ وأحرىٰ؛ فإن ما اتَّحد به وحلَّ فيه كلَّمه الله من غير حجابٍ بين اللَّاهوت والنَّاسوت، وهم قد سلَّموا أن الله لا يكلِّم بشرًا إلا من وراء حجاب.

---

(١) (د، ي، ع): «كلفظ».

الوجه الثالث: أن قوله. ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورىٰ: ٥١].

يقتضي أن يكون الحجاب حجابًا يحجُب البشر كما حجب موسىٰ، فيقتضي ذلك أنهم لا يرونه في الدنيا وإن كلَّمهم، كما أنه كلَّم موسىٰ ولم يره موسىٰ، بل سأل الرؤية فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قيل: أنا أول من آمن أنه لا يراك أحدٌ في الدنيا.

وعندهم في التوراة: «إن الإنسان لا يمكنه أن يرىٰ الله في الدنيا فيعيش»[(١)]، وكذلك قال عيسىٰ لما سألوه عن رؤية الله فقال: «إن الله لم يره أحد قط»[(٢)]. وهذا معروفٌ عندهم.

وإذا كان كذلك فلا بد أن يكون الحجابُ الحاجبُ للبشر ليس هو من البشر، وهذا يُبطِلُ قول النصارىٰ؛ فإنهم يقولون: إن الربَّ احتجب بحجابٍ بشريٍّ، وهو الجسد الذي ولدته مريم فاتخذه حجابًا، وكلم الناس من ورائه، والقرآن يدلُّ علىٰ أن الحجاب ليس من البشر.

---

(١) «التوراة إن الإنسان لا يمكنه أن يرىٰ الله في الدنيا فيعيش» ساقطة من (ي). وكذا سيقت العبارة في (و): «لن تراني إن الإنسان لا يمكنه رؤيتي في الدنيا فيعيش».
وقد جاء في سفر الخروج: الإصحاح (٣٣)، الفقرة (٢٠): «**أما وجهي فلا تستطيع أن تراه؛ لأنه لا يراني الإنسانُ ويحيا**».

(٢) جاء في سفر يوحنا، الإصحاح (الأول)، الفقرة (١٨): «**إن الله ما رآه أحد قط**».

يبيِّن هذا **الوجهُ الرَّابع**: وهو أن ذلك الجسد الذي ولدتْه مريم هو من جنس أجسام بني آدم، فإن جاز أن يتَّحد به ويَحُلَّ فيه ويُطِيقَ الجسد البشريَّ ذلك في الدنيا بما يجعله الله فيه من القوَّة= جاز أن يتَّحد بغيره من الأجسام بما يجعله فيه من القوة، وإذا جاز أن يتَّحد به جاز أن يكلِّمها بغير حجابٍ بينه وبينها بطريق الأولىٰ والأحرىٰ، وهذا خلاف ما ذكروه وخلافُ القرآن.

فتبيَّن أن نفي الأنبياء لِأَن يراه المرء في الدُّنيا هو نفيٌّ لمماسَّته ببشرٍ بطريق الأولىٰ والأحرىٰ، والنَّاسوت المسيحيُّ(١) هو بشر، فإذا لم يمكنه أن يرىٰ الله؛ فكيف يمكنه أن يتَّحد به ويُمَاسَّه ويصيرَ هو وإياه كاللَّبن والماء، والنَّار والحديد، أو كالرُّوح والبدن؟

الوجه الخامس: أنه من المعلوم أن رؤية الآدمي له أيسرُ من اتحاده به، وحلولِه فيه، وأولىٰ بالإمكان، فإذا كانت الرؤية في الدنيا قد نفاها الله، ومنعها علىٰ ألسن رسله: موسىٰ وعيسىٰ ومحمدٍ صلوات الله عليهم وسلامه، فكيف يجوز اتصالُه بالبشر واتِّحادُه به؟

الوجه السادس: أنه لو كان حلولُه في البشر ممَّا هو ممكنٌ وواقع، لم يكن لاختصاص واحدٍ من البشر بذلك دون مَنْ قبلَه وبعده معنىٰ(٢)، فإن القدرة شاملة، والمقتضي وهو وجود الله وحاجة الخلق موجود(٣)، ولهذا لمَّا كانت الرسالة ممكنةً أرسل من البشر غيرَ واحد، ولمَّا كان سماع كلامه للبشر ممكنًا سمع كلامَه غيرُ واحد، ورؤيته في الدنيا بالأبصار لم تقع لأحدٍ باتفاق علماء

---

(١) «المسيحي» ساقطة من (د، ي، ع).

(٢) «معنىٰ» ساقطة من النسخ عدا (و).

(٣) كذا العبارة في (ي، ع): «والمقتضىٰ وهو جود الله موجود».

المسلمين، لكن لهم في النَّبيِّ ﷺ قولان، والذي عليه أكابر العلماء وجمهورهم أنه لم يره بعيْنه، كما دلَّ علىٰ ذلك الكتاب والسنة[(١)].

والخُلَّةُ لمَّا كانت ممكنةً اتخذ إبراهيم خليلًا، واتخذ محمدًا أيضًا خليلًا كما في «الصَّحيحين»[(٢)] من غير وجهٍ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ الله اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كما اتَّخَذَ إبراهِيمَ خَلِيلًا**» وقال ﷺ: «**لو كُنتُ متَّخِذًا مِنْ أَهْلِ[(٣)] الأرْضِ خَلِيلًا لاتَّخَذْتُ أبا بَكْرٍ خَلِيلًا، ولكنْ صَاحِبُكُم خَلِيلُ اللهِ**»[(٤)]. يعني نفْسَه.

الوجه السابع: قولهم: «وإذا كانت اللَّطائف لا تظهر إلا في الكثائِف[(٥)] مِثْلِ الرُّوحِ وغيرِها، فكلمة الله التي بها خلقت الكثائِفُ تظهر في غير كثيفٍ كُلًّا».

فيقال لهم: ظهور اللَّطائف في الكثائف كلامٌ مجمل، فإن أردتم أن روح الإنسان تظهر في جسده، أو الجنيَّ يتكلَّم علىٰ لسان المصروع ونحو ذلك، فليس هذا ممَّا نحن فيه، وإن أردتم أن الله تعالىٰ نفسَه يَحُلُّ في البشر، فهذا محلُّ

(١) من ذلك ما أخرجه البخاري (٣٢٣٤)، ومسلم (١١٧) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «من زعم أن محمدًا رأىٰ ربه فقد أعظم...» الحديث. ومن قال: إن رسول الله ﷺ رآه، استدل بما أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٦) عن ابن عباس، قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]، قال: «رآه بفؤاده مرتين». قال المرّوذي: قلت لأبي عبدالله: إنهم يقولون إن عائشة قالت: «من زعم أن محمدًا...» فبأي شيء يدفع قولها؟ قال: بقول النبي ﷺ: رأيت ربي. وقولُه أكبر من قولها. انظر: «بيان تلبيس الجهمية» (٧/ ١٧٩)، «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٥٠٧).

(٢) البخاري (٦٥٦٥)، ومسلم (٥٣٢) عن جندب رضي الله عنه.

(٣) «أهل» ليست في (ي) وهي ثابتة في بعض ألفاظ الصحيح.

(٤) «صحيح مسلم» (٢٣٨٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٥) (و): «الكتائف» ومثلها في المواضع الآتية كلها بالتاء.

النزاع؛ فأين الدليل عليه وأنتم لم تذكروا إلا ما يدل علىٰ نقيض ذلك؟

الوجه الثامن: أن هذا أمرٌ لـم يَـدُلَّ عليه عقلٌ ولا نقل، ولا نطق نبيٌّ من الأنبياء بأن الله يَحُلُّ في بشر، ولا ادَّعىٰ صادقٌ قطُّ حلولَ الرب فيه، وإنما يـدَّعِي ذلك الكذَّابون، كالمسيح الدَّجال الـذي يظهـر في آخر الزمـان ويـدَّعي الإلهيَّـة، فيُنزِلُ الله ﷻ عيسىٰ ابن مريم مسيحَ الهدىٰ، فَيَقْتُلُ مسيحُ الهـدىٰ الـذي ادُّعيت فيه الإلهيَّةُ بالباطل المسيحَ الدَّجال الذي ادَّعىٰ الإلهيَّةَ بالباطل، ويُبيِّنُ أن البشر لا يَحُلُّ فيه ربُّ العالمين.

ولهذا لمَّا أنذر النَّبيُّ ﷺ بالمسيح الدَّجَّال، وقال: **«ما مِن نَبيٍّ إلّا وَقدْ أنْذَر أُمَّتَه المَسِيحَ الدَّجَّالَ، حتىٰ نوحٌ أنْذَرَ قوْمَه به»**. وذكر النَّبيُّ ﷺ لـه ثـلاثَ دلائـلَ ظاهرةً تظهر لكلِّ مسلم، تُبيِّن كَذِبَه:

أحدها: قوله: **«مَكْتُوبٌ بيْنَ عينَيْهِ كَافِرٌ، «ك ف ر» يَقْرَؤه كلُّ مُؤمِنٍ: قـارِئٍ وغيرُ قارئ»**.

الثاني: قوله: **«واعْلَمُوا أن أحدًا منكُم لن يَرَىٰ ربَّه حتَّىٰ يمُوتَ»**.

فبيّن أن الله لا يراه أحدٌ في الدُّنيا بِعيْنَيْهِ، وكلُّ بشرٍ فإنه يُرىٰ في الدُّنيا بالعين، فعُلِم أن الله لا يتَّحِد(١) ببشر.

الثالث: قوله: **«إنه أعْوَرٌ، وإنَّ ربَّكُم ليْسَ بأعور»**(٢). ودلائـل نفـي الربوبيَّـة عنه كثيرة.

---

(١) المثبت من (و)، وفي سائر النسخ: «يتجسد».

(٢) الجُمل المذكورة هي مجموع حديث واحد، مضىٰ تخريجه (١/ ٤٨٨).

لكن لمَّا كان حلولُ اللَّاهوت في البشر واتحادُه[1] به مذهبًا ضلَّ به طوائفُ كثيرون من بني آدم: النصارىٰ وغيرهم، وكان المسيح الدَّجال يأتي بخوارقَ عظيمةٍ، والنصارىٰ احتجُّوا علىٰ إلهيَّةِ المسيح بمثل ذلك= ذكر النبي ﷺ من علامات كَذِبه أمورًا ظاهرةً لا يُحتاج فيها إلىٰ بيان مواردِ النِّزاع التي ضلَّ فيها خلقٌ كثيرٌ من الآدميين، فإن كثيرًا من الناس بل أكثرهم، تُدْهِشُهم الخوارقُ حتىٰ يصدِّقوا صاحبَها[2] قبل النَّظر في إمكان دعواه، وإذا صدَّقوه صدَّقوا النصارىٰ في دعوىٰ إلهيَّة المسيح، وصدّقوا أيضًا من ادَّعىٰ الحلول والاتحاد في بعض المشايخ، أو بعضِ أهل البيت، أو غيرِهم من أهل الإفك والفجور.

وبهذا يظهر الجواب عمَّا يورده بعضُ أهلِ الكلام كالرَّازي[3] علىٰ هذا الحديث، حيث قالوا: دلائل كون الدَّجال ليس هو الله ظاهرة، فكيف يَحتجُّ النَّبيُّ ﷺ علىٰ ذلك بقوله: «**إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور**»؟

وهذا السُّؤال يدلُّ علىٰ جهل قائله بما يقع فيه بنو آدم من الضَّلال، وبالأدلة البَيِّنة التي تُبيِّن فساد الأقوال الباطلة، وإلا فإذا كان بنو إسرائيل في عهد موسىٰ ظنُّوا أن العجل هو إله موسىٰ، فقالوا: هذا إلهكم وإله موسىٰ، وظنُّوا أن موسىٰ نسيه.

والنَّصارىٰ مع كثرتهم يقولون: إنّ المسيح هو الله، وفي المنتسبين إلىٰ القبلة خلقٌ كثيرٌ يقولون ذلك في كثير من المشايخ وأهل البيت، حتىٰ إن كثيرًا

---

(١) (المطبوع): «واتخاذه» مخالف للأصول.

(٢) (و): «ما فيها».

(٣) «كالماردني» كتبت مهملة في (ي).

من أكابر شيوخ المعرفة والتصوُّف يجعلون هذا نهاية التَّحقيق والتَّوحيد، وهو أن يكون الموحِّد هو الموحَّد، وينشدون:

مَا وحَّدَ الواحِدَ مِنْ واحِدٍ ... إذ كلُّ مَنْ وَحَّدَه جَاحِدُ
تَوْحِيدُ مَنْ يُخبرُ عن نَعْتهِ ... عارِيَّةٌ أَبْطلَها الواحِدُ
توحِيدُه إيَّاه توحِيدُه ... ونَعْتُ من يَنْعَتُه لاحِدُ(١)

فكيف يُستبعد مع إظهار الدَّجال هذه الخوارقَ العظيمةَ أن يُعتقد فيه أنه الله، وهو يقول: أنا الله، وقد اعتُقِدَ ذلك فيمن لم يَظهر فيه مثلُ خوارقه من الكذَّابين، وفيمن لم يقل: أنا الله، كالمسيح، وسائر الأنبياء والصالحين.

الوجه العاشر(٢): قولهم: «فكلمة الله التي بها خلقت اللَّطائف تظهر في غير كثيفٍ كُلًّا».

فيقال لهم: كلمة الله التي يدَّعون ظهورها في المسيح، أهي كلام الله الذي هو صفته، أو ذاتُ الله المتكلِّمةُ أو مجموعُها؟ فإن قلتم: الظَّاهر فيه نفس الكلام. **فهذا يراد به شيئان:**

إن أُرِيدَ به أن الله أنزل كلامَه علىٰ المسيح كما أنزله علىٰ غيره من الرُّسل، فهذا حقٌّ اتَّفق عليه أهل الإيمان، ونطق به القرآن.

وإن أُرِيدَ به أن كلام الله فارق ذاته وحلَّ في المسيح أو غيره، فهو باطل، مع أن هذا لا ينفع النصارىٰ؛ فإن المسيح عندهم إلهٌ خلق السماوات والأرض،

---

(١) هذه الأبيات منسوبة للهروي صاحب «منازل السائرين». قال المصنِّف في معرض كلامه عن مذهب الحلَّاج، كما في «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ٣١٧): «وكلام صاحب منازل السائرين وأمثاله يشير إلىٰ هذا وتوحيده الذي قال فيه...» ثم أورد الأبيات المذكورة.
(٢) كذا جاء العدُّ بـ«العاشر» بتجاوز «التاسع» وعليه جرىٰ التسلسل بعد ذلك.

وهو عندهم ابن آدم وخالق آدم، وابنُ مريم وخالقُ مريم: ابنها بناسوته وخالقها بلاهوته.

وإن أرادوا بظهور الكلمة ظهورَ ذات الله أو ظهورَ ذاته وكلامه في الكثيف الذي هو الإنسان، فهذا أيضًا يراد به ظهورُ نوره في قلوب المؤمنين، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [النور: ٣٥] إلىٰ قوله[١]: ﴿كَوۡكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ [النور: ٣٥] الآيات. وكما ظهر الله من طور سيناء، وأشرق من سَاعِير، واستَعْلَن من جبال فَارَان، وكما تجلَّىٰ لإبراهيم، كما ذكره في التَّوراة[٢]، فهذا لا يختصُّ بالمسيح، بل هو لغيره كما هو له.

وإن أرادوا أن ذات الرَّب حلَّتْ في المسيح، أو في غيره، فهذا مَحَلُّ النِّزاع، فأين دليلهم علىٰ إمكان ذلك، ثم وقوعه؟ مع أن جماهير العقلاء من أهل الملل وغيرهم يقولون: هذا غير واقع، بل هو ممتنع.

الوجه الحادي عشر: قولهم: «فكلمة الله التي بها خُلِقت اللَّطائف تظهر في غير كثيفٍ كُلًّا» كلامٌ باطل.

فإن ظهور ما يظهر من الأمور الإلهيَّة إذا أمكن ظهوره فظهوره[٣] في اللَّطيف أولىٰ من ظهوره في الكثيف؛ فإن الملائكة تَنْزل بالوحي علىٰ الأنبياء عليهم السلام، وتَتَلَقَّىٰ كلام الله من الله[٤]، وتنزل به علىٰ الأنبياء عليهم السلام، فيكون وصول كلام الله إلىٰ الملائكة قبل وصوله إلىٰ البشر وهم الوسائط كما قال تعالىٰ: ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورىٰ: ٥١].

---

(١) في (و): أكمل الآية بنصِّها إلىٰ قوله: ﴿كَوۡكَبٌ دُرِّيٌّ﴾.
(٢) (و): «ذكر في النور» خطأ.
(٣) (د، ع): «بظهوره».
(٤) (و): «منه» بدل: «من الله».

والله تعالىٰ أَيَّد رسله من البشر حتىٰ أطاقوا التلقِّي عن الملائكة، وكانت الملائكة تأتيهم أحيانًا في غير الصُّورة البشريَّة، وأحيانًا في الصُّورة البشريَّة، فكان ظهور الأمور الإلهيَّة باللَّطائف ووصولُها إليهم أولىٰ منه بالكثائف، ولو جاز أن يتَّحد الرَّبُّ سبحانه بحيٍّ من الأحياء ويَحُلَّ فيه لكان حلوله في مَلَكٍ من الملائكة واتحاده به أولىٰ من حلوله واتحاده بواحدٍ من البشر.

الوجه الثاني عشر: أن النَّاسوت المسيحيَّ عندهم الذي اتحد به هو البدن والروح معًا؛ فإن المسيح كان له بدنٌ وروحٌ كما لسائر البشر، واتَّحَد به عندهم اللَّاهوت، فهو عندهم اسمٌ يقع علىٰ بدنٍ وروحٍ آدميَّيْنِ وعلىٰ اللَّاهوت، وحينئذٍ فاللَّاهوت علىٰ رأيهم إنما اتَّحد في لطيفٍ وهو الرُّوح، وكثيفٍ وهو البدن، لم يظهر في كثيفٍ فقط، ولولا اللَّطيف الذي كان مع الكثيف، وهو الرُّوح لم يكن للكثيف فضيلةٌ ولا شرف.

الوجه الثالثَ عشر: أنهم يشبّهون اتِّحاد اللَّاهوت بالنَّاسوت باتِّحاد الرُّوح بالبدن، كما شبَّهوا هنا ظهورَه فيه بظهور الرُّوح في البدن، وحينئذٍ فمن المعلوم أن ما يصيبُ البدن من الآلام تتألم به الرُّوح، وما تتألم به الرُّوح يتألم به البدن، فيلزم[1] أن يكون النَّاسوت لما صُلِبَ وتألَّم وتوجَّع الوجع الشَّديد كان اللَّاهوت أيضًا متألِّمًا متوجِّعًا.

وقد خاطبتُ بهذا بعضَ النصارىٰ فقال لي: الروح بسيطة؛ أي: لا يلحقها ألم.

فقلت له: فما تقول في أرواح الكفار بعد الموت، أمنعَّمةٌ أو معذَّبة؟

---

(١) (و، ط.النيل): «فيلزمهم».

فقال: هي في العذاب.

فقلت: فَعُلِم أن الرُّوحَ المُفَارِقَةَ تُنعَّم وتُعذَّب، فإذا شبَّهتم اللَّاهوت في النَّاسوت بالرُّوح في البدن لزم أن تتألَّم إذا تألَّم[1] النَّاسوت كما تتألَّم الرُّوح إذا تألَّم البدن، فاعترف هو وغيره بلزوم ذلك.

الوجه الرابعَ عشر: أن قولهم: «وإذا كانت اللَّطائف لا تظهر إلا في الكثائف، فكلمة الله لا تظهر إلا في كثيفٍ كُلًّا» تركيبٌ فاسدٌ لا دلالة فيه، وإنما يدلُّ إذا بيَّنوا أنّ كلَّ لطيفٍ بأنه يظهر في كثيف، ولا يظهر في غيره، حتىٰ يقال: فلهذا ظهر الله في كثيفٍ ولم يظهر في لطيف.

وإلا فإذا قيل: إنه لا يَحُلُّ لا في لطيفٍ ولاكثيف، أو قيل: «إنه يَحُلُّ فيهما» بطل قولهم بوجوب حلوله في المسيح الكثيف دون اللطيف، وهم لم يؤلِّفوا الحُجَّة تأليفًا منتِجًا، ولا دلُّوا علىٰ مقدِّماتها بدليل، فلا أَتَوْا بصورة الدَّليل، ولا مادَّتِه، بل مغاليطَ لا تروج إلا علىٰ جاهلٍ يقلِّدُهم.

ولا يلزم من حلول الرُّوح في البدن أن يَحُلَّ كلُّ شيءٍ في البدن، بل هذه دعوىٰ مجرَّدة، وأرواح بني آدم تظهر في أبدانهم، ولا تظهر في أبدان البهائم، بل ولا في الجن، والملائكة تتصوَّرُ في صورة الآدميِّين وكذلك الجن، والإنسان لا يظهر في غير صورة الإنسان، فأيُّ دليلٍ من كلامهم علىٰ أن الربَّ يَحُلُّ في الإنسان الكثيف، ولا يَحُلُّ في اللَّطيف؟

والقوم شرعوا يحتجُّون علىٰ تجسُّم كلمة الله الخالقة فقالوا: «وأما تجسم كلمة الله الخالقة بإنسان مخلوق وولادتهما معًا، أي الكلمة مع الناسوت، فإن الله

---

(١) (و): «كما يتألم».

لم يكلِّم[1] أحدًا من الأنبياء إلا وحيًا أو من وراء حجاب» وليس فيما ذكروه قطُّ دلالةٌ لا قطعيَّةٌ ولا ظنيَّةٌ علىٰ تجسيم كلمة الله الخالقة وولادتها[2] مع الناسوت.

الوجه الخامسَ عشرَ: أنهم قالوا: «وأما تجسُّم كلمة الله الخالقة» ثم قالوا: «فكلمة الله التي بها خُلِقَت اللطائف» فتارةً يجعلونها خالقة، وتارةً يجعلونها مخلوقًا بها[3]، ومعلومٌ أن الخالق ليس هو المخلوق به، والمخلوقَ به ليس هو الخالق، فإن كانت الكلمة خالقة، فهي خَلقتِ الأشياء، لم تُخلَق الأشياءُ بها، وإن كانت الأشياءُ خُلقت بها، فلم تَخْلُقِ الأشياءَ، بل خُلقت الأشياءُ بها.

ولو قالوا: إن الأشياء خُلقت بها؛ بمعنىٰ أنَّ الله إذا أراد أمرًا فإنما يقول له: كن فيكون، لكان هذا حقًّا، لكنهم يجعلونها خالقة، مع قولهم بما يناقِض ذلك.

الوجه السَّادسَ عشر: أن يقال لهم: إذا كان الله لم يخاطِب بشرًا إلا وحيًا أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولًا فيوحيَ بإذنه ما يشاء، فتكليمه للبشر بالوحي ومن وراء حجاب، كما كلَّم موسىٰ، وبإرسال ملَكٍ كما أرسل الملائكة، إما أن يكون كافيًا في حصول مراد الربِّ من الرِّسالة إلىٰ عباده أو ليس كافيًا، بل لا بدَّ من حلوله نفسِه في بشر.

فإن كان ذلك كافيًا أمكن أن يكون المسيحُ مثلَ غيره، فيوحيَ الله إليه أو يرسلَ إليه ملكًا فيوحيَ بإذن الله ما يشاء، أو يكلِّمه من وراء حجابٍ كما كلَّم موسىٰ، وحينئذٍ فلا حاجة به إلىٰ اتِّحاده ببشرٍ مخلوق.

---

(١) (و): «يخاطب».
(٢) (ي): «ولا أنها».
(٣) (ي): «مخلوقاتها».

وإن كان المتكلم ليس كافيًا وجب أن يتَّحد بسائر الأنبياء، كما اتَّحد بالمسيح، فيتحد بنوح وإبراهيم وموسىٰ[1] وداود وغيرهم، يبين هذا:

الوجه السَّابعَ عشر: وهو أنه من المعلوم أنَّ الأنبياء الذين كانوا قبل المسيح أفضلُ من عوامِّ النصارىٰ الذين كانوا بعد المسيح، وأفضلُ من اليهود الذين كذَّبوا المسيح.

فإذا كان الربُّ قد يُفَضَّل باتِّحاده في المسيح حتىٰ كلَّم عباده بنفسه، فيتحد[2] بالمسيح محتجبًا ببدنه الكثيف، وكلَّم بنفسه اليهود المكذِّبين للمسيح وعوامَّ النَّصارىٰ وسائرَ من كلَّمه المسيح= فكان أن يكلم من هم أفضلُ من هؤلاء من الأنبياء والصَّالحين بنفسه أوْلىٰ وأحرىٰ، مثلَ أن يتَّحِد بإبراهيمَ الخليل فيكلِّم إسحاق ويعقوب ولوطًا محتجبًا ببدن الخليل، أو يتَّحِد بيعقوبَ فيكلِّم أولادَه أو غيرَهم محتجبًا ببدن يعقوب، أو يتَّحِد بموسىٰ بنِ عمرانَ فيكلِّم هارون ويوشعَ بنَ نون وغيْرَهما محتجبًا ببدن موسىٰ، فإذا كان هو سبحانه لم يفعل ذلك، إما لامتناع ذلك، وإما لأن عزَّته وحكمته أعلىٰ من ذلك مع عدم الحاجة إلىٰ ذلك= عُلم أنه لا يفعل ذلك في المسيح بطريق الأولىٰ والأحرىٰ.

الوجه الثامن عشر: أنه إذا أمكنه أن يتَّحد ببشرٍ فاتِّحاده بملكٍ من الملائكة أولىٰ وأحرىٰ، وحينئذٍ فقد كان اتحادُه بجبريلَ الذي أرسله إلىٰ الأنبياء أولىٰ من اتِّحاده ببشرٍ يخاطب اليهود وعوامَّ النصارىٰ.

---

(١) «وموسىٰ» ليست في (ي).

(٢) (و): «متحدًا».

فصـــل

قالوا: «ولـذلك ظهـر في عيسىٰ ابـن مـريم؛ إذ الإنسـان أجـلُّ مـا خلقـه الله، ولهذا خاطب الخلق، وشاهدوا منه ما شاهدوا».

فيقال: إن ادَّعيتم ظهوره في عيسىٰ كما ظهر في إبراهيم وموسىٰ ومحمدٍ صلوات الله عليهم وسلامه، وكما يظهر في بيوته التي أَذِن الله أن تُرْفَع ويُذكر فيها اسمُه، وذلك بظهور نوره ومعرفته، وذِكْرِ أسمائه وعبادته ونحو ذلك، من غير حلولِ ذاتِه في البشر ولا اتِّحاده به= فهذا أمرٌ مشتركٌ بين المسيح وغيره، فلا اختصاص للمسيح بهذا، وهذا أيضًا قد يُسمَّىٰ حلولًا، وعندهم أن الله يحُلُّ في الصَّالحين، وهذا مذكورٌ عندهم في بعض الكتب الإلهيَّة، كما في كُتُبِهِمْ في المزمور الرابع من الزبور، يقول داود عَلَيْهِ السَّلَامُ في مناجاته لربه: «ولْيفرحِ المتوكِّلون عليك إلىٰ الأبد، ويبْتَهِجُون، وتحُلُّ فيهم ويفتخرون»[1].

فأخبر أنه يحُلُّ في الصَّالحين المذكورين، فعلم أن هذا لا اختصاص للمسيح به، وليس المراد بهذا -باتفاقهم واتفاق المسلمين- أن ذات الله نفسِه تتَّحد بالبشر، ويصير اللَّاهوت والناسوت كالنَّار والحديد، والماء واللبن، ونحو ذلك مما يمثِّلون به الاتحاد، بل هذا يراد به حلولُ الإيمان به ومعرفتُه ومحبَّته وذكرُه وعبادته ونوره وهداه.

وقد يعبَّر عن ذلك بحلول المثال العلمي، كما قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[2] [الزخرف: ٨٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ

(١) جاء في سفر المزامير، الإصحاح (٥)، الفقرة (١٢) «وليفرح جميع المعتصمين بك وليهللوا للأبد، أنت تظللهم فيبتهج بك من يحبون اسمك».
(٢) أثبتُ هذه الآية من (و) وليست في سائر النسخ.

﴿ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]،[1] ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧]. فهو سبحانه له المثل الأعلىٰ في قلوب أهل السماوات وأهل الأرض.

ومن هذا الباب ما يرويه النبيُّ ﷺ عن ربِّه[2] قال: «**يقُولُ اللهُ: أنا مَعَ عَبْدِي مَا ذكَرَني، وتحرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ**»[3]، فأخبر أن شفتيه تتحرَّك به، أي: باسمه.

وكذلك قوله في الحديث الصحيح[4]: «**عَبْدي مَرِضْتُ فلم تعُدْني، فيقُولُ العَبْدُ: ربِّ كيْفَ أعودُكَ وأنتَ ربُّ العَالمِينَ؟، فيقُولُ: أما عَلِمْتَ أن عَبْدِي فَلانًا مَرِضَ، فَلَوْ عُدْتَهُ لوجَدْتَنِي عِنْدَهُ**».

فقال: لوجدتني عنده، ولم يقل: لوجدتني إياه، «وهو عنده» أي: في قلبه، والذي في قلبه: المثال العلمي.

وقال تعالىٰ: «**عبدي جُعْتُ فلم تُطْعِمْنِي، فيقُولُ: كَيْفَ أطْعِمُكَ وأنت ربُّ العالمين؟ فيقول: أما عَلِمْتَ أنّ عَبْدِي فلانًا جَاعَ، فَلَوْ أطْعَمْتَهُ لوَجَدْتَ ذلِكَ عِنْدِي**» ولم يقل لوجدتني قد أكلتُه.

---

(١) (و): «وقال تعالىٰ».

(٢) بعدها في (و): «في الحديث الصحيح».

(٣) أورده البخاري في صحيحه (٩/ ١٥٣) معلّقًا، وأخرجه ابن ماجه (٣٧٩٢) والحاكم في المستدرك (١٨٢٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وقد صوّب الدارقطني كما في العلل (٩/ ٥٠) طريق محمد بن مهاجر، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن إسماعيل بن عبيد الله، عن كريمة بنت الحسحاس، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
وينظر: «تغليق التعليق» (٥/ ٣٦٢).

(٤) مسلم (٢٥٦٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وكذلك قوله في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري[1] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالىٰ: « **مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا**».

وفي رواية: «**فَبِي يَسْمَعُ، وَبِي يُبْصِرُ، وَبِي يَبْطِشُ، وَبِي يَمْشِي، ولَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ نَفسِ عَبْدِي المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**».

وهذا الحديث قد يحتجُّ به القائلون بالحُلولِ العام، أو الاتِّحاد العام، أو وحدة الوجود، وقد يَحْتجُّ به من يقول بالخاصِّ من ذلك، كأشباه النصارىٰ.

والحديثُ حجةٌ علىٰ الفريقين؛ فإنه قال: «**مَنْ عَادَىٰ لي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْته بِالحَرْبِ**» فأثبت ثلاثة: وليًّا له، وعدوًّا يعادي وليه، وميَّز بين نفسه وبين وليِّه، وعدوِّ وليِّه، فقال: «**مَنْ عَادَىٰ لي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْته بِالحَرْبِ**»، ولكن دلَّ ذلك علىٰ أن وليَّه الذي والاه فصار يحبُّ ما يحبُّ، ويبغض ما يبغض، ويوالي من يوالي، ويعادي من يعادي، فيكون الرَّبُّ مُؤْذِنًا بالحرب لمن عاداه، بأنه معادٍ لله.

ثم قال تعالىٰ: «**ومَا تقرَّب إليَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ ما افتَرَضْتُ عَلَيْهِ**»، ففرَّقَ بين العبد المتقرِّب، والربِّ المتقرَّبِ إليه، ثم قال: « **وَلا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ** »، فبيَّن أنه يحبُّه بعد تقرُّبه بالنَّوافل والفرائض.

---

(١) (٦٥٠٢).

ثم قال: «**فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا**».

وعند أهل الحلول والاتحاد العام أو الوحدة: هو صدره وظهره ورأسه وشعره، وهو كلُّ شيء، أو في كلِّ شيءٍ قبل التقرُّب وبعده، وعند أهل الحلول[1] الخاصِّ صار هو وهو كالنَّار والحديد، والماءِ واللبن، لا يختصُّ بذلك آلةَ الإدراك والفعل.

ثم قال تعالىٰ: «**فَبِي يسْمَعُ، وبِي يُبْصِرُ، وبِي يَبْطِشُ، وبِي يَمْشِي**»، وعلىٰ قول هؤلاء: الربُّ هو الذي يسمع ويبصر ويبطش ويمشي. والرسول إنما قال: «**فَبِي**».

ثم قال: «**ولئِنْ سَأَلَنِي لأعْطِينَّه، ولئِنِ اسْتَعاذَنِي لأُعيذَنَّهُ**». فجعل العبد سائلًا مستعيذًا، والربَّ مسئولًا مستعاذًا به، وهذا يناقض الاتحاد.

وقوله: «**فبِي يسْمعُ**» مثل قوله: «**مَا تحَرَّكتْ بِي شَفَتاه**»، يريد به المثال العلمي.

فوليُّ الله يكون الله[2] في قلبه. أي: معرفته ومحبته وهداه وموالاته، وهو المثال العلمي، فبذاك الذي في قلبه يسمع ويبصر ويبطش ويمشي.

والمخلوق إذا أحبَّ المخلوق أو عظَّمه أو أطاعه يعبِّر عنه بمثل هذا، فيقول: أنت في قلبي وفي فؤادي، وما زلتَ بين عيني، ومنه قول القائل[3]:

---

(١) «أهل الحلول» مثبتة من (و) وليست في سائر النسخ.

(٢) (د، ع، المطبوعتان): «وقول الله فيكون الله».

(٣) (و): «الشاعر».

مثالُك في عَيْنِيْ وذِكْرُكَ في فَمِي ... ومَثْوَاكَ في قَلْبِي فَأيْنَ تغيبُ[(١)]

وقول الآخر:

ومن عَجَبي أَنِّي أحنُّ إِليْهمُ ... وأَسأَلُ عَنْهمْ من لقِيتُ وهم معي

وتَطْلُبهم عَيْنِيْ وهم في سَوَادِها ... ويَشْتَاقُهُمْ قلبي وَهُم بَيْنَ أَضْلُعِيْ[(٢)]

ومثل هذا كثير، مع علم العقلاء أن نفس المحبوب المعظَّم هو في نفسه، ليست ذاته في عين مُحِبِّه ولا في قلبه، ولكن قد يشتبه هذا بهذا حتىٰ يظن الغالطون أن نفس المحبوب المعبود في ذات المحب العابد.

ولذلك غلط بعضُ الفلاسفة حتىٰ ظنُّوا أن ذاتَ المعلومِ المعقول يتَّحد بالعالِم العاقل، فجعلوا المعقول والعقل والعاقل[(٣)] شيئًا واحدًا، ولم يميِّزوا بين حلول مثال المعلوم[(٤)] وبين حلول ذاته، وهذا يكون لضعْفِ العقل وقوة سلطان المحبة والمعرفة، فيغيب الإنسان بمعبوده عن عبادته، وبمحبوبه عن محبَّته، وبمشهوده عن شهادته، وبمعروفه عن معرفته، فيفنىٰ من لم يكن عن

---

(١) ذكر البيت ياقوت الحموي في «معجم الأدباء» (٣/ ١١٩٤)، منسوبًا لأبي الحكم الإشبيلي وفيه: (خيالك في وهمي) بدل: (مثالك في عيني).

(٢) ذكرهما السِّلفي في «أخبار وتراجم أندلسية» (ص١٢٤) عن غانم بن الوليد المخزومي الأشوني أنه أنشده:

ومن عجبٍ أني أحنُّ إليهمُ ... وأسألُ عنهم كلَّ ركْبٍ وهمْ معي

فيبكي دمًا طَرْفي وهُمْ فِي سَوادِه ... ويشكو جَوىٰ قلبي وهُم بَيْنَ أَضْلُعِي

وذكر ياقوت في «معجم البلدان» (١/ ٢٠٢) عند «أُشُونَة»: «غانما» المذكور آنفًا، قال: «وهو الذي يقول فيما ذكر السِّلَفي...» وذكر الأبيات.

(٣) «والعاقل» ليست في (ع).

(٤) (د، ي): «المعلول»، (ع): «المعقول».

شهود العبد، لا أنَّه نفْسَه يَعْدَمُ ويفنىٰ[1] في[2] من لم يزلْ في شهوده.

ومِنْ هذا المقام إذا غلط قد يقول مثل ما يحكىٰ عن أبي يزيد البَسطامي[3]: «سبحاني» أو «ما في الجُبَّة إلا الله».

وفي هذا[4] تُذكر حكايةٌ، وهو أن شخصًا كان يحبُّ آخر: فألقىٰ المحبوبُ نفسه في ماء، فألقىٰ المحبُّ نفسه خلفه، فقال: أنا وقعت، فَلِمَ وقعْتَ أنت؟ فقال: غِبْتُ بك عني، فظننتُ أنك أنِّي.

فهذا العبد المحبُّ لمَّا استولىٰ علىٰ قلبه سلطانُ المحبَّة صار قلبه مستغرقًا في محبوبه، لا يشهد قلبُه غيرَ[5] ما في قلبه، وغاب عن شهود نفسه وأفعاله، فظنَّ أنه هو نفسُ المحبوب، وهذا أهون من أن يظن أن ذاتَ المحبوبِ نفسه.

فهذا الظنُّ لاتحاد الذَّات أو لحلولها ظنٌّ غالِطٌ وقع فيه كثيرٌ من الناس، فالذين قالوا: إن المسيح أو غيرَه من البشر هو الله، أو إن الله حالٌّ فيه، قد يكون غلطهم من هذا الجنس، لما سمعوا كلامًا يقتضي أن الله في ذات الشخص، وجعلوا فعل هذا فعل هذا، ظنُّوا ذاك اتحاد الذات وحلولها.

وإنما المراد أن معرفة الله فيه، واتحاد المأمور به والمنهيِّ عنه والموالي والمعادي، كقوله تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]،

---

(١) المثبت من (ط.النيل)، (و): «ويبقىٰ»، (ع): «ينفىٰ» وفي (د، ي) مهملة.

(٢) «في» ليست في (و، ي، ط.النيل).

(٣) «البسطامي» ليست في (د، ي، ع). والبَسطامي هو: طيفور بن عيسىٰ بن آدم بن عيسىٰ. توفي سنة إحدىٰ وستين ومائتين. انظر: «وفيات الأعيان» (٢/ ٥٣١) «العبر» (١/ ٣٧٥).

(٤) بعدها في (و): «قد».

(٥) «غير» ليست في (و).

وقوله: ﴿مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وليس ذلك لأن الرَّسول هو الله، ولا لأن الله نفسَه حالٌّ في الرسول، بل لأن الرَّسولَ يأمر بما يأمر اللهُ به، وينهىٰ عما ينهىٰ الله عنه، ويحبُّ ما يحبُّه الله، ويُبغض ما يبغضُه الله، ويوالي أولياء الله، ويعادي أعداءَ الله، فمن بايعه علىٰ السَّمع والطاعة فإنما بايع الله علىٰ السَّمع والطاعة، ومن أطاعه فإنما أطاع الله.

وكذلك المسيح وسائرُ الرُّسل؛ إنما يأمرون بما يأمر الله به، وينهون عما ينهىٰ الله عنه، ويوالون أولياء الله ويعادون أعداء الله، فمن أطاعهم فقد أطاع الله، ومن صدَّقهم فَقَبِلَ منهم ما أخبروا به، فقد قَبِلَ عن الله، ومن والاهم فقد والىٰ الله، ومن عاداهم وحاربهم فقد عادىٰ الله وحارب الله.

ومن تصوَّر هذه الأمور تبيَّن له أن لفظ «الحلول» قد يُعبَّر به عن معنًى صحيح، وقد يعبَّر به عن معنًى فاسد.

وكذلك حلول كلامه في القلوب؛ ولذلك كره الإمام أحمد بن حنبل الكلامَ في لفظ حلول القرآن في القلوب، كما قد ذُكر في غير هذا الموضع(١).

ومما يوضِّح هذا أن الشيء له وجودٌ في نفسه هو هو، وله وجودٌ في المعلوم(٢) والأذهان، ووجودٌ في اللفظ واللسان، ووجودُ في الخطِّ والبنان(٣)، وجود عينيٌّ شخصيّ، وعلميّ، ولفظيّ، ورسميّ، وذلك كالشَّمس مثلًا، فلها تحقُّقٌ في نفسها، وهي الشَّمسُ التي في السماء، ثم يتصوَّر بالقلب الشمس، ثم يَنْطِقُ اللسان بلفظ الشَّمس، ويكتب بالقلم: الشَّمس.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ٤١٦).

(٢) (و): «العلوم».

(٣) المثبت من (و)، وفي باقي النسخ: «والبيان».

والمقصود بالكتابة: مطابقة اللفظ. وباللفظ: مطابقة العلم. وبالعلم: مطابقة المعلوم.

فإذا رأىٰ الإنسان في كتابٍ خطَّ الشمس، أو سمع قائلًا يذكر الشَّمس قال: هذه الشَّمس قد جعلها الله سراجًا وهَّاجًا، وهذه الشمس تطلع من المشرق وتغرب في المغرب، فهو يشير إلىٰ ما سمعه من اللَّفظ ورآه من الخط، وليس مرادُه نفس اللَّفظ والخطّ؛ فإن ذلك ليس هو الشمس التي تطلع وتغرب، وإنما مرادُه ما يُقصَد بالخطِّ واللفظ ويرادُ بهما، وهو المدلول المطابق لهما.

وكذلك قد يُرىٰ اسمُ الله مكتوبًا في كتابٍ ومعه اسمُ صنم، فيقول: آمنت بهذا، وكفرت بهذا، ومراده أنه مؤمنٌ بالله كافرٌ بالصَّنم، فيشير إلىٰ اسمه المكتوب، ومراده: المُسَمَّىٰ[1].

وكذلك إذا سمع من يذكر أسماء الله الحسنىٰ قال: هذا ربُّ العالمين، ومراده: المسمَّىٰ بتلك الأسماء.

ومن هذا قول أنس بن مالك: «كان نقش خاتم النبيِّ ﷺ ثلاثة أسطر: محمدٌ رسول الله، محمدٌ سطر، ورسولٌ سطر، والله سطر»[2] ومراده بهذه الأسماء: الخطُّ لهذا وهذا وهذا، لا اللَّفظ ولا المسمَّىٰ.

ومما يشْبِهُ هذا: ما يُرىٰ في المرآة أو الماء، مثلُ أن يرىٰ الشمس أو غيرها في ماء أو مرآة، فيشار إلىٰ المرئيِّ فيقال: هذا الشمس، وهذا وجهي أو وجه فلان، وليس مرادُه أن نفس الشَّمس أو وجهَه أو وجهَ فلانٍ حلَّ في الماء

---

(١) بعدها في (المطبوعتين): «بهذا الاسم» خلاف الأصول.
(٢) البخاري (٣١٠٦).

أو المرآة، ولكن لما كان المقصود بتلك الرؤية هو الشمس وهو الوجه= ذَكَرَه.

ثم قد يقال: رآه رؤيةً مقيّدةً في الماء أو المرآة، وقد يقال: رآه بواسطة الماء والمرآة، وقد يقال: رأىٰ مثالَه وخيالَه المُحَاكي له، ولكنَّ المقصود بالرؤية هو نفسُه. ومثل هذا كثير.

ومعلومٌ أن ما في القلوب من المثال العلميِّ المطابق للمعلوم أقربُ إليه من اللَّفظ، واللَّفظ أقربُ من الخط، فإذا كان قد يشار إلىٰ اللَّفظ والخطِّ والمراد هو نفسُه، وإن لم يكن الخطُّ واللَّفظ هو ذاتَه، بل به ظَهر وعُرف، فَلأَن يشارَ إلىٰ ما في القلب ويرادَ به المعروفُ الذي ظهر للقلب، وتجلَّىٰ للقلب، وصار نوره في القلب بطريق الأولىٰ.

والعقلاء إنما[1] تتوجَّه قلوبهم إلىٰ المقصود المراد دون الوسائل، ويعبِّرون بعباراتٍ تدلُّ علىٰ ذلك لظهور مرادهم بها، كما يقولون لمن يعرف علم غيره، أو لمن يأمر بأمره، ويُخبِر بخبره، هذا فلان، فإذا كان مطلوبهم عِلْمَ عالمٍ، أو طاعةَ أمير، فجاء نائبه القائمُ مقامَه في ذلك، قالوا: هذا فلان، أي المطلوبُ منه هو مع هذا، فَلِاتِّحاد المقصود بهما يعبِّرون عن أحدهما بلفظ الآخر، كما يقال: عكرمة هو ابن عباس، وأبو يوسف هو أبو حنيفة.

ومن هذا الباب ما يذكر عن المسيح عليه السلام أنه قال: «أنا وأبي واحد، من رآني فقد رأىٰ أبي»[2] وقوله تعالىٰ فيما حكاه عنه رسوله: «**عَبْدِي مَرِضْتُ فَلَمْ تعُدْني، عَبْدِي جُعْتُ فلَمْ تُطْعِمْني**»، ويشبهه قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، فينبغي أن يُعرف هذا النوع من الكلام، فإنه تنحلُّ به

(١) (و): «دائمًا».

(٢) إنجيل يوحنا: (١٤)، (٩): «من رآني رأىٰ الأب، ألا تؤمن بأني في الأب وأن الأب فيَّ».

إشكالاتٌ كثيرة، فإن هذا موجودٌ في كلام الله ورسله وكلام المخلوقين في عامَّة الطوائف، مع ظهور المعنىٰ ومعرفة المتكلِّم والمخاطَب أنه ليس المراد أن ذاتَ أحدهما اتَّحدت بذاتِ الآخر.

بل أبلغ من ذلك يطلق لفظ «الحلول» و«الاتحاد» ويراد به معنًى صحيح، كما يقال: فلان وفلان بينهما اتِّحاد، إذا كانا متَّفِقَيْن فيما يُحبَّان ويبغضان، ويواليان ويعاديان، فلما اتَّحد مرادهما ومقصودهما صار يقال: هما متَّحدان، وبينهما اتِّحاد، ولا يعني بذلك أن ذات هذا اتَّحدت بذات الآخر، كاتِّحاد النار والحديد، والماء واللبن، أو النَّفْس والبدن، وكذلك[1] لفظ الحلول، والسكنىٰ، والتخلُّل، وغير[2] ذلك، كما قيل:

قـد تخلَّلْـتَ مَسْـلَكَ الـرُّوح مِنّـي ... وبِـذَا سُـمّيَ الخَليْـلُ خَلـيلًا[3]

والمتخلِّل مسلكَ الروح منه هو محبته له، وشعوره به، ونحو ذلك، لا نفسُ ذاتِه، وكذلك قول الآخر:

ســاكِنٌ في القَلــبِ يَعْمُــرُهُ ... لســتُ أَنْسَــاه فــأذكرُهُ[4]

والسَّاكن في القلب هو مثاله العلميُّ ومحبَّته ومعرفته[5]، فَتَسْكُنُ في القلب معرفته ومحبَّته لا عينُ ذاته، وكذلك قول الآخر:

إذا سَــكَنَ الغَــدِيْرُ عَلَــىٰ صَــفاءٍ ... وجُنِّــبَ أَنْ يُحركَــه النَّســيمُ

(١) (و): «ونحو».

(٢) (و): كالذي قبله.

(٣) ذكره أبو منصور الثعالبي في «المنتحل» (ص٢٢٢) بلا نسبة.

(٤) ذكره المستعصمي في «الدر الفريد» (٦/ ٣٩٤) بلا نسبة.

(٥) «ومحبته ومعرفته» ليست في (و).

بَـدَتْ فيـه السَّـمَاءُ بِـلا امْتِـراءٍ   كَـذَاكَ الشَّـمْسُ تَبْـدُو وَالنّجُـومُ
كَـذَاكَ قُلـوْبُ أَرْبَـابِ التَّجَلِّـي   يُـرىٰ في صَـفْوِهَا اللهُ العَظِـيمُ[1]

وقد يقال: فلانٌ ما في قلبه إلا الله، وما عنده إلا الله، يراد بذلك: إلا ذكره ومعرفته ومحبته وخشيته وطاعته وما يشبه ذلك، أي: ليس في قلبه ما في قلب غيره من المخلوقين، بل ما في قلبه إلا الله وحده، ويقال: فلان ما عنده إلا فلان، إذا كان يَلْهَجُ بِذكرِه ويُفَضِّله علىٰ غيره.

وهذا بابٌ واسع، مع عِلْم المتكلم والمستمع أن ذات فلان لم تَحُلَّ في هذا، فضلًا عن أن تتَّحد به، وهو كما يقال عن المرآة إذا لم تقابل إلا الشمس: ما فيها إلا الشمس، أي: لم يظهر فيها غيرُ الشمس.

وأيضًا فلفظ «الحلول» يراد به: حلول ذات الشيء تارةً، وحلول معرفته ومحبته ومثاله العلمي تارةً كما تقدم ذكره.

وعندهم في النُّبوَّات أن الله حلَّ في غير المسيح من الصَّالحين، وليس المراد به أن ذات الربِّ حلَّت فيه، بل كما[2] يقال: فلان ساكِنٌ في قلبي وحالٌّ في قلبي وهو في سري وسُوَيْدَاء قلبي، ونحو ذلك، وإنما حلّ فيه مثاله[3] العلمي، وإذا كان كذلك فمعلومٌ أن المكان إذا خلا ممَّن يعرف الله ويعبدُه لم يكن هناك ذكر الله ولا حلَّت فيه عبادته ومعرفته، فإذا صار في المكان من يَعْرِف الله ويَعْبُدُه ويذكره ظَهَرَ فيه ذكره، والإيمان به، وحلَّ فيه الإيمانُ بالله، وعبادتُه، وذكره، وهو بيت الله ﷻ، فيقال: إن الله فيه، وهو حالٌّ فيه.

---

(١) لم أقف علىٰ نسبة لهذه الأبيات، وقد أوردها ابن القيم في «مدارج السالكين» (٣/ ٣١٨).
(٢) «كما» مثبتة من (و)، وليست في سائر النسخ.
(٣) (د، ي): «مثله».

كما يقال: إن الله في قلوب العارفين، وحالٌّ فيهم، والمراد به حلولُ معرفته والإيمانِ به ومحبته، ونحوُ ذلك، وقد تقدَّم شواهد ذلك.

فإذا كان الربُّ في قلوب عباده المؤمنين، أي: نورُه ومعرفتُه، وعبَّر عن هذا بأنه حالٌّ فيهم وهم حالُّون في المسجد، قيل[1]: إن الله في المسجد وحالٌّ فيه بهذا المعنىٰ، كما يقال: الله في قلب فلان، وفلانٌ ما عنده إلا الله، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: **«أما عَلِمْتَ أن عبْدِي فلانًا مَرِضَ، فلو عُدْتَه لوَجَدْتَني عِنْدَه»**.

وممَّا يزيد ذلك إيضاحًا: ما يراه النائم من بعض الأشخاص في منامه، فيخاطبه ويأمره وينهاه ويخبره بأمورٍ كثيرة، وهو يقول: رأيتُ فلانًا في منامي فقال لي: كذا، وقلت له: كذا، وفعل كذا، وفعلت كذا، ويذكر أنواعًا من الأقوال والأفعال، وقد يكون فيها علومٌ وحكمٌ وآدابٌ يُنتفع بها غايةَ المنفعة، وقد يكون ذلك الشخص الذي رأىٰ في المنام حيًّا، وهو لا يشعر بأن ذاك رآه في منامه فضلًا عن أن يكون شاعرًا بأنه قال أو فعل، وقد يقصُّ الرائي عليه رؤياه، ويقول له الرائي: يا سيِّدي رأيتُك في المنام فقلتَ لي: كذا، وأمرتني بكذا، ونهيتَني عن كذا، والمرئيُّ لا يعرف ذلك، ولا يشعر به؛ لأن المرئي الذي حلَّ في قلب الرائي هو المثال العلميُّ المطابقُ للعيني[2].

كما يرىٰ الرائي في المرآة أو الماء الشخصَ الموجودَ في الخارج، فهو المقصود، وبعضُ المرْئيِّين في المنام قد يدري بأنه رئي في المنام ويكاشِفُ

(١) (و): «مثل».

(٢) (و): «للمعنىٰ».

بذلك الرَّائي كما قد يكاشفه بأمورٍ أخرىٰ، لا لأنه نفسَه حلَّ فيه.

والرؤيا إذا كانت صادقةً كان ذلك القول والعمل مناسبًا لحال المرئيِّ ممَّا هو عادته يقوله ويفعله بنفسه، فمثَّل للرائي مثالَه قائلًا له وفاعلًا؛ ليعلم أنه نفسَه يقولُه ويفعلُه فينتفع بذلك الرَّائي، كما يُحكىٰ للإنسان قولُ غيره وعملُه ليَعرف بذلك نفس القول والعمل المحكيّ، فإن كثيرًا من الأشياء لا يعرفه النَّاس أو أكثرهم إلا بالمثل المضروب له، إما في اليقظة وإما في المنام، مع العلم بأن عين هذا ليس عينَ هذا.

ومن توهَّم أنه إذا رأىٰ شخصًا في منامه بأن ذاتَه نفسَها حلَّت فيه دلَّ علىٰ جهله؛ فإن المرئيَّ[1] كثيرًا ما يكون حيًّا وهو لا يشعر بما[2] رآه ذلك، لا روحُه تشعر ولا جسمُه، فلا يَتوهَّم أن ذات روحِه تمثَّلت في صورته الجسميَّة للنَّائم، بل الممثَّل في نفس الرائي مثالٌ مطابقٌ له، وجسمُه وروحُه حيث هما.

ثم الرؤيا قد تكون من الله، فتكون حقًّا، وقد تكون من الشيطان، كما ثبت تقسيمها إلىٰ هذين في الأحاديث الصحيحة.

والشَّيْطان كما قد يتمثَّل في المنام بصورة شخصٍ فقد يتمثل أيضًا في اليقظة بصورة شخصٍ يراه كثيرٌ من الناس، يُضِلُّ بذلك من لم يكن من أهل العلم والإيمان، كما يجري لكثيرٍ من المشركين[3] الهندِ وغيرهم، إذا مات ميِّتُهم يرونه قد جاء بعد ذلك، وقضىٰ ديونًا، وردَّ ودائع، وأخبرهم بأمورٍ عن موتاهم، وإنما هو شيطانٌ تصوَّر في صورته، وقد يأتيهم في صورة من يُعظِّمونه من الصَّالحين، ويقول: أنا فلان، وإنما هو شيطان.

---

(١) (و): «الرائي».

(٢) (المطبوعتان): «بمن».

(٣) (المطبوعتان): «مشركي».

وقد يقوم شيخٌ من الشُّيوخ، ويُخلف موضعَه شخصًا في صورته يُسَمُّونه روحانية الشيخ ورقيقته[1]، وهو جنِّيٌّ تصوَّر في صورته، وهذا يقع لكثيرٍ من الرُّهبان وغير الرهبان من المنتسبين إلىٰ الإسلام، وقد يرىٰ أحدُهم في اليقظة من يقول له: أنا الخليل، أو أنا موسىٰ، أو أنا المسيح، أو محمد، أو أنا فلان لبعض الصحابة، أو الحواريِّين، ويراه طائرًا في الهواء، وإنما يكون ذلك من الشياطين، ولا تكون تلك الصُّورةُ مثلَ صورة ذلك الشخص.

وقد قال النبي ﷺ: «**من رَآنِي في المَنامِ فَقَدْ رآنِي حقًّا؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يتمثَّلُ في صُورَتِي**»[2]، فرؤيته في المنام حق، وأما في اليقظة فلا يُرىٰ بالعين هو ولا أحدٌ من الموتىٰ، مع أن كثيرًا من الناس قد يَرىٰ في اليقظة من يظنُّه نبيًّا من الأنبياء، إما عند قبره، وإما عند غير قبره، وقد يَرىٰ القبر انشقَّ وخرج منه صورةُ إنسان، فيظنُّ أن الميتَ نفسَه خرج من قبره، أو أن روحه تجسَّدت وخرجت من القبر، وإنما ذلك جنِّيٌّ تَصوَّر في صورته ليُضِلَّ ذلك الرائي؛ فإن الرُّوح ليست ممَّا تكون تحت التراب وينشقُّ عنها التراب؛ فإنها وإن كانت قد تتَّصل بالبدن، فلا يحتاج في ذلك إلىٰ شقِّ التراب، والبدنُ لم ينشقَّ عنه التراب، وإنما ذلك تخْييلٌ من الشيطان، وقد جرىٰ مثل هذا لكثيرٍ من المنتسبين إلىٰ المسلمين، وأهل الكتاب، والمشركين.

ويظن كثير من الناس أن هذا من كرامات عباد الله الصالحين، ويكون من إضلال الشياطين، كما قد بسط الكلام في هذا الباب في غير هذا الكتاب، مثل «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» وغير ذلك[3].

---

(١) (و، ع): «ورفيقته»، ومهملة في (ي)، (المطبوعتان): «ورفيقه».

(٢) البخاري (١١٠)، مسلم (٢٢٦٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: «الفرقان» (ص١٧٢)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١/ ١٧٧)، (١٠/ ٤٠٦).

فصـل

وإن أردتـم بقـولكم: «ظهـر في عيسىٰ» حلـولَ ذاتـه واتحادَه بالمسـيح أو غيرِه= فهذه دعوىٰ مجرَّدةٌ من غير دليلٍ متقدِّمٍ ولا متأخِّر، وكون الإنسـان أجلَّ ما خلقه الله -لو كان مناسبًا لحلوله فيه- أمرٌ لا يختصُّ بـه المسـيح، بـل قـد قـام الـدليل علىٰ أن غيـر عيسـىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أفضـلُ منـه، مثـل إبـراهيمَ ومحمـدٍ صلىٰ الله عليهما وسلم، وهذان اتخذهما الله خليلين، وليس فوق الخُلَّـة مرتبـة، فلـو كـان يَحُلُّ في أجلِّ ما خلقه الله من الإنسان لكونـه أجلَّ مخلوقاتـه لحـلَّ في أجـلِّ هـذا النوع، وهو الخليـل ومحمـدٌ صـلىٰ الله عليهمـا وسـلم، ولـيس معهـم قـطُّ حجـةٌ علىٰ أن الجسد المأخوذ من مريم إذا لم يتَّحد باللَّاهوت علىٰ أصلهم أنه أفضل من الخليل وموسىٰ.

وإذا قالوا: إنه لم يعمل خطيئة، فيحيىٰ بن زكريا لم يعمل خطيئة[1]، ومـن عمل خطيئةً وتاب منها فقد يصير بالتوبة أفضلَ مما كان قبـل الخطيئـة، وأفضـلَ ممن لم يعمل تلك الخطيئة، والخليلُ وموسىٰ أفضلُ مـن يحيـىٰ الـذي يُسَمُّونه «يوحنَّا المُعْمِدَاني».

وأما قولهم: «ولهذا خاطب الخلق» فالذي خاطب الخلقَ هـو عيسـىٰ ابـن مريم، وإنمـا سـمع النـاسُ صـوته، لـم يسـمعوا غيـرَ صـوته، والجنِّيُّ إذا حلَّ في الإنسان وتكلم علىٰ لسـانه يَظهـر للسـامعين أن هـذا الصـوت لـيس هـو صـوت الآدمي، ويتكلم بكلامٍ يعلم الحاضرون أنه ليس كلام الآدمي.

والمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن يُسمَعُ منه إلا ما يُسمع مِنْ مِثْلِهِ مـن الرُّسـل، ولـو

---

(١) بعدها في (ي، ع): «وأفضل ممن لم يعمل تلك الخطيئة» كذا.

كان المتكلِّم علىٰ لسان النَّاسوت هو جنيًّا، أو ملكًا لظهر ذلك، وعرف أنه ليس هو البشر؛ فكيف إذا كان المتكلِّم هو ربُّ العالمين؟ فإن هذا لو كان حقًّا لظهر ظهورًا أعظمَ من ظهور كلام الملَك والجنيِّ علىٰ لسان البشر بكثيرٍ كثير.

وأما ما شاهدوه من معجزات المسيح عليه السلام، فقد شاهدوا من غيره ما هو مثلَها وأعظمَ منها، وقد أحيا غيرُه الميِّتَ وأخبر بالغيوب أكثر منه، ومعجزاتُ موسىٰ أعظم من معجزاته وأكثر، وظهور المعجزات علىٰ يديه يدلُّ علىٰ نبوَّته ورسالته، كما دلَّت المعجزات علىٰ نبوَّة غيره ورسالتهم، لا تدلُّ علىٰ الإلهيَّة.

والدَّجال لما ادَّعىٰ الإلهيَّة لم يكن ما يظهر علىٰ يديه من الخوارق دليلًا عليها؛ لأن دعوىٰ الإلهيَّة ممتنعةٌ، فلا يكون في ظهور العجائب ما يدل علىٰ الأمر الممتنع.

فصـــل

قالوا: «وقد قال الله علىٰ أفواه الأنبياء والمرسلين، الذين تنبَّؤا علىٰ ولادته من العـذراء الطـاهرة مـريم[١]، وعلـىٰ جميـع أفعالـه التـي فعلهـا في الأرض، وصعوده إلىٰ السماء. وهذه النُّبوات جميعُها عند اليهـود مُقِـرِّين ومعترفين بهـا، ويقرؤنها في كنائسهم، ولم ينكروا منها كلمةً واحدة».

فيقال: هذا كلُّه مما لا ينازع المسلمون فيه، فإنه لا ريب أنه وُلِد من مريم العذراء البتول التي لم يمسَّها بشرٌ قطّ، وأن الله أظهر علىٰ يديه الآيات، وأنه صَعِد إلىٰ السَّماء، كما أخبر الله بذلك في كتابه، كما تقدَّم ذكره[٢].

فإذا كان هذا مما أخبرت به الأنبياء في النُّبوَّات التي عند اليهـود لـم ينكر ذلك، وإن كان اليهود يتأوَّلون ذلك علىٰ غير المسيح، كما[٣] في النُّبوَّات من البشارة بمحمَّدٍ ﷺ، فهو حقٌّ، وإن كان الكافرون به من أهل الكتاب يتأوَّلون ذلك علىٰ غيره.

(١) «مريم» ليست في (ع).
(٢) انظر: (١/ ٣٤٢).
(٣) بعدها في (و): «أن ما».

فصل

قالوا: «وسبيلنا[1] أن نذكر من بعض قول الأنبياء الذين تنبَّؤا علىٰ السَّيد المسيح، ونزوله إلىٰ الأرض.

قال عِزْرا الكاهن حيث سباهم بُخْتُنَصَّر الفريدي[2] إلىٰ أرض بابل[3] إلىٰ أربعِمِائةٍ واثنتينِ وثمانينَ سنة: «يأتي المسيح ويخلّص الشعوب والأمم»[4].

وفي كمال هذه المدة أتىٰ[5] السَّيد المسيح.

وقال أرمِيَا النبي عن ولادته في ذلك الزمان: «يقوم لداود ابنٌ؛ هو ضوءُ النور، يملك الملك، ويُعَلِّم، وَيُفَهِّمُ، ويقيم الحق والعدل في الأرض، ويخلِّص من آمن به من اليهود ومن بني إسرائيل وغيرهم، ويبقىٰ بيتُ المقدس بغير مقاتل، ويسمىٰ الإله»[6].

---

(١) (د، ع، ط.النيل): «وسئلنا».

(٢) (و): لم تحرّر. وتقدّم ذكر «بختنصر» (١/ ٥٦).

(٣) مدينة عريقة، مشهورة بحدائقها المعلقة، وكانت إحدىٰ عجائب الدنيا السبع. وقد اندثرت بابل، ولكن آثارها لا زالت باقية، تقع بين النهرين، وهي إلىٰ الفرات أقرب، في الجنوب من بغداد، وإلىٰ الشرق من كربلاء. انظر: «معجم البلدان» (١/ ٣٠٩)، «معجم المعالم الجغرافية» (ص ٣٩).

(٤) في سفر عزرا، الإصحاح (٢)، الفقرة (١): «وهؤلاء بنو الإقليم الذين صعدوا من الجلاء، ممن جلاهم نبوكدنصر، ملك بابل، إلىٰ بابل، ورجعوا إلىٰ أورشليم ويهوذا».

(٥) (ي): «أنا».

(٦) في سفر أرميا، الإصحاح (٢٣)، الفقرة (٥): «ها إنها ستأتي أيام يقول الرب أُقِيمُ فيها لداود نبتًا بارًّا ويَمْلِكُ مَلِكٌ يتصرف بفطنة، ويُجري الحكم والبرَّ في الأرض، في أيامه يخلّص يهوذا، ويسكن إسرائيل في أمان. والاسم الذي سيدعىٰ به هو الرب برّنا».

وأما قوله: «ابنٌ لداود»؛ لأن مريم كانت من نسل داود، ولأجل ذلك قال النبي: «يقوم لداود ابنٌ».

فيقال: أما قول عِزْرا الكاهن فليس فيه إلا إخبارُه بأنه يأتي المسيحُ ويخلِّص الشعوبَ والأممَ، وهذا مما لا ينازِع فيه المسلمون، فإنهم يُقِرُّون بما أخبر الله به في كتابه من إتيان المسيح عليه السلام، وتخليصِ اللهِ به كلَّ من آمن به من الشُّعوب والأمم إلىٰ أن بُعِثَ محمدٌ صلى الله عليه وسلم.

فكلُّ من كان مؤمنًا بالمسيح، متَّبعًا لما أنزل عليه من غير تحريفٍ ولا تبديل، فإن الله خلَّصه بالمسيح من شرِّ الدنيا والآخرة، كما خلَّص الله تعالىٰ بموسىٰ من اتَّبعه من بني إسرائيل.

ومن حرَّف وبدَّل فلم يتَّبِعِ المسيح، ومن كذَّب محمَّدًا صلى الله عليه وسلم فهو كمن كذَّب المسيح بعد أن كان مُقِرًّا بموسىٰ عليه السلام.

ولكنَّ هذا النصَّ وأمثالَه حجةٌ علىٰ اليهود الذين يتأوَّلون ذلك علىٰ أن هذا ليس هو المسيح ابن مريم، وإنما هو مسيحٌ يُنتظر، وإنما ينتظرون المسيح الدَّجال مسيحَ الضلالة، فإن اليهود يتَّبعونه، ويقتلهم المسلمون معه «**حتَّىٰ يقولَ الشَّجَرُ والحَجَرُ: يا مُسلمُ هذا يَهُودِيٌّ ورائي تَعَالَ فاقْتُلْهُ**»(١). وهكذا قال في النُّبوَّة الثانية التي ذكروها عن أرْمِيا النَّبيِّ عليه السلام.

---

(١) تقدّم تخريجه (١/ ٢٦٤).

فصل[1]

قالوا: «وقال أرْمِيا النَّبيِّ عن ولادته في ذلك الزمان: «يقوم لداود ابنٌ، وهو ضوء النور، يَملِكُ الملْكَ، ويُعلِّمُ، ويُفَهِّمُ، ويقيمُ[2] الحقَّ والعدل في الأرض، ويخلِّص من آمنَ به من اليهود، ومن بني إسرائيل، وغيرهم، ويبقىٰ بيتُ المقدس بغير مقاتل، ويُسَمَّىٰ الإله».

وأما قوله: «ابنٌ لداود» لأن مريم كانت من نسل داود؛ ولأجل ذلك قال: «ويقوم لداود ابن».

والجواب أن يقال: قد قال فيه: «ويُخلِّصُ من آمن به من اليهود، ومن بني إسرائيل»[3] وهو كما فسَّرنا به التَّخليص الذي نقلوه عن عِزْرا الكاهن.

وأما قوله: «واسمه الإله» فهذا يدل علىٰ أنه ليس هو الله ربُّ العالمين، وإنما لفظ «الإله» اسمٌ سُمِّي به كما سُمِّي موسىٰ إلهًا لفرعونَ عندهم في التوراة[4]؛ إذ لو كان هو الله ربُّ العالمين لكان أجلَّ من أن يقال: «ويُسَمَّىٰ الإله»، فإن الله ﷻ لا يعرف بمثل هذا، ولا يقال فيه: إن الله يُسَمّىٰ الإله، ولقال: يأتي الله بنفسه فيظهر. ويقال: يملك[5] الملك، وربُّ العالمين ما زال ولا يزال مالكًا للملك سبحانه.

---

(١) «فصل» ليس في (و).

(٢) (ي): «ويعمّ».

(٣) بعدها (و): «وغيرهم».

(٤) في سفر الخروج، الإصحاح (٧)، الفقرة (١): «فقال الرب لموسىٰ: انظر قد جعلتك إلهًا لفرعون».

(٥) (د، ي، ع): «ملك».

وأيضًا فإنه قال: «يقوم لداودَ ابنٌ هو ضوءُ النُّور» ومعلومٌ أن الابن الذي من نسل[1] داود الذي اسمُ أمِّه مريم هو الناسوت فقط؛ فإن اللَّاهوت ليس هو من نسل بشر، وقد تبين أن هذا الناسوت الذي هو ابن داود يُسَمَّىٰ الإله، فَعُلِمَ أن هذا اسمٌ للنَّاسوت المخلوق، لا للإله الخالق.

وأيضًا فإنه قال: «وهو ضوء النور» لم يجعله النُّورَ نفسه، بل جعله ضوءَ النُّور، والله تعالىٰ منوِّرُ كلِّ نور، فكيف يكون هو ضوءَ النور، والله تعالىٰ قد سمَّىٰ محمدًا ﷺ سراجًا منيرًا، ولم يكن بذلك خالقًا، فكيف إذا سُمِّي ضوء النور؟

وأيضًا فإنه لم يجعل القائمَ إلا ابنَ داود، وابنُ داود مخلوق، وأضاف الفعل إلىٰ هذا المخلوق، ولو كان هذا هو الله ربُّ العالمين قد اتَّحد بالنَّاسوت البشري لبيَّن أرْمِيا وغيرُه من الأنبياء ذلك بيانًا قاطعًا للعذر، ولم يكتفوا بمثل هذه الألفاظ التي هي إما صريحة أو ظاهرة في نقيض ذلك، أو مجملةٌ لا تدلُّ علىٰ ذلك، فإنه من المعلوم أن إخبارهم بإتيان نبيٍّ من الأنبياء أمرٌ معتادٌ ممكن، ومع هذا يذكرون فيه من البشارات والدَّلائل الواضحة ما يزيل الشُّبهة.

وأما الإخبار بمجيء الربِّ نفسه وحلوله، أو اتِّحاده بناسوتٍ بشريٍّ فهو: إما ممتنعٌ غيرُ ممكنٍ كما يقوله أكثر العقلاء من بني آدم، ويقولون: يُعلم بصريح العقل أن هذا ممتنع، وإما ممكنٌ كما يقوله بعض الناس، وحينئذٍ فإمكانه خفيٌّ علىٰ أكثر العقلاء، وهو أمرٌ غيرُ معتاد.

---

(١) (و): «قبيل».

وإتيان الربِّ بنفسه[1] أعظم من إتيان كل رسولٍ ونبي، لا سيَّما إذا كان إتيانه باتِّحاده ببشرٍ لم يَظهر علىٰ يديه من الآيات ما يختصُّ بالإلهيَّة، بل لم يَظهر علىٰ يديه إلا ما ظهر علىٰ يد غيره من الأنبياء ما هو مثلُه أو أعظمُ منه.

والله تعالىٰ لما كان يكلِّم موسىٰ ولم يكن موسىٰ يراه ولا يتَّحد لا بموسىٰ ولا بغيره، ومع هذا فقد أظهر من الآيات علىٰ ذلك وعلىٰ نبوَّة موسىٰ ما لم يَظهر مثلُه ولا قريبٌ منه علىٰ يد المسيح.

فلو كان هو بذاته متَّحدًا بناسوتٍ بشريٍّ لكان الأنبياء يخبرون بذلك إخبارًا صريحًا بيِّنًا لا يحتمل التأويلات، ولكان الربُّ يُظهر علىٰ ذلك من الآيات ما لم يُظهر علىٰ يد رسولٍ ولا نبي، فكيف والأنبياء لم ينطقوا في ذلك بلفظٍ صريح؟ بل النُّصوص الصَّريحة تدلُّ علىٰ أن المسيح مخلوق، ولم تأت آيةٌ علىٰ خلاف ذلك، بل إنما تدلُّ الآيات علىٰ نبوَّة المسيح.

---

(١) (و): «نفسه».

فصل

قالوا: وقال أشْعِيا النبيُّ: «قل لصِهيون هنا تفرح وتتهلَّل، فإن الله يأتي ويُخلِّصُ الشعوب، ويُخَلِّصُ مَن آمن به ولشعبه[(١)]، ويخلِّص مدينة بيت المقدس، ويُظْهِرُ الله ذراعه الطَّاهرَ فيها لجميع الأمم المبدَّدين، ويجعلهم أمة واحدة، ويُبصِرون[(٢)] جميعَ أهل الأرض من خلاص الله، لأنه يمشي معهم وبين يديهم، ويجمعهم إلهُ إسرائيل»[(٣)].

فيقال: هذا مُحتاجٌ[(٤)] أولًا أن يُعلم مِن هذه النُّبوَّة أن هذا الكلامَ نُقل بلا تحريفٍ[(٥)] للفظه، ولا غلطٍ في الترجمة. ولم يثبت ذلك، وإذا ثبت ذلك فحينئذٍ هو نظير ما في التَّوراة من قوله: «جاء الله من طور سيناء، وأشرق[(٦)] من ساعير، واستعلن من جبال فاران».

ومعلومٌ أنه ليس في هذا ما يدلُّ علىٰ أن الله حالٌّ في موسىٰ بنِ عمران، ومتَّحِدٌ به، ولا أنه حالٌّ في جبل فاران، ولا أنه متَّحدٌ بشيءٍ من طور سينا ولا ساعير.

---

(١) (المطبوعتان): «وبشعبه».

(٢) (ع): «وينصرون»، (د، ي): بلا نقط.

(٣) جاء في سفر أشعيا، الإصحاح (٤٠)، الفقرة (٩): «اصعدي إلىٰ جبل عالٍ مبشِّرةً يا صهيون، ارفعي صوتك بقوة يا مبشِّرة أورشليم، ارفعيه ولا تخافي، قولي لمدن يهوذا: هو ذا «إلهكم» هو ذا «السيد الرب» يأتي بقوة وذراعه تمدّه بالسلطان، هو ذا أجزاؤه معه وأجرته قدامه، يرعىٰ قطيعه كالراعي يجمع الحملان بذراعه».
وفي الإصحاح (٥٢)، الفقرة (١): «استيقظي، استيقظي، البسي عِزَّكِ يا صهيون، البسي ثياب فخرك يا أورشليم، يا مدينة القدس، فإنه لا يعود يدخلك أقلف ولا نجس».

(٤) (ي، ع، ط.النيل): «يحتاج».

(٥) (د، ي، ع): «أن يعلم أن في هذه النبوة هذا الكلام بلا تحريف» بدل قوله: «أن يعلم من هذه النبوة أن هذا الكلام نقل بلا تحريف».

(٦) (المطبوعتان): «وأشرف».

وكذلك هذا اللَّفظ لا يدلُّ علىٰ أنه حالٌّ في المسيح ومتَّحِدٌ به؛ إذ كلاهما سواء.

وإذا قيل: المراد بذلك قربُه ودنوُّه، كتكليم موسىٰ، وظهورِ نورِه وهداه وكتابِه ودينه، ونحو ذلك من الأمور التي وقعت، قيل[1]: وهكذا في المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقوله: «ويُظْهِرُ اللهُ ذراعَه الطَّاهر لجميع الأمم المبدَّدِين» قد قال في التَّوراة مثل هذا في غير موضع، ولم يدلَّ ذلك علىٰ اتِّحادِه بموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

[2]وأما قوله عن الأمم المبدَّدِين: «فيجعلهم أمة واحدة». فهم الذين اتَّبعوا المسيح، فإنهم كانوا متفرِّقين مبدَّدِينَ فجعلهم أمةً واحدة.

وأما قوله: «ويُبصِرون[3] جميعَ أهل الأرض خلاص الله؛ لأنه يمشي معهم وبين يديهم، ويجمعهم إله إسرائيل» فمثل هذا في التَّوراة في غير موضع، ولم يدلَّ ذلك علىٰ اتِّحاده بموسىٰ، ولا حلوله فيه، كقوله في «السِّفْر الخامس من التوراة»: «يقول موسىٰ لبني إسرائيل: لا تهابوهم ولا تخافوهم؛ لأن الله ربَّكم السائرَ بين أيديكم هو يحارب عنكم»[4].

وفي موضعٍ قال موسىٰ: «إن الشَّعب هو شعبك. فقال: أنا أمضي أمامك فارتحل. فقال: إن لم تمض أنت أمامنا وإلا فلا تُصْعِدْنا من هاهنا، وكيف أعلم

---

(١) (و، ع): «قبل».

(٢) (جميع النسخ وط.النيل): قبلها «كقوله» والظاهر أنها حشو، ففي هامش (ع) أشار إلىٰ نسخة: «وأما قوله» بلا قوله: «كقوله».

(٣) (ع): «وينصرون».

(٤) جاء في سفر التثنية، الإصحاح (١) الفقرة (٢٩-٣٠): «فقلت لكم: لا ترتعدوا ولا تخافوا منهم؛ فإن الربَّ إلهكم السائرَ أمامكم هو يقاتل عنكم».

أنا وهذا الشعب أني وجدت أمامك نعمة كذا[1] إلا بسيرك معنا»[2].

وفي السِّفر الرَّابع من الفصل الثَّالثَ عشر: «إن أصْعدتَّ[3] هؤلاء من بينهم بقدرتك، فيقولون لأهل هذه الأرض الذين سمعوا أنك الله فيما بين هؤلاء القوم، يرونه عينًا بعين، وغمامك يقيم[4] عليهم، وبعمودِ غمامٍ يسير بين أيديهم نهارًا، وبعمودِ نارٍ ليلًا»[5].

وفي التوراة أيضًا: «يقول الله لموسىٰ: إني آت إليكٍ في غِلَظ الغمام لكي يسمع القوم مخاطبتي لك»[6].

ثم قوله: «اجمع سبعين رجلًا من شيوخ بني إسرائيل، وخذهم إلىٰ خباء العرب يقفون معك حتىٰ أخاطبهم»[7].

---

(١) بعدها في (د، ط.النيل): «بعلمك».

(٢) جاء في سفر الخروج، الإصحاح (٣٣) الفقرة (١٥-١٦): «إن لم يسر وجهك فلا تصعدنا من ههنا، فإنه بماذا يعرف أني نلت حظوة في عينيك أنا وشعبك؟ أليس بسيرك معنا؟».

(٣) (و): «إني أسعدت»، (ط.النيل): «ربي اصعدن».

(٤) (و): «يعم».

(٥) جاء في سفر العدد، الإصحاح (١٤) الفقرة (١٣): «فقال موسىٰ للرب: لقد سمع المصريون أنك أصعدتَّ هذا الشعبَ من بينهم بقوَّتك، فأخبروا بذلك أهل هذه الأرض، وسمعوا أيضًا أنك يا رب في وسط هذا الشعب الذي تراءيت له يارب وجهًا لوجه، وأن غمامك مقيمٌ فوقهم، وأنك سائرٌ أمامهم بعمودِ غمامٍ نهارًا، وبعمودِ نارٍ ليلًا».

(٦) جاء في سفر الخروج، الإصحاح (١٩) الفقرة (٩): «وقال الربُّ لموسىٰ: ها أنا آتٍ إليك في كثافة الغَمام، لكي يسمع الشعب مخاطبتي لك ويؤمن بك للأبد».

(٧) جاء في سفر العدد، الإصحاح (١١) الفقرة (١٦-١٧): «فقال الرب لموسىٰ: اجمع لي سبعين رجلًا من شيوخ إسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وكتبتهم، وخذهم إلىٰ خيمة الموعد فيقفوا هناك معك، فأنزِلُ وأتكلم معك هناك، وآخذ من الرُّوح الذي عليك وأحلّه عليهم».

فصل

قالوا: وقال زكريا النَّبيُّ: «افرحي يا بيت صِهيون، لأني آتيكِ وأحُلُّ فيك وَأَتَرَايَا، قال الله: ويؤمن بالله في ذلك اليوم الأمم الكثيرة، ويكونون له شعبًا واحدًا، ويَحُلُّ هو وهم فيك، وتعرفين أني أنا الله القويُّ الساكنُ فيك، ويأخذ الله في ذلك اليوم الملك من يهوذا، ويملك[1] عليهم إلىٰ الأبد»[2].

فيقال: مثل هذا قد ذُكِر عندهم عن إبراهيم وغيرِه من الأنبياء أن الله تجلَّىٰ له، واسْتَعْلَن له، وترايا له[3]، ونحوَ هذه العبارات، ولم يدلَّ ذلك علىٰ حلوله فيه واتحاده به.

وكذلك إتيانه، وهو لم يقل: إني أَحُلُّ في المسيح وأتَّحد به[4]، وإنما قال عن بيت صِهيون: «آتيكِ وأحُلُّ فيكِ» كما قال مثل ذلك عندهم في غير هذا ولم يدلَّ علىٰ حلوله في بشر، وكذلك قوله: «وتعرفين أني أنا الله القوي الساكن فيك» لم يُرِدْ بهذا اللفظ حلولَه في المسيح، فإن المسيح لم يسكن بيت المقدس وهو قويٌّ، بل كان يدخلها وهو مغلوبٌ مقهورٌ حتىٰ أُخذ وصُلب، أو شبهه، والله سبحانه إذا حصلت معرفته والإيمان به في القلوب اطمأنَّت وسكنت.

---

(١) (و): «ويملكه».

(٢) جاء في سفر زكريا، الإصحاح الثاني، الفقرة (١٤-١٦): «اهتفي وافرحي يا بنت صهيون، فهآنذا آتي وأسكن في وسطك، يقول الرب: فتنضم أمم كثيرة إلىٰ الرب في ذلك اليوم وتكون لي شعبًا فأسكن في وسطك، فتعلمين أن رب القوات أرسلني إليك، ويرث الرب يهوذا نصيبه في الأرض المقدسة».

(٣) «له» ليست في (و، ع).

(٤) (ي): «وكذلك إتيانه وهو لم يقل إني أحل فيه واتحاده به وكذلك إتيانه إلىٰ في المسيح واتحد به» كذا العبارة، وهي بدل قوله: «وكذلك إتيانه، وهو لم يقل: إني أحل في المسيح وأتحد به».

وكان بيت المقدس لما ظهر فيه دين المسيح عليه السلام بعد رفعه حصل فيه من الإيمان بالله ومعرفته ما لم يكن قبل ذلك.

وجماع هذا أن النُّبوَّاتِ المتقدِّمة، والكتبَ الإلهيَّة: كالتَّوراة، والإنجيل، والزبور، وسائر نبوَّات الأنبياء، لم تَخُصَّ المسيحَ بشيءٍ يقتضي اختصاصَه باتحاد اللَّاهوت به وحلوله فيه كما يقوله النصارىٰ، بل لم تَخُصَّه إلا بما خصَّه به محمدٌ ﷺ في قوله[1] [تعالىٰ]: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

فكُتُب الأنبياءِ المتقدِّمةُ وسائرُ النُّبوَّات موافقةٌ لما أخبر به محمدٌ ﷺ، يُصدِّقُ بعضُها بعضًا، وسائر ما تستدلُّ به النصارىٰ علىٰ إلهيَّتِه من كلام الأنبياء قد يوجد مثل تلك الكلمات في حقِّ غير المسيح، فتخصيص المسيح بالإلهيَّة دون غيره باطل، وذلك مثلُ اسمِ الابن والمسيح، ومثلُ حلولِ روح القدس فيه، ومثلُ تسميتِه إلهًا، ومثلُ ظهورِ الربِّ، أو حلولِه فيه، أو سكونِه فيه، أو في مكانه.

فهذه الكلمات وما أشبهها موجودةٌ في حقِّ غير المسيح عندهم، ولم يكونوا بذلك آلهة.

ولكن القائلون بالحلول والاتحاد في حقِّ جميع الأنبياء والصَّالحين قد يحتجُّون بهذه الكلمات.

وهذا المذهب باطلٌ باتفاق المسلمين واليهود والنَّصارىٰ، وهو باطلٌ في

---

(١) (المطبوع): «بل لم تخصه إلا بما خصه الله به علىٰ لسان محمد في قول الله تعالىٰ...» بدل قوله «بل لم تخصه إلا بما خصه به محمد ﷺ في قوله...». كذا زاد المحقق في العبارة معلّلًا بأن عبارة الأصل تحيل المعنىٰ وتجعل الآية منسوبة للنبي ﷺ.

نفسه عقلًا ونقلًا، وإن كان طوائفُ من أهل الإلحاد والبدع المنتسبين إلىٰ المسلمين، واليهود، والنصارىٰ تقول به، فهؤلاء اشتبه عليهم ما يحُلُّ في قلوب العارفين به من[1] الإيمان به ومعرفته ونوره وهداه والروح منه، وما يُعَبَّرُ عنه بالمثل الأعلىٰ والمثال العلمي.

وظنوا أن ذلك ذاتُ الربّ، كمن يظن أن نفسَ اللَّفظ بالاسم هو المعنىٰ الذي في القلب، أو نفسَ الخطِّ هو نفس اللَّفظ، ومن يظنُّ أن ذات المحبوب حلَّت في ذات المحبِّ واتَّحدت به، أو نفسَ المعروف المعلوم حلَّ في ذات العالم العارف به واتَّحد به، مع العلم اليقينيِّ أن نفسَ المحبوب المعلوم باين عن ذات المحبِّ، روحِه وبدنِه، لم يَحُلَّ واحدٌ منهما في ذات المحب. وقد قال الله تعالىٰ:

﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣].

فالمؤمنون يعرفون الله، ويحبُّونه، ويعبدونه، ويذكرونه، ويقال: هو في قلوبهم[2]، والمراد: معرفته ومحبَّته وعبادته، وهو المَثَل العلميّ، ليس المرادُ نفسَ ذاتِه، كما يقول الإنسان لغيره: أنت في قلبي، وما زلت في قلبي وبين عيني، ويقال:

سَاكِنٌ في القلْبِ يعْمُرُهُ ... لسْتُ أنسَاه فأَذْكُرُهُ[3]

---

(١) (المطبوعتان): «أهل».
(٢) بعدها في (و): «وهو ساكن في قلوبهم وحالٌّ في قلوبهم».
(٣) تقدّم (٢/ ٣١٧).

ويقال:

إنَّ بيتًا أنتَ ساكنَه ... غيرُ محتاجٍ إلىٰ السُرُجِ[1]

ومن قول القائل:

ومِنْ عجَبي أنِّي أحِنُّ إليْهِمُ ... وأسألُ عَنْهُمْ من لقِيتُ وَهُمْ مَعِي

وتَطْلُبُهم عَيْنِيْ وهم في سَوَادِها ... ويَشْتَاقُهُمْ قَلبي وَهُم بَيْنَ أَضْلُعِيْ[2]

وقال:

مثالُك في عَيْنِيْ وذِكْرُكَ في فَمِي ... ومَثْواك في قلبي فأين تغيبُ؟

والمساجد هي بيوت الله التي فيها يظهر ذلك، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥]. قال أبيُّ بن كعب: «مثل نوره في قلوب المؤمنين»[3].

ثم قال: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥] ثم قال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [النور: ٣٦].

فذكر سبحانه نورَه في قلوب المؤمنين، ثم ذكر ذلك في بيوته، كذلك ما ذكر في الكتب الأولىٰ.

وأما الإتيان، والمجيء، والتجلِّي، فعندهم في «التوراة» يقولُ الله لموسىٰ:

---

(١) نسب البيت ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٣/ ٣٢٢) إلىٰ الشبلي، وقال: اختلف في اسمه فقيل دلف وقيل جعفر.
(٢) سبقت الإشارة إلىٰ هذين البيتين (٢/ ٣١٢).
(٣) تقدّم (٢/ ١٥٩).

«إني آتي إليك في غلظ الغمام لكي يسمع القوم مخاطبتي لك».

ثم قوله: «اجمع سبعين رجلًا من شيوخ بني إسرائيل، وخذهم إلىٰ خِباء العرب يقفون معك حتىٰ أخاطبَهم»[1].

وفي السِّفر الرابع لما تكلَّم مريم وهارون في موسىٰ: «حينئذٍ تجلىٰ الله بعمود الغمام قائمًا علىٰ باب الخِباء، ونادىٰ: يا هارون ويا مريم، فخرجا كلاهما فقال: اسمعا كلامي، إني أنا الله فيما بينكم»[2].

وفي الفصل الثالث عشر: «إن أصْعَدْتَ هؤلاء مِنْ بينِهم بقدرتك، فيقولون لأهل هذه الأرض الذين سمعوا أنك الله فيما بين هؤلاء القوم يرونه عينًا بعين، وغمامُك يقيم عليهم، وبعمود غمامٍ يسير بين أيديهم نهارًا وبعمود نار ليلًا»[3].

وفي السِّفْر الخامس قول موسىٰ لبني إسرائيل: «لا تهابوهم ولا تخافوهم؛ لأن الله ربَّكم السائرَ بين أيديكم، وهو يحارب عنكم».

وفي موضعٍ آخرَ قال موسىٰ[4]: «إن الشَّعب هو شعبُك، فقال: أنا أمضي أمامك فارتحل، فقال: إن لم تمض أنت معنا وإلا فلا تُصْعِدْنا من هاهنا، وكيف أعلم أنا وهذا الشعب أني وجدت أمامك نعمة كذا[5] بعلمك إلا بسيرك معنا؟»[6].

---

(١) سبقت الإشارة إلىٰ النصين المتقدّمين عن موسىٰ عليه السلام (٢/ ٣٣٢).

(٢) جاء في سفر العدد، الإصحاح (١٢) الفقرة (٥-٦): «فنزل الرب في عمود غمامٍ، ووقف علىٰ باب الخيمة ونادىٰ هارون ومريم؛ فخرجا كلاهما فقال: اسمعا كلامي».

(٣) تقدّم (٢/ ٣٣٢).

(٤) (و): «يا موسىٰ».

(٥) «نعمة كذا» ليست في (و).

(٦) تقدّم (٢/ ٣٣١).

وفي المزمور الرابع من الزبور عندهم يقول: «ولْيفرحِ المتَّكلون[1] عليك إلىٰ الأبد، ويَبْتَهِجُون، ويَحُلُّ فيهم ويفتخرون»[2].

فأخبر أنه يَحُلُّ في جميع الصِّدِّيقين، أي: معرفته ومحبته؛ فإنهم متَّفقون علىٰ أن ذاتَ الله لم تحلَّ في الصِّدِّيقين.

وكذلك في رسائل يوحنَّا الإنجيلي: «إذا أحفىٰ[3] بعْضُنا بعضًا نعلم[4] أن الله يلبث فينا»[5]. أي: محبته. ونظائره كثيرة.

---

(١) (هامش د، ي): «المتكلمون».

(٢) جاء في سفر المزامير، الإصحاح (٥) الفقرة (١٢): «وليفرح جميع المعتصمين بك وليهلِّلوا للأبد، أنت تظلِّلهم فيبتهج بك من يحبون اسمك».

(٣) (ي، ط. النيل): «أخفىٰ».

(٤) (و): «فعلم».

(٥) جاء في رسائل يوحنا، الرسالة الأولىٰ، الإصحاح (٤) الفقرة (١٢): «فإذا أحب بعضنا بعضًا فالله فينا مقيم، ومحبته فينا مكتملة».

فصـل

قالوا: «وقال عاموص النَّبيّ: «ستُشْرِقُ الشمس علىٰ الأرض، ويهتدي بها الضالُّون ويَضِلُّ عنها بنو إسرائيل»[1].

قالوا: فالشَّمس هو السَّيِّد المسيح، والضالُّون الذين اهتدوا به هم النَّصارىٰ المختلفةُ ألسنتهم، الذين كانوا مِنْ قَبْلِه عابدين الأصنام، وضالِّين عن معرفة الله، فلمَّا أتوهم التلاميذ وأنذروهم بما أوصاهم السَّيد المسيح، فتركوا عبادة الأصنام، واهتدوا باتِّباعهم السَّيد المسيح».

فيقال: هذا مما لا ينازع فيه المسلمون، وإنما ينازع في مثل هذا وأمثاله اليهود المكذِّبون للمسيح عليه السلام، كما ينازع كفَّارُ أهلِ الكتاب في محمدٍ ﷺ.

وأما المسلمون فيؤمنون بجميع كتب الله ورسله، وأنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام أشرق نورُه علىٰ الأرض كما أشرق قبله نور موسىٰ عليه الصلاة والسلام، وأشرق بعده نور محمدٍ ﷺ.

وقد قال الله تعالىٰ لمحمدٍ ﷺ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]. فسمَّاه الله سراجًا منيرًا، وسمَّىٰ الشمس سراجًا وهاجًا، والسِّراج المنير أكمل من السِّراج الوهَّاج؛ فإن الوهَّاج له حرارةٌ تؤذي، والمنير يُهْتَدىٰ بنوره من غير أذىٰ بوهجه.

---

(١) في سفر عاموص، الإصحاح (٨)، الفقرة (٩): «يقول السيِّدُ الرب: إني أُغَيِّبُ الشمسَ عند الظهيرة، وأعتِّم الأرض في رائعة النهار، وأحوّل أعيادكم نَوْحًا».

وقال تعالىٰ لمحمدٍ ﷺ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورىٰ: ٥٢-٥٣]

والمسلمون مُقِرُّون بأنَّ كلَّ من كان متَّبِعًا لدين المسيح عليه السلام الذي لم يُغَيَّر ولم يبدَّل فإنه اهتدىٰ بالمسيح من الضَّلالة، ومن كفر به من بني إسرائيل فإنه ضالٌّ، بل كافر، كما قال تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَنُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٥- ٥٧]، وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

وقوله: «ستشرق الشَّمس علىٰ الأرض، ويهتدي بها الضالون، ويَضِلُّ عنها بنو إسرائيل»= يناسبُ قولَه في التَّوراة: «جاء الله من طور سينا، وأشرق من

ساعير، واستَعْلَن من جبال فاران» فإن إشراقه من ساعير هو ظهور نوره بالمسيح، كما أن مجيئه من طور سينا هو ظهور نوره بموسىٰ، واستعلانه من جبال فاران هو ظهور نوره بمحمدٍ ﷺ.

وبهذه الأماكن الثلاثة أقسم الله في القرآن بقوله: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ١-٣].

فَبَلَدُ التِّينِ والزيتونِ هي: الأرض المقدسة التي بعث منها المسيح، وكان بها أنبياء بني إسرائيل، وأُسْري بمحمدٍ ﷺ إليها، وظهر بها نبوَّتَه.

وطورُ سِينِينَ: المكان الذي كلَّم الله فيه موسىٰ بنَ عمران.

وهذا البلدُ الأمينُ هو: بلد مكة التي بعث الله منه محمَّدًا ﷺ، وأنزل عليه القرآن.

فصـل

قالوا: وقال في السِّفر الثالث من أسفار الملوك: «والآن يا ربّ إله إسرائيل لِتُحقِّقْ كلامك لداود؛ لأنه حقٌّ أن يكون، إنه سَيَسْكُنُ اللهُ مع الناس علىٰ الأرض، اسمعوا أيتها الشعوب كلُّكم، ولْتُنصتِ الأرضُ وكلُّ من فيها، فيكون الربُّ عليها شاهدًا من بيته القدوس، ويخْرُج من موضعه، ويَنْزِلُ ويطأ علىٰ مشاريق الأرض في شأن خطيئة بني يعقوب هذا كلِّه»(١).

فيقال: هذا السِّفر يحتاج إلىٰ أن يَثْبُتَ أن الذي تكلَّم به نبيٌّ، وأن ألفاظه ضُبطت وتُرجمت إلىٰ العربيَّة ترجمةً مطابقة، ثم بعد ذلك يقال فيه ما يقال في أمثاله من الألفاظ الموجودة عندهم.

وليس فيها ما يدلُّ علىٰ اتحاده بالمسيح؛ فإن قوله: «إن الله سيسكن مع الناس في الأرض» لا يدلُّ علىٰ المسيح؛ إذ كان(٢) المسيح لم يسكن مع الناس في الأرض، بل لمَّا أظهر الدَّعوة لم يَبْقَ في الأرض إلا مدةً قليلة، ولم يكن ساكنًا في موضعٍ معيَّن، وقبل ذلك لم يظْهَر عنه شيءٌ من دعوىٰ النُّبوَّة، فضلًا عن الإلهيَّة، ثم إنه بعد ذلك رفع إلىٰ السماء فلم يسكن مع الناس في الأرض.

وأيضًا فإذا قالوا: سكونه هو ظهوره في المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قيل لهم: أمَّا الظهور الممكن المعقول كظهور معرفته، ومحبَّته، ونوره، وذكره، وعبادته، فهذا لا فرق فيه بين المسيح وغيره.

---

(١) في سفر الملوك الأول، الإصحاح (٨)، الفقرة (٢٦): «والآن يا إله إسرائيل ليتحقق قولك الذي كلمت به عبدك داود أبي، فإنه هل يسكن الله حقا علىٰ الأرض».

(٢) «كان» ليست في (و).

وحينئذٍ فليس في هذا اللَّفظ ما يدلُّ علىٰ أن هذا السُّكون كان بالمسيح دون غيره، وإن كان بالمسيح فليس هذا من خصائصه عَلَيْهِ السَّلَامُ، وليس في ظهوره فيه، أو حلول معرفته ومحبته ومثاله العلمي ما يوجب اتحاده[1] به.

وأما قوله: «فيكون الرب عليها شاهدًا».

فيقال أولًا: شهود الله علىٰ عباده لا يستلزم حلولَه، أو اتحاده ببعض مخلوقاته، بل هو شهيدٌ علىٰ العباد بأعمالهم كما قال: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٤٦]، ولفظ النصِّ: «ولتنصت الأرض، وكل من فيها فيكون الربُّ عليها شاهدًا» وهذا كما في التَّوراة: أن موسىٰ لما خاطب بني إسرائيل أشهد عليهم، وكذلك محمَّدٌ ﷺ كان يقول لأمَّته لمَّا بلَّغ الناس يقول: «**ألا هَلْ بلَّغْتَ؟ فيقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ**»[2].

وحينئذٍ فليس في هذا تعرُّضٌ لكون المسيح هو الله، وقد يقال أيضًا: ليس فيه أن المراد بلفظ «الرَّبِّ» هنا هو الله، ولفظ «الرَّبِّ» يراد به السيِّد المطاع. وقد غاير بين اللفظين، فقال هناك: «إنه سيسكن الله مع الناس» فقال: «فيكون الربُّ عليها شاهدًا» والأنبياء يشهدون علىٰ أمُمِهم، كما قال المسيح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾[3] [المائدة: ١١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ [المزمل: ١٥].

---

(١) (و، ط.النيل): «اتحاد ذاته».

(٢) البخاري (١٠٥) ومسلم (١٦٧٩) عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) في (ع) أكمل الآية: ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ [النحل: ٨٩].

وحينئذٍ فيكون الربُّ الشهيد هو المسيح الذي هو النَّاسوت، وهو الذي جاء من بيت المقدس وخرج من موضعه، ونزل ووطئ علىٰ الأرض من أجل خطيئة بني يعقوب؛ فإنهم لما أخطأوا وبدَّلوا أرسل الله إليهم المسيح عليه السلام يدعوهم إلىٰ عبادة الله وحده وطاعتِه، فمن آمن به كان سعيدًا مستحقًّا للثَّواب، ومن كفر به كان شقيًّا مستحقًّا للعذاب.

فصــل

قالوا: وقال ميخا النَّبِيُّ: «وأنت يا بيت لحم قرية يهودا بيت أقرانا[١]، يخرج[٢] لي رئيس الذي يرعىٰ شعبي إسرائيل، وهو من قبل أن تكون الدنيا، لكنه لا يظهر إلا في الأيام التي تلده فيها الوالدة، وسلطانُه من أقاصي الأرض إلىٰ أقاصيها»[٣].

والجواب: أن عامَّة ما يذكرونه عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حجةٌ عليهم لا لهم، كما ذكروه عن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ في أمر التثليث، فإنه حجةٌ عليهم لا لهم، وهكذا تأمَّلنا عامَّة ما يحتَجُّ به أهل البدع والضلالة من كلام الأنبياء، فإنه إذا تُدُبِّرَ حقَّ التدبُّر وَجِدَ حجَّةً عليهم لا لهم، فإن كلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هدًى وبيان، وهم معصومون لا يتكلَّمون بباطل.

فمن احتجَّ بكلامهم علىٰ باطلٍ فلا بدَّ أن يكون في كلامهم ما يبين به أنهم أرادوا الحقَّ لا الباطل، وهذا مثلُ قولِه في هذه النُّبوَّة: «منك يخرج لي رئيس» فهذا صريح في أن هذا الذي يخرج هو رئيسٌ لله[٤] ليس هو الله، بل هو رئيسٌ له كسائر الرؤساء الذين لله، وهم الرُّسل والأنبياء المطاعون مثل: داود وموسىٰ، وغيرهما.

ولهذا قال: «الذي يرعىٰ شعبي إسرائيل»، ولو كان هو لكان هو راعي

---

(١) (و، ي) «أقرانا» بلانقط. وفي «الكتاب المقدس»: «أفراتة»

(٢) « (ع، ط.النيل): «منك يخرج».

(٣) جاء في سفر ميخا، الإصحاح (٥)، الفقرة (١): «وأنت يا بيت لحم أفراتة، إنك أصغر عشائر يهوذا، ولكن منك يخرج لي من يكون متسلّطًا علىٰ بني إسرائيل وأصوله منذ القديم...لأنه حينئذ يتعاظم إلىٰ أقاصي الأرض».

(٤) (و): «الله».

شعب نفسه.

وأمَّا قوله: «وهو من قبل أن تكون الدنيا» فهذا مِثْلُ قولِ النَّبيِّ ﷺ في حديثِ ميْسرةَ الفجْر[1]، وقد قيل له: يا رسُولَ الله متىٰ كنتَ نبيًّا؟ قال: «وآدَمُ بيْنَ الرُّوحِ والجَسَدِ» وفي لفظ: متىٰ كُتبت نبيًّا؟ قال: « وآدَمُ بيْنَ الرُّوحِ والجَسَدِ»[2].

وفي مسند الإمام أحمد[3]، عن العِرباض بن سارية، عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «إنِّي عِنْدَ اللهِ لمَكْتُوبٌ خَاتمَ النَّبِيِّن، وإنّ آدم لَمُنْجَدِلٌ في طِينَتِه، وسَأُنَبِّئُكُم

---

(١) ميسرة الفجر وهو أبو بديل بن ميسرة العقيلي الذي روىٰ عن عبد الله بن شقيق...» كذا ذكره ابن سعد ثم ساق الرواية التي أوردها المصنف، وذكره البخاريّ والبغويّ وابن السّكن وغيرهم في الصّحابة. انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (٧/ ٤٢)، «الاستيعاب» (٤/ ١٤٨٨)، «الإصابة» (٦/ ١٨٩).

(٢) «مسند أحمد» (٢٠٥٩٦) وقد ذكر الدارقطني الاختلاف في هذا الحديث وصوّب إرساله. «العلل» (١٤/ ٧٤) وأخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة (٣٦٠٩) وفيه: قالوا يا رسول الله: متىٰ وجبت لك النبوة؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد» وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقال في «العلل الكبير» (٣٦٨): سألت محمدًا عن هذا الحديث فلم يعرفه. قال أبو عيسىٰ: وهو حديث غريب من حديث الوليد بن مسلم رواه رجل واحد من أصحاب الوليد. وفي «المنتخب من العلل» للخلال (١٧٣): قال المروذي: قلت لأبي عبد الله: أتعرف: عن الوليد، عن الأوزاعي، عن يحيىٰ، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: متىٰ كنت نبيًا؟ قال: هذا منكر، هذا من خطأ الأوزاعي، يخطئ كثيرًا علىٰ يحيىٰ ابن أبي كثير. وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤٢٠٩) من طريق آخر عن إبراهيم بن طهمان عن بديل بن ميسرة، وصحّحه.

(٣) (١٧١٥٠) وحسّن المصنف رواية المسند كما في «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٧٢٨)، ورواه البزار في «مسنده» (١٠/ ١٣٥) عن الحسين بن مهدي عن عبد القدوس بن الحجاج، عن أبي بكر ابن أبي مريم، عن سعيد بن سويد عن العرباض بن سارية. وقال: هذا الحديث لا نعلمه يروىٰ عن رسول الله ﷺ بإسناد متصل عنه بأحسن من هذا الإسناد.

بِأَوَّلِ أَمْرِي[1]**، دَعْوَةُ أَبِي إِبْراهِيم، وبُشْرىٰ عيسىٰ، ورُؤْيا أُمِّي، رأَتْ حِينَ ولَدَتْني أَنَّه خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ له قُصُورُ الشَّامِ»** فقد أخبر ﷺ أنه كان نبيًّا، وكتب نبيًّا وآدمُ بين الرُّوح والجسد، وأنه مكتوبٌ عند الله خاتم النبيِّين، وآدم مُنْجَدِلٌ في طينته.

ومراده ﷺ أن الله كتب نبوَّته وأظهرها، وذكر اسمه، ولهذا جعل ذلك في ذلك الوقت بعد خلْقِ جسد آدم وقبل نفْخ الرُّوح فيه، كما يُكْتَب رزقُ المولود، وأجلُه، وعمله، وشقيٌّ هو أو سعيد، بعد خلق جسده، وقبل نفخ الرُّوح فيه.

وكذلك قول القائل في المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وهو مِنْ قَبْلِ أن تكون الدُّنيا» فإنه مكتوبٌ مذكورٌ من قبل أن تكون الدنيا.

فإنه قد ثبت في الصحيح[2] عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ أنه قال: **«قَدَّرَ اللهُ مقَادِيرَ الخَلائِقِ قبْل أن يَخْلُقَ السَّمَاواتِ والأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَة، وكانَ عَرْشُه علىٰ المَاءِ»**.

وفي «صحيح البخاري»[3]، عن عمران بن حصين، عن النبي ﷺ أنه قال: **«كَانَ اللهُ ولَمْ يكُن شيْءٌ قبْلَه، وكَانَ عرْشُه علىٰ المَاءِ، وكَتَب فِي الذِّكْرِ كلَّ شيْء، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاواتِ والأَرْض»**.

وهو قد قال: «قبل أن تكون الدنيا» ولم يقل: إنه كان قديمًا أزليًّا مع الله لم يزل، كما يقول النصارىٰ: إنه صفةُ الله الأزليَّة، بل وقَّت ذلك بقوله: «قبل أن

---

(١) بعدها في (و): «أنا».
(٢) مسلم (٢٦٥٣).
(٣) (٣١٩١).

تكون الدنيا» ولا يَحْسُن أن يقال في رب العالمين: «كان قبل أن تكون الدنيا»؛ فإنه سبحانه قديمٌ أزَليٌّ، ولا ابتداءَ لوجوده، فلا يوقَّتُ بهذا المبدأ؛ لا سيَّما إن أريد بكون الدُّنيا عِمَارتُها بآدمَ وذريتِه؛ فإن الدُّنيا قد لا تدخل فيها السماوات والأرض، بل يُجعل من الآخرة، وأرواحُ المؤمنين في الجنّة في السماوات، ويراد بالدُّنيا: الحياة الدُّنيا، أو الدَّار الدُّنيا.

ولهذا قال: «لكنَّه لا يظهر إلا في الأيام التي تلده[1] فيها الوالدة كما يظهر غيرُه من الأنبياء بعد أن تلده أمُّه» والوالدة إنما وَلَدَت النَّاسوت، وأما اللَّاهوت فهو عندهم مولودٌ من الله القديم الأزليّ، وإذا قالوا: فهي ولدت اللَّاهوتَ مع النَّاسوت، كان هذا معلومَ الفساد من وجوهٍ كثيرة.

وإذا قيل: لم خُصَّ عيسىٰ المسيح عليه السلام بالذِّكر؟ قيل: كما خُصَّ محمدٌ ﷺ بالذِّكر؛ لأن أمر المسيح كان أظهرَ وأعظمَ مِمَّن قبله من الأنبياء بعد موسىٰ.

وكذلك أمر محمدٍ ﷺ كان أظهرَ وأعظمَ من أمر جميع الأنبياء قبله، وإذا عَظُمَ الشيءُ كان ظهورُه في الكتاب أعظم.

وظَنُّ بعضِ[2] النصارىٰ أن المراد بذلك وجودُ ذات المسيح يضاهي ظَنَّ طائفةٍ من غلاة المنتسبين إلىٰ الإسلام وغيرهم الذين يقولون: إن ذات النَّبيِّ ﷺ كانت موجودةً قبل خلق آدم، ويقولون: إنه خُلِقَ من نور ربِّ العالمين، ووجِدَ قبل خلق آدم، وأن الأشياءَ خُلِقت منه حتىٰ قد يقولون في

---

(١) (و): «تلد».

(٢) «بعض» ليست في (و).

محمدٍ ﷺ من جنس قول النّصارىٰ في المسيح، حتىٰ قد يجعلون مَدَدَ العالم منه[1]، ويرْوُون في ذلك أحاديث، وكلُّها كذب، مع أنَّ هؤلاء لا يقولون إن المتقدِّم هو اللَّاهوت، بل يدَّعون تقدُّم حقيقتِه وذاته، ويشيرون إلىٰ شيءٍ لا حقيقة له، كما تشير النَّصارىٰ إلىٰ تقدُّم لاهوتٍ اتَّحد به لا حقيقة له.

ومن هؤلاء الغلاة من يروي عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال: إني كلِّي[2] بشر فقد كفر، ومن قال لست ببشرٍ فقد كفر» ويحتجُّون بقوله تعالىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

فيجعلون فيه شيئًا من اللَّاهوت مضاهاةً للنصارىٰ.

وهذا الحديث كذبٌ باتفاق أهل العلم بالحديث، وقد ثبت عنه ﷺ في الحديث الذي في «الصَّحيحين»، أنه قال: «**لا تُطْرُوني كمَا أطْرتِ النَّصارىٰ عِيسَىٰ ابنَ مَرْيم؛ فإنَّما أنا عبْدٌ، فقولوا: عَبْدُ اللهِ ورَسُولِه**»[3].

وقد قال تعالىٰ[4]: ﴿قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾ [الإسراء: ٩٣]. وهذا من جنس الغلاة الذين يقولون: إن الرَّبَّ يَحُلُّ في الصَّالحين، ويتكلَّم علىٰ ألسنتهم، وإن النَّاطق في أحدهم هو الله لا نفسه، وقول هؤلاء من جنس قول النَّصارىٰ في المسيح. ويقول أحدهم: إن الموحِّد هو الموحَّد، وينشدون:

---

(١) قوله: «حتىٰ يجعلوا مدد العالم منه» أخرت في (و) بعد قوله: «ويروون في ذلك أحاديث وكلها كذب».
(٢) بياض في (و).
(٣) تقدم تخريجه (١/ ٣٥١).
(٤) بعدها في (ي): «عنه».

مــا وحَّــد الواحِــدَ مِــنْ واحــدٍ   إذ كـــلُّ مـــن وَحَّــدَه جَاحِــدُ
توحيــدُ مَــن يُخبــرُ عــن نَعْتــه   عارِيّـــةٌ أَبْطلهـــا الواحِـــدُ
توحِيـــــدُه إيَّـــاه توحِيـــدُه   ونَعْـــتُ مـــن يَنْعَتُـــه لاحِـــدُ[1]

وهو من جنس قول الذين يجعلون روحَ الإنسان قديمةً أزليَّة، ويقولون: هي صفةٌ الله، فيجعلون نصف الإنسان لاهوتًا، ونصفه ناسوتًا، لكنَّ اللَّاهوت عندهم هو روحُه، لا لاهوتٌ واحد كما يقوله النصارىٰ، وعلىٰ قول هؤلاء مع قول النَّصارىٰ يكون في المسيح وأمثاله ممن ادُّعيَ فيه اتحادُ اللَّاهوت به لاهوتان: روحُه لاهوتٌ، والكلمة لاهوتٌ ثانٍ، ومن جنس هؤلاء من ينشد ما يُحكىٰ عن الحلّاج أنه أنشد:

سُــبْحَانَ مَــنْ أَظْهَــرَ نَاسُــوتَهُ   سِــرَّ سَــنَا لَاهُوتِــهِ الثَّاقِــبِ
ثُــمَّ بَــدَا فِــي خَلْقِــهِ ظَــاهِرًا   فِــي صُــورَةِ الْآكِــلِ وَالشَّــارِبِ
حَتَّــىٰ لَقَــدْ عَايَنَــهُ خَلْقُــهُ   كَلَحْظَــةِ الْحَاجِــبِ لِلْحَاجِــبِ[2]

ولو قُدِّر أن نفسَه هي التي كانت قبل أن تكون الدنيا، فهذا لا يدلُّ علىٰ أنه الله، أو صفةُ الله، بل إذا قال من يدَّعي أن روحَه كانت[3] موجودةً حينئذ، المراد روحه، كان هذا أقربَ من قول النَّصارىٰ.

وفي الجملة: ما يُخبَر عن المسيح أنه كان قبل أن تكون الدنيا بمنزلة ما عند أهل الكتاب عن سليمان أنه قال: «كنت قبل أن تكون الدنيا».

---

(١) تقدمت هذه الأبيات (٢/ ٣٠٢).
(٢) أورد الأبيات ابن الجوزي في: «المنتظم» (١٣/ ٢٠٤)، و«تلبيس إبليس» (ص١٥٤).
(٣) بعدها في (و): «مخلوقة».

ثم قد ثبت باتفاق الخلائق أنَّ سليمان لم يكن اللَّاهوتُ متَّحِدًا به، فعُلم أن مثل هذا الكلام لا يوجب اتحاد اللَّاهوت به، بل المسلمون يَعْدِلون في القول، ويفسِّرون كلام الله في كتبه بعضَه ببعض، ويجعلون كلامَه يُصدِّق بعضُه بعضًا، لا يناقض بعضُه بعضًا.

وأما أهل الضَّلال من النصارىٰ وغيرهم، فيفضِّلون المفضول علىٰ من هو أفضلُ منه، ويبخسون الفاضل حقَّه، ويغْلُون في المفضول ويبخسُون الأنبياء حقوقَهم، مثلَ تنقُّصِهم لسليمان، فإن كثيرًا من اليهود والنصارىٰ يطعنون فيه.

منهم من يقول: كان ساحرًا، وأنه سخَّر[1] الجن بسحره.

ومنهم من يقول: سقط عن درجة النبوة، فيجعلونه حكيمًا لا نبيًّا، ولهذا ذكر الله في القرآن تبرئة سليمان عن ذلك، وذلك أن سليمان سأل الله مُلْكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده، فسخَّر لسليمان الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، والشياطينَ كلَّ بنَّاء وغوَّاص، وآخرين مقرَّنين في الأصفاد، فسخَّر له الرِّيح غُدُوُّها شهرٌ ورواحها شهر، ولما طلب من الملأ أن يأتوه بعرش «بلقيس» ملكة اليمن، وكان هو بالشَّام:

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٣٨-٤٠].

---

(١) (و، ي، ط.النيل) «سحر».

فلما مات سليمان[1] عَمَدَتِ الشَّياطين إلىٰ أنواعٍ من الشِّرك، فكتبوها، ووضعوها تحت كرسيِّه، وقالوا: كان سليمان يسخِّر[2] الجنَّ بهذا، فصار هذا فتنةً لمن صدَّق بذلك وصاروا طائفتين، طائفةً علمت أن هذا من الشِّرك والسِّحر، وأنه لا يجوز، فطَعَنَتْ في سليمان، كما فعل ذلك كثيرٌ من أهل الكتاب: اليهودِ والنصارىٰ.

وطائفةٌ قالت: سليمان نبيّ، وإذا كان قد سخَّر الجنَّ بهذا دلَّ علىٰ أن هذا جائز، فصاروا يقولون ويكتبون من الأقوال التي فيها الشِّركُ والتعزيم والإقسام بالشِّرك والشِّياطين ما[3] تُحِبُّه الشياطين وتختاره، ويساعدونهم لأجل ذلك علىٰ بعض مطالب الإنس، إما إخبارٌ بأمورٍ غائبةٍ يخلطون فيها كذبًا كثيرًا، وإما تصرُّفٌ في بعض الناس، كما يُقتَل الرجل، أو يَمرض بالسحر، أو تَسْرِقُ الشياطين له بعضَ الأموال، ونحوُ ذلك ممَّا فيه إعانةُ الشَّياطين للإنس علىٰ أمورٍ تريدها الإنس؛ لأجل مطاوعة الإنس وموافقتهم للشَّياطين علىٰ ما تريده الشَّياطينُ من الكفر والفسوق والعصيان.

وكثيرٌ منهم يضيف ذلك إلىٰ سليمان وإلىٰ آصف بن بَرْخيا[4] ويصوِّرون خاتم سليمان، وقد يأخذون الرَّجل الذي صار من إخوانهم إلىٰ مواضع فَيُرُونَه

---

(١) «سليمان» ليست في (ي، د، ع، ط.النيل).

(٢) (و، ي): «يسحر».

(٣) (و): «مما».

(٤) وهو آصف بن برخيا بن سمعيا من سبط لاوي بن يعقوب، وهو ابن خالة سليمان عليه السلام وكان صدِّيقا يعرف اسْم الله الْأَعْظَم الَّذِي إِذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطىٰ. انظر: «البداية والنهاية» (٢/ ٢٨)، «الأنس الجليل» (١/ ١٣٦).

شخصًا، ويقولون: هذا سليمانُ بن داود، كما قد جرىٰ مثل ذلك لمن نعرفه من المشايخ الذين كانت تقترنُ بهم الشَّياطين، وكان لهم خوارقُ شيطانيَّةٌ من جنس خوارق السَّحرة والكهَّان.

فنزَّه الله تعالىٰ سليمان من كَذِب هؤلاء وهؤلاء الذين جعلوه يسخِّرُ الشَّياطين بنوعٍ من الشِّرك والسِّحر، هؤلاء جرَّحُوه، وهؤلاء زعموا أنهم يتَّبعونَه، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢- ١٠٣]

ومثل هذا كثيرٌ يُحكىٰ عن بعض الأنبياء، أو بعض أهل العلم والدِّين، من أمورٍ ليست من شرع الله، فيصُدِّق بها بعضُ الناس، وتصير فتنةً لطائفتين مصدِّقتينِ بها.

طائفةٍ تقدح في ذلك النَّبيِّ، أو الرَّجل الصَّالح بما هو منه بريء، وطائفةٍ تقول: إنها تَتْبعُه فيم يقول.

وهذا موجودٌ في كثيرٍ مما يحكيه أهل الكتاب عن الأنبياء، فإن اليهود تَذْكُر عنهم ما يقدح في نبوَّتِهم.

والنَّصارىٰ تجعل ذلك قدوةً لهم فيما يبتدعونه، وهذا مبسوطٌ في موضعٍ آخر[1].

فالمقصود هنا: أنَّ الكلام الذي وُصِف به المسيح إما وَصَفه به الأنبياء قبله، أو أخبر به عن نفسه موجودٌ مثلُه في حقِّ غيره، ولم يكن أحدهم بذلك لاهوتًا وناسوتا، ولا اتَّحد اللَّاهوت بالنَّاسوت، ولا استحقَّ أحدُهم بذلك أن يُعْبَد، ويُصَلَّىٰ له، ويُسْجَد[2] ويُدعىٰ كما يُدعىٰ الله، ويضافَ إليه ما يضافُ إلىٰ الله: من الخلق، والبعث، والثواب، والعقاب.

وليس للمسيح صلوات الله عليه آيةٌ خارقةٌ إلا ولغيره مثلُها وأعظمُ منها، ولا قيل فيه كلمةٌ إلا قيل في غيره مثلُها وأعظمُ منها، إلا ما خصَّه به القرآن[3].

---

(١) انظر ما مضىٰ (١/ ٤٩٥) و«الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (ص١٨٧)، و«النبوات» (٢/ ١٠٣٤).

(٢) بعدها في (و): «له».

(٣) «إلا ما خصه به القرآن» ليست في (د، ي، ط.النيل).

فصل

قالوا: وقال: حَبَقُّوقُ النَّبيُّ: «إن الله في الأرض يترايا، ويختلط مع الناس، ويمشي معهم».

وقال أرْمِيَا النَّبيُّ: «الله بعد هذا في الأرض يظهر، ويتقلَّب[1] مع البشر، فيقول: أنا الله ربُّ الأرباب»[2].

والجواب: أن هذا يحتاج إلىٰ تثبيت نبوَّة هذين، وإلىٰ ثبوت النَّقل عنهما، وثبوتِ الترجمة الصَّحيحة المطابقة، وبعد هذا يكون حكمُ هذا الكلام حكمَ نظائره، ففي التَّوراة ما هو من هذا الجنس، ولم يدلَّ ذلك باتفاق المسلمين واليهود والنصارىٰ علىٰ أن الله حلَّ في موسىٰ، ولا في غيره من أنبياء بني إسرائيل.

بل قوله: «يترايا» هو بمنزلة يتجلَّىٰ ويظهر، وقد ذكر في التَّوراة أنه تجلىٰ، وترايا لإبراهيم وغيرِه من الأنبياء عليهم السلام من غير أن تكون ذاته حلَّتْ بأحدٍ منهم، وما في القلوب من المثال العلميِّ، ومعرفته، ومحبّته، وذكره، يطلق عليه ما يطلق علىٰ المعروف بنفسه؛ لعِلْم الناس أنَّ المراد به المثالُ العلميّ.

وما في القلوب من معرفته المعروف ومحبته ليس المراد به نفسَ المعروف المحبوب، فإذا قال القائل: أنت والله في قلبي، أو في سويداء قلبي، أو قال له: والله ما زلتَ في قلبي، وما زلت في عيني، ونحو ذلك، عَلِم جميع الناس أنه لم يُرد ذاته، فإذا رأوا من يذكر عالمًا مشهورًا أو شيخًا مشهورًا، فيذكر علمه وعمله، ويحيي ذلك بين الناس قالوا: قد صار فلان -يعني المعروف

---

(١) (د، ي، ط.النيل): «ينقلب».

(٢) لم أجد هذين النصّين.

المذكور- عندنا وبين أظهرنا؛ لِعِلْم المخاطبين بالمراد.

ويقول أحدهم لمن مات والده: أنا والدك؛ أي: قائمٌ مقامه، ويقولون للولد القائم مقام أبيه: من خَلَّف مثلك ما مات، وإذا رأوا عكرمة مولىٰ ابنِ عبَّاسٍ الذي معه علمُه يقولون: جاء ابن عبَّاس، وابنُ عبَّاس بين الناس؛ لأن مولاه نائبٌ عنه، وقائمٌ[1] مقامه، وإذا بعث الملك نائبًا قائمًا مقامه يقولون: جاء الملك الفلانيّ، لأن هذا النَّائب قائمٌ مقامه مظهرٌ لأمره ونهيه، وأحواله.

وفي الحديث الصَّحيح، عن النبي ﷺ يقول الله: «**عَبْدي مَرِضْتُ فلم تعُدْني، فيقُولُ العَبْدُ: يا ربِّ كيْفَ أعُودُكَ وأنتَ ربُّ العَالمِينَ؟، فيقُولُ: أما عَلِمْتَ أن عَبْدِي فَلانًا مَرِضَ فلَمْ تعدْه، أما لَوْ عُدْتَهُ لوجَدْتَنِي عِنْدَهُ، عَبْدِي جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ كَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا جَاعَ، فَلَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، عَبْدِي، عَطِشْتُ فَلَمْ تَسْقِنِي، فَيَقُولُ: رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي اسْتَسْقَاكَ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي**»[2].

فجعل جوعَ عبده جوعَه، ومرضَه مرضَه؛ لأن العبد موافقٌ لله فيما يحبُّه ويرضاه، ويأمر به وينهىٰ عنه، وقد عُرِفَ أن الربَّ نفسه لا يجوع، ولا يمرض.

ومعلومٌ أن وصفه بالجوع والمرض أبعدُ من وصفه بالمشي بين الناس والاختلاط بهم، ولهذا نظائرُ كثيرةٌ موجودةٌ في كلام الأنبياء، وغير الأنبياء من الخاصَّة والعامَّة، ولا يفهم عاقلٌ من ذلك أن ذات المذكور اتَّحدت بالآخر،

---

(١) المثبت من (و)، وفي سائر النسخ: «وقام».

(٢) تقدّم تخريجه (٢/ ٣٠٩).

أو حلّت فيه، إلا مَنْ هو جاهلٌ كالنَّصارىٰ.

والنَّاسُ يرون الشَّمس والقمر والكواكب وغير ذلك في الماء الصَّافي، وفي المرآة المَجْلوَّة، ونحو ذلك.

ويقول أحدهم: رأيت وجه فلانٍ في هذه المرآة، ورأيت الشَّمس والقمر في المرآة أو في الماء، مع علم كلِّ عاقلٍ أن نفس الشَّمسِ والقمرِ وغيرِهما لم تَحُلَّا لا في المرآة ولا في الماء، ولكن هذه رؤيةٌ مقيَّدةٌ رآها بواسطة المثال الذي تمثَّل في المرآة أو الماء، سواءٌ كان ذلك شعاعًا منعكسًا أو غيرَ ذلك، ومن هذا الباب قول القائل:

إذا ظَهَرَ الغَدِيْرُ عَلَىٰ صَفاءٍ ... وجُنِّبَ أَنْ يُحرِّكَه النَّسِيمُ
تُرىٰ فيه السَّمَاءُ بِلا امْتِراءٍ ... كَذَاكَ الشَّمْسُ تَبْدُو وَالنّجُومُ
كَذَاكَ قُلُوْبُ أَرْبَابِ التَّجَلِّي ... يُرىٰ في صَفْوِهَا اللهُ العَظِيمُ[1]

فقد أخبر أن الله يُرىٰ في قلوب العارفين، كما تُرىٰ الشَّمسُ[2] والنجومُ في الماء الصَّافي، بل يتصوَّر لأحدهم صورة من يعرفه بحمرةٍ أو خضرةٍ[3] أو سواد، فيقول: والله هذا هو فلانٌ بعينه، مع علمه وعلم كلِّ من سمعه أنه مثاله المطابق لصورته لا عينه، وذلك لمماثلة تلك الصُّورة لصورته، يريد أن هذا تمثيلٌ مطابقٌ له لا مخالف.

ومن هذا قول النبي ﷺ: «مَنْ رَآنِي في المنَامِ فقَدْ رَآنِي حقًّا، فإنَّ الشَّيْطانَ

(١) تقدمت هذه الأبيات (٢/ ٣١٧-٣١٨).
(٢) بعدها في (و): «القمر».
(٣) (و): «صفرة».

لا يَتَمَثَّلُ في صُورَتِي»[1] لم يُرِد أنه رأىٰ جسدي الذي في القبر، وروحي التي في الجنة حالّةً في ذاته، فإن هذا ممتنعٌ لوجوهٍ كثيرة، فلهذا قال: «**فإن الشَّيطان لا يَتَمَثَّل في صُورَتِي**».

ولما دخل جماعةٌ من الصَّحابة علىٰ المقوقس[2] ملكِ النصارىٰ بمصر، واستخبرهم عن دينهم، فأخبروه بذلك، فإذا عنده شِبْهُ الرَّبْعة[3] العظيمة مذهَّبة، وإذا فيها أبوابٌ صِغارٌ، ففتح منها بابًا، فاسْتَخْرَجَ منه خِرْقةَ حريرٍ سوداء، فيها صورةٌ بيضاء، فإذا رجلٌ طُوالٌ أكثرُ الناس شعرًا، فقال: أتعرفون هذا؟ قالوا: قلنا لا، فقال: هذا آدم.

ثم أعاد وفتح بابًا آخر، فاسْتخرَج حريرةً سوداء، فيها صورةٌ بيضاء، فإذا رجلٌ ضخمُ الرأس، عظيم، له شعرٌ كشعر النِّبط[4]، أحمرُ العين، فقال: أتعرفون هذا؟ فقلنا: لا، فقال: هذا نوح.

ثم أعاد وفتح بابًا آخر فاسْتخرَج حريرةً سوداء، فيها صورةٌ بيضاء، فإذا رجلٌ أبيضُ الرَّأس واللِّحية كأنه يبتسم، فقال أتعرفون هذا؟ فقلنا: لا. فقال: هذا إبراهيم.

ثم أعاده وفتح بابًا آخر، فاسْتخرَج حريرةً سوداء[5]، فيها صورةٌ بيضاء،

---

(١) تقدّم (٢/ ٣٢١).

(٢) واسمه: جريج بن ميناء وهو الذي أهدىٰ لرسول الله ﷺ مارية بنت شمعون. انظر: الروض الأنف (١/ ٤٨).

(٣) (و): «الرقعة»، وفي (ي) كُتبت «الرونة» بلا نقط. والرَّبعة: إناءٌ مُربَّع كجُوْنة العطّار. ينظر: «لسان العرب» (٨/ ١٠٧)، «تاج العروس» (٢١/ ٤٣).

(٤) (د، ع، ط.النيل): «القبط».

(٥) بعدها في (و): «فإذا».

قال: أتعرفون هذا[1]؟ قلنا: النبيُّ محمدٌ ﷺ. قال: هذا والله محمدٌ رسول الله.

قال: والله يعلم أنه قام ثم قعد، ثم قال: اللهَ بدينكم، إنه نبيُّكم؟ قلنا: اللهَ بديننا، إنه نبيُّنا كأنما ننظر إليه، ثم قال: أما إنه كان آخرَ الأبواب، ولكني عجَّلتُه لكم لأنظر ما عندكم. ثم أعاد، وفتح بابًا بابًا، وهو يقول: هذا موسىٰ، هذا هارون، هذا داود، هذا سليمان، هذا عيسىٰ[2].

وهذا كلُّه لظهور المراد به، ومعرفة الناس بمقصود المتكلم، كما يقال لمن كتب اسمه في كتاب: هذا فلان.

ومعلوم أن الموجود في الكتاب اسمُه المكتوبُ، لا ذاتُه الموجودةُ في الخارج، ومِنْ هذا الباب قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: ٥٢]. وإنما في الزبر ذِكْر أعمالهم وكتابة ذلك، ويقال في كتابة الوثائق: هذا ما أصدق فلان، وهذا ما يقاضي عليه فلانٌ وفلان، ويقال: هذا ذكر ما أصدق فلانٌ، أو يقاضي عليه فلانٌ وفلان، فيُشار إلىٰ الموجود تارةً وإلىٰ ذكره تارة.

ومعلوم أن الموجود في الكتاب ذكره لا عينه، بل ذلك وجود الخط[3] المطابِقِ لِذِكْره باللَّفظ.

---

(١) «أتعرفون هذا» ليست في (و).

(٢) أخرج هذا الخبر أبو نعيم في «الدلائل» (١٣)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٣٨٥)، وقوام السنة في «الدلائل» (٨٨) عن هشام بن العاص الأموي. وقال: حديث الصُّوَر معروفٌ قد ذكره أهل النظر في دلائل النبوة، وقد روي بغير هذا الإسناد. وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٤٨٦) وقال: «هكذا أورده الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي في كتاب «دلائل النبوة» عن الحاكم إجازةً، فذكره. وإسناده لا بأس به».

(٣) بعدها في (المطبوع) زيادة: «في الأذهان» وليست في الأصول.

والشيء له وجودٌ في الأعيان، ووجودٌ في الأذهان، ووجودٌ في اللِّسان، ووجودٌ في البنان، ووجودٌ عينيّ، وعلميّ، ورسميّ، ولفظيّ، وفي كلٍّ من الأربعة يُذكر ويُشار إليه مع القرائن والضَّمائر التي تُبيِّن تارةً أن المشار إليه هو الخطُّ المطابق للفظ، وتارةً تكون الإشارة إلىٰ اللَّفظ المطابقِ للمعنىٰ.

ومعلومٌ أن المعنىٰ الذي في القلب أقربُ إلىٰ الموجود في الخارج من اللَّفظ والخط، فإذا أشير إلىٰ ما في قلب العارف بعين[1] المحبِّ له، الذاكرِ له بأنه[2] المعروف المحبوب كان أقرب، لا سيَّما وقد يغلب الذِّكْرُ والمعرفة والمحبّةُ علىٰ القلب حتىٰ يغيب بموجوده عن وجوده، وبمعروفه عن معرفته[3]، وبمذكوره عن ذكره حتىٰ يقولَ أحدُهم في هذه الحال: «سبحاني»، أو «ما في هذه الجُبَّة إلا الله».

ومعلومٌ أن ذاتَ الله تبارك وتعالىٰ ليست الذي في قلبه، بل في قلبه مثالُه العلميُّ، ومعرفته، ومحبته، فغاب بذلك عن نفسه، هذا وإن كان يقوله الغالط، فيقول من ليس بغالط: الله في قلب فلان، وفلانٌ ما عنده إلا الله، ومن أراد الله فليذهب إلىٰ فلان، وليس مرادُهم أن ذات الله في قلبه، بل مثالَه العلميّ، ومعرفته، وذكره، ومحبَّته، وأنه لا يُعبَد إلا الله، ولا يرجو إلا إياه، ولا يَخاف إلا إيَّاه، ولا يَعمل إلا لله[4]، ولا يأمر إلا بطاعته، فيفنىٰ بعبادته عن عبادة ما سواه، وبطاعته عن طاعة ما سواه، وبمحبَّته عن محبَّة ما سواه.

---

(١) (و، ي): «بغيره».

(٢) المثبت من (و) وفي سائر النسخ: «فإنه».

(٣) المثبت من (و) وفي سائر النسخ: «معروفه».

(٤) «ولا يرجو إلا إياه، ولا يخاف إلا إيَّاه، ولا يعمل إلا لله» ليست في (و).

فما قيل في المسيح عليه السلام وأمثاله من هذا فهو حقّ، لكن لا اختصاص للمسيح بهذا.

وإذا كان مثلُ هذا الكلام كثيرًا موجودًا في[1] كلام الأنبياء وغيرهم، بل هو المعروف في كلامهم، ولا يوجَد قطُّ عن أحدٍ من الأنبياء أنه جعل ذات الله في قلب أحدٍ من البشر= عُلم أن النَّصارىٰ تركوا المحكم من كلام الأنبياء عليهم السلام وتمسَّكوا بالمتشابه، كأمثالهم من الضُّلَّال، فاشتبه عليهم المعلومُ بالقلوب المذكورُ بالألسن بالموجود في نفسه، فظنُّوا أن نفس المثالِ العلميِّ هو الموجود العينيّ، كما يظن ذلك كثيرٌ من الغالطين، وهؤلاء يقولون بالحلول تارة، وبالاتِّحاد أخرىٰ، ولا يفرِّقون بين حلول الإيمان والمعرفة والمحبة والمثال العلميِّ في القلب، وبين حلول الذَّات المعلومة المحبوبة.

ولهذا يعتقد كثيرٌ من هؤلاء أنهم يكلِّمون الله ويكلِّمهم، ويقول أحدهم: أوقَفَنِي، وقال لي، وقلتُ له، وتكون مخاطبته ومناجاته مع هذا المثال العلميِّ بحسب ما عندهم من الاعتقاد في الله تعالىٰ، وكثيرٌ منهم يتمثَّل له الشَّيطان ويقول: أنا ربُّك، فيخاطبه بظنِّه ربُّه، وإنما هو الشَّيطان.

ومنهم: من يرىٰ عرشًا عليه نور، أو يرىٰ ما يظنُّه الملائكة وهم شياطين، وذلك شيطان.

وكثيرٌ من هؤلاء يظنُّ أنه أفضل من الأنبياء، وأنه يدخل إلىٰ الله بلا إذن، خلافَ الأنبياء، ويكون ذلك الإله الذي يعتقدُه هو الشَّيطان، والذين لا يتمثَّل لهم الشَّيطان يخاطب أحدُهم مَنْ في قلبه، فتخاطبه تلك الصورة العلميَّة، ويقدِّرُ أنها تخاطبه، ويظنُّ ذلك مخاطبةَ الحقِّ له.

---

(١) العبارة في (و): «وإذا كان مثل هذا كثيرٌ موجودٌ في...».

وهذا كالرَّجل يَذكُر بعضَ أصحابه، فيُمثِّله في قلبه ويخاطبه مخاطبةَ من يعاتبه[1]، أو يعتذر إليه، ويُقدِّر خطابَ تلك الصُّورة، ويقول: قلتُ لك كذا، وقلتَ لي كذا.

ونفْسُ الشَّخص لا يكلِّمه ولا يسمع كلامَه، وإنما هو المثال، كما قد يصوِّر صورةَ الإنسان ويخاطبها الإنسان، ويقدِّر ذلك مخاطبةً لصاحب الصُّورة.

والنَّصارىٰ أَدْخَلُ في هذا من غيرهم؛ فإنهم يخاطبون الصُّور الممثَّلة في الكنائس كصورة مريم، والمسيحِ والقدِّيسين، ويقولون: إنما نَقْصِد خطاب أصحابِ تلك الصُّور نستشفع بهم.

وهذا مما حرَّمه الله علىٰ ألسن جميع النبيِّين، ولم يشرع لأحدٍ أن يدعوَ الملائكة، ولا الأنبياء، ولا الصَّالحين الأموات، فكيف بالصُّور الممثَّلة لهم، كما قد بُسِط في موضعٍ آخر[2].

والمقصود هنا: أنه كثيرًا ما يوجد في كلام الناس الأنبياءِ وغيرِهم من ذكر ظهور الله ﷻ، والمرادُ به ظهوره في قلوب عباده بالمعرفة والمحبة والذِّكْر؛ ولهذا لمَّا كان يُقصد بذِكْر اسمِه ذكر المُسَمَّىٰ صار يقول من يقول: إن الاسم هو المسمىٰ، أي[3]: إن المراد المقصودَ من[4] الاسم هو المسمىٰ، لا أنَّ نفس اللَّفظ هو المسمَّىٰ، فإن هذا لا يقوله عاقل، وتنزيه الاسم وتسبيحه تنزيهٌ

---

(١) (و): «يعاينه».

(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٧/ ٤٥٦).

(٣) «أي» ليست في (و، ي).

(٤) «من» ليست في الأصول. وأثبتها من (ط.النيل).

للمسمَّىٰ وتسبيحٌ له. كما قال تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلىٰ: ١]، وقال: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]. وقال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨].

وجاء في حديث: «لا تقُومُ القِيَامةُ حتَّىٰ لا يُعْبَدَ لله اسمٌ[(١)]»[(٢)]، أي لا يعبدَ اللهُ باسمٍ من أسمائه، فإنه إذا قيل: دعوت الله وعبدته، فإنما في اللفظ الاسم، والمقصود هو المسمىٰ.

وهذا الذي ذكرناه من تفسير ظهور اللَّاهوت في المسيح وغيره بأن المراد ظهورُ ما في القلوب من توحيد الله، ومعرفته، ومحبَّته، وذكره، ونوره، وهداه، وروحه، هو مما يفسِّر به ذلك كثيرٌ من علماء النَّصارىٰ؛ فإنهم يفسِّرون اتِّحاد اللَّاهوت بالنَّاسوت بظهور اللَّاهوت فيه، كظهور نقش الخاتم في الشَّمع والطِّين.

ومعلومٌ أن الحالَّ في الشَّمع والطِّين هو مثالُ نقش الخاتم، لا أنَّ في الشَّمع والطِّين شيئًا من الخاتم، بل ظهر فيه نقش الخاتم.

وكذلك يظهر نورُ الله وروحُه في الأنبياء والصَّالحين، وهذا المعنىٰ لا يختصُّ به المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل يشترك فيه هو وسائر الرُّسل، بل وكلُّ مؤمنٍ له من هذا نصيبٌ بحسب إيمانه.

---

(١) (و): «حتىٰ لا يعبد الله» بدل: «حتىٰ لا يُعبد لله اسم».

(٢) أخرج أحمد في «مسنده» (١١٨٢١)، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «لتضربَنَّ مضرُ عبادَ الله حتىٰ لا يُعبد لله اسم». وجاء نحوه عند مسلم (١٤٨) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولفظه: «لا تقوم الساعة حتىٰ لا يقال في الأرض: الله، الله».

فصـل

قالوا: وقال أشْعِيا النَّبيُّ: «ها هي العذراء تَحْبَل، وتلد[1] ابنًا، ويُدْعىٰ اسمه عِمَّانويل»[2].

و«عِمَّانويل»: كلمةٌ عِبْرانيَّةٌ تفسيرها بالعربي: «إلهنا معنا» فقد شهد النَّبيُّ أنَّ مريم ولَدَتِ اللاهوتَ المتَّحد بالنَّاسوت كلاهما».

فيقال: ليس في هذا الكلام أن مريم ولدت اللَّاهوتَ المتَّحد بالنَّاسوت، وأنها ولدت خالق السماوات والأرض، بل هذا الكلام يدلُّ علىٰ أن المولود ليس هو خالق السماوات والأرض؛ فإنه قال: «تلد ابنًا».

وهذا نكرة في الإثبات، كما يقال في سائر النساء: إن فلانة ولدت ابنًا، وهذا دليلٌ علىٰ أنه ابنٌ من البنين، ليس هو خالقَ السماوات والأرضين، ثم قال: ويدعىٰ اسمُه «عِمَّانويل» فدلَّ بذلك[3] أن هذا اسمٌ يوضع له، ويسمَّىٰ به كما يسمِّي الناسُ أبناءَهم بأسماء الأعلام، أو الصِّفات التي يُسَمُّونهم بها. ومن تلك الأسماء ما يكون مُرْتَجلًا ارتجلوه.

ومنها ما يكون جملةً يحكونها، ولهذا كثيرٌ من أهل الكتاب يسمي ابنَه عِمَّانويل، ثم منهم من يقول: العذراءُ المراد بها غيرُ مريم، ويذكرون في ذلك قصةً جرت.

---

(١) «وتلد» ليست في (ي).

(٢) جاء في سفر أشعيا، الإصحاح (٧) الفقرة (١٤): «ها إن الصَّبيَّة تحمل فتلد ابنًا وتدعو اسمَه عِمَّانوئيل».

(٣) بعدها في (المطبوعتين): «علىٰ».

ومنهم من يقول: بل المراد بها مريم، وعلىٰ هذا التقدير فيكون **المراد أحدَ معنيين:**

إمَّا أنه يريد أن إلهنا معنا بالنَّصر والإعانة، فإنَّ بني إسرائيل كانوا قد خُذلوا بسبب تبديلهم، فلما بُعِثَ المسيح عليه السلام بالحقِّ كان الله مع من اتَّبع المسيح، والمسيح نفسُه لم يبق معهم، بل رُفِع إلىٰ السماء، ولكنَّ الله كان مع من اتَّبعه بالنَّصر والإعانة، كما قال تعالىٰ: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]. وقال تعالىٰ: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٥٥]. وهذا أظهر.

وإما أن يكون يُسَمَّىٰ المسيح إلهًا، كما يقولون: إنه يُسَمَّىٰ موسىٰ: «إله فرعون» أي: هو الآمر النَّاهي له، المسلَّط عليه.

وقد حرَّف بعضهم معنىٰ هذه الكلمة فقال: معناها: الله معنا. فقال من ردّ عليهم من علمائهم: يقال لهم: أهذا هو القائل: أنا الربُّ ولا إله غيري، أنا أُمِيتُ وأنا أحيي، أم هو القائل لله: إنك أنت الإلهُ الحقُّ وحدك، والذي أرسلت يسوع المسيح؟ وإذا كان الأول باطلًا والثاني هو الذي شهد به الإنجيل= وجب تصديق الإنجيل، وتكذيبُ من كَتَب في الإنجيل أن «عِمَّانويل» تأويله: «الله معنا»، بل تأويل عِمَّانويل(١): «معنا إله»، وليس المسيح مخصوصًا بهذا الاسم، بل عِمَّانويل اسمٌ يُسَمّىٰ به النصارىٰ، واليهودُ من قبل النصارىٰ.

---

(١) «وتأويله الله معنا، بل تأويل عمانويل» ساقطة من (ي) لانتقال النظر.

وهذا موجودٌ في عصرنا هذا، في أهل الكتاب من سمَّاه أبوه «عِمَّانويل» يعني: شريف القدر، قال: وكذلك السُّريانُ أكثرهم يُسَمُّون أولادهم «عِمَّانويل».

قلت: ومعلومٌ أنَّ الله مع المتقين، والمحسنين، والمقسطين بالهداية والنصر والإعانة، ويقال للرَّجُل في الدعاء: الله معك. فإذا سُمِّي الرَّجل بقول[1]: «الله معك»= كان هذا تبركًا[2] بمعنىٰ هذا الاسم، وإذا قيل: إن المسيح سُمّي «الله معنا» أو «إلهنا معنا» ونحو ذلك كان ذلك دليلًا علىٰ أنَّ الله مع من اتَّبع المسيح وآمن به، فيكون الله هاديه، وناصره، ومعينه.

---

(١) (و): «يقول»، (ي): «فقوله».

(٢) (و): «شركًا».

فصل

قالوا: وقال أشْعِيا أيضًا: «إن غلامًا وُلد لنا، وابنًا أعطيناه، الذي رياستُه علىٰ عاتقه وبين[1] منكِبيه، ويُدعىٰ اسمُه ملكًا، عظيم المشية[2] مسيّرًا عجيبًا، إلهًا[3] قويًّا مسلَّطًا، رئيس السلامة أبٌ[4] كلَّ الدهور، وسلطانه كاملٌ ليس له فناء»[5].

فيقال: ليس في هذه البشارة دلالةٌ بيِّنةٌ أن المراد به المسيحُ عليه السلام، ولو كان المراد به المسيحَ لم يدلَّ علىٰ مطلوبهم، بل قد يقال: المرادُ بها محمَّدٌ ﷺ؛ فإنه الذي رياسته علىٰ عاتقيه، وبين منكبيه، من جهتين:

من جهة أن خاتم النُّبوَّة علىٰ نُغْضِ[6] كتفيه، وهو من أعلام النُّبوَّة الذي أخبرت به الأنبياء، وعلامة ختمهم.

ومن جهة أنه بُعث بالسَّيف الذي يتقلَّد به علىٰ عاتقه، ويرفعه إذا ضرب به علىٰ عاتقه، ويدلُّ علىٰ ذلك قوله: «مسلطٌ[7] قويٌ رئيس السلامة».

---

(١) «عاتقه وبين» ليست في (د، ي، ع) «وبين» فقط ليست في (و).

(٢) لم تحرّر في النسخ. والمثبت من «ط.النيل».

(٣) (و): «ملاك عجيبًا لأمر» بدل: «عجيبًا إلها».

(٤) المثبت من (و) وسائر الأصول: «في»، وسيأتي في (و، ي) نصُّ المصنّف يوافق ما أثبت.

(٥) جاء في سفر أشعيا، الإصحاح (٩) الفقرة (٥-٦): «لأنه قد ولد لنا ولدٌ، وأعطي لنا ابنٌ، فصارت الرئاسة علىٰ كتفه، ودعي اسمه عجيبا، مشيرًا إلها جبَّارًا، أبا الأبد، رئيس السلام لنمو الرئاسة ولسلام لا انقضاءَ له».

(٦) النُّغْضُ: أعلىٰ الكتف. انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (٢/ ١٩٦)، «النهاية» لابن الأثير (٥/ ٨٧). وحرّفت الكلمة في (المطبوع) إلىٰ «بعض».

(٧) «مسلط» ليست في (و).

وهذه صفة محمَّدٍ ﷺ المؤيَّد المنصور المسلَّط رئيسُ السَّلامة؛ فإن دينه الإسلام، ومن اتَّبعه سَلِم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، ومن استيلاء عدوه عليه.

والمسيح عليه السلام لم يسلَّط علىٰ أعدائه، كما سُلِّط محمدٌ ﷺ، بل كانوا أعداؤه بحيث يقدرون علىٰ صلبه، وعند النصارىٰ قد صلبوه، وعند المسلمين ألقىٰ الله شبهه علىٰ غيره، فصلب ذلك المُشَبَّه، فبهذه الطريق دفع الله الصَّلب عنه، لا بقهر أعدائه وإهلاكهم وذُلِّهم له، كما نصر الله محمَّدًا ﷺ علىٰ أعدائه.

وقال: «أبٌ[1] كلَّ الدهور، وسلطانه كاملٌ ليس له فناء» وهذا صفة خاتم الرُّسل الذي لا يأتي بعده نبيٌّ ينسخ شرعَه، وسلطانُه بالحُجَّة واليد، كاملٌ لا يحتاج فيه إلىٰ الاستعانة بشرعٍ آخر، وشرعه ثابتٌ باقٍ إلىٰ آخر الدهر.

---

(١) (د، ع): «إن»، (ط.النيل): «في».

فصـل

قالوا: وقال أشعيا أيضًا: «يخرج عصاه من بيت «يَسَّىٰ»[1]، ويَنْبُتُ[2] نورٌ منهـا، ويَحُـلُّ فيـه روح القـدس، روح الله، روح الحكمـة[3] والفهـم، روح الحَيْل[4] والقوَّة، روح العلم وخوف الله، وفي تلك الأيام يكون أصل «يَسَّىٰ» آيةً للأمم، وبه يؤمنون وعليه يتوكلون، ويكون لهم التَّاج[5] والكرامة إلىٰ دهر الداهرين»[6].

والجواب: أن هذا الكلامَ بعد المطالبة بصحّة نَقْله عن النَّبِيِّ، وصحَّةِ التَّرجمة له باللِّسان العربي هو حجَّةٌ علىٰ النصارىٰ لا لهم؛ فإنه لا يدلُّ علىٰ أنَّ المسيح هو خالق السماوات والأرض، بل يدلُّ علىٰ مثل ما دلَّ عليه القرآن من أنَّ المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ أُيِّد بروح القدس، فإنه قال: «يحُلُّ فيه روح القدس، روح الله، روح الحكمة والفهم، روح الحَيْلِ والقوَّة، روح العلم وخوف الله» ولم يقل تَحُلُّ فيه حياة الله فضلًا عن أن يقولَ: حلَّ فيه الله، أو اتّحد به، ولكن جعل روح

---

(١) يسّىٰ بن عوبيد، وهو والد نبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ. ذَكَرَه في «العهد القديم»، سفر راعوت، الإصحاح (٤)، الفقرة (١٨-٢٢).

(٢) (د): «وينبت»، وجاءت في النسخ الخطية مهملة. والمثبت من (ط.النيل).

(٣) (ي): «الكلمة».

(٤) «الحيل» بالياء: القوة، ومنه حديث: «يا ذا الحيل الشديد»، والمحدِّثون يروونه بالباء الموحدة، قال الأزهري: والصواب: الياء، أي: المثناة، وكذا ذكر ابن الأثير نحوه. ينظر: «تهذيب اللغة» (٥/ ١٨٥)، «النهاية» (١/ ٣٣٢، ٤٧٠)، «لسان العرب» (١١/ ١٩٦).

(٥) (ع، ط.النيل): «النتاج» وهي كذا في (و، ي) لكنها بلا نقط.

(٦) جاء في سفر أشعيا، الإصحاح (١١) الفقرة (١-٢، ١٠): «ويخرج غصن من جذع يسَّىٰ، وينمىٰ فرعٌ من أصوله، ويحُلُّ عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة وروح المعرفة وتقوىٰ الرب... وفي ذلك اليوم أصل يَسَّىٰ القائم راية للشعوب، إياه تلتمس الأمم، ويكون راحته مجدًا».

القدس هي روح الله، وهي[1] روح الحكمة والفهم والعلم، وهي روح الحَيْل والقوة[2]، كما عندهم في التوراة: «أنَّ الذين كانوا يعملون في قبَّة الزَّمان حلَّت فيهم روح الحكمة روح الفهم، روح العلم»[3].

فهي ما يحصل به الهدىٰ والنصر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [ص: ٤٥]، فقال: هي روح الله، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

وقال تعالىٰ: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ [النحل: ٢].

فما أنزله يُسَمَّىٰ هدىٰ الله، وروحَ الله، ووحيَ الله، ونورَ الله، ونحوَ ذلك[4].

وقال تعالىٰ لما ذكر أنبياءه من ذريَّةِ إبراهيم فقال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٨٤ وَزَكَرِيَّآءَ

---

(١) «وهي» ليست في (د، ع).

(٢) (ي): «هي روح الكلمة والفهم والعلم وهي روح الحبل والقوة...» بدل قوله: «هي روح الله، وهي روح الحكمة والفهم والعلم، وهي روح الحيل والقوة...».

(٣) تقدّم النقل قريبا عن سفر أشعيا، وفيه: «ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، وروح المعرفة وتقوىٰ الرب».

(٤) «وقال تعالىٰ: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ ...ونحو ذلك» ليست في (ي).

﴿وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ۖ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ٨٤-٨٨].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

وسمَّاه نورَ الله كقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

فهذا هدىٰ الله، ونور الله هو روح الله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا(١)﴾ [الشورىٰ: ٥٢]، وقال تعالىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

---

(١) أكمل الآية في (و): ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

فصـل

قالوا: وقال أشعيا أيضًا: «من أعجب الأعاجيب أن ربَّ الملائكة سيولد من البشر»[١].

فيقال: مثلُ هذا الكلام لا بدَّ أن يكون قبله كلامٌ وبعده كلام، وهو منقولٌ من لغةٍ إلىٰ لغة، ونحن نعلم قطعًا أنه لم يُرِد أن ربَّ العالمين يولد من البشر، ولو أراد ذلك لم يقل «ربَّ الملائكة» فقط. فإن الله ربُّ كلِّ شيء، لكن قد يريد[٢] أنه يولد من البشر من يكون سيِّدَ الملائكة تخدمُه وتكرمُه، كما سجدت الملائكة لأبي البشر آدم.

والنصارىٰ يسلِّمون أن اللَّاهوت ما هو متولِّدٌ من البشر، وإنما المتولِّد من البشر هو الناسوت، وليس هو ربَّ العالمين بالاتِّفاق، فعُلم أنه لا حجَّة لهم في ظاهر اللَّفظ إن قُدِّرَ سلامته من التَّغيير.

ونظير هذا ما عندهم في إنجيل متَّىٰ: «أن ابن الإنسان يرسل ملائكته، ويَجْمَعون كلَّ الملوك ربًّا علىٰ الأمم، فيُلْقُونهم في أَتُون النَّار»[٣].

قال بعض علماء أهل الكتاب: لم يُرِدْ بذلك أنَّ المسيح هو ربُّ الأرباب[٤]، ولا أنه خالق الملائكة، بل ربُّ الملائكة أوصىٰ الملائكةَ بحفظ

---

(١) لم أجد هذا النصّ.

(٢) (و): «يراد به»، (ع): «يراد».

(٣) ورد في إنجيل «متّىٰ»، الإصحاح (١٣)، الفقرة (٤١): «يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون مسببي العثرات والأئمة كافة فيخرجونهم من ملكوته، ويقذفون بهم في أتون النار».

(٤) (و): «الإنسان».

المسيح بشهادة النَّبيِّ القائل: «إن الله يوصي[1] ملائكته بك ليحفظوك»[2].

ثم شهادة «لوقا»: أن الله أرسل له ملكًا من السَّماء ليُقَوِّيَه[3].

قال: «وإذا شهد الإنجيل باتِّفاق الأنبياء والرُّسل بأن الله يوصي ملائكته بالمسيح فيحفظونه، عُلم أن الملائكة مطيعةٌ[4] للمسيح بالأمر، وهو والملائكة في خدمة ربِّ العالمين».

وقال المسيح لتلاميذه: «مَنْ قَبِلَكم فقد قَبِلَني، ومن قَبِلَني فقد قبل من أرسلني»[5]. وقال المسيح: «من أنكرني قُدَّام الناس أنكرته قُدَّام ملائكة الله»[6].

وقال للذي ضرب عبد رئيس الكهنة: «اغمد سيفك، ولا تظن أن لا أستطيع أن أدعو الله الأب فيُقِم لي أكثر من اثني عشر جَوْقًا[7] من الملائكة»[8].

---

(١) (ع): «أوصىٰ».

(٢) ورد في سفر المزامير، المزمور (٩١)، الفقرة (١١): «لأنه أوصىٰ ملائكته بك ليحفظوك في جميع طرقك».

(٣) ورد في إنجيل «لوقا»، الإصحاح (٧)، الفقرة (٢٧): «ها أنا ذا أرسل رسولي قدامك ليعِدَّ الطريق أمامك».

(٤) (د، ي، ع، ط): «تطيعه».

(٥) ورد في إنجيل «يوحنَّا»، الإصحاح (١٣)، الفقرة (٢٠): «الحقّ الحقّ أقول لكم: من قبل الذي أرسله قبلني أنا، ومن قبلني قبل الذي أرسلني».

(٦) ورد في إنجيل «متّىٰ»، الإصحاح (١٠)، الفقرة (٣٣): «ومن أنكرني أمام الناس أُنكِره أمام أبي الذي في السماوات».

(٧) (و): «جوفًا». والجَوْقُ: كل قطيع من الرعاة أمرهم واحد. «العين» (٥/ ١٨٣).

(٨) ورد في إنجيل «متّىٰ»، الإصحاح (٢٦)، الفقرة (٥٢-٥٣): «اغمد سيفك، فكل من يأخذ بالسيف يهلك، أوَ تظنّ أنه لا يمكنني أن أسأل أبي فيمدني الساعة بأكثر من اثني عشر فيلقًا من الملائكة؟».

فصل

قالوا: «ومثلُ هذا القول في كتب الله المنزَّلة علىٰ أفواه الأنبياء والرُّسل شيئًا كثيرًا عند النصارىٰ جميعِهم، المختلفةِ ألسنتُهم، المفرَّقين في سبعة أقاليم العالم، المتمسِّكين بدين النصرانيَّة، قولٌ واحدٌ، ونصٌّ واحد، علىٰ ما تَسَلَّمُوه من الحوارِيِّين حين أنذروهم، وردُّوهم عن عبادة الأصنام إلىٰ معرفة الله تعالىٰ، سلَّمَوها إليهم، كلُّ أمةٍ بلسانها، وهي علىٰ هيئتها إلىٰ يومنا هذا».

والجواب عن هذا من وجوه:

أحدها: أن القول في سائر ما يذكرونه من النُّصوص كما تقدَّم، وقد تكلَّم علىٰ هذا من تكلَّم عليه من علماء النصارىٰ الذين هداهم الله، وبيَّنوا ما وقع في ذلك من تحريفهم لمعاني الكتب التي عندهم، وذكروا ممَّا عندهم من النصوص الصَّريحة بأن المسيح عبدُ الله، ليس هو الله؛ ما يتبيَّن به بطلانُ قولهم، وأنهم ممن تركوا المحكم من الآيات واتَّبعوا المتشابه؛ ولهذا أنزل الله فيهم: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

وهذا كقول المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ لما سُئِل عن علم الساعة فقال: «لا يعلمها إنسان، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن، إلا الأبُ فقط»(١).

فنفىٰ عن نفسه علم الساعة، وهذا يدلُّ علىٰ شيئين: علىٰ أن اسم الابن

---

(١) ورد في إنجيل «متّىٰ»، الإصحاح (٢٤)، الفقرة (٣٦): «فأما ذلك اليوم وتلك الساعة فما من أحد يعلمها لا ملائكة السماوات ولا الابن إلا الأب وحده».

إنما يقع علىٰ النَّاسوت دون اللَّاهوت، فإن اللَّاهوت لا يجوز أن ينفىٰ عنه علمُ الساعة، ويدلُّ علىٰ أنَّ الابن لم يكن يعلمْ ما يعلمه الله، وهذا يُبطل قولهم بالاتِّحاد، فإنه لو كان الاتِّحاد حقًّا كما يزعمون لكان الابن يعلمُ ما يعلمُه الله، ويقدِرُ علىٰ ما يقدِر عليه، فإنه هو الله عندهم، والنَّاسوت لا يتميَّزُ عندهم عن اللَّاهوت فيما يوصف به المسيح من كونه عالمًا قادرًا يحيي ويميت.

وقال المسيح لتلاميذه: «آمنوا بالله وآمنوا بي». وقال أيضًا: «من يؤمنْ بي فليس يؤمنُ بي فقط، بل وبالذي أرسلني»[(١)].

وهم يذكرون أن المسيح عليه السلام استصْرخ لله قائلًا: «إلهي إلهي انظر، لماذا تركتني وتباعدت عن خلاصي؟»[(٢)].

الوجه الثاني[(٣)]: قولهم: إن هذه الكتب التي بأيديهم من التوراة والإنجيل وسائرِ النُّبوَّات تسلَّموها من الحواريِّين كلُّ أمة بلسانها، وهي علىٰ هيئتها= قول لم يقيموا علىٰ صحَّته دليلًا، بل ادَّعوْا ذلك دعوىٰ مجردة.

ومثلُ هذا النَّقلِ إن لم يَثْبُتْ بالتَّواتر لم يُحتَجَّ به في المسائلِ العلميَّة، لا سيَّما إذا قيل في **الوجه الثالث**: إن هذا كذبٌ ظاهر؛ فإن كثيرًا من الألسنة ليس عند أهله إنجيلٌ قديم، ومن ذلك لسان العرب، فإن العرب النَّصارىٰ كثيرون قبل الإسلام، ولا تُعرف توراةٌ وإنجيلٌ ونبواتٌ عربيَّة إلا ما عُرِّبَ من النُّسخ العبريَّة

---

(١) ورد في إنجيل «يوحنَّا»، الإصحاح (١٢)، الفقرة (٤٤): «من آمن بي لم يؤمن بي أنا بل بالذي أرسلني».

(٢) ورد في إنجيل «متّىٰ»، الإصحاح (٢٧)، الفقرة (٤٦): «ونحو الساعة الثالثة صرخ يسوع صرخة شديدة قال: «إيلي إيلي لمـّا شبقتاني؟، أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟».

(٣) بعدها في (و): «أن».

والرُّومية والسُّريانيَّة، ونحن نطالبهم بهذه الكتب التي هي بالعربيَّة[1] التي في زمن الحواريِّين أين[2] هي؟ ومن رآها؟ ولو قُدِّر أنها كانت بالعربيَّة، فهذه النسخُ اليوم العربيَّةُ الموجودة بأيدي النَّاس هي مما عُرِّب ممَّا بأيديهم، وحينئذٍ فلا تُعْرف صحَّتُها إن لم تُعْرف صحَّةُ التَّرجمة، ويثبُت نقْلُ تلك عن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهكذا القول في سائر الألسُن.

الوجه الرابع: أن التَّوراة والنُّبوَّات التي[3] نُقِلَتْ من نُسَخ اليهود والأناجيل هي أربعةٌ كتبت بعد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، اثنان ممَّن كتبها لم يريا المسيح وهما: لوقا ومرقس، واثنان رأياه وهما: يوحنَّا ومتَّىٰ.

والنُّسَخ إنما كثُرت عن الأربعة، وما ينقله الأربعة لا يجب أن يكون متواترًا معلومًا، وإذا كثُرت الألسن بها فَمِنْ بعدِ الأربعة، لا أَنَّ الذين سمعوها من المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ تكلَّموا باثنين وسبعين لسانًا، فإن هذا لم يقُله أحد، ولا يقوله عاقل؛ إذ الحواريون كانوا اثني عشر، لم يكونوا اثنين وسبعين، فإذا قيل: إنه نقلها اثنان وسبعون، فهم نقلوها عمَّن نقلها إليهم من الحواريِّين، وهم إنما يُسْنِدُونَ نَقْلها إلىٰ الأربعة.

الوجه الخامس: أنّ الحواريِّين ليسوا معصومين، بل يجوز علىٰ أحدهم الغلط في بعض ما ينقله، وما يُنقل من خوارقهم للعادات، فمِنَ النَّاس من يُكذِّبه، ومنهم من يُصدِّقه، ولا دلالة فيه علىٰ عصمتهم، إلا أن يَثبُت أنهم ادَّعوا

(١) (و): «بالعبرية» خطأ.
(٢) (د، ي، ع) الأقرب: «أتثبت».
(٣) «التي» ليست في الأصول، وقد أثبتت في (المطبوع) من طبعة المدني. والسياق يقتضيها.

النبوة وأقاموا المعجزات الدَّالة علىٰ نبوَّتهم، و[1] لم يكن الأمر كذلك، وإلا فالصَّالحون إذا كانت لهم كراماتٌ لم تدلَّ كراماتُهم علىٰ أنهم معصومون كالأنبياء، بل يجوز عليهم الغلط مع ثبوت كراماتهم، والحواريُّون عندهم ليسوا بأنبياء، وإن سَمَّوْهم رسلًا، فهم رسل المسيح، لا رسل الله ﷻ.

الوجه السادس: أنّ في هذه الكتب التي بأيديهم ما يناقض قولَهم من الأقوال الصَّريحة الكثيرة ممَّا هو أكثرُ وأصرحُ مما احتجُّوا به علىٰ قولهم، والواجب حينئذٍ التمسُّك بالصَّريح المحكم، وردُّ المتشابه إليه، لا يجوز التمسُّك بالمتشابه، وردُّ المحكَم إليه.

الوجه السَّابع: أنه بتقدير أن يكون في الأرض هذه الكتب باثنين وسبعين لسانًا، سواءٌ كانت كلُّها[2] منقولةً عن الحواريِّين نقلًا صحيحًا، أو كان[3] أكثرُها، أو كثيرٌ منها مترجمةً من لغةٍ إلىٰ لغة؛ فمعلومٌ أنه بكلِّ لسانٍ عدَّةُ نسخ، ولو لم يكن بها إلا لسانٌ واحدٌ مع كثرة النُّسخ بها في مشارق الأرض ومغاربها لم يمكن أحدًا أن يقطع بأن جميع النُّسخ علىٰ لفظٍ واحدٍ ونصٍّ واحد، كما ادَّعاه هؤلاء في الاثنين وسبعين لسانًا، حيث قالوا: «ومثل هذا القول في كتب الله المنزَّلة علىٰ أفواه الأنبياء والرُّسل كثيرٌ[4] عند النصارىٰ جميعِهم، المختلفةِ ألسنتُهم، المتفرِّقين في سبعة أقاليم العالم، المتمسِّكين بدين النَّصْرانيَّة، قولٌ واحدٌ، ونصٌّ واحد، علىٰ ما تسلَّموه من الحواريين، وردوهم عن عبادة الأصنام فسلموها إليهم كل أمة بلسانها، وهي علىٰ هيئتها إلىٰ يومنا هذا».

---

(١) بعدها في (ي): «إن».

(٢) «كلها» ليست في (د، ع، ط.النيل).

(٣) بعدها في (المطبوعتين): «نقل».

(٤) «كثير» ساقطة من (و).

فإنّ هذا الكلام يتضمَّن عدَّة دعاوىٰ ليس فيها ما يمُكِّنُ قائِلَه أن يكون عالمًا به، فعُلم أن هؤلاء تكلَّموا بهذا الكلام بلا علم، بل بالجهل والضَّلال كما هو عادتهم.

فإنه يقال لهم: مَن الذي جمع كلَّ نسخةٍ في العالم بجميع[1] التَّوراة والإنجيل والزَّبور وسائر النُّبوات الأربعة والعشرين بلسانٍ واحدٍ كالعربيِّ مثلًا، وهل مَيَّز[2] جميعَ النسخ فلم يجد نسخةً تزيد علىٰ نسخة ولا تَنْقُصُ عنها؟

ومعلومٌ إن كان هذا ممكنًا أمْكَن أن يقال: جمعَها جامعٌ، وغيَّر بعض ألفاظها، فلا يمكنُهُم دعوىٰ بقائِها بلا تغيُّر، وإن لم يمكن ذلك لم يمكن أحدًا أن يقول: أنا أعلم موافقة كلِّ نسخةٍ من نسخ هذه الكتب لكل نسخةٍ توجد في سبعة أقاليم العالم بذلك اللسان، فضلًا عن اثنين وسبعين لسانًا، فضلًا عن أن يقال: أنا أعلم أن هذه الألسن كلَّها تكلمت بها الحواريُّون، وهي باقيةٌ علىٰ لفظهم إلىٰ اليوم.

ومعلومٌ أنّ الإنسان إذا أمكنه جمع نسخِ كتابٍ واحدٍ من جميع الفنون من[3] كتب الطبّ، والحساب، والهندسة، والنحو، والفقه، والحديث، كان إمكانُ تغيير بعضِ أَلفاظ النُّسخ أيسرَ عليهم من مقابلة ألفاظ كل نسخةٍ بألفاظِ تلك النسخ مثلَها.

فإنَّ هذا لا يُقْدَرُ عليه في العادة، بل هو متعذرٌ أو متعسِّر، لا سيَّما والمقابلةُ إن كانت بين اثنين، فكلٌّ منهما يَنْقُل للآخر لفظ نسخته، فيكون مدارُ المقابلة علىٰ

---

(١) (المطبوعتان): «من جميع».
(٢) (و): «وبين» بدل: «وهل ميّز».
(٣) (و): «مثل».

خبرٍ واحد، لم يقترن بخبره ما يُعْلَمُ به صدقُه، فقد يغلطان أو يكذبان جميعًا.

وإن كانت بين عددٍ يحصل بهم العلم احتاجت كلُّ نسخةٍ بكلِّ لسانٍ[١] أن يَشهد بلفظها جمْعٌ يحصُل بهم العلم، وأولئك بأعيانهم يشهدون بلفظ كلِّ نسخةٍ بكلِّ لسان، وشهدوا بلفظ كل نسخة، ويشهدون لهم من هو مثلُهم[٢] بلفظ النسخة الأخرىٰ وموافقتها لها، وهؤلاء، أو مثلهم بموافقة النُّسخة الثانية[٣].

ومعلومٌ أن هذا لم يفعله أحد، ولا يَقدر عليه أحد، بل لو اجتمع جميع ملوكِ النَّصارىٰ علىٰ ذلك وعلماءُ بلادهم علىٰ ذلك[٤] لم يقدروا عليه؛ فإنّه من النسخ ما هو عند المسلمين، ومنها ما هو في بلادٍ لا حُكْم لهم عليها، وأيضًا فقد يكون في بلادهم من النُّسخ ما لم يُظْهِرها أصحابُها.

فكلُّ مَنْ شهد من النصارىٰ وغيرِهم بأنّ كلَّ نسخةٍ في العالم بهذه الكتب توافق جميع النسخ فهو شاهدُ زورٍ شهد بما لا يعلم، بل شهد بما يعلم أنه كاذبٌ فيه.

وكذلك لو شهد بمثل هذا لِنُسَخ أيِّ كتابٍ كان، فإن العادة المعروفة أنَّ نسخ الكُتُب تختلف، ويزيد بعضُها وينقصُ بعضها. والقرآن المنقول بالتَّواتر لم يكن الاعتماد في نقله علىٰ نسخ المصاحف، بل الاعتماد علىٰ حفْظ أهل التَّواتر له في صدورهم؛ ولهذا إذا وُجد مصحفٌ يخالف حِفْظَ النَّاس أصلحوه، وقد يكون في بعض نسخ المصاحف غلطٌ فلا يلتفت إليه، مع أن المصاحف

---

(١) بعدها في (و): «إلىٰ».

(٢) (و) «ويشهدون هم أو مثلهم».

(٣) «وموافقتها لها، وهؤلاء أو مثلهم بموافقة النسخة الثانية» ليست في (د، ي، ع).

(٤) «وعلماء بلادهم علىٰ ذلك» ليست في (د، ي، ع).

التي كتبها الصَّحابة قد قيَّد الناس صورة الخطِّ ورسمَه، وصار ذلك أيضًا منقولًا بالتَّواتر، فنقلوا بالتَّواتر لفظ القرآن حفظًا، ونقلوا رسم المصاحف بالتَّواتر أيضًا.

ونحن لا ندَّعي اتفاق جميعِ نسخ المصاحف، كما لا نَدَّعي أنَّ كلَّ من يحفظ القرآن لا يغلط، بل ألفاظُه منقولةٌ بالتَّواتر حفظًا ورسمًا، فمن خرج عن ذلك علم الناس أنه غالطٌ؛ لمخالفته النقل المتواتر، بخلاف هذه الكتب، فإن النَّصارىٰ لم يحفظوها كلَّها في قلوبهم تلقِّيًا لها عن الحواريِّين حفظًا منقولًا بالتَّواتر، بل لم يكن أحد منهم يحفظها كلَّها، فضلًا عن أن يحفظها كلَّها أهلُ التَّواتر، فضلًا عن أن يحفظ كلَّ لسانٍ منها من تواتر بهم ذلك اللسان.

وهذا أمر معلومٌ لجميع النَّصارىٰ وغيرهم أنه لم يحفظها كلَّها بكل لسان من زمن الحواريِّين عددُ التَّواتر، بل ولا في زمنٍ من الأزمان، بل بعد انتشار النصارىٰ وكثرتهم وتفرُّقهم في الأقاليم السَّبعة لا يكاد يوجد فيهم من يحفظُها كلَّها عن قلبه، كما يحفظ صبيان المكاتب المسلمون القرآن، فكيف يحفظها في كلِّ زمانٍ أهلُ التَّواتُر؟ فكيف يحفظ كلَّ لسانٍ من الاثنين وسبعين أهلُ التواتر؟

وإذا كان اعتمادُهم إنّما هو علىٰ الكتب، وهم لا يمكنهم معرفةُ اتفاقِ جميع النسخ بلسانٍ واحد، فضلًا عن جميع الألسنة، عُلِمَ أن دعواهم أنها لم تزل متَّفِقةً علىٰ نصٍّ واحدٍ، ولفظٍ واحد، وأن جميع نسخها متفقةٌ في هذا الزمان، وفيما قبله= كلامُ مجازفٍ يتكلَّم بلا علم، بل يتكلَّم بما يَعْلَم أنه باطل.

الوجه الثامن: أن هذا لو قُدِّر إمكانُه، فإنما يكون منقولًا لو لم يُعْلَم أنه كذبٌ؛ فكيف مع العلم بأنه كذب؟ فإنه يوجد في هذا الزَّمان نسخُ التَّوراة

والإنجيل والزبور والنُّبوَّاتِ مختلفةً متناقضة، والنُّسخ التي عند النَّصارىٰ مختلفة، وهي أيضًا تخالف نسخ اليهود والسَّامرة في مواضع، وحينئذٍ فإذا قالت النَّصارىٰ: نُسَخنا هي الصحيحة. لم يكن هذا أولىٰ من قول اليهود: نُسَخنا هي الصحيحة، بل معلومٌ أنّ اعتناء اليهود بالتَّوراة أعظمُ من اعتناء النَّصارىٰ.

ثم بعد هذا ما ذكروه لا يكفي إن لم يُعلم أن نسخَهم توافقُ النُّسخَ التي عند اليهود حتىٰ السَّامرة، وهذا غيرُ معلوم.

وإن قالوا: إذا خالف نقل اليهود لنقل الحواريِّين لم يُلتفَت إليه لأنهم معصومون= كان هذا مبنيًّا علىٰ دعوىٰ عصمتهم، وقد عُرف فسادُه[1].

وإذا قالت النَّصارىٰ: نحن ننقلها عن الحواريِّين المعصومين. قالت اليهود: نحن ننقلها عن موسىٰ المعصوم باتفاق أهل الملل، أو عن[2] المعصوم باتفاق اليهود والنَّصارىٰ وكثيرٍ من المسلمين، فالتوراة باتِّفاق الخلق مأخوذةٌ عن موسىٰ بن عمران، وهو معصوم، وإنما يَطْعَنُ مَنْ يطعن في نقل بعضها لانقطاع التَّواتر في أثناء المدَّة لما خُرِّبَ بيتُ المقدس، ولم يبق فيه ساكنٌ أكثرَ من سبعين سنة، فيقول بعض الناس: إن بعض ألفاظها غُيِّر حينئذ، ويقول بعضهم: لم تُغَيَّر ألفاظُ جميع النُّسخ، وإنما غُيِّر ألفاظ بعض النُّسخ، وانتشرت النُّسخ المغيَّرةُ عند كثيرٍ من الناس حتىٰ لا يعرفوا غيرها.

ثم بنو إسرائيل لم يَزَلْ فيهم نبيٌّ بعد نبيٍّ حتَّىٰ جاء المسيح، وبعد المسيح فلم يزالوا خلقًا كثيرًا لا يمكن تواطؤهم في مشارق الأرض ومغاربها علىٰ تغيير نسخ التَّوراة، بخلاف الإنجيل؛ فإنه إنَّما نقله أربعة، ومن كَتَبَ التوراةَ والزبورَ والنُّبوَّاتِ من أتباع المسيح فإنما كتبوها من النُّسخ التي كانت بأيدي اليهود.

---

(١) «ثم بعد هذا ما ذكروه لا يكفي...وقد عرف فساده» ليست في (د، ي، ع).

(٢) بعدها في (المطبوع): «العارف» وليست في الأصول.

وإذا قالوا: كانوا معصومين. فهذا ممنوعٌ عند المسلمين واليهود، وعلىٰ تقدير تسليمه فاليهود ينقلونها أيضًا عن المعصوم قبل هؤلاء، فلا يمكن مع هذا أن يدَّعيَ مدَّعٍ أن النُّبوَّات التي عند النَّصارىٰ تواترت عن المعصوم أعظمَ من تواتر ما عند اليهود، بل لا يشكُّ العقلاء العادلون أن نَقْل حروف التَّوراة أصحُّ من نقل حروف الإنجيل.

وهذا أمرٌ يُعْرف من وجوهٍ متعددة؛ فإن التَّوراة أُخذت عن المعصوم باتفاق أهل الملل، وكانت منقولةً قبل المسيح بين الأنبياء وبين[1] بني إسرائيل أعظمَ من نقل الإنجيل، وبعد المسيح نقَلَها اليهود والنَّصارىٰ.

وإذا كان كذلك، فإذا وُجِد ما عند اليهود والسَّامرةِ من نُسَخِ النُّبوَّات يخُالف ما عند النَّصارىٰ في بعض الألفاظ كان هذا دليلًا علىٰ أن هذه الكتبَ ليست ألفاظُها منقولةً عن نصٍّ واحد، وأنه ليس كلُّ لفظٍ من ألفاظها متواترٌ، والله أعلم.

الوجه التاسع: أن جميع ما عندهم من النُّصوص الصَّحيحة لا يدلُّ علىٰ مذهبهم البتَّة نصًّا، بل غاية ما يدَّعون فيها الظهور، وهم منازَعون في ذلك حتىٰ يقال: بل الظَّاهر فيما يحتجُّون به خلافُ قولهم.

ومعلومٌ أن أصول الإيمان التي يؤمن أهل الإيمان بها ويُكَفِّرون من خالفها لا بدَّ أن تكون معلومةً عندهم عن الأنبياء، والعلم لا يحصل بلفظٍ محتمل، فعُلِم أنه لا عِلْم عندهم عن الأنبياء عليهم السلام، وهو مَحَلُّ النِّزاع.

(١) «وبين» ساقطة من (و).

الوجه العاشر: أن أصْرح ما عندهم في التَّثليث هو قوله: «عَمِّدُوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس» وعلىٰ هذا القولِ بنَوْا قولهم بالتَّثليث، وأثبتوا لله ثلاثةَ أقانيم.

ولفظ «الأقانيم» لم يَنْطق به أحدٌ من الأنبياء، ولا أحدٌ من الحواريِّين باتِّفاقهم، بل هو ممَّا ابتدعوه، قيل: إنه لفظٌ روميٌّ معناه: الأصل.

ثم أقنوم «الابن» تارةً يقولون: هو علمُ الله، وتارةً يقولون: هو حكمةُ[1] الله، وتارةً يقولون: هو كلمةُ[2] الله، وتارةً يقولون: هو نطق الله[3].

وروحُ القدس تارةً يقولون: هو حياة الله، وتارةً يقولون: هو قدرة الله.

والكتب المنقولةُ عن الأنبياء عندهم ليس فيها تسميةُ شيءٍ من صفات الله لا باسم «ابنٍ»، ولا باسم «روحِ القدس» فلا يوجد أن أحدًا من الأنبياء سمَّىٰ علمَ الله وحكمتَه وكلامه ابنًا، ولا سمَّىٰ حياة الله، أو قدرتَه «روحَ القدس»، بل «روحُ القدس» في كلام الأنبياء يرادُ بها معنًى ليس هو حياةَ الله، كما يراد بها مَلَكُ الله، أو ما يُنَزِّلُه في قلوب الأنبياء والصَّالحين من هُدَاهُ، ونورِه، وتأييدِه، ونحوِ ذلك.

وإذا كان كذلك عُلِمَ أن ما فسَّروا به قولَ المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ: «عَمِّدُوا الناسَ باسم الأب والابن وروح القدس» كذبٌ صريحٌ عليه، وكذلك ما فسَّروا به كلام الأنبياء من إثبات الأقانيم الثَّلاثة كذبٌ صريحٌ عليهم، كقولهم: «إله إبراهيم

---

(١) (و): «كلمة».

(٢) (و): «نطق».

(٣) «وتارة يقولون: «هو نطق الله» ليست في (و).

وإله إسحاق وإله يعقوب» أرادوا به إثباتَ ثلاثة آلهة، فإنَّ هذا مما يُعلم بالضَّرورة ضلالُهم فيه وافتراؤهم علىٰ الأنبياء، ويُعْلَم[1] أن إله الثلاثة هو إلهٌ واحد، ليس إلهُ إبراهيم إلهًا آخر غير إلهِ إسحاق، حتىٰ لو قيل بالأقانيم فلا يقول عاقل: إن أحد الأقانيم إلهُ هذا، والأقنومَ الآخرَ إلهُ الآخر، فإن هذا لم يَقُلْه أحدٌ من العقلاء، لا النَّصارىٰ ولا غيرهم، لا[2] يقولون: إن الأب إلهُ إبراهيم مثلًا، والابنَ إلهُ إسحاق، وروحَ القدس إلهُ يعقوب، بل هم متَّفقون مع قولهم بالتَّثليث أن الجميع إلهٌ واحدٌ لجميع المرسلين، ليس إلهُ هذا أقنوم، وإله الآخر أقنوم آخر، فعلم أن ما يفسِّرون به كلامَ الأنبياء كذب، لا يصحُّ لا علىٰ تثليثهم الذي ابتدعوه، ولا قولِ أهل التَّوحيد المتَّبعين[3] لرسل الله تعالىٰ.

---

(١) (و): «واعلم».
(٢) «لا» ليست في (ي، ع، ط.النيل).
(٣) «المتبعين» مثبتة من (و) وساقطة من سائر النسخ.

فصل

قال الحاكي عنهم: «فقلت لهم: إذا كانت هذه النُّبوَّات عند اليهود، وهم مُقِرُّون معترفون بها أنها حقّ، وأنها عَتِيدَةٌ[1] أن تَكْمُلَ عند مجيء المسيح؛ فأيُّ حُجَّةٍ لهم يحتجُّون بها عن الإيمان به؟

أجابوا قائلين: إن الله اختار بني إسرائيل واصطفاهم علىٰ الناس له شعبًا في ذلك الزمان، وحيث كانوا في أرض مصر في عبوديَّة فرعون، أرسل إليهم موسىٰ النبيَّ، دلَّهم علىٰ معرفة الله، ووعدهم أن الله يُخَلِّصهم من عبوديَّة فرعون، ويخرجهم من مصر، ويُرِيَهم أرضَ الميعاد التي هي أرض بيت المقدس، فطلب موسىٰ من الله، وعمل العَجائب قُدَّام عيونهم، وضرب أهل مصر العشْر ضرَبَات، وهم يرون ذلك جميعه، ويعلمون أن الله يصنعه لأجلهم، وأخرجهم من مصر بيدٍ قويَّة، وشقَّ لهم البحر، وأدخلهم فيه، وصار لهم الماء حائطًا عن يمينهم وحائطًا عن شمالهم، ودخل فرعون وجميعُ جنوده في البحر، وبنو إسرائيل ينظرون ذلك، فلما برز موسىٰ وبنو إسرائيل من البحر وخلَفهم فرعون بجنوده فيه، أمر الله لموسىٰ أن يردَّ عصاه إلىٰ[2] الماء، فعاد الماء كما كان، وغرق فرعون وجميعُ جنوده في البحر، وبنو إسرائيل يشهدون ذلك، فلما غاب عنهم موسىٰ إلىٰ[3] الجبل ليناجيَ ربه، وأخذ لهم التَّوراة من يد الله، تركوا عبادة الله، ونسوا جميع أفعاله، وكفروا به، وعبدوا رأس العجل من بعد ذلك، ثم عبدوا الأصنام مرارًا كثيرة ليس مرة واحدة، وذبحوا لها الذبائح، ليست

---

(١) (ي): «عقيدة».

(٢) (و): «علىٰ».

(٣) (د، ط.النيل): «أتىٰ».

حيوانات بل بَنِيْهم مع البنات حسبما ذُكر فيما قبل ذلك، وجميع أفعالهم مكتوبةٌ في أخبار بني إسرائيل.

فلما رأىٰ الله قساوة قلوبهم، وغِلَظَ رقابهم وكُفْرَهُم به، ورأىٰ أفعالهم النَّجسة الخبيثة، غضب عليهم وجعلهم مَرْذُولين، وطبع علىٰ قلوبهم فلا يؤمنون، وجعلهم مهانين في جميع الأمم، وليس لهم مُلْكٌ، ولا بلادٌ، ولا نبيٌّ، ولا كاهنٌ إلىٰ الأبد، حسْبَما تنبَّأَت عليهم الأنبياءُ علىٰ ما ذكرناه قبل[1]، وتشهد به كتُبُهُم التي في أيديهم[2] يومنا هذا.

وكذا قال الله لأشعيا: «اذهب إلىٰ هذا الشعب فقل لهم: تسمعون سماعًا ولا تفهمون، وتنظرون نظرًا ولا تبصرون؛ لأن قلب هذا الشعب قد غُلِّظَ، وقد سمعوا بأفهامهم سمعًا ثقيلًا، وقد غمَّضوا أعينهم لئلا يبصروا بها، وسمعوا بآذانهم ولا يفهمون بقلوبهم، ويرجعون إليَّ فأرحمهم»[3].

وقال أشعيا: «قال الله: هكذا مَقَتَتْ نفسي سُبُوْتَكُم، ورءوسُ شهُورِكُم صارت عندي مرذولة» وقال: «وفي ذلك اليوم يقول الله: سأبطل السُّبوتَ والأعيادَ كلَّها، وأعطيكُم سنَّةً جديدةً مختارةً لا كالسُّنَّة التي أعطيتُها لموسىٰ عبدي يوم حُوْرِيب، يوم الجمع الكثير، بل سُنَّةً جديدةً مختارةً أَمَرَ بها وأخرجَها

---

(١) «قبل» ليست في (و).

(٢) حوريب: اسم جبل في «سيناء». انظر: «موسوعة اليهود واليهودية» (٤/ ١١٤).

(٣) جاء في سفر أشعيا، الإصحاح (٦)، الفقرة (٩-١٠): «اذهب وقل لهذا الشعب: اسمعوا سماعًا ولا تفهموا، وانظروا نظرًا ولا تعرفوا، غَلِّظ قلب هذا الشعب، وثقِّل أذنيه وأغمض عينيه، لئلا يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه، ويفهم بقلبه ويرجع فيشفىٰ».

من صهيون»[1]. فصهيون هي أورشليم، والسنة الجديدة المختارة: هي السنة التي تسلَّمناها نحن معشر النصارىٰ من يدي الرسل الحواريِّين الأطهار، الذين خرجوا من أورشليم، وداروا في سبعة أقاليمِ العالم، وأنذروا بهذه السُّنَّةِ الجديدة؛ فأيُّ بيانٍ يكون أوضحَ وأصحَّ من هذا البيان؛ إذ قد أوردناه من قول الله، ولا سيَّما وأعداؤُنا اليهودُ المخالفون لديننا شهدوا لنا بصحَّة ذلك جميعه.

وأما حجَّةُ اليهود في هذه النُّبوَّات يقولون ويعتقدون أنها حقٌّ، وأنها قول الله، لكن يقولون: إنها «عتيدة» فهذه النُّبوَّات مثلما هي عند اليهود كذلك هي عندنا معشر النصارىٰ في اثنين وسبعين لسانًا، فيراها جميعُ الأمم قولًا واحدًا، وأنها قول الله.

وقالت اليهود: نحن مُصَدِّقون بها أن تَكْمُلَ وتَتِمَّ[2] عند مجيء المسيح، لكنَّ المسيح لم يجئ بعد، وأنّ الذي جاء[3] ليس هو المسيح.

هذا قولهم، وكفاهم أنهم يكفرون ويفجُرون[4] مع الكفر، ويقولون: إن المسيح كان ضالًّا مضلًّا، وأمَّا المسيح الحقُّ[5] فعتيدٌ أنه يأتي ويُكمِل نبوَّات الأنبياء إذا جاء، وإذا جاء اتَّبعناه وكنَّا أنصاره، وهذا رأيهم واعتقادهم في السَّيد المسيح؛ فماذا يكون أعظمَ من هذا الكفر الذي هم عليه؟

---

(١) جاء في سفر أشعيا، الإصحاح (١)، الفقرة (١٣-١٤): «رأس الشهر والسبت والدعوة إلىٰ الحفل لا أطيقها إنما هي إثم واحتفال، رؤوسُ شهوركم وأعيادكم كرهتها نفسي صارت عليَّ حملًا وقد سئمت احتمالها».

(٢) «وتتم» ليست في (و).

(٣) كذا العبارة في (د، ي، ع، ط.النيل): «لكن المسيح ينكرون مجيئه ويقولون: ما جاء، وأن الذي جاء...» بدل قوله: «لكن المسيح لم يجئ بعد، وأن الذي جاء».

(٤) (ي، ع، ط.النيل): «ويفتخرون».

(٥) «الحق» ليست في (و).

ولأجل ذلك في هذا الكتاب سمَّاهم: المغضوبَ عليهم لأجل خلافهم لقول الله الذي نطقه علىٰ أفواه الأنبياء، ولما كنا نحن النَّصارىٰ متمسِّكين بما أمرَتْنا به الرُّسل الأطْهار سمَّانا في هذا الكتاب المنعَم عليهم، وأما قولنا في الله: «ثلاثة أقانيم إله واحد» فهو أن الله نطق به وأوضحه في التّوراة وفي كتب الأنبياء، ومن ذلك ما جاء في السِّفر الأول من التَّوراة يقول: «حيث شاء الله أن يخلق آدم قال: لنخلقْ خلقًا علىٰ شبهنا ومثالنا»(١). فمن هو شبهُه ومثالُه سوىٰ كلمتِه وروحِ قدسه. وحين خالف آدمُ وعصىٰ ربه: «ها آدم قد صار كواحد منا»(٢).

وهذا واضحٌ أن الله قال هذا القول لابنه، أي كلمتِه وروحِ قدسه، وقال هذا القول يستهزئ بآدم، أي طلب أن يصير كواحدٍ منا صار عُريانًا مفتَضحًا.

وقال الله عندما أَخسف بسَدُومَ وعامورةَ، قال في التَّوراة: «وأَمْطَرَ(٣) الربُّ(٤) عند الربِّ من السماء علىٰ سَدُوم وعامورة(٥) نارًا وكبريتًا»(٦). أوضح بهذا ربوبيَّة الأب والابن بذكرٍ ثالث(٧).

---

(١) جاء في سفر التكوين، الإصحاح الأول، الفقرة (٢٦): «وقال الله: لنصنع الإنسان علىٰ صورتنا كمثالنا».

(٢) جاء في سفر التكوين، الإصحاح (٣)، الفقرة (٢٢): «وقال الرب الإله: هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا».

(٣) (ع): «وأمر».

(٤) بعدها في (ع): «من».

(٥) سدوم: مدينة من مدائن قوم لوط، كانت بين الحجاز والشام. «معجم البدان» (٣/ ٢٠٠). وعاموراء: بالعبرانية: قرية من قرىٰ قوم لوط. «معجم البدان» (٤/ ٧١).

(٦) جاء في سفر التكوين، الإصحاح (١٩)، الفقرة (٢٤): «وأمطر الرب علىٰ سدوم وعمورة كبريتًا ونارًا من السماوات».

(٧) «وحين خالف آدم وعصىٰ ربه... والابن بذكر ثالث» ساقطة من (و).

والجواب أن يقال: أما كفر اليهود كلِّهم لما أرسل المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ إليهم فلم يؤمنوا به وكفر من كفر منهم قبل ذلك، إما بقتل النبيِّين، وإما بتكذيبهم، إما بالشِّرك، وإما بغير ذلك ممَّا كفروا فيه بما أنزل الله، فهذا حقٌّ.

وهذا[1] هو نظير كفر النصارىٰ كلِّهم الذين بلغتهم دعوة محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأقام الله عليهم الحجَّة به فلم يؤمنوا به، وكفر من كفر منهم قبل ذلك بما أنزل الله، إما بتكذيب بعض ما أنزله، وإما بتبديله بغيره[2]، وإما بجعل ما لم يُنزله الله مُنزلًا منه، وإما بغير ذلك مما فيه كفرٌ بما أنزل الله عَزَّ وَجَلَّ.

وكذلك ما ذُكِر من أن الله أقام[3] سُنَّة جديدة، وعهدًا جديدًا، وهو ما بُعث به المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ من الشريعة التي بُعث بها، وفيها تحليلُ بعضِ ما حرَّمه الله في التَّوراة، كما قال في القرآن عن المسيح: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]. فهذا أيضًا حقٌّ.

---

(١) «وهذا» ساقطة من (و، ي).

(٢) «بغيره» ليست في (د، ع، ط.النيل).

(٣) (ي): «أنزل».

فصل

وأما قولكم: «السُّنَّة الجديدة المختارة هي السُّنَّة التي تسلَّمناها من يَدَيِ الرُّسل الأطهار، على ما تسلموها هم من المسيح عليه السلام».

فيقال: لو كنتم على تلك السنَّة لم تغيِّروها، لم ينفعكم المُقام عليها إذا كذبتم الرسول النبيَّ الأُمِّيَّ الذي بُعِثَ إليكم وإلى سائر الخلق بسُنَّةٍ أخرى أكملَ من السُّنن[1] التي كانت قبله، كما لم ينفع اليهودَ إذ تمسَّكوا بسنَّة التَّوراة، ولم يتَّبعوا سنَّة المسيح الذي أرسل إليهم، بل من كذَّب برسولٍ واحدٍ فهو كافر.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥٠].

فإنه وإن كانت السُّنَّةُ التي جاء بها المسيح عليه السلام حقًّا، وكلُّ من كان متِّبعًا له[2] فهو مؤمنٌ مسلمٌ من أولياء الله، من أهل الجنة الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3] [البقرة: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

---

(١) (و): «السنتين».

(٢) (و، ي): «لها».

(٣) لم ترد الآية في (ي).

فمن اتبع المسيح كان مؤمنًا، ومن كفر به كان كافرًا.

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٥-٥٧].

لكن غيَّرتموها وبدَّلتموها قبل مبعث محمدٍ ﷺ، فصرتم كفارًا بتبديل شريعة المسيح، وتكذيب شريعة محمَّدٍ ﷺ، كما كفرت اليهود بتبديل شريعة التَّوراة، وتكذيب شريعة الإنجيل، ثم كفروا بتكذيب شريعة محمَّدٍ ﷺ، وعلىٰ سائر رسل الله أجمعين.

فإن المسيح لم يَسُنَّ لكم التَّثليث والقولَ بالأقانيم، ولا القولَ بأنه ربُّ العالمين، ولا سنَّ لكم استحلال الخنزير، وغيرَه من المحرَّمات، ولا ترك الختان، ولا الصلاةَ إلىٰ المشرق، ولا اتخاذَ أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، ولا الشِّركَ واتخاذَ التَّماثيل والصَّليبِ ودعاء الموتىٰ والغائبين من الأنبياء[1] والصَّالحين وغيرهم، وسؤالَهم الحوائج، ولا الرَّهبانيَّة، وغيرَ ذلك من المنكرات التي أحدثتموها، ولم يسنَّها لكم المسيح، ولا ما أنتم عليه هي السُّنة التي تسلَّمتموها من رسل المسيح.

بل عامَّة ما أنتم عليه من السُّنن: أمورٌ محدثةٌ مبتدعةٌ بعد الحواريين: كصومكم خمسين يومًا زمن الربيع، واتخاذِكم عيدًا يوم الخميس والجمعة

---

(١) (ي): «والأنبياء» بدل: «من الأنبياء».

والسبت، فإن هذا لم يسُنَّه المسيح ولا أحدٌ من الحواريِّين، وكذلك عيد[1] الميلاد والغطاس، وغير ذلك من أعيادكم.

بل عيد الصَّليب إنما ابتدَعَتْه هيلانة الحرَّانية الفُنْدُقانية أمُّ قُسْطَنطين[2]، فأنتم تقولون[3]: إنها هي التي أظهرت الصَّليب، وصنعت لوقت ظهوره عيدًا، وذلك بعد المسيح والحواريِّين بمدَّةٍ طويلةٍ في زمن الملك قُسْطَنطين[4] بعد المسيح بأكثرَ من ثلاثمائةِ سنة.

وفي ذلك الزَّمان أحدثتم «الأمانة» المخالفة[5] لنصوص الأنبياء في غير موضع[6]، وأظهرتم استحلال الخنزير وعقوبةَ من لم[7] يأكلْه، وابتدعتم في ذلك الزَّمان تعظيم الصَّليب، وغير ذلك من بِدَعكم، وكذلك كتب القوانين التي عندكم التي جعلتموها سنَّةً وشريعة، فيها شيءٌ عن الأنبياء والحواريِّين، وكثيرٌ ممَّا فيها ابتدعه مَن بعدهم، لا ينقلونه لا عن المسيح ولا عن الحواريِّين، فكيف تدَّعون أنكم على السُّنة والشَّريعة التي كان عليها المسيح عليه السلام، وهذا ممَّا يُعْلَم بالاضطرار والتَّواتر أنه كذبٌ بيِّن.

---

(١) بعدها في (د، ع، ط.النيل): «الحواريين». وقد تقدّم التعريف بهذه الأعياد (١/ ١٨٧).

(٢) تقدّم ذكر هيلانة (١/ ١٨٨).

(٣) (و): «فإنهم يقولون».

(٤) أخّرت عبارة «زمن الملك قسطنطين» في (ي) بعد قوله: «ثلاثمائة سنة».

(٥) «المخالفة» ساقطة من (المطبوع).

(٦) «في غير موضع» ليست في (و).

(٧) «لم» ساقطة من (و، ط.النيل).

فصـل

قالوا: «وأما قولنا في الله: ثلاثة أقانيم، إلهٌ واحد، فهو أنَّ الله نطق به، وأوضحه في التّوراة، وفي كتب الأنبياء، ومن ذلك ما جاء في السِّفر الأول من التَّوراة يقول: حيث شاء الله أن يخلق آدم. قال الله: «لنخلق خلقًا[1] علىٰ شِبْهِنا ومثالِنا». فمن هو شبهه ومثاله سوىٰ كلمتِه وروحِه؟

وحين خالف[2] آدمُ وعصىٰ ربَّه قال الله تعالىٰ: «ها آدم قد صار كواحدٍ منا». وهو قولٌ واضحٌ أن الله قال هذا القول لابنه وروح قدسه».

والجواب: أن استدلالهم بهذا علىٰ قولهم في المسيح هو في غاية الفساد والضَّلال، فإن لفظ التَّوراة: «نصنع آدم كصورتنا[3] وشبهنا». وبعضهم يترجمه: «نخلق بشرًا علىٰ صورتنا يشبهنا»[4]. والمعنىٰ واحد، وهو كما قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ**»[5]، وفي رواية: «**علىٰ صُورَةِ الرَّحْمَنِ**»[6].

فقولهم: «من هو شبهه ومثاله[7] سوىٰ كلمته وروحه» **من أبطل الباطل من وجوه:**

---

(١) (و): «ليخلق خلقنا» بدل: «ليخلق خلقًا».

(٢) (ي): «خلق».

(٣) (ع): «علىٰ صورتنا».

(٤) (د، ع): «شبيهنا».

(٥) «صحيح مسلم» (٢٦١٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) «السنة» لعبد الله بن أحمد (٤٩٨). وذكر الدارقطني أن هذا الحديث يروىٰ مسندًا ومرسلًا، والمرسل أصح. انظر: «العلل» (١٣/ ١٨٨).

(٧) «ومثاله» ليست في (و).

أحدها: أن الله ليس كمثله شيء، وليس لفظ النصِّ: على مثالنا.

الثاني: أنه لا اختصاص للمسيح بما ذُكر على كلِّ تقدير، حق وباطل؛ فإنه[1] بأيِّ تفسيرٍ[2] فُسِّر قوله: «سنخلق بشرًا على صورتنا يشبهنا»= لم يخصَّ ذلك المسيح.

الثالث: أنهم إن أرادوا بالكلمة التي هي شبْهُه ومثالُه صفتَه التي هي العلم القائم به، والحياة القائمة به[3]؛ فالصِّفة لا تكون مثلًا للموصوف؛ إذ الموصوف هو الذَّات القائمة بنفسها، والصِّفة قائمةٌ بها، والقائم بغيره لا يكون مِثْل القائم بنفسه.

وإن أرادوا به شيئًا غيرَ صفاتِه، مثل بدن المسيح وروحه، فذلك مخلوقٌ له، والمخلوق لا يكون مثل الخالق، وكذلك روح القدس، سواء أُرِيد به مَلَكٌ، أو هدًى وتأييد، ليس مِثْلًا لله ﷻ.

الرابع: أنه قال: «لنخلق خلقًا» أو قال: «نخلق آدم» أو «نخلق بشرًا على صورتنا وشبهنا» وعلى ما قالوه: «نخلق خلقًا على شِبْهِنا ومثالنا»، وبكل حال، فهذا مخلوق[4]، وكلمة الله وروحُه عندهم[5] غير مخلوق، فامتنع أن يكون المراد بذلك كلمتَه وروحَه.

---

(١) «فإنه» ليست في (د، ع، ط.النيل).

(٢) (و): «شيء».

(٣) «به» ليست في (و). بعدها في (المطبوعتين): «مثلًا» خلافًا للأصول.

(٤) «مخلوق» ساقطة من (د، ع، المطبوع).

(٥) «عندهم» ليست في (ي).

وإن قالوا: أراد بذلك النَّاسوت المسيحيَّ[1]، فلا فرق بين ذلك النَّاسوت وسائر النَّواسيت، مع أن المراد بذلك النصِّ آدمُ أبو البشر باتِّفاق الأمم، والناسوتُ نفسُه ليس هو كلمةَ الله وروحَه.

الخامس: أنه لو قُدِّر أنه أُرِيد بذلك أن كلام الله يشبه ذاته من بعض الوجوه، مثل كونه قديمًا بقدمه، لم يكن في ذلك ما يدلُّ علىٰ الأقانيم الثلاثة.

وكذلك اللَّفظ المعروف وهو قوله: «سنخلق بشرًا علىٰ صورتنا يشبهنا» فهذا لا يدلُّ علىٰ التَّثليث بوجهٍ من الوجوه، وشِبْهُ الشَّيءِ بالشَّيء يكون لمشابهته له من بعض الوجوه، وذلك لا يقتضي التَّماثل الذي يوجب أن يشتركا فيما يجب، ويجوز، ويمتنع، وإذا قيل: هذا حيٌّ عليمٌ قدير، وهذا حيٌّ عليمٌ قدير، فتشابها في مسمَّىٰ الحيِّ والعليم والقدير لم يوجب ذلك أن يكون هذا المُسَمَّىٰ مماثلًا لهذا المُسَمَّىٰ فيما يجب، ويجوز، ويمتنع.

بل هنا ثلاثة أشياء:

أحدها: القدر المشترك الذي تشابها فيه، وهو معنىٰ كلِّيٌّ لا يختصُّ به أحدهما، ولا يوجد كليًّا عامًّا مشتركًا إلا في علم العالم.

والثاني: ما يختصُّ به هذا، كما يختصُّ الربُّ بما يقوم[2] به من الحياة والعلم والقدرة.

والثالث: ما يختصُّ به ذاك، كما يختصُّ به[3] العبد من الحياة والعلم

---

(١) «المسيحي» ليست في (ي).

(٢) «بما يقوم» ليست في (د، ع، ط.النيل).

(٣) «ذاك كما يختص به» ليست في (د، ي، ع، ط.النيل).

والقدرة، فما اختصَّ به الربُّ ﷻ لا يشْرَكُه فيه العبد، ولا يجوز عليه شيءٌ من النَّقائص التي تجوز علىٰ صفات العبد، وما يختصُّ به العبدُ لا يشْرَكُه فيه الربّ، ولا يستحقُّ شيئًا من صفات الكمال التي يختصُّ بها الربّ ﷻ.

وأما القدر المشترك كالمعنىٰ الكلِّيِّ الثَّابت في ذهن الإنسان، فهذا لا يستلزم خصائص الخالق ولا خصائص المخلوق، فالاشتراك فيه لا محذور فيه.

ولفظ التَّوراة فيه: «سنخلق بشرًا علىٰ صورتنا يشبهنا». لم يقل: علىٰ مثالنا، وهو كقول النَّبيِّ ﷺ في الحديث الصَّحيح: «**لا يَقُولَنَّ أحَدُكُم: قبَّحَ اللهُ وجْهَكَ ووجْهَ من أَشْبَهَ وجْهَك؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ خلَقَ آدمَ علىٰ صُورَتِهِ**»[1]. فلم تذكر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كموسىٰ، ومحمدٍ ﷺ إلا لفظةَ شِبْهٍ دون لفظِ مِثْل.

وقد تنازع النَّاس: هل لفظ «الشِّبْهِ» و«المِثْلِ» بمعنًى واحدٍ أو معنيين؟ **علىٰ قولين:**

أحدُهما: أنهما بمعنًى واحد، وأن ما دلَّ عليه لفظُ المِثْل مطلقًا ومقيَّدًا يدلُّ عليه لفظ الشِّبْه، وهذا قول طائفةٍ من النُّظَّار.

والثاني: أن معناها مختلفٌ عند الإطلاق لغةً وشرعًا وعقلًا، وإن كان مع التقْييد والقرينة يُراد بأحدهما ما يراد بالآخر، وهذا قول أكثرِ الناس.

وهذا الاختلاف مبنيٌّ علىٰ مسألة عقليَّة، وهو أنه هل يجوز أن يُشْبِهِ الشيءُ الشيءَ من وجهٍ دون وجه؟ **وللنَّاس في ذلك قولان:**

---

(١) تقدم قريبًا.

فمن منع أن يشبهه من وجهٍ دون وجهٍ قال: المثل والشبه واحد.

ومن قال: إنه قد يشبه الشيءُ الشيءَ من وجهٍ دون وجه فرَّق بينهما عند الإطلاق، وهذا قول جمهورِ الناس؛ فإن العقْلَ يعلم أن الأعراض مثلَ الألوان تشتبه في كونها ألوانًا، مع أن السَّواد ليس مثل البياض، وكذلك الأجسام والجواهر عند جمهور العقلاء تشتبه في مُسَمَّىٰ الجسم والجوهر، وإن كانت حقائقها ليست متماثلة، فليست حقيقةُ الماء مماثلةً لحقيقة التُّراب، ولا حقيقةُ النبات مماثلةً لحقيقة الحيوان، ولا حقيقةُ النَّار مماثلةً لحقيقة الماء، وإن اشتركا في أن كلًّا منهما جوهرٌ وجسمٌ وقائمٌ بنفسه.

وأيضًا فمَعْلومٌ في اللُّغة أنه يقال: هذا يُشْبِهُ هذا، وفيه شبهٌ من هذا، إذا أشبهه من بعض الوجوه، وإن كان مخالفًا له في الحقيقة.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥]، وقال: ﴿مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: ١١٨].

فوَصَف القولين بالتَّماثل، والقلوبَ بالتَّشابه لا بالتَّماثل؛ فإن القلوب وإن اشتركت في هذا القول فهي مختلفةٌ لا متماثلة، وقال النبي ﷺ: «**الحلالُ بيِّنٌ والحرامُ بيِّنٌ، وبينَ ذلك أمورٌ متشابِهاتٌ لا يعلمُهن كثيرٌ من النَّاس**»(١).

---

(١) البخاري (٥٢) مسلم (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

فدلَّ علىٰ أنه يعلمها بعضُ الناس، وهي في نفس الأمر ليست متماثلة، بل بعضها حرامٌ وبعضُها حلال.

الوجه السادس: أن قوله: «سنخلق خلقًا علىٰ شبهنا» لا يتناول صفته، مثل كلامه وحياته القائمة به، فإن ذلك ليس بمخلوق، وحينئذٍ فهذا لا يتناول اللَّاهوت الذي يزعمون أنه تدرَّع بالنَّاسوت، فإن اللَّاهوت ليس بمخلوق.

وأما النَّاسوت فهو كسائر نواسيت الناس، لا اختصاص له بأن يكون شبيهًا لله دون سائر النَّواسيت، فقوله: «فمن هو الشّبه المخلوق سوىٰ كلمته وروحه» باطلٌ علىٰ كلِّ تقدير.

وأما قوله: «ها آدم قد صار كواحدٍ منا»، وقولهم: «إن هذا قول واضحٌ[1] أن الله قال هذا القول لابنه وروح قدسه» فإن أرادوا أنه يجعل الذي صار كواحدٍ منا لابنه، كان هذا من أبطل الكلام؛ فإن هذا الابن إن كان المراد به الكلمةَ التي هي صفةٌ لله فتلك لم يُخلق[2] لها أمرٌ يصير كواحدٍ منهم، وتلك لا تُسمَّىٰ آدم، ولا سمَّاها الله ابنًا.

وإن أُريد به ناسوتُ المسيحِ فذاك مخلوقٌ مبتدعٌ يمتنع أن يكون كالقديم الأزَلِيِّ، وأيضًا فإن الله قال هذا عن آدم، وآدمُ ليس هو المسيح، ولا يجوز أن يقال: آدم، ويرادُ به المسيح، كما لا يجوز أن يقال: عصىٰ آدم، ويراد به المسيح، وأيضًا فإنه قال: «ها آدم قد صار كواحد منا» وهذا إشارةٌ إلىٰ أمرٍ قد كان في الزَّمن الماضي، ليس هو إشارةً إلىٰ ما سيكون بعد ذلك بألوفٍ من السِّنين.

---

(١) (و): «فاضح».
(٢) (و، ي): «يحدث».

وإن أرادوا أن الله قال لابنه الذي هو كلمته وروحه: «ها آدم قد صار كواحد منا» أي: أن الله خاطب ابنه وروحه[1] وهذا هو مرادهم، كقولهم: إنه قال هذا القول يستهزئ بآدم، أي إنه طلب أن يصير كواحدٍ منَّا، صار هكذا عريانًا مفتضحًا، ويكون شبهتهم قوله: «منَّا»؛ لأنه عبَّر بصيغة الجمع، وكذلك إن أرادوا هذا بقوله: «نخلق بشرًا علىٰ صورتنا وشبهنا». فاحتجُّوا علىٰ التَّثليث بصيغة الجمع.

وهذا مما احتجَّ به «نصارىٰ نجران» علىٰ النَّبيِّ ﷺ[2]، فاحتجُّوا بقوله تعالىٰ: «إنَّا»، و«نحن» قالوا: وهذا يدلُّ علىٰ أنهم ثلاثة، وكان هذا من المتشابه الذي اتَّبعوه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وتركوا المحكم المبيَّن الذي لا يحتمل إلا واحدًا، فإن الله في جميع كتبه الإلهيَّة قد بيّن أنه إلهٌ واحد، وأنه لا شريك له، ولا مِثْل له.

وقوله: «إنا»، و «نحن» لفظٌ يقع في جميع اللُّغات علىٰ من كان له شركاء وأمثال، وعلىٰ الواحد المطاع العظيم الذي له أعوانٌ يطيعونه، وإن لم يكونوا شركاء ولا نظراء، والله تعالىٰ خلق كلَّ ما سواه، فيمتنع أن يكون له شريكٌ أو مثل، والملائكة وسائر العالمين[3] جنودُه تعالىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٧].

---

(١) «ها آدم... ابنه وروحه» ساقطة من (ع، د) لانتقال النظر، وتبعتهما (المطبوعة).
(٢) تقدّم ذكر خبر «نصارىٰ نجران» (١/ ٨٥)، وانظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٥٧٣).
(٣) (ع): «الصالحين».

فإذا كان الواحد من الملوك يقول: «إنَّا» و«نحن»، ولا يريدون أنهم ثلاثة ملوك، فمالك الملك ربُّ العالمين، وربُّ كلِّ شيءٍ ومليكُه هو أحقُّ بأن يقول: «إنا» و«نحن» مع أنه ليس له شريكٌ ولا مِثْل، بل له جنود السماوات والأرض.

وأيضًا فمن المعلوم أن آدم لم يطلب أن يصير مثل الله، ولا مِثْلَ صفاتِه كعلمه وحياته، وأيضًا فليس في ظاهر اللَّفظ أن الله خاطب صفاتِه بذلك.

وأيضًا فالصِّفة القائمة بالموصوف لا تخاطِب ولا تخاطَب، وإنما يخاطَب[1] الموصوف[2]، ولم يكن قد خلق آدمَ ناسوتَ المسيح، ولا غيره من البشر حتىٰ يخاطب[3]، فعُلم أن دعواهم أن الله خاطَب صفته التي سمَّوْها هم ابنًا وروح قدس= كلام باطل، بل قد يخاطِب ملائكتَه.

وآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أراد ما أطمعه الشيطان من الخُلْد والمُلْك، كما قال تعالىٰ: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠].

---

(١) بعدها في (ي): «ويخاطَب».

(٢) (د): «المؤمنون». بعدها في (ي): «سواء كان خالقًا أو مخلوقًا».

(٣) (ي): «يخاطبه».

فصل

قالوا: «وقال الله عندما أخْسِفُ بِسَدُومَ وعامُورَةَ، قال في التَّوراة: «وأمطر الربُّ من عند الربِّ من السَّماء علىٰ سَدُومَ وعامورةَ نارًا وكِبْريتًا». أوضح بهذا ربوبيَّة الأب والابن».

والجواب: أن احتجاجهم بهذا من أبطل الباطل؛ لوجوه:

أحدها: أن تسمية الله علمَه وحياتَه ابنًا وربًّا تسميةٌ باطلة، لم يسمِّ موسىٰ في التَّوراة شيئًا من صفات الله باسم «الابن» ولا باسم «الأب»[1]، فدعوىٰ المدَّعي أن موسىٰ عليه السلام أراد بالربِّ شيئًا من صفات الله، أو أن له صفةً تُسَمَّىٰ ابنَه= كلامٌ باطل.

الثَّاني: أنه لو قُدِّرَ أن صفة الله تُسَمَّىٰ بذلك فمعلومٌ أن الذي أمطر كان هو الذي كان المطر عنده، لم يكن المطر عند أحدهما، والآخَر هو الممطِر، كما لا يجوز أن يقال: خُلِق أحدُهما من شيءٍ عند الآخر، ولا أَنْزَل أحدُهما المطر من سحاب الآخر.

الثَّالث: أن الصِّفة لا تفعل شيئًا، ولا عندها شيء، بل هي قائمةٌ بالموصوف، والذَّات المتَّصفة بالصِّفة هي التي تفعل، وعندها يكون ما يكون.

الرَّابع: أن هذا بمنزلة قوله: «أمطر الرب من عنده» لكن جَعَلَ الاسمَ الظَّاهر موضع المضمر إظهارًا[2]؛ لأن الأمر له وحده في هذا وهذا.

(١) (د، ي، ع، ط.النيل): «الربّ».

(٢) (و): «إضمارًا».

ومثل هذا في القرآن كقوله: ﴿ٱلْحَاقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١ - ٢]. ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢﴾ [القارعة: ١ - ٢]. وقال تعالىٰ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]. ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]. والله هو المُنْزِل، ولم يقل: «مِنّي».

فصـل

قـالوا: «نـذكر ثالـث[1]، وقـال داود في الزَّبـور في المزْمُـور المائـة والتِّسـعةِ قـائلًا: قـال الـربُّ لرَبِّـي: اجلـس عـن يمينـي حتـىٰ أضـع أعـداءك تحـت موْطـأ قدميك»[2].

والجواب من وجوه:

أحدها: أنه لا يجوز أن يراد بـــ «ربّي» شيئًا من صفات الله، فإنـه لـم يُسَـمِّ داودُ ولا أحدٌ من الأنبياء شيئًا من صفات الله ربًا ولا ابنًا[3]، ولا قال أحدٌ لشيءٍ من صفات الله: يا ربِّ ارحمني، ولا قال لعلـم الله أو كلامه أو قدرته: يا رب، وإذا لـم يكونوا يُسَمُّون صفات الله ربًّا، فلو كان المسيح صفةً من صفاته لـم يَجُزْ أن يكـون هو[4] المراد بلفظ الربّ، فكيف وناسوتُه أبعدُ عن اللَّاهوت أن يراد بذلك؟

فعُلِم أنهم لم يريدوا بذلك لا اللَّاهوتَ ولا النَّاسوت.

الثاني: أنه قال: «قال الـربُّ لربِّـي» فأضـاف إليـه الثَّـاني دون الأول، وأنّـه[5] هو ربُّه الذي خلقه، وعامَّةُ ما عند النَّصارىٰ من الغُلُوِّ أن يقولوا: «إلهٌ حقٌّ من إلهٍ حقّ»، ويجعلونه خالقًـا، أمّـا أن يجعلـوه أحقَّ مـن الأب بكونـه ربَّ داود، فهـذا لم يقولوه، وهو ظاهر البطلان.

---

(١) كذا نُقلت من مقول النصارىٰ بلا ألف النصب. وهي جارية علىٰ لغة ربيعة.

(٢) جاء في سفر المزامير، المزمور (١١٠)، الفقرة (١): «قال الرب لسيدي: اجلس عن يميني حتىٰ أجعل أعداءك موطئًا لقدميك».

(٣) بعدها في (ي): «ولا قال أحد لشيء من صفات الله ابن» وليست في سائر النسخ.

(٤) بعدها في (د، ع، ط.النيل): «الله».

(٥) (ي): «والله».

الثَّالث: أنه ليس في هذا ذكرُ الأقانيم الثلاثة، غايته -لو كان كما تأوَّلوه- أن يكون فيه ذكرُ الابن، وأما الأقانيم الثلاثة فلم يَنْطق بها شيءٌ من كتب الله التي بأيديهم فضلًا عن القرآن، لا بلفظها ولا معناها، بل ابتدعوا لفظ «الأقنوم»، وعبَّروا به عمَّا جعلوه مدلولَ كتب الله، وهي لا تدلُّ علىٰ ذلك، فكانوا في ذلك مترجِمين لكلام الله وهم لم يفهموا معناه، ولا عبَّروا عنه بعبارةٍ تدلُّ علىٰ المراد.

الرابع: أنه قال: «لربِّي» وهذا يراد به السيِّد، كما قال يوسف: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾ [يوسف: ٢٣]، وقال لغلام الملك: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]، وقال تعالىٰ: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٤٢].

ولهذا ذكر الأوَّل مطلقًا والثاني مقيَّدًا، فيكون المعنىٰ: وقال الله لسيِّدي: قال ربُّ العالمين لسيِّدي، وسماه: «سيِّدًا» تواضعًا من داود وتعظيمًا له؛ لاعتقاده أنه أفضل منه.

فصل

قالوا: «نذكر رابع، وقال في المزمور[1] الثاني: الذي[2] قال لي: أنت ابني وأنا اليوم ولدتك»[3].

والجواب من وجوه:

أحدها: أن هذا ليس فيه تسميةُ صفات الله «علمه وحياته» ابنًا، ولا فيه ذِكْرُ الأقانيم الثلاثة، فليس فيه حجَّةٌ لشيءٍ ممَّا تدَّعونه.

والثاني: أن هذا حجَّةٌ عليهم؛ فإنه هو[4] سمَّىٰ داود ابنه، فعُلِم أن اسم «الابن» ليس مختصًّا بالمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل سمَّىٰ غيره من عباده ابنًا، فعُلِم أن اسم[5] «الابن» ليس اسمًا لصفاته، بل هو اسمٌ لمن ربَّاه من عبيده.

وحينئذٍ فلا تكون تسميةُ المسيح ابنًا لكون الربِّ أو صفتِه اتَّحدت به، بل كما سمَّىٰ داود ابنًا، وكما سمَّىٰ إسرائيل[6] ابنًا فقال: «أنت ابني بِكْري»[7].

وهذا في كتبهم، كما ذُكر[8]، فإن كان ما في كتبهم قولَ الله فلا حجَّة فيه؛ لأنه أراد المربَّىٰ، وإن لم يكن قولَ الله ورسله فلا حُجَّة فيه[9]؛ لأن قول

---

(١) (و، د، ع): «الزبور».

(٢) (ي): «الرب».

(٣) جاء في سفر المزامير، الإصحاح (٢) الفقرة (٧): «أُعْلِنُ حُكْمَ الرب: قال لي: أنت ابني، وأنا اليوم ولدتك».

(٤) «هو» مثبتة من (و) وليست في سائر النسخ.

(٥) «اسم» ليست في (ي).

(٦) (ي): «يعقوب».

(٧) سبق هذا النص مرارًا.

(٨) (و): «كما ذاك في كتبهم» بدل: «كما ذكر».

(٩) (د، ع، ط.النيل): «كما ذاك في كتبهم فلا حجة فيه» بدل: «كما ذكر، فإن كان ما في كتبهم قول الله فلا حجة فيه، لأنه أراد المربىٰ، وإن لم يكن قول الله ورسله فلا حجة فيه».

غير المعصوم ليس بحجة.

الثَّالث: أن قوله: «وأنا اليوم ولدتك» يدلُّ علىٰ حدوث هذا الفعل، وعندهم تولُّد الكلمة التي سمَّوها الابن من الأب قديمٌ أزليّ، كما قالوا في أمانتهم: «وبربٍ واحدٍ يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الأب قبل كلِّ الدُّهور، نورٍ من نور، إلهٍ حقٍّ من إلهٍ حقٍّ من جوهر أبيه، مولودٍ غيرِ مخلوق، مساوٍ الأبَ في الجوهر، الذي به كان كلُّ شيء».

فهذا الابن عندهم مولودٌ من الأب قبل كلِّ الدُّهور، وذاك وُلِدَ[1] في يوم خاطَبَه بعد خلق داود، فلم يكن في هذا المحدَث دليلٌ علىٰ وجود ذلك القديم.

الوجه الرَّابع: أنه إذا كان «الأب» في لغتهم هو الرَّبُّ الذي يُرَبِّي عبدَه أعظمَ مما يربِّي الأب ابنه= كان معنىٰ لفظِ الولادة ممَّا يناسب معنىٰ هذه الأبُوَّة، فيكون المعنىٰ: اليوم جعلتك مرحومًا مصطفًى مختارًا.

والنَّصارىٰ قد يجعلون الخطاب الذي هو ضميرٌ لغير المسيح يراد به المسيح، فقد يقولون: المراد بهذا المسيح، وهذا باطلٌ لا يدلُّ اللَّفظ عليه، وبتقدير صحَّته فهو يدلُّ علىٰ أن المسيح هو النَّاسوت المخلوق، وهو المسَمَّىٰ بالابن، كقوله: «وأنا اليوم ولدتك».

واللَّاهوت عندهم مولودٌ من قبل الدُّهور، وحينئذٍ فإن كان المراد به يومَ ولادته، فالمعنىٰ خلقْتُك، وإن كان يوم اصطفاه فالمراد: اليوم اصطفيْتُك وأحببْتُك[2]، كأنه قال: اليوم جعلتك ولدًا[3] وابنًا علىٰ لغتهم.

---

(١) المثبت من (ي) وفي سائر النسخ: «ولده».

(٢) (و، ي): «واجتبيتك».

(٣) (د، ع، ط.النيل): «والدًا».

فصـل

قالوا: «نذكر خامس. وفي السِّفر الثَّاني من التَّوراة: «وكلَّم الله موسىٰ من العُلَيْقَةِ قائلًا: أنا إله إبراهيم، وإله إسحاق، وإله يعقوب»[1]. ولم يقل: أنا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب[2]، بل كرَّر اسم «الإله» ثلاثَ دفوعٍ قائلًا: «أنا إله وإله وإله»؛ لتحقُّق مسألة الثلاث أقانيم في لاهوتيه».

والجواب: أن الاحتجاج بهذا علىٰ الأقانيم الثَّلاثة من أفسد الأشياء، **وذلك يظهر من وجوه:**

أحدها: أنه لو أُريد بلفظ الإله أقنومُ الوجود، وبلفظ «الإله» مرةً ثانيةً أقنومُ الكلمة، وبالثَّالث أقنومُ الحياة= لكان الأقنوم الواحد إلهَ إبراهيم، والأقنوم الثاني إلهَ إسحاق، والأقنوم الثالث إلهَ يعقوب، فيكون كلٌّ من الأقانيم الثلاثة[3] إلهَ أحدِ الأنبياء الثَّلاثة، والأقنومين ليسا بإلهين له.

وهذا كفرٌ عندهم، وعند جميع أهل الملل، وأيضًا فيلزم من ذلك أن يكون الآلهة ثلاثة، وهم يقولون: إلهٌ واحد، ثم هم إذا قالوا: كلٌّ من الأقانيم إلهٌ[4] واحد، فيجعلون الجميع إله كلِّ نبيّ، فإذا احتجُّوا بهذا النصِّ علىٰ قولهم لزم أن يكون إلهُ كلِّ نبيٍّ ليس هو إلهَ النَّبيِّ الآخر، مع كون الآلهة ثلاثة.

---

(١) جاء في سفر الخروج، الإصحاح (٣)، الفقرة (١٥): «وقال الله لموسىٰ ثانية: كذا تقول لبني إسرائيل: الربُّ إله آبائكم، إله إبراهيم، وإله إسحاق، وإله يعقوب، أرسلني إليكم».

(٢) «إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب، ولم يقل أنا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب» ليست في (و). وفي: (د، ع، ط.النيل): «ولم يقل أنا إله إسحاق» بدل: « ولم يقل أنا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب».

(٣) «الثلاثة» ليست في (د، ع).

(٤) بعدها في (و): «وهم إله».

الوجه الثاني: أنه يقال: إن الله رب العالمين، ورب السماوات، ورب الأرض، ورب العرش، ورب كل شيء، فيلزم[1] أن يكون رب السماوات ليس هو رب الأرض[2].

وكذلك[3] يقال: إله موسىٰ، وإله محمد، مع قولنا: إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أفتكون الآلهة خمسة، وقد قال يعقوب لبنيه: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾[4].

أفتراه أثبت إلهين: أحدهما إلهه، والآخر إله الثلاثة؟!

الوجه الثالث: أن العطف يكون تارة لتغاير الذوات، وتارة لتغاير الصفات كقوله تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣ وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١-٥].

والذي خلق هو الذي قدَّر وأخرج، وكذلك قوله: ﴿إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وهو هو سبحانه.

وقال إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه لقومه: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾

---

(١) في الأصول: «أفيلزم» والمثبت من (المطبوعتين) والسياق يقتضيه.

(٢) (د، ع، ط.النيل): «أفيلزم أن يكون رب كل شيء» بدل: «فيلزم أن يكون رب السماوات ليس هو رب الأرض».

(٣) «وكذلك» ليست في (د، ع، ط.النيل).

(٤) «ويعقوب أفتكون...وإسماعيل وإسحاق» ساقطة من (د، ع، ط.النيل).

﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾[١] [الشعراء: ٧٥-٨٢] والذي خلقه هو الذي يطعمه ويسقيه، وهو الذي يميته ثم يحييه.

فقوله في التَّوراة: «إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب» هو من هذا الباب، ولا يختصُّ هذا بثلاثة، بل يقال هذا في الاثنين والأربعة والخمسة، بحسب ما يقصد المتكلم ذكرَه من الصِّفات، وفي هذا من الفائدة ما ليس في قوله: إله إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب؛ فإنه لو قيل ذلك لم يُفِدْ إلا أنه معبودُ الثَّلاثة، لا يدلُّ علىٰ أنهم عبدوه مستقِلِّين، كلٌّ منهم عبده عبادةً اختصَّ بها[٢] لم تكن هي نفس عبادة الأول.

وأيضًا فإنه إذا قيل: «إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب» دل علىٰ عبادة كلٍّ منهم باللزوم[٣]، وإذا قال: «وإله» دلَّ علىٰ أنه[٤] معبودُ كلٍّ من الثلاثة، فأعاده باسم الإله الذي يدلُّ علىٰ العبادة دلالةً باللَّفظ المتضمِّن لها، وفي ذلك من ظهور المعنىٰ للسَّامع وتنوعه[٥] بصورةٍ له من غير ذكرٍ[٦] ما ليس في دلالة الملزوم[٧].

---

(١) ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ ليست في (ي).

(٢) بعدها في (و): «فإذا قيل: إله وإله دلّ علىٰ أنه معبود لكل منهم، وكلٌّ منهم عبده عبادة اختص بها» زيادة ليست في سائر النسخ.

(٣) (و، ي): «بالملزوم».

(٤) «أنه» ليست في (و، ط.النيل).

(٥) المثبت من (و) ولم تحرر في باقي النسخ، ولم يظهر لي سياق الكلام بعده.

(٦) (د، ي، ع، المطبوعتان): «فكر».

(٧) (ي): «اللزوم».

فصل

قالوا: «وكذلك شهد أشْعِيا بتحقُّق الثَّالوث بوحدانيَّةِ جوهره، وذلك بقوله: «ربُّ القُوَّات، وبقوله: ربُّ السَّماوات والأرض»[1].

ومثل هذا القول في التَّوراة والمزامير شيءٌ كثير، حتىٰ إنَّ اليهود إلىٰ هذا الوقت[2] يقرأون[3] هذه النُّبوَّات ولا يعرفون لها تأويلًا، وهم معترفون بذلك ولا ينكرون منه كلمةً واحدة، وإنما قلوبهم مغلوقةٌ[4] عن فهمه؛ لقساوتها علىٰ ما ذكرنا قبل ذلك، وأنهم إذا اجتمعوا في كنيستهم كلَّ سبتٍ يقف «الحَزَّان»[5] أمامهم ويقول كلامًا عبرانيًّا هذا تفسيره، ولا يجحدونه: نُقَدِّسُك، ونُعَظِّمُك، ونُثَلِّث لك تقديسًا مثلثًا كالمكتوب علىٰ لسان نبيِّك[6].

فيَصْرخ الجميع مجاوبين: قدُّوسٌ قدُّوسٌ قدُّوس، رب القُوَّات، وربُّ السَّماوات والأرض[7].

---

(١) جاء في سفر أشعيا، الإصحاح (٥١)، الفقرة (١٣): «وقد نسيت صانعك الذي بسط السماوات وأسس الأرض».

(٢) «إلىٰ هذا الوقت» ليست في (د، ع، ط.النيل).

(٣) (و، ي): «يقرّون».

(٤) (ع): «مقلوبة».

(٥) «الحزّان» كلمة كانت تشير إلىٰ أي موظفٍ يقوم بوظيفة معيّنة عند اليهود، من بينها بعض الوظائف الدينية، مثل تلاوة التوراة في المعبد، وإنشاد القصائد. وهي تشير كذلك إلىٰ «المرتّل» وهو قائد الإنشاد في الصلوات اليهودية. انظر: «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية» (٥/ ٢٢٤).

(٦) بعدها في (و، ي): «أشعيا».

(٧) جاء في سفر أشعيا، الإصحاح (٦)، الفقرة (٧-٨): «وكان هذا ينادي ذاك ويقول: قدوس قدوس قدوس رب القوات، الأرض مملوءة من مجده».

فما أوضح إقرارَهم بالثَّالوث، وأشدَّ كفرهم بمعناه، فنحن لأجل هذا البيان الواضح الذي قاله الله في التَّوراة، وفي كتب الأنبياء، فجعلوه[1] ثلاثة أقانيمَ، جوهرًا واحدًا، طبيعةً واحدة، إلهًا واحدًا، أبًا[2] واحدًا، خالقًا واحدًا، وهو الذي نقوله: أبٌ وابنٌ وروحُ قدس».

والجواب: أما ما في كتب الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من تثنية اسم «الربِّ» عند إضافته إلىٰ مخلوقٍ آخر فهو من نَمَطِ تثنية اسم الإله، وهذا لا يقتضي تعدُّد الأرباب والآلهة، ولهذا لا يقتضي جعلُهم اثنينِ وأربعةً إذا ذكر اللَّفظ مرتين وأربعة.

فكذلك إذا ذكر[3] ثلاث مراتٍ لا يقتضي أن الأرباب ثلاثة، وهم أيضًا لا يقولون بثلاثة أربابٍ وثلاثةِ آلهة، فلو كان هذا يدلُّ علىٰ ثلاثةِ أربابٍ، وثلاثة آلهة، لدلَّ علىٰ نقيض قولهم، بل هم يزعمون أنهم إنما يثبتون إلهًا واحدًا، ولكنهم يتناقضون فيصرِّحون بثلاثة آلهة، ويقولون: هم إلهٌ واحد.

والكتب لا تدلُّ علىٰ قولهم المتناقضِ بوجهٍ من الوجوه.

وأما ما ذكره من اعتراف اليهود بألفاظ هذه النُّبوَّات، ودعواه أنهم لا يعرفون لها تأويلًا، فإن أرادوا بالتَّأويل تفسيرَها وما يدلُّ عليه لفظُها، فهذا ظاهرٌ لا يخفىٰ علىٰ الصِّبيان من اليهود وغيرهم، ولكنَّ النَّصارىٰ ادَّعوا ما لا[4] يدلُّ عليه اللَّفظ.

---

(١) (و، ي): «تجعله».

(٢) (ي): «ربًا».

(٣) المثبت من (و)، وفي باقي النسخ: «كان».

(٤) «لا» ساقطة من (د، ع، ط.النيل).

وإن أرادوا بالتَّأويل معنًى يخالف ظاهر اللَّفظ، فهذا إنما يُحتاج إليه -إن كان يحتاج إليه- إذا كان ظاهره معنًى باطلًا لا يجوز إرادته.

وليس ما ذكروا[1] هنا من هذا الباب، بل الكتب الإلهيَّةُ يكثر فيها مثلُ هذا الكلام عند أهل الكتاب وعند المسلمين، ولا يَفهم منها ثلاثةَ أربابٍ، أو ثلاثةَ آلهةٍ، إلا من اتَّبع هواه بغير هدًى من الله، وقال قولًا مختلفًا، يؤفك عنه من أُفِك، ومثل هذا موجودٌ في سائر الكلام، يقال: هذا أميرُ البلد الفلانيّ، وأمير البلدِ الفلانيّ، وأمير البلد الفلاني، وهو أميرٌ واحد.

ويقال: هذا رسولٌ إلىٰ الأميِّين، ورسولٌ إلىٰ أهل الكتاب، ورسولٌ إلىٰ الجنِّ والإنس، وهو رسولٌ واحد.

---

(١) (و، د، ع): «ذكر».

فصل

وأما قولهم: «نُقدِّسك، ونُعظِّمك، ونُثلِّث لك تقديسًا مثلثًا، كالمكتوب علىٰ لسان نبيك أشعيا». وقولُهم: «قدُّوس، قدُّوس، قدُّوس، ربُّ القُوَّات، وربُّ السماوات والأرض».

فيقال: هذا الكلام صريحٌ في أن المثَلَّث هو نفس التَّقديس، لا نفسُ الإله المقدَّس.

وكذلك قولهم: «قدُّوسٌ، قدُّوسٌ، قدُّوسٌ». قدَّسوه ثلاثَ مرات، فإنه قال: «نُقدِّسك، ونُثلِّث لك تقديسًا مثلثًا» فنَصَب التَّقديس علىٰ المصدر الذي يُنصَب بفعلِ التَّقديس، فقال: نُقدِّسك تقديسًا مثلثًا.

فنصَب التَّقديس علىٰ المصدر[1]، كما تقول: سبَّحتُك تسبيحًا مثلثًا، أي سبحتك ثلاث مرات، وقال: نثلِّث لك، أي نثلِّث تقديسًا[2] لك، لم يقل: أنت ثلاثة، بل جعلوا أنفسهم هم الذين يقدِّسون التَّقديس المثلث، وهم يُثلِّثون له، وهذا صريحٌ في أنهم يُسبِّحونه ثلاثَ مرَّات، لا يُسبِّحون ثلاثة آلهة، ولا ثلاثة أقانيم.

وهذا كما في السُّنن[3] عن ابن مسعود، عن النَّبي ﷺ أنه قال: «**إذا قَالَ العَبْدُ في ركُوعِه: سبْحَان رَبِّيَ العَظِيم، ثلاثًا، فقَد تمَّ رُكُوعُه، وذلِكَ أدْنَاه،**

---

(١) «فنصب التقديس علىٰ المصدر» ساقطة من (و، ي).

(٢) (و): «تقديسنا».

(٣) «سنن أبي داود» (٨٨٦) «الجامع» للترمذي (٢٦١) «سنن ابن ماجه» (٨٩٠) قال أبو داود: هذا مرسل، عون لم يدرك عبد الله. وقال الترمذي: حديث ابن مسعود ليس إسناده بمتصل، عون بن عبد الله بن عتبة لم يلق ابن مسعود.

وإذا قَالَ في سُجُودِهِ: سبْحَان رَبِّيَ الأعْلَىٰ، ثَلاثًا، فَقَد تمَّ سُجُودُه، وذَلِك أدْنَاه».

والتَّسبيح هو: تقديس الربّ، وأدناه أن يقدِّسه ثلاثَ مرات، فمعناه[1]: قدِّسوه ثلاث مرات، لا تقتصروا علىٰ مرةٍ واحدة.

ولهذا يقولون مجاوبين: قدُّوسٌ، قدُّوسٌ، قدُّوسٌ، فيُقَدِّسونه ثلاث مرات، فعُلِم أن المراد بتثليث التَّقديس[2] ما دلَّ علىٰ[3] لفظه، وما يفعلونه ممتثلين لهذا[4] الأمر، وما يُفعل في نظير ذلك من تثليث تقديسه، وأن يقَدَّس ثلاث مرات، لا أن يكون المقَدَّس ثلاثَ أقانيم، فإن هذا أمرٌ لم ينطق نبيٌّ من الأنبياء به، لا لفظًا ولا معنًى، بل جميعُ الأنبياء عليهم السلام أثبتوا إلهًا واحدًا له الأسماء الحسنىٰ.

وأسماؤه متعدِّدةٌ تدلُّ علىٰ صفاته المتعدِّدة، ولا يخْتصَّ ذلك بثلاثة أسماء، ولا ثلاث صفات، وليست الصِّفاتُ أقنومًا هو ذاتٌ وصفة، بل ليس إلا ذاتٌ واحدةٌ لها صفاتٌ متعدِّدة، فالتَّعدُّد في الصِّفات لا في الذَّات التي يُسَمُّونها «الجوهر»، ولا في الذَّات والصِّفة التي يُسَمُّونها «الأقنوم».

---

(١) (د، ع): «فمعلوم».
(٢) «التقديس» من (و). وليست في باقي النسخ.
(٣) (و، ي): «عليه».
(٤) (ع): «متمسكين بهذا».

فصل

قالوا: «فما أعظم[1] إقرارهم في الثَّالوث، وأشدَّ كفرهم بمعناه».

فيقال: هذا من الافتراء الظَّاهر علىٰ اليهود، وإن كان اليهود[2] كفارًا، فلم يكن كفرهم لأجل إنكار الثَّالوث، بل لو أقرُّوا به لكان زيادةً في كفرهم يزيد به عذابهم.

كما أن النَّصارىٰ لما كفروا لم يكن كفرهم بإقرارهم بأن المسيح المبشَّرَ به قد ظهر ليس هو المسيح الدَّجالُ الذي تنتظره اليهود، وإذا خرج كانوا شيعته، ويقتلهم المسلمون معه شرَّ قِتْلة، حتىٰ إن الشَّجر والحجر يقول: يا مسلم[3] هذا يهوديٌّ ورائي تعال فاقتله[4].

بل لو كفروا بالمسيح كما كفرت اليهود لكان ذلك زيادةً في كفرهم.

وعند اليهود وعندكم في التَّوراة من التَّوحيد المحض الذي[5] يُبْطل تثليثكم ما لا يخفىٰ إلا عمَّن أعرض عن ذكر الله الذي أنزله، وهُداه الذي هَدىٰ به عبادَه[6].

---

(١) (و، ي): «أوضح».

(٢) «وإن كان اليهود» ساقطة من (د، ع). (ط. النيل): «وجعلهم» بدل: «وإن كان اليهود».

(٣) «يا مسلم» ليست في (د، ع).

(٤) طرف من «حديث»، تقدّم تخريجه (١/ ٢٦٤).

(٥) «الذي» ساقطة من (د، ع). (ط.النيل): «مما».

(٦) (و، ي): «وهدىٰ به عباده» بدل: «وهُداه الذي هدىٰ به عباده».

فصـل

قالوا: «فنحن لأجل هذا البيان الواضح الذي قاله الله في التَّوراة، وفي كتب الأنبياء نجعل ثلاثة أقانيم: جوهرًا واحدًا، إلهًا واحدًا، ربًّا واحدًا، خالقًا واحدًا. وهو الذي نقوله: أبٌ، وابنٌ، وروحُ قدس».

والجواب من وجوه:

أحدها: أن في التَّوراة والكتب الإلهيَّةِ من إثبات وحدانيَّة الله، ونفي تعدُّد الآلهة، ونفي إلهيَّة ما سواه، ما هو صريحٌ في إبطال قول النَّصارىٰ ونحوهم، وليس فيها ذكرُ الأقانيم لا لفظًا ولا معنًى، حيث يجعلون الأقنوم اسمًا[1] للذَّات مع الصفة، والذَّاتُ واحدة، والتعدُّد في الصِّفات لا في الذَّات.

ولا يمكن أن تتَّحد صفةٌ دون الأخرىٰ، ولا دون الذَّات، فيمتنع اتحاد أقنومٍ أو حلُولُه بشيءٍ من المخلوقات دون الأقنومِ الآخَر، ولا إثباتُ ثلاثة أقانيمَ، ولا إثباتُ ثلاث صفاتٍ دون ما سواها في شيءٍ من الكتب الإلهيَّة، ولا كلامِ الحواريِّين، ولا إثباتُ إلهٍ حقٍّ من إلهٍ حق، ولا تسمية صفات الله مثلَ كلامه وحياته، لا ابنًا، ولا إلهًا، ولا ربًّا، ولا إثباتُ اتِّحاد[2] الربِّ خالق السَّماوات والأرض بشيءٍ من الآدميِّين، ولا حلولُ ذاتٍ وصفةٍ دون ذاتٍ مع الصِّفات الأخرىٰ، بل[3] ولا حلول نفس الصِّفة القائمة به[4] في غيره، لا علمِه ولا كلامه ولا حياته، ولا غير ذلك.

---

(١) (و): «قسيمًا».

(٢) (ي): «حلول».

(٣) «بل» ليست في (د، ع، ط.النيل).

(٤) (د، ع، ط.النيل): «ببدنه» بدل: «القائمة به».

بل جميعُ ما أثبتوه[(١)] من التَّثليث، والحلول، والاتِّحاد، ليس في كتب الأنبياء التي بأيديهم ما يدلُّ عليه، بل فيها أقوالٌ كثيرةٌ صريحةٌ بنقيض ذلك، مع القرآن والعقل، فهم مخالفون للمعقول، وكتبِ الله المنزَّلة[(٢)].

الثاني: أنهم يقولون: إنما نثبت إلهًا واحدًا. ثم يقولون في أمانتهم وأدلَّتهم وغيرِ ذلك من كلامهم ما هو صريحٌ بإثبات ثلاثة آلهة، فينقضون كلامهم بعضُهم ببعض، ويقولون من الأقوال المتناقضة ما يَعلَم بطلانَه كلُّ عاقلٍ تصوَّره.

ولهذا لا يَنْضَبط لهم قولٌ مطَّرد، كما يقول من يقول من عقلاء الناس : إن النَّصارىٰ ليس لهم قولٌ يعقله عاقل، وليست أقوالهم منصوصةً عن الأنبياء، فليس معهم لا سمعٌ ولا عقل، كما قال الله تعالىٰ عن أصحاب النار: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

وهم أيضًا يُبطنون خلافَ ما يظهرون، ويَفهم جمهورُ الناس من[(٣)] مقالاتهم خلافَ ما يزعم بعضهم أنه مرادهم، فإنه قد تقدَّم آنفًا من استدلالهم بالتَّوراة، وقوله: «وكلم الله موسىٰ من العليقة قائلًا: أنا إلهُ إبراهيم، وإله إسحاق، وإله يعقوب» قالوا: «ولم يقل: أنا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، بل كرَّر اسم (إله) ثلاث دفوعٍ قائلًا: أنا إله، وإله، وإله؛ لتحقق[(٤)] مسألة الثلاث أقانيم في لاهوته»[(٥)].

(١) (و، ي): «ابتدعوه».
(٢) بعدها في (د، ع): «واحدًا».
(٣) مثبتة من (ي) وليست في سائر النسخ.
(٤) (د، ع): «ليتحقق».
(٥) (و): «لاهوتِيَّته».

فيقال لهم: إن كان هذا التَّكرير لا يقتضي إلا إثبات إلهٍ واحد، فلا حُجَّة لكم فيه، كما لو قال: أنا[1] إله إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وإن كان يقتضي إثبات ثلاثةِ آلهة: فقد أثبتم ثلاثة آلهة، وأنتم تقولون: لا نُثبت إلا إلهًا واحدًا، وإن كان المعنىٰ: أنه إلهٌ واحدٌ موصوفٌ بأنه معبودُ إبراهيم، ومعبودُ إسحاق، ومعبودُ يعقوب، فلا حُجَّة لكم فيه علىٰ التَّثليث والأقانيم، بحيث تجعلون «الأقنوم» اسمًا للذَّات مع صفة، والذَّاتُ واحدة، فالتعدُّد في الصِّفات لا في الذَّات، ولا يمكن أن تتَّحد صفةٌ دون أخرىٰ، ولا دون الذَّات، فيمتنع اتِّحادُ أقنومٍ وحلولُه بشيءٍ من المخلوقات دون الأقنوم الآخر[2].

الوجه الثَّالث: قولهم: «وهو الذي نقوله: أبٌ، وابنٌ، وروح القدس».

قد تقدَّم أن هذا القول هم معترفون بأنهم لم يقولوه ابتداءً، ولا علموا بالعقل التَّثليث الذي قالوه في أمانتهم، ثم عبَّروا عنه بهذه العبارة، بل هذه العبارةُ منقولةٌ عندهم في بعض الأناجيل: أن المسيح ﷺ أمر أن يُعَمِّدوا الناس بها، وحينئذٍ فالواجب إذا كان المسيح قالها أن يُنْظَر ما أراد بها، ويُنْظَر سائرُ ألفاظه[3] ومعانيها، فيفسَّر كلامُه بلغته التي تكلَّم بها تفسيرًا يناسب سائر كلامه.

وهؤلاء حملوا كلام المسيح والأنبياء عَلَيْهِمْ السَّلَامْ علىٰ شيءٍ لا يدلُّ عليه كلامُهم بل يدلُّ علىٰ نقيضه، فسمَّوا كلامَ الله أو علمه أو حكمته أو نطقه ابنًا،

---

(١) (د، ي، ع): «يا» بدل: «أنا».

(٢) (و): «بحيث تجعلون الأقنوم اسمًا...دون الأقنوم الآخر» ساقطة من (ي) وقد كانت سقطت من (د) ثم ألحقت في الهامش بخط صغير وفي بعضه طمس.

(٣) (و): «ألفاظها».

وهذه تسميةٌ ابتدعوها، لم يسمِّ أحدٌ من الأنبياء شيئًا من صفات الله باسم الابن، ولا باسم الربِّ، ولا إله، ثم لما أحدثوا هذه التَّسمية قالوا: مراد المسيح بالابن هو الكلمة، وهذا افتراءٌ علىٰ المسيح عليه السلام، وحملٌ لكلامه علىٰ معنًى لا يدلُّ عليه لفظُه.

ولفظ «الابن» عندهم في كتبهم يرادُ به من ربَّاه الله تبارك وتعالى، فلا يطلق عندهم في كلام الأنبياء لفظُ «الابن» قطُّ إلا علىٰ مخلوقٍ محدث، ولا يطلق إلا علىٰ النَّاسوت دون اللَّاهوت، فيُسَمَّىٰ عندهم «إسرائيلُ» ابنًا، و«داود» ابنًا لله، والحواريُّون كذلك، بل عندهم في إنجيل «يوحنَّا» في ذكر المسيح إلىٰ خاصَّته: «أتىٰ[1] وخاصَّتُه لم يقبلوه، والذين قبلوه أعطاهم ليكونوا أبناء الله الذي ليس من دم، ولا من[2] مشبَّه لحم، ولا من مشبَّه رجل، بل[3] من الله وُلِدَ»[4].

فهذا إخبارٌ بأنهم يكونون جميعًا أبناء الله، وهم معترفون بأنه[5] ليس فيهم لاهوتٌ يتَّحد بناسوت، بل كلٌّ منهم ناسوتٌ محض، فعُلِم أن الكتب ناطقةٌ بأن لفظ «ابنِ الله» يتناول النَّاسوت فقط، وليس معهم لفظُ ابنِ الله والمراد به صفةٌ من صفات الله، فقولهم: إن المسيح أراد بلفظ «الابن» اللَّاهوت= كذب بيِّنٌ عليه، والمسيح يُسَمَّىٰ «ابنًا» بهذا الاعتبار.

---

(١) المثبت من (و)، وفي باقي النسخ الأظهر أنها: «أبي».

(٢) «من» ليست في (د، ع، ط.النيل).

(٣) «بل» ساقطة من (ي).

(٤) جاء في إنجيل «يوحنّا» الإصحاح (١)، الفقرة (١١-١٤): «جاء إلىٰ بيته فما قبله أهل بيته، أما الذين قبلوه وهم الذين يؤمنون باسمه فقد مكّنهم أن يصيروا أبناء الله، فهم الذين لا من دمٍ ولا من رغبةِ رجلٍ، بل من الله ولدوا» .

(٥) (ي): «بأنهم».

و«روح القدس» لم يعبِّر بها أحدٌ من الأنبياء عن حياة الله التي هي صفته، بل «روح القدس» في كتب الله يراد بها الملَك، ويراد بها الهدىٰ والوحي والتأييد، فيقال: روح الله، كما يقال: نور الله، وهدىٰ الله، ووحي الله، وملك الله، ورسول الله، لم يرد به أحدٌ من الأنبياء بقوله: «روح الله»، و(١)«روح القدس» ما يريده الإنسان بقوله: «روحي» فإن الإنسان مركَّبٌ من روحٍ وبدن، وفي بدنه بخارٌ يخرج من القلب ويسْرِي في بدنه، وله جوفٌ يخرج منه هواءٌ ويدخل فيه، فإذا قيل: «روح الإنسان» فقد يراد بها الرُّوح التي مع البدن، وقد يراد(٢) بها البخار اللَّطيف الذي في البدن، وقد يراد بها الرِّيح الذي يخرج من جوف البدن ويدخل فيه.

والله ﷻ بإجماع المسلمين، واليهود، والنصارىٰ، ليس هو روحًا وبدنًا كالإنسان، وهو سبحانه «أحدٌ صمد»، لا جوفَ له، ولا يدخل فيه شيء، ولا يخرج منه شيء، لا بخارٌ ولا هواءٌ متردِّد.

وقد يعبِّر بعضُ الناس بلفظ «الروح» عن الحياة، والله تعالىٰ حيٌّ له حياة، لكن لم تُرد الأنبياء عليهم السلام بقولهم: روح القدس حياة الله، بل أرادوا به ما يجعله الله في قلوب الأنبياء ويؤيِّدُهم به، كما يراد بنور الله ذلك، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ (٣) يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

---

(١) (و، ي): «أو».
(٢) «مع البدن وقد يراد» ساقطة من (المطبوع).
(٣) بعدها في (و): «كذلك يضرب الله الأمثال، فضرب الله مثلًا...».

فضرب الله مثلًا للمؤمن الذي جعل صدره كالمشكاة، وقلبُه كالزُّجاجة في المشكاة، ونورُ الإيمان الذي في قلبه -وهو نور الله- كالمصباح الذي في الزُّجاجة، وذلك النُّورُ الذي في قلبه ليس هو نفسَ صفةِ الله القائمة به.

فتبيَّن أن العارف كلَّما تدبَّر ما قالته الأنبياء وما قاله أهل البدع من النَّصارىٰ وغيرهم لم يجد لهم في كلام الأنبياء إلا ما يدلُّ علىٰ نقيض ضلالهم، لا ما يدلُّ علىٰ ضلالهم.

فصل

قالوا: «وقد علمنا أنه لا يلزمُنا[1] -إذا قلنا هذا- عبادةُ ثلاثةِ آلهة، بل إلهٍ واحد، كما لا يلزمُنا إذا قلنا: الإنسان ونطقُه وروحُه ثلاثةُ أَنَاسِيٍّ، بل إنسانٌ واحد، ولا إذا قلنا[2]: لهيبُ النار، وضوء النار، وحرارة النار، ثلاثة نيران، ولا إذا قلنا: قرصُ الشَّمس، وضوءُ الشَّمس، وشعاع الشمس ثلاثةُ شموس، وإذا كان هذا رأيُنا في الله تقدَّست أسماؤه وجلَّت آلاؤه، فلا لوم علينا ولا ذنب لنا؛ إذ لم نُهْمِل ما تسلَّمناه، ولا نرفضُ ما تقلَّدناه، ونتَّبع ما سواه، ولا سيِّما أنَّ لنا هذه الشَّهادات البيِّنات، والدَّلائل الواضحات من الكتاب الذي أتىٰ به هذا الرَّجل»[3].

والجوابُ من وجوه:

أحدها: أنكم صرَّحتم بتعدُّد الآلهة والأرباب في عقيدة إيمانكم، وفي استدلالكم وغير ذلك من كلامكم، فليس ذلك شيئًا ألزَمَكُم الناسُ به، بل أنتم تُصَرِّحون بذلك، كما تقدَّم من قولكم: «نؤمن بإلهٍ واحد، أبٍ ضابط الكل، خالقِ ما يُرىٰ وما لا يُرىٰ، وبربٍّ واحدٍ إيسوع المسيح، ابنِ الله الوحيد، المولود من الأب قبل كلِّ الدُّهور، نورٍ من نور، إلهٍ حقٍّ من إلهٍ حقٍّ، من جوهر أبيه، مولودٍ غيرِ مخلوق، مساوٍ الأبَ في الجوهر، وبروح القدس الربِّ المحيي المنبثق من الأب، الذي مع الأب، مسجودٍ له وممجَّد».

---

(١) (و): «يلزم».

(٢) بعدها في (و): «النار و» فتكون العبارة: «ولا إذا قلنا النار ولهيب النار».

(٣) «ولا سيما أن لنا هذه الشهادات... هذا الرجل» أثبتها من (ي) وليست في سائر النسخ. وهي مثبتة في «رسالة بولس» (ص٤٢٠-٤٢١) وسيشير المصنف إليها لاحقًا ويجيب عنها.

فهذا تصريحٌ بالثلاثة أرباب، وأن الابن إلهٌ حقٌّ من إلهٍ حقّ، ومع تصريحكم بثلاثة أرباب، وتصريحكم بأن هذا إلهٌ حقٌّ من إلهٍ حقٍّ، تقولون: إن ذلك إلهٌ واحد، وهذا تصريحٌ بتعدُّدِ الآلهة مع القول بإلهٍ واحد.

ولو لم تذكروا ما يقتضي أنه جوهرٌ آخر لأمكن أن يُحمل كلامُكُم على عطف الصِّفة[1]، لكن كان يكون كلامكُم أعظمَ كفرًا، فتكونون قد جعلتم المسيح هو نفسَ الإله الواحد الأب، خالقِ ما يُرى وما لا يرى، وهذا من أعظم[2] كفركم، مع أن هذا حقيقةُ قولكم؛ فإنكم تقولون: المسيح هو الله، وتقولون: هو ابن الله، كما ذكر الله القوْلَين عنكم في كلامه، وكفَّركم بذلك، وليس هذا قولَ طائفةٍ، وهذا قول طائفة[3]، كما يقوله بعض الناس، بل القولان جميعًا يقولهما فِرَقُ النَّصارى كالنُّسْطُوريَّة، واليعْقوبيَّة، والملكيَّة، ونحوهم.

وهذا أيضًا من تناقضكم؛ فإنه إن كان هو الله لم يكن هو ابن الله، سواءً عُبِّر بالابن عن الصِّفة أو غيرها؛ فإن الأب هو الذَّات، والذَّاتُ ليست هي الصِّفة، وإن عنى بالابن الذَّاتَ مع صفة الكلام كما تفسِّرون الأقنوم بذلك، فهذه الذَّات متصفةٌ مع ذلك بالحياة والكلام، سواءً عَنَوْا به العلم، أو البيان مع العلم، هو مع الحياة قائمٌ بالأب، والصِّفة ليست عينَ[4] الموصوف، بل ولا يعبَّر عنها بأنها ابنُ الموصوف، ولا عَبَّر بذلك أحدٌ من الأنبياء عليهم السلام.

والمقصود أنهم لم يريدوا بقولهم: «وبربٍ واحدٍ إيسوع المسيح» عطف

---

(١) بعدها في (ي): «على الصفة».

(٢) (و، ي): «أعظم من» تقديم وتأخير.

(٣) «وهذا قول طائفة» من (و) وليست في باقي النسخ.

(٤) (د، ع، ط.النيل): «غير».

الصِّفة، وأن هذا هو الأب، كما قال: إله إبراهيم، وإله إسحاق، وإله يعقوب فهذا إلهٌ واحد، والعطف لتغاير الصِّفة، فلو كان المراد بالابن نفسَ الأب لكان هذا خلافَ مذهبهم، ويكونون قد جعلوه إلهًا من نفسه فقالوا: إلهان، بل ثلاثة، وهو واحد.

فهذا لو أرادوه لكان أعظمَ في الكفر، بل قالوا: «وبربٍ واحدٍ، إيسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الأب قبل كل الدُّهور، نورٍ من نور، إلهٍ حقٍّ من إلهٍ حق، من جوهر أبيه، مولودٍ غيرِ مخلوق» فصرَّحوا بأنه ربّ، وأنه إلهٌ حقٌّ من إلهٍ حقّ، وصرَّحوا بإلهٍ[1] ثانٍ مع الإله الأوَّل.

وقالوا مع ذلك: إنه مولودٌ من الأب قبل كلِّ الدُّهور، وإنه مولودٌ غيرُ مخلوق، فامتنع أن يريدوا بذلك النَّاسوت، فإن النَّاسوت مخلوق.

وهم يقولون: إنَّ الكلمة هي المتولِّدة من الأب، والكلمة صفةُ المتكلّم وقائمةٌ به، والكلام ليس بربٍّ ولا إله، بل هو كلامُ الربِّ الإله، كما أن سائر كلام الله كالتَّوراة، والإنجيل، والقرآن، ليس هو الربَّ والإله.

ثم قلتم: «مساوٍ الأبَ في الجوهر» فاقتضىٰ هذا أن يكون المولود الذي هو الكلمة جوهرًا، وأنه مساوٍ الأب في الجوهر، والمساوِي ليس هو المساوَىٰ.

وهذا يقتضي إثباتَ جوهرٍ ثانٍ مساوٍ الجوهرَ الأول، وهو صريحٌ بإثبات إلهين، ويقولون مع ذلك: «إنه إلهٌ واحدٌ جوهرٌ واحد»، ولا يقال: الجوهر مع العلم الذي يعبِّرون عنه بالأقنوم مساوٍ الجوهر الذي هو الذَّات؛ فإن الجوهر هو الذَّات، وليس هنا جوهران، أحدهما مجرَّدٌ عن العلم، والآخر متَّصفٌ به

---

(١) (و، ي): «بأنه».

حتىٰ يقال: إن أحدَهما مساوٍ للآخر، بل الرَّبُّ تعالىٰ هو الذَّات المتَّصفة بالعلم، فإن كان الأب هو الذَّات المجرَّدة، فالابن أكمل من الأب، وهو الذَّات مع العلم، والأب بعضُ الابن.

وكذلك يلزمهم أن يكون «الابنُ» هو بعضَ روح القدس؛ فإنهم في أمانتهم جعلوا روح القدس هو الربُّ المحْيي، والربُّ المحيي هو الذَّاتُ المتَّصفة بالحياة، والذَّات المجرَّدة بعضُ ذلك، فإن كان الأبُ هو الذَّات المجرَّدة فالابن[1] بعضُ روحِ القدس.

ثم قلتم في أقنوم روح القدس الذي جعلتموه الرَّبَّ المحيي: «إنه منبثقٌ من الأب مسجودٌ له ممَّجد، ناطقٌ في الأنبياء»

فإن كان المنبثق ربًّا حيًّا، فهذا إثباتُ إلهٍ ثالث، وقد جعلتم الذَّات الحيَّةَ منبثقةً من الذَّات المجرَّدة، وفي كلٍّ منهما من الكفر والتَّناقض ما لا يخفىٰ.

ثم جعلتم هذا الثَّالث مسجودًا له، والمسجودُ له هو الإله المعبود، وهذا تصريحٌ بالسُّجود لإلهٍ ثالثٍ، مع ما فيه من التَّناقض، ثم جعلتمُوه ناطقًا في الأنبياء[2]، وهذا تصريحٌ[3] بحلول هذا الأقنوم الثّالث[4] بجميع الأنبياء، فيلزمُكُم أن تجعلوا كلَّ نبيٍّ[5] مركّبًا من لاهوتٍ وناسوت، وأنه إلهٌ تامٌّ، وإنسانٌ تام، كما قلتم في المسيح؛ إذ لا فرق بين حلول الكلمة وحلول روح القدس، كلاهما أقنوم.

---

(١) (د، ع، ط.النيل): «فالأب».

(٢) (ي): «الأشياء» ومحتملة في (و).

(٣) بعدها في (ي): «ثالث».

(٤) «الثالث» ليست في (ي).

(٥) (و، ي): «شيء».

وأيضًا فيمتنع حُلولُ إحدىٰ الصِّفتين دون الأخرىٰ، وحلول الصِّفة دون الذَّات، فيلزم أن يكون الإله الحيُّ النَّاطق بأقانيمه الثَّلاثة حالًّا في كل نبيٍّ، ويكونَ كلُّ نبيٍّ هو ربَّ العالمين، ويقال مع ذلك: هو ابنُه، وفي هذا من الكفر الكثير[1] والتَّناقض العظيم ما لا يخفىٰ، وهذا لازمٌ للنَّصارىٰ لزومًا لا مَحِيد عنه؛ فإن ما ثبت للشيء ثبت لنظيره، ولا يجوز التَّفريق بين المتماثلين.

وليس لهم أن يقولوا: الحلولَ أو الاتّحادَ في المسيح ثبت بالنصِّ، ولا نصَّ في غيره؛ لوجوه:

أحدها: أن النَّصوص لم تدلَّ علىٰ شيءٍ من ذلك، كما قد بُيِّن.

الثاني: أن في غير المسيح من النُّصوص ما شابه النُّصوص الواردةَ فيه، كلفظ الابن، ولفظ حلولِ روحِ القدس فيه، ونحوِ ذلك.

الثَّالث: أن الدَّليل لا ينعكس، فلا يلزم من عدم الدَّليل المعيَّن عدمُ المدلول، وليس كلُّ ما علمَه الله وأكرم به أنبياءه أعْلَمَ به الخلق بنصٍّ صريح، بل من جملة الدَّلالات دلالةُ الالتزام.

وإذا ثبت الحلول والاتِّحاد في أحد الشَّيْئينِ[2] لمعنًى مشتركٍ بينه وبين الشَّيء[3] الآخر وجب التَّسوية بين المتماثلين، كما إذا ثبت أن النَّبيَّ يجب تصديقُه لأنه نبيّ، ويُكَفَّرُ من كذَّبه لأنه نبيّ، فيلزم من ذلك أنه يجب تصديق كلِّ نبيٍّ، وتكفيرُ من كذَّبه.

---

(١) وفي (المطبوعتين): «الكبير».
(٢) (د، ع، ط.النيل): «النَّبيِّين».
(٣) (د، ع، ط.النيل): «النَّبيّ».

الرَّابع: هَبْ أنه لا دليل علىٰ ثبوت ذلك في الغير، فيلزم تجويزُ ذلك في الغير؛ إذ لا دليل علىٰ انتفائه، كما يقولون[1]: إن ذلك كان ثابتًا في المسيح قبل إظهاره الآيات علىٰ قولهم[2]، وحينئذٍ فيلزمهم أن يُجَوِّزُوا في كلِّ نبيٍّ أن يكون الله قد جعله إلهًا تامًّا وإنسانًا تامًّا، كالمسيح، وإن لم يُعلم ذلك.

الخامس: أنه لو لم يقع ذلك، لكنَّه جائزٌ عندهم؛ إذ لا فرق في قدرة الله بين اتِّحاده بالمسيح واتحاده بسائر الآدميِّين، فيلزمُهم تجويزُ أن يجعل الله كلَّ إنسانٍ إلهًا تامًّا وإنسانًا تامًّا، ويكون كلُّ إنسانٍ مركَّبًا من لاهوتٍ وناسوت.

وقد تقرَّب إلىٰ هذا اللَّازم الباطل من قال بأن أرواح بني آدم من ذات الله، وأنها لاهوتٌ قديمٌ أزليٌّ، فيجعلون نصفَ كلِّ آدميٍّ لاهوتًا، ونصفَه ناسوتًا، وهؤلاء يلزمُهم من المُحالات أكثرُ ممَّا يلزم النصارىٰ من بعض الوجوه، والمُحالات التي تلزم النَّصارىٰ أكثرُ من بعض الوجوه.

الوجه الثاني: قولهم: «ولا يلزمنا إذا قلنا هذا عبادةُ ثلاثةِ آلهة، بل إلهٌ واحد، كما لا يلزمنا إذا قلنا: الإنسان وروحُه ونطقُه ثلاثُ أناسيٍّ، ولا إذا قلنا: النارُ وحرُّها وضوءها ثلاثُ نيران، ولا إذا قلنا: الشَّمس وضوءها وشعاعها ثلاثُ شموس».

فيقال: هذا تمثيلٌ باطلٌ لوجوه:

أحدها: أن حرَّ النار وضوءَها القائمَ بها ليس نارًا من نار، ولا جوهرًا من جوهر، ولا هو مساوي النار والشَّمس في الجوهر، وكذلك نُطْقُ الإنسان ليس

---

(١) «يقولون» ليست في (و، ي).

(٢) «علىٰ قولهم» ليست في (د، ع).

هو إنسانًا من إنسان، ولا هو مساوِ الإنسانَ في الجوهر، وكذلك الشمس وضوءها القائمُ بها وشعاعها القائمُ بها ليس شمسًا ولا جوهرًا قائمًا بنفسه، وأنتم قلتم: «إلهٌ حقٌّ من إلهٍ حقٍّ» فقلتم في «الأمانة»: «نؤمن بإلهٍ واحدٍ، أبٍ ضابطِ الكل، وبربٍّ واحدٍ إيسوع المسيح ابنِ الله الوحيد، المولود من الأب قبل كلِّ الدُّهور، نورٍ من نور، إلهٍ حقٍّ من إلهٍ حقٍّ، من جوهر أبيه، مساوي الأب في الجوهر» وقلتم في «روح القدس»: «إنه ربٌّ ممجَّدٌ مسجودٌ له» فأثبتم ثلاثة أرباب.

والثاني: أن الضَّوءَ في الشمس والنار يرادُ به نفسُ الضَّوءِ القائم بها، ويرادُ به الشُّعاعُ القائِمُ بالأرض والجُدران، وهذا مباينٌ لها ليس قائمًا بها، ولفظ النُّور يعبَّر به عن هذا وهذا، وكلاهما صفة قائمة بغيرها وعَرَض، وقد يراد بلفظ النُّور نفسُ النّار ونفس الشَّمس والقمر، فيكون النُّور جوهرًا قائمًا بنفسه، وإذا كان كذلك فهم جعلوا «الأبَ» ربًّا جوهرًا قائمًا بنفسه، و«الابنَ» أيضًا ربًّا جوهرًا قائمًا بنفسه، و«روحَ القدس» ربًّا جوهرًا قائمًا بنفسه.

ومعلومٌ أن ضوء النار والشمس وحرارتَها ليس كلٌّ منهما شمسًا ونارًا قائمةً بنفسها، ولا جوهرًا قائمًا بنفسه، فلو أثبتوا حياة الله وعلمَه أو[1] كلامَه صفتين قائمتين به، ولم يجعلوا هذا ربًّا جوهرًا قائمًا بنفسه، وهذا ربًّا جوهرًا قائمًا بنفسه= لكان قولهم حقًّا وتمثيلُهم مطابقًا، ولكنهم لم يقتصروا علىٰ مجرَّد جعلهما صفتينِ لله حتىٰ جعلوا كلًّا منهما ربًّا وجوهرًا وخالقًا، بل صرَّحوا بأن المسيح الذي يزعمون اتِّحادَ[2] أحدِهما به إلهًا[3] وخالقًا، فلو كان

---

(١) (و، ي): «و».

(٢) (ي): «اتخاذ».

(٣) بعدها في (المطبوعتين): «واحدًا».

نفسَ كلمة الله وعلمَه لم تكن إلهًا خالقًا، فإن كلام الله وعلمَه ليس إلهًا خالقًا، فكيف والمسيح مخلوقٌ بكلمة الله، ليس هو نفسَ كلمة الله؟

الوجه الثالث: أن قولَهم: «الشمس وشعاعها وضوءُها» إن أرادوا بالضَّوء ما يقوم بها، وبالشُّعاع ما ينفصل عنها= فليس هذا مثالَ النار وحرِّها ولهبها؛ إذ كلاهما يقوم بها، وعلىٰ هذا فالشَّمس لم تقم بها إلا صفةٌ واحدةٌ لا صفتين، فلا يكون التَّمثيل بها مطابقًا.

وإن أرادوا بالضَّوء والشُّعاع كلاهما ما يقوم بها، أو كلاهما ما ينفصل عنها، فكلاهما صفةٌ واحدةٌ ليس هما صفتان كالحياة والعلم، فعُلِم أن تمثيلهم بالشَّمس خطأ.

وبعضهم يقول: الشَّمس وحرُّها وضوءها، كما يقولون مثل ذلك في النار، وهذا التَّمثيل أصحُّ لو ثبت أن في جِرْم الشَّمس حرارةً تقوم بها، فإن هذا لم يقم عليه دليل، وكثيرٌ من العقلاء ينكرُه، ويزعم أن جِرم الشَّمس والقمر والكواكب لا توصف بحرارةٍ ولا ببرودة، وهو قول أرِسْطُو وأتباعه.

وأما تمثيلهم بروح الإنسان ونطقه، فإن أرادوا بالرُّوح حياتَه، فليس هذا هو مفهومَ الرُّوح، وإن أرادوا الرَّوح التي تفارقُ بدنه بالموت وتُسَمَّىٰ النفسَ الناطقةَ فهذه جوهرٌ قائمٌ بنفسه ليس عرضًا من أعراضه، وحينئذٍ فيلزم أن يكون روحُ الله جوهرًا قائمًا بنفسه مع جوهرٍ آخرَ نظيرَ بدنِ الإنسان، ويكونَ الربُّ ﷻ مركَّبًا من بدنٍ وروحٍ كالإنسان، وليس هذا قولَ أهل الملل، لا المسلمين ولا اليهودِ والنَّصارىٰ، بل هو كفرٌ عندهم[1]، فتبيَّن أن تمثيلهم بالثلاثة باطل.

---

(١) «بل هو كفر عندهم» ملحقة في هامش (و) وليست في سائر النسخ.

الوجه الرَّابع: أن التَّمثيل إما أن يقع بصفاتِ الشَّمس والنَّار والإنسان، أو النَّفس القائمة بهذه الجواهر، أو بما هو مباينٌ لذلك، كالضَّوء الذي يقع علىٰ الأرض والحيطان والهواء، وغير ذلك من الأجسام إذا قابلت الشَّمس أو النَّار[1]، فإن أريد هذا فهذا شعاعٌ منعكس، وضوءٌ[2] منقلب، ليس هو صفةً قائمةً بالشَّمس والنَّار.

وإذا أُرِيد بما حلَّ في المسيح هذا، وهذا يسمىٰ نورًا وروحًا، ويسمىٰ نور الله، كما قال تعالىٰ: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [النور:٣٥]. وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورىٰ: ٥٢]. فأخبر أنه جعل الرُّوح الذي أوحاه نورًا يهدي به من يشاء.

وقال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

فإذا أُرِيد ما حلَّ في المسيح من الرُّوح والكلمة بهذا المعنىٰ فلا اختصاص للمسيح بذلك، فإن هذا يَحُلُّ في جميع الأنبياء والمؤمنين، وإن كانوا متفاضِلين

---

(١) بعدها في (المطبوعتين): «أو الإنسان أو النفس القائمة بهذه الجواهر» وليست في الأصول.
(٢) (و، ي): «وهو» بدل: «وضوء».

فيه بحسب درجاتهم، وليس هذا الحالُّ فيهم نفسَ صفة الله القائمة به، وإن كان ذلك حاصلًا عنها ومسبَّبًا عنها، لكن ليس هو نفسَ صفةِ الله، وإن كان من الناس من يقول: بل صفة الله التي اتَّصف بها حلَّت في العبد، فهذا القول خطأ؛ فإن صفة الموصوف القائمةَ به يمتنع قيامها بعَيْنِها بغيره، ولكنَّ الإنسانَّ إذا تعلَّم عِلْمَ غيره، وبلَّغ كلام غيرِه يقال: هذا عِلْمُ فلانٍ وكلامُه؛ لأن هذا الثاني بلَّغه عنه، والمقصود هو عِلْمُ الأوَّلِ وكلامه، مع العلم بأن نفس ما قام بذات الأول ليس هو عينَ ما قام بذات الثاني، وإن كان قد يكون مثلَه، وقد يكون الأول هو المقصودَ بالثاني، مثلَ من بلَّغ كلام غيره، فكلام المبلَّغ هو المقصود بالتبليغ، وصفات المبلِّغ - كحركته وصوته- بها يحصل التبليغ؛ ليس هو نفسَ المقصود، وإذا قيل: هذا كلام المبلَّغ عنه، فالإشارة إلىٰ حقيقة الكلام المقصود بالتبليغ، لا إلىٰ ما يختصُّ به المبلِّغ من أفعاله وصفاته، ولهذا شبَّه[1] الناسُ من قال بحلول صفة الربِّ في عبده بالنَّصارىٰ القائلين بالحلول، وهو شبيهٌ بهم من بعض الوجوه.

لكنَّ النَّصارىٰ لا يقولون بحلول صفةٍ مجرَّدة، بل بحلول الأقنوم الذي هو ذاتٌ متَّصفةٌ بالصِّفة، ويقولون: إن المسيح خالقٌ ورازق، وهو خالق آدم ومريم، وهو ولد آدمَ ومريم، وهو خالقٌ لهما بلاهوته، ابنٌ لهما بناسوته.

ويقولون: هو ابنُ الله، وهو الله بلاهوته، ويقولون أيضًا باللَّاهوت والنَّاسوت؛ لأجل الاتحاد، والله كفَّرهم بقولهم[2]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧] ونحو ذلك.

---

(١) (و، ي): «يشبه».

(٢) بعدها في (و): «له».

وإن أرادوا بتمثيلهم بصفات الشَّمس والنَّار والنفس التمثيلَ بنفس ما يقوم بالشَّمس والنَّار والنَّفْس من الضَّوء والحياة والنُّطق، وجعلوا ما يثبتونه من الأب والابن وروحِ القدس صفاتٍ لله، كما أنَّ هذه صفاتٌ لهذه المخلوقات.

قيل لهم أولًا: لم يعبِّر أحدٌ من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عن صفات الله باسم الأب و[1]الابن وروح القدس، فليس لكم إذا وجدتم في كلام المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ أو غيره من الأنبياء ذكرَ الإيمان بالأب والابن وروح القدس أن تقولوا: مُرادُهُم بذلك صفةُ الله التي هي الكلمة و[2]العلم، ولا حياةُ الله؛ إذ كانوا لم يريدوا هذا المعنىٰ بهذا اللفظ، وإنما أرادوا باسم الابن وروح القدس ما هو بائنٌ عن الله عَزَّ وَجَلَّ.

والبائنُ عن الله ليس صفةً لله فضلًا عن أن يكون هو الخالق، فضلًا عن أن يكون البشر المتَّحد به خالقًا، فقد ضلَلْتُم ضلالًا بعد ضلال، ضلالًا حيث جعلتم مراد المسيح وغيرِه بالابن وروح القدس صفةَ الرب، ثم ضلالًا ثانيًا حيث جعلتم الصفةَ خالقًا وربًّا، ثم ضلالًا ثالثًا حيث جعلتم الصِّفة تَتَّحد ببشرٍ هو عيسىٰ، ويُسَمَّىٰ المسيح، ويكون هو الخالقَ ربَّ العالمين، فضلَلْتم في الحلول ضلالًا مثلَّثًا بعد ضلالكم في التَّثليث أيضًا ضلالاتٍ أُخَر، حيث أثبتم ثلاثَ صفاتٍ دون غيرها، وجعلتموها جواهرَ أربابًا، ثم قلتم: إلهٌ واحد. فضلَلْتم ضلالًا مثلَّثًا في التثليث، وضلالًا مثلَّثًا في الاتِّحاد.

---

(١) «الأب و» ساقطة من (د، ي).

(٢) (و): «أو».

وقيل لكم ثانيًا: إذا جعلتم ذلك صفاتٍ لله، كما أن الضَّوْء والنطق والحرارة صفاتٌ لما تقوم بها، امتنع أن تحُلَّ بغيرها، وامتنع مع الحلول أن تكون فاعلةً فعل النَّار والشَّمس والنفس، وأنتم جعلتم الكلمة والحياة حالّةً بغير الله، وجعلتم ما يحُلُّ به إلهًا خالقًا، بل هو الإله الخالق، ومعلومٌ أن أحدًا من العقلاء لا يجعلُ ما يحصلُ فيه ضوءُ النَّار نارًا، ولا ما يحصل فيه شعاع الشَّمس شمسًا، ولا ما يحصل فيه نُطْقُ زيدٍ وعلمُه هو نفسَ زيد، فكان جعْلُكم المسيح هو الخالقَ للعالم مخالفًا لتمثيلكم.

وتبيَّن بذلك أن ما ذكرتموه لا يطابقه شيءٌ من الأمثلة؛ إذ كان كلامًا باطلًا متناقضًا يمتنع تحقُّقُه، فلا يُمثَّل[1] بشيءٍ من الموجودات الثَّابتة المعلومة إلا كان تمثيلًا غير مطابق.

ولهذا يُشَبِّهُون الحلول والاتِّحاد تارةً بحلول الماء في الظَّرف، وتارةً بحلول النَّار في الحديد، وتارةً بالنفس والبدن، وتارةً يقولون بأنهما جوهرٌ واحدٌ اختلطا كاختلاط الماء واللَّبن، وكلُّ هذه الأمثال التي ضربوها لله أمثالٌ باطلة، فإن الماء في الظرف وغيره من الأوعية محتاجٌ إلىٰ وِعَائه، لو انخرق وعاؤه لتبدَّد، وهو محيطٌ به، ولا يتَّصِف الظَّرفُ بشيءٍ من صفات الماء، والربُّ تعالىٰ يمتنع أن يحتاج إلىٰ شيءٍ من مخلوقاته، لا إلىٰ العرش ولا إلىٰ غيره، أو يحيط به شيءٌ من الموجودات؛ إذ هو الظَّاهر فليس فوقه شيء.

---

(١) (د، ع): «تمثيل».

كما ثبت في الصَّحيح(١) عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَنْتَ الأَوَّلُ فلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**». فهو غنيٌّ عن كلِّ ما سواه، وكلُّ ما سواه فقيرٌ إليه، ولهذا لم يكن ما وصف الله به نفسه مماثلًا لصفات المخلوقين، كما لم تكن ذاته كذوات المخلوقين، فهو مستوٍ علىٰ عرشه، كما أخبر عن نفسه مع غِنَاه عن العرش.

والمخلوق المستوي علىٰ السَّرير، أو الفُلْكِ، أو الدَّابَّةِ، لو ذهب ما تحته لسقط؛ لحاجته إليه، والله غنيٌّ عن كلِّ ما سواه، وهو الحامل(٢) للعرش ولحملة العرش.

وفرقُ النَّصارىٰ الثلاثة يقولون بالاتِّحاد، فلا ينفعهم التَّمثيلُ بحلول الماء في الظَّرف، ولو قُدِّرَ أنهم قالوا بالحلول المجرَّد، مع أن الرَّبَّ لا يحتاج إلىٰ النَّاسوت ولا(٣) يحويه ولا يَمسُّه، بل كما خاطب موسىٰ من الشجرة، فهذا يوجب أن النّاسوت لا يتَّصِف(٤) بشيءٍ من الإلهيَّة كالشجرة، ثم إنه معلومٌ بالضَّرورة أن الصَّوت الذي كان يُسْمَعُ هو صوت النَّاسوت، فالتمثيل بالشَّجرة أيضًا باطل، كما بُسِطَ في موضعه(٥).

وأما الحديد والخشب وغيرُهما إذا ألقي في النَّار فإنه يستحيل نارًا

---

(١) مسلم (٢٧١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه. في سائر النسخ: (الصحيحين)، والمثبت من (ي).
(٢) بعدها في هامش (و): «قدرته» كذا.
(٣) «ولا» مثبتة من (و) وفي سائر النسخ: بدون «واو».
(٤) (و): «يتصل».
(٥) انظر ما سيأتي (٢/ ٤٥٣).

لاتِّصاله بالنار، لا أَنَّ النَّار الذي استحال إليها كانت موجودةً فحلَّت به، فهذا[1] استحالةٌ بلا حلول، والنَّارُ الذي صارت في الحديدة حادثةٌ عن تلك النارِ[2] ليست إيَّاها، ثم تلك الحديدةُ إذا طُرِقَت وَقَعَ التطريقُ علىٰ النَّار، وكذلك إذا أُلقيت في الماء، فلو كان هذا تمثيلًا مطابقًا لكان الضَّرب والصَّلب[3] والإهانة وقع علىٰ اللَّاهوت، وكان اللَّاهوت هو الذي يغتسل بالماء، وهو الذي يأكل ويشرب، وهذا من أعظم الكفر.

ويُحْكَىٰ عن بعض طائفةٍ منهم كاليعقوبيَّة أنه يقول بهذا الكفر، وإن كان كثير منهم كالمَلَكِيَّة والنُّسطُوريَّة ينكره[4] فهو لازمٌ لهم، وكذلك إذا شبَّهوه بالنَّفس والبدن، فإن النفس تتَألَّمُ تألُّمَ البدن، وتستحيل صفاتُها بكونها في البدن، وتكتسب عن البدن أخلاقًا وصفات، فلو كان هذا تمثيلًا مطابقًا لزم تَألُّم اللَّاهوت بآلام البدن، وأن يكون متألِّمًا بجوع البدن وعطشه وضرْبِهِ وصلْبِهِ، وأن يكون مستحيلًا لما اكتسبه من صفات النَّاسوت الذي هو عندهم بمنزلة البدن للنَّفْس.

وأما قولهم: «إذ لم نُهْمِل ما تسلَّمْناه، ولم نرفض ما تقلَّدْناه».

فقولهم في ذلك بمنزلة قول اليهود للمسيح: «إنا لا نُهْمِل ما تسلَّمْناه، ولا نرفض ما تقلَّدْناه من موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

---

(١) (د، ي، ع، ط.النيل): «فهنا».

(٢) (و): «الحرارة».

(٣) «والصلب» ليست في (د، ي، ع).

(٤) (و): «تذكره».

وجواب الطائفتين من وجهين:

أحدهما: أنكم بدَّلتم وحرَّفتم الكتاب الذي أُنزل إليكم، والشَّرعَ الذي شُرِعَ لكم، وتبديلُ المعاني والأحكام لا ريب فيه عند جميع عقلاء الأنام، وما كان عليه اليهود بعد التَّبْدِيل لم يكن هو الشرعَ الذي شرعه موسىٰ عليه السلام، وما كان عليه النَّصارىٰ بعد التَّبديل لم يكن هو الشرعَ الذي شرعه المسيح عليه السلام.

والثاني: أنكم كذَّبتم بالكتاب الآخَر، والرسولِ الآخَر الذي أُرْسِل إليكم، ومن كذَّب بما[1] أنزل إليه من ربِّه، والرسولَ الذي أُرْسِل إليه كان كافرًا مستحقًّا لعذاب الدُّنيا والآخرة، وإن كان قبل ذلك متَّبعًا[2] لشرع رسولٍ[3] وكتابٍ غير مبدَّل، فكيف إذا كان قد بُدِّل ما بُدِّل من أحكامه ومعانيه؟

(١) المثبت من (و)، وباقي الأصول: «ما».
(٢) (ي): «ممتنعًا» كذا.
(٣) «رسول» ليست في (و).

فصل

وأما قولهم: «ولنا هذه الشَّهادات والدَّلائل من الكتاب الذي في أيدي هؤلاء القوم».

فيقال: لا يصحُّ استشهادُهم بهذا الكتاب واستدلالُهم به بوجهٍ من الوجوه، فإن الذي قد جاء به قد تواتر عنه أنه أَخبر أنه مرسَلٌ إليهم، وأنهم كفارٌ إذا لم يؤمنوا به، مستحقُّون للجهاد، ومن لم يستحلَّ جهادَهم فهو كافر، والقرآنُ مملوءٌ بكفرهم، فإن كان هذا رسولًا من الله، وقد أخبر بكُفْرِهم= ثبت أنهم كفار؛ فإن الرَّسول لا يقول علىٰ الله إلا حقًّا، لا يَكْذِبُ علىٰ اللهِ في شيء، ومن كَذَب علىٰ الله ولو في كلمةٍ واحدةٍ فهو من الكذَّابين المفترَين علىٰ الله الكذب، مستحقٌّ لعقوبة الكذَّابين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الشورىٰ: ٢٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠١-١٠٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ

نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [يونس: ١٥-١٦].

فمتىٰ كانت كلمةٌ من كلمات هذا الكتاب كذبًا علىٰ الله لم يكن كتابَ الله، ولم يكن الذي جاء به رسول الله، فإن الكاذب قد يَصْدُق في أكثر ما يقوله، لكن إذا كذَب في بعض ما يقوله كان كاذبًا، والله تعالىٰ لا يُرسِلُ من يَكْذِبُ عليه؛ فإن المخلوق لا يرضىٰ أن يرسل من يعْلَم أنه يكذب عليه[1]، ولو فعل ذلك دلَّ علىٰ جهله أو عجزه، فكيف يرسلُ ربُّ العالمينَ من يعْلمُ أنه يكْذِب عليه؟!

وحينئذٍ فمتىٰ كذَّبوا بكلمةٍ واحدةٍ ممَّا في الكتاب لم يصحَّ استشهادُهُم واستدلالُهم بشيءٍ ممَّا في الكتاب، وإن صدَّقوا بالكتاب كلِّه لزمهم الإيمان بما جاء به، واتِّباعُ شريعته، والاعترافُ بكُفْر الذين كذَّبوه، وكُفْرِ الذين يقولون: إن الله هو المسيح ابن مريم، وإن الله ثالث ثلاثة.

وهذا بخلاف من آمن بالرَّسول ولم يثبت عنده بعضُ ما نُقل عنه، أو[2] لم يَعْرف معناه، فإن هذا لا يقدح في أصل إيمانه بالرَّسول[3].

فالمسلمون إذا كذَّبوا ببعض ما نُقِل عن موسىٰ والمسيح فهو لطعنهم في النَّاقِل، لا في النَّبيِّ[4] المنقولِ عنه.

---

(١) (ي): «أن يعلم من يكذب عليه» بدل: «أن يرسل من يعلم أنه يكذب عليه». وقوله: «يعلم أنه» ساقطة من (ع).

(٢) (و، ي): «لو».

(٣) «بالرسول» ليست في (و).

(٤) (و): «الشيء».

وأما النصارىٰ فيعلمون أن محمّدًا ﷺ جاء بالقرآن، فطعْنُهم في بعضه طعْنٌ في الرَّسول نفسِه وكفرٌ به، وليس هذا بمنزلة ما مثَّلوا به من الوثيقة التي كُتِبَ وفاؤُها في ظهرها؛ فإن الذي له الدَّيْنُ[1] أقرَّ بالاستيفاء المسقطِ له، فلم يبق هناك حقٌّ له يدَّعيه، بخلاف ما يُخْبِرُ به الذي يقول: إنه رسول الله، فإنه يقول: إن الله أنزل عليَّ هذا الكتاب كلَّه، وأرسلني بكذا وكذا إلىٰ كذا وكذا، فإن كذَب في شيءٍ ممَّا أخبر به عن الله لم يكن الله أرسله، فإن الذي أرسله هو الذي جعله يُبَلِّغُ عنه ما يقولُه بلا زيادةٍ ولا نقص.

وإرسال الله للرَّسول يتضمَّن شيئين:

إنشاءَ الله للرَّسالة، والله حكيم، وهو أعلم حيث يجعل رسالاتِه، لا يجعلها إلا فيمن هو من[2] أكمل الخلق وأصدقِهم.

ويتضمَّن إخبارَ الله عنه بأنه صادقٌ عليه فيما يبلِّغُه عنه ممَّا يقول إن الله أرسله به، فكما صدَّقه بالآيات المعجزات في قوله: إنه أرسلني، فقد صدَّقه بما يقول: إنه أرسلني به؛ إذ التصديق بكونه أرسله من غير معرفةٍ بصدقه فيما يخْبِر به لا فائدة فيه، ولا يحصل به مقصود الإرسال.

والله تعالىٰ عليمٌ بما يشهد به لمن أرسله، بخلاف المخلوق الذي يَبْعث من يظُنُّه يَصْدُق فيما يبلِّغُه عنه، فيَظْهَرُ أنه كذَبَ عليه، والله يعلم عواقب الأمور، والرِّسالة صادرةٌ من علمه وحكمته، وهو عليمٌ حكيم، ومن يكذِبْ علىٰ الله - ولو في كلمةٍ - لم يبلِّغْ عنه ما يقوله علىٰ هذا الوجْه، فلا يكون رسولَه.

---

(١) (المطبوع): «التين» خطأ.

(٢) «من» مثبتة من هامش (و) وليست في سائر النسخ.

ولهذا اتَّفق أهل الملل علىٰ أن الرُّسُل معصومون فيما يبلِّغونه عن الله، لا يكذِبون عليه عمدًا ولا خطأ، فإن هذا مقصودُ الرِّسالة، فكان تمثيلُ هذا بالوثيقة تمثيلًا باطلًا، فإن المدَّعي للإسقاط لم يدَّع كلامًا متناقضًا، بل قال: أقرَرْت بهذا الدَّيْنِ ثم وفَّيْتُك إيَّاه، وأنت تُقِرُّ بوفائِه، وإقرارُك مكتوبٌ في ظهرها، فليس لك أن تحتجَّ بإقراري بالدَّيْن دون إقرارك بالوفاء، بل إمَّا أن تعتبر ما في الوثيقة من إقراري وإقرارك، وإما أن تُبْطِل الأمرين.

وهذا كلامٌ عَدْلٌ، كالشَّريكَيْنِ والمتعاوضَيْن[1]، مثل شريكَي العِنان، إذا قال لصاحبه: إن حصل ربحٌ فهو لي ولك، وإن لم يحصل ربحٌ فلا لي ولا لك.

وكذلك البائع والمؤاجر الذي يقول: إن كان بيننا معاوضةٌ[2] فعليك تسليمُ ما بذلتَه، وعليَّ تسليمُ ما بذلتُه، لا يُسْتَحَقُّ هذا إلا بهذا. فهذا كلُّه كلامٌ عدلٌ وإنصاف.

بخلاف الشَّخص الذي يقال فيه: إنه رسول الله، والكتاب الذي يقال: إنه كلام الله، وإن الله أنزله، فإن هذا إن كان رسولًا صادقًا فجميع ما بلَّغه عن الله حقٌّ، وإن كان كاذبًا لم يكن الله أرسله، فجميع ما بلَّغه عن الله كذبٌ علىٰ الله، فلا يجوز بمجرَّد خبره أن يُنْسَب إلىٰ الله شيءٌ، ولا يُحتجّ بما يُخْبِر به عن الله علىٰ شيء.

ألا ترىٰ أن من ادَّعىٰ الرِّسالة وعُلم أنه كاذبٌ، كالأسود العَنْسِيّ، ومسيْلِمةَ الكذَّاب، وطُلَيْحَةَ الأسديّ، والحارثِ الدِّمشقيّ، وبابا الرُّوميّ، وغير هؤلاء،

---

(١) (د): «المتعاوضين» بلا «واو»، (ي): «المتعارضين»، (ع): «المتفاوضين». والمثبت أنسب لتفريع المصنف علىٰ النوعين.
(٢) (ي): «لي معارضة» بدل: «بيننا معاوضة».

لا يجوز لأحدٍ أن يَحْتَجَّ بشيءٍ مما ذكروا أن الله أرسلهم به، وإن كان ذلك القول قد عُلِم أنه حقٌّ من جهةٍ أخرىٰ، فإنه قد عُلم بكَذِبهم أن الله لم يرسلهم، فأَيّ شيءٍ قالوا: إن الله أنزله عليهم كانوا كاذبين فيه، وَمَنْ[1] عُلِم أنه كاذبٌ في نفس الخبر المعيَّن لم يجز أن يُحتجَّ بجنس الذي عُلم أنه كاذبٌ فيه.

وكذلك لو قال رجل: عندي أن موسىٰ، أو داود، أو المسيح[2] لم يرسلهم الله بشيء، لكن كذَبوا في قولهم: إن الله أرسلهم، فإذا أراد مع هذا أن يحتجَّ بما يَنْقُل من التَّوراة، والزَّبور، والإنجيل عن الله= كان متناقضًا، وكان احتجاجُه باطلًا غيرَ مقبول، بل لو قال: أنا أشكُّ في بعض ما أخبروا به عن الله، هل كذبوا فيه أم لا؟ كان كذلك شكًّا في أن الله أرسلهم، فإن من أرسله الله لا يكْذِب في شيءٍ: لا خطأً ولا عمدًا، ومع شكِّه في ذلك لا يجوز أن يَحتجَّ بشيءٍ مما ينقلونه عن الله؛ لتجويز أن يكونوا كاذِبين في نفس ذلك الذي نقلوه عن الله.

وليس هذا مثلَ رسولِ الواحد من الآدميِّينَ، فإنه قد يكون أرسله، ثم إن الرَّسول صدَق في بعض ما بلَّغه عن مرسِلِه، وكذَب في البعض، ويجوز علىٰ الآدميِّ أن يُرْسِلَ من يَكْذِب عليه؛ لعدم علمه بكَذِبه، أو عدم حكمته في إرساله.

وأما الربُّ تعالىٰ: فلا يجوز أن يرسِل بنبيّ[3] يكذب عليه[4] لا عمدًا، ولا خطأً، وكذلك الشَّاهد والمخبِر الذي قد عُلم أنه تارةً يصْدُق وتارةً يكذب يمكن أن يُسْتَدلَّ ببعض أخباره الذي يَظْهَرُ فيها صدقُه لدلالاتٍ تقترن بذلك،

---

(١) (و): «وشيء»، (المطبوعتان): «ومتىٰ».

(٢) بعدها في (و): «كذبوا علىٰ الله في بعض ما يخبرون به عن الله، كانوا بمنزلة من» وليست في سائر النسخ.

(٣) (ي): «شيء» كذا، (ط.النيل): «من». (المطبوع): «نبيًّا».

(٤) بعدها في (و): «في شيء».

بخلاف الرَّسول، فإنه إذا كذَب كِذْبة واحدةً امتنع أن يكون الله أرسله، فصار جميع ما يُبَلِّغُه عن الله هو كاذبٌ في أنَّ الله أرسله به، فكَذِبُه في كلمةٍ واحدةٍ يوجب أنه كاذبٌ في جميع ما بلَّغه عن الله، وأن جميع ما حكاه ورواه عن الله قد كذَب فيه، وإن قُدِّرَ أن ذلك الكلام في نفسه حقٌّ، لكنَّ تبليغَه عن الله، ونقْلَه، وروايته، وحكايته عن الله كَذِبٌ علىٰ الله[1].

وقد أخبر الله أنه ينسخ ما يلقيه الشيطان مما يناقض مقصودَ التَّبليغ، بقوله تعالىٰ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٢-٥٥].

وإن قالوا: خبرُه يناقض بعضُه بعضًا، كان الجواب من وجهين:

أحدهما: أن هذا أيضًا إن كان حقًّا فإنه[2] يقدح في رسالته، فإن الرَّسول لا يناقض بعضُ خبره بعضًا، ومن كان كذلك لم يصحَّ لكم أن تحتجُّوا بشيءٍ ممَّا جاء به، وإن كان باطلًا لم يرد عليه.

---

(١) «أنه حق من جهة أخرىٰ... كذب علىٰ الله» ساقطة من (د، ع) وقد أشارا في هامش النسختين إلىٰ أن الكلام «يتلوه في وريقة» ولم أجده فيهما.

(٢) «فإنه» ليست في (د، ع، ي).

فعُلِم أن استدلالهم بما في هذا الكتاب علىٰ صحَّة دينهم الذي خالفوا به هذا الكتاب في غاية الفساد، وهو جمعٌ بين النَّقيضين، واستدلالٌ بما في الكتاب علىٰ ما يوجِبُ بطلانَ الاستدلال بشيءٍ ممَّا في الكتاب.

وإذا كانت النتيجة تستلزم فسادَ بعضِ مقدِّمات الدَّليل بطل الاستدلال بذلك الدَّليل الذي لا يصحُّ إلا بصحَّة مقدِّماته، فإذا كانت مقدِّمتُه لا تصحُّ إلا مع فساد نتيجته، ونتيجتُه مستلزمةً لفساد مقدمته= كان الجمع بين صحَّة المقدِّمة والنَّتيجةِ جمعًا بين النَّقِيضين.

وكذلك من استدلَّ بشيءٍ من الكتاب علىٰ ما يناقض ما في الكتاب، كاستدلال النَّصارىٰ بآياتٍ فيه علىٰ صحَّة دينهم، كان تناقضًا[1]؛ فإنه إن صحَّ ذلك الدَّليل بأنه مَدَحَ دينَهم مع ذمِّه= كان متناقضًا[2]، والكتاب المتناقض لا يكون كتابَ الله.

وإن فسد أحدُهما، إما فساد ذَمِّهم[3]، وإما فساد مَدْحِه، فالكتاب الذي فيه فسادٌ لا يكون كتابَ الله، فيلزم أن لا يكون كتاب الله علىٰ التَّقديرَينِ، فلا يصحُّ الاستدلال به من جهة كونه خبرَ الله.

وأما الاستدلال به من جهة كون المتكلِّم به رجلًا عالمًا حكيمًا، وهذا لا يفيد العلم؛ إذ ليس معصومًا إلا الأنبياءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، والنَّصارىٰ يجوِّزون أن يكون معصومًا غيرُ الأنبياء، فبتقدير أن يكون كذلك فهو حجَّةٌ عليهم.

---

(١) (و): «متناقضًا».

(٢) (د، ع): «تناقضًا».

(٣) (و): «دينه»، (المطبوعتان): «دينهم».

وإن قالوا: هو رجلٌ عالمٌ ليس برسولٍ من الله.

قيل لهم: فهذا قولُه ليس بحجّةٍ؛ لجواز أن يخطئ، ولكن يُعتضد بقوله، وأما إذا ادَّعىٰ أن الله أرسله وهو لم يرسله بهذا الكتاب كلِّه، فهذا كذَّابٌ لا يُحتجُّ بشيءٍ من كلامه، ولا يكون مثلُ هذا عدلًا، فضلًا عن أن يكون حكيمًا، بل هو من الذين افترَوْا علىٰ الله كذبا: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣].

والجوابُ الثاني: أنّا قد بيَّنا ما ذكروه أنه لا يناقض شيئًا مما أخبر به، وأنه ليس في هذا الكتاب تناقضٌ يحتجُّون به بوجهٍ من الوجوه.

وأما قولهم: وأعظم حُجَّتِنا ما وجدناه فيه من الشَّهادة لنا بأن الله جعلنا فوق الذين كفروا إلىٰ يوم القيامة.

فيقال: بل ما ذكروه حجَّةٌ عليهم لا لهم، فإن الله أخبر المسيح أنه جاعل الذين اتَّبعوه فوق الذين كفروا إلىٰ يوم القيامة، وخبر الله حقٌّ، ووعد الله صدق، والله لا يخلف الميعاد، فلما اتَّبع المسيحَ من آمن به جعلهم الله فوق الذين كفروا به من اليهود وغيرهم.

ثم لمّا بعث الله محمّدًا ﷺ بالدِّين الذي بعث به المسيحَ وسائرَ الأنبياء قبله، وكان محمَّدٌ ﷺ مصدِّقًا لما جاء به المسيح، وكان المسيح مبشِّرًا برسولٍ يأتي من بعده اسمه «أحمد»= صارت أمة محمّدٍ ﷺ أتبعَ للمسيح عليه السلام من النَّصارىٰ الذين غيَّروا شريعته وكذَّبوه فيما بشَّر به، فجعل الله أمَّة محمَّدٍ ﷺ فوقَ النَّصارىٰ إلىٰ يوم القيامة، كما جعلهم أيضًا فوق اليهود إلىٰ يوم القيامة.

والنَّصارىٰ بعد النسخ والتبديل ليسوا متَّبعين المسيح، لكنَّهم أتبعُ له من

اليهود الذين بالغوا في تكذيبه وسبِّه، فإنهم كذَّبوه أوَّلًا، وكذَّبوا محمَّدًا ﷺ ثانيًا، فصاروا أبعد عن متابعة المسيح من النصارىٰ، فكانوا مجعولين فوق اليهود.

والمؤمنون أمَّةُ محمَّدٍ ﷺ، هم المتَّبعون للمسيح عليه السلام، ومن سواهم كافرٌ به(١)، فأمّةُ محمّدٍ ﷺ فوق اليهود والنَّصارىٰ إلىٰ يوم القيامة، ولهذا لمَّا جاء المسلمون يقاتلون النَّصارىٰ غلبوهم، وأخذوا منهم خيارَ الأرض: الأرض المقدَّسة، وما حولَها من مصرَ والجزيرةِ وأرض المغرب(٢)، ولم يزل المسلمون منتصرين علىٰ النّصارىٰ، ولا يزالون إلىٰ يوم القيامة لم تنتصر النَّصارىٰ(٣) قطُّ علىٰ جميع المسلمين، وإنما تنتصر علىٰ طائفةٍ من المسلمين بسبب ذنوبهم، ثم يُدِيلُ(٤) الله المؤمنين عليهم.

ولو كان النَّصارىٰ هم المتَّبعين للمسيح عليه السلام، والمسلمون كفارًا به لوجب أن ينتصروا علىٰ جميع المسلمين؛ لأن جميع المسلمين ينكرون إلهيَّة المسيح ويكفِّرون النّصارىٰ، فعُلِم أن المتَّبعين للمسيح هم المسلمون دون النّصارىٰ.

---

(١) «به» ليست في (و).

(٢) (د، ع، ط.النيل): «العرب».

(٣) «النصارىٰ» ساقطة من (و).

(٤) (و، المطبوعتان): «يؤيد».

فصل

قالوا: «وأما تجَسُّم كلمة الله الخالقة التي بها خَلَقَ كلَّ شيء، وتجسُّدُها بإنسانٍ مخلوق، وهو الذي أُخذ من مريمَ العذراء المصطفاةِ التي فُضِّلَت علىٰ نساء العالمين، واتَّحدَتِ الكلمةُ به اتحادًا بريًّا من اختلاطٍ، أو تغيُّرٍ، أو استحالة، وخاطب الناس كما خاطب الله موسىٰ النبيَّ من العَوْسَجَة، ففعل المُعْجِز بلاهوته، وأظهر العجْزَ[(١)] بناسوته، والفِعْلان هما من المسيح الواحد».

والجواب: أن في هذا الكلام من أنواع الكَذِب، والكفْر، والتّناقض أمورًا كثيرة، وذلك يظهر بوجوه:

الأول: أن قولهم: «كلمة الله الخالقة التي بها خَلَقَ كلَّ شيء» كلامٌ متناقض؛ فإن الخالق هو الإله الخالق، وهو خلَق الأشياء بكلامه، وهو قوله: «كن»، فالخالق لم تُخلق به الأشياء، بل هو خلقها، والكلام الذي به خُلِقَت الأشياء ليس هو الخالق لها، بل به خَلق الخالقُ الأشياء، والفرق بين الخالق والمخلوق، وبين ما به خَلَق الخَالِقُ= معقول.

وهؤلاء جعلوا الخالق هو الذي به خُلِقَت[(٢)] المخلوقات، فجعلوا الكلمة هي الخالق، وجعلوا المخلوقات خُلِقَت بها.

وإيضاح هذا: أن الكلمة إن كانت مجرَّد[(٣)] الصِّفة، فالصِّفة ليست خالقة، وإن كانت الصِّفة مع الموصوف فهذا هو الخالق، ليس هذا هو المخلوق به.

---

(١) (و): «المعجز».

(٢) (و): «خلقت به».

(٣) (د، ي، ع): «مجردة».

والثاني: قولهم: «تجسُّدها بإنسان مخلوق» وقولهم: «تجسُّم كلمة الله» فإن قولهم: «تجسَّمت، وتجسَّدت» يقتضي أن الكلمة صارت جسدًا وجسمًا بالإنسان المخلوق، وذلك يقتضي انقلابها جسدًا وجسمًا، وهذا يقتضي استحالتَها وتغيُّرها، وهم قالوا: «اتحادًا بريًّا من تغيُّرٍ واستحالة».

الثالث: قولهم: «اتحدت الكلمة به اتحادًا بريًّا من اختلاطٍ، أو تغيُّرٍ، أو استحالة» كلامٌ متناقضٌ أيضًا؛ فإن الاتّحاد أن يصيَّر الاثنان واحدًا، فيقال قبل الاتحاد كان اللّاهوت جوهرًا، والناسوت جوهرًا آخر، وإن شئت قلت: كان هذا شيئًا، وهذا شيئًا، أو هذا عينًا قائمةً بنفسها، وهذا عينًا قائمةً بنفسها، فبعد الاتحاد إما أن يكونا اثنين كما كانا أو صار الاثنان واحدًا، فإن كانا اثنين كما كانا فلا اتِّحاد، بل هما متعدِّدان كما كانا متعدِّدَين، وإن كانا قد صارا شيئًا واحدًا، فإن كان هذا الواحد هو أحدَهما، فالآخر قد عُدِم، وهذا عَدَمٌ لأحدهما لا اتِّحاده، وإن كان هذا الذي صار واحدًا ليس هو أحدَهما، فلا بد من تغييرِهِما واستحالتِهما، وإلا فلو كانا بعد الاتِّحاد اثنين باقيين بصفاتهما لم يكن هناك اتحاد.

فإذا قيل: «اتحد اتحادًا بريًّا من اختلاطٍ أو تغيُّرٍ أو استحالة» كان هذا كلامًا متناقضًا، ينقضُ بعضُه بعضًا؛ فإن هذا إنما يكون مع التَّعدُّد والمباينة لا مع الاتِّحاد.

يوضِّح ذلك: أنه إذا اتَّحد الماء واللبن، أو الماء والخمر، ونحو ذلك، كان الحاصل من اتِّحادهما شيئًا ثالثًا ليس ماءً محضًا ولا لبنًا محضًا، بل هو نوعٌ ثالث، وكلٌّ من الماء واللَّبن قد استحال وتغيَّر واختلط، وأما اتِّحادٌ بدون ذلك فغير معقول.

ولهذا عَظُم اضطراب النَّصارىٰ في هذا الموضع وكُثَر اختلافهم وصار كل

منهم يَرُدُّ علىٰ الآخر ما يقوله، ويقول هو قولًا يكون مردودًا، فكانت أقوالهم كلُّها باطلةً مردودة؛ إذ كانوا قد اشتركوا في أصل فاسدٍ يستلزم أحدَ أمورٍ كلُّها باطلة، فأيُّ شيءٍ أُخِذ من تلك اللَّوازم كان باطلًا، ولا بدَّ له منها، فيأخذ هذا بعضَ اللَّوازم فيردُّه الآخَرُ، ويأخذ الآخَرُ لازمًا آخر فيرُدُّه الآخر.

وهذا شأن جميع المقالات الباطلة، إذا اشترك فيها طائفةٌ لزمها لوازمُ باطلة، وفساد اللَّازم يدلُّ علىٰ فساد الملزوم، فإنه إذا تحقَّق الملزوم تحقَّق اللازم، وإذا انتفىٰ اللَّازم انتفىٰ الملزوم.

وهذا يتبيَّن **بالوجه الرابع** وهو أن يقال: كثيرٌ من النَّصارىٰ يقول: إنهما بعد الاتِّحاد جوهرٌ واحد، وطبيعةٌ واحدة، ومشيئةٌ واحدة.

وهذا القول يُضاف إلىٰ اليعْقُوبِيَّة.

ويقولون: إن اللَّاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا، كما يختلط الماء واللَّبن، والماء والخمر، وهذا القول هو حقيقة الاتِّحاد، لا يُعقل الاتِّحاد إلا هكذا، لكنَّ فسادَه ظاهرٌ لعقول الناس، فإذا كان هذا لازمًا لقول النَّصارىٰ وفساده ظاهرٌ، كان فساد اللازم يدلُّ علىٰ فساد الملزوم، فإن حقيقة هذا القولِ أن الذي كان يأكل ويشرب، ويبول ويتغَوَّط، والذي ضُرب وبُصق في وجهه، ووُضِع الشَّوكُ علىٰ رأسه هو ربُّ العالمين.

ونفس تصَوُّرِ هذا القول ممَّا يوجب العلم ببطلانه، وتنزيهِ الله عن ذلك، وأن قائله من أعظم المفترين علىٰ الله، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا
(٨٨) لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ
الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن
كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٣) لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا

﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٨-٩٥].

الوجه الخامس: قولهم: «وخاطب الناس كما خاطب الله موسىٰ من العَوْسَجة» يوجِبُ أن يكون الذين كلَّمهم المسيح ممَّن آمن به وكفر به، بمنزلة[١] موسىٰ بن عمران الذي كلمه الله تكليمًا.

ومعلومٌ أن تكليم الله لموسىٰ ﷺ مما فضَّله به علىٰ غيره من النَّبيِّين، فإن كان آحاد الناس بمنزلة موسىٰ بن عمران لزم أن يكون كلٌّ من آحاد الناس في ذلك بمنزلة موسىٰ بن عمران، وهذا مما يُعْلَم فسادُه بالاضطرار من دين الرُّسل.

الوجْهُ السَّادس: أنه من المعلوم أن خطاب الله لأنبيائه ورسله أفضلُ من خطابه لمن ليس بنبيٍّ ولا رسول، والمسيح عليه السلام لم يكلِّم عامَّة النَّبيِّين والمرسلين، بل لم يكلِّم إلا ناسًا منهم من آمن به، ومنهم من كفر.

والتَّحقيق أنه لم يكلِّم أحدًا من رسل الله، ولكنَّ النَّصارىٰ يزعمون أن الحواريِّين رسل الله، وهذا باطل، ولو سُلِّم فلم يكلِّم إلا اثني عشر رسولًا، وقد بعث الله قبله رسلًا كثيرين، قد روي في حديث أبي ذرٍّ أن عِدَّتهم ثلاثُمِائةٍ وثلاثةَ عشر[٢].

وقد قال الله في القرآن: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ﴾ [النحل: ٣٦] وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

---

(١) (ع، ط.النيل)

(٢) تقدم تخريجه (١/ ٤١٧).

وفي الحديث الذي في المسند[1]، عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَنتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنتُمْ خَيْرُهَا وأَكْرَمُهَا علَىٰ اللهِ عزَّوجَلَّ**» وهذه السَّبعون سواء كانت هي التي هداها أو هي الجميع، فإنه يدُلُّ علىٰ كثرة الرُّسل، ولم يكلِّم الله أحدًا من هؤلاء من بشرٍ حلَّ فيه، فلو كان المكلِّم[2] للناس في عيسىٰ هو الله، لكان تكليمُ الله للذين كلَّمهم عيسىٰ من الكفار والمؤمنين أكملَ من تكليمه رسلَ الله الذين أرسلهم.

الوجْه السّابع: أن النَّاسوت ناسوتُ المسيح هو من جنس سائر النَّواسيت، والإنسانُ لا يستطيع أن يرىٰ الله في الدنيا كما أخبر بذلك موسىٰ وعيسىٰ ومحمَّدٌ ﷺ، فإذا لم يستطع أن يراه كان أن لا يستطيع الاتصالَ به ومماسَّتَه فضلًا عن الاتِّحاد به أولىٰ وأحرىٰ.

الوجْه الثَّامن: أن الله لما كلَّم موسىٰ عليه السلام من الشَّجرة، كان الكلام المسموع مخالفًا لما يُسْمَعُ من كلام الناس، ولهذا لم تُطِقْ بنو إسرائيل سماعَ ذلك الصَّوت، بل قالوا لموسىٰ: صِفْ لنا ذلك، وهذا عندهم في التَّوراة. كما روىٰ الخلال في كتاب «السُّنَّة»[3]، عن أحمدَ بنِ حنبل، فيما رواه من حديث الزهريّ، قال: «**لمَّا سمِع مُوسَىٰ كَلامَ اللهِ قالَ: يَا رَبِّ هذا الذي أسمعُ**[4] **هو كلامُكَ؟ قال: نعَم يا مُوسَىٰ، هو كَلامِي، وإنَّمَا كلمْتُكَ بِقُوَّةِ عشْرةِ آلافِ لسَان،**

---

(١) تقدم تخريجه (١/ ٤١٧).

(٢) (د، ي): «المتكلم». وقد سقطت من (ع).

(٣) لم أجده في المطبوع من الكتاب. وقد أخرج نحوه حرب في «السنة» (٤١١) مرفوعا من حديث جابر رضي الله عنه ولا يصح، وأخرجه الدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (ص١٧٨)، وعبدالله بن أحمد في «السنة» (٥٢٦) من قول كعب الأحبار.

(٤) (ي): «أسمعه»، (ع): «سمعته»، والكلمة مطموسة في (د).

ولِي قُوَّةُ الأَلْسُنِ كُلِّها، وأنا أَقْوَىٰ مِنْ ذلِكَ، وإِنَّمَا كَلَّمْتُكَ علىٰ قَدْرِ ما يُطِيقُ بدَنُك، ولَوْ كلَّمْتُك بأكْثَرَ مِنْ هَذَا لمِتَّ، فلمَّا رجَعَ مُوسَىٰ إلىٰ قَوْمِه قَالُوا لَهُ: صِفْ لنَا كَلامَ رَبِّك. فقالَ: سُبْحَانَ اللهِ، وهَلْ أستَطِيعُ أَنْ أصِفَهُ لَكُمْ؟ قالَوا: فَشَبِّهْهُ لنَا. قالَ: هَلْ سَمِعْتُمْ أصْوَاتَ الصَّوَاعِقِ التِي تُقْبِلُ في أحْلَىٰ حَلاوَةٍ سَمِعْتُمُوهَا، فَكَأَنَّه مِثْلُهُ».

وأما المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ فكان كلُّ أحدٍ يسمع صوتَه كصوت سائر الناس، لم يتميَّز عنهم بما يوجِب أن يكونوا سمعوا كلام الله كما سمعه موسىٰ بن عمران.

الوجه التاسع: أن الجنِّيَّ إذا حلَّ في الإنسيِّ، كما يحُلُّ في المصروع ويتكلَّم علىٰ لسانه، فإنه يتغيَّر الكلام، ويعرف الحاضرون أنه ليس هو كلامَ الإنسيِّ، مع أنه يتكلَّم بلسان الإنسيِّ، وحركة أعضائه، فَيَعْلَمُ أن الصَّوت حصل بحركة بدن الإنسيّ، مع العلم بأنه قد تغيَّر تغيُّرًا خالف به المعهودَ من كلام الإنسيّ، والإنسان الذي حلّ فيه الجنِّيُّ يغيبُ عقلُه، ولا يشعر بما تكلَّم الجِنِّيُّ علىٰ لسانه.

فربُّ العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لو حلَّ في بشرٍ، واتَّحد به، وتكلَّم بكلامه، وكان الكلامُ المسموعُ كلامَ الله المسموعَ منه، لكان يظهر من الفرق بين ذلك وبين المعهود من كلام الإنسيِّ ما هو في غاية الظُّهور، وكان يتغيَّر حالُ الإنسيِّ غايةَ التغيُّر؛ فإنَّ الربَّ عَزَّوَجَلَّ لما تجلَّىٰ للجبل جعله دكًّا، وخرَّ موسىٰ صعقًا، فإذا كان البدن[1] الإنسيُّ لا يثبت لتجلِّيه للجبل، فكيف يثبت لحلوله فيه، وتكلُّمه[2] علىٰ لسانه من غير تغيُّرٍ في البدن؟

---

(١) (و، ي): «ببدن».

(٢) (د، ع، ط.النيل): «ويكلمه».

وقد كان الوحي والملائكة إذا نزلت على الأنبياء في باطنهم يظهر التغيُّر في أبدانهم، فكان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي ثَقُل حتىٰ يَبْرُكَ به البعير[1]. وإن كان فخذه علىٰ فخِذ أحدٍ ثَقُل حتىٰ كاد يَرُضُّه[2].

وفي «الصَّحيحين»[3] عن عائشة، أن الحارث بنَ هشام[4] قال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ قال: «**أحْيَانًا يأتِيني في مِثْلِ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وهو أشَدُّه عليَّ، فَيُفْصَم عنِّي وقد وعَيْتُ ما قال، وأحيانًا يتمَثَّلُ ليَ المَلَكُ رجُلًا فَيُكَلِّمُني فأعِي ما يَقُول**». قالت عائشة: «ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشَّديد البرد فَيَفْصِم عنه، وإن جبينَه ليتفصَّد عرقًا».

وموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لما سمع كلام الله مَقَتَ الآدميين؛ لِما وقر في سمعه من كلام الله، وكان النُّور يظهر علىٰ وجهه حتىٰ كان يتبَرْقَع.

والمسيح عند النَّصارىٰ قد اتَّحد به اللَّاهوت من حين عَلِقَتْ به مريم، ولم يزل متَّحدًا به وهو حملٌ في بطنها، يعظُم اتِّحادُه به كلَّما كَبُر، ثم كذلك كان متَّحدًا به وهو صبيٌّ إلىٰ أن رُفع إلىٰ السماء وقعد عن يمين أبيه، وهو متَّحدٌ به عندهم، واللَّاهوت والنَّاسوت جميعًا، ومع هذا لم يتغيَّر بدن المسيح تغيُّرًا يناسب ذلك، ولا ظهر من الأنوار ما يناسب ذلك، بل عندهم أن المسيح قبل أن يُعَمِّدَه «يوحنا» ويرىٰ شِبْهَ الحمامة نازلًا عليه، لم يُظْهِر الآيات، بل كان

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤٨٦٨)، والحاكم في «مستدركه» (٣٨٦٥) عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه». ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٩٢) عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) البخاري (٢) مسلم (٢٣٣٣).

(٤) هو ابن المغيرة، القرشي، من مسلمة الفتح، ثم حسن إسلامه، ولم يزل مجاهدًا حتىٰ أصابته الشهادة يوم اليرموك. انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢/ ٧٦٢).

كآحاد الناس، وأول ما ظهر من الآيات قَلْبُ الماء خمرًا.

وموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بمجرَّد ما سمع الكلام ظهر عليه النور، وأين سَمْعُ الكلام من[1] الاتِّحاد به؟

وموسىٰ لما سمع الكلام، وكلَّمه الله من الشَّجرة، نزلت الملائكة، وظهر[2] من آيات الله وعظمته ما يناسب تكليم الله عَزَّوَجَلَّ.

والربُّ دائمًا عند النَّصارىٰ متَّحِدٌ ببدن المسيح، ولم يُظهِرْ من آيات الربوبيَّة والعظمة إلا ما يظهر أكثر منه لبعض الأنبياء.

الوجه العاشر: أن المخاطِب للنّاس إن كان هو مجموعَ اللَّاهوت والنَّاسوت فكلامه صريحٌ في أنه مخلوقٌ مربوبٌ، يدعو ويسأل، والمجموع ليس بمخلوقٍ يسأل اللهَ ويعبُدُه.

وإن كان هو اللَّاهوت وحده كما يقتضيه كلامهم هذا فهو أبعد وأبعد، وإن كان هو النَّاسوتَ وحدَه فلم يكن اللَّاهوت مخاطِبًا للناس، ولم يكلِّم الله الناس من النَّاسوت كما كلم الله موسىٰ من الشجرة.

وأيضًا فلم يكن فرقٌ بين حقيقة كلام النَّاسوت وكلام اللَّاهوت.

وكلام المسيح الصَّريحُ في أنه مخلوقٌ= كثيرٌ، وهم يُقِرُّون به، لكن يقولون ذلك كلام النَّاسوت. فيقال لهم حينئذٍ: فالمخاطِب للنَّاس هو الناسوت دون اللَّاهوت، وأنتم قلتم: إن الله خاطب الخلق من بدن المسيح كما خاطب موسىٰ من الشجرة.

والخطاب الذي سمعه موسىٰ من الشَّجرة هو كلُّه كلام اللَّاهوت،

---

(١) (و، د، ع): «إلىٰ»، (ي): «إلا للاتحاد به» والمثبت من (المطبوعتين) وهو أوفق للسياق.

(٢) بعدها في (المطبوعتين): «له».

والكلام الذي كان يُسْمَع من المسيح ليس فيه شيءٌ يختصُّ باللَّاهوت، بل عامَّتُه صريحٌ في أنه كلام الناسوت.

الوجه الحادي عشر: أن الله لمَّا كلَّم موسىٰ من الشَّجرة كان الكلامُ كلامَ الله وحده، لم يكن للشَّجرة كلامٌ أصلًا[1] بوجهٍ من الوجوه، فإن كان هذا المثل مطابقًا كان الذي يكلِّم الناس من ناسوت المسيح هو اللاهوتَ وحده.

ومعلومٌ أن في الإنجيل وغيره من النُّصوص الصَّريحة ما يدلُّ علىٰ أن النَّاسوت كان هو المتكلِّم ما يُبَيِّنُ الفرقَ الواضح بين هذا وهذا.

الوجه الثاني عشر: أن الذي نادىٰ موسىٰ من الشَّجرة لم يتكلَّم إلا بكلام الرُّبوبيَّة فقال: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]، ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾ [طه: ١٤ - ١٦].

وسائر ما تكلَّم به كلُّه يقتضي أنه كلامُ ربِّ العالمين، وأما المتكلِّم علىٰ لسان المسيح فلم يقل كلمةً من هذا أصلًا، بل كان في كلامه من الإقرار بأنه رسول، وأنه[2] محتاجٌ، وأنه ابن البشر، وغيرُ ذلك ما يناقض من كل وجهٍ كلامَ المنادي لموسىٰ من الشَّجرة، فمن سوَّىٰ بين هذا وهذا كان قد سوَّىٰ بين رب العالمين وبين إنسانٍ من الآدميِّين، وهو أضلُّ من الذين قال الله فيهم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧ - ٩٨].

---

(١) (ي): «أظهر».
(٢) بعدها في (المطبوعتين): «مخلوق». وضرب عليها في (و).

فإن أولئك جعلوهم أندادًا لله في بعض الأمور مع اعترافهم بأنهم مخلوقون، وهؤلاء الضُّلَّالُ جعلوا هذا الإنسان الذي يتكلَّم هو ربُّ العالمين الذي كلَّم موسىٰ من الشجرة، وقالوا: إن هذا الذي كلَّم العباد هو ذاك الذي نادىٰ موسىٰ من الشجرة.

الوجه الثَّالث عشر: أن يقال: معلومٌ أن الله أجلُّ وأعظمُ وأكبرُ من رسله بما لا يقدر المخلوقُ قَدْرَه، فلو كان هو الذي كلَّم الخلق علىٰ لسان المسيح، وكان الحواريُّون رسلَه الذين سمعوا كلامه منه بلا واسطة، لكان الحواريُّون إما مثل موسىٰ وإما أعظم.

ومعلومٌ أن المسيح نفسه لم تكن له آياتٌ مثل آياتِ موسىٰ فضلًا عن الحواريِّين، فإن أعظمَ آيات المسيح عليه السلام إحياءُ الموتىٰ، وهذه الآية[1] قد شاركه فيها غيرُه من الأنبياء كإلياسَ وغيرِه.

وأهل الكتاب عندهم في كتبهم أن غيرَ المسيح أحيا الله علىٰ يديه الموتىٰ، وموسىٰ بن عمران من جملة آياته العصا التي انقلبت فصارت ثعبانًا مبينًا حتىٰ بلعت[2] الحبال والعِصيَّ التي للسَّحرة، وكان غيرَ مرَّةٍ يلقيها فتصير ثعبانًا، ثم يُمْسِكُها فتعود عصًا.

ومعلوم أن هذه آيةٌ لم تكن لغيره، وهي أعظم من إحياء الموتىٰ، فإن الإنسان إذا[3] كانت فيه الحياة، فإذا عاش فقد عاد إلىٰ مثل حاله الأول، والله تعالىٰ يحيي الموتىٰ بإقامتهم من قبورهم، وقد أحيا غير واحدٍ من الموتىٰ في الدنيا.

---

(١) (و، د، ي): «الأمور».

(٢) (ي): «بلغت».

(٣) «إذا» ليست في (ي).

وأما أن[1] خشبةً تصير حيوانًا، ثم تعود خشبةً مرةً بعد مرة، وتبْتَلِع الحبال والعصِيّ، فهذا أعجب من حياة الميت.

وأيضًا فالله قد أخبر أنه أحيا من الموتىٰ علىٰ يد موسىٰ وغيره من أنبياء بني إسرائيل أعظمَ مِمَّن أحياهم علىٰ يد المسيح، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥ - ٥٦]، وقال تعالىٰ: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣]، وقال تعالىٰ: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

وأيضًا فموسىٰ عليه السلام كان يُخْرِج يده بيضاءَ من غير سوءٍ، وهذا أعظمُ من إبراء[2] أثر[3] البرص الذي فعله المسيح عليه السلام، فإن البَرَصَ مرضٌ معتاد، وإنما العجب الإبراءُ منه، وأما بياضُ اليد من غير برصٍ[4] ثم عَوْدُها إلىٰ حالها الأوَّل ففيه أمران عجيبان لا يُعْرف لهما نظير.

وأيضًا فموسىٰ فلق[5] الله له البحر حتىٰ عَبَرَ فيه بنو إسرائيل، وغرِق فيه فرعون وجنودُه، وهذا أمرٌ باهرٌ، فيه من عظمة هذه الآية، ومن إهلاك الله لعدوِّ موسىٰ ما لم يكن مثلُه للمسيح.

---

(١) (د، ط.النيل): «انقلاب»، (ع): «كونها».
(٢) ضرب عليها في (د) وليست في (ع).
(٣) «أثر» ساقطة من (د).
(٤) (و، ي، ع): «مرض».
(٥) (د، ع): «فرق».

وأيضًا فموسىٰ كان الله يطعمُهم علىٰ يده المنَّ والسَّلوىٰ مع كثرة بني إسرائيل، ويُفَجِّر لهم بضربه للحجر كلَّ يومٍ اثنَي عشَر عينًا يكفيهم.

وهذا أعظم من إنزال المسيح عليه السلام للمائدة، ومِن قَلْبِ الماء خمرًا، ونحو ذلك مما يُحْكَىٰ عنه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وكان لموسىٰ في عدوِّه من القمل، والضَّفادع، والدم، وسائر الآيات ما لَمْ يكن مثلُه للمسيح، فلو كان الحواريُّون رسلًا قد كلَّمهم الله مثلَ ما كلَّم موسىٰ من الشَّجرة كانوا مثلَ موسىٰ؛ فكيف والمسيحُ نفسه لم يكن له آياتٌ مثلَ آيات موسىٰ.

ولو كان المسيحُ اللَّاهوتُ الذي كلَّم موسىٰ لكان يُظْهِر من قدرته أعظم مما أظهره علىٰ يد موسىٰ، فإنه لم يَحُلَّ في بدن موسىٰ، ولا كان اللَّاهوت يكلِّم الخلق من موسىٰ، كما يزعمه هؤلاء في المسيح، ومع هذا فالآيات التي أَيَّدَ بها عبده موسىٰ تلك الآيات العظيمة، فكيف تكون آياتُه إذا كان هو نفسَه الذي قد حلَّ في بدن المسيح، وهو الذي يخاطِب الناس علىٰ لسان المسيح؟

الوجه الرابع عشر: أن يقال: إن قولهم: «إن الله خاطب الناس في المسيح كما خاطب موسىٰ النَّبِيَّ من العَوْسَجَة» من أبطل الباطل؛ فإن الله باتِّفاق الأمم كلِّها لم يحُلَّ في الشجرة ولم يتحد بها، كما يزعمون هم أنه حلَّ بالمسيح واتَّحد به، فإنه عندهم حلَّ بباطن المسيح، بل وبظاهره، واتَّحد به باطنًا وظاهرًا، والربُّ تعالىٰ لم يكن في باطن الشَّجرة، ولا حلَّ فيها، ولا اتَّحد بها.

وقول الله: إنه كلَّمه منها، وناداه منها كقوله إنه: نودي من شاطئ الواد الأيمن، وذلك مثل قوله: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾

[النازعات: ١٥ - ١٦]، وفي البقعة المباركة، ونحو ذلك، وليس في شيءٍ من ذلك أن الربَّ تعالىٰ حلَّ في باطن الوادي المقدس، أو البقعةِ المباركة، أو الجانب الأيمن، ولا أنه اتَّحد بشيءٍ من ذلك، ولا صار هو وشيءٌ من ذلك جوهرًا واحدًا، ولا شخصًا واحدًا، كما يقول بعض النَّصارىٰ: إن اللَّاهوت والنَّاسوت صارا جوهرًا واحدًا، وبعضهم يقول: صارا شخصًا واحدًا.

بل ولا قال أحدٌ: إنه حلَّ في شيء من ذلك كحُلُول الماء في اللبن، أو النَّار في الحديد، كما يقول بعضهم: إن اللَّاهوت حلَّ في النَّاسوت.

كذلك ولو قُدِّر أن بعض الناس قال شيئًا من المقالات التي لا تدلُّ عليها الكتب الإلهيَّةُ، ولا تُعْلَم بالعقل، لم يكن قولُه حجة؛ إذ لا يُحْتَجُّ إلا بنقلٍ ثابت عن الأنبياء، أو بما يُعلم بالعقل.

الوجه الخامس عشر: أن الذي كلَّم موسىٰ وناداه هو الله رب العالمين، وتكليمُه له من الشجرة من جنس ما أخبر بنُزُوله إلىٰ السماء الدُّنيا، ونزوله يوم القيامة لحساب الخلق، والكلامُ علىٰ ذلك مبسوطٌ في غير هذا الموضع(١).

وأما حلوله في البشر، أو اتِّحادُه به، فيمتنع من وجوهٍ كثيرةٍ عقلًا وسمعًا، مع أنه لم يُخْبِر به نَبِيٌّ.

وما تقوله النَّصارىٰ في غاية التَّناقض؛ فإنهم يزعمون أن المسيح هو الكلمة، وهو الخالق؛ لأن الكلمة والذَّاتَ شيءٌ واحد، فلا يفرِّقون بين الصِّفة والموصوف، ثم يقولون: المتَّحد بالمسيح هو الكلمةُ دون الذَّات التي يُسَمُّونها الأب، ويقولون مع ذلك: إنه لم يتبعَّض، ولم يتجزأ.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ٢٤٣، ٣٧٤)، (١٧/ ٣٥٠).

ومعلومٌ بصريح العقل أن الكلمة التي هي الصِّفة لا يمكن مفارقتها للموصوف، فلا تَتَّحد وتحُلُّ دون الموصوف، لا سيَّما والمتَّحدُ الحالُّ عندهم هو الخالق، فيجب أن يكون هو الأب، وهم لا يقولون: المتَّحدُ الحالُّ هو الأب، بل هو الابن، وإذا قالوا: إن الابن هو المتَّحد الحالُّ دون الأب، فالمُتَّحد ليس هو الذي ما اتَّحد، والابن اتَّحد، والأب ما اتَّحد.

ويقولون: إن المتَّحد اتخذ عيسىٰ حجابًا احتجب به، ومسكنًا يسكن فيه، خاطب الناس فيه، ويقولون مع ذلك: إنه اتَّحد به، والأب لم يحتجب به، ولم يسكن فيه، ولم يتَّحد به، فلزم قطعًا أن يكون منه شيءٌ اتَّحد، ومنه شيءٌ لم يتَّحد، فالأب لم يتَّحد، والابن اتَّحد، وهذا يناقض قولهم: «لم يتبعَّض» ويُبْطِلُ تمثيلَهم بالمخاطِب من الشجرة، فإنّ ذاك هو الله ربُّ العالمين، ليس هو الابن دون الأب، مع ما ذُكِرَ مِنَ الفروق الكثيرة البيِّنة التي تبين بطلان تمثيل هذا بهذا.

الوجه السَّادس عشر: أن الرَّبَّ ﷻ إذا تكلَّم تكلَّم بكلام الرُّبوبيَّة، فلو كان في[1] المسيح اللَّاهوتُ الذي أَرْسَل موسىٰ وغيرَه= لم يخضع لموسىٰ ولتوراته، ويذكر أنه إنما جاء ليُكْمِلَها لا لينْقُضَها[2]، ولا كان يقوم بشرائعها، فإن ربَّ العالمين أعظمُ وأجلُّ من ذلك، بل لو كان ملَكًا من الملائكة لم يفعل مثل ذلك، فكيف بربِّ العالمين؟

وإذا قالت النَّصارىٰ: فَعَل ذلك خوفًا من بني إسرائيل، أو خوفًا أن يُكَذِّبوه، كان عذْرُهم أقبح من ذنبهم، فربُّ العالمين مِمَّن يَخافُ ﷻ؟!

وموسىٰ لمَّا كان فرعون يُكَذِّبُه، كان يُظْهِر من الآيات ما يُذِلُّ بها فرعونَ

---

(١) «في» ليست في (ي).

(٢) (د، ع، ط.النيل): «لينقصها».

وقومَه، مع عُتُوِّه وعتوِّ قومِه، ولم تكن بنو إسرائيل أعتىٰ من فرعونَ وقومِه، فلو كان هو ربَّ العالمين، كان ما يؤيِّد به نفْسَه من الآيات أعظمَ ممَّا يُؤَيِّد به عبدَه موسىٰ.

ومن عجائب النَّصارىٰ أنهم يدَّعون فيه الإلهيَّة مع ادعائهم فيه غايةَ العجز حتىٰ صُلِب.

وأما المسلمون فيقولون: هو رسولٌ مؤيَّد، لم يُصْلَب، وهذه سنَّته سبحانه في رسله، فإنه يُؤَيِّدُهم وينصُرُهم علىٰ عدوِّهم، كما نصر نوحًا وإبراهيم ومحمَّدًا صلوات الله عليهم وسلامه، فإذا كان لا يجوز أن يكون رسولًا مغلوبًا، فكيف يكون ربًّا مغلوبًا[1] مصْلُوبًا؟!

الوجه السَّابع عشر: قولهم: فَعَلَ المعجز بلاهوته، وأَظْهر العجز بناسوته.

فيقال لهم: إن الله فَعَلَ من المعجزات ما هو أعظم من المعجزات التي ظهرت علىٰ يد المسيح عليه السلام ولم يكن متَّحدًا بشيءٍ من البشر، فأيُّ ضرورةٍ له إلىٰ أن يتَّحِد بالبشر إذا فعل معجزاتٍ دون ذلك؟!

الوجه الثامن عشر: أن المسيح ظهرت علىٰ يديه معجزاتٍ كما ظهر لسائر المرسلين، ومعجزاتُ بعضهم أعظمُ من معجزاته، ومع هذا فلم تكن المعجزات دليلًا علىٰ اتِّحاد اللَّاهوت بالنَّبيِّ الذي[2] ظهرت علىٰ يديه، فَعُلم أن الاستدلال بظهور المعجزات علىٰ يديه في غاية الفساد.

الوجه التاسع عشر: أن اللَّاهوت إن كان متَّحدًا بالنَّاسوت لم يتميز فعله عن فعل النَّاسوت؛ فإنهما إذا صارا شيئًا واحدًا كان كلَّ ما فعله من عجزٍ ومعجزٍ هو ذلك الواحد، كالأمثال التي يضربونها لله سبحانه، فإنهم يمثِّلون ذلك بالنَّار

---

(١) «مغلوبًا» ليست في (د، ع، ط.النيل).

(٢) (ي): « بالشيء التي» بدل: «بالنبي الذي».

مع الحديد، والماء مع اللَّبن والخمر.

ومعلومٌ أن الحديدة إذا أُدْخِلت[1] النَّارَ حتىٰ[2] صارت بيضاء كالنَّارِ البيضاء، فَفِعْلُها فعلٌ واحد، ليس لها فِعْلانِ متميِّزان: أحدُهُما بالحديد، والآخَر بالنَّار، بل فيها قُوَّةُ الحَدِيدِ وقُوَّةُ النَّار، بل فيها قوَّةٌ ثالثةٌ ليست قوَّة الحديد ولا قوَّة النَّار؛ إذ ليست حديدًا محضًا ولا نارًا محضة.

وكذلك الماء إذا اختلط باللَّبن والخمر، فالمتَّحد منهما شيءٌ واحد، فِعْلُه فِعْلٌ واحد منه، ليس ماءً محضًا ولا لبنًا محضًا، لا يقول عاقل: إن له فِعْلَيْنِ يتميَّزُ أحدُهما عن الآخر، فِعْلٌ بكونه لبنًا محضًا، وفعلٌ[3] بكونه ماءً محضًا.

فقولهم بالاتحاد يوجب استحالة اللَّاهوت بالنَّاسوت، وأن يصير فِعْلُ المتَّحِد شيئًا واحدًا.

وإن كان اللَّاهوت لم يتَّحِد به فهما اثنان شخصان، وجوهران[4]، وطبيعتان، ومشيئتان، وليس هذا دينُ النَّصارىٰ، مع أن حلولَ الرَّبِّ ﷻ في البشر ممتنع، كما قد بُسط في موضعٍ آخر[5].

وكذلك إذا مثَّلوه بالنَّفس مع البدن؛ فإن النفْس تتغيَّر صفاتها بمفارقة البدن، وكذلك البدن تتغيَّر صفاته بمفارقة[6] الرُّوح له.

---

(١) (و، ي): «دخلت».
(٢) «حتىٰ» ساقطة من (ي).
(٣) (ع، ط.النيل): «فعلًا» بالنصب، وكذا الموضع الذي قبله، (د): الموضع الثاني فقط.
(٤) (د، ع، ط.النيل): «جوهران» بلا «واو».
(٥) «كما قد بسط في موضع آخر» ليس في (د، ع، ط.النيل). وانظر كلام المصنف علىٰ هذه المسألة في «مجموع الفتاوىٰ» (٢/ ٣٨٧).
(٦) (و، ي): «بمقارنة» هذا الموضع والذي قبله.

والإنسان الذي نُفِخَت فيه الرُّوح فصارت بدنًا فيه الرُّوح هو نوعٌ ثالث، ليس فيه بدنٌ محضٌ وروحٌ محض، حتىٰ يقال: إنه يفعل كذا ببدنه، وكذا بنفسه، بل أفعالُه تشترك فيها الرُّوح، فهو إذا أكل وشرِب فالرُّوح تَتَلذَّذ بالأكل والشُّرب، وبها صار آكلًا شاربًا، وإلا فالبدن المَيِّتُ لا يأكلُ ولا يشرب، وإذا نظر واستدلَّ وسمِع ورأىٰ وتعلَّم(١)، فالنَّفْس فعلت ذلك بالبدن، والبدنُ يظهر فيه ذلك، والرُّوح وحدها لا تفعلُ ذلك، وعندهم أن فعل(٢) اللَّاهوت بعد الاتِّحاد كفعله قبله، وكذلك فِعْل النَّاسوت، وهذا يناقض الاتحاد.

والقول بهذا مع الاتِّحاد في غاية التَّناقُض والفساد، ولا يُعقل نظيرُ هذا في شيءٍ من الموجودات، ونفسُ المتكلِّم بهذا من النَّصارىٰ لا يتصوَّر ما يقول، ولا يمكنه أن يُمَثِّلَه بشيءٍ معقول(٣).

---

(١) (و، ي): «وتعلم، سمع ورأىٰ» بدل: «وسمع ورأىٰ وتعلم».

(٢) بعدها في (د، ع، ط.النيل): «هو فعل» والظاهر أنه حشو.

(٣) هنا نهاية نسختي: (و، ي). وتبدأ بعدها نسخة مكتبة «ليدن» وسيرمز لها بحرف (ل). وهي مكمّلة لنسخة (و) كما سبق شرحه في وصف النسخ الخطية من مقدمة الكتاب.

فصـل

قالوا: «وقد جاء في هذا الكتاب الذي جاء به هذا الإنسان يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

وهذا يوافق قولَنا؛ إذ قد شهد[(١)] أنه إنسانٌ مثلُنا، أي[(٢)] بالنَّاسوت الذي أُخِذ من مريم، وكلمةِ الله وروحِه المتَّحدةِ فيه، وحاشا أن تكون كلمةُ الله وروحُه الخالقة مثلَنا نحن المخلوقين، وأيضًا قال في سورة النساء: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]، فأشار بهذا القول إلىٰ اللَّاهوت الذي هو كلمة الله التي لم يَدْخل عليها ألم ولا عَرَضٌ، وقال أيضًا: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقال في سورة المائدة عن عيسىٰ أنه قال: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧].

فأعنىٰ[(٣)] بموته عن موت النَّاسوت الذي أُخِذ من مريم العذراء.

وقال أيضًا في سورة النساء: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨].

---

(١) (ل): «يشهد».
(٢) «أي» ليست في (ل).
(٣) تقدّم التنبيه علىٰ هذه الكلمة (١/ ٤١٢).

فأشار بهذا إلىٰ اللَّاهوت الذي هو كلمةُ الله الخالقة[1]، وعلىٰ هذا القياس نقول: إن المسيح صُلِب، وتألَّم بناسوته، ولم يصلب، ولا تألَّم بلاهوته».

والجواب من وجوه:

أحدها: أن يقال: دعواهم علىٰ محمدٍ ﷺ أنه أثبت في المسيح اللَّاهوت والنَّاسوت كما يزعمه هؤلاء النَّصارىٰ فيه هو من الكذب الواضح المعلوم علىٰ محمدٍ ﷺ الذي يُعْلَم من دينه بالاضطرار، كما يُعلم من دينه تصديقُ المسيح عليه السلام وإثباتُ رسالته، فلو ادَّعىٰ اليهوديُّ علىٰ محمَّدٍ ﷺ أنه كان يُكَذِّبُ المسيح ويجحدُ رسالته، كان كدعوىٰ النَّصارىٰ عليه أنه كان يقول: إنه ربُّ العالمين، وإن اللَّاهوت اتَّحد بالنَّاسوت، ومحمّدٌ ﷺ قد أخبر فيما بلغه عن الله ﷻ بكُفْرِ[2] من قال ذلك، وبما يناقِضُ ذلك في غير موضعٍ، كقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ

(١) «وقال في سورة المائدة... كلمة الله الخالقة» ساقطة من (ل).
(٢) (ل): «بتكفير».

لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ
وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ
خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ
كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلۡ
يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ
ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٢ - ٧٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ
ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ
قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ
أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ
إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ
أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ
﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ
كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ
وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ(١)﴾
[التوبة: ٣٠ - ٣٤].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾
وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا

(١) وقع خلط في (ل) بعد الآية (٣١) فكتب: «وقال تعالىٰ...» فأتى بآية سورة الصف: «يريدون ليطفئوا...» ثم ذكر بقية الآيات من سورة التوبة كما أثبتت.

عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦٤﴾ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف: ٥٧ - ٦٥]

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٧].

فأخبر عن المسيح أنه لم يقل لهم إلا ما أمره الله به(١): اعبدوا الله ربِّي وربَّكم، وكان عليهم شهيدًا ما دام فيهم، وبعد وفاته كان الله هو الرقيب عليهم.

فإذا كان بعضهم قد غلط في النَّقل عنه، أو في تفسيرِ كلامه، أو تعمَّد تغيير دينه، لم يكن علىٰ المسيح عليه السلام من ذلك دَرَك(٢)، وإنما هو رسولٌ عليه البلاغ المبين.

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أن أوَّل ما تكلَّم به المسيح أن قال: ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا

---

(١) بعدها في (المطبوعتين): «بقوله أن».
(٢) (ل): «شيئًا».

دُمۡتُ حَيّٗا ٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا﴾ [مريم: ٣٠ - ٣٢].

ثم طلب لنفسه السَّلام فقال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم: ٣٣].

والنصارىٰ يقولون: «علينا منه السلام» كما تقوله الغالية فيمن يدَّعون فيه الإلهيَّةَ كالنُّصيْريَّة في عليّ، والحاكميَّة في الحاكم.

الوجه الثاني: أن يقال: إن الله لم يذكر أن المسيح مات ولا قُتل، وإنما قال: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقال المسيح: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [المائدة: ١١٧].

وقال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٥٥
وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ١٥٦ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا
١٥٨ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا
١٥٩ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ١٦٠ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [النساء: ١٥٥ - ١٦١].

فذمَّ الله اليهود بأشياءَ منها: قولهم علىٰ مريم بهتانًا عظيمًا، حيث زعموا أنها بغيٌّ، ومنها: قولهم: ﴿إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٧].
قال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡ﴾ [النساء: ١٥٧].

وأضاف هذا القول إليهم وذمَّهم عليه.

ولم يذكر النصارىٰ؛ لأن الذين تولَّوا صلْبَ المصلوب المشبَّه به هم اليهود، ولم يكن أحدٌ من النَّصارىٰ شاهدًا هذا معهم، بل كان الحواريُّون خائفين غائبين، فلم يَشْهد أحدٌ منهم الصَّلب، وإنما شهده اليهود، وهم الذين أخبروا الناس أنهم صلبوا المسيح، والذين نقلوا أن المسيح صُلِب من النَّصارىٰ وغيرِهم إنما نقلوه عن أولئك اليهود، وهم شُرَطٌ[1] من أعوان الظلمة، لم يكونوا خلقًا كثيرًا يمتنع تواطؤهم علىٰ الكذب.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]. فنفىٰ عنه القتل، ثم قال: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩].

وهذا عند أكثر العلماء معناه قبل موت المسيح، وقد قيل قبل موت اليهوديِّ وهو ضعيف، كما قيل: إنه قبل موت محمَّدٍ ﷺ وهو أضعف، فإنه لو آمن به قبل الموت لنفعه إيمانه به، فإن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر.

وإن قيل: المراد به الإيمانُ الذي يكون بعد الغرغرة لم يكن في هذا فائدة، فإن كلَّ أحدٍ بعد موته يؤمن بالغيب الذي كان يجحده، فلا اختصاص للمسيح به، ولأنه قال قبل موته، ولم يقل بعد موته، ولأنه لا فرق بين إيمانه بالمسيح وبمحمدٍ صلوات الله عليهما وسلامه، واليهوديُّ الذي يموت علىٰ اليهوديَّةِ يموت كافرًا بمحمَّدٍ والمسيح عليهما الصلاة والسلام، ولأنه قال: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩].

---

(١) (ع): «شرٌّ»، (د) في الكلمة طمس، والأقرب أنها كالمثبت.

وقوله: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] فعلٌ مقسمٌ عليه، وهذا إنما يكون في المستقبل، فدلَّ ذلك علىٰ أن هذا الإيمان بعد إخبار الله بهذا، ولو أُرِيد به قبل موت الكتابي لقال: وإن من أهل الكتاب إلا من يؤمن به، لم يقل: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩]

وأيضًا فإنه قال: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهذا يعمُّ اليهود والنصارىٰ، فدلَّ ذلك علىٰ أن جميع أهل الكتاب اليهودِ والنصارىٰ، يؤمنون بالمسيح قبل موت المسيح؛ وذلك إذا نزل آمنت اليهودُ والنَّصارىٰ بأنه رسولُ الله ليس كاذبًا كما تقول اليهود، ولا هو الله كما تقوله النَّصارىٰ.

والمحافظة علىٰ هذا العموم أولىٰ من أن يُدَّعىٰ أن كلَّ كتابيٍّ ليؤمننَّ به قبل أن يموت الكتابيّ، فإن هذا يستلزم إيمانَ كلِّ يهوديٍّ ونصرانيٍّ، وهذا خلاف الواقع، وهو لما قال: «وإن منهم إلا ليؤمنن به قبل موته» دل علىٰ أن المراد بإيمانهم قبل أن يموت هو، علم أنه أُريد بالعموم عمومَ من كان موجودًا حين نزوله؛ أي: لا يتخلَّف[١] منهم أحدٌ عن الإيمان به، لا إيمان من كان منهم ميِّتًا.

وهذا كما يقال: «**إنه لا يبقىٰ بلدٌ إلا دخله الدَّجال إلا مكة والمدينة**»[٢]، أي من المدائن الموجودة حينئذ، وسببُ إيمان أهل الكتاب به حينئذٍ ظاهر، فإنه يظهر لكل أحدٍ أنه رسولٌ مؤيَّدٌ ليس بكذَّابٍ ولا هو ربُّ العالمين.

فالله تعالىٰ ذكر إيمانهم به إذا نزل إلىٰ الأرض، فإنه تعالىٰ لما ذكر رفعه إلىٰ الله بقوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وهو ينزل إلىٰ الأرض

---

(١) (د، ط.النيل): «يختلف».

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري (١٨٨١) ومسلم (٢٩٤٣) عن أنس بن مالك ﵁.

قبل يوم القيامة ويموت حينئذٍ، أخبر بإيمانهم به قبل موته، كما قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾[1] [الزخرف: ٥٩ - ٦٥].

وفي «الصحيحين»[2] عن النَّبيِّ ﷺ أنه[3] قال: «**يوشِكُ**[4] **أن ينْزِلَ فِيكُمُ ابنُ مرْيمَ حكَمًا عَدلًا، وإمامًا مُقسِطًا، فيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، ويَقْتُلُ الخِنْزيرَ، ويَضعُ الجِزْيةَ**».

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨]. بيان أن الله رفعه حيًّا وسلَّمه من القتل، وبيَّن أنهم يؤمنون به قبل أن يموت. وكذلك قوله: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ولو مات لم يكن فرقٌ بينه وبين غيره.

---

(١) (ل) أكمل جزءًا من الآية التي بعدها: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾.
(٢) البخاري (٣٤٤٨) مسلم (١٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) «أنه» ليست في (د، ط.النيل).
(٤) (ل): «أوشك».

ولفظ «التوفّي» في لغة العرب[1] معناه: الاستيفاء والقبض، **وذلك ثلاثة أنواع:**

أحدها: توفّي النوم.

والثّاني: توفّي الموت.

والثّالث: توفّي الرُّوح والبدن جميعًا، فإنه بذلك خرج عن حال أهل الأرض الذين يحتاجون إلىٰ الأكل والشُّرب واللِّباس والنوم[2]، ويخرج منهم[3] الغائط والبول، والمسيح عليه السلام توفَّاه الله، وهو في السَّماء الثَّانية إلىٰ أن ينزل إلىٰ الأرض، ليست حاله كحالة أهل الأرض في الأكل والشُّرب، واللِّباس والنوم، والغائط والبول، ونحو ذلك.

الوجه الثّالث: قولهم: «إنه عنىٰ بموته عن موت النَّاسوت» كان ينبغي لهم أن يقولوا علىٰ أصلهم: عنىٰ «بِتَوَفِّيْتُه» عن توفِّي النَّاسوت، وسواءٌ قيل موْتُه أو تَوَفِّيْتُه فليس هو شيئًا غيرَ النَّاسوت، فليس هناك شيءٌ غيره لم يُتَوَفَّ، والله تعالىٰ قال: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]. فالمُتَوفَّىٰ هو المرفوع إلىٰ الله.

وقولهم: «إن المرفوع هو اللَّاهوت» مخالفٌ لنصِّ القرآن ولو كان هناك موت، فكيف إذا لم يكن؟ فإنهم جعلوا المرفوع غيرَ المتوفَّىٰ، والقرآن أخبر أن المرفوع هو المتوفَّىٰ.

وكذلك قوله في الآية الأخرىٰ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾

---

(١) انظر: «العين» (٨/ ٤١٠)، «لسان العرب» (١٥/ ٤٠٠).

(٢) «والنوم» ليست في (د، ط.النيل).

(٣) «ويخرج منهم» ليست في (ل).

[النساء: ١٥٧-١٥٨] هو تكذيبٌ لليهود في قولهم: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٧] واليهود لم يدَّعوا قتل لاهوت، ولا أثبتوا لله لاهوتًا في المسيح، والله تعالىٰ لم يذكر دعوىٰ قتْلِه عن النَّصارىٰ حتىٰ يقال: إن مقصودهم قتلُ النَّاسوت دون اللَّاهوت، بل عن اليهود الذين لا يثبتون إلا النَّاسوت.

وقد زعموا أنهم قتلوه، فقال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾.

فأثبت رفع الذي قالوا إنهم قتلوه، وإنما هو النَّاسوت، فعُلِم أنه هو الذي نُفِيَ عنه القتل، وهو الذي رُفع، والنَّصارىٰ معترفون برفع النَّاسوت، لكن يزعمون أنه صُلب، وأقام في القبر، إما يومًا، وإما ثلاثة أيام، ثم صعد إلىٰ السماء، وقعد عن يمين الأب النَّاسوت مع اللَّاهوت.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾، معناه: أن نَفْيَ قتْلِه هو يقينٌ لا ريْب فيه، بخلاف الذين اختلفوا فإنهم في شكٍّ منه من قتله وغير قتله، فليسوا مستيقنين أنه قتل؛ إذ لا حُجَّة معهم بذلك.

ولذلك كانت طائفةٌ من النَّصارىٰ يقولون: إنه لم يُصْلب، فإن الذين صَلَبوا المصْلوب هم اليهود، وكان قد اشتبه عليهم المسيحُ بغيره، كما دلَّ عليه القرآن، وكذلك عند أهل الكتاب أنه اشتبه بغيره، فلم يعرفوا من هو المسيح من أولئك، حتىٰ قال لهم بعض الناس: أنا أعرفه. فعرفوه.

وقول من قال: «معنىٰ الكلام ما قتلوه علمًا بل ظنًّا» قولٌ ضعيف.

الوجه الرّابع: أنه قال تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران: ٥٥].

فلو كان المرفوع هو اللَّاهوت لكان ربُّ العالمين قال لنفسه أو لكلمته: «إني أرفعك إلي».

وكذلك قوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء: ١٥٨] فالمسيح عندهم هو الله. ومن المعلوم أنه يمتنع رفعُ نفسِه إلىٰ نفْسِه.

وإذا قالوا: «هو الكلمة» فهم يقولون مع ذلك إنه الإله الخالق، لا يجعلونه بمنزلة التَّوراة والقرآن، ونحوِهما ممَّا هو[1] من كلام الله الذي قال[2] فيه: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] بل عندهم هو الله الخالق الرَّازق ربُّ العالمين، ورَفْعُ ربِّ العالمين إلىٰ ربِّ العالمين ممتنع.

الوجه الخامس: قوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [المائدة: ١١٧] دليلٌ علىٰ أنه بعد تَوْفِيَتِه لم يكن الرقيبُ عليهم إلا الله، دون المسيح، فإن قوله: ﴿كُنتَ أَنتَ﴾ يدل علىٰ الحصْر، كقوله: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ﴾ [الأنفال: ٣٢] ونحو ذلك، فعُلِم أن المسيح بعد تَوْفِيَتِه ليس رقيبًا علىٰ أتباعه، بل الله هو الرقيبُ المطَّلِع عليهم، المُحْصِي أعمالَهم المجازي عليها، والمسيحُ ليس برقيبٍ فلا يطَّلع علىٰ أعمالهم، ولا يحصيها ولا يجازيهم بها.

---

(١) «مما هو» ليست في (ل).

(٢) (ل): «قد يقال» بدل: «قال».

فصـل

قالوا: «وقد سمّاه الله أيضًا في هذا الكتاب خالقًا حيث قال: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْـَٔةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠].

فأشار بالخالق إلىٰ كلمة الله المتَّحدة في النَّاسوت المأخوذِ من مريم؛ لأنه كذا قال علىٰ لسان داود النَّبيِّ: «بكلمة الله خلقت السماوات والأرض[(١)]. ليس خالق إلا الله وكلمته وروحه».

وهذا ممَّا يوافق رأْينا واعتقادَنا في السَّيِّد المسيح لذكره؛ لأنه حيث قال: ويخلق لكم من الطِّين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله. أي: بإذن لاهوت الكلمة المتَّحدة في النَّاسوت».

والجواب: أن جميع ما يحتجُّون به من هذه الآيات وغيرِها فهو حجَّةٌ عليهم لا لهم.

وهكذا شأن جميع أهل الضَّلال إذا احتجُّوا بشيءٍ من كتب الله وكلام أنبيائِه، كان في نفس ما احتجُّوا به ما يدُلُّ علىٰ فساد قولهم، وذلك لعظمة كُتُبِ الله المُنَزَّلة، وما أَنْطَقَ به أنبياءَه؛ فإنه جعل ذلك هدًى وبيانًا للخلق، وشفاءً لما في الصدور، فلا بدَّ أن يكون في كلام الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين من الهدىٰ والبيان ما يفرِّق الله به بين الحقِّ والباطل، والصِّدق والكذب، لكنَّ الناس يُؤْتَوْنَ من قِبَل أنفسهم لا من قِبَلِ أنبياء الله تعالىٰ؛ إمَّا من كونهم لم يتدبَّروا القول الذي قالتْه الأنبياء حقَّ التَّدبر حتىٰ يفقهوه ويفهموه، وإمَّا من جهة أَخْذِهم ببعض الحقِّ دون بعض، مثل أن يؤمنوا ببعض ما أنزله الله

---

(١) تقدّم هذا النص (٢/ ٢٢٨، ٢٣٦).

دون بعض[1]، فَيَضِلُّون من جهة ما لم يؤمنوا به، كما قال تعالىٰ عن النَّصارىٰ[2]: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [المائدة: ١٤].

وإما من جهة نِسْبتهم إلىٰ الأنبياء ما لم يقولوه من أقوالٍ كُذِبتْ عليهم، ومن جهة ترجمة أقوالهم بغير ما تسْتَحِقُّه من التَّرجمة وتفسيرِها بغير ما تستحقُّه من التَّفسير الذي دلَّ عليه كلام الأنبياء صلوات الله وسلامُه عليهم أجمعين، فإنه يجب أن يُفَسَّرَ كلامُ المتكلِّم بعضُه ببعض، ويؤخذَ كلامُه هاهنا وهاهنا، وتُعْرفَ ما عادتُه يعنيه ويريدُه بذلك اللفظ إذا تكلَّم به، وتُعرف المعاني التي عُرِف أنه أرادها في موضعٍ آخر، فإذا عُرِف عُرْفُه وعادتُه في معانيه وألفاظه، كان هذا ممَّا يُستعان به علىٰ معرفة مراده.

وأما إذا استُعْمِل لفظُه في معنًى لم تَجْرِ عادته باستعماله فيه، وتُرِك استعماله في المعنىٰ الذي جرت عادته باستعماله فيه، وحُمِل كلامُه علىٰ خلاف المعنىٰ الذي قد عُرِف أنه يريده بذلك اللَّفظ بِجَعْل[3] كلامه متناقضًا، وتَرْكِ حَمْلِه[4] علىٰ ما يناسب سائر كلامه= كان ذلك تحريفًا لكلامه عن موضعه، وتبديلًا لمقاصده وكذبًا عليه.

---

(١) «مثل أن يؤمنوا ببعض ما أنزله الله دون بعض» ساقطة من (ل) لانتقال النظر.

(٢) (ع): «النبي» كذا.

(٣) (ل): «حتىٰ يجعل» بدل: «بجعل».

(٤) (د، ط.النيل): «ويترك كلامه»، (ع): «وينزل كلامه» بدل: «وترك حمله».

فهذا أصل من ضلَّ في تأويل[1] كلام الأنبياء على غير مرادهم، فإذا عُرِف هذا، فنقول:

الجواب عما ذكروه هنا من وجوه:

أحدها: أن الله لم يذكر عن المسيح خلقًا مطلقًا، ولا خلقًا عامًّا، كما ذكر عن نفسه ﷻ، فأول ما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ - ٥].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

فذَكر نفسه بأنه الخالق البارئ المصوِّر، ولم يصف قطُّ شيئًا من المخلوقات بهذا لا ملكًا ولا نبيًّا، وكذلك قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٢ - ٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠٠ - ١٠١].

ووصف نفسه بأنه ربُّ العالمين، وبأنه ملك يوم الدين، وأنه له الملك

---

(١) «تأويل» ساقطة من (ل).

وله الحمد، وأنه الحيُّ القيُّوم، لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم، وأنه علىٰ كل شيءٍ قدير، وبكل شيءٍ عليم، ونحو ذلك من خصائص الرُّبوبيَّة، ولم يصف شيئًا من مخلوقاته: لا ملكًا مقرَّبًا، ولا نبيًّا مرسلًا، بشيءٍ من الخصائص التي يختصُّ بها، التي وصف بها نفسه سبحانه.

وأما المسيح عليه السلام فقال فيه: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى﴾ [المائدة: ١١٠].

وقال المسيح عن نفسه: ﴿أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩] فلم يذكر إلا خلقَ شيءٍ معينٍ خاصٍّ بإذن الله، فكيف يكون هذا الخالقُ هو ذاك؟

الوجه الثاني: أنه خَلَقَ من الطِّين كهيئة الطَّير، والمراد به تصويرُه بصورة الطَّير، وهذا الخلق يقدر عليه عامَّةُ النَّاس، فإنه يمكن أحدُهم أن يصوِّر من الطِّين كهيئة الطَّير، وغيرِ الطَّير من الحيوانات، ولكنَّ هذا التَّصوير محرَّمٌ، بخلاف تصوير المسيح، فإن الله أذن له فيه.

والمعجزة أنه ينْفُخُ فيه الرُّوحَ فيصيرُ طيرًا بإذن الله عز وجل، ليس المعجزةُ مجردَ خَلْقِه من الطِّين، فإن هذا مشترك.

وقد لعن النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم المصوِّرين، وقال: «**إن أشَدَّ النَّاس عذابًا يوْمَ القِيامَةِ المُصَوِّرونَ**»(١). وفي «الصَّحيح»(٢) يقول النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالىٰ: «ومَنْ

---

(١) البخاري (٥٩٥٠) مسلم (٢١٠٩) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) البخاري (٧٥٥٩) مسلم (٢١١١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أظْلَمُ مِمَّن ذهَبَ يخْلُق كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذرَّة، فَلْيَخْلُقُوا شَعِيرَةً»[1].

الوجه الثالث: أن الله أخبر أن المسيح إنما فَعَل التَّصوير والنَّفخ بإذنه تعالىٰ، وأخبر المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه فعله بإذن الله، وأخبر الله أن هذا من نِعَمه التي أنعم بها علىٰ المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِيَ إِسْرَاءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩].

وقال تعالىٰ له: ﴿يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَاءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [المائدة: ١١٠].

وهذا كلُّه صريحٌ في أنه ليس هو الله، وإنما هو عبْدُ الله فَعَلَ ذلك بإذن الله، كما فعل مثل ذلك غيرُه من الأنبياء، وصريحٌ بأن الآذِن غيرُ المأذون له، والمعلِّم ليس هو المعلَّم، والمنعَم عليه وعلىٰ والدته ليس هو إيَّاه، كما ليس هو والدته.

الوجه الرابع: أنهم قالوا: أشار بالخالق إلىٰ كلمة الله المتَّحِدة في النَّاسوت. ثم قالوا في قوله: «بإذن الله» أي: بإذن الكلمة المتَّحدة في النَّاسوت.

وهذا يبُيِّن تناقُضَهم وافتراءَهم علىٰ القرآن؛ لأن الله أخبر في القرآن أن المسيح خَلق من الطِّين كهيئة الطَّيْر بإذن الله، ففرَّق بين المسيح وبين الله، وبيَّن أن الله هو الآذِن للمسيح، وهؤلاء زعموا أن مراده بذلك أن اللَّاهوتَ المتَّحِدَ

---

(١) «وفي الصحيح يقول... فليخلقوا شعيرة» مثبتة من (ل) وليست في باقي النسخ.

بناسوت المسيح هو الخالق وهو الآذِن، فجعلوا الخالق هو الآذن، وهو تفسيرٌ للقرآن بما يخالف صريح القرآن.

الوجه الخامس: أن اللَّاهوت إذا كان هو الخالق لم يَحْتَجْ إلىٰ أن يأذن لنفسه، فإنهم يقولون: «هو إلهٌ واحد، وهو الخالق» فكيف يحتاج أن يأذنَ لنفسه ويُنعِمَ علىٰ نفسه؟

الوجه السَّادس: أن الخالق إما أن يكون هو الذَّاتُ الموصوفة بالكلام، أو الكلام الذي هو صفةٌ للذَّات، فإن كان هو الكلام فالكلام صفةٌ لا تكون ذاتًا قائمةً بنفسها خالقةً ولو لم تتَّحد بالنَّاسوت، واتحادُها بالنَّاسوت دون الموصوف ممتنعٌ لو كان الاتِّحاد ممكنًا، فكيف وهو ممتنع؟

فقد تبين امتناعُ كونِ الكلمةِ تكونُ خالقةً من وجوه.

وإن كان الخالق هو الذَّات المتَّصفةُ بالكلام، فذاك هو الله الخالق لكلِّ شيءٍ ربِّ العالمين، وعندهم هو الأب، والمسيح عندهم ليس هو الأب، فلا يكون هو الخالق لكلِّ شيء، والقرآن يبيِّن أن الله هو الذي أذِن للمسيح حتىٰ خَلق من الطِّين كهيئة الطَّيْر، فتبيَّن أن الذي خَلق من الطِّين كهيئة الطير ليس هو الله ولا صفةٌ من صفاته، فليس المسيح هو الله ولا ابنٌ قديمٌ أزليٌّ لله، ولكن عبْدُه فَعَلَ بإذنه.

الوجه السّابع: «قولهم: فأشار بالخالق إلىٰ كلمة الله المتَّحدة في النَّاسوت المأخوذ من مريم، لأنه كذا قال علىٰ لسان داود النَّبيِّ: بكلمة الله خُلِقت السماوات والأرض».

يقال لهم: هذا النصُّ عن داود حجَّةٌ عليكم، كما أن التَّوراة والقرآن وسائر ما ثبت عن الأنبياء حجَّةٌ عليكم، فإن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «بكلمة الله خُلِقت

السَّماوات والأرض» ولم يقل: إن كلمة الله هي الخالقة. كما قلتم أنتم أنه أشار بالخالق إلىٰ كلمة الله.

والفرق بين الخالق للسَّماوات والأرض، وبين الكلمة التي بها خُلِقت السَّماوات والأرض أمرٌ ظاهرٌ معروف، كالفرق بين القادر والقُدْرة، فإن القادر هو الخالق وقد خلق الأشياء بقدرته، وليست القدرة هي الخالقة، وكذلك الفرق بين المريد والإرادة، فإن الله خلق الأشياء بمشيئته، وليست مشيئته هي الخالقة.

وكذلك الدُّعاء والعبادة هو للإله الخالق، لا لشيءٍ من صفاته، فالنَّاس كلُّهم يقولون: يا الله يا ربَّنا يا خالقنا، ارحمنا واغفر لنا، ولا يقول أحد: يا كلام الله اغفر لنا وارحمنا، ولا يا قدرة الله، و يا مشيئة الله، و يا عِلْمَ الله اغفر لنا وارحمنا، والله تعالىٰ يخلق بقدرته ومشيئته وكلامه، وليست صفاته هي الخالقة.

الوجه الثامن: أن قول داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بكلمة الله خُلِقت السَّماوات والأرض» يوافق ما جاء في القرآن والتَّوراة وغير ذلك من كتب الأنبياء أن الله يقول للشيء: «كن» فيكون، وهذا في القرآن في غير موضع، وفي التَّوراة قال الله: «ليكن كذا ليكن كذا».

الوجه التاسع: قولهم: «لأنه ليس خالقٌ إلا اللهُ وكلمتُه وروحُه»

إن أرادوا بكلمته: كلامَه، وبروحِه حياتَه، فهذه من صفات الله كعلمه وقدرته، فلم يعبِّر أحدٌ من الأنبياء عن حياة الله بأنها روح الله، فمن حَمَلَ كلام أحدٍ من الأنبياء بلفظ «الروح» أنه يُرَاد به حياةُ الله فقد كذب عليه.

ثم يقال: هذه كلامه وحياته من صفات الله كعلْمه وقدرته، وحينئذٍ فالخالق هو الله وحده، وصفاته داخلةٌ في مسمَّىٰ اسمه لا يُحْتَاجُ أن تُجْعَل معطوفةً علىٰ اسمه بواو التَّشْريك التي تُؤْذِنُ أن الله له شريكٌ في خلقه، فإن الله لا شريك له.

ولهذا لما قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] دخل كل ما سواه في مخلوقاته، ولم تدخل صفاته: كعِلْمِه وقدرتِه ومشيئتِه وكلامِه[١]؛ لأن هذه داخلةٌ في مسمَّىٰ اسمه، ليست أشياء مباينةً له، بل أسماؤه الحسنىٰ متناولةٌ لذاته المقدَّسة المتَّصفةِ بهذه الصفات، لا يجوز أن يرادَ بأسمائه ذاتًا مجرَّدةً عن صفات الكمال، فإن تلك لا حقيقةَ لها، ويمتنع وجود ذاتٍ مجرَّدةٍ عن صفةٍ فضلًا عن وجود ذاته تعالىٰ مجردةً عن صفات كماله التي هي لازمةٌ لذاته، فيمتَنِع تحقُّق[٢] ذاته دونها، ولهذا لا يقال: الله وعلمه خلق، والله وقدرته خلق.

وإن أرادوا بكلمته وروحه المسيح، أو شيئًا اتَّحد بناسوت المسيح، فالمسيح عليه السلام كلُّه مخلوقٌ كسائر الرُّسل، والله وحده هو الخالق، وإن شئت قلت: إن أُرِيدَ بالرُّوح والكلمة ما هو صفةٌ لله، فتلك داخلةٌ في مسمَّىٰ اسمه، وإن أريد ما ليس بصفةٍ فذلك مخلوقٌ له كالنَّاسوت[٣].

---

(١) من هنا تبدأ نسخة (ح)، وهي نسخة «المتحف البريطاني».

(٢) «تحقق» مثبتة من (ل) وليست في سائر النسخ.

(٣) (ح) وقع تقديم وتأخير وسقط، فقد أتىٰ هنا بكلام سبق قريبًا، من قوله: «وكذلك الدعاء والعبادة... ليكن كذا ليكن كذا»، وفي الورقة التي تليها أتىٰ بكلام مقطوع من قوله: «يقال لهم هذا النص عن دواد... وليست القدرة هي الخالقة» وهو قبل الكلام الأول. ثم بعد ذلك أتىٰ بقوله: «الوجه التاسع... ومشيئته وكلامه»، ثم وقع سقط بمقدار ثلاث عشرة صفحة، إلىٰ قوله: «فصل: وأما قولهم وعلىٰ هذا المثال..» وهو مبتدأ المجلد الثالث.

الوجه العاشر: أن داود عليه السلام لا يجوز أن يريد بكلمة الله المسيح؛ لأن المسيح عند جميع الناس هو اسمٌ للنَّاسوت، وهو عندهم اسمٌ للَّاهوت والنَّاسوت لمَّا اتَّحدا، والاتِّحاد فِعْلٌ حادثٌ عندهم، فقبل الاتحاد لم يكن هناك ناسوتٌ ولا ما يسمَّىٰ مسيحًا، فعُلِم أن داود لم يُرِدْ بكلمة الله المسيح، ولكن غايتُهم أن يقولوا: أراد الكلمة التي اتَّحدت فيما بعدُ بالمسيح، لكنَّ الذي خلَق[1] بإذن الله هو المسيح، كما نطق به القرآن بقوله: ﴿يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾[2] [آل عمران: ٤٥].

فالكلمة التي ذكرها، وأنها هي التي بها خُلقت السماوات والأرض ليست هي المسيح الذي خَلَقَ من الطِّين كهيئة الطير بإذن الله، فاحتجاجُهم بهذا علىٰ هذا احتجاجٌ باطل، بل تلك الكلمة التي بها خُلقت السَّماوات والأرض لم يكن معها ناسوتٌ حين خُلِقت باتِّفاق الأمم، والمسيح لا بدَّ أن يدخل فيه النَّاسوت، فعلم أنه لم يُرد بالكلمة المسيح[3].

---

(١) بعدها في (ل): «الطير».
(٢) «كما نطق به القرآن... ومن المقربين» ساقطة من (ح).
(٣) هنا نهاية النسخة «النعمانية» المشار إليها بـ (ع).

فصل

قالوا: «وقال أيضًا في موضعٍ آخر: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩]. فأعنىٰ بقوله: مثل آدم[١] إشارةً إلىٰ الناسوت المأخوذ[٢] من مريمَ الطَّاهرة؛ لأنه لم يَذْكُر هاهنا اسم المسيح إلا ذكر عيسىٰ فقط.

وكما أن آدم خُلِق من غير جماعٍ ولا[٣] مباضَعَة، فكذلك جسد[٤] السَّيِّدِ المسيح خُلِقَ من غير جماعٍ ومباضَعَة، وكما أن جسد آدم ذاق الموت، فكذلك جسد المسيح ذاق الموت.

وقد يُبَرْهَنُ بقوله: رأينا أيضًا قائلًا: إن الله ألقىٰ كلمته إلىٰ مريم، وذلك حسب قولنا معشر النَّصارىٰ: إن كلمة الله الأزليَّةَ الخالقة حلَّت في مريم، وتجسَّدت بإنسانٍ كامل، وعلىٰ هذا المثال نقول: في السَّيِّد المسيح طبيعتان: طبيعةٌ لاهوتيَّة: التي هي طبيعةُ كلمةِ الله وروحِه، وطبيعةٌ ناسوتيَّة: التي أخذت من مريم العذراء واتحدت به، ولِما تقدم به القول من الله تعالىٰ علىٰ لسان موسىٰ النَّبيِّ إذ يقول: «أليس هذا الأبُ الذي خلقك وبراك واقتناك».

قيل: وعلىٰ لسان داود النَّبيِّ «روحك القدس لا تُنزع مني» وأيضًا علىٰ لسان داود النبي: «بكلمة الله تشدَّدت السَّماوات، وبروح فاه جميع فواهن».

وليس يدل هذا القول علىٰ ثلاثة خالقين، بل خالق واحد: الأب ونطقه:

---

(١) (المطبوعتان): «عيسىٰ».

(٢) (المطبوعتان): «البشرية المأخوذة».

(٣) «لا» ليست في (د، ط.النيل).

(٤) (ل): «حينئذ».

أي كلمته(١). وروحه: أي حياته.

والجواب من وجوه:

أحدها: أن قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] كلامٌ حقٌّ؛ فإنه سبحانه خلق هذا النوع البشريَّ علىٰ الأقسام الممكنة؛ ليبيّن عمومَ قدرتِه، فَخَلَق آدم من غير ذكرٍ ولا أنثىٰ، وخلق زوجته حواءَ من ذكرٍ بلا أنثىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١] وخَلَقَ المسيح من أنثىٰ بلا ذكر، وخلق سائر الخلق من ذكرٍ وأنثىٰ، وكان خَلْقُ آدم وحواء أعجبَ من خلق المسيح، فإن حواء خُلِقت من ضِلَعِ آدم، وهذا أعجب من خلق المسيح في بطن مريم، وخَلْقُ آدم أعجبُ من هذا وهذا، وهو أصل خَلْق حواء.

فلهذا شبَّهه الله بخلق آدم الذي هو أعجب من خلق المسيح، فإذا كان سبحانه قادرًا أن يخلقه من تراب، والتراب ليس من جنس بدن الإنسان، أفلا يقدر أن يَخْلُقه من امرأةٍ هي من جنس بدن الإنسان؟ وهو سبحانه خَلَقَ آدم من تراب، ثم قال له: «كن» فيكون، لمَّا نفخ فيه من روحه، فكذلك المسيح نفخ فيه من روحه وقال له: «كن» فيكون، ولم يكن آدم بما نفخ فيه من روحه لاهوتًا وناسوتًا، بل كلُّه ناسوت، فكذلك المسيح كلُّه ناسوت، والله تبارك وتعالى ذكر هذه الآية في ضمن الآيات التي أنزلها في شأن النصارىٰ، لما قدم علىٰ النبي ﷺ «نصارىٰ نجران»(٢) وناظروه في المسيح، وأنزل الله فيه ما أنزل، فبيَّن فيه قول الحق الذي

---

(١) (د): «وكلمته أي: نطقه» بدل: «ونطقه أي: كلمته».

(٢) تقدّم ذكر خبر «نصارىٰ نجران» (١/ ٨٥)، وانظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٥٧٣).

اختلفت فيه اليهود والنصارىٰ، فكذَّب الله الطائفتين: هؤلاء في غلوهم فيه، وهؤلاء في ذمهم له.

وقال عقب هذه الآية: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦١ - ٦٤].

وقد امتثل النبيُّ ﷺ قولَ الله فدعاهم إلىٰ المباهلة، فعرفوا أنهم إن باهلوه أنزل الله عليهم لعنته، فأقرُّوا بالجزية وهم صاغرون، ثم كتب النَّبيُّ ﷺ إلىٰ هرقل ملك الروم بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٦٤] إلىٰ آخرها(١).

وكان أحيانًا يقرأ بها في الرَّكْعَةِ الثَّانيةِ من ركعتَي الفجر، ويقرأ في الأولىٰ بقوله:

﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾(٢) [البقرة: ١٣٦].

وهذا كله يبيِّن به(٣) أن المسيح عبدٌ ليس بإله، وأنه مخلوقٌ كما خلق آدم،

---

(١) البخاري (٧) مسلم (١٧٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) حديث القراءة في ركعتي الفجر أخرجه مسلم (٧٢٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) «به» ساقطة من (ل).

وقد أمر أن يباهِل من قال: إنه إله، فيدعو كلٌّ من المتباهلين أبناءَه ونساءه وقريبه المختصَّ به، ثم يبتهلُ هؤلاء وهؤلاء ويدعون الله أن يجعل لعنته علىٰ الكاذبين، فإن كان النصارىٰ كاذبين في قولهم: هو الله، حقَّتْ اللعنة عليهم، وإن كان من قال: ليس هو الله بل عبد الله كاذبًا، حقَّتْ اللعنة عليه، وهذا إنصافٌ من صاحب يقينٍ، يعلم أنه علىٰ الحق.

والنصارىٰ لمَّا لم يعلموا أنهم علىٰ الحقِّ نكلوا عن المباهلة، وقد قال عقب ذلك: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٦٢] تكذيبًا للنصارىٰ الذين يقولون: هو إلهٌ حقٌّ من إلهٍ حقٍّ، فكيف يقال: إنه أراد أن المسيح فيه لاهوت وناسوت، وأن هذا هو الناسوت فقط دون اللاهوت؟

وبهذا ظهر الجواب عن قولهم: قال في موضعٍ آخر: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩]، فأعنىٰ بقوله: عيسىٰ، أشار إلىٰ البشريَّةِ المأخوذة من مريم الطَّاهرة، لأنه لم يذكر[1] هاهنا اسم المسيح إلا ذكر عيسىٰ فقط.

فإنه يقال: عيسىٰ هو المسيح، بدليل أنه قال: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [المائدة: ٧٥]. فأخبر أنه ليس المسيح إلا رسول، ليس هو بإله، وأنه ابن مريم، والذي هو ابن مريم هو الناسوت، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا

(١) بعدها في (د، ط.النيل): «الناسوت».

﴿١٧١﴾ لَن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء:١٧١- ١٧٢]

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠]

وقال تعالىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ١٧].

الوجه الثاني: أن ما ذكروه من موته قد بيَّنَّا أن الله لم يذكر ذلك، وأن المسيح لم يمُت بعد(١)، وما ذكروه من أنه صُلب ناسوتُه دون لاهوته باطلٌ من وجهين: فإن ناسوته لم يُصْلب، وليس فيه لاهوت، وهم ذكروا ذلك(٢) دعوىٰ مجردة فيكتفىٰ في مقابلتها بالمنع.

لكن نقول في الوجه الثالث: إنهم في اتِّحاد اللَّاهوت بالنَّاسوت يشبهونه تارةً باتحاد الماء باللبن، وهذا تشبيهُ اليعقوبيَّة، وتارةً باتِّحاد النَّار بالحديد أو النفس بالجسم، وهذا تشبيه الملكانيَّة وغيرهم.

ومعلوم أنه لا يصل إلىٰ الماء شيءٌ إلا وصل إلىٰ اللَّبن، فإنه لا يتميَّز أحدُهما عن الآخر، وكذلك النار التي في الحديد؛ متىٰ طرق الحديد أو بصق عليه لحق ذلك بالنار التي فيه، والبدن إذا ضُرب وعُذِّبَ لحق ألمُ الضَّرب

---

(١) «بعد» ليست في (ل).

(٢) «ذلك» ليست في (ل).

والعذاب للنَّفس، فكان حقيقةُ تمثيلهم يقتضي أن اللَّاهوت أصابه ما أصاب النَّاسوت من إهانة اليهود، وتعذيبهم له، وإيلامهم[1] له، والصَّلب الذي ادَّعوه، وهذا لازمٌ علىٰ القول بالاتِّحاد؛ فإن الاتِّحاد لو كان ما يصيب أحدَهما لا يَشْركه الآخَرُ فيه لم يكن هنا اتحادٌ، بل تعدُّد.

الرَّابع: أن هؤلاء الضُّلَّالَ لم يكفهم أنْ جعلوا إلهَ السَّماوات والأرض متَّحِدًا ببشرٍ في جوف امرأة، وجعلوه له مَسْكَنًا، ثم جعلوا أَخابِث خلق الله أمسكوه وبصقوا في وجهه، ووضعوا الشَّوك علىٰ رأسه، وصلبوه بين لِصَّيْنِ، وهو في ذلك يستغيث بالله، ويقول: «إلهي إلهي لم تركْتَنِي» وهم يقولون: الذي كان يسمع الناس كلامَه هو اللَّاهوت، كما سمع موسىٰ كلام الله من الشَّجرة، ويقولون: «هما شخصٌ واحد» ويقول بعضهم: «هما[2] مشيئةٌ واحدة، وطبيعةٌ واحدة».

والكلام إنما يكون بمشيئة المتكلِّم، فيلزم أن يكون المتكلِّم الدَّاعي المستغيث المصلوب هو اللَّاهوت، وهو المستغيث المتضرِّع، وهو المستغاث به. وأيضًا فهم يقولون: إن اللَّاهوت والنَّاسوت شخصٌ واحد، فمع القول بأنهما شخصٌ واحد، إما أن يكون مستغيثًا، وإما أن يكون مسْتَغاثًا به، وإما أن يكون داعيًا، وإما أن يكون مدعوًّا، فإذا قالوا: إن الدَّاعي هو غيرُ[3] المدعُوّ، لزم أن يكونا اثنين لا واحدًا، وإذا قالوا: هما واحدٌ فالدَّاعي هو المدعُوُّ.

الوجه الخامس: أن يقال: لا يخلو إما أن يقولوا: إن اللَّاهوت كان قادرًا علىٰ دفعهم عن ناسوته، وإما أن يقولوا: لم يكن قادرًا، فإن قالوا لم يكن قادرًا

---

(١) (د، ط.النيل): «وإتلافهم».

(٢) (المطبوعتان): «لهما».

(٣) (د): «عبد» كذا.

لزم أن يكون أولئك اليهود أقدرَ من ربِّ العالمين، وأن يكون ربُّ العالمين مقهورًا مأسورًا مع قومٍ من شرارِ اليهود، وهذا من أعظم الكفر والتنقُّص بربِّ العالمين، وهذا أعظم من قولهم: إن لله ولدًا، وإنه بخيل، وإنه فقير، ونحوَ ذلك مما يَسُبُّ الكفارُ به[1] ربَّ العالمين.

وإن قالوا: كان قادرًا؛ فإن كان ذلك من عُدوان الكفار علىٰ ناسوته وهو كارهٌ لذلك، فسُنَّةُ الله في مثل ذلك نَصْرُ رُسُلِه المستغيثين به، فكيف لم يُغِثْ ناسوتَه المستصرخَ به، وهذا بخلاف من قُتِلَ من النَّبيِّين وهو صابر، فإن أولئك صبروا حتىٰ قُتِلوا شهداء، والنَّاسوت عندهم استغاث وقال: «إلهي إلهي لماذا تركتني؟».

وإن كان هو قد فَعَل ذلك مكْرًا، كما يزعمون أنه مَكَرَ بالشَّيطان وأخفىٰ نفسه حتىٰ يأخذه بوجهِ حقّ، فناسوتُه أعلمُ بذلك من جميع الخلق، فكان الواجب أن لا يجزع[2] ولا يَهْرُب؛ لما في ذلك من الحكمة، وهم يذكرون من جَزَعِ النَّاسوت وهربه ودعائه ما يقتضي أنَّ كلَّ ما جرىٰ عليه كان بغير اختياره.

ويقول بعضهم: «مشيئتهما واحدة»؛ فكيف شاء ذلك وهرب ممَّا يكرهه الناسوت، بل لو يشاء اللَّاهوت ما يكرهه كانا متباينين، وقد اتفقا علىٰ المكر بالعدوّ، ولم يجزع النَّاسوت، كما جرىٰ ليوسف مع أخيه لمَّا وافقه علىٰ أنه يجعل الصُّواع في رحله، ويُظهِرُ أنه سارق، لم يجزع أخوه لما ظهر الصُّواع في رحله كما جزع إخوته حيث لم يعلموا، وكثيرٌ من الشُّطَّار[3] العيَّارين[4]

---

(١) (د): «ينسب به الكفار».

(٢) (ل): «يخرج».

(٣) الشطَّار: جمع شاطر: وهو: الذي أعيىٰ أهله ومؤدِّبهُ خبثا. «العين» (٦/ ٢٤٣).

(٤) يقال: غلامٌ عيَّار: نشيطٌ في المعاصي. والعرب تمدح وتذمُّ به. «تاج العروس» (١٣/ ١٧٧).

يُمسكون ويُصلبون وهم ثابتون صابرون، فما بال هذا يجزع الجزع العظيم الذي يصفون به المسيح، وهو يقتضي غاية النقص العظيم مع دعواهم فيه الإلهية.

الوجه السَّادس: قولهم: «إنه كلمته وروحه» تناقضٌ منهم؛ لأنه عندهم أقنوم الكلمة فقط، لا أقنوم الحياة[1].

الوجه السَّابع: قولهم: «وقد بَرْهَنَ بقوله رأينا أيضًا في موضعٍ آخر قائلًا: إن الله ألقىٰ كلمته إلىٰ مريم، وذلك حسب قولنا معشر النصارىٰ: إن كلمة الله الخالقة الأزليَّةَ حلَّت في مريم واتحدت بإنسانٍ كامل».

فيقال: أما قول الله في القرآن فهو حقّ، ولكن ضللتم في تأويله كما ضللتم في تأويل غيره من كلام الأنبياء، وما بلّغوه عن الله، وذلك أن الله تعالىٰ قال: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٥ - ٤٧].

ففي هذا الكلام وجوهٌ تُبيِّن أنه مخلوق، ليس هو ما يقوله النصارىٰ، منها أنه قال: ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ وقوله: ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ نكرةٌ في الإثبات تقتضي أنه كلمة من كلمات الله، ليس هو كلامه كله كما يقوله النصارىٰ.

ومنها: أنه يبيِّن مراده بقوله: ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾، وأنه مخلوقٌ حيث قال: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران: ٤٧]، كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن

---

(١) «الوجه السادس... لا أقنوم الحياة» ساقطة من (ل) وقد ألحقت في هامش (د).

تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] وقال تعالىٰ في سورة كهيعص: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٤ - ٣٥].

فهذه ثلاثُ آياتٍ في القرآن تبيِّن أنه قال له: «كن» فيكون. وهذا تفسير كونه كلمةً منه.

وقال ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥] أخبر أنه ابن مريم، وأخبر أنه وجيهٌ في الدنيا والآخرة، ومن المقرَّبين، وهذه كلها صفة مخلوق، والله تعالىٰ وكلامه الذي هو صفته لا يقال فيه شيءٌ من ذلك.

وقالت مريم: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ﴾، فبيَّن أن المسيح الذي هو الكلمة هو ولد مريم، لا ولد الله سبحانه وتعالى.

وقال في سورة النساء: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٧١ - ١٧٣].

فقد نهىٰ النصارىٰ عن الغلوِّ في دينهم، وأن يقولوا علىٰ الله غير الحق،

وبيَّن أن المسيح عيسىٰ ابن مريم رسول الله، وكلمته[1]، وروحٌ منه، وأمرهم أن يؤمنوا بالله ورسله، فبيَّن أنه رسوله، ونهاهم أن يقولوا ثلاثة، وقال: ﴿ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ وهذا تكذيبٌ لقولهم في المسيح أنه[2] إلهٌ حقٌّ من إلهٍ حقّ، من جوهر أبيه.

ثم قال: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾ فنزَّه نفسه وعظَّمها أن يكون له ولد، كما تقوله النصارىٰ. ثم قال: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فأخبر أن ذلك ملكٌ له، ليس فيه شيءٌ من ذاته.

ثم قال: ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ أي: لن يستنكفوا أن يكونوا عبيدًا لله تبارك وتعالى.

فمع هذا البيان الواضح الجليِّ هل يظن ظانٌّ أن مراده بقوله: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ﴾ أنه إلهٌ خالق؟ أو أنه صفةٌ لله قائمةٌ به؟ وأن قوله: ﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾ المراد به أنه حياته، أو روحٌ منفصلةٌ من ذاته؟

ثم نقول أيضًا: أما قوله: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ﴾، فقد بيَّن مراده أنه خلقه بـ (كن)، وفي لغة العرب التي نزل بها القرآن أن يُسمَّىٰ المفعول باسم المصدر، فيُسمَّىٰ المخلوق خلقًا لقوله: هذا خلق الله، ويقال: دِرْهَمٌ ضَرْبُ الأَمِيرِ، أي: مضروب الأمير، ولهذا يُسَمَّىٰ المأمور به أمرًا، والمقدور قدرة و[3]قدرًا، والمعلوم علمًا، والمرحوم به رحمة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

---

(١) بعدها في (المطبوعتين): «ألقاها إلىٰ مريم» زيادة ليست في الأصول.

(٢) «أنه» ساقطة من (ل).

(٣) «قدرة و» ليست في (ل).

وقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ [النحل: ١] وقال النبي ﷺ: «**يقُولُ الله للجَنَّة: أنْتِ رحْمَتِي، أرْحَمُ بكِ منْ أشَاءُ مِنْ عِبَادِي، ويَقُولُ للنَّارِ: أنْتِ عَذَابِي، أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أشَاءُ مِنْ عِبَادِي**». وقال: «**إن الله خَلقَ الرَّحْمةَ يوْمَ خلقَها مائةَ رحْمَة، أنْزَلَ مِنْها رَحْمَةً وَاحِدَةً فَبِها يَتَراحَمُ الخَلْقُ ويتَعَاطَفُونَ، وأمْسَكَ عِنْدهُ تِسْعَةً وتِسْعِينَ رَحْمَةً، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ جَمَعَ هَذِه إلىٰ تِلْكَ، فَرَحِمَ بِهَا الخَلْقَ**»(١).

ويقال للمطر والآيات: هذه قدرةٌ عظيمة، ويقال: غفر الله لك عِلْمَه فيك، أي: معْلُومَه، فتَسْمِيةُ المخْلُوقِ بالكلمةِ كلمةً من هذا الباب.

وقد ذكر الإمام أحمد في «الرد علىٰ الجهميَّة»(٢) وذكره غيرُه: أن النصارىٰ والحلوليَّة والجهميَّة المعطِّلة اعترضوا علىٰ أهل السُّنة، فقالت النَّصارىٰ: القرآن كلام الله غير مخلوق، والمسيح كلمة الله فهو(٣) غير مخلوق، وقالت الجهميَّة: المسيح كلمة الله وهو مخلوق، والقرآن كلام الله فيكون مخلوقًا.

وأجاب أحمد وغيره: بأن المسيح نفسه ليس هو كلامًا، فإن المسيح إنسانٌ وبشرٌ ومولودٌ من امرأة، وكلام الله ليس بإنسانٍ ولا بشرٍ ولا مولودٍ من امرأة، ولكنَّ المسيحَ خُلِقَ بالكلام، وأما القرآن فهو نفسه كلام الله، فأين هذا من هذا؟

---

(١) تقدّم تخريج هذا الحديث والذي قبله (١/ ٣٦٢).

(٢) (ص١٢٥، ١٢٦).

(٣) (ل): «فيكون».

وقد قيل: أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء، وما من عاقل إذا سمع قوله تعالىٰ في المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه كلمته ألقاها إلىٰ مريم إلا يعلم أنه ليس المراد أن المسيح نفسه كلام الله، ولا أنه صفة لله ولا خالق.

ثم يقال للنَّصارىٰ: فلو قُدِّرَ أن المسيح نفْسُ الكلام، فالكلام ليس بخالق، فإن القرآن كلام الله وليس بخالق، والتَّوراةُ كلام الله وليست بخالقة، وكلمات الله كثيرةٌ وليس منها شيءٌ خالق، فلو كان المسيحُ نفسَ الكلام لم يَجُز أن يكون خالقًا، فكيف وليس هو الكلام، وإنما خُلِق بالكلمة، وخُصَّ باسم الكلمة؛ فإنه لم يُخْلَق علىٰ الوجه المعتاد الذي خُلِق عليه غيرُه، بل خرج عن العادة، فخُلِق بالكلمة من غير السُّنة المعروفة في البشر.

وقوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ لا يوجب أن يكون منفصلًا من ذات الله، كقوله تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] وقوله: تعالىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]

وقال تعالىٰ: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] وقال تعالىٰ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة: ١ - ٢]

فهذه الأشياء كلُّها من الله وهي مخلوقة، وأبلغ من ذلك روح الله التي أرسلها إلىٰ مريم، وهي مخلوقة، فالمسيح الذي هو روحٌ من تلك الرُّوح أولىٰ أن يكون مخلوقًا، قال تعالىٰ: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٧ - ١٩].

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢].

وقال: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]. فأخبر أنه نفخ في مريم من روحه، كما أخبر أنه نفخ في آدم من روحه، وقد بيَّن أنه أرسل إليها روحَه ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ﴾ [مريم: ١٧ - ٢٢]

فهذا الرُّوح الذي أرسله الله إليها ليهب لها غلامًا زكيًّا مخلوق، وهو روح القدس الذي خُلِق المسيح منه ومن مريم، فإذا كان الأصل مخلوقًا فكيف الفرع الذي حصل به؟

وقوله عن المسيح: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ خَصَّ المسيح بذلك لأنه نفخ في أمِّه من الرُّوح، فحَبَلَت به من ذلك النفخ، وذلك غير روحه التي يشاركه فيها سائر البشر، فامتاز بأن حبلت به من نفخ الرُّوح، فلهذا سُمِّي روحًا منه؛ ولهذا قال طائفةٌ من المفسِّرين(١): «روحٌ منه» أي: رسولٌ منه، سمَّاه باسم الرُّوح الرَّسول الذي نَفَخَ فيها، فكما يُسَمَّىٰ «كلمة»، يُسَمَّىٰ «روحًا»؛ لأنه كُوِّن بالكلمة، لا كما يُخْلَقُ الآدميّون غيره، ويُسَمَّىٰ «روحًا»؛ لأنه حبَلَت به أُمُّه بنفْخِ الرُّوح الذي نُفِخَ فيها، لم تحبل به من ذكرٍ كغيره من الآدميين، وعلىٰ هذا فيقال: لما خلق من

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٧٠٣)، «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٧٩).

نفخ الروح ومن مريم سُمِّي «روحًا» بخلاف سائر الآدميِّين، فإنه يُخْلَقُ من ذكرٍ وأنثىٰ، ثم يُنْفَخُ فيه الرُّوح بعد مضيِّ أربعةِ أشهر.

والنَّصارىٰ يقولون في أمانتهم: «تجسَّد من مريم ومن روح القدس». ولو اقتصروا علىٰ هذا، وفسَّروا روح القدس بالمَلَكِ الذي نَفَخَ فيها وهو روح الله، لكان هذا موافقًا لما أخبر الله به، لكنهم جعلوا «روح القدس» حياة الله وجعلوه ربًّا، وتناقضوا في ذلك، فإنه علىٰ هذا كان ينبغي فيه أقنومان: أقنوم الكلمة، وأقنوم الرُّوح، وهم يقولون: ليس فيه إلا أقنوم الكلمة، وكما يسمَّىٰ المسيح «كلمة»؛ لأنه خُلِقَ بالكلمة يسمَّىٰ «روحًا»؛ لأنه حلَّ به من الرُّوح.

فإن قيل: فقد قال في القرآن: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الأنعام: ١١٤]، وقال: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١].

وقد قال أئِمَّة المسلمين وجمهورُهم: القرآنُ كلام الله غيرُ مخلوقٍ، منه بدأ.

وقال في المسيح: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] قيل: هذا بمنزلة سائر المضاف إلىٰ الله إن كان عينًا قائمةً بنفسها، أو صفةً فيها كان مخلوقًا، وإن كان صفةً مضافةً إلىٰ الله كعلمه وكلامه ونحو ذلك، كان إضافة صفة، وكذلك ما كان(١) عينًا قائمةً أو صفةً قائمةً(٢) بغيرها كما في السَّماوات والأرض والنعم، والرُّوح الذي أرسله إلىٰ مريم، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [مريم: ١٩] كان مخلوقًا، وإن كان صفةً لا تقوم بنفسها، ولا يتَّصف بها المخلوق كالقرآن لم يكن مخلوقًا؛ فإن ذلك قائمٌ بالله، وما يقوم بالله لا يكون مخلوقًا.

---

(١) (ل، ط.النيل): «وكذلك ما منه إن كان» بدل: «وكذلك ما كان».

(٢) بعدها في (ط.النيل): «تعيّن» ولم تحرر في (د).

والمقصود هنا بيان بطلانِ احتجاج النَّصارىٰ، وأنه ليس لهم في ظاهر القرآن ولا باطنه حجَّة، كما ليس لهم حجَّةٌ في سائر كتب الله، وإنما تمسَّكوا بآياتٍ متشابهات، وتركوا المحكم، كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧] والآية نزلت في النَّصارىٰ، فهم مرادون من الآية قطعًا.

ثم قال: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] وفيها قولان وقراءتان، منهم من يقف عند قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ويقول: الرَّاسخون في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه، لا يعلمه إلا الله. ومنهم من لا يقف، بل يصل بذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧] ويقول: الرَّاسخون في العلم يعلمون تأويل المتشابه.

وكلا القولين مأثورٌ عن طائفةٍ من السَّلف[(١)]، وهؤلاء يقولون: قد يكون الحال من المعطوف دون المعطوف عليه كما في قوله تعالىٰ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠] أي: قائلين. وكلا القولين حقٌّ باعتبار؛ فإن لفظ «التأويل» يراد به التَّفسير، ومعرفة معانيه، والرَّاسخون في العلم يعلمون تفسير القرآن.

قال الحسن البصريّ: «لم يُنْزِل الله آيةً إلا وهو يحبُّ أن يعلم فيم نزلت، وماذا عنىٰ بها»[(٢)].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٢١٠).

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١/ ٨٦) بسنده عن الحسن، قال: «والله، ما أنزل الله آية إلّا وهو يحب أن نعلم فيم أنزلت، وما معناها».

وقد يعنىٰ بـ «التأويل»: ما استأثر الله بعلمه من كيفية ما أخبر به عن نفسه، وعن اليوم الآخر، ووقت السَّاعة، ونزول عيسىٰ، ونحوِ ذلك، فهذا التَّأويل لا يعلمه إلا الله.

وأما لفظ «التأويل» إذا أُرِيد به صرف اللَّفظ عن ظاهره إلىٰ ما يخالف ذلك لدليلٍ يقترن به، فلم يكن السَّلف يريدون بلفظ «التأويل» هذا، ولا هو معنىٰ «التأويلِ» في كتاب الله ﷻ.

ولكنَّ طائفةً من المتأخِّرين خَصُّوا لفظ «التأويل» بهذا، بل لفظ «التأويلِ» في كتاب الله يراد به ما يؤول إليه الكلام، وإن وافق ظاهره، كقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ [الأعراف: ٥٣].

ومنه تأويل الرؤيا، كقول يوسف الصديق: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠] وكقوله: ﴿إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ [يوسف: ٣٧] وقوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] وهذا مبسوطٌ في موضعٍ آخر(١).

والمقصود هنا أنه ليس للنَّصارىٰ حجَّةٌ لا في ظاهر النصوص ولا في باطنها، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] والكلمة عندهم هي جوهر، وهي ربٌّ لا يُخلق بها الخالق، بل هي الخالقة لكلِّ شيء، كما قالوا في كتابهم: «إن كلمة الله الخالقةَ الأزليَّةَ حلَّت في مريم».

والله تعالىٰ قد أخبر أنه سبحانه ألقاها إلىٰ مريم، والربُّ سبحانه هو الخالق، والكلمة التي ألقاها ليست خالقة، والخالق لا يلقيه شيء، بل هو يلقي غيرَه.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ١٦٥، ٤/ ٦٨).

وكلمات الله نوعان: كونيَّةٌ، ودِينيَّة.

فالكونيَّة: كقوله للشيء: «كن» فيكون.

والدِّينيَّة: أمرُه وشرعه التي جاءت به الرُّسل، وكذلك أمرُه وإرادته وإذنه[1] وإرساله وبعثه، ينقسم إلىٰ هذين القسمين.

وقد ذكر الله تعالىٰ إلقاء القول في غير هذا، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ [النحل: ٨٦ - ٨٧] وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]

وأما لقَّيْتُه القول ولقَّيته فتلقَّاه، فذاك إذا أردت أن تُحَفِّظَه، بخلاف ما إذا ألقيتَه إليه، فإن هذا يقوله فيما خاطبه به وإن لم يحفظه، كمن ألقيت إليه القول إنكم لكاذبون، وألقوا إليهم السَّلام، وليس هنا إلا خطابٌ سمعوه لم يحصل نفسُ صفةِ المتكلِّم في المخاطَب، فكذلك مريم إذا ألقىٰ الله كلمتَه إليها وهي قول: «كن»، لم يلزم أن تكون نفسُ صفته القائمةِ به حلَّت في مريم، كما لم يلزم أن تكون صفتُه القائمة به حلَّت في سائر من ألقىٰ إليه كلامَه، كما لا تحصل صفةُ كلِّ متكلِّمٍ فيمن يُلقَىٰ إليه كلامُه.

---

(١) «وإذنه» ليست في (ل).

فهرس موضوعات المجلد الثاني

الصفحة	الموضوع
٥	فصل: دعوىٰ أن القرآن صدَّق ما خالفوا به من شرائع المرسلين
١٠	فصل: اتصال الكلام في دعوىٰ أن القرآن أقرّ ما هم عليه من الباطل
١٤	فصل: ادعاؤهم بأن خبر محمد ﷺ يناقض خبر الأنبياء قبله
١٧	أهل الكتاب يطالَبون فيما يعارِضون به المسلمين بثلاث مقدّمات
٢٢	فصل: حجج الجمهور في المنع من كون الكتب المتقدمة لم يقع فيها تبديل
١٤	فصل: ليس مع النصارىٰ نقل ثابت بألفاظ الأناجيل
٣٢	فصل: إبطال نسبة القول للمسلمين بأن التبديل وقع بعد بعثة الرسول ﷺ
٣٤	الجواب عن قولهم: إن جميع الرسل كانوا في الجحيم في حبس الشيطان
٣٩	مقدار ما بُدِّلَ من ألفاظ التوارة والإنجيل
٥٣	بعض المعاني التي اتفقت عليها جميع الشرائع ولا نسخ فيها
٥٩	فصل: الرد من وجوه متعددة علىٰ تشبيه النصارىٰ كتبهم بالقرآن
٦٩	الفرق بين القرآن وبين الحكمة التي أنزلها الله علىٰ رسوله
٧٨	فصل: زعم النصارىٰ بأنه لا يمكن تغيير كتبهم التي كتبت باثنين وسبعين لسانًا
٨٢	فصل: عدم التبديل في التوراة بحجة نقلها عن عزير أو أن المسيح أقرها
٨٥	فصل: جواب من قال إن التغيير لبعض ألفاظ وقع بعد بعثة الرسول ﷺ
٨٧	الرد علىٰ النصارىٰ من وجهين في دعوىٰ عدم تغيير شيء من كتبهم
٩٢	فصل: ظهور الجواب من وجوه عمن ادعىٰ اتفاق ألفاظ نسخ أهل الكتاب
٩٥	فصل: استدلال النصارىٰ بالقرآن علىٰ باطلهم
١٠١	فصل: حكم القرآن بكفر اليهود والنصارىٰ
١٠٥	فصل: استدلال النصارىٰ بالقرآن علىٰ عدم محاجتهم

فصل: دعوة القرآن للإخلاص شاملة لأهل الكتاب وغيرهم ١١٠
فصل: أمر المؤمنين أن يقولوا الحق لتقوم به الحجة علىٰ المخالف ١١٥
فصل: دعوىٰ اتصاف اليهود بالظلم وبيان إلحادهم في تفسير القرآن ١١٦
فصل: ضوابط في الأخبار التي ينقلها أهل الكتاب عن الأنبياء ١٢٤
فصل: بيان أنواعٍ من كفر النصارىٰ وأن بعضه أعظم من كفر اليهود ١٢٥
فصل: اعتدال المسلمين بين طرفي ضلال اليهود والنصارىٰ ١٢٧
فصل: إبطال دعوىٰ النصارىٰ في أن القرآن نفىٰ عنهم اسم الشرك ١٣٢
فصل: الرد علىٰ النصارىٰ في استدلالهم بالقرآن علىٰ أنهم سواء كالمسلمين ١٤٢
فصل: دعوىٰ النصارىٰ بأن المائدة هي القربان المقدَّس ١٤٥
فصل: تعظيم الإسلام لحق المسيح عليه السلام ١٤٧
فصل: إلزام النصارىٰ فيما ينقلونه عن الأنبياء بأربع مقدمات ١٥٣
فصل: وجوب إقامة الدليل علىٰ ما تنازعت به الأمم من تفسير كتب الأنبياء ١٦٢
فصل: دعوىٰ النصارىٰ بأن محمدًا رسول الله لم يرسل إليهم ١٦٤
فصل: زعم النصارىٰ أن الرسول كان يشك هل المهتدي المسلم أم المشرك؟ ١٦٦
فصل: رسول الله لا يتعدىٰ حد الرسالة ولا يدعي المشاركة في الإلهية ١٦٨
فصل: من عجائب جهل النصارىٰ دعواهم بأنهم المعنيّون بالذين أنعم الله عليهم ١٧٣
بيان معنىٰ الصراط في لغة العرب ١٨٣
فصل: تعبير النصارىٰ عن التثليث بألفاظ لم يدل عليها عقل ولا شرع ١٨٥
المراد بلفظة «روح القدس» ١٩٥
الرد علىٰ قول النصارىٰ إنه لا يمكن حدوث الأشياء من ذواتها للتضاد ٢٠٠
فصل: الرب تعالىٰ موصوف بصفات الكمال ٢٠٥

فصل: طرق معرفة صفات الرب ٢١٠
فصل: بيان فساد مقصد النصارىٰ في اقتصارهم علىٰ ثلاثة أسماء ٢١٦
فصل: إبطال قول النصارىٰ إن المراد بالأب اللاهوت من خمسة أوجه ٢٢٨
فصل: الرد عليهم في بطلان ماذهبوا إليه في معنىٰ الروح ٢٣٣
فصل: اشتراك غير المسيح بنسبة روح القدس إليه يبطل مذهب النصارىٰ فيه ٢٣٤
فصل: احجاجهم بقوله: بكلمة الله تشددت السماوات والأرض ٢٣٦
فصل: دعواهم بأن روح الله تعني حياة الله ٢٣٩
فصل: لا حجة للنصارىٰ فيما ادعوه في (كلمة الله) ٢٤٢
فصل: استدلالهم علىٰ الأقانيم الثلاثة بما ينقلونه عن المسيح بالتعميد ٢٤٥
فصل: خلاصة القول أنه ليس للنصارىٰ فيما ادعوه مستند شرعي ولا عقلي ٢٤٩
فصل: زعم النصارىٰ بأن لهم في القرآن حجة علىٰ الأقانيم ٢٥٠
فصل: دعواهم بأن معنىٰ روح القدس حياة الله ٢٥٥
فصل: قوله: «وكلّم الله موسىٰ تكليما» حجة عليهم لا لهم ٢٥٨
فصل: قالوا: «فنفخنا فيه من روحنا» يعني حياته التي هي صفته ٢٥٩
فصل: كلام الله تعالىٰ منزل غير مخلوق منه بدأ ٢٦٠
فصل: قولهم إن الأقانيم صفات جوهرية تجري مجرىٰ الأسماء ٢٦٣
الرد علىٰ أصحاب أفلاطون فيما ما يسمونه بالمثل الأفلاطونية ٢٦٨
الرد علىٰ علىٰ المتفلسفة اليونان أتباع أرسطو «المشائين» ٢٧٢
فصل: قولهم: إن صفات الرب سبحانه قد تباينه وتنفصل عنه ٢٧٨
فصل: لو اجتمع عشرة نصارىٰ لتفرّقوا عن أحد عشر قولًا في التوحيد ٢٨٠
فصل: فساد قول النصارىٰ في التبعيض والتجزئة ٢٨١
الرد علىٰ النصارىٰ في معنىٰ الانبثاق ٢٨٥
فصل: اتحاد اللاهوت بالناسوت أمر ممتنع في صريح العقل والنقل ٢٨٨
الناس لهم في كلام الله عدة أقوال ٢٩٠
النصارىٰ قولهم باطل علىٰ كل قول ٢٩٢

الكلام علىٰ (الحجاب) في قوله تعالىٰ: «أو من وراء حجاب» ٢٩٧
المقصود من بيان النبي ﷺ العلامات الظاهرة للمسيح الدجال ٣٠٠
فصل: نقض دعواهم بأن الله ظهر في عيسىٰ ﷺ ٣٠٧
معنىٰ حديث: «من عادىٰ لي وليًّا فقد آذنته بالحرب» ٣١٠
قد يطلق لفظ الحلول والاتحاد ويراد بهما معنىٰ صحيح ٣١٧
فصل: دعواهم الحلول في ذات عيسىٰ عليه السلام والاتحاد به ٣٢٢
فصل: بعض المسائل التي لا ينازع المسلمون فيها النصارىٰ ٣٢٤
فصل: تقرير إتيان عيسىٰ عليه السلام وأنه حجة علىٰ اليهود ٣٢٥
فصل: احتجاجهم بقول أرميا النبي أن عيسىٰ هو الله ٣٢٧
فصل: نقض احتجاجهم علىٰ الحلول والاتحاد بقول أشعيا النبي ٣٣٠
فصل: استدلالهم بقول زكريا النبي علىٰ الحلول والاتحاد ٣٣٣
فصل: الرد علىٰ استدلالهم بقول عاموص النبي ٣٣٩
فصل: تابع لردود المصنف علىٰ إبطال ما يستدلون به علىٰ الحلول والاتحاد ٣٤٢
فصل: نقلهم عن ميخا النبي مستدلين به علىٰ الحلول والاتحاد ٣٤٥
كثير من اليهود والنصارىٰ يتنقصون من سليمان عليه السلام ويطعنون فيه ٣٥١
فصل: استدلال النصارىٰ بما نقلوه عن حبقوق وأرميا في الحلول والاتحاد ٣٥٥
حديث دخولِ جماعةٍ من الصحابة علىٰ المقوقس ٣٥٨
الكلام في المقصود من ظهور الله عز وجل ٣٦٢
فصل: استدلال النصارىٰ بما نقلوه عن حبقوق وأرميا في الحلول والاتحاد ٣٦٤
فصل: تابع لنقض استدلالهم علىٰ الحلول بما نقلوه عن أشعيا النبي ٣٦٧
فصل: تابع كذلك في نقض استدلالهم علىٰ الحلول بما نقلوه عن أشعيا النبي ٣٦٩
فصل: قالوا عن أشعيا: من أعجب الأعاجيب أن رب الملائكة سيولد من البشر ٣٧٢

فصل: استدلالهم علىٰ الحلول بأنه واقع بكثرة في كتب الله المنزلة ٣٧٤
فصل: كفر اليهود بالمسيح عليه السلام ٣٨٥
فصل: نقض دعواهم بأن السُّنَّةَ المختارة قد تسلموها من الرسل الأطهار ٣٩٠
فصل: استدلالهم علىٰ الأقانيم بأن الله قال: لنخلق خلقًا علىٰ شبهنا ومثالنا ٣٩٣
تنازع الناس في لفظ الشبه والمثل ٣٩٦
فصل: استدلالهم علىٰ ربوبية الابن بقوله: وأمطر الرب من عند الرب ٤٠١
فصل: تابع للرد عليهم في استدلالهم علىٰ ربوبية المسيح بقول دواد عليه السلام ٤٠٣
فصل: تابع للرد عليهم في استدلالهم علىٰ ربوبية المسيح عليه السلام ٤٠٥
فصل: استدلالهم علىٰ الثلاثة أقانيم بقول: أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب ٤٠٧
فصل: نقض استدلالهم بشهادة أشعيا بتحقق الثالوث ٤١٠
فصل: استدلالهم علىٰ التثليث بقولهم: قدوس قدوس قدوس ٤١٣
فصل: افتراء النصارىٰ علىٰ اليهود بأنهم كفروا من أجل إنكار الثالوث ٤١٥
فصل: ادعاؤهم التثليث اعتمادًا علىٰ ما زعموه من بيان واضح في كتب الأنبياء ٤١٦
فصل: إلزام النصارىٰ مما نفوه من القول بالتثليث وتعدد الآلهة ٤٢٢
تمثيل النصارىٰ صفات الله بصفات الشمس والنار والنفس ٤٣٢
فصل: احتجاج النصارىٰ بالقرآن علىٰ باطلهم ٤٣٧
أهل الملل متفقون علىٰ عصمة الرسل في البلاغ عن الله ٤٤٠
فصل: تفسيرهم لتجسم كلمة الله بالمسيح وأنه اتحاد بريء من الاختلاط وغيره ٤٤٦
فصل: نقض دعواهم في استدلالهم بالقرآن علىٰ اتحاد اللاهوت بالناسوت ٤٦٣
معنىٰ قوله تعالىٰ: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ٤٦٨

بيان معنىٰ التوفّي في لغة العرب	٤٧١
فصل: زعمهم بأن المسيح خالق لكون القرآن سماه خالقًا	٤٧٤
فصل: استدلالهم علىٰ الحلول بقوله: إن مثل عيسىٰ عند الله كمثل آدم	٤٨٣
ضلال النصارىٰ في تأويل إلقاء الله كلمته إلىٰ مريم	٤٩٠
معنىٰ قوله: «بروح منه»	٤٩٤
معنىٰ قوله تعالىٰ: «وما يعلم تأويله إلا الله» الآية	٤٩٧
فهرس موضوعات المجلد الثاني	٥٠١

الجواب الصحيح
لمن بدل دين المسيح

تأليف

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

(٦٦١ - ٧٢٨هـ)

تحقيق

د. إبراهيم بن محمد شبلي

إشراف

د. علي بن محمد العمران

المجلد الثالث

طبع برعاية

مؤسسة عبد اللطيف العيسى الخيرية



مركز التأصيل للدراسات والبحوث

Taseel Center for Studies & Research

راجع هذا المجلد

د. سُعُودُ بْنُ عَبْدِ ٱلعَزِيزِ ٱلعرِيْفِي

د. عَبْدُ ٱللهِ عَلِي سَـمَك

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن تيمية، احمد بن عبدالحليم

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. /احمد بن عبد الحليم ابن تيمية ؛ علي محمد العمران - جدة ، ١٤٤٠ هـ

٥ مج.

ردمك: ٧-٠-٩١٣١٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٨-٣-٩١٣١٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج٣)

١- الإسلام و النصرانية ٢- الديانات المقارنة أ-العمران ، علي محمد (محقق) ب.العنوان

ديوي ٢٩١ ١٤٤٠/١١٣١٧

رقم الإيداع: ١٤٤٠/١١٣١٧
ردمك: ٧-٠-٩١٣١٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٨-٣-٩١٣١٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج٣)

الطبعة الأولى
١٤٤١هـ - ٢٠١٩م



مركز التأصيل للدراسات والبحوث
Taseel Center for Studies & Research

جدة، شارع عبدالله السليمان، مقابل اكسترا
المملكة العربية السعودية

هاتف: 00966126288685
جوال: 00966596747896

الرمز البريدي: 22246، الرقم الإضافي: 6929
البريد الإلكتروني: sabban.taseel@gmail.com

الجواب الصحيح

لمن بدل دين المسيح

تأليف

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية
(٦٦١ ــ ٧٢٨هـ)

تحقيق

د. إبراهيم بن محمد شلبي

إشراف

د. علي بن محمد العمران

المجلد الثالث

طبع برعاية
يسر وإحسان
مؤسسة عبد اللطيف العيسى الخيرية

مركز التأصيل للدراسات والبحوث
Taseel Center for Studies & Research

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الأصول المعتمدة في تحقيق هذا الجزء

(د) نسـخة دار الكتـب المصـرية (نسـخة عتيقـة عليهـا خـط المصنف، ثم جرىٰ ترميمها وإكمال خرومها سنة ١٢٨١).

(ل) نسخة ليدن. (كتبت سنة ٧٣٠).

(ب) نسخة بودليان. كتبت في القرن التاسع احتمالا.

(ح) نسخة المتحف البريطاني. لعلها في القرن الثاني عشر.

(ف): نسخة الافتاء. كتبت سنة ١٢٧٦.

ط. النيل (الطبعة الأولىٰ للكتاب بمطبعة النيل بالقاهرة سنة ١٣٢٢).

فصل

وأما قولهم: وعلىٰ هذا المثال نقول: في السيد المسيح طبيعتان: طبيعةٌ لاهوتية: التي هي طبيعةُ كلمةِ الله وروحه. وطبيعةٌ ناسوتيّةٌ: الذي[(١)] أُخذ من مريم العذراء واتَّحد[(٢)] به.

فيقال لهم: كلام النصارىٰ في هذا الباب مضطرب مختلف[(٣)] متناقض[(٤)]، وليس لهم في ذلك قولٌ اتفقوا عليه، ولا قولٌ معقول، ولا قول دلَّ عليه كتاب، بل هم فيه فِرقٌ وطوائفُ[(٥)]، كلُّ فرقة تكفِّر الأخرىٰ، كاليعقوبية والمَلَكانيَّة والنُّسطوريّة، ونَقْل الأقوال عنهم في ذلك مضطربةٌ، كثيرةُ[(٦)] الاختلاف.

ولهذا يقال: لو[(٧)] اجتمع عشرة نصارىٰ لتفرّقوا علىٰ أحد عشر قولًا، وذلك أن ما هم عليه من اعتقادهم من[(٨)] التثليث والاتحاد، كما هو مذكورٌ في أمانتهم، لم يَنطِق به شيءٌ من كتب الأنبياء، ولا يوجد لا في كلام المسيح ولا الحواريين ولا أحدٍ من الأنبياء، ولكنْ عندهم في الكتب ألفاظٌ متشابهةٌ وألفاظٌ محكمةٌ يتنازعون في فهمها.

ثم القائلون منهم بالأمانة وهم عامّة النصارىٰ اليوم من المَلَكِيَّة[(٩)]

---

(١) (ح): «التي».

(٢) كذا في النسخ الخطية، وسيأتي بعد فصول: «أُخذت ... واتّحدت»، وكلاهما متجه.

(٣) «مختلفٌ» ليست في (ل).

(٤) (د): «مناقض».

(٥) (د): «طرائق».

(٦) كذا بالتأنيث في الأصول؛ خبرًا لـ(نَقْل) وهو مؤنث؛ اكتسب تأنيثه من المضاف إليه.

(٧) (ح، د): «إذا».

(٨) (ل): «في».

(٩) اختلفت النسخ بين «المَلَكِيَّة» و«المَلَكانيَّة» في جلِّ مواضعها، والتسميتان صحيحتان، وقد التزمت التسمية الأخيرة مالم تتفق الأصول علىٰ الأولىٰ، وتركت بيان الفَرْق بين النسخ في كل موضع تكررت فيه؛ إيثارًا للاختصار.

والنُّسطوريّة واليعقوبيّة مختلفون في تفسيرها، ونفس قولهم متناقض يمتنع تصوّره علىٰ الوجه الصحيح.

فلهذا صار كلٌّ منهم يقول ما يظن أنه أقرب من غيره، فمنهم من يراعي لفظ أمانتهم وإن صرَّح بالكفر الذي يَظهر فسادُه لكل أحد كاليعقوبية، ومنهم من يستر بعض ذلك كالنُّسطوريّة، وكثير منهم وهم المَلَكانيَّة بين هؤلاء وهؤلاء، ولما[1] ابتدعوا ما ابتدعوا[2] من التثليث والحلول، كان فيهم من يخالفهم في ذلك.

وقد يوجد نقل الناس لمقالاتهم مختلفة[3]، وذلك بحسب قول الطائفة التي يَنقل ذلك الناقلُ[4] قولَها، والقولُ الذي يحكيه كثير من نُظَّار المسلمين يوجد كثيرٌ منهم علىٰ خلافه، كما نقلوا عنهم[5] ما ذكره أبو المعالي وصاحبُه أبو القاسم الأنصاريُّ[6]، وغيرُهما[7]: أن القديم واحدٌ بالجوهر، ثلاثةٌ

---

(١) (ح): «وإنما»، ولا يلائمه السياق.

(٢) غُيِّرت في (ح): «ابتدعوه».

(٣) كذا في الأصول؛ حالٌ من «المقالات»، وفي المطبوعتين: «مختلفًا». وسيأتي تفصيل الاختلاف في كلام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٤) (ل): «القائل».

(٥) أي كما نقل نظَّار المسلمين عن النصارىٰ من أقوالٍ مخالفةٍ لما عليه جمهورُهم.

(٦) هو: سلمان بن ناصر بن عمران النيسابوري الفقيه، صاحِب إمام الحرمين، وشارح «الإرشاد» له، برع في الأصول والتفسير، وكان صالحًا زاهدًا. (ت٥١٢هـ).

ترجمته في: «تاريخ دمشق» (٢١/ ٤٧٦)، و«تاريخ الإسلام» (١١/ ١٩١)، و«طبقات الشافعية» (٧/ ٩٦).

ولإمام الحرمين كتابٌ في الردّ علىٰ النصارىٰ، سمّاه: «شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل»، ليست فيه الجُمَل المنقولة هنا، وهي في كتابه الآخر: «الإرشاد إلىٰ قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد»: (ص/ ٤٦ ـ ٥١)، وفي «الغُنية في الكلام»: (١/ ٤٤٥ ـ ٤٥٥) لتلميذه أبي القاسم الأنصاري.

(٧) كأبي الفتح الشهرستاني (ت٥٤٨هـ) في «الملل والنِّحَل»: (٢/ ٢٦)، وأبي الحسن الآمدي (ت٦٣١هـ) في «أبكار الأفكار»: (٢/ ٥٧).

بالأقنوم، وأنهم يعنون بالأقنوم: الوجود والحياة والعلم.

ونقلوا عنهم: أن الحياة والعلم ليسا بوصفَين زائدَين علىٰ الذات موجودَيْنِ، بل هما صفتان نفسيتان للجوهر.

قالوا: ولو مُثِّل مذهبُهم بمثالٍ لقيل: إن الأقانيم عندهم تُنزَّل منزلة الأحوال والصفات النفسية عند مثبتيها[1] من المسلمين[2]، فإن سواديَّة اللون ولونيَّته صفتان نفسيَّتان للعَرَض.

قال[3]: وربما يعبِّرون عن الأقانيم بالأب والابن[4] وروح القدس، فيعنون بالأب الوجود، وبالابن المسيح والكلمة[5]، وربما يُسَمُّوْن[6] العلم كلمة، والكلمةَ علمًا، ويُعبِّرون عن الحياة بالروح، قال: ولا يريدون بالكلمة الكلام، فإن الكلام عندهم من صفات الفعل، ولا يُسمُّون العلم قبل تَدَرُّعِه بالمسيح واتحاده به ابنًا، بل المسيح عندهم مع ما تدرَّع به ابنٌ.

قالوا: ومن مذهبهم أن الكلمة اتَّحدت بالمسيح وتدرَّعت بالناسوت، ثم اختلفوا[7] في معنىٰ الاتحاد، فمنهم من فسره بالاختلاط والامتزاج، وهذا مذهب طوائف من اليعقوبية والنُّسطوريّة والمَلَكانيَّة، قالوا: إن الكلمة خالطت

---

(١) (ل): «مثبتها».

(٢) وهم الأشاعرة. ويَعْنون بالصفة النفسية: الوصف الدال علىٰ نفس الذات، دون معنىٰ زائد عليه، وهي عندهم صفة الوجود. ويقابلها: الصفات الدالة علىٰ قدْر زائد علىٰ الوجود.
ينظر: «غاية المرام» للآمدي: (ص٢٧-٣٨)، و«المواقف» للإيجي: (١/ ٤٧٧).

(٣) أبو القاسم الأنصاري في: «الغنية»: (١/ ٤٤٧)، وغيره ممن حكىٰ مذهب النصارىٰ من نظّار المسلمين.

(٤) «والابن» ساقط من المطبوعة.

(٥) «والكلمة» ليست في (ل).

(٦) (د)، والمطبوعتان: «سمّوا»، والمثبت من (ل)، موافقًا لمصدر النقل.

(٧) (ل): «واختلفوا».

جسد المسيح ومازجته كما مازج الخمر اللبن أو الماء(١).

قالوا: وهذا مذهب الروم ومعظمهم المَلَكانيَّة، قالوا: فمازجت الكلمة جسدَ المسيح فصارت شيئًا واحدًا وصارت الكثرةُ قلة.

وذهبت طائفة من اليعاقبة إلىٰ أن الكلمة انقلبتْ لحمًا ودمًا.

قالوا(٢): وصارت شرذمة من كل صنف إلىٰ أن المراد بالاتحاد ظهور اللاهوت علىٰ الناسوت كظهور الصورة في المرآة، والنَّقْش في الخاتم.

ومنهم من قال: ظهور اللاهوت علىٰ الناسوت كاستواء الإله علىٰ العرش عند المسلمين.

وذهب كثير من هذه الطوائف إلىٰ أن المراد بالاتحاد الحلول.

قالوا: وقد اختلفوا أيضا في الجوهر والأقانيم، فذهبت اليعقوبية والنُّسطوريّة إلىٰ أن الجوهر ليس بغير الأقانيم، ولا يقال: إنه هي، وصرحت المَلَكانيَّة بأنه غير الأقانيم، وآخرون قالوا: هو الأقانيم.

قالوا: وافترقت النصارىٰ من وجه آخر، فذهبت الروم(٣) إلىٰ التصريح بإثبات ثلاثةِ آلهةٍ، وامتنعت اليعقوبية والنُّسطوريّة من ذلك في وجهٍ والتزموه من وجه، وذلك أنهم قالوا: الكلمة إلهٌ والروح إلهٌ والأب إلهٌ، والثلاثة الأقانيم التي كل أقنوم إله: إلهٌ(٤).

---

(١) المطبوعتان: «الماء أو اللبن»، خلاف الأصول.

(٢) أي: من نقل مذاهب طوائف النصارىٰ. وفي المطبوعتين «وقالوا»، خلاف النسخ.

(٣) وأكثرهم من المَلَكانيَّة، كما سبق في كلام المصنف. وانظر: «الملل والنِّحَل»؛ للشهرستاني: (٢/ ٢٧).

(٤) بعده في المطبوعتين: «واحدٌ»، وليس في الأصول.

قالوا: وذهبت شرذمةٌ من النصارىٰ إلىٰ أن عيسىٰ كان ابنًا لله علىٰ جهة[1] الكرامة، فكما اتخذ الله[2] إبراهيم خليلًا، كذلك اتخذ عيسىٰ ابنًا.

قالوا: وهؤلاء يقال لهم: «**الأريوسية**»[3].

فهذا نقل طائفة من نُظّار المسلمين، وهذا نقْلٌ[4] لمن قاله من النصارىٰ، وفيه ما هو مخالفٌ لصريح أمانتهم وما عليه جمهورهم، مثل قوله: «إنهم لا يسمُّون العلم قبل تدرّعه بالمسيح ابنًا، بل المسيح مع ما تدرَّع به ابنٌ»؛ فإن هذا خلافُ ما عليه فِرقُ النصارىٰ من[5] المَلَكانيَّة واليعقوبية والنُّسطوريّة، وخلاف ما تضمنته أمانتهم[6].

ونقلت طائفة أخرىٰ منهم أبو الحسن ابنُ الزاغوني[7] عنهم ما يوافق هذا

---

(١) (ح): «وَجْه».

(٢) اسم الجلالة ليس في (د، ح).

(٣) الأريوسية (Arianism): نسبة إلىٰ «أريوس»، وهو قسيس ليبيّ الأصل، ولد سنة (٢٨٠م) بليبيا، وعين قسيسًا سنة (٣١٢م)، ينفي بنوَّة المسيح، ويقول: مخلوق حادث، ولما دخل في صراع مع الأسقف (الكسندروس) هرب إلىٰ (نيقوميديا) في حماية الأسقف (يوسابيوس القيصري) وكتب منظومته (ثاليا)، ورسائل أخرىٰ، ثم حُكم عليه في مجمع أنطاكية (٣٢٤م) وفي مجمع نيقية (٣٢٥م) بالهرطقة، ونُفي بأمر (قسطنطين)، ثم استُدعي في (٣٣٤م) وألغي النّفي، مات فجأة (٣٣٦م). «الموسوعة الكونية»: (١/ ٦٦٠).

(٤) كذا في المخطوطات، وفي المطبوعتين: «قولٌ»!

(٥) «من» ليست في (ح).

(٦) هنا زيادة في المطبوعتين، ليست في عامة النسخ الخطية: «إذ صرَّحوا فيها بأن الكلمة ابنٌ قديمٌ أزليٌّ مولودٌ قبل الدهور، وهذا صفة اللاهوت عندهم. وفيها أشياء يقولها بعضُ النصارىٰ لا كلُّهم، وكذلك نَقْلهم عنهم أنهم لا يريدون بالكلمة الكلامَ، فإن الكلام عندهم صفةُ فعل، وهذا قولُ طائفة منهم ومن اليهود، وكثيرٌ منهم أو أكثرُهم يقولون: إن كلام الله غيرُ مخلوق، وينكرون علىٰ من يقول إنه مخلوق».

(٧) هو: علي بن عبيد الله بن نصر الزاغوني البغدادي، من بحور العلم، فقيه حنبليٌّ، أصوليٌّ، محدِّث، كثيرُ التصانيف (ت٥٢٧هـ). ينظر: «ميزان الاعتدال»: (٣/ ١٤٤)، و«الوافي بالوفيات»: (٢١/ ١٩٦)، و«المقصد الأرشد»: (٢/ ٢٣٢). =

من وجه دون وجه[1]، فقالوا: اتفقت طوائف النصارىٰ علىٰ أن الله ليس بجسم، واتفقوا علىٰ أنه جوهر واحدٌ ثلاثة أقانيم، وأن كل واحد من الأقانيم جوهرٌ خاصٌ يَجمعُها الجوهرُ العامّ.

ثم اختلفوا، فقال بعضهم: إن الأقانيم مختلفةٌ في الأقنومية، متفقةٌ في الجوهرية.

وقال آخرون: ليست مختلفةً في الأقنومية، بل متغايرة.

وقال فريق منهم: إن كل واحد منها لا هو الآخر ولا هو غيره، وليست متغايرة ولا مختلفة، وزعموا أن الجوهر ليس هو غيرها[2] إلا ما ذُكِر عن طائفة من المَلَكانيَّة، فإنهم قالوا: إن الأقانيم هي[3] الجوهر، وإن الجوهر[4] غيرُ الأقانيم، وزعموا أن الجوهر هو الأب، والأقانيم الحياة ـ وهي روح القدس ـ والقدرة، والعلم، وأن الله اتحد بأحد الأقانيم الذي هو الابن بعيسىٰ ابن مريم، وكان مسيحًا[5] عند الاتحاد، لاهوتا وناسوتا، حُمل، ووُلد، ونشأ، وقُتل، وصُلب، ودُفن.

= ونقول ابن الزاغوني في كتابه: «الإيضاح»: (ص/ ٢٣٥ ـ ٢٥٢)، وذكرها المصنف في «التسعينية»: (٣/ ٨٥١) وما بعدها.

(١) (د): «وهذا من وجه».

(٢) أي غير الأقانيم.

(٣) كذا في الأصول الخطية وعامة المطبوعات، ولعل صوابه: «غير»؛ لاستثنائه ممن نفىٰ الغيرية بين الجوهر والأقانيم، ولأن المغايرة بينهما مذهب المَلَكانيَّة كما في المصادر. ينظر: «الغُنية»: (١/ ٤٥٠).

(٤) «وإن الجوهر» ساقط من المطبوعة.

(٥) (ح): «شيخًا»، تصحيف.

واختلفوا[1] **فقالت النُّسطوريّة**: إن المسيح جوهران أقنومان قديم ومحدث، وأن اتحاده إنما هو بالمشيئة، وأن مشيئتهما واحدة وإن كانا جوهرين.

وقالت اليعقوبية: لما اتّحدا صار الجوهران ـ الجوهر القديم والجوهر المحدَث ـ جوهرًا واحدًا.

واختلفوا هاهنا فقال بعضهم: الجوهر المحدَث صار قديمًا، وزعم آخرون أنهما لما اتَّحدا صارا جوهرًا واحدًا قديمًا من وجهٍ محدثًا من وجهٍ آخر[2].

وقالت المَلَكانيَّة: إن المسيح جوهران أقنومٌ واحدٌ، وحُكي عن بعضهم أنه أقنومان جوهر واحد[3].

وقالت الأريوسية: إن الله ليس بجسم ولا أقانيم له، وإن المسيح لم يُصلب ولم يُقتل، وإنه نبي. وحُكي عن بعضهم أنه قال: المسيح ليس بابن الله، وحُكي عن بعضهم أنه ابن الله علىٰ التسمية والتقريب.

واختلفوا في الكلمة الملقاة إلىٰ مريم، فقالت طائفة منهم: إن الكلمة حلَّت في مريم حلولَ الممازجة، كما يحلُّ الماء في اللبن فيمازجه ويخالطه.

وقالت[4] **طائفة منهم**: إنها حلَّت في مريم من غير ممازجة، كما أن شخص الإنسان حلَّ[5] في المِرآة وفي الأجسام الصقيلة من غير ممازجة.

---

(١) في المطبوعتين زيادة: «أيضًا»، وليست في النسخ.
(٢) «آخر» ليس في (ح، د).
(٣) (ل): زيادة: «وحُكي عن بعضهم».
(٤) (ح، د): «فقالت».
(٥) كذا في عامة النسخ، وفي المطبوعتين: «يحلُّ».

وزعمت طائفة من النصارىٰ أن النّاسوت مع اللاهوت كمثل الخاتم مع الشمع، يؤثِّر فيه بالنقْش، ثم لا يبقىٰ منه شيءٌ إلا أَثَرُه.

قالت هذه الطائفة ـ أبو الحسن ابن الزاغوني ومن معه ـ[(١)]: **واختلفت النصارىٰ في الأقانيم** فقال قوم منهم: هي جواهر، وقال قوم: هي خواصّ، وقال قوم هي صفات، وقال قوم: هي أشخاص، والأب عندهم: الجوهر الجامع للأقانيم، والابن: هو الكلمة التي اتحدت عند مبدأ المسيح، والروحُ: هي الحياة، واجتمعوا علىٰ أن الاتَّحاد صفةُ فعل وليس بصفة ذات.

قالوا: واختلفوا كلهم[(٢)] **في الاتحاد اختلافًا متباينًا**، فزعم قوم منهم أن الاتحاد هو أن الكلمة التي هي الابن حلَّت جسدَ المسيح، وقيل: هذا قول الأكثرين منهم.

وزعم قوم منهم أن الاتحاد[(٣)]: هو الاختلاط والامتزاج.

وقال قوم من اليعقوبية: هو أن كلمة الله[(٤)] انقلبت لحمًا ودمًا بالاختلاط.

وقال كثيرٌ من اليعقوبية والنُّسطوريّة: الاتحاد هو أن الكلمة والناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط الماء بالخمر وامتزاجهما، وكذلك الخمر باللبن.

وقال قوم منهم: الاتحاد هو أن الكلمة والناسوت اتَّحدا فصارا هيكلًا واحدًا.

وقال قوم منهم: الاتّحاد مثلُ ظهور صورة الإنسان في المرآة، وكظهور الطابع في المطبوع، مثل الخاتم في الشمع.

---

(١) (ل): «قال أبو الحسن الزاغوني ومن معه»، وفي المطبوعتين هنا تخليطٌ بين النسخ!

(٢) «كلهم» ليس في (ل)، والمطبوعتان: «واختلف قولهم».

(٣) من قوله: «أن الكلمة ...» إلىٰ هنا ساقطٌ من (ح).

(٤) (ل): «أن الكلمة»، وبعدها في المطبوعة: «قد».

وقال قوم منهم: الكلمة اتحدت بجسد المسيح علىٰ معنىٰ أنها حلّتْه من غير مماسّة ولا[1] ممازجة، كما نقول: الله في السماء علىٰ العرش من غير مماسّة ولا ممازجة، وكما نقول: إن العقل جوهر حالٌّ في النفس من غير مخالطةٍ للنفس ولا مماسّة لها.

وقالت المَلْكانيَّة: الاتحاد أن الاثنين صارا واحدًا، وصارت الكثرة قلة.

وهذا الذي نقله عنهم أبو الحسن الزاغوني هو نحو ما نقله عنهم القاضي أبو بكر بن الطيب، والقاضي أبو يعلىٰ وغيرهما[2].

وقال أبو محمد بن حزم: «النصارىٰ فِرق: منهم أصحاب أريوس، وكان قسيسًا بالإسكندرية، ومن قوله: التوحيد المجرَّد، وأن عيسىٰ عبدٌ مخلوق، وأنه كلمةُ الله التي بها خلق السماواتِ والأرضَ، وكان في زمن قسطنطين الأول[3] باني القسطنطينية[4]، وأولِ من تنصّر من ملوك الروم، وكان علىٰ مذهب أريوس هذا.

---

(١) (ح): «أو». و«أريوس» تقدم التعريف به.

(٢) تقدمت ترجمة القاضيَيْن.

(٣) هو قسطنطين بن قسطس، «قسطنطين الأول» (Constantine the Great)، امبراطور روماني، عاش ما بين (٢٨٠م-٣٣٧م)، وملك (٣١) سنة، نصّبه الجنود بعد موت أبيه عليهم ملكا علىٰ إقليمٍ في (٣٠٦م)، ثم استقلّ بالحكم (٣٢٣م) بعد معاهدات وحروب، وبعد تحالفه مع «ليسينيوس» في (٣١٣م) أصدرا ما يُسمّىٰ «بمرسوم ميلانو» الذي يسمح للنصارىٰ بممارسة دينهم، فمكّن للنصرانية في الامبراطورية الرومانية، وسيأتي تفصيل ذلك في كلام المصنف قريبًا. «الموسوعة الكونية»: (٤/ ٥٨٨).

(٤) (Constantinople) وهي «بيزنطة» أو «بيزنطية» (Byzantium) قبل أن يتخذها قسطنطين الأكبر عاصمة جديدة لإمبراطوريته ويمنحها اسمه سنة (٣٣٠م)، وبقيت عاصمة للإمبراطورية الرومانية الشرقية (الإمبراطورية البيزنطية) (١١) قرنًا، حتىٰ فتحها محمد الثاني سنة (١٤٥٣م)، لتصبح عاصمة الدولة العثمانية، وهي «اسطنبول» حاليًا عاصمة «تركيا». «موسوعة الكون»: (٤/ ١٧١).

قال: ومنهم أصحاب «**بولس الشِّمْشاطي**»[1]، وكان بطرياركا[2] بأنطاكية قبل ظهور النصرانية، وكان قوله بالتوحيد المجرَّد الصحيح، وأن عيسىٰ عبدُ الله ورسولُه كأحد الأنبياء عليهم السلام، خلقه الله في بطن[3] مريم من غير ذَكر، وأنه إنسانٌ لا إلهيةَ فيه البتّة، وكان يقول: لا أدري ما الكلمة ولا روح[4] القدس.

قال: وكان منهم[5] أصحاب «**مَقْدُنْيُوس**»[6]، كان بطرياركًا بالقسطنطينية بعد ظهور النصرانية أيام «**قسطنطين بن قسطنطين**» باني القسطنطينية[7]، وكان

---

(١) بولس أو بولص الشِّمْشاطي أو السميساطي [بالسين من اليونانية، والشين من السريانية] هو: أسقف (أنطاكية) من (٢٦٠م) إلىٰ (٢٦٨م)، وعاش ما بين (٢٠٠م) و(٢٧٣م)، وهو في تاريخ النصرانية أهم ممثّلي هرطقة: (داينمك موناركيانيزم) (**Dynamic Monarchianism**) وتعني: (التوحيد الإعجازي)، الذي يؤكد فيه علىٰ وحدانية الله، وأن عيسىٰ عبدٌ مخلوق، ولذا لعنوا مقالته في اجتماع (أنطاكية) سنة (٢٦٨م)، وفي مجمع نيقية سنة (٣٢٥م). انظر: «الفصل»: (١/ ٤٧)، و«الموسوعة الكونية»: (١١/ ٢٤٠).

(٢) (د، ط النيل): «بطريازكًا» بالزاي. وهي في مطبوعة «الفَصْل»: بطريركيًا، خلاف أصوله الخطية! والبَطريارك والبَطْريك والبطرَيْرك: كلمة يونانية مكونة من شطرين، ترجمتها الحرفية: «الأب الرئيس»، ويطلق علىٰ رئيس رؤساء الأساقفة، علىٰ أقطار معينة أو في طائفة من الطوائف. «التنبيه والإشراف»: (ص/ ١٢٣)، «معجم اللغة العربية المعاصرة»: (١/ ٢١٧).

(٣) (ل): زيادة «أمّه»، وليست في «الفَصل» الذي صدر عنه المؤلف.

(٤) في المطبوعة: «الروح القدس»، خلاف الأصول.

(٥) (ل): «فيهم». و«أصحاب» ليست في طبعة الخانجي لكتاب «الفَصل»، وهي في نُسَخه الخطية!

(٦) (ل): «مقدونيوس». متقاربان.
وهو (Macedonius I) بَطْرَك القسطنطينية (١٣) سنة، علىٰ فترتين: (٣٤٢م ـ ٣٤٦م)، و(٣٥١م ـ ٣٦٠م)، وهو مرشح الأريوسيين، انتُخب ضد بولس [الأول] مرشح الأرثوذكس في (٣٤٢م). عاداه الامبراطور، وتمّت تنحيته في مجمع القسطنطينية (٣٦٠م)، وتوفي بعدها بعشر سنين. «الموسوعة الكونية»: (٩/ ٢٧٦).

(٧) قسطنطين بن قسطنطين، ويقال له: قسطنطين الثاني، (Constantine II)، عاش ما بين (٣١٦ ـ ٣٤٠ ق.م)، حَكَم (الغال وبريطانيا) بعد موت أبيه مدة ثلاث سنوات، ثم تنازع مع أخيه (قسطنتيوس) حاكم إيطاليا وإفريقيا، فهُزم وقُتل. «الموسوعة الكونية»: (٤/ ٥٨٧).

هذا الملك أريوسيا كأبيه[(١)]، وكان من قول «**مقدونيوس**» هذا التوحيدُ المجردُ وأن عيسىٰ عليه السلام عبدٌ مخلوقٌ إنسانٌ نبيٌّ رسولٌ[(٢)] كسائر الأنبياء عليهم السلام، وأن عيسىٰ هو روح القدس وكلمة الله، وأن روح القدس والكلمة مخلوقان، خلق الله كل ذلك.

قال[(٣)]: وكان منهم «**البربرانية**»، وهم يقولون: إن عيسىٰ وأمه إلهان من دون الله تعالىٰ.

قال: وهذه الفرق[(٤)] قد بادت، وعمدتهم اليوم ثلاث فرق:

فأعظمها فرقة المَلَكانيَّة، وهي[(٥)] مذهب جميع ملوك النصارىٰ[(٦)] حيث كانوا، حاشا الحبشة والنوبة[(٧)]، ومذهب عامة أهل كل مملكةٍ للنصارىٰ[(٨)]، حاشا النوبة والحبشة[(٩)]، ومذهب جميع نصارىٰ أفريقية[(١٠)]

---

(١) تصحفت في مطبوعة الفَصل إلىٰ: «كاتبه».

(٢) «رسول» ساقط من (ح)، وفي بعض أصول «الفَصل» الخطية: «رسول الله».

(٣) «قال» سقط من (د). ولا يزال الكلام للإمام أبي محمد ابن حزم.

(٤) كذا في الأصول الخطية والمطبوعتين، وفي «الفَصْل»: «وهذه الفرقة».

(٥) (ح، ل): «وهو»، والمثبت من (د)، وهو الموافق لمخطوط «الفَصْل».

(٦) (ح): «الروم»، و(ل) بعد التغيير، والمثبت من (د) موافقًا لأصول «الفَصْل» الخطية.

(٧) (Nubia) منطقة تقع شمال شرق القارة الإفريقية، يحدّها البحر الأحمر شرقًا وصحراء ليبيا غربًا ويقطعها النيل طولًا، تمتد من (أسوان) شمالًا، إلىٰ التقاء النيل الأزرق بالنيل الأبيض عند (الخرطوم) جنوبًا. «الموسوعة الإيطالية للعلوم»: (٢٥/ ١٢).

(٨) (د، ح): «النصارىٰ»، و«كل» ليس في: (د)، والمثبت فيهما من (ل) وأصول «الفَصْل».

(٩) ليس في تكرار هذه العبارة ما يقلق؛ فهي في الأولىٰ إخراجٌ من مذهب الملوك، وفي الثانية من مذهب غيرهم من الشعوب.

(١٠) (Ifriqiya or Ifriqiyah) أطلق الرومان هذا الاسم علىٰ قرطاجة (شمال شرق تونس) بعد احتلالها، كما يستعمل فيما هو أوسع من هذه المنطقة، حسب العصور التاريخية والمعنىٰ الإداري أو الجغرافي المراد. «الموسوعة الإيطالية للعلوم»: (١٨/ ٨١٠).

وصقليّة[1] والأندلس وجمهور الشام.

وقولُهم: إن الله ـ تعالىٰ الله عن قولهم ـ ثلاثةُ أشياء[2]: أب، وابن، وروح القدس، كلُّها لم تزل، وأن عيسىٰ إله تام كله، وإنسان تام كلُّه[3]، ليس أحدهما غير الآخر، وأن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل، وأن الإله منه لم يَنَلْه شيء من ذلك، وأن مريم وَلدت الإلهَ والإنسانَ، وأنهما معًا شيءٌ واحدٌ ابنُ الله، تعالىٰ اللهُ عن كفرهم.

وقالت النُّسطوريّة مِثلَ ذلك سواء بسواء، إلا أنهم قالوا: إن مريم لم تلد الإله، وإنما ولدت الإنسان، وأن الله لم يلد الإنسان، وإنما ولد الإله، تعالىٰ الله عن كفرهم.

وهذه الفرقة غالبةٌ علىٰ الموصل والعراق وفارس وخراسان، وهم منسوبون إلىٰ نسطور[4]، وكان بطرياركًا بالقسطنطينية.

وقالت اليعقوبية: إن المسيح هو الله نفسه، وأن الله ـ تعالىٰ عن عظيم كفرهم[5] ـ مات وصُلب وقتل، وأن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبّر، والفلك

---

(١) (Sicily) أكبر جزر البحر الأبيض المتوسط، دخلها الإسلام علىٰ يد القاضي أسد بن الفرات سنة (٨٢٧م). «الموسوعة الإيطالية للعلوم»: (٣١/ ٦٥٤)، و«موسوعة الكون»: (١١/ ٢٠٨).

(٢) في مطبوعة «الفَصْل»: «أسباب»، تصحيف.

(٣) «كلُّه» ليس في (ل)، وهي في الأصل الذي صدر عنه المؤلف.

(٤) (نسطورس) أو (نسطور) (Nestorius) بطريك القسطنطينية (٤٢٨م ـ ٤٣١م) عاش ما بين (٣٨٠م ـ ٤٥١م) اشتهر بالفصاحة فعينه (ثدوس الثاني) بطريكًا للقسطنطينية، فاصطدم مع الكنيسة، وطلب من الامبراطور أن يعقد مجمعًا مسكونيًا، فكان مجمع (أفسس) في (٤٣١م)، وفيه كُفر و نُحّي، ثم حكم عليه فانتُزعت منه أملاكه وأُحرقت كتبه، وأُرغم علىٰ الهجرة إلىٰ جزيرة الخرجة المصرية حيث مات. «الموسوعة الكونية»: (١٠/ ٥١١).

(٥) (ل): «تعالىٰ الله عن عظيم»، والمثبت من (د، ح)، وهو ما في أصول «الفَصل» الخطية.

بلا مدبّر، ثم قام ورجع كما كان، وأن الله تعالىٰ عاد محدثًا، وأن[1] المحدث عاد قديمًا، وأنه تعالىٰ هو كان[2] في بطن مريم محمولًا به، وهم في أعمال مصر وجميع النوبة وجميع الحبشة، وملوك الأمتين المذكورتين»[3].

قلت[4]: **ومِن أَخْبر**[5] **الناس بمقالاتهم من كان من علمائهم**، وأسلم علىٰ بصيرة بعد الخبرة بكتبهم ومقالاتهم، **كالحسن بن أيوب الذي كتب رسالة إلىٰ أخيه علي بن أيوب**[6]، يذكر فيها سبب إسلامه، ويذكر الأدلة علىٰ بطلان دين النصارىٰ وصحة دين الإسلام.

---

(١) «أن» في الموضعين ليست في عامة النسخ، وهي في الأصل الذي نقل عنه المؤلف.

(٢) (ل): «والله تعالىٰ كان»، والمثبت من سائر النسخ، موافقًا لما وقفت عليه من أصول «الفَصل».

(٣) «الفَصْل»: (١/ ٤٧ـ ٤٨)، مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ، ولعله يَرجعُ إلىٰ تفاوت النسخ الخطية، مما يرجّح أن لكتاب «الفَصل» إبرازتين، كما حرره د. سمير قدوري في: «تاريخ نصِّ الفَصل».

(٤) «قلت» ليست في (د، ح)، وإثباتها أولىٰ؛ للفصل بين عبارة ابن حزم وكلام المصنف.

(٥) (د): «ومن أعلم».

(٦) (ل) تأخير: «إلىٰ أخيه علي بن أيوب»، بعد «...إسلامه».

وهذه الرسالة أشار إليها النديم في «الفهرست» (ص:٢١٤) حيث قال: «الحسن بن أيوب من المتكلمين، وله من الكتب كتابٌ إلىٰ أخيه: عليِّ بن أيوب في الرد علىٰ النصارىٰ، وتبيين فساد مقالتهم، وتثبيت النبوة».

وقد اختلف في سنة وفاة النديم، فذكره الذهبي فيمن لم تُعرف له وفاةٌ علىٰ رأس الأربعمائة، وفي «الفهرست» موضعٌ ذكر أنه كَتَبه في سنة اثنتي عشرة وأربعمائة، ما يدل علىٰ تأخره إلىٰ ذلك الزمان، كما أفاده ابن حجر، وقد ذَكر في مقدمة كتابه: أنه صنَّفه في سنة (٣٧٧هـ) ووهِم هنا بعض المترجمين، فجعل سنة تأليفه الكتاب تاريخَ وفاته! وأيًّاما كان فالحسن بن أيوب وأخوه عاشا علىٰ هذا قبل القرن الخامس الهجري.

وقد طبع هذا الكتاب في رسالة مستقلة، بعنوان: «لماذا أسلمت؟ الحسن بن أيوب، أحد كبار علماء النصارىٰ» بتحقيق وتعليق: محمود النيجيري، وصدرت عن مكتبة النافذة، بمصر، ط١، (٢٠٠٦م)، في (١٣٨) ورقة، لكن يظهر أنها مستلَّة من هذا الكتاب ـ الذي بين أيدينا ـ إذ لم يذكر ناشرها نسخًا خطية اعتمد عليها في تحقيقه، بل غاية ذلك أن أشار إلىٰ موضعها من هذا الكتاب، وألمح إلىٰ ما تقدم من كلام النديم في «الفهرست»!

قال في رسالته إلىٰ أخيه لما كتب إليه يسأله عن سبب إسلامه بعد أن ذكر خطبته[1]: «ثم أُعلمُك ـ أرشدك الله[2]ـ أن ابتداء أمري في الشك الذي دخلني فيما كنت عليه والاستبشاع بالقول[3] به منذُ[4] أكثر من عشرين سنة؛ لِما كنت أقف عليه في المقالة من فساد التوحيد لله ﷻ بما أُدخل فيه من القول بالثلاثة أقانيم[5] وغيرها مما تضمَّنته شريعة النصارىٰ، ووضْع الاحتجاجات التي لا تزكو ولا تَثْبُت في تقرير[6] ذلك، وكنت إذا تبحَّرته[7] وأَجَلْتُ الفكر[8] فيه، بان لي عوارُه، ونَفَرتْ نفسي من قَبوله، وإذا فكَّرت في دين الإسلام الذي منَّ الله عليَّ به، وجدتُّ أصولَه ثابتةً وفروعَه مستقيمةً وشرائعَه جميلةً.

وأصلُ ذلك ما لا يَختلف فيه أحدٌ ممن عَرف الله ﷻ منكم ومن غيركم وهو الإيمان بالله الحيِّ القيومِ السميعِ البصيرِ الواحدِ الفردِ الملكِ القدّوسِ الجوادِ العدلِ، إلهِ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ، وإلهِ موسىٰ وعيسىٰ وسائرِ النبيين والخلقِ أجمعين، الذي لا ابتداءَ له ولا انتهاءَ، ولا ضدَّ ولا ندَّ، ولم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، الذي خلق الأشياء كلَّها لا من شيءٍ ولا علىٰ مثال، بل كيف شاء وبِأَنْ قال لها: «كوني» فكانت علىٰ ما قدَّر وأراد، وهو العليم القدير الرءوف الرحيم الذي لا يُشبهُه شيءٌ، وهو الغالب

(١) (ل): «بعد خطبة»، و(ح): «بغير خطبة».
(٢) «أرشدك الله» ليس في (د).
(٣) (ح): «والاستماع للقول»، و(د): «والاستبشاع للقول».
(٤) (د): «من».
(٥) (ح، د): «الأقانيم».
(٦) (د): «تنوير».
(٧) كذا كافّة النسخ الخطية والمطبوعة، والأقرب: «تبصَّرْته».
(٨) (ح، ل): «الفكرة».

فلا يُغلب، والجواد فلا يَبخل، لا يفوته مطلوبٌ، ولا تخفىٰ عليه خافيةٌ، يعلم خائنةَ الأعين وما تخفي الصدور، وما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرُج فيها، وكلُّ[1] مذكورٍ أو موهومٍ هو منه، وكلُّ ذلك به، وكلٌّ له قانتون، ثم نؤمن بأن محمدًا عبدُه ورسولُه، أرسله بالهدىٰ ودين الحق؛ ليظهره علىٰ الدين كله ولو كره المشركون، ونؤمن بموسىٰ وعيسىٰ وسائرِ النبيين[2] ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لا نفرِّق بين أحدٍ منهم، ونؤمن بالتوراة والإنجيل والزَّبور والقرآن[3] وسائر الكتب التي أنزلها الله تعالىٰ علىٰ أنبيائه، وأن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأنَّ الأبرار في النعيم، وأن الفجار في الجحيم[4]، يصلونها يوم الدين، ذلك بما كسبت أيديهم وأن الله ليس بظلّام للعبيد.

قال: وكان يَحملني إلفُ الدِّين[5] وطولُ المدةِ والعهدِ عليه، والاجتماعُ مع الآباء والأمهات والإخوة والأخوات والأقارب والإخوان والجيران وأهلِ المودَّات علىٰ التسويفِ بالعزم، والتَلبُّثِ عن إبرام الأمر[6]، ويعرِض مع ذلك الفكرُ في إنعام[7] النظر والازدياد في البصيرة، فلم أدعْ كتابًا من كتب الأنبياء[8]:

---

(١) (د): «فكل».
(٢) (د): «الأنبياء».
(٣) (ل): «الفرقان».
(٤) (د): «لفي نعيم»، «لفي جحيم»، ومشت عليه المطبوعتان، وهو خطأ مع فتح همزة «أنَّ»؛ إذ اللام المزحلقة لا تقع في خبرها، كما هو مقرّر في موضعه.
(٥) مُغْفَلة في (ل)، (ح): «تحملني»، والمطبوعتان: «ديني» خلاف الأصول.
(٦) المطبوع: «علىٰ إبرام» خلاف النسخ، والمراد: استبطاؤه عن البتِّ في الأمر واتخاذ القرار.
(٧) المطبوعتان: «إمعان»، وهو في هامش (د) احتمالًا.
(٨) (د): «أنبياء».

التوراةَ والإنجيلَ والزبورَ، وكتبَ الأنبياءِ[1]، والقرآنَ إلا نظرتُ فيه وتصفَّحْتُه، ولا شيئًا من مقالات النصرانيّة إلا تأمَّلْتُه، فلمَّا لم أجدْ[2] للحق مَدفعًا، ولا للشكِّ فيه موضعًا، ولا للأناةِ والتَلَبُّثِ وجهًا، خرجتُ مهاجرًا إلىٰ الله ﷻ بنفسي، هاربًا بديني عن نعمةٍ وأهلٍ ومستقرٍّ[3] ومحلٍّ وعزٍّ ومتصرَّفٍ في عمل، فأظهرتُ ما أظهرتُه عن نيَّةٍ صحيحةٍ، وسريرةٍ صادقةٍ، ويقينٍ ثابتٍ، فالحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسلُ ربِّنا بالحق، وإياه تعالىٰ نسألُ أن لا يُزيغ قلوبَنا بعد إذ هدانا، وأن يهبَ لنا منه رحمةً، إنه هو الوهاب[4].

قال: ولما نظرتُ في مقالات النصارىٰ وجدتُّ صنفًا منهم يُعرفون بالأريوسية يُجرِّدون توحيدَ الله، ويعترفون بعبودية المسيح عليه السلام، ولا يقولون فيه شيئًا مما يقولُه النصارىٰ من ربوبيّةٍ ولا بنوّةٍ خاصة[5] ولا غيرهما، وهم متمسِّكون بإنجيل المسيح - عليه السلام - مُقرُّون بما جاء به تلاميذُه والحاملون عنه، فكانت[6] هذه الطبقةُ قريبةً من الحق، مخالِفةً لبعضه في جحدِ[7] نبوَّة محمد ﷺ، ودَفْع ما جاء به من الكتاب والسنة.

---

(١) كذا تكرر في جميع النسخ، ولعله يقصد بها هنا ما في العهد القديم من الأسفار التي تسمىٰ أسفار الأنبياء، وهي اثنان وعشرون سفرًا، وقد تقدم ذكرها.

(٢) (ح، د، ط النيل): «فلم أجد»، ويردّه السياق!

(٣) في المطبوعة: «وأهل مستقر» علىٰ الإضافة، خطأ!

(٤) من قوله: «وما كنا...» إلىٰ هنا ساقطٌ من (ح). و«لقد جاءت رسل ربنا بالحق» ليس في (د).

(٥) (ل): «وبنوَّة وخاصة»، و(ح): «ونبوَّة خاصة».

(٦) (ح): «وكانت».

(٧) (د): «جحود».

قال[1]: ثم وجدتُ منهم صنفًا يُعرفون باليعقوبيّة، يقولون: إن المسيح طبيعةٌ واحدةٌ من طبيعتين: إحداهما طبيعة الناسوت، والأخرىٰ طبيعة اللاهوت، وأن هاتين الطبيعتين تركَّبتا كما تركَّبت النفسُ مع البدن، فصارتا إنسانًا واحدًا وشخصًا واحدًا وجوهرًا واحدًا[2]، وأن هذه الطبيعةَ الواحدةَ والشخصَ الواحدَ هو المسيحُ، وهو إلهٌ كلُّه وإنسان كلُّه، وهو شخصٌ واحدٌ وطبيعة واحدة من طبيعتين.

وقالوا: إن مريم وَلدت الله -تعالىٰ الله عما يصفون[3]- وإن الله مات وأَلِمَ[4] وصُلِب متجسِّدًا، ودُفن وقام من بين الأموات وصعد إلىٰ السماء، فجاءوا من القول بما لو عُرض علىٰ السماء لانفطرت، أو علىٰ الأرض[5] لانشقَّت، أو علىٰ الجبال لانهدَّت[6]، فلم يكن لمحاجَّة هؤلاء وجهٌ؛ إذ كان كفرُهم ـ بما صرَّحوا به ـ أوضحَ من أن يقع فيه الشكُّ، وكنتم جميعًا تشهدون بذلك عليهم[7].

قال: ثم نظرتُ في قول المَلَكانيَّة، وهم الروم، وهم أكثر النصارىٰ[8]، فوجدتُهم قالوا: إن الابن الأزليَّ الذي هو اللهُ الكلمةُ تجسَّد من مريم تجسُّدًا

---

(١) وقع هنا خرمٌ كبير في (ح)، إلىٰ قوله: «... أو أي شيء قالوه».

(٢) (د، المطبوعتان): بتقديم جملة الجوهر علىٰ الشخص، ولعله سبق قلم من الناسخ؛ حيث أسقط عبارة الجوهر، ثم ألحقها، وأشار إلىٰ اللّحَق في غير موضعه!

(٣) (د): «يقولون».

(٤) كذا في الأصول، و«ألِم» من باب «سمِعَ» أي: وَجِع؛ لغةٌ فصيحةٌ. ينظر: «لسان العرب» (١٢/ ٢٢). وفي المطبوع: «تألم» ـ هنا وفي سائر مواضعها ـ خلاف النسخ الخطية!

(٥) (د): «الأرضين».

(٦) (ل): «لانهدمت».

(٧) (د): «وكان غيرهم من النصارىٰ كالمَلَكانيَّة والنُّسطوريّة يشهدون بذلك عليهم».

(٨) «وهم أكثر النصارىٰ» ساقط من (ل).

كاملًا كسائر أجساد الناس، ورُكِّب في ذلك الجسد نفسًا كاملةً بالعقل والمعرفة والعلم كسائر أنفس الناس، وأنه صار إنسانًا بالنفس والجسد اللّذَين هما من جوهر الناس، وإلهًا بجوهر اللاهوت كمثل أبيه لم يزَل، وهو إنسانٌ بجوهر الناسوت مثل إبراهيم وداود، وهو شخصٌ واحد لم يزِد عددُه، وثَبَت له جوهرُ اللاهوت كما لم يزَل يصحُّ[1] له جوهرُ[2] النّاسوت الذي اكتسبه[3] من مريم، وهو شخصٌ واحدٌ لم يزِد عددُه وطبيعتان، ولكل واحدة من الطبيعتين مشيئةٌ كاملةٌ، فله بلاهوته[4] مشيئةٌ مثل الأب والروح، وله بناسوته مشيئةٌ مثل مشيئة[5] إبراهيم وداود.

وقالوا: إن مريم وَلدت إلهًا، وإن المسيح ـ وهو اسمٌ يجمع اللاهوت والنّاسوت ـ مات.

وقالوا: إن الله لم يَمُتْ، والذي وَلدتْ مريمُ قد مات بجوهر ناسوته، فهو إلهٌ تامٌّ بجوهر لاهوته، وإنسانٌ تامٌّ بجوهر ناسوته[6]، وله مشيئةُ اللاهوت ومشيئةُ النّاسوت، وهو شخصٌ واحدٌ لا نقول: شخصان[7]؛ لئلا يلزمَنا القولُ بأربعة أقانيم.

قال: فهؤلاء أَتوا[8] من ذلك بمثل ما أتتْ به اليعقوبيَّةُ في ولادة مريمَ اللهَ ـ

---

(١) (د): «وصحَّ».
(٢) «جوهر»، ليس في (ل).
(٣) (د): «لَبِسه».
(٤) (ل): «باللاهوتية»، وبهامش (د) عن نسخة: «باللاهوت»، «بالناسوت».
(٥) (ل): «كمشيئة».
(٦) من قوله: «فهو إله تام ...» إلىٰ هنا ساقط من (ل).
(٧) (ل): «شخصين»، ولكلٍ وجه.
(٨) (ل): «قال: فأتوا».

تعالىٰ الله عما يقول الظالمون ـ وقالوا: إن المسيح ـ وهو اسمٌ لا تشكُّ جماعةُ النصارىٰ أنه واقعٌ علىٰ اللاهوت والنّاسوت ـ مات، وأن الله لم يَمُت، فكيف يكون ميتا لم يمت! وقائمًا قاعدًا في حال واحدة! وهل بين المقالتين فرقٌ[1] إلا ما اختلفوا فيه من الطبائع؟

قال: ثم نظرت في قول النُّسطوريّة فوجدتهم قالوا: إن المسيحَ شخصان وطبيعتان لهما مشيئةٌ واحدةٌ، وأن طبيعةَ اللاهوت التي للمسيح غيرُ طبيعة ناسوته، وأن طبيعة اللاهوت لما توحَّدت بالناسوت بشخصها الكلمة[2] صارت[3] الطبيعتان بجهةٍ واحدةٍ وإرادةٍ واحدةٍ، واللاهوتُ لا يقبلُ زيادةً ولا نقصانًا، ولا يَمتزج بشيء، والناسوت يقبل الزيادة والنقصان، فكان المسيح بتلك إلهًا وإنسانًا، فهو إلهٌ بجوهر اللاهوت الذي لا يزيد ولا ينقص، وهو إنسانٌ بجوهر الناسوت القابلِ للزيادة والنقصان.

وقالوا: إن مريم وَلدت المسيح بناسوته، وإن اللاهوت لم يفارقْه قطُّ منذُ توحَّدت بناسوته.

قال: فوجدنا اليعقوبيَّة قد صرّحوا بأن مريم ولدت الله ـ تعالىٰ عما يصفه

---

(١) «فرْقٌ» سقط من (ل).

(٢) كذا في الأصول، والمراد أنه لما كان للطبيعة الإلهية ـ عندهم ـ ثلاثة شخوص أو أقانيم أو جواهر: الذات وهي الأب، والكلمة وهي الابن، والحياة وهي روح القدس= فإن الذي حلّ في المسيح هو شخص الكلمة. أو يكون قوله: «بشخصها الكلمة» مقحم في غير موضعه؛ فبدونها وقعت العبارة في هداية الحيارىٰ (ص: ٣٨٣)، ونصها: «وأن طبيعة اللاهوت لما وُجِدتْ بالناسوت صار لهما إرادةٌ واحدةٌ».

وقد استعصىٰ فَهْم هذه الجملة علىٰ محقق الرسالة المستقلة، فقال (ص:٣١): «في هذا الموضع كلمةُ: «بشخصها»، ولم أفهم معناها، فاستبدلتُ بها كلمة «بوصفها»؛ ليستقيم المعنىٰ»!

(٣) المطبوع: «التي صارت»! خلاف النسخ، وبنىٰ محقق الرسالة علىٰ هذا الخطأ آخر فزاد: «التي تجسدت: صارت».

المبطلون ويقوله العادلون ـ وأنه أَلِمَ وصُلب ومات، وقام بعد ثلاثة أيام من بين الموتىٰ.

وهذا الكفرُ الذي يَشهد به عليهم سائرُ ملل النصارىٰ وغيرهم.

ووجدنا المَلَكانيَّة قد حادوا عن هذا التصريح إلىٰ ما هو دونه في الظاهر، فقالوا: إن المسيحَ شخصٌ واحدٌ وطبيعتان، فلكلٍّ واحدةٍ من الطبيعتين مشيئةٌ، فله بلاهوته مشيئةٌ مثل الأبِ والرُّوح، وله بناسوته مشيئةٌ كمشيئة إبراهيم وداود. وأوهموا الواقفَ علىٰ قولهم أنهم بما اخترعوه من هذا الاختيارِ قد فرَّقوا بين اللاهوت والناسوت، ثم عادوا إلىٰ قول اليعقوبيّة، فقالوا: إن مريم وَلدت إلهًا وأن المسيحَ ـ وهو اسمٌ يجمع اللاهوت والناسوت عند جماعتهم لا يَشكُّون في ذلك ـ مات بالجسدِ وأن الله لم يمت، والذي قد ولدتْه مريمُ قد مات بجوهر ناسوته، فكيف يكون ميتًا لم يمت؟ وهل بين المقالتين ـ إلا ما اختلفوا فيه من الطبائع ـ فرقٌ[1]؟

وإذا كانوا قد اعترفوا بأن مريم وَلدت الله، وأن الذي ولدته مريم ـ وهو المسيح الاسمُ الجامعُ للجوهرين[2] للاهوت والناسوت ـ قد مات = فهل وقعت الولادةُ والموتُ وسائرُ الأفعال التي تَحكي النصارىٰ أنها فُعلت[3] بالمسيح إلا عليهما؟

فكيف يصحُّ لذي عقلٍ عبادةُ مولودٍ من امرأةٍ بشريَّة قد مات ونالتْه العللُ والآفاتُ؟».

---

(١) من قوله: «قال ثم نظرت في قول النُّسطوريّة» إلىٰ هنا ساقط من (ل).
(٢) «للجوهرين» ليس في (ل).
(٣) (د): «وَقَعَتْ».

قلت[1]: ومما يوضِّح تناقضَهم أنهم يقولون: إن المسيحَ ـ وهو اللاهوت والناسوت ـ شخصٌ واحدٌ وأقنومٌ واحدٌ، مع قولهم إنهما جوهران بطبيعتين ومشيئتين، فيثبتون للجوهرين أقنومًا واحدًا، ويقولون: هو شخصٌ واحدٌ، ثم يقولون: إن ربَّ العالمين إلهٌ واحدٌ[2]، وجوهرٌ واحدٌ، وهو ثلاثةُ أقانيم، فيثبتون للجوهرِ الواحد ثلاثةَ أقانيم، وللجوهرين المتَّحدَين أقنومًا واحدًا، مع أن مشيئةَ الأقانيمِ الثلاثة عندهم واحدةٌ، والناسوت واللاهوت يُثبتون لهما مشيئتين وطبيعتين، ومع هذا هما عندهم شخصٌ واحدٌ، أقنومٌ واحد، وهذا يقتضي غاية التناقض سواء[3] فسَّروا الأقنومَ بالصفةِ، أو الشخصِ، أو الذاتِ مع الصفةِ، أو أيِّ شيءٍ قالوه[4].

وهو يُبيِّن أن الذين تكلّموا بهذا الكلامِ ما تصوَّروا ما قالوه، بل كانوا ضلَّالًا جُهَّالًا، بخلاف ما يقوله الأنبياء فإنه حقٌّ، فلهذا لا يوجد عن المسيح ولا غيرِه من الأنبياء ما يوافقُ قولَهم في التثليث والأقانيم والاتّحاد ونحو ذلك مما ابتدعوه بغير سمع وعقل، بل ألَّفوا[5] أقوالًا مخالفةً للشّرع[6] والعقل.

ثم قال الحسن بن أيوب: «ثم وجدنا النصارىٰ المعروفين بالنُّسطوريّة قد خالفوا اليعقوبيةَ والمَلَكانيَّة في قولهم بشخصين[7] لهما مشيئةٌ واحدةٌ،

(١) أي المصنِّف.
(٢) (د، المطبوع) زيادة: «وأقنوم واحد»، ويأباه قوله: «وهو ثلاثة أقانيم»!
(٣) (د): «فسواءٌ». ويردُّه السياق.
(٤) من قوله: « قال: ثم وجدت منهم صنفا يعرفون باليعقوبية» إلىٰ هنا ساقط من (ح).
(٥) (د، المطبوعتان): «ألقوا»، وقوله: «وعقلٍ، بل ألقوا» ساقط من (ل).
(٦) (د): «للسمع».
(٧) (ح، ل): «شخصين».

وأنّ الطبيعتين اتَّحدتا فصارتا بجهةٍ واحدة، ثم عادوا إلىٰ شبيهٍ بقولهم[1] في أن مريم وَلدت المسيحَ، فإذا كانت وَلدت المسيحَ فقد لزمهم ووجب عليهم الإقرارُ بأنها ولدتْ هذا اللاهوت والناسوت المتّحدَين.

وقد رجع المعنىٰ إلىٰ قول اليعقوبية، إلا أنهم[2] اختاروا لذلك ألفاظًا زوَّقوها قدَّروا[3] بها التمويهَ علىٰ السامع، ولم يصرِّحوا بالقول كتصريح اليعقوبيّة؛ لأنَّ المتّحد بالشيء هو الممازِجُ له والمجتمِع معه حتىٰ صار الذي[4] مازَجَه وهو شيئًا واحدًا، ثم أكّدوا[5] القولَ بإقرارهم أن الناسوت منذ اتّحد باللاهوتِ لم يفارقْه، فما لم يفارق الشيءَ هل هو إلا يجري[6] مَجراه في سائر متصرَّفاته[7] من ضُرٍّ ونفعٍ، وخيرٍ وشرٍ، وحاجةٍ وغنىٰ؟

قال: وأما قولهم: إن مريم ولدت المسيح بناسوته فهذه أغلوطةٌ، وإلا فكيف يولد ولدٌ متَّحدٌ بشيءٍ آخر مجامِعٌ له دون ذلك الشيء؟ وكيف يكون ذاك وهم يقولون إنه لم يفارقْه قط؟ وهل يصحُّ هذا عند أهل النظر؟ أوَليس الحكم عند كلِّ ناظر ومن كلِّ ذي عقل يوجبُ أن تكون الولادةُ واقعةً علىٰ اللاهوت والناسوت معًا؟ بمعنىٰ الاتحاد وبمعنىٰ الاسم الجامع للاهوت والناسوت وهو المسيح، وكذلك الحملُ بهما جميعًا، وأن يكون البطنُ قد حواهما!

---

(١) كذا في جميع النسخ، وهو متَّجهٌ علىٰ تقدير موصوف؛ أي: «ثم عادوا إلىٰ قولٍ أو رأيٍ شبيهٍ بقولهم»، فلا حاجة لمخالفة الأصول بحذف الباء كما في المطبوعتين!

(٢) أي: النّسطوريّة.

(٣) أي: أرادوا. وزاد في المطبوعتين واو العطف قبلها «وقدروا»، خلاف النسخ!

(٤) «الذي» سقط من المطبوع.

(٥) (ل): «ذكروا».

(٦) (د): «أن يجري». و(ح): «يحركه»، تصحيف.

(٧) المطبوعتان: «متفرّقاته»، علىٰ خلاف الأصول!

قال: فإن لجُّوا في الباطل ودافعوا عن قُبْح[1] هذه المقالةِ، ومالُوا إلىٰ تحسينِها بالتمويهاتِ المشكّكة لمن قصُرت معرفتُه، فنحن نُقيمُ عليهم شاهدًا من أنفسهم لا يُمكنهم دفعُه، وذلك أن شريعة إيمانهم التي أَلَّفها[2] رؤساؤهم من البطاركة والمطارنة[3] والأساقفة والأحبار في دينهم وذوي العلمِ منهم بحضْرة الملِك عند اجتماعهم من آفاق الأرض بمدينة قسطنطينية، وكانوا ثلاثَمائة وثمانيةَ عشر رجلًا، يصفون أنهم أُنْطِقوا[4] بها بروح القدس، وهي التي لم تختلفْ جماعتُهم ـ عند اختلافهم في المقالات ـ فيها، ولا يتمُّ لهم قُربان إلا بها علىٰ هذا النَّسَق الذي نبيِّنه:

«نؤمن بالله الأبِ، مالكِ كلِّ شيءٍ، صانعِ ما يُرىٰ وما لا يُرىٰ، وبالربِّ الواحدِ يسوع المسيحِ ابنِ الله الواحدِ، بِكْرِ الخلائق كلِّها، وليس بمصنوعٍ، إلهٍ حقٍّ من إلهٍ حقٍّ، من جوهرِ أبيه، الذي بيده أُتقنت العوالمُ، وخُلق كلُّ شيءٍ، الذي من أجلنا معشرَ البشرِ[5]، ومن أجلِ خلاصِنا نَزَل من السماءِ، وتجسَّد من روحِ القدس، وصار إنسانًا، وحُبل به ووُلد من مريم البتول، وأَلِـمَ وصُلب أيامَ «قيطوس بن بيلاطوس»، ودُفِن، وقام في اليوم الثالثِ كما هو مكتوب، وصعد إلىٰ السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعدٌّ للمجيء تارةً أخرىٰ للقضاء بين الأموات والأحياء، ونؤمنُ بروحِ القدسِ الواحدِ روحِ الحقِّ الذي يخرج من

---

(١) (ل، المطبوعتان): «قبيح».

(٢) (ح): «ألفتها»، وزاد في المطبوعتين: «لهم»، وليس في النسخ.

(٣) «المطارنة» جمع مطران ـ بتثليث الميم ـ وهو رئيس الأساقفة، وتعني الرجل البار، الطاهر، العفيف، وهي رتبة كنَسية، دون (البطريرك)، وفوق (الأُسقف). «القاموس المحيط»: (ص: ٨٧١)، «الكُليّات» (ص: ٢٥٠).

(٤) كذا في المخطوطات، وفي المطبوعتين: «نطقوا»!

(٥) (ح): «الناس». و«معشر البشر» سقط من (ل).

أبيـه، روح مُحْييـه[١]، وبمعمودِيَّة واحـدةٍ لغفـران الخطايـا، وبجماعـةٍ واحـدةٍ قِدِّيسـيّة[٢] سَـلِيحيّة جاثليقيـة[٣]، وبقيامـة أبـداننا، وبالحيـاة الدائمـة إلـىٰ أبـد الآبدين».

قال[٤]: فهذه الشريعة تَجتمع[٥] علىٰ الإيمان بها، وتَبْذُلُ[٦] الـمُهَجَ فيهـا، وإخراجَ الأنفس دونَها = جماهيرُهم من المَلَكانيَّة واليعقوبية والنُّسطوريّة. وقد اعترفوا فيها جميعًا بأن الربّ المسيحَ الذي هذه صفتُه ـ علىٰ ما اقتصصناه منها ـ الإلهُ الحقُّ من الإله الحق، نـزل مـن السـماء وتجسَّـد مـن روح القـدس، وصـار إنسانًا، وحُبل به، ووُلد من مريم البتول، وتألم[٧]، وصُلب.

---

(١) كذا في (د، ل)، ومُغفلة في (ح)، ثـم غُيِّرت في هامشـها: «محبّـه»، وفي المطبوعـة: «روح ومجيئه»، و(ط النيل): «روح مجيئه»، والصواب مـا أثبـت، وهـو مـا في «تثبيـت دلائـل النبـوة» للقاضـي عبـد الجبار (١/ ٩٤).

وفي «قانون الإيمان» المعتمد عند الأرثوذكس اليوم: «نـؤمن بـروح القـدس الـرب المحيـي المنبثـق مـن الآب» وهو في معنىٰ ما أثبت، أما عند الكاثوليك والبروتستانت: «المنبثق من الآب والابن معًا».

(٢) (ل): «قُدسيّة»، و(ح): «قدِّيسة».

(٣) المطبوعتان: «سليخية»، وهو ما استظهرته في (د)، و(سليخة) بالخاء؛ لِحاءُ شجرٍ لـه رائحـة طيبـة. ولا معنىٰ له هنا. (ح): «شليحة خاتليقية» تحريف.

والصواب ما أُثبت؛ نِسبةً لكتـاب «السـليح» أو «السـليحين» لبـولس. و(السّـليح): كلمـة سـريانية تعني: الرسول. ويؤيده ما يذكرونـه في «قـانون الإيمـان» المعتمـد اليـوم: «نـؤمن بـروح القـدس ... وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسوليّة».

و(جاثليقية) نسبة إلىٰ (جاثليق) وهي رتبةٌ كنَسيّة أدنىٰ من البطريرك، وأعلىٰ مـن المطـران، يلقـب بها كبار الأساقفة الـذين يمـنعهم طـول المسـافات بـين مقـرّهم ومقـرّ البطريـرك الـذي يتبعونـه مـن الاتصال به في كل أمر؛ فصار لهم تصرّفٌ في تدبير شؤون رعيّتهم. «الفهرست»: (ص:٣٩)، «دائرة المعارف الكتابية»: (٤/ ٤١٩)، «الذخائر الشرقية»: (٥/ ١٧٥).

(٤) «قال» ليس في (د، ح).

(٥) (د): «يجتمع».

(٦) كذا في جميع النسخ الخطية، وط النيل، وفي المطبوعة: «بذْل»!

(٧) (ل): «لُكِم»، وفي المطبوعة: «تألم». و«البتول» ليس في (ل).

قال: فهل في هذا الإقرار شُبهة أو عُلْقة يتعلق بها العَنِتُ[1] المدافِعُ عن الحجة؟

فتدبَّروا هذا القولَ يا معشرَ النَّصارىٰ، فإنه لا يُمكن أحدًا منكم أن يَخرج عنه، ولا أن يَدفع ما صُرِّح به؛ فإنكم إن قلتم: إن المقتولَ المصلوبَ هو الله، فمريم علىٰ قولكم وَلدت الله -ﷻ عما يقولون-.

وإن قلتم: إنه إنسانٌ فمريم وَلدت إنسانًا، وفي ذلك أجمعَ بطلانُ شريعةِ إيمانِكم، فاختاروا أيَّ القولين شئتم، فإن فيه نقضَ الدِّين.

قال: وقد يجبُ علىٰ ذوي العقول أن تزجرَهم عقولُهم عن عبادة إلهٍ ولدتْه مريم، وهي امرأة آدمية، ثم مكث علىٰ الأرض ثلاثين سنةً تجري عليه أحكامُ الآدميِّين من غذاءٍ وتربيةٍ، وصحةٍ وسقمٍ، وخوفٍ وأمنٍ، وتعلّمٍ وتعليمٍ، لا يتهيأ لكم أن تدَّعوا أنه كان منه في تلك المدّة[2] من أسباب اللاهوتية شيءٌ، ولا له من أحوال الآدميِّين كلِّها ـ من حاجاتهم[3] وضروراتهم وهمومهم ومِحَنهم وتصرفاتهم ـ مخرجٌ.

ثم أَحدث بعد هذه المدّة الطويلة ما أحدثه من إظهار أمر الله تعالىٰ والنبوّات والآيات الباهرة المعجزة بقوة الله تعالىٰ، وقد كان من غيره[4] من الأنبياء مثلُها وما هو أعلىٰ منها، فكانت مدَّتُه في ذلك أقلَّ من ثلاث سنين.

ثم انقضىٰ أمرُه بما تصفون أنه انقضىٰ به، وتنسبونه إليه؛ من حبسٍ

(١) أي المكابِر، والعنَت: اللِّجاج في العناد. «تاج العروس» (٥/ ١٤). وط النيل: «المعنت»!

(٢) (ل): «في تلك الأحوال المدة».

(٣) في المطبوعة: «حاجتهم»، خلافًا للنسخ!

(٤) ط النيل: «في غيره» خلاف الأصول. ويُمثَّل لما ذكره المصنف: بالآيات التي وقعت علىٰ يد اليسع وإيلياء، كما في: «سفر الملوك»، وكما في: (متىٰ ١٠: ٨) صريحًا بأن بعض تلاميذه قد فعلوا ما فعله من معجزات، وسيأتي بيان ذلك قريبًا.

وضربٍ وقذْفٍ، وصلبٍ وقتلٍ، فهل تقبل العقول ما تقولون من أن إلهًا نال عبادُه منه، مثل ما تذكرون أنه نِيل منه؟!

فإن تأوّلتم أن ذلك حلَّ بالجسم ـ وليس بالقياس يَحتمل ذلك؛ لما شرحناه من معنىٰ اتحاد اللاهوت به ـ أفليس قد وقع بجسمٍ[1] توحَّدت اللاهوتية به؟ وحلَّت الروح فيه؟ وقد انتخبه[2] الله ـ علىٰ ما تزعمون وتصفون ـ لِـخَلاص الخلق، وفوَّض إليه القضاءَ بين العباد في اليوم الذي يجتمع فيه الأولون والآخرون للحساب!

وقد وجدناكم تَأْثرون[3] أخبارًا في قوم عَرَضوا التوابيتَ فيها شهداءَ لكم: بأنَّ الأيدي التي بُسطت إليها جفَّت[4]! أوَهلْ نال أحدًا من الجزَع والهلَع والغمِّ والقلق والتضرّع إلىٰ الله في إزالة ما حلَّ به، مثل ما يُحكىٰ في الإنجيل أنه ناله[5]؟

ووجدنا الكتبَ تُنبئ بأنه نِيل من جورجيس ـ أحد[6] من كان علىٰ دين

(١) (ل): «تجسم»، تصحيف.

(٢) المطبوع «أنجبه»، خلاف النسخ!

(٣) المطبوع: «تُؤْثِرون» من الإيثار، وهو لحن!

(٤) في «أخبار الأيام الأول»: (١٣ : ٩). والمعنىٰ: أنا وجدناكم تنقلون أخبار قوم منكم عَرضوا جثث القِدِّيسين غير متحلّلة ولا بالية، وجعلتم ذلك شاهدًا بأن الأيدي التي امتدَّت إليهم بسوءٍ عوقبتْ بأنْ جَفَّت، أليس ذلك أولىٰ بمن حاول النيلَ من عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ!

(٥) (د، ح): «قاله». والمراد: أن الجزع إذا كان قد نال المسيح، أليس من باب أولىٰ أن ينال مَن هو دونه مِن أتباعه!

(٦) (ل): «مِن جَوْرٍ حين أخذ»، تصحيف! وجورجيس: رجل صالح من أهل فلسطين، ممن يكتم إيمانه، وكان كثير المال والصدقة، وخبره مع الملك الظالم «دازانَهْ» حين دعاه إلىٰ التوحيد ذكره بطوله: ابنُ جرير في «تاريخه»: (٢/ ٢٤)، وابنُ الجوزي في «المنتظم»: (٢/ ١٤٨)، وابنُ الأثير في «الكامل»: (١/ ٣٣٥).

المسيح ﷺ - من العذاب الشديد بالقتل والحرق والنَّشر بالمناشير ما لم يُسمع بمثله في أحدٍ من الخلق، ونال خلقًا كثيرًا من تلامذته أيضًا عذابٌ شديد.

وقيل[(١)] لِمَا كان الملوكُ المحاربون لهم يسومونهم إيَّاه من الرجوع عن أديانهم إلىٰ الكفر الذي كان أولئك الملوكُ عليه فصبروا علىٰ ذلك واحتسبوا أنفسهم، فلم يهربوا من الموت، وقد كان يُمكنهم الهربُ من بلد إلىٰ بلد، والاستتارُ وإخفاءُ أشخاصهم، وما أظهروا في حالٍ من تلك الأحوال جزَعًا ولا هلعًا، وهم بعض الآدميين التابعين له، لأنه خَفَّف عنهم ما كانوا يُنالون به تأييدُ[(٢)] الله ﷻ إيّاهم.

قال: ثم نقول قولًا آخر: قد يُستدَلُّ[(٣)] علىٰ صحة هذه الشريعة من سقمها بأربعة أوجه، لا يقع في شيء منها شكٌّ ولا طعنٌ[(٤)]، ولا زيادة ولا نقصان، وهي أصلُ أمر المسيح عندكم:

- **فأولها**: البشرىٰ التي أتىٰ بها جبريل عليه السلام.
- **والثانية**: قول يحيىٰ بن زكريا الذي شهد له المسيح بأنه لم تقم النساء عن مثله.

---

(١) أي الحلول. والمراد: أن الحلول المزعوم في عيسىٰ ليس مختصًّا به، بل يتصف به كلّ من ثبَّته الله عند الابتلاء، بمعنىٰ حلول الإيمان واليقين، ويقال له: حلول المثال العلمي، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقد تقدمت الإشارة إلىٰ هذا في كلام المؤلف.

(٢) فاعلُ: «خَفَّفَ». و(د، ل، المطبوعتان): «بتأييد».

(٣) (د، المطبوعتان): «نَستدِل».

(٤) «ولا طعن» ليس في (ل).

➢ **والثالثة:** النداء المسموع من السماء.

➢ **والرابعة:** قول المسيح عن نفسه حين سأله يحيىٰ عن شأنه.

فالذي[١] قال جبريل علىٰ ما ثبت في إنجيلكم لمريم حين بشَّرها: «**السلام عليكِ أيتها الممتلئةُ نِعمًا، ربُّنا معكِ أيّتها المباركة في النساء. فلما رأتْه مريمُ ذُعِرتْ منه، فقال: لا ترهبي يا مريم فقد فزتِ بنعمةٍ من ربكِ، فها أنتِ تحبلين وتَلدين ابنًا وتسمّيه يسوع، ويكون كبيرًا، ويسمىٰ ابنَ الله العليّ، ويعطيه الله الربُّ كرسيَّ أبيه داود، ويكون ملكًا علىٰ آل يعقوب إلىٰ الأبد. فقالت مريم: أنىٰ يكون[٢] ذلك ولم يمسسْني رجل؟ قال لها الملاك: إن روح القدس يأتيكِ، أو قال: يحلُّ فيكِ، وقوة العلي تُحبلك، من أجل ذلك يكون الذي يَلد[٣] منك قِدِّيسًا[٤]، ويسمَّىٰ ابنَ الله العليّ**»[٥].

قال: فلم نَرَ الملاك[٦] قال لها: إن الذي تلدين هو خالقُكِ، وهو الربُّ كما سمّيتموه؛ بل أزال الشكّ في ذلك بأن قال: إن الله الربَّ يعطيه كرسيَّ أبيه داود، ويصطفيه ويكرمه، وإن داود النبي أبوه، وإنه يسمىٰ ابنَ الله. وما قال أيضًا: إنه يكون ملكًا علىٰ الأرض؛ وإنما جَعل له المُلك علىٰ بني إسرائيل فقط.

---

(١) (ح، المطبوعتان): «والذي»، والمثبت أصح، وهي فاء الفصيحة.

(٢) في المطبوعتين زيادة: «لي»، وكذا كانت في (د)، ثم ضُرِب عليها!

(٣) كذا في عامة النسخ، غير (ح) فبالتاء «تلد»، وفي المطبوعتين «يولد» وهو أجود.

(٤) (ل): «قدسيًا».

(٥) «لوقا»: (١: ٢٦ ـ ٣٥)، وتختلف الطوائف الثلاث اليوم في ترجمة قوله: «الممتلئة نِعَمًا»، ففسَّره «البروتستانت» بأن المراد: المُنْعَم عليها، في حين أن الأرثوذكس والكاثوليك يؤولونه علىٰ معنىٰ اسم الفاعل أي: المنعِمة علىٰ غيرها، والتي تفيض بالنعمة علىٰ سائر المخلوقات!

(٦) المطبوعتان: «الملَك» وفي المواضع بعده، خلاف النسخ. و(ل): «يروا الملاك».

وقد علمتم أن من يسمَّىٰ[1] بابن الله كثيرٌ لا يُحصون[2]، فمِن ذلك إقرارُكم بأنكم جميعًا أبناء الله بالمحبة، وقول المسيح: «**أبي وأبوكم**[3]، **وإلهي وإلهُكم**»[4] في غير موضعٍ من الإنجيل، ثم تسمية الله يعقوب وغيرَه: بنيه خصوصًا[5]، فالسبيلُ في المسيح ـ إذا لم تُلحقوه في هذا الاسم بالجمهور ـ أن يَجري في هذه التسمية مَجرىٰ الجماعة الذين اختصّوا بها من الأنبياء والأبرار.

ونِسبة الملاك إيّاه إلىٰ أبيه داود[6] تُحقِّقُ أن أباه داود، وأن التسميةَ الأولىٰ علىٰ جهة الاصطفاء والمحبة، وأن حلول الروح عليه علىٰ الجهة التي قالها متَّىٰ التلميذُ للشعب عن المسيح في الإنجيل: «**لستم أنتم متكلمين**[7]،

---

(١) (ل): «تَسمَّىٰ».

(٢) ورد لفظ (ابن الله) في ستة وأربعين موضعًا، و(أبناء الله) في أحد عشر موضعًا من الكتاب المقدّس ـ عندهم ـ وجاء إطلاق وصف البنوة فيه علىٰ الملائكة، وآدم، وشعب إسرائيل، والمؤمنين، وغيرهم. ينظر: «الخروج»: (٤: ٢٢)، و«أيوب»: (١/ ٦)، و«هوشع»: (١: ١٠)، و«يوحنّا»: (١: ١٢)، (١٢: ٥٢)، (٣: ١،٢)، و«متّىٰ»: (٥: ٩)، و«لوقا»: (٢٠: ٣٦)، و«أفسُس»: (٥: ١)، و«رومية»: (٨: ١٥)، و«غلاطية»: (٣: ٢٦)، (٤: ٦). وغيرها.

(٣) المطبوع: «وأبيكم»، وهو لحن ظاهر؛ إلا أن يحمل علىٰ حكاية اللفظ الوارد في كتابهم: «أصعد إلىٰ أبي وأبيكم»، كما تقدّم، غير أنه يخالف الأصول الخطية هنا.

(٤) «متّىٰ»: (٢٣: ٩، ١٠)، (٢٧: ٤٦، ٥٠)، و«يوحنّا»: (٨: ٣٨)، (٢٠: ١٧). وكذا «يوحنّا»: (١٣: ٣٢)، (١٤: ٢٤)، (١٧: ٣)، و«مرقس»: (١٢: ٢٨).

(٥) «الخروج»: (٤: ٢٢).

(٦) (ل): «إلىٰ أن أباه داود». والنص في: «سفر المزامير»: (٢: ٧).

(٧) في النسختين الخطيتين «متكلمون» بالرفع، ولا وجه له؛ إلا أن يكون علىٰ وضْع (ما) موضع (ليس)، كما هو في الترجمة العربية المشتركة: «فما أنتم المتكلمون»، وتكون (ما) حينئذٍ تميمية لا عمل لها، والمُثبت في عامة تراجم «إنجيل متّىٰ» (١٠: ٢٠): «فلستم أنتم المتكلمين» بالنصب علىٰ الجادّة.

وقد أثبت كتابُهم حلولَ روح الله في خلقٍ كثير، من ذلك: رومية (٨: ٩)، والرؤيا (١: ١٠)، وبولس ١ (٣: ١٦)، وحزقيال (١١: ٥) وغيرها، وهي دالة علىٰ أن حلول روح الله يعني الوحي والنبوة.

بل روحُ الله تأتيكم تتكلم فيكم»[1] فأخبر أن الروح تحُلُّ في القوم أجمعين وتتكلّم فيهم.

وقال الملَك في بشارته لمريم بالمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ: **«إنه يكون ملِكًا علىٰ آل يعقوب»**. فخصَّ آلَ يعقوب بتملُّكه عليهم دون غيرهم من الناس، ولم يقل إنه يكون إلهًا للخلائق[2].

ومعنىٰ قولِ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ لمريم: **«ربُّنا معكِ»** مثلُ معنىٰ قول الله عَزَّ وَجَلَّ لموسىٰ وغيرِه من الأنبياء: **«إني معكم»**، فقد قال ليوشع بن نون: **«إني أكون معكَ، كما كنتُ مع موسىٰ عبدي»**[3]، فقول[4] النصارىٰ كلّهم في مجاري لغتهم ومعاني ألفاظهم أن الله عَزَّ وَجَلَّ وروح القدس مع كل خطيب وراهب وفاضل في دينه علىٰ هذه السبيل.

قال: وأما النداء الذي سمعه يحيىٰ بن زكريا من السماء في المسيح، وشهادةُ يحيىٰ له، فإن متَّىٰ قال في إنجيله: **«إن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ لما خرج من الأردن تفتّحت له السماء، فنظر يحيىٰ[5] إلىٰ روح القدس قد نزلت علىٰ المسيح كهيئةِ حَمامة، وسمِع نداءً من السماء: إن هذا ابني الحبيب الذي اصطفيته»**[6].

---

(١) «متىٰ»: (١٠: ٢٠)، و«مرقس»: (١٣: ١٠).
(٢) (ل): «للخلق».
(٣) «يشوع»: (١: ٥)، (١: ١٧)، (٣: ٧).
(٤) (ل): «تقول».
(٥) «يحيىٰ» ساقط من (ل).
(٦) «متّىٰ»: (٣: ١٣ ـ ١٧)، و«مرقس»: (١: ٩ ـ ١١)، و«لوقا»: (٣: ٢١ ـ ٢٢)، وجاء الخبر في إنجيل «يوحنّا»: (١: ٢٩ ـ ٣٤) في سياق مختلف، وفروقٍ مهمة، تُظهِر اختلافًا وتناقضًا!

وقد علمنا وعلمتم أن المصطفىٰ مفعول، والمفعول مخلوق، وليس[1] يَستنكف المسيح عليه السلام من الاعتراف بذلك عن الاعتراف بذلك في كل كلامه[2]، وما زال يقول: «**إلهي وإلهكم وأبي وأبيكم**[3]»، وكلَّ[4] ما يصحِّح به أنه عبدٌ مرسلٌ مربوبٌ مبعوثٌ مأمورٌ يؤدّي ما سمع، ويفعلُ ما حُدَّ له، ونحن نشرح هذا في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالىٰ[5].

ثم قال: وقد وجدنا المسيح عليه السلام احتاج إلىٰ تكميل[6] أمره بمعموديّة يحيىٰ له، فصار إليه لذلك وسأله إياه، فليس مرتبة المقصود بدون مرتبة القاصد الراغب، وقال لوقا التلميذ في إنجيله[7]: إن يحيىٰ المُعْمِداني أرسل إلىٰ المسيح بعد أن عمَّده وسأله: «**أنت ذلك الذي تجيء، أو نتوقَّع غيرك؟**» فكان جواب المسيح لرسله: «**أن ارجعوا فأخبروه بما تَرون من عُميان يُبصِرون، وزَمْنىٰ[8] ينهضون، وصمٌّ يسمعون، فطوبىٰ لمن لم يغترَّ بي، أو يزِلَّ[9] في أمري**».

---

(١) (ل): «ولن».

(٢) أي: وليس يستنكف المسيح من الاعتراف بكونه مصطفىٰ عن الاعتراف بأنه مخلوق، أو تكون إحدىٰ العبارتين مقحمة.

(٣) كذا بالجرّ علىٰ الحكاية؛ فالنصّ ـ كما سيأتي ـ بتمامه: «أريد أن أصعد إلىٰ ـ أو: أذهب إلىٰ ـ أبي وأبيكم».

(٤) معطوف علىٰ مقول القول، أي: وما زال يقولُ كلَّ كلام يصحِّح به أنه عبد مرسل.

(٥) ينظر ما سيأتي: (٣/ ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٦٠، ٦٢، ٨٣، ٨٩، ٩٧، ١٠٠، ١٠١، ٣٥٥).

(٦) (ل): «أن يكمل».

(٧) (٧: ١٩ ـ ٢٣)، وجاءت القصة أيضًا في «متّىٰ»: (١١: ١ ـ ٦).

و«لوقا»: هو لوقا البشير (Luke the Evangelist)، الطبيب، صاحِبَ القدِّيس «بولس» في بعض رحلاته التبشيرية ـ كما يزعمون ـ، وكَتَب الإنجيل المنسوب إليه، كما كتب «أعمال الرسل» الذي هو جزء من العهد الجديد. «الموسوعة الكونية»: (٩/ ١٩٥).

(٨) «زَمْنىٰ» كذا في (ل) جمع «زَمِين»، فَعيل بمعنىٰ مفعول، والزمانة: العاهة والمرض يدوم زمانًا طويلًا. ورسمت في (د، ح): (زمن) بحذف الألف اختصارًا، وضُبطت في المطبوع: (زُمْن)!

(٩) عامة النسخ الخطية والمطبوعة: «يَذِلَّ» بالذال، ولعل الصواب ما أثبت، ويؤكده قولُه الآتي: «بل حذَّر الغلط في أمره...»، وهو الأقرب معنًىٰ إلىٰ الترجمات العربية؛ ففي اليسوعية: =

قال: فوجدنا يحيىٰ مع محلّه وجلالة قدره عند الله ﷻ ثم ما شَهد به المسيح له من أنه ما قامت النساء[1] عن مثله، قد شكَّ فيه، فاحتاج إلىٰ أن يسأله عن شأنه، ثم لم يكن من جواب المسيح له بشيءٍ مما تصفون من الربوبية، ولا قال: إني خالقك وخالق كلِّ شيء، كما في شريعة إيمانكم، بل حذَّر الغلط في أمره والاغترار، ولا كان من قوله أكثر مما ذَكر أنه أظهره[2] بنبوته من هذه الآيات التي سَبَق[3] إلىٰ مثلها أكثر الأنبياء.

قال: ولا رأينا يحيىٰ زاد في وصفه[4] إياه ـ لما قرَّظه[5] وأعلىٰ ذِكرَه، مع تشككه في أمره وحاجته إلىٰ مسألته عن حاله ـ علىٰ أن قال: «**هو أقوىٰ مني، وإني[6] لا أستحق أن أَحلَّ معقِد[7] خُفِّه**»[8]، ولم يَقل إنه خالقي، وقد يقول الرجل الخيِّر فيمن هو دونه مثلَ الذي قال يحيىٰ فيه؛ تواضعًا لله وخشوعًا، كما قال المسيح في يحيىٰ: «**إنه ما قامت النساء عن مثله**»[9].

قال: فتَرَكْتم ما أتت به الرسلُ والنبوَّاتُ في المسيح، وهو أصلُكم الذي وقع عليه بناؤكم[10]، وجعلتم لأنفسكم شريعةً غيرها.

= «وطوبىٰ لمن لا أكون له حجَر عَثْرة». وفي الفانديك، والبولسية: «وطوبىٰ لمن لا يعثر فيَّ»، والمراد: هنيئًا لمن لم يشك فيَّ، ولم يفقد إيمانَه بي. كما هو في الترجمات الأخرىٰ.

(١) «النساء» سقط من (ل)، وستأتي شهادة يحيىٰ في المسيح قريبًا.

(٢) المطبوع: «أظهر».

(٣) (ح): «تنسبون»، وط النيل: «يسبق».

(٤) (ل): «موضعه»، و(د، المطبوعتان): «وضعه»، والمثبت من (ح).

(٥) التقريظ: مَدْح الحيِّ ووصفُه بحقٍّ أو باطل. يقابله: التأبين؛ مدْح الميت.

(٦) «وإني» ليس في (ل).

(٧) كتب فوقها في (ح): «مقعَد»، تصحيف. ومعقد الحذاء: رِباطُه. وتفسره الترجمات الأخرىٰ: «لستُ أهلًا أن أحلّ سيور حذائه».

(٨) «مرقس»: (١: ٧)، و«لوقا»: (٣: ١٦)، و«يوحنا»: (١: ٢٧).

(٩) «متّىٰ»: (١١: ١١)، «لوقا»: (٧: ٢٨).

(١٠) (ل): «وَقَع ثناؤكم».

ومثَلُ الذين عَقَدوا هذه الشريعةَ لكم مَثَلُ مَن آمن بنبوَّةِ رجلٍ ينتفي من النبوَّة؛ لأن المسيح عليه السلام يقول: إنه مربوبٌ مبعوثٌ، ويقول جبريل: إنه مكرَم مصطفىٰ، وإن أباه داود، وإن الله جعله ملكًا علىٰ آل يعقوب، وينادي منادٍ من السماء بمثلِ ذلك، ويشهد يحيىٰ بنُ زكريا علىٰ مثله. وتقولون: بل هو خالقٌ أزليٌّ إلا أنه سَتر[1] نفسه.

ويقولُ المسيح وغيرُه ممن سمَّيْنا: إنه معطًىٰ، وإن الله معطيه. وتقولون: بل هو[2] رازق النِّعم وواهبُها.

ويقول: إن الله أرسله. وتقولون: بل هو الذي نزل لخلاصنا، وتعتقدون سبب نزوله من السماء: أنه[3] أراد أن يُخلِّصَكم، ويحتمل الخطيئة، ويربط الشيطان! فقد وجدنا الخلاص لم يقع، والخطيئةَ قائمةً[4] لم تزل، والشيطانَ أعتىٰ ما كان، لم يُربط، بل سلَّطه الله عليه[5] ـ علىٰ ما تقولون ـ بِحَصْرِه[6] في الجبل أربعين يومًا يَمتحنه، وقال له في بعض أحواله معه: «**إن كنتَ ابنَ الله فقل لهذه الصخور تَصير خبزًا!**» فقال له المسيح مجيبًا له: «**إنه مكتوب أن حياة الإنسان لا تكون بالخبز، بل بكل كلمةٍ تخرُج من الله**»، ثم ساقه الشيطان إلىٰ مدينة بيت المقدس، وأقامه علىٰ قُرْنة الهيكل[7]، وقال له: «**إن كنت ابنَ الله**

---

(١) كذا في جميع النسخ، وفي المطبوعتين: «يستر»!
(٢) «هو» ساقط من المطبوعتين!
(٣) (ل) زيادة: «نَزَل».
(٤) (ل): «باقية».
(٥) «عليه» ساقط من (ل).
(٦) كذا في (د)، و(ل): «يحصره»، وفي المطبوعتين: «فحصره»؛ خلاف النسخ.
(٧) القُرنة ـ بالضم ـ: الطرَف الشَّاخص من كل شيء. وقُرنة الهيكل: حدُّه وطرَفُه. «لسان العرب»: (١٣/ ٣٣٥).

فارْمِ بنفسك من هاهنا، فإنه مكتوب: إن الملائكة تُوكَّل بك؛ لئلا تَعثُر رجلُك بالحجر». قال يسوع: «ومكتوب أيضا: لا تُجرِّب الربَّ إلهك». ثم ساقه إلىٰ جبلٍ عالٍ وأراه جميعَ مملكات الدنيا وزخارفَها، وقال له: «إن خررْتَ علىٰ وجهك ساجدًا لي جعلتُ هذا الذي ترىٰ كلَّه لك». قال له المسيح: «اغرُب أيها الشيطان، فإنه مكتوب: اسجد للربِّ إلهك، ولا تعبدْ شيئًا سواه». ثم بعث الله ﷻ مَلَكًا اقتلع العدوَّ من مكانه ورمىٰ به في البحر، وأَطْلَقَ السبيل للمسيح[1].

قال[2]: أفلا يعلم من كان في عقله أدنىٰ مُسْكةٍ، أن هذا الفعلَ لا يكون من شيطانٍ إلىٰ إلهٍ، ولو كان إلهًا لأزاله عن نفسه قبل أن يأتيَه الملَكُ من عند ربِّه، ولَـمَا قال: «أُمِرْنا أن لا نجرِّب الله، وأن نسجدَ للربِّ، ولا نعبدَ شيئًا سواه»[3]! وكيف لم يَربط الشيطانَ عن نفسِه قبل أن يَربطه عن أمَّته؟

قال: فهذه أمورٌ إذا تأمَّلها المتأمِّل قَبُحَتْ جدًّا، وكثُر اختلافُها، واشتدَّ تناقضُها واضطرابُها.

قال: ومما يُعجب منه أنّكم تعتقدون أن الابنَ الأزليَّ اتَّحد بالمسيح فصارا بجهةٍ واحدةٍ، ولم يفارقْه قطُّ منذ اتَّحد به، ومكث علىٰ ذلك في بطن أمه تسعة أشهر، ثم أقام مولودًا ومغذًّىٰ[4] باللبن، ومربوبًا صبيًّا مغذًّىٰ بالأغذية إلىٰ أن بلغ ثلاثين سنة، لا يظهر منه شيءٌ من آلة الربوبية، ولا أمرٌ يوجِب هذا

---

(١) القصة بتمامها في: «متّىٰ»: (٤: ١ ـ ١١)، وفي «لوقا»: (٤: ١ ـ ١٣)، مع اختلاف ظاهر في ترتيب الأحداث بين الإنجيلين!

(٢) «قال» ليس في (ل)، وفي (د): «وقال»، ولا يزال النقل عن الحسن بن أيوب.

(٣) «متّىٰ»: (٤: ٧)، (٤: ١٠)، و«لوقا»: (٤: ٨)، (٤:١٢).

(٤) (ل): «ويتغذىٰ»، (د): «وتغذَّىٰ»، مع طمس أولها ميمًا، وإبقاء نَقْط التاء، فلا يدرىٰ آخر الضّبطين، ولعله المثبت.

المحلّ، ولا كان بينه وبين نظرائه من الآدميين فرقٌ، ولا سطَع منه نورٌ، ولا ظهرتْ له سكينةٌ، ولا حفَّته الملائكةُ بالتهليل، ولا ألَمَّ به الشّعَث[١] بعد ذلك، فوق ما كان من الأنبياء قبله، فقد كلَّم الله موسىٰ من «**العوسجة**»[٢] كيف شاء فأشرق ما حولها نورًا، وكلّمه من طور سيناء فاضطرمت[٣] في الجبل النيرانُ، والتبس وجهَه النورُ الساطعُ، حتىٰ كان يَتبَرْقعُ إذا جلس مع بني إسرائيل بعد ذلك، لأنهم كانوا لا يستطيعون النظر إليه، ثم سأل موسىٰ ربه ﷻ لما قرُب منه فقال: «**رب أرني أنظر إليك**». قال: «**لن تراني ولكن انظر إلىٰ الجبل، فإن استقرَّ مكانه فسوف تراني**» فلما تجلّىٰ ربه للجبل جعله دكًا وخرَّ موسىٰ صَعِقًا، فلما أفاق من صعقته استقال[٤] ربَّه فتاب عليه، وتجلَّىٰ مجدُ الله لجماعةٍ من الأنبياء فرأوا حول مَجده رَبَوَات الملائكة[٥].

وقال داود: «**يا ربِّ إنك حيث عَبَرت ببلاد سينين تزلزلت الأرضُ منك وانفطرتْ من هيبتك**»[٦].

وقال أيضًا كالمخاطب للبحر والجبال والمتعَجِّب منها: «**مالَكَ أيّها البحر هاربًا، وأنت يا نهرَ الأردن لِمَ ولَّيْت راجعًا، ومالَكِ أيّتها الجبال تنفِرين**

---

(١) (ل): «ولا لـمَّ بـه الشّـعْب»، (ح): «ولا ألـم بـه الشّـعْب»، وهـي متقاربـة. وأصـل اللـمِّ: الجمع، والشعث: التفرّق. ثم استعير اللمُّ في إصلاحِ كلِّ فاسدٍ.

(٢) العوسجة: شجر كثير الشوك، منه ما يثمر، والعوسج المحض: يقصُر أُنبوبُه ويصغُر ورقُه ويَصلُب عودُه، ولا يَعظُم شجره. «لسان العرب»: (٢/ ٣٢٤).

(٣) (ح): «فاضطرب»، وفي المطبوع: «فاضطربت». والصواب ما أثبت.

(٤) كذا في جميع النسخ وط. النيل، وفي المطبوع: «استغفر»!

(٥) كما في تجلي الله لموسىٰ وعيسىٰ ومعهما بِطْرُس ويعقوب ويوحنّا في «إنجيل مرقس»: (٩: ١-٨)، ولهارون في «سفر العدد»: (١٤: ١٠)، (٢٠: ٦)، ولأنبياء بني إسرائيل في «سفر الخروج»: (٤٠: ٣٤).

(٦) «المزامير»: (٦٨: ٨ ـ ٩)، وله نظائر في «المزامير»: (١٨: ٧)، (٤٦: ٦)، (٦٠: ٢)، (٧٦: ٧).

كالأبابيل، ومالكنَّ أيتها الشوامخُ والهضباتُ تنزو[1] نزو الشاء[2]». ثم قال كالمجيب عنهم: «من قُدّام الربِّ تزلزلت البقاع»[3].

قال: فإن كان المسيحُ هو الأزليّ الخالق أو كان متَّحدًا به، فكيف لم ترجف بين يديه الجبال ولم تتصرَّفْ عن مشيئته الأنهار والبحار؟ أو كيف لم تَظهر منه آياتٌ باهراتٌ أجلُّ من آيات الأنبياء قبله، مثلَ المشي على متون الهواء[4]، والاضطجاعِ على أكتاف الرّياح[5]، والاستغناءِ عن المآكل والمشارب[6]، وإحراقِ من قرُب منه من الشياطين والجنِّ، كما أَحرق إيليا من قرُب منه من جُندِ أحاب الملك[7]، ويمنع الآدميّين من نفسه، وما فعلوا ـ على زعمكم ـ بجسمه ليعلم الناس أنه خالقُهم أو أنه هيكل الخالق؟

قال: ووجدناكم تقولون: إن الابن إنما سُمِّي[8] ابنَ الله وكلامَه؛ لأنه تولّد من الأبِ وظَهَر منه، فلم نقف على معنىً ذلك؛ لأن شريعة إيمانكم تقول[9]:

---

(١) (د): «تنزا». وكذا كانت في (ح)، ثم ضرب عليها دون تصويب، وفي ط النيل: «تنزوان».
(٢) في المطبوعتين: «الشياء» خلاف النسخ.
(٣) «المزامير»: (١١٤: ٣ ـ ٧).
(٤) لموسىٰ عليه السلام، في «الخروج»: (٢٤: ١٨)، ولإيليا واليسع عليهما السلام في «الملوك الثاني»: (٢: ١).
(٥) لأيوب عليه السلام، في «سفر أيوب»: (٣٠: ٢٢).
(٦) لموسىٰ عليه السلام. في «الخروج»: (٣٤: ٢٨).
(٧) (د): «أخاف»، وأصلحت في هامش (ح): «أخاب»، موافقًا لما في «الكامل»: (١/ ١١٨)، والمثبت من (ل)، ومن «تاريخ الطبري»، ولعل الإعجام حكاية النطق العبري.
و«أحاب»: هو ابن عُمري بن ناداب، ملك بعلبك، زمنَ إيليا أو إلياس عليه السلام، كان مسرفًا في قتل الأنبياء، وكان يعبد صنمًا يقال له: «بَعْل»، المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ [الصافات:١٢٥]، ثم آمن بإلياس وصدّقه مدَّة، وبعدها نكس ورجع. والقصة في «الملوك الثاني»: (١: ٩ـ١٤)، وانظر: «تاريخ ابن خلدون»: (٢/ ١٢٩)، و«تاريخ الطبري»: (١/ ٤٦١).
(٨) (د، ح): «يسمىٰ».
(٩) «تقول» سقط من (ل).

إن الروح أيضا تخرج من الأب، فإن كان الأمر كما تقولون فالروح أيضًا ابن؛ لأنها تَخرُج عن الله تعالىٰ. وإلا فما الفرق بينهما؟

قال: ولم نفهم أيضًا قولَكم: إن الابن تجسَّد من روح القدس، وإن روح القدس ساقه إلىٰ البرِّ ليمتحنه الشيطان، فما كانت حاجة الابن إلىٰ أن تكون الروح - وهي في قولكم مِثلُه - تدبِّره وتغيِّره من حالٍ إلىٰ حال، أَوَما علمتم أن المغيِّر[١] السابِقَ المدبِّرَ فاعلٌ، والمسبوقَ المدبَّرَ مفعولٌ به؟ فالابن إذن دون الروح وليس كمثله[٢]، لأن الأزليَّ لا ينفك من الأزليِّ وهو مثله.

قال: وإن كان المسيحُ من روح القدس، كما قال جبريلُ الملَك لأمِّه مريم، فلِمَ سمَّيتموه كلمةَ الله وابنَه، ولم تسمُّوه روحَه، فإنما قال لها الملَك: «**إن الذي تلدين من روح القدس**». والروحُ غيرُ الابن، ولو كان المعنىٰ واحدًا لَمَا قالت الشريعةُ: إنه تجسَّد من روح القدس، وإن روح القدس ساقَتْه[٣] إلىٰ البر، وإن روحَ القدس نزل عليه، ولِمَ تُثَلِّثون به في إيمانكم فتقولون: نؤمن بالأب والابن وروح[٤] القدس؟

قال: ووجدناكم تقولون أيتها النُّسطوريّة: إن لله علمًا وحكمة هما **الابن**، وحياةً هي **الروح** = قديمَين[٥]، ولعلمه وحياته ذاتٌ كذات الله، وذلك أن علمَ الله له علمٌ وحياةٌ، ولحياتِه - التي هو[٦] روحُه - علمٌ وحياةٌ، وأن الله الأبَ لَمَّا

---

(١) المطبوع: «الغير»، خطأ.

(٢) المطبوع: «مثله»، خلاف النسخ وط النيل.

(٣) في المطبوعتين: «ساقه»؛ خلاف الأصول الخطية، والتذكير أقرب؛ علىٰ مثال ما قبله بتسعة أسطر، ولقوله بعده: «نزل».

(٤) المطبوع: «الروح» خلاف النسخ وط النيل.

(٥) أي: الابن والروح. وفي (ل): «قديمتين».

(٦) كذا في الأصول الخطية، وهو متجه، وفي المطبوعتين: «هي»، وفي (ل): «الذي هو».

رأىٰ استعلاء[1] العدوِّ علىٰ خلقه ونكولَ الأنبياء عن مناوأته، أرسل إليه ابنَه الفرد وحبيبَه، وجعله فداء ووِقاء[2] للناس أجمعين، وأن ابنَه نزل من السماء وتجسَّد من روح القدس وصار إنسانًا، ثم وُلد ونشأ وعاش ثلاثين سنة يتقلَّب بين بني إسرائيل كواحدٍ منهم، يصلِّي في كنائسهم، ويستنُّ بسننهم[3]، لا يدَّعي دينًا غيرَ دينهم، ولا ينتحلُ[4] رسالةً ولا نبوّةً ولا بنوّةً حتىٰ إذا انقضتْ تلك السُّنون أَظهَر الدعوة وجاء بالآيات الباهرة والبراهين المشهورة، فأنكرتْه اليهودُ وقتلتْه وصلبتْه، ثم صعد إلىٰ السماء.

وصدَّقتم بشريعة الإيمان وكفَّرتم من خالفها، ثم لم تلبثوا أن خلعتموها وانسلختم منها، وقلتم: إن المسيح جوهران وأقنومان، جوهرٌ قديمٌ وجوهرٌ حديثٌ، ولكل جوهرٍ أقنومٌ علىٰ حياله، وإن الله جوهرٌ قديمٌ يقوم بمعنيين، فهو واحدٌ يقوم بثلاثة معان، وثلاثةٌ لها معنىً واحد، كالشمس التي هي شيء واحد، ولها ثلاثةُ معانٍ: القُرْصُ والحرُّ والنورُ. فالمسيح هو الله، وهو مبعوثٌ غير أنه ليس يُعبد.

فكان معنىٰ قولكم هذا: أن المسيح مولودٌ لكنه ليس مفعولًا به، وهو مبعوثٌ مرسلٌ لكنكم تستحيون أن تُسمُّونه[5] رسولًا؛ إذ كنتم لا تُفرِّقون بين

---

(١) في المطبوعتين: «استيلاء»، وكذا عن نسخة بهامش (د).

(٢) (ح): «ورفاءً»، والمطبوع: «ووفاءً»، غلط.

(٣) (ل): «بسنتهم»، و(ح): «ويشبب بينهم»، تصحيف!

(٤) (ل): «ولا انتحل».

(٥) كذا الأصول الخطية، سهو من الناسخ، أو علىٰ إهمال (أنْ)، وهي لغة صحيحة. ومنه قراءة ابن محيصن: (لِمَنْ أراد أن يُتِمُّ الرضاعة)، وقوله:

أن تقرآنِ علىٰ أسماءَ ويحكما ... منّي السلامَ وألا تشْعِرا أَحدا

والمطبوعتان: «تسموه» علىٰ الجادَّة المشهورة. ينظر: «مغني اللبيب»: (ص/ ٣٨).

الله وبينه في شيءٍ من الأشياء، وأقبلتم على المَلَكانيَّة واليعقوبية بالتكفير واللعن؛ لقولهم: إن الله والمسيح شيء واحد، ثم لم تلبثوا أن قدَّمتم المسيح على الله ﷻ وبدأتم به في التمجيد، ورفعتم إليه تهاليلَكم ورغائبَكم[1] في أوقات القرابين خاصّة، وهي أجلُّ[2] صلواتكم وأفضلُ محافلكم عندكم؛ فإنه يقوم الإمامُ منكم على المذْبح من مذابحكم وأهله مَرْعُوْبُونَ، فتتوقعون نزول روح القدس - بزعمكم - من السماء بدعائه.

فيفتتح[3] دعاءه ويقول[4]: «**لِيتمَّ علينا وعليكم نعمة يسوع المسيح ومحبة الله الأب، ومشاركة روح القدس إلى دهر الداهرين**»[5]. ثم يختم صلاته بمثل ذلك.

فهذا تصريحٌ بالشرك، وتصغيرٌ لعظمة الله وعِزَّته؛ أن جعلتم النِّعَم والمواهب لمن هو دونه، وهو معطًى ومُخَوَّل[6] من عند الله على قولكم، وجعلتم لله بعد المسيح محبةً، ولروحه مشارَكةً.

قال: ووجدناكم قد عِبتم على اليعقوبية قولَهم: إن مريم ولدت الله - عزَّ الله وجلَّ عن ذلك - وفي شريعة الإيمان التي بينَّاها المجتَمِع عليها: أن المسيح إلهٌ حق، وأنه وُلد من مريم. فما معنى المنافَرة! وما الفرقَ! وما تُنكرون من قولهم: إن المقتول المصلوب هو الله - عزَّ الله وجلَّ عن ذلك -! وشريعةُ

---

(١) (ل): «ودعواتكم».
(٢) (ل): «أجمل».
(٣) (ح)، المطبوعة: «فيفتح».
(٤) (ل): «ويقولون».
(٥) «كورنثوس»: (١٣: ١٤)، وبنحو معناه في: «أفسس»: (٥: ٢٣).
(٦) صححت في هامش (ح): «محلول».

إيمانكم تقول: نؤمن بالرب المسيح الذي مِن خبره وحاله: الذي ولد من مريم وأَلِم وصلب علىٰ عهد الملك بيلاطُس[١] البُنْطي، ودُفن وقام في اليوم الثالث، أليس هذا إقرارًا بمثل قولهم[٢]؟ فتدبَّروا هذا القولَ يا أولي الألباب.

فإنكم إن قلتم: إن المقتولَ المصلوب هو الله؛ فإن مريم عندكم وَلَدت الله.

وإن قلتم: إنه إنسان؛ فإن مريم وَلدت إنسانًا، وبطلت الشريعة، فأيَّ القولين اخترتموه ففيه نقضُ دينكم.

ثم عِبتم علىٰ المَلَكانيَّة قولهم: إنه ليس للمسيح إلا أقنومٌ واحدٌ[٣]؛ لأنه صار مع الأزلي الخالق شيئًا واحدًا لا فرق بينهما. وقلتم بأن له أقنومين، لكلِّ جوهرٍ أقنومٌ علىٰ حياله، ثم لم تلبثوا أنْ رجعتم إلىٰ مثل قولهم، فقلتم: إن المسيح وإن كان مخلوقًا من مريم مبعوثًا؛ فإنه هيكلٌ لابن الله الأزليّ، ونحن لا نفرِّق بينهما، فإذا كان الأمر عندكم علىٰ هذا فما تنقِمون علىٰ المَلَكِيَّة! وما معنىٰ الافتراق، وقد رجعتم في الاتحاد إلىٰ مثل قولهم؟ إن هذا الأمر تحار فيه الأفهام!

---

(١) (د، ل) «نيلاطس». و(ح): «بيلاطوس» وهو الأقرب إلىٰ ما أُثبت من المصادر. ووقع في (د، ل) «النَّبطي»، والمثبت من (ح)، وهو الموافق لما في الأناجيل.
و«بيلاطس البنطي» (Pontius Pilate): هو عامل الامبراطور علىٰ مقاطعة: (يهوذا) عشر سنوات، من (٢٩م) إلىٰ (٣٩م)، ويدّعي النصارىٰ أنه مَن حكم بصلب المسيح وجلده، قيل إنه انتحر بعد ذلك، وقيل آمن فقتله «نارون» سنة (٣٩م)؛ ولهذا تقدّسه الكنيسة القبطية. انظر: «الموسوعة الكونية»: (١١/ ٥٧٤). وأخباره في «يوحنا»: (١٩)، و«متّىٰ»: (٢٧).
وانظر خبره مع المسيح في «تثبيت دلائل النبوة»: (ص/ ١٥٧)، وكذا في «متّىٰ»: (٢٧: ١ـ٥٠)، و«مرقس»: (١٥: ١ـ٢٥)، و«لوقا»: (٢٣: ١ـ٥٤)، و«يوحنا»: (١٨: ٢٨ـ ١٩: ١٦).
(٢) (د): «قولكم».
(٣) المطبوع: «أقنومًا واحدًا»، خلافًا للنسخ وجادَّة اللغة.

فإن كانت الشريعة بمعنىٰ[1] الأمانة عندكم حقًا، فالقول ما قال يعقوب[2]، وذلك أنا إذا ابتدأنا من الشريعة في ذِكر المسيح، ثم نسَقنا المعانيَ نسْقًا[3]، وانحدرنا فيها إلىٰ آخرها، وجدنا القومَ الذين ألّفوها[4] لكم قد صحَّحوا أن يسوع المسيحَ هو ابن الله، وهو بكر الخلائق كلِّها، وهو الذي وُلد من مريم ليس بمصنوع، وهو إلهٌ حقٌّ من إلهٍ حقٍّ من جوهرِ أبيه، وهو الذي أَتقن العوالم وخُلق كلُّ شيء علىٰ يده، وهو الذي نزل لخلاصكم، فتجسَّد، وحملتْه مريم وولدتْه، وقُتل وصُلب، فمن أنكر قولَ اليعقوبيَّة لزمه أن يُنكر هذه الشريعةَ التي تَشهد بصحة قولهم، ويلعن من أَلَّفها[5].

قال: وإنما أَخذت تلك الطائفةُ ـ يعني الذين وضعوا الأمانة ـ بكلماتٍ ـ ذكروا[6] أنهم وجدوها في الإنجيل ـ مشكلاتٍ، تأولتْ فيها[7] ما وقع بهواها، وتركتْ ما في الإنجيل من الكلام البيِّن الواضحِ الذي يشهد بعبودية المسيح، وشهادتِه بذلك علىٰ نفسه، وشهادةِ تلاميذه به[8] عليه، فأخذتْ بالـمُشْكل اليسير، وجعلتْ له ما أحبَّتْ من التأويل، وأَلغت[9] الواضحَ الكثيرَ الذي لا يحتاج إلىٰ تأويل.

---

(١) (ل): «تعني».

(٢) أي: يعقوب البرادعي، الذي تنسب إليه اليعقوبية، وقد تقدم التعريف به.

(٣) زاد في المطبوعتين: «واحدًا»، وليس في النسخ!

(٤) (ل، ح، المطبوعة): «ألقوها».

(٥) (د): «وتلعن»، (ح): «ويكفِّر من ألقاها».

(٦) المطبوعتان: «وذكروا» خلاف النسخ! و(ل): «لكلمات ذكروا».

(٧) (ح، ل): «منها».

(٨) «به» ساقط من (ل، ح).

(٩) صوِّبت في هامش (ح): «وألقت».

قال: فأما احتجاجكم بالشمس، وأنها[1] شيءٌ واحدٌ له ثلاثة[2] معان، وتشبيهُكم ما تقولونه[3] في الثلاثة الأقانيم بها، فإن ذلك تمويهٌ لا يصحّ؛ لأن نور الشمس لا يُحدُّ بحدِّ الشمس، وكذلك حرُّها لا يُحدُّ بحدِّ الشمس؛ إذ كان حدُّ الشمس جسمًا مستديرًا مضيئًا مُسْخَنًا دائرًا في وسط الأفلاك دورانًا دائمًا، ولا يتهيأ أن يَحدَّ نورَها وحرَّها مثلُ[4] هذه الصفة، ولا يقال: إن نورَها أو حرَّها جسمٌ مستديرٌ مضيءٌ مُسْخَنٌ دائم الدوران، ولو كان نورُها وحرُّها شمسًا حقًا من شمسٍ حقٍّ من جوهرِ الشمس ـ كما قالت الشريعة في المسيح: إنه إلهٌ حقٌّ من إلهٍ حقٍّ من جوهرِ أبيه= لكان ما قلتم له مَثَلًا تامًّا، والأمرُ مخالف لذلك ولا يُشبهه ولا يقع القياس عليه، والحجة منكم فيه باطلة.

قال: ووجدناكم تذكرون أن المسيح نزل من السماء فأبطلَ بنزولِه الموتَ والآثامَ، فإن العجب ليطول من هذا القول! وأعجبُ منه مَن قَبِله ولم يتفكر فيه، وممَّن لم يَستقبح أن يعتقد ديانةً لله ﷻ علىٰ مثل هذا القول المحال، البائنِ[5] عما تَشهد به العقولُ وتُنبِئ به المشاهدة، ويدعو الناس إليها، فما هو ببعيدٍ مِن عَقْد ما هو أَمحلُ وأبطلُ منها؛ لأنه إن كانت الخطيئة بَطَلَتْ بمجيئه، فالذين قتلوه إذًا ليسوا خاطئين ولا مأثومين، لأنه[6] لا خاطئ بعد مجيئه ولا خطيئة.

وكذلك أيضًا الذين قتَلوا حواريَّه وأحرقوا أسفارَه غيرُ خاطئين، وكذلك من نراه من جماعتكم ـ منذُ ذلك الدهر إلىٰ هذا الوقت ـ يَقتل ويَسرق ويزني

(١) (ل): «فإنها»، يوهم أنه جواب «فأما»، وهو خطأ، بل جوابها: «فإن ذلك تمويه».
(٢) (ح): «لها بثلاثة»، (ل): «لها ثلاث».
(٣) (د، المطبوعتان): «يقولونه».
(٤) كذا في جميع الأصول، وفي المطبوعتين: «بمثل»، وهو أمثل. و(ل): «أو حرّها».
(٥) (ل): «البيِّن».
(٦) المطبوع: «لأنْ»، خلاف النسخ!

ويلوط، ويَسْكَر ويَكذب، ويَركبُ كل ما نُهي عنه من الكبائر وغيرِها غيرُ خاطئين، ولا مأثومين.

فمن جَحد ذلك فليرجع إلىٰ التسبيحة التي تُقرأ بعقب كل قُربان، وهو: «**أنْ يا ربنا الذي غَلَب بوجعه الموتَ الطّاغي**[1]».

وفي الأخرىٰ التي تقال في يوم الجمعة الثانية من الفِصْح[2]: «**إنَّ فخرنا بالصليب الذي بطَل به سلطانُ الموت وصِرْنا إلىٰ الأمن والنجاة بسببه**».

وفي بعض التسابيح: «**بصلوات ربّنا يسوعَ المسيح بَطَل الموت، وانطفأتْ فِتنُ الشيطان، ودرستْ آثارُها**». فأيُّ خطيئة بطلت؟ وأيُّ فتنة للشيطان انطفأت؟ أو أيُّ أمر كان الناس عليه قبل مجيئه ـ من المحارم والآثام ـ تغيَّر عن حالته؟

قال: فإذا كان التمويه يقع فيما يُلحقه كلُّ أحد بالمعرفة والعيان[3]، فهو فيما أشكلَ من الأمور وفُعل بالتأويلات[4] التي تأولها أولئك المتأوّلون أوقع.

وإذا كنتم قد قبِلتم هذا المحال الظاهر الذي لا خفاء به عن الصبيان، فأنتم لما هو أعظمُ منه من المحال أقبل! وهذا إنجيلكم يُكذّب هذا القول،

---

(١) (ل): «الطاعن». وهذه التسبيحة والتسبيحتان بعدها لم أقف عليها في العهدين القديم والجديد، لكن نقلها -بنصّها- أبو البقاء الهاشمي (ت٦٦٨هـ) في كتابه: «تخجيل من حرَّف التوراة والإنجيل»: (٢/ ٦٢٨).

(٢) أي عيد الفِصْح، عبراني، معناه: العبور، وهو عيدٌ قديم احتفل به اليهود لنجاة موسىٰ وقومه من فرعون، وعبورهم من مصر نحو الأرض المقدسة. واحتفل به النصارىٰ باعتباره يمثّل صَلْب المسيح وقيامته، ثم خالفوا اليهود في وقته وبعض طقوسه، كما سيأتي بيانه بعد فصل. ينظر: «المسيح في الأعياد اليهودية»: (ص/ ٢٨ ـ ٧٢)، «موسوعة اليهود واليهودية»: (٢/ ٨٦).

(٣) المطبوع: «البيان»، خلاف النسخ.

(٤) (ل): «وفعله فالتأويلات»، و(ح): «ثالثا وثلاث»، تصحيف.

حيث يقول المسيح فيه[1]: «**ما أكثرَ من يقول لي يوم القيامة: يا سيدَنا! أليس باسمك أخرجنا الشيطان، فأقول: أُغْربوا عني أيّها[2] الفجرة الغاوون، فما أن[3] عرفتكم قطّ**»[4]. فهذا خلافُ قول علمائكم ما قالوا، ووضْعِهم لكم ما وضعوا.

ومثلُه قولُه: «**إني جامعُ الناسِ يوم القيامة عن ميمنتي وميسرتي، وقائلٌ لأهل الميسرة: إني جعتُ فلَمْ تُطعموني، وعطِشتُ فلَمْ تَسقوني، وكنتُ غريبًا فلم تَأْووني، ومحبوسًا فلَمْ تَزوروني، ومريضًا فلَمْ تعودوني، فاذهبوا إلىٰ النار المُعَدَّة لكم من قَبل تأسيس الدنيا. وأقول لأهل الميمنة: فَعلتُم بي هذه الأشياء فاذهبوا إلىٰ النعيم المعدِّ لكم من قَبل تأسيس الدنيا**»[5].

فهل أَدخل أولئك النارَ إلا خطاياهم التي ركِبوها؟ وهل أصار هؤلاء إلىٰ النعيم إلا أعمالهم[6] الجميلة التي قدَّموها بتوفيق الله إيَّاهم؟ فمن قال: إن الخطيئة قد بَطَلت، فقد بَهَت، وخالف[7] قولَ المسيح، وكان[8] من الكاذبين.

قال[9]: ويا أيُّها القوم ـ الذين هم أولوا الألباب والمعرفة ـ حيث ينسبونه إلىٰ الربوبية، ويَنْحِلونه اللاهوتية، ويجعلونه خالقَ الخلق أجمعين وإلههم،

---

(١) «فيه» ساقط من (ل).

(٢) (ل، د): «أيتها».

(٣) كذا في جميع النسخ وط النيل، ولعلها «أنا» مقصورة، يدل علىٰ ذلك نصها في العهد الجديد «أصرح لهم أني لم أعرفكم قط»، وهي ساقطة من المطبوع!

(٤) «متّىٰ»: (٧: ٢٢ـ٢٣).

(٥) «متّىٰ»: (٢٥: ٣١ـ٤٦)، مع تقديم وتأخير.

(٦) كذا في النسخ الخطية، وفي ط النيل: «صار ... أعمالهم»، وفي المطبوع: «صار ... بأعمالهم»، خلاف النسخ.

(٧) (ل): «وقد خالف».

(٨) (ح، د): «وكان هو».

(٩) المطبوع: «وقال»، خلاف النسخ.

بماذا ساغ ذلك لكم، وما الحجة فيه عندكم؟

هل قالت كتب النبوّات فيه ذلك؟ أو هل قاله عن نفسه؟ أو قاله أحدٌ عن تلامذته والناقلين عنه الذين هم عمادُ دينكم وأساسُه ومَن أخذتم الشرائعَ والسننَ عنه[١]، ومَن كَتَب الإنجيلَ وبيَّنه[٢]؟ بل[٣] قد أفصحَ في كلِّ الإنجيل من كلامه ومخاطباته[٤] ووصاياه بما لا يُحصىٰ كثرةً بأنه عبدٌ مثلُكم ومربوبٌ معكم، ومرسلٌ من عند ربه وربكم، ومبدي ما أُمِرَ به فيكم.

وحكىٰ مثلَ ذلك مِن أمره حوارِيُّوه وتلامذتُه، ووصفوه لمن سأل عنه.

وفي كلامهم بأنه رجلٌ جاء من عند الله ﷻ، ونبيٌّ له قوة وفضل، فتأوَّلتم في ذلك أنه أَخرج كلامه علىٰ معنىٰ الناسوت. ولو كان كما تقولون؛ لأفصح عن نفسه بأنه إلهٌ كما أفصح بأنه عبدٌ، ولكنه ما ذكره ولا ادَّعاه، ولا دعا إليه، ولا ادَّعتْه له كتب الأنبياء قبله ولا كتبُ تلامذته، وما حُكي[٥] عنهم، ولا أَوجبه كلامُ جبريل[٦] الذي أدَّاه إلىٰ مريم، ولا قولُ يحيىٰ بنِ زكريا.

قال: فإن قلتم: إنكم استدللتم علىٰ ربوبيته بأنه أحيا الموتىٰ، وأبرأ الأكمه والأبرصَ، ومشىٰ علىٰ الماء وصعد إلىٰ السماء، وصيَّر الماء خمرًا، وكثَّر القليل= فيجب الآن أن يُنظر إلىٰ كل[٧] مَن فَعل مِن هذه الأمور فِعلًا، فنجعله ربًا وإلهًا، وإلا فما الفرق؟

---

(١) (ل، ح): «منه».

(٢) (ح): «وثبّته».

(٣) «بل» سقط من المطبوع!

(٤) المطبوع: «ومخاطبته» خلاف الأصول الخطية.

(٥) في المطبوعتين: «ولا حكي»، خلاف النسخ.

(٦) وقع هنا خرم في (ح) يقدَّر بثلاث أوراق، وينتهي عند قوله: «ويقرّ له بالعبودية».

(٧) «إلىٰ كل» ليس في (ل).

فمن ذلك: أن كتاب «**سفر الملوك**»[1] يُخبر أن إلياس أحيا ابنَ الأرملة، وأن اليسع أحيا ابن الإسرائيلية[2]، وأن حزقيال[3] أحيا بشرًا كثيرًا[4]، ولم يكن أحدٌ - ممن ذكرنا بإحيائه الموتىٰ - إلهًا.

وأما إبراء الأكمه؛ فهذه التوراة تُخبر أن يوسف أبرأ عينَ أبيه يعقوبَ بعد أن ذَهبتْ[5]، وهذا موسىٰ طرَحَ العصا فصارت حية لها عينان تُبصر بهما[6]، وضَرب بها الرملَ فصار قملًا، لكل واحدة منها عينان تُبصر بهما[7]، ولم يكن واحدٌ منهما[8] بذلك إلها.

وأما إبراء الأبرص؛ فإن كتاب «**سفر الملوك**»[9] يُخبر بأن رجلًا من عُظماء الروم بَرَص، فرحل من بلده قاصدًا اليسع عليه السلام ليبرئه من بَرَصه[10]، فأَخبر الكتابُ بأن الرجل وَقف ببابِ اليسع أيامًا لا يؤذَن له، فقيل لليسع: إن ببابك رجلًا يقال له نُعمان، وهو أجلُّ عظماء الروم، به برصٌ، وقد قصدك لتُبرِئه من برصه[11]، فإن أذِنت له دَخل إليك، فلم يأذن له، وقال لرجل من

---

(١) «الملوك الأول»: (١٧: ١٧ ـ ٢٤).

(٢) «الملوك الثاني»: (٤: ٣٢ـ٣٧).

(٣) (ل): «حزقيا».

(٤) «حزقيال»: (٣٧: ١ـ١٠).

(٥) «التكوين»: (٤٦: ٤).

(٦) «الخروج»: (٧: ١٠ـ١٥).

(٧) «الخروج»: (٨: ١٦ـ١٧)، ونَسَب فيه معجزةَ العصا لهارون لا لموسىٰ، حيث قال: «وقال الله لموسىٰ: قل لهارون: ابسط يدك بعصاك واضرب تراب الأرض؛ ليصير قَملًا في كل أرض مصر...»، كذا في التوراة السّامرية، ومثله النصّ العبري التقليدي، غير أنه ذكر البعوض بدل القمل!

(٨) (د): «منهم».

(٩) «الملوك الثاني»: (٥: ١ـ٢٧).

(١٠) (ل): «مرضه».

(١١) المطبوعتان: «مرضه»، خلاف النسخ.

أصحابه: اخرج إلىٰ هذا الرجل فقل لـه: يَنغمسْ في الأردن سبعَ مرّات، فأبلغ الرسولُ لنعمان[1] ما أَمره به اليسع، ففعل ذلك، فذهب عنه البرصُ ورجع قافلًا إلىٰ بلده، فاتَّبعه خادمُ اليسع فأوهمه أن اليسع وجَّه به إليه يَطلب منه مالًا، فسُرَّ الرجلُ بذلك، ودَفع إلىٰ الخادم مالًا وجوهرًا، ورجع فأخفىٰ ذلك وستره.

ثم دخل إلىٰ اليسع، فلما مَثَل بين يديه قال له: تبِعتَ نعمان وأوهمته عني كذا وكذا، وأخذتَ منه كذا[2]، وأخفيته في موضع كذا! إذ فعلتَ الذي فعلتَ[3]؛ فليصِرْ برصُه عليك وعلىٰ نسلك، فبرص ذلك الخادم علىٰ المكان.

فهذا[4] اليسع قد أبرأ أبرصًا، وأبرص صحيحًا، وهو أعظمُ مما فعل المسيح عليه السلام، فلم يكن في فعله[5] ذلك إلهًا.

قال: وأما قولكم: إنه مشىٰ علىٰ الماء؛ فإن كتاب «**سفر الملوك**»[6] يخبِر بأن إلياس عليه السلام صار إلىٰ الأردن ومعه اليسع تلميذه، فأخذ عمامتَه فضَرب بها الأردن، فاستيبس له الماء حتىٰ مشىٰ عليه هو واليسع، ثم صعد إلىٰ السماء علىٰ فرسٍ من نور واليسعُ يراه، ودَفع عمامتَه إلىٰ اليسع، فلما رجع اليسع إلىٰ الأردن ضَرب بها الماءَ فاستيبس له حتىٰ مشىٰ عليه راجعًا.

---

(١) كذا في جميع النسخ، والأفصح تعديته بنفسه، يقال: «أبلغه الخبر إبلاغًا».

(٢) (ل) زيادة: «وكذا».

(٣) (د) زيادة: «عليه».

(٤) المطبوعتان: «قال فهذا»، خلاف النسخ.

(٥) (ل): «فعل».

(٦) «الملوك الثاني»: (٢: ٧ـ١٤)، وهنا عبّر بالمشي علىٰ الماء بعد استيباسه، وفي عامة الترجمات العربية: أنه انفلق له البحر فمشىٰ علىٰ اليابسة، ونصّها: «وضرب الماء، وقال: أين هو الرب إله إيليا؟ ثم ضَرب الماء أيضًا فانفلق إلىٰ هنا وهناك فعبر اليسع»، فلعل في حكاية أحدهما توسُّعًا وتجوّزًا.

ولم يكن واحدٌ منهما بمَشْيِه علىٰ الماء إلهًا، ولا كان إلياس بصعوده إلىٰ السماء إلهًا.

قال: **وأما قولكم**: إنه صيَّر الماء[1] خمرًا؛ فهذا كتاب «**سفر الملوك**»[2] يخبِر بأن اليسع نزل بامرأةٍ إسرائيليَّةٍ فأضافتْه وأحسنتْ إليه، فلما أراد الانصرافَ قال لها: هل لك من حاجة؟ فقالت المرأة: يا نبي الله! إن علىٰ زوجي دَينًا قد فَدَحه[3]، فإن رأيتَ أن تدعوَ الله لنا بقضاءِ دَيننا فافعل.

فقال لها اليسع: اجمعي كل ما عندك من الآنية، واستعيري من جيرانك جميعَ ما قدرتِ عليه من آنيتهم. ففعلتْ. ثم أمرها فملأت الآنية كلَّها ماء فقال: اتركيه ليلتكِ هذه. ومضىٰ من عندها، فأصبحت المرأة وقد صار ذلك الماء كلُّه زيتًا، فباعوه فقضوا دينهم.

وتحويلُ الماء زيتًا أبدع من تحويله خمرًا، ولم يكن اليسع بذلك إلهًا.

وأما قولكم: المسيح عليه السلام كثَّر القليلَ حتىٰ أكل خلقٌ كثيرٌ من أَرْغفةٍ يسيرة؛ فإن كتاب «**سفر الملوك**»[4] يُخبر بأن إلياس نزل بامرأةٍ أرملةٍ، وكان القَحْطُ قد عمَّ الناسَ، وأجدبت البلادُ، ومات الخلقُ ضرًّا وهَزْلًا[5]، وكان الناسُ في ضِيق، فقال للأرملة: هل عندك من[6] طعام؟ فقالت: والله ما عندي

---

(١) (د): «ماءً».

(٢) «الملوك الثاني»: (١:٤ـ٧).

(٣) أي: أثقلَه وشقّ عليه أداؤه.

(٤) «الملوك الأول»: (١٧: ٧ـ١٦).

(٥) الهَزْل: الفقر، و(هزل) كـ(ضرب): افتقر، وأَهْزَلَ القومُ: حبَسوا أموالهم عن شدَّةٍ وضيقٍ. «لسان العرب»: (١١/ ٦٩٧).

(٦) «من» سقط من المطبوع.

إلا كفٌّ من دقيق في قُلَّة، أردتُ أن أخبِزه لطفلٍ لي، وقد أيقنَّا بالهلاك لِمَا الناسُ فيه من القحط. فقال لها: أحضريه فلا عليكِ. فأتتْه به، فبارك عليه، فمكث عندها ثلاثَ سنين وستةَ أشهر تأكل هي وأهلها وجيرانُها منه حتىٰ فرَّج الله عن الناس.

فقد فعل إلياسُ في ذلك أكثرَ مما فعل المسيح؛ لأن إلياس كثَّر القليل وأدامه، والمسيحَ كثَّر القليل في وقتٍ واحد، ولم يكن إلياسُ بفعله هذا إلهًا.

قال: فإن قلتم: إن هؤلاء الأنبياء ليس لهم صُنعٌ في هذه الأفعال، وإن الصنع فيها والقدرةَ لله ﷻ؛ إذ كان هو الذي أجراها علىٰ أيديهم؛ فقد صدقتم.

ونقول لكم أيضًا: كذلك المسيح ليس له صنعٌ فيما ظهر علىٰ يديه من هذه الأعاجيب؛ إذ كان الله هو الذي أَظهرها علىٰ يديه، فما الفرق بين المسيح وسائر الأنبياء؟ وما الحجة في ذلك؟

قال: وإن قلتم: إن الأنبياء كانت إذا أرادت أن يُظهر الله علىٰ أيديهم آيةً تضرَّعت إلىٰ الله ودعَتْه وأقرَّت له بالربوبية وشهدتْ علىٰ أنفسها بالعبودية.

قيل لكم: وكذلك[1] سبيل المسيح، سبيل سائر الأنبياء، قد كان يدعو ويتضرَّعُ ويعترفُ بربوبية الله، ويقرُّ له بالعبودية[2].

فمن ذلك: أن الإنجيل يخبِر بأن المسيح أراد أن يُحييَ رجلًا يقال له أَلِعازَر[3]، فقال: «**يا أبي أدعوك كما كنت أدعوك من قبل فتجيبني وتستجيب**

(١) (ل): «بل فكذلك».

(٢) هنا ينتهي السقط في (ح).

(٣) أَلِعازر أو لَعازر: يعني: الله يعين.

لي، وأنا أدعوك من أجل هؤلاء القيام ليعلموا»[1].

وقال ـ بزعمكم ـ وهو على الخشبة: «**إلهي إلهي لم تركتني؟**»[2].

وقال: «**يا أبي اغفر لليهود ما يعملون، فإنهم لا يدرون ما يصنعون**»[3].

وقال في إنجيل «متَّىٰ»[4]: «**يا أبي أحمدك**».

وقال: «**يا أبي إن كان بُدٌّ**[5] **أن يتعدَّاني هذا الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا، فلتكن مشيئتُك**»[6].

وقال أيضا: «**أنا أذهب إلىٰ إلهي الذي هو أعظمُ مني**»[7].

وقال: «**لا أستطيع أن أصنع شيئًا ولا أتفكَّر فيه إلا باسم إلهي**»[8].

وقال يعني نفسه: «**لا ينبغي للعبد أن يكون أعظمَ من سيِّده، ولا للرسول أن يكون أعظمَ ممن أَرسله**»[9].

---

(١) «يوحنّا»: (١١: ٤١ـ٤٢).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «لوقا»: (٢٣: ٣٤).

(٤) (١١: ٢٥)، وفيه: «أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض...».

(٥) (ل): «قد»، وضرب عليها في (ح) دون تصويب.

(٦) «متَّىٰ»: (٢٦: ٣٦ـ٤٤)، وفيه: «يا أبتاه، إن لم يُمكن أن تَعبُر عني هذه الكأس إلا أن أشربها، فلتكن مشيئتك».
و«مرقس»: (١٤: ٣٢ـ٣٩)، وفيه: «يا أبا الآب! كل شيء مستطاع لك فأَجِزْ عني هذه الكأس، ولكن ليكن لا ما أريد أنا، بل ما تريد أنت».
و«لوقا»: (٢٢: ٣٩ـ٤٤)، وفيه: «يا أبتاه! إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس، ولكن لتكن لا إرادتي، بل إرادتك».

(٧) «يوحنَّا»: (١٤: ٢٨).

(٨) «يوحنّا»: (٥: ٣٠)، (٨: ٢٨)، (٨: ٤٢)، (١٢: ٤٩).

(٩) «يوحنا»: (١٣: ١٦).

وقال: إن الله لم يلد ولم يولد، ولم يأكل ولم يشرب، ولم ينَمْ ولم يره أحدٌ من خلقه، ولا يراه أحدٌ إلا مات[1].

والمسيح قد أكل وشرب ووُلِد، ورآه الناس فما ماتوا من رؤيته ولا مات أحدٌ منهم، وقد لبِث فيهم ثلاثًا وثلاثين سنة»[2].

قلت: وعامة ما ذكره هذا عن الكتب تَعترف به النصارىٰ، ولكن بعضهم ينازعه في يسيرٍ من الألفاظ، فنازَعَه هنا في قوله: «**لا ينبغي للعبد أن يكون أعظمَ من سيِّده**». وقال[3]: هذا إنما قاله المسيح للحواريين، وذَكَر أنه لا يُعرف عنه[4] لفظ: لم يلد[5] ولم يولد، ولم يأكل ولم يشرب.

قال[6]: «وقال[7] في إنجيل يوحنّا[8]: «**إنكم متىٰ رَفعتم ابن البشر فحينئذ تعلمون أني أنا هو، وشيءٌ من قِبَل نفسي لا أفعل، ولكن كلُّ شيء كالذي علَّمني أبي**».

---

(١) لم يقصد الحسن بن أيوب نسبةَ هذا القول بلفظه إلىٰ المسيح عليه السلام، وإنما عنىٰ ما تضمَّنه من معنىٰ، وهو ثابت في مواضع من العهدين القديم والجديد، منها: «الخروج»: (٣٣: ٢٠)، و«التثنية»: (٤: ١٢)، و«يوحنّا»: (١: ١٨)، و«يوحنّا»: (٦: ٤٦)، وغيرها، وعلىٰ هذا فمنازعة بعض النصارىٰ له في هذا ـ كما سيذكره المصنف ـ حَيْدة عن الحق الثابت. والله أعلم.

(٢) هنا ينتهي جزءٌ من رسالة الحسن بن أيوب إلىٰ أخيه، وللمصنف رجوعٌ إليها.

(٣) أي المنازِعُ.

(٤) «عنه» ليس في (د)، والضمير للمسيح عليه السلام.

(٥) «لم يلد» سقط من المطبوع!

(٦) رجوعٌ إلىٰ كلام الحسن بن أيوب في رسالته إلىٰ أخيه: علي بن أيوب.

(٧) (ل، ح): «قال تعالىٰ».

(٨) (٨: ٢٨).

و«يوحنّا» (John the Apostle)، أحد الحواريّين، وكاتب الإنجيل المنسوب إليه، صاحَبَ «بِطْرُس السليح» زمنًا، ثم ترك فلسطين وانتقل إلىٰ «افسس»، وبها مات سنة (١٠٠م). «الموسوعة الكونية»: (٧/ ١٨١).

وقال في موضع آخر: «**مِن عند الله أُرسلت معلّمًا**»[1].

وقال لأصحابه: «**اخرجوا بنا من هذه المدينة، فإن النبيَّ لا يُجَلُّ في مدينته**»[2].

وأخبر الإنجيلُ أن امرأةً رأت المسيح فقالت: إنك لَذلكَ النبيُّ الذي كنا ننتظر مجيئه؟ فقال لها المسيح: «**صدقتِ، طوبىٰ لكِ**»[3].

وقال لتلامذته: «**كما بعثني أبي كذلك أَبعثُ بكم**»[4].

قال: فاعتَرف بأنه نبي وأنه مألوه ومربوب ومبعوث.

وقال لتلامذته: «**إن من قَبِلَكم وآواكم فقد قَبِلني، ومن قَبِلني فإنما يقبل من أرسلني، ومَن قَبِل نبيًا باسم نبيٍّ فإنما يفوز بأجر من قَبِل النبيَّ**»[5].

فبيَّن هاهنا في غير[6] موضع أنه[7] مرسل، وأن سبيلَه مع الله سبيلهم معه.

وقال متَّىٰ التلميذ في إنجيله[8] -يستشهد علىٰ المسيح بنبوة أشعيا عن الله ﷻ-: «**هذا عبدي الذي اصطفيتُه، وحبيبي الذي ارتاحتْ إليه نفسي، أنا واضع روحي عليه، ويدعو الأمم إلىٰ الحق**».

---

(١) «يوحنّا»: (٣: ٢)، (١٣: ١٣).

(٢) «متّىٰ»: (١٣: ٥٧)، و«مرقس»: (٦: ٤)، و«لوقا»: (٤: ٢٤)، و«يوحنّا»: (٤: ٤٤).

(٣) «يوحنّا»: (٤: ١٩) والترجمات العربية ـ التي وقفنا عليها ـ وكذا النسخة الكاثوليكية المعتمدة من الفاتيكان لم يُذكر فيها تصديق المسيح للمرأة، بل جاء جوابه علىٰ مساق آخر: «قال لها يسوع: صدِّقيني أنه تأتي ساعة ـ لا في هذا الجبل ولا في أورشليم ـ تسجدون للآب»!.

(٤) «يوحنّا»: (٢٠: ٢١).

(٥) «متَّىٰ»: (١٠: ٤٠ـ٤١)، و«لوقا»: (١٠: ١٦).

(٦) «غير» سقط من (ل، ح).

(٧) في المطبوعتين زيادة: «نبي»، وليس في النسخ.

(٨) «متىٰ»: (١٢: ١٨)، و«أشعيا»: (٤٢: ١).

فلن يُحتاج إلىٰ حجةٍ أوضحَ من هذا القول الذي جعلتموه حجةً لكم، فقد أوضح الله أمرَه وسمَّاه عبدًا، وأعلمَ أنه يضعُ عليه روحَه ويؤيدُه بها كما أيَّد سائر الأنبياء بالروح، فأظهروا الآيات المذكورة عنهم، وهذا القول يوافق ما بشَّر به جبريلُ الملكُ مريم حين ظهر لها، وقال القول الذي سقناه في صدر كتابنا.

قال(١) وقال يوحنّا التلميذُ في الإنجيل(٢) عن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**إن كلامي الذي تسمعون هو كلامُ مَن أرسلني**».

وقال في موضع آخر(٣): «**إن أبي أجلُّ وأعظمُ مني**».

وقال أيضًا: «**كما أمرني أبي كذلك أفعل أنا، أنا الكرْم وأبي هو الفلاح**»(٤).

وقال يوحنّا(٥): «**كما للأب حياة في جوهره، فكذلك أعطىٰ الابن: أن تكون له حياةٌ في قينومه(٦)**».

قال: فالمعطِي خلافُ المعطَىٰ لا محالة، والفاعل خلاف المفعول.

قال: وقال المسيح في إنجيل يوحنّا(٧): «**إني لو كنتُ أنا الشاهدُ لنفسي علىٰ صحةِ دعواي؛ لكانتْ شهادتي باطلةً، لكن غيري يشهد لي، فأنا أشهدُ لنفسي، ويَشهد لي أبي الذي أرسلني**».

---

(١) «قال» سقط من المطبوع، وهو في عامة النسخ وط. النيل.

(٢) «يوحنّا»: (١٢: ٤٩)، (١٤: ٢٤).

(٣) «يوحنّا»: (١٤: ٢٨).

(٤) «يوحنّا»: (١٤: ٣١، ١٥: ١).

(٥) «يوحنّا»: (٥: ٢٦).

(٦) أصلحت في هامش (ح): «أقنومه».

(٧) جمع في هذا النص بين عبارتين في موضعين مختلفين؛ ففي (٥: ٣١-٣٢) قوله: «٣١: إن كنتُ أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقًا ٣٢: الذي يشهدُ لي هو آخر، وأنا أعلم أن شهادته التي يشهدها لي هي حق»، وفي (٨: ١٨) قوله: «أنا هو الشاهد لنفسي، ويشهد لي الآب الذي أرسلني».

وقال المسيح لبني إسرائيل: «**تريدون قتْلي، وأنا رجلٌ قلتُ لكم الحقَّ الذي سمعتُ الله يقوله**»[1]!

قال: وقال في الرجل الذي أقامه من الموتىٰ: «**يا أبي أشكرك علىٰ استجابتك دعائي وأعترف لك بذلك، وأعلم أنك كلَّ وقتٍ تجيب دعوتي، لكنْ أسألُك من أجل هذه الجماعة ليؤمنوا بأنك أنت أرسلتني**»[2].

قال: فأيُّ تضرُّع وإقرار بالرسالة والمسألة والطلب للإجابة من الله ﷻ أشدَّ من هذا أو أكثر؟

قال: وقال في بعض مخاطبته لليهود وقد نسبوه إلىٰ الجنون: «**أنا لست بمجنون، ولكن أُكرم أبي، ولا أُحبُّ مدح نفسي، بل أَمدح أبي، لأني أعرفه، ولو قلت: إني لا أعرفه، لكنت كذَّابا مثلَكم، بل أعرفه وأتمسك بأمره**»[3].

قال: وقال داود في مزمور[4] المائة وعشرة[5]: «**قال الربُّ لربِّي:[6] اجلس عن يميني حتىٰ أضع أعداءك موطئًا لرجليك. عصا العظمة يبعثُ الربُّ من صهيون[7]، وتسلّط[8] علىٰ أعدائك. شعبُك يا مسيحُ يوم الرُّعب في بهاء**

---

(١) «يوحنّا»: (٨: ٤٠).

(٢) «يوحنّا»: (١١: ٤١ ـ ٤٢).

(٣) «يوحنّا»: (٨: ٤٩ ـ ٥٠)، (٨: ٥٥).

(٤) في المطبوع: «مزموره»، خلاف النسخ.

(٥) «المزامير»: (١١٠: ١ ـ ٤).

(٦) «لربي» سقط من المطبوع. وفي بعض الترجمات: «لسيدي».

(٧) (د، ل، المطبوعتان): «تبعث» بالتاء، ولا يستقيم؛ إذ الفاعل (الرب) كما في (ح)، وسائر الترجمات: «يمُدُّ الربُّ»، «يمُدُّ الله»، «يُرسلُ الربُّ»، «يرسله الربُّ»، والمعنىٰ: يرسل الله عصا عزِّك، وسلطانك وقدرتك من القدس.

(٨) (ل، المطبوع): «يبسط»، (د، ط النيل): «تبسط». والمثبت ما استظهرته من هامش (ح) موافقًا للترجمات الأخرىٰ: «تَسلّطْ في وسط أعدائك»، «فتَسلطْ علىٰ أعدائك»؛ من التسليط أمرًا أو إخبارًا.

القدس، من الندىٰ اليومَ ولدتُّك يا صبيّ[1]. عَهْد الربِّ ـ ولا يَكذب ـ إنك أنت الكاهن المؤيَّد، يشبه ملكيز داق[2]».

قال: فهذه مخاطبةٌ ينسبونها إلىٰ اللاهوت، وقد أبان داودُ في مخاطبته، أن لربِّه الذي ذكره ربًا هو أعظم منه وأعلىٰ، أعطاه ما حكيناه ومنَحه ذلك، وشهد عليه أنّ عصا العظمة يبعثُ ربُّه هذا من صهيون، وسمَّاه صبيًا محقِّقًا لقوله الأول: اليوم ولدتك. ونَسَقًا علىٰ أول كلامه: «وهو ربه»، ووُصف أنه الكاهن المؤيَّد الذي يشبه ملكيزداق»[3].

قلت: قالوا: وهذا الكاهن هو الذي ذُكر[4] في التوراة أن الخليل أعطاه القُربان[5]، وإذا كان المسيح مشبَّهًا به مع تسميته كاهنًا، كان ذلك من أعظم

---

(١) (ح): «من الغدىٰ اليوم ولدتك». (ط النيل): «من البدئ. اليوم ولدتك». (ل، المطبوع): «من اليوم الذي ولدتك»، (د): «الندىٰ» علىٰ ما استظهرته، وهو الأليق بالترجمات الأخرىٰ؛ ففيها: «من الفجر ولدتك»، «من رحِم الفجر، لك طلُّ حداثتك»، «يأتي إليك شُبَّانك في ثياب مقدسة كندىٰ الصبح»، «فمن رحِم الفجر حلَّ كالندىٰ شبابُك»، «من رحم الفجر لك طلُّ ولوديتك».
وتفيد بمجموعها: أن شعبك يلتفُّ حولك طوعًا يومَ قوَّتك، يوم تقود جنودَك في زينة وثياب مقدّسة، ويحلُّ كالندىٰ شبابُك، فمِن رحِم الفجر ونداه وطلِّه كانت ولادتك.
وأما لفظ «البدء» في قول داود عليه السلام فسيأتي قريبًا في سياق آخر. والله أعلم.

(٢) «يشبه ملكيز داق» ليس في (ل، ح). وفي الترجمات الأخرىٰ: «مَلْكيصادَق»، «مَلْكِصاداق»، «الملك صادق»، وهو ـ كما يزعم النصارىٰ ـ كاهنٌ مقدَّس، باركه إبراهيم عليه السلام، ويدّعون أنه لا أب له ولا أم ولا نسب، ولا لأيامه بداءة ولا لحياته نهاية، وأنه علىٰ مثال ابن الله، يبقىٰ كاهنًا إلىٰ الأبد. «سفر العبرانيين»: (٧: ١ ـ ٣).
وقوله: «عهد الله»: قَسَمٌ. «ولا يكذب»: في الترجمات الأخرىٰ: «ولن يندم»، «ولن يتراجع في كلامه»، وتصحّف في (ط النيل): «ولا تكذب». و«الكاهن»: «الحَبْر» في ترجمة أخرىٰ.

(٣) (ح): «يسميه ملك البِر»، (ل): «يشبه ملا يزاداق»، (د): «ولايزاداق»، وفي هامشها: «قال أبو نصر: ملكيزداق حبرٌ عظيم من أحبار بني إسرائيل».

(٤) (ح، د): «ذَكَره».

(٥) «التكوين»: (١٤: ١٧ ـ ٢٠)، وفي الرسائل أيضًا: «العبرانيين»: (٧: ١ـ١٠).

الأدلة علىٰ أنه مخلوق[1]. وبعضهم يقول: لفظ النصِّ: «**إن الربَّ يبعث عصاه من صهيون**»[2].

قال[3]: وقال شمعون الصفا رئيس الحواريين في الفصل الثاني من قصصهم: «**يا رجال بني إسرائيل اسمعوا مقالتي، إن يسوع الناصريَّ رجلٌ ظهر لكم من عند الله بالقوّة والأيدي والعجائب التي أجراها علىٰ يديه، وإنكم أسلمتموه**[4] **وقتلتموه، فأقام الله يسوعَ هذا من بين الأموات**»[5].

قال: فأيُّ شهادة أبين وأوضح من هذا القول؟ وهو أوثقُ التلاميذ عندكم يُخبر ـ كما تَرون ـ أن المسيح رجلٌ وأنه من عند الله، وأن الآيات التي ظَهرتْ منه بأمر الله أجراها علىٰ يديه، وأن الذي بعثه من بين الموتىٰ هو الله ﷻ.

قال: وقال أيضًا[6] في هذا الموضع: «**اعلموا أن الله جعل يسوع الذي قتلتموه ربًا ومسيحًا**»[7]. قال: فهذا القول يردُّ تأويل من لعله أن يتأول[8] في

---

(١) المطبوعتان زيادة: «قال: فأما قوله: (من البدء ولدتك)، فهو يُشبه قول داود: «تبنني علىٰ نفسه من البدء ذكرتك، وهديت كلَّ أعمالك»، وليست في الأصول الخطية، والظاهر أنها مقحمة، وسيأتي قول داود قريبًا.
علىٰ أنه قد وقع في هذه الزيادة تحريف في المطبوعتين عند قوله: «قول داود: تبنّني علىٰ نفسِه»، صوابه: «قول داود النبيِّ عن نفسه»، يدل علىٰ ذلك نصُّه في «المزامير»: (١٤٣: ٥): «تذكَّرت أيام القِدم، لهجت بكل أعمالك». وقريب منه أيضًا في «المزامير»: (٧٧: ١١ ـ ١٢): «أذكر أعمالك يا رب، فمن القديم عجائبك».

(٢) «المزامير»: (١١٠: ٢)، وقد تقدم.

(٣) رجوعٌ إلىٰ رسالة الحسن بن أيوب.

(٤) (ح): «سلمتموه».

(٥) «أعمال الرّسل»: (٢: ٢٢ ـ ٢٤).

(٦) «أيضًا» سقط من المطبوع، خلاف النسخ.

(٧) «أعمال الرسل»: (٢: ٣٦).

(٨) كذا في (ل)، وفي المطبوعتين: «يزيل» موضع «يرد»، ولم يحرَّر في (د)، وسقط من المطبوع «أن». و(ح): «يريد تأويل من لغة أن يتأول» ولا معنىٰ له.

الفصل الأول أنه أراد بقوله الناسوت، لأنه يقول: إن الله جعله ربًا ومسيحًا، والمجعول مخلوقٌ مفعولٌ[1].

قال: وقد سمَّىٰ الله جلَّ ثناؤه يوسفَ ربًّا، قال داود في مزمور مائة وخمسة[2]: **«وللعبودية بِيع يوسف[3]، وشَدُّوا بالكُبُول[4] رجليه، وبالحديد دخلت[5] نفسه، حتىٰ صدقت كلمتُه، قول الرب جرَّبَه[6]، بعث الملك فخلَّاه[7]، وصيَّره مسلطا علىٰ شعبه، وربا علىٰ بيته[8]، ومسلّطًا علىٰ فتيانه»**.

وقال لوقا في آخر إنجيله[9]: **«إن المسيح عرض له وللوقا[10] تلميذِه**

---

(١) زيد بعده في المطبوعتين: «قال أبو نصر: وإنما سمي ناصري؛ لأن أمه كانت من قرية يقال لها: «ناصرة» في الأردن وبها سميت النصرانية»، وليس في عامة النسخ الخطية.

(٢) «المزامير»: (١٠٥: ١٧ ـ ٢١).

(٣) من قوله: «ربًّا» إلىٰ هنا ساقط من (ح).

(٤) الكَبْل: قَيْد ضخمٌ. جمعه: «كبول»؛ (كفَلْس، وفلوس). «النهاية»: (٤/ ١٤٤).

(٥) (ل): «حلَّت»، والمثبت من (د، ح)، موافق للترجمات الأخرىٰ.

(٦) (ل): «حزبه»، ومهملة في (ح)، والمثبت من (د)، ومعناه: محَّصه، وامتحنه، وأظْهَرَ صدقه وبَرهَنه. كما هو في الترجمات الأخرىٰ.

(٧) لم تحرَّر في النسخ الخطية، وتحتمل: «فخلّاه»، أو «فحلَّه»، وعلىٰ الثاني جلُّ الترجمات، ويعضد الأول: «فخلَّىٰ سبيله» كما في بعضها.

(٨) كذا في (ح، ل)، ولم تحرَّر في (د)، وفي المطبوعتين: «بنيه»، والمثبت موافق لسائر الترجمات. وهي في النسخة العبرية: «أدون»، وفي «السبعينية اليونانية»: «كوريون»، وكلاها يعني السيد والرب.

(٩) «لوقا»: (٢٤: ١٣ ـ ٢٠).

(١٠) كذا في النسخ الخطية، ولا يستقيم مع سياق القصة، والوارد في الأناجيل: أن المسيح عَرَضَ لاثنين من الحواريّين، بعد صلبه ودفنه ـ كما يزعمون ـ في صورة غريبٍ لم يعرفاه، ودار بينهم ما ذُكر. وجاءت تسمية التلميذين في «لوقا» وشروحه، وأنهما: «كليوباس»، و«لوقا»، وقيل الثاني: «سمعان» أحد السبعين رسولًا.

ونصُّ القصة: «١٢ـ فقام بِطْرُس وركض إلىٰ القبر فانحنىٰ ونظر الأكفان موضوعة وحدها فمضىٰ متعجِّبًا في نفسه مما كان. ١٣ـ وإذا اثنان منهم كانا منطلِقَيْنِ في ذلك اليوم إلىٰ قرية بعيدة عن اورشليم ستين غلوة اسمها: (عمواس). ١٤ـ وكانا يتكلمان بعضهما مع بعض عن جميع =

جبريلُ[1] في الطريق وهما محزونان، فقال لهما وهما لا يعرفانه: ما بالكما؟ محزونَيْن[2]؟ فقالا: كأنكَ أنتَ وحدك غريبٌ ببيت المقدس؛ إذ كنت لا تعلم ما حدث فيها في هذه الأيام من أمر يسوع الناصريّ! فإنه كان رجلًا نبيًا قويًا في قوله وفِعله عند الله وعند الأمة، أخذوه وقتلوه» علىٰ قولهم فيه.

قال: فهذا قولُه وأقوالُ تلاميذه قد تركتموها وعَقَدتم علىٰ بِدَع ابتدعها لكم أوَّلوكم، تؤدي إلىٰ الضلالة والشرك بالله جل ثناؤه.

وقال داود في المزمور الثامن[3] في زبوره مخاطبًا لله ومُثْنيًا علىٰ المسيح[4]: **«مَن الرجل الذي ذكرتَه والإنسانُ الذي أمرتَه وجعلتَه دون الملائكة قليلًا، وألبستَه المجدَ والكرامات؟»**.

وقال في المزمور الثاني[5]: **«قال لي الربُّ: أنت ابني، وأنا اليوم ولدتُك، سلني فأعطيك»**.

فقوله: **«ولدتك»** دليلٌ علىٰ أنه حديثٌ غيرُ قديم، وكلُّ حادث فهو مخلوق، ثم أكَّد ذلك بقوله: **«اليوم»**، فحدَّ باليوم حدًّا لولادته أزال به الشك في

= هذه الحوادث. ١٥ـ وفيما هما يتكلمان ويتحاوران اقترب إليهما يسوع نفسُه وكان يمشي معهما. ١٦ـ ولكن أمسكتْ أعينُهما عن معرفته. ١٧ـ فقال لهما ما هذا الكلام الذي تتطارحان به وأنتما ماشيان عابِسَيْنِ...».

وفي ط. النيل «عرض لعملوقا ولوقا»، وليس في النسخ.

(١) قوله: «جبريل»؛ كذا في النسخ الخطية والمطبوعة، ولا ورود لها في نسخ الإنجيل المتداولة اليوم، ويأباها السياق.

(٢) كذا بالنصب في الأصول الخطية، وهو متّجه علىٰ تقدير فعل: «أراكما مَحْزُونَيْن»، أو نحوه.

(٣) (ل، د، المطبوعتان): «الثاني»، وكذا كان في (ح)، ثم وُضع تحت (ني) خط؛ وكُتب فوق السطر بخط دقيق: (مِن)، وهو الصواب؛ إذ النص بلفظه في المزمور الثامن لا الثاني، وما في سائر النسخ لعله من انتقال النظر إلىٰ ما بعده. والله أعلم.

(٤) «المزامير»: (٨: ٤ ـ ٥).

(٥) «المزامير»: (٢: ٧)، وقد تقدم.

أنه[1] ما كان قبل اليوم، ودلَّ بقوله: «**سلني فأعطيك**» علىٰ أنه محتاج إلىٰ المسألة غير مُسْتغنٍ عن العطية.

قال: فهذا ما حضَرَنا من الآيات في تصحيح خلق المسيح وعبوديته[2]، وبطلان ما يدَّعونه من ربوبيته، ومثلُه كثيرٌ في الإنجيل لا يحصىٰ.

فإذا كانت الشهادات منه علىٰ نفسه، ومن الأنبياء عليه، ومن تلاميذه بمثل ما قد بيناه في هذا الكتاب ـ وإنما اقتصرنا علىٰ الاحتجاج عليكم من كتبكم ـ فما الحجة فيما تدَّعونه له؟ ومن أي جهة أخذتم ذلك واخترتم الكلام الشنيعَ الذي يخرج عن المعقول، وتُنكره النفوس، وتَنفِر منه القلوب، الذي لا يصحُّ بحجة ولا قياس ولا تأويل علىٰ القول الجميل الذي تَشهد به العقول وتسكن إليه النفوس ويشاكل عظمة الله وجلاله!

قال: وإذا تأمّلتم كل ما بينّاه تأمُّل إنصافٍ من أنفسكم وإشفاقٍ عليها، علمتم أنه قولٌ لا يَحتمل أن نتأوّل[3] فيه للناسوت شيئًا دون اللاهوت.

قال: **فإن قلتم**: إنه ثبتت للمسيح البنوة بقوله: «**أبي**[4]**، ويا أبي، وبعثني أبي**».

قلنا: فإن كان الإنجيلُ أُنزل علىٰ هذه الألفاظ ـ لم تُبدَّل ولم تُغيَّر ـ فإن اللغة أجازت[5] أن يسمَّىٰ الوليُّ ابنًا، وقد سماكم[6] جميعا بنيه، وأنتم لستم في مثل حاله.

---

(١) «أنه» سقط من (ل).

(٢) (ل، ح): «تصحيح المسيح عبوديته».

(٣) لم يحرّر في (د، ح)، وفي المطبوعتين: «يُتأول»، ويردُّه نصب «شيئًا» في عامة الأصول.

(٤) زاد في المطبوعتين: «وأبيكم»، وليس في النسخ. وقد تقدم تخريج هذه الألفاظ.

(٥) (ل، د): «قد أجازت».

(٦) في المطبوعتين زيادة: «الله»، وليس في النسخ.

ومن ذلك: أن الله ﷻ قال لإسرائيل في التوراة: «**أنت ابني بكري**»[1]. وقال لداود في الزبور: «**أنت ابني وحبيبي**». وقال المسيح في الإنجيل للحواريين: «**أريد أن أذهب إلىٰ أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم**».

فسمَّىٰ الحواريين أبناء الله، وأقرَّ بأن له إلهًا هو الله ومن كان له إلهٌ فليس بإله كما تقولون.

فإنْ زعمتم أن المسيح إنما استحق الإلهية بأن الله سماه ابنًا، فليُلتزم ذلك ويُشهد[2] بالإلهية لكل من سماه الله[3] ابنا، وإلا فما الفرق؟

قال: فإن قلتم: إن إسرائيل وداود ونظراءهم إنما سُمُّوا أبناء الله علىٰ جهة الرحمة من الله لهم، والمسيح ابن الله علىٰ الحقيقة، تعالىٰ الله عن ذلك.

قلنا: يجوز لمعارضٍ أن يعارضَكم، فيقول لكم: ما تنكرون أن يكون إسرائيل وداود ابنَي الله علىٰ الحقيقة، والمسيحُ ابنَ رحمة، وما الفرق؟

فإن قلتم: إن الفرق بين المسيح وسائر الأنبياء من قَبل: أن المسيح جاء إلىٰ مُقعَد فقال له: «قم[4]، **فقد غفرتُ لك**»، فقام الرجل، ولم يدعُ الله في ذلك الوقت[5].

---

(١) تقدمت الإشارة إليه، وكذا الموضعان بعده.

(٢) (ح، د): «فيلتزم»، وبهامش (د) عن نسخة: «فلنلتزم». وفي المطبوعتين: «فنلتزم ذلك ونشهد»، وليس في النسخ!

(٣) لفظ الجلالة سقط من المطبوع، وهو في الأصول!

(٤) (ل): «فقال له: قم قم». وفي المطبوع أيضًا مع حذف «له»، وهي ثابتة في النسخ!

(٥) «متَّىٰ»: (٩: ٢ ـ ٨)، و«مرقس»: (٢: ٣ ـ ١٢)، و«لوقا»: (٥: ١٧ ـ ٢٦).
ونصه في هذه المواضع: «قم، مغفورة لك خطاياك»، وليس: «غفرتُ لك»! ومن نظائره ما جاء في «لوقا»: (٧: ٤٨).

قلنا لكم: هذا إلياس أمر السماء أن تَمْطُر فمطَرت[1]، ولم يدعُ الله في ذلك الوقت[2]. وكذلك اليسع أمر نعمان الرومي بأن يغتمس[3] في الأردن من غير دعاء ولا تضرُّع، علىٰ أنا قد وجدناه في الإنجيل قد تضرَّع، وسأل مَسائلَ قد تقدَّم ذكرُها.

وقال في بعض الإنجيل: «**يا أبي أشكرك علىٰ استجابتك دعائي، وأعلم أنك في كل وقتٍ تجيب دعوتي، لكن أسألك من أجلِ هذه الجماعة ليؤمنوا بأنك أنت أرسلتني**»[4].

فإن قلتم: إن الغفران من الله ﷻ، وإن المسيح قال لبعض بني إسرائيل[5]: «**فقد غفرتُ لك**» والله هو الذي يغفر الذنوب.

قلنا: فقد قال الله في السِّفر الخامس من التوراة لموسىٰ: «**اخرج أنت وشعبُك الذي أَخرجتُ من مصر، وأنا أجعل معكم ملكًا[6] يغفر ذنوبكم**»[7].

فإن زعمتم أن المسيح إلهٌ؛ لأنه غفر ذنوب المُقعَد، فالملَك إذًا إله؛ لأنه يغفر ذنوب بني إسرائيل. وإلا فما الفرق؟

---

(١) المطبوع: «فأمطرت»، خلاف النسخ. و«مطر» لازمٌ ومتعدٍّ، يقال: «مَطَرت السماءُ، ومطَرَتْهم» من باب (طلب). و«مَطَر» و«أمطر»، بمعنًىٰ. «لسان العرب»: (٥/ ١٧٨).

(٢) قوله: «قلنا لكم: هذا إلياس..» ساقط من (ل).

(٣) المطبوع: «أن ينغمس»، خلاف الأصول! والمثبت لغة صحيحة، ومنه حديث: «الصائم يَرتَمِس ولا يَغْتمس». ينظر: «غريب الحديث» لابن الجوزي: (١/ ٤١٤)، «لسان العرب»: (٦/ ١٥٦).

(٤) «يوحنّا»: (١١: ٤١ ـ ٤٢).

(٥) في المطبوعتين: زيادة «قم»، خلاف النسخ، وقد تقدمت الإشارة إليه قريبًا.

(٦) (ل): «معك ملكًا»، (ح): «معكم ملاكًا».

(٧) «التثنية»: (١: ٨)، (٤: ٢٠)، وكذا في «الخروج»: (٣٣: ١ ـ ٢) دون جملة المغفرة، وهي في السفر نفسه: (٣٤: ٩)؛ لكن لم يسند فيه المغفرة إلىٰ الملَك!

فإن قلتم: إن الفرق بين المسيح وسائر الأنبياء من قَبل: أن الله سمَّاه ربًا فقال: «**ابن البشر رب السبت**»[1].

قلنا: فهذه التوراة تخبر بأن لوطًا عليه السلام لما رأىٰ الملكَين قد أقبلا من البرِّيَّة لهلاك قومه قال لهما: «**يا ربي! مِيْلا إلىٰ منزل عبدِكما**»[2].

وقد تقدم لنا احتجاج في هذا الكتاب بذِكر[3] من سُمِّي في الكتب ربًا من يوسف وغيره، فإن كان المسيح إلهًا لأنه سُمي ربًا، فهؤلاء إذًا آلهة؛ لأنهم سُمُّوا بمثل ذلك.

فإن قلتم: إن الأنبياء قد تنبَّأت علىٰ إلهية[4] المسيح، فقال أشعيا: «**العذراء تَحبل وتَلد ابنًا، ويُدْعىٰ اسمُه عَمانويل**»[5]. وتفسيره: معنا إلهنا.

قلنا: إن هذا اسمٌ، كعادة[6] السيد الشريف من الناس، وإن كان الله عز وجل المنفرد بمعنىٰ الإلهية جل ثناؤه. فقد قال الله في التوراة لموسىٰ عليه السلام: «**قد جعلتُك لهارون إلهًا، وجعلتُه لك نبيًا**»[7].

وقال في موضع آخر[8]: «**قد جعلتك يا موسىٰ**[9] **إلهًا لفرعون**»[10].

---

(١) «متىٰ»: (١٢: ٨)، و«مرقس»: (٢: ٢٨)، و«لوقا»: (٦: ٥).
(٢) «التكوين»: (١٩: ٢).
(٣) (ل): «يَذكُر»، (د): «نَذكر».
(٤) المطبوع: «بإلهية»، خلاف الأصول!
(٥) «أشعيا»: (٧: ١٤) ولم يذكر فيه تفسير الاسم. و«متَّىٰ»: (١: ٢٣)، وزاد فيه: «الذي تفسيره: الله معنا».
(٦) في المطبوعتين: «يعاره»، وهو متَّجه، لكن خلاف الأصول.
(٧) «الخروج»: (١٤ ـ ١٦).
(٨) قوله: «(قد جعلتك لهارون ...» ساقط من (ح، د).
(٩) «يا موسىٰ» ليس في (د).
(١٠) «الخروج»: (٧: ١).

وقال داود في الزبور لمن كانت عنده حكمة: «**كلكم آلهة، ومن العَلِيّة تُدعون**»[1].

فإن قلتم: إن الله ﷻ جعل موسىٰ إلهًا لهارون علىٰ معنىٰ الرياسة عليه. قلنا: وكذلك قال أشعيا في المسيح إنه إله لأمته علىٰ هذا المعنىٰ. وإلا فما الفرق؟

فإن قلتم: إن المسيح قد قال في الإنجيل: «**من رآني فقد رأىٰ أبي، وأنا وأبي واحد**»[2].

قلنا: إن قوله: «**أنا وأبي واحد**» إنما يريد به أن قَبولكم لأمري هو قَبولُكم لأمر الله، كما يقول رسولُ الرَّجل: أنا ومن أرسلني واحد، ويقول الوكيل: أنا ومن وكَّلني واحد؛ لأنه يقوم فيما يؤديه مقامه، ويؤدِّي عنه ما أرسله به، ويتكلم بحجته ويطالب له بحقوقه.

وكذلك قوله: «**من رآني فقد رأىٰ أبي**»، يريد بذلك:[3] من رأىٰ هذه الأفعال التي أظهرها فقد رأىٰ أفعال أبي.

فإن قلتم: إن المسيح قد قال في الإنجيل: «**أنا قَبْل إبراهيم**»[4]، فكيف يكون قَبْل إبراهيم، وإنما هو من ولده؟ ولكنْ لما قال « قَبْل إبراهيم» علمنا ما أراد: أنه قَبْل إبراهيم من جهة الإلهية.

---

(١) «المزامير»: (٨٢: ٦).

(٢) «يوحنّا»: (٦: ٤٦)، (١٤: ٩)، (١٠: ٣٠).

(٣) في المطبوعتين زيادة: «أن»، وليست في الأصول.

(٤) «يوحنّا»: (٨: ٥٨).

قلنا: هذا سليمان بن داود يقول في حكمته: «**أنا قبل الدنيا**[١] **وكنتُ مع الله حيث مدَّ**[٢] **الأرض**»[٣]، فما الفرق بينه وبين من قال: إن سليمان ابن الله، وأنه إنما قال: أنا قبل الدنيا بالإلهية. وقد قال داود أيضا في الزبور: «**ذكرتُك يا ربِّ**[٤] **من البدء، وهُديت بكل أعمالك**»[٥].

فإن قلتم: إن كلام سليمان بن داود[٦] متأوَّل؛ لأنهما من ولد إسرائيل، وليس يجوز أن يكونا قبل الدنيا.

قلنا: وكذلك قول المسيح: «**أنا قبل الدنيا**» متأوَّل؛ لأنه من ولد إبراهيم، ولا يجوز أن يكون كان[٧] قبل إبراهيم، فإن تأولتم تأوَّلنا، وإن تعلقتم بظاهر الخبر في المسيح تعلَّقنا بظاهر الخبر في سليمان وداود، وإلا فما الفرق؟

وقد قدَّمنا هذا الاحتجاج علىٰ تأويلكم؛ لتعلموا بطلان ما ذهبتم إليه. علىٰ أنه تأويل غير واقع بحقِّه، وإنما حقُّه أن يكون هذا الاسم - يعني عمانويل - لـمَّا وقع علىٰ المسيح كان معناه أنه أَخبر عن نفسه بأن إلهنا معنا، يعني أن الله معه ومع شعبه معينًا وناصرًا.

ومما يصحِّح ذلك أنكم تَتَسمَّون به، ولو كان المعنىٰ ما ذهبتم إليه؛ لما جاز لأحد أن يَتسمَّىٰ به، كما لم يجز أن يتسمىٰ بالمسيح؛ لأنه مخصوص بمعناه.

---

(١) هامش (ل) زيادة: «بالإلهية، وقد قال داود في الزبور ذكرتك يا رب من البدئ، قلنا: هذا سليمان بن داود يقول في حكمته: أنا قبل الدنيا». وضرب عليها في (ح) بعد إثباتها.
(٢) في المطبوعتين: «بدأ»، وليس في النسخ، وكلاهما يحتمله السياق، كما في مصدر النقل.
(٣) «الأمثال»: (٨: ٢٢ ـ ٢٦).
(٤) «يا رب» ليس في (ح، د).
(٥) «المزامير»: (٥٢ ـ ٥٦).
(٦) كذا في عامة الأصول، ولعله علىٰ عطف أبيه عليه، ليصحَّ عود ضمير التثنية بعده إليهما.
(٧) «كان» سقط من المطبوع.

فإن قلتم: إن تلاميذ المسيح كانوا يعملون[1] الآيات باسم المسيح.

قلنا لكم: فقد قال الله جلَّ ثناؤه ليحيىٰ بن زكريا: «**قد أيَّدتك بروح القدس وبقوة إلياس، وهي قوةٌ تفعل الآيات**»[2]، فأضاف القوة إلىٰ إلياس.

فإن زعمتم أن المسيح إلهٌ؛ لأنه فُعلت الآيات باسمه. فما الفرق بينكم وبين من قال: إن إلياس إلهٌ؛ فإنه فعلت بقوته[3] الآيات؟

فإن قلتم: إن[4] الخشبة التي صُلب عليها المسيح ـ علىٰ زعمكم ـ ألصقت بميِّت فعاش، وإن[5] هذا دليل علىٰ أنه إلهٌ.

قلنا لكم: فما الفرق بينكم وبين من قال: إن اليسع إله؟ واحتَجَّ في ذلك بأن كتاب «**سفر الملوك**»[6] يخبر بأن رجلًا مات فحمله أهلُه إلىٰ المقبرة، فلما كانوا بين القبور رأوا عدوًا لهم يريد أنفسهم، فطرحوا الميت عن رقابهم، وبادروا إلىٰ المدينة، وكان الموضعُ الذي ألقوا عليه الميتَ قبرَ اليسعَ، فلما أصاب ذلك الميتَ ترابُ قبرِ اليسع عاش وأقبل يمشي إلىٰ المدينة. فإن زعمتم أن المسيح إلهٌ؛ لأن الخشبة التي ذكروا أنه صُلب عليها أُلصقت بميت فعاش؛ فاليسعُ إلهٌ؛ لأن ترابَ قبره لصق بميت فعاش[7].

---

(١) المطبوع: «يعلمون» خطأ.

(٢) «لوقا»: (١: ١٧)، وفيه أن الحديث كان عن يحيىٰ، ولم يكن له، بل الخطاب كان لزكريا حينما بشره الله بيحيىٰ، وعدّد له أوصافه.

(٣) (ل): «نبوته»، تصحيف!

(٤) «إن» سقط من (ل).

(٥) (ل، ح): «فإن».

(٦) «الملوك الثاني»: (١٣: ٢٠ ـ ٢١).

(٧) قوله: «فاليسع إله، لأن تراب قبره لصق بميت فعاش» ساقط من (ح).

فإن قلتم: إن المسيح كان من غير فحل.

قلنا لكم[1]: قد كان كذلك، وليس أُعجوبةُ الولادةِ تُوجِب الإلهية ولا الربوبية؛ لأن القدرة في ذلك للخالق ﷻ لا للمخلوق؛ وعلىٰ أنه بِوُجْدِكم أن[2] حواء خُلقتْ من فحل بلا أنثىٰ، وخَلقُ أنثىٰ من ذكرٍ بلا أنثىٰ، أعجبُ من خلْق[3] ذكر من أنثىٰ بغير[4] ذكر، وأعجب من ذلك أن آدم خَلقَه الله من تراب، وخَلْق بشر من تراب أعجبُ وأبدعُ من خَلق ذكرٍ من أنثىٰ بلا فحل. فما الفرق؟

قال: وهذه الأسباب التي ذكرناها كلُّها هي الأسباب التي تتعلَّقون بها في نِحلتكم[5] المسيحَ الربوبيةَ، وإضافتِكم إليه الإلهيةَ، وقد وصفناها علىٰ حقائقها عندكم، وقبِلنا فيها قولَكم، وإن كنا لا نشك في أن أهل الكتاب قد حرَّفوا بعضَ ما فيها من الكلام عن مواضعه، وأوجدناكم بُطُولَ[6] ما تنتحلونه وفساد ما تتأوَّلونه من الكتب التي في أيديكم: التوراة والزبور والأنبياء والإنجيل. فما الذي يُثبت الحجَّة بعد ذلك لكم؟

قال: وقد قال السيد المسيح في الإنجيل لتلاميذه لما سألوه عن الساعة والقيامة: «**إن ذلك اليوم وتلك الساعةَ لا يعرفه أحد، ولا الملائكةُ الذين في**

---

(١) «لكم» ليس في (ل).

(٢) في المطبوعتين: «لأن»، خلاف النسخ. وفيهما أيضًا: «يُوجِدُكم»، ولم يحرَّر في النسخ الخطية، والأقرب ما أثبت، ومرادُه: أنكم تجدون ذلك المذكورَ في كتابكم. وسيأتي - بعد أسطر - ما يؤكد هذا المعنىٰ في قوله: «وأوجدناكم بُطُوْلَ...».

(٣) «خلْق» ليس في (د، ل).

(٤) (ح): «بلا».

(٥) (ح): «كتبكم»، تصحيف.

(٦) مصدر: «بَطَلَ»، يقال: بَطَل الشيءُ يَبْطُل بُطْلًا وبُطُولًا وبُطْلانًا: فَسَدَ أو سَقَطَ حُكمُه. «مقاييس اللغة»: (١/ ٢٥٨)، «المصباح المنير»: (١/ ٥١).

السماء، ولا الابنُ أيضًا، ولكن الأب وحده يعرفه»[1].

فهذا[2] إقرارٌ منه بأنه منقوص العلم، وأن الله ﷻ أعزُّ[3] وأعلم منه، وأنه خلافه وأعلا منه. وقد بَيّن بقوله «أحدٌ» عمومَه بذلك الخلقَ جميعًا. ثم قال: «ولا الملائكة» وعندهم مِن عِلم الله ما ليس عند أهل الأرض. ثم قال: «ولا الابن» وله من القوة ما ليس لغيره.

وشهد قولُه هذا شهادةً واضحةً عليه بأنه لا يعلم كلَّ ما يعلمه الله، بل ما علَّمه الله[4] وأطلعَه علىٰ معرفته وجعَلَه له، وأنه لقصور معرفته بكل الأشياء ليس بحيث يصفونه من الربوبية، وأنه هو الله ومن جوهر أبيه[5]، تعالىٰ الله الخالقُ لكل شيء علوًا كبيرًا.

ولو كان إلهًا كما يقولون، لعلم ما يعلمه الله من سائر الأشياء[6] وسرائر الأمور وعلانيتها؛ إذ[7] كان هذا المعنىٰ ليس من الكلام الذي إذا سُئلتم عنه تعلَّقتم بأنه قيل للناسوت دون اللاهوت»[8].

---

(١) «متّىٰ»: (٢٤: ٣٦)، و«مرقس»: (١٣: ٣٢).

(٢) في المطبوعتين: «قال فهذا»، وليس في النسخ.

(٣) (ح): «أعرف»، ولعله الأليق بسياق النصِّ المستشهد به، إلا أنّ في وصفه سبحانه بالمعرفة إشكالًا عند بعض أهل العلم؛ لاقتضائها سَبْق نسيان أو ذهول أو عزوب، وقد حَكىٰ بعضهم الإجماعَ عليه، وأما حديث: «تعرَّف إلىٰ الله في الرخاء يعرفك في الشدة»، فمن قبيل الإخبار، ولا يصحّ اشتقاق الاسم أو الصفة منه. «شأن الدعاء»؛ للخطابي: (ص١١٢)، «بدائع الفوائد»: (٢/ ٤٨٦)، «مختصر ابن اللحام»: (ص٣٦).

(٤) في المطبوعتين زيادة: «إياه»، وليس في عامة الأصول.

(٥) (ل): «ومن جوهر الله».

(٦) (ل): «الأنبياء».

(٧) المطبوع: «إذا». تصحيف.

(٨) من رسالة الحسن بن أيوب، وللمصنف رجوع إليها.

قلت: مقصودُه بذلك أنه صرَّح بأنه لا يَعْلمه أحدٌ، ثم خصَّ الملائكة بالذِّكر لئلا يُظن أن أحدًا منهم يعلمه، فقال: «ولا الملائكة الذين في السماء»، ثم قال: «ولا الابنُ يعرفه، وأن الأب وحدَه يعرفه»، فنفىٰ معرفة الابن، وأثبت أن الأب وحده يعرفه، ومراده بالابن المسيح، فعُرِف أن المسيح لا يعرفُه، وأثبت أن الرب يعرفه دون الابن، ودل ذلك علىٰ أن لفظ الابن عند المسيح إنما يراد بها الناسوت وحده؛ إذ كان لا يجوز نفي العلم عن اللاهوت، فإن اللاهوت يعلم كل شيء.

ودلَّ[1] ذلك علىٰ أن قوله: «**عمِّدوا الناس باسم الأب والابن**»[2] المرادُ[3] به الناسوت وحده، كما أريد بلفظ الابن في سائر كلامه وكلام غيره، لم يُرد قطُّ أحدٌ منهم بلفظ الابن اللاهوتَ، بل إطلاق الابن علىٰ اللاهوت مما ابتدعته النصارىٰ وحملوا عليه[4] كلام المسيح، فابتدعوا لصفات الله أسماءً ما أنزل الله بها من سلطان، وحمَلوا عليها كلام المسيح، وإنما يُحمل كلام الأنبياء عليهم السلام وغيرِهم علىٰ معنىٰ لغتهم التي جرتْ عادتهم بالتكلُّم[5] بها، لا علىٰ لغةٍ يُحدثها مَن بعدهم ويُحمل كلامُهم عليها.

قلت: وهذا[6] الذي نَقَلتْه[7] النصارىٰ وأشباهُهم يَفتح باب الإلحاد في كتب الله المنزَّلة، وقد قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [فصلت: ٤٠].

---

(١) المطبوعتان: «وقد دلَّ»، وليس في الأصول.

(٢) «متَّىٰ»: (٢٨: ١٩)، وقد تقدم.

(٣) (ل): «والمراد»، يوهم العطف، والصواب ما أثبت؛ خبر (أنَّ).

(٤) (ل): «عليها».

(٥) (د): «بالتكليم».

(٦) (ل): «هذا»، وفي المطبوعتين: «فإن هذا»، خلاف النسخ.

(٧) المطبوعتان: «فعلتْه»، خلاف النسخ.

وذلك أن كلَّ من اعتقد معانيَ برأيه يُمكنه أن يعبِّر عنها بألفاظٍ تناسبها بنوع مناسبة، وتلك الألفاظ موجودةٌ في كلام الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لها معانٍ أُخر، ويَجعل تلك الألفاظَ دالةً علىٰ معانيه التي رآها، ثم يَجعل الألفاظ التي تكلَّمت بها الأنبياءُ وجاءت بها الكتبُ الإلهية أرادوا بها معانيَه هُو.

وهكذا فَعل سائر أهل الإلحاد[1] -في سائر[2] الكتب الإلهية- كما فعلته النصارىٰ، مثل ما عمدت الملاحدةُ المتبعون لفلاسفة اليونان القائلون بأن هذه الأفلاك قديمةٌ أزلية لم تزل ولا تزال، وأن الله لم يتكلم بالتوراة ولا غيرِها من الكتب الإلهية، ولا هو عالمٌ بالجزئيات؛ لا بموسىٰ بن عمران ولا غيرِه[3]، ولا هو قادر[4] يفعل بمشيئته[5]، ولا يُقيم الناس من قبورهم.

فقالوا: خَلق وأحدث وفَعل وصَنع ونحوُ ذلك يُقال علىٰ الإحداث الذاتي، والإحداث الزماني.

فالأول: هو إيجاب العلة لمعلولها المقارِن لها في الزمان.

والثاني: إيجاد الشيء بعد أن لم يكن.

ثم قالوا: ونحن نقول: إن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما، وأحدث ذلك وأبدعَه وصنعَه، كما أخبرت بذلك الأنبياءُ[6] عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لكن مرادهم بذلك الإحداثُ الذاتي، وهو أن ذلك معلولٌ له لم يزل معه[7].

(١) (ل، ح): «الاتحاد».
(٢) «سائر» ليس في (ل).
(٣) في المطبوعتين: «بغيره» خلاف النسخ.
(٤) كذا في (ل). (د، ح): «قادرًا يفعل»، ولعلها تصحفت من «قادرٌ أن يفعل»، كما في المطبوعتين.
(٥) كذا في الأصول علىٰ ما استظهرته، وفي المطبوعتين: «بمشيئة».
(٦) وقع هنا سقط بمقدار ورقة من (ح)، هذا مبدؤه وينتهي عند قوله: «من تحريفات الملاحدة كثير».
(٧) «عيون المسائل» للفارابي: (ص/ ٦)، و«النجاة في المنطق والإلهيّات» لابن سينا: (ص/ ١٢٧)، و«شرح المقاصد في علم الكلام» للتفتازاني: (١/ ٢٤٠، ٢٦٨)، ينظر: «الرد علىٰ المنطقيين»: (ص/ ٥٢٤) وما بعدها، «منهاج السنة النبوية»: (١/ ٨٢، ٩٨).

فيقال لهم: لم يستعمل أحدٌ من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بل ولا أحد من سائر الأمم لفظ الخلق والإحداث إلا فيما كان بعد عدمه، وهو ما كان مسبوقا بعدَمه ووجودِ غيرِه، ومعنىٰ هذا اللفظ معلومٌ بالاضطرار في جميع لغاتِ الأمم.

وأيضًا فاللفظ المستعمل في لغة العامة والخاصة لا[1] يجوز أن يكون معناه ما لا يَعرفه إلا بعضُ الناس، وهذا المعنىٰ الذي يدَّعونه لو كان حقًا لم يتصورْه إلا بعض الناس، فلا يجوز أن يكون اللفظُ العامُّ الذي تداوله العامة والخاصة موضوعًا له؛ إذ[2] كان هذا يُبطل مقصودَ اللغات، ويُبطل تعريفَ الأنبياء للناس[3]، فكيف وهو باطلٌ في صريح المعقول؟ كما هو باطل في صحيح المنقول! فإنه لم يُعرف أن أحدًا قطُّ عبَّر عن القديم الأزلي الذي لم يزلْ موجودًا ولا يزال بأنه محدث أو مخلوق أو مصنوع أو مفعول، فهذا الذي ذكرتموه كذب صريح علىٰ الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ لِتُوهِموا النّاس أنكم موافقون لهم.

والكتبُ الإلهية كالتوراة والقرآن مصرِّحةٌ بأن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، والقديمُ الأزليُّ لا يكون مخلوقًا في ستة أيام.

وكذلك الكتب الإلهية كالتوراة والقرآن قد أخبرت بتكليم الله لموسىٰ، وبندائه إياه من الطور من الشجرة، وفي التوراة أنها شجرةُ العُلَّيْق[4]، وأخبرتْ بأن

---

(١) (ل): «ولا»، خطأ.

(٢) في المطبوع: «إذا»، غلط.

(٣) من قوله: «فلا يجوز أن يكون اللفظ العام» إلىٰ هنا: ساقط من (ل).

(٤) «العُلَّيق» كـ (قُبَّيْط): شجر كثير الشوك، لا يعظُم، وإذا نشِب فيه شيءٌ لم يكَد يتخلَّص من كثرة شوكه؛ ولذلك سمي عُلَّيقا. «تاج العروس»: (٢٦/ ١٨٩).

موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يُلقي عصاه فتصيرُ حيةً تسعىٰ، ويخبر بأن الله فلق له[1] البحر.

فقالت الملاحدة: إن الشيء الثابت يسمىٰ طُورا، فإنه ثابتٌ كالجبل، والقلوبُ تسمىٰ أوديةً، وإظهار العلوم بتفجير ينابيع العلم، والحجةُ المبتلِعة كلامَ أهلِ الباطل هي عصًا معنوية، فمراد الكتب بالطور: العقلُ الفعَّالُ الذي فاض منه العلم علىٰ قلب موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، والوادي قلب موسىٰ، والكلام الذي سمِعه موسىٰ سمِعه من سماء عقله، وتلك الأصوات كانت في نفْسه لا في الخارج، والملائكة التي رآها كانت أشخاصًا نورانيّة تمثَّلت في نفسه لا في الخارج، والبحرُ الذي فلقه هو بحر العلم، والعصا كانت حُجَّتَه، غلب علىٰ السحرة بحجته العلمية، فابتلعت حجتُه شبههَم[2] التي جعلوها حبالًا يتوسَّلون بها إلىٰ نيل أغراضهم، وعِصِيًّا يقهرون[3] بها من يجادلونه[4].

أفليس من قال مثلَ هذا الكلام يَعلم بالاضطرار أنه يَكذب علىٰ الكتب الإلهية التي أخبرتْ بقصة موسىٰ كالتوراة والقرآن، وأنه ليس مراد الرسل بما أخبروا به من قصة موسىٰ هذا، بل صرَّحوا بأن موسىٰ سمع نداءَ الله له، وأنه كلَّمه من الطور - طورِ سينا الذي هو الجبل - وقلب عصاه التي كان يَهشُّ بها علىٰ غنمه ثعبانًا عظيمًا، وفلَق له البحر، وغرَّق[5] فيه آلَ فرعون، فغرقوا وماتوا فيه وهلكوا.

---

(١) «له» ساقط من المطبوع.

(٢) كذا العبارة في (د)، وفي (ل): «والعصا كانت حجته علىٰ السحرة، فحجَّته العلمية غلبت حجةَ شُبههم..».

(٣) (ل): «يهلكون».

(٤) أشار المصنف إلىٰ بعض هذه التأويلات في: «مجموع الفتاوىٰ»: (٦/ ١٨٠).

(٥) المطبوع: «وأغرق»، خلاف النسخ.

وأمثال هذا من تحريفات الملاحدة كثير[1].

فهكذا النصارىٰ حرَّفوا كتب الله وسمَّوا صفة الله القديمةَ الأزليةَ التي هي علمه أو حكمته: ابنًا، وسمَّوها أيضا: كلمة[2]، وسمَّوا صفته القديمة الأزلية، التي هي حياته: روحَ القدس، وتسمية هذه الصفات بهذه الأسماء لا توجد في شيء من كلام الأنبياء ولا غيرهم، ولا يُعرف أن أحدًا قط ـ لا من الأنبياء ولا غيرهم ـ سمَّىٰ علم الله القائمَ به ابنَه[3]، بل ولا سمَّىٰ علمَ أحدٍ من العالمين القائمَ به ابنَه، ولكن لفظ الابن يعبَّر به عمن وُلد الولادة المعروفة، ويعبَّر به عمن كان هو سببًا في وجوده، كما يقال: (ابنُ السبيل) لمن وَلدته الطريق؛ فإنه[4] لما جاء من جهة الطريق جُعل كأنه ولدُه.

ويقال لبعض الطَّير: ابنُ الماء؛ لأنه يجيء من جهة الماء، ويقال: كونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن الابن ينتسب إلىٰ أبيه ويحبه ويضاف إليه، أي كونوا ممن ينتسب إلىٰ الآخرة ويحبُّها ويضاف إليها، وهذا اللفظ موجود في الكتب التي بأيدي أهل الكتاب في حق الصالحين الذين يُحبُّهم الله ويُربِّيهم، كما ذكروه[5] أن المسيح قال: «**أبي وأبيكم**[6] **وإلهي وإلهكم**». وفي التوراة: أن الله قال ليعقوب: «**أنت ابني بكري**» ونحو ذلك مما[7] يراد به –

(١) هنا ينتهي السقط في (ح).

(٢) (ل): «كلمته».

(٣) (ل): «الله»، تحريف.

(٤) «فإنه» ليس في (ل).

(٥) كذا في جميع النسخ وط النيل. والمطبوع: «ذكروا».

(٦) كذا بالجرّ علىٰ الحكاية للفظ الوارد: «أريد أن أصعد إلىٰ ـ أو: أذهب إلىٰ ـ أبي وأبيكم» كما مرَّ.

(٧) (ل): «إنما»، و(ح): «فيما».

إذا كان صحيحًا[1]- معنىً صحيح، وهو المحبة له، والاصطفاء له[2]، والرحمة له، وكان المعنىٰ مفهومًا عند الأنبياء عليهم السلام ومن يخاطبونه، وهو[3] من الألفاظ المتشابهة، فصار كثير من أتباعهم يريد[4] به المعنىٰ الباطل.

وزعم كثير من الكفار أن لله تبارك وتعالى بنينَ وبنات، وأن الملائكة بناته. وبعض من يقول بقِدَم العالم من المتفلسفة يقولون: العقول العشرة[5] هي بَنوه، والنفوس الفلكيَّة هي بناته، وهي متولِّدة عنه لازمة لذاته، فجاء القرآن[6] الذي هو أفضلُ الكتب وأكملُها بإبطال هذه المعاني، ومنع استعمال هذا اللفظ في حق الله تعالىٰ، فنزَّه اللهَ عن أن يتّخذ ولدًا، كما نزَّهه عن أن يكون له ولدٌ، والأول من باب تنزيهه عن الأفعال المذمومة، وهذا[7] قول جماهير المسلمين وغيرهم، الذين ينزِّهون الله ويقدِّسونه عن الأفعال القبيحة التي لا تليق به، بل تنافي ما وجب له من الكمال في أفعاله، كما وجب له الكمال في ذاته وصفاته.

وأما من كان من المسلمين وغيرِهم لا ينزِّه الله عن فِعلٍ من الأفعال إلا ما كان ممتنعًا لذاته، فأما الممكن المقدور[8] فيقول: لا يُعلم انتفاؤه إلا بالخبر أو بالعادة المطَّردة التي يمكن انتقاضها = فهذا لا يبقىٰ معه ما يَنفي به عن الله الأفعالَ المذمومةَ القبيحةَ.

(١) (د، المطبوعتان) زيادة: «له»، وليس بمتَّجه.
(٢) «له» ليس في (ح، د).
(٣) (ل): «يخاطبوه هو».
(٤) في المطبوعتين: «يريدون»، خلاف النسخ.
(٥) تقدم التعريف بها، وستأتي ـ أيضًا ـ في كلام المصنف آخر هذا الجزء.
(٦) (ح): «في القرآن».
(٧) كذا في (ل، ح)، وبهامش (د) ـ عن نسخة ـ زيادة: «علىٰ».
(٨) في(ح) خَرْم يقدَّر بصفحتين، هنا مبدؤه، وينتهي عند قوله: «... شريك أو ولد».

والكتب الإلهية قد نزَّهت الربَّ ﷻ عن الأفعال المذمومة، كما نزَّهته عن صفات النقص، كقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾[1] [الأنبياء: ٢٦].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء: ١٧١]

كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا﴾ [الإسراء: ١١١].

وقال تعالىٰ عن المؤمنين: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وقال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ [الفرقان: ١ - ٢].

وقال تعالىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١ - ٩٢].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الصافات: ١٥١-١٥٢].

---

(١) المطبوعتان زيادة: ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤] فكما نزَّه نفسَه عن الولادة، نزَّه نفسَه عن اتخاذ الولد.

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ۝٩٣ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ۝٩٤ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾ [مريم: ٨٨ – ٩٥].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء:١٧٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقول الله تعالىٰ: كذَّبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك، وشتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك**[١]**، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن**[٢] **يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: أني اتخذت ولدًا، وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد**»[٣].

---

(١) «ذلك» في الموضعين ليست في (ل)، موافق بعض ألفاظ الصحيح.

(٢) كذا في الأصول، موافقًا الرواية. والمطبوع: «أنّىٰ» تصحيف.

(٣) أخرجه البخاري (٣١٩٣، ٤٩٧٤، ٤٩٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي (٤٤٨٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أحدٌ أصبرَ علىٰ أذًىٰ سمِعه[1] من الله، إنهم ليجعلون له ولدًا وشريكًا، وهو يرزقهم ويعافيهم»[2].

ولهذا كان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول: «لا ترحموا النصارىٰ، فإنهم سبُّوا الله[3] مَسبَّةً ما سبَّه إياها[4] أحد من البشر»[5]. فجاءت هذه الشريعة الحنيفية القرآنية حرَّمت[6] أن يُتكلم في حقِّ الله باسم ابنٍ أو ولدٍ، سدًا للذريعة، كما منعتْ أن يَسجد أحدٌ لغير الله وإن كان علىٰ وجه التحية[7]، كما منعتْ أن

---

(١) (ل، ط. النيل): «يسمعه»، وهو لفظ مسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩٩، ٧٣٧٨)، ومسلم (٢٨٠٤) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

(٣) (ل): «فلقد سبوا الله».

(٤) (ل): «بها».

(٥) أخرجه بنحوه: سعيد بن منصور في «سننه» (٢٨٨٣) ومن طريقه الخطابي في «غريب الحديث» (٢/ ٣١١)، والحربي في «غريب الحديث» (٣/ ١٠٧٤)، والقاسم بن ثابت في «الدلائل» (٢/ ٨٠٧)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٠٤١) ـ بألفاظ متقاربة ـ من طريق عبد الرحمن بن مالك بن يخامر، عن أبيه، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «لا تلْوا عليهم، يعني أهل الذمة؛ فإن الله ضرب علىٰ رقابهم بذُلٍّ مُغْرَم، وإنهم سبُّوا الله سَبًّا لم يَسُبَّه أحدٌ من خلقه، دَعَوا الله ثالثَ ثلاثةٍ» وسنده صحيح. واللفظ للطبراني، ولفظ الخطّابي: «مُفدَم»، وفي أوله: «لا تأْووا لهم»، وهو عند الحربي دون قولِه: «لا تلوا عليهم»، وقولِه: «دَعَوا الله ثالثَ ثلاثة».
وقولُه هنا: «لا ترحموا النصارىٰ» لم أجده في شيء من ألفاظ هذا الأثر، ووقع في رواية سعيد بن منصور: «لا تأووا اليهود»، وكذا هو في أصلها الخطيّ، ويُشكِل عليه آخر الحديث: «دَعَوا الله ثالث ثلاثة»؛ إلا علىٰ تأويل اليهود ببني إسرائيل، أو أهل الذمة كما في الرواية الأخرىٰ، فيشمل النصارىٰ حينئذ.
وجاء نحو هذا الأثر عن عمر رضي الله عنه عند أبي نعيم في «تاريخ أصبهان»: (٢/ ٣١) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢/ ١٨٣) من طريق ضمرة بن حبيب عن عمر رضي الله عنه قال: «سمّوهم ولا تُكنُّوهم، وأذلّوهم ولا تَظلموهم، وإذا جَمَعتْكم وإيّاهم طريقٌ فألجئوهم إلىٰ أضيقها».
تنبيه: تصحّف أثر معاذ في مطبوعة «مسند الشاميين» إلىٰ: «لا تُلوا عليكم» بالكاف، خلاف أصوله الخطية، وفي أصله الخطي تحرّف قوله: «دعوا الله» إلىٰ: «وعزّ الله»!

(٦) كذا عامة الأصول، والمطبوع: «وحرَّمت».

(٧) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند ابن حبان (٤١٦٢) ـ بسندٍ حسن ـ وفيه: «لا ينبغي لأحدٍ =

يصلِّيَ أحدٌ عند طلوع الشمس وغروبها؛ لئلا يُشْبِه عبَّادَ[1] الشمس والقمر[2]، فكانت بسدِّها[3] للأبواب التي يُجعَل لله فيها الشريك والولد أكملَ من غيرها من الشرائع. كما سدَّت غيرَ ذلك من الذرائع، مثلَ تحريمها قليلَ المسكِر؛ لأنه يجر إلىٰ كثيرِه[4].

فإن أصول المحرّمات التي قال الله[5] فيها: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣] مما اتفقت عليه شرائع الأنبياء، بخلاف تحريم الطيبات عقوبةً، فإن هذا[6] في شرع التوراة دون شرع القرآن، فإن الله أَحلَّ لأمة محمد الطيبات وحَرَّم عليهم الخبائث، وكذلك تكميل التوحيد من كل الوجوه وسدِّ أبواب الشرك من كل الوجوه، جاءت به هذه الشريعةُ مع اتفاق الأنبياء علىٰ إيجاب التوحيد وتحريم أن يُجعَل لله شريك أو ولد[7].

= أن يسجد لأحد». وفي إنكاره ﷺ علىٰ معاذ رضي الله عنه سجوده له عند ابن ماجه (١٨٥٣). والمسألة مبسوطة عند المصنف في «جامع المسائل» مج٨ (١/ ٢٤).

(١) (ل): «تشتبه عبادة».

(٢) يشير إلىٰ الأحاديث الواردة في أوقات النهي عن الصلاة فيها، وهي كثيرة؛ منها: حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما عند البخاري (٥٨٤، ١٨٦٤)، ومسلم (٨٢٥، ٨٢٧).

(٣) (ل): «في سدِّها».

(٤) يشير إلىٰ حديث: «ما أسكر كثيرُه فقليلُه حرام» عند ابن ماجه (٣٣٩٣)، وأبي داود (٣٦٨١)، والترمذي (١٩٧٣) من حديث جابر رضي الله عنه. قال الترمذي: «حديث حسن غريب». وفي الباب عن ابن عمر، وابن عمرو، وعائشة، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم بأسانيد حسنة.

(٥) «الله» سقطت من (د).

(٦) المطبوعتان زيادة: «جاء».

(٧) هنا ينتهي السقط في (ح).

فإذا كان مراد المسيح عليه السلام بالابن هو الناسوت، وهو لم يُسمِّ اللاهوت ابنًا، وقد ذُكِر أن الابن لا يَعلم الساعة[1]= فتبين بذلك أن المسيح هو الناسوتُ وحده، وأنه لا يَعلم الساعة وهذا هو الحق.

وإن قالوا: مرادُه بالابن اللاهوتُ أو اللاهوتُ والناسوتُ= لزم من ذلك أن اللاهوتَ أو اللاهوتَ والناسوتَ لا يَعلم الساعة وهذا باطلٌ، وكذب، وهو أيضًا مناقضٌ لقولهم.

فدلّ هذا النص من[2] المسيح مع سائر نصوصه ونصوص الأنبياء علىٰ أن مسمَّىٰ الابن هو الناسوت وحده، وأنه لا يعلم ما يعلمه الله، وذلك صريحٌ في أنه مخلوق ليس بخالق، ولا يجوز أن يكون هذا خطابًا للناسوت المتحد باللاهوت دون اللاهوت، كما يَتأوَّله عليه بعض النصارىٰ؛ لأن كلَّ ما عِلمه اللاهوتُ المتَّحدُ بالمسيح عَلِمه الناسوتُ، ولأن الناسوت ليس هو الابن عندهم دون اللاهوت المتَّحد به، بل اسمُ الابن عندهم هو اللاهوتُ، ولأجل الاتحاد دخل فيه الناسوت، ولأنه لم يَثبت إلا علمُ الأب وحدَه لم يَستثن علمَ الابن الأزليِّ عندهم، بل نفىٰ علمَ ما سوىٰ الأبِ به، وهذا مناقضٌ لقولهم[3] من كل وجهٍ.

(١) عندما سئل عنها قال: «إن ذلك اليوم وتلك الساعةَ لا يعرفه أحد، ولا الملائكةُ الذين في السماء، ولا الابنُ أيضًا، ولكن الأب وحده يعرفه» «متّىٰ»: (٢٤: ٣٦).

(٢) (ح): «هذا الناصري» تحريف.

(٣) صوبت في هامش (ح): «بقولهم»، وهي كذلك في (د)، ولا يتَّجه.

فصل

قال الحسن بن أيوب: «ومِثل هذا أنه لما خاطبه[1] الرجل علىٰ ما كُتب في الإنجيل فقال له: **«أيها الخيِّر، فقال: ليس الخيِّر إلا الله وحده ـ قلت: وبعضهم يترجمه أيها الصالح ـ فقال: ليس الصالح إلا الله وحده»**[2].

قال: ومثله قوله في الإنجيل: **«إني لم آتِ لأعمل بمشيئتي، لكن بمشيئة مَن أرسلني»**[3].

قال: ولو كانت له مشيئة لاهوتية ـ كما يقولون ـ لَـمَا قال هذا القول، فقد أبطل به ما يدَّعونه في ذلك.

قال[4]: ثم أنتم مع ذلك تدَّعون أن المسيح كلمةُ الله، ومن قوة[5] الله غير بائنة منه ولا منفصلة عنه، وتشهدون عليه في الإنجيل بقوله: إنه يصعد إلىٰ[6] السماء ويجلس عن يمين أبيه، ويَدين الناس يوم الدِّين[7] ويجازيهم بأعمالهم، ويتولىٰ الحكم بينهم، وأن الله ﷻ منحَه ذلك؛ إذ كان لا يراه أحدٌ مِن خلقه في الدنيا ولا في الآخرة[8].

فإن كان هذا الجالس للحكومة بين العالم[9] يوم الدين، والقاعد عن

---

(١) أي المسيح.

(٢) «متىٰ»: (١٩: ١٦ ـ ١٧)، و«مرقس»: (١٠: ١٧ ـ ١٨)، و«لوقا»: (١٨: ١٨ ـ ١٩).

(٣) «يوحنّا»: (٥: ٣٠)، (٤: ٣٤)، (٦: ٣٨).

(٤) «قال» ليس في (د).

(٥) ل: «وقوة».

(٦) «إلىٰ» ليس في (د).

(٧) المطبوع: «القيامة» خلاف النسخ.

(٨) «متىٰ»: (١٩: ٢٨)، (٢٦: ٦٤)، و«مرقس»: (١٤: ٦٢)، (١٦: ١٩)، و«لوقا»: (٢٢: ٦٩).

(٩) كذا في عامة الأصول، والمطبوعتان: «العالمين».

يمين أبيه ـ وهو[1] شخص قائم بذاته لا يُشكُّ فيه ـ هو الجسد الذي كان في الأرض المتوحِّد به الربوبية = فقد فَصَلتم بين الله تبارك وتعالى وبينه، وبعَّضتموه، باجتماعهما في السماء شخصين متباينين أحدهما عن يمين صاحبه، وهذا كفرٌ وشرك بالله عز وجل.

وإن كان جسدًا خاليًا من الإلهية، وهي الكلمة، وقد عادتْ إلىٰ الله كما بدأت منه = فقد زال عنه حكم الربوبية التي تَنحلونه[2] إياها.

قال: ونسألكم عن واحدة نحبُّ أن تخبرونا بها[3]: أصلُ ما وضعتموه من عبادة الثلاثة الأَقانيم التي تَرجع بزعمكم إلىٰ جوهرٍ واحدٍ، وهي[4] اللاهوت: ما هو؟ ومِن أين أخذتموه؟ ومَن أمَرَكم به؟ وفي أي كتابٍ نزل؟ وأيُّ نبي تنبأ به؟ أو أيَّ قولِ المسيحِ[5] تدَّعونه فيه؟ وهل بنيتم[6] أمركم في ذلك إلا علىٰ قول متَّىٰ التلميذ عن المسيح عليه السلام أنه قال لتلاميذه حيث أراد أن يفارقهم: «**اذهبوا فعمِّدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس**».

قال: وهذا كلامٌ يَحتمل معناه ـ إن كان صحيحًا ـ أن يكون ذهب فيه ـ بجمع[7] هذه الألفاظ ـ إلىٰ أن تجتمع لهم بركاتُ الله وبركةُ نبيه المسيح وروح القدس التي يؤيَّد بها[8] الأنبياءُ والرسلُ، وقد نراكم إذا أردتم الدعاء ـ بعضكم

---

(١) ط النيل: «هو» بحذف الواو، خطأ؛ يوهم أنه الخبر. والخبر الجملة بعده.

(٢) (ل): «تنحلونهما»، والمطبوع: «تنتحلونه»، ولا يتَّجه.

(٣) (ل) زيادة: «هي». وهذا شروع منه في نقْد عقيدة الأقانيم.

(٤) كذا عامة الأصول، والمطبوعتان: «وهو»، ولكلٍّ وجه.

(٥) كذا النسخ، والمطبوعتان: «للمسيح».

(٦) (ح): «ثبتّم».

(٧) المطبوعتان: «بأن يجمع».

(٨) (ل): «يؤديها».

لبعض[1] ـ قلتم: صلاة فلان القدِّيس تكون معك ـ ومعنىٰ الصلاة: الدعاء ـ واسم فلان النبيِّ يعينك علىٰ أمورك.

وكما قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩].

يقرن طاعته بطاعة نبيه وأولي الأمر[2] من المسلمين، أفنقول لذلك[3] إنهم جميعا آلهة؟

قال[4]: وقد يجوز أن يكون له معنًىٰ يَدقُّ عن الوقوف عليه بغير التأويل[5] ـ إن لم يكن معناه ما قلناه ـ، أو يكون المسيح عليه السلام ذهب فيه إلىٰ ما هو أعلمُ به، فلِمَ حكمتم بأنه ذهب إلىٰ أن هذه الأسماء لمَّا أضافها إلىٰ الله ﷻ صارت آلهةً، وجعلتم لها أقانيمَ، لكلِّ اسمٍ أقنومٌ يخصه بعينه[6]، وهو شخص[7]، وكيف استجزتم ما أشركتموه مع الله ﷻ بالتأويل الذي لا يصح؟

وإذا قلتم بثلاثة أقانيم، كلُّ أقنوم بذاته، فلا بُدَّ من أن تعترفوا[8] ضرورة بأن كلَّ أقنوم منها: حيٌّ سميعٌ بصيرٌ عالمٌ حكيمٌ منفردٌ بذاته ـ كما تقولون في

---

(١) (ل، ح): «بعضًا».

(٢) قوله: «يقرن طاعته بطاعة نبيه وأولي الأمر» ليس في (ل، ح).

(٣) (ح): «كذلك».

(٤) «قال» ليس في (ل، ح).

(٥) «بغير التأويل» ليس في (ل، ح). أي: بغير التفسير المذكور عند النصارىٰ؛ مِن عدِّ الأسماء الثلاثة آلهةً.

(٦) «بعينه» ليس في (د) وبهامشها عن نسخة، و«يخصه» ليس في (ط. النيل)؛ وجمع بينهما في (ل، ح).

(٧) (ل، ح) زيادة: «واحد». «وهو» ليس في (ل).

(٨) «من» ليس في (ح).

المسيح إنه جالس عن يمين أبيه - فنراكم أخذتم الأقنومين اللذين أحدثتموهما[1] مع الله - من جهة أن الله حكيم حي؛ فحكمتُه: الكلمة، وهي المسيح. وروحه: روح القدس - وهذه صفةٌ من صفات الله مثلُها كثير؛ لأنه يقال حكيم عليم سميع بصير حي قدير.

وكذلك ربُّنا تبارك وتعالى وإن كانت صفاتُنا إيَّاه لا تَلحق صفاتَه ولا تبلُغ كُنْهَ مجده -تبارك وتعالىٰ مجدُه[2]- إلا بالتمثيل لعظمته وعزَّته وجلاله وعلوِّه، فنحَلْتُم[3] صفاتَه التي هي معناه - وليست سواه[4] - غيرَه، وجعلتموه أقانيم، لكلِّ واحدٍ[5] من الحياة والحكمة وسائر الصفات مثل الذي له، وما منها[6] أقنوم له صفةٌ إلا ويَحتمل[7] - علىٰ قياس قولكم - أن تكون صفتُه مثلَه، فإذا كانت هذه الأقانيم آلهةً، وكلُّ صفةٍ لإلهٍ فهي من جوهره[8] = فيجب أن تكون كلُّ صفةٍ لكل واحدٍ من الثلاثة الأقانيم إلهًا مثلَه؛ إذ[9] كان من جوهره، فيتَّسع الأمر في ذلك، حتىٰ لا يكون له غاية ولا نهاية.

---

(١) (ل، ح): «أخذتموهما»، وكذا عن نسخة بهامش (د)، و(ح): «أخذتموها» ثم ضرب عليها دون تصويب. والمعنىٰ: أنهم أخذوا - من صفات الله الكثيرة - صفتين جعلوهما مع الله أقانيم - وهما الحكمة الحياة - وتركوا سائرها؛ تفريقًا بين النظائر من غير وجه!

(٢) «تبارك وتعالىٰ مجده» سقط من (د، والمطبوعتين)..

(٣) «فنحلتم» ساقط من (ح).

(٤) (ل، ح): «التي هي ليست سواه».

(٥) (ل): «واحدة».

(٦) (د): «فيها».

(٧) (ل، ح): «ويحمل».

(٨) (د): «وكل صفةٍ إلهٌ، وهي من جوهره»، في معنىٰ ما بعدها، تكرار!

(٩) (ح): «إذا».

قال[1]: وإذا قلتم بثلاثة[2] أقانيم هي في السماء من جوهرٍ قديم، أفليس يلزمكم[3] الإقرارُ بثلاثة آلهة؟ لأن الأقانيم أشخاصٌ يُومَأ إليها ويقعُ الحدُّ عليها، وإلا فما الحجة؟ وأنتم تذكرون في بعض احتجاجكم: أنها ثلاثةٌ ترجع إلىٰ واحد، غيرُ متبعِّضة ولا منفصلة، وتشبِّهونها[4] في اجتماعها وظهورِ ما يظهر منها بالشمس!

وقد نراكم عقَدتم شريعةَ إيمانكم علىٰ أن المسيح إلهٌ وإنسان متَّحدَين، وأنه يصعد إلىٰ السماء ويجلس عن يمين أبيه، والجالس عن يمين صاحبه أليس هو منفصلًا عنه[5] مفروزًا عنه؟ فكيف يصح[6] علىٰ هذا القول قياس، أو يصح به عَقْد دين؟ تقولون مرة مجتمع، ومرة منفصل![7] وما شبَّهتموه به من الشمس، فقد تقدَّم شرحنا لبطلان الحجة فيه، وأنه لا يكون قياسُه القياسَ الذي تعلَّقتم به.

علىٰ أنا وجدناكم تقولون في معنىٰ التثليث: إن الذي دعاكم إليه ما ذكرتم أن متَّىٰ التلميذ حكاه في الإنجيل عن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ إذ قال لتلاميذه[8]: «**سيروا في البلاد، وعمِّدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس**»، وأنكم فكَّرتم في

---

(١) «قال» ليس في (ل، ح).
(٢) (ل): «ثلاثة».
(٣) (ل): «يلزمهم».
(٤) (ل): «ويشبهونها».
(٥) (ل، ح): «منه».
(٦) (ل): «يقع».
(٧) «تقولون مرة مجتمع ومرة منفصل» ليس في (ل، ح).
(٨) (ل): «لتلامذته»، لغة صحيحة، والمثبت أفصح. وهم الخَدَم والأتباع. «لسان العرب»: (٣/ ٤٧٨). ونفىٰ عربيتَه ابن فارس في «مقاييس اللغة»: (١/ ٣٥٣)، وحقَّق القول فيه عبد السلام هارون في رسالةٍ ضمن «نوادر المخطوطات»: (ص/ ٥٤). والنصّ المذكور تقدم تخريجه.

هذا القول بعقولكم فعلِمتم[١] أن المراد بذلك: أنه لما أنْ ثَبَت حدوثُ العالم علمتم أنَّ له محدِثًا فتوهَّمتموه شيئًا موجودًا، ثم توهّمتموه حيًّا ثم[٢] ناطقًا؛ لأن الشيء ينقسم لحي ولا حي، والحيُّ ينقسم لناطق ولا ناطق.

وأنكم علمتم بذلك أنه شيء حي ناطق، فأثبتم له حياةً ونطقًا غيره في الشخص، وهما هو في الجوهرية.

فنقول لكم في ذلك: إذا كان الحي له حياة ونطق[٣]، فأخبِرونا عنه: أتقولون: إنه قادر عزيز، أم عاجز ذليل؟

فإن قلتم: لا بل هو قادر عزيز= **قلنا**: فأثبِتوا له قدرة وعزة، كما أثبتم له حياة وحكمة[٤].

فإن قلتم: لا يلزمنا ذلك؛ لأنه قادر بنفسه عزيز بنفسه.

قلنا[٥] لكم: وكذلك فقولوا[٦]: إنه حي بنفسه وناطق بنفسه[٧]، ولا بد لكم مع ذلك من إبطال التثليث، أو إثبات التخميس[٨]، وإلا فما الفرق؟ وهيهات من فرق!

وقال الحسن بن أيوب أيضا: إنا كلما تأملنا معناكم في نَسْب[٩]

---

(١) (ل، ح): «فقلتم».
(٢) «ثم» ليس في (د).
(٣) (ل): «ونطقًا».
(٤) (ل، ح) زيادة: «ونطقًا».
(٥) غيرت في (ح): «ثم قلنا».
(٦) (ل، ح): «تقولوا».
(٧) «وناطق بنفسه» ليس في (ل، ح).
(٨) (ل): «التجسيم»، (ح): وإثبات التجسيم.
(٩) كذا في عامة الأصول، والمطبوعتان: «معكم في نسبة». كلاهما متَّجه. وهنا شروع في إثبات بشريَّة المسيح من الإنجيل.

المسيح عليه السلام إلىٰ الإلهية وعبادتِكم له مع الله علىٰ الجهةِ التي تذهبون إليها، وطلبْنا لكم الحجةَ في ذلك من كتبكم، ازددْنا بصيرةً في استحالة ذلك ووضْعِكم له من القول ما لا يَثبت لكم به حجَّة، ولا يَشهد به لكم[1] شيءٌ من كتبكم!

ووجدنا أَبْيَنَ ما جاء في المسيح وصحةِ[2] أمره فيما أتىٰ به ما قال متَّىٰ التلميذ[3]: «إنه لما جاء يسوع إلىٰ أرض قَيْسارِيّة[4] سأل تلاميذه فقال: **ماذا يقول الناس في أنّي ابن البشر؟** فقالوا: منهم من يقول: إنك يوحنّا المُعْمِداني، وآخرون يقولون: إنك أرميا، أو أحدُ الأنبياء. فقال لهم يسوع: **فأنتم ماذا تقولون؟** فأجابه سمعان[5] الصفا[6] ـ وهو رأسهم[7] ـ فقال: أنت المسيح ابن الله الحق[8]. فأجابه المسيح وقال: **طوبىٰ لك يا سمعان ابن يونان، إنه**

---

(١) «لكم» في الموضعين ليس في (ل، ح).

(٢) (ل، ح): «وحجة».

(٣) «متّىٰ»: (١٦: ١٣ـ١٧).

(٤) (Caesarea) عاصمة فلسطين الأولىٰ، تقع علىٰ شاطئ البحر المتوسط، جنوب «حيفا» وتبعد عنها نحو (٣٧ كم)، وجنوب غرب «الناصرة» بنحو (٢٠ كم)، كانت مقرًّا لحاكم مقاطعة يهوذا، منها انطلقت شرارة التمرد علىٰ الرومان سنة (٦٦ م)، فردّوا بتخريب القدس، حُبس في هذه المدينة (بولس الرسول) سنتين قبل أن يُنقل إلىٰ روما، فتحها معاوية بن أبي سفيان. ينظر: «المسالك والممالك»: (ص/ ١٠٢)، «معجم البلدان»: (٤/ ٤٢١)، «الموسوعة الإيطالية»: (٩/ ٨٧٨).

(٥) (ح): «شمعون» في الموضعين بالسين أو بالشين.

(٦) وهو: «بِطْرُس» السَّلِيْح (Saint Peter)، حواري عيسىٰ، أول بابا في: (بيت صيدا، والجليل، وروما) سنة (٦٤م ــ ٦٧م)، واسمه الأصلي: (سمعان) أو (شمعون)، ويدَّعي النصارىٰ أن المسيح لقبه (ببِطْرُس)، ومعناه (حجر) باللاتينية؛ إشارة إلىٰ أنه من سيؤسّس الكنيسة، ويزعم الكاثوليك أنه رأىٰ المسيح بعد الصلب، فمنحه رئاسة الحواريين، والتعليم والحكم، وأنه باسم المسيح ورَّث مَن خلفه من أساقفة «روما»، وينازعهم في ذلك عامة طوائف النصارىٰ، وهو أكثر الحواريين ذِكرًا في الإنجيل، صَلَبه «نارون». انظر: «الموسوعة الكونية»: (١١/ ٥٨٨).

(٧) كذا عامة الأصول، والمطبوعتان: «رئيسهم».

(٨) (ح): «الحي».

لم يُطلعك علىٰ هذا لحمٌ ولا دمٌ، ولكن أبي الذي في السماء».

وحكىٰ لوقا في إنجيله[1] هذا الخبر فقال: إن سمعان أجابه فقال: **«أنت مسيح الله»**، ولم يقل: ابن الله.

فهذا كلام تلميذه الرئيس فيه، وأَرْضاه ما قال. وقولُه[2]: إنه لم يَنطق ـ بذلك ـ إلا بما[3] أوحاه الله في قلبه.

ولم ندفعْكم قطُّ عن أنه مسيح الله، ولا عن أنه كما تقولون في لغتكم: إنه ابن الله بالرحمة[4] والصفوة ـ مع[5] الاختلاف الواقع في ذلك في الإنجيلين[6] ـ وقد قال مثل ذلك فيكم جميعًا: **«إن الله إلهي وإلهكم وأبي وأبوكم[7]»**، فنَعمل علىٰ احتجاجكم بأنه ليس[8] في معنىٰ البنوّة[9]، ونَجعلُه مثلَ من سُمِّي[10] في الكتب ابنًا علىٰ جهة الاصطفاء والمحبة، مثل إسرائيل وغيره، بل قد خصَّ إسرائيل[11] بأن قال ﷻ: **«أنت ابني بكري»**[12].

(١) «لوقا»: (٩: ٢٠).
(٢) كذا في النسخ الخطية والمطبوعة، ولعله معطوف علىٰ: «كلامُ تلميذه» أي: وهذا قولُه.
(٣) (د): «ما».
(٤) (ل): «ولا عن أن يقول في لغتكم إنه ابنٌ بالرحمة»، ح: وعن أن نقول في لغتكم.
(٥) (ل، ح) زيادة: «هذا».
(٦) أي: متّىٰ ولوقا.
(٧) (ل، والمطبوع): «وأبيكم»!
(٨) (ل، ح): «فإنه ليس مثلكم» أي المسيح، والمثبت أظهر.
(٩) (د، والمطبوعتان): «النبوّة»، ولم يحرر في (ل)، والمثبت أقْوَم.
(١٠) (ل، ح): «يسمىٰ».
(١١) ل، ح: «يعقوب».
(١٢) تقدمت الإشارة إليه، وكذا النصوص الثلاثة بعده.

وهذا[1] كلام له مذهب في اللغة القديمة التي جاءت بها الكتب، وليست بموجِبةٍ الإلهيةَ؛ إذ كان قد شَرَكه في هذا الاسم غيرُه، فلِمَ لا جعلتموه كما جَعَل نفسه؟

ومما يؤكد المعنىٰ في ذلك ويزيل تأويل من يتأول له[2] ما لم يَدَّعِهِ ولم يَرض به: قوله في علم الساعة: «**إن ذلك شيءٌ لا يعلمه أحد من الخلق ولا الملائكة المقربون، ولا الابن ـ يعني نفسه ـ إلا الله**[3] **وحده**»، ثم قال للرجل الذي أتاه فقال له: «**أيها العالم**[4] **الصالح، أيُّ الأعمال خيرٌ لي الذي يكون لي حياةً إلىٰ يوم الدين؟ فقال له: لِم تقول لي صالحًا؟ ليس الصالح إلا الله وحده**»، فاعترف لله بأنه واحد لا شريك له، ونفىٰ عن نفسه فلم يجعلها ولا أحدًا من الخلق أهلا لذلك.

وقوله للمرأة التي جاءته فقالت: «أنت ذلك النبيُّ الذي كُنَّا ننتظر مجيئه؟ فقال لها المسيح: **صدقتِ، طوبىٰ لكِ**».

ثم قال للشيطان حين اختبره فسامه[5] أن يُلقي نفسه من رأس الهيكل، فقال: «**أُمِرْنا أن لا نجرِّب الرب**»، ثم سامه أن يسجد له فقال: «**أُمِرْنا أن لا نسجد إلا لله وحده، ولا نعبد سواه**»[6].

ثم صلاتُه ـ في غير وقتٍ ـ لله، وآخرُها الليلة التي أخذته اليهود فيها، فإذا كان إلهًا ـ كما زعمتم ـ فلِمَنْ كان يُصلِّي ويسجد؟

---

(١) (ح): «فهذا».

(٢) «له» ليس في (ل، ح)، وأثبتت بهامش (د) عن نسخة. والمطبوع: «يتأوله له» تصحيف.

(٣) كذا عامة الأصول، والمطبوع «إلا الأب»، وبهذا اللفظ تقدَّم النص، وهما بمعنىً.

(٤) كذا كانت في (ح)، ثم صُوِّبت: «المعلم».

(٥) كذا في عامة الأصول، أي: فكلَّفه وجشَّمه أمرًا شاقًا. وأُصلحت في (ح): «فسأله» في الموضعين، والمثبت أليق بالسياق.

(٦) «متّىٰ»: (٤: ٧)، (٤: ١٠)، و«لوقا»: (٤: ٨)، (٤:١٢)، وقد تقدم.

ثم قول الجموع الذين كانوا معه حين دخل أورشليم ـ وهي مدينة بيت المقدس ـ علىٰ[1] الأتان، لمن كان يسأله عن أمره لما رجَّت المدينة به: «**هو[2] يسوع الناصريُّ النبيُّ الذي من الناصرة**»[3].

ثم قوله في بعض الإنجيل: «**اخرجوا بنا من هذه المدينة، فإن النبيَّ لا يُبَجَّل في مدينته**»[4]. وفي موضع آخر أنه قال: «**لا يهان نبيٌّ إلا في مدينته وفي بيته وأقاربه**»[5].

وقوله في بعض خطبه: «**إن هذا الجيل السُّوءَ يريد آية[6]، وإنه لا يُعطَىٰ إلا آية يونس، كما كان يونس لأهل نِيْنَوىٰ[7]، يقومون[8] في الدِّين مع هذا الجيل فيَخْصِمونهم؛ لأنهم تابوا[9] علىٰ قولِ يونس النبيّ، وإن هاهنا أفضل من يونس**»[10].

ثم قول داود في نبوَّته عليه: «**مَن هذا الرجل الذي ذكرته وجعلته دون**

---

(١) (د): «عن».
(٢) المطبوعتان: «هذا هو» خلاف النسخ.
(٣) «متّىٰ»: (٢١: ١١).
و«ناصرة» (Nazareth) مدينةٌ فلسطينية في مقاطعة الجليل، علىٰ بعد (٣٠ كم) شرق حيفا، في طريق طبرية، عاشت فيها مريم عليها السلام وفيها بُشّرتْ بعيسىٰ عليه السلام. «الموسوعة الإيطالية»: (٢٤/ ٤٦٢)، و«موسوعة الكون»: (٨/ ٥٠٠).
(٤) «متّىٰ»: (١٣: ٥٧)، «مرقس»: (٦: ٤).
(٥) المصدران السابقان.
(٦) (ح): «الجيل الشرير بذاته». تصحيف.
(٧) زِيْد بعده في المصدر: «كذلك يكون ابن البشر لهذا الجيل، رجالُ نِيْنَوىٰ»، وبه يستقيم السياق.
(٨) (د، ح، ط. النيل): «يقدمون»، والصواب ما أثبت، موافقًا عامة الترجمات العربية. وقوله: «في الدين» أي يوم الحساب. «فيخصمونهم»: يحاكمونهم ويحاسبونهم.
(٩) (ل، د): «ماتوا»، ومصوَّبة في (ح) علىٰ ما أُثبت، وهو الموافق لنص الترجمات.
(١٠) «متّىٰ»: (١٢: ٣٩ ـ ٤١)، و«لوقا»: (١١: ٢٩ ـ ٣٢).

الملائكة قليلا؟»[١].

ثم قول تلاميذه فيه ما شرحناه في صدر كتابنا[٢] هذا ما تقدم، ووصْفهم أنه رجلٌ أتىٰ من عند الله بالأيدي والقوّة.

ومما يشبه ذلك أنه لما قدِم تلاميذُه فركبوا السفينة وقال لهم: «**امضوا فإني أَلْحقُ**[٣] **بكم**»، فأتاهم يمشي علىٰ البحر فلما رأوه في تلك الحال قالوا: «ما هذا الحال؟ ويح!» ومِن الغرق صاحوا. فقال لهم يسوع: «**اطمئنوا ولا تخافوا أنا هو**»، فأجابه شمعون الصفا وقال له: «يا رب إن كنتَ أنت هو فأْذن لي آتيك علىٰ الماء». فقال له: «**تعال**»، فنزل سمعان إلىٰ الماء ليمشي عليه، فلم يستطع، وجَعل يغرق، فصاح وقال: «يا رب أغثني!»، فبسَط يدَه يسوعُ فأخذه وقال له: «**لِمَ تشكَّكت يا قليل الأمانة؟**»[٤].

قال: فبان بذلك عجز المسيح عن إتمام ما سأله شمعون الصَّفا.

ومثلُه أمْر الرجل الذي قال ليسوع خبرَ ابنته وما ينالها من الشيطان، وأنه[٥] قدَّمها إلىٰ تلاميذه فلم يستطيعوا أن يُخرجوه ـ وقد كان جعل لهم ذلك وغيرَه[٦] ـ فأخرجه هو منها[٧].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أي كتاب الحسن بن أيوب إلىٰ أخيه.

(٣) (ل): «وقالوا لهم: امضوا فإن الحقَّ» تصحيف.

(٤) «متىٰ»: (١٤: ٢٥ ـ ٣١).

(٥) المطبوعتان زيادة: «قد»، وليس في النسخ.

(٦) أي: أُسند إليهم أمرُ إخراج الجن، وعلاج مَن به مسٌّ، وغيره. والقصة هنا في شأن غلامٍ لا امرأةٍ كما في المصدرين الآتيين.

(٧) «متىٰ»: (١٧: ١٤ ـ ٢١)، و«لوقا»: (٩: ٣٨ ـ ٤٢).

وقال في الإنجيل وهو يذكر الأمثالَ التي ضربها لرؤساء الكهنة: إنهم لما سمعوها منه علِموا أنها في شأنهم، فهمُّوا أن يأخذوه ثم فرِقوا[1] من الجموع؛ لأنهم كانوا يُنزِلونه مثلَ النبي[2].

وقال في الإنجيل لما جاءته أمُّ ابنَي زَبَدَيْ[3] ـ وكانا[4] من تلامذته ـ مع ابنَيها، فقال لها: «**ما تريدين؟**» قالت: «أريد أن يَجلس ابْناي أحدُهما عن يمينك والآخرُ عن شمالك في ملكوتك». فقال: «**ليس إلىٰ ذلك سبيلٌ؛ لأنه ليس لي أن أعطيَه، ولكن مَن وَعَد له[5] أبي**»[6].

قال الحسن بن أيوب: فما يكون ـ يا هؤلاء ـ أفصحَ أو أَبْيَنَ[7] وأوضحَ من اجتماع هذه الشواهد لكم في كتبكم!

ما رضيتم بقوله في نفسه، ولا بقول تلامذته فيه، ولا بقول من تنبَّأ عليه من الأنبياء، ولا قول جموعه ـ الذين تولَّوه ـ لمن سألهم من مخالفيهم[8] عنه،

---

(١) (ح): «فزِعوا». وهما بمعنًىٰ.

(٢) «متّىٰ»: (١٤: ٥)، (٢١: ٤٥ ـ ٤٦)، وفيه: «ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم. ٤٦ ـ وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع لأنه كان عندهم مثلَ نبي».

(٣) (ل): «زيد» بعد كشط الألف، و(المطبوعتان): «زندا»، ولم يحرّر في (د)، والمثبت ما استظهرته في (ح) موافقًا للمصادر. وهي إحدىٰ النساء اللواتي كنَّ يتبعن المسيح لخدمته، ونسيبةٌ لمريم. وابناها: يعقوب ويوحنَّا. ويمينه وشماله: يمثّلان مواقع السلطة والقوة. هامش الترجمة البولسية (ص١١٥)، والفانديك (ص٥٥).

(٤) كذا بضمير التثنية في عامة الأصول، فيحتمل أن يريد «زبدي» وزوجَه، أو أراد ابنَيْها باعتبار ما آل إليه حالهما، أو يكون صوابه: «وكانت»؛ لما ذُكر أنها كانت من خدَمة الرسل دون زوجها.

(٥) (ل) «وُعِد له مِن»، وجل الترجمات: «للذين أُعِدَّ لهم من أبي»، وفي بعضها: «لِمَن أعدَّه لهم أبي»، «للذين أعدَّ ـ أعدّه ـ هيأه ـ لهم أبي»، وهي متقاربة.

(٦) «متّىٰ»: (٢٠: ٢٠ ـ ٢٣).

(٧) المطبوع: «وأبين» خلاف النسخ.

(٨) (ح): «مخالِفَتهم».

وتركتم ذلك كلَّه، وأخذتم بآراء قومٍ تأوَّلوا لكم، علىٰ علمكم بأنهم[1] قد اختلفوا أيضًا في الرأي، فقال كلُّ قوم في المسيح ما اختاروا، واتَّبع كلا منهم[2] طائفةٌ قالوا بقولهم، ثم سلَكَ مَن بعدهم[3] سبيلَ الآباء في افتراقهم[4].

فبيِّنوا[5] لنا حجتكم في ذلك، وهيهاتَ من حجة! ونحن نستوهب الله العصمة والتوفيق منه.

قال: ومما يُشبه ما تقدم قوله لتلاميذه في إنجيل لوقا: **«فأما أنتم الذين صبرتم مع بلائي[6] وتجاربي[7] فإني أعدكم كما وعدني أبي الملكوت لتأكلوا وتشربوا معي علىٰ مائدتي في ملكوتي»**[8].

فبيَّن أن الله ـ جلَّ ثناؤه ـ وَعَده أن يجعله في ملكوت السماء، يأكل ويشرب مع تلاميذه علىٰ مائدته، وهذا ما لا شك لكم فيه[9]، وهو مخالفٌ لقولكم فيما يصير إليه، وفي الأكل والشرب والنعيم هناك!

---

(١) (ح، ط النيل): «فإنهم»، وأصلِحتْ في (د) إلىٰ المثبت.

(٢) (ح، ط النيل): «كلامَهم».

(٣) (ل): «مَن بعدُ».

(٤) المطبوعتان: «في الاقتداء بهم»، خلاف النسخ، والمثبت أليق بالسياق.

(٥) (ح): «فثبتوا».

(٦) كذا عامة النسخ، والمطبوعتان: «معي في بلائي»، مواطئًا سائر الترجمات.

(٧) لم تحرَّر في النسخ الخطية، وفي ط. النيل: «ومخازيَّ»، والمثبت كما في جُلِّ الترجمات، وفي بعضها: «مِحَني»، «محنتي». وفي هامش ترجمة «الفاندايك» (ص/ ١٩٦): «أي كنتم رفقائي الأمناء في اتِّضاعي وآلامي، فستتميزون في ملكوت مجدي».

(٨) «لوقا»: (٢٢: ٢٨ ـ ٣٠).

(٩) (ل): «مالا يشك فيه»، وفي (د) ثم صوِّبت كالمثبت.

ثم قوله لشمعون حين أتته الجموع فأخذوه: «**أم تَظنُّ أني لستُ قادرًا أن أطلب إلىٰ أبي فيقيم لي اثني عشر جندًا ملائكة**[1] **أو أكثر؟ ولكن كيف تَتِمُّ الكتبُ**[2]**: أنه هكذا ينبغي أن يكون؟**»[3]، ولم يقل: إني قادرٌ أن أدفعهم عن نفسي، ولا إني آمُر الملائكة أن يمنعوا عني، كما يقول مَن له القدرةُ والأمرُ.

قال: ونجدكم تقولون في المسيح عليه السلام: إنه مولودٌ من أبيه، أزليٌّ.

ويجب علىٰ المدَّعي القولَ أن يُثبت الحجةَ فيه، ويَعلمَ[4] أنه مطالبٌ بإيضاحها، لاسيما في مثل هذا الخَطْب الجليل الذي لا يقع التلاعب به، ولا تجترئُ النفوس علىٰ ركوب الشبهات فيه، والويلُ الطويلُ لمن تأوَّل في ذلك تأويلا لا حقيقة له، فإنه يُهلِك نفسه ومن كان من الناس معه ممن يتَّبع قولَه.

إن كان هذا الابن أزليًا ـ علىٰ ما في شريعة إيمانكم ـ فليس[5] بمولود، وإن كان مولودًا فليس بأزلي؛ لأن اسم الأزلية إنما يقع علىٰ من لا أوَّل له ولا آخر.

ومعنىٰ المولود: أنه حادث مفعول، وكل مفعول فله أول، فكيف ما[6] أردتم القول = كان فيه بطلان الشريعة.

---

(١) كذا في (ل)، و(د، ح): «ملائكته»، والمطبوعتان: «جندًا من ملائكته»، وعليه عامة الترجمات، وكلٌّ متَّجه.

(٢) أي: كيف تَتِمُّ الكتبُ القائلةُ بحدوث ذلك، أي ما كُتب في المقادير. و(د، ط النيل): «يتم» علىٰ تقدير مضاف: «صِدقُ الكتب». وفي ترجمةٍ مفسِّرة: «إنما يجب أن يحدث هذا لِيتمَّ ما ورد في الكتاب».

(٣) «متّىٰ»: (٢٦: ٥٣ ـ ٥٤).

(٤) «ويعلم» ساقط من (ح).

(٥) المطبوع زيادة: «هذا»، خلاف عامة النسخ.

(٦) (د، ل، المطبوع): «بما»، وهو محتمل في (ح).

قال: ونسألكم أيضًا عن واحدة، لِمَ سميتم الأب أبًا والابـنَ ابنًـا؟ فإنـه إن كان[1] وَجَب للأب اسمُ الأبوة لِقِدَمه، فالابنُ أيضًا يستحق هذا الاسم بعينه؛ إذ كان قديمًا مثلَه، وإن كان الأبُ عالمًا عزيزًا فهو أيضا عالمٌ عزيزٌ، تشـهد شـريعة الإيمان له بذلك في قولها: إنه خَلق الخلائق كلَّها وأُتقنتْ علىٰ يده، وأنه نـزل لخلاصكم...![2].

ومن قدَر علىٰ ذلك لم يكن إلا عالمـًا عزيزًا، فهـذه المعـاني التي ذكرناهـا تُبطل اسمَ الأبوَّة والبنوَّة، وفي إبطالها بطلانُ الشريعة التي تقـول: وُلـد مـن أبيـه، وإلا فإن كـان الأب والابـن متكـافئَين في القِـدَم والقـدرة، فبأيِّ فضْـلٍ وسـلطان للأب عليه أَمَرَه ونهاه، فصار الأبُ باعثًا والابـنُ مبعوثًـا، والأب متبوعًـا مطاعًـا والابن تابعًا مطيعًا؟.

ومما يشهد بصحة قولنا وبطلانِ ما تأوَّله أوَّلـوكم في عبوديـة المسيح، أن متَّىٰ التلميـذ حـين بنـىٰ كتابـه[3] أول مـا ابتـدأ بـه أن قـال: «كتـاب مولـد يسـوع المسيح ابن داود بن[4] إبراهيم»[5]، فنسبه إلىٰ من كان منه علىٰ الصـحة، ولـم يقل: إنه ابن الله، ولا إنه إله من إله كما تقولون.

فإن قلتم: إن تسميةَ «يسوع» للنَّاسوت ـ الـذي قـد جعلتمـوه حجَّةً بيـنكم وبين كلِّ من التمس الحجةَ منكم عند الانقطاع ـ فيما يَعترف به المسيحُ[6] من

---

(١) (ح): «فإن كان».

(٢) تقدم نص هذه الشريعة في صدر رسالة الحسن بن أيوب هذه.

(٣) المطبوعتان زيادة: «الإنجيل» وليس في النسخ.

(٤) (ل): «عن»، وفي (د) أيضًا، ثم صوبت كالمثبت.

(٥) «متّىٰ»: (١ : ١).

(٦) المطبوع: «للمسيح».

العبودية = فقد نَسَقَ[(١)] متَّىٰ علىٰ اسم «يسوع» الذي هو عندكم اسمٌ[(٢)] للناسوت: «المسيحَ» الذي هو جامعُ الناسوتِ واللاهوتِ[(٣)]، فأيُّ حجة في إبطال هذا التأويل أوضح من هذا؟

ومما يصحّح قولَنا ويؤكِّده قولُ جبريلَ الملَكِ لمريمَ عند مخاطبته إيّاها: «إنه ابن داود» علىٰ ما ثبت[(٤)] من ذلك في الإنجيل[(٥)].

قال: ووجدناكم قد ذكرتم في شريعة الإيمان: أن يسوع المسيح «بِكرُ الخلائق»، فإن كنتم ذهبتم في ذلك إلىٰ أنه علىٰ نحو ما يُسمَّىٰ أولُ ولد الرَّجل وكبيرُهم؛ فجائز، وهو محقِّقٌ لقولنا في عبوديته.

وإن كنتم أردتم بذكر البِكر أنه أولُ قديمٍ، فلسنا نعرف للبِكر معنىً في لغةٍ من اللغات إلا للأكبرِ من الإخوة والأولِ من الولد، وبِكرُ الخلائق لا يكون إلا من الخلائق، كما أنَ بِكر الرجلِ والمرأةِ لا يكون إلا من جنسهما، وباكورة الثمار لا تكون إلا ثمرة، ولأنَ[(٦)] من المحال أن يقول قائل: بِكر ولدِ آدم مَلَكٌ من الملائكة، وكذلك من المحال أن يكون بِكر المصنوعات ليس بمصنوع، وبِكر المخلوقات ليس بمخلوق.

---

(١) أي: عطف علىٰ تسمية «يسوع» بوصفه بالمسيح. وصُوِّب في (ح) «سَبَق»، ولا يتَّجه.
(٢) (ل): «أنتم».
(٣) أي: إن زعمتم أن مراد «متّىٰ» ببنوّة «يسوع» لداود وإبراهيم: الناسوتُ دون اللاهوت= فيجاب: بأن «متّىٰ» وَصف «يسوع» بـ«المسيح»، وهو لقب شاملٌ للاهوت والناسوت عندكم، فدلّ علىٰ عدم التفريق بينهما، وعلىٰ بطلان تأويلكم، وأنه لا فرق بين «يسوع» و«المسيح» في دلالتهما علىٰ الناسوت وحده، ليس إلا.
(٤) (ح): «يثبت».
(٥) كذا في «لوقا»: (١: ٣٢)، وأما «متّىٰ»: (١: ٢٠) فالذي وصف فيه بأنه ابن داود هو يوسف النجار ـ زوج مريم علىٰ حدّ زعمهم ـ وليس المسيح، والخطاب فيه كان ليوسف لا لمريم!
(٦) كذا عامة الأصول، وغُيِّرت في (ح): «فالآن».

وقد قال الله في التوراة: «**يا ابني بِكري**»[1] أي إسرائيل. وقال في موضع آخر: «**إنه نظر بنو الله إلىٰ بنات الناس فشُغِفوا بهن**»[2]. فهل يوجب لآل إسرائيل الإلهية[3] بهذا القول؟

قال: وقلتم: إن المسيح وُلد من أبيه قبل العوالم وليس بمصنوع، فليس يخلو الأبُ من أن يكون أَوْلَدَ شيئًا موجودًا أو غيرَ موجود، فإن كان لم يزل موجودًا؛ فإن الأب لم يلِد شيئًا، وإن كان غير موجود وإنما هو حادثٌ لم يكن؛ فهو مخلوقٌ ـ كما قلنا ـ.

قال: ومما يبين قولَنا في خَلْق المسيح: أن هذا الاسم إنما وقع له، لأنه مُسِح للنبوة[4] والخير، وماسِحُه[5] الله ﷻ.

وقد قال داود في زبوره قولًا يَشهد علىٰ ذلك بعينه: «**من أجل هذا البِرِّ**[6] **مسحك الله إلهك، أكثر مما مسَح به نُظَراءك**»[7]، فأبان داود بهذه الآية معنىٰ المسيح[8]، وأن ماسِحَه الله الإله[9]، وأنه مصطفىٰ مُكرَمٌ بزيادةٍ علىٰ نظرائه.

وقال داود أيضًا في مزمور إحدىٰ وثلاثين[10] يخاطب الله: «**مِن أجل داود**

---

(١) تقدمت الإشارة إليه.

(٢) «التكوين»: (٦: ٢).

(٣) المطبوع: «إلهيةً» خلاف النسخ.

(٤) كذا في (ل)، و(د) «للبنوَّة»، و(ح) أيضًا بعد التصويب.

(٥) (ل): «ومما يبيحه»، تصحيف. وكذا كان في (ح) ثم صوب: «ومسحه»، والمثبت أجود.

(٦) «البِرّ» ليس في (ح).

(٧) «المزامير»: (٤٥: ٧)، ونصّه: «أحببتُ البِرّ وأبغضتُ الإثم، من أجل ذلك مسحك الله الهُك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك».

(٨) (ل، د) زيادة: «بإنجيله».

(٩) كذا في (ل)، و(ح): «ماسِحَه الإله»، ولم تحرر في (د).

(١٠) كذا في الأصول، ولعل صوابه: «اثنين وثلاثين ومائة» كما سيأتي في تخريجه.

عبدِك لا تَقْلِبْ[1] **وجهَ مسيحك**[2]**. عَهِد الربُّ لداود بالحق، ولا يَرجع عنه»**[3] يعني بمسيحه: نفسَه؛ لأن الله مسحه للنبوة والملك، وقد قال مثلَ هذا في غير موضعٍ[4] من زبوره، فسمَّىٰ نفسه مسيح الله[5].

قال: وإذا نُظِرَ في الإنجيل وكُتُبِ بولس وغيرِه ممن يَحتجُّ به النصارىٰ، وُجِد نحوٌ من عشرين ألف آية[6] كلُّها تنطق بعبودية المسيح، وأنه مبعوث مربوبٌ، وأن الله اختصَّه بالكرامات، ما خلا آياتٍ يسيرةً مشكلاتٍ، قد تأوَّلها كلُّ فريق من أولئك الذين وضعوا الشريعة باختيارهم علىٰ هواهم، فأخذوا بذلك التأويل الفاسد، وتركوا المعظمَ الذي يَنطق بعبوديته.

فلو كانوا قصدوا الحق لردُّوا تلك المشكلات الشاذة[7] اليسيرة التي يوجد لها من التأويل خلافُ ما يتأوَّلوه[8] علىٰ الواضحات الكثيرة التي قد

---

(١) كذا في (ح)، و(د): «لا يُغلبْ»، ولم تحرَّر في (ل). والمثبت أصوب، وأليق بالترجمات الأخرىٰ؛ ففيها: «لا تَرُدَّ»، «لا تَرفُضْ».

(٢) (ل): «تسبيحك»، تصحيف. والمثبت عليه الترجمات، وهو مَورِد النصِّ وشاهدُه، والمراد بالمسيح ـ هنا ـ داود عليه السلام.
وقوله: «عَهِد الرب» أي: أقسم. وتمام القَسم: أنه سيُجلِس علىٰ عرش داود مَن يكون مِن بنيه ونَسْلِه. وهو المسيح عليه السلام.

(٣) «المزامير»: (١٣٢: ١٠ ـ ١١).

(٤) (ل): «هذا الموضع».

(٥) منها في «المزامير»: (٢: ٢)، (١٨: ٥٠)، (٢٠: ٦)، (٢٨: ٨)، (٨٩: ٣٨).

(٦) المطبوعتان زيادة: «مما فيه اسم المسيح»، وليس في الأصول.

(٧) هامش (ح): «الفاسدة».

(٨) كذا، ولعل الصواب: «تأوَّلوه»، أو يخرّج ما في الأصول علىٰ حذف نون الرفع، وهي لغةٌ قليلة؛ وحذفها ـ لغير ناصب أو جازم ـ واجبٌ مع نون التوكيد، وجائز ـ بكثرة ـ مع نون الوقاية، وبقلَّة في غير ذلك، ومنه قراءة: «ساحران تظَّاهرا»، وحديث: «لا تدخلوا الجنه حتىٰ تؤمنوا». «شرح التسهيل»: (١/ ٥٠)، و«همع الهوامع»: (١/ ٢٠٠). والمطبوعتان: «يتأولونه» علىٰ الجادَّة.

بانتْ بغير تأويل؛ لأنه إنما يجب أن يقاس الجزء[1] علىٰ الكل، ويُستدلُّ علىٰ ما[2] غاب بما حضر، وعلىٰ ما أَشْكل بما ظَهر، فمن تلك الآيات المشكلات ما قد[3] ذكرناه في كتابنا هذا وبينَّا معناه والحجة فيه، وأنه ليس كما تأوَّلوه.

ومنها: ما يحكون عن المسيح أنه قال: «أنا بأبي»[4]، وقد فسر المسيح عليه السلام ذلك وكشفه.

قال «يوحنّا» في إنجيله: إن المسيح تضرَّع إلىٰ الله في تلاميذه، وقال: «**يا أيها الربُّ القدُّوس احفظهم باسمك الذي أعطيتني؛ ليكونوا هم أيضًا شيئًا واحدًا، كما أنا شيءٌ واحدٌ ... وكما أنك أرسلتني إلىٰ العالم؛ فكذلك[5] أُرْسِلُهم أنا أيضًا**»[6].

ثم قال بعد هذا أيضًا: «**إني قد منحتُهم من المجد الذي أعطيتَني ومنحتَني؛ ليكونوا أيضًا شيئًا واحدًا، كما أنا شيءٌ واحدٌ، فأنا بهم وأنت بي**»[7].

قال هو[8]: معنىٰ ذلك أنه قال: أنت معي وأنت لي[9]، كما أنا مع تلاميذي ولهم».

(١) (ل): «الخبر»، وكذا (د) ثم صوِّبت علىٰ ما أثبت.
(٢) (ل): «ويستدل بما»، تصحيف، وكذا (ح) قبل أن تصوَّب إلىٰ: «ويستدل لما».
(٣) «قد» ساقط من المطبوع.
(٤) «يوحنّا»: (١٤: ١٠).
(٥) (د، ح): «وكذلك».
(٦) «يوحنّا»: (١٧: ١١)، (١٧: ١٨).
(٧) «يوحنّا»: (١٧: ٢٢ ـ ٢٣).
(٨) كذا الأصول، والضمير للحسن بن أيوب، ولعلَّ النكتة في إظهاره هنا: الفصلُ بين كلام الحسن ورأي المصنف الآتي بعده في تأويل نصِّ الإنجيل المتقدم وتفسيره.
(٩) (ح): «بي»، والمثبت أولىٰ؛ ليوائم «ولهم» بعدُ.

قلت: أو أراد أنك بي هديتَ الخلقَ وعلمتَهم، وأنا أَهديهم وأُعلِّمهم.

والباء للسببية، فإن الله برسله هدىٰ عبادَه وعلَّمهم[1]، والرسل علَّموا الغائبين عنهم بالحاضرين[2] الذين بلَّغوا عنهم.

وقوله: «**ليكونوا شيئًا واحدًا**» أراد به اتفاقَ صدقهم وأمرهم ومرادهم، وهذا مفسَّر، وقد قال: «**ليكونوا**[3] **شيئًا واحدًا، كما أنا شيء واحد**»، فقد طلب لهم مثلَ ما حصل له ولربه[4].

وهذا يبين أن قوله[5]: «**كما أنا شيءٌ واحد**»، أي: أنا موافقك في أمرك ونهيك ومحبتك ورضاك، لم يُرِد بذلك اتحادَ ذاته به[6]، كما لم يُرد[7] أن تتَّحد ذواتُ بعضهم ببعض، فإنه[8] طَلَب لهم مثل ما حَصل له من الموافقة لأمر الله ونهيه ومحبته ورضاه[9].

قال[10]: «أو يكون ذهب فيه إلىٰ معنىٰ دقيق لا نعرفه، إلا أنه قد بطل ـ علىٰ كل حالٍ بهذا القول ـ تأويلُكم ممازجتَه ﷺ في اللاهوت بقوله في تلاميذه: إنه بهم، كما أن أباه به؛ لأنه إن تأول متأوِّل في هذا المعنىٰ أنه ذهب في بعض[11]

---

(١) من قوله: «والباء للسببية ... » إلىٰ هنا ليس في (د)، و(ل): «يرسله لهدىٰ».

(٢) الأصول الخطية، وط النيل: «فالحاضرين»، والمثبت يقتضيه السياق.

(٣) المطبوعتان زيادة: «هم».

(٤) من قوله: «قلت: أو أراد أنك بي» إلىٰ هنا ساقط من (ح).

(٥) (ح) زيادة: «ليكونوا شيئا واحدًا».

(٦) قوله: «أي أنا موافقك» إلىٰ هنا سقط من (ل).

(٧) (ل): «يدل»، وكذا (د) قبل تصويبها علىٰ ما أثبتنا.

(٨) (ل): «وأنه».

(٩) قوله: «فإنه طلب» إلىٰ هنا سقط من (ح).

(١٠) عَودٌ إلىٰ كلام الحسن بن أيوب في رسالته لأخيه.

(١١) (بعض) ليس في (ل)، والضمير في (أنه) عائد إلىٰ المسيح.

وصفه أنه بأبيه[1] وأن أباه به = إلىٰ مشاركته في اللاهوت؛ فقد قال في تلامذته مثلَ هذا القول، فيجب أن يكونوا علىٰ هذا القياس شركاءه[2] في المحل، وهذا ما لا يكون ولا يجترئ علىٰ القول به أحد.

قال: ومِن أعجب العجب أن تكون أمةٌ كتابُها ودعوتُها ومعبودُها واحدًا[3] يتمسَّكون بأمر المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ وتلامذته وإنجيله وسنَّته وشرائعه، وهم مع ذلك مختلفون فيه أشد الاختلاف، فمنهم من يقول: إنه عبدٌ، ومنهم من يقول: إنه إلهٌ، ومنهم من يقول: إنه ولدٌ، ومنهم من يقول: إنه أقنومٌ وطبيعةٌ، ومنهم من يقول[4]: إنه أقنومان وطبيعتان.

وكلٌّ منهم يكفِّر صاحبه ويقول: إن الحق في يده، وكلهم لا يأتي من الكتاب بحجةٍ واضحةٍ يُثبِت بها دعواه، ولا من قياسه لنفسه وتأوُّله بما يصح له عند المناظرة، وإنما يَرجع في دينه واعتقاده إلىٰ ما تأوَّله له المتأوِّلون، بما يخالف إنجيلَهم وكُتبَهم، بالهوىٰ والعناد ـ من بعضهم[5] ـ.

فهم يشركون بالله علىٰ التأويل ـ ولا شريك له ـ ويدَّعون له ولدًا من جهة ما أحدثوا لأنفسهم ـ سبحانه أنَّىٰ يكون له ولد!».

قال الحسن بن أيوب[6]: وقد بينَّا الحجج في بطلان كل قولٍ لكم مما عقَدتم به شريعة إيمانكم، ووجدنا قومًا منكم إذا نوظروا في ذلك قالوا:

---

(١) المطبوع: «أبيه»، خطأ.

(٢) المطبوع: «شركاء» خلاف النسخ. وط. النيل: «شركاه» بالتسهيل.

(٣) كذا عامة الأصول، علىٰ جعْل «تكون» تامّة، وتقدير «يكون» قبل «كتابها»، وفي المطبوعتين: «واحدٌ» بالرفع علىٰ الخبرية، وهو ظاهر.

(٤) قوله: «إنه عبد» إلىٰ هنا سقط من (ح).

(٥) (ل) زيادة: «البعض»، وحذفها أقرب؛ لوقوعه من بعضهم جهلًا لا عنادًا.

(٦) «قال الحسن بن أيوب» ليس في (ل). وقبله في (ح) زيادة: «فصل»، وكذا عَنْونَ في (د) ثم ضرب عليه، وليس ثابتًا في سائر النسخ. وهنا فاتحة الجزء الثالث من (ط.النيل).

قد وجدنا أكثر الأديان يختلف أهلُها فيها، ويتفرَّقون علىٰ مقالاتٍ شتىٰ هم عليها، وكلٌّ منهم يدَّعي أن الصواب في يده(١).

وهذا أيضًا من سوء الاختيار، وذهاب القلوب عن رشدها، وانصرافها عن سبيل حقها.

فلَمْ يختلف أهلُ دين من الأديان في عَقْد معبودهم، ولا شكُّوا فيه ولا تفرَّقوا القول فيما اختاروه، إلا أهلُ ملل النصرانية فقط.

وسائرُ مَن سواهم إنما اختلفوا في فروعٍ من فروعِ الدين وشرائعه، مثل اختلاف اليهود في أعيادهم وسنن لهم.

ومثل اختلاف المسلمين في القدَر، فمنهم من قال به، ومنهم من دَفَعَه. وفي تفضيل قوم من أصحاب محمد ﷺ علىٰ نظرائهم، بعد اتِّفاق جماعتهم علىٰ إلههم ومعبودهم وخالقهم، وأن(٢) الله إله الخلق كلهم واحد لا شريك له ولا ولد.

ثم اتفاقهم بعد ذلك علىٰ نبيهم محمد ﷺ، لا يشكُّون فيه، وعلىٰ القرآن وأنه كتاب الله المنزَّلُ علىٰ محمد المرسلِ لا يختلفون فيه.

فإذا صحَّ اتفاقهم علىٰ هذه الأصول، كان ما سواها خللا(٣) لا يقع معه كفرٌ ولا يَبطل به دينٌ.

---

(١) (ح): «هذه»، أي المقالة.

(٢) (ل): «وأنه».

(٣) (ح): «حالًا»، ثم صوِّبت في هامشها للفظٍ لم يتضح. (ط. النيل): «جللًا»، والجلل من الأضداد، يكون للحقير والعظيم، يقال: «هذا الأمرُ جلل في جنب هذا الأمر» أي: صغير يسير. «لسان العرب»: (١١/ ١١٨).

والبلاء العظيم الاختلاف في المعبود. فلو أن قومًا لم يعرفوا لهم إلهًا ولا دِينًا، ثم عُرض عليهم دينُ النصرانية، لوجب[1] أن يتوقفوا عنه؛ إذ كان أهلُه لم يتَّفقوا علىٰ شيء فيه.

ودلَّ اختلافُهم في مقالاتهم ومباينتُها ما[2] في كتبهم علىٰ باطله.

فأما قولُنا في باب التوحيد، واعترافُنا بوحدانية الله تعالىٰ، ونفيُنا عنه الشركاءَ والأندادَ والأمثالَ والأولادَ، فهو قولٌ لا يشكون في صحته، ولا يَشكُّ فيه[3] أحدٌ من أهل الكتب وسائر الملل ولا غيرهم من أهل القول بالدهر وسائر عبدة الأصنام والأوثان، وكل منهم يُقرُّ به ويَرجع إليه.

إلا أن منهم من يتابعنا علىٰ تجريد[4] التوحيد، ومنهم من يُدخِل العلل فيه، بأن يقول: ثلاثة تَرجع إلىٰ واحد، وصنمًا نعبده إجلالا لله؛ ليقرِّبنا إلىٰ ربنا[5] وربه، ومدبرٌ للأمور قديم لا بدّ أن يُعترف[6] به، خالقُها وباريها.

وكلٌّ منهم مقرٌ بقولنا، وذاهبٌ إلىٰ مذهبنا علىٰ الاعتراف بالله علىٰ الجهة التي يذهب إليها، وأنه واحد لا شريك له.

فقد صحَّ عَقْدنا بلا شكٍّ منكم، ولا من أحد من الأمم فيه، ولا في شيء منه، بل تقودكم الضرورةُ إلىٰ الإقرار به والاجتماع معنا عليه.

---

(١) (ح، د): «فوجب». ط. النيل: «وجب».

(٢) (د): «وما بينها في»، ولعلها في ط: «وما بينها مما»،

(٣) الضمير عائد إلىٰ التوحيد.

(٤) (د): «تحديد»، وكذا (ح) ثم أصلحت إلىٰ: «تجديد»، والصواب ما أثبت.

(٥) (ح): «ربه وربه»!

(٦) المطبوعتان: «نعترف»، وهو أجود.

والحمد لله رب العالمين علىٰ توفيقه، وإياه نسأل أن يتمَّ علينا فضله، ويديم لنا(١) تسديده بقدرته، وأن يحيينا ويميتنا علىٰ الإسلام غير مشركين ولا جاحدين ولا مبدلين، إنه علىٰ كل شيء قدير، وكل مستصعب عليه يسير، وهو ـ بمن خافه واتقاه وطَلَب ما عنده ولم يلحد في دينه ـ رءوفٌ رحيمٌ»(٢).

قلت: هذا آخر ما كتبته من كلام الحسن بن أيوب، وهو ممن كان من أجلّاء علماء النصارىٰ وأخبر الناس بأقوالهم، فنقْلُه لقولهم أصحُّ من نقل غيره، وقد ذَكَر في كتابه من الرد علىٰ ما يحتجُّون به من الحجج العقلية والسمعية، وما يُبطل قولهم من الحجج السمعية والعقلية(٣) ما يبين ذلك.

ونحن نذكر مع ذلك كلامَ مَن نَقَل مذاهبَهم من أئمتهم المنتصرين لدين النصرانية، ونذكر ما ذكروه من حُججهم، مثل ابن البطريق، بترك الإسكندرية، فإنه صنَّف كتابه الذي سماه: «نظم الجوهر»، وذكر فيه أخبارَ النصارىٰ ومجامعَهم واختلافَهم، وسببَ إحداثهم ما أحدثوه، مع انتصاره لقول المَلَكِيَّة والرد علىٰ من خالفهم(٤).

قال سعيد بن البطريق(٥) بطريرك الإسكندرية في تاريخه المعروف عند

---

(١) «فضله، ويديم لنا» سقط من (ط. النيل)

(٢) من قوله «إنه علىٰ كل شيء قدير ...» إلىٰ آخر الرسالة سقط من (ح).

(٣) (ل): «العقلية والسمعية».

(٤) وقع هنا خرم كبير في (ح)، هذا مبدؤه، وينتهي عند قول المصنف: «فصل، والنصارىٰ لهم سؤال مشهور» في أواخر هذا الجزء.

(٥) (ل): «بطريق». وهو: سعيد بن البطريق، طبيب نصرانيٌّ مؤرِّخ، ولد بمصر سنة (٢٦٣هـ ـ ٨٧٧م)، وصُيِّر بطريركًا علىٰ الإسكندرية سنة (٣٢١هـ) إلىٰ أن مات سنة (٣٢٨هـ ـ ٩٤٠م)، وكان في أيامه شقاق عظيم بينه وبين شعبه. وله: كتاب في الطب، وكتاب الجدل بين المخالف والنصراني، ونظم الجوهر، وغيرها. ينظر: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»: (ص٥٤٥)، و«الوافي بالوفيات»: (١٥/ ١٢٧).

النصارىٰ الذي سماه «**نظم الجوهر**»[1]، وذكر فيه مَبْدأ الخلق وتواريخَ الأنبياء والملوك والأمم، وأخبارَ ملوك الروم وأصحاب الكراسي بروميَّة وقسطنطينية وغيرهما، ووصَفَ دينَ النصرانية وفِرَقَ أهلِها.

وهو مَلَكيٌّ، ردَّ علىٰ سائر طوائف النصارىٰ لما ذكر مولد المسيح - صلوات الله عليه - وأنه وُلد في عهد ملك الروم قيصر المسمَّىٰ: «**أغسطس**»[2] لثنتين وأربعين سنة من مُلكه[3].

قال: وملك ستًا وخمسين سنة. قال: وملك بعده ابنه «**طيباريوس**»[4] قيصر، برومِيّة، وللمسيح خمس عشرة سنة.

قال[5]: وكان لقيصرَ هذا صديقٌ يقال له «**بِلاطُس**»[6]، من قريةٍ علىٰ شطِّ البحر الذي بجنب[7] قسطنطينية - ويسمَّىٰ ذلك البحر: البنطس[8]،

---

(١) المطبوع باسم: «التاريخ المجموع علىٰ التحقيق والتصديق»، كتبه إلىٰ أخيه: عيسىٰ بن البطريق، في معرفة التواريخ الكليّة من عهد آدم إلىٰ سنيِّ الهجرة الإسلامية - كما في طُرَّته - جمعه من التوراة والإنجيل وكتبٍ أخرىٰ قديمة وحديثة، علىٰ سبيل الإيجاز والتقريب، كما ذكر في مقدمته. طبع في لندن سنة: (١٦٥٨م) باللاتينية والعربية، بترجمة: إدوارد بوكوكيو، ويوحنّا سلدنوس، ثم طبع في بيروت، بمطبعة الآباء اليسوعيين، سنة: (١٩٠٥م)، وله طبعات أخرىٰ.

(٢) أغسطس (Augustus) أول أباطرة الامبراطورية الرومانية، ولد سنة (٦٣ ق.م)، وكان وثنيًّا، مات سنة (١٤م). انظر: «الموسوعة الكونية»: (١/ ١٢٦).

(٣) «نظم الجوهر»: (ص٨٩).

(٤) طيباريوس بن اغسطس (Tiberius) ربيب الذي قبله، امبراطور، ولد سنة (٤٢ ق.م)، وتوفي سنة (٣٧م). انظر: «الموسوعة الكونية»: (١٥/ ٥٩).

(٥) «قال»: ساقط من المطبوعتين. والنقل في «نظم الجوهر»: (ص٩١).

(٦) تقدم التعريف به.

(٧) كذا النسخ الخطية، والمطبوعتان: «تحت»، وفي مصدر النقل: «بقُرب».

(٨) كذا الأصول، والمطبوعتان: «السنطس»، تصحيف، ووقع في الأصل الصادر عنه المؤلف: «وتسمىٰ تلك الجزيرة: بنطة». وبحرُ «بنطس» هو ما يسمّىٰ اليوم بالبحر الأسود. و«بلاطس» رسمت في المصادر بياءٍ: «بيلاطس»، وهما متقاربان.

ولذلك سمي «**بِلاطُس البُنطي**»[1]ـ فولَّاه علىٰ أرض يهوذا.

قال: «وفي خمس عشرة سنة من مُلك «**طيباريوس قيصر**» هذا: ظَهَر يحيىٰ ابن زكريا المُعْمِداني، فعمَّد اليهود في الأردن لغفران الخطايا.

فجاء المسيحُ إلىٰ يحيىٰ بن زكريا فعمَّده يحيىٰ في الأردن، ولسيدنا المسيح ثلاثون سنة»[2]، وذكر قصةَ قتل يحيىٰ، وقصة الصلب المعروفة عند النصارىٰ.

إلىٰ أن قال: «وكتب «**بلاطُس**» إلىٰ «**طيباريوس**» الملك بِخبر سيِّدنا المسيح، وما تفعل تلاميذهُ من العجائب الكثيرة من إبراء المرضىٰ وإحياء الموتىٰ، فأراد أن يؤمِن بسيِّدنا المسيح، ويُظهِر دين النصرانية، فلم يتابعْه[3] أصحابُه علىٰ ذلك، ومَلَك اثنتين وعشرين سنة وستةَ أشهر[4]».

وذَكَر أنَّ في عصره بُنيتْ مدينة طَبريَّة[5]، مشتقةٌ من اسمه.

قال: ومَلَك بعده قيصرٌ آخرُ أربعَ سنين وثلاثةَ أشهر[6]، قَتَل «**بلاطس**»، وولَّىٰ شخصًا كان شديدًا علىٰ تلاميذ المسيح، وقَتَل رئيس الشهداء والشمامسة، فرُجم بالحجارة حتىٰ مات.

---

(١) تصحّفت في المطبوعتين، و«إظهار الحق» في مواضع، منها (ص٢١٨) إلىٰ: «النّبطي»، والصواب المثبَتُ الموافق لمصدر النقل، ولسائر تراجم الإنجيل، وانظر: «الإعلام»؛ للقرطبي: (ص٤٦٩).

(٢) «نظم الجوهر»: (ص٩١).

(٣) (ل): «يتابعوه»، والمثبَت موافقٌ لمصدر النقل. والضمير لطيباريوس الملك.

(٤) كذا عامة الأصول، وفي «نظم الجوهر» الذي صدر عنه المؤلف (ص٩٣): «وشهرًا».

(٥) (Tiberias) مدينة فلسطينية تقع في منتصف الضفة الغربية للبحيرة التي تحمل نفس الاسم. «الموسوعة الإيطالية»: (٣٣/ ٧٩٤).

(٦) وهو «كاليقولا» بالقاف أو الجيم أو الغين، (Caligula)، ثالث امبراطور روماني، ملك ما بين (٣٧م) إلىٰ (٤١م)، وكان وثنيًا، من أشهر طغاة التاريخ، أراد حَمْل شعبه علىٰ عبادته، وأرهقهم ظلمًا؛ فقتله أحد حرَّاسه. «الموسوعة الكونية»: (٣/ ٢١٤).

وذَكر أنه لقيَ التلاميذُ من اليهود ومن الروم شدةً شديدة، وقُتل منهم خلقٌ كثير، وأنه مات هذا وولي بعده قيصرٌ آخر[١]، وفي زمنه وقع جوعٌ ووباء، وفي زمنه كَتَب «متَّاوس» إنجيلَه[٢] بالعبرانية في بيت المقدس، وفسَّره من العبرانية إلىٰ الرومية يوحنَّا صاحب الإنجيل.

قال: وفي تسع سنين من ملكه كان «مَرْقُس»[٣] صاحب الإنجيل بمدينة الإسكندرية يدعو الناس إلىٰ الإيمان بالمسيح، وأنه [صَيَّر «حنانيا الإسكافي»[٤] بطريركًا علىٰ الإسكندرية - فهو][٥] أولُ شخص جُعِل بطريركًا علىٰ الإسكندرية - وأنه صَيَّر معه اثني عشر قسِّيسًا، وأمرهم إذا مات البطريرك[٦] أن يختاروا واحدًا من الاثني عشر قسيسًا، ويضعَ الاثنا عشر قسّيسا[٧] أيديَهم علىٰ

---

(١) (ل): «قيصر المخزومي»، تصحيف لقوله: «آخر وفي زمنه» إلىٰ (المخزومي زمنه)، ثم ألحق (وفي) فوق السطر، دون تصويب ما قبلها! وقيصر هذا هو: «قلوديوس» كما في مصدر النقل، وسيأتي في كلام المصنف.

(٢) (ل): «متارس إنجيلَه»، وكذا كان في (د) ثم أصلح إلىٰ «متىٰ رئيس الحواريين» ثم أصلح أخيرًا إلىٰ «متَّىٰ وبيَّن إنجيله»، وهو كذلك في المطبوعتين. والمثبَت أولىٰ؛ موافقًا للأصل الذي صدر عنه المؤلف، وهو نفسه (متّىٰ) بالعبرية، انظر: «محاضرات في النصرانية»: (ص٤٣)، و«قصة الحضارة»: (٣٣/ ٧٨)، (٣٧/ ٩).

(٣) مرقس (Mark the Evangelist)، كاتِب الإنجيل المنسوب إليه، وصاحِب «بِطْرُس»، رافَق «بولس» و«بارنابا» في رحلتهما إلىٰ قبرص وآسيا الصغرىٰ، ثم فارقهما إلىٰ القدس، إلىٰ أن سُجن «بولس» بروما فكان عونًا له، مات بالاسكندرية. «الموسوعة الكونية»: (٩/ ٤٦٧).

(٤) «حنانيا الإسكافي»: هو «أنيانوس»، بِطْريق الإسكندرية، رسّمه القديس مرقس سنة (٦٣م)، ومكث (٢٢) سنة علىٰ الكرسي الإسكندري. ينظر: «تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية»: (١/ ٢١).

(٥) ما بين المعكوفين زيادة لإصلاح المعنىٰ؛ ليوافق ما في المصادر من أن «حنانيا» هو أول بطريرك علىٰ الإسكندرية، وليس «مرقس»، وسيأتي في كلام المصنف ما يدلُّ عليه.

(٦) ل: «البطريك»، وهما بمعنىً، كما تقدمت الإشارة إليه.

(٧) «قسيسًا» ليس في (د). وقوله: «ويضع الاثنا عشر» كذا هنا وفي «هداية الحيارىٰ»: (ص٣٨٨)، بعدَّ المختار بطريركًا واحدًا منهم، وفي مصدر النقل: «يضع الأحد عشر»؛ إذ هم الباقون بعد اختيار واحدٍ منهم بطريركًا.

رأسه ويبرِّكونه[1] ويُصلحونه بطريركًا، ثم يختارون رجلًا فاضلًا قسِّيسًا ويصيِّرونه معهم بدل القسِّيس الذي أصلحوه بتركًا؛ ليكونوا[2] اثنَيْ عشرَ أبدًا.

فلم يزل رسْمُهم بالإسكندرية علىٰ هذا إلىٰ زمن الثلاثمائة وثمانية عشر. فأمرهم بطريرك الإسكندرية الذي كان من جملة الثلاثمائة وثمانية عشر[3] أن لا يُفعل[4] هذا فيما بعد، ومَنَع أن يُصلِح الأقسّاء البترك، وأن يختاروا[5] من أي بلد كان رجلًا فاضلًا، وإذا مات البتركُ اجتمع الأساقفةُ فأصلحوا البتركَ من أيِّ بلد كان، مِن أولئك الأقسَّة أو مِن غيرهم.

فانقطع الرسْم الأول من إصلاح الأقساءِ البتركَ، وجُعل التيسير لهم في إصلاح البتركِ «بابا»، ثم سُمِّي بترك الإسكندرية «بابا»[6]، ومعناه: الجد.

ومن «حنانيا» ـ الذي أصلحه «مَرْقُس البشير»[7] ـ إلىٰ حادي عشر بَطركًا بالإسكندرية لم يكن في عمل مصر «أسقف»، ولم يكن البطاركة قبله أَصلحوا أسقفًا، وإن العامة لـمّا سمعت الأساقفةَ يُسمُّون البطريرك أبًا قالوا: إذا كنا نحن

---

(١) كذا الأصول الخطية، وط. النيل، و«هداية الحيارىٰ»: (ص٣٨٨)، متعديًا بنفسه، ويشهد له حديث صعود الملائكة بالعمل: «يكثِّرونه ويبرِّكونه»، والأشهر تعديته بِعَلَىٰ، كحديث الصبي: «حنَّكه .. فبرَّك عليه»، وفي المطبوع: «ويباركونه» موافقًا مصدر النقل.

(٢) المطبوع: «ليكونَ»!

(٣) وهو: الاكسندروس، بطريرك الاسكندرية، وسيأتي التعريف به. ويشير المصنف بزمن الثلاثمائة وثمانية عشر إلىٰ: «مجمع نيقية» المعقود سنة (٣٢٥م)، والذي وافق علىٰ قراره (٣١٨) بألوهية المسيح.

(٤) الأصول الخطية: «أن يفعل» سهو، والصواب ما أثبت من مصدر النقل. وحاصل ما غيَّره بطريرك الاسكندرية في هذا الأمر: أن ألغىٰ احتكار القساوسة الاثني عشر في أن يكون البترك الجديد منهم، كما ألغىٰ ـ فيما يظهر ـ تحديدَهم بأن يكونوا اثنَيْ عشر.

(٥) المطبوعتان: «بل يختاروا»، لحن!

(٦) (ل): «باباي».

(٧) (د): «البشير مرقس».

نسمّي الأسقف أبًا، والأسقف يسمي البطريك[١] أبًا= فيجب علينا أن نُسمّي البطريرك بابا - أي الجد - إذ كان أبًا لأبينا، فسمي بطريرك الإسكندرية من وقت هرقل: «**باباي**»[٢]، أي الجَد[٣].

قال: وخرج مَرْقُس إلىٰ «**بَرْقة**»[٤] يدعو الناس إلىٰ الإيمان بالسيد المسيح، ومات « **قلوديوس قيصر** »[٥]، ومَلَك بعده ابنه «**نارون**»[٦] ثلاث عشرة سنة[٧].

قال: وهو أول من هاج[٨] علىٰ النصارىٰ الشر والبلاء والعذاب.

قال: وفي عصره كتب «**بِطْرُس**» رئيس الحواريين[٩] الإنجيلَ: «إنجيلَ مَرْقُس» عن «**مَرْقُس**»، بمدينة رومية، ونَسَبه إلىٰ «**مَرْقُس**».

قال: وفي عصر هذا الملك كتب «**لوقا**» إنجيله بالرومية إلىٰ رجل شريف

---

(١) ط. النيل: «البطريرك».

(٢) كذا في النسخ الخطية، والمطبوعتان: «بابا».

(٣) «أي الجد» ليس في (د).

(٤) (Cyrenaica) إقليم في شمال إفريقيا، غرب الصحراء الليبية، يحده غربا خليج (سِرت). «الموسوعة الإيطالية»: (١٠/ ٤١٧).

(٥) ط. النيل: «فلوريوس»، خلافًا للأصول الخطية، ومصدر المؤلف.
و«قلوديوس» (Claudius): امبراطور وثنيٌّ، ولد سنة (١٠ق.م)، وتولىٰ ثلاث عشرة سنة، ما بين (٤١م) و(٥٤م) وفيها مات مسمومًا، وكان قد طَرد اليهود وبعض النصارىٰ من «روما» سنة (٤٩م). انظر: «الموسوعة الكونية»: (٤/ ١٩٣).

(٦) نارون (أو نيرون) بن قلوديوس (Nero)، امبراطور، ولد سنة (٣٧م)، وتعلّم علىٰ يد الفيلسوف «سينيكا»، ملك ما بين (٥٤م) و(٦٨م)، وكان من جرائمه أن أحرق «روما» ثم اتّهم بذلك النصارىٰ، ليبرِّر اضطهاده لهم، فطاردهم وقام بتعذيبهم وإحراقهم. مات منتحرًا سنة(٦٨م). «الموسوعة الكونية»: (١٠/ ٥٠٦).

(٧) (د، ط النيل): «ثلاثة عشرة»، و(ل): «ثلاثة عشر»! (د، ط. النيل): «بارون»، وكذا ما بعده.

(٨) كذا الأصول، والمطبوع: «أهاج» موافقًا مصدر النقل، وهما لغتان.

(٩) تقدم التعريف به، وكذا «لوقا» بعده.

من عظماء الروم يقال له: «**ثاوفيلا**»(١)، فكتب له أيضًا «**الأبْرِكْسس**»(٢) الذي فيه أخبار التلاميذ.

وقد كان لوقا البشيرُ صاحِبُ «**بولسَ الرسولِ**»(٣) يقولُ(٤) في بعض رسائله: «إن لوقا الطبيب يقول: عليكم السلام»(٥).

قال: وأَخَذَ «**نارونُ قيصرُ**»(٦) لِبطْرُس فصَلَبه منكَّسًا، ثم قتله؛ لأن «**بِطْرُس**» قال له: إن أردتَ أن تصلبني فاصلبني منكَّسًا؛ لئلا أكون مثلَ سيدي المسيح، فإنه صُلب قائمًا. وضَرَب عنقَ «**بولس الرسول**» بالسيف.

---

(١) في النسخ «فوفيلا»، والمثبت من المصادر، وهو الأقرب إلىٰ اللاتينية والإغريقية. وهو رجل شريف من عظماء الروم، كتب إليه لوقا: «الإنجيلَ» و«أعمالَ الرسل». انظر: «لوقا»: (١: ٣)، و«أعمال الرسل»: (١: ١)، وكذا: «نظم الجوهر»: (ص٩٦)، و«محاضرات في النصرانية»: (ص/ ٤٩).

(٢) «الأبركسيس»: معناه: أخبار التلاميذ، وهو كتاب: «أعمال الرسل»، المشار إليه في التعليق السابق. انظر: «هداية الحيارىٰ»: (ص/ ٣٨٨).

(٣) هو بولس الطرسوسي، (Paul the Apostle) من أسرة يهودية، واسمه: «شاول»، نشأ في مجتمع متشبّع بالثقافة الإغريقية، ورحل إلىٰ القدس لدراسة اليهودية في مدرسة العالم الفريسي الشهير: «جمالائيل»، وأُذِن له من «السنهدرين [المجلس التشريعي اليهودي]» في مطاردة المسيح، ويزعمون أنه سقط في طريقه، وظهر له عيسىٰ معاتبًا، فتراجع عما أراد، وتحوّل إلىٰ النصرانية، ودعا إليها، والتقىٰ ببعض الحواريين، قتله «نارون» سنة (٦٧م). «الموسوعة الكونية»: (١١/ ٢٣٧).

(٤) أي: بولس الرسول. أراد المصنف بهذا إثباتَ صُحبة لوقا له. وقوله: «يقول: عليكم السلام» أي: يقرأ عليكم السلام، كما في المصدر.

(٥) «كولوسي»: (٤: ١٤).

(٦) (د): «بارون»، والمطبوع: «ثارون». والمثبت من (ل، ط. النيل) وهو الموافق للمصادر.
وقوله: «أخذ نارونُ لِبطْرُس» كذا النسخ الخطية والأصل الصادر عنه المؤلف، علىٰ جعل المتعدي لازمًا، وهو جائز في خمسة مواضع، منها التضمين كما هنا، فيضمَّن (أخذ) معنىٰ (استعدَّ أو تربَّص أوتهيأ)، أو يكون علىٰ تقدير مفعول: أي: (أخذ الأُهبة له). وانظر: «شرح الأشموني»: (١/ ٤٤٦).

وأقام «بِطْرُس» بعد صعود المسيح اثنتين وعشرين سنة[1].

قال: وكان «مَرْقُس» - صاحِبُ الإنجيلِ - بالإسكندرية وبَرْقة يدعو الناس إلىٰ الإيمان، فأقام[2] سبعَ سنين.

وفي أول سنةٍ من مُلك «نارونَ قيصر» قُتِل «مَرْقُس» بالإسكندرية وأُحرق جسدُه بالنار.

وذَكَر بعده عدَّةَ قياصرة، وذكر أن «طيطس»[3] خرَّب بيت المقدس[4] بعد المسيح بسبعين سنة، بعد أن حاصرها وأصاب أهلَها جوعٌ عظيمٌ، وقَتل كلَّ من كان فيها من ذكرٍ وأنثىٰ، حتىٰ كانوا يَشقُّون بطون الحُبالىٰ، ويضربون بأطفالهم الصخور.

وخرَّب المدينة والهيكل، وضربهما بالنار[5]، وأُحصي القتلىٰ علىٰ يده[6] فكانوا ثلاثة آلاف ألف[7]!

وذَكَر عدَّة قياصرة بعد ذلك، وأنه وَلي واحدٌ منهم خمس عشرة سنة، يقال له: «ذوماطيانوس»[8]، وكان شديدًا جدًا علىٰ اليهود، وأنه بَلَغه أن النصارىٰ

---

(١) عامة النسخ الخطية والمطبوعة: «اثنين»، وكذا الموضعان بعده.

(٢) (ل): «أقام».

(٣) طيطس (أو: تيتوس) بن اسباسيانوس (Titus)، وهو (طيطس الابن)، ولد سنة (٣٩م)، حاصر القدس طويلًا، ثم دخلها وخربها سنة (٧٠م) في حكم أبيه، ثم تولىٰ بعده مدة سنتين من (٧٩م) إلىٰ أن هلك سنة (٨١م). «الموسوعة الكونية»: (١٥/ ٥٤٩).

(٤) (ل): «أن قسطنطين حزب البيت المقدس».

(٥) المطبوعتان: «وأضرم بهما النار» خلافًا للنسخ الخطية والأصل الصادر عنه المؤلف.

(٦) المطبوع: «يديه»، خلافا للأصول ومصدر النقل.

(٧) كذا، وفيه مبالغة لا تخفىٰ.

(٨) في «نظم الجوهر»: «دوماتيانوس»، وفي مواضع أخرىٰ: «دومطيانوس»، متقاربان.
و«ذوماطيانوس» (Domitian) هو ابن اسباسيانوس (طيطس الاب)، ولد سنة (٥١م)، وتولىٰ (١٥) سنة، بعد موت أخيه (٨١م)، وكان وثنيًا، يدعو لعبادته، واضطهد اليهود والنصارىٰ، وقَتَل وظَلَم، حتىٰ نُحِّي سنة (٩٦م)، وفيها مات. «الموسوعة الكونية»: (٥/ ٤١٤).

يقولون: إن المسيح ملكُهم، وإن مُلكه إلىٰ الدهر.

فغضب غضبًا شديدًا وأَمر بقتل النصارىٰ، وأن لا يكون في مُلكه نصراني. وكان «**يوحنّا**» - صاحب الإنجيل - هناك فسمع بهذا، فخاف وهرب إلىٰ أفسس(١).

ثم إنه(٢) أَمَرَ بإكرامهم وتَرْك الاعتراض عليهم.

ثم تولىٰ بعده قيصرٌ آخرُ(٣) سنةً وبعضَ أخرىٰ، ثم مَلَك آخرُ بعده تسع عشرة سنة، **يسمىٰ «طرايانوس»**(٤).

قال: وهذا الملك أثار علىٰ النصارىٰ بلاءً عظيمًا وحُزنًا طويلًا، وقَتَل شهداء كثيرة، وقَتل بطريرك إنطاكية بروميه، وقَتل أسقف بيت المقدس وصَلَبه،

---

(١) (Ephesus) مدينة تركية في آسيا الصغرىٰ علىٰ بحر إيجة، تتوسط المنطقة الداخلية لشبه جزيرة آسيا الصغرىٰ من جهة والساحل من جهة أخرىٰ، وهي في منتصف الساحل [الإيجي] طولا، مما أعطاها أهمية كبيرة. وهي المدينة التي سكنها يوحنا لسنوات طويلة ومات ودفن فيها. «الموسوعة الإيطالية»: (١٣/ ٥١٠).

(٢) «إنه»: ساقط من (ل)، وكذا عن نسخة بهامش (د). وأشار ابن البطريق إلىٰ أنه إنما عفا عنهم لما عَلِم أن مُلك المسيح سماويٌّ لا أرضي، وأنه في آخر الزمان، وقد كان عَزَم علىٰ قتل الملوك حتىٰ لا يكون علىٰ الأرض مَلِكٌ غيرُه، فلما أَمِن ذلك زال غضبه.

(٣) «قيصر آخر» سقط من (ل).

(٤) في نظم الجوهر: «طرابيانوس قيصر، ويسمىٰ: اندريانوس».
و«طرايانوس» (Trajan): امبراطور روماني، ولد سنة (٥٣م)، وتولىٰ (١٩) عامًا، ما بين (٩٨م) إلىٰ أن مات في (١١٧م)، وقد نظر ابن البطريق هنا إلىٰ ما وقع للنصارىٰ تحت حكمه من استمرار الاضطهاد والظلم، فوصفه بالبطش والفتك، وهو المشهور المعروف، غير أن بعضهم ربما نعته بالعدل؛ لعدم قبوله الشكاوىٰ الموجّهة ضدّهم، وتزْكِ البحث عنهم ابتداء ما لم يشعر منهم بخطرٍ علىٰ ملكه، كما يفيده ردُّه علىٰ رسالة «ابلينيو الأصغر» حاكم مقاطعة «بيثينيا» وتوصيته إياه بذلك. قارن بين ما ذكره ابن البطريق هنا، بما في «موسوعة الكون»: (١٢/ ١٨٥)، و«الموسوعة الكونية»: (١٥/ ١٨٩).

وله مائة وعشرون سنة، وأَمر أن يُستعبد النصارىٰ؛ إذ ليس لهم دينٌ ولا شريعة.

فلشدة ما استُعْبِد النصارىٰ وغِلَظ ما نالهم من القتل، رحمتْهم الرومُ، وشهِد وزراء الملك عنده أن النصارىٰ لهم شريعة ودين، وأنه لا يحلُّ أن يستعبدوا، فكفَّ عنهم الأذية.

قال: وفي عصره كَتَب «يوحنَّا» إنجيلَه بالرومية في جزيرةٍ يقال لها: «**تيمرا**» من أرضِ الروم من أرض «**أثينة**»[١]، في عصر رجلٍ من عظماء الروم فيلسوف يقال له: «**قومودس**»[٢].

قال: وفي ذلك العصر رجع اليهود إلىٰ بيت المقدس.

فلما كثُروا وامتلأتْ منهم المدينة، عزموا علىٰ أن يملِّكوا[٣] منهم ملكًا، فبلغ الخبر «**طرايانوس**»[٤] قيصر فوجَّه بقائدٍ من قوَّاده بجيش عظيم إلىٰ بيت المقدس، فقَتَل من اليهود ما لا يُحصىٰ كثرةً.

---

(١) في «نظم الجوهر» (مصدر المؤلف): «يقال لها: بطمس من أرض آسيا، وهي أرض الروم».
ومدينة: «أثينة» (Athens): عاصمة اليونان حاليًّا، تحفها الجبال شرقا وغربا وجنوبا، وهي نسبة إلىٰ المعبودة الإغريقية (أثينا).
وبحسب شهادة أسقف «ليون»: «إيرينؤس» (١٧٧م - ٢٠٠م)، تلميذ «بوليكربوس» تلميذ «يوحنا الرسول»: أن «يوحنا» كتب إنجيله في «أفسس» بتركيا. ينظر: «الموسوعة الإيطالية»: (٥/ ١٦٩).

(٢) في الأصول الخطية: «مومودس»، ولم أجد له ذِكْرًا، والتصويب من المصدر. ويُشكل عليه أن «قومودس» عاش ما بين (١٦١م - ١٩٢م)، فهو متأخر عن «طرايانوس» - الذي كَتب يوحنّا إنجيلَه في عصره - بنصف قرن تقريبًا! فهل هو (قمودوس) آخر فيلسوف وذاك امبراطور؟ أو العبارة مقحمة؟ أو مصحّفة!

(٣) (ط. النيل): «عزموا أن ملّكوا»، وفي المصدر: «عزموا أن يملكوا».

(٤) (ل): «طيباريوس»، و(د): «طيبارنوس»، كلاهما تصحيف! والمثبت من المصادر، وهو المذكور قريبًا في كلام المصنف، فالحديث عنه لا يزال، أما «طيباريوس» فمتقدِّم قبل هذا بثمانين سنة كما سبق في ترجمته.

قال: وخرج علىٰ قيصر هذا خارجيٌّ[1] ببابل، فخَرج إليه بنفسه فوقعتْ بينهم حربٌ شديدة، وقُتل من الفريقين خلقٌ كثير[2]، وقُتل قيصر في الحرب.

ومَلَك بعده «**أندريانوس**»[3] قيصر عشرين سنة، فخرج إلىٰ ذلك الخارجي ببابل فهَزَمه، وصار إلىٰ مصر فلقي منه أهلُ مصر[4] شِدَّةً شديدة، وأخذَ الناس بعبادة الأصنام، وقَتل من النصارىٰ خَلقًا كثيرًا.

وأصاب «**الملك إيليا أندريانوس قيصر**» عِلّة[5] في بدنه، فكان ينفُذ إلىٰ البلدان يطلب شفاء لعلته، فوصفوا له بيت المقدس، فلما وافاه[6] رآها خرابًا ليس فيها أحدٌ إلا كنيسةً للنصارىٰ، فأمر أن تُبنىٰ المدينةُ وتحصَّنَ بحصن قوي.

فلما سمع اليهود أقبلوا من كلِّ بلد وكلِّ مدينة، فما كان إلا زمانٌ قليلٌ حتىٰ امتلأتْ منهم المدينة، فلما كثروا ملَّكوا عليهم ملكًا.

فاتصل الخبر بإيليا بن قيصر إندريانوس[7]، فوجَّه إليهم بقائدٍ من قوَّاده

---

(١) المطبوعتان: زيادة «مقاتل»، خلافًا للنسخ الخطية والأصلِ المصدور عنه.

(٢) (د، المطبوعتان): «عظيم»، والمثبت من (ل) ومصدر النقلَ.

(٣) «اندريانوس» (Hadrian)، (هادريانوس= ادريانوس): امبراطور روماني وثني، ولد سنة (٧٦م)، اهتم بدراسة الأدب والفن والفلسفة، تولىٰ الملك سنة (١١٧م)، واعتنىٰ بإصلاح بلاده وتحصين حدودها، وكان يأمر بعبادة الأصنام، وقتل من النصارىٰ خلقًا، وثار عليه اليهود فقتّلهم وفرّقهم. وظلّ ملكه (٢١) سنة حتىٰ مات سنة (١٣٨م). «الموسوعة الكونية»: (١/ ١٣٨).

(٤) (د): «قيصر» في الموضعين، تصحيف.

(٥) عامة النسخ الخطية والمطبوعة: «وأصابت إيليا ابنه علة»، والمثبت من مصدر النقل، وهو الصواب، فإن (إيليا) هو الملكُ (اندريانوس) نفسُه، ويؤيده ما سيأتي من تسمية بيت المقدس «إيليا»؛ مواطأة لاسمه.

(٦) المطبوع، و«نظم الجوهر»: «وافاها»، خلاف النسخ الخطية. وكلاهما متَّجه.

(٧) كذا، وفي «نظم الجوهر»: «ايليا اندريانوس الملك»، وهو الظاهر، فالحديث لا يزال عن الملك نفسه لا عن ابنه، كما في المصادر.

مع خلق كثير، فحاصر المدينة، فمات كلُّ مَن فيها من الجوع والعطش، ثم فتَحها فقَتَل من اليهود ما لا يُحصىٰ، وهدم الحصن، وخرَّب المدينة حتىٰ صيَّرها صحراء.

قال: وهذا آخرُ خراب بيت المقدس، وهَرَب من اليهود مَن هرب إلىٰ مصر وإلىٰ الشام وإلىٰ الجبال وإلىٰ الغور.

وأمر الملكُ أن لا يَسكن المدينةَ يهوديٌّ، وأن يُقتل اليهود ويُستأصلوا، وأن يسكن المدينة اليونانيون[١]، ويَبنوا علىٰ باب الهيكل بُرجًا، ويُجعَلَ فوقه ألواحٌ، ويكتبوا عليه اسم: «**إيليا الملك**». وذلك من ثمان سنين من ملكه.

قال: والبرج اليوم علىٰ باب مدينة بيت القدس، ويسمىٰ[٢]«**محراب داود**». **قال:** فسمي بيت المقدس إلىٰ هذا الوقت: «**إيليا**».

فمن الخراب الأول الذي أخربه «طيطس»[٣] إلىٰ هذا الخراب ثلاث وخمسون سنة.

وامتلأتْ بيت المقدس من اليونانيين، فنظروا إلىٰ النصارىٰ يأتون إلىٰ تلك المزبلة التي فيها القبر والإقرانيون، فيُصَلُّون، فمنعوهم من ذلك، وبنىٰ اليونانيون علىٰ تلك المزبلة هيكلًا علىٰ اسم الزُّهْرة، فلم يقدِر أحدٌ من النصارىٰ بعد ذلك أن يقرَب ذلك الموضع.

---

(١) (ل): «اليونانيين»، وكذا مصدر النقل، ولعله علىٰ تقدير: «وأمر ــ وزيرَه ــ أن يُسكن اليونانيين»، وهو متعسَّف. وقوله: «ألواحٌ» في المطبوع: «ألواحًا»، خلاف النسخ.

(٢) المطبوع: «سمي». وقوله: «بيت» ساقط منه.

(٣) (ل): «أخبر به طنطس»، تصحيف! وفي مصدر النقل: «تيطس»، متقاربان، وقد تقدمت ترجمته.

قال: ثم مات «إيليا الملك»، ومَلَك بعده «**أنطونيوس قيصر**»[1] برومية اثنتين وعشرين سنة.

قال: وفي إحدىٰ عشرة سنة من ملكه صَيَّر «**يهودا**»[2] أسقفًا علىٰ بيت المقدس، فأقام سنتين ومات.

قال: فمن «**يعقوب**» أسقف بيت[3] المقدس الأول[4] إلىٰ «**يهودا**» أسقف بيت المقدس هذا، كانت الأساقفة الذين صُيِّروا علىٰ بيت المقدس مختونين.

وذكر أنه ولي بعد هذا قيصر آخر[5] تسع عشرة سنة، وأنه أثار علىٰ النصارىٰ بلاءً عظيمًا وحزنًا شديدًا، واستشهد في زمانه شهداءُ كثيرون.

قال: وكان في أيامه[6] جوع شديد ووباء عظيم لم تُمطر السماء سنين[7]، وكاد الملك وجميعُ أهل مملكته أن يهلكوا من الجوع.

---

(١) (د، ل): «ابطرينيوس»، و(ط. النيل): «انطوبنوس»، والمثبت من المصدر.
و«انطونيوس» (Antoninus Pius) امبراطور روماني، ولد سنة (٨٦م)، وتولىٰ الملك (٢٢) سنة، ما بين (١٣٨م) إلىٰ (١٦١م)، ووصفوه بالنزاهة والتمسك بالعادات، والمحافظة علىٰ الأمن الداخلي والخارجي، وكانت فترته هي الأسعد في تاريخهم. «الموسوعة الكونية»: (١/ ٥٣٨).

(٢) أسقف القدس، آخر أساقفة القدس من اليهود المتنصرين. قُتل بين (١٣٢ ــ ١٣٥م). «مكتبة القديسين»: (٣/ ١٢٩٦).

(٣) «بيت»: ساقط من المطبوع.

(٤) يعقوب: الملقّب: «أخو الرب»، أسقف كنيسة القدس. حكم عليه الكاهن الأكبر: «أنانو الثاني»، ورُجم سنة ٦٢م. «الموسوعة الإيطالية»: (١٦/ ٩٣٦).

(٥) المطبوعتان زيادة: «اسمه مرقس أوريليوس» وليس في النسخ.
و«مرقس» (Marcus Aurelius) ولد سنة (١٢١م)، وتولىٰ (١٩) سنة، ما بين (١٦١م) و(١٨٠م)، وتبناه: «انطونيوس»، وهو أول من ابتكر الحكم الثنائي، فأشرك معه أخاه «لوسيوس فيروس»، ثم بعده ابنه «قمودوس» الآتي ذكره، ولم يكن يمنع من الحكم ضد النصارىٰ؛ لذا اضطهد النصارىٰ في عهده ـ كما ذكر المصنف ـ. انظر: «الموسوعة الكونية»: (٩/ ٤٦٩).

(٦) (ل): «زمانه»، والمثبت من (د) موافق للأصل الصادر عنه المؤلف.

(٧) كذا عامة الأصول، وفي «نظم الجوهر»: «سنتين»، والمؤلف صادر عنه.

فسألوا النصارىٰ أن يبتهلوا إلىٰ إلههم، فدَعَوا[1]، فأمطر الله عليهم مطرًا عظيمًا وارتفع الوباء والقحط.

قال: وكان بأيامه بأرض اليونان[2] «**مغنوس**»[3] الحكيم.

قال: وفي خمس سنين من ملكه، صُيِّر «**يوليانوس**»[4] بطريركًا.

[وفي خمس عشرة سنة من ملكه صُيِّر «**ديمتريوس**»[5] بطريركًا علىٰ الإسكندرية][6] وهو أول بطريرك أصلح الأساقفة في عمل مصر، أقام ثلاثًا وأربعين سنة ومات.

---

(١) ط. النيل: «فدفعوا»، تصحيف.

(٢) المطبوعتان: «اليونانيين». والمثبت من (ل)، ومصدر النقل.

(٣) كذا، وفي مصدر المؤلف: «مغتيوس».

(٤) (ل، وط. النيل)، «لوليانوس»، والمطبوع: «لولياثوس»، ولم تحرر في (د)، والصواب ما أثبت من مصدر النقل.

و«يوليانوس» (Pope Julian of Alexandria): بِطْريق الاسكندرية، مدة (١٠) سنوات، من (١٧٩م) إلىٰ (١٨٩م)، وفيها مات. «تاريخ ابن البطريق»: (ص/ ١٠٤)

(٥) «ديمتريوس الأول» (Pope Demetrius I of Alexandria) بِطْريق الإسكندرية، (٤٢) عامًا، ما بين (١٨٩م ـ ٢٣١م)، ومات سنة (٢٣٢م). «الموسوعة الكونية»: (٥/ ١٦٧).

(٦) ما بين المعكوفين ساقط من النسخ الخطية والمطبوعة، أثبتناه من مصدر النقل؛ تصحيحًا لنسبة الأحداث الآتية وفق ما ورد في المصادر.

فصل

قال: وفي ذلك العصر كَتب بطريرك الإسكندرية إلىٰ أسقف بيت المقدس وبَطرك إنطاكية وبَطرك رومية في حساب[1] فِصح النصارىٰ وصومهم، وكيف يُستخرج من فِصح اليهود، فوضعوا في ذلك كتبًا كثيرة علىٰ ما هو عليه اليوم[2].

قال: وذلك أن النصارىٰ كانوا بعد صعود سيدنا المسيح إلىٰ السماء إذا عيَّدوا «**عيد الغطَّاس**»[3]؛ مِن الغد يصومون أربعين يوما، ويُفطرون كما فعل سيدنا يسوع المسيح؛ لأن سيدنا المسيح لما اعتمد بالأردن خرج إلىٰ البرية فأقام بها صائمًا أربعين يوما، وكان النصارىٰ إذا أفصح اليهود عيَّدوا هم الفِصْح.

فوضع هؤلاء البطاركة حسابًا للفِصْح ليصوم النصارىٰ أربعين يومًا، ويكون فِطْرهُم يوم الفِصْح؛ ليَتِمَّ فرَحُهم بذلك.

قلت: فقد أخبر عن المسيح أنه لما صام أربعين يوما عقِب المعموديّة ـ وكان يُعَيِّد مع اليهود في عيدهم، لا يُعَيِّد عقِب صومه ـ شاركه النصارىٰ في ذلك مدَّة، فصاروا يصومون أربعين عقِب الغطاس الذي هو نظير المعمودية، ويُعيِّدون مع اليهود العيد.

---

(١) النسخ الخطية، وكذا «هداية الحيارىٰ»: (ص٣٩١): «كتاب»، والمثبت من مصدر النقل، وله نظائر ستأتي.

(٢) «اليوم» سقط من (ل).

(٣) في «نظم الجوهر»: «الحميم»، وهو عيد «الغطاس» نفسه، وقد تقدم التعريف به. وانظر: «الأعياد السيدِيّة» لبِطْرُس جرجس: (ص/ ٣٩ ـ ٤٥).

ثم إنهم بعد هذا ابتدعوا تغيير الصوم، فلم يصوموا عِقِب «الغطاس»، بل نقلوا الصوم إلىٰ وقتٍ [لا][1] يكون عيدُهم مع عيد اليهود[2]، وهو فصح المسيح[3].

قال: ومات «**مرقص الملك**»، ومَلَك بعده «**قمودوس**[4] **قيصر**» برومية اثنتي عشرة سنة[5]، وفي أيامه كان في أرض اليونانيين في مدينة «**أفرغامس**»: «**جالينوس الحكيم**»[6]، صاحب صناعة الطب.

وذَكَر «**جالينوس**» في فهرست كتبه أنه ربَّىٰ «قمودوس الملك».

وذكر «**جالينوس**» في المقالة الأولىٰ من الكتاب المعروف بـ«**كتاب أخلاق النفس**»: أنه كان في عصر «**قمودوس الملك**» رجلٌ يقال له: «**برنس**»[7]

---

(١) ساقطة من النسخ الخطية والمطبوعة، أثبتناها من النص نفسه في «هداية الحيارىٰ»: (ص٣٩١)، ولم يميِّز فيه بين كلام ابن البطريق وكلام المصنف!

(٢) المطبوعتان زيادة: «فيكون عيدهم مع عيد اليهود».

(٣) المطبوعتان زيادة: «ويكون ذلك وقت قيامته من قبره» ليس في (ل)، وضبّب عليها في (د)؛ إشارة إلىٰ حذفها.

(٤) (د، ط النيل): «قموذوس»، وكذا المواضع بعده، وفي «نظم الجوهر»: «قمودُس» والمثبت من (ل)، وكلها متقاربة.

و«قومودوس» (Commodus) هو ابن «مرقص»، امبراطور وثني، دعا الناس إلىٰ عبادته، وكان منحلًّا متجبِّرًا، ولد سنة (١٦١م)، وتولىٰ (١٢) عامًا، ما بين (١٨٠م) إلىٰ (١٩٢م)، وفيها قُتل خنقًا. انظر: «الموسوعة الكونية»: (٤/ ٣٣٢).

(٥) المطبوعتان: «اثني عشر سنة»!

(٦) «جالينوس» (Galen)، طبيب يوناني، ولد سنة (١٣٠م)، بعد أن تعمق في دراسة الفلسفة تفرغ إلىٰ دراسة الطب متنقّلا بين مدارس متعددة ومختلفة، ثم مارسه إلىٰ حين موته سنة (٢٠٠م). «الموسوعة الكونية»: (٦/ ٦٧٢).

(٧) كذا استظهرته في (د) هنا، وفي «نظم الجوهر»: (ص١٠٥): «برنص»، هنا والموضع الآتي، وهما متقاربان، وفي (ل): «يونس»، والمطبوعتان: «بولس» في الموضعين!

طَلَبه «**قمودوس الملك**» ليقتله، فهرب منه، وكان له غلامان، فقبضَهما الملك، فضربهما الملك[1]، وطلبَ منهما أن يدلَّاه علىٰ مولاهما، فلم يفعلا؛ لكرم أنفسهما ونَخوتهما وشدَّة محاماتهما علىٰ مولاهما، فقتلهما. وأنّ من «**الإسكندر**»[2] إلىٰ «**برنس**» خمسمائة سنة وست عشرة سنة، وذلك في السنة التاسعة من مُلك «**قمودوس قيصر**»، فهذا ما ذكر «**جالينوس**».

قال[3]: وكان ـ أيضًا ـ في أيامه «**ديمقراطيس**»[4] الحكيم.

قلت: هذه المدة أكثر مما ذَكره سعيد هذا، فإنه لم يذكر من المسيح إلىٰ هنا مائتي[5] سنة، بل ذَكر إلىٰ الخراب مائةً وعشرين[6] سنة، وقد تقدم ذكره لديمقراطيس قبل هذا.

---

(١) كذا في الأصول الخطية والمطبوعة، وليس في «نظم الجوهر» قوله: «فقبضهما الملك».

(٢) هو الإسكندر الثالث بن فيليبس الثاني، ملك مقدونيا (٣٣٦ ق.م - ٣٢٣ ق.م)، أمه أوليمبيا، ولد سنة ٣٥٦ ق.م، واعتلىٰ العرش وهو ابن عشرين، فثبّت حكمَه، ثم قاد الحملة الحربية التي جهّز لها أبوه قبل موته، إلىٰ أن بلغ ليبيا غربًا، ثم الهند شرقًا، ومات في طريق عودته سنة ٣٢٣ ق.م عن عمر ٣٣ سنة. «الموسوعة الكونية»: (١/ ٢٧٥).

(٣) أي سعيد بن البطريق. وفي المطبوع ـ بعده ـ: «في أيام» تصحيف.

(٤) «ديمقراطيس» (Democritus): فيلسوف إغريقي، عاش ما بين (٤٦٠ ق.م) و(٣٧٠ق.م)، وما ذكره ابن البطريق من كونه بعد الميلاد لا يسلم له، ولذا ردّ عليه المصنف كما سيأتي. انظر: «الموسوعة الكونية»: (٥/ ١٧٣).

(٥) المطبوع: «مائتا»!

(٦) كذا الأصول الخطية، وفي المطبوعتين: «مائة وثلاثة وعشرين سنة»، وهو أدقّ؛ فإن المذكور في «تاريخ سعيد»: (ص٩٨، ١٠٢): أن ما بين ميلاد المسيح وخراب «تيطس» لبيت المقدس: ثلاث وخمسون سنة، وما بين خراب «تيطس» والخراب الأخير: سبعون سنة، فيكون ما بين المسيح والخراب الأخير مائة وثلاثًا وعشرين سنة. وعلىٰ هذا يكون ما في الأصول الخطية تجوزًا، بحذف الكسر والاكتفاء بالعقود. وغيرُ خافٍ ما في لفظ المطبوعتين من لحنٍ، صوابه: «وثلاثًا».

قال: وفي عشر سنين من ملكه ظهرت الفرس فغلبت علىٰ بابل، وآمد[1]، وفارس، وتملَّك «**أزدشير بن بابك بن ساسان**»[2] من أهل «**اصطخر**»، وهو أول ملكٍ مُلِّك علىٰ فارس في المرة الثانية.

قال: ومات «**قمودوس قيصر**» ملك الروم، وملَكَ بعده قيصر آخر ثلاثة أشهر، ثم آخر، ومَلَك بعده برومية «**سويرس**[3] **قيصر**»[4] سبع عشرة سنة، وذلك في[5] أربع سنين من مُلك «أزدشير».

وكان هذا الملك شديدًا[6]، قد أثار علىٰ النصارىٰ بلاءً عظيما وعذابًا كبيرًا، وقَتل كلَّ عالم منهم، وقَتل خلقًا كثيرا، واستُشْهِد في أيامه خلقٌ كثير من النصارىٰ في كل موضع، ثم قَتل كلَّ من كان بمصر والإسكندرية من النصارىٰ، وهَدَم الكنائس، وبنىٰ بالإسكندرية هيكلًا، وسمَّاه هيكل الآلهة.

---

(١) المطبوعتان: «وأمدُّوا»، تصحيف!

(٢) كذا في (د)، وفي (ل، والمطبوعتين): «بابل»، و«تاريخ ابن البطريق» (ص١٠٦): «تابك». ولعل الصواب ما أثبت، وهو ما في «هداية الحيارىٰ»: (ص٣٩٢). وفي (ل، والمطبوعتين): تقديم «ساسان» علىٰ «بابك» خلافًا للمصادر!
وانظر خبر «اردشير» في: «مروج الذهب»: (١/ ٢٦٦)، و«الكامل»: (١/ ٣٤٨).

(٣) (ل): «سربيون»، وكذا كان في (د) ثم ضبّب عليه، وكتب تحته: «ينربيون»، والمثبت من «تاريخ سعيد» (ص١٠٦)، مصدر المؤلف.

(٤) «سويرس» (Septimius Severus): امبراطور روماني، عاش ما بين (١٤٦م) و(٢١١م)، تولىٰ الملك (١٨) سنة، ما بين (١٩٣م ـ ٢١١م)، خاض حروبًا كثيرة داخلية وخارجية ليستقرّ له الملك، واختلف مؤرّخو النصارىٰ في ترجمته بين مُثْنٍ وقادح! فالأول نَظَرَ إلىٰ أنه لم يَستحدِثْ قانونًا جديدًا لاضطهاد النصارىٰ، بل يدَّعون أنه حماهم أحيانًا، ويردُّون ما حصل من اضطهاد إلىٰ أسباب سياسية. والآخر نَظَر إلىٰ وقائع الاضطهاد. قارن ما نُقل هنا بما في «الموسوعة الكونية»: (١٣/ ٧٠١).

(٥) (ل): «من».

(٦) كذا الأصول الخطية والمطبوعة، وفي «تاريخ ابن البطريق» (ص١٠٧): «شرِّيرًا». والكلام عن «سويرس قيصر».

وملك بعده قيصر، وهو «**أنطونيوس الأصلع**»[1] ست سنين، وملك بعده قيصر آخر ثلاث عشرة سنة[2]، كانت النصارىٰ في أيامه في هدوء وسلامة، وكانت أمُّه تحب النصارىٰ، وفي أيامه سُمِّي بَطْرَك الإسكندرية «**بابا**» أي الجد.

وملَكَ بعده قيصرٌ آخر ثلاث سنين[3]، وهذا أثار علىٰ النصارىٰ بلاءً طويلًا وحزنًا عظيمًا، وقَتل منهم خلقًا كثيرًا، وأَخذ الناسَ بعبادة الأصنام، وقَتل من الأساقفة خلقًا كثيرًا وقَتل بترك أنطاكية، فلما سمِع أسقفُ بيت المقدس بقتله هَرَب وترك الكرسيّ.

ومات[4] «**قيصر**» هذا في السنة الثانية[5] من ملك «**بهرام بن هرمز**»[6]، وملَكَ بعده[7] آخر ثلاثة أشهر، ثم بعده آخر أربع سنين، واسمه «**غرديانوس**»[8].

---

(١) «وهو انطونيوس» سقط من (د).
و«أنطونيوس» (Caracalla) هذا هو ابن «سويرس» المتقدم، لقبه: «كاراكالا»، عاش بين (١٨٨م) و(٢١٧)، وتولىٰ بعد أبيه سنة (٢١١م)، ثم قتل أخاه: «غيتا» سنة (٢١٢م) ليستأثر بالملك، وأتبعه بقتل خلقٍ ممن أسِف لقتله، أحيا بعض الأعياد الرومانية القديمة، وأدخل عبادة بعض الآلهة الأجنبية، ولم يتعرّض للنصارىٰ، واستمر في الملك ست سنين إلىٰ أن قتل سنة (٢١٧م). «الموسوعة الكونية»: (٣/ ٣٧٧).

(٢) هو «الكسندر» (Severus Alexander)، ولد سنة (٢٠٨م)، وكان بينه وبين «انطونيوس» عدّة قياصرة، وتولىٰ الملك (١٣) سنة، ما بين (٢٢٢م) و(٢٣٥)، وفيها قتل هو وأمه؛ لاتهامه بالجبن، وقيامه بالصلح مع أعدائه. «الموسوعة الكونية»: (١٣/ ٧٠٥).

(٣) هو «مقسيمينوس» (Maximinus Thrax): ولد سنة (١٧٣م)، وتولىٰ ثلاث سنين (٢٣٥م ـ ٢٣٨م). وفيها قتل هو وابنه؛ لاتهامه بالشدة وعدائه للعامة. «الموسوعة الكونية»: (١٣/ ٧٠٥).

(٤) المطبوعتان: «قال: ومات» وليس في النسخ.

(٥) في «نظم الجوهر» (ص١١١): «الثالثة»، والمؤلف صادر عنه.

(٦) ينظر: «تاريخ الطبري»: (٢/ ٥٣)، و«المنتظم»: (٢/ ٨٢).

(٧) المطبوعتان زيادة: «قيصر» وليس في الأصول.

(٨) (د، ط. النيل): «عزدمانوس»، والمثبت من (ل) موافق لمصدر النقل. =

وفي ثلاث سنين من ملكه مات «**بهرام بن هرمز**»، وملك بعده «**بهرام بن بهرام**»[1] على الفرس تسع عشرة[2] سنة.

وفي أيامه ظهر رجلٌ فارسيٌ يقال له: «**ماني**»[3] فأظهر دين «**المانية**»[4]، وزعم أنه نبيٌّ، فأخذه «**بهرام بن بهرام**» مِلِكُ الفرس فشقَّه نصفين[5]، وأخذ من أصحابه وممن يقول بقوله مائتي رجل، فغرس رؤوسهم في الطين منكسين حتى ماتوا منكَّسين.

وملك بعد قيصر هذا «**فيلبس قيصر**»[6] برومية سبع سنين، وآمن بالسيد

= وهو «غرديانوس» (Gordian III): عاش ما بين (٢٢٥م) و(٢٤٤م)، وتولى الحكم وعمره ثلاث عشرة سنة في (٢٣٨م)، غزا الساسانيين، وحرّر أنطاكية، وهزم سابور الأول في «رأس العين» بالشام، وأرغمه «فيلبس» على مشاركته الحكم، ثم قتله. «الموسوعة الكونية»: (٧/ ٢٨٩).

(١) ينظر: «المنتظم»: (٢/ ٨٢)، و«الكامل»: (١/ ٣٥٦).

(٢) في «تاريخ ابن البطريق» (ص١١١): «سبع عشرة»، والمؤلف صادر عنه.

(٣) ماني (Mani): مؤسّس دين (المناوية، المنانية، المانيشية)، وهو دينٌ بين المجوسية والنصرانية، وكان قد درس الديانات: الزرادشتية (المجوسية) والنصرانية والبوذية، وتبعه خلق، ثم حُكم عليه بالقتل، بعد مناظرة بين يدي أحد ملوك الفرس. انظر: «المنتظم»: (٢/ ٨٧)، و«الموسوعة الكونية»: (٢/ ٤١٣).

(٤) في «نظم الجوهر» (ص١١١): «المنانية»، نِسبتان صحيحتان.

وهي فرقة تنتسب إلى «ماني بن بابك بن أبي رزام» المذكور، تعتقد مذهبًا خليطًا من المجوسية والنصرانية، ومن أهم مبادئها: أن العالم كونان: نور وظلمة. انظر: «الفَصْل»: (١/ ٣٧)، و«الملل النحل»: (٢/ ٤٩).

(٥) وكذا ذكر ابن حزم في «الفصل»، وقيل: بل قتله بهرام بن هرمز بن سابور. انظر: «تاريخ الطبري»: (٢/ ٥٣)، و«أبكار الأفكار»: (٢/ ٢٧٦).

(٦) زيد بعده في (ط. النيل): «على الروم»، وليس في النسخ.

و«فيلبس» (Philip the Arab) هو فيلبس العربي، ابن شيخ عربي، عاش ما بين (٢٠٤م) و(٢٤٩م)، دبّر قتل سابقه «غرديانوس الثالث»، وتولى الملك سنة (٢٤٤م)، كان في صراع مستمر مع مناوئيه إلى أن قتله لاحقه في الحكم: «داقنوس» سنة (٢٤٩م).

المسيح، ووثَبَ عليه قائدٌ من قوَّاده فقتله.

ثم ملك بعده قيصر آخر اسمه «**داقنوس**»(١)، وذلك من عشر سنين من مُلك «**بهرام بن بهرام**»، فلقي النصارىٰ منه حزنًا طويلًا وعذابًا شديدًا، وقَتل منهم من لا يحصىٰ، واستُشهِد في أيامه من الشهداء خلقٌ كثيرٌ، وقَتل بَطرق رومية، ثم خرج إلىٰ مدينة «**أفسس**» فبنىٰ في وسطها هيكلًا عظيمًا وصيَّر فيه الأصنام، وأَمر أن يُسجد للأصنام ويُذبح لها، ومن لم يفعل ذلك قُتل، فقَتَل من النصارىٰ بأفسس خلقًا عظيمًا، وصلبَهم علىٰ الحصن واتخذ من أولاد عظماء «**أفسس**» سبعةَ غلمانٍ من خواصّه وعلىٰ كسوته، وقدَّمهم علىٰ جميع من عنده، وذَكَر(٢) أسماءهم، أسماء أصحاب أهل الكهف.

قال: وهؤلاء السبعةُ الغلمانُ لم يسجدوا للأصنام، فأعلموا الملك بخبرهم فأَمر بحبسهم، ثم خرج إلىٰ بعض المواضع، وأَطلق سبيلهم إلىٰ حين رجوعه.

فلما خرج من المدينة أخذ الغلمان كل مالِهم فتصدَّقوا به، ثم خرجوا إلىٰ جبل عظيم يقال له: «**جاوس**» شرقيَّ «**أفسس**» فيه كهفٌ كبير، فاختفوا في الكهف، فكان واحدٌ منهم في كل يوم يتنكَّر ويدخل المدينة، فيَسمع ما يقول الناسُ في شأنهم ويشتري لهم طعامًا ويرجع فيُعْلِمهم.

---

(١) (د): «ذاقنوس»، وفي «نظم الجوهر» (ص١١٢): «داقيوس» و«ذاكيوس»، وكذا المواضع بعده، وهي متقاربة. وزيد بعده في المطبوعتين: «وهو دقيانوس»، وليس في الأصول.
و«داقنوس» (Decius)=: امبراطور روماني وثني، عاش ما بين (٢٠١م) إلىٰ (٢٥١م)، وملَك ما بين (٢٤٨م) و(٢٥١م)، بعد أن خرج علىٰ «فيلبس» وقتله، حاول في عهده إصلاح بلده، لكنه أجبر الناس علىٰ الشرك، واضطهد النصارىٰ، حتىٰ قتل بعد ثلاث سنين. «الموسوعة الكونية»: (٥/ ١١٤).

(٢) أي سعيد بن البطريق في «نظم الجوهر»: (ص١١٢).

فقدِم «**دقيانوس**» الملك فسأل عنهم، فقيل له: إنهم في جبل «**جاوس**» في الكهف مختفين.

فأمر الملك أن يُبنىٰ بابُ الكهف عليهم ليموتوا، وصبَّ الله عليهم النعاسَ، فناموا كالأموات.

وأَخذ قائدٌ من قواده صفيحةً من نحاس، وكتب فيها خبرهم وقصَّتهم مع «**دقيانوس**»[1] الملك، وصيَّر الصفيحة في صندوقِ نحاسٍ، ودفَنَه داخلَ الكهف، وبنىٰ الكهف[2].

ومَلَك بعده قيصرٌ[3] آخرُ سنةً واحدةً[4]، وذلك من ثلاث سنين من ملك «**هرمز**».

وفي أول سنة من مُلك هذا، صُيِّر «**بولس**» بَطركًا علىٰ أنطاكية ويسمَّىٰ: «**بولس الشِّمْشاطي**»، قال: وهو الذي ابتدع دين «**البوليانية**»[5]، فسمي التابعون

---

(١) (ل): «داقنوس»، وكذا الموضع الآتي.

(٢) زيد بعده في المطبوعتين: «ومات الملك (دقيانوس) قيصر، ومَلَك بعده قيصران بر ومية سنتين، ثم قيصر آخر اسمه: (غنيونوس) خمس عشرة سنة» وليس في النسخ الخطية، ولعل ذلك مما اختصره المصنف، فقد درج فيما مضىٰ علىٰ نقل ما يراه مهمًّا دون غيره.

(٣) «قيصر» ليس في (ل).

(٤) هامش (ل) والمطبوع زيادة: «ومات»، ويظهر أنها ملحقة فيهما في غير موضعها، يدل عليه أنها أُلحقت في (د) عند قوله: «[ومات] الملك دقيانوس»، أما هنا فأشار إلىٰ لحقٍ دون إلحاق! وموت قيصر هذا سيأتي التهميش به في (د) بعد خبر «بولس» الآتي، وهو موضعه ـ أيضًا ـ في «تاريخ ابن البطريق»: (ص١١٤) والمؤلف إنما صدر عنه.

(٥) قوله: «وهو الذي ابتدع دين البوليانية» مما نقله المصنف عن ابن البطريق، وهو صادرٌ منه بناءً علىٰ عقيدة التثليث التي يراها، لذا فإنه يصف من خالفها بالابتداع.

وقد ظن الإمام ابن القيم في «هداية الحيارىٰ»: (ص/ ٣٩٣، ٣٩٤) أن هذا الوصف من كلام المصنّف، فشنّع علىٰ (بولس) وقال: «وهو أول من ابتدع في شأن المسيح اللاهوت والناسوت، وكانت النصارىٰ قبله كلمتهم واحدة: أنه عبد رسول مخلوق ومربوب لا يختلف فيه اثنان منهم، =

لدينه والقائلون بمقالته بوليانيين[1].

قال: وكانت مقالته: إن سيدنا المسيح خُلِق من اللاهوت إنسانًا، كواحدٍ منا في جوهره، فإن ابتداء الابن من مريم وأنه اصطُفِي ليكون مخلصًا للجوهر الإنسيِّ، صَحِبَتْه النِّعمةُ الإلهيةُ، فحلَّتْ فيه بالمحبة والمشيئة، ولذلك سمِّي: ابنَ الله.

وقال: إن الله جوهرٌ واحدٌ، وأقنومٌ واحدٌ ولا نؤمن بالكلمة، ولا بروح القدس.

قال: وبعد موته[2] اجتمع ثلاثة عشر أسقفًا في مدينة «**أنطاكية**» ونظروا في مقالة «**بولس**»، فأوجبوا علىٰ هذا **الشِّمْشاطي** اللعن فلعنوه، ولعنوا من يقول بمقالته وانصرفوا.

= فقال بولس هذا ـ وهو أول من أفسد النصارىٰ وأفسد دينهم ـ: إن سيدنا عيسىٰ خُلق من اللاهوت إنسانًا كواحدٍ منا في جوهره ...»!

ولعل سبب هذا الوهم قولُه هنا بعد ذلك: «قال ـ أي ابن البطريق ـ: وكانت مقالته ...الخ» فظن الإمام ابن القيم أن ما قبل هذا هو من كلام المصنف، وليس كذلك. والله أعلم.

وقد تقدم ما نقله المصنف عن ابن حزم في «الفصل»: (١/ ٣٧) قال: «ومنهم أصحاب بولس الشِّمْشاطي، وكان بطريركًا بأنطاكية قبل ظهور النصرانية، وكان قولُه التوحيدَ المجرّدَ الصحيح وأن عيسىٰ عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام».

(١) هامش (د): «مشتقٌ من اسمٍ غيرِ اسم المذهب». وفي «نظم الجوهر»: (ص١١٤): «البوليقانية»، وأتباعه: «بوليقانيين»، وكلاهما صحيح.

(٢) أي: الامبراطور الروماني، وليس «بولس» كما يوهمه السياق؛ فقد ذكر مؤرِّخوهم أن المجمع قد عُقِد سنة (٢٦٨م)، وهي السنة التي توفي فيها الإمبراطور، في حين أن «بولس» مات بعد ذلك بخمس سنين، في (٢٧٣م)، بل ذكروا أن «بولس» قد حضر ذلك المجمع، وانتصر لنفسه، لكن قرّر المجتمعون لعنه وعزله، ومع ذلك فقد بقي أتباعه حتىٰ القرن السابع الميلادي. «بوليقانيين».

قال[1]: وبعده ملك قيصر آخر ست سنين، اسمه «**أوراغوس**[2] **قيصر**».

قال: وكان النصارىٰ بالإسكندرية في أيامه يصلون في المطامير والبيوت فزعًا من الروم، ولم يكن يظهر بترك بالإسكندرية[3]؛ لئلا يقتلوهم.

فلما صار «**نارون**»[4] بَطركًا ظهر، ولم يزلْ يداري الروم حتىٰ بنىٰ بالإسكندرية كنيسة «**حنا**»، و«**مار**[5] **مريم**».

وملك بعده قيصران[6]، ثم قيصر اسمه «**قاروس**»[7]، وذلك في تسع سنين

---

(١) في هامش (د): «ومات قلودوس» دون إشارة إلىٰ موضع اللَّحق، ويظهر أنه هنا، كما تقدَّم تحقيقه، وهو موضعه في مصدر النقل أيضًا.

(٢) كذا، وفي تاريخ ابن البطريق: (ص١١٤): «اورلليوس» أو «اورلينوس» (Aurelian)، وهو امبراطور روماني، عاش ما بين (٢١٤م ـ ٢٧٥م)، وبعد موت سابقه: «كلاوديوس الثاني»= أرادَه الجيشُ حاكمًا سنة (٢٧٠م)، عَبَد الشمس، وكان قليل الثقافة شديد الصرامة، مهّد خلال خمس سنوات طريق الإصلاحات التي مَدّت في عمر الامبراطورية قرنين آخرين، مات مقتولًا. «الموسوعة الكونية»: (٢/ ١٣١).

(٣) (ل): «الإسكندرية». والمثبت من (د)، و«تاريخ ابن البطريق»: (ص١١٤).

(٤) كذا، وعند ابن البطريق: «نارن»، ولعل الصواب: «ثاؤن» (Theonas): أسقف الاسكندرية (١٩) عامًا، ما بين (٢٨١م ــ ٣٠٠م)، وأعاد تنظيمها، ودخل كثير علىٰ يده النصرانية. «الموسوعة الكونية»: (١٤/ ٧٣٧).

(٥) «مار» سقط من (ل)، وكذا (د)، ثم ألحق بهامشها. وانظر تاريخ الكنيستين في: «الموجز التاريخي عن الكنائس القبطية القديمة»: (ص/ ٤٩ ـ ٥٣).

(٦) كذا عامة النسخ الخطية والمطبوعة، والمذكورُ في «تاريخ ابن البطريق»: (ص١١٥) أن بين «أورلليوس» و«قاروس» ثلاثةَ قياصرة، وهم: «طاقسوس»، و«فلوريانوس»، مَلَكا تسعة أشهر. و«بروبس» مَلَك ست سنين، ولعلَّ المصنف عدَّ الأولَّيْن واحدًا؛ لجَمْع (الأصل) لهما في مدَّة واحدة، مع قِصَر تملُّكهما.

(٧) عامة الأصول: «فاروس» بالفاء، والصواب ما أثبت من المصادر. و«قاروس» بالقاف أو الكاف، (Carus): امبراطور روماني، عاش ما بين (٢٢٣م ـ ٢٨٣) وملك أحد عشر شهرًا، ثم قتل. «الموسوعة الكونية»: (٣/ ٤٤١).

من مُلك «**سابور بن هرمز**»، وكان شديدًا[1] علىٰ النصارىٰ، قَتَل «**قزمان**» و«**دميان**» الأخوين الشهيدين[2]. ومَلَك بعده «**دقيطيانوس**»[3].

قال: فمن خراب «**طيطس**» لبيت المقدس إلىٰ ملك «**دقيطيانوس**» مائتان وستٌّ سنين، ومن مولد سيدنا المسيح إلىٰ «**دقيطيانوس**» مائتان وستٌ وسبعون سنة، ومن الإسكندر إلىٰ «**دقيطيانوس**»: خمسُمائةٍ وخمسٌ وتسعون[4] سنة، ومن سبي بابل إلىٰ «**دقيطيانوس**»: ثمانمائةٌ وثمانٍ وخمسون سنة[5]، ومن داود إلىٰ «**دقيطيانوس**» ألفٌ وثلاثُمائةٍ وخمسٌ وثلاثون سنة[6].

قال: ومَلَك «**دقيطيانوس**» في إحدىٰ عشرة سنة من مُلك «**سابور بن**

---

(١) «وكان شديدًا» سقط من (د).

(٢) كذا في (د)، وفي (ل): «سابور بن هرمز الأخوين علىٰ النصارىٰ قبل قزمان ودميان»! والمثبت الصواب الموافق لمصدر النقل (ص١١٥). وفي (د، ط النيل): «قرمان».
وقزمان ودميان (Cosmas and Damian) أخوان عربيان طبيبان، كانا يداويان الفقراء من غير أجرة، حتىٰ قيل عنهما: (عدوان للمال)، قتلا في حدود (٢٩٥م). «الموسوعة الكونية»: (٤/ ٥٧٧).

(٣) «تاريخ ابن البطريق» (ص١١٥): «ديوكليتيانوس» (Diocletian)، عاش ما بين (٢٤٠م ـ ٣١٣م)، وملك (٢١) سنة من (٢٨٤م) اضطهد النصارىٰ، واستحدث الحكم الرباعي، حيث قسّم الإمبراطورية إلىٰ قسمين: الشرق والغرب، وكل قسم يحكمه اثنان، كبيرٌ يسمىٰ: «اغسطس»، وصغيرٌ يُدعىٰ: «قيصر». اعتزل الحكم آخر حياته، ومات في عزلته. «الموسوعة الكونية»: (٥/ ٣٠٣).

(٤) (ل): «وسبعون»، خلافًا للنسخ ومصدر النقل.

(٥) في النسخ الخطية والمطبوعة: «ألف وثلاثمائة وخمس وثلاثون سنة» وهو سبقُ نظرٍ إلىٰ ما بعده، والمثبت من «تاريخ ابن البطريق»: (ص١١٥) والمؤلف صادر عنه.

(٦) عامة النسخ الخطية والمطبوعة «ألف وتسعمائة وإحدىٰ وأربعون سنة» وهو سبق نظرٍ إلىٰ ما بعده في «تاريخ ابن البطريق» مصدر النقل؛ فالعدد المذكور هناك هو ما بين خروج بني إسرائيل من مصر إلىٰ «دقيطيانوس». انظر: «تاريخ ابن البطريق»: (ص١١٥).

هرمز» **ملك الفرس**، ومَلَك معه اثنان[1] تملَّكا علىٰ الروم إحدىٰ وعشرين سنة، وهؤلاء أثاروا علىٰ النصارىٰ بلاءً عظيمًا وحزنًا طويلًا وعذابًا أليمًا وشدَّةً شديدة، تجلُّ عن الوصف من القتل والعذاب واستباحة الأموال، واستُشهِد ألوفٌ[2] من الشهداء، وعذَّبوا «**ماري جُرْجِس**»[3] أصناف العذاب، وقتلوه بفلسطين، وقتلوا «**ماري مينا**»[4] و«**ماري بقطر**»[5] وغيرهما.

قال: وفي عشر سنين من ملكهما صُيِّر «**بِطْرُس**» بَطركًا علىٰ الإسكندرية فأقام عشر سنين وقُتل.

وفي عشرين سنةً من مُلكهما، ضُرِب عنقُ «**بِطْرُس**» - هذا البَطرك[6] - بالإسكندرية.

---

(١) كذا عامة النسخ، والصواب: «مقسيميانوس» وحده، كما في المصادر، ولعل سبب الوهم أن ابن البطريق ذكر «لمقسيميانوس» - (ص١١٦) ـ اسمًا ولقبًا، فظُن أنهما اثنان! وعلىٰ هذا فضمير التثنية بعده في «تملَّكا» لهذا والذي قبله. وانظر: «هداية الحيارىٰ»: (ص٣٩٤).

(٢) عامة الأصول: «واستشهدوا ألوفًا»، والمثبَت من «تاريخ ابن البطريق»: (ص١١٦).

(٣) «ماري» كلمة سريانية تعني: (سيدي)، و(ماري جُرْجِس) (Saint George)، كان جنديًا من (قابادوقيا)، وكان عابدًا، اشتهر بذلك في الحروب الصليبية، فقتل في «نيقوميديا» سنة (٣٠٣م). «الموسوعة الكونية»: (٧/ ١٦٥).

(٤) ماري مينا (Saint Menas): جندي مصري، وُلِد بأسيوط، في الجيش الروماني، اعترف بإيمانه بالمسيح، وامتنع عن السجود للأصنام، فعُذِّب عذابًا شديدًا، ثم قتل وأُرسل إلىٰ مصر، سنة (٣٠٤م). «الموسوعة الكونية»: (٩/ ٦٩٥).

(٥) زيد بعده في المطبوعتين: «وأيتماخوس ومركورس» وليس في الأصول الخطية.

(٦) كذا الأصول، ولم يذكر في «تاريخ ابن البطريق» (ص١١٦) لفظ: «البطرك».

وبِطْرُس هذا هو «بِطْرُس الأول» (Pope Peter I of Alexandria) بطْريق الاسكندرية، (١١) عامًا، ما بين (٣٠٠م ــ ٣١١م)، وهرب زمن «دقيطيانوس» ثم رجع، وقتل بأمر «مقسيميانوس»، يُلقّب بخاتم الشهداء. «الموسوعة الكونية»: (١١/ ٥٧٧)، و«تاريخ الكنيسة القبطية»: (ص/ ١٠٦)، و«تاريخ البطاركة»: (ص/ ٣٦).

قـال: وكـان لِبطْـرُس تلميـذان، اسـم أحـدهما «أشــلا»[١] والآخر «الأكصندروس»[٢].

وكان بالإسكندرية رجلٌ يقال له: «أريوس»[٣] يقول: إن الأبَ وحده الله الفردُ، والابنَ مخلوقٌ مصنوعٌ، وقد كان الأب إذ لم يكن الابن.

فقال «بطْرُس البَطرك» لتلميذَيْه: إن المسيح لعن «أريوس» فاحذرا أن تَقْبَلا قوله، فإني رأيتُ المسيحَ في النوم مشقوقَ الثوب، فقلتُ له: يا سيِّدي مَن شقَّ ثوبك؟ فقال لي: «أريوس»، فاحذروا أن تَقبلوه ويَدخلَ معكم الكنيسة، كنيسة الله.

قال: وبعد قَتْل «بطْرُس» بخمس سنين صُيِّر «أشلا» بَطركًا علىٰ الإسكندرية، فأقام ستة أشهر ومات.

وكان «أريوس» قد استعان علىٰ «أشلا» بأصدقائه، فأَوْرىٰ أنه قد رجع عن تلك المقالة، فقبِله «أشلا» وأدخله الكنيسة وجعَلَه قسِّيسًا.

قال: وأما «دقيطيانوس» الملك فكان يطلب النصارىٰ فيقتلهم.

---

(١) (المطبوع): «أشيلا»، وكذا ما بعده. وهو: «أرشيلاوس» (Pope Achillas of Alexandria)، تلميذ «بِطْرُس» الذي أمر بأن يكون «أرشيلاوس» خلفًا له ومِن بعده: «الكسندروس»، استمر في البابوية ستة أشهر (٣١١م ـ ٣١٢م)، وخالف تعاليم أستاذه، فقبِل «أريوس»، وعيَّنه قسيسًا. «تاريخ الكنيسة القبطية»: (ص/ ١١٠)، و«تاريخ البطاركة»: (ص/ ٤٤).

(٢) الاكصندروس أو الكسندروس الأول (Pope Alexander I of Alexandria) بِطْريق الاسكندرية، خمس عشرة سنة وتسعة شهور وعشرين يومًا، ما بين (٣١٢م ـ ٣٢٨م)، رأس مجمَع «نيقية»، ووضع قانون الإيمان، ورتَّب صوم الأربعين، وعيد الفصح. «الموسوعة الكونية»: (١/ ٢٧٤).

(٣) المطبوعتان: «أوريوس»، والمثبت من النسخ الخطية موافق لمصدر النقل. وقد تقدم.

فبينما هو يسير في طلبهم إذ بلغ إلىٰ موضع يقال له: «**ملطية**»(١) فصبَّ الله عليه نِقمته، فوقع في عللٍ عظيمةٍ وأمراضٍ عظيمةٍ حتىٰ ذاب جسمُه، وكان الدود يتساقط من بدنه(٢) إلىٰ الأرض، وسقط لسانُه من حنكه ومات.

وملَكَ بعده قيصران، (أحدهما) المشرق والشام وأرض الروم، و(الآخر) رومية ونحوها(٣)، أحدُهما اسمه «**غلاريوس**»(٤) والآخر «**مكسنتيوس**»(٥) فكانا كالسِّباع الضارية علىٰ النصارىٰ، وأثارا عليهم البلاءَ والجلاء وما لا يصفُه واصف، وفَعَلا بهم ما لم يفعلْه أحد من الملوك قبلهم.

وملك معهما علىٰ «**بزنطية**»(٦)، وما والاها «**قسطس**» أبو «**قسطنطين**»(٧)،

---

(١) «تاريخ ابن البطريق» (ص١١٧): «دلميلطية».
وملطية: (Malatya) مدينة تركية، تقع شرق الأناضول، وغرب نهر الفرات، علىٰ الطريق الرابط بين الموصل ومدينة سيواس التركية. «الموسوعة الإيطالية»: (٢١/ ١٠٠٦).
(٢) (ل): «بين يديه».
(٣) المطبوعتان زيادة: «وكان»، وليس في الأصول.
(٤) (ل): «علابيوس»، ولم تحرر في (د)، وفي المطبوعتين: «علانيوس»، والمثبت من «ابن البطريق» (ص١١٧)، وكذا المواضع بعده.
و«غلاريوس» أو «غاليريوس» (Galerius): امبراطور روماني، ملك الشَّرْقَ (١٨) سنة، ما بين (٢٩٣م - ٣١١م)، تميز في إنجازاته الحربية، وكان من أشدهم علىٰ النصارىٰ، ولكنه قبل موته في أبريل (٣١١م) أصدر مرسومًا للتسامح الديني، كان الخطوة الأولىٰ لحرية العبادة التي منحها (قسطنطين) فيما بعد. «الموسوعة الكونية»: (٦/ ٦٧٣).
(٥) (ل، د): «دقطيطيوس»، والمطبوعتان: «مقصطيوس»، والمثبت من «ابن البطريق» (ص١١٦).
و«مكسنتيوس» (Maxentius) هو: ابن مقسيميانوس، وزوج ابنة الامبراطور: «غاليريوس»، عاش ما بين (٢٨٠م - ٣١٢م)، وملك الغربَ ست سنين ما بين (٣٠٦م - ٣١٢م)، سيطر علىٰ إيطاليا وإفريقيا، حتىٰ حاربه قسطنطين، ومات غريقًا. «الموسوعة الكونية»: (٩/ ٥٦٧).
(٦) (د، ل): «نزنطية»، (ط. النيل): «برنطية»، والمثبت من «تاريخ ابن البطريق»: (ص١١٧).
(٧) اسمه «قسطنطيوس كلوروس» (قسطس الأول) (Constantius Chlorus)، عاش ما بين (٢٢٥م - ٣٠٦م)، وملك (١٣) سنة من (٢٩٣م) وكان شريكًا لمقسيميانوس في الحكم، فتولىٰ حكم بلاد الغال وبريطانيا واسبانيا، مال إلىٰ النصرانية.، ومات قبل أن يمكّن لولده. «الموسوعة الكونية»: (٤/ ٥٩٥).

وكان رجلا ديِّنًا، مبغضًا للأصنام، محبًّا للنصارىٰ.

فخرج «**قسطس**» إلىٰ ناحية «**الجزيرة**» و«**الرُّها**»[1]، فنزل في قريةٍ من قرىٰ «**الرُّها**»، يقال لها: «**كفرجاث**»[2]، فنظر فيها امرأةً حسنة جميلة يقال لها: «**هيلانة**»[3]، وكانت قد تنصَّرت علىٰ يدَي أسقف «**الرُّها**» وتعلَّمت قراءةَ الكتب، فخطبها «**قسطس**» من أبيها، فزوَّجه إياها، فحبلتْ منه، ورجع «**قسطس**» إلىٰ «**بزنطية**»[4].

وولدتْ «**هيلانة**»: «**قسطنطين**» فتربَّىٰ بـ«**الرُّها**»، وتعلّم حِكَم اليونانيين، وكان غلامًا، حسن الوجه، قليلَ الشر، وديعًا، محبًّا للحكمة.

وأما «**غلاريوس**» فكان رجلا وحشيًّا شديد البأس، مبغِضًا للنصارىٰ جدًّا، كثير القتل لهم، محبًّا للنساء، ولم يترك للنصارىٰ بنتًا بِكرا إلا أخذها وأفسدها وقتلها، وكذلك أصحابه، وهكذا كانوا يفعلون بالنصارىٰ، وكان النصارىٰ في شدَّةٍ شديدة جدًا معهم.

---

(١) «منطقة الجزيرة»: أقصىٰ شمال الجزيرة العربية، بين الشام والعراق، جنوب منطقة: آسيا الصغرىٰ، وتقع الآن بين تركيا وسوريا.
و«الرها»: (Edessa) جنوب شرق تركيا، علىٰ بُعد (٣٠كم) من حدود «سورية القديمة» وتسمىٰ الآن: «شانلي أورفا»، أي: أورفا ذات الشأن. وكانت مركزًا تجاريًّا يربط بين مدينة الموصل والبحر الأبيض المتوسط. «الموسوعة الإيطالية»: (٣٤/ ٧٨٢).

(٢) (ل): «كفرفجات»، و(د، ط. النيل): «كفرفجاث»، و«ابن البطريق» (ص١١٧): «فخر فخار».

(٣) «هيلانة» (وتعني باليونانية: المشرقة والمتألقة لجمالها): وهي أم «قسطنطين»، تزوجها «قسطس» قبل (٢٨٠م) ثم أبعدها في (٢٩٣م)، وعندما مات أحاطها ابنها «قسطنطين الأول» بالتشريف، ومنحها لقب «أغسطسة» في (٣٢٥م)، يزعمون أنها مكتشفة الصليب، ويلقبونها بالقدِّيسة والملكة، ماتت في (٣٣٥م). «الموسوعة الكونية»: (٥/ ٦٠٦).

(٤) من قوله: «فخطبها ...» إلىٰ هنا ساقط من المطبوع!

وبلَغَه خبر «**قسطنطين**» وأنه غلامٌ هادٍ، قليلُ الشرِّ، كثيرُ العلم[1].

وأخبره الحكماء الذين له والمنجِّمون أن «**قسطنطين**» سيملك ملكًا عظيمًا، فهمَّ بقتله.

وعلِم «**قسطنطين**» بذلك فهرب من «**الرُّها**»، وذهب إلىٰ مدينة «**بزنطية**» ووصل إلىٰ أبيه «**قسطس**» فسلَّم إليه الملك.

وبعد قليل مات «**قسطس**»، وصبَّ الله علىٰ «**غلاريوس**» الملك عِللًا عظيمة، حتىٰ تقطَّع لحمه وتهرأ[2]، وبقي مطروحًا لا يقدِر أحدٌ أن يقترب[3] منه.

فعجب الناس مما ناله، ورحمه أعداؤه مما حلَّ به. فرجَع إلىٰ نفسه وقال: لعلَّ هذا الذي بي مما أقتل النصارىٰ.

فكتب إلىٰ جميع عماله أن يطلقوا النصارىٰ من الحبوس، وأن يكرموهم ولا يؤذوهم، ويسألونهم أن يدعوا له في صلاتهم.

فصلَّىٰ النصارىٰ علىٰ الملك ودعَوا له، فوهب الله له العافيةَ، ورجع إلىٰ أفضل مما[4] كان عليه من الصحة والقوة.

فلما صح وقوي، رجع إلىٰ أشرَّ[5] مما كان عليه من الردىٰ، وكتب إلىٰ جميع عمَّاله أن يقتلوا النصارىٰ، ولا يعيش في مملكته نصراني ولا يسكنوا مدينةً ولا قريةً له.

---

(١) المطبوعتان زيادة: «والخير». وكذا (د) قبل أن يضرب عليها، وليست في سائر النسخ والمصادر.

(٢) (ل): «وانهرا».

(٣) (ل): «يتقرب»، وكذا في مصدر النقل.

(٤) (ل): «ما»، والمثبت من سائر الأصول موافق لمصدر النقل.

(٥) (د، ط النيل): «شر»، وكلاهما متَّجه.

فمِن كثرة القتلىٰ كانوا يُحمَلون علىٰ العِجل، ويَرْمون بهم في البحار والصحاري، وقَتَل «**مار جُرْجِس**»(١) وأخاه بمدينة «**قباذوقية**»(٢) وهما من أهلها، وقَتَل «**بربارة**»(٣). وذكر حربًا جرتْ بينه وبين «**سابور**» لما تنكَّر «**سابور**» وجاء إليه متنكِّرًا وعرَفه(٤).

قال: وأما «**مقسطيوس**» فكان شرِّيرا علىٰ أهل رومية، واستعبد كلَّ من كان برومية وخاصَّة النصارىٰ، فكان يَنهب أموالهم، ويَقتل رجالهم ونساءهم وصبيانهم.

فلما سمع أهل رومية بملك «**قسطنطين**» وأنه مبغِضٌ للشر محبٌّ للخير، وأن أهل مملكته معه(٥) في هدوء وسلامة، كتب رؤساء رومية إلىٰ «**قسطنطين**» يسألونه ويطلبون إليه أن يخلِّصهم من عبودية «**مقسطيوس**» عدوِّ الله.

فلما قرأ كتبَهم، اغتمَّ غمًا شديدًا وبقي متحيِّرًا، لا يدري كيف يصنع.

فبينما هو متفكِّرٌ، إذ ظَهر له من نِصْفِ النهار في السماء صليبٌ من كواكب تضيء، مكتوبًا حوله: «بهذا تَغلِب».

---

(١) «تاريخ ابن البطريق»: «سرجيوس، وباخوس» (Sergius and Bacchus)، ولعله الأقرب، فإنه ذكر قريبًا قَتْل «مار جُرْجِس»، لكن يشكل عليه، أنهما لم يقتلا بقباذوكيه كما ذكر هنا، بل في (سوريا)! وأيًا ما كان فهما جنديان رومانيَّان، رفضا الذبح للأوثان، فقتلا. «الموسوعة الكونية»: (١٣/ ٦٦٩).

(٢) (Cappadocia) منطقة داخلية في آسيا الصغرىٰ غرب أرمينيا، كانت مقاطعة رومانية، عاصمتها: «قيسارية قباذوقية». «الموسوعة الإيطالية»: (٨/ ٨٨٠)، (٩/ ٨٧٨).

(٣) «بربارة» (Saint Barbara) وصفوها بأنها قدّيسة عذراء، ويزعمون أن أباها هو من بلغ عنها، ثم بعد الحكم عليها قام بقطع رأسها، فأصابه بعد ذلك برقٌ فصيَّره فحمًا! «الموسوعة الكونية»: (٢/ ٣١٠).

(٤) «تاريخ ابن البطريق»: (١١٩-١٢١).

(٥) (ل): «صالحة» بدلًا من «معه».

فقال لأصحابه: رأيتم ما رأيت؟ قالوا: نعم. فآمن مِن ذلك الوقت بالنصرانيّة، وذلك لِستٍّ سنين من بعد موت أبيه.

فتجهز «**قسطنطين**» واستعدّ لمحاربة «**مقسطيوس**» ملك رومية، وعمِل صليبًا كبيرًا من ذهب، وصيَّره علىٰ رأس البَنْد[(١)]، وخرج يريد «**مقسطيوس**».

فلما سمع «**مقسطيوس**» أن «**قسطنطين**» قد وافاه لمحاربته، استعدَّ لحربه وعقَد جِسرًا علىٰ النهر الذي قُدَّام رومية[(٢)]، وخرج مع[(٣)] جميع أصحابه يحارب «**قسطنطين**» فأعطي «**قسطنطين**» النصرة عليه، فقَتَل من أصحاب «**مقسطيوس**» مقتلةً عظيمةً، وهرَبَ «**مقسطيوس**»، وغرِق هو وأصحابه حتىٰ امتلأ البحر - وهو النهر الذي عند رومية - غَرْقىٰ وقتلىٰ.

وخرج أهل رومية إلىٰ «**قسطنطين**» بالإكليل الذهب وكل أنواع اللهو واللعب، فلقوا «**قسطنطين**» وفرحوا به[(٤)] فرحًا عظيمًا.

فلما دخل المدينة أَمر أن تُدفن أجسادُ النصارىٰ الشهداء المصاليب، وكلُّ من كان من النصارىٰ هرب أو نفاه «**مقسطيوس**» يرجع إلىٰ بلده وموضعه[(٥)].

وأقام أهل رومية سبعة أيام يُعيِّدون للملك وللصليب ويفرحون. فلما سمع الخبر «**غلاريوس**» جَمَع ما قدر عليه وتجهَّز لقتال «**قسطنطين**».

---

(١) العَلَم الكبير، يكون للقائد، تحته عشرة آلاف رجل. «المحكم»: (٩/ ٣٥٦).

(٢) من قوله: «وخرج يريد مقسطيوس ...» إلىٰ هنا ساقط من (ل، د). والجسر المذكور هو جسر «مِيلْفِيُو»، ويقع علىٰ نهر «التيبر»، شمال «روما» في «إيطاليا»، سميت به المعركة بين «قسطنطين» و«مقسطيوس» التي وقعت يوم (٢٨) «أكتوبر» سنة (٣١٢م). «الموسوعة الكونية»: (١٠/ ٩٤).

(٣) (ل): «معه».

(٤) «به» سقط من المطبوع.

(٥) بعده في المصادر زيادة: «ومن أُخِذ له شيءٌ رُدَّ إليه».

فلما عاينه انهزموا من بين يديه وأَخَذهم السيفُ[1]، وقتل منهم مقتلة عظيمة، ومنهم من أُسر ومنهم من استأمن.

وأفلت «**غلاريوس**» عريانًا، فلم يزل يتقرَّىٰ[2] موضعًا موضعًا حتىٰ وافىٰ مدينتَه، فجَمَع الكهنة[3] والسحرة والعرَّافين الذين كان يحبُّهم ويَقبلُ منهم، فضَرَب أعناقَهم؛ لئلا يقعوا في يد «**قسطنطين**».

وصبَّ الله علىٰ «**غلاريوس**» نارًا في جوفه حتىٰ كانت أحشاؤه تتقطَّع من الحرِّ الذي كان يجده في جوفه، وسقط علىٰ الأرض، وتهرَّأ لحمه علىٰ عظمه ومات.

وملَكَ «**قسطنطين**» الدنيا في هدوء وسلامة، وذلك في إحدىٰ وأربعين سنة من ملك «**سابور بن هرمز**»[4] ملِكِ الفرس.

قال: وتنصَّر «**قسطنطين**» في مدينةٍ يقال لها: «**نيقوميديا**»[5]، وذلك في اثنتي عشرة سنة من ملكه، وأمر ببنيان[6] الكنائس في كل بلد، وأن يُخرَج من بيت المال الخراجُ مما يُعمل به أبنيةُ الكنائس.

---

(١) المطبوع: «بالسيف»، خلاف الأصول والمصادر.

(٢) المطبوع: «يتقوىٰ»، خلافًا للأصول والمصادر. و«يتقرَّىٰ»: أي يتتبَّع القرىٰ سيرًا.

(٣) (ل): «كهنة إليه»، وفي «تاريخ ابن البطريق» (ص١٢٢): «كهنة آلهته».

(٤) (ل): «سابورس من هرمز».

(٥) (د، ل): «نيقوميذيا». (ط. النيل): «فيقيوميذيا». «تاريخ ابن البطريق»: «نيقوميدية».

و«نيقوميديا» (Nicomedia): مدينة تركيّة قديمة تقع في مقاطعة بيثينيا، وهي «إزميد» حاليًا، عاصمة محافظة: «قوجه ايلي»، تبعد (١٠٠كم) شرق (اسطنبول)، سُميت (نيقوميديا) علىٰ اسم مؤسسها (نيقوميد الأول) سنة (٢٦٤ق.م). «الموسوعة الكونية»: (١٠/ ٥٤٨)، و«موسوعة الكون»: (٩/ ٤٥).

(٦) المطبوع: «ببناء»، خلافًا للأصول والمصادر.

قال: وفي خمس سنين من ملكه صُيِّر «**الأكصندروس**» بَطركًا علىٰ الإسكندرية، وهو تلميذ بَطركها «**بِطْرُس**» الذي قُتل، وهو رفيقُ «**أشلا**»، أقام[1] ستَّ عشرةَ سنة، وفي خمس عشرة سنة من رياسته، كان الـمَجْمَعُ بمدينة «**نيقية**» الذي رُتِّبَتْ فيه «**الأمانةُ**» الأرثذكسية[2].

فمنع «**الأكصندروس**» بترك الإسكندرية «**أريوس**» من دخول الكنيسة ولعنه، وقال: إن «**أريوس**» ملعون؛ لأن «**بِطْرُس البترك**» ـ قبل أن يستشهد ـ قال لنا: إن الله لعن «**أريوس**» فلا تَقبلوه ولا تُدخِلوه الكنيسة.

وكان علىٰ مدينة «**أسيوط**» ـ مِن عمل مصر ـ أسقفٌ يرىٰ رأي «**أريوس**» فلعنه أيضًا.

وكان بالإسكندرية هيكلٌ عظيمٌ كانت «**كلاوبطرة الملكة**»[3] بَنَتْه علىٰ اسم زُحَل، وكان فيه صنمٌ ـ من نحاس ـ عظيمٌ، يسمَّىٰ: «**ميكائيل**»، وكان أهل الإسكندرية ومصر في اثني عشر يومًا من[4] شهر «**هتور**» وهو «**تشرين الثاني**» يُعَيِّدون لذلك الصنم عيدًا عظيمًا، ويذبحون الذبائح الكثيرة.

فلما صار هذا بَطركًا علىٰ الإسكندرية وظهرت النصرانية؛ أراد أن يَكسر الصنم ويُبْطِل الذبائح.

---

(١) المطبوعتان: «فأقام».

(٢) (ل): «الأرثذكسية». وفي ط. النيل: «الأرتدكسية».

(٣) كلاوبطره أو كليوباترا بنت بَطْلَيْمُوس الثالث عشر (Cleopatra): ملكة مصر، عاشت بين (٦٩ ق.م ــ ٣٠ ق.م)، أوصىٰ لها أبوها بالملك، شرط أن تتزوج أخاها (بَطْلَيْمُوس) الرابع عشر، فملكت (٢١) سنة، ما بين (٥١ ق.م ــ ٣٠ ق.م) بدهاء وجرأة، وماتت منتحرة بلدغة ثعبان. «الموسوعة الكونية»: (٤/ ٢٠٣).

(٤) المطبوع: «في»!

فامتنع عليه أهل الإسكندرية، فاحتال لهم بأن قال: إن هذا صنمٌ لا منفعة فيه ولا مضرَّة، فلو صيَّرتم العيد لميكائيل الملاك، وجعلتم هذه الذبائحَ له كان أنفعَ[1] لكم عند الله، وكان خيرًا لكم من هذا الصنم، فأجابوه إلىٰ ذلك. فكسر الصنم، وأَصلح منه صليبًا[2]، وسمَّىٰ الهيكل «**كنيسة ميكائيل**» وهي الكنيسة التي تسمىٰ «**قيسارية**»[3] ـ احترقت بالنار وقتَ موافاة الجيوش من المغاربة القرامطة مع المسمَّىٰ: «**أبو عبيد الله**»[4]، وكان معه أميرٌ من أصحابه يسمَّىٰ «**حباسة**» وذلك في خلافة «**المعتضد بالله**»، وكان عامله علىٰ مصر ـ يومئذٍ ـ مولاه المعروف «**بتكين الحاجب**» رجلٌ تركيٌّ، فنفَر إلىٰ المغاربة وجاءه مددٌ من الشرق مع الخادم الملقب بـ «**مونس**» الأستاذ، فهرب منه أبو عبيد الله وحباسة وجنودهما.

وصُيِّر العيدُ لميكائيل الملك والذبائحُ، وإلىٰ اليوم القبطُ بمصر والإسكندرية يُعَيِّدون في هذا اليوم عيدَ ميكائيل الملاك، ويَذبحون فيه الذبائح الكثيرة، وكذلك المَلَكِيَّة يُعيِّدون في هذا اليوم عيد ميكائيل الملاك[5]،

---

(١) «تاريخ ابن البطريق» (ص١٢٤): «يتشَفَّع». وعيد ميكائيل المذكور أحد عيدَيْنِ كبيرَيْنِ تقيمهما الكنيسة القبطية للملك «ميخائيل أو ميكائيل» رئيس الملائكة ـ كما يدّعون ـ ويقع في الثاني عشر من شهر: «هتور»، الموافق للحادي والعشرين من «نوفمبر»، والآخر في الثاني عشر من «بؤونة» الموافق للتاسع عشر من «يونيو»، كما تقيم أعيادًا أخرىٰ تذكارية للملاك نفسه في الثاني عشر من كل شهر من شهور السنة القبطية. ينظر: «عجائب وميامر رئيس الملائكة ميخائيل» لسمعان السرياني: (ص/ ٩).

(٢) (ل): «سنه صليب»!

(٣) وقد أحرقت هذه الكنيسة في يوم الاثنين لثلاث خلون من شوال سنة ثلاثمائة، عند دخول المغاربة (القرامطة) إلىٰ الإسكندرية «تاريخ الكنائس والأديرة»: (١/ ١٥٢، ١٥٣).

(٤) كذا بالرفع، وجه صحيح. وانظر خبر حباسة في: «سير أعلام النبلاء»: (١٥/ ١٤١)، و«رفع الإصر»: (ص/ ٢٧٤)، و«المواعظ والاعتبار»: (١/ ٣٢٢)، (٢/ ١٤٣).

(٥) قوله: «ويذبحون فيه ... »الخ، ساقط من ل.

وصار رسمًا إلىٰ اليوم.

قال: فلما مَنع بتركُ الإسكندرية «**أريوسَ**» من دخول الكنيسة ولعَنَه، خرج «**أريوس**» مستعْدِيًا عليه ومعه أسقفان، فاستغاثوا إلىٰ «قسطنطين» الملك.

وقال «**أريوس**»: إنه تعدَّىٰ علي وأخرجني من الكنيسة ظلمًا.

وسأل الملك أن يُشْخِصَ «**الأكصندروس**» بَطْرَك الإسكندرية ليناظره قُدَّام الملك. فوجَّه «**قسطنطين**» برسول إلىٰ الإسكندرية فأشخص البَطرك، وجَمَع بينه وبين «أريوس» ليناظره، فقال «**قسطنطين**» «**لأريوس**»: اشرح مقالتك.

قال «**أريوس**»: أقول: إن الأب كان إذ لم يكن الابن، ثم إنه[1] أحدثَ الابنَ، فكان كلمةً له؛ إلا أنه محدَثٌ مخلوقٌ، ثم فوَّض الأمرَ إلىٰ ذلك الابن المسمَّىٰ كلمة، فكان هو خالق السماوات والأرض وما بينهما كما قال في إنجيله، إذ يقول: «**وَهَبَ لي سلطانًا علىٰ السماء والأرض**»[2] فكان هو الخالق لهما بما أُعطي من ذلك. ثم إن الكلمة تجسَّدت من مريم العذراء ومن روح القدس فصار ذلك مسيحًا واحدًا.

فالمسيح الآن معنيان: كلمةٌ وجسدٌ، إلا أنهما جميعًا مخلوقان.

قال: فأجابه عند ذلك بَطْرَك الإسكندرية، وقال: تُخبرنا الآن أيُّما أوجبُ علينا عندك، عبادةُ من خَلَقنا أو عبادة من لم يَخلقنا؟

قال «**أريوس**»: بل عبادة من خَلَقنا.

---

(١) (د) والمطبوعتان: «الله»، والمثبت من (ل) موافقًا مصدر النقل.

(٢) «متىٰ»: (٢٨: ١٨).

قال له البطرك: فإن كان خالقُنا الابنُ كما وصفتَ، وكان الابن مخلوقًا، فعبادة الابن المخلوق أوجبُ من عبادة الأب الذي ليس بخالق، بل تصير عبادةُ الأب ـ الخالقِ الابنَ[1] ـ كفرًا، وعبادةُ الابن المخلوق إيمانًا، وذلك من أقبح الأقاويل.

فاستحسن الملك وكلُّ من حضر مقالةَ البَطرك، وشَنُع[2] عندهم مقالةُ «**أريوس**»، ودار بينهما ـ أيضًا ـ مسائلُ كثيرة.

فأمر «**قسطنطين**» البَطرك «**الأكصندروس**» أن يلعن «**أريوس**» وكلَّ من قال بمقالته.

فقال له: بل يوجِّه الملك؛ يُشْخِص البطاركة والأساقفة حتىٰ يكون لنا مَجْمَع، ونضع[3] فيه قضية، ونلعن «**أريوس**» ونشرح الدِّين ونوضِّحه للناس.

فبعث «**قسطنطين الملكُ**» إلىٰ جميع البلدان فجمع البطاركة والأساقفة فاجتمع ـ في مدينة «**نيقية**» بعد سنة وشهرين ـ ألفان وثمانيةٌ وأربعون أسقفًا، وكانوا مختلفي الآراء مختلفي الأديان.

فمنهم من يقول: المسيح ومريم إلهان من دون الله، وهم «**المَرْيَمانيَّة**»، ويسمون «**المريميِّين**».

ومنهم من كان يقول: إن المسيح من الأب بمنزلة شُعلةِ نار تعلَّقت من شُعلة نار، فلم تَنقُص الأولىٰ لإيقاد الثانية منها، وهي مقالة «**سابليوس**»[4] وأشياعه.

---

(١) المطبوعتان: «للابن»، تصحيفٌ يُحيل المعنىٰ!

(٢) أي: قَبُح، والشَّناعة: الفظاعة.

(٣) (ل): «ويصنع».

(٤) في الأصول: «سبارينون»، والصواب ما أثبت من «تاريخ ابن البطريق» (ص١٢٦)، موافقًا لما في المصادر. و«سابليوس» (Sabellius) حكم عليه النصارىٰ بالزندقة؛ لنفيه التثليث والأقانيم، وقوله بالمذهب الانتحاليّ المذكور (ت٢٦١م). انظر: «تاريخ الفكر المسيحي»: (١/ ٥٩٤)، و«الموسوعة الكونية»: (١٣/ ٢٢٥).

ومنهم من كان يقول: لم تَحبلْ مريم لتسعة أشهر، وإنما مرَّ نور في بطن مريم كما يمرُّ الماء في الميزاب؛ لأن كلمة الله دخلتْ من أُذنها وخرجتْ من حيث يخرج الولد من ساعتها، وهي مقالة «**أليان**»[1] وأشياعه.

ومنهم من كان يقول: إن المسيح إنسانٌ خُلِق من اللاهوت كواحدٍ منا في جوهره، وإن ابتداء الابن من مريم، وإنه اصطُفي؛ ليكون مُخَلِّصا للجوهر الإنسيِّ، صَحِبتْه النعمةُ الإلهيةُ فحلَّت فيه بالمحبة[2] والمشيئة، فلذلك سمي «ابن الله» ويقولون: إن الله جوهرٌ واحدٌ وأقنومٌ واحدٌ، يسمُّونه بثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس، وهي مقالة «**بولص الشِّمْشاطي**» ـ بَطْرَك أنطاكية ـ وأشياعُه، وهم «**البوليانيون**»[3].

ومنهم من كان يقول بثلاثة آلهة لم تَزَل، صالح وطالح وعدل بينهما، وهي مقالة «**مَرْقِيُون**»[4] وأشياعه. وزعموا أن «**مَرْقِيُون**» رئيس الحواريين، وأنكروا «**بِطْرُس**» السليح.

ومنهم من كان يقول: ربُّنا هو المسيح، وهي مقالة «**بولس**» الرسول، ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا.

---

(١) في الأصول: «ألبان» بالموحدة، والمثبت من «تاريخ ابن البطريق» (ص١٢٦)، ومقالته في: «التخجيل»: (٢/ ٦٠٧) لأبي البقاء الهاشمي.

(٢) المطبوع: «المحبة»، خلاف الأصول والمصادر.

(٣) «تاريخ ابن البطريق» (ص١٢٦): «البوليقانيون»، وكلاهما صواب.

(٤) مرقيون ابن اسقف مدينة (سينوب) (Marcion of Sinope)، وقد تبرأ أبوه من مقالته في حدود (١٣٧م)، فذهب إلىٰ (روما) فاستقبلوه فترة، ثم طردوه عام (١٤٤م)، أسس كنيسة دامت عدة قرون، وله كتاب ـ لم يصلنا ـ: (التناقضات بين العهد القديم والعهد الجديد) وهذا ما دعاه للتغيير في الإنجيل ومخالفة النصارىٰ. «الموسوعة الكونية»: (٩/ ٤٦٦). وانظر مقالته في: «الملل والنحل»: (٢/ ٥٧).

قال: فلما سمع «**قسطنطين**» الملك مقالاتهم، عجب من ذلك وأخلىٰ لهم دارًا، وتقدَّم لهم بالإكرام والضيافة، وأمرَهم أن يتناظروا فيما بينهم؛ ليَنْظُر من معه الحقّ فيتّبعه.

فاتفق منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا علىٰ دين واحد ورأي واحد، فناظروا بقية الأساقفة المختلفين فأفلجوا[1] عليهم حججهم وأظهروا الدين المستقيم، وكان أيضًا باقي الأساقفة مختلفي الأديان والآراء.

وصَنع الملكُ للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفًا مجلسًا خاصًّا عظيمًا، وجلس في وسطه، وأخذ خاتمه وسيفَه وقضيبَه فدفعها إليهم، وقال لهم: قد سلَّطتُكم اليوم علىٰ المملكة، لتصنعوا ما بدا لكم، لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين.

فباركوا علىٰ الملك وقلَّدوه سيفه، وقالوا له: أَظهِر دين النصرانية وذُبَّ عنه.

ووضعوا له أربعين كتابًا، فيها السنن والشرائع، وفيها ما يصلح أن يعمل به الأساقفة وما يصلح للملك أن يعمل بما فيها.

وكان رئيس المَجْمع والمقدَّم فيه «**الأكصندروس**» بطريرك الإسكندرية، وبَطرك الإنطاكية، وأسقف بيت المقدس.

ووجَّه بَطْرَك رومية مِن عنده رجلين، فاتَّفقوا علىٰ نفي «**أريوس**» وأصحابِه ولعنوهم[2] وكلَّ من قال مقالتَه، ووَضعوا تلك[3] الأمانة، وثبَّتوا أن الابن مولود من الأب قبل كل الخلائق، وأن الابن من طبيعة الأب غير مخلوق.

---

(١) (ل): «فألحوا»، خلاف المصادر. و«أفلجوا حججهم» بمعنىٰ أَعْلَوْها وأظهروها.

(٢) (ل): «ولغيرهم»، تصحيف.

(٣) «تلك» سقط من (د، ط النيل).

واتفقوا علىٰ أن يكون فصح النصارىٰ في يوم الأحد الذي يكون بعد فصح اليهود، وأن لا يكون فصح اليهود مع فصح النصارىٰ في يوم واحدٍ، وثبَّتوا ما وضعه مَن تقدَّم ذكرُه[1] مِن حساب الصوم والفِصْح، وأن يكون فِطر النصارىٰ يوم فصحهم، يوم الأحد الذي يكون بعد فصح اليهود؛ لأن النصارىٰ ـ كما قلنا من قبل ـ كانوا إذا عيَّدوا عيد الحميم ـ وهو عيد الغطاس ـ صاموا من الغد أربعين يوما ويفطرون، فإذا كان عيد اليهود عيَّدوا معهم الفِصْح، فصيَّروا يوم الفِصْح للفطر.

ومنعوا أن يكون للأسقف زوجة، وذلك أن الأساقفة منذ وقتِ الحواريين إلىٰ مَجْمع الثلاثمائة وثمانية عشر كان لهم نساء؛ لأنه كان إذا صُيِّر[2] واحد أسقفا وكانت له زوجة، تبيت معه ولم تتنح عنه، ما خلا البطاركة، فإنه لم يكن لهم نساء، ولا كانوا ـ أيضا ـ يُصيِّرون أحدًا بَطركًا له زوجة.

قال: وانصرفوا مكرَمين محظوظين، وذلك في سبع عشرة[3] سنة من مُلك «قسطنطين».

قال: وسَنَّ «قسطنطين» الملكُ ثلاثَ سنن[4]:

إحداها[5]: كسر الأصنام، وقتلُ كلِّ من يعبدها.

والثانية: أن لا يُثْبَتَ في الديوان إلا أولاد النصارىٰ، ويكونون أمراء وقوَّادًا.

---

(١) يعني البطاركة الثلاثة؛ بَطْرَك الإسكندرية، وانطاكية، وبيت المقدس.
(٢) المطبوع: «اختير»، خلافًا للأصول.
(٣) كذا عامة الأصول، وفي «تاريخ ابن البطريق» (ص١٢٦): «تسع عشرة».
(٤) ط. النيل: «سنين».
(٥) المطبوع: «أحدها»!.

والثالثة[١]: أن يُقيم الناسُ جمعةَ الفِصْح والجمعة التي بعدها لا يعملون فيها عملًا، ولا يكون فيها حرب.

قال: وتقدم «**قسطنطين**» إلىٰ أسقف بيت المقدس أن يَطلُب موضعَ المقبرة والصليب، ويَبني الكنائسَ، ويبدأ ببناء القيامة المقدسة.

فقالت «**هيلانة**» أم «**قسطنطين الملك**»[٢]: إني نذرتُ أن أَصير إلىٰ بيت المقدس فأطلبَ المواضع المقدَّسة فأبنيَها، فدفع الملكُ إليها أموالًا كثيرةً جزيلةً.

وسارتْ إلىٰ بيت المقدس مع أسقف بيت المقدس، فلما وصلتْ لم يكن لها حرصٌ ولا همة[٣] إلا طلب الصليب.

فجمعت اليهود والسكان في بيت المقدس، واختارتْ منهم عشرة، ومن العشرة ثلاثةً، وكان[٤] واحدٌ منهم يقال له: «**يهوذا**» فسألتْهم أن يَدلُّوها علىٰ موضع الصليب فامتنعوا، وقالوا: ليس عندنا علمٌ منه ولا خبرةٌ بالموضع.

فأمرتْ بهم فطرحتْهم في جبٍّ ليس فيه ماء، فأقاموا سبعة أيام لم يُطعَموا ولم يُسقَوا، فقال أحدُهم -الذي اسمه «**يهوذا**» - لصاحبَيْه: إن أباه عرَّفه بالموضع الذي تطلب هذه المرأة، وإنَّ جدَّه عرَّف أباه.

فصاح الاثنان من الجبِّ: أخرِجونا حتىٰ نُعلِم الملِكة بحال هذا الرجل.

فأخرَجوهم، فأخبروا الملِكة بما قال لهما «**يهوذا**» فأمرتْ بضربه بالسياط

---

(١) (ل): «والثالث».

(٢) (ل): «للملك».

(٣) (ل): «ولا غمة».

(٤) (ل): «قِسَّان»، تصحيف.

فأقرَّ أنه يعرف الموضع، فخرج حتىٰ جاء إلىٰ الموضع الذي فيه المقبرة والإقرانيون[1] -وكانت مزبلة عظيمة هناك- فصلَّىٰ وقال: اللهم إن كان في هذا الموضع المقبرةُ فأسألك أن تزلزل المكان وتُخرِجَ منه دخانًا حتىٰ أؤمن[2]، فزُلزِل الموضعُ وخرَج منه دخانٌ كما سأل، فآمن.

فأمرتْ «هيلانة» بِكَنْس الموضع من التراب، فظهرت المقبرةُ والإقرانيون، ووُجد ثلاثة صلبان، قالت «هيلانة» كيف لنا أن نَعلم بصليب السيد المسيح؟ وكان بالقُرْب منهم عليلٌ شديد العلة قد يُئِس منه، فوُضِع الصليبُ الأول عليه والثاني، والثالثُ فقام المريض وليس به شيءٌ يكره.

فعلمتْ «هيلانة» أنه الصليب الذي لسيدنا المسيح، فجعلتْه في غلاف من ذهب، وحملتْه معها، وجمَّلْته بما تقدر عليه، وأظهرتْ كلَّ ما كان مدفونًا من آثارِ سيدنا المسيح، وحملَتْه إلىٰ ابنها «قسطنطين»، وبَنَتْ «كنيسةَ القيامة» في موضع الصليب والإقرانيون، وكنيسةَ «قسطنطين»، وانصرفتْ وأمرتْ أسقف بيت المقدس أن يبني باقي الكنائس، وذلك في اثنتين وعشرين سنة من ملك «قسطنطين».

قال: فمن ميلاد سيدنا المسيح إلىٰ أن وُجِد الصليب ثلاثمائة وثمانية وعشرون سنة.

وذكر أنه بعد هذا اجتمعوا بمَجْمَع عظيم ببيت المقدس، وكان معهم

---

(١) «الإقرانيون» أو «كرانيون» (كرانيون) لفظ يوناني، يرادِفُه: (جُلْجُثة) بالعبرانية، ومعناه: مكان الجمجمة ـ أي جمجمة آدم عليه السلام كما يدَّعون ـ، أو مكان اجتماع الجماجم المصلوبة، وهو موضع الصخرة أو التلّ الذي يعتقد النصارىٰ أن المسيح صُلِب عليه، ويقع قريبًا من القدس، خارجَ أسوارها.

(٢) (ل): «نؤمن»، ولم تحرّر في (د)، والمثبت من «تاريخ ابن البطريق».

رجل قد دسَّه بَطْرَك القسطنطينية وجماعة معه ليسألوا بَطْرَك الإسكندرية، وكان هذا الرجل لما رجع إلىٰ الملِك أظهرَ أنه مخالفٌ لأريوس، وكان يرىٰ رأيَه ويقول بمقالته.

فقام هذا الرجل واسمه «**مانيوس**»[(١)] فقال: إن «**أريوس**» لم يقل إن المسيح خَلق الأشياء، ولكنه قال: به خُلقت الأشياء؛ لأنه كلمةُ الله التي بها خَلق السماوات والأرض، وإنما خَلق الله الأشياءَ بكلمته، ولم تَخلُق الأشياءَ كلمتُه.

كما قال سيدنا المسيح في الإنجيل المقدَّس: «**كلٌّ بيده كان، ومِن دونه لم يَكن شيء**»[(٢)]. وقال: «**به كانت الحياة، والحياة نور البشر**»[(٣)]. وقال: «**في العالم [كان]**[(٤)]**، والعالَم به تَكَوَّن**»[(٥)] فأَخبر أن الأشياء به تكوَّنتْ ولم يخبر أنها كونٌ[(٦)] له. **قال**: فهذه كانت مقالة «**أريوس**»، ولكن الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا تعدَّوا عليه وظلموه[(٧)] وحرموه ظُلمًا وعدوانًا.

فردَّ عليه بَطْرَك الإسكندرية وقال: أما «**أريوس**» فلم يكذب عليه الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا ولا ظلموه؛ لأنه إنما قال: إن الابن خالق الأشياء دون الأب. وإذا كانت الأشياء إنما خُلقت بالابن دون أن يكون الأب لها خالقًا، فقد يجب أن يكون ما خلق منها شيئًا، وفي ذلك تكذيب للمسيح، قوله:

---

(١) (ل): «قانيوس»، وفي «تاريخ ابن البطريق» (ص١٣١): «اومانيوس».

(٢) «يوحنّا»: (١: ٣)، من قوله، وليس منسوبًا فيه إلىٰ المسيح، وكذا القولان بعده.

(٣) «يوحنَّا»: (١: ٤).

(٤) ما بين المعكوفين من «تاريخ ابن البطريق»: (ص١٣١).

(٥) «يوحنّا»: (١: ١٠).

(٦) المطبوعتان: (كُوِّنَتْ له).

(٧) «وظلموه» ليس في (ل).

«الأب يخلق وأنا أخلق»[1]، وقال: **«إن أنا لم أعمل عمل أبي فلا تصدقوني»**[2]، وقال: **«كما أن الأب يحيي من يشاء ويميته، كذلك الابن يحيي من يشاء ويميته»**[3].

فدلَّ علىٰ أنه يحيي ويخلق، وفي هذا تكذيبٌ لمن زعم أنه ليس بخالق وإنما خُلقتْ به دون أن يكون خالقًا لها[4].

وأما قولك: إن الأشياء كونت به؛ فإنا لما[5] كنا لا نشك أن المسيح حيٌّ فعَّال، وكان قد دل بقوله: إني[6] أفعل الخلق والحياة= كان قولك: **«به كوِّنت الأشياء»**، إنما هو راجع في المعنىٰ إلىٰ أنه كَوَّنها فكانت[7] مُكوَّنةً، ولو لم يكن ذلك كذلك لتناقض القولان.

قال: ورَدَّ عليه ـ أيضا ـ فقال: أما قول من قال من أصحاب **«أريوس»**: إن الأب يريد الشيء فيكوِّنه الابن، والإرادة للأب والتكوين للابن = فإن ذلك يَفسُد أيضا؛ إذ[8] كان الابن عنده مخلوقًا، فقد صار حظُّ المخلوق في الخلق أوفىٰ من حظِّ الخالق فيه، وذلك أنَّ هذا أراد وفَعَل، وذاك أراد ولم يَفعل، فهذا أوفر حظًّا في فعله من ذاك، ولا بدَّ لهذا أن يكون في فعله لِـمَا يريد ذلك بمنزلة كلِّ فاعل من الخلق لِـمَا يريد الخالق منه، ويكون حكمه كحكمه في الجَبْر

---

(١) «يوحنّا»: (٥: ١٧).
(٢) «يوحنّا»: (١٠: ٣٧).
(٣) «يوحنّا»: (٥: ٢١).
(٤) في النسخ: «له»، والمثبت من «تاريخ ابن البطريق»: (ص١٣١).
(٥) (ل): «فإنا لأنا»، والمطبوع: «فإنما كنا»، والصواب المثبت من (د، ط. النيل).
(٦) المطبوع: «إنما»!
(٧) المطبوعتان زيادة: «به»، وليس في النسخ الخطية.
(٨) (ل): «إذا».

والاختيار، فإن كان مجبورًا[1] فلا شيءَ له في الفعل، وإن كان مختارًا فجائزٌ أن يُطاع، وجائزٌ أن يُعصىٰ، وجائزٌ أن يثاب، وجائزٌ أن يعاقب، وهذا أشنع في[2] القول.

قال: ورَدَّ عليه ـ أيضا ـ وقال: إن كان الخالقُ إنما خلق خلقَه بمخلوق، فالمخلوق غيرُ الخالق بلا شك، فقد زعمتم أن الخالق يَفعل بغيره، والفاعلُ بغيره محتاج إلىٰ متمِّمٍ ليفعل به؛ إذ كان لا يَتمُّ له الفعلُ إلا به، والمحتاج إلىٰ غيره منقوصٌ، والخالق يتعالىٰ عن هذا كله.

قال: فلما دَحض بَطْرَك الإسكندرية حججَ أولئك المخالفين، وظهر لمن حضر بطلانُ قولهم، تحيَّروا وخجِلوا، فوثبوا علىٰ بَطْرَك الإسكندرية فضربوه حتىٰ كاد أن[3] يقتل، فخلَّصه من أيديهم ابن أخت «**قسطنطين**»، وهَرَب بَطْرَك الإسكندرية المحتجُّ علىٰ أصحاب «**أريوس**»، وصار إلىٰ بيت المقدس من غير حضورِ أحدٍ من الأساقفة، ثم أصلح دهن الميرون[4] وقدَّس الكنائس ومسحها بدهن الميرون، وسار إلىٰ الملك فأعلمه بالخبر فصرفه الملك إلىٰ الإسكندرية.

---

(١) المطبوع: «مجهولا»، تصحيف.
(٢) «في» ليس في (ل).
(٣) المطبوع زيادة: «أن»، وليس في النسخ.
(٤) أي الطيب المقدّس.

فصـل

قال: وأمر الملك أن لا يَسكن يهوديٌّ بيت المقدس ولا يَجُوزَ بها، ومن لم يتنصَّر يُقتل. فتنصَّر من اليهود خلقٌ كثير، وظهر دينُ النصرانية.

فقيل لـ «**قسطنطين الملك**»: إن اليهود يتنصَّرون مِن فزَع القتل وهم علىٰ دينهم. قال الملك: كيف لنا أن نعلم ذلك منهم؟

قال «**بولس البَتْرك**»[(١)]: إن الخنزير في التوراة حرامٌ، واليهود لا يأكلون لحم الخنزير، فأْمُر أن تُذبحَ الخنازيرُ وتُطبخَ لحومُها، ويُطْعَم[(٢)] منها، فمن لم يأكل منه علمنا أنه مُقِيمٌ علىٰ دين اليهودية.

فقال الملك: إذا كان الخنزير في التوراة حرامًا، فكيف يجوز لنا أن نأكلَ لحم الخنزير ونُطْعِمَه الناس؟

فقال له «**بولس البَتْرك**»: إن سيدنا المسيح قد أَبطل كل ما في التوراة، وجاء بناموس آخر وبتوراة جديدة وهو الإنجيل، وفي إنجيله المقدّس: «أن كلَّ ما يدخل البطن ليس بحرام ولا يُنْجِس، وإنما يُنْجِس الإنسانَ الذي يخرُج من فِيهِ»[(٣)].

وقال «**بولس الرسول**» في رسالته[(٤)] الأولىٰ: «**الطعام للبطن، والبطن**

---

(١) بولس (Paul I of Constantinople): بَطْرَك الاسكندرية، عاش ما بين (٣٠٠م ـ ٣٥٠م)، كان عدوًا لأتباع (آريوس)، نُحّي ونُفي، ورجع مرات عديدة. مات خنقًا. «الموسوعة الكونية»: (١١/ ٢٣٨).

(٢) المطبوعتان: «تطعمهم»، خلاف النسخ.

(٣) «متّىٰ»: (١٥: ١١، ١٨)، و«مرقس»: (٧: ١٥) (٧: ١٨ ـ ٢٣).

(٤) المطبوعتان زيادة: «إلىٰ أهل مدينة فورينيوس»، وفي (ل): «رسالته لما ولي» تصحيف. وعند ابن البطريق: «مدينة قرنثية». والنص في «كورنثوس الأولىٰ»: (٦: ١٣).

للطعام، [والله يُبْطِل كلاهما]»[1].

ومكتوبٌ في «**الإبْرِكْسِس**» -يعني أخبار الحواريين[2]-: «أن «**بِطْرُس**» رئيس الحواريين كان في مدينة «**يافا**»[3] في منزلِ رجل دبَّاغ يقال له: «**سِيمون**»، وأنه صعد إلىٰ المنزل ليصلي وقتَ ستِّ ساعاتٍ من النهار، فوقع عليه سباتٌ فنظر إلىٰ السماء قد تفتَّحت، وإذا إزار قد نزل من السماء حتىٰ بلغ الأرض، وفيه كلُّ ذي أربعِ قوائمَ علىٰ الأرض من السِّباع والذئاب[4] وغير ذلك من طير السماء.

وسمع صوتًا يقول له: «**يا بِطْرُس، قم فاذبح وكُل**»، فقال بِطْرُس: يا ربِّ ما أكلتُ شيئًا نجسًا قطُّ ولا وسِخا قطُّ. فجاء صوتٌ ثانٍ: «**كلُّ ما طهَّره الله فليس بنجس**»، وفي نسخة أخرىٰ: «**ما طهَّره الله فلا تنجِّسه أنت**»، ثم جاء الصوت بهذا ثلاث مرات، ثم إن الإزار ارتفع إلىٰ السماء»[5]. فعجِب «**بِطْرُس**» وتحيَّر فيما بينه وبين نفسه.

فبهذا المنظر وبما قال سيّدنا المسيح في إنجيله المقدس= أَمر «**بِطْرُس**» و«**بولس**» أن نأكلَ كلَّ ذي أربع قوائم من الخنزير وغيره من جميع الحيوان حلالًا لنا.

---

(١) ما بين المعكوفين بياض في الأصول، أُثبت من مصدر النقل، موافقًا للترجمات، سيما ترجمة (الآباء الدومنكان). وفي المطبوعتين: «الطعام للبطن آلته بها، والبطن للطعام، وله يلعن» خلاف المصادر!

(٢) وهو سفر أعمال الرسل.

(٣) مدينة فلسطينية ساحلية مشهورة، وفيها بيتٌ يقال إن القديس بِطْرُس كان قد سكنه. «الموسوعة الإيطالية»: (١٦/ ٩٤٥).

(٤) في «تاريخ ابن البطريق» (ص١٣٣): «الذُّباب»! وضمير «فيه» عائد للإزار، وهو المِلاءة من قماشٍ كالإناء الكبير.

(٥) «أعمال الرسل»: (١٠: ٩ ـ ١٧)، (١١: ٩).

فأمر الملك أن تُذبح الخنازير وتُطبخ لحومها وتُقطَّع صغارًا صغارًا، وتُصيَّر علىٰ أبواب الكنائس في كلِّ مملكته يومَ أَحدِ الفِصْح، وكلُّ من خرج من الكنيسة يَلْقُم[1] لُقْمةً من لحم الخنزير، فمن لم يأكل منه يُقتل، فقُتِل لأجل ذلك خلقٌ كثير.

قال سعيد[2]: وكان لـ «**قُسطنطين**» ثلاثة أولاد[3]؛ أكبرهم «**قُسطنطين بن قُسْطنطين**»[4]، وذلك حين مَلَك «**أزدشير بن سابور بن هُرْمز**» علىٰ الفرس، ومَلَك بعده «**سابور بن سابور**» لخمس سنين من مُلك «**قسطنطين**».

قال: وفي ذلك العصر اجتمع أصحاب «**أريوس**» وكلُّ من قال بمقالته إلىٰ الملك «**قسطنطين**»، فحسَّنوا[5] له دينَهم ومقالتهم، وقالوا: إن الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا الذين كانوا اجتمعوا بنيقية قد أخطأوا وحادُوا عن الحق في قولهم: إن الابن متّفق مع الأب في الجوهر، فتأمر أن لا يقال هذا، فإنه خطأٌ، فأراد الملك أن يفعل ذلك.

---

(١) (ل): «لُقِّم».

(٢) في «تاريخه»: (ص١٣٥).

(٣) قسطنطين الثاني، وقسطس، وقسطنتيوس، كذا في «تاريخ ابن البطريق»: (ص/ ١٣٤)، وفي «الموسوعة الكونية»: (٤/ ٥٨٧ ـ ٥٨٩): (قسطنطين الثاني، وقنسطنس، وقسطس).

(٤) تقدمت الإشارة إليه.

تنبيه: ما ذكره المصنف هنا ـ تبعًا لابن البطريق ـ من نسبة الأحداث الآتية حتىٰ قوله: «وله في الملك أربع وعشرون سنة»: إلىٰ «قسطنطين بن قسطنطين» = فيه نظر، ولعل الصواب: «قسطس بن قسطنطين» (Constantius II) (أخوه الأوسط) ـ كما في المصادر ـ؛ فإن (قسطس) هو مَن مَلَك (٢٤) سنة، ما بين (٣٣٧م ـ ٣٦١م)، وكان مؤيدًا للأريوسية، وأقام مجامع لحلِّ الاختلاف الديني، منها: (آرلس ٣٥٣م، وميلانو ٣٥٥م، وريميني ٣٥٩م).

أما «قسطنطين» فقد حَكَم الغال وبريطانيا (٤) سنين فقط أو أقل (٣٣٧م ـ ٣٤٠م)، كما تقدم في ترجمته. وانظر: «المختصر في أخبار البشر»: (١/ ٦٤)، و«الموسوعة الكونية»: (٤/ ٥٩٥).

(٥) المطبوع: «فحملوا»!

قال: وفي ذلك العصر ظهر علىٰ «**الإقرانيون**» ـ وهو الجُلْجُلة[1]، نصف النهار ـ صليبٌ من نورٍ من الأرض إلىٰ السماء، يفوق ضوءه ضوءَ الشمس، فكان يبلغُ إلىٰ «**طور زَيْتَا**»[2] فرأىٰ ذلك كلُّ مَن كان في بيت المقدس من كبير وصغير[3].

فكتب أسقف بيت المقدس[4] إلىٰ «**قسطنطين بن قسطنطين**» بالخبر وقال: في أيام أبيك السعيد ظَهر صليبُ كواكب من السماء في نصف النهار، وفي أيامك ظهر أيها الملك علىٰ «**الإقرانيون**» صليبٌ من نور يفوقُ نورُه نورَ الشمس في نصف النهار.

وكتب إليه أن لا يَقبل قول أصحاب «**أريوس**» فإنهم حائدون عن الحق كفار، قد لعنهم الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا، ولعَنوا كلَّ من يقول بمقالتهم. فَقَبِل[5] قوله.

قال: وفي ذلك الوقت غَلبتْ مقالة «**أريوس**» علىٰ قسطنطينية وأنطاكية وبابل والإسكندرية. فسُمِّي التابعون لأريوس والقائلون بمقالته: «**أريوسيين**»،

---

(١) كذا في النسخ ومصدر النقل، والمشهور: «جُلْجُثة» كما في «متّىٰ»: (٢٧: ٣٣)، و«مرقس»: (١٥: ٢٢)، و«يوحنّا»: (١٩: ١٧). وجمع بينهما في «دائرة المعارف»: (١/ ١٣). و«جُلْجُثة» عِبْري؛ وهو ـ علىٰ حدّ زعمهم ـ موضع صلْب المسيح، كما مرّ بيانه قريبًا.

(٢) جبل ببيت المقدس، مُشْرِفٌ علىٰ المسجد، علىٰ رأسه شجر زيتون يسقىٰ بماء المطر، ولذلك سمي «طور زيتا»، يقال: منه رفع عيسىٰ، وعنده قبور الأنبياء. ينظر: «فضائل القدس» لابن الجوزي: (ص/ ٧٠)، و«معجم البلدان»: (٤/ ٤٧)، و«إتحاف الأخِصَّا»: (١/ ٢٢١).

(٣) انظر: «التنبيه والإشراف»: (ص/ ١١١)، و«تاريخ الأنطاكي»: (ص/ ٢٨٠).

(٤) «كيرللس» أو «كورللس»: (Cyril of Jerusalem) (٣١٥م ـ ٣٨٦م)، أسقف بيت المقدس من (٣٤٨م) إلىٰ (٣٨٦م) تخللها نفي عدة مرات، وكان مِن أهم مَن مثّل الأرثوذكس والكاثوليك في «مجمع القسطنطينية» (٣٨١م). «الموسوعة الكونية»: (٤/ ١٦١).

(٥) المطبوع: «فقيل»!

مشتقًا من اسمه.

قال: وفي ثاني سنة من ملك «**قسطنطين**» صُيِّر علىٰ أنطاكية بَطْرَك أريوسي، ثم بعده آخر أريوسي، ثم بعده آخر مَناني، وصُيِّر علىٰ قسطنطينية بترك مناني[1].

قال ففي عشر سنين من مُلكه صُيِّر علىٰ قسطنطينية بَطركٌ، وكان يقول: روح القدس مخلوقة، أقام[2] عشرَ سنين ومات.

ونُقِل بعد ذلك بَطْرَك أنطاكية فصُيِّر علىٰ قسطنطينية، وكان منانيًّا.

قال: وأما أهل مصر والإسكندرية فكان أكثرهم «**أريوسيين**» و«**منانيين**» فغَلبوا علىٰ كنائس مصر فأخذوها، ووثبوا علىٰ بترك الإسكندرية ليقتلوه فهرب منهم واستخفىٰ، وصَيَّروا علىٰ إسكندرية بتركًا منانيًّا.

وفي ذلك الزمان قدِم من القسطنطينية إلىٰ الإسكندرية قائد، وكان أريوسيًا، فنفىٰ الملَكي، وأقام بَطركًا أريوسيًّا.

فلما خرج القائد قَتل الملَكيُّون ذلك البَتْركَ الأريوسيَّ وأحرقوه بالنار.

ومات الملك «**قسطنطين بن قسطنطين**» وله في الملك أربع وعشرون سنة.

وملَك بعده «**يوليانوس**»[3] الملك الكافر علىٰ الروم سنين، وأراد أن يَرُدَّ الناس إلىٰ عبادة الأصنام، وقَتل من الشهداء خلقًا كثيرًا.

---

(١) كذا عند المصنف مختَصَرًا، وفي «تاريخ ابن البطريق» (ص١٣٥): أربعة أريوسيّون، بعدهم اثنان منانيَّان.

(٢) المطبوعتان: «وأقام».

(٣) «يوليانوس» (Julian): الملقب «بالمرتد»، ابن أخي «قسطنطين» لأبيه. عاش ما بين (٣٣١م ـ ٣٦٣م)، ونشأ علىٰ حب الوثنية رغم تعميده النصراني، ثم تعمق في الفلسفة وارتدّ سنة (٣٥١م)، ووصلت بعض مؤلفاته. تمرد علىٰ «قسطس الثاني»، وصار امبراطورًا بعد موته سنة (٣٦١م)، وأراد إعادة الوثنية، ونظّمها محاكيًا تنظيم الكنيسة، ومات مقتولًا. «الموسوعة الكونية»: (٧/ ٢١٤).

وفي أول سنة من مُلكه وثَبَ الأريوسيون ببيت المقدس علىٰ أسقفها الملكي ـ الذي كَتَب بظهور الصليب ـ ليقتلوه فهرب منهم، فصَيَّروا أسقفًا أريوسيًا.

قال: وفي ثاني سنة من مُلكه، صيّر علىٰ «**أنطاكية**» بطركًا علىٰ الأمانة، أقام خمسًا وعشرين سنة.

وفي إحدىٰ وعشرين سنة من رياسته، كان المَجْمَع الثاني بقسطنطينية[1].

قال: وكان في عصره أهل مدينة «**نيريار**»[2] كلهم صابئون، فوَضع أسقف «**نيْريار**»[3] «**ميمرًا**» في ميلاد المسيح، ويقول في ابتداء الميمر[4]: «**المسيح**[5] **وُلد مختونًا**[6]، [**فخذوا المسيح من السماء، واستقبِلوه علىٰ الأرض**».

فلما قرأه عليهم استهزأوا به، وأقبلوا يضحكون منه، فلما كان عيدُ الحميم، وَضَع «ميمرًا» في عيد الحميم][7]، هَتَك فيه دينَ الصابئين وفضَحَهم فيه، ومكَّن فيه دين النصرانية.

---

(١) سنة (٣٨١م).

(٢) (ل): «نيربار»، وعند ابن البطريق (ص١٣٧): «نازياز».

(٣) «نيريار» سقط من (ل).

(٤) المطبوع: «ابتدائه»، خلاف النسخ الخطية ومصدر النقل.
و(الميمر) سريانيٌّ، أصله: موعظة حسنة من الإنجيل تلحَّن في الصلوات، ثم أطلق علىٰ الرسالة والبحث والمقالة، وبه وُسِم بعض التآليف. «تكملة المعاجم العربية»: (١٠/ ١٤٥).

(٥) المطبوعتان: «السيد»، خلاف النسخ والمصادر.

(٦) هامش (د): «حاشية: وفي الإنجيل أن يوسف ــ رجل مريم ــ ختَن المسيح في الثامن، وهذا هو المعروف عند النصارىٰ».

(٧) ما بين المعكوفين ساقط من النسخ الخطية، أثبتناه من مصدر النقل: «تاريخ ابن البطريق» (ص١٣٧).

قال: وكان في عصر «**يوليانوس**» الملك الكافر أول راهب سكن بريّة مصر وبنىٰ الديارات وجمع الرهبان[1].

وكان آخر بالشام وهو أول من سكن برِّيّة «**الأردن**»، وجَمَع الرُّهبان وبنىٰ الدِّيارات[2].

قال: وخرج هذا الملك الكافر لقتال «**سابور**» ملك الفرس، فلسوء مذهبه ورداءةِ دينه وما أراد أن يأخذ بعبادة الأصنام؛ ظَفر به ملك الفرس فقتَلَه، وقَتَل مِن أصحابه مقتلةً عظيمةً.

وذكر أسقف «**قيسارية**» أنه كان جالسًا في محرابه، وحِذاؤه لوحٌ فيه صورةُ «**ماري مركورس الشاهد**»[3]، فنظر إلىٰ اللَّوح فلم ير فيه صورةَ الشَّاهد، فعجِب من ذلك؛ إذ غابتْ فلم يكن إلا ساعة حتىٰ عادت صورة الشاهد إلىٰ اللّوح، وفي طرف الحرْبة المصوَّرة التي في يد الشاهد شبيهٌ بالدم، فتعجَّب من ذلك وبقي متحيِّرًا حتىٰ بلَغه أن الملك الكافر قُتل في الحرب، فعَلِم أن «ماري مركورس» الشاهد قَتَله[4]؛ لشدَّة بغضه الذي[5] كان للنصارىٰ، وما كان عَزَمَ

---

(١) وهو الأنبا «أنطونيوس أو أنطوني= أنتوني»، ولد في محافظة «بني سويف» في مصر سنة: (٢٥١م) وتوفي سنة: (٣٦٥م). «تاريخ الكنيسة القبطية»: (ص/ ١٤١ ـ ١٤٩).

(٢) وهو الأنبا «هيلاريون أو إيلاريون»، ولد في «غزّة» سنة: (٢٩٢م)، ثم انتقل إلىٰ الإسكندرية ليتعلم الفلسفة والمنطق، تعلم علىٰ يد القديس أرشيلاوس ثم لازم القديس «أنطونيوس مصر»، (ت٣٧٢م). «القديس إيلاريون الكبير، أب رهبان فلسطين»، لأنطون فهمي جورج.

(٣) أي: الشهيد، ووقع في «تاريخ ابن البطريق» (ص١٣٨): «مرقوريوس الشهيد»، وكذا المواضع بعده، وهو المشهور.

و«مار مرقس» قدِّيس، أحد السبعين رسولًا الذين اختارهم المسيح للخدمة، ولد في «القيروان» بليبيا، ونشأ في فلسطين، وتربطه قرابة مع بِطْرُس الرسول وبرنابا الرسول، وهو أول بطارقة الكنيسة القبطية، وإليه تنسب، قُتل في الإسكندرية سنة: (٦٥م). «تاريخ الكنيسة القبطية»: (ص/ ١١).

(٤) أي قَتَل الملكَ الكافرَ «يوليانوس»، المتقدِّم ذكره.

(٥) «الذي» ساقط من (ل).

عليه من عبادة الأصنام.

وذكر بعد هذا جماعةً من البتاركة والأساقفة، كان بعضهم أريوسيًا وبعضهم منانيًا وبعضهم ملكيًا، وذكر فِتَنًا بينهم وتعصُّبَ كلِّ طائفةٍ لبتركها، حتىٰ يقتل بعضُهم بعضًا وينفي بعضُهم بعضًا.

وذكر أنه اختلفتْ آراء النصارىٰ وكثُرتْ مقالاتُهم وغَلبتْ عليهم مقالةُ «**أريوس**»، وأنهم ملَّكوا عليهم ملكًا اسمه: «**ثذوس**»[1]، وأن الوزراء والقوَّاد اجتمعوا إليه، ذاكرين أن مقالات الناس اختلفتْ وفسدتْ وغَلَبَ[2] عليهم مقالة «**أريوس**» و«**مقدونيوس**»[3] فينظرُ الملِكُ في هذا ويذُبّ عن النصرانية ويوضِّح الأمانةَ المستقيمة.

وكَتَبَ إلىٰ بَطْرَك إسكندريةَ وأنطاكيةَ وروميةَ وأسقفِ بيت المقدس فحضَروا مع أساقفتهم بقسطنطينية، إلا بَطْرَك رومية، فإنه كَتَب وأنفذَ بالأمانة المستقيمة.

فاجتمع بقسطنطينية مائةٌ وخمسون أسقفًا، وكان المقدَّم البطاركة الثلاثة[4]، فدَفع الملكُ إليهم كتابَ بَطْرَك رومية، فكان صحيحًا موافقًا.

---

(١) في «تاريخ ابن البطريق» (ص١٤٤): «ثاوذسيوس».
وهو (ثذوس) الأول، (Theodosius I)، عاش ما بين (٣٤٧م ــ ٣٩٥م)، وملَك من (٣٧٨م)، وأصدر في (٣٨٠م) مرسوم (سالونيك) القاضي بأن النصرانية ــ حسب عقيدة مجمع نيقية ـ هي دين الدولة، مضيّقا علىٰ المخالفين، ثم في مجمع القسطنطينية المسكوني عام (٣٨١م) أعاد تكفير الأريوسية، وفي (٣٩٢م) أصدر (مرسوم القسطنطينية) يمنع فيه ممارسة الوثنية حتىٰ علىٰ المستوىٰ الفردي. «الموسوعة الكونية»: (١٤/ ٧٣٣).

(٢) المطبوعتان: «غلبتْ»، وكلاهما متَّجه.

(٣) (ح): «مقدينوس»، (ل): «مقدونوس»، و«هداية الحيارىٰ» (ص٤١٠): «مكدونيس»، وكلها متقاربة، وقد تقدمت ترجمته.

(٤) بَطْرَك الاسكندرية، وانطاكية، وبيت المقدس.

[ثم نظروا في مقالة مقدونيوس][1]، وكان يزعم أن روح القدس [ليس بإله][2]، ولكن مخلوقٌ مصنوعٌ.

فقال بَطْرَك الإسكندرية: ليس روح القدس - عندي معنىٰ[3] - غير حياته، فإذا قلنا: إن روح القدس مخلوق، فقد قلنا: إن حياته مخلوقة، وإذا قلنا: إن حياته مخلوقة، فقد زعمنا أنه غيرُ حيٍّ، وإذا زعمنا أنه غيرُ حيٍّ، فقد كفرْنا، ومن كفر وَجب عليه اللعنُ. فاتفقوا علىٰ لعن «**مقدينوس**»، فلعنوه وأشياعَه، ولعنوا البطاركةَ الذين كانوا - بعده - يقولون بقوله، ولعنوا أسقف «**لونية**» وأشياعَه[4] [ولعنوا «**بوليناريوس**» وأشياعَه][5]؛ لأنه كان يقول: إن الأب والابن وجهٌ واحد، ولعنوا «**بوليناريوس**» وأشياعَه؛ لأنه كان يقول: إن جسد سيدنا المسيح بغير عقل[6].

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من مصدر النصِّ: «تاريخ ابن البطريق» (ص١٤٥) يقتضيها المقام.

(٢) عامة النسخ الخطية والمطبوعة: «روح القدس إله»، تصحيفٌ يحيل المعنىٰ، وينقضه ما بعده! والمثبت من مصدر النقل: (ص١٤٥)، وهو ما قرّره المصنف في صدر هذا الجزء. وعليه تواطأت المصادر، من أن الروح القدس عنده ليس بإله، ولكنه مخلوق مصنوع. انظر: «تاريخ الكنيسة القبطية»: (ص/ ٢١١)، و«محاضرات في النصرانية»: (ص/ ١٣٢، ١٦٩).

(٣) كذا عامة الأصول، ولعلها «بمعنًىٰ» كما عند ابن البطريق، أو يكون ما قبلها «لروح»، أو مقحمة كما هو في «هداية الحيارىٰ»: (ص٤١٠).

(٤) (ل): «وأشباهه»، وكذا ما بعده. وفي «تاريخ ابن البطريق» (ص١٤٥): «أسقف لوبية».

(٥) ما بين المعكوفين مقحم في عامة النسخ، وليس في مصدر النصّ.
و«بوليناريوس» أو: (أبوليناريوس) (Apollinaris): أسقف اللاذقية، عاش ما بين (٣١٠م - ٣٩٠م)، مؤسس مذهب ينسب إليه، وأنكر وجود نفس بشرية في المسيح، وألّف كتبًا منها: (البرهان علىٰ التجسّد الإلهي). كُفِّر باستمرار بين السنوات: (٣٧٧م - ٣٨١م) من أجل عقيدته التجسّدية. «الموسوعة الكونية»: (١/ ٥٦٠).

(٦) عامة النسخ الخطية والمطبوعة: «فِعْل»، والمثبت من «تاريخ ابن البطريق» (ص١٤٥)، ويؤكده قوله بعد سبعة أسطر: «وثبّتوا أن جسد سيدنا المسيح بنفس ناطقة **عقلية**».

وثبَّتوا أن روح القدس خالقةٌ غيرُ مخلوقة، إلهٌ حق، وأن طبيعة الأب والابن جوهرٌ واحدٌ وطبيعةٌ واحدةٌ.

وزاد في الأمانة التي وَضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفًا الذين اجتمعوا في مدينة «**نيقية**»: «**وبروح القدس المحيي المميت المنبثق من الأب**».

وثبَّتوا أن الأب[1] والابن وروح القدس ثلاثةُ أَقانيم وثلاثةُ وجوهٍ وثلاثة خواصٍّ، في وحدانيّةٍ واحدة وكيان واحد[2]، وثلاثةُ أقانيم إلهٌ واحد جوهرٌ واحد طبيعةٌ واحدة.

وثبَّتوا أن جسد سيدنا المسيح بنفس ناطقة عقلية.

قال: فمن المجمع الأول إلىٰ هذا المجمع الثاني ثمانٍ وخمسون سنة.

قال: وأَطلق بَطْرَكُ الإسكندرية للبطاركة والأساقفة والرُّهبان أكلَ اللحم من أجل المنانية ليُعرَف المناني منهم؛ لأن المنانية لا يرون أكل اللحم ولا شيئًا من الحيوان البتّة ـ وكان أكثرُ أساقفة مصر منانيّة ـ فأكل بطاركة مصر وأساقفتهم[3] اللحم.

وأما بطاركة رومية وقسطنطينية وأساقفتها ورهبانها، فلم يأكلوا اللَّحم وأكلوا ـ بدل اللحم ـ السمكَ، وأقاموه مقام اللَّحم؛ إذ كان حيوانًا.

قال سعيد بن البطريق[4]: لم يُطلَقْ أكلُ اللحم علىٰ أنهم يعتاضون منه بالسمك ـ إذ ليس بذبيحة ـ ويُمنَعون أكل اللحم؛ إذ كان قد أخطأ الذين أقاموا

(١) المطبوعتان زيادة: «وحده»، ومضبَّب فوقها في (د)، وليست في النسخ ولا المصادر.
(٢) المطبوعتان: «واحدة»، وكشط التاء ظاهر في (ل)، ولم تحرَّر في (د)، والمثبت عليه المصادر.
(٣) المطبوع: «وأسقفهم»، خلاف الأصول.
(٤) في «تاريخه»: (ص١٤٦، ١٤٧).

السَّمك مقام اللحم، وسيدنا المسيح [قد][(١)] أكل اللحم، فوجب ضرورة أكل اللحم اقتداء بالسيد المسيح، ولو يومًا واحدا في السنة، ليزيلوا الشك من مذهب المنانية[(٢)].

قال: وفي «**الأبركسس**» مكتوبًا[(٣)]: ما نَظَرَه «بِطْرُسُ» السليحُ بـ«يافا»[(٤)] من تَنَزُّل السَّبَنِيَّة[(٥)]، وفيها كلُّ ذي أربع قوائم، ولهذا الحكم كل من لم يأكل اللحم مخالفٌ لشريعة النصرانية، ومُضاهٍ[(٦)] لمذهب الصابئة الرّوم.

وهم[(٧)] لا يغتسلون إلىٰ اليوم؛ لأن المنانية لا يرون الغسل بالماء، فلما طال بهم الزمان أقاموه علىٰ هذه السُنَّة.

وقال قوم: إنما تركوا الغسل بالماء؛ لشدَّة برد بلادهم وبرد الماء عندهم، وأنه لا يتهيَّأ لهم بالجملة أن يَقْرَبوا الماء في الشتاء؛ لثلجه وبَرْده، فصار سُنّة جارية شتاءً وصيفًا.

والمنانية صنفان: السمَّاعون[(٨)]، والصدِّيقون.

فالسمَّاعون: يصومون في كل شهر أيامًا معلومة.

---

(١) (ل، المطبوعتان): «فقد»، و(د): «وقد»، والمثبت من المصدر.

(٢) مراد ابن البطريق: أن أمْرَ البطاركة بأكل اللحم إنما هو إباحة الذبيحة، والسمكُ ليس ذبيحةً، فلا يقع الامتثال بالاستعاضة به عن اللحم، علىٰ أن المسيح قد ثبت عنه أكل اللحم، فوجب الاقتداء به.

(٣) كذا بالنصب في النسخ الخطية، وهو بالرفع في مصدر النص، وكلاهما متَّجه.

(٤) (ل): «بنا» تصحيف.

(٥) نوعٌ غليظٌ من ثياب الكتَّان، منسوب إلىٰ موضع يقال له: «سَبَن». «النهاية»: (٢/ ٣٤٠). والقصة تقدمت قريبًا.

(٦) أي: مشابه. وفي المطبوع: «ومُضاهاة»، سهو.

(٧) أي: الرُّوم المنانية.

(٨) كذا عامة النسخ، وفي «تاريخ ابن البطريق» (ص١٤٨): «السمَّاكون»، وكذا ما بعده.

والصِّدِّيقون: يصومون الدهرَ كلَّه، ولا يأكلون إلا ما يَنْبُت من الأرض.

فلما تنصَّروا خافوا أن يتركوا أكلَ اللحم فيُعلَم بهم، فجعلوا لأنفسهم صيامًا، فصاموا الميلاد والحواريين [والسيِّدة][1].

فلما طال بهم الزمان وتربَّوا في هذا الصوم أكلوا اللحم، فتبعتْهم في ذلك النساطرةُ واليعاقبةُ والمارونيةُ، وصارت سنَّة استحسنتها المَلَكِيَّة، فتَبِعوهم وخاصة المقيمون ببلاد الإسلام[2].

وأما الروم: فما تركوا أكلَ اللحم في أيام صوم الميلاد وصوم الحواريين، وتلك الأيام التي يُظَنُّ أنها من جملة الصوم الكبير.

فمن أحبَّ أن يصوم الميلاد والحواريين والسيِّدة[3] ولا يأكل لحمًا، فليس بواجب، وليس لأحدٍ قطع اللحم طول السنة إلا في صوم الأربعين المقدَّسة فقط، ومن فَعَل بضدِّ ذلك فهو[4] مخالفٌ راجعٌ إلىٰ أصحاب الآراء المختلفة.

قال: وفي ثمان سنين من ملك «**ثذوس**» ظهرت الفِتْيةُ الذين كانوا هَرَبوا من «**داقنوس الملك**»[5]، واختفَوا في الكهف.

وذلك أن الرعاةَ علىٰ طول الزمان كانوا إذا جازوا بذلك الموضعِ الذي هو الكهف، قلعوا الطُّوب المبنيَّ علىٰ باب الكهف حتىٰ عاد مفتوحًا كالباب.

---

(١) ما بين المعكوفين من مصدر النقل: (ص١٤٨)، وسيأتي نظيره بعد خمسة أسطر في كلام المصنف. وإنما تركوا في هذه الأصوام أكل السمك؛ لئلا يُعْرَفوا.

(٢) (ل): «سلام». (ط. النيل): «الشام»، والمثبت من (د) ومصدر النقل.

(٣) الثلاثة من الشعائر والأعياد النصرانية. ينظر: «الأعياد السيدية»: (ص/ ١٠ ـ ٧٣)، «موسوعة اليهود واليهودية»: (٢/ ٤٥ ـ ٥٥)، (٢/ ٧٨ ـ ٩١).

(٤) «فهو» ساقط من المطبوع.

(٥) كذا النسخ الخطية، وفي المطبوعتين «ذاقيوس».

فلما انتبهت الفِتْيةُ توهَّموا أنهم كانوا نيامًا ليلةً واحدةً، فقالوا لصاحبهم الذي كان يَذهب يبتاع لهم الطعام: امضِ واشترِ لنا طعامًا، واستعْلِمْ خبر داقنوس.

فلما خَرَج إلىٰ باب الكهف، نظر إلىٰ البنيان والهَدْم ثم مضىٰ حتىٰ بلغ بابَ المدينة - وهي «أفسس» - فرأىٰ بابَ المدينة عليه صليبٌ كبير منصوب، فأنكر ذلك في نفسه وقال: أحسِب أني نائم، فأقبل يمسح عينَيه، وينظر يمينًا وشمالًا هل يَرىٰ من يَعرفه! فلم يَرَ، فبقي متحيِّرًا وقال: لعلي أخطأتُ الطريقَ، ولعل هذه مدينةٌ أخرىٰ.

ثم دخل المدينة فدفعَ دراهمَ مما كان معه عليها صورةُ «**ذاقيوس الملك**»[1] فأُنكِرَ عليه، وقالوا: لعلَّه أصاب كنزًا، ثم قالوا: من أين لك هذه الدراهم وإلا قتلناك، فلم يكلمْهم، وصاح الناس، فاجتمع إليه خلقٌ كثير وكلَّموه، فلم يكلمْهم، فصاروا به إلىٰ بطْريق المدينة وكلَّمه فلم يتكلم، فهدَّده فلم يتكلم، فجاء إليه أسقف المدينة فكلَّمه وخوَّفه وقال: إنك إن لم تكلِّمْني[2] وتقل لي من أين لك هذه الدراهم وإلا قتلتك![3].

وإنما كان يَمتنع من الكلام خوفًا من «**ذاقيوس الملك**»[4]، فقالوا له: إنه قد مات، وملَكَ بعده جماعةُ ملوك، فضربوه حتىٰ آلمه الضَّرب فخبَّرهم بحاله علىٰ جَلِيَّتها.

---

(١) (د، ل): «داقنوس».

(٢) (ل) زيادة: «وتقبل مني».

(٣) (ل): «قتلناك».

(٤) (د، ل): «دقيانوس». «الملك» ساقط من (ل).

وسياق المصنف يوهم أنهم أخبروه بموت «ذاقيوس» قبل ضربه وبعده، والصواب أنه امتنع عن الكلام حتىٰ آذوه، ثم سأل عن الملك فأخبروه بخبره.

فقالوا له: إن «**دقيانوس**»[1] قد مات وملك بعده ملوكٌ كثيرة، والملك اليوم «**ثذوس**»[2] الكبير، وقد ظهر دين النصرانية.

ثم سار معهم إلىٰ الكهف فنظروا إلىٰ أصحابه والصندوقِ النحاس الذي فيه الصحيفةُ الرصاص، مكتوبٌ فيها قصتُهم وخبرُهم، فكثُر تعجُّبهم، وكتبوا إلىٰ الملك يُعْلِمونه بخبرهم، فركب وسار إلىٰ مدينة «أفسس» فنظر إليهم وكلَّمهم.

وبعد ثلاثة أيام دخل إليهم فوجدهم أمواتًا، فأمر أن يُترَكوا في الكهف ولا يُخرجوا، ولكن يُدفنوا فيه وتُبنىٰ عليهم كنيسةٌ، وتسمَّىٰ بأسمائهم، ويُعيَّد لها عيدٌ في كلِّ سنة في ذلك اليوم، وانصرف إلىٰ قسطنطينية.

قال: فمن وقت هرب الفتية من «**ذاقيوس**»[3] إلىٰ الكهف، إلىٰ الوقت الذي ظهروا فيه وماتوا؛ مائةٌ وسبعٌ أو تسعٌ وأربعون سنة.

قلتُ: هذا مما أخطأ فيه؛ فإن الله تعالىٰ أخبر أنهم لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا.

لكن بعض المفسرين زَعَم[4] أن هذا قولُ بعضِ أهل الكتاب؛ لقوله: «**الله أعلم بما لبثوا**» وليس كذلك؛ فإن الله لم يذكر هذا عن أهل الكتاب، بل ذكره كلامًا منه تعالىٰ.

---

(١) (ط. النيل): «ذاقيوس».

(٢) (ط. النيل): «تدوس».

(٣) (د، ل): «داقنوس».

(٤) المطبوعتان: «زعموا».

قال سعيد[1]: وفي زمنه كانت قصةُ بترك قسطنطينية «**يوحنَّا**» الملقب بـ«**فم الذهب**»[2].

وتولىٰ بعده ابنه «**ثذوس الصغير**»[3] اثنتين[4] وأربعين سنة، لإحدىٰ عشرة سنة من ملك «**يزدجرد بن بهرام**».

وفي زمنه جُعِل «**نسطورس**» ـ الذي تُنسب إليه مقالة النسطورية ـ بَطركًا علىٰ قسطنطينية.

قال: وكان «**نسطورس**» يقول: إن مريم العذراء ليست بوالدةٍ إلهًا علىٰ الحقيقة، ولذلك كان ابنان[5].

أحدهما: الذي هو (إلهٌ) مولودٌ من الأب.

والآخر: الذي هو (إنسانٌ) مولودٌ من مريم، وأن هذا الإنسانَ ـ الذي يقول: إنه مسيحٌ بالمحبة ـ متوحِّدٌ مع ابن إله، ويقال له: إلهٌ وابنُ الإله[6]، ليس

---

(١) «سعيد» ليس في (د).

(٢) قصته في «تاريخ ابن البطريق»: (ص١٥٣، ١٥٤).
وهو: «يوحنّا» (John Chrysostom) الملقب (بفم الذهب)؛ لفصاحته وبلاغته، وجرأته في انتقاد مخالفات الكنيسة والقصر، عاش ما بين (٣٤٤م ـ ٤٠٧م)، وهو أبو الكنيسة الشرقية، وبطريك القسطنطينية، نحّي ونُفي مرتين عام (٤٠٣م)، وفي الثانية مات وهو في طريق منفاه. «الموسوعة الكونية»: (٧/ ١٨١).

(٣) «ثذوس» الصغير أو الأصغر، (Theodosius II) هو ابن أركاديوس بن ثدوس الكبير، عاش ما بين (٤٠١م ـ ٤٥٠م)، وملك في (٤٠٨م) أدار الحكم تحت تأثير رئيس الحرس ثم أخته، ثم زوجته، وكان ضعيف السياسة، صالح الفرس مدة مائة عام. دعا إلىٰ مجمع (أفسس) المسكوني في (٤٣١م) وكفّر فيه نسطورس. «الموسوعة الكونية»: (١٤/ ٧٣٣).

(٤) لم تحرّر في النسخ الخطية، والمطبوعتان: «اثنين».

(٥) المطبوعتان: «اثنان»، ولم تحرَّر في (د)، والمثبت من (ل) ومصدر النص.

(٦) المطبوع: «إله».

بالحقيقة؛ ولكن موهبةٌ واتفاقُ الاسمين والكرامة شبيهًا بأحد الأنبياء.

فبلغ قولُه بَطْرَكَ الإسكندرية فأنكر ذلك، وكتب إليه يُقَبِّح عليه فعلَه ومقالتَه، ويعرِّفه فسادَ ما هو عليه، ويسألُه الرجوعَ إلىٰ الحق، فَجَرَتْ بينهما رسائلُ كثيرة، ولم يرجع «**نسطورس**» عن مقالته.

فكتب إلىٰ بَطْرَك أنطاكية يسأله أن يكتب إلىٰ «**نسطورس**»، ويعرِّفه قُبْحَ فعلِه ورأيِه وفسادَ مقالته ويسألَه الرجوعَ إلىٰ الحق.

فكتب إلىٰ «**نسطورس**» إن هو[1] لم يرجع اجتَمَعوا ولَعنوه، وجَرتْ بينهما رسائلُ كثيرة فلم يرجع[2].

فكتبوا إلىٰ بَطْرَك رومية وأنطاكية وبطرك بيت المقدس أن يجتمعوا في مدينة «أفسس» لينظروا في مقالة «**نسطورس**».

فاجتمع بالمدينة مائتا أسقف مُقدَّمهم بَطْرَك الإسكندرية، وتأخَّر بَطْرَك أنطاكية فلم ينتظروه، وبعثوا إلىٰ «**نسطورس**» فلم يحضر معهم، فنظروا في مقالته وأَوجبوا عليه اللعن، فلعنوه ونَفَوْه[3]، وثبَّتوا أن مريم العذراء والدة إلهٍ[4]، وأن المسيح إلهٌ حقٌّ وإنسان معروف بطبيعتين متوحِّدٍ[5] في الأقنوم.

وهذا هو خلاف المحبة؛ لأن «**نسطورس**» كان يقول: إن التَّحيُّد ـ أي الاتحاد ـ: اتفاق الوجهين، وأما التَّحيُّد ـ أي الاتحاد المستقيم ـ: فإنما هو أن يكون أقنومًا واحدًا من طبيعتين.

---

(١) (ل): «أنه»، تصحيف

(٢) «فلم يرجع» ليست في (د)، وأشير في موضعها إلىٰ لحق دون إلحاق.

(٣) «ونفوه» ساقط من (ل).

(٤) كذا في (د، ل)، ويظهر في (د) أثر التصويب بالكشط، والمطبوعتان: «الإله».

(٥) المطبوعتان: (متوحّدة) خلاف الأصول الخطية.

فلما لعنوا «**نسطورس**» قَدِم «**يوحنّا**» بَطْرَك أنطاكية، فلما وجدهم قد لعنوه قبل حضوره، غضِب وقال: ظلمتم «**نسطورس**» ولعنتموه باطلًا، وتعصَّب مع «**نسطورس**»، فجَمَع الأساقفة الذين قدِموا معه، فقَطَع بَطْرَك إسكندرية وقَطَع أسقف «أفسس»[1].

فلما رأىٰ أصحاب بَطْرَك إسكندرية قُبح فعالِه وقع بينهم شرٌّ عظيم، وخرجوا من «أفسس»، وصار أصحابُ بَطْرَك إسكندرية والمشرقيون حِزْبَين، فلم يزل «**ثذوس الملك**» حتىٰ أَصْلَح بينهم.

وكتب المشرقيون صحيفة وثبَّتوا فيها الأمانة الصحيحة، وقالوا فيها: إن مريم العذراء القِدِّيسة ولدتْ إلهًا؛ ربّنا يسوع المسيح، الذي هو مع أبيه في الطبيعة، ومع الناس[2] في الناسوت، وأقرُّوا بطبيعتين ووجْهٍ واحد وأقنوم واحد، ولعَنوا «**نسطورس**» ووجَّهوا بالصحيفة إلىٰ بَطْرَك إسكندرية، فَقَبِل الصحيفةَ، وأجابهم عنها بموافقتهم علىٰ ذلك.

وقال قوم: لما قَبِلَ صحيفة المشرقيين بَدا لَه[3]، ولم يقبل طبيعتين ووجهًا واحدًا.

قال سعيد بن البطريق: وهم في ذلك كاذبون؛ لأن كُتُبَه تنطق بذلك. ثم أرسل نسخةَ صحيفةِ المشرقيِّين إلىٰ جماعةٍ من الأساقفة يُعْلِمهم أن المشرقيين رجعوا إلىٰ الإيمان، [وأنهم غيرُ موافقين لنسطورس؛ بل علىٰ مقالة المَجْمَع الثاني المائة والخمسين أسقفًا الذين اجتمعوا بمدينة «**قسطنطين**»،

(١) أي خاصمهم وقاطعهم، وحصل تصدع وانفصال وانقسام. ينظر: «تاريخ الكنيسة القبطية»: (ص/ ١٤٧) وما بعدها.
(٢) (ط. النيل): «الناسوت»، سبق قلم.
(٣) أي رجع. وتصحَّفت عند ابن البطريق (ص/ ١٥٨) إلىٰ «بذالةٍ».

ولَعَنوا «مقدونيوس».

قال: فمن المجمع الثاني إلىٰ هذا المجمع المائتين[(١)] أسقفًا المجتمعين بأفسس علىٰ «نسطورس» إحدىٰ وخمسون سنة][(٢)].

قال: ولما نُفِي «نسطورس» صار إلىٰ مصر فأقام بِضَيْعةٍ في صعيد مصر يقال لها: «إخميم» ومات ودفن بها.

وكانت مقالته قد اندَرَسَتْ، فأحياها ـ مِن بعده بزمان[(٣)] طويل ـ مطْرانُ نِصِّيبين في عصر «يوستينيانوس»[(٤)] ملك الروم، و«قباذ[(٥)] بن فيروز» ملك الفرس، فبثَّها بالمشرق، فلذلك كثُر النسطورية بالمشرق، وخاصةً أرض فارس بالعراق والموصل[(٦)] والفرات والجزيرة.

---

(١) (د): «للمائتين»، تصحيف.

(٢) ما بين المعكوفين نصُّه في عامة النسخ الخطية والمطبوعة: «وأنهم غير موافقين لنسطورس، قال: فمن المجمع الثاني إلىٰ المائة والخمسين أسقفًا المجتمعين بمدينة قسطنطين [ل: قسطنطينية]، ولَعَنوا: [(ل) زيادة: نسطورس و] «مقدونيوس» إلىٰ هذا المجمع المائتين أسقفًا المجتمعين بأفسس علىٰ «نسطورس»: إحدىٰ وخمسون سنة». تحريفٌ! والمثبت من «تاريخ ابن البطريق»: (ص١٥٨)، الذي صدر عنه المصنف.

(٣) المطبوع: «بزمن»، خلاف النسخ.

(٤) (د): «يوسيطيانوس»، و(ل): «بوسيطيانوس»، والمثبت من مصدر النقل.
وهو يوستينيانوس الأول (Justinian I) إمبراطور بيزنطي، عاش ما بين (٤٨٢-٥٦٥)، وملك (٣٨) سنة (٥٢٧م ـ٥٦٥م)، حارب الفرس ثم صالحهم، دعا في (٥٣٣م) إلىٰ (حوار القسطنطينية) لتوحيد الكنيسة، وأرغم الوثنيين علىٰ التنصر في (٥٤٢م)، وأغلق في (٥٢٩م) مدرسة (أثينا) الوثنية. «الموسوعة الكونية»: (٧/ ٢٣١).

(٥) (ل): «وقباد». وهو: قباذ بن فيروز، ملك الفرس، حكم ما بين (٤٨٨م ـ ٥٢١م)، نحي وسجن عام (٤٩٦م) ثم عاد بعد ثلاث سنوات. «الموسوعة الإيطالية»: (٢٠/ ١٤٢).

(٦) المطبوعتان زيادة: «ونصيبين»، خلاف النسخ والمصادر.

قال سعيد بن البطريق[1]: رأيت أن أردَّ علىٰ النسطورية في هذا الموضع وأبيِّن بطلان قولهم وفساده؛ لأن النسطورية في عصرنا هذا خالفوا قول «**نسطور**» القديم، وزعموا أن «**نسطور**» كان يقول: إن المسيح جوهران وأقنومان، إله تام بأقنومه وجوهره، وإنسان تام بأقنومه وجوهره.

وإن مريم وَلدت المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته؛ لأن الأب عندهم وَالِدٌ[2] إلها ولم يلدْ إنسانًا، ومريم ولدتْ إنسانًا ولم تَلِد إلهًا.

فيقال لهم: إن كان الأمر علىٰ ما تقولون، فالمسيح مسيحان وابنان، فمسيحٌ إلهٌ وابنُ إلهٍ، ومسيحٌ إنسانٌ وابنُ إنسان؛ لأنه[3] لا بُدَّ لمريم من أن تكون ولدت المسيح أو لم تَلده.

فإن كانت ولدتْه؛ فلا بد أن يكون وِلادًا روحانيًّا أو جسمانيًّا.

فإن كان جسمانيًّا؛ فهو غير الذي وَلده الأب، وذلك يوجب أن يكون مسيحان.

وإن كان روحانيًّا؛ فالمسيح ابنٌ واحد، أقنومٌ واحد، مسيحٌ واحد.

والدليل علىٰ ذلك: صفيحة الحديد التي تتَّحد بها النار؛ فإنها سيفٌ واحدٌ تُحرِق وتَمنع وتَقطع وتُضيء، لا[4] يجوز أن يكون من الجهة الحديدية هي المحرقة المضيئة من غير جهة النار؛ إذ كان ما لم يكن فيه نارٌ من الحديد غيرَ مُحْرِق، ولا الجهة النارية هي القاطعةُ المانعة؛ إذ كان شأن النار الإضاءةَ

---

(١) في «تاريخه»: (ص١٥٩).

(٢) المطبوعتان: «وَلَدَ»، خلاف الأصول.

(٣) (ل): «فإنه».

(٤) المطبوعتان: «ولا»، خلاف المخطوطات.

والإحراقَ لا القطع. فقد ثبت بهذا وصحَّ ما تعتقده المَلَكِيَّة من أن المسيح أقنومٌ واحد، وبانَ زَيْفُ قول النسطورية: إن المسيح أقنومان.

قلت: يقال لهذا: إن قول النُّسطورية والمَلَكِيَّة، وإن كانا باطلَيْن فقولُ المَلَكِيَّة أشدُّ بطلانًا وأعظمُ كفرًا وتناقضًا، وما ذكره هذا باطل.

أما قوله: لو كان الأمرُ علىٰ ما تقولون، فالمسيح مسيحان.

فيقال له: هذا إنما يلزم أن لو كان اللاهوت بمجرَّده يسمىٰ مسيحًا، فإن النسطورية وافقوهم علىٰ باطل، وهو أن الرب وَلَد إلهًا، وهذا باطل، ولم يقل أحدٌ قطُّ من الأنبياء لا في الإنجيل ولا غيره: إن صفة الله القائمة به مولودة، ولا أن الربَّ له مولود قديم أزليّ، لكن[1] إذا قُدِّر أن الأمر كذلك، فصفة الله لم يسمِّها أحدٌ مسيحًا.

فإذا قُدِّر أن اللاهوت والناسوت جوهران أقنومان لا اتَّحاد بينهما، لم يلزم أن يكون اللاهوت مسيحًا، ولا هناك مسيحٌ هو إله، ولا مسيحٌ هو ابن إله.

وقد تقدم عن «**نسطور**» أنه كان يقول: إن هذا الإنسان ـ الذي نقول: إنه مسيح ـ متوحِّدٌ بالمحبة مع ابن إله، ويقال له إله وابن إله، ليس[2] بالحقيقة، ولكنْ موهبة.

[فقد صَرَّح بأن المسيح هو الإنسان فقط دون اللاهوت، وأن المسيح ليس بإله ولا ابن إله في الحقيقة][3].

---

(١) المطبوع: «ولكن». والمصنف يشير إلىٰ أن الجواب هنا علىٰ وجه التنزل والافتراض.

(٢) «ليس» سقط من (د)، وفي موضعه إشارة إلىٰ لحق دون إلحاق.

(٣) من قوله: «ولكن موهبة» إلىٰ هنا ليس في (د)، وأشير في موضعها إلىٰ لَحَق، دون كتابته، ولعله سهو من الناسخ، وكذا سقط في (ل) من قوله: «فقد صرح»، مستدركٌ من ط. النيل.

فبطل ما ألزمه إياه، من أنه يلزم أن يكون هنا مسيحان.

وأما قوله: لا بُدَّ لمريم من أن تكون ولدت المسيح أو لم تلده.

فيقال: بل وَلدت المسيح، وهو الإنسان وهو غيرُ اللاهوت الذي تزعمون أن الأب وَلده، وليس في ذلك مسيحان، بل مسيح واحدٌ إنسان مخلوق.

وأيضًا فقوله: فإن كانت[1] وَلَدتْه فلا بد أن يكون وِلادًا روحانيًا أو جسمانيًا. فإن كان روحانيًا، فالمسيح ابن واحد، أقنوم واحد، مسيح واحد = تقسيم باطلٌ وحجةٌ فاسدة داحضة[2].

فإن مريم لم تَلِد وِلادةً روحانية، بل خرج الولد من فرجها كما تخرج أولاد النساء من فروجهن، سواء كانت عُذْرَتُها باقيةً أو لم تكن.

وأما ما ذكره من التمثيل بصفيحة الحديد؛ فلو قُدِّر أنه مَثَلٌ مطابقٌ؛ لم يدل علىٰ صحة قولهم، بل غايته أنه يدلُّ علىٰ إمكانه.

فأين الدليل علىٰ أن هذا هو الواقع؟ فليس فيه ما يدل علىٰ صحة قول المَلَكِيَّة وفساد قول خصومهم، فكيف وهو تمثيلٌ غيرُ مطابِق؟

فإن الحديد إذا اتَّحدتْ به النار كان الحديدُ قد استحال عن صفته، فلم يَبْقَ حديدًا محضًا، وليست نارًا محضةً[3]. والخشبُ[4] وغيرُه إذا أُحْرِق[5] وصار نارًا، فليس هو خشبًا محضًا وليس هو نارًا محضةً بسيطةً.

---

(١) المطبوعتان: «كان».

(٢) «داحضة» ساقط في (ل).

(٣) المطبوع: «محضًا»، وكذا كان في (د) قبل التصويب.

(٤) (ل): «كالخشب».

(٥) (ل): «احترق».

فمن شأن الشيئين إذا اتَّحدا، أن يستحيل كلٌّ منهما[1] إلىٰ جوهر ثالث وطبيعة ثالثة ليست لا[2] هذا ولا هذا، كالماء واللبن إذا اتَّحدا فإن ذلك يَصِيرُ جوهرًا ثالثًا وطبيعةً ثالثةً، لا لبنًا محضًا ولا ماءً محضًا، وكذلك النار مع الحديد أو الخشب أو غير ذلك، فإن ذلك يصير جوهرًا ثالثًا ليس حديدًا محضًا وخشبًا[3] محضًا ولا نارًا محضةً، لكن الحديد إذا برَد فهو حديد، لكنه تغيَّرتْ حقيقتُه[4]، فالنار تُلَيِّنه وتُذهِب خبثَه، ولا يبقىٰ بعد اتحاده بالنار كما كان قبلُ. والخشب يصير فحمًا وهو جوهر ثالث؛ إذ كان من طبع النار أنها تؤثِّر في كلِّ جسد بحسبه، فتؤثِّر في الحديد بحسبه، وفي الخشب بحسبه.

وكل شيئين اتَّحدا فإنهما يصيران جوهرا ثالثًا وأقنومًا ثالثًا وطبيعةً ثالثة.

فإن كان اللاهوت والناسوت قد اتَّحدا ـ كما زعموا ـ فقد استحالتْ صفة اللاهوت واستحالت صفة الناسوت، فلم يَبق اللاهوت لاهوتًا ولا الناسوت ناسوتًا، بل صارا جوهرا ثالثًا لا لاهوتًا ولا ناسوتًا، وهم يُنكرون هذا القول، وهو باطل.

فإن ربَّ العالمين لا يتبدَّل وتستحيلُ[5] صفاته بصفات المحدَثات، ولا يَنقلِب القديم ولا شيء من صفاته محدثًا، ولا يستحيلُ القديمُ الربُّ الخالقُ والمخلوقُ المحدَثُ إلىٰ شيء ثالث.

---

(١) (ل): «منها».

(٢) كذا عامة الأصول بإثبات: «لا»!

(٣) المطبوعتان: «ولا خشبًا»، خلاف النسخ الخطية، والمثبَت أوجَه.

(٤) صححت في (د): «صفته» وهي كذلك في ل.

(٥) المطبوع: «ولا تستحيل»، خلاف عامة النسخ.

بـل صـفات الـرب[1] لا تتبـدَّل ولا تنقلـب ولا تسـتحيل، فضـلًا عـن أن تستحيل إلىٰ أمر ثالث.

ثـم هـذا الثالـث، إن كـان قـديمًا خالقًـا، صـار هنـا خالقـان قـديمان[2]. وإن كـان مخلوقًـا محـدثًا، كـان الخـالق قـد صـار مخلوقًـا محـدثًا، ومعلـومٌ أن استحالة الخالقِ إلىٰ خالقٍ آخر أو إلىٰ مخلوقٍ، ممتنعٌ ظاهرُ الامتناع.

ومما يوضِّح هذا، أن ما مثَّلوا به من الحديدة الـمُحَمَّاة بالنـار، هـي جـوهرٌ ثالثٌ يجري علىٰ نارها ما يجري علىٰ حديـدها، فـإذا طُرِقـتْ، فـالتَّطريقُ واقـعٌ علىٰ نارها كما هو واقعٌ علىٰ حديدها، وكذلك إذا قُـدَّت[3]، وكـذلك إذا بُصِـقَ عليها، وكذلك إذا أُلقيتْ في الماء.

فـإن كـان هـذا التمثيـلُ مطابقًـا؛ لـزِم أن يكـون مـا حـلَّ بالناسـوت قـد حـلَّ باللاهوت.

فيكون ربُّ العالمين هو الذي كان[4] يأكل ويشرب ويبول ويتغوَّط، وهـو الـذي صُـفِع عنـدهم، وبُصِـق في وجهـه، وجُعِـل الشـوكُ علـىٰ رأسـه، وضُـرِب بالسياط، وصُلب ومات وتألَّم، كما يُحكىٰ مثلُ هذا عن اليعقوبيَّة.

وهذا لازمٌ لكل من قال بالاتِّحاد، حتىٰ النُّسطورية إن قالوا: إنهما متَّحدان بالمشيئة، بمعنىٰ أن مشيئة هذا عينُ[5] مشيئة هذا.

---

(١) المطبوعتان زيادة: «التي لم يزل ولا يزال موصوفًا بها»، وليس في عامة الأصول.

(٢) المطبوع: «خالقين قديمين»، خلاف النسخ الخطية وط. النيل، والصواب ما أثبت؛ بالرفع علىٰ أنه فاعل «صار» التامة، لا الناقصة كما تُوُهِّم.

(٣) المطبوعتان: «مُدَّت».

(٤) «كان» سقط من المطبوع.

(٥) «عين» ساقط (ل)، وهي ملحقة في هامش (د).

بخلاف ما إذا قالوا[١]: إن مشيئته موافِقةٌ لمشيئته، ليست إياها، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة:٧٢-٧٥] لأن[٢] ذلك من أظهر الأدلة علىٰ أنهما مخلوقان مربوبان؛ إذ كان هو الخالقُ، أحدًا صمدًا[٣] لا يأكل ولا يشرب.

وذَكَر مريمَ مع المسيح؛ لأن من النصارىٰ من اتخذها إلهًا آخرَ فعبَدَها كما عَبَدَ المسيح.

والذين لا يقولون بهذا؛ كثيرٌ منهم يَطلُبُ منها كلَّ ما يُطلَب من الله حتىٰ يقول لها: اغفري لي وارحميني[٤]، وغيرَ ذلك، بناءً علىٰ أنها تشفع في ذلك إلىٰ ابنها.

---

(١) (ل): «قال».

(٢) المطبوعتان زيادة: «فذكر ﷺ: أنهما كانا يأكلان الطعام؛ لأن ...» خلافًا للأصول الخطية، مع صحَّة الاستغناء عنها؛ فإن قوله: «لأنَّ ..» كالتتميم والتذييل لقوله سبحانه: «ثم انظر أنىٰ يؤفكون»، أي: كيف يُصرَفون عن الحق مع ظهور دليله وبرهانه!

(٣) المطبوعتان: «إذ الخالق أحدٌ صمدٌ»، خلاف النسخ.

(٤) (د): «اغفر لي وارحمني».

فتارة يقولون: يا والدةَ الإله، اشفعي لنا إلىٰ الإله، وتارةً يسألونها الحوائج التي تُطلب من الله ولا يذكرون شفاعةً، وآخرون يَعبدونها كما يَعبدون المسيح.

وقد ذكر سعيد بن البطريق هذا عنهم، لما ذكر اجتماعهم عند «**قسطنطين**» بـ «**نيقية**»[1].

قال: وكانوا مختلفي الآراء مختلفي الأديان.

فمنهم من يقول: المسيح وأمُّه إلهان من دون الله، وهم «**المَرْيَمانيَّة**»[2] ويُسَمَّون «**المريمانيين**»[3]، كذلك قال ابن حزم[4].

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧].

وهو ـ سبحانه ـ لم يَحكِ هذا عن جميع النصارىٰ، بل سأل المسيحَ سؤالًا يُقرِّع به من اتَّخذه وأمَّه إلهين من دون الله.

قال ابن البطريق[5]: «ويقال للنُّسطورية ـ أيضًا ـ أخبِرونا عن الناسوت

(١) «تاريخ ابن البطريق»: (ص١٢٦).
(٢) كذا في (ل)، والمطبوعتان: «المريمانيون»، و(د): «المريما» بطمس آخرها.
(٣) كذا النسخ الخطية، وفي المطبوعتين: «المَرْيَمانيَّة».
(٤) في «الفَصْل»: (١/ ٤٧-٤٨).
(٥) في «تاريخه»: (ص١٥٩).

الذي اتَّحد به اللاهوت[١] وسمِّي مسيحًا، هل هو[٢] لم يزل مسيحًا منذ كان في بطن مريم إلىٰ حينِ وَضعتْه وأرضعتْه وشبَّ وصُلِب وقُتِل؟ أم كان ثلاثين سنةً وهو واحدٌ من الناس، ثم اتَّحد اللاهوتُ بعد ذلك[٣] بالنَّاسوت فكان مسيحًا؟

فإن قالوا: لم يكن مسيحًا وهو في بطن مريم، وإنما وَلدتْ مريمُ إنسانًا كان[٤] ثلاثين سنة وهو واحدٌ من الناس، ثم اتَّحد بعد ذلك اللاهوتُ بالناسوت فكان مسيحًا = تركوا قولهم وكذَّبوا الإنجيل وبولص وجميعَ كتب الكنيسة، وخرجوا عن مقالة النصرانية.

وإن قالوا: إن اللاهوت اتَّحد في الناسوت عند الحَمْل، وإنه كان مسيحًا، وهو محمولٌ ومولودٌ ومُرْضَعٌ إلىٰ أن صُلب وقُتل = فقد أقرُّوا أن مريم ولدتْ إلهًا مسيحًا واحدًا، أقنومًا واحدًا».

فيقال له: هذا التقسيم يدلُّ علىٰ بطلان قولِ النصارىٰ [الذي][٥] ابتدعه طوائفُهم الثلاثة[٦] وغيرُهم، فإن الاتحاد يزعمون أنه كان من حين حملتْ به مريم، وأنه كان ينمو قليلًا قليلًا كنُمُوِّ جسد المسيح.

والاتحادُ باطلٌ، كما قد قُرِّر غيرَ مرة، ولو قُدِّر أنه ممكن لظهر أثرُ ذلك.

فإن الله لما كلَّم موسىٰ من الشجرة، ظهر من الآيات والعَظَمة ما دل علىٰ ذلك. وكذلك[٧] كان إذا كلَّم موسىٰ تَظهَرُ آياتُ ذلك.

---

(١) (د، المطبوعتان): «التي اتحدت بها اللاهوت»، وفي (ل): «المسيح اللاهوت».
(٢) «هو» سقط من المطبوع.
(٣) المطبوعتان: «اتحد بعد ذلك اللاهوت».
(٤) (ل) زيادة: «ابن».
(٥) عامة النسخ: «الذين»!
(٦) (ل): «الثلاث»، وكلاهما صحيح.
(٧) المطبوعتان: «ولذلك». وليس في العبارة تكرار؛ فما قبل كان في تكليم موسىٰ عند الشجرة، وهنا تكليمه علىٰ وجه العموم.

وكذلك ما أَخبر به في التوراة وغيرها من مصاحبته لبني إسرائيل؛ هو[1] مما ظَهَر أثرُه، وإن لم يكن متَّحدًا ولا حالًّا في شيء من ذلك.

ولما تجلَّىٰ من «**طور سينا**»، وأَشرق من «**ساعير**»، واستَعْلَن من جبال «**فاران**» بما أَنزله من كتبه = ظَهَر آثارُ ذلك، وإن لم تكن ذاتُه متَّحدةً ولا حالَّةً بفاران ولا طور سينا، باتِّفاق الأمم.

فكيف تكون ذاتُه متحدةً بما في بطن مريم، أو حالَّةً فيه، ولا يَظهرُ أثرُ ذلك؟

وأيضًا فيقال له: قد يقول النُّسطورية له: الناسوت كان مسيحًا من حينِ الحمل، بمعنىٰ أنه كان طاهرًا مقدَّسًا، لا بمعنىٰ اتحاد اللاهوت به.

وإن قالوا: المسيح اسمُ اللاهوت والناسوت جميعًا.

فيقال: ليس في كتب الأنبياء ما يقتضي هذا، والنُّسطورية يُسلِّمون ذلك، لكن قد يقولون: إن المسيح اسمٌ لهما كما أن الإنسانَ اسمٌ للروح والجسد، ثم قد يقال لجسد الإنسان الميِّت: هذا الإنسان. ويقال[2] وهو في بطن[3] أمِّه قبل نَفْخ الروح فيه: هذا الجنين وهذا الحمل. فكذلك إذا قيل له: مسيحٌ بدون اللاهوت.

وأيضًا؛ فقد تقول النَّساطرة باقتران اللاهوت من حين الحمل، ولا يلزم أن يكون قد وَلَدَتْ إلهًا؛ إذ لم يقولوا بالاتحاد، بل قالوا: هما جوهران أقنومان، وَلدتْ أحدَهما ولم تَلِد الآخر، كما تقول المَلَكِيَّة معهم: إنه صلب أحدُهما ولم يُصلَب الآخر، ومات أحدُهما ولم يمت الآخر، وتألَّم أحدُهما ولم يتألَّم الآخر.

---

(١) (ل): «هو».

(٢) المطبوعتان: «فيقال»، وكذا كان في (د) ثم أصلح إلىٰ المثبت.

(٣) (ل، المطبوعتان) زيادة: «مريم»، ومُرّض عليها [ضـ] في (د)؛ إشارة إلىٰ حذفها، وهو الصواب.

فكيف جوَّز المَلَكِيَّة حينئذٍ[1] أن يَحُلَّ الموتُ والصَّلبُ[2] وسائرُ الأمور البشرية بأحد الجوهرين دون الآخر، ولم يجوِّزوا ـ حين الولادة ـ أن تَلِد مريمُ أحدَ الجوهرَيْن دون الآخر؟ وهل هذا إلا من تناقضهم؟ كقولهم جميعًا: إنه صعد إلىٰ السماء وقعد عن يمين أبيه، مع قولهم: إن اللاهوت مع الناسوت[3] قعَدَ عن يمين الأب.

ويقولون مع ذلك: إن اللاهوت القاعد عن يمين[4] الآخر هو ذلك الآخر، وهما جوهر واحد، وإله واحد، مع قوله: إنه إله حق من إله حق، فمناقضاتهم[5] كثيرة.

ولا ريب أن قول النُّسطورية ـ أيضًا ـ متناقض، لكن لا يُمْكن أن نصحِّح قولَ المَلَكِيَّة دون قولهم، بل قول المَلَكِيَّة أعظمُ فسادًا وتناقضًا.

فالنسطورية يقولون: الإله لم يولد ولم يُصلَب، واليعقوبية يقولون: ولد وصلب، والمَلَكِيَّة يقولون: ولد ولم يصلب.

ومتىٰ جاز أن يولد، جاز أن يموت ويُصلَب، وإن لم يجز أن يصلب ويموت، لم يجز أن يولد. فتجويز أحدهما ومنعُ الآخر تناقض.

ويقال للملكية: أنتم تقولون: إن اللاهوت اتَّحد بالناسوت عند الحمل، وكان مسيحًا، وهو مصفوعٌ ومصلوبٌ وميتٌ ومتألِّمٌ. وتقولون: هذا كان بالناسوت دون اللاهوت، فهذا التناقض من جنس تناقض النساطرة.

---

(١) (د، المطبوعتان): «حين الموت».

(٢) المطبوعتان زيادة: «والأكل والشرب» وليس في الأصول.

(٣) (ل) زيادة: «من إله حق».

(٤) (ل) زيادة: «أبيه»، وضرب عليها في (د).

(٥) (ل): «فمناقضتهم».

قال ابن البطريق[1]: «ويقال للنساطرة أيضًا: متىٰ اتحدت الكلمة بالإنسان؟ أقبل الولادة، أم في حال الولادة؟

فإن قالوا: قبل الولادة، قلنا لهم: قبل الولادة، قبل الحمل؟ أو قبل الولادة وهو حمل؟

فإن قالوا: قبل الولادة وقبل الحمل، فقد زعموا أنه اتحد قبل أن يكون إنسانًا وقبل أن يُصوَّر [وقبل أن يولَد][2].

فإن كان ذلك كذلك، فسد قول النسطورية: إن القديم اتَّحد بإنسان جزئي؛ لأن الإنسان الجزئيَّ إنما كان إنسانًا جزئيًّا، لما صار مُصوَّرا بشريًّا».

فيقال له: هذا السؤال لازمٌ للطوائف الثلاثة، فإنهم يقولون بالاتحاد أعظم من النساطرة.

فإن قيل: هم يقولون: إنه اتَّحد بإنسانٍ كليٍّ، كان هذا من أفسد الأقاويل، فإن المسيح بَشرٌ معيَّنٌ جزئيٌّ، يَمنع تصورُه من وقوع الشَّرِكة فيه، لم يكن إنسانًا كليًّا.

ثم قال[3]: «ويلزمهم أن يزعموا أن اللاهوت قد كان حلَّ[4] مع الناسوت تسعةَ أشهر ونحوها مِن بدء الحمل، مقيمًا معه في الموضع الذي يُحمل فيه الجنين، ثم وُلِدا معًا، وهذا خلافُ قولهم: إن مريم وَلدت المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته».

---

(١) في «تاريخه»: (ص١٦٠).

(٢) عامة النسخ: «وقولك»، تصحيف، والمثبت من الأصل الصادر عنه المؤلف.

(٣) في «تاريخه»: (ص١٦٠).

(٤) في «تاريخ ابن البطريق»: «خلا».

فيقال: قد يقولون: إنه وُلِد الناسوت دون اللاهوت، كما يقول المَلَكِيَّة: إنه صُلِب الناسوتُ دون اللاهوت.

وإن كان هذا متناقضًا، فالنساطرة أقل تناقضًا؛ لأن المَلَكِيَّة يقولون: إنهما شخصٌ واحدٌ، أقنوم واحد، فقد اتَّحد أحدهما بالآخر.

فإذا جاز مع هذا أن يفارِق أحدُهما الآخرَ في الأكل والشرب والصَّلب والموت، فمن قال: إنهما جوهران أقنومان، هو أولىٰ أن يقول وَلَدتْ أحدهما دون الآخر.

ثم قال[1]:«وإن قالوا: اتحد به وهو حَمْل صورة تامة. قلنا لهم: فقد كان الإله حَمْلًا قبل الولادة، وإذا جاز أن يحمل، جاز أن يولد».

فيقال: هم لا يقولون بأنهما صارا شخصًا واحدًا، أقنومًا واحدًا، بل يقولون: جوهران أقنومان، وحينئذ فلا يقولون: حملتْ بإلهٍ، ولا ولدتْ إلهًا، كما لا يقول[2] المَلَكِيَّة: صُلب اللاهوت ومات اللاهوت، مع قولهم بأن اللاهوت والناسوت اتَّحدا.

قال[3]: «فإن قالوا: كان الاتحاد في حال الولادة. قلنا: فقد ولدت مريم الكلمةَ ـ إذًا ـ مع الإنسان، والكلمة عندنا وعندهم إله، فقد وَلدت مريم إلهًا.

فإن قالوا: نعم. قلنا: فإذا جاز أن يُولد، فلِم لا يجوز أن يكون حَمْلًا؟ فإذا أجازوا ذلك، تركوا قولهم. وإن لم يجيزوه[4]، قلنا: فما الفرق بين أن يكون

(١) المصدر السابق.
(٢) (ل): «يقولون».
(٣) في «تاريخه»: (ص١٦٠-١٦١).
(٤) (ل): «يجوزوه».

مولودًا وبين أن يكون محمولًا؟ فإن قالوا: ليس الإله مولودًا، ولم يكن الاتحاد قبل الولادة ـ وهو أن يكون محمولًا ـ ولا في حال[1] كونه وَلَدًا، [وإنما كان][2] في حال الولادة.

قلنا: فهذا نقضُ قولكم: إن مريم وَلدت المسيح؛ لأن المسيح ـ عندكم ـ ليس هو الإنسان وحده، ومريم ـ عندكم ـ إنما[3] ولدت الإنسان وحده.

وإذا كان المسيح ليس هو الإنسان وحده، ومريم[4] عندكم إنما ولدت الإنسان وحده قبل الاتحاد، فإنما ولدت إذًا ما ليس بمسيح؛ [وإذا][5] كان إنما كان مسيحًا بالاتحاد، وكان الاتحاد بعد الولادة = فإنما كان مسيحًا بعد الولادة.

فإذا كان هذا -عندكم- فاسدًا، وكانت مريم وَلدت المسيح، فمريم لم تَلِد الإنسان وحده، وهذا يُوجب أنها قد ولدت الإله مع الإنسان، ويوجب أن الاتحاد كان قبل الولادة.

قال: فقد تبين زائف ما تعتقده النسطوريةُ من أن مريم وَلدت المسيحَ من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته، وصحَّ أن مريم وَلدتْ إلهًا مسيحًا واحدًا.

قال: ويقال لهم: إذا زعمتم أن المسيح جوهران، جوهر قديم وجوهر محدث، ثم زعمتم أن مريم وَلدت المسيح = فقد أقررتم أن مريم وَلدتْ هذين

---

(١) (ل): «حالة».

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من مصدر النقل، وليس في عامة الأصول الخطية.

(٣) (ل): «إنها».

(٤) «مريم»: سقط من المطبوعتين، وطُمس في (د).

(٥) في عامة النسخ الخطية والمطبوعة: «إذ»، ولا يستقيم بها المعنىٰ، والمثبت من الأصل الصادر عنه المؤلف.

الجوهرين اللذين هما المسيح، وإذا وَلَدتْهما وأحدُهما إلهٌ، فقد ولدتْ إلهًا قديمًا، ولا يجوز أن تَلِد إلا ما كان محمولًا، فهذا يوجب أنها قد كانت حاملةً لذلك الإله.

فقد تبين زائفُ ما تعتقده النُّسطورية، أن مريم لم تحمل إلهًا ولم تَلده، وصحَّ ما تعتقده المَلَكِيَّة: أن مريم وَلدتْ إلهًا مسيحًا واحدًا، ابنًا[1] واحدًا، أقنومًا واحدًا».

فيقال له: ليس هذا التناقض من النُّسطورية بأعظمَ من تناقض المَلَكِيَّة فإنهم - مع قولهم باتحاد اللاهوت والناسوت، وأنهما شخص واحد - يقولون: إن أحدهما كان يأكل ويشرب ويصوم ويصلي ويَتصرَّف، وأنه أُخذ وصُفع ووُضع الشوك على رأسه وصُلب وأَلِمَ[2] ومات دون الآخر.

فإذا كان قول النُّسطورية متناقضًا، فقول المَلَكِيَّة أعظمُ تناقضًا، فإذا منعوا أن تَحمَل المرأةُ وتَلِدَ الناسوت دون اللاهوت لأجل الاتحاد الذي بينهما = وَجَب أن يمنعوا أن يأكل ويشرب ويُصلَب ويُقتَل أحدُهما دون الآخر لأجل الاتحاد بطريق الأولىٰ.

وكَوْنُ الصَّلب والقتل أعظمُ منافاةً للربوبية من حَملِ مريم به وولادته إياه، لا يَمنع كونَ كلِّ ذلك ممتنِعًا علىٰ الله.

ومن جوَّز عقلُه أن يكون ربُّ العالمين خرج مِن فَرْج مريم وهي بِكر، فقد جعل ربَّ العالمين يَخرج من ثُقْبٍ[3] صغير، وهذا أعظمُ ما يكون من الامتناع.

---

(١) المطبوع: «وابنًا»، خلاف النسخ.

(٢) المطبوع: «وتألم»، خلاف الأصول.

(٣) (ل): «نقب»، وكذا المواضع بعده.

ومن جوَّز عليه هذا، جوَّز عليه أن يَخرج من كل ثُقْب مثل ذلك الثقب وأكبر منه، وجَوَّز أن يَخرُج ربُّ العالمين من فم كلِّ حيوان وفَرْجه، ومن ثقوب[1] الأبواب وغير ذلك من الثقوب.

وإن قالوا: ذاك مكانٌ طاهرٌ. **قيل:** أفواه الأنبياء والصالحين أطهرُ من كلِّ فَرْج في العالم، فيجوز أن يَخرُج من فم كل نبيٍّ ووليٍّ لله، ومن أذنه ومن أنفه، فإن هذه الخروق والثقوب أفضل من فروج النساء، تعالىٰ الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

فهؤلاء النصارىٰ يقولون: إنَّ كون الله مولودًا من فرج مريم، غير كونه مولودًا في الأزل من الأب، بل هما ولادتان روحانية وجسمانية.

وهم إذا طولبوا بتفهُّم ما يقولونه[2]، وقيل لهم: هذا لا يُتصوَّر؛ أن يكون ربُّ العالمين يَخرج من ثُقْب ضيِّق، لا فَرْج ولا فم ولا أذن ولا غير ذلك من الأثقاب. قالوا: هذا فوق العقل، واعترفوا بأن هذا لا يتصوره العقل.

فيقال لهم: هذا الكلام لم يَقُلْه نبي من الأنبياء، ولم ينطق[3] نبيٌّ من الأنبياء بأن مريم حَمَلتْ برب العالمين ووَلدتْه، بل ولا نطق نبيٌّ من الأنبياء بأن الله مولود، ولا شيءٌ من صفاته مولودًا، لا علمُه ولا حياتُه ولا غيرُ ذلك، ولا نطق نبيٌّ من الأنبياء - لا المسيح ولا غيره - بأن الله اتَّحد بشيء من المخلوقات.

وليس في الإنجيل وغيرِه - مما يُنقل عن الأنبياء - شيءٌ من ذلك، بل غاية ما

---

(١) المطبوعتان: «شقوق».

(٢) (ل): «بتفهيم ما يقولون».

(٣) (ل) زيادة: «به».

فيها كلماتٌ[1] متشابهة، كقوله: «أنا وأبي واحد»[2]، كما قال الله لمحمد: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح:١٠]. وقوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠].

فإذا قال بعض ملاحدة المسلمين من الشيعة أو المتصوِّفة أو غيرهم: إن الله اتحد بمحمد؛ لقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح:١٠] كان هذا من جنس قول النصارىٰ.

والآية لم تدلَّ علىٰ ذلك، بل مبايعةُ الرسول مبايعةٌ لله؛ لأن الرسول أمر بما أمر الله به[3].

فليس في كلام الأنبياء أن الله ولا شيئًا من صفاته مولودٌ الولادة التي يُسمُّونها ولادةً عقليّةً وروحانيّةً، ولا في كتبهم أن شيئًا من صفات الله يسمَّىٰ ابنًا لله، ولا أن اللاهوت ابنُ الله، فضلًا عن أن يَنطقوا بأن الله مولودٌ من امرأةٍ ولادةً، وخَرَج من فَرْجها، فيكون مولودًا ولادةً جسمانية.

ولهذا لما تنازعت النصارىٰ في ذلك، لم يكن لمن ادَّعاه علىٰ من نفاه حجةٌ من نصوص الأنبياء، غايةُ ما عندهم التمسُّكُ بألفاظٍ متشابهةٍ، ومعها[4] ألفاظٌ صريحةٌ محكمةٌ، تُبيِّن أن المولود إنما هو بشر.

فإذا قالوا في الألفاظ المتشابهة: لا نعلم مرادَ الرسول بها، كان هذا مما قد يُعذَرون به، فإن المتشابِهَ من النصوص لا يَعلم تأويلَه إلا الله والراسخون في العلم.

---

(١) المطبوعتان زيادة: «مجملة»، وليس في النسخ.

(٢) «يوحنَّا»: (١٠: ٣٠).

(٣) «به» ساقط من المطبوع. وفي المطبوعتين زيادة: «ونهىٰ عما نهىٰ الله عنه»، وليس في الأصول.

(٤) المطبوعتان: «وتغيير».

فإذا قالوا: لسنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله = كانوا شاهدين علىٰ أنفسهم بعدم العلم، وشهادةُ الإنسان علىٰ نفسه مقبولة.

بخلاف القول الذي تكلَّموا به هم، وزعموا أن معناه يدل عليه كلامُ الأنبياء أو يدل عليه العقل، فإن عليهم أن يُبَيِّنوا معناه الذي عَنَوْه به، وعليهم أن يبيِّنوا أنه قد دل علىٰ ذلك شرعٌ أو عقلٌ.

فإذا قالوا: نفسُ الكلام الذي قلناه لا نتصوَّرُ معناه، كانوا معترفين أنهم يقولون علىٰ الله ما لا يعلمون، وهذا حرامٌ عليهم.

وإن قالوا: إن كلام الأنبياء دل علىٰ ذلك، كان غايةَ ما عندهم التمسكُ بالمتشابه، وحينئذ فيطالَبون بتفسير المتشابه، والجمعِ بينه وبين المحكَم علىٰ وجهٍ صحيحٍ معلومٍ، وإلا فإذا قالوا: هذا فوق العقل لا نفهمه، قيل لهم: فدعوا المتشابه لا تحتجُّون[1] به، ولا تذكروا[2] له معنًىٰ تزعمون أنكم لا تعقلونه.

فمتىٰ ثبت عن الأنبياء قولٌ وقال قوم: إنا لا نفهمه = فإنهم يُصَدَّقُون علىٰ أنفسهم.

وأما إذا فَسَّروا كلام الأنبياء بقولٍ عبَّروا به عن[3] مراد الأنبياء وقالوا: هذا مرادُهم مع تعبيرهم عنه بعبارات أخرىٰ = طولبوا بأن يبينوا ذلك المعنىٰ، وقيل لهم: إن فهمتم[4] ما قلتموه فبيِّنوه، وإن لم تفهموه فلا تتكلموا بلا عِلم.

(١) كذا النسخ الخطية وط. النيل، وتقدم توجيه نظائره، وفي المطبوع: «تحتجوا» علىٰ الجادّة.
(٢) (ط. النيل): «تذكرون».
(٣) المطبوع: «علىٰ»، خلاف النسخ.
(٤) (ل) زيادة: «هو»، ولا وجه لها.

قال سعيد بن البطريق[1]: «إن أئمة الضلالة - أعني «**نسطورس**»[2] و«**أرطيوس**»[3] و«**ديسقورس**»[4] و«**سورس**»[5] و«**يعقوب البرادعي**»[6] وأشياعهم الذين أرادوا أن يقيموا الزيف والمحال، ولم يرجعوا إلىٰ خشية الله، وزاغوا عن سبيل الحق لسوء رأيهم - فقد تورطوا في بحر الضلالة.

وهم - جميعًا - فيما ارتطموا فيه من ضلالتهم يُضمِرون - جهلًا منهم - باتحاد لاهوت سيدنا المسيح بناسوته، ويتورَّط كل واحد منهم في وجهٍ من وجوه الخلطة، ويتمسَّك به.

فقد رأيت أن أوضِّح وجه الخلطة، وأبيِّنَ ذلك؛ لتقف علىٰ فساد قولهم.

إن من عظيم تدبير الله وكمالِ عدلِه وجليلِ رحمتِه، أن بَعث كلمتَه الخالقة التي بها خَلَق كلَّ شيء[7]، من جوهره، ليست مخلوقة، ولكن مولودةٌ منه[8]

---

(١) في «تاريخه»: (ص١٦١)، بتصرف يسير، وما ألحق بين معكوفين فزيادة منه.

(٢) المطبوعتان: «نسطوريوس»، وقد تقدم قريبًا.

(٣) «تاريخ ابن البطريق»: «وافتيشيوس».

(٤) «ديسقورس» أسقف الاسكندرية بعد «كيرللس»، انتزع الرئاسة في مجمع (افسس) (٤٤٩م)، وأصدر القرار بإعلان مذهب الطبيعة الواحدة ولعن من يخالفه، إلاّ أنّ هذا القرار أغضب مخالفيه، فعقد مجمع (خلقيدونية) (٤٥١م) حيث قُرِّر فيه تأييد ازدواج طبيعة المسيح وإبطال قرار المجمع السابق. ولُعن ديسقورس ومن شايعه ونُفِي إلىٰ فلسطين، ومات في منفاه. «الموسوعة الإيطالية»: (١٢/ ٩٤٩).

(٥) «سورس أو ساويرس» القسطنطيني، من أشهر ممثِّلي (المونوفيزيقية) القائلة بأن لعيسىٰ طبيعة واحدة، وهي الألوهية، وكان بطريك (أنطاكية) في (٥١٢م ـ ٥١٨م)، وبعد تنحيته احتمىٰ بالاسكندرية، ثم دعي إلىٰ القسطنطينية، ولكنه كفِّر في مجمع (٥٣٦م) فهرب من جديد إلىٰ مصر، وفيها مات سنة (٥٣٩م). «الموسوعة الإيطالية»: (٣١/ ٥٥٧).

(٦) يعقوب البرادعي، المؤسس الحقيقي للكنيسة المونوفيزيقية القائلين بالطبيعة الواحدة، ولهذا تنسب إليه هذه الكنيسة (اليعقوبية)، عين أسقفًا لسوريا وآسيا الصغرىٰ، مات في (٥٧٨م). «الموسوعة الإيطالية»: (٢٦/ ٩٣٣).

(٧) زِيْد بعده في المطبوع: «هي التي»، وليست في النسخ الخطية، وسيأتي النصّ بدونها بعد ورقتين.

(٨) (ط. النيل) زيادة: «مِن».

قبلَ كلِّ الدهور، ولم يكن الله بلا كلمته ولا روحه قط، ولا كانت الكلمة بَرِيَّةً منه قط، ولا من روحه الخالقة، ولا من جوهره، فهبطت كلمة الله الخالقة بقوامها القائمِ الدائم الثابت، الذي لم يزل ولا يزال، فالتحمتْ من مريم العذراء ـ وهي جاريةٌ طاهرةٌ مختارةٌ من نسلِ داود، اصطفاها الله لهذا التدبيرِ من نساء العالمين، وطهَّرها بروح القدس، روحِه الجوهرية، التي[1] جعلها أهلا لحلول كلمة الله الجوهرية بها ـ فاحتَجبت الكلمة الخالقة بإنسان مخلوقٍ خَلَقَتْه لنفسها، بِمَسَرَّة الأب ومؤازرةِ روح القدس، خلقًا جديدًا من غير نطفةٍ آدميةٍ جَرَتْ عليها الخطيئة، ومن غير مجامعة بشريَّة ولا انفكاك عُـذْرةِ تلك الجارية المقدَّسة، فهو إنسان تام بجسده ونفسه الدموية وروحه الكلمانية، التي [هي][2] من صورة الله في الإنسان وشِبهه، فكانت مَسْكنًا لله في حلوله واحتجابه [بها][3]؛ لِلُطْفِها عن جميع ما لَطُف من الخلائق كلِّهم.

واعلم أنه لا يُرىٰ شيءٌ من لطيف الخلق إلا في غليظ الخلق، ولا يُرىٰ ما هو لطيف[4] من اللطيف إلا مع ما هو أغلظ منه فيما يَظهر لأهل الأثقال من غليظ الخلق.

وإنا وَجدنا روحَ الإنسان العاقلة الكَلِمانية ألطفَ من لطيف الخلق، فلذلك كانت أولىٰ خلق الله بحجاب الله، فكانت لها حجابًا ولمن هو ألطفُ منها، وكانت النفس الدموية لها حجابًا والجسدُ الغليظ حجابًا.

فعلىٰ هذا خالطتْ كلمةُ الله الخالقة لنفس الإنسان الكاملة بجسدها ودمها

(١) كذا عامة الأصول، والمطبوعتان: «حتىٰ»، موافقًا لمصدر النقل.
(٢) ما بين المعكوفين من مصدر النقل.
(٣) ما بين المعكوفين من المصدر.
(٤) كذا في النسخ، وفي مصدر النقل: «ألطف»، وهو أظهر.

وروحها العاقلة الكَلِمانية، وصارتْ كلمة الله بقوامها قواما لتثليث[1] الناسوت التي كمُل جوهرُها بتقويم قوام كلمة الله إياها؛ لأنها لم تُخلَق ولم تك شيئًا إلا بقولٍ[2] من كلمة الله الذي خَلَقها وكَوَّنها، لا من شيءٍ[3] سَبَق قبل ذلك في بطن مريم، ولا من سبب[4] كان لها [مبتدأً][5]، من نطفةٍ ولا من غير ذلك، غير قوام الكلمة الخالقة الذي هو أحدُ التثليث الإلهي ـ فذلك القوام معدودٌ معروفٌ مع الناس ـ لَمَّا ضُمَّ إليه وخَلَقَه له؛ التَحَمَ به من جوهر الإنسان، فهو ـ بتوحيد ذلك القوام الواحد ـ قوامٌ لكلمة الله الخالقة، واحدٌ في التثليث بجوهر لاهوته، واحدٌ في[6] الناس بجوهر ناسوته، وليس باثنين، ولكنْ واحدٌ مع الأب والروح، وهو إياه واحد مع الناس جميعًا، بجوهرين مختلفين؛ من جوهر اللاهوت الخالق، وجوهر الناسوت المخلوق، بتوحيد القوام الواحد قوام الكلمة التي هي الابن المولود من الله قبل الأدهار كلِّها، وهو إياه المولود من مريم العذراء في آخر الزمان من غير مفارقةٍ من الأب ولا من روح القدس».

قلت: فهذا كلام سعيد بن البطريق الذي قرَّر به دينَ النصارىٰ، وفيه مِن الباطل ما يطول وصفه، لكن نذكر من ذلك وجوهًا.

الوجه الأول: قوله: إن من عظيم تدبير الله أنْ بعث كلمتَه الخالقةَ، التي بها

---

(١) كذا عامة الأصول، وفي المصدر: «لتلك».

(٢) كذا الأصول الخطية، وفي (ط. النيل) «نقول»، والمصدر: «بقِوام».

(٣) في الأصول الخطية والمطبوعة بإقحام: «لا»، ولا وجه لها، وستأتي العبارة بدونها في الوجه الحادي عشر.

(٤) (د، المطبوعتان): «شيء»، والمثبت من (ل) ومصدر النقل، وسيرد النص بها عند الوجه الحادي عشر باتفاق النسخ.

(٥) ما بين المعكوفين من مصدر النقل.

(٦) (ل): «من»، وكذا (د)، ثم أصلح إلىٰ المثبت، وهو ما في مصدر النقل.

خَلَق كلَّ شيء من جوهره، ليست مخلوقة، ولكن مولودةٌ منه، فهبطتْ كلمة الله الخالقة بقوامها[1] القائم الدائم، فالتحمتْ من مريم العذراء.

فيقال: قد جعلتَ الكلمةَ خالقةً[2]، وقلتَ[3]: ولا كانت الكلمة بَرِيَّةً منه، ولا من روحه الخالقة، وقلت ـ بعدها ـ: فاحتَجبت الكلمةُ الخالقةُ بإنسان مخلوق، خلقتْه لنفسها بمسرَّة الأب ومؤازرة روح القدس جميعًا، خلقًا جديدًا.

فيقال لهم: أخالقُ العالم ـ عندكم ـ خالقٌ واحدٌ وهو إله واحد، أم للعالم ثلاثةُ آلهة خالقون؟

فإن قالوا: إن الخالق واحدٌ، وهم ثلاثة[4] خالقون، كما أنهم في كثير من كلامهم يُصرِّحون بثلاثة آلهة، وثلاثةِ خالقين، ثم يقولون: إله واحد، وخالق واحد.

فيقال: هذا تناقض ظاهر، فإما هذا، وإما هذا.

وإذا قلتم: الخالق واحد، له ثلاث صفات، لم ننازعكم في أن الخالق له صفات، لكن لا يختص بثلاثة.

فإن قالوا بثلاثةِ آلهةٍ، ثلاثةِ[5] خالقين، كما قد كثُر منهم[6] في كثير من كلامهم، بان كفرُهم وعظُم شركُهم، وبان أن شركهم أعظم من كل شرك في العالم، فغاية المجوس الثنوية ـ إثبات اثنين، نورٍ وظُلْمةٍ، وهؤلاء يثبتون ثلاثة.

---

(١) (ل): «بقوام».
(٢) المطبوع: «الخالقة»، خلافًا للأصول.
(٣) المطبوعتان زيادة: «بعد هذا» وليس في النسخ.
(٤) المطبوعتان زيادة: «آلهة»، خلاف المخطوطات.
(٥) «ثلاثة» سقط من المطبوع.
(٦) (ل): «كما قد لزمهم».

ثم الأدلة السمعية في التوراة والإنجيل والزبور وسائر كلام الأنبياء مع الأدلة العقلية المُثْبِتة[1] لكون الخالق واحدًا ـ كثيرةٌ جدًا لا يمكن حصرها هنا.

وإن قالوا: إن الخالق واحد، له صفات.

قيل لهم: فهذا مناقض لقولكم: «إنه بَعَث كلمته الخالقة»، وقولكم: «ولا كانت الكلمة برية منه ولا من روحه الخالقة»، وقولكم: «فهبطت الكلمة الخالقة»، وقولكم: «فاحتَجبت الكلمة الخالقة بإنسان مخلوق، خلقته لنفسها بمسرَّة الأب ومؤازرة الروح». فهذا يقتضي أن الكلمة خالقة وأن الروح خالقة، وأنها خَلَقتْ بمسرة الأب الخالق ومؤازرة الروح الخالقة، وهذا الخالق هبط والأب لم يهبط.

فإذا كان الخالق واحدا له صفات، لم يكن هنا إلا خالق واحد.

الوجه الثاني: قولكم: «بعث كلمتَه الخالقة التي بها خَلَق كلَّ شيء»، وقد نَطقتْ الكتبُ بأن الله يخلق الأشياء بكلامه، فيقول لها: «كن» فيكون، هكذا في القرآن والتوراة وغيرهما.

لكن الخالق هو الله تعالىٰ يخلق بكلامه، ليس كلامُه خالقًا، ولا يقول أحدٌ قطُّ: إن كلام الله خَلَق السماوات والأرض.

والتوراة كلام الله، والإنجيل كلام الله، ولا يقول أحد: إن شيئًا من ذلك خَلَق السماوات والأرض، ولا يقول أحدٌ: يا كلام الله اغفر لي وارحمني.

فقول هؤلاء: إن كلمته هي الخالقة وإنه خَلَق بها ـ كلامٌ متناقض،

---

(١) (د، المطبوعتان): «المبيِّنة».

فإنها إن كانت هي الخالق[1]، لم تكن هي المخلوق به، فالمخلوق به ليس هو الخالق.

الثالث[2]: أن يقال: قولكم: «كلمةُ الله الخالقة» أهي كلامُ الله كلُّه، أم هي بعضُ كلام الله، أم هي المعنىٰ القائم بالذات القديم الأزليِّ ـ الذي يُثبِته ابنُ كُلَّاب[3] ـ أم حروف وأصوات قديمة أزلية كما يقوله بعض الناس[4]، أم هي الذات المتكلِّمة؟

فإن كانت هي الذات المتكلِّمة، فهي الأب والرب، وتكون هي الموصوفة بالحياة، فلا يكون هناك كلامٌ مولودٌ، ولا كلمةٌ أُرسِلتْ، ولا غير ذلك مما ذكروه[5]، وهذا خلاف قولهم كلهم، فإن الكلمة المتَّحدة بالمسيح ليست هي الأب عندهم.

وإن قالوا: بل هي كلام الله كله.

قيل [لهم][6]: فيكون المسيح هو التوراة والإنجيل والقرآن وسائر كلام الله، وهذا لا يقولونه، ولم يقلْه أحدٌ، ولا يقوله عاقل.

---

(١) المطبوعتان: «الخالقة» خلاف الأصول.

(٢) المطبوع زيادة: «الوجه»، وليس في النسخ.

(٣) هو عبد الله بن سعيد بن كلاب، أبو محمد البصري، رأس المتكلمين في زمنه، صَنَّف كتبًا في التوحيد والصفات، ردَّ فيها علىٰ الجهمية والمعتزلة، وربَّما وافقهم. (ت بعد ٢٤٠هـ). ترجمته في «السّير»: (١١/ ١٧٤)، و«الوافي بالوفيات»: (١٧/ ١٠٤).
وينظر مذهبه في «الكلام» في: «النبوات»: (ص٥٨٨)، و«مختصر الصواعق»: (٢/ ٢٥٥).

(٤) وهم طوائف من أهل الكلام والحديث من السَّالمية وغيرهم، كما نَسَبه المصنف في: «منهاج السنة»: (٢/ ٣٦٠)، و«مجموع الفتاوىٰ»: (١٢/ ١٦٦).

(٥) المطبوع: «ذكره».

(٦) في النسخ الخطية: «لكم»، والمثبت كالمطبوعتين، وهو أليق بالسياق.

وإن قالوا: إنها هي المعنىٰ الواحد القديم الأزلي، أو الحروف والأصوات القديمة الأزلية.

قيل لهم: هذان القولان، وإن كانا باطلَين، فإن قلتم بهما لزمكم أن يكون المسيح هو كلام الله كلُّه، فإن هذين ـ عند من يقول بهما ـ هما جميع كلام الله، والتوراة والإنجيل وسائر كلام الله، عبارة عن ذلك المعنىٰ القائم بذات الله، وهو الحروف والأصوات القديمة القائمة بالذات عند من يقول بهذين.

وإن قلتم: إن المسيح بعض كلمات الله = فحينئذ لله كلماتٌ أُخَر غير المسيح، فاجعلوا كل كلمة خالقًا، كما جعلتم الكلمة المتَّحدة بالمسيح خالقًا، إذ كنتم تقولون: «الكلمة هي الخالقة وهي المخلوق بها»، فقولوا عن سائر كلمات الله إنها خالقة مخلوق بها، وحينئذ فيتعدد الخالق بتعدد كلمات الله.

وإذا كانت كلمات الله لا نهاية لها، كان للخلق خالقون[1] لا نهاية لهم، وهذا غاية الباطل والكفر.

وبالجملة، أي شيء فسَّروا به الكلمة تَبيَّن به فساد قولهم، ولكنهم يتكلمون بما لا يفهمونه، ويقولون الكذب والكفر المتناقض، وإنما عندهم تقليدُ مَن أضلَّهم، كما قال تعالىٰ[2]: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٧].

(١) المطبوع: «الخلق خالقون».
(٢) المطبوع زيادة: «قل» صدر الآية الكريمة، خلافًا للنسخ الخطية والمطبوعة، وكأنَّ المصنف قصد الاستشهاد ببعض الآية، وهو الأليق بالسياق.

الرابع[١]: أن يقال لهم: هذا الكلام [إن] لم[٢] يُعلَم بالمعقول، فليس في المنقول[٣] ما يدل عليه، وأنتم لا تدَّعون أنكم عرفتموه بالعقل، لكن بما نُقِل عن الأنبياء، وأنتم قد فسَّرتم كلمتَه بعلمه وحكمته، وروحَ القدس بحياته، فعن[٤] أي نبيٍّ تنقلون أن علم الله وحكمته مولودةٌ منه، وأنه يسمَّىٰ ابنًا[٥]، وأن علمه ـ أو حكمته ـ خَلَق كلَّ شيء، وأن حياته خَلقتْ كلَّ شيء، وأن علمَه خالق وإله ورب، وحياتَه خالقة وإله ورب، وليس في الأنبياء[٦] من سمَّىٰ شيئًا من صفات الرب ولدًا له ولا ابنًا، ولا ذَكر أن الله وَلد شيئًا من صفاته.

فدعواكم أن صفته القديمة الأزلية وُلِدتْ مرتين، مرة ولادة قديمة أزلية، وولادة حادثة من فرج مريم ـ كذبٌ معلومٌ علىٰ الأنبياء، لم يقل أحد منهم: إن الله وَلَدَ، ولا إن شيئا من صفاته ولدَه، لا ولادة روحانية، ولا ولادة جسمانية.

وهذا وإنْ أَبْطَلَ قولَ المَلَكِيَّة، فهو لِقول اليعقوبية أشدُّ إبطالًا، وهو مبطِلٌ ـ أيضًا ـ لقول النُّسطورية، فإنهم يقولون بالأمانة التي فيها أنه مولودٌ قديم أزليّ، فإن طوائفهم الثلاثة متفقون علىٰ الأمانة التي ابتدعوها في زمن «قسطنطين» بعد أكثر من ثلاثمائة سنة من[٧] المسيح.

---

(١) المطبوعتان زيادة: «الوجه».

(٢) كذا في (ل)، وزيادة «إن» يقتضيها السياق، وموضع العبارة طمس في (د)، وفي المطبوعتين: «أن يقال لهم: ما لم»، وقد يوهم ـ بعموم لفظه ـ معنىٰ فاسدًا؛ فتأمل!

(٣) (ل): «العقول».

(٤) المطبوع: «فمِن»، خلاف النسخ.

(٥) (ل): «ابنه».

(٦) (ل): «الأشياء»، تصحيف.

(٧) (ل) زيادة: «زمن».

الخامس[1]: قولكم: بَعث كلمتَه الخالقة، فهبطت كلمة الله الخالقة التي بها خَلق كل شيء، ليست مخلوقة، ولكنْ مولودةٌ منه، ولم يكن الله بلا كلمته ولا روحه قط.

من قال من الأنبياء: إنه لم يكن بلا روحه قط، أو إن روحه صفة له قديمة، أو إنها حياته؟

وكلام الأنبياء كلُّه ينطق بأن روح الله وروحَ القدس ونحوَ ذلك هو ما نزَّله[2] علىٰ الأنبياء، كالوحي والتأييد، أو الملائكة، فليست روح الله صفةً قائمةً به، لا حياته[3] ولا غيرها، ولكنها أمر بائن عنه.

السادس[4]: أنه إذا كان قد بَعَث كلمتَه الخالقة وهبطتْ والتحمتْ من مريم، فهو نفسه رب العالمين هبط والتحم من مريم، أم ربُّ العالمين نفسه لم يَهبط ولم يَلتحم من مريم، وإنما هبط والتحم الكلمة التي أرسلها؟

فإن قلتم: هو نفسه هبط والتحم، كان الأبُ ـ الوالدُ للكلمة ـ هو الذي هبط والتحم، وكان الأب هو الكلمة، وهذا مناقض لأقوالكم.

وإن قلتم: إن المبعوث الهابط الملتحِم ليس هو الأب، بل هو كلمة الرب، فقد جعلتموه الخالقَ، فيكون هناك خالقان، خالق أُرسِل فهَبَط والتَحَم، وخالق أَرسل ذلك ولم يهبط ولم يلتحم، وقد أثبتُّم خالقًا ثالثًا، وهو الروح، وهذا تصريح بثلاثة آلهة خالقين.

---

(١) المطبوعتان زيادة: «الوجه»، خلافًا للأصول.

(٢) المطبوعتان: «ينزله».

(٣) «لا حياته»: ساقط من المطبوعتين، وفي هامش (د) طمس في موضع اللَّحَق.

(٤) المطبوعتان زيادة: «الوجه» ليست في (د، ل).

الوجه[1] **السابع**: أنه قال: إن الله بعث كلمته الخالقة التي بها خَلَقَ كل شيء، فمع كونه جعلها خالقة، جعل أنه بها خَلَق كل شيء، والذي خَلَقَ بها كلَّ شيء ـ هو خالقٌ[2]، فجعلها[3] خالقةً، وجعل خالقًا آخر[4]، وجعل أحدَ الخالقَيْن[5] قد خَلَق الآخرُ به كلَّ شيء، وجعل هذا الخالقَ[6] قد بَعث ذاكَ الخالقَ الذي به خَلَق كلَّ شيء، وجعل الكلمةَ الخالقةَ احتجبتْ بإنسان مخلوق خَلقَتْه لنفسها بمسرَّة الأب ومؤازرة روح القدس خَلقًا جديدًا.

وإذا كانت هي الخالقة[7] بمسرَّة الأب[8]، فالأب لم يَخلقْه، بل سُرَّ بذلك، وروح القدس وازرت ذلك، والخالق خلق الخلق.

ومعلوم أنه إذا كان للخالق من يوازره علىٰ الخلق، لم يكن مستقلًا بالخلق، بل يكون له فيه شريك.

فهذه الكلمة، تارة يقولون: هي الخالقة، وتارة يقولون: خَلَق بها الخالقُ فخَلَقَتْ[9]، وتارة يقولون: إن روح القدس وازرها في الخلق، فهذه أربعة أقوال[10] ينقض بعضها بعضا.

فإن كان الله هو الخالقُ لكلِّ شيء فالخالق واحد، فليس هناك خالق آخر ولا شريكَ له في الخلق.

---

(١) ضرب علىٰ كلمة «الوجه» في (ل).

(٢) وهو الأب.

(٣) ضمير الفاعل: لابن البطريق ومن دان بقوله. والمفعول: الكلمة.

(٤) وهو الرب. وضمير الفاعل لابن البطريق أيضًا.

(٥) وهو الكلمة. والآخر: هو الأب.

(٦) الرب. والمبعوث: الكلمة.

(٧) (د): «خالقة».

(٨) المطبوعتان زيادة: «الخالق علىٰ الخلق»، خلاف النسخ الخطية.

(٩) (ل): «وتارة يقولون خلق بها الخلق، وتارة يقولون فخلقت».

(١٠) كذا، والظاهر ثلاثة.

والخالق إذا خلق الأشياء بقوله: «كن» لم يكن كلامه خالقًا، ولو كانت كل كلمة إلهًا خالقًا، لكان الآلهة الخالقون كثيرين لا نهاية لهم.

ثم قال: ليست بمخلوقة ولكنْ مولودةٌ منه من قبل كل الدهور.

فيقال: مَن مِن الأنبياء سمَّىٰ شيئًا من صفات الله مولودًا قديمًا أزليًّا(١)؟ وأيضًا(٢)، فكيف يكون مولودٌ(٣) قديم أزليٌّ؟ وهل يُعقل مولودٌ إلا محدَثًا؟

وأيضًا، فإذا جاز أن تكون الكلمة ـ التي يفسِّرونها بالعلم أو الحكمة ـ مولودةً منه، فكذلك حياتُه تكون(٤) مولودة منه، وإن كانت حياته منبثقة منه، فكلمته منبثقة منه.

فجَعْل إحدىٰ الصفتين الأزليتين مولودةً من(٥) الأزل غير منبثقة، والأخرىٰ ليست مولودة من الأزل، بل منبثقة ـ مع كونه باطلا = فهو متناقضٌ، وتفريق بين المتماثلين.

فإنه إن جاز أن يقال للصفة القديمة الأزلية: إنها مولودة منه = فالحياة مولودة، وإن جاز أن يقال: إنها منبثقة؛ فالكلمة منبثقة.

وأيضًا، فكون الصفة إلهًا خالقًا، وإثبات ثلاثة آلهة خالقين مع قولهم: إن الخالق واحد - تناقض آخر.

---

(١) (ل): «مولودًا له».

(٢) «وأيضًا» ليس في (د، والمطبوعتين).

(٣) بالرفع كما في عامة الأصول، علىٰ أن «كان» تامة، لا ناقصة كما ضَبَطه في المطبوع، وكلاهما متَّجه.

(٤) «تكون» سقط من (ل).

(٥) (ل): «هي».

وأيضا فقوله: «ولم يكن الله بلا كلمته ولا روحه قط» إن أراد بروحه حياته، فهذا صحيح، لكن مَن مِن الأنبياء سمَّىٰ حياة الله روحَه؟ ومن الذي جعل لله[1] روحًا قديمة أزلية؟ وهل هذا إلا افتراء علىٰ الأنبياء؟

وليس لقائل أن يقول: إن هذا نزاع لفظيٌّ فلا اعتبار به؛ لأن هذا تفسير لكلام الأنبياء، فهم الذين تكلموا بروح الله وروح القدس ونحو ذلك، ولم يُرِد أحدٌ بذلك حياة الله قط.

فتسمية حياة الله روحًا، وتفسير مراد الأنبياء بذلك افتراءٌ علىٰ الله ورسله.

الوجه الثامن: قوله: «فهبطتْ كلمة الله الخالقة بقِوَامها القائم الدائم الثابت الذي لم يزل ولا يزول، فالتحمت من مريم العذراء، وهي جارية طاهرة، مختارة من نسل داود، اصطفاها الله لهذا التدبير من نساء العالمين وطهَّرها بروح القدس، روحِه الجوهرية، التي جعلها أهلا لحلول كلمة الله الجوهرية بها، فاحتَجبَت الكلمةُ الخالقةُ بإنسان مخلوق خَلَقَتْه لنفسها بمسرَّة الأب ومؤازرة روح القدس خلقًا جديدًا».

فيقال: إن الكتب دلَّتْ علىٰ أن المسيح تجسَّد من روح القدس، ومن مريم العذراء البتول، وهكذا هو في الأمانة التي لهم، وبهذا أخبر القرآن؛ حيث أخبر في غير موضع، أنه نَفَخ في مريم من روحه مع إخباره أنه أَرسل إليها روحَه.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ

---

(١) المطبوع: «الله»، سهو.

رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ [مريم: ١٦ - ٢٣]

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم:١٢]. فالكتب الإلهية يصدق بعضها بعضا.

لكن دعواكم أن روحَ القدس، روحُ الله الجوهرية ـ أي حياته القديمة الأزلية ـ أمرٌ مخالف لجميع كتب الله وأنبيائه.

فلم يفسِّر أحدٌ منهم روحَ القدس بصفة الله، لا جوهرية ولا غير جوهرية، ولا قديمة ولا غير قديمة، ولا أرادوا بذلك حياة الله[1].

فقولكم هذا، تبديلٌ لكلام الله وكلام أنبيائه ورسله، كما أنكم في قولكم: إن كلمة الله أو علمه أو حياته مولودةٌ منه، وإن صفته القديمة الأزلية هي ابنُه= مما حرَّفتم فيه كلام الأنبياء، فلم يُرِد أحدٌ منهم هذا المعنىٰ بهذا اللفظ قط، ولم يُطلَق في جميع الكتب التي عندكم لفظُ الابن والمولود[2] إلا علىٰ محدَث مخلوق، لا علىٰ شيء قديم أزلي، لا موصوف ولا صفة ولا علم ولا كلام ولا حكمة، ولا غير ذلك.

---

(١) (ل): «حياته».

(٢) المطبوع: «المولود» بإسقاط واو العطف، خلاف النسخ.

وكل ولادة في الكتب الإلهية التي عندكم وغيرِها، فهي ولادة حادثة زمانية، وكل مولود، فهو مخلوق محدَث(١) زماني، ليس في الكتب ولادةٌ قديمة أزلية ولا مولود قديم أزلي، كما ادَّعيتم(٢) ذلك في أمانتكم وغيرها.

فلو كان ما ذكرتموه ممكنًا في العقول، لم يَجز أن تجعلوه(٣) موجودًا واقعًا، و[تقولوا](٤): الأنبياء أرادوا ذلك، إلا أن يكونوا بيَّنوا أن ذلك مرادهم.

فإذا كان كلامهم صريحًا في أنهم لم يريدوا ذلك، والمعقول الصريح يناقض ذلك = كان ما قلتموه كذبًا علىٰ الله وعلىٰ أنبيائه ورسله ومسيحه، وكان باطلًا في المعقول، وكنتم ممن قيل فيه(٥): ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠].

ثم يقال: أنتم قلتم: «إن الكلمة الخالقة هبطت فالتحمت من مريم، واحتجبت بإنسان مخلوق خلَقَتْه لنفسها»، وقلتم: «إن مريم حَمَلتْ بالإله الخالق وولدتْه الذي هو الابن».

فإذا جوَّزتم أن تكون مريم هي أُمًّا للخالق الذي هو الابن(٦) وولدتْه = فَلِم لا يجوز أن تكون زوجةً للخالق ـ الذي هو الأب ـ مع أن الخالق الْتَحَم من مريم؟ وقد قلتم: لَمْ يكن الله بلا كلمته ولا روحه قط، ولا كانت الكلمة بَرِيَّة منه قطّ، ولا من روحه الخالقة ولا من جوهره.

---

(١) المطبوعتان: «محدث مخلوق».

(٢) المطبوعتان: «كما ذكرتم»، خلاف الأصول الخطية.

(٣) (ل): «نجعله»، وكذا كان في (د) ثم أصلح إلىٰ المثبت.

(٤) (ل): «ونقول»، و(د): «وتقول»، وكأنّ الناسخ غَفَل عن إلحاق واو الجمع، كما فعل بما قبلها.

(٥) المطبوع زيادة: «وقالوا» صدر الآية الكريمة، خلافًا للأصول الخطية والمطبوعة، والظاهر قصْد الاكتفاء ببعض الآية، وهو بالسياق أليق.

(٦) المطبوعتان زيادة: «حملته»، خلافًا للنسخ الخطية.

فجعلتم الروحَ خالقةً، والله ـ الذي هو الأب ـ خالقًا، والمسيح قد تجسد من الروح الخالقة ومن مريم، فكما أن مريم أمه، فالروح الخالقة بمنزلة أبيه.

وأيضا فمريم لها اتصالٌ بالأب وبروح القدس، وكلاهما أب للمسيح علىٰ ما ذكرتموه.

فإذا[1] كانت مريم متَّصلةً بكل واحد ممن جعلتموه أبًا للمسيح، وقلتم: إن الخالق التحم من مريم، فهذا أبلغ ما يكون من جَعْلِ الخالق زوج مريم.

ومهما فسَّرتم به اتحادَ اللاهوت بناسوت المسيح المخلوق منها، كان تفسيرُ التحام اللاهوت بناسوت مريم حتىٰ يصير زوجًا لمريم أولىٰ وأحرىٰ، وليس في ذلك نقص ولا عيب إلا وفي كون اللاهوت ابن مريم، ما هو أبلغُ منه في النقص والعيب.

ومعلوم أن أُمّ[2] الإنسان أعلىٰ قدرًا عنده من زوجته، وأنَّ تسلُّطه علىٰ زوجته أعظمُ منه علىٰ أمِّه، فإن الرجل مالكٌ للزوجة، قوَّام عليها، والمرأةَ أسيرةٌ عند زوجها، بخلاف أمِّه.

فإذا جعلتم اللاهوت الخالق القديم الأزلي ابنًا لناسوت مريم بحكم[3] الاتحاد مع كونه خالقًا لها بلاهوته وابنًا لها بناسوته، ولم يكن هذا ممتنعًا عندكم ولا قبيحًا = فَأَنْ تكون مريمُ صاحبةً له وزوجةً وامرأةً بحكم الالتحام بالناسوت أولىٰ وأحرىٰ.

وإن كان هذا ممتنعًا وقبيحًا، فذاك أشدُّ امتناعًا وقبحًا.

---

(١) (ل): «وإذا».

(٢) «أم» سقطت من (ل، ط. النيل).

(٣) (ل): «فحكم»، خطأ.

ولهذا ذهب طوائف من النصارىٰ إلىٰ أن مريم امرأة الله وزوجته، وقالوا أبلغَ من ذلك، حتىٰ ذكروا شهوته للنكاح.

ولقد قال بعض أكابر عقلاء الملوك ممن كان نصرانيًّا: إنهم كانوا إذا انتَهَوا إلىٰ[1] قولهم: إن عيسىٰ ابنُ الله[2] = لم يُفهَم من ذلك إلا أن الله أحبلَ أمَّه وولدتْ له المسيحَ ابنَه[3]، كما يُحبِل الرَّجلُ المرأةَ وتَلِد له الولد، فيكون قد انفصل من الله جزءٌ في مريم بعد أن نكَحها، وذلك الجزء الذي من الله ومن مريم ولدتْه مريمُ كما تلد المرأة الولد الذي منها ومن زوجها، وقد قالت الجن المؤمنون: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن:٣].

فنزَّهوه عن هذا وهذا، وهؤلاء الجن المؤمنون أكملُ عقلًا ودينًا من هؤلاء النصارىٰ.

وقال تعالىٰ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٠١].

فقوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾، تقديره من أين يكون له ولد؟ فـ «أنىٰ» في اللغة[4] بمعنىٰ: من أين ذلك؟ وهذا استفهام إنكار.

فبيَّن سبحانه أنه يمتنع أن يكون له ولد ولم تكن له صاحبة، مع أنه خالق كل شيء، وأن هذا الولد يمتنع أن يكون، وأن هذا الامتناع مستقرٌّ في صريح المعقول.

---

(١) (د، المطبوعتان): «نبَّهوا علىٰ».

(٢) (ل): «المسيح بن مريم بن الله».

(٣) (ل): «إلا أن المسيح ابنه».

(٤) «العين»: (٨/ ٣٩٩)، «الصحاح»: (٦/ ٢٥٤٥)، «لسان العرب»: (١٥/ ٤٣٧).

ثم إذا كانت الكلمة ـ التي هي الخالق المخلوق به ـ قد حلَّتْ في جوف مريم والتحمتْ من مريم، وخَلَقَتْ منها إنسانًا هو المسيح، خَلَقَتْه لنفسها واحتجبتْ به واتَّحدتْ به، فهل كان خلقُها لهذا الإنسان قبل الاتحاد والاحتجاب، أم حين ذلك؟

فإنه بعد ذلك ظاهر الامتناع، محالٌ أنها بعد الاحتجاب به والاتحاد خَلَقَتْه، بل لا بد أن تكون خلقته قبله أو معه.

فإن كان معه، لزم كون المخلوق متَّحدًا بالخالق دائما، لم تمرَّ عليه لحظة إلا وهو متَّحد به.

فإذا أمكن أن يقارِن المخلوق خالقه ـ وعندهم أنه أقام تسعة أشهر حملًا كعامة الناس، وقد ذكر[1] سعيد بن البطريق هذا ـ فإذا كان كذلك، كان الربُّ متحدًا بالمضغة والجماد الذي لا روح فيه.

وإذا جاز عليه هذا، جاز أن يتَّحد بسائر الجمادات، وهذا على قول الأكثرين الذين يقولون: إن الروح إنما نُفخت فيه بعد أربعة أشهر[2]، وهذا يُشْبه[3] قولَ جمهور النصارى الذين يقولون: إن المسيح مات وصُلِب وفارقتْه[4] الروح الناطقة[5] المنفوخة فيه، والإله المتحد به لم يفارقه

---

(١) (ل، المطبوع) زيادة: «ذلك»، وكذا كان في (د) قبل التضبيب.
وإيراد ابن البطريق له في «تاريخه»: (ص١٦٠).
(٢) المطبوعتان زيادة: «ومن قال إنها نُفختْ فيه من حين أَخذَ الجسدَ من مريم»، وليس في النسخ الخطية.
(٣) (ل): «أشبه».
(٤) (ل، د) زيادة: «مستقر».
(٥) لم تحرَّر في (د). (ط. النيل): «الباطلة».

[أبدًا][1]، فإنهم يقولون: إنه من حين اتحد بناسوت المسيح لم يفارقه، بل هو الآن متَّحد به، وهو في السماء قاعدٌ عن يمين أبيه، وذلك القاعد هو[2] الخالق القديم، والأب هو الإله الخالق القديم الأزلي، وهما مع ذلك إله واحد.

والمقصود هنا: أنهم يقولون باتحاد اللاهوت بجسدٍ لا روح فيه[3] قبل النفخ وبعد الموت إلىٰ أن قام من قبره، فعادت الروح إليه، وحينئذ لم يَظهر من تلك المضغة[4] شيءٌ[5] من العجائب.

وهم يستدلون علىٰ إلهية المسيح بالعجائب[6]، مع أنه كان الإله متَّحدًا به قبل أن يُظهِر العجائب، وحينئذٍ فلا[7] يلزم من عدم ظهور العجائب من نبيٍّ[8] الجزمُ بأن الربَّ لم يتَّحد به مع إمكان الاتحاد.

ويلزم أن كل جامد وحي ظهرتْ منه العجائبُ أن يكون ذلك دليلًا علىٰ أن الرب اتَّحد به.

وحينئذ فَعُبَّاد العجل أعذرُ من النصارىٰ، وإن كان من عُبَّاد الأصنام من يقول: إن الصنم خَلَق السماوات والأرض، فهو أعذر من النصارىٰ؛ لأن ظهور العجائب من الحيوان الأعجم والجماد أعظمُ من ظهورها من الإنسان الناطق،

(١) «أبدا» ليس في (ل)، ولم تحرر في (د).
(٢) (ل) زيادة: «الإله».
(٣) (د): «بجسد الابن».
(٤) (ل): «الصفة»، وكذا (د) قبل أن يضرب عليها.
(٥) «شيء» سقط من (د).
(٦) أي الخوارق.
(٧) (ل): «لا».
(٨) المطبوعتان: «شيء»، تصحيف.

لاسيَّما الأنبياء والرسل، فإن الأنبياء والرسل معروفون بظهور العجائب علىٰ أيديهم، فإذا ظهرتْ علىٰ يد من يقول: إني نبي مرسل، كانت دليلًا علىٰ نبوته لا علىٰ إلهيته.

والمسيح كان يقول: إني نبي مرسل، كما ذكر ذلك في الإنجيل في غير موضع، فأما الحيوان الأعجم والجماد، فلا يجوز أن يكون نبيًّا.

فإن جاز الاتِّحاد بالمضغة[1] والجسم المقبور الذي لا روح فيه = فاتّحاده بالعجل وبالصنم أولىٰ، وحينئذ فَخُوار العجل عجيبٌ منه.

فاستدلال عُبَّاد العجل بذلك علىٰ أنه إلهٌ خيرٌ من استدلال النصارىٰ علىٰ إلهية المُضغة، إن قُدِّر ظهور شيء من العجائب التي قد يستدلون بها.

وإن كانت تلك لا تدل إلا علىٰ نبوته ـ صلىٰ الله عليه وسلم تسليمًا.

الوجه التاسع: قوله: «فاحتَجبت الكلمة الخالقة بإنسان مخلوق خلقتْه لنفسها»، وقوله: «فكانت مسكنًا في حلوله واحتجابه لِلُطفها عن جميع ما لطُف من الخلائق كلهم».

يقال له[2] ـ أولا ـ: من أين لك أن روح الإنسان أَلْطفُ من جميع المخلوقات، وأنها أَلطفُ من الملائكة والروح الذي قال الله فيه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾[3] [النبأ:٣٨]، وأنها ألطف من الروح التي نفخ في آدم منه بقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر:٢٩]، [ص:٧٢].

---

(١) (ل): «بالصفة».

(٢) المطبوع: «لهم»، خطأ.

(٣) المطبوعتان زيادة: «إلا من أذن له الرحمن» خلافًا للنسخ.

وبتقدير أن تكون ألطف؛ فأنت لا تقول: إن الاحتجاب والاتحاد كان بروح الإنسان مجرَّدة، بل بالجسد الناسوتي الدَّموي الغليظ، وتقول: «إن الخالق التحم من مريم العذراء» فتجعل الخالقَ قد التحم من لحم مريم، ومِن رَحِمِها الذي هو لحم ودم، وهذه أجساد كثيفة، بل جمهورهم يقول: إنه اتحد بجسد لا روح فيه قبل النفخ وبعد الموت وقبل أن يقوم من قبره.

وحينئذ فقولك: «فكانت مسكنًا لله في حلوله واحتجابه لِلُطْفها عن جميع ما لَطُف من الخلائق كلهم» وصفٌ ممنوعٌ، والتعليل به باطل، فإنه لو كان مسكنًا لِلُطفه؛ لم يجز أن يسكن إلا في الروح اللطيفة، فلما أثبت اتحادًا بالجسد الكثيف، بطل قولك: «إنه اتحد بالإنسان للطفه».

الوجه العاشر: قولك[1]: «واعلم أنه لا يُرىٰ شيءٌ من لطيف الخلق إلا في غليظ الخلق، ولا يُرىٰ ما هو لطيف من اللطيف إلا مع ما هو أغلظ منه».

يقال لهم: إما أن يكون الله لـمَّا اتَّحد بالمسيح عندكم قد رآه الناس وعاينوه، أو لم يَرَه أحد.

فإن قلتم: قد رآه الناس وعاينوه، **فهذا مخالفٌ**[2] **للحسِّ والشرع والعقل.**

أما الحسُّ، فإن أحدًا ممن رأىٰ المسيح لم يَرَ شيئًا يتميَّز به المسيح عن[3] غيره من البشر؛ غيرَ العجائب التي ظَهَر[4] علىٰ غيره منها ما هو أعظمُ مما ظَهَر عليه، ولم يَرَ إلا بَدَنَ المسيح الظاهر، لم يَرَ باطنه، لا قلبه ولا كَبِده ولا طُحاله،

(١) المطبوعتان: «قولكم»، والمثبت من الأصول الخطية أصح؛ إذ لا يزال الحديث في أوجه الردِّ علىٰ قول ابن البطريق، المتعصِّب لمذهب المَلَكِيَّة.
(٢) «مخالف» سقط من (ل).
(٣) (ل): «يميز به المسيح من غيره».
(٤) المطبوع: «ظهرت»، خطأ.

فضلًا عن أن يرىٰ روحه، فضلا عن أن يرىٰ الملائكة الذين يوحون إليه، فضلا عن أن يرىٰ الله، إن قُدِّر أنه كان متحدًا به أو حالًّا فيه.

فدعوىٰ المدَّعي أن من رأىٰ المسيح فقد رأىٰ الله عِيانًا ببصره ـ في غاية المباهتة والمكابرة والكذب، لو قُدِّر أن الله حالٌّ فيه، أو متَّحدٌ به.

فإنه من المعلوم أن الملائكة تَنزل[1] علىٰ المسيح وغيره وتَتَّصل بأرواحهم، والناس لا يَرون الملائكة، بل الجنُّ تدخل في بني آدم والناسُ لا يرونهم، وإنما يَرون جسدَ المصروع.

وكلُّ إنسان معه قرينُه من الملائكة، وقرينه من الجن، وهو نفسُه لا يَرىٰ ذلك، ولا يراه مَن حوله.

وتَحضرُه الملائكة وقت الموت ولا يراهم مَن حوله مع أنه هو يراهم، قال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٣ ـ ٨٧].

فإذا كانت هذه المخلوقات التي اتَّفق أهل الملل علىٰ اقترانها بالإنسان واتصالها بهم، وأن رؤيتَها ممكنةٌ ـ لا يراها الناس = فكيف يقال: إن المسيح الذي لم يَر الناسُ منه إلا ما رأوه من أمثاله من الرسل كإبراهيم وموسىٰ، ولم يكن له قطُّ شيء يتميَّز به عن جنس الرسل، فكيف يقال: إن الذين رأوه، رأوا اللهَ عِيانًا بأبصارهم؟

وأما الشرع، فموسىٰ والمسيح وغيرهما من الأنبياء أخبروا أنَّ أحدًا لا

(١) (ل): «نزلت».

يرىٰ الله في الدنيا[1].

وأما العقل، فإن رؤية بعض ملائكة الله، أو بعض الجن - يَظهَرُ لرائيها من الدلائل والأحوال ما يطول وصفُه، فكيف بمن رأىٰ الله؟

والذين رأوا المسيح لم يكن حالهم إلا كحال سائر مَن رأىٰ الرسل، منهم الكافرُ به المكذِّب له، ومنهم المؤمن به المصدِّق له، بل هم يذكرون من إهانة ناسوته ما لا يُعرَف عن نظرائه من الرسل، مثل ضَرْبه، والبصاقِ[2] في وجهه، ووضعِ الشوك علىٰ رأسه، وصلبِه، وغيرِ ذلك.

وأيضا، فمعلومٌ أن من رأىٰ الله إمَّا أن يعرف أنه الله، أو لا يَعرف.

فإن عَرَف أنه رأىٰ الله؛ كان الذين رأوا المسيح قد علموا أنه الله، ولو علموا ذلك لحصل[3] لهم من الاضطراب ما يَقْصُرُ عنه الخطاب.

وإن كانوا لم يعرفوه، فهذا في غاية الامتناع، حيث صار ربُّ العالمين لا يميَّز بينه وبين غيره من مخلوقاته، بل يكون كواحد منهم، ولا يُمَيَّز بينه وبينهم، ولا يَعرف الرائي أن هذا هو الله.

ولوازم هذا القول الفاسدةُ[4] كثيرةٌ جدا.

---

(١) فمن القرآن آيات كثيرة، منها قوله تعالىٰ لموسىٰ -عليه السلام-: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ومن السنة حديث ابن عمر عند مسلم (٢٩٣٠): «تَعْلموا أنه لن يَرىٰ أحدٌ منكم ربَّه ﷻ حتىٰ يموت». وأما الكتب المتقدمة: ففي: «إشعيا»: (٤٥: ١٥): «حقًّا أنت إله مُحتجِب»، وفي «إنجيل يوحنَّا» (١: ١٨): «الله لم يره أحد»، وفي «الرسالة الأولىٰ إلىٰ تيموثاوس» (٦: ١٦): «لم يَره أحدٌ من الناس ولا يَقدر أن يراه».

(٢) (ل): «البزاق».

(٣) (ل): «لم يحصُل»، ويظهر في (د) أثر كشط (لم).

(٤) (ل): «الفاسد»، وكلاهما متَّجه.

وإن قالوا: إن الله لم يُرَ لـمَّا اتَّحد بالمسيح، وإنما رُئي جسدُ المسيح الذي احتجب به الله[1] = فقولهم بعد ذلك: «واعلم أنه لا يُرىٰ شيءٌ من لطيف الخلق إلا في غليظ الخلق، ولا يُرىٰ ما هو لطيف من اللطيف إلا مع ما هو أغلظ منه» ـ كلام لا فائدة فيه؛ إذ كان هذا مثلًا ضربوه لله ليبينوا أنه يُرىٰ[2].

فإذا سلَّموا أنه لم يُر، لم يكن في هذا الـمَثَل فائدةٌ، بل كان[3] استدلالًا علىٰ شيء يعلمون أنه باطل.

وأيضًا، فما ذكروه من أن اللطيف لا يُرىٰ إلا في الغليظ ـ باطلٌ، فإن اللطيف كروح الإنسان لا تُرىٰ في الدنيا، وإن عُلِم وجودها، وأحسَّ الإنسانُ بروحه وصفاتها، فرؤيتها بالبصر غير هذا. يبين ذلك:

الوجه الحادي عشر: قولهم: «وإنا وجدنا روح الإنسان العاقلةَ الكَلِمانية ـ يعنون النَّفْس الناطقة ـ ألطفَ من لطيف الخلق، فلذلك كانت أولىٰ[4] خَلْق الله بحجاب الله، فكانت له حجابًا، وكانت النفس الدَّموية لها حجابًا، والجسدُ الغليظ حجابًا.

فعلىٰ هذا خالطت كلمةُ الله الخالقةُ لنفس[5] الإنسان الكاملة؛ بجسدها[6] ودمها وروحها العاقلة الكلمانية، وصارت كلمة الله بقوامها قوامًا

(١) «وإنما رئي جسد المسيح الذي احتجب به الله» سقط من (د).

(٢) (ل): «رئي».

(٣) المطبوعتان زيادة: «هذا»، وهي ملحقة في (د) عند قوله: «في هذا المثل»، فكأنه انتقل نظره إلىٰ هذا الموضع؛ فألحقها هنا.

(٤) (ل): «أول».

(٥) المطبوع: «نفس»، خلاف النسخ.

(٦) كذا عامة النسخ والمصادر، وفي المطبوعتين: «لجسدها».

لتثليث[1] الناسوت التي كمُل جوهرُها بتقويم قوام كلمة الله إياها؛ لأنها لم تُخلَق، ولم تَكُ شيئًا إلا بقولٍ[2] من كلمة الله الذي خلقها وقوَّمها، لا من شيءٍ سبق قبل ذلك في بطن مريم، ولا من سببٍ كان لها من غير ذلك غير قوام الكلمة الخالقة الذي هو أحد التثليث الإلهي».

فيقال لهم: هذا الكلام يقتضي أن الخالق احتجَب بالنفس الناطقة، والنفس الناطقة احتجبتْ بالبدن.

وأنتم مصرِّحون[3] بأن نفس الكلمة التي هي الخالق، وهي الله عندكم، التي خلقت لنفسها إنسانًا احتجبت به، وقلتم: هو إنسان تامٌّ بجسده ونفسه الدموية، وروحه الكلمانية، أي نفسه الناطقة التي هي صورة الله في الإنسان وشبهه، فكانت مسكنًا لله في حلوله واحتجابه.

فصرَّحتم[4] بأن البدن مع الروح مَسْكنٌ لله في حلوله واحتجابه، وأنه هو الذي خَلق ذلك البدن والروح، وقلتم: إن هذه الكلمة الخالقة المحتجِبة التي قلتم: إنها الله، التحمتْ من مريم العذراء.

فإذا كان الله الخالق قد التحمَ من مريم العذراء، فمعلومٌ أن ذلك قبل نفخ النفس الناطقة ـ التي سمَّيتموها الروح الكلمانية ـ في المسيح.

وإذا كان الخالق ـ تعالىٰ ـ قد التحم بجسدٍ لا روح فيه، والتحامُه به أبلغ من حلوله فيه، ثم اتخذ[5] الجسد حجابًا قبل نفخ الروح الكلمانية فيه= فكيف

(١) في «تاريخ ابن البطريق» (ص١٦٢): «لتلك»، كما تقدمت الإشارة إليه.
(٢) كذا عامة الأصول، وفي المصدر: «بقوام»، كما تقدم.
(٣) كذا الأصول الخطية، والمطبوعتان: «تصرِّحون».
(٤) (ل): «وصرحتم».
(٥) (ل): «اتحد»، ومغفلة في (د)، ولعله المثبت بدلالة السياق.

يقال: إنما حل في الروح لا في البدن، وهو قد التحم بالبدن واتَّخذ منه جزءًا مسكنًا له وحجابًا قبل أن ينفخ فيه الروح الكلمانية؟

وقلتم أيضا: فعلىٰ هذا خالطت كلمة الله الخالقة لنفس الإنسان الكاملة بجسدها ودمها وروحها العاقلة الكلمانية.

وهذا تصريح بأن الخالق خالط الإنسان بجسده ودمه وروحه.

فكيف تقولون: إنما احتجبت بالرُّوح اللطيفة، مع تصريحكم بأن الخالق اختلط بالجسد والدم؟!

وهذا أيضا يناقض قول من قال: إنه اتحد به اتحادًا بَرِيًّا من الاختلاط؛ فقد صرحتم هنا أنه اختلط به، وسيأتي بعض[1] نظائر هذا في كلامهم؛ يصرِّحون فيه باختلاط اللاهوت بالناسوت.

الوجه الثاني عشر: **قولكم**: «غير قوام الكلمة الخالقة الذي هو أحد التثليث الإلهي، فذلك القوام معدود معروف مع الناس، لـمَّا ضُمَّ إليه وخَلَقَه له التحم به من جوهر الإنسان، فهو ـ بتوحيد ذلك القِوام الواحد ـ قِوامٌ لكلمة الله الخالقة[2]، واحدٌ في التثليث بجوهر لاهوته، وواحدٌ من الناس بجوهر ناسوته، وليس باثنين، ولكن واحدٌ مع الأب والروح، وهو إياه واحدٌ مع الناس جميعًا بجوهرين مختلفين، من جوهر اللاهوت الخالق، وجوهر[3] الناسوت المخلوق، بتوحيد القوام الواحد قوام الكلمة، التي هي الابن المولود من الله من قبل كلِّ الدهور، وهو إياه المولود من مريم العذراء في آخر الزمان من غير مفارقةٍ من الأب، ولا من روح القدس».

---

(١) «بعض» ليس في (ل، والمطبوعتين).

(٢) (ل): «قوام الكلمة الخالقة». وفي المطبوع: «واحد مع»، خلاف النسخ والمصادر.

(٣) (ط. النيل): «وهو»، تصحيف.

فيقال: في هذا الكلام ـ بل فيما تقدم ذكره ـ ما يطول تَعدادُه ووصفُه من التناقض والفساد، والكلام الباطل، والكلامِ الذي تكلَّم به قائلُه، وهو لا يَتصوَّر ما يقول مع سوء التعبير عنه، كقوله: «وهو إياه»، فيضع الضمير المنفصل موضعَ المتصل، ويَعطف أحدَهما علىٰ الآخر بلا واو عطف، إلىٰ أمثال ذلك مما يطول ذكر معايبه[1].

وذلك أن قولَهم في نفسه باطلٌ لا حقيقة له، وهم لم يتصوَّروا معنىً معقولًا ثم عبَّروا عنه حتىٰ يقال: قصَّروا في التعبير! بل هم في ضلال وجهل لا يتصورون[2] ولا يعرفون ما يقولون، بل ولا لهم اعتقاد يَثْبُتُون عليه في المسيح، بل مهما قالوه من بِدَعهم كان باطلًا، وكانوا هم معترفين[3] بأنهم لا يفقهون ما يقولون.

لهذا يقولون: «هذا فوق[4] العقل»، ويقولون: «قد اتَّحد به بشر لا يُدرَك»، فما لا يُدرَك وما هو فوق العقل، ليس لأحد أن يعتقده ولا يقوله برأيه.

لكن إذا أخبرت الرسل الصادقون بما يَعجز عقلُ الإنسان عنه[5] صَدَّقهم، وإن نَقل عنهم ناقلٌ ما يُعلَم بصريح العقل بُطلانُه، عَلِم أنه يَكذب عليهم، إما في اللفظ والمعنىٰ، وإما في أحدهما.

وأما إذا كان هو يقول القول الذي يَذكر أنه عَلِم صحَّته، أو أنه فَسَّر به كلامَ الأنبياء، وهو لا يَتصوَّر ما يقوله، ولا يَفقهه، فهذا قائلٌ علىٰ الله وعلىٰ رسله

---

(١) كذا في (د، ط. النيل) بتسهيل الهمزة، وفي «ل، المطبوع»: معانيه، وكذا (د) قبل تصويبه.

(٢) المطبوعتان زيادة: «معقولًا» وليس في (ل)، ومرَّض عليه في (د)، إشارة إلىٰ حذفه.

(٣) المطبوع: «معترفون».

(٤) (ل): «قول»

(٥) المطبوع زيادة: «عَلِمَ»، وليس في عامة النسخ الخطية ولا المطبوعة.

ما لا يعلم، وهذا قد ارتكب أعظم المحرَّمات، قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣]

وقال عن الشيطان: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1] [البقرة:١٦٩].

وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء:١٧١-١٧٣].

واتفق[2] أهل الملل علىٰ أن القول علىٰ الله بغير علم حرامٌ، والله ـ سبحانه ـ نهاهم أن يقولوا علىٰ الله إلا الحقَّ، فكان هذا نهيًا أن يقولوا الباطل، سواء علِموا أنه باطلٌ، أو لم يعلموا.

فإنهم إن لم يعلموا أنه باطل، فلم يعلموا أنه حقٌّ أيضًا؛ إذ الباطل يَمتنع أن

---

(١) «وقال عن الشيطان» إلىٰ آخر الآية سقط من (د).

(٢) المطبوعتان: «وقد اتفق»، خلاف النسخ.

يُعلَم أنه حقٌّ، وإن اعتقد معتقدٌ اعتقادًا فاسدًا أنه حقٌّ؛ فذلك ليس بِعِلْمٍ، فلا تقولوا علىٰ الله ما لا تعلمون، وإن علِموا أنه باطل فهو أجدرُ أن لا يقولوه.

وعامةُ النصارىٰ ضُلَّال لا يعلمون أن ما يقولونه(١) حقٌّ، بل يقولون علىٰ الله ما لا يعلمون.

والمقصود: أن الباطل في كلامهم كثيرٌ، كقولهم: «فهو بتوحيد ذلك القوام الواحد ـ قوام لكلمة الله الخالقة».

والمسيح عندهم اسمٌ للاهوت والناسوت جميعًا، اسم للخالق والمخلوق، وأحدهما متَّحد بالآخر، فهو بتوحيد ذلك القوام، قوام لكلمة الله الخالقة، وسواء أريد بذلك أن الناسوت واللاهوت قوام للاهوت، أو الناسوت(٢) قِوام للاهوت، وهم يُمثِّلون ذلك بالروح والجسد، والنار والحديد، فيكون كما لو قيل: إن الجسد والروح أو الجسد ـ قوامٌ للروح، أو النار [والحديد](٣) أو الحديد ـ قوامٌ للنار.

فيقال: الخالق الأزلي الذي لم يزل ولا يزال، هل يكون المحدث المخلوق قِوامًا له؟ فيكون المخلوق المصنوع المحدَث المفتقِر إلىٰ الله من كل وجه ـ قِواما للخالق الغني عنه من كل وجه؟ وهل هذا إلا مِنْ أَظْهَرِ الدَّور الممتنِع؟

فإنه من المعلوم بصريح العقل واتِّفاق العقلاء، أن المخلوق لا قِوام له إلا بالخالق، فإن كان الخالق قِوامه بالمخلوق، لزم أن يكون كلٌّ من الخالق

---

(١) (ل): «يقولوه»، وتقدم توجيه نظائره.

(٢) (ل): «والناسوت»، والمطبوعتان: «أو أن الناسوت».

(٣) النسخ الخطية: «أو الحديد»، سبق قلم.

والمخلوق قِوامه بالآخر، فيكون كل منهما محتاجًا إلىٰ الآخر؛ إذ ما كان قِوام الشيء به، فإن الشيء[1] محتاجٌ إليه.

وهذا مع كونه يَقتضي أن الخالق يحتاج إلىٰ مخلوقه ـ وهو من الكفر الواضح ـ فإنه يَظهَر امتناعُه بصريح العقل، وهذا لازمٌ للنصارىٰ، سواء قالوا[2] بالاتحاد، أو بالحلول بلا اتِّحاد، وإن كانتْ فِرَقهم الثلاث يقولون بنوعٍ من الاتحاد، فإنه مع الاتحاد كلٌّ من المتَّحدين لا بُدَّ له من الآخر، فهو محتاجٌ إليه كما يُمثِّلون به في الروح مع البدن، والنار مع الحديد.

فإن الروح التي في البدن محتاجةٌ إلىٰ البدن، والنار التي[3] في الحديدة محتاجةٌ إلىٰ الحديدة. وكذلك الحلول، فإن كل حالٍّ محتاجٌ إلىٰ محلول فيه[4].

فإن ذلك المخلوق إن قُدِّر أنه موجود بنفسه قديم أزلي، فليس هو مخلوقًا، ومع هذا فيمتنع أن يكون كلٌّ من القديمين الأزليَّيْن محتاجًا إلىٰ الآخر، سواء قُدِّر أنه فاعل له، أو تمام الفاعل له، أو كان مفتقرًا إليه بوجهٍ من الوجوه؛ لأنه إذا كان مفتقرًا إليه بوجهٍ من الوجوه، لم يكن موجودًا إلا به.

فإن الموجود لا يكون موجودًا إلا بوجود لوازمِه، ولا يتمُّ وجودُه إلا به، فكل ما قُدِّر أنه محتاجٌ إليه ـ لم يكن موجودًا إلا به.

فإذا كان كلٌّ من القديمَيْن محتاجًا إلىٰ الآخر، لزِم أن لا يكون هذا موجودًا إلا بخَلْق ذلك ما به تتمُّ حاجة الآخر، وأن لا يكون هذا موجودًا إلا

---

(١) كذا في النسخ الخطية، والمطبوعتان: «فإنه».

(٢) (ل): «قالوه».

(٣) (د، المطبوعتان): «كما أن النار». وفي المطبوعتين: «الحديد»، خلاف النسخ الخطية.

(٤) في المطبوعتين زيادة: «وهو من الكفر الواضح، فإنه يظهر امتناعه بصريح العقل»، تكرار، وموضعها قبل أسطر كما تقدم.

بخلق ذلك ما به تتمُّ حاجة الآخر.

والخالق لا يكون خالقًا حتىٰ يكون موجودًا، ولا يكون موجودًا إلا بلوازم وجودِه، فيلزم أن لا يكون هذا موجودًا حتىٰ يجعله الآخر موجودًا، ولا يكون ذاك موجودًا حتىٰ يجعله الآخر موجودًا، إذ كان جَعْلُه لِـمَا[1] يَتِمُّ به وجودُه - يتوقَّف وجودُه عليه، فلا يكون موجودًا إلا به، فلا فرق بين أن يَحتاج أحدُهما إلىٰ الآخر في وجوده، أو فيما لا يتمُّ وجودُه إلا به، **وهذا هو الدَّوْر القَبْلي**[2] **الممتنِع باتفاق العقلاء.**

وأما الدَّوْر المَعِيُّ، وهو أنه لا يوجد هذا إلا مع هذا، ولا هذا إلا مع هذا، كالأبوَّة مع البنوَّة، وكصفات الرب بعضها مع بعض، وصفاتِه مع ذاته، فإنه لا يكون عالمـًا إلا مع كونه قادرًا، ولا يكون عالـمًا قادرًا إلا مع كونه حيًّا، ولا يكون حيًّا إلا مع كونه عالمـًا قادرًا، ولا تكون صفاته موجودةً إلا بذاته، ولا ذاته موجودةً إلا بصفاته، فهذا جائز في المخلوقَيْن اللذَيْن يفتقران إلىٰ الخالق الذي يُحدِثهما جميعًا، كالأبوَّة والبنوَّة، وجائزٌ في الربِّ الملازم لصفاته تعالىٰ.

وأما إذا قُدِّر قديمان أزليّان ربّان فاعلان، امتنع أن يكون أحدهما محتاجًا إلىٰ الآخر؛ إذ كان وجودُه لا يتمُّ إلا بما يحتاج وجودُه إليه، ولا يكون فاعلًا لشيء إن لم يتمَّ وجوده، فيمتنع مع نقصِ كلٍّ منهما عن تمام وجوده، أن يكون فاعلًا لغيره تمامَ وجودِ ذلك الغير، ولهذا لم يَقُلْ بهذا أحدٌ من الأمم.

ولكن الذي قاله النصارىٰ، أنهم جعلوا قوام الخالق - تعالىٰ - بالمخلوق.

---

(١) المطبوعتان زيادة: «لم»، إقحام يحيل المعنىٰ.

(٢) الدَّوْر: هو توقُّف كلٍّ واحد من الشيئين علىٰ الآخر، وقسَّمه المصنف إلىٰ قسمين: القَبْلي السَّبْقي؛ وهو أن لا يوجد هذا إلا بعد ذاك، ولا يوجد ذاك إلا بعد هذا. فهذا ممتنع باتفاق العقلاء. والمعيّ الاقتراني؛ بيَّنه المصنف هنا. «الكليَّات»: (ص٤٤٧)، «درء التعارض»: (٣/ ١٤٣).

فيقال لهم: هذا أيضا ممتنع في صريح العقل أعظمَ من امتناع قيام كلٍّ من الخالقَيْن بالآخر، وإن كان هذا أيضًا ممتنعًا. فإن المخلوق مفتقر في جميع أموره إلىٰ الخالق، فيمتنع مع فقره في وجوده وتمام وجوده إلىٰ الخالق أن يكون قِوام الخالق به؛ لأن ذلك يقتضي أن يكون مقيمًا له، وأن يكون تمامُ وجوده به، فيكون المخلوقُ لا وجود لشيء منه إلا بالخالق.

فالقَدْر الذي يقال: إنه يقيم به الخالق - هو من الخالق، والخالقُ خالقُه وخالقُ كلِّ مخلوق، فلا وجود له ولا قيام إلا بالخالق، فكيف يكون به قيامُ الخالق؟

وليس هذا كالجوهر وأعراضه اللازمة، أو كالمادّة والصورة - عند من يزعم أن الصورة جوهر - إذا كانا متلازمين؛ فإن هذا من باب الدَّور المعِيّ، كالبنوة مع الأبوة، وهذا جائز كما تقدم؛ إذ كان الخالق لهما جميعا هو الله. وأما مع كون كل منهما هو الخالق، فهو ممتنع، ومع كون أحدهما خالقًا والآخر مخلوقًا، فهو أشدُّ امتناعًا.

والرب - تعالىٰ - غنيٌّ عن كلِّ ما سواه من كل وجه، وكلُّ ما سواه فقيرٌ إليه من كل وجه، وهذا من[1] معنىٰ اسمه «الصمد»، فإن الصمد الذي يَصمُد إليه كل شيء؛ لافتقاره إليه، وهو غنيٌّ عن كل شيء، لا يَصمُد إلىٰ شيء، ولا يَسأله شيئًا - سبحانه وتعالى - فكيف يكون قِوامه بشيء من المخلوقات؟

وهذا الاتحاد الخاصُّ من النصارىٰ يشبه - من بعض الوجوه - قولَ أهل الوحدة والاتِّحاد العامّ، الذين يقولون كما يقوله ابن عربيٍّ؛ صاحب

(١) «من» سقط من المطبوع. وينظر في معنىٰ اسم الله «الصمد»: «تفسير البغوي»: (٨/ ٥٨٨)، «مجموع الفتاوىٰ»: (١٧/ ٣١٤)، «تفسير ابن كثير»: (٨/ ٥٢٨).

«الفصوص» و«الفتوحات المكية»[1]: إن أعيان المخلوقات ثابتة في العدم، ووجود الحقِّ فاض[2] عليها، فهي مفتقِرةٌ إليه من حيث الوجودُ المشتركُ العامُّ، وهو وجودُه، وهو مفتقِرٌ إليها من حيث الأعيانُ الثابتةُ في العدم، وهو ما يَختَصُّ به كلُّ عينٍ عينٌ. فيَجعَلُ كلَّ واحدٍ من الخالق والمخلوق مفتقِرًا[3] إلىٰ الآخر.

ويقولون: الوجودُ واحد، ثم يُثْبِتون تعدُّد الأعيان، ويقولون: هي مظاهر ومجالي.

فإن كان الـمُظْهَرُ والمـُجَلَّىٰ غيرَ الظاهر، فقد ثبت التعدّد، وإن كان هو إيَّاه، فلا تعدُّد، فلهذا يضطرُّون إلىٰ التناقض كما يضطرُّ إليه النصارىٰ، حيث[4] يُثْبتون الوَحدة مع الكثرة، ويُنشِدون:

«فيَعبُدني وأعبُدُه ويَحمَدني وأحمدُه»[5]

وهؤلاء بَنَوا قولهم علىٰ أصلين فاسدين[6].

---

(١) (ط. النيل): «المَلَكِيَّة»، تصحيف. وابن عربي: هو محيي الدين محمد بن علي بن محمد ابن العربي، أبو بكر الأندلسي، فيلسوف، من أئمة المتكلمين، قدوة أهل الوحدة (ت٦٣٨) بدمشق. ترجمته في «تاريخ الإسلام»: (١٤/ ٢٧٣)، «لسان الميزان»: (٥/ ٣١١).
وكلامه في «الفصوص» (ط. دار الكتاب العربي): (ص٤٩)، وما بعدها، وفي «الفتوحات المكية» (ط. دار صادر): (٢/ ٣٩٥) وما بعدها. وينظر: «درء التعارض»: (٦/ ١٦٣)، «مجموع الفتاوىٰ»: (٢/ ١١٤).

(٢) ل: «قاضٍ».

(٣) (ل، المطبوع): «مفتقرٌ» بالرفع!

(٤) «حيث» سقط من (ل).

(٥) بيتٌ من نصٍّ علىٰ مجزوء الوافر لابن عربي في «الفصوص»: (ص٨٣)، وبعده:

ففي حالٍ أقِرُّ به وفي الأعيان أجحده
فيعرفني وأنكره وأعرفه فأشهده

(٦) «مجموع الفتاوىٰ»: (٢/ ١٤٣-١٥٩)، (٢/ ٤٦٩)، و«المستدرك عليه»: (١/ ٣٥).

أحدهما: أن أعيان الممكِنات ثابتةٌ في العَدَم، كقول من يقول من أهل الكلام: إن المعدوم شيءٌ ثابتٌ في العدم[1]، وهذا القول فاسدٌ عند جماهير العقلاء.

وإنما حقيقة الأمر، أن المعدوم يُراد إيجاده ويُتصوَّر، ويُخبَر به، ويُكتَب قبل وجوده، فله وجودٌ في العِلم والقول والخطّ، وأما في الخارج فلا وجود له.

والوجود هو الثبوت، فلا ثبوت له في الوجود العينيّ الخارجيّ، وإنما ثبوته في العلم؛ أي يعلمه العالِم قبل وجوده.

والأصل الثاني: أنهم جعلوا نفسَ وجودِ رب العالمين الخالق القديم الأزليّ الواجب بنفسه ـ هو ـ نفسُ وجود المربوب المصنوع الممكن، كما قال ابن عربي[2]: «ومن عَرَف ما قرَّرناه في الأعداد، وأن نفيَها عينُ[3] إثباتها، علِم أن الحقَّ المنزَّه هو الخَلقُ المشبَّه. فالأمر الخالق[4] هو المخلوق، والأمر المخلوق هو الخالق، كل ذلك مِن عينٍ واحدة، لا بل هو العينُ الواحدة، وهو العيون الكثيرة»[5]. إلىٰ أن قال: «وما ذَبح سوىٰ نفسِه، وما نكح سوىٰ نفسِه».

وقال[6]: «ومن أسمائه الحسنىٰ العليّ، علىٰ من يكون عليًّا، وما هو إلا

(١) أول من ابتدع هذه المقالة: أبو عثمان الشَّحَّام، شيخ أبي علي الجُبَّائي، وتَبِعه عليها طوائف من القدرية المبتدعة من المعتزلة والرافضة. «مجموعة الرسائل والمسائل»: (٤/ ١٧).

(٢) في «الفصوص»: (ص٧٨).

(٣) (ل): «عن».

(٤) المطبوع: «للخالق»، خطأ.

(٥) المطبوعتان زيادة: «وهو يا أبت افعل ما تؤمر»، وليست في النسخ. وتتمة النصّ في «الفصوص» (ص٧٨): «(فانظر ماذا ترىٰ، قال يا أبت افعل ما تؤمر)، والولد عين أبيه، فما رأىٰ يَذْبح سوىٰ نفسِه ... (وخَلَقَ منها زوجها): فما نكح سوىٰ نفسه، فمنه الصاحبة والولد، والأمرُ واحدٌ في العدد».

(٦) في «الفصوص»: (ص٧٦).

هو؟ أو عن ماذا يكون عليًّا، وما ثم إلا هو؟ فَعُلُوُّه لنفسه، وهو من حيث الوجود عينُ الموجودات، فالمسمَّىٰ محدَثات هي العَلِيَّة لذاتها، وليست إلا [هو][(١)]».

وقد نُقِلَ عن أبي سعيد الخراز أنه قيل له: بماذا عرفت ربك؟ قال: بجمعه بين الأضداد، وقرأ قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[(٢)] [الحديد:٣].

أراد بذلك أنه مجتمِعٌ في حقِّه ـ سبحانه ـ ما يتضادُّ في حق غيره، فإن المخلوق لا يكون أولًا آخرًا ظاهرًا باطنًا[(٣)].

وقد ثبت في الصحيح[(٤)] عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**أنت الأوَّلُ فليس قَبلك شيء، وأنت الآخرُ فليس بعدك شيء، وأنت الظاهرُ فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**».

فجاء هذا الـمُلْحِد[(٥)] وفَسَّر قولَ أبي سعيد بأن المخلوق هو الخالق، فقال: «قال أبو سعيد ـ وهو وجهٌ من وجوه الحق، ولسانٌ من ألسنته، ينطق عن نفسه ـ: بأن الله لا يُعرَف إلا بجمعه بين الأضداد في الحكم عليه بها، فهو الأول

---

(١) «إلا هو» ليست في (د، ط. النيل)، و«هو» ليس في (ل)، والمثبَت من مصدر النقل.

(٢) أورده المصنِّف في «بغية المرتاد»؛ (ص: ٤٠٤)، والبقاعي في «تنبيه الغبي»: (ص:٦٤)، والملا قاري في «الرد على القائلين بوحدة الوجود»: (ص: ١٠٥).
وأبو سعيد الخراز هو: أحمد بن عيسىٰ الخراز، شيخٌ صوفيٌّ من أهل بغداد (ت٢٧٧هـ وقيل: ٢٨٦هـ). ترجمته في: «تاريخ بغداد»: (٥/ ٤٥٤)، «طبقات الأولياء»؛ لابن الملقن: (ص٤٠).

(٣) (د، المطبوعتان): «باطنًا ظاهرًا».

(٤) صحيح مسلم (٢٧١٣) جزء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) ابن عربي في «الفصوص»: (ص٧٧).

والآخر، والظاهر والباطن، فهو عينُ ما ظهر وهو عينُ ما بطن في حال ظهوره، وما ثَمَّ مَن يراه غيرُه، وما ثَمَّ مَن بَطَنَ[1] عنه سواه، فهو ظاهرٌ لنفسه، باطنٌ عن نفسه، وهو المسمَّىٰ أبو[2] سعيد الخراز، وغيرَ ذلك من أسماء المحدَثات».

ولهذا قال بعضُ النصارىٰ ـ لمن يقول مثلَ هذا ويَحكيه عن شيوخه ويقول: إنه مسلم ـ: «أنتم كفَّرتمونا لأجل أن قلنا: إن الله هو المسيح، وشيوخكم يقولون: إن الله هو أبو سعيد الخراز، والمسيح خير من أبي سعيد».

وهؤلاء يُجيبون النصارىٰ بجوابٍ يَتَبيَّن به أنهم أعظم إلحادًا من النصارىٰ.

فيقولون للنصارىٰ: «أنتم خَصَصْتموه بالمسيح، ونحن نقول: هو وجودُ كل شيء، لا نخصُّ المسيح».

ولهذا قال بعضُهم لأحذق هؤلاء «التِّلمساني»[3] الملقب بالعفيف: «أنت نصيري؟». فقال: «نصير جزءٌ مني».

فإن النصيرية أتباع «أبي شعيب محمدِ بنِ نُصَيْر»[4] يقولون في عليٍّ بن أبي طالب نظيرَ ما يقولُه النصارىٰ في المسيح، كذلك سائرُ الغلاة في علي، أو في أحدٍ من أهل بيته، أو في الإسماعيلية بني عبيد المنتسبين إلىٰ «محمد بن إسماعيل بن

---

(١) في «الفصوص»: «يبطُن»، وهو أليق.

(٢) كذا في عامة النسخ، وفي «الفصوص»: «أبا» بالنصب علىٰ الجادَّة، وأشار ناشره إلىٰ نسخة أخرىٰ بالرفع علىٰ الحكاية. وضمير «وهو» لله ـ تعالىٰ الله وتقدَّس ـ.

(٣) تقدمت ترجمته، كما سبق التعريف بالنصيرية.

(٤) أبو شعيب محمّد بن نصير العبدي البكريّ النميّري، ادَّعىٰ أنه الباب إلىٰ المهدي المنتظر ـ محمد بن الحسن العسكري، وكان خادمه ـ فلم تُقِرّ له الإمامية بذلك، فانفصل عنهم، ونُسبت إليه طائفة «النصيرية»، أو «العلوية»؛ لاعتقادهم ألوهية علي. (ت ٢٦٠هـ وقيل ٢٧٠هـ). وانظر: «الملل والنحل»: (١/ ١٨٨)، و«الفتاوىٰ»: (٣/ ٥١٣).

جعفر»[١]، كالحاكم وغيره، أو في الحَلَّاج، أو في[٢] بعضٍ من الشيوخ الذين يعتقدونهم[٣]، يقولون في واحدٍ من هؤلاء باتحاد اللاهوت به أو حلوله فيه، نظيرَ ما تقولُه النصارىٰ في المسيح.

وهؤلاء يقولون بأن الحلول والاتحاد محدَث، وأن القديم حلَّ أو اتَّحد بالمحدَث، بعد أن لم يكونا متَّحدَين.

وأما أولئك فيقولون بالوحدة المطلقة، فمحققوهم يقولون: إنه وجود كل شيء، لا يقولون باتحاد وجودَيْن، ولا بحلول أحدهما بالآخر، بل قد يقولون: إن الوجود هو الثبوت[٤]، ووجودُ الحق وثبوتُ الأشياء اتَّحدا، وكلٌّ منهما مفتقِرٌ إلىٰ الآخر. فالحقُّ إذا ظهر كان عبدًا، والعبدُ إذا بَطَن كان ربًّا.

ويقولون: إذا حصل لك التجلِّي الذاتي، وهو هذا، لم تضرَّك عبادةُ الأوثان ولا غيرُها، بل يصرّحون بأنه عينُ الأوثان والأنداد، وأنَّ أحدًا لم يَعبد غيرَه، كما يقول ابن عربي[٥] مُصَوِّبًا لقوم نوح الكفار: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾ [نوح:٢٢] قال: «لأن الدعوة إلىٰ الله مكرٌ بالمدعوِّ؛ فإنه ما عُدِمَ من البداية، فيُدْعىٰ إلىٰ الغاية. ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فهذا عين المكر[٦]، فأجابوه مكرًا كما دعاهم مكرًا، فقالوا في مكرهم: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ

(١) تقدم التعريف بالإسماعيلية، وترجمة مَن ذُكر هنا.

(٢) «في» سقطت من (ل).

(٣) «الذين يعتقدونهم» ليس في (د)، وأشير إلىٰ لحقٍ لم يحرَّر.

(٤) في (ل): «والثبوت»، والمطبوعتان: «هو ثبوت»، خلاف النسخ. والمثبت من (د)، وهو الصحيح؛ لتقدمه بهذا اللفظ ـ قريبًا ـ آخر الأصل الأول.

(٥) في «الفصوص»: (ص٧١، ٧٢).

(٦) في «الفصوص» زيادة: «(علىٰ بصيرة) فنبَّه أن الأمرَ له كلَّه».

وَنَسۡرٗا﴾ [نوح:٢٣] فإنهم إذا تركوهم[1] جَهِلوا من[2] الحق على قدر[3] ما تركوا من هؤلاء.

فإن للحقِّ في كل معبود وجهًا، يعرفه من عَرَفه، ويَجهلُه من جهِلَه، كما قال في المحمديين: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]؛ أي حَكم[4] فما حكم الله بشيء إلا وقع[5].

فالعارف يَعرف من عَبَد، وفي أي صورةٍ ظَهَر حتى عُبِد، وأن التفريق والكثرة كالأعضاء في الصورة المحسوسة، وكالقوى المعنوية في الصُّورة[6] الروحانية، فما عُبِد غيرُ الله في كل معبود».

وصَوَّب هذا الملحدُ فرعونَ في قوله: «أنا ربكم الأعلى».

قال[7]: «ولما كان فرعون في منصب التَّحَكُّم صاحب الوقت، وأنه الخليفة بالسيف ـ وإن جار في العُرف النَّاموسي ـ لذلك قال: «أنا ربكم الأعلى»: أي وإن كان الكلُّ أربابًا بنسبةٍ ما، فأنا الأعلى منهم بما أُعطِيتُه في الظاهر من الحكم فيكم.

قال: ولما علمت السَّحرة صدقَ فرعون فيما قاله لم يُنكروه، وأقرُّوا له بذلك

---

(١) «فإنهم» سقط من المطبوع. وفي (ل): «تركوا هؤلاء».

(٢) المطبوع: «عن»، خلاف عامة الأصول، ومصدر النقل.

(٣) (ل): «بقدر».

(٤) كذا في (ل، وأصل النقل)، وسقط قوله: «أي حكم» في (د، ط. النيل).

(٥) كذا عامة النسخ الخطية والمطبوعة، وليس في «الفصوص» قوله: «وما حكم الله بشيء إلا وقع»، ولعلها مقحمة هنا، وسَتَرِد بلفظها ـ في سائر الأصول ـ عند الكلام عن أصحاب العجل قريبًا، وهو موضعها في «الفصوص» الذي صدر عنه المؤلف.

(٦) المطبوعتان: «الصور» خلافًا للأصول الخطية ومصدر النص.

(٧) في «الفصوص»: (ص٢١٠، ٢١١).

وقالوا له: إنما تقضي هذه الحياة الدنيا. فاقض ما أنت قاض. فالدولة لك.

قال: فصحَّ قولُ فرعون: «أنا ربكم الأعلىٰ». وإن كان فرعون عينَ الحق[1]».

وصوَّب أيضًا أهلَ[2] العجل في عبادتهم العجل، وزعم أن موسىٰ رضي بذلك، فقال[3]: «ولما كان موسىٰ أعلم بالأمر من هارون لعلمه بأن الله قضىٰ أن لا نعبد[4] إلا إياه، وما حكم الله بشيء إلا وقع = كان عَتَبُه[5] علىٰ هارون لإنكاره وعدم اتِّساعه، فإن العارف مَن يَرىٰ الحقَّ في كلِّ شيء، بل[6] يراه عينَ كل شيء».

ومن هؤلاء[7] طائفةٌ لا يقولون بثبوت الأعيان في العدم، بل يقولون: ما ثَمَّ وجودٌ إلا وجودُ الحقّ.

لكن يُفرِّقون بين المطلق والمعيَّن، فيقولون: هو الوجود المطلق السَّاري في الموجودات المعينة، كالحيوانية الثابتةِ في كلِّ حيوان، والإنسانيةِ الثابتةِ في كل إنسان، **وهذا الذي يسمَّىٰ الكليَّ الطبيعيَّ**[8].

---

(١) في «الفصوص»: «وإن كان عينَ الحق؛ فالصورة لفرعون».

(٢) (ل): «عباد».

(٣) في «الفصوص»: (ص١٩٢).

(٤) (ل): «يُعبد».

(٥) (د، ط. النيل): «عيبُه»، والمثبت من (ل) و«الفصوص» مصدر المؤلف.

(٦) (ل) زيادة: «مَن».

(٧) أي الحلولية القائلين بالاتِّحاد العام. والمراد هنا: أصحاب الصدر القونوي. ينظر: «درء التعارض»: (١/ ٢٩٠)، و«بيان تلبيس الجهمية»: (٦/ ٦١٤).

(٨) الكلي ثلاثة أنواع: طبيعي ومنطقي وعقلي؛ فالطبيعي: هو الحقيقة المُطلَقة كالإنسانية والحيوانية. والمنطقي: ما يعرض لهذه من العموم والكلية. والعقلي: هو المركب منهما.
فالعقلي والمنطقي لا يوجدان إلا في الذهن، وأما الطبيعي فموجود في الخارج لكن لا يوجد إلا معيَّنًا. ينظر: «الصفدية»: (ج١/ ١١٣)، و«لوامع الأسرار»: (ص٥٦ ـ ٦٠).

ويُسمُّون هذا الوجود: الإحاطة، فيقولون[1]: **الوجود المطلق، إما بشرط الإطلاق عن كلِّ قيد**[2]**، وهذا يُسمَّىٰ الكليَّ العقليَّ.**

وهذا عند عامة العقلاء **لا يوجد إلا في الذهن لا في الخارج**، ولكن يُحكىٰ عن شيعة «أفلاطون» أنهم أَثبتوا هذه الكليَّات[3] المجرَّدة عن الأعيان في الخارج، وقالوا: إنها قديمة أزليَّة، إنسانيَّة مطلقة، وحيوانية مطلقة، ويُسمُّونها الُمثُل الأفلاطونية، والـمُثُل المعلَّقة[4].

وقد ردَّ ذلك عليهم إخوانُهم؛ «أرسطو» وشيعتُه وجماهيرُ العقلاء، وبَيَّنوا أن هذه إنما هي متصوَّرة في الأذهان لا موجودةٌ في الأعيان، كما يَتصوَّر الذهنُ عددًا مطلقًا ومقاديرَ مطلقة، كالنقطة والخطِّ والسَّطح والجسم التعليمي، ونحو ذلك مما يتصوَّره الذهنُ[5]، وليس في ذلك شيءٌ من[6] الموجودات الثابتة في الخارج[7].

---

(١) (ل) زيادة: «هو».

(٢) وإما وجود مطلق لا بشرط، وسيأتي عند قوله: «ثم بعده ...».

(٣) (د، ط النيل): «الكلمات»، تصحيف. وهذه الكليات المجردة عن الأعيان هي التي يسمونها المثل الأفلاطونية، وهي الماهيات المجرَّدة، والـهَيُولي المجردة، والمادَّة المجردة، والخلاء المجرد. وقد تقدم التعريف بها. ينظر: «درء تعارض العقل والنقل»: (٥/ ١٧٤).

(٤) كذا عامة النسخ الخطية والمطبوعة، موافقًا لما في المصادر، وفي «الفتاوىٰ»: (٢/ ٤٩٥): «المثل المطلقة».
انظر الفرق بين المثل المعلقة والمثل الأفلاطونية في «حاشية الكَلَنْبَوي علىٰ شرح الدَّوَّاني علىٰ العقائد العضدية»: (٢/ ٤١)، و«المثل العقلية الأفلاطونية»: (ص٨٥، ١٥٠).

(٥) (ل): «يتصور في الذهن».

(٦) (ل): «وليس من ذلك شيء في».

(٧) تفصيل المسألة في: «الرد علىٰ المنطقيين»: (ص١٣٤، ٣٠٨)، و«بيان تلبيس الجهمية»: (٥/ ٢٦٤) وما بعدها.

وهـذا المطلَقُ بشـرط الإطـلاق، يَظـنُّ هـؤلاء ثبوتَـه في الخـارج[1]، وقـد يُسمُّونه الإحاطة، وهو الوجودُ المجرَّد عن جميع القيود.

ثـم بعـده الوجـود المطلـق لا بشـرط، وهـو العـام المنقسـم إلـىٰ واجـب وممكن، إلىٰ قديم وحادث ونحو ذلك، كانقسام الحيوان إلىٰ ناطق وأعجم.

وهذا المطلق لا بشرط يوجد في الخارج، فإن الاسم المفرد يصدق عليه فيقـال: هـذا حيـوان، هـذا إنسـان، وإن كـان[2] الاسـم العـام شـاملًا لأنواعـه وأشخاصه لكن **لا يوجد في الخارج إلا مقيدًا معيَّنًا**.

ومن قال: إنه يوجد في الخارج كُلِيًّا، فقد غلط، فإن الكُليَّ لا يكـون كليًّـا قط إلا في الأذهان لا في الأعيان، وليس في الخارج إلا شيءٌ معيَّن، إذا تُصُوِّر منَع نفسُ تَصوُّره من وقوع الشَّرِكة فيه، ولكن العقل يأخذ القدْر المشترك الكلي بين المعيَّنات، فيكون كليًّا مشتركًا في الأذهان.

وهؤلاء يجعلون الوجود الواجب هذا، وقد يجعلونه بعد هذا، فيقولون: هذا فوق[3] الواجب.

وهـذا الوجـود الكلـيّ إذا قيـل: إنـه لا يوجـد في الخـارج إلا معيّنـا = فـلا موجـودَ[4] في الخـارج سـوىٰ الموجـودات المعيَّنـة المشخَّصـة بمـا فيهـا مـن الصفات القائمة بها.

وإن قُدِّر وجوده في الخارج، فهو إما جزء من المعيَّنات، وإما صفة لها.

---

(١) «في الخارج» سقط من (ط. النيل).

(٢) «الاسم المفرد يصدق عليه ... » سقط من (د، ط النيل)؛ لانتقال النظر.

(٣) المطبوع: «فرق»، خطأ.

(٤) (ل): «يوجد».

فعلىٰ الأول، لا يكون في الخارج موجودٌ [مطلقٌ][1] هو رب الموجودات المعيَّنة.

وعلىٰ الثاني، يكون رب الموجودات جزءها أو صفة لها.

ومعلوم بصريح العقل أن صفة الشيء القائمة به لا تَخلُق الموصوف، وأن جزءَ الشيء لا يَخلق الشيء، بل جزءُ الشيء جزءٌ[2] من الشيء.

فإذا كان هو الخالق للجملة، كان خالقًا لنفسه، وكان بعضُ الشيء خالقًا لكلِّه.

ومن هؤلاء من يقول: إن الرب في العالم كالزُّبد في اللبن، والدُّهن في السِّمسم ونحو ذلك، فيجعلونه جزءًا من العالم المخلوق[3]. ونفس تَصوُّر هذا يكفي في العلم بفساده.

لكن هؤلاء يقولون لمن يتبعهم[4]: إن لم تترك العقل والنقل، لم يحصل لك التحقيق والتجلي[5] الذي حصل لنا. ويقولون: ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل.

فقلت لبعضهم: إن الأنبياء ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ أكملُ الناس كشفًا، وهم يُخبرون بما تعجز عقول الناس عن معرفته، لا بما تَعرِف عقولُهم[6] أنه باطل، فيُخبِرون بمَحارات العقول لا بمُحالات العقول. فَمَن دونهم إذا أخبر عن شهودٍ وكشفٍ يُعلَم بصريح العقل بطلانُه = عُلِم أن كشفه باطل.

---

(١) زيادة يقتضيها المقام.
(٢) (ل): «بعضٌ».
(٣) «المخلوق» ليس في (ل).
(٤) المطبوع: «لمن تبعهم»، وهي ساقطة من (د، ط النيل)
(٥) «والتجلي» ليس في (د، ط النيل).
(٦) المطبوع: «يُعرَف في عقولهم»، خلافا لعامة الأصول.

وأما إن كان لم يُعلم بطلانه، فهذا قد يمكن فيه[1] إصابته، وقد يمكن خطؤه؛ إذ[2] غير الأنبياء ليس بمعصوم[3].

وهؤلاء سمعوا باسمِ الله وقصدوا عبادتَه ومعرفتَه، فوقفوا علىٰ أثره في مصنوعاته، فظنُّوا أنه هو كمن سَمِع بالشمس، فلما أن رأىٰ الشعاع المنبسِط في الهواء والأرض؛ ظن أن ذلك هو الشمس، ولم يُصعِد بصرَه وبصيرته إلىٰ الشمس التي في السماء.

وكذلك هؤلاء لم تصعد[4] بصائر قلوبهم إلىٰ رب العالمين، الذي فوق كل شيء المباين لمخلوقاته.

وسرُّ ذلك، أنهم يشهدون بقلوبهم وجودًا مطلقًا بسيطًا ليس له اسم خاص، كالحي والعليم والقدير. ولا له صفة، ولا يتميّز فيه شيء عن شيء، وهذا هو الوجود المشترك.

لكن هذا الشهود[5] هو في نفوسهم، لا حقيقة له في الخارج، وكثيرٌ ممن يخاطبهم لا يتصوَّر ما يشهدونه، فيظنون أنه لم يَفهم ما شهدوه.

وقد خاطبتُ غير واحد منهم، وبيَّنتُ له أن هذا الذي يشهدونه هو في الذِّهن، وبتقدير أن يكون موجودًا في الخارج، فهو صفة للموجودات، أو جزء منها، ويظنّون مع ظنهم أنه موجود في الخارج، أنه لم يَبق في الخارج غيرُ

---

(١) «فيه» ليس في (د، ط النيل).

(٢) المطبوع: «لأن» خلافًا لعامة الأصول.

(٣) (ل): «لم يكن معصومًا».

(٤) المطبوع: «تصمُد»، خلافًا للنسخ الخطية والمطبوعة.

(٥) (ل): «المشهود».

ما شهدوه، فإنهم يَغيبون عن الحسِّ الذي يُدرِك المعيّنات، ويُغيِّبون عقولهم[١] عن تصوّرها، حتىٰ لا يميّزوا بين موجود وموجود[٢]، ويقولون: الحسّ فيه تفرقة، ثم[٣] يَشهدون هذا الوجود المطلق مع عَزْلهم الحسّ، فيظنّون أن هذا المطلق هو نفس المعيَّنات، وأنه ما بقي موجودًا أصلا.

فيقال لهم: لو قُدِّر أن الوجود الكليَّ ثابتٌ في الخارج كليًّا، وأنكم شهدتم ذلك، فمعلوم عند كل عاقل أن وجود[٤] الكليّ المشترك لا يناقِض وجود المعيَّن المختص.

فالحيوانية والإنسانية المشتركة المطلقة، لا تناقِضُ أعيان الحيوان وأعيان الإنسان، وحينئذ فثبوت أعيان الموجودات حاصل في الخارج.

وهب أنكم غِبتم عن هذا ولم تشهدوه، فالغَيْبة عن شهود الشيء لا يُوجب عدمَه في نفسه.

فإذا لم يَشهد العبدُ الشيءَ، أو لم يَرَه[٥]، أو لم يعلمه، أو لم يخطر بقلبه[٦]، أو فَني عن شهوده، أو اصْطُلِم[٧]، أو غاب = لم يلزم من ذلك أن يكون الشيءُ صار في نفسه[٨] معدومًا فانيًا لا حقيقة له، بل الفرق ثابت بين أن يُعدَم الشيء في نفسه ويَفنىٰ ويتلاشىٰ، وبين أن يُعدم شهودُ الإنسان له وذِكْرُه ومعرفته.

---

(١) (د): «عقلهم».
(٢) «وموجود» سقط من (د).
(٣) (ل): «لم».
(٤) (ل): «الوجود».
(٥) المطبوع: «يُرِده»، تصحيف.
(٦) (ل): «عليه».
(٧) أي قُطع واستؤصل، والصَّلم: قطع الأذن والأنف من أصلهما. «مقاييس اللغة»: (٣/ ٢٩٩).
(٨) (ل): «في نفسه صار».

وهؤلاء من ضلالهم يظنُّون أنه إذا فني شهودُهم للموجودات، كانت فانيةً في أنفسها، فلم يَبْقَ[1] موجودًا؛ إلا ما تخيَّلوه من الوجود المطلق.

ويقولون: التفرقة والكثرة[2] في الحس، فإذا فني شهود القلب عن الحس، لم يَبق تفرقةٌ ولا كثرةٌ، ويظنون أن شهود الحس حينئذ خطأ، والعقل هو الذي يَشهد الكليَّات والمطلقات دون الحس، فإذا أبطلوا ما شهِده الحس، لم يَبق معهم إلا الوجودُ الكليّ.

ثم يظنون مع ذلك أنه هو الله، فيبقىٰ الربُّ عندهم وهْمًا وخيالًا في نفوسهم، لا حقيقة له في الخارج، كما قال بعض حُذّاقهم وهو الشُّشتري[3] صاحب ابن سبعين[4]: «وَهْمُكَ هو يَتشخّص[5]، ما تحته شيء».

---

(١) المطبوعتان: «يكن»، وهو ساقط من (د).

(٢) (د، المطبوعتان): «الكثرة والتفرقة»، والمثبت أولىٰ؛ لوروده كذلك بعد سطر.

(٣) (ل): «الشستري»، والمطبوع «التستري»، تصحيف. والشّشتري هو: علي بن عبد الله النميري الششتري، نسبة إلىٰ «ششتر»؛ بلد بالأندلس. أخذ عن ابن سبعين ثم تركه، وكان عالـمًا بطريقة الصوفية المتأخرين. (ت٦٦٨هـ). ترجمته في: «عنوان الدراية»: (ص٢٣٩)، «لسان الميزان»: (٥/ ٥٥٨).

تنبيه: بعد أن تصحَّف «الشّشتري» في المطبوع إلىٰ «التستري» ترجم المعلِّق لأبي محمد سهل بن عبد الله التستري (ت٢٨٣هـ) وهو غلط صريح؛ فإن المصنف قرنه بابن سبعين، ونَعَته بصحبته إياه، وابن سبعين توفي سنة (٦٦٩هـ)!

(٤) عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الإشبيلي المرسي، قال الذهبي: «كان صوفيا علىٰ قاعدة زهد الفلاسفة وتصوفهم. وله كلام كثير في العرفان علىٰ طريق الاتحاد والزندقة» وأتباعه يعرفون بـ«السبعينية»، (ت٦٦٩هـ). ترجمته في: «تاريخ الإسلام»: (١٥/ ١٦٨)، و«المنهل الصافي»: (٧/ ١٤٤).

(٥) المطبوع: «بتشخيص»، خلافًا للأصول الخطية والمطبوعة.

وقال:

تـرىٰ[1] الوجـودَ واحـدًا وأنـت ذاكْ وليس عليك زائدٌ، ما ثَمْ سواكْ[2]

وقلتُ لبعض حذَّاقهم: هب أن هذا الوجود المطلق ثابتٌ في الخارج، وأنه عينُ الموجودات المشهودة، فمن أين لك أن هذا هو رب العالمين الذي خلق السماوات والأرض وكل شيء؟

فاعترف بذلك وقال: هذا ما فيه حِيلة.

والحسُ الباطن أو الظاهر إن لم يَقترن به العقلُ الذي يميِّز بين المحسوس وغيره، وإلا دخل فيه من الغلط من جنس ما يدخل علىٰ النائم والممرور والمبرسم[3] وغيرهم ممن يَحكم بمجرَّد الحس الذي لا عقل معه.

والبهائم قد تكون أهدىٰ من هؤلاء، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩]

وهؤلاء يصرِّحون برفض السمع والعقل فدخلوا في قوله: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤]

ويُلزمون أنفسهم الغَيْبةَ عن العقل والحسِّ الظاهر والشرع، فلهذا[4]

---

(١) (د): «يرىٰ». والبيت لم أقف عليه.

(٢) من الرجز؛ إلا أن في قوله: (وليس) انكسارًا، فلعل صوابه: «وما»، كما لزم تسكين ميم «ثمْ» لإقامة الوزن.

(٣) «الممرور»: الذي غلبتْ عليه المِرَّة، وهي مِزاجٌ من أَمْزِجة البدن. و«البرسام»: داء يصيب البطن؛ ورم حارّ يعرض للحجاب الحاجز الذي بين الكبد والأمعاء. «لسان العرب»: (١٢/ ٤٦)، «التوقيف علىٰ مهمات التعاريف»؛ للمناوي: (ص٧٥).

(٤) (ل): «ولهذا».

يقول أحذقهم التِّلمساني:

فقل لحِسِّك غِب وَجْدًا وذُبْ طَرَبا فيها، وقل لزوال العقل لا تَزُلِ
واصمُتْ إلىٰ أن تَراها فيكَ ناطقةً فإن وجدتَ لسانًا قائلًا فَقُلِ

وهؤلاء لبسط الكلام عليهم موضع آخر(١).

والمقصود هنا: أن النصارىٰ زعموا أن اللاهوت محتاج إلىٰ ما اتحد به من الناسوت، وهؤلاء زعموا أن رب العالمين محتاج إلىٰ كل ما سواه من الأعيان الثابتة في العدم.

فإن كل من قال: إن رب العالمين اتَّحد بغيره فكل من المتَّحدين مفتقرٌ إلىٰ(٢) الآخر، مع استحالة كلٍّ منهما، وتَغَيُّر حقيقته. كذلك(٣) الحلول المعقول، فإن الحلول لا يُعقَل إلا إذا كان الحالُّ قائمًا بالمحلّ، والقائم بالمحلِّ(٤) محتاجٌ إليه، سواء أُريد بذلك حلولُ الصفات والأعراض في الموصوفات والجواهر، أو أُريد به حلولُ الأعيان.

فإنَّ كون أحد الجسمين محلًّا للآخر ـ كحلول الماء في الظَّرف ـ هو يوجب افتقاره إليه.

وما يَحلُّ في قلوب المؤمنين من معرفة الرب والإيمان به، هو قائم بقلوبهم محتاج إليه.

---

(١) ينظر ما تقدم: (٢/ ٣١٠، ٣٤٩، ٣/ ٢١٧)، و«مجموع الفتاوىٰ»: (٢/ ١١٢)، و«بغية المرتاد»: (ص/ ٣٩٤).

(٢) (ل): «عليه».

(٣) (ل): «وكذلك»، وفي المطبوعتين: «ولا كذلك»، خطأ! منشؤه أن الناسخ رَمَز بـ(لا) فوق الواو؛ إشارة إلىٰ حذفها، فتُوُهِّم أنها من النصِّ فأُقحِمت فيه. وفي الحاشية: «قال في المنقول عنه: كذا في الأصل، عليه: (لا) (إلىٰ)» أي تحديد أول الحذف وآخره، لكن لم أَرَ هنا رمز (إلىٰ)، فلعل الرمزين كانا يكتنفان الواو، ونبَّه عليهما في الحاشية لضيق الموضع. والله أعلم.

(٤) «والقائم بالمحل» ساقط من (د، والمطبوعتين). وضمير «إليه» عائد إلىٰ المحل.

وكذلك ما يثبته الفلاسفة من الهَيُولَىٰ والصورة، ويقولون: إن الهَيُولَىٰ محلٌ للصورة = يعترفون[١] ـ مع ذلك ـ بأن الصورة محتاجة إلىٰ الهَيُولَىٰ.

والقائلون بوحدة الوجود، فقد[٢] يجعلون الخالق مع المخلوقات كالصورة مع الهَيُولَىٰ، كما يشير إليه ابن سبعين[٣]، ويقول: هو في الماء ماء، وفي النار نار، وفي كل شيء بصورة ذلك الشيء، كما قد[٤] بُسِط الكلام علىٰ هؤلاء في مواضع غير هذا الكتاب[٥].

وإذا قالوا: إن الرب حلَّ في المسيح كما حلَّ في غيره، وهو الحلول الموجود في كلام داود عندهم، حيث قالوا: «أنت تَحُلُّ في قلوب القدِّيسين» = فقد عُرف أن هذا حلول الإيمان به ومعرفته وهداه ونوره والمثال العلمي ـ كما قد بُسط في موضع آخر[٦] ـ ولهذا هذا[٧] يسمَّىٰ ظهورًا، والشعاع الحالّ علىٰ الأرض والهواء عَرَضٌ قائم بذلك، وهو مفتقِر إلىٰ الأرض والهواء.

والرسل ـ صلوات الله عليهم ـ أخبروا بأن الله فوق العالم بعبارات متنوّعة، تارة يقولون: هو العلي وهو الأعلىٰ[٨]، وتارة يقولون: هو في السماء، كقوله:

---

(١) المطبوعتان: «ويعترفون»، خلاف النسخ، ولا يستقيم.

(٢) المطبوع: «قد»، والمثبت من عامة الأصول متَّجه.

(٣) «كما يشير إليه ابن سبعين» سقط من (ل).

(٤) (ل): «وقد».

(٥) «الكتاب» ليس في (ل). والمسألة في: «درء تعارض العقل والنقل»: (٦/ ١٦٨)، و«الرد علىٰ الشاذلي»: (ص١٤٣)، و«بغية المرتاد»: (١/ ٤٢٣ـ٤٣٨).

(٦) ينظر: (١/ ٣٨٠)، (٢/ ١٩٥، ٢٣٤، ٣٠٨، ٣٣٥، ٤٩٤).

(٧) «هذا» سقط من المطبوعتين.

(٨) (ل): «هو العليُّ وهو العلي الأعلىٰ».

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾[1] ﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾ [الملك:١٦، ١٧].

وليس مرادهم بذلك أن الله في جوف السماوات، أو أن الله يَحصره شيء من المخلوقات، بل كلام الرسل كلُّه يصدِّق بعضُه بعضًا، كما قال تعالىٰ: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات:١٨٠-١٨٢]. وقد قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ﴾[2] [الحديد:٣].

وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال «**أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**»[3]، فأَخبر أنه لا يكون شيء فوقه.

ولهذا قال غير واحد من أئمة السلف: إنه ينزل إلىٰ السماء الدنيا، ولا يخلو العرش منه، فلا يصير تحت المخلوقات وفي جوفها قط، بل العلو عليها صفة لازمة له حيث وُجِد مخلوق فلا يكون الرب إلا عاليًا عليه.

وقول الرسل: «في السماء» أي في العلوّ، ليس مرادهم أنه في جوف الأفلاك، بل السماء العلو، وهو إذا كان فوق العرش فهو العليُّ الأعلىٰ،

---

(١) الآية بتمامها سقطت من المطبوع.

(٢) تتمة الآية في المطبوع خلافًا لعامة النسخ.

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٧١٣). وقوله: «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء» سقط من (د، ط النيل).

وليس هناك مخلوقٌ حتىٰ[1] يكون الرب محصورًا في شيء من المخلوقات، ولا هو في جهة موجودة، بل ليس موجودًا إلا الخالق والمخلوق، والخالق بائن عن مخلوقاته، عالٍ عليها، فليس هو في مخلوق أصلًا، سواء سُمِّي ذلك المخلوق جهة، أو لم يُسمَّ جهة.

ومن قال: إنه في جهة موجودة تعلو عليه أو تُحيط به أو يحتاج إليها بوجه من الوجوه= فهو مخطئ.

كما أن من قال: ليس فوق السماوات رب، ولا علىٰ العرش إله، ومحمد لم يُعرَج به إلىٰ ربه، ولا تَصعد الملائكة إليه، ولا تَنزل الكتب منه، ولا يقرب منه شيء، ولا يدنو إلىٰ شيء= فهو أيضا مخطئ.

ومن سمَّىٰ ما فوق العالم جهة، وجعل العدم المحض جهة، وقال هو في جهة -بهذا المعنىٰ -أي هو نفسُه فوق كل شيء= فهذا معنىٰ صحيح. ومن نفىٰ هذا المعنىٰ بقوله: ليس في جهة= فقد أخطأ.

بل طريق الاعتصام أن ما أثبته الرسل لله، أُثبِت له، وما نَفتْه الرسل[2] عن الله، نُفي عنه.

والألفاظ التي لم تَنطق الرسل فيها بنفي ولا إثبات، كلفظ الجهة والحيِّز ونحو ذلك، لا يُطلَق نفيًا ولا إثباتًا إلا بعد بيان المراد.

فمن أراد بما أَثبتَ معنىً صحيحًا، فقد أصاب في المعنىٰ، وإن كان في اللفظ خطأ.

---

(١) «حتىٰ» سقط من (ل).

(٢) «الرسل» ليس في (ل، د).

ومن أراد بما نفاه معنىً صحيحًا، فقد أصاب في المعنىٰ، وإن كان في لفظه خطأ.

وأما من أثبت بلفظه حقًّا وباطلًا، أو نفىٰ بلفظه حقًّا وباطلًا، فكلاهما مصيب فيما عَناه من الحق، مخطئٌ فيما عَناه من الباطل، قد لبَّس الحق بالباطل، وجَمَع في كلامه حقًّا وباطلًا.

والأنبياء كلهم متطابقون علىٰ أنه في العلو.

وفي القرآن والسنة ما يقارب ألف دليل علىٰ ذلك، وفي كلام الأنبياء المتقدمين ما لا يحصىٰ.

فصل

قال سعيد بن البطريق[1]: «وذلك مثل ما أن شعاع الشمس[2] المولود من عين الشمس الذي يملأ ضوءه ما بين السماء والأرض نورًا، وفي بيت من البيوت يكون فيه ضياء بنوره من غير مفارقة[3] لعين الشمس التي تَوَلَّد منها حقًّا[4]؛ لأنه لم ينقطع من العين ولا من الضوء = فكذلك سكن الله في الناسوت من غير أن يفارقه الأب، فهو مع الناسوت، وهو مع الأب وروح القدس حقًّا».

فيقال: هذا التمثيل لو قُدِّر أنه صحيح، فإنما يُشبه من بعض الوجوه قولَ من يقول: إنه بذاته في كل مكان، كشعاع الشمس الذي يظهر في الهواء والأرض.

وأما النصارىٰ فإنهم يخصُّونه بناسوت المسيح دون سائر النواسيت، ولو قال[5] بهذا من يقول: إنه بذاته في كل مكان = لكان باطلا، فكيف النصارىٰ؟

فإن الضوء إنما يكون في الهواء وسطوح الأرض، لا يكون تحت السقوف والغِيران وباطن الأرض.

ثم هذا تمثيلٌ[6] باطل من وجوه:

أحدها: أن الشعاع ليس متولِّدًا من جُرْم الشمس، ولا شعاع النار متولِّد من جُرْم النار، بل هو حادث بائن عن جُرْم الشمس، ولكنها سبب في حصوله.

---

(١) في «تاريخه»: (ص١٦٣).

(٢) المطبوع: «الشعاع»، خلافًا للأصول الخطية والمطبوعة ولمصدر النقل.

(٣) المطبوع: «مقارنة»، تصحيف.

(٤) «حقا» ليس في (ل)، وكذا الموضع الآتي.

(٥) المطبوعتان: «مَثَّل»، خلاف الأصول.

(٦) المطبوعتان: «التمثيل».

ولهذا يُشبَّه به العلم الحاصل في قلب المتعلِّم بسبب تَعلُّم العلم من غير أن يكون من ذات علم العالم.

ولهذا يُشبَّه علم العالم بالسِّراج الذي يَقتبس كلُّ أحد من نوره، وهو لم يَنقص. بخلاف تولُّد المولود عن والده، فإنه متولِّد من عينه.

والشعاع القائم بالهواء والأرض، ليس هو قائمًا بذات الشمس والنار، بل هو عَرَض قائم بمحلٍّ آخر، والعرض الواحد لا يكون في محلَّيْن.

والنصارىٰ يقولون: إن الكلمة -التي هي علم الله أو حكمته- متولدة منه، وهي قديمة أزلية، والصفة قائمة بالموصوف، فالصفة مثل ما يقوم بذات الشمس من استدارة وضوء، فذاك صفة لها، وهو غير الشعاع القائم بالهواء، فإن ذاك بائنٌ عنها، فكيف يُجعَل هذا هو هذا.

فإن قالوا: نحن مقصودنا أن حكمة الله وعلمَه ونورَه أنزله إلىٰ المسيح وأفاضه علىٰ المسيح، كما يفيض الشعاع عن الشمس.

قيل لهم: فهذا قَدْر مشترك بين المسيح وسائر الأنبياء، فلا اختصاص للمسيح بذلك.

الوجه الثاني: قولهم: الذي يملأ ضوءه ما بين السماء والأرض نورا، وفي بيت من البيوت يكون فيه حقا من غير مفارقة[1] لعين الشمس التي تولَّد منها حقًّا.

فيقال لهم: الشعاع الذي بين السماء والأرض هو الضوء وهو النور.

فقولكم: إن الشعاع يملأ ضوءه ما بين السماء والأرض نورا، يقتضي[2]

(١) المطبوع: «مقارنة»، تصحيف.

(٢) المطبوعتان زيادة: «أنه»، وليس في النسخ الخطية.

شعاعًا وضوءَ شعاع، ونورًا صدر[1] عن ذلك، وهذا غلط، بل ليس هنا إلا جُرم الشمس التي في السماء وشعاعُها، وهو الضوء والنور الذي ما بين السماء والأرض.

الثالث: قولكم: «من غير مفارقة عين الشمس» يقتضي أن هذا الشعاع هو نفس ما قام بالشمس، وهذا مكابرة للحسِّ والعقل، بل الشعاع الذي قام بالهواء والأرض عَرَض لم يَقُم بالشمس قط[2].

وكلُّ شعاعِ بقعةٍ، فليس هو عين الشعاع الذي في البقعة الأخرىٰ، وإن كان هو نظيره ومثله، وجنس الشعاع يجمعهما، كما أن شعاع هذا السِّراج، ليس هو شعاع هذا السراج، وإن قُدِّر اختلاطهما حتىٰ يقوىٰ[3] الضوء، ولا حركة هذا الهواء هي حركة هذا الهواء. ونظائر ذلك متعددة.

الرابع: قولكم: «كذلك الله سكن في الناسوت من غير أن يفارقه الأب» تمثيلٌ باطل؛ فإن الشمس نفسَها لم تسكن[4] في الهواء والأرض، وإنما سكَن شعاعُها.

فوزانه أن يقول[5]: فكذلك سَكن نور الله وبرهانه، وهداه وروحه.

وهذا إذا قلتَه، فهو منقول عن الأنبياء، تنطق كتبهم بأن نور الله وروحه وهداه في قلوب المؤمنين، لكن لا اختصاص للمسيح بذلك.

---

(١) المطبوعتان: «حدث»، خلاف النسخ.

(٢) المطبوع: «فقط».

(٣) (ل): «يُرىٰ».

(٤) المطبوع: «تكن»، تصحيف.

(٥) المطبوعتان: «يقال»، خلاف الأصول الخطية.

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ [النور:٣٥].

قال أبي بن كعب: «مثل نوره في قلب المؤمن»(١).

وفي الترمذي عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ أنه قال: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله، ثم قرأ قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾(٢) [الحجر:٧٥]».

الخامس: إنكم إذا جعلتم الله نفسه ساكنًا في المسيح، فَوِزانُه أن تكون الشمسُ نفسُها ساكنةً في موضعٍ صغير من الأرض، وهذا التمثيل يُبْطل قولَكم(٣).

والله أجل وأكبر وأعظم من كل شيء، والشمسُ آية من آياته ومخلوق من مخلوقاته، ومع هذا فلو قال قائل: إن الشمس سكنتْ في جوف امرأة

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره»: (١٧/ ٢٩٨) وابن أبي حاتم في «تفسيره»: (١٤٥٥٣)، من طريق أبي العالية عنه، بسند حسن، ولفظه: «هو المؤمن قد جُعِل الإيمان والقرآن في صدره». وظاهره أنه يَرُدّ الضمير في «نوره» إلىٰ المؤمن، أي مَثل نور المؤمن الذي في قلبه ـ من الإيمان والقرآن ـ كمثل مشكاة، وبهذا فسَّره الطبري، ويؤيد ذلك القراءتان الواردتان عنه في «البحر المحيط»: (٨/ ٤٢): «مثل نور المؤمن»، «مثل نور من آمن به».

لكن تمام الاستدلال هنا يقتضي عَوْد الضمير إلىٰ الله تعالىٰ، علىٰ قول ابن عباس وابن مسعود وجماعة؛ فقد أخرج الطبري (١٧/ ٢٩٩) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٤٥٥٥) عن ابن عباس قوله: «مثل نوره كمثل هداه في قلب المؤمن»، وكان ابن مسعود يقرأ «مثل نوره في قلب المؤمن»؛ أي: مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن. «الوسيط»: (٣/ ٣٢٠)، والبغوي في «تفسيره»: (٦/ ٤٥).

والحاصل: أن في نسبة المصنف هذا القول إلىٰ أبي بن كعب ـ كما هنا وفي «مجموع الفتاوىٰ»: (٢/ ٣٨٣)، (٧٦٤٩) ـ نظرًا؛ بل هو ـ بلفظه ـ لابن مسعود قراءةً، ولابن عباس ـ وغيره ـ قولًا ورواية. والله أعلم.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) المطبوعتان زيادة: «أن الله أعلىٰ وأعظم وأجل وأكبر» وليس في النسخ الخطية.

وخرجت من فرج تلك المرأة، لكان كل عاقل يَعلم فساد قوله، وينسبه إلىٰ الجهل العظيم أو الجنون، وسواء قال: إن الشمس نفسها نزلت أو لم تنزل.

وأنتم تقولون: إن رب العالمين سكن في بطن مريم، ويقول أكثركم - كالمَلَكِيَّة واليعقوبية -: إنه خرج من فرج مريم.

ولو قال قائلٌ عمّا هو مِن أصغر مخلوقات الله ـ كوكب من الكواكب أو جبل من الجبال أو صخرة عظيمة ـ: إن ذلك كان في بطن امرأة وخرج من فرجها = لضَحِك الناس من قوله، فكيف بمن يدَّعي مثل ذلك في رب العالمين؟!

وإذا قالوا: إن الله نزل إلىٰ السماء الدنيا، أو نزل إلىٰ الطور وكلَّم موسىٰ من العُلَّيْقة[1] أو في عمود الغمام، ونحو ذلك = فليس في شيء من ذلك أنه اتحد بمخلوق، لا سماء ولا طور ولا شجرة، ولا كان كلامه قائما بشيء مخلوق، لا شجرة ولا غيرها.

وعندهم أنه اتّحد بالمسيح، وكان صوت المسيح القائم به، هو صوت رب العالمين بلا واسطة.

(١) وهي الشجرة التي كلم الله عندها موسىٰ عليه السلام، كما تقدم.

فصل

قال سعيد بن بِطْريق(١): «ومثل ما أن كلمة الإنسان المولودة من عقله تكتب في قرطاس، فهي في القرطاس كلها حقا من غير أن تفارق العقل الذي منه ولدت، ولا يفارقها العقل الذي وَلَدَها؛ لأن العقل بالكلمة يُعرف؛ لأنها فيه، والكلمة كلها في(٢) العقل الذي وَلدها، وكلها في نفسها، وكلها في القرطاس الذي التحمت به فكذلك كلمة الله كلها في الأب الذي وُلِدت منه، وكلها في نفسها وفي(٣) الروح، وكلها في الناسوت التي حلَّت فيها والتحمت بها»(٤).

فيقال: هذا التمثيل حجة عليكم وعلىٰ فساد قولكم، لا حجة لكم، وذلك يظهر بوجوه:

أحدها: أن يقال: إن كان حلول كلمة الله التي هي المسيح في الناسوت، مثل كتابة الكلام في القرطاس، فحينئذ يكون المسيح من جنس سائر كلام الله، كالتوراة وزبور داود والإنجيل والقرآن، وغير ذلك، فإن هذا كله كلام الله، وهو مكتوب في القراطيس باتفاق أهل الملل، بل الخلق كلهم متفقون علىٰ أن كلام كل متكلم يُكتب في القراطيس، وقال(٥) تعالىٰ في القرآن: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج:٢١-٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩].

---

(١) في «تاريخه»: (ص١٦٣). وفي المطبوعتين: «البطريق»، خلاف الأصول.

(٢) (ل): «من».

(٣) (ل) زيادة: «كلها».

(٤) «بها» ساقط من (ل).

(٥) المطبوعتان زيادة: «وقد» وليست في النسخ.

وقال: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة:٢-٣].

وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس:١١-١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور:١-٣].

وإذا كان الكلمة الذي هو[1] المسيح عندكم هكذا = فمعلومٌ أن كلام الله المكتوب في القراطيس ليس هو إلهًا خالقًا، وهو كلام كثير لا ينحصر في كلمة ولا كلمتين.

ولو قال قائل: يا كلامَ الله اغفر لي وارحمني، أو يا توراة، أو يا إنجيل، أو يا قرآن اغفر لي وارحمني = كان قد تكلّم بباطلٍ عند جميع أهل الملل والعقلاء. وأنتم تقولون: المسيح إله خالق، وهو يُدعَىٰ ويُعبَد، فكيف تشبِّهونه بكلام الله المكتوب في القراطيس؟

الثاني: أن الكلام المكتوب صفة للمتكلم، يقوم به ويُكتَب في القراطيس عند سلف أهل الملل وجماهيرهم.

وعند بعضهم، هو عَرَضٌ مخلوق، يَخلقه في غيره.

فالجميع متفقون علىٰ أن الكلام صفة تقوم بغيرها، ليس صفةً[2] جوهرًا قائما بنفسه.

والمسيح ـ عندكم ـ لاهوته جوهر قائم بنفسه، وهو إله حق من إله حق

---

(١) المطبوعتان: «كانت الكلمة التي هي»، خلاف النسخ، وكلاهما متجه.

(٢) كذا في النسخ الخطية، وقوله: «صفة» سقط من المطبوعتين.

وهو[1] إله تام وإنسان تام.

فكيف تجعلون الإله الذي هو عينٌ قائمة بنفسها كالصفة التي لا تقوم إلا بغيرها؟

الثالث: قولكم: «إن كلمة الإنسان مولودة من عقله»، لو كان صحيحًا فالتولُّد لا يكون إلا حادثًا.

وأنتم تقولون: إن كلمة الله القديمة الأزلية متولِّدة منه قبل الدهور وتقولون ـ مع هذا ـ: هي إله[2].

وهذا كما أن بطلانه معلوم بصريح العقل، فهي بدعة وضلالة في الشرع، فإنه لم يُسمِّ أحدٌ من الأنبياء شيئًا من صفات الله ابنًا له، ولا قال: إن صفته متولِّدة منه. ولفظ الابن لا يوجد عندكم عن الأنبياء إلا اسمًا لناسوت مخلوق، لا لصفة الله القديمة، فقد بدَّلتم كلام الأنبياء بهذا الافتراء.

الرابع: قولكم: «مولودة من عقله»، إن أردتم «بعقله» العينَ القائمة بنفسها التي نُسمِّيها[3] قلبًا وروحًا ونفسًا، أو نفسًا ناطقة= فتلك إنما تقوم بها المعاني، وأما الألفاظ فإنما تقوم بفمه ولسانه.

وإن أردتم «بعقله» مصدر عَقِل يَعقِل عَقْلا= فالمصدر عرض قائم بالعاقل[4]، وهو عَرَض[5] من جنس العلم والكلمة والعمل الصالح.

(١) (د، المطبوعتان) زيادة: «عندكم».
(٢) (ل): «هذا».
(٣) (ل): «تُسمِّيها»، ولم تحرَّر في (د)، والمطبوعتان: «يسميها».
(٤) المطبوعتان: «بالعقل»، وكذا كانت في (د) ثم زيدت الألف.
(٥) «عرض» سقط من (ل).

وإن أردتم بالعقل الغريزة التي في الإنسان، فهو أيضًا عرض.

الخامس: أن تسميتكم تَكَلُّم الإنسان ـ بالمعنىٰ أو اللفظ ـ تولُّدًا، أمرٌ اخترعتموه لا يُعرَف عن نبي من الأنبياء، ولا أمة من الأمم، ولا في لغة من اللغات، وإنما ابتدعتم هذا لتقولوا: إذا كان كلام الإنسان متولِّدًا منه، فكلام الله متولِّد منه.

ولم يَنطق أحدٌ من الأنبياء بأن كلام الله تولَّد منه، ولا أنه ابنه، ولا أن علمه تولَّد منه، ولا أنه ابنه.

السادس: قولكم: «إن كلمة الإنسان المولودة من عقله تُكتَب في القرطاس، فهي في القرطاس كلُّها حقًّا، من غير أن تفارق العقل الذي منه وُلدتْ»، إلىٰ قولكم: «الكلمة كلُّها في العقل الذي وَلَدَها، وكلُّها في نفسها[1]، وكلها في القرطاس الذي التحمت به» = مكابرة ظاهرة، معلومة الفساد بصريح العقل، فإن وجود الكلام في القلب واللسان، ليس هو عين وجوده مكتوبًا في القرطاس، بل القائم بقلب المتكلم معان: طلب وخَبَر وعِلْم وإرادة، والقائم بِنَفَسه حروفٌ مؤلَّفة هي أصوات مقطَّعة، أو هي حدودُ أصوات مقطعة[2]، وليس في قلب الإنسان ولا فمه مدادٌ كالمداد الذي في القرطاس.

والكلام مكتوب في القرطاس باتفاق العقلاء، مع علمهم بأنه ليس في القرطاس عِلم وطَلَب وخبر قائم به، كما يقوم بقلب[3] المتكلم، ولا قام به

---

(١) «وكلها في نفسها» سقط من المطبوع.

(٢) أي أطراف الأصوات المقطَّعة، كما يراد بالحروف في الجسم حدّه ومنتهاه؛ فيقال: حرف الرغيف وحرف الجبل، ونحو ذلك. «مجموع الفتاوىٰ»: (١٢/ ١٥٢).

(٣) (ط النيل): «تقوم بقلب»، المطبوع: «تقوم بقلوب».

أصواتٌ مقطَّعةٌ مؤلفةٌ حروفًا[1] كالأصوات القائمة بفم المتكلم، بل لفظ الحرف يقال علىٰ الحرف المكتوب: إما المداد المصوَّر، وإما صورة المداد وشكله. ويقال علىٰ الحرف المنطوق: إما الصوت المقطَّع، وإما حدُّ الصوت ومُنْقَطَعُه[2] وصورتُه.

وكل عاقل يُميِّز بحسِّه وعقله بين الصوت المسموع من المتكلم، وبين المداد المرئي بالبصر، ولا يقول عاقل: إن هذا هو هذا، ولا يقال: إن هذا وهذا هو نفس المعنىٰ القائم بقلب المتكلم، فكيف تقولون[3]: إن الكلمة في القرطاس كلُّها، وكلُّها في العقل الذي وَلَدَها، وكلُّها في نفسها؟

السابع: أن حرف (في) التي يسميها النحاة ظرفًا، يُستعمل في كل موضع بالمعنىٰ المناسب لذلك الموضع.

فإذا قيل: إن الطعم واللون والريح حالٌّ في الفاكهة، أو العلمُ والقدرةُ والكلامُ حالٌّ[4] في المتكلم، فهذا معنىٰ معقول.

وإذا قيل: إن هذا حالٌّ في داره، أو إن الماء حالٌّ في الظرف، فهذا معنىٰ آخر.

فإن ذاك حلولُ صفة في موصوفها، وهذا حلولُ عينٍ قائمةٍ تسمَّىٰ جسمًا وجوهرًا في محلِّها. ومنه يقال لمكان القوم: المحلَّة، ويقال: فلان حلَّ بالمكان الفلاني.

---

(١) (ط النيل): «ولا حروفًا»، والمطبوع: «ولا حروفٌ»، خلافًا للأصول الخطية.

(٢) المطبوع: «مَقْطَعُه» خلاف عامة النسخ الخطية والمطبوعة.

(٣) (ط. النيل): «يقولون».

(٤) «حال» ليس في (ل).

وإذا قيل: الشمس والقمر في الماء، أو في المرآة، أو وجه فلان في المرآة، أو كلام فلان في هذا القرطاس، فهذا له معنىً يفهمه الناس، يعلمون أنه قد ظهرت الشمس والقمر والوجه في المرآة ورُئِيَتْ فيها، وأنه لم يحلَّ بها ذات ذلك، وإنما حل فيها مثالٌ شعاعي ـ عند من يقول ذلك ـ.

وكذلك الكلام إذا كُتب في القرطاس، فالناس يعلمون أنه مكتوب فيه ومقروء فيه ومنظور فيه، ويقولون: نظرتُ في كلام فلان وقرأتُه، وتدبرتُه وفهمتُه ورأيتُه، ونحو ذلك، كما يقولون: رأيتُ وجهه في المرآة وتأمَّلتُه ونحو ذلك.

وهم في ذلك كله صادقون يعلمون ما يقولون، ويعلمون أن نفس جُرم الشمس والقمر والوجه لم يحلَّ في المرآة، وأن نفس ما قام به من المعاني والأصوات لم يقم بالقرطاس، بل كانت المرآة واسطة في رؤية الوجه فهو المقصود بالرؤية، وكان القرطاس واسطة في معرفة الكلام، فهو المقصود بالرؤية.

ويعلمون(١) أن حاسة البصر باشرتْ ما في المرآة من الشعاع المنعكس، ولكن المقصود بالرؤية هو(٢) الشمس، وحاسَّة البصر باشرت ما في القرطاس من المداد المكتوب، ولكن المقصود بالرؤية هو الكلام المكتوب.

ويعلمون أن نفس المثال الذي في المرآة ليس هو الوجه، وأن نفس المداد المكتوب به ليس هو الكلام المكتوب، بل يُفرِّقون بينهما، كما قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩].

---

(١) (ط النيل): «وكانوا يعلمون» خلاف النسخ.
(٢) «هو» ليس في (ل).

ففرَّق سبحانه بين الكلمات وبين المداد الذي يُكتب به الكلمات. فكيف يقال: إن هذا هو هذا، وإن الكلمة في القرطاس كلها، وهي في المتكلم كلها؟

الثامن: أن الكلام له معنىً في المتكلِّم يُعبّر عنه بلفظه، واللفظ يُكتب في القرطاس، فالمكتوب في القرطاس هو اللفظ المطابِق للمعنىٰ، لا يُكتَب المعنىٰ بدون كتابة اللفظ؛ ولهذا من لم يَعرف اللفظ الذي كُتب بالخط لم يَعرفْ ما كُتب[1].

فدعوىٰ هؤلاء أن نفس المعنىٰ الذي في القلب كله، هو في القرطاس كله= جَعْلٌ لنفس المعنىٰ هو الخط، وهذا باطل.

التاسع: أنه لا ريب أن كلام المتكلم يقال: إنه قائم به، ويقال ـ مع ذلك ـ: إنه مكتوب في القرطاس، ويقال: هذا هو كلام فلان بعينه، وهذا هو ذاك، ونحو ذلك من العبارات التي تُبيِّن أن هذا المكتوب في القرطاس هو[2] الكلام الذي تكلم به المتكلم بعينه، لم يَزد فيه ولم يَنقص، لم يُكتَب كلامٌ غيرُه.

لا[3] يريدون بذلك أن نفس الخط نفسُ الصوت، أو نفس المعنىٰ، فإن هذا لا يقوله عاقل.

فإن قيل: ففي المسلمين من يقول: إن كلام الله القديم الأزلي، أو كلام الله الذي ليس بمخلوق، هو حالٌّ في الصدور والمصاحف من غير مفارقة.

---

(١) المطبوع: «لا يُكتب المعنىٰ بدون كتابة اللفظ الذي كتب بالخط، ليعرف ما كتب»؛ خلافًا لعامة الأصول، ولا معنىٰ له!

(٢) المطبوعتان زيادة: «هذا»، وليس في النسخ الخطية.

(٣) المطبوعتان: «ولا» خلاف المخطوطات.

ومن هؤلاء من يقول: إنه يُسمَع من الإنسان الصوت القديم، أو الصوت الذي ليس بمخلوق.

ومنهم من يقول: إن الحرف القديم أو الذي ليس بمخلوق، هو في القرطاس، وحكي عن بعضهم أنه يقول ذلك في المداد.

ومن هؤلاء من يقول: إن القديم حلَّ في المصحف ونحو ذلك. فتقول النصارىٰ: نحن مثل هؤلاء.

قيل: **الجواب من وجوه.**

أحدها: أن المقصود بيان الحق الذي بَعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، والرد علىٰ من خالف ذلك من النصارىٰ وغيرهم.

ونحن لا نُنكر أن في المنتسبين إلىٰ الإسلام طوائف، منهم منافقون ملحدون زنادقة[1]، ومنهم جهَّال ومبتدعة[2]، ومنهم من يقول مثل قول النصارىٰ، ومنهم من يقول شرًّا منه، فالرد علىٰ هؤلاء كلهم، والعصمةُ ثابتة لكتاب الله وسنة رسوله. وما اجتمع عليه عباده المؤمنون. فهذا لا يكون إلا حقًّا، وما تنازع فيه المسلمون، ففيه حق وباطل.

الوجه الثاني: أن يقال: هؤلاء الذين قالوا في القرآن ما قالوه، ليس قولهم مثل قول النصارىٰ.

فإن النصارىٰ جعلوا لله ولدًا قديما أزليًا سمَّوه كلمة، وقالوا: إنه إلهٌ يخلق ويرزُق، وإنه اتَّحد بالمسيح، فجعلوا المسيح ـ الذي هو الكلمة عندهم ـ إلهًا

(١) المطبوع: «وزنادقة» خلاف الأصول.

(٢) (د، ط النيل): «جهال مبتدعة».

يخلق ويرزق.

وليس في طوائف المسلمين المعروفة من يقول: إن كلام الله إلهٌ يخلق ويرزق.

ولكن محمد وغيره من الرسل - عليهم السلام - بلَّغوا إلى الخلق كلام الله الذي تكلَّم به.

فكان الصحابة والتابعون لهم بإحسان على أن القرآن والتوراة والإنجيل وغير ذلك من كلام الله، هو كلام الله الذي تكلم به، وأن الله أنزله وأرسل به ملائكته، ليس هو مخلوقا بائنا عنه خلقه في غيره.

ويقولون: إن هذا القرآن هو كلام الله الذي بلَّغه رسوله، والمسلمون يقرؤونه، ويُسمَع من القارئ كلامُ الله، لكن يقرؤونه بأفعالهم وأصواتهم، ويَسمعونه من القارئ الذي يَقرؤه بصوتِ نفسه، فالكلام كلام البارئ، والصوت صوت القارئ.

ويقولون: إن الله تكلَّم به وكلّم به موسى، وإن موسى سمِع نداء الله بأذنه، فكلّمه الله بالصوت الذي سمِعه موسى، كما بُيِّن ذلك في كتب الله القرآن(١) والتوراة وغير ذلك.

فحدَث بعد الصحابة وأكابر التابعين طائفةٌ معطلة يقولون(٢): إن الله لم يكلّم موسى تكليما، ولم يتّخذ إبراهيم خليلا، فقتل المسلمون مُقَدَّمهم

(١) المطبوعتان زيادة: «والإنجيل» خلافًا للنسخ.

(٢) أشبع المصنف هذه المسألة وناقش آراء الطوائف وأدلتهم فيها في: «مجموع الفتاوى»: (١٢/ ٢٩٦-٥٥٣)، «مجموعة الرسائل»: (٣/ ٢٨-٣٨)، «درء تعارض العقل والنقل»: (١/ ٣٥٤) وما بعدها.

«الجعد»[1] وصار لهم مُقدَّم يقال له «الجهم»، فنُسِبت إليهم الجهمية، نُفاةُ الأسماء والصفات.

تارة يقولون: إن الله لم يتكلّم ولم يكلّم موسىٰ، وإنما أُطلِق ذلك مجازًا.

وتارة يقولون: تكلم ويتكلم حقيقة، ولكن معنىٰ ذلك أنه خَلق كلامًا في غيره، سمِعه موسىٰ، لا أنه نفسه قام به كلام، وهذا قول من يقوله من المعتزلة ونحوهم.

وزُيِّن هذا القول لبعضِ[2] ذوي الإمارة، فدَعَوا إليه مدَّة وأظهروه، وعاقبوا من خالفهم، ثم أطفأ الله ذلك[3]، وأظهر ما كان عليه سلف الأمة، أن القرآن والتوراة والإنجيل كلام الله، تكلم هو به، منه بدأ، ليس ببائن منه، وليس بمخلوقٍ خلقه في غيره.

ولما أَظهر الله هذا، والناس يتلون قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦] صار بعض أهل الأهواء يقول[4]: إنما يُسمَع صوتُ القارئ، وصوتُه مخلوق، وهو كلام الله، فكلام الله مخلوق.

---

(١) الجعد بن درهم، من الموالي، مؤدِّب مروان بن محمد الملقب «بالحمار»، أول من تفوَّه بأن الله لا يتكلم، وقد هرب من الشام، وقتله خالد بن عبد الله القَسْري يوم الأضحىٰ في حدود سنة (١١٨هـ). «تاريخ دمشق»: (٧٢/ ٩٩)، «تاريخ الإسلام»: (٣/ ٢١٨).

(٢) المطبوع: «بعض»، خلاف النسخ. وما أشار إليه المصنف من محنة القول بخلق القرآن في عهد المأمون ومَن بعد مِن الخلفاء، وتزيين الجهمية والمعتزلة لهم هذه البدعة= أورده في «مجموع الفتاوىٰ»: (١٤/ ٣٥١)، و«منهاج السنة النبوية»: (٢/ ٦٠١).

(٣) المطبوع: «أطفئ ذلك»، خلافًا لعامة الأصول.

(٤) «يقول» ساقط من (ل).

ولم يُميِّز هذا بين أن يُسمَع الكلام من المتكلم به ـ كما سمِعه موسىٰ من الله بلا واسطة ـ وبين أن يُسمَع من المبلِّغ عنه.

ومعلوم أنه لو سُمع كلام الأنبياء وغيرهم من المبلِّغين، لم يكن صوت المبلِّغ هو صوت المبلَّغ عنه، وإن كان الكلام كلام المبلَّغ عنه لا كلام المبلِّغ. فكلام الله إذا سُمع من المبلِّغين عنه، أولىٰ أن يكون هو كلام الله لا كلام المبلِّغين، وإن بلَّغوه بأصواتهم.

فجاءت طائفة ثانية فقالوا: هذا المسموع ألفاظنا وأصواتنا، فكلامنا[1] ليس هو كلام الله؛ لأن هذا مخلوق، وكلام الله ليس بمخلوق.

وكان مقصود هؤلاء، تحقيق أن كلام الله غير مخلوق، فوقعوا في إنكار أن يكون هذا القرآن كلام الله، ولم يهتدوا إلىٰ أنه وإن كان كلام الله؛ فهو كلام الله مبلَّغًا عنه، ليس هو كلامه مسموعًا منه، ولا يلزم ـ إذا كانت أفعال العباد وأصواتهم مخلوقة ليست هي كلام الله ـ أن يكون الكلام الذي يقرؤونه بأفعالهم وأصواتهم كلامهم، ويكون مخلوقًا ليس هو كلام الله.

وهؤلاء الذين قالوا: ليس هذا كلام الله، منهم من قال: هو حكايةٌ لكلام الله، وطرَدوا ذلك في كلِّ من بلَّغ كلامَ غيره أن يكون ما بلَّغه حكايةً لكلام المبلَّغ عنه لا كلامه.

وأهل الحكاية منهم من يقول: إن كلام الربِّ يتضمَّن حروفًا مؤلَّفة، إما قائمًا بذاته علىٰ قول بعضهم، أو مخلوقة في غيره علىٰ قول بعضهم، والقائم بذاته معنىً واحد.

---

(١) كذا في (ل)، ولم تحرَّر في (د)، والمطبوعتان: «وكلامنا».

ومِن هؤلاء من قال: الحكاية تُماثِل المحكيَّ عنه، فلا نقول: هو حكاية، بل هو عبارة عنه، والتقدير عندهم فأجره حتىٰ يسمع[1] عبارته أو حكايته.

فجاءت طائفة ثالثة فقالت: بلىٰ[2]؛ قد ثَبَتَ أن هذا المسموع كلام الله، وكلام الله ليس بمخلوق[3]، وهذا المسموع هو الصوت، فالصوت غير مخلوق.

ثم من هؤلاء من قال: إنه قديم، ومنهم من قال: ليس بقديم، ومنهم من قال: يُسمَع صوت الرب والعبد، ومنهم من قال: إنما يُسمَع صوتُ الرب.

ثم منهم من قال: إنه قديم، ومنهم من قال: إنما يسمعه من العبد.

وهؤلاء منهم من قال: إن صوت الرب حلَّ في العباد، فضاهَوا النصارىٰ. ومنهم من قال: بل نقول[4]: ظهر فيه من غير حلول. ومنهم من يقول[5]: لا يطلق[6] هذا ولا هذا.

وكل هذه الأقوال محدَثة مبتدعة، لم يَقُل شيئًا منها أحدٌ من الصحابة ولا[7] التابعين لهم بإحسان، ولا إمام من أئمة المسلمين، كمالك والثوري، والأوزاعي، والليث بن سعد، وأبي حنيفة، وأبي يوسف، ومحمد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وابن عيينة وغيرهم.

---

(١) المطبوعتان زيادة: «كلام» ولا وجه لها.

(٢) المطبوعتان: «بل»، والمثبت من (ل)، وهو ما استظهرته في (د).

(٣) (ل): «مخلوق».

(٤) (ل): «هو».

(٥) (ل): «قال».

(٦) (ل، المطبوع) زيادة: «لا».

(٧) «لا» ليست في (د، ط النيل).

بل هؤلاء كلهم متفقون علىٰ أن القرآن كلام الله[1] منزَّل غير مخلوق، وأن الله أرسل به جبريل، فنزل به جبريل علىٰ نبيه محمد ﷺ فبلّغه محمد ﷺ إلىٰ الناس فقرأه الناس بحركاتهم وأصواتهم، وليس شيء من أفعال العباد وأصواتهم قديمًا ولا غير مخلوق، ولكن كلام الله غير مخلوق، ولم يكن السلف يقولون: القرآن قديم.

ولكن[2] لما أحدث الجهمية وموافقوهم من المعتزلة وغيرهم أنه مخلوق بائن من الله= قال السلف والأئمة: إنه كلام الله غير مخلوق.

ولم يَقُل أحد من السلف: إن الله تكلَّم بغير قدرته ومشيئته، ولا أنه معنىً واحد قائم بالذات، ولا أنه تكلَّم[3] بالقرآن أو التوراة أو الإنجيل في الأزلِ بحرف وصوت قديم، فحدَث بعد ذلك طائفةٌ فقالوا: إنه قديم.

ثم منهم من قال: القديم هو معنىً واحدٌ قائم[4] بالذات، هو معنىٰ جميعِ كلام الله.

وذلك المعنىٰ إن عُبِّر عنه بالعِبريَّة كان توراة، وإن عُبِّر عنه بالسُّرْيانِيَّة كان إنجيلًا، وإن عُبِّر عنه بالعربية كان قرآنا، والأمر والنهي والخبر صفات له لا أنواع له.

ومن هؤلاء من قال: بل هو قديم، وهو حروف، أو حروف وأصوات أزلية قديمة، وأنها هي التوراة والإنجيل والقرآن.

---

(١) «كلام الله» سقط من المطبوعتين.

(٢) «ولكن» سقط من المطبوع.

(٣) زيد بعده في (د): «به»، ثم فوق السطر: «بالقرآن أو التوراة أو الإنجيل»، فيحتمل أن يكون الناسخ قصد تصويب «به»؛ فنسي، وجمع بين الخطأ وتصويبه. وفي (ل) أخّر «به» بعد «الإنجيل»، وفي (ط. النيل): «به القرآن».

(٤) «قائم» سقط من (ل)، وملحق فوق السطر في (د).

فقال الناس لهؤلاء: خالفتم الشرع والعقل في قولكم: إنه قديم، وابتدعتم بدعة لم يَسبقكم إليها أحدٌ من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، وفَرَرْتُم من محذور إلىٰ محذور، كالمستجير من الرَّمضاء[1] بالنار.

ثم قولكم: إنه معنىٰ واحد ـ وهو مدلول جميع العبارات ـ مكابرة للعقل والشرع؛ فإنا نعلم ـ بالاضطرار ـ أنه ليس معنىٰ آية الكرسي، هو معنىٰ آية الدَّيْن، ولا معنىٰ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد:١] هو معنىٰ سورة الإخلاص.

والتوراة إذا عَرَّبْناها لم تَصِرْ هي القرآن العربي الذي جاء به محمد، وكذلك إذا ترجمنا القرآن بالعِبرية، لم يكن هو توراة موسىٰ.

وقول من قال منكم: إنه حروف، أو حروف وأصوات أزلية= ظاهرُ الفساد، فإن الحروف متعاقبة، فيَسبق بعضُها بعضا، والمسبوق بغيره لا يكون قديمًا لم يزل، والصوت المعيَّن لا يبقىٰ زمانَيْن، فكيف يكون قديمًا أزليًّا؟

والسلف والأئمة لم يَقُل أحد منهم بقولكم، لكن قالوا: إن الله تكلم بالقرآن وغيره من الكتب المنزلة، وإن الله نادىٰ موسىٰ بصوتٍ سمعه موسىٰ بأذُنه، كما دلَّت علىٰ ذلك النصوص.

ولم يقل أحد منهم: إن ذلك النداء الذي سمِعه موسىٰ قديمٌ أزلي، ولكن قالوا: إن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء وكيف شاء؛ لأن الكلام صفة كمال، لا صفة نقص، وإنما تكون صفة كمال إذا قام به، لا إذا كان مخلوقا بائنًا عنه،

---

(١) (ل): «بالرمضاء»، سبق قلم. «والرمضاء»: شدة الحرارة. وفي هذا إشارة إلىٰ البيت المشهور:

المستجيرُ بعمروٍ عند كُرْبته ... كالمستجيرِ من الرمضاء بالنار

وهو مثَلٌ يضرب لمن تجتمع عليه خلَّتا سوء. «مجمع الأمثال»: (١/ ٣٧٤).

فإن الموصوف لا يتَّصف[1] ـ إلا بما قام به ـ، لا يتصف بما هو بائن عنه، فلا يكون الموصوفُ حيًّا عالمًا قادرًا متكلمًا رحيمًا مريدًا بحياةٍ قامت بغيره، ولا بعلم وقدرة قامت بغيره، ولا بكلام ورحمة وإرادة قامت بغيره.

والكلام بمشيئة المتكلِّم وقدرته أكملُ ممن لا يكون بمشيئته وقدرته.

وأمَّا كلامٌ يقوم بذات المتكلم بلا مشيئته وقدرته= فإما أنه ممتنِعٌ أو هو صفة نقص، كما يُدَّعىٰ مثل ذلك في المصروع.

وإذا كان كمالًا، فدوام الكمال له، وأنه لم يزل موصوفا بصفات الكمال= أكملُ من كونه صار متكلمًا بعد أن لم يكن، لو قُدِّر أن هذا ممكن، فكيف إذا كان ممتنعًا؟

وكان أئمة السنة والجماعة كلما ابتُدع في الدين بدعة، أنكروها ولم يُقِرُّوها، ولهذا حفظ الله دين الإسلام، فلا يزال في أمة محمدٍ طائفة هادية مهدية ظاهرة منصورة.

بخلاف أهل الكتاب، فإن النصارىٰ ابتدعوا بدعًا خالفوا بها المسيح، وقهروا من خالفهم ممن كان[2] متمسِّكا بشرع المسيح حتىٰ لم يَبق حين[3] بَعَث الله محمدًا من هو متمسِّك بدين المسيح، إلا بقايا من أهل الكتاب كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**إن الله نظر إلىٰ أهل الأرض فمَقَتَهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب**»[4].

(١) «لا يتصف» ساقط من المطبوع.

(٢) (ل): «هو».

(٣) يشبه أن تكون في (ل): «حق»، أو «حتىٰ».

(٤) سبق تخريجه.

فلما أظهر قوم من الولاة[1] أن القرآن مخلوق، ودعوا الناس إلىٰ ذلك، ثبت الله أئمة السنة وجمهور الأمة، فلم يوافقوهم، وكان المشار إليه من الأئمة إذ ذاك أحمد بن حنبل.

ثم بقي ذلك القول المحدَث ظاهرًا نحو أربع عشرة سنة، وأئمة الأمة وجمهورُها يُنكِرُه[2]، حتىٰ جاء من الولاة[3] من مَنَع من إظهاره والقول به، فصار مخفيًّا كغيره من البدع، وشاع عند العامة والخاصة أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

فأراد بعض الناس أن يجيب عن شبهةِ من قال: إن هذا الذي يقوم بنا مخلوق. فقال: القرآن كلام الله غير مخلوق، ولكن ألفاظنا به مخلوقة، وتلاوتنا له مخلوقة. وربما قالوا: هذا الذي نقرؤه مخلوق، أو هذا ليس هو كلام الله.

فقصدوا معنىٰ صحيحًا، وهو كون صفات العباد[4] وأفعالهم مخلوقة.

لكن غلِطوا حيث أطلقوا القول، أو أفهموا الناس بأن هذا القرآن الذي يقرؤه المسلمون مخلوق، ولم يَهتدوا إلىٰ[5] أنا إذا أَشَرنا إلىٰ كلامِ متكلّم قد بُلِّغ عنه، فقلنا مثلا لما روي عن النبي ﷺ؛ كقوله: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوىٰ»[6]: هذا كلام رسول الله ﷺ، أو لقول الشاعر:

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ

---

(١) المأمون، والمعتصم، والواثق، من الخلفاء العباسيين. ينظر: «تاريخ الخلفاء»: (ص/ ٢٦٨ ـ ٢٩٦).

(٢) (ل): «مُنكِرة»، والمطبوعتان: «ينكرونه»، وليس في النسخ.

(٣) الخليفة العباسي المتوكل علىٰ الله.

(٤) المطبوعتان زيادة: «وأصواتهم» وليس في النسخ.

(٥) «إلىٰ» سقط من (ل).

(٦) أخرجه البخاري في مواضع، منها: (١)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

هذا شعر[١] لبيد بن ربيعة[٢]، ونحو ذلك= فإنا نُشير إلىٰ نفس الكلام معانيه ونظمه وحروفه، لا إلىٰ ما يختص بالمبلِّغ من حركته وصوته، بل ولا صوت المبلَّغ عنه وفعله.

فإن كون الحي متحركًا أو مصوِّتًا قَدْرٌ مشترك بين الناطق والأعجم، وليس هذا صفة له[٣]، والكلام الذي يُمَيَّز به[٤] الناطق عن الأعجم، إنما يتميز بالمعاني القائمة به، وباللفظ المطابق لها من الحروف المنظومة بالأصوات المقطعة.

وهذا أمر يختص به المتكلم بالكلام، لا المبلِّغُ عنه، فليس للمبلِّغ إلا تأدية ذلك.

ولهذا لو قال قائلٌ لِشِعْر لَبيد:

ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطلُ

فقال: هذا شِعري أو كلامي لكونه أنشده بصوته، لَكَذَّبه الناس[٥]. ولو قال: هذا الذي أقوله مثلُ شعر لبيدٍ، لكذَّبه الناس وقالوا: بل هو شعره نفسه، ولكنْ أدَّيْتَه بصوتك.

---

(١) المطبوعتان: «كلام»، خلافًا للأصول.

(٢) في ديوانه: (ص٨٥)، والشعر والشعراء (١/ ٢٧١). و«لبيد» تقدمت ترجمته.

(٣) (ل): «الكمال».

(٤) (ل): «الذي يتميز به». (د، ط النيل): «التي يميز بها»، علىٰ تقدير مضاف: «وصفةُ الكلام»، أو ذهول عن تصويبها بعد أن كانت: «وليس هذا صفة الكمال التي يميز بها»، فأصلح أولها دون آخرها.

(٥) «الناس» سقط من (د).

بخلاف ما إذا قال قائل[1] قولًا نظمًا أو نثرًا، وقال آخر مثلَه، فإن الناس يقولون: هذا مثل قول فلان، كما قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [البقرة:١١٨]، وقال عن القرآن: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء:٨٨].

ولهذا لو قال قارئ: أنا آتي بقرآن مثل[2] قرآن محمد، وتلاه نفسه وقال: هذا مثله= لَأنكرَ الناس ذلك وضحكوا منه، وقالوا: هذا القرآن الذي جاء به هو، ليس هو كلام آخر مماثل له.

فإذا كان القرآن الذي يقرؤه المسلمون هو كلام الله الذي بلَّغه الرسول= لم يَجُز أن يقال: ليس هو بكلام الله، بل هو مِثل له، أو حكاية عنه، أو عبارة.

وإذا كان معلومًا أنما هو كلام الله، فقد تكلَّم الله[3] به ـ سبحانه ـ لم يَخلقْه بائنًا عنه، ولم يجز أن يقال لما هو كلامه: إنه مخلوق.

فإذا قيل عما يقرؤه المسلمون: إنه مخلوق، والمخلوق بائن عن الله، ليس هو كلامه= فقد جُعِل مخلوقًا، ليس هو بكلام الله.

فصار الأئمة يقولون: هذا كلام الله وهذا غير مخلوق، لا يشيرون بذلك إلىٰ شيء من صفات المخلوق، بل إلىٰ كلام الله الذي تكلَّم به وبلَّغه عنه رسوله ـ والمبلِّغ إنما بلَّغه بصفاتِ نفسِه ـ والإشارة في مثل هذا يراد بها الكلام المبلَّغ، لا يراد بها ما به وقع التبليغ.

---

(١) «قائل» ليس في (ل).

(٢) (ل) «بمثل»، غفل الناسخ عن تصويبها بعد إلحاق «بقرآن».

(٣) «الله» ليست في (د، ط النيل).

وقد يراد ـ بهذا ـ الثاني مع التقييد، كما في مثل الاسم إذا قيل: عبدتُ الله ودعوتُ الله، فليس المراد أن المعبودَ المدعوَّ هو الاسمُ الذي[1] هو اللفظ، بل المعبود الـمَدْعُوُّ هو المسمَّىٰ باللفظ، فصار بعضهم يقول: الاسم هو غير المسمَّىٰ، حتىٰ قيل لبعضهم: أقول: دعوت الله، فقال: لا تقل هكذا، ولكن قل: دعوت المسمىٰ بالله، وظَنَّ هذا الغالط أنك إذا قلت ذلك، فالمراد دعوتُ هذا اللفظ، ومثل هذا يَرِدُ عليه في اللفظ الثاني.

فما من شيء عُبِّر عنه باسم، إلا والمراد بالاسم هو المسمىٰ، فإن الأسماء لم تذكر إلا لبيان المسمَّيات، لا أن الاسم نفسه هو ذات المسمىٰ.

وإن[2] قال: إن اللفظ أو المعنىٰ[3] القائم بالقلب هو عين المسمىٰ، فغلطه واضح.

ومن قال: إن المراد بالاسم[4] في مثل قولك: دعوت الله، وعبدته، هو نفس اللفظ، فغلَطُه واضح.

ولكن اشتَبه علىٰ الطائفتين ما يُراد بالاسم ونفس اللفظ. كذلك أولئك اشتَبه عليهم نفسُ كلام المتكلِّم المبلَّغ عنه ـ الذي هو المقصود ـ بلفظ المبلِّغ وكتابتِه بنفس صوت المبلغ ومداده.

والفرق بين هذا وهذا واضح عند عامة العقلاء.

---

(١) «هو الاسم الذي» سقط من (د).

(٢) المطبوعتان: «فمن»، خلاف النسخ الخطية.

(٣) المطبوعتان: «والمعنىٰ»، خلافًا للأصول.

(٤) (ل): «إن الاسم».

وإذا كَتَب كاتبٌ اسم الله في ورقة، ونطق[1] باسم الله في خطابه، وقال قائل: أنا كافر بهذا ومؤمن بهذا، كان مفهوم كلامه أنه مؤمن أو كافر بالمسمَّىٰ المرادِ باللفظ والخط، لا أنه يؤمن ويَكْفُر بصوت أو مداد.

فكذلك من قال لِمَا يسمعه من القراء ولِمَا يكتب في المصاحف: إن هذا كلام الله، أو قال لِمَا يسمع من جميع المبلِّغين لكلام غيرهم، ولِمَا يوجد في الكتب: هذا كلام زيد[2]= فليس مرادهم ذلك الصوت والمداد، إنما هو المعنىٰ واللفظ الذي بلَّغه زيدٌ بصوته وكُتِب في القرطاس بالمداد.

فإذا قيل عن ذلك: إنه مخلوق= فقد قيل: إنه ليس كلام[3] الله، ولم يتكلَّم به.

ومن قَصَد نفس الصوت أو المداد وقال: إنه مخلوق، فقد أصاب، كما أن من قَصَد نفس الصوت أو الخط وقال: ليس هذا هو كلام الله، بل هو مخلوق، فقد أصاب، لكن ينبغي أن يُبيِّن مرادَه بلفظٍ لا لَبْس فيه.

فلهذا كان الأئمة كأحمد بن حنبل وغيره، يُنكرون علىٰ من أطلق القول بأن اللفظ بالقرآن مخلوق، أو غير مخلوق. ويقولون: من قال: إنه مخلوق فهو جهمي، ومن قال: إنه غير مخلوق، فهو مبتدع[4].

ومن قال: إنه مخلوق هنا، فقد يقولون: ليس هو كلام الله، وهذا خلاف المتواتر عن الرسول، وخلاف ما يُعلَم بمثل ذلك بصريح المعقول.

---

(١) (ل): «أو نطق».

(٢) (د) «ذاك»، ثم ضرب عليها دون تصويب. (ط النيل): «الله».

(٣) (ل): «بكلام».

(٤) وقع هنا خرم في (د) مقدار ورقة، ينتهي عند آخر الفصل. وأثر الإمام أحمد في «السنة» للخلال (٢١٦٧)، و«سؤالات أبي داود»: (١٧١١) وما بعدها. وينظر: «التسعينية»: (٣/ ٨٧٢).

فإن الناس يعلمون ـ بعقولهم ـ أن من بلَّغ كلام غيره فالكلام كلام المبلَّغ عنه الذي قاله مبتديًا[1] آمِرًا بأمره مخبِرًا بخبره، لا كلام من قاله مبلِّغا عنه مؤدِّيًا.

ولهذا كان النبي ﷺ يقول في المواسم: «ألا رجل يَحمِلني إلىٰ قومه لأُبَلِّغ كلام ربي؟ فإن قريشًا قد منعوني أن أبلِّغ كلام ربي» رواه أبو داود وغيره، عن جابر[2].

ولما أنزل الله تعالىٰ: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم:٢- ٣] قال بعض الكفار لأبي بكر الصديق: هذا كلامك أم كلام صاحبك؟ قال: ليس بكلامي ولا كلام صاحبي، ولكنه كلام الله[3].

فلهذا اشتدَّ[4] إنكار أحمد بن حنبل وغيره من أئمة الإسلام، وبالَغ قوم في الإنكار عليهم وقالوا: لفظنا بالقرآن غير مخلوق، وأطلقوا عبارات تتضمن وتُشعر أن يكون شيءٌ من صفات العباد غير مخلوقة، فأنكر ذلك أحمدُ وغيره، كما أنكر ذلك ابن المبارك، وإسحاق بن راهويه، والبخاري، وغير هؤلاء من أئمة السنة، وبيَّنوا أن الورَق والمداد وأصوات العباد وأفعالهم مخلوقة، وأن كلام الله الذي يحفظه العباد ويقرؤونه ويكتبونه غير مخلوق.

---

(١) بتسهيل الهمزة.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١١٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٥٨٥)، و«الاعتقاد» (ص١٠٢)، وأخرجه ابن خزيمة (١/ ٤٠٤) أيضًا في سياق أتم، كلهم من طريق عروة بن الزبير، عن نيار بن مُكرَم رضي الله عنه. وسنده جيد، وأصل القصة بطولها ـ دون هذه العبارة ـ عند الترمذي (٣١٩٤) وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث نيار بن مُكرَم، لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد».

(٤) المطبوعتان زيادة: «به».

فكلام أئمة السنة والجماعة كثير في هذا الباب، متَّفق غير مختلِف، وكله صواب.

ولكن قد يبيِّن بعضهم في بعض الأوقات ما لا يبيِّنه غيره لحاجته في ذلك. فمن ابتُلي بمن يقول: ليس هذا كلام الله ـ كالإمام أحمد ـ كان كلامه في ذم من يقول: هذا مخلوق، أكثرَ من ذمِّه لمن يقول: لفظي مخلوق.

ومن ابتُلي بمن يجعل بعض صفات العباد غير مخلوق ـ كالبخاري صاحب الصحيح ـ كان كلامه في ذمّ من يجعل ذلك غيرَ مخلوق أكثر، مع نصِّ أحمد والبخاري وغيرِهما، علىٰ خطأ الطائفتين.

فصل

قال سعيد بن البطريق[1]: «وليس حلول كلمة الله الخالقة والتحامها بجوهر الناسوت ـ عن انتقال ولا تغيُّر ولا احتيال من واحد من الجوهرين عن كثافة، فلا الإلهي احتال عن[2] أن يكون إلها خالقًا، ولا الناسيّ احتال عن أن يكون ناسيًّا مخلوقا.

والاحتيال والتغير، إنما يلزم الخلطة إذا كانت من خَلْقَين ثقيلين غليظين، مثل الماء والخمر، أو الماء والعسل[3]، والسمن[4] والعسل، والذهب والوَرِق، والنحاس والرصاص، وما أشبه ذلك؛ لأن كله[5] ثقيل غليظ، وكل ثِقَل تخالطه ثِقْلةٌ ـ لا محالةَ ـ يلزمه التغيُّر حتىٰ يصير إلىٰ ما كانت عليه الأثقال، فلا الخمر خمرًا، ولا الماء ماء بعد اختلاطهما، ولكنهما احتالا جميعًا عن جوهرهما، فصارا إلىٰ أمرٍ متغيِّر ليس هو أحدهما بعينه، ولا أحدهما خالص من الفساد والاحتيال عن حاله.

فأما إذا كانت الخُلطة من خَلْق لطيف وخَلْق غليظ، لم يخالِط[6] تلك الخُلطةَ تغييرٌ[7] ولا احتيال، مثل خُلطة النفس والجسد إنسانًا واحدًا، أحدهما يلتحم[8] بالآخر من غير أن تكون النفس تغيرت واحتالت -أي استحالت-

---

(١) في «تاريخه»: (ص١٦٣) باختصار وتصرف يسير.

(٢) «عن» سقط من المطبوع.

(٣) «تاريخ ابن البطريق»: «والعسل والخل».

(٤) المطبوعتان: «أوالسمن»، خلاف النسخ. «والسمن والعسل» ليست في التاريخ.

(٥) (ل): «كل».

(٦) تاريخ ابن البطريق (ص١٦٤): «يلحق».

(٧) المطبوعتان: «تغيُّر».

(٨) «ابن البطريق»: «متَّحد»، (ط النيل): «ملتحمًا».

عن جوهرها أن تكون نفسًا تعرفها بفعالها، ولا الجسد تغيَّر ولا احتال عن حاله وأفعاله.

ومثل ما كان مخالطة[1] النار والحديد فيلتحمان جميعا فيكونان جمرةً واحدة من غير أن تكون النار قد تغيَّرت إلىٰ أن تكون حديدة ثقيلة تَشُجُّ[2] وتَقطع، ولا الحديدة تغيّرت واحتالت إلىٰ[3] أن تكون نارًا تُحرِق، فكذلك تفعل كل خُلطة مؤلّفة من شيئين مختلفَين أحدهما روحانيٌّ لطيف، والآخر ثِقَلِّيٌّ غليظ، مثل النفس والجسد والنار والحديد، ومثل الشمس المخالطة للماء والطين وكل رطوبة وحمأة، فهي لا تتغير ولا تحتال عن نورها ونقائها وضوئها، مع مخالطتها كل سواد وسخ، ونتن ونجس.

قال: والخلطة تكون علىٰ ثلاثة أوجه:

أحدها: خلطة باختلاط من الطبيعتين الثقيلتين واحتيالهما وفسادهما، مثل خلطة الخمر والماء، والخل والعسل، والذهب والورِق، والرصاص[4] والنحاس، فإن في ذلك كله ــ وما أشبهه ــ احتيالًا وفسادًا؛ لأن مِزاج الخمر والماء، ليس بخمر ولا ماء؛ لاحتيال كل واحد منهما عن طبعِه واختلاطهما بفسادهما وتغيرهما عن حالهما.

وكذلك خُلطة الخلّ والعسل، قد صارت لا خلًّا ولا عسلًا؛ لاحتيال كل واحد منهما، وخلطة الذهب والورق علىٰ مثل ذلك صارت علىٰ غير صحة

(١) كذا في (ل)، وهو ما استظهرته في (د)، المطبوعتان: «تَخَالُط». «ابن البطريق»: «ومثل ما إذا اتَّحد».

(٢) (ل): «توشج».

(٣) (ل): «إلّا».

(٤) «والرصاص» سقط من (ل).

لا من الذهب ولا من الورق، وخلطة الورق[1] والنحاس علىٰ غير صحة، لا من الورق ولا من النحاس، فهذا وجه من الوجوه الثلاثة.

والوجه الثاني: خُلْطة افتراق من الطبيعتين الثقيلتين، وقد تُعرَف من تلك الخلطة كلُّ واحدة[2] من الطبيعتين؛ ثابتةً في الأخرىٰ بِقِوامها ووجهها، مثل الزيت والماء في قنديل واحد، ومثل الكتَّان والقَزِّ في ثوب واحد منسوج بكتان مضلَّع بقَزّ، ومثل صنمِ نحاسٍ رأسُه من ذهب، وما أشبه ذلك، مما لا ينبغي[3] أن يُسمَّىٰ خلطةً مع افتراق الطبيعتين والقِوامين، مثل ما لا ينبغي أن يكون بين الماء والقُلَّة التي هو فيها خلطة؛ لأن طبيعة القُلَّة فَخار، قِوامها قُلَّة، وليس بينها وبين الماء خُلطة، بل أشدُّ الفُرقة.

وكذلك الماء والزيت، لولا أن وِعاء القنديل الذي هما فيه ضمَّهما[4] ما اجتمعا.

وكذلك الكِتَّان والقزّ، ليس بينهما خلطة، وإن كانا في ثوب واحد، ولا في[5] الذهب والنحاس ـ ولم يُسبَكا ـ خُلطة، وإن جمعهما صنم واحد. فهاتان الخلطتان لا يكونان أبدا إلا في أثقال جسمانيات غليظة.

---

(١) ابن البطريق: «الرصاص»، وهو الأظهر.

(٢) (ل): «واحد». وعبارة ابن البطريق في «تاريخه»: «ومن قِوامها تُعرف. وفي تلك الخلطةِ الطبيعتان كلٌّ واحدة بارزة من الأخرىٰ بِقِوامها ووجهِها». وعلىٰ هذا يكون قول المصنف هنا: «كلٌّ» مبتدأ، خبره «ثابتة». ويجوز وجه آخر؛ باعتبار «كلُّ» نائب فاعل، و«ثابتة» حالًا من إحدىٰ الطبيعتين، وهو ما أثبتُّه.

(٣) (ل): «ممن لا ينفي».

(٤) (ل): «جمعهما».

(٥) كذا في النسخ الخطية، والمطبوعتان: «بين»، وهو ما في مصدر النقل.

فإن التحم بعضها[١] ببعض ـ مثلما يُذاب الذهب والنحاس ويُفْرَغان جميعا ـ وَقعتْ في وجه خلطة الاحتيال والفساد؛ لأن تلك النُّقرة[٢] ليست بذهب صحيح، ولا بنحاس صحيح.

فإن لم تُلحَم وأَلزمَ بعضها بعضًا، مثل طوقٍ يكون من نحاس وذهب، وقعتْ من وجهِ خُلطة الافتراق التي لا يحق لها أن تُسمَّىٰ خُلطة.

وفي هذين الوجهين وَقَع «نسطورس» وأشياعُه فلزموا خُلطة الاحتيال والفساد، فزعموا أن الطبيعة الإلهية والطبيعة الناسيَّة اختلطا في المسيح الواحد، فهو ذو[٣] قِوام واحد بطبيعة واحدة مختلطةٍ من طبيعتين مختلفتين؛ إلهية وناسيَّة، فأقروا[٤] أنهما قد احتالا، والاحتيال فساد.

وألزموا ـ علىٰ هذا القول الكافر ـ طبيعةَ الله المصائب والموت، وصيَّروا المسيح لا إلها صحيحا ولا إنسانًا، مثل نُقْرة[٥] الذهب والنحاس.

فنسطورس وأشياعه لزموا خلطة الفرقة والانقطاع، فزعموا أن المسيح الواحد ذو طبيعتين مختلفتين، إلهية وناسية[٦]، وذو قوامين معروفين، إلهيٍّ وناسيٍّ، فصيَّروا الفُرقة خُلطةً، كالطوق الملوَّن نصفين أحدهما ذهب والآخر نحاس، والثوب المبطَّن ظاهره خز وباطنه قُطن، ليس بينهما خلطة في طبيعة

---

(١) المطبوع: «بعضهما»، خلاف النسخ والأصول.

(٢) «النُّقْرة»: حُفرة صغيرة في الأرض، وتستعمل ـ أيضًا ـ في القِدْر يُسخَّن فيه الماء. «مختار الصحاح»: (ص٣١٧).

(٣) (ل): «فهو هو»، والمثبت موافق لمصدر النقل.

(٤) (ل): «فأقرَّا»، وهو ما في مصدر النص، سبق قلم.

(٥) «نقرة» سقط من المطبوع.

(٦) المطبوع: «الإلهية والناسية»، خلاف عامة النسخ ومصدر النقل.

ولا قوام.

وليس لهم علىٰ هذا أن يؤمنوا بمسيح واحد؛ لأن الطوق الملوَّن طوقان، والثوب المبطَّن ثوبان.

فالمسيح ـ مثل ذلك ـ مسيحان، واحدٌ إلهي بطبيعته وقوامه، مثل قضيب الذهب في الطوق الملون، ومثل ظهارة الخز في الثوب المبطن.

والآخر ناسي، مثل [قضيب][1] النحاس في الطوق، وبِطانة القطن في الثوب.

والعجب كل العجب، كيف لم يَعقِل أهلُ الخلاف والشقاق من الصنفين كلاهما[2]، ولم يفهموا أن هاتين الخِلْقتين أنهما خِلْقتان ذواتا أثقال جسمانية غليظة، ليس فيهما شيء من الخَلْق الرُّوحاني اللطيف الخفيف، ولذلك لا تَقْدِر الأثقالُ الغليظة علىٰ الخروج من هذين الوجهين من وجوه الخلطة؛ لأنهما إن

---

(١) في النسخ الخطية: «فضة»، والمثبت من مصدر النقل.

(٢) كذا عامة الأصول ومصدر النقل، وفي المطبوعتين: «كيف لم يَفْصِل أهلُ الخلاف والشقاق بين الصنفين كليهما».

تنبيه: ما في المطبوعتين وإن كان ظاهره الصحة؛ إلا أنه مخالِفٌ لما أثبتُّه من عامة النسخ الخطية، ولقصد قائله؛ فإن ابن البطريق إنما تعجَّب من صنفين ذكرهما قبلُ ـ وهما نسطورس وأتباعه، ويعقوب وأشياعه ـ في عدم فهم كلٍ منهما طبيعة اختلاط اللاهوت بالناسوت، وقد أشار إلىٰ الصنفين في قوله (ص١٦٥): «وفي هٰذين الوجهين وقع نسطورس وأشياعه، ويعقوب وسويرس وديسقورس وافتيشيوس وأشياعهم».

فتُوُهِّم ـ في المطبوعتين ـ أن المراد بالصنفين صِنفَا الخُلطة المذكورة في الوجهين السالفين، ثم أُعمل القلم في توجيه النص وتعديله بناء علىٰ هذا التوهّم، فحصل التغاير المذكور، ولعلّ ما أعيا عن فهم المراد: اختصارُ المصنف النقْل، واجتزاؤه بالإشارة إلىٰ نسطورس وأتباعه عن الصنف الآخر. والله أعلم.

هذا وقوله: «كلاهما» بالألف متوجِّه بأمور؛ أقربها أن يكون علىٰ لغة من يلزم المثنىٰ الألف، وله من نصوص القرآن وكلام العرب ما يشهد له، كما هو مقرَّر في موضعه.

اختلطا خُلطة ملتحمة ممتزِجة، صارت إلىٰ احتيال وفساد، وإن قامت علىٰ حالها، لا تلتحم ولا يمتزج بعضها ببعض، فهي علىٰ وجه [خلطة][1] الافتراق، ومنقطعة بعضها من بعض، وإنْ جَمَعَها صنم واحد أو ثوب واحد، فليس يوجد لشيء من الأثقال الجسمانية وجه خلطة سوىٰ هذين الوجهين أبدا، إما فساد وإما انقطاع، إلا أن تكون الخلطة في اثنين أحدهما ثقيل جسماني، والآخر لطيف روحاني، فإن ذلك هو:

الوجه الثالث من الخلطة: وهي خُلطةُ الحلول بلا اختلاط ولا احتيال، ولا فساد ولا فرقة ولا انقطاع، لكنها نفاذ الطبيعة الرّوحانية في الطبيعة الثقيلة السفلية، حتىٰ تنتشر في جميعها وتَحلَّ بكلها، فلا يبقىٰ موضعٌ من الطبيعة الثقيلة السفليَّة خِلْوًا من الطبيعة الروحانية، ولا احتيال من الثقيلة الجسمانية عن طبيعتها الغليظة الثقيلة، ولا تغيّر ولا فساد[2] لإحداهما، مثل خلطة النفس والجسد، ومثل خلطة النار والحديد في قوام جمرة واحدة، فهي جمرة واحدة بالقوام في[3] طبيعة نار ملتحمة مخالطة لطبيعة الحديدة بلا فرقة من انقطاع، ولا تخليط احتيال وفساد، وقد انتشرت النار في جميع الحديدة، ولَبِستْها، وأنالت النارُ الحديدةَ من قِوامها وقوتها حتىٰ أنارت الحديدة وأَحرقتْ، ولم تنل النار من ضعف الحديدة شيئًا من السواد ولا البرودة.

فعلىٰ هذا الوجه من الخلطة دَبَّرتْ كلمةُ الله الخالقةُ خلطتَها للطبيعة البشريَّة.

---

(١) ما بين المعكوفين من مصدر النقل، وليس في النسخ الخطية.

(٢) (ل): «ولا تغيير وإفساد».

(٣) المطبوعتان: «من»، موافقًا لمصدر النقل.

فهو مسيحٌ واحدٌ ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل الأدهار كلها، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود ليس بمخلوق من سوس أبيه وجوهره وطبيعته، وهو إياه من مريم العذراء المولود منها في آخر الزمان بِقِوام واحد، قِوام ابن الله الوحيد الجامع للطبيعتين كلتيهما، الإلهية التي لم تزل في البدء قبل كل بدء، والناسية التي كونت في آخر الزمان المقوم بالقوام الأزلي.

فهو مسيح واحد بقوام واحد أزلي، ذو طبيعتين إلهية لم تزل، وناسية خلقها له والتحم بها من مريم العذراء، فقوامه[1] ذلك قوام الطبيعة الإلهية والطبيعة الناسية، جامعا لهما بلا اختلاط ولا فساد، ولا فرقة انقطاع، لم يزل قوام الطبيعة الإلهية، ثم هو[2] قوام الطبيعة الناسية، قد خلقها وكونها وقومها بقوامه الذي لم يزل يقيم إلا به، ولم يعرف[3] إلا له».

---

(١) (ل): «بقوامه»، ومصدر النقل: «قوامه».

(٢) «قوام الطبيعة الإلهية ثم هو» سقط من (ل)؛ لانتقال النظر.

(٣) (ل): «يُصرف»، والمثبت موافق لمصدر النص.

والجواب عن هذا الكلام ـ بعد أن يقال: إنه تناقض؛ لِجَعْل[1] هذا تارة اختلاطًا، وتارة يقول: ليس هذا[2] اختلاطًا ـ أن يقال: إنه ـ أولًا ـ[3] قد جَعَل[4] هذا الحلول والالتحام اختلاطًا، ويقول: إنه لا يكون فيه استحالة ولا تغيُّر، وقال[5]: «فأما إذا كانت من لطيف وكثيف= لم يخالِط تلك الخُلطةَ تغيُّرٌ ولا احتيال ـ أي استحالة ـ».

ويقول: «والخلطة تكون على ثلاثة أوجه[6]: **أحدها**[7] كالخمر والماء، **والثاني** كالزيت والماء، والكتّان والقزّ، ثم يقول: وما أشبه ذلك مما لا ينبغي أن يُسمَّىٰ خلطة مع افتراق الطبيعتين». فيجعله من أقسام الخُلطة، ثم يقول: ولا ينبغي أن يسمَّىٰ خُلطة!

وليس المقصود المنازعات اللفظية، بل نقول: دعواه أن أحد نوعي الاختلاط يكون عن تغير[8] واستحالة، بخلاف[9] النوع الآخر الذي هو اختلاط لطيف وغليظ= دعوىٰ ممنوعة، ولم يُقِم عليها دليلًا، بل نقول: هي باطلة؛ بل لا يكون الاختلاط بين شيئين إلا مع تغيُّر واستحالة.

---

(١) كذا في (ل)، ولم يحرر في (د)، والمطبوعتان: «فجعل»، ولا يلائم السياق.

(٢) المطبوعتان: «هو»، والمثبت من (ل)، ولم يحرر في (د).

(٣) «أن يقال إنه أولًا» ليست في (ل)، وزيد بعدها: «ويقول: إنه لا يكون فيه تغير واستحالة»، وهو تكرار! كما سيأتي.

(٤) المطبوعتان: «يجعل»، خلاف النسخ.

(٥) المطبوعتان: «ويقول» وزيد بعده فيهما: «الاستحالة والتغيير إنما يلزم الخلطة، إذا كانت من خلقين غليظين؛ كالماء والخمر»، وليس في الأصول الخطية.

(٦) المطبوعتان زيادة: «ثم يقول» وليس في النسخ.

(٧) المطبوع: «أحدهما»، تصحيف.

(٨) (ل): «تغيير».

(٩) (ل): «تخالف».

وما ذكره من الأمثال والشواهد، فهي حجة عليه؛ لقوله[1]: «فأما إذا كانت الخُلطة من خَلْق لطيف وخَلْق غليظ، لم يخالِط تلك الخُلطةَ تغيُّر ولا احتيال، مثل خُلطة النفس والجسد إنسانًا واحدًا، أحدهما ملتحم[2] بالآخر من غير أن تكون النفس تغيَّرتْ واحتالت عن جوهرها ـ أن تكون نفسًا تَعرفها بفِعالها ـ ولا الجسد تغيَّر واستحال عن حاله وفِعاله».

فيقال: هذا قولٌ باطل ظاهر البطلان لكلِّ من تصوره؛ فإن الجسد إذا خلا عن النفس، مثل ما يكون قبل نفخ الروح فيه، وما يكون بعد مفارقة الروح له بالموت، بل آدم ـ عليه السلام ـ أبو البشر، خُلِق من تراب وماء، وصار صلصالًا كالفخار، ثم[3] نُفختْ فيه الروح، فصار جسدًا هو لحم وعظم وعصب ودم.

فهل يقول عاقل: إن جسد آدم[4] قبل النفس وبعدها على صفة واحدة لم تتغير ولم تَسْتحِلْ؟

وذريته من بعده يُخلَق أحدهم من نطفة، ثم[5] علقة، ثم مُضْغة، فيكون جسدًا ميتًا، ثم يُنفخ فيه الروح فيصير الجسد حيًّا بعد أن كان ميتًا، وأي تغيير أعظم من انتقال الجسد من الموت إلى الحياة؟

ومعلوم بالحس والعقل الفرقُ بين الحي والميت، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر:٢٢].

---

(١) (د): «فقوله».
(٢) (ل): «يلتحم».
(٣) «ثم» سقط من (ل).
(٤) (ل): «إن هذا دمٌ».
(٥) «ثم» سقط من (ل).

والجسد إذا لم ينفخ فيه الروح، فهو مَوات ليس له حِسٌّ ولا حركة إرادية، ولا يَسمع ولا يُبصر[1]، ولا ينطق ولا يعقل، ولا يَبطِش ولا يأكل ولا يشرب، ولا يَمْني ولا يَنكِح، ولا يتفكَّر ولا يُحِب ولا يُبغض، ولا يشتهي ولا يغضب.

فإذا اتصلت به النفس، تغيَّرت أحواله واستحالت صفاته، وصار حسَّاسا[2] متحركا بالإرادة.

فكيف يقال مثل خُلطة النفس والجسد إنسانًا واحدًا، أحدهما يلتحم بالآخر من غير أن تكون النفسُ تغيَّرت واستحالت عن جوهرها، أن تكون نفسًا تعرفها بفعالها، ولا الجسد تغيَّر ولا استحال عن حاله وأفعاله؟

فهل يقول عاقل يتصوَّر ما يقول: إن الجسد كان حاله وفعاله مع مفارقة النفس له، كحاله وفعاله[3] مع مخالطتها له؟

وهل يقول عاقل: إن الجسد بعد موته ومفارقة النفس له، حاله وفعاله[4] كحاله وفعاله إذا كانت النفس مختلطة به، وهو إذا مات كالجماد لا يسمع ولا يُبصِر، ولا يَنطق ولا يبطش ولا يمشي، قد جَمُد دمه واسودَّ، ولم يبق سائلًا، وتغيرتْ سَحْنَتُه[5] ولونه. وتَغَيُّر الجسد بالحياة بعد الموت، وبالموت بعد الحياة من أعظم التغيرات والاستحالات؟

وكذلك النفس، فإن النفس -عند اتصالها بالبدن- تلتذُّ بلذته، وتتألَّم بألمه.

---

(١) (ل): «ولا سمع ولا بصر».

(٢) (ل): «حيًا شيئًا».

(٣) قوله: «عن حاله أفعاله ... كحاله وفعاله» ساقط من (د).

(٤) «حاله وفعاله» ليست في (ل).

(٥) (ل): «سنحته». (ط النيل): «صحته». وفي المطبوع: «وتغيُّر سحنته». والسَّحْنة ـ بفتح السين وكسرها ـ: بشرة الوجه، والهيئة والحال. «مقاييس اللغة»: (٣/ ١٤١).

فإذا أَكَل البدن وشرب، ونكح واشتم= التذَّت النفس. وإذا ضُرِب البدن وصُفع، وأُهين وحُطَّ الشوك علىٰ رأسه، وبُصِق في وجهه= تألَّمت النفس بذلك.

فإذا شبهوا اتحاد الرب بالمسيح باتحاد النفس بالبدن، وهم يقولون: إن المسيح وكلَّ أحدٍ إذا ضُرب وصُفِع وصُلِب فتألَّم بدنه، تألَّمتْ نفسه أيضًا.

فإن كان الألم[(١)] مع نفس المسيح وجسده كالنفس مع الجسد، وجب أن يكون الرب يتألم بتألم الناسوت، ويجوع بجوعه ويشبع بشِبَعه، فإنَّ ألم الجوع ولذَّة الشبع يحصل للنفس إذا جاع البدن وشبع[(٢)].

وأيضًا فالمسيح عندهم إله تام، وإنسان تام، والإله [إلهٌ][(٣)] قبل الاتحاد، والإنسان إنسان قبل الاتحاد.

فهم يقولون: إنهما بعد الاتحاد إله تام كما كان، وإنسان تام كما كان.

فنظير هذا، أن يكون الإنسان المركب من بدن ونفس، نفسًا تامة وبدنًا تامًّا، وأن يكون الجمرة والحديدة[(٤)] المحماة حديدًا تامًا ونارًا تامَّة، وخشبة تامة ونارٌ تامة[(٥)] وهذا[(٦)] باطل، بل الإنسان مركّب من نفس وبدن، والإنسان اسم لمجموع، ليس الإنسان روحًا والإنسان بدنًا.

(١) (ل): «الإله»، تصحيف.

(٢) سقط من (د) مقدار ورقة، إلىٰ قوله: «وهذا حقيقة قول النصارىٰ».

(٣) (ل): «الذي»، تصحيف.

(٤) كذا في الأصل الخطِّي، ولعل الصواب: «الخشبة والحديدة»؛ لما ذكره بعد في تفصيل العبارة. وفي المطبوعتين: «تكون الحديدة».

(٥) «وخشبةً تامة ونارًا تامة» سقط من المطبوعتين.

(٦) المطبوعتان: «وهو».

فلو كان الاتحاد حقًّا، لوجب أن يقال: إن المسيح نصفه لاهوت، ونصفه ناسوت، وهو مركّب من هذا وهذا.

لا[١] يقال: إن المسيح نفسه إنسان تام، والمسيح نفسه إله تام، فإن تصور هذا القول على الوجه التام يُوجب العلم الضروري، حيث جعلوا المسيح الذي هو المبتدأُ الموضوعُ المخبرُ عنه المحكومُ عليه، هو إنسان تام وإله تام، يوجب أن يكون نفس الإنسان هو نفس الإله.

ولو قيل هذا في مخلوقِين، فقيل: نفس الملك نفس البشر؛ لكان ظاهر البطلان، فكيف إذا قيل في رب العالمين؟

لا سيما وكثير من النصارى لا يقولون: إن جسد المسيح مخلوق، بل يصفون الجميع باللاهوتية[٢]، وهذا مقتضى قول أئمتهم القائلين: إن المسيح إله تام، لكنهم تناقضوا فقالوا ـ مع ذلك ـ: وهو إنسان تام، فكأنهم قالوا: هو الخالق ليس هو الخالق، [هو مخلوق][٣] ليس هو مخلوق، وهذا جمع[٤] بين النقيضين، وهذا حقيقة قول النصارى، لاسيّما واتحاد اللاهوت بناسوت المسيح ـ عندهم ـ اتحادٌ لازم، لم يفارقْه البتَّة، فيكون ذلك أبلغَ من الاتحاد العارض، في[٥] أن الرب كان متَّحدًا بجسدٍ لا روح فيه، وبالجسد[٦] مع نفخ الروح فيه، ثم بالجسد بعد مفارقة الروح له، وحيث دُفن في القبر ووُضع التراب عليه.

---

(١) المطبوع: «ولا».

(٢) المطبوعتان: «بالإلهية».

(٣) «هو مخلوق» سقط من(ل).

(٤) المطبوعتان: «فجمعوا».

(٥) المطبوعتان: «ومن»، تصحيف يحيل المعنى.

(٦) (ل): «واتحد». (ط. النيل): «وثم بالجسد»، والمطبوع: «ثم بالجسد».

ومعلوم أن الإنسان إذا كانت فيه النفس وجُعِلتْ في التراب معه، تألَّمت النفس ألَمًا شديدًا، ثم[1] تفارق البدن.

ومن العجائب أنهم يقولون: إن المسيح صُلب ومات، ففارقتْه النفس الناطقة، وصار الجسدُ لا روح فيه، واللاهوت ـ مع هذا ـ متَّحد لم يفارقْه وهو في القبر، واللاهوت متَّحد به، فيجعلون اتحاده به أبلغ من اتحاد النفس بالبدن.

والنفس ـ عند اتصالها بالبدن ـ تتغير وتتبدَّل صفاتها وأحوالها، ويصير لها من الصفات والأفعال ما لم يكن بدون البدن، وعند مفارقة البدن، تتغير صفاتها وأفعالها. فإن كان تمثيلهم مطابقًا، لزِم أن يكون الرب قد تغيرت صفاته[2] وأفعاله، لـمَّا اختلط بالمسيح، كما تتغير صفات النفس وأفعالها، ويكون الرب قبل هذا الاختلاط كالنفس المجرَّدة التي لم تقترن[3] ببدن.

وأيضًا فالنفس والبدن شريكان في الأعمال الصالحة والفاسدة، لهما الثواب وعليهما العقاب، والثواب والعقاب علىٰ النفس أكمل منه علىٰ البدن، فإن كان الرب كذلك= كان جميعُ ما يفعله المسيح باختياره فِعْلَ الرب، كما أن جميع ما يفعله البدن باختياره[4] فِعْلُ النفس؛ فالنفس هي[5] التي[6] تخاطَب بالأمر والنهي، فيقال لها: كلي واشربي [وانكحي][7]، ولا تأكلي ولا تشربي ولا تنكحي.

---

(١) (ل): «لم».
(٢) المطبوعتان: «أوصافه».
(٣) (ل): «التي تقرن».
(٤) المطبوع: «باختيار».
(٥) «فالنفس هي» سقط من المطبوع.
(٦) المطبوع: «عن التي».
(٧) «وانكحي» ليس في النسخ الخطية، ويقتضيه السياق.

فإن كان الرب مع الناسوت كذلك، كان الرب هو المأمور والمنهي بما يأمر به المسيح، وكان الرب هو المصلِّي الصائم العابد الداعي، وبطل قولهم: يَخلق ويَرزق بلاهوته، ويأكل ويَعبُد بناسوته.

فإن النفس والبدن لما اتَّحدا، كانت جميع الأفعال الاختيارية للنفس والبدن، فإذا صلَّىٰ الإنسان وصام ودعا، فالنفس والبدن يوصفان بذلك جميعًا، بل النفس أخصّ بذلك، وكذلك إذا أمر أو نهىٰ، فكلاهما موصوف بذلك، وكذلك إذا ضُرِب، فألم الضرب يصل إليهما كما تصل إليهما لذَّة الأكل والجماع.

بل أبلغ من ذلك؛ أن الجنيَّ إذا دخل في الإنسيِّ وصَرَعَه وتكلَّم علىٰ لسانه، فإن الإنسي يتغيّر، حتىٰ يبقىٰ الصوت والكلام الذي يُسمَع منه، ليس هو صوته وكلامه المعروف.

وإذا ضُرب بدن الإنسي، فإن الجني يتألَّم بالضرب ويصيح ويصرخ، ويخرج منه من[1] ألم الضرب، كما قد جرَّب الناس من ذلك ما لا يُحصىٰ، ونحن قد فعلنا من ذلك ما يطول وصفه[2].

فإذا كان الجنيّ تتغيّر صفاته وأحواله لحلوله في الإنسي، فكيف بنفس الإنسان؟

وعندهم اتحاد اللاهوت بالناسوت أتم وأكمل من اتحاد النفس بالجسد.

---

(١) «من» سقط من المطبوع.

(٢) «ونحن قد فعلنا ... الخ» ليس في (ل)، وملحق في هامش (د)، والظاهر ثبوته؛ كما أشار المصنف إلىٰ معناه في بعض كتبه، قال: «كما قد فعلنا نحن هذا، وجرَّبناه مرات كثيرة يطول وصفُها، بحضرة خلق كثيرين». «مجموع الفتاوىٰ» (١٩/ ٦٠).

فهل يقول عاقل ـ مع هذا الاتحاد ـ: إنهما جوهران، لكلٍّ منهما أفعالٌ اختيارية، لا يَشرَكُه الآخر فيها.

ويقولون ـ مع قولهم بالاتحاد ـ: إن الذي كان يصلي ويصوم، ويدعو ويتضرَّع، ويتكلم ويتألَّم، ويُضرَب ويُصلَب، هو نظير البدن، والذي كان يأمر وينهىٰ، ويَخلق ويرزق، هو نظير النفس.

هذا مع قولهم: إن مريم ولدت اللاهوت مع الناسوت، وأنه اتحد به مع كونه حيًّا وقبل حياته وعند مماته، والجسد في ذلك كلِّه كسائر أجساد[1] الآدميين، لم يَظهر فيه شيء من خصائص الرب أصلًا، بل ولا بعد إتيانه بالآيات، فإن تلك كان[2] يجري مثلها وأعظمُ منها علىٰ يَدَي[3] الأنبياء، فهذا أقرب أمثالهم وقد ظهر فساده.

وأبعدُ منه وأشدُّ فسادا، تمثيلهم ذلك بالنار والحديد.

ومعلومٌ عند كلّ من له خِبرة، أن النار إذا اتّصلت بشيء من الأجسام الحيوانية والنباتية والمعدنية[4]، مثل جسد الإنسان وغيره، ومثل الخشب والقصب والقطن وغيره، ومثل الحديد والذهب والفضة، فإنها تغيِّر ذلك الجسد وتبدِّل صفاته عما[5] كانت، فتَحرقه، أو تُذِيبه، أو تُلِيْنه، والنار المختلطة به لا تبقىٰ نارًا محضة، بل تستحيل وتتغيَّر أيضًا.

---

(١) (ل): «كأجساد».

(٢) «كان» ليس في (د).

(٣) المطبوعتان: «يد»، وكلاهما متَّجه.

(٤) (د، ط النيل): «والجمادية».

(٥) (ل): «كما».

فقول هؤلاء: ومثل ما يختلط[1] النار والحديد، فيلتحمان جميعا، فيكونان جمرة واحدة من غير أن تكون النار تغيَّرت، إلىٰ أن تكون حديدة ثقيلة تَشُجُّ وتَقطع، ولا الحديدة تغيَّرت واستحالت إلىٰ أن تكون نارًا تُحرِق= كلام باطل مُلْبِس؛ فإن الجمرة ليست حديدةً محضة، ولا نارًا محضة، بل نوعًا ثالثًا[2].

وقوله: «لم تتغير النار إلىٰ أن تصير حديدة، ولا الحديدة إلىٰ أن تصير نارًا» تلبيس؛ فإن الاختلاط لا يتضمن الاستحالة والتغيّر، كاختلاط الكثيفين الذي سَلَّمه، مثل الماء والخمر، والماء والعسل، والسمن والعسل، والذهب والورِق، والنحاس والرصاص، قد قال فيه: إنه لا الخمر خمر، ولا الماء ماء بعد اختلاطهما، ولكنهما استحالا جميعًا عن جوهرهما، فصارا إلىٰ أمر متغيِّر ليس هو أحدهما بعينه، ولا أحدهما خالصٌ من الفساد والاستحالة عن حاله.

فيقال له: فهذا الذي سلَّمت فيه الفساد والاستحالة، لم يَصر الخمر فيه ماء، ولا الماء[3] خمرا، فكذلك مورد النزاع إذا لم تَصِر النار حديدة، ولا الحديدة نارًا، لم ينفعك هذا النفي، ولم يكن هذا مانعًا من الاستحالة إلىٰ نوع ثالثٍ من[4] الاستحالة والفساد ـ كما ذكرتَه ـ في اختلاط الكثيفين؛ فإنه معلومٌ أن ما خالطتْه النار واتَّحدت به، غيَّرته وأحالتْه وأفسدتْ[5] صورته الأولىٰ، والنار الملتحمة به ليست نارًا محضة.

---

(١) (د): «يُخْلط»، والمطبوعتان: «تختلط».

(٢) (د، ط. النيل): «نوع ثالث».

(٣) «ولا الماء خمرًا» سقط من (د)، وفي (ط. النيل): زيادة«له»، والمطبوع: «فيه».

(٤) (د، المطبوعتان): «ومن»!

(٥) (د): «واتحدت».

ومعلومٌ أيضًا أن الجمرة التي ضربتَها مثلا للمسيح فقلتَ: «إن الله وعيسىٰ اتحدا كاتحاد النار والحديد، حتىٰ صارا جمرة»، فمعلوم أن الجمرة إذا ضُربت بالمطرقة، أو وُضعت في الماء، أو مُدَّت، فإن هذه الأفعال تقع بالمجموع، لا تقع علىٰ حديدةٍ بلا نار، ولا نارٍ بلا حديدة.

فيلزم من ذلك أن يكون ما حلَّ بالمسيح مِن ضَرْب وبُصاق في الوجه، ووضع الشوك علىٰ الرأس، ومِن أكلٍ وشُرب وعبادة، ومِن مشي وركوب، ومن حمل وولادة، وغير ذلك مما حلَّ بالمسيح، ومِن موت، إما متقدم وإما متأخر إذا نزل إلىٰ الأرض، ومِن صَلب ـ علىٰ قولهم ـ أن يكون جميعُ ذلك حلَّ بالمسيح الذي هو عندهم إله تام، وإنسان تام، من غير فرق بين لاهوته وناسوته[1]، كما يكون ما يَحُلّ بجمرة النار، مِن حملٍ ووضعٍ وطرقٍ بالمطرقة ومَدٍّ، وتصوير بشكل[2] مخصوص وإلقاء في الماء، وغير ذلك= حالٌّ بمجموع الجمرة، لا يقول عاقل: إن ذلك يحل بالحديد دون النار، بل هو حالٌّ بالجمرة المستحيلة من حديدة ونار، ومن خشبة ونار، وليست حديدة محضة، ولا نارًا محضة، ولا مجموع حديد محض، ونار محض[3]، بل جوهر ثالث مستحيل عن[4] حديد ونار، كسائر ما يستحيل بالاتحاد والاختلاط إلىٰ حقيقة ثالثة.

فلا فرق في[5] الشيئين إذا اتحدا واختلطا وصارا شيئًا واحدًا من أن يكونا[6] كثيفين، أو يكون أحدهما كثيفا والآخر لطيفًا، لا بُدَّ في ذلك كله أن

---

(١) (ل، المطبوع): «ولا ناسوته».
(٢) (ل): «وطرق بالمطرقة وقد تصور مشكل».
(٣) المطبوع: «محضة»، خلاف النسخ الخطية والمطبوعة.
(٤) المطبوعتان: «من»، خلاف الأصول.
(٥) المطبوعتان: «بين»، خلافًا للنسخ.
(٦) المطبوعتان: «يكون».

يحصل لكلٍّ منهما من التغيُّر والاستحالة ما يوجب الاتحاد، وأن يكون المتَّحِد المختلط المركَّب منهما شيئًا ثالثًا، ليس هو أحدهما فقط، ولا هو مجموعُ كلٍّ منهما علىٰ حاله.

فقولهم: «إنه مع الاتحاد إنسان تام وإله تام»، كلامٌ[1] معلوم الفساد بصريح العقل.

وكلما ضربوا له مثلًا، كان المثلُ حجة علىٰ فساد قولهم، بل مع الاتحاد ليس بإنسان تام ولا إله تام، لكنه شيء ثالث مركب من إنسان[2] استحال وتغيَّر، وإله استحال وتغيَّر.

وإذا كان كل من هذين باطلًا؛ بل إنسانية المسيح باقية تامة، كما كانت لم تَستحِلْ ولم تتغير، ورب العالمين باق بصفات كماله، لم يَستحِلْ ولم يتصف بشيء من خصائص المخلوقات، ولا استحال عما كان عليه قبل ذلك= كان قولهم ظاهرَ الفساد.

فهذا مَثَلهم الثاني[3] الذي ضربوه لله، حيث شبهوا الله[4] مع الإنسان بالنفس مع الجسد، وشبَّهوه بالنار مع الحديد، وهذا المثل أشدُّ فسادًا وأظهر[5].

وأما المثل الثالث ـ وهو تمثيل ذلك بالشمس مع الماء والطين ـ: فهو أشدُّ فسادًا؛ فإنهم قالوا كما تقدم: «ومثل الشمس المخالِطة للماء والطين وكل

---

(١) المطبوعتان زيادة: «فاسد»، وليس في الأصول.
(٢) (ط. النيل) زيادة: «ثالث».
(٣) (ط. النيل) زيادة: «ليس»، ولا وجه لها.
(٤) المطبوعتان: «شبهوا المسيح أو الله»، وكذا كان في (د) ثم ضرب علىٰ «المسيح أو».
(٥) «وأظهر» ليس في (ل).

رطوبة وحَمْأَة، فهي[1] لا تتغيّر ولا تستحيل عن نورها وبقائها وضوئها، مع مخالطتها كل سواد ووسَخ ونتَن ونجَس».

فيقال: أما جُرم الشمس الذي في السماء فلم يخالِط شيئًا من الماء والطين، ولا اتَّحد به ولا حلَّ فيه بوجهٍ من الوجوه، بل بينهما من البعد ما لا يَقْدُر قَدْره إلا الله، والله ـ تعالىٰ ـ أجلُّ وأعظم وأبعد من مخالطة الإنسان من الشمس للماء والطين.

فإذا كانت الشمس نفسُها لم تتَّحد، ولم تختلط ولا حلَّت[2] في الماء والطين، بل ولا بغيرها من المخلوقات، فرب العالمين أولىٰ أن يُنزَّه عن الاتحاد والاختلاط والحلول بشيء من المخلوقات.

ولكن شعاع الشمس حلَّ بالماء والطين والهواء وغير ذلك مما يقوم به الشعاع، كما يحلُّ شعاع النار في الأرض والحيطان، وإن كان نفس جُرْم النار القائم بنفسه الذي في ذُبالة[3] المصباح هو جوهر قائم بنفسه، لم تحلّ ذاتُه في شيء من تلك المواضع.

ولفظ الضياء والنور ونحو ذلك، يراد به الشيء القائم[4] بنفسه المستنير[5]، كالشمس والقمر وكالنار، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥]، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبأ:١٣].

---

(١) (ل): «فمتىٰ»، تصحيف.
(٢) (د): «ولم تختلط بما حل».
(٣) الفتيلة التي يُصْبَح بها المصباح. «لسان العرب»: (١١/ ٢٥٦).
(٤) «القائم» سقط من المطبوع.
(٥) (ل): «المستدير» والموضع بعده، ولم تحرر هنا في (د)، وعلىٰ ما أثبته في الموضع الآتي.

وسمَّىٰ سبحانه الشمس سراجا وضياء؛ لأن فيها مع الإنارة والإشراق تسخينًا وإحراقًا، فهي بالنار أشبه بخلاف القمر، فإنه ليس فيه مع الإنارة تسخينا، فلهذا قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥].

والمقصود هنا: أن لفظ الضياء والنور ونحو ذلك يراد به الشيء المستنير المضيء القائم بنفسه، كالشمس والقمر والنار، ويراد به الشعاع الذي يحصل بسبب ذلك من[١] الهواء والأرض، وهذا الثاني عرض قائم بغيره ليس هو الأول، ولا صفة قائمة بالأول، ولكنه حادث بسببه.

فالشعاع الذي هو الضوء والنور الحاصل علىٰ الماء والطين والهواء وغير ذلك، هو عرَضٌ قائم بغيره، وليس هو متَّحدًا به البتَّة.

فهذا المثل لو ضربتْه النسطورية الذين يقولون: إن الناسوت واللاهوت جوهران بطبيعتين، حلَّ أحدهما بالآخر= لكان تمثيلا باطلا، فإن الشمس لم تحل بغيرها، ولا صارت مشيئتها ومشيئة غيرها واحدة كما تقوله النُّسطورية، بل شعاعها حلَّ بغيره، والشعاع حادث وكائن عنها.

فإذا قيل: إن ما يكون عن الرب من نوره وروح قدسه وهداه[٢] ومعرفته، يحلُّ بقلوب أنبيائه والمؤمنين من عباده، ومثل ذلك بحلول الشعاع بالأرض= كان أقرب إلىٰ العقول[٣]، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ [النور:٣٥].

---

(١) كذا في النسخ الخطية، وفي المطبوعتين: «في».

(٢) المطبوعتان زيادة: «وكلامه» وليس في النسخ الخطية.

(٣) (ل): «المعقول».

قال أبي بن كعب: «مثل نوره في قلوب المؤمنين بهذا».

وما جاء في بعض الكتب المتقدمة أن الله يَحُلُّ في قلوب الصديقين، فهذا معناه، وهو حلول معرفته والإيمان به ومثاله العلمي كما بُسط في غير هذا الموضع(١).

وكذلك إذا قيل: نوره أو هداه أو كلامه، وسمىٰ ذلك روحا، يحل في قلوب المؤمنين، فهو بهذا الاعتبار، والله قد سمىٰ ذلك روحا فقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ:٥٢].

وقال تعالىٰ: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر:١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢].

وما جاء في الكتب المتقدمة من أن روح الله أو روح القدس يحلُّ في الأنبياء والمؤمنين، فهو حقٌّ بهذا الاعتبار.

وإذا قيل: كلام الله يحلُّ في قلوب القارئين، فهو حق بهذا الاعتبار.

وأما نفس ما يقوم بالرب، فلا يُتصوَّر أن يقوم هو نفسه بغير الرب، بل ما يقوم بالمخلوق من الصفات والأعراض، يَمتنِع أن يقوم هو نفسه بغيره.

فيَمتنِع في صفات الشمس القائمة بها من شكلها واستدارتها، وما قام بها

---

(١) ينظر: (٢/ ٣٠٨ ـ ٣١٩، ٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٨، ٣٦٠، ٣/ ٢٣٢). ومن قوله: «وما جاء في بعض ... الخ» سقط من المطبوع، وقد أورد المصنف العبارة بمعناها في أربعة مواضع من هذا الكتاب في مناسبات عدة. وقد أشرنا في الفصل السابق إلىٰ البحث في نسبة الأثر إلىٰ أبي بن كعب.

من نورٍ أو غيره أن يقوم بغيرها، وكذلك ما قام بجُرم النار من حرارة وضوء، فلا يقوم بغيرها، بل إذا جاورت النارُ هواءً أو غيرَ هواء[1]= حصل في ذلك المحلّ سخونةٌ أخرىٰ غير السخونة القائمة بنفس النار، تُسخِّن الهواء الذي يجاورها، كما تُسخِّن القِدْرَ الذي يوقَد تحتها النار فَيَسْخُن، ثم يُسَخِّن الماء الذي فيها مع أن سخونة النار باقيةٌ فيها، وسخونةَ القِدر باقية فيها، وسخونةُ الماء سخونةٌ[2] أخرىٰ حصلتْ في الماء ليست واحدة من تَيْنِك، وإن كانت حادثةً عنها، وجنس السخونة يَجمع ذلك كلَّه.

ولهذا ذكر الإمام أحمد عن السلف أنهم كرهوا أن يُتكلَّم[3] في حلول كلام الله في العباد بنفي أو إثبات؛ فإن لفظ «الحلول» لفظ مجمل يُراد به معنىٰ باطل، ويراد به معنىٰ حق[4].

وقد جاء في كلام الأنبياء لفظ «الحلول» بالمعنىٰ الصحيح، فتأوَّله مَن في قلبه زيغ، كالنصارىٰ وأشباههم علىٰ المعنىٰ الباطل، وقابلهم آخرون أنكروا هذا الاسم بجميع معانيه، وكلا الأمرين باطل.

وقد قدَّمنا أن الناس يقولون: أنت في قلبي، أو ساكن في قلبي، وأنت حالٌّ في قلبي، ونحو ذلك، وهم لا يريدون أن ذاته حلَّت فيه، ولكن يريدون أن تصوُّره وتَمثُّله وحُبَّه وذِكْرَه حلَّ في قلبه، كما تقدَّم نظائر ذلك.

والمقصود هنا، أن النُّسطورية لو شبَّهوا ما يدَّعونه من اتحاد وحلول بالشعاع مع الطين، كان تمثيلهم باطلًا، فكيف بالمَلَكِيَّة الذين هم أعظم باطلا وضلالًا؟

---

(١) (ل): «هذا أو غير هذا».

(٢) (ل): «بسخونة»، و(ط. النيل): «به سخونة».

(٣) المطبوع زيادة: «أحد».

(٤) ينظر: «الرد علىٰ الجهمية والزنادقة»: (ص/ ٩٢)، و«الصواعق المرسلة»: (٣/ ٩٢٤ ـ ٩٢٨).

فقولهم: «مِثْلُ[1] الشمس المخالطة للطِّين والماء وكل رطوبة وحمأة»، تمثيل باطل من وجوه:

منها: أن الشمس نفسها لم تتَّحد ولم تحلَّ بغيرها، بل ذلك شعاعها.

ومنها: أن الشعاع نفسه لم يتّحد بالماء والطين، ولكن حلَّ به وقام به.

ومنها: أن ذلك عام في المخلوقات من وجهٍ، وبعباده[2] المؤمنين من وجهٍ، لا يختصّ المسيح به[3]، فالمخلوقات كلُّها مشتركة في أن الله خلقها بمشيئته وقدرته، وأنه لا قِوام لها إلا به، فلا حول ولا قوة إلا به، وهي كلُّها مفتقِرة إليه محتاجة إليه مع غناه عنها، ولهذا كانت من آيات ربوبيته وشواهد إلهيته.

ومن سمَّاها مظاهر ومجالي، بمعنىٰ أن ذاته نفسها تظهر فيها= فهو مُفتَرٍ علىٰ الله. ومن أراد بذلك أنه ظَهَر[4] بها مشيئتُه وقدرتُه وعلمُه وحكمتُه، فأراد بالمظاهر والمجالي ما يُراد بالدلائل والشواهد= فقد أصاب.

وكذلك إذا قال: هي آثاره ومقتضىٰ أسمائه وصفاته.

وأما المؤمنون، فإن الإيمان بالله ومعرفته ومحبته ونوره وهداه يحلُّ في قلوبهم، وهو المثل الأعلىٰ والمثال العلمي، فلا اختصاص للمسيح بهذا، وكذلك كلامه في قلوب عباده المؤمنين، لا اختصاص للمسيح بذلك.

ومنها: أن الشعاع لم يخالِط الماء والطين، ولا يخالِطُ شيئا من الأعيان ولا ينفُذ فيه ولا يتَّحد به، بل يكون علىٰ سطحه الظاهر فقط، لكن الشعاع

---

(١) المطبوعتان: «ومثل»، خلاف النسخ.

(٢) (ل): «ويعتاده»، تصحيف.

(٣) (ل): «للمسيح بشيء».

(٤) المطبوعتان: «أظهر»، خلاف النسخ.

يُسَخِّن ما يحلُّ فيه، فإذا سَخُن ذلك، سَخُن جوفه بالمجاورة، كما يَسْخُن الماء بسخونة القِدْر من غير أن تكون النار خالطت القِدْر ولا الماء.

فأين هذا من قولهم: «إن رب العالمين اتحد بابن امرأة، فصار إلهًا تامًّا وإنسانا تامًّا»؟

وهل يقول عاقل: إن الماء والطين صار شعاعًا تامًّا، وطينًا تامًّا؟ بل الطين طينٌ، لكن أثَّر الشعاع فيه بتجفيفه، لم يتَّحد به الشعاع، ولا نفَذ فيه، ولا حلَّ في باطنه.

فهذا المثل أبعدُ عن مذهبهم من تمثيلهم بالنار مع الحديد، ومن تمثيلهم بالنفس مع الجسد، فإن هناك اتصالًا بباطن الحديد والبدن، وهنا لم يتصل الشعاع إلا بظاهر الطين وغيره.

وأيضا فالنفس جوهر قائم بنفسه، والشعاع عرض، وكذلك النار جوهر، فالشمس هنا لم تتحد ولم تحل بالطين، بل شعاعها، بل[1] ولا يوصف الطين باتحاده بالشعاع، ولا باختلاط الشعاع بباطنه، ولا بحلول الشمس نفسها فيه.

وحينئذ فقول القائل: «إن الشمس لم تتغيَّر، ولم تستحلْ عن نورها ونقائها وضوئها مع مخالطتها كل وسَخ ونَتَن ونَجَس»؛ إنْ أُريد به نفس الشمس أو صفاتها القائمة بها، فتلك لم تتَّحد بغيرها ولا حلّت فيه ولا قامت بغيرها.

فإذا كانت الشمس كذلك ــ ولله المثل الأعلىٰ ــ فهو أولىٰ أن لا يتَّحد بغيره ولا يحلَّ فيه ولا يقوم به.

---

(١) «بل» ساقط من (د، ط. النيل).

وإن أريد شعاعُها[1]، فشعاعُها ليس هو الشمس، فلا ينفعُهم التمثيل به، فإنهم يقولون: إن الله نفسه اتَّحد بالمسيح، والمسيح ـ عندهم ـ هو ربُّ العالمين مع أنه إنسان تام، فهو ـ عندهم ـ إله تام، إنسان تام. والطين ليس بشعاع تام، ولا[2] طين تام. والشعاع نفسه لا يخالِط شيئًا، ولكن يقوم به، وقيامُ العَرَض بالمحل غيرُ مخالطته له؛ فإن المخالطة تكون باختلاط كل من الأمرين بالآخر، كاختلاط الماء بالطين ونحو ذلك.

وأما ما يقوم بالسطح الظاهر فلا يقال[3]: إنه مخالِط بجميع الأجزاء، فلا يقال للشعاع الذي علىٰ الجبال والبحر: إنه مخالط لجميع الجبال والبحر، ولا لشعاع النار: إنه مخالِطٌ للحيطان وداخل للأرض.

وقد تقدم أنهم قسموا هذا الباب ثلاثة أقسام[4]:

أحدها: اختلاط أحد الشيئين[5] بالآخر، كالماء والخمر.

والثاني: اتصالٌ من غير اختلاط، كالماء والزيت، وكالإناء[6] الذي بعضه فضة وبعضه ذهب، وقالوا: إن هذا لا ينبغي أن يُسمَّىٰ اختلاطًا مع افتراق الطبيعتين والقوامين، بل ما ينبغي[7] أن يكون بين الماء والقلة التي هي فيه[8]

---

(١) (ل): «بشعاعها».

(٢) «ولا» سقط من (د).

(٣) المطبوع: «فيقال» تصحيف يحيل المعنىٰ.

(٤) ذكر هنا خلطة الطبيعتين الثقيلتين، باختلاط واحتيال، كالماء والخمر، وبافتراقٍ وانفصالٍ كصنمِ نحاسٍ رأسه من ذهب، ولم يذكر القسم الثالث، وهو خلطة الحلول بلا احتيال ولا افتراق، كخلطة النفس والجسد، وقد مرَّ بيانها قريبًا.

(٥) (ل): «السببين».

(٦) المطبوع: «والإناء»، خلافًا لعامة الأصول.

(٧) كذا في الأصول الخطية، وفي المطبوعتين: «مثل ما لا ينبغي»، وهو أظهر.

(٨) كذا في النسخ الخطية، وفي المطبوعتين: «هو فيها»، وهو أقوم.

خُلطة؛ لأن طبيعة الفخار ليس بينها وبين الماء خُلطة.

وهذا فرقٌ[1] موجود في الشعاع والطين، بل بينهما من الفرق أشد مما بين الماء والقلة، فإن الماء جُرم قائم بنفسه، وهذا عَرَض قائم بغيره، والجسم بالجسم أشبه من الجسم بالعرض.

والإله عندهم مخالط[2] لجميع ناسوت المسيح، لم يخلُ جزءٌ منه مِن اتحاد الإله به، فأين هذا من هذا؟

وإذا قيل: إن الشعاع لم يستحِلْ عن نوره ونقائه وضوئه مع مخالطته كلَّ سواد ووسَخ ونتَن ونجَس= لم يكن مَثَلًا يطابقه، مع أنه لم يخالط الشعاعُ غيرَه.

ثم يقال: إن أراد بما لم يتغيّر نفس الشعاع القائم بالمحل، فهذا ممنوع، فإن الشعاعَ يتغيّر بتغيُّر محلّه، فيُرىٰ في الأحمر أحمر، وفي الأسود أسود، وفي الأزرق أزرق، حتىٰ إن الزجاج المختلف الألوان إذا صار مَطْرَحًا للشعاع، ظهر الشعاع متلوِّنا بتلوُّن الزجاج، فيُرىٰ أحمر وأزرق وأصفر.

وقد ضرب أهل الإلحاد ـ القائلون بوحدة الوجود، وأن وجود الخالق هو وجود المخلوق ـ لله أمثالًا باطلة شرًّا من أمثال النصارىٰ، ولهم مَثَل السوء، ولله المثل الأعلىٰ. وكان مما ضربوه لله من الأمثال أن شبهوه بالشعاع في الزجاج.

فالأعيان الثابتة في العدم ـ عندهم ـ هي الممكنات، ووجود الحق فاضَ[3] عليها، فشبَّهوا وجوده بالشعاع، وأعيانها[4] بالزُّجاج، **وهذا باطل من وجوه:**

---

(١) المطبوعتان: «الفرق» خلافًا للنسخ.

(٢) (ل): «يخالط».

(٣) المطبوع: «قاضٍ»، تصحيف.

(٤) كذا عامة النسخ والأصول، وفي المطبوعتين: «وأعيانهم».

- **منها**: أن القول بأن أعيان الممكنات ثابتة في العدم قولٌ باطل.
- **ومنها**: أن قولهم: إن وجود الخالق هو عين وجود المخلوق[1] أيضًا باطل.
- **ومنها**: أن حلول الشعاع بالزُّجاج يقتضي حلول أحدهما بالآخر، وهم يُنكرون الحلول، ويقولون: الوجود واحد!
- **ومنها**: أن الشعاع الذي علىٰ نفس الزجاج، ليس وجوده وجود الزجاج، وعندهم وجود الرب وجود الممكنات!
- **ومنها**: أن الشعاع الحال بهذا الزجاج، ليس هو بعينه[2] الشعاع الحالّ بالزجاج الآخر ـ وإن كان نظيره ـ وهؤلاء عندهم أن الوجود واحد بِالعين لا يتعدد.
- **ومنها**: أن الشعاع عرَض مفتقِر إلىٰ الزجاج، فهو مفتقِرٌ إليه افتقار العَرَض إلىٰ محلِّه، فيلزم إذا مثَّلوا الربَّ به[3] أن يكون الربُّ مفتقِرا إلىٰ كلِّ ما سواه مع غنىٰ كلِّ ما سواه عنه، وهذا قلب كل حقيقة، وأعظم كفر بالخالق ـ تعالىٰ ـ فإنه ـ سبحانه ـ الغنيُّ عن كل ما سواه، وكلُّ ما سواه مفتقِر إليه.

وكلُّ من قال بحلول الله في شيء من المخلوقات من النصارىٰ وغيرهم، يلزمهم أن يكون مفتقِرًا إلىٰ ما حلَّ فيه، فإنه لا حقيقة للحلول إلا هذا.

ولهذا كان ما حلَّ بقلوب المؤمنين من الإيمان والهدىٰ والنور والمعرفة مفتقِرًا إلىٰ قلوب المؤمنين، لا[4] يقوم إلا بها.

وجميع الصور الذِّهنية القائمة بالأذهان مفتقِرة إلىٰ[5] الأذهان، لا تقوم

---

(١) المطبوعتان زيادة: «هو» وليس في نسخ الخطية.

(٢) المطبوعتان زيادة: «ذلك» خلاف النسخ.

(٣) المطبوعتان: «به الرب».

(٤) المطبوع: «ولا» خلاف عامة الأصول.

(٥) «إلىٰ» سقط من (ل).

إلا بها، والشعاع مفتقِر إلىٰ محلّه، لا يقوم إلا به، وهكذا سائر النظائر.

وهؤلاء الذين شابهوا النصارىٰ وزادوا عليهم من الكفر بقولهم: إن وجودَ الخالق وجودُ كل مخلوق، وإنه قائم بأعيان الممكنات يقولون: إنه مفتقِرٌ إلىٰ الأعيان في وجوده، وهي مفتقِرة إليه في ثبوتها[1]، فيجعلون الخالق محتاجًا إلىٰ كل مخلوق، والمخلوقَ محتاجًا إلىٰ الخالق، ويُصرِّحون بذلك، كما يُصرِّح بعض النصارىٰ، بأن اللاهوت محتاج إلىٰ الناسوت، والناسوت محتاج إلىٰ اللاهوت.

ومعلوم أن الله غني عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه من كل وجهٍ، فهو الصمد المستغني عن كل شيء، وكل شيء مفتقر إليه.

فمن قال: إنه مفتقر إلىٰ مخلوقٍ بوجه ما، فهو كاذب مُفْتَرٍ كافر، فكيف بمن قال: إنه مفتقر إلىٰ كل شيء؟

والمثل الذي ضربوه له، يقتضي[2] أن يكون مفتقِرًا إلىٰ غيره، وغيرُه مستغن عنه، كالـمَثل الذي ضربه النصارىٰ له[3]، لـمَّا مثَّلوه بشعاع الشمس مع محلّه، فإن محل الشعاع مستغنٍ عن الشعاع، والشعاع مفتقِر إلىٰ محله.

فمقتضىٰ هذا التمثيل، أن الإلهَ محتاجٌ إلىٰ الإنسان، والإنسان مستغنٍ عن الله، تعالىٰ الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

---

(١) المطبوعتان: «ثباتها»، خلافًا للنسخ.

(٢) (ل): «ينبغي».

(٣) (ل): «له النصارىٰ».

فصـل[1]

وهـذا الـذي قـد ذكـره هـذا البـترك «سـعيد بـن البطريـق» المعظَّـم عنـد النصارىٰ، المحب لهم، المتعصّـب لهـم في أخبـارهـم التـي بـيَّن بها أحـوالهـم في دينهم، معظِّمًا لدينهم، مع ما في بعض الأخبار من زيادةٍ فيها تحسينٌ لما فعلوه، وكثيرٌ من الناس ينكِر ذلـك ويكذِّبـه، مثـل مـا ذكـره مـن ظهـور الصـليب، ومـن مناظرة «أريوس» وغير ذلك، فإن كثيرًا من الناس يخالفه فيما ذكر.

[ويَذْكر][2] أن أمر ظهـور الصـليب كـان بتـدليس وتلبيس وحيلـة ومكـر. ويَذْكر أن «أريوس» لم يقل قط: إن المسيح [خالق][3].

ولكن المقصود أنه إذا صُدِّق هذا فيما ذكره، فإنه بيَّن أن عامة الدين الذي عليه النصارىٰ، ليس مأخوذًا عن المسيح، بل هو مما ابتدعه طائفة منهم، وخالفهم في ذلك آخرون، وأنه كان بينهم من العداوة والاختلاف في إيمانهم وشرائعهم ما يُصدِّق قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤].

والنصارىٰ يُقرُّون بما ذكره هذا البترك، أن أول ملك أظهـر ديـن النصـارىٰ هو «قسطنطين»، وذلك بعد المسيح بأكثر من ثلاثمائة سنة، وهو نصف الفـترة

---

(١) سقط هذا الفصل بتمامه من (ل)، وهو في (د) بخط مغاير لما قبله، وبهذا الخط نفسِه كُتبتْ بعضُ أجزاء الكتاب، وما بين المعكوفين استدراك من ط. النيل؛ عند اقتضاء المقام له.

(٢) «ويذكر» ليس في (د).

(٣) «خالق» سقطت من (د).

التي بين المسيح ومحمد ﷺ؛ فإنها[1] كانت ستمائة سنة أو ستمائة وعشرين.

وإذا كان النصارىٰ مقرِّين بأن ما هم عليه من الإيمان صَنَعه طائفة منهم مع مخالفة آخرين لهم فيه ليس منقولا عن المسيح، وكذلك ما هم عليه من تحليل ما حرَّمه الله ورسوله، وكذلك قتال من خالف دينه وقَتْل من حرَّم الخنزير، مع أن شريعة الإنجيل تخالف هذا، وكذلك الختان، وكذلك تعظيم الصليب.

وقد ذكروا مستندهم في ذلك أن «**قسطنطين**» رأىٰ صورة صليب كواكب.

ومعلوم أن هذا لا يصلح أن تُبنىٰ[2] عليه شريعة، فإن مثل هذا يحصل للمشركين عبّاد الأصنام والكواكب ما هو أعظم منه، وبمثل هذا بُدِّل دين الرسل وأَشرك الناس بربهم، وعبدوا الأوثان، فإن الشيطان يخيِّل هذا وأعظم منه.

وكذلك الإزار الذي رآه من رآه، والصوت الذي سمِعه، هل يجوز لعاقل أن يغيِّر شرع الله الذي بُعثتْ به رسله، بمثل هذا الصوت والخيال الذي يحصل للمشركين عبَّاد الكواكب والأصنام ما هو أعظم منه؟

مع أن هذا الذي ذكروه عن «**بِطْرُس**» رئيس الحواريين، ليس فيه تحليل كل ما حَرَّمه [الله][3]، بل قال: «**ما طهَّره الله فلا تُنجِّسه**»[4] وما نجَّسه الله في

(١) أي بعثته ﷺ؛ فقد كانت عام (٦١٠) أو (٦١١) من ميلاد المسيح، وذلك بعد أربعين سنة من ولادته ﷺ في عام (٥٧٠) أو (٥٧١) من ميلاد المسيح، والأخير أقرب القولين، كما حققه محمود باشا الفلكي. ينظر: «نور اليقين» ط. دار الفيحاء (ص٩)، و«المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» ط. دار الساقي (١/ ٥٣).

(٢) المطبوعتان: «ينبنىٰ».

(٣) زيادة يقتضيها المقام. وفي المطبوع: «حُرِّم» خلاف النسخ.

(٤) «سفر أعمال الرسل»: (١٠: ١٥) وفيه: «فلا تنجِّسه أنت».

التوراة، فقد نجَّسه ولم يطهِّره، إلا أن يَنسخه المسيح. والحواريُّ لم يُبِحْ لهم الخنزير وسائر المحرمات ـ إن كان قوله معصومًا، كما يظنون ـ.

والمسيح لم يُحلَّ كلَّ ما حرَّمه الله في التوراة، وإنما أَحلّ بعض ما حُرِّم عليهم، ولهذا كان هذا من الأوصاف المؤثِّرة في قتال النصارىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩]

وقد ذَكر من لعنة[1] بعض طوائف النصارىٰ لبعض في مجامعهم السبعة وغير مجامعهم ما يطول وصفه، ويُصدِّق قوله تعالىٰ: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [المائدة:١٤].

وحينئذ فقول هؤلاء: «مَن خالفَنا لعنَّاه»، كلام لا فائدة فيه، فإن كل طائفة منهم لاعِنة ملعونة.

فليس في لعنتهم لمن خالفهم إحقاق حق ولا إبطال باطل، وإنما يَحِقُّ الحقُّ بالبراهين والآيات التي جاءت بها الرسل، كما قال تعالىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:٢١٣].

---

(١) المطبوع: «لعن»، خلاف النسخ. وضمير «ذكر» لابن البطريق.

وقد تقدم ما ذكره «سعيد بن البطريق» من أخبارهم، أنه كان يأتي البترك العظيم منهم إلىٰ كنيسة مبنيَّة لصنمٍ من الأصنام يعبده المشركون، فيحتال حتىٰ يجعلهم يعبدون مكان الصنم مخلوقًا أعظم منه، كملَك من الملائكة أو نبي من الأنبياء، كما [كان](١) بالإسكندرية للمشركين كنيسة فيها صنم اسمه «ميكائيل» فجعلها النصارىٰ كنيسة باسم «ميكائيل الملَك» وصاروا يعبدون الملَك بعد أن كانوا يعبدون الصنم ويذبحون له.

وهذا نقل لهم من الإشراك(٢) بمخلوق إلىٰ الشرك بمخلوق أعلىٰ منه، أولئك كانوا يبنون الهياكل ويجعلون فيها الأصنام بأسماء الكواكب، كالشمس والزهرة وغير ذلك.

فنقلهم المبتدعون من النصارىٰ إلىٰ عبادة بعض الملائكة، أو بعض الأنبياء ولهذا قال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩ - ٨٠].

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٦ - ٥٧].

---

(١) (د): «كانوا».

(٢) المطبوع: «الشرك».

فصـل

وقد حصل بما ذكرناه الجواب عن قولهم: «وعلىٰ هـذا المثال نقول: في السيد المسيح طبيعتان: طبيعة لاهوتية التي هي طبيعة كلمة الله وروحه، وطبيعة ناسوتية التي أُخذت من مريم العذراء واتحدت به».

وعُرف أن هذا قول من أقوال النصارىٰ، وأن لهم أقوالًا أُخَرَ تناقض هذا.

وكل فريق منهم يكفِّر الآخر؛ إذ كانوا ليسوا علىٰ مقالةٍ تلقَّوها عن المسيح والحواريين، بل هي مقالات ابتدعها مَن ابتدعها منهم، فضلّوا بها وأضلّوا، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٧].

فذكر سبحانه أنهم ضلوا[١] من قبل مبعث محمد ﷺ. والنصارىٰ أمة[٢] يلزمهم الضلال الذي أصله[٣] الجهل.

ولا يوجد قط من هو نصراني باطنًا وظاهرًا، إلا وهو ضال جاهل بمعبوده وبأصل دينه، لا يَعرف من يَعبد ولا بماذا يَعبد، مع اجتهاد من يجتهد منهم في العبادة والزهد، ومكارم الأخلاق.

ثم يقال علىٰ هؤلاء: قولهم: «طبيعتان»، ويقولون أيضًا: «له مشيئتان»، ويقولون أيضًا: «إنه شخص واحدٌ[٤] لم يَزِد عدده»، فإنهم يقولون: «إنهما

---

(١) المطبوع: «أضلوا»، خلاف النسخ.

(٢) (ط. النيل): «وأيضا فإنه»، خلافًا للأصول.

(٣) (ل): «أضله».

(٤) «واحد» سقط من المطبوع.

اتحدا» كما ذكروه في كتابهم هذا[١]، لا يقولون بشخصين؛ لئلا يلزمهم[٢] القول بأربعة أقانيم.

ومنهم من يقول: «هما جوهران»، ومنهم من يقول: «هو[٣] جوهر واحد».

فإن قالوا: «جوهر[٤] واحد»، صار قولهم من جنس قول اليعقوبية، لاسيما وهم يقولون: إن مريم ولدت اللاهوت والناسوت، وإن المسيح اسم يجمع اللاهوت والناسوت، وهو إله تام، وإنسان تام.

فإذا كان جوهرًا واحدًا، لزم من[٥] ذلك أن يكون اللاهوت قد استحال وتغيّر، وكذلك الناسوت، فإن الاثنين إذا صارا شيئًا واحدًا، فذلك الشيء الثالث ليس هو إنسانًا محضًا، ولا إلهًا محضًا، بل اجتمعت فيه الإنسانية والإلهية، مع أنه قد كان الإنسان والإله اثنين متباينين، وهما في اصطلاحهم[٦] جوهران، فإذا صار الجوهران جوهرًا واحدًا لا جوهرين، فقد لزم ضرورة أن يكون هذا الثالث ليس هو إلهًا محضًا، ولا إنسانًا محضًا، ولا هو جوهران[٧] إنسانًا وإلهًا، فإن هذين جوهران لا جوهر واحد، بل هو شيء ثالث اختلط وامتزج[٨] واستحال من هذا وهذا، فتبدَّلت حقيقة اللاهوت وحقيقة الناسوت،

---

(١) أي كتاب «بولس» الراهب الأنطاكي، الذي كتبه إلىٰ بعض أصدقائه، وهو عمدة النصارىٰ في زمان المصنف، كما أشار إليه في المقدمة، ولأجله جاء هذا «الجواب».

(٢) (ل): «لا نقول شخصين؛ لئلا يلزمنا».

(٣) «هو» سقط من المطبوع.

(٤) المطبوعتان: «هو جوهر» خلاف الأصول.

(٥) «من» سقط من (د، ط. النيل).

(٦) (ل): «اصطلاحكم».

(٧) (د): «هو جوهرين»! و«هو» سقط من المطبوع.

(٨) (ل) زيادة: «لا جوهر واحد».

حتىٰ صار هذا الجوهر الثالث الذي ليس لاهوتًا محضًا، ولا ناسوتًا محضًا كسائر ما يعرف من الاتحاد.

فإن كل اثنين اتَّحدا فصارا جوهرًا واحدًا، فلا بُدَّ في ذلك من الاستحالة، كما في اتحاد الماء واللبن والخمر وسائر ما يَختلط بالماء، بخلاف الماء والزيت، فإنهما جوهران كما كانا، لكن الزيت لاصَقَ الماءَ[1] وطَفَا عليه لم يتَّحد به، ومثل اختلاط النار والحديد، فإن الحديد استحال عما كان، ولهذا إذا بَرُد[2] عاد إلىٰ ما كان، وهكذا اتحاد الهواء مع الماء أوالتراب[3]، حتىٰ يصير بخارًا أو غبارا وأمثال ذلك.

وفي الجملة، فجميع ما يَعرفه الناس من الاتحاد إذا صار [الاثنان][4] واحدًا وارتفعت الثَّنوية[5]= فلا بدَّ من استحالة الاثنين.

وإذا قيل: فيه طبيعةُ الاثنين ومشيئةُ الاثنين، كما في الماء واللبن قوة الماء وقوة اللبن.

قيل: لا بد ــ مع ذلك ــ أن تتغيّر كلُّ قوة عما كانت عليه فتَنكسر[6] الأخرىٰ، كما يُعرَف في سائر صور الاتحاد؛ إذا اتحد[7] هذا مع هذا كَسَر كلٌّ[8] منهما قوة الآخر عما كانت عليه.

---

(١) المطبوع: «لاصقٌ بالماء»، خلاف النسخ، ولا يلائمه السياق.
(٢) بَرُد برودة، كسهُل سهولة؛ إذا سكنتْ حرارتُه. «المصباح المنير»: (١/ ٤٢).
(٣) (د، المطبوعتان): «والتراب».
(٤) في النسخ الخطية: «صار الاثنين»!
(٥) (ل): «البينونة»، و«الثنويّ» نسبة إلىٰ الاثنين.
(٦) (ل): «أن يتغير ... فيكسر».
(٧) (ل): «إذا لم يجد».
(٨) (ل) زيادة: «واحد».

كما إذا اتحد الماء البارد بالماء الحار، انكسرت قوة الحر وقوة البرد عما كانت، فيبقىٰ[1] مرتبة متوسطة بين البرد المحض والحر المحض. وكذلك الماء واللبن وسائر صور الاتحاد.

وعلىٰ هذا، فيجب إذا اتحد أن تتغيّر قوة اللاهوت وطبيعته ومشيئته عما كانت، وتَنكسر قوة الناسوت وطبيعته ومشيئته عما كانت عليه، ويبقىٰ هذا المتَّحد ممتزِجًا من لاهوت وناسوت، وذلك يستلزم نقص اللاهوت عما كان، وبطلان كماله، كما أنه يوجب من كمال الناسوت بما[2] لم يكن.

فكلّ ما يصفون به الناسوت من اتحاد اللاهوت به، فهو مستلزِمٌ من نقص اللاهوت وسَلْب كماله الذي يختصّ به وبطلان صفاته التامة، بحسب ما حصل له من ذلك الناسوت بحكم الاتحاد، وإلا فإن كان اللاهوت كما كان، فلا اتحاد بوجهٍ من الوجوه، بل الناسوت كما كان.

ثم هما اثنان لم يتحد أحدهما بصاحبه، ولا صارا شيئًا واحدًا.

وأيضًا فمع كون الجوهر واحدًا، يجب أن تكون مشيئة واحدة وطبيعة واحدة[3]؛ فإنه لو كان مشيئتان[4]، لكان محلُّ إحدىٰ المشيئتين إن كان هو[5] محلَّ الأخرىٰ مع تضادّ موجِب المشيئتين= لزم اجتماع الضدين في محل واحد.

فإن الإرادة الناسوتية تطلب الأكل والشرب، وأن تَعبد وتصوم وتصلي.

واللاهوتية، توجب امتناعَه من إرادة هذه الأشياء.

(١) المطبوعتان زيادة: «المتحد»، ولم يحرر في (د).
(٢) المطبوعتان: «ما»، خلاف النسخ.
(٣) (ل، المطبوعتان): «تكون مشيئته واحدةٌ وطبيعته واحدةٌ».
(٤) كذا في عامة الأصول، علىٰ أن «كان» تامة، وفي المطبوع: «مشيئتين»؛ توهُّمًا أنها الناقصة.
(٥) أي الجوهر. «محل الأخرىٰ»: أي محل المشيئة الأخرىٰ.

وإرادته أن يَخلُق ويَرزق ويدبِّر العالم. والناسوتية تمتنع من هذه الإرادة. فإذا قامت الإرادتان والكراهتان[1] بمحل واحد، لزم أن يكون ذلك الجوهر الموصوف بهذا وهذا، مريدًا للشيء ممتنِعًا من إرادته غير مريد له، كارهًا للشيء غير كاره له، وذلك جمع بين النقيضين من وجوه متعددة.

ويمتنع أن يقوم بالموصوف الواحد إرادتان جازمتان بالشيء ونقيضه، أو كراهيتان[2] جازمتان للشيء أو نقيضه، والفعلُ لا يقع إلا بإرادة جازمة مع القدرة، فاللاهوت ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ومتىٰ شاء شيئًا مشيئة جازمة، فإنه علىٰ ما شاء قادر.

والناسوت لا يفعل شيئًا من خصائص البشرية حتىٰ يريد ذلك إرادة جازمة.

والناسوت يَمتنع أن يريد إرادة اللاهوت ويَكره ذلك، فيصير الشيء الواحد مريدًا للشيء إرادة جازمة، قادرًا عليه، ليس مريدًا له إرادة جازمة، بل هو عاجز عنه.

ويلزم أيضًا إذا كانا جوهرًا واحدًا وقد وُلد، وصُفع وضُرب وصُلب ومات وتألم، أن يكون نفس اللاهوت ضُرب وصُلب ومات وتألم، كما تقوله اليعقوبية، وهذا لازم لجميع النصارىٰ وهو موجب عقيدة إيمانهم.

فإن قالوا: بل هما جوهران مع كونهما عندهم شخصًا واحدًا لا تعدُّد فيه، كما يقوله من يقوله من المَلَكِيَّة= كان هذا كلامًا متناقضًا، فإن الشخص الواحد الذي لا تعدد فيه جوهر واحد، ولهذا يُحَدُّ[3] بأنه جسم.

---

(١) (ل): «الإراديات والكراهيات»

(٢) (ل، المطبوع): «كراهتان».

(٣) المطبوعتان: «حُدَّ».

وإن شبهوا ذلك بالنفس مع الجسد لزمهم المحدود.

فإن الإنسان كما يقال فيه: إنه شخص واحد، يقال: إنه جوهر واحد بما بينهما من الاتحاد، ولهذا يُحدّ بأنه جسم حساس تام متحرك بالإرادة ناطق، هذا يتناول جسده وروحه. وللنفس[١] والبدن مشيئة واحدة.

ومتىٰ شاء الإنسان الفعل مشيئةً جازمة مع قدرته عليه= فَعَلَه، ولم يكن معه جوهر آخر له مشيئة غير مشيئته.

فإذا شبَّهوا اتحاد اللاهوت بالناسوت بهذا، لزمهم أن يكونا جوهرًا واحدًا ومشيئة واحدة، وهذا قول اليعقوبية.

ولهذا تتألم[٢] النفس بما يَحدثُ في الجسد من الآلام، ويتألم الجسم الذي هو القلب الصَّنَوْبَرِيُّ، بما يحدث في النفس من الآلام.

فإذا تألَّمت النفس، تألَّم قلب الجسد وغيرُ قلب الجسد، وكذلك إذا تألم الجسد وإذا صُفع الجسد، وصُلب[٣] وبُصق في وجهه، ووُضع الشوك عليه[٤]، وتألم ومات[٥]، كان ذلك كله حالًّا بالنفس، ونالها من[٦] إهانة الصفع وألم النزع ما ينالها، كما يُسلِّمون هم[٧] أنه حل بالمسيح[٨] وبدنه، فإنهم

---

(١) (ل): «والنفس»

(٢) المطبوع: «تألم».

(٣) (د، ط. النيل) زيادة: «وصفع»، تكرار، ومكررة في (ل) بعد «وتألم ومات».

(٤) (ل): «فيه».

(٥) تقدم في (ل) قوله «وتألم ومات» علىٰ قوله: «وبصق في وجهه».

(٦) المطبوع: «منه»!

(٧) كذا في النسخ الخطية، والمطبوعتان: «الله».

(٨) المطبوعتان: «بنفس المسيح»، وكذا كان في (ل) ثم أصلحت إلىٰ ما أثبته.

لا ينازعون[1] أن الألم[2] حلَّ ببدن المسيح ونفسه، وإنما يتنازعون في اللاهوت، مع أن النفس[3] مفارِقة للبدن بالموت، واللاهوت عندهم لم يفارِق الناسوت بالموت، بل صعد إلىٰ السماء، والمسيح الذي هو إله تام وإنسان تام يقعد عن يمين أبيه، وكذلك يجيء يوم القيامة.

وأيضًا، فالبدن إذا كانت فيه النفْس، تتغيّر صفاته وأحكامه، وتختلف أحواله باجتماعها وافتراقها، والنفس إذا كانت في البدن تختلف صفاتها وأحكامها.

فيلزم أن يكون ناسوت المسيح مخالفًا في الصفات والأحكام لسائر النواسيت، وأن يكون اللاهوت لـمَّا اتحد به تغيَّرت صفاته وأحكامه، وهذا هو الاستحالة والتغيُّر والتبدُّل للصفات، مع أن ناسوت المسيح كان من جنس نواسيت البشر، لم يَظهر عليه إلا ما ظهر مثلُه علىٰ غيره، بل ظهر علىٰ غيره من خوارق العادات أكثرَ مما ظهر عليه.

وبالجملة، فأيُّ مثل ضربوه للاتحاد، كان حجةً عليهم وظهر به فساد قولهم.

وإن قالوا: هذا أمرٌ لا يُعقَل، بل هو فوق العقول، كان الجواب من وجهين:

أحدهما: أنه يجب الفرق بين ما يَعلم العقلُ بطلانَه وامتناعَه، وبين ما يَعجز العقل عن تصوُّره ومعرفته.

---

(١) المطبوعتان: «يتنازعون»، خلافًا للنسخ.

(٢) كذا في (ل)، ولم تحرّر في (د)، والمطبوعتان: «الإله»، ولا يستقيم مع قوله بعده: «وإنما يتنازعون في اللاهوت»، فهم متنازعون في حلول الإله بالمسيح، كما تقدم. فتأمله!

(٣) (د): «مع أنها»، ثم ضرب عليها، وأشير إلىٰ لحق لم يتَّضح.

فالأول: من مُحالات العقول، والثاني من محارات العقول، والرسل يخبرون بالثاني.

وأما الأول: فلا يقوله إلا كاذب، ولو جاز أن يقول هذا، لجاز أن يقال: إن الجسم الواحد يكون أبيض أسود في حال[1] واحدة، وإنه بعينه يكون في مكانين، وإن الشيء الواحد يكون موجودًا معدومًا في حال واحدة، وأمثال ذلك مما يعلم العقل امتناعه.

وقول النصارىٰ مما يُعلم بصريح العقل أنه باطل، ليس هو مما يُعجَز عن تصوُّره.

يوضِّح هذا، أنه لو قال قائل في مريم أم المسيح: إنها[2] امرأة الله وزوجته، وإنه نكحها نكاحًا عقليًّا، كما يقولون: إن المسيح وَلَدَه ولادة عقلية= لم يكن هذا القول أفسدَ في العقل من قولهم في المسيح ـ كما بسطناه في موضعٍ آخر[3] ـ وهم يُكفِّرون من يقول ذلك، ويحتجُّون بالعقل علىٰ فساده.

وإذا قال: «هذا فوق العقل» لم يَقبلوه[4]، وكذلك كل طائفة من طوائفهم احتجَّت[5] علىٰ الأخرىٰ بالعقل، وإذا قالوا: «قولنا فوق العقل» لم يقبلوا هذا الجواب.

فإن كان هذا جوابًا صحيحًا، فيجب أن لا يُبحث في شيء من الإلهيات

---

(١) (ل): «حالة».
(٢) «إنها» ليست في (د).
(٣) ينظر: ما تقدم (٣/ ٢٠١)، وما سيأتي: (٣/ ٣٩١ ـ ٣٩٥). (ل): «كما قد بسطناه في موضعه»، والجملة بتمامها ساقطة من (د)، مع إشارة في موضعها إلىٰ لحق دون إلحاق.
(٤) «لم يقبلوه» سقط من (د).
(٥) (ل): «تردُّ».

بالعقل، بل يقول كلُّ مُبْطِلٍ ما شاء من الباطل، ويقول: كلامي فوق العقل، كما يقول أصحاب الحلول والاتحاد والوحدة الذين يقولون: إن وجود الخالق وجود المخلوق، ويقولون: إن هذا فوق العقل، وإنه إنما يُعلَم[(١)] بالذوق لا بالسمع ولا بالعقل.

الثاني[(٢)]: أن يقال: ما يَعجز العقلُ عن تصوُّره إذا أخبرت به الأنبياء عليهم السلام قُبِل منهم؛ لأنهم يعلمون ما يَعجَز غيرهم عن[(٣)] معرفته.

وهذه الأقوال لم يَقل الأنبياء شيئًا منها، بل نفْس فِرَق النصارىٰ قالوها بآرائهم، وزعموا أنهم استنبطوها من بعض ألفاظ الكتب.

فيقال لمن قالها منهم: أنت تتصوَّر ما تقول، أم لا تتصوره وتفهمه وتعقله؟

فإن قال: لا أتصور ما أقول ولا أفقهه[(٤)] ولا أعقله، **قيل له:** فقد قلت علىٰ الله ما لا تعلم، وقَفَوْت ما ليس لك به علم.

ومن أعظم القبائح المحرَّمة في جميع الشرائع، أن يقول الإنسان برأيه علىٰ الله قولًا لا يتصوره ولا يفهمه[(٥)].

وجميع العقلاء يعلمون أن من قال قولًا وهو لا يتصوره ويفقهه[(٦)]، فإن قوله مردود عليه غير مقبول منه، وإن قوله من الباطل المذموم.

---

(١) (د، ط. النيل): «وإنما نعلم»، والمطبوع: «وإنه يُعلم».
(٢) المطبوعتان: «الوجه الثاني»، خلاف النسخ.
(٣) المطبوعتان: «من»، خلافًا للأصول.
(٤) (ل): «أفهمه».
(٥) «ولا يفهمه» سقط من (ل).
(٦) المطبوعتان: «ولا يفقهه»، وليس في النسخ.

وإن قال قائلهم: إني أفقه ما أقول وأتصوَّره وأعقله، **قيل له**: بَيِّنه لغيرك حتىٰ يفقهه ويعقله ويتصوره، ولا تقل هو فوق العقل، بل هو قول قد عقِلتُه وفقِهتُه، وهذا تقسيم لا محيد لهم عنه.

فإنهم إن كانوا يفقهون ما يقولون ويعقلونه، لزم أن يكون معقولًا.

وإن كانوا لا يفقهونه ولا يعقلونه، لزم أنهم قالوا علىٰ الله ما لا يفقهونه ولا يعقلونه قولًا برأيهم وعقلهم، لا نقلًا لألفاظ الأنبياء، فإن مَن نَقَل ألفاظ الأنبياء الثابتة عنهم، لم يكن عليه أن يفقه ويعقل ما يقول.

ولهذا قال النبي ﷺ: «**نضَّر الله امرءًا سمِع منا حديثًا فبلَّغه إلىٰ من لم يسمعْه، فرُبَّ حامل فقه غير فقيه، ورُبَّ حامل فقه إلىٰ من هو أفقه منه**»[1]. فقد يحفظ الرجل كلامًا فيبلِّغه غيره وهو لا يفقه معناه ولا يعقله.

فمن نَقَل لفظ التوراة أو الإنجيل أو القرآن أو ألفاظ سائر الأنبياء، لم نطالِبْه ببيان معناه. بخلاف من ادَّعىٰ أنه فَهِم ما قاله الأنبياء، وعبَّر عن ذلك بعبارة أخرىٰ، فإنه يقال له: إن كنتَ فهمتَ ما قالوه، فهو معنىٰ واحدٌ عبَّروا عنه بعبارة، وعبَّرت عنه بعبارة أخرىٰ كالتّرجمان، فهذا يعقل ما يقول ويفقهه.

وإن قال: إني لم أفهم كلامهم، أو لم أفهم ما قلتُه= فقد اعترف بجهله وضلاله، وأنه من الذين لم يفهموا كلام الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ولم يفقهوا[2] ما قالوه هم. فلو قالوا: لم نفهم كلام الأنبياء وسكتوا، لكانوا أسوةَ أمثالهم من الجهَّال بمعاني كلام الأنبياء.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ضرب عليها في (ل)، وصوبت: «يفهموا».

وأما إذا وضعوا عبارة وكلاما ابتدعوه، وأَمروا الناس باعتقاده، وقالوا: هذا هو الإيمان والتوحيد، وقالوا: إنا مع هذا لا نتصوَّر ما قلناه ولا نفقهه ولا نعقله، فهؤلاء من الذين يقولون على الله ما لا يعلمون، ويفترون على الله وعلى كتب الله وأنبياء الله بغير علم، بل يقولون الكذبَ المفترىٰ والكفرَ الواضح، ويقولون مع ذلك: إنا لا نعقله، وهذا حال النصارىٰ بلا ريب.

وهذا الموضع غَلِط فيه طائفتان من الناس: غالية غَلَتْ في المعقولات حتىٰ جعلتْ ما ليس معقولا من المعقول، وقدَّمتْه علىٰ الحس ونصوص الرسول.

وطائفة جَفَتْ عنه، فَرَدَّت المعقولات الصّريحة وقَدَّمت عليها ما ظنَّته من السمعيات والحِسِّيَّات[1].

وهكذا الناس[2] في الحِسِّيات الظاهرة والباطنة نوعان. فيجب أن يُعلم أن الحق لا ينقُض بعضُه بعضًا، بل يُصدِّق بعضه بعضًا. بخلاف الباطل، فإنه مختلِف متناقض، كما قال تعالىٰ في المخالفين للرسل: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات:٧- ٩].

وإن ما علم بمعقولٍ صريح، لا يُخالفه قطٌّ لا خبر صحيح ولا حِسٌّ صحيح. وكذلك ما عُلم بالسمع الصحيح، لا يعارضه عقل ولا حس. وكذلك ما عُلم بالحس الصحيح، لا يناقضه خبر ولا معقول.

والمقصود هنا، الكلام مع من يُعارِض المعقولات بسمع أو حس.

---

(١) (ل): «أو الحسيات».

(٢) المطبوعتان زيادة: «في السمعيات نوعان، وكذلك هم».

فنقول: لفظ «**المعقول**» يُراد به المعقولُ الصريح[1] الذي يعرفه الناس بفِطَرهم التي فُطروا عليها، من غير أن يتلقَّاه بعضهم عن بعض، كما يعلمون تماثل المتماثلين واختلاف المختلفين ـ أعني اختلاف التنوع، لا اختلاف التضاد والتباين، فإن لفظ (الاختلاف) يراد به هذا وهذا ـ.

وهذه المعقولات في العِلميات والعمليات، هي التي ذمَّ الله من خالفها بقوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]، وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. ونحو ذلك[2].

وأما ما يسمِّيه بعض الناس «**معقولات**» ويخالِفه فيه كثير من العقلاء، مثل القول في تماثل[3] الأجسام وبقاء الأعراض، وأن الأجسام مركَّبة من الجواهر المنفردة التي لا تقبل القسمة، أو من المادّة والصورة، وأن ما لا يتناهىٰ من الأمور المتعاقبة شيئًا بعد شيء، يمتنع وجودُه إما في الماضي والمستقبل، أو في الماضي فقط، أو أن الكليات موجودةٌ في الخارج جواهر قائمة بأنفسها، أو أن لنا دهرًا أو مادة هي جوهرٌ عقليٌّ قائم بنفسه، أو أنه يمكن وجود جوهر قائم بنفسه لا يُشار إليه، ونحو ذلك مما يَعُدُّه من يَعُدُّه من النُّظَّار أنه عقليَّات وينازِعهم فيه آخرون[4].

---

(١) (ل): «العقول الصريحة».

(٢) «ونحو ذلك» سقط من المطبوع.

(٣) المطبوعتان: «بتماثل»، خلافًا للنسخ الخطية.

(٤) وهذه المسائل عند المصنف في «درء تعارض العقل والنقل»: (١/ ١٥٧ـ١٩٣)، (٤/ ١٥٤)، و«منهاج السنة» (١/ ١٤٦-١٤٧)، (١/ ٢٢٣-٢٣٤)، و«الفتاوىٰ» (٢/ ٨٨، و ٣٦/ ٢٨-٣٠)، و«الصفدية»: (٢/ ٣٢). وغيرها.

فليس هذا هو العقليّات التي[١] يجب لأجلها ردُّ الحس والسمع، وتُبنىٰ عليها علوم بني آدم، بل المعقولات الصحيحة الدقيقة الخفيّة، تُرد إلىٰ معقولات بديهيّة أوّليّة، بخلاف العقليّات الصريحة، مثل كون الجسم الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد معًا، فإن هذا معلوم بفطرة الله التي فطر الناس عليها.

فإذا جاء في الحسّ أو الخبر الصحيح ما يُظن أنه يخالِف ذلك، مثل أن يُرىٰ الشخص الواحد في عرفات وهو في بلده لم يَبْرَح، أو يُرىٰ[٢] قاعدًا في مكانه وهو في مكان آخر، أو يُرىٰ أنه أغاث من استغاث به، أو جاء طائرًا في الهواء مع العلم بأنه في مكانه لم يتغيَّر منه= فهذا إنما هو جنيٌّ تصوَّر بصورة ذلك الشخص، ليس هو نفسه، فهذا يشبهه ليس هو إيّاه، والحسِّيات إن لم يُميَّز بينها بالعقل، وإلا فالحس يغلَط كثيرًا.

وكذلك[٣] من ادَّعىٰ فيما حصل له من المكاشفة والمخاطبة أمرًا يخالِف صريحَ العقل يُعلَمُ أنه غالِطٌ فيه.

فمن[٤] **قال** من القائلين بوحدة الوجود: «إني أشهد بباطني وجودًا مطلقًا مجرَّدًا عن الأسماء والصفات، لا اختصاص فيه ولا مبدأ له[٥]» فلا ينازَع[٦] في هذا، كما قد ينازِعه بعض الناس.

لكن يقال له: مِن أين لك أن هذا هو رب العالمين الذي خلق السماوات والأرض؟ فإنَّ كون ما شهِدتَه بقلبك هو الله، أمرٌ لا يُدرَك بحس القلب، وإذا

(١) زيد بعده في (د، والمطبوعتين): «لا»!

(٢) «أو يرىٰ» سقط من (ل).

(٣) المطبوعتان: «فكذلك»، خلاف النسخ.

(٤) المطبوعتان: «كمن».

(٥) كذا النسخ الخطية، وفي المطبوعتين: «قيد البتة».

(٦) المطبوع: «يتنازع»!

ادَّعيت أنه حصل لك في الكشف ما يناقِض صريح العقل، عُلِم أنك غالط، كما قال شيخ هؤلاء الملاحدة التلمساني:

يا صاحبي أنت تنهاني وتأمرني والوَجْد أصدقُ نُّهاء وأمَّار
فإن أُطعْك وأعص الوَجْد عُدت عَمىً عن العيان إلىٰ أوهام أخبار
وعينُ ما أنت تدعوني إليه إذا حقّقْتَه تَرَه المنهيَّ يا جارِي[1].

فيقال له: وَجْدك وذوقك لم يُفْدِك إلا شهودَ وجودٍ مطلقٍ بسيطٍ، لكن مِن أين لك أن هذا هو رب العالمين؟ بل من أين لك أن هذا ثابتٌ في الخارج عن نفسك كليًّا مطلقًا مجرَّدًا؟ بل إنما[2] تشهده كليًّا مطلقًا مجرَّدًا في نفسك.

ولستَ تعلم بحسٍّ ولا عقل ولا خبر أن هذا هو في الخارج.

كما أن النائم إذا شهِد حِسُّه الباطن أشياء؛ لم يكن معه يقين أن هذا في الخارج.

فإذا عاد إليه عقله عَلِم أن هذا كان في خياله في المنام.

وكذلك السكران وغيره ممن يضعف عقله، فهذا شهِد[3] بحسِّه الباطن أو الظاهر أشياءَ، وقد ضعُف عقله عن كُنْه ذلك لـمَّا وَرَد[4] عليه، إذا[5] ثاب إليه عقله[6]= عَلِم أن ما شهده كان في نفسه وخياله، لا في الخارج عن ذلك.

فكل مَن أخبر بما يخالف صريح العقول أو صحيح المنقول[7] يعلم أنه

(١) لم أقف عليها عند غيره، والأبيات عنده منسوبة إلىٰ التلمساني في: «مجموع الفتاوىٰ» (٢/ ٢٥٩، ٤٧٣)، و«نقض التأسيس»: (٢/ ٥٣٩). وفي (المطبوع): (حقَّقَت فيه تَراه النَّهي يا جار) خلافًا لعامة النسخ الخطية والمطبوعة.

(٢) (ل): «إنك إنما».

(٣) المطبوعتان: «يشهد».

(٤) (ل): «رُدَّ». وكذا كانت في (د) ثم ألحق الواو من أسفلها.

(٥) في المطبوع: (وإذا ثاب) والواو ليست في النسخ.

(٦) (ل): «تاب الله عليه»، تصحيف!

(٧) المطبوعتان: «صحيح المنقول أو صريح المعقول»، خلافًا للأصول.

وَقَع له غلط، وإن كان صادقًا فيما يشهده في الحس الباطن أو الظاهر، لكن الغلط وقع في ظنه الفاسد المخالِف لصريح العقل لا في مجرَّد الحس، فإن الحس ليس فيه علم بنفي أو إثبات(١).

فمن رأىٰ شخصًا، فليس في الحسِّ إلا رؤيته. وأما كونه زيدًا أو عمرًا، فهذا لا بُدَّ فيه من عقل يميّز بين هذا وهذا، ولهذا كان الصغير والمجنون والبهيم(٢) والسكران والنائم ونحوهم= لهم حسٌّ، ولكن لعدم العقل لا يميِّزون أن هذا المشهود هو كذا أم كذا، بل قد يظنّون ظنونًا غيرَ مطابقة.

قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [النور:٣٩]

فالظمآن يرىٰ أن ما ظنه ماء، ولم يكن ماء؛ لاشتباهه بالماء، والحسّ لم يغلَط، لكن غلِط عقله.

والأنبياء ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ معصومون، لا يقولون علىٰ الله إلا الحق، ولا ينقلون(٣) عنه إلا الصدق.

فمن ادَّعىٰ في أخبارهم ما يناقِض صريح المعقول، كان كاذبًا، بل لا بُدَّ أن يكون ذلك المعقول ليس بصريح، أو ذلك المنقول ليس بصحيح.

فما عُلم يقينًا أنهم أخبروا به، يَمتنع أن يكون في العقل ما يناقِضه.

وما عُلم يقينًا أن العقل حَكَم به، يمتنِع أن يكون في أخبارهم ما يناقضه.

وقول أهل الاتحاد(٤) من النصارىٰ وغيرهم ـ سواء ادَّعَوا الاتحاد العام أو

---

(١) (ل): «ولا إثبات».

(٢) (ل): «والبهيمة».

(٣) (ل): «يتلقَّون».

(٤) (ط. النيل): «الإلحاد»، وهي مطموسة في (د).

الخاص ـ قد عُلم بصريح العقل بطلانُه، فيمتنع أن يُخبِر به نبيّ من الأنبياء، بل الأنبياء ـ عليهم السلام ـ قد يُخبِرون بما يعجز العقل عن معرفته، لا بما يَعلم العقلُ بطلانه، فيُخبِرون بمحارات العقول لا بمُحالات العقول.

ومَن سِوىٰ الأنبياء ليس معصومًا، فقد يغلَط ويحصل له في كشفه وحِسِّه وذوقه وشهوده أمورٌ يَظنُّ فيها ظنونًا كاذبة.

فإذا أَخبر مثلُ هذا بشيء[1] عُلِم بطلانه بصريح العقل= عُلِم أنه غالط.

وإذا أخبر غيرُ الأنبياء بما يَعجز عقلُ كثير من الناس عن معرفته= لم يلزم أن يكون صادقًا ولا كاذبًا، بل لا نحكم بصدقه ولا كذبه إلا بدليل؛ لاحتمال أن يكون غالطًا واحتمال أن يكون قد عَلِم ما يَعجز غيرُه عن معرفته.

وإذا قال القولَ المعلومَ فسادُه بصريح العقل من ليس بنبي، وقال: إن هذا فوق العقل، أو هذا وراء طَوْر العقل والنقل، أو هذا لا نعرفه إن لم نترك العقل والنقل، أو قال:

هُمُ معشرٌ حَلّوا النظام وأحرقوا السْـ ... ـسِياج فلا فَرْضٌ لديهمْ ولا نفلُ
مجانينُ إلا أن سِرَّ[2] جنونِهم ... عزيزٌ علىٰ أبوابه يَسجُدُ العقلُ[3]

قيل: وهذا يمتنع أن يقوله نبيٌّ، أو ينقلَه صادق عن نبيٍّ، فإن أقوال الأنبياء لا تُناقِض العقل الصريح، فكيف يُقبَل هذا ممن ليس بنبي؟

وإن قال كما يقوله النصارىٰ أو غيرهم: إن هذا دلَّ عليه كلام الأنبياء أو فهِمناه من كلام الأنبياء.

---

(١) (ل): «شيئًا».

(٢) (ل): «ستر».

(٣) البيتان من الطويل، وردت نسبتهما لبدر الدين بن هود في: (الوافي بالوفيات): (١٢/ ٩٨)، و(المقفىٰ الكبير): (٣/ ٢٤٢)، و(عقد الجمان): (٤/ ١١١)، وبلا نسبة في: (مجموع الفتاوىٰ): (١٠/ ٤٤٥)، و«شرح العقيدة الطحاوية»: (ص٥٢٥).

قيل لهم: الكلام في معاني الألفاظ التي نَطقتْ بها الأنبياء شيءٌ، والكلام الذي[1] فهمتموه عنهم شيء آخر.

ولو قُدِّر أن ما ذكرتموه أنتم أو غيركم، فهموه[2] من كلام الأنبياء ليس مخالفًا لصريح العقل، لم نجزمْ بأن قائل ذلك مصيبٌ في فهْمه[3]، بل قد يكون فهِم من كلامهم ما لم يريدوه.

فكيف إذا كان هو نفسه لم يتصوَّر ما قال؟ بل هم معترفون بأنه غير معقول له، وهو لا يفهمه، فكيف إذا كان الذي قاله معلومَ الفساد بصريح العقل؟

فهذه ثلاث مقدمات: لو فهمه، ثم قال: إني فهمت كلامهم[4]= لم يكن فهمُه حجَّة.

فكيف إذا قال: إني لم أفهمه، وإن هذا فوق طور العقل؟ ولو قال هذا؛ لم يكن قوله حجة، ولم يجب تصديقه من أن الأنبياء عَنَوا بكلامهم المعنىٰ الذي اعترف أنه فوق[5] العقل.

فكيف إذا عُرِف أن ذلك المعنىٰ باطلٌ يَمتنِع أن يقولَه عاقل، لا نبيّ ولا غير نبيّ؟

---

(١) (ل): «فيما».

(٢) كذا في النسخ الخطية، والمطبوعتان: «فهمتموه»، وكلاهما متجه.

(٣) كذا في (ل)، ولم تحرَّر في (د)، وفي المطبوعتين: «قائل ذلك يتصور ما قال».

(٤) المطبوع: «كلامه»، خلافًا لعامة الأصول.

(٥) المطبوعتان زيادة: «طور» وليس في النسخ الخطية.

فصل

قال الحاكي عنهم[1]: «فقلتُ لهم: إنهم يقولون لنا: إذا كان اعتقادكم في الباري ـ تعالىٰ ـ أنه واحد، فما حمَلَكم علىٰ أن تقولوا: أب وابن وروح قدس، فتُوهِمون السامعين أنكم تعتقدون في الله ثلاثة أشخاص مركّبة، أو ثلاثة آلهة، أو ثلاثة أجزاء، وأن له ابنًا، ويَظُنُّ من لا يعرف اعتقادكم أنكم تريدون بذلك ابنَ المباضَعة والتناسل[2]، فتطرقون علىٰ أنفسكم تُهمة أنتم منها بريئون؟

قالوا[3]: وهم أيضًا، لما كان اعتقادهم في الباري جلّتْ عظمته أنه غير ذي جسم، وغير ذي جوارح وأعضاء، وغير محصور في مكان، فما حملهم علىٰ أن يقولوا: إن له عينين يبصر بهما، ويدَيْن يبسطهما، وساقًا، ووجهًا يولِّيه إلىٰ كل مكان، وجنبًا[4]، وأنه يأتي في ظُلَل من الغمام، فيوهمون السامعين أن الله ذو جسم وذو أعضاء وجوارح، وأنه ينتقل من مكان إلىٰ مكان في ظلل من الغمام، فيَظنّ من لا يعرف اعتقادهم أنهم يجسِّمون الباري، حتىٰ إن قومًا منهم اعتقدوا ذلك واتخذوه مذهبًا، ومن لم يتحقق اعتقادهم يتهمهم بما هم بريئون منه[5].

قال: فقلتُ لهم: إنهم يقولون: إن العلة في قولهم هذا، أن الله له عينان ويدان ووجه وساق وجنب، وأنه يأتي في ظلل من الغمام، فهو أن القرآن نَطَق به، وأن[6] ذلك غير ظاهر اللفظ، وكل من يَحمِل ذلك علىٰ ظاهر اللفظ ويَعتقد أن

---

(١) الحاكي: بولس الأنطاكي في رسالته المشار إليها قريبًا، يتكلَّم علىٰ لسان الملك الرومي «دميان» الذي ناقش علماء النصارىٰ في دينهم، موردًا عليهم حجج المسلمين؛ ليقف علىٰ ما يجيبون به عن أنفسهم. وقد تقدمت الإشارة إلىٰ ذلك صدر الكتاب.

(٢) (ل): «والمناسلة».

(٣) أي علماء النصارىٰ المجتمعون بالملك المذكور. وضمير «هم» لعلماء المسلمين.

(٤) ضبطت في (ل) بالجرِّ: «وجنبٍ» عطفًا علىٰ (مكان).

(٥) «منه» سقط من (ل).

(٦) (ط. النيل): «وإذ».

الله لـه عينـان ويـدان ووجـه وجنـب وجـوارح وأعضـاء، وأن ذاتـه تنتقـل= فهـم يلعنونه ويكفِّرونه، فإذا كفَّروا من يعتقد هذا، فليس لمخالفيهم أن يلزموهم هذا بعد أن لا يعتقدوه.

قالوا: وكذلك نحـن أيضًـا النصـارىٰ، العلـة في قولنـا: إن الله ثلاثـة أقـانيم: أب، وابن، وروح قدس، أن الإنجيل نَطق به، والمراد بالأقانيم: غير الأشخاص المركَّبة والأجزاء والأبعاض وغير ذلك مما يقتضي الشِّرك والتكثير، وبالأب والابن غيرُ أبوَّة وبنوَّةِ نكاح أو تناسل، أو جماع أو مباضَعة.

وكل من يعتقد أن الثلاثة أقانيم ثلاثة آلهة مختلفة، أو ثلاثة آلهة متَّفقة، أو ثلاثـة أجسـام مؤلَّفـة، أو ثلاثـة أجـزاء متفرِّقـة، أو ثلاثـة أشـخاص مركبـة، أو أعـراض، أو قُـوىٰ، أو غيـر ذلـك ممـا يقتضـي الاشـتراك والتكثيـر والتبعـيض والتشبيه، أو بنوَّة نكـاح، أو تناسـل، أو مباضـعة، أو جمـاع، أو ولادة زوجـة، أو من بعض الأجسام، أو من بعـض الملائكـة، أو مـن بعـض المخلـوقين= فـنحن نلعنه ونكفِّره ونُجرِّمه.

وإذا لعنَّا وكفَّرنا[1] من يعتقد ذلك، فليس لمخالفينا أن يلزمونـا بعـد أن لا نعتقده، وإن ألزمونا الشرك والتشبيه لأجـل قولنـا: أب وابـن وروح قـدس؛ لأن ظاهر ذلك يقتضي التكثير والتشبيه= ألزمناهم أيضا ـ نحن ـ التجسيم والتشبيه لقولهم: إن الله له عينان ويدان ووجه وساق وجَنْب، وأن ذاتـه تنتقـل مـن مكـان إلىٰ مكان، وأنه استوىٰ علىٰ العرش من بعد أن لـم يكـن عليـه، وغيـرَ ذلـك ممـا يقتضي ظاهرُه التجسيم والتشبيه»[2].

(١) المطبوع: «أو كفَّرنا»، خلاف النسخ.

(٢) «رسالة بولس الأنطاكي»: (ل١٣)، وبه تمام القطعة الموجودة منها اليوم.

والجواب من وجوه:

أحدها: أن يقال: من آمن بما جاءت به الرسل وما قالوه[1] من غير تحريف للفظه ولا معناه، فهذا لا إنكار عليه، بخلاف من ابتدع أقوالا لم تقلها الرسل، بل هي تخالف ما قالوه، وحرف ما قالوه، إما لفظًا ومعنىٰ، وإما معنىٰ فقط، فهذا يستحق الإنكار عليه باتفاق الطوائف.

وأصل دين المسلمين أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه في كتبه، وبما وصفتْه به رسله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يثبتون له ـ تعالىٰ ـ ما أثبته لنفسه، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه، ويتَّبعون في ذلك أقوال رسله، ويجتنبون ما خالف أقوال الرسل، كما قال تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات:١٨٠].

أي عما يصفه الكفار المخالفون للرسل.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:١٨١]؛ لسلامة ما قالوه من النقص والعيب. ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات:١٨٢].

فالرسل وصفوا الله بصفات الكمال، ونزَّهوه عن النقائص المناقضة للكمال، ونزّهوه عن أن يكون له مِثْلٌ في شيء من صفات الكمال، وأثبتوا له صفات الكمال علىٰ وجه التفصيل، ونفَوا عنه التمثيل، فأتوا بإثبات مفصَّل ونفي مجمَل.

---

(١) المطبوعتان: «وقال ما قالوه».

فمن نفىٰ عنه ما أثبته لنفسه من الصفات، كان معطِّلًا، ومن جعلها مثل صفات المخلوقين، كان ممثِّلًا، والمعطِّل يَعبد عدَما، والممثِّل يَعبد صنما.

وقد قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ:١١]، وهو رد علىٰ الممثلة، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١] وهو رد علىٰ المعطِّلة.

فوصفتْه الرسل[١] بأنه حي منزَّه عن الموت، عليم منزَّه عن الجهل، قدير قوي عزيز منزَّه عن العجز والضعف واللغوب والذل[٢]، سميع بصير منزَّه عن الصَّمَمِ[٣] والعَمىٰ، غني منزَّه عن الفقر، جواد منزَّه عن البخل، حكيم[٤] منزَّه عن السفه، صادق منزَّه عن الكذب، إلىٰ سائر صفات الكمال، مثل وصْفه بأنه ودود رحيم لطيف، وقد قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:١-٤].

فالصمد، اسم يتضمَّن إثبات صفات الكمال ونفي النقائص، فإنه[٥] العليم الكامل في علمه، القدير الكامل في قدرته، الحكيم الكامل في حكمته.

ولنا مصنَّف مبسوطٌ في تفسير هذه السورة[٦]، وآخر في بيان أنها تعادل

---

(١) «الرسل» ليس في (ل).

(٢) المطبوعتان: «والذل واللغوب»، والمثبت أولىٰ؛ لتقدم ما يقابل اللغوب وهو القوة.

(٣) المطبوع: «الصَّمِّ».

(٤) المطبوعتان زيادة: «حليم»، وليس في النسخ الخطية.

(٥) كذا في (ل)، ولم تحرّر في (د)، وفي المطبوعتين: «وهو».

(٦) أشار المصنف إلىٰ هذا الكتاب في: «النبوات»: (١/ ١٨٦)، وذكره ابن عبد الهادي في «العقود الدرية»: (ص٤٤) (تحقيق الفقي، ط. دار الكتاب) باسم: «تفسير سورة الصمد»، وطُبع أكثر من مرة، منها: الطبعة الأولىٰ بالمطبعة الحسينية سنة ١٣٢٣هـ والأولىٰ بالمنيرية سنة ١٣٥٢هـ. وحقّق في رسالة ماجستير بجامعة الإمام، ولم تطبع، وهو في «مجموع الفتاوىٰ»: (١٧/ ٢١٤-٥٠٣).

ثلث القرآن[1]، وذكرنا كلام علماء المسلمين من الصحابة والتابعين في معنىٰ «**الصمد**» وأن عامة ما قالوه حق، كقول من قال منهم: إن الصمد الذي لا جوف له. ومن قال منهم: إنه السيد الذي انتهىٰ سؤدده. كما قيل: إنه المستغني عن كل ما سواه، وكلُّ ما سواه محتاجٌ إليه. وكما قيل: إنه العليم الكامل في علمه، والقدير الكامل في قدرته. إلىٰ سائر صفات الكمال[2].

وذكر تعالىٰ في هذه السورة، أنه أحدٌ، ليس له كفوًا أحد، فنفىٰ بذلك أن يكون شيئًا[3] من الأشياء له كفوًا، وبيَّن أنه أحدٌ لا نظير له.

وقال في آية أخرىٰ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]،

وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ:١١]، وقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ وقال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة:٢٢].

وما ورد في القرآن والسنة من إثبات صفات الله، فقد ورد في التوراة وغيرها من كتب الله مثل ذلك.

فهو أمر اتفقت عليه الرسل، وأهل الكتاب في ذلك كالمسلمين.

وإذا كان كذلك، فهم في أمانتهم لم يقولوا ما قاله المسيح والأنبياء،

(١) وسماه: «جواب أهل العلم والإيمان أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن»، وطبع بالمطبعة الخيرية سنة ١٣٢٥هـ ثم صدر عن دار القاسم، ط١. ١٤١٧هـ، كما حقق في رسالة ماجستير بجامعة الإمام سنة ١٤٠٧هـ وهو في «مجموع الفتاوىٰ»: (١٧/ ٥-٢٠٥).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري»: (٢٤/ ٦٨٩) (ط. الرسالة)، و«البغوي»: (٨/ ٥٨٨)، (ط. طيبة)، و«ابن كثير»: (٨/ ٥٢٨) (ط. طيبة).

(٣) كذا في عامة النسخ الخطية والمطبوعة، ولعل الأجود: «شيءٌ» مرفوعًا، فاعل «كان» التامة.

بـل ابتـدعوا اعتقـادًا لا يوجـد في كـلام الأنبيـاء[1]، فلـيس في كـلام الأنبيـاء لا المسيح ولا غيره ذكر أقانيم لله، لا ثلاثة ولا أكثر، ولا إثبات ثلاث صفات، ولا تسمية شيء من صفات الله ابنًا لله ولا ربًّا، ولا تسمية حياته روحًا، ولا أن لله ابنًا هو إله حق من إله حق، من جوهر أبيه، وأنـه خـالقٌ كمـا أن الله خـالق، إلىٰ غير ذلك من الأقوال المتضمنة لأنواع من الكفر، لم تنقل عن نبي من الأنبياء.

فقالوا في شريعة إيمانهم: نؤمن بالله الأب، مالك كل شيء، صانع ما يُرىٰ وما لا يُرىٰ، وهذا حق.

ثم قالوا: وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحـد، بِكـر الخلايـق[2] كلها، مولود ليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من جـوهر أبيـه، نـور مـن نـور، مساوٍ للأب في الجوهر، الذي بيده أُتقنت العوالم وخُلِق[3] كلُّ شيء، الذي من أجلنا ـ معشر الناس ـ ومن أجـل خلاصـنا نـزل مـن السماء، وتجسَّـد مـن روح القدس، ومـن مـريم العـذراء البتـول، وصـار إنسـانًا، وحُبـل بـه ووُلـد مـن مـريم البتول، وألِـم[4] وصُلب ودُفن، وقام في اليوم الثالث، كما هـو مكتـوب، وصـعد إلىٰ السماء، وجلس عن يمين أبيه وهو مستعد للمجيء تارة أخرىٰ للقضاء بين الأموات والأحياء.

ونؤمن بروح القـدس المحيي[5]، وروح الحـق المنبثـق مـن أبيـه، أو الـذي يخرج[6] من أبيه روح محييه.

---

(١) «بل ابتدعوا اعتقادا لا يوجد في كلام الأنبياء» سقط من (د).

(٢) بتسهيل الهمزة كما في الأصول.

(٣) (د، ط. النيل): «خَلَق» بلا واو عطف.

(٤) المطبوع: «وتألم»، خلاف عامة النسخ، وتقدم توجيهه.

(٥) (ل): «الواحد».

(٦) لم تحرر في (د)، والمطبوع: «خرج»، خلافًا للنسخ.

فأين في كلام الأنبياء أن شيئا من صفات الله أو من مخلوقاته يقال فيه: إنه أقنوم، وإنه إله[1] حق من إله حق، من جوهر أبيه، وإنه مساو لله في الجوهر، وإنه خالقُ[2] كلِّ شيء، وإنه قعد[3] عن يمين الله فوق العرش، وإنه الذي يقضي بين الناس يوم القيامة؟

وأين في كلام الأنبياء[4] أن لله ولدا قديما أزليا؟

ومن الذي سمَّىٰ كلام الله أو علمه أو حكمته مولودًا له أو ابنًا له، أو شيئًا من صفاته مولودًا له أو ابنًا له؟

ومَن الذي قال من الأنبياء: إنه مولود، وهو ـ مع ذلك ـ قديمٌ أزليٌّ؟ وأين في كلامهم أن لله أقنومًا ثالثًا هو حياته، ويسمَّىٰ بروح[5] القدس، وأنه أيضا رب حق[6] محي.

فلو كان النصارىٰ آمنوا بنصوص الأنبياء، كما آمن المؤمنون، لم يكن عليهم ملام[7].

ومن اعترض علىٰ نصوص الأنبياء، كان لِفساد فهمه ونقص معرفته.

ولكنهم ابتدعوا أقوالًا وعقائد ليست منصوصة عن أحد من الأنبياء عليهم السلام وفيها كفر ظاهر وتناقض بَيِّن.

---

(١) «إله» سقط من المطبوع.
(٢) المطبوعتان زيادة «خلق» وليس في الأصول.
(٣) (ل): «جالس».
(٤) (ل): «كلامهم».
(٥) (ل): «روح».
(٦) المطبوعتان: «حي»، خلاف النسخ.
(٧) (د): «كلام».

فلو قُدِّر أنهم أرادوا بها معنىً صحيحًا، لم يكن لأحد أن يبتدع كلامًا لم يأت به نبيّ، يدل علىٰ الكفر المتناقض الذي يخالف الشرع والعقل، ويقول: إني أردتُّ به معنىٰ صحيحا، من غير أن يكون لفظُه دالًّا علىٰ ذلك، فكيف والمراد ـ الذي يفسِّرون به كلامَهم ـ فاسدٌ متناقض كما تقدم؟

فهم ابتدعوا أقوالًا منكَرة وفسّروها بتفسير منكَر، فكان الردّ عليهم من كل واحد من الوجهين، وهم ـ في ذلك ـ نظيرُ بعض ملاحدة المسلمين الذين يعتقدون إلهية بعض أهل البيت، أو بعض المشايخ، ويصفون الله بصفات لم يَنطق بها كتاب، وهؤلاء ملحدون عند المسلمين.

بخلاف المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسله، الذين آمنوا بما قالت الأنبياء، ولم يبتدعوا أقوالًا لم يأت بها الأنبياء، وجعلوها أصل دينهم.

الوجه الثاني: أن يقال: ما ذكرتموه[1] عن المسلمين كذب ظاهر عليهم.

فهذا النَّظم الذي ذكروه ليس هو في القرآن، ولا في الحديث، ولا يُعرَف عالم مشهور من علماء المسلمين، ولا طائفة مشهورة من طوائفهم، يُطلقون العبارة التي حكوها عن المسلمين، حيث قالوا عنهم: «إنهم يقولون: إن لله عينين يُبصِر بهما، ويدَيْن يبسطهما، وساقًا ووجهًا يولِّيه إلىٰ كل مكان، وجَنبًا».

ولكن هؤلاء ركَّبوا من ألفاظ القرآن ـ بسوء تصرفهم[2] ـ تركيبًا زعموا أن المسلمين يُطلقونه.

---

(١) (ل): «ذكروه».

(٢) المطبوعتان زيادة: «وفهمهم» وليست في النسخ الخطية.

وليس في القرآن ما يدل ظاهرُه علىٰ ما ذكروه، فإن الله ـ تعالىٰ ـ قال في كتابه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤]

واليهود أرادوا بقولهم: «يد الله مغلولة» أنه بخيل، فكذَّبهم الله في ذلك، وبيَّن أنه جواد لا يَبخل، فأخبر أن يديه مبسوطتان، كما قال: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء:٢٩]

فبسْط اليدين المراد به الجود والعطاء، ليس المراد ما أوهموه[1] من بسْطٍ مجرَّد.

ولـمَّا كان العطاء باليد يكون بِبسْطِها، صار من المعروف في اللغة التعبير ببسط اليد عن العطاء.

فلما قالت اليهود: «يد الله مغلولة» وأرادوا بذلك أنه بخيل، كذَّبهم الله في ذلك، وبيَّن أنه جواد ماجد.

وإثبات اليدين له موجود في التوراة وسائر النبوات، كما هو موجود في القرآن.

فلَمْ[2] يكن في هذا شيء يخالف ما جاءت به الرسل، ولا ما يناقض العقل، وقد قال تعالىٰ لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص:٧٥].

فأخبر أنه خلق آدم بيديه[3].

---

(١) (ل، المطبوع): «توهموه».

(٢) (ل): «ولم».

(٣) المطبوعتان زيادة: «وجاءت الأحاديث الصحيحة توافق ذلك» وليس في النسخ.

وأما لفظ «**العينين**» فليس هو في القرآن، ولكن جاء فيه حديث[1].

وذكر الأشعري[2] عن أهل السنة والحديث أنهم يقولون: إن لله عينين.

ولكن الذي جاء في القرآن: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه:٣٩]، ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود:٣٧]، ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٣-١٤]

وأما قولهم: «له وجه يوليه إلىٰ كل مكان» فليس هذا في القرآن، ولكن في القرآن: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧]، وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨]، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١١٥]، وهذا قد قال فيه طائفة من السلف[3]: فثَمَّ قِبلة الله، أي فثم جهة الله، والوجه[4] والجهة كالوعد والعدة، والوزن والزنة.

---

(١) يشير إلىٰ حديث ابن عمر عند البخاري (٣٤٣٩)، ومسلم (١٦٩) في خبر الدجال، ـ وهو عمدة ما في الباب ـ وفيه: «إن الله ليس بأعور»، حيث تضمَّن إثبات صفة العينين، بدلالة الوضع اللغوي من أن (العَوَر) عند العرب هو فَقْد أحد العينين.

وفي الباب أحاديث أخرىٰ أصرح من هذا، ولا يخلو بعضها من مقال، ثبوتًا أو استدلالًا، منها ما أخرجه العقيلي في «الضعفاء»: (١/ ٧٠)، والبزار في: «مسنده» كما في «كشف الأستار»: (٥٥٣) من حديث أبي هريرة: «إن العبد إذا قام في الصلاة فإنه بين عيني الرحمن...»الخ، وفي سنده إبراهيم بن يزيد الخوزي، متروك الحديث.

ينظر: «بيان تلبيس الجهمية»: (٣/ ٣٧٩)، و«اجتماع الجيوش الإسلامية»: (٢/ ٣٠٢).

(٢) في كتابه: «الإبانة» (ط١. دار الأنصار): (ص١٢٠،٢٢). وأما الأشاعرة فتناقضوا حيث أثبتوا صفة البصر لدلالة العقل علىٰ ذلك، ونفوا صفة العينين. ينظر: «الإرشاد» للجويني، (ص١٥٥). (ط٣. الخانجي، ١٤٢٣).

(٣) مروي عن ابن عباس عند ابن أبي حاتم (١١٢٤)، ومجاهد عند «الترمذي»: (٥/ ٢٠٦) (ط.الحلبي)، وغيرهما. وينظر: «تفسير الطبري»: (٢/ ٥٣٤) (ط.الرسالة)، و«تفسير الثعلبي»: (١/ ٢٦٣) (ط.إحياء التراث)، و«مجموع الفتاوىٰ»: (٢/ ٤٢٩).

(٤) «والوجه» سقط من المطبوع.

والمراد بوجه الله وجِهةِ الله: الوجهُ والجهة والوجهة الذي لله يُستقبَل في الصلاة، كما قال في أول الآية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾، ثم قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾

كما قال تعالىٰ: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:١٤٢]

فإذا كان لله المشرق والمغرب، ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة:١٤٨]

وقوله: ﴿مُوَلِّيهَا﴾ أي متولِّيها، أي(١) مستقبلها، فهذا كقوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١١٥] أي: فأينما تستقبلوا فثَمَّ وِجْهَةُ(٢) الله.

وقد قيل: إنه يدل علىٰ صفةٍ لله(٣)، لكن يدل علىٰ أن ثَمَّ وجهٌ لله، وأن العباد أينما يولون فثم وجه الله، فهم الذين يولون ويستقبلون، لا أنه هو يولي وجهه إلىٰ كل مكان، فهذا تحريف منهم للفظ القرآن عن معناه وكذب علىٰ المسلمين.

ومن قال بالقول الثاني من المسلمين، فإن ذلك يقتضي(٤) أن الله محيط بالعالم كله، كما قد بَسطتُ هذه الأمور في غير هذا الموضع(٥)؛ إذ المقصود هنا

---

(١) المطبوع: «أو»، خلافًا لعامة النسخ.

(٢) (ل): «وجه».

(٣) جمهور السلف علىٰ أن الآية ليست من آيات الصفات، وإن عدَّها بعضهم كذلك؛ إلا علىٰ وجهٍ فيه نظر، ذكره المصنف في: «مجموع الفتاوىٰ»: (٢/ ٤٢٩).

(٤) (ل): «يقضي».

(٥) ينظر: «بيان تلبيس الجهمية»: (٦/ ٧١ ـ ٨١)، و«مجموع الفتاوىٰ»: (٢/ ٤٢٧ ـ ٤٣٤)، و«مختصر الصواعق المرسلة»: (ص٤٠٧ ـ ٤١٩).

بيان ضلال هؤلاء في دينهم فيما ابتدعوه[1] من الكفر والتثليث والاتحاد، دون الذين آمنوا بالله ورسله، وما أخبرت به الرسل عن الله ﷻ.

وأما قولهم: «وجَنْب»؛ فإنه لا يُعرَف عالم مشهور عند المسلمين، ولا طائفة مشهورة من طوائف المسلمين، أثبتوا لله جنبًا نظير جنب الإنسان، وهذا اللفظ جاء في القرآن في قوله: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦]

وليس[2] في مجرَّد الإضافة ما يستلزم أن يكون المضاف إلىٰ الله صفة له، بل قد يضاف إليه من الأعيان المخلوقة وصفاتها القائمة بها ما ليس بصفة[3] له باتفاق الخلق، كقوله تعالىٰ[4]: «بيت الله»، و﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾، و﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾، بل وكذلك ﴿مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ عند سلف المسلمين وأئمتهم وجمهورهم.

ولكن إذا أُضيف إليه ما هو صفة له وليس بصفة لغيره، مثل كلام الله وعلم الله، ويد[5] الله ونحو ذلك= كان صفة له.

وفي القرآن ما يبيِّن أنه ليس المراد بالجنب ما هو نظير جَنْب الإنسان فإنه قال: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦].

والتفريط ليس في شيء من صفات الله ﷻ.

والإنسان إذا قال: فلان قد فرَّط في جنب فلان أو جانبه، لا يريد به أن التفريط وقع في شيء من نفس ذلك الشخص، بل يريد به أنه فرط في جهته وفي حقه.

---

(١) المطبوعتان: «ابتدعوا»، خلاف النسخ.

(٢) كذا في (ل)، ولم تحرر في (د)، والمطبوعتان: «فليس».

(٣) (ل): «صفة»، وكذا ما بعده.

(٤) كذا عامة النسخ، ولم يقع في القرآن «بيت الله»؛ فلعلها ألحقت بنظائرها، والمعنيُّ ما بعدها.

(٥) (ل): «وقدرة».

فإذا كان هذا اللفظ إذا أُضيف إلىٰ المخلوق لا يكون ظاهره أن التفريط في نفس جنب الإنسان المتصل بأضلاعه، بل ذلك التفريط لم يلاصقه، فكيف يُظنّ أن ظاهره في حق الله أن التفريط كان في ذاته؟

وجَنْب الشيء وجانبه، قد يُراد به منتهاه وحدُّه، ويسمىٰ جَنْب الإنسان جنبًا بهذا الاعتبار، قال تعالىٰ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة:١٦]

وقال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٩١][(١)].

وقال النبي ﷺ لعمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع، فعلىٰ جنْب**»[(٢)].

وإذا قُدِّر أن الإضافة[(٣)] تتضمن صفة الله، كان الكلام في هذا كالكلام في سائر ما يضاف إليه تعالىٰ من الصفات، وفي التوراة من ذلك نظير ما في القرآن.

وهذا يتبين بالوجه الثالث: وهو أن يقال ما في القرآن والحديث عن النبي ﷺ مِن وَصْف الله بهذه الصفات التي يسمِّيها بعض الناس تجسيمًا، هو مثل ما في التوراة وسائر كتب الأنبياء، وهو[(٤)] الذي في التوراة وكتب الأنبياء، ليس مما أحدثه أهل الكتاب.

---

(١) سقطت هذه الآية من (ل)، وهي ملحقة في هامش (د).

(٢) أخرجه البخاري (١١١٧).

(٣) زيد بعده في المطبوعتين: (هنا)، وليس في النسخ.

(٤) كذا، وفي المطبوعتين: «وهذا»، وهو أجود.

ولو كانوا هم ابتدعوا ذلك، ووصفوا الخالق بما يمتنع عليه من التجسيم= لكان النبي ﷺ ذمَّهم علىٰ ذلك، كما ذمَّهم علىٰ ما وصفوه به من النقائص في مثل قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران:١٨١]

وقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤]

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق:٣٨]

فنفىٰ عنه اللغوب الذي يُظنُّ في لفظ الاستراحة الذي في التوراة، فإن فيها أن الله خلق العالم في ستة أيام، ثم استراح في يوم السبت، فظَنَّ بعضُ الناس أنه تَعِب فاستراح(١).

ثم من علماء المسلمين من قال: إن هذا(٢) اللفظ حرَّفوا معناه دون لفظه، وهذا لفظ التوراة المنزَّلة. قاله ابن قتيبة وغيره(٣)، قالوا معناه: ثم تَرك الخلق، فعبَّر عن ذلك بلفظ استراح.

ومنهم من قال: بل حرَّفوا لفظه، كما قاله أبو بكر الأنباري(٤) وغيره. وقالوا: ليست هذه ألفاظه(٥) المنزَّلة.

---

(١) «التكوين»: (٢: ٢، ٣).

(٢) (ل): «من يقول هذا».

(٣) في كتابه: «تأويل مشكل القرآن»: (ص٥٤، ٧٠)، وينظر: «زاد المسير»: (٣/ ٣٢٣).

(٤) في كتابه: «الزاهر»: (٢/ ١٣٨). وينظر: «تهذيب اللغة»: (١٢/ ٢٦٨)، و«البسيط»، للواحدي (٢/ ٦٣٥). وفي المطبوعتين «قال أبو بكر» خلاف النسخ.

(٥) كذا في (د)، وفي (ل): «ليست هذه لفظ التوراة»، وفي المطبوعتين: «ليس هذا لفظ التوراة».

وأما ما في التوراة من إثبات الصفات، فلم ينكِر النبي ﷺ شيئًا من ذلك، بل كان علماء اليهود إذا ذكروا شيئًا من ذلك يُقرُّهم عليه ويصدِّقهم عليه، كما في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن حبرًا من اليهود جاء إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: «يا محمد إن الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة يَحمل[1] السماوات علىٰ إصبع، والأرضين[2] علىٰ إصبع، والجبال والشجر علىٰ إصبع، والماء والثرىٰ علىٰ إصبع، وسائر الخلق علىٰ إصبع، فيهزهن[3] فيقول: أنا الملك». قال: فضحك النبي ﷺ حتىٰ بدَتْ نواجذه تعجُّبًا وتصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧] الآية»[4].

وفي التوراة: «إن الله كتب التوراة بإصبعه»[5].

وإذا ثبت أن مثل هذه النصوص في التوراة والكتب المتقدمة باتفاق أهل الكتاب، وبما يَشهد علىٰ ذلك من إخبار الرسول بنظير ذلك، وتَركِ إنكاره لما في التوراة، وتصديقه علىٰ ما كانوا يذكرونه من ذلك= لم يكن المسلمون مختصّين بِذِكْر ما سمَّوه تجسيمًا، بل يلزم أهل الكتاب اليهود والنصارىٰ من ذلك نظيرُ ما يلزم المسلمين.

وقد افترق أهل الكتاب في ذلك كما افترق فيه المسلمون، منهم الغالي في النفي والتعطيل، ومنهم الغالي في التشبيه والتمثيل.

---

(١) هذا لفظ «أحمد» (٤٣٦٨)، والذي في الصحيحين «يُمسِك».

(٢) (د، المطبوعتان): «والأرض»، وباللفظين جاءت الروايات، والمثبت الأكثر.

(٣) كذا في النسخ الخطية، وهو لفظ ابن بطة في: «الإبانة الكبرىٰ»: (٧/ ٢٨١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات»: (٢/ ١٦٦). وفي المطبوعتين: «ثم يهزهنَّ»، وهو لفظ الصحيحين.

(٤) أخرجه البخاري (٤٨١١، ٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٤٥١، ٧٥١٣) ومسلم (٢٧٨٦).

(٥) «الخروج»: (٣١: ١٨).

والمسلمون أئمتهم وجمهورهم مقتصدون بين التعطيل والتمثيل، وكذلك طائفة من أهل الكتاب.

والمقصود أنه إذا كانت هذه الصفات قد جاءت في الكتب الإلهية، التوراة وغيرها، كما جاءت في القرآن، لم يكن للمسلمين بذلك اختصاص.

ولم يَجُزْ للنصارىٰ أن يجعلوا ذلك نظير ما اختصّوا به من التثليث والاتحاد، فإن ذلك مختص بهم.

وهذه الصفات قد اشترك فيها[1] الملل الثلاث؛ لأن التثليث والاتحاد ليس منصوصًا عن أحد من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وهذه الصفات منصوصة في القرآن والتوراة وغيرهما من كتب الأنبياء، فكيف يجوز تشبيه هذا بهذا؟

الوجه الرابع: قولهم: «فيوهمون السامعين أن الله ذو جسم وأعضاء وجوارح» كلام باطل؛ وذلك أن الله سمَّىٰ نفسه وصفاته بأسماء، وسمَّىٰ بعض عباده[2] وصفات عباده بأسماء هي في حقِّهم نظيرُ تلك الأسماء في حقِّه سبحانه وتعالى.

فسمّىٰ نفسه حيًّا، كقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥] الآية. ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]

وسمّىٰ بعض عباده حيًّا، كقوله: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ [الأنعام:٩٥] مع العلم بأنه ليس الحي كالحي.

وسمّىٰ نفسه عليمًا، كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام:٨٣].

وسمّىٰ بعض عباده عليمًا، كقوله: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾ [الذاريات:٢٨] مع العلم[3] بأنه ليس العليم كالعليم.

---

(١) المطبوع زيادة: «أهل» وليس في عامة النسخ.
(٢) (ل) زيادة: «بأسماء».
(٣) (د، ط. النيل): «فاعلم».

وسمّىٰ نفسه حليمًا، بقوله: ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٣]

وسمّىٰ بعض عباده حليمًا، بقوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات:١٠١]

وسمّىٰ نفسه رءوفًا رحيمًا، بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣]

وسمّىٰ بعض عباده رءوفًا رحيمًا، بقوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]

وليس الرءوف كالرءوف، ولا الرحيم كالرحيم.

وكذلك سمّىٰ نفسه ملكًا جبّارًا متكبّرًا عزيزًا، وسمّىٰ بعض عباده ملكا، وبعضهم عزيزًا، وبعضهم جبّارًا متكبّرًا، وليس هو في ذلك مماثلًا لخلقه.

وكذلك سمّىٰ بعض صفاته علمًا وقوة وأَيْدًا، وقدرة ورحمة وغضبا، ورضىٰ ويدًا وغير ذلك، وسمّىٰ بعض صفات عباده بذلك، وليس علمه كعلمهم، ولا قوّته كقوّتهم[1]، ولا رحمته وغضبه كرحمتهم وغضبهم، ولا يده كأيديهم.

وكذلك ما أخبر به عن نفسه من استوائه علىٰ العرش، ومجيئه في ظُلَل من الغمام ــ وغير ذلك من هذا الباب ــ ليس استواؤه كاستوائهم، ولا مجيئه كمجيئهم.

وهذه المعاني التي تضاف إلىٰ الخالق تارة وإلىٰ المخلوق أخرىٰ، تُذكَر علىٰ ثلاثة أوجه:

---

(١) المطبوعتان: «قدرته كقدرتهم»، خلاف النسخ، ولكلٍ وجه.

➢ تارة تقيّد بالإضافة إلىٰ الخالق أو بإضافته إليها، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥] الآية. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨]

➢ وتارة تُقيَّد(١) بالمخلوق كقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:١٨]

➢ وتارة تُطلَق مجرَّدة.

فإذا قُيِّدتْ بالخالق، لم تدلَّ علىٰ شيء من خصائص المخلوقين.

فإذا قيل: علم الله وقدرته واستواؤه ومجيئه ويده ونحو ذلك، كانت هذه الإضافة توجب ما يختص به الرب الخالق، وتمنع أن يدخل فيها ما يختص به المخلوق.

وكذلك إذا قيل: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ [المؤمنون:٢٨] كانت هذه الإضافة توجب ما يختص بالعبد وتمنع أن يدخل في ذلك ما يختص بالرب ﷻ.

وإذا جُرِّد اللفظ عن القيود فذُكِر بوصف العموم والإطلاق، تَناول الأمرين كسائر الألفاظ التي تُطلق علىٰ الخالق والمخلوق.

وهذه للناس فيها أقوال(٢).

قيل: إنها حقيقة في الخالق، مجاز في المخلوق، كقول أبي العباس الناشئ(٣).

(١) المطبوع: «تتقيد»، خلاف عامة النسخ.

(٢) تقدم في كلام المصنف الإشارة إلىٰ هذه الأقوال، وبيانها.

(٣) سبقت ترجمته.

وقيل: بالعكس كقول غلاة الجهمية والباطنية والفلاسفة.

وقيل: حقيقة فيهما، وهو قول الجمهور.

ثم قيل: هي مشتركة اشتراكًا لفظيًا[1]، وقيل: متواطئة[2] وهو قول الجمهور.

ثم من جعل المشكِّكة[3] نوعًا من المتواطئة لم يَمتنع عنده ــ إذا قيل: مشككة ــ أن تكون متواطئة، ومن جَعل ذلك نوعًا آخر جعلها مشكِّكة لا متواطئة.

وهذا نزاع لفظي؛ فإن المتواطئة التواطؤ العام، يدخل فيها المشكِّكة؛ إذ المراد بالمشكِّكة: ما يتفاضل معانيها في مواردها، كلفظ الأبيض الذي يقال علىٰ البياض الشديد، كبياض الثلج، والخفيف كبياض العاج، والشديد أولىٰ به.

ومعلوم أن مسمىٰ البياض في اللغة لا يختصّ بالشديد دون الخفيف، فكان اللفظ دالًا علىٰ ما به الاشتراك، وهو المعنىٰ العام الكليّ، وهو متواطئ بهذا الاعتبار، وهو باعتبار التفاضل يسمّىٰ مشكِّكا.

وأما إذا أريد بالتواطؤ، ما تستوي معانيه، كانت المشككة نوعًا آخر.

---

(١) المشترك اللفظي: هو اللفظ الواحد الموضوع لعدة معان وضعًا أولًا، كالعين لمنبع الماء والعضو الباصرة. ينظر: «الإحكام»: (١/ ١٦ ـ ١٧)، و«محك النظر»: (ص/ ١٩).

(٢) اللفظ المتواطئ: كليٌّ له اسم واحد، ومفهوم واحد، ويكون حصول معناه وصدقه علىٰ أفراده الذهنية والخارجية علىٰ السوية، كالإنسان علىٰ زيد وعمرو. ينظر: «التعريفات»: (ص/ ٢٥٢)، و«معيار العلم»: (ص/ ٥٢).

(٣) اللفظ المشكك: كليٌّ له اسم واحد، ومفهوم واحد، لم يتساو صدقه علىٰ أفراده، بل كان حصوله في بعضها أولىٰ، أو أقدم، أو أشد من البعض الآخر، كالوجود. ينظر: «المحصول»: (ص/ ٢٢٧)، «معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم»: (ص/ ١١٩).

لكن تخصيص لفظ المتواطئة بهذا عُرْفٌ حادثٌ، وهو خطأ أيضًا. فإن عامة المعاني العامة تتفاضل، والتماثل فيها في جميع مواردها بحيث لا تتفاضل في شيء من مواردها إما قليل وإما معدوم.

فلو لم تكن هذه الأسماء متواطئة بل مشكِّكة، كان عامة الأسماء الكلية غير متواطئة، وهذا مبسوط في موضع آخر[1].

والمقصود هنا أن الله ﷻ إذا أضاف إلىٰ نفسه ما أضافه إضافةً[2] يختصّ بها، وتمنع أن يَدخُل فيها شيء من خصائص المخلوقين، وقد قال مع ذلك: إنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وإنه ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ وأنكر أن يكون له سميٌّ= كان مَن فَهِم من هذه ما يختص به المخلوق- قد أُتي من سوء فهمه ونقص عقله، لا من قصورٍ في بيان الله ورسوله، ولا فرقَ في ذلك بين صفة وصفة.

فمن فهِم من علم الله ما يختص به المخلوق من أنه عرض محدَث باضطرار أو اكتساب= فمن نفسه أُتِي، وليس في قولنا: (عِلْم الله) ما يدل علىٰ ذلك.

وكذلك من فهم من قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤] الآية. ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:٧٥] ما يختص به المخلوق من جوارحه وأعضائه= فمن نفسه أُتي، فليس في[3] هذا اللفظ ما يدل علىٰ ما يختصّ به المخلوق كما في سائر الصفات.

---

(١) ينظر ما تقدم: (٢/ ٢٧٦)، و«الرد علىٰ المنطقيين»: (ص/ ١٥٥)، و«منهاج السنة»: (٢/ ٥٨٦)، و«مجموع الفتاوىٰ»: (٥/ ٣٣١).

(٢) «إضافة» سقط من (د).

(٣) المطبوعتان زيادة: «ظاهر»، خلاف عامة النسخ.

وكذلك إذا قال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤] مَن فهِم مِن ذلك ما يختصّ بالمخلوق، كما يفهم من قوله: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ [المؤمنون:٢٨]= فمن نفسه أُتي، فإن ظاهر اللفظ يدل علىٰ استواءٍ يضاف[1] إلىٰ الله ﷻ كما يدل في تلك الآية علىٰ استواءٍ يضاف إلىٰ العبد. وإذا كان المستوي ليس مماثلًا للمستوي، لم يكن الاستواء مماثلًا للاستواء.

فإذا كان العبد فقيرًا إلىٰ ما استوىٰ عليه، يحتاج إلىٰ حمله، وكان الرب ﷻ غنيًّا عن كل ما سواه، والعرش وما سواه فقيرًا[2] إليه، وهو الذي يَحمل العرش وحملةَ العرش= لم يلزم إذا كان الفقير محتاجًا إلىٰ ما استوىٰ عليه أن يكون الغنيُّ عن كل شيء وكلُّ شيء محتاجٌ إليه- محتاجًا إلىٰ ما استوىٰ عليه.

وليس في ظاهر كلام الله ﷻ ما يدلّ علىٰ ما يختصّ به المخلوق من حاجةٍ إلىٰ حامل وغير ذلك، بل توهُّم هذا مِن سوء الفهم، لا من دلالة اللفظ.

لكن إذا تخيَّل المتخيِّل في نفسه أن الله مِثْلُه= تخيَّل أن يكون استواؤه كاستوائه، وإذا عَرف أن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله= علِم أن استواءه ليس كاستوائه، ولا مجيئه كمجيئه كما أن علمه وقدرته ورضاه وغضبه، ليس كعلمه وقدرته ورضاه وغضبه[3].

وما بين الأسماء [المتواطئة][4] من [الاشتراك فهو في] المعنىٰ[5] العام

(١) (ل): «مضاف»، وكذا الموضع بعده.

(٢) بالنصب في عامة النُّسخ؛ خبر (كان).

(٣) «ليس كعلمه وقدرته ورضاه وغضبه» سقط من (د).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة؛ يستقيم بها الكلام، وكذا ما بعده.

(٥) (ط. النيل): «كالمعنىٰ».

الكليّ كما بين قولنا: حي وحي، وعالم وعالم. وهذا المعنىٰ العام الكليّ المشترك لا يوجَد ـ عامًّا كليًّا مشتركًا ـ إلا في العِلم والذِّهن، وإلا فالذي في الخارج أمر يختصُّ بالموصوف.

فصفات الرب ﷻ مختصّة به، وصفات المخلوق مختصّة به، ليس بينهما اشتراكٌ ولا بين مخلوق ومخلوق.

الوجه الخامس: قولهم: «لما كان اعتقادهم في الباري جَلَّتْ قدرته أنه غير ذي جسم» استعمالٌ منهم للفظ «الجسم» في القَدْر والغِلَظ، لا في ذي القَدْر والغِلَظ، وهذا أحد مَوْرِدَي استعماله، وهو الأشهر في لغة العامة، فيقولون: هذا الثوب له جسم، وهذا ليس له جسم؛ أي هذا له غِلَظ وكثافة دون هذا.

ولكن النظّار أكثر ما يستعملون لفظ «الجسم» في نفس ذي القَدْر، فيقولون للقائم بنفسه ذي القَدْر: إنه جسم.

وهذا اللفظ لما كثُر استعماله في كلام النظار، تفرّقوا في معانيه لغة وعقلًا وشرعًا، تفرُّقًا ضلّ به كثير من الناس، فإن هذا اللفظ أصله في اللغة هو الجسد.

قال غير واحد من أهل اللغة، كالأصمعي وأبي زيد وغيرهما: الجسم هو الجسد(١).

وهذا إنما يستعمله أهل اللغة فيما كان غليظًا كثيفًا، فلا يُسمُّون الهواء جسمًا ولا جسدًا، ويسمّون بدن الإنسان جسدًا.

---

(١) الصحاح (٥/ ١٨٨٧)، المصباح المنير (ص٩١)، وقد بسط المصنف هذه المسألة في مواضع أخرىٰ؛ ينظر: «الفتاوىٰ»: (٥/ ٢١٥، ٤١٩-٤٣٠)، «منهاج السنة النبوية»: (٢/ ٥٣٠)، وما بعدها، و«بيان تلبيس الجهمية»: (١/ ٥٠٥-٥٦٥).

وقد تقدَّم أن الجسم يراد به نفس الجسد، ويراد به قَدْر الجسد وغِلَظُه، قال تعالىٰ: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة:٢٤٧] وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون:٤]

وقد يراد به هذا وهذا.

ثم إن أهل النظر استعملوا لفظ «الجسم»[١] في أعم من معناه في اللغة، كما فعلوا مثل ذلك في لفظ «الجوهر» ولفظ «العرض» ولفظ «الوجود» ولفظ «الذات» وغير ذلك.

فاستعملوا لفظ «الجسم» فيما يقوم بنفسه وتُمكِن الإشارة الحسية إليه[٢].

ثم تنازعوا نزاعًا عقليًّا فيما يشار إليه، كالهواء والنار والتراب والماء وغير ذلك، هل هو مركب من الجواهر المنفردة التي لا تقبل القسمة، أو من المادة والصورة، أو ليس مركَّبا لا من هذا ولا من هذا؟ علىٰ ثلاثة أقوال قد بُسط الكلام عليها في غير هذا الموضع[٣].

فمن اعترف[٤] أنها مركَّبة من هذا أو هذا[٥]، يلزمه ـ إذا قال: إن الله جسم ـ أن يكون الله مركّبًا من هذا أو هذا، وهذا باطل[٦].

---

(١) المطبوعتان: «الجسد»، خلاف النسخ.

(٢) كذا في (ل) وما استظهرته في (د)، وفي المطبوعتين: «وتمكن الإشارة إليه الحسية المختلفة»، وفي أسلوبه ركاكة.

(٣) تقدم: (٢/ ٢٧٠) وما بعدها، وينظر: «مجموع الفتاوىٰ»: (٥/ ٤٢١)، و«منهاج السنة»: (٢/ ١٣٥، ٥٣٢).

(٤) (ل): «اعتقد».

(٥) (ل): «من هذا».

(٦) كذا في (ل)، وسقط من المطبوعتين قوله: «وهذا باطل»، وموضعه بياض في (د). ويوجَّه بأنه حكمٌ صادر عن المصنف، وما بعده نقلٌ عن غيره، وبهذا ينتفي التكرار.

ولهذا قالوا: إن هذا باطل، وأوجبوا ـ علىٰ أصلهم ـ نفيَ مسمًّىٰ هذا الاسم، وهذا هو المشهور عند هؤلاء.

ومن اعتقد أنه ليس مركّبًا لا من هذا ولا من هذا قال: لا[١] يلزمني إذا قلت: هو جسم= أن يكون مركّبًا.

فمِن هؤلاء مَن أطلق عليه لفظ «الجسم»، وأراد به القائم بنفسه أو الموجود، كما أطلق هؤلاء لفظَ الجوهر، وقالوا: أراد[٢] بالجوهر القائم بنفسه.

وكما قال هؤلاء: ليس في الوجود إلا جوهر أو عرض.

فإن الوجود إما قائم بنفسه، وهو الجوهر. أو بغيره، وهو العرض. والجوهر أشرف القسمين.

وقال الآخرون[٣]: ليس في الوجود إلا قائم بنفسه، وهو الجسم. أو قائم بغيره، وهو العرض. والجسم[٤] أشرف القسمين.

فما[٥] سمَّاه أولئك جوهرًا، سمَّاه هؤلاء[٦] جسمًا، وكلاهما ليست تسميةً[٧] لغويةً ولا شرعيّة.

وإذا قال هؤلاء: هو جوهر لا كالجواهر، كما يقال: هو شيء لا كالأشياء.

---

(١) «لا» ساقط من المطبوع!

(٢) كذا الأصول الخطية، وفي المطبوعتين: «أردنا».

(٣) (د): «آخرون».

(٤) (د): «والجوهر»، تصحيف.

(٥) المطبوعتان: «وقال فما»، وضرب علىٰ «وقال» في (د).

(٦) (د، المطبوعتان): «أولئك»، والمثبت أولىٰ؛ لكونه إشارة لأقرب القولين.

(٧) المطبوعتان: «تسميته» خلاف النسخ.

قال أولئك: هو جسم لا كالأجسام، كما يقال: هو شيء لا كالأشياء.

وإذا قال هؤلاء: الجوهر ينقسم إلىٰ كثيف ولطيف، قال أولئك: والجسم ينقسم إلىٰ لطيف وكثيف.

والمقصود هنا، أن هؤلاء المثبتة[1] نزاعهم مع النفاة قد يكون لفظيًّا، كنزاع النصارىٰ في لفظ «الجوهر»، وقد يكون عقليًّا، كنزاعهم في المشار إليه، هل هو مركّب من الجواهر المنفردة، أو المادة والصورة[2]، أو لا من هذا ولا من هذا.

ومَن قال مِن القائلين بأنه جسم، فيقول: إنه مركّب من الجواهر المنفردة، أو من المادة والصورة، فهؤلاء مذمومون لفظًا ومعنىٰ عند جماهير المسلمين وغيرهم، وإن كان النصارىٰ وغيرهم يعجزون عن الرد علىٰ هؤلاء؛ إذ كان ما يعتمدون عليه في تنزيه الله عن خصائص الأجسام طرقًا ضعيفة لا تثبت علىٰ المعيار العقلي، كما قد بُسط في موضع آخر[3].

بخلاف من كان نزاعه لفظيًّا، فهذا يُذمّ [إما][4] لغة وإما لغة وشرعًا؛ لكونه أَطلق لفظًا لم يأذن به الشرع، أو استعمله في خلافِ معناه اللغوي، كما قد يُذم النافي بمثل[5] ذلك لغة وشرعًا، إذا كان معناه صحيحًا.

وأما من كان من النفاة أو المثبتة نفىٰ حقًّا أو أثبت باطلًا، فهذا مذموم ذمًّا معنويًّا شرعًا وعقلًا.

---

(١) المطبوعتان: «أن هؤلاء الذين نزّهوه عما يمتنع عليه من مماثلة المخلوقين، وسمَّوه جسمًا»، خلاف النسخ الخطية.

(٢) (د): «أو الصورة»، وكذا كان في (ل) ثم ضرب علىٰ الهمزة، وفي المطبوعتين: «من المادة».

(٣) ينظر ما تقدم: (١/ ٣٦١، ٢/ ١٨٥ ـ ٢٠٤، ٢٦٣ ـ ٢٧٧، ٢٨٨ ـ ٣٠٧، ٤٤٦ ـ ٤٦٢)، و«درء التعارض»: (٧/ ٧٨، ٩٥)، و«منهاج السنة»: (٢/ ٥١٣ ـ ٥١٤).

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) المطبوع: «لمثل»، تصحيف.

وأما الشرع، فالرسل وأتباعهم الذين[1] من أمة موسىٰ وعيسىٰ ومحمد ﷺ لم يقولوا: إن الله جسم، ولا إنه ليس بجسم، ولا إنه جوهر، ولا إنه ليس بجوهر.

لكن النزاع اللغويّ والعقليّ والشرعي[2] في هذه الأسماء، هو مما أُحدِث في الملل الثلاث بعد انقراض الصدر الأول من هؤلاء وهؤلاء وهؤلاء.

والذي اتفقت عليه الرسل وأتباعهم، ما جاء به القرآن والتوراة من أن الله موصوف بصفات الكمال، وأنه ليس كمثله شيء، فلا تُمثَّل صفاته بصفات المخلوقين، مع إثبات ما أَثبته لنفسه من الصفات، ولا يُدخَل في صفاته ما ليس منها، ولا يُخرَج منها ما هو داخل فيها.

إذا تبين هذا، فالمسلمون لما كان اعتقادهم بأن الله ـ تعالىٰ[3] ـ موصوف بما وصف به نفسه، وأنه ليس كمثله شيء، وكان ما أثبتوه[4] له من الصفات مما جاءت به الرسل، لم يكن عليهم ملام؛ لأنهم أثبتوا ما أثبته الرسل، ونفَوا ما نفتْه الرسل، فكان في هذا النفي ما يَنفي الوهم الباطل ـ بخلاف من أَثبت أمورًا لم تأت بها الرسل، وضمَّ إليها ما يؤكِّد المعنىٰ الباطل لا ما ينفيه ـ وكان فيما نفوا[5] عنه أنه ليس بجسم مركّب من الجواهر المنفردة، ولا من المادة والصورة[6].

---

(١) (ل): «كالمتقدمين».

(٢) (د): «واللفظيّ».

(٣) (ل): «في الرب تعالىٰ أنه».

(٤) (ل): «أثبته».

(٥) (ل): «فيما نفوه»، والمطبوعتان: «مما نفوا».

(٦) زِيد في هامش (ل) تعليق بخط ناسخه، ونصُّه: «حاشية: لم يُرِد شيخ الإسلام بقوله: «وكان فيما نفَوه أنه ليس بجسم مركب من الجواهر المنفردة ولا من المادة والصورة»= أنه ورد نصٌّ علىٰ نفيٍ بذا المعنىٰ لهذا اللفظ، فلا يعجلْ واقفٌ علىٰ قوله ذلك بقوله: «لَم يَرِد نص بذلك، =

أما علىٰ أحد قولي النظار بل أظهرهما، فإن ما سواه من الموجودات القائمة بأنفسها، ليس مركَّبًا لا من هذا ولا من هذا.

فهو سبحانه أحقّ بتنزيهه عن مثل هذا؛ إذ كل نقص نُفيَ عن المخلوق، فالخالق أحق بتنزيهه منه.

وأما علىٰ القول الآخر، فتارة يقولون: لأن المركب من الجواهر المنفردة يمكن افتراق أجزائه، وذلك ممتنع في حق الله تعالىٰ، وتارة يقولون: لأنه مفتقر إلىٰ أجزائه، وذلك ممتنع في حق الله تعالىٰ؛ إذ جزؤه غيرُه، والمفتقر إلىٰ غيره لا يكون واجبًا بنفسه قديمًا أزليًّا، كما قد بُسط الكلام علىٰ هذه الأمور في موضع آخر[(١)].

ثم منهم من لا يطلق من النفي والإثبات إلا الألفاظ الشرعية، فكما لا يقول: هو جسم وجوهر، لا يقول: ليس بجسم ولا جوهر.

ومنهم من يطلق هذه الألفاظ، وهؤلاء[(٢)] منهم من ينفيها، ومنهم من يثبتها.

وكل من الطائفتين قد يُدخِل في ذلك ما يوافق الشرع، وقد يُدخِل في ذلك ما يخالف الشرع.

= أو أين النص بذلك؟»، ولْيَسْتَقْرِ كلامه إلىٰ آخره فقد بيَّن مقصودَه في قوله هذا، بأن ذلك صفة نقص، والرسل قد نفت النقائص عن الله ونزَّهتْه عنها فقد دخلتْ هذه النقيصةُ في شمول تنزيههم العام لربِّهم سبحانه عن كل نقص. وكلُّ صورةٍ شمِلها عمومُ لفظٍ ـ خبرٍ أو أمرٍ أو نهيٍ ـ يصحُّ أن يقال: أَخبَر بكذا أو أمر بكذا أو نهىٰ عن كذا؛ لدخول تلك الصورة فيَّ عموم اللفظ، وهو دائما ينصُّ علىٰ أن لفظ الجسم والجوهر والمركَّب لا ذِكرَ له في حق الله في الكتاب ولا في السنة لا نفيًا ولا إثباتًا. وفي مقلوب هذه الصفحة ذَكَره»، وهذه الحاشية بتمامها ليست في المطبوع.

(١) في «الرد علىٰ المنطقيين»: (ص٢٢٥)، «درء تعارض العقل والنقل»: (٤/ ٢٤٧)، «منهاج السنة النبوية»: (٢/ ٥٤١) وما بعدها.

(٢) كذا في (د)، وضرب في (ل) علىٰ: «هؤلاء».

وكلٌّ من الطائفتين يدَّعي النظر العقليّ أو اللغويّ، وربما اعتَصم بعضهم بما يظنه دليلًا شرعيًّا.

والغالب عليهم أنهم لا يعتصمون في ذلك بشرع؛ إذ لم يكن في ذلك شرع، وإنما يتكلَّفون تغيير اللغة [التي][1] بُعِث بها الرسول، ثم يَحملون ألفاظه علىٰ ما ابتدعوه من اللغة، كما فعلتْه النصارىٰ في حمل كلام الأنبياء علىٰ ما ابتدعوه من اللغة.

فإن الأنبياء لم يُسمُّوا علم الله وحياته ابنًا وروح قدس ولا ربًّا، فسمَّىٰ النصارىٰ علمه وحياته ابنًا وروحَ قدسٍ وربًّا، ثم حملوا كلام الأنبياء علىٰ ذلك.

كذلك طائفة من أهل الكلام كان السلف يسمونهم الجهمية، أحدثوا تسمية الواحد والأحد ونحوهما لما لا يشار إليه ولا يُميِّز[2] الحسُّ منه شيئًا عن شيء، وهذا خلاف اللغة، فإن أهل اللغة يُسمُّون[3] بالواحد والوحيد والأحد في النفي لما يشار إليه ويُميِّز الحسُّ منه شيئًا من شيء، كقوله تعالىٰ: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾ [المدثر:١١]. فسمَّىٰ الإنسان وحيدًا.

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ﴾ [النساء:١١] فسمىٰ المرأة واحدة[4].

---

(١) في النسخ الخطية: «الذي».

(٢) «لا» ساقط من المطبوع.

(٣) (د): «سمَّوا».

(٤) زيد بعدها في المطبوعتين: «﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾»، والأقرب أن الآية هنا مقحمة؛ لعدم ثبوتها في (ل)، وأما (د) ففي موضعها بياض بدأ من الآية قبلها، وهو أقصر من أن يستوعب الآيتين معًا، ثم إنها مجرَّدة عن التعقيب، مغايرة في عرضها لما قبلها وما بعدها.

وقال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦] فسمَّىٰ المستجير ـ وهو إنسان[1] ـ أحدًا.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤] فنفىٰ أن يكون أحدٌ كفوًا له.

فلو كان ما يُشار إليه لا يسمَّىٰ أحدًا، لم يكن قد نزَّه نفسه[2] عن مماثلة المخلوقات له، فإن المشهود من المخلوقات كلها يشار إليها، فإن لم يَدخل في «أحد»، لم يكن قد نزَّه نفسه عن مماثلتها.

فهؤلاء لما أحدثوا أن مسمَّىٰ الأحد والواحد لا يكون مشارًا إليه، قالوا: والرب قد سمَّىٰ نفسه أحدًا وواحدًا، فيجب أن لا يكون مشارًا إليه.

ولغة الرسول التي خاطب بها الناس لم تكن موافِقة لما ابتدعوه من اللغة.

وكذلك الذين قالوا: «هو جسم» غيَّروا اللغة، وجعلوا الجسم اسمًا لما يشار إليه، أو لكل موجود، أو لكل[3] قائم بنفسه.

ثم قالوا: وهو موجود، أو قائم بنفسه، أو مشار إليه، فيكون جسمًا.

ولا يوجد في اللغة اسم الجسم، لا لهذا، ولا لهذا[4].

وقالوا: لا يلزم من كونه مشارًا إليه أن يكون مركَّبا من الجواهر المفردة، ولا من المادة والصورة.

---

(١) المطبوع: «الإنسان»، خلافًا لعامة النسخ.

(٢) في المطبوعتين «نزهه»، وموضعه بياض في (د)، والمثبت من (ل) وهو الصواب.

(٣) (د، المطبوعتان): «ولكل».

(٤) كذا في النسخ الخطية، وفي المطبوعتين زيادة: «ولا لهذا» وهو أجود.

وقال أولئك: بل يلزم؛ أنَّ[1] كل مركب فإنه[2] يسمّىٰ في اللغة جسما، فيلزم أن يسمَّىٰ جسمًا إذا قلنا: هو مشار إليه، أو يُرىٰ بالأبصار، أو متّصفًا بصفاتٍ تقوم به.

وليس ما ذكروه عن اللغة بمستقيم، فإن أهل اللغة لا يَعنون بالجسم المركّب، بل الجسم عندهم هو الجسد، ولا يُسمُّون الهواء جسمًا.

إذا تبين هذا؛ فتمثيل هؤلاء النصارىٰ باطل، علىٰ كل قول[3] طائفة من طوائف المسلمين.

فإن[4] من يقول: الجسم ـ في اللغة ـ هو المركّب، والله ليس بمركب، فليس بجسم= لا يقولون ما[5] ذكروه من أن الله له وجه يولِّيه إلىٰ كل مكان، وجَنْب ونحو ذلك.

وكذلك من قال: إن الله ليس بمركّب، وسمّاه جسمًا ـ بمعنىٰ أنه قائم بنفسه ـ أو لم يسمِّه جسمًا، لا يقول بذلك أيضًا، ومن حكىٰ عنه أنه[6] يُثبت له خصائصَ الأجسام المركبة، فهؤلاء إن أطلقوا ما نفاه، فلا حجة للنصارىٰ عليهم، وإن لم يطلقوه، فحجتهم أبعد.

فقد تبيّن أنه ليس لهم حجة علىٰ أفسد الناس قولًا في التجسيم، فضلا عن غيرهم.

---

(١) علىٰ تقدير لام التعليل، أي «لأنّ».
(٢) «فإنه» سقط من المطبوع.
(٣) المطبوع: «قول كل».
(٤) في المطبوعتين: «فمنهم»، وفي موضعه طمس في (د)، والمثبت هو الصواب.
(٥) كذا النسخ الخطية، وفي المطبوعتين: «بما».
(٦) «أنه» سقط من المطبوع.

الوجه السادس: أن يقال لهؤلاء النصارىٰ: إما أن تَعْنوا بلفظ الجسم المعنىٰ اللغوي وهو الجسد، وإما أن تَعْنوا به المعنىٰ الاصطلاحي عند أهل الكلام، كالمشار إليه مثلا.

فإن عنَيْتم الأول، لم يلزم من نفي ذلك نفيُ ما ذكرتموه من الصفات لاسيما وأنتم تقولون: إنه جوهر، وقسّمتم الجوهر إلىٰ لطيف وكثيف.

فإذا كان الكثيف هو الجسم، واللطيف جوهر ليس بجسم، لم يمتنع علىٰ مثل هذا أن يكون له ما يناسبه من الصفات كالملائكة، فإن الملائكة لا يمتنع وصفها بذلك، وإن لم تكن أجسامًا علىٰ هذا الاصطلاح، بل هي جواهر روحانية، وكذلك روح الإنسان التي تَخرج منه، لا يمتنع وصفها بما يناسبها من ذلك، وإن كانت ليست[1] بجسم علىٰ هذا التقدير.

فتبيَّن أن نفي مسمّىٰ الجسم اللغوي عن الشيء، لا يمتنع اتصافه بما ذُكِر من الصفات وأمثالها.

وإن عَنَيْتم بالجسم القائم بنفسه أو المشار إليه، لم يمتنع ـ عندكم ـ أن يكون جسمًا، فإنكم سميتموه جوهرا، وعنيتم القائم بنفسه.

فإن قام الدليل علىٰ أن كل قائم بنفسه يشار إليه، كان أيضًا مشارا إليه.

وإن قام دليل علىٰ أنه قائم بنفسه لا يشار إليه، كان جوهرًا وجسمًا عند من يفسِّر الجسم بالقائم بنفسه، ومن فسَّره بالمشار إليه لم يسمَّ عنده جسمًا، فتبيَّن أنه علىٰ ـ أصلكم ـ لا يمتنع أن يُسمَّىٰ جسما مع تسميتكم له جوهرًا، إلا إذا ثبت أن من الموجودات ما هو جوهر قائم بنفسه لا يشار إليه، وهذا لم يقيموا عليه دليلا، وليس هذا قول أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارىٰ،

---

(١) (د، ط. النيل): «ليس».

وإنما هو قول طائفة من الفلاسفة، وقليل من أهل الملل وافقوهم.

ثم يقال لكم: أنتم قلتم: إنه حي ناطق، وله حياة ونطق، بل زِدتُم علىٰ ذلك حتىٰ جعلتموه أقانيم ثلاثة.

ومعلوم أن الحياة والنطق لا تُعقَل إلا صفةً قائمة بموصوف، ولا يُعلَم موصوفٌ بالحياة والنطق إلا ما هو مشار إليه، بل ما هو جسم كالإنسان.

فإن جاز لكم أن تُثبتوا هذه الأعراض في غير جسم، جاز لغيركم أن يثبت المجيء واليد ونحوَ ذلك لغير جسم[1].

وإن قلتم: هذا لا يُعقَل إلا لجسم، قيل لكم: وذلك لا يُعقَل إلا لجسم، فإن رجعتم إلىٰ الشاهد، كان حجة عليكم، وإن جاز لكم أن تثبتوا في الغائب حكمًا علىٰ خلاف الشاهد، جاز لغيركم، وحينئذ فلا تناقض بين ما نفاه المسلمون وأثبتُوه[2]، لو كان ما ذكرتموه عنهم من النفي والإثبات حقًّا علىٰ وجهه، فكيف وقد وقع التحريف في الطرفين؟

الوجه السابع: أن يقال: غاية مقصودكم أن تقولوا: إن المسلمين لما أطلقوا ألفاظًا ظاهرها كفر عندهم؛ لمجيء النص بها، وهم لا يعتقدون ظاهر مدلولها= كذلك نحن أطلقنا هذه الألفاظ التي ظاهرها كفر؛ لمجيء النص بها، ونحن لا نعتقد مدلولها.

فيقال لكم: أولا: إن ما أطلقه المسلمون من نصوص الصفات أطلقتموه أنتم، كما وردت به التوراة، فهذا مشترك بينكم وبينهم، وما اختصصْتم به من التثليث، والاتحاد لم يَشْرَكوكم فيه.

(١) المطبوع: «الجسم»، خلافًا لعامة الأصول.

(٢) المطبوع: «وأثبتموه»، خلاف النسخ.

ثم يقال ثانيًا: إن المسلمين أطلقوا ألفاظ النصوص، وأنتم أطلقتم ألفاظًا لم يَرِد بها نص.

والمسلمون قرنوا[1] تلك الألفاظ بما جاءت به النصوص من نفي التمثيل. وأنتم لم تقرنوا بألفاظكم ما ينفي ما أثبتموه من التثليث والاتحاد.

والمسلمون لم يعتقدوا معنىٰ باطلًا. وأنتم اعتقدتم من التثليث في الأقانيم والاتحاد ما هو معنىٰ باطل.

والمسلمون لم يُسمُّوا صفات الله بأسماء أحدثوا تسمية الصفات بها، وحَملوا كلام الرسل عليها. وأنتم أحدثتم لصفات الله أسماء سميتموه أنتم بها، لم تسمِّه بها الرسل، وحملتم كلام الرسل عليها.

والمسلمون لم يَعدِلوا عن النصوص الكثيرة المحكمة البيِّنة الواضحة إلىٰ ألفاظ قليلة متشابهة. وأنتم عدلتم عن هذا إلىٰ هذا.

والمسلمون لم يضعوا لهم شريعة اعتقاد غير ما جاءت به الرسل. وأنتم وضعتم شريعة اعتقاد غير ما جاءت به الرسل.

والمسلمون لم يقولوا قولًا لا يُعقل. وأنتم قلتم قولا لا يُعقل.

والمسلمون لم يتناقضوا، فيجعلوا الإله واحدًا. وتجعلونه[2] اثنين، بل ثلاثة، وأنتم تناقضتم.

فهذه الفروق وغيرها مما يبيِّن فساد تشبيهكم أنفسكم بالمسلمين.

---

(١) (ل): «قد قرنوا».

(٢) كذا استظهرته في (د) وهو كذلك في (ط. النيل)، وفي (ل، المطبوع): «ويجعلونه»، لحن! ويظهر أنها رسمت ابتداءً: «وتجعلونه» بالتاء علىٰ الاستئناف، ثم توهَّم الناسخُ أنها بالياء، فصوّبها كذلك، وذهل عن جزمها بحذف النون؛ عطفًا علىٰ ما قبلها.

الوجه الثامن: قولكم: وكذلك[1] ـ نحن النصارىٰ ـ العلةُ في قولنا: «إن الله ثلاثة أقانيم، أب، وابن، وروح قدس»؛ أن الإنجيل نطق به.

فيقال لكم: هذا باطل[2]؛ لم ينطق لا[3] الإنجيل ولا شيء من النبوات بأن الله ثلاثة أقانيم، ولا خص أحد من الأنبياء الرب بثلاث صفات دون غيرها، ولا قال المسيح ولا غيره: إن الله هو الأب والابن وروح القدس، ولا إن له أقنومًا هو الابن، وأقنومًا هو روح القدس. ولا قال: إن الابن كلمته أو علمه أو حكمته أو نطقه، وإن روح القدس حياته، ولا سمَّىٰ شيئًا من صفاته ابنًا ولا ولدًا. ولا قال عن شيء من صفات الرب إنه مولود، ولا جعل القديم الأزلي مولودًا. ولا قال ـ لا عن قديم ولا مخلوق ـ: إنه إله حق من إله حق. ولا قال[4] عن صفات الله إنها آلهة، وإن الكلمة إله والروح إله. ولا قال إن الله اتَّحد ـ لا بذاته ولا بصفاته ـ بشيء من البشر، بل هذا كله مما ابتدعتموه وخرجتم به عن الشرع والعقل، فخالفتم الكتب المنزلة والعقول الصريحة، وكنتم ممن قيل فيه[5]: ﴿لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

فإنكم أنتم الذين سمَّيتم نُطق الله[6] ابنًا، وقلتم: سمَّيناه ابنًا؛ لأنه تولَّد منه كما يتولَّد الكلام من العقل، فكان ينبغي أيضًا أن تُسمُّوا حياته ابنًا؛ لأنها منبثقة منه ومتولِّدة عنه أيضًا؛ إذ لا فرق بين علم الرب وحياته.

---

(١) (ل) زيادة: «أيضا».

(٢) المطبوعتان زيادة: «لأنه»، وليست في النسخ.

(٣) (ل): «به».

(٤) «قال» ليس في (ل).

(٥) المطبوع: «فيهم»، وزيد بعده صدر الآية: «وقالوا»، خلافًا لعامة الأصول.

(٦) كذا في عامة النسخ الخطية والمطبوعة، ولعل الصواب: «عِلْم الله»؛ ليوافق سياق الكلام، وسيأتي بعد ورقتين ما يدل عليه.

فعلمه لازم له وحياته لازمة له، فلماذا جعلتم هذا ابنا دون هذا!

وقلتم: إنه مولود من الله، وإنه قديم أزلي، وأنتم تعترفون بأن أحدًا من الأنبياء لم يُسمَّ علم الله ولا كلامه ولا حكمته مولودًا منه.

والذي يَعقِلُه الخلق في المولود الذي يولد من غيره ـ كما يتولّد العلم والكلام من نفس الإنسان ـ أنه حادث فيه[1] أو منفصل عنه، لا يَعقِل أنه قائم به، وأنه[2] قديم أزلي.

ثم قلتم في أمانتكم: إنه تجسَّمَ من روح القدس، أو منه ومن مريم.

وهو إنما تجسَّمَ عندكم من الكلمة الذي[3] سمَّيتموها الابن دون روح القدس.

وإن كان تجسَّم من روح القدس، فيكون هو روح القدس، لا يكون هو الكلمة التي هي الابن.

ثم تقولون: هو كلمة الله وروحه، فيكون حينئذ[4] أقنومين، أقنوم الكلمة وأقنوم الروح، وإنما هو أقنوم واحد عندكم[5].

فهذا تناقض وحَيْرة، تجعلونه الابن الذي هو الكلمة، وهو أقنوم الكلمة فقط. وتقولون: تجسم من روح القدس، ولا تقولون: إنه تجسم من الكلمة.

---

(١) (ل): «حادث منه أو منفصل منه»، ردًّا إلىٰ المولود، ولعل المثبت أولىٰ؛ لمناسبته المثالين قبله، فالعلم حادث فيه، والكلام منفصل عنه.

(٢) المطبوعتان زيادة: «متولد منه»، والصواب حذفها كما في النسخ الخطية، لنقضها ما قبلها.

(٣) المطبوعتان: التي، وهو أجود.

(٤) (ل): «جسد».

(٥) المطبوعتان: «هو عندكم أقنوم واحد».

وتقولون: هو كلمة الله وروحه، والكلمة والروح أقنومان.

ولا تقولون: إنه أقنومان، بل أقنوم واحد.

وتقولون: إنه خالِق العالم، والخالق هو الأب. وتقولون: ليس هو الأب.

وتقولون: إله حق من إله حق، وتقولون: إله واحد[1] ساوىٰ الأب في الجوهر.

وتقولون: ليس له مِثل. وليس شيءٌ[2] من هذا في كلام أحد من الأنبياء، فكيف تشبهون أنفسكم بمن اتّبع نصوص الأنبياء، ولم يحرّفها؟

وغاية ما عندكم ما وجد في إنجيل «متىٰ» دون سائر الأناجيل من أن المسيح ـ عليه السلام ـ قال: «**عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح[3] القدس**».

وأنتم قد عرفتم في كلام المسيح وغيره من الأنبياء أنهم لا[4] يريدون بالابن صفة الله، لا كلامه ولا علمه ولا حكمته.

ولا يريدون بالابن[5]: إله حق من إله حق، ولا مولود قديم أزلي، بل يريدون به وليَّه، وهو ناسوت لا لاهوت، كيعقوب والحواريين.

ولا يريدون بروح القدس نفس حياة الله، ولا يريدون به أنه رب حي، وإنما يريدون بها الملك أو ما ينزِّله الله علىٰ قلوب أنبيائه وأصفيائه من الهدىٰ والتأييد ونحو ذلك.

---

(١) (ل) زيادة: «وتقولون».

(٢) «شيء» سقط من (د).

(٣) المطبوع: «الروح»؛ خلافًا للنسخ. والنص في «متىٰ»: (٢٨: ١٩)، وقد سبق مرارًا.

(٤) «لا» سقط من المطبوع!

(٥) (ل) «أن الابن»، وكذا كان في (ل)، ثم أصلح إلىٰ ما أثبتّه.

فروح القدس يكون عندكم وعند المسلمين في الأنبياء وغيرهم، كما كانت في داود وغيره وكانت في الحواريين.

فلو قُدِّر أن لفظ «الابن» وُجد في كلام المسيح مستعملًا تارة في كلمة الله، وتارة في وليِّه الناسوت، و«روح القدس» مستعملا تارة في حياته، وتارة فيما ينزله[1] علىٰ قلوب أنبيائه= كان جزمكم بأنه أراد بذلك هنا صفات الله جزمًا باطلا.

فما وُصِف به المسيح من أنه ابن الله، ومِن أنّ روح القدس فيه= قد وُصف به غيره من الأنبياء والصالحين.

فإن كان الابن وروح القدس صفتين لله، وجب أن يكون غير المسيح لاهوتًا وناسوتًا كالمسيح، إذ الذي حلَّ في المسيح حلَّ في غيره[2].

ثم جزمُكم بأن هذه الصفات أقانيم، وأنه ليس لله صفات ذاتية أو جوهرية أو نحو ذلك إلا هذه الثلاثة، ثم تفرَّقتم في الثلاثة، هل المراد بالأقانيم الوجود[3] والعلم والحياة، أو الحكمة أو الكلام[4]، أو النطق بدل لفظ العلم، أو المراد الوجود والعلم والقدرة، بدل الحياة، أو المراد الوجود والحياة والقدرة، أو المراد الوجود مع الحياة والعلم والقدرة؟ إلىٰ أقوال أخرىٰ يطول أمرها.

---

(١) (ل): «نزله».

(٢) (ل) زيادة: «كان جزمكم بأنه أراد بذلك هنا صفات الله جزما باطلا، وروح القدس مستعملا تارة في حياته، وتارة فيما ينزله علىٰ قلوب أنبيائه»، وهي في (د) مضروبًا عليها، وقد تقدمت ـ قبل أسطر ـ بلفظها.

(٣) (ل): «الموجود»، وفي المواضع الثلاثة بعده، وكذا كان في (د) قبل كشط الميم.

(٤) المطبوعتان: «والكلام»، خلافًا للنسخ الخطية.

فيا ليت شعري، ما الذي أراد المسيح بلفظ الأب والابن وروح القدس من هذه الأمور التي اختلفتم فيها، لو كان مراده ما ادَّعيتموه من الأقانيم؟ والأقانيم ـ لفظًا ومعنىٰ ـ لا يوجد في كلام أحد من الأنبياء، بل قيل فيها: إنها لفظة رومية، يفسِّرونها تارة بالأصل، وتارة بالشخص، وتارة بالذات مع الصفة، ويفسرونها تارة بالخاصة، وتارة بالصفة.

فهلا تركتم كلام المسيح علىٰ حاله، ولم تحرِّفوه هذه التحريفات.

ولقد أحسن بعض الفضلاء إذ قال: لو سألت نصرانيا وابنه وابن ابنه[1] عما يعتقدونه، لأخبرك كل واحد بعقيدةٍ تخالف عقيدة الآخر؛ إذ كان أصل اعتقادهم جهلا وضلالا، ليس معهم علم لا نقل ولا عقل[2]، فهم كما قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحج:٨] ليس معهم بما اعتقدوه من التثليث والاتحاد علم، بوجهٍ من الوجوه فضلا عما هو أخصّ من ذلك، وهو عِلمٌ يهتدون به، فليسوا بمهتدين فضلًا عما هو أخص من الهدىٰ وهو «كتاب منير»، فليس معهم به كتاب منير.

ولو تكلّمتم بهذا الكلام، وقلتم: لا نفهم معناه، أو ظاهرُه باطل، وله تأويل مقبول، كما حكيتموه عمن تشبَّهتم به من المسلمين من أنه يقوله في الصفات= لكان هذا أقرب إلىٰ القياس.

فكيف والأمر بعكس ما ذكرتم؟

وذلك يتبين بالوجه التاسع: وهو أنكم إنما ضللتم بعُدولكم عن صريح كلام الأنبياء وظاهره، إلىٰ ما تأولتموه عليه من التأويلات التي لا يدل عليها

---

(١) (ل): «وامرأته من النصارىٰ».

(٢) (ل): «لا عقل ولا نقل».

لفظُه، لا نصًّا ولا ظاهرًا، فعدَلْتم عن المحكم واتّبعتم المتشابه؛ ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.

فلو تمسكتم بظاهر هذا الكلام، لم تضلّوا، فإن الابن ظاهره في كلام الأنبياء، لا يُراد به شيء من صفات الله، بل يُراد به وليُّه وحبيبه ونحو ذلك، وروح القدس لا يُراد به صفته، بل يُراد به وحيه وملكه ونحو ذلك، فعدَلتم عن ظاهر اللفظ ومفهومه إلىٰ معنىً لا يدل عليه اللفظ البتّة، فكيف تدّعون أنكم اتبعتم نصوص الأنبياء؟

الوجه العاشر: أنكم بالغتم في ذمّ المسيح وإنجيله، كما بالغتم في سبّ الله وشتمه، وإن كنتم لا تعلمون أن ذلك ذم، فلم ترضَوا أن تجعلوا ظاهر كلام المسيح ما أنتم عليه من الكفر حتىٰ جعلتم ظاهره كفرًا لا ترضونه، مثل ثلاثة آلهة متفقة أو متفرّقة، أو ثلاثة أجسام مؤلّفة، أو ثلاثة أجزاء مفرّقة، أو ثلاثة أشخاص مركّبة.

فهذا ونحوه هو الذي ادَّعيتم أنه ظاهر كلام المسيح ـ عليه السلام ـ.

وأنتم لا تقولون بهذا الظاهر، بل تُكفّرون قائله، كما يُكفّر المسلمون من يقول بالظاهر الذي هو التجسيم والتمثيل.

وهذا مما[1] يتضمَّن أن كلام المسيح ظاهرٌ في إثبات ثلاثة آلهة، وثلاثة أشخاص[2] مؤلّفة، وثلاثة أجزاء متفرّقة[3]، وثلاثة أشخاص مركّبة، كما زعمتم أن ظاهر القرآن التجسيم، وأنكم عدَلتم عن هذا الظاهر إلىٰ إثبات

---

(١) المطبوع: «ما»، خلاف النسخ.

(٢) (ل): «أجسام»، وكذا كانت في (د)، وأصلحت إلىٰ ما أثبته.

(٣) (ل): «مفترقة».

الأقانيم الثلاثة التي جعلتم فيها كلمة الله هي ابنه، وهو جوهرٌ خالق يساويه في الجوهر، وأن المسيح هو هذا الابن المساوي للأب في الجوهر خالق العالمين، وديَّان يوم الدين، والجالس فوق العرش عن يمين الرب، وأنه إله حق من إله حق، والروح أيضا إله ثالث، والآلهة الثلاثة إله واحد.

وهذا الذي ذكرتموه فيه من عيب المسيح وذمِّه ما يَنتصر الله به للمسيح [ممن](١) افترىٰ عليه منكم ومن غيركم.

فإن المسيح عليه السلام - علىٰ قولكم - لم يُفصِح لكم بأمانةٍ تعتقدونها، ولا بتوحيدٍ تعرفون به ربكم - عز وجل - بل تكلَّم بما ظاهره إثبات ثلاثة آلهة، وثلاثة أجسام مركبة، وثلاثة أجزاء مفترقة(٢)، وأنكم أنتم أصلحتم ذلك حتىٰ جعلتموه ثلاثة أقانيم، ووضعتم(٣) تلك الأمانة المخالِفة لعقول ذوي العقول، ولكل كتابٍ جاء به رسول، مع أن المسيح لم يَنطق بتثليثٍ قط، ولا باتحاد، ولا بما يدل علىٰ ذلك.

وعمدتم(٤) علىٰ ما نقله «متَّىٰ» عنه دون الثلاثة أنه قال: «**عمِّدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس**».

وهذا الكلام ظاهره(٥)، بل نصُّه حجة علىٰ خلاف قولكم، وأنه أراد بالابن نفسه، وهو الناسوت، لم يُرد به صفة الله، وأراد بروح القدس ما أيده الله به، أو روح القدس الذي نفخ في أمه حتىٰ حبلت به، لم يُرد به صفة الله تعالىٰ.

---

(١) النسختان الخطيتان وط. النيل: «ولمن»! والصواب ما أثبت.

(٢) المطبوعتان: «متفرِّقة»، خلاف النسخ.

(٣) (د، ط. النيل): «ووضع».

(٤) كذا، ولعل الصواب: «واعتمدتم».

(٥) المطبوع: «ظاهرٌ»، خطأ.

فتأوَّلتم كلامه علىٰ خلاف ظاهره، تأويلًا يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول، فكيف تدَّعون أنكم تمسَّكتم بظاهر كلامه؟

ولما كان قول النصارىٰ في التثليث متناقضًا في نفسه لا حقيقة له، صار مجرَّدُ تصوُّره التام كافيًا في العلم بفساده من غير احتياج إلىٰ دليل، وإن كانت الأدلة تُظهِر فسادَه[1].

ولهذا سلك طائفة من العلماء في الكلام معهم هذا المسلك، وهو أن مجرَّد تصوُّر مذهبهم كافٍ في العلم بفساده، فإنه غير معقول.

وقالوا: إن النصارىٰ ناقضت في اللفظ وأحالت في المعنىٰ، فلا يجوز أن يُعتقَد ما يَدَّعون انتحاله[2]؛ لتناقضه.

وذلك أنهم يزعمون أن الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة، وهذا لا يصح اعتقاده؛ لأنه لا يجوز أن يَعتقد المعتقد في الشيء أنه ثلاثة، مع اعتقاده فيه أنه واحد؛ لأن ذلك متضاد.

وإذا كان ذلك كذلك، فليس يخلو من أن يَعتقد أنه ثلاثة، أو أنه واحد. وليس يحتاج أن يَعرف بدليلٍ بطلانَ قولِ من ادَّعىٰ أن الواحد ثلاثة، وأن الثلاثة واحد؛ لأن ذلك لا يُعقَل.

وهو كمن ادّعىٰ في الشيء أنه موجود معدوم، أو قديم محدث، أو في الجسم أنه قائم قاعد، متحرّك ساكن.

وإذا كان كذلك، فتناقضُه أظهر من أن يُحتاج فيه إلىٰ دلالة.

---

(١) (د، المطبوعتان): «تَظْهَر بفساده».

(٢) (ل): «استحاله».

وإذا قال النصارىٰ: إنه أَحدِيُّ الذات ثُلاثِيّ الصفات.

قيل: لو اقتصرتم علىٰ قولكم: إنه واحد وله صفات متعددة، لم يُنكِر ذلك عليكم جمهورُ المسلمين، بل يُنكِرون تخصيص الصفات بثلاث، **فإن هذا باطل من وجوه متعددة:**

منها: أن الأب عندكم هو الجوهر ليس هو صفة، فلا يكون له صفة إلا الحياة والعلم، فيكون جوهرًا واحدًا له أقنومان، وأنتم جعلتم ثلاثة أقانيم.

ومنها: أن صفات الرب لا تنحصر في العلم والحياة، بل هو موصوف بالقدرة وغيرها.

ومنها: أنكم تارة تفسِّرون روح القدس بالحياة، وتارة بالقُدرة، وتارة بالوجود.

وتفسِّرون الكلمة تارة بالعلم، وتارة بالحكمة، وتارة بالكلام.

فبطلان قولكم في إثبات ثلاث صفات كثيرٌ، وأنتم مع هذا تجعلون كل واحدة منها إلهًا. فتجعلون الحياة إلهًا، والعلم إلهًا، وهذا باطل.

وأما من لم يُثبِت الصفات من المسلمين وغيرهم، فيردُّون عليكم من وجوه أخرىٰ:

قالوا: فإن قيل[1]: ألستم تقولون: إن الأبعاض الكثيرة تكون إنسانًا واحدًا، والآحاد الكثيرة عشرة واحدة، والأجسام الكثيرة دارًا واحدة ومدينة واحدة، وما جرىٰ هذا المجرىٰ مما هو أكثر من أن يُحصىٰ، وأظهرُ من أن

(١) المطبوعتان: «كقول بعضهم: إذا قيل»، خلافًا للنسخ الخطية. وضمير «قالوا» عائد لمن لم يثبت الصفات من المسلمين.

يخفىٰ. فكيف عِبْتم ذلك من النصارىٰ؟ ولِـمَ أنكرتم أن يكون ثلاثةُ أقانيم جوهرًا واحدًا؟

قيل: إن قولنا: إنسان واحد، ودار واحدة، وعشرة واحدة، وما يجري هذا المجرىٰ، أسماء تنبئ[1] عن الجمل لا عن آحاد.

وإذا قلنا: إنسان واحد، فكأنا قلنا: جملة واحدة، وكذلك إذا قلنا: عشرة واحدة، لا أنا نثبته واحدًا في الحقيقة.

كيف ونحن نقول: إن أبعاض الإنسان متغايرة، فكلُّ بعضٍ منها غير سائرها، وكذلك كل واحد من العشرة غير سائرها؟

فنحن وإن قلنا: إنسان واحد، فلسنا نثبته شيئًا واحدًا في نفسه، ولو ثبَّتنا[2] ذلك= لتناقضنا مناقضة النصارىٰ، وإنما قلنا: هي جملة واحدة، ولو قالت النصارىٰ مثل ذلك= لم تناقض[3]، حتىٰ يزعموا أنها ثلاثة أشياء جملة واحدة.

فيكون مرادهم في ذلك بوصفهم الأقانيم الثلاثة بأنها جوهر واحد= مما نريد بقولنا: الأبعاض الكثيرة= أنه إنسان واحد.

فيكون وصفهم لها بأنها جوهر، إنما يُنبِئ أنها جملة، وليس هذا مما يذهبون إليه، ولا يعتقدونه ولا يجعلون له معنىٰ؛ لأنهم لا يعطون حقيقة التثليث= فيثبتون الأقانيم الثلاثة متغايرة، ولا حقيقة التوحيد= فيثبتون القديم واحدًا ليس باثنين ولا أكثر من ذلك.

---

(١) (ل): «تبنىٰ».

(٢) كذا الأصول، والمطبوع: «أثبتنا».

(٣) كذا في النسخ الخطية، علىٰ حذف إحدىٰ التاءين، أو هو «تُناقَض» أي تُعارَض. وفي المطبوعتين: «تتناقض» علىٰ الجادّة، لولا مخالفة الأصول!

وإذا كان[1] كذلك، فما قالوه هو شيء لا يُعقَل، ولا يصلح اعتقاده، ويمكن أن يعارضوا علىٰ قولهم بكل حال.

فيقال لهم: إذا جاز عندكم أن تكون ثلاثة أقانيم جوهرًا واحدًا، فلِمَ لا يجوز أن تكون ثلاثةُ آلهة جوهرًا واحدًا، وثلاثةُ فاعلين جوهرًا واحدًا، وثلاثة أغيار جوهرًا واحدًا[2]، وثلاثة أشياء جوهرًا واحدًا، وثلاثة قادرين جوهرًا واحدًا، وكل ثلاثة أشياء جوهرًا واحدًا، وكل ما يجري هذا المجرىٰ من[3] المعارضة؟ فلا يجدون فصلًا.

الوجه الحادي عشر: أن غلاة المجسّمة الذين يكفِّرهم المسلمون أحسنُ حالًا منكم شرعًا وعقلًا، وهم أقل مخالفة للشرع والعقل منكم.

وإذا[4] كان هؤلاء خيرًا منكم، فكيف تشبِّهون أنفسكم بمن هو خير من هؤلاء= من أهل السنة من المسلمين[5] الذين لا يقولون لا بتمثيل ولا بتعطيل؟

وبيان ذلك: أن التوراة والإنجيل وسائر كتب الله وغيرَ ذلك مما هو مأثور عن الأنبياء= فيه نصوص كثيرة صريحة ظاهرة واضحة في وحدانية الله، وأنه لا إله غيره، وهو مسمّىٰ فيها بالأسماء الحسنىٰ، موصوف بالصفات العلىٰ، وأن كل ما سواه مخلوق له، ليس فيها[6] تثليثٌ ولا اتحاد الخالق بشيء من المخلوقات، لا المسيح ولا غيره.

---

(١) المطبوعتان زيادة: «ذلك» وليس في النسخ.

(٢) «وثلاثة أغيار جوهرًا واحدًا» ملحقة هنا في (د)، ومؤخرة في (ل) بعد ثلاث جُمَل.

(٣) (د، ل): «في».

(٤) كذا في (ل)، ولم تحرر في (د)، والمطبوعتان: «فإذا».

(٥) «من المسلمين» ليست في (د).

(٦) المطبوع: «فيه» خلافًا للأصول.

وفيها ألفاظٌ قليلة مشكلة متشابهة، وهي ـ مع ذلك ـ لا تدلّ علىٰ ما ذكرتموه من التثليث والاتحاد، لا نصًّا ولا ظاهرًا، ولكن بعضها يحتمل بعض ما قلتم، وليس فيها شيء يحتمل جميع ما قلتم، فضلًا عن أن يكون ظاهرًا فيه أو نصًّا، بل بعضها يحتمل بعض قولكم.

فأخذتم ذلك المحتمل وضمَمْتم إليه من الكفر الصريح والتناقض القبيح ما صيَّرتموه أمانة لكم؛ ـ أي عقيدة إيمان لكم ـ.

ولو كانت كلُّها تحتمل جميع ما قلتم= لم يَجز العدول عن النصِّ والظاهر[1] إلىٰ المحتمل، ولو كان بعضها ظاهرًا فيما قلتم= لم يجز العدول عن النصوص الصريحة إلىٰ الظاهر المحتمل.

ولو قُدِّر أن فيها نصوصًا صريحة قد عارضها[2] نصوصٌ أخرىٰ صريحة= لكان الواجب أن يُنظَر[3] بنور الله الذي أيَّد به عبادَه المؤمنين، فيتَّبعون أحسن ما أنزل الله، وهو المعنىٰ الذي يوافق صريحَ المعقول وسائر كتب الله ﷻ.

وذلك النص الآخر إن فهموا تفسيره؛ وإلا فوَّضوا معناه إلىٰ الله تعالىٰ، إن كان ثابتًا عن الأنبياء.

وهؤلاء عدَلوا عمّا يُعلَم بصريح المعقول[4]، وعمّا[5] يُعلم بنصوص الأنبياء الكثيرة، إلىٰ ما يَحتمله بعض الألفاظ لموافقته[6] لهواهم، فلم يتبعوا:

---

(١) (ل): «الظاهر».
(٢) المطبوع: «عارضتها»، خلافًا للأصول.
(٣) المطبوع: «يَنظروا»، خلافًا للنسخ الخطية والمطبوعة.
(٤) (ل): «العقول».
(٥) (د): «وعما» سقط من (د).
(٦) (ل): «بموافقته».

﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم:٢٣].

وأما كفار المجسِّمة، فهؤلاء أعذرُ وأقلُّ كفرًا من النصارىٰ، فإن هؤلاء يقولون ـ كما يقوله معهم النفاة ـ: إن ظواهر جميع الكتب هو التجسيم، ففي التوراة والقرآن من الآيات التي ظاهرها التجسيم ما لا يحصىٰ.

وليس فيها نصٌّ بما يقوله النفاة من أن الله ليس بداخل العالم ولا خارجه، ولا متصل به ولا منفصل عنه، ولا هو فوق العرش، ولا يُشار إليه، ولا يَصعد إليه شيء، ولا يَنزل منه شيء، ولا يَقرُب إليه[1] شيء، ولا يدنو من شيء، ولا يدنو إليه شيء، إلىٰ نحو ذلك من النفي الذي يقوله نفاة الصفات.

فمعلوم أنه ليس في الكتب الإلهية ـ لا التوراة ولا الإنجيل ولا الزبور ولا القرآن ولا غير ذلك من النبوات ـ من هذا حرف واحد، وكلها مملوءةٌ بما[2] يقول هؤلاء: إنه تجسيم.

فيقول هؤلاء: نحن اتَّبعنا نصوص الأنبياء، ولم نعدِل عنها إلىٰ غيرها، ولم نجد في نصوصهم نصًّا محكمًا صريحًا بالنفي الذي يقوله نفاة الصفات.

ووجدنا نصوصهم كلها بالإثبات الذي يقولون: إنه تجسيم.

فكان علىٰ قولنا وقولهم: نصوص الأنبياء ظاهرة في التجسيم، وليس لهم نصٌّ يناقض ذلك، فاتَّبعنا نصوصهم، وكل من عارض إثبات الصفات، لم يعارضْها بنصوص صريحة عن الأنبياء، لكن بحجج عقلية.

فيقول هؤلاء: إن النصارىٰ خالفوا صريح المعقول، وصريح كلام الأنبياء، واتبعوا قليلا من متشابه كلامهم، ونحن اتبعنا نصوص الأنبياء، ولم نخالف شيئا من

---

(١) المطبوعتان: «منه».

(٢) كذا في (ل)، وما استظهرته في (د)، وفي المطبوعتين: «مما».

صرايح[1] نصوصهم، ولكن مخالفنا يقول[2]: إنا خالفنا العقل.

ونحن ننازعه في ذلك، وندَّعي أن العقل معنا لا علينا، وأن ما يدَّعيه من المعقولات التي تُعارِض كلام الأنبياء= فهي باطلة.

أو يقولون: نحن والنصارىٰ متفقون علىٰ أنا لا نعارض كلام الأنبياء بالشُّبه العقلية، لكن نحن اتّبعنا كلامَهم المحكم الظاهر الكثير، الذي[3] لا مخالف له في[4] كلامهم.

وهم خالفوا كلامهم الكثير المحكم، واتبعوا قليلًا من المتشابه.

ويقول الغلاة من هؤلاء الذين يكفِّرهم أئمة المسلمين وجمهورهم الذين[5] يُحكىٰ عنهم أن الله ينزل إلىٰ الأرض عشيّة عرفة، فيعانِق المشاة ويصافح الركبان، وأنه يتمشّىٰ[6] في الأرض، يكون موطئ أقدامه مروجًا، ونحو ذلك[7]: ليس هذا القول بأعجب من قول النصارىٰ الذين يقولون: إنه هو المسيح، وأن اللاهوت والناسوت اتحدا.

---

(١) المطبوع: «صريح»، خلافًا للنسخ الخطية والمطبوعة، وهو فيها جمع «صريح»، مثل: «جليد، وجلائد». وجَمْعه بهذه الصيغة للخيل غالبًا، والصريح: الخالص من كل شيء. «مقاييس اللغة»: (٣/ ٣٤٧)، «القاموس المحيط»: (ص٢٩٢).

(٢) (ل): «مخالفينا تقول».

(٣) المطبوع: «الذين»، تصحيف.

(٤) (د، المطبوعتان): «من».

(٥) (ل): «جمهور المسلمين الذين»، وفي المطبوع: «الذي»، تصحيف.

(٦) (ل): «يمشي».

(٧) وهم المجسِّمة، غلاة المثبتة، ووضعوا في هذا المعنىٰ حديثَ الجمل الأورق المشهور. ينظر: «الموضوعات» لابن الجوزي: (١/ ١٢٤)، و«اللآلئ المصنوعة»: (١/ ٣١، ٣٢)، و«تنزيه الشريعة»: (١/ ١٣٨، ١٣٩). و«العرش» للذهبي: (١/ ١٣٤، ١٣٥)، و«المنتقىٰ من منهاج الاعتدال» له: (ص/ ١١٦)، و«درء تعارض العقل والنقل»: (٥/ ٢٢٥)، (٧/ ٩٣).

فنحن نقول أيضا: إنه حلَّ في بعض الأجساد المخلوقة، كما يقوله النصارىٰ.

أو نقول: إنه تجسّد كما تتجسد الملائكة والجن، وهذا أقرب[1] من قول النصارىٰ: إنه اتحد بجسم المسيح.

فإنا قد عهدنا اللطائف من الملائكة تظهر[2] في صورة بشريّة، ولم نعهد ملكًا صار هو والبشر شيئًا واحدًا.

فإذا لم يَجز أن يتّحد الملك بالبشر، فكيف يجوز أن يتّحد رب الخلائق كلهم بالبشر؟

قالوا: وقد يحلّ الجنيُّ في بدن الإنسيّ ويتكلّم علىٰ لسانه، إلا أنهما جوهران ومشيئتان وطبيعتان، ليس بينهما اتحاد، لكنه دخل فيه وتكلم علىٰ لسانه.

والنصارىٰ يقولون: إن رب العالمين اتّحد بالبشر؛ فمنهم من يقول[3]: جوهر واحد. ومنهم من يقول: شخص واحد وأقنوم واحد. ومنهم من يقول: مشيئة واحدة. فلابد لكلٍّ منهم من نوعِ اتحاد، وهذا أبعد من حلول الجنّيّ في الإنسيّ، فإذا كان ما يقولونه يَمتنِع في[4] الجنّ والملائكة، فكيف برب العالمين؟

ومن غلاة المجسِّمة اليهود، من يُحكىٰ عنه أنه قال: «إن الله بكىٰ علىٰ

(١) (ل): «أقوىٰ».
(٢) (د): «تُصور»، والمطبوعتان: «تتصور»، خلاف النسخ. وفي (ل): «صُوَر».
(٣) (ل) زيادة: «هو».
(٤) (ل): «يمتنع عن»، والمطبوعتان: «ممتنعًا في».

الطوفان حتىٰ رمد وعادتْه[1] الملائكة، وأنه ندِم حتىٰ عضَّ يده وجرىٰ منه الدم»[2]، وهذا كفر واضح[3]، ولكن يقولون: قولنا خير من قول النصارىٰ؛ فإن النصارىٰ يقولون: إنه أُخذ وضُرِب بالسياط، وبُصِق في وجهه، ووُضِع الشوك علىٰ رأسه كالتاج، وصُلب بين لصَّين، وفُعِل به مِن[4] أقبح ما يُفعَل باللصوص قطّاع الطريق.

وقد صرّح كثيرٌ منهم بأن هذا فُعِل باللاهوت والناسوت جميعًا.

وشريعة إيمانهم تدلّ علىٰ ذلك، وهو لازمٌ لمن أنكر ذلك منهم، فإنه مع القول بالاتحاد الذي لا بُدَّ لطوائفهم الثلاثة منه= يَمتنِع أن تَحُلَّ هذه[5] العقوبات في هذا دون ذاك، فلا يُمكن أن يَحُل في الناسوت دون اللاهوت، فإن هذا إنما يُتصوّر إذا كان اثنين، ومن قال بالاتّحاد، امتنع عنده أن يكون هناك اثنان.

وفي الجملة؛ فالنصارىٰ الـمُثَلِّثة، إما أن يصرّحوا بالاتحاد من كل وجه كاليعقوبية، وهؤلاء يصرّحون بأن الآلآم حلّت باللاهوت.

وإما أن يقولون[6] بالاتّحاد من وجهٍ كقول المَلَكِيَّة: إنهما شخص واحد، وقول النّسطورية: هما مشيئة واحدة.

---

(١) (ل): «فعادته».

(٢) «التكوين»: (٨: ٢١، ٢٢) بمعناه.

(٣) زِيد في المطبوع بعدها: «صريح»، وليس النسخ الخطية ولا طبعة النيل!

(٤) «من» ليست في (ل).

(٥) «هذه» ليست في (ل).

(٦) كذا في النسخ الخطية، وتقدم توجيه نظائره، وأنه علىٰ إهمال (أن)؛ لغة، وفي المطبوعتين: «يقولوا» علىٰ الجادّة.

وحينئذ فما قالوه من التعدّد الذي يوجب المباينة، وأنه لا يتصف [أحدهما][1] بما يتّصف به الآخر، ولا يَحُلُّ به ما حلَّ به= يكون مناقضًا[2] لهذا.

فأحسنُ أحوالهم أن يتناقضوا في الاتحاد، كما تناقضوا[3] في التثليث، وهذا حقيقة قول خيار هؤلاء: يتكلمون بالكفر وما[4] يناقضه، وبالتوحيد وما يناقضه.

ومعلوم أن ما يفعله بنفسه من ندم وبكاء وحزن، هو دون ما يفعله أعداؤه به؛ مِن ضَرْبٍ وصَفْع وجَعْل الشوك علىٰ رأسه، وصَلْبه بين لِصَّين، وأن استغاثته بمن يخلِّصه من ذلك أشدُّ نقصًا من ندمه وحزنه.

وإن قالوا: فَعل هذا حتىٰ يُعَلِّم عبادَه التشبُّه به= أمكن أولئك المجسمة الكفرة أن يقولوا: بكىٰ ونَدِم وعضَّ يده ندمًا حتىٰ جرىٰ الدم، حتىٰ يُعلِّم عباده التوبة من الذنوب.

ففي الجملة، ما قال قوم من أهل الملل قولًا في الله، إلا وقول[5] النصارىٰ[6] أقبحُ منه.

ولهذا، كان معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «**لا ترحموهم، فلَقَد سَبُّوا الله مَسبَّةً**

---

(١) زيادة يقتضيها المقام.

(٢) كذا استظهرته في (د)، و(ل): «فيكون»، والمطبوعتان: «فيكون متناقضًا».

(٣) (ل): «يتناقضون».

(٤) المطبوعتان: «وبما»، وكذا الموضع بعده.

(٥) (ل): «فقول»، وكذا كان في (د) ثم أصلحت إلىٰ المثبت.

(٦) (ل) زيادة: «من أهل الملل»، وضرب عليها في (د).

ما سَبّه إيَّاها أحدٌ من البشر»[1]، ولهذا يُعظِّم الله فِرْيتَهم علىٰ الله في القرآن أشدَّ من تعظيم افتراء غيرهم كقوله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم:٨٨- ٩٥].

وفي الصحيحين[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله عز وجل: كذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشَتَمني ابن آدم ولم يكن له ذلك[3]، فأما شَتْمه إيّاي فقوله: اتخذ الله[4] ولدًا، وأنا الأحد الصمد[5]، لم أَلِد ولم أولد، ولم يكن لي كفوًا أحد، وأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته**»[6].

ورواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما[7].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) كذا الأصول الخطية، ولم أقف عليه عند مسلم، وقد تقدم للمصنف هذا الحديث قبل فصول، وعزاه هناك للصحيح، فلعل ما هنا سبق قلم.

(٣) (د): «وما ينبغي له ذلك»، وقدَّم في (ل) جملة الشتم علىٰ التكذيب، وهي عند البخاري (٣١٩٣) من رواية الثوري عن أبي الزناد عن الأعرج عنه.

(٤) (ل): «إني اتَّخذتُ»، وهو لفظ ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٩٣)، وفي سنده عبد الله بن صالح (كاتب الليث)، متكلَّم فيه، وقد توبع، فحديثه صحيح لغيره. «ظلال الجنة»: (ص٣٦٧).

(٥) (ل) زيادة: «الذي»، موافقًا رواية همام عن أبي هريرة، عند البخاري (٤٩٧٥).

(٦) «صحيح البخاري» (٣١٩٣، ٤٩٧٤، ٤٩٧٥)، وقد تقدم.

(٧) كذا في النسخ الخطية بالاكتفاء بالإشارة إلىٰ الحديث دون ذكره، وزِيْد في المطبوعتين تمام الحديث، ولفظه: «عن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، =

الوجه الثاني عشر: أن كل من يعتقد في التجسيم ما يعتقد، يُمكنه أن يقول كما يقوله النصارىٰ، فإن النصارىٰ عَمَدوا إلىٰ ما هو جَسَدٌ من جنس سائر أجساد بني آدم، قالوا: إنه إله تام وإنسان تام، وليس فيه من الإلهية شيء، فما بقي مع هذا يَمتنِع أن يُعتقَدَ في نظائره ما يُعتقَدُ فيه!

فلو قال القائل: إن موسىٰ بن عمران كان هو الله= لم يكن هذا أبعدَ من قول النصارىٰ؛ فإن معجزات موسىٰ كانت أعظم، وانتصاره علىٰ عدوه أظهر، وقد سمَّاه الله في التوراة إلهًا لهارون ولفرعون.

فإذا قيل فيه ما قالوه[1] في المسيح: إنه أَظهر المعجز بلاهوته، وأَظهر العبودية بناسوته= لم يكن بطلانُ هذا أظهرَ من بطلان قول النصارىٰ، بل متىٰ جوَّزوا اتحاد اللاهوت بالناسوت، لم يُمْكنْهم دفعُ ذلك عن أحد ممن يُدَّعىٰ فيه؛ إلا بدليل خاص، بل إذا قيل لهم حلَّ في كثير من الأنبياء والقداديس= لم يُمْكنْهم نفيُ ذلك.

وإذا قالوا: لم يُخبِر بذلك أحدٌ، أو لم[2] يُبشِّر به نبيّ، أو هذا غير معلوم.

قيل لهم: غاية هذا كله، أنكم لا تعلمون ذلك، ولم يَقُم عندكم دليل عليه، وعدم العلم ليس علمًا بالعدم، فعدم علمكم وعدم علم غيركم بالشيء، ليس علمًا بعدم ذلك الشيء.

= وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي، فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقوله: لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة ولا ولدا». وهو عند البخاري في «صحيحه» (٤٤٨٢).

ثم زاد في المطبوعتين حديث أبي موسىٰ ـ وليس في النسخ الخطية ـ ونصه: «وفي الصحيحين عن أبي موسىٰ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحدٌ أصبرَ علىٰ أذىً سمِعه من الله ـ عز وجل ـ إنه يُشرَك به ويُجعَل له نِدٌّ، وهو يعافيهم ويرزقهم ويَدْفَع عنهم»، وهو عند البخاري (٦٠٩٩، ٧٣٧٨)، ومسلم (٢٨٠٤).

(١) (د، ط. النيل): «قالوا».

(٢) المطبوعتان: «ولم»، خلاف النسخ.

وكذلك عدم الدليل المعيَّن لا يستلزم عدم المدلول عليه، فإن كلَّ ما خلقه الله دليلٌ عليه، ثم إذا عُدِم ذلك لم يلزم عدمُ الخالق، ونفيُ الشيء لعدم الدليل الدال عليه لا يجوز[1]، [إلا][2] أن يكون عدمُ الدليل مستلزِمًا لعدمه، كالأمور التي تتوفر الهمم علىٰ نقلها، إذا لم تُنْقَل عُلِم انتفاؤها[3].

والمقصود أنكم ـ مع العدم ـ لا يُمكنكم النفيُ[4] لعدم الدليل الدال عليه؛ فإنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول في نفس الأمر، لاسيّما وهو كان متحدًا بالمسيح عندهم أكثر من ثلاثين سنة، ومع هذا فكان يُخفي نفسه ولا يُظهِر إلا العبودية.

فإذا قيل لهم: هكذا كان متَّحدًا بغيره من الأنبياء والصالحين، ولكن أَخفىٰ نفسه لحكمة له في ذلك، أو أَظهر علىٰ نفسه بعضَ خواصِّ عباده، أو أظهر لطائفة لم يُنقلْ إلينا خبرُهم ونحو ذلك= لم يُمكن ـ مع تصديق النصارىٰ فيما يدَّعونه ـ الجزمُ بكذب هؤلاء، بل من جوَّز قولَ النصارىٰ جوَّز أن يتَّحد[5] بغير ذلك من الأجسام، فيَجعل كثيرًا من الأجسام المخلوقة هي رب العالمين؛ إذ كانت ليس [إلا][6] هو متحدًا بها في نفس الأمر.

---

(١) ضرب في (د) علىٰ «يجوز»، فيحتمل أن يكون بعطف «ونفيُ الشيء» علىٰ «عدمُ الخالق». والمعنىٰ: إذا عُدِم الدليل لم يلزم عدمُ الخالق، ولم يلزم نفيُ الشيء لعدم الدليل الدالّ عليه، لا أن يكون عدمُ الدليل مستلزِمًا لعدم الشيء، كما هو الحال في الأمور التي تتوافر عليها الهمم. والأظهر ما أثبته من (ل)، وفي المطبوعتين: «فلا يجوز نفي الشيء؛ لعدم الدليل الدال عليه»، خلافًا للنسخ.

(٢) ما بين المعكوفين زيادة يقتضيها المقام.

(٣) (ل): «عِلْمُ انتفائها».

(٤) المطبوعتان زيادة: «العام عن غير المسيح» وليس في النسخ.

(٥) المطبوعتان: «أن يكون متَّحدًا».

(٦) ما بين المعكوفين زيادة يقتضيها المقام. وفي (ط. النيل): «كان ليس هو».

فإذا اعتقدوا الاتحاد[1] كما اعتقدتْه النصارىٰ في المسيح، لم يكن ثَمَّ إلهٌ في الحقيقة إلا ذلك الجسم الناسوتي المخلوق.

لكن ظنَّ الضالّ أنه رب العالمين، كما ظنّ عبّاد العِجل أن العجل إله موسىٰ. فإذا جاز أن يتّحد الرب ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ببعض الأجسام= لم يُنكَر علىٰ أصحاب العجل إذا جوّزوا أن يكون رب العالمين اتَّحد بالعجل، وقد رُئِيَ[2] منه نوعُ خَرْقِ عادة. فليس للنصارىٰ أن يُنكروا علىٰ عبّاد العجل ولا عبّاد شيء من الأصنام إذا أمكن أن يكون الرب ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ حلَّ فيها عندهم؛ إن لم يُقيموا دليلًا علىٰ أن الرب لم يَحُلَّ في ذلك.

فإذا قيل: إن موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ أنكر علىٰ عبّاد العجل.

قيل: نعم. وموسىٰ يُنكِر علىٰ كل من عَبَد شيئًا من المخلوقات، حتىٰ لو عَبَد أحدٌ الشجرة التي كلّمه الله منها= لأنكر عليه، فإنكاره علىٰ النصارىٰ أعظم.

وموسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ لم يَقُل قطّ: إن الله يتّحد بشيء من المخلوقات ويَحُلُّ فيه، بل أخبر مِن عظمة الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ بما يناقض ذلك.

ففي التوراة مِن[3] نهيه عن عبادة ما سوىٰ الله ومِن تعظيم أمره وعقوبة المشركين به، وبما أخبر به من صفات الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ما يناقِض قول النصارىٰ[4].

ولهذا كان مَن تدبّر التوراة وغيرها من كلام الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من النصارىٰ، تبيَّن له أن دينهم يناقض دين الأنبياء كلهم، وأن ما هم عليه من التثليث

---

(١) المطبوعتان زيادة: «فيها» وليس في الأصول.
(٢) (ل): (رأىٰ) متقارب الرسم، والمطبوعتان: (رأوا) خلاف النسخ.
(٣) (ل): «عن».
(٤) «سفر الخروج»: (٢٠: ٢ ـ ٥).

والاتحاد والشرك، لم يُبعَث به أحدٌ من الأنبياء ـ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ـ.

وما يفعلونه من دعاء المخلوقين كالملائكة، أو كالأنبياء والصالحين الذين ماتوا، مثل[1] دعائهم مريم وغيرها، وطلبهم من الأموات الشفاعة لهم عند الله= لم يُبعَث به أحدٌ من الأنبياء، فكيف وقد صوَّروا تماثيلهم ليكون تذكيرا لهم بأصحابها، ويَدْعُون تلك الصور؟

وإن قصدوا دعاء أصحابها، فهم إذا صرَّحوا بدعاء أصحابها وطلبوا منهم الشفاعة وهم موتىٰ وغائبون= كانوا مشركين.

فكيف إذا كان الدعاء في الظاهر لتماثيلهم المصوّرة، وهذا مما يَعترف[2] حذَّاق علمائهم بأنه مخالفٌ لدين الأنبياء كلهم.

ولهذا وقع بينهم تنازع في اتخاذ الصوَر في الكنائس لـمَّا ابتدعه بعضهم، كما هو مذكور في أخبارهم، ولم يأتِ من ابتدع ذلك بحجة شرعية.

والمجسِّمة يعتقدون أن الله[3] قديم أزلي، وأنه عظيم جدًّا، لا يقولون: إنه متَّحد بشيء من الأجسام المخلوقة، ولا يَحُلُّ فيها[4]. فمن قال باتحاده وحلوله فيها= كان قولُه شرًّا من قول هؤلاء المجسِّمة.

كما أن المتفلسفة الذين يقولون بأن الأفلاك أجسام قديمة أزليّة واجبة بنفسها أوْ لها عِلّة تتشبَّه بها كما يقوله «أرسطو» وذووه، أو يُثبتون لها علةً فاعلة، لم تزَل مقارِنة لها، كما يقوله «ابن سينا» وأمثاله.

---

(١) (ل): «قبل»، وكذا كان في (د) ثم أصلح إلىٰ ما أثبت.

(٢) (ل): «بما يعترف»، ولم يحرّر في (د)، وفي (ط. النيل): «بما يعترفه»، والمثبت أقرب.

(٣) (ل): «أنه».

(٤) (ل): «منها».

وهؤلاء قولُهم شرٌّ من قول اليهود والنصارىٰ ومشركي العرب الذين يُثبِتون للسموات والأرض خالقًا خَلقها بمشيئته وقدرته.

ولو قال من قال منهم: إن ذلك جسم فغايته أن يثبت جسمًا قديما أزليًّا موصوفًا بصفات الكمال

فمن أَثبت جسمًا قديمًا أزليًّا ليس موصوفًا بصفات الكمال، كان قوله شرًّا من قول هذا.

فتبين أن المجسّمة الذين يُثبتون جسمًا قديمًا أزليًّا واجب الوجود بنفسه عالمًا بكل شيء قادرًا علىٰ كل شيء مع قولهم: إنه تَحُلُّه الحوادث وتقوم به الحركة والسكون= خيرٌ[1] من[2] الفلاسفة الذين يقولون: إن الأفلاك أجسام قديمة أزليّة واجبة الوجود بنفسها، كما يقوله «أرسطو» وذووه، وخير من النصارىٰ أيضًا.

الوجه الثالث عشر: قولهم: من قال: ثلاثةُ آلهة مختلفة أو متَّفقة، أو ثلاثة أشخاص مركَّبة، أو غير ذلك مما يقتضي الاشتراك والتكثير والتبعيض والتشبيه= فنحن نلعنه ونكفره.

فيقال لهم: أنتم[3] أيضًا تلعنون من قال: إن المسيح ليس هو إله حق من إله حق، ولا هو مساوٍ الأب في الجوهر، ومن قال[4]: ليس بخالق، ومن قال: إنه ليس بجالس عن يمين أبيه، ومن قال أيضًا: إن روح القدس ليس برب حيٍّ[5] محي، ومن قال: إنه ليس ثلاثة أقانيم.

---

(١) (ل، د، ط. النيل): «خيرًا»، سهو.

(٢) المطبوعتان زيادة: «قول»، وليس في الأصول.

(٣) المطبوعتان: «وأنتم» خلاف النسخ.

(٤) المطبوعتان زيادة: «إنه» وليس في الأصول الخطية.

(٥) كذا في (ل)، وموضعه طمس في (د)، والمطبوعتان: «حق».

وتلعنون أيضًا ـ مع قولكم إنه الخالق ـ من قال: إنه الأب، والأب هو الخالق، فتلعنون من قال: هو الأب الخالق، ومن قال: ليس هو الخالق، فتجمعون بين النقيضين.

فتلعنون من جرَّد التوحيد بلا شرك وتثليث[1]، ومن أثبت التثليث مع انفصال كل واحد عن الآخر، وتَجمعون بين النقيضين، فمن أَثبت أحدَهما منفكًّا عن الآخر لعنتموه.

كمن قال: عندي واحد ثلاثة، فمن قال: هو واحد ليس بثلاثة= كذَّبه، ومن قال: هو ثلاثة ليس واحدًا= كذَّبه.

ومن قال: عندي شيء موجود معدوم، فمن قال: هو موجود ليس بمعدوم= كذَّبه، ومن قال: معدوم ليس بموجود[2]= كذَّبه.

ومن قال: عندي شيء هو حيٌّ ميّت، هو عالم جاهل، هو قادر عاجز، فمن قال: هو حي ليس بميت= كذَّبه، ومن قال: هو ميت ليس بحي= كذَّبه.

فهكذا أنتم تجمعون بين قولين متناقضين، أحدهما حق والآخر باطل.

فمن قال الحق ونفىٰ الباطل لعنتموه، ومن قال الباطل ونفىٰ الحق لعنتموه[3].

وأنتم تُشْبِهون الملاحدة من الجهمية والفلاسفة والباطنية الذين يَسْلُبون عنه النقيضين، أو يمتنعون عن إثبات أحد النقيضين، فيقولون: لا نقول هو حي ولا ليس بحي، ولا هو عالم ولا ليس بعالم، ولا قادر ولا ليس بقادر.

---

(١) المطبوعتان: «ولا تثليث».

(٢) قوله: «فمن قال ... الخ» سقط من (ل)، وهو ملحق في هامش (د).

(٣) «ومن قال الباطل ونفىٰ الحق لعنتموه» سقط من (ل).

بل منهم من يقول: لا نقول: هو موجود ولا معدوم، ولا نقول هو شيء ولا نقول ليس بشيء.

ومنهم من يقول: ليس بحي ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز.

ومنهم من يقول: لا نطلق لا هذا ولا هذا.

فيقال لهم: رفع النقيضين كجمع النقيضين، والامتناع عن إثبات أحد النقيضين، كالامتناع عن نفْي أحد النقيضين.

وكذلك مَن وصفه بأنه موجود واجبُ الوجود لذاته، ثم وصَفَه بصفاتٍ تستلزم عدمه، فقد جَمع بين النقيضين.

وكل قول يتضمَّن جمعَ النقيضين وإثباتَ(١) الشيء ونفيَه، أو رفعَ النقيضين؛ الإثباتَ والنفيَ= فهو باطل.

والنصارىٰ في هذا الباب مِن أبلغ الناس تناقضًا يقولون الشيء ويقولون بما يَنْقُضُه(٢)، ويلعنون من قال هذا ومن قال هذا.

وأيضًا فكل طائفة منكم تلعن الأخرىٰ، فإن أهل الأمانة تلعن الأريوسيَّة وغيرهم من طوائف النصارىٰ، وهم يلعنونكم وكلٌّ مِن فِرَقكم الثلاثة، النسطورية، واليعقوبية، والمَلَكِيَّة، تلعن الطائفتين الأُخْرَيَيْن(٣).

فأنتم واليعقوبية تلعنون من يقول: إن مريم لم تلد إلها، ويقولون: إن مريم ولدت إنسانا تاما إلها تاما.

---

(١) (ل): «إثبات»، من غير عطف.

(٢) (ل): «ما ينقضه»، والمطبوعتان: «بما يناقضه».

(٣) (ل): «الآخرتين»، وهي محتملة في (د) للوجهين.

وأنتم والنسطورية تلعنون من قال: هما[1] جوهر واحد بمشيئة واحدة وطبيعة واحدة، ومن قال: إن اللاهوت تألّم، مع قولكم: إن اللاهوت مولود من مريم! ومع قولكم[2]: المسيح الذي ولدتْه مريم مات وصُلب!

وفي أقوالكم من العجائب المتناقضة التي توجب أنكم ملعونون، بما[3] يطول وصفه. فما منكم من أحد إلا وهو لاعنٌ ملعون، فلعْنُكم مَن قال بهذه المقالات، لا يوجب أنكم علىٰ الحق، بل يوجب أن يكون من جملة الملعونين عندكم كطائفة من طوائفكم.

والنصارىٰ طوائف كثيرون مختلفون اختلافا كثيرا.

والطوائف الثلاثة المشهورة في الأزمان المتأخرة منهم= بعضُ طوائفهم، وإلا فهم طوائف كثيرون مختلفون في التثليث والاتحاد.

وتجد كلَّ صنف منهم ـ ومن[4] غيرهم ـ في مقالاتهم يَحكي أقوالًا غير الأقوال التي حكاها الآخرون.

ومِن أجلِّ من جَمَع أخبارهم عندهم: سعيد بن البطريق بترك الإسكندرية، في أثناء المائة الرابعة من دولة الإسلام[5]، وقد بَحَث لهم بحثًا استقصىٰ فيه ـ بزعمه ـ نَصْرَ مذهبهم، وهو مَلَكيٌّ، وقد ذكرتُ كلامه في غير هذا الموضع[6].

---

(١) المطبوعتان: «إنهما».
(٢) «اللاهوت مولود من مريم، ومع قولكم» ساقط من (ل).
(٣) المطبوعتان: «ما»، خلاف النسخ.
(٤) المطبوعتان: «أو من».
(٥) من (٢٦٣هـ ـ ٨٧٧م) إلىٰ (٣٢٨هـ ـ ٩٤٠م).
(٦) قبل فصلين، في ستة فصول متوالية.

وفيهم من يقول: إن مريم زوجة الله، وفيهم من يجعلها إلهًا آخر كالمسيح.

وفيهم من يثبت أن المسيح ابن الله، الولادة المعقولة[1] المعروفة من الحيوان.

والأمانة التي جعلوها عقيدتهم وأصل إيمانهم في زمن «قسطنطين» بعد المسيح بأكثر من ثلاثمائة سنة، هي وغيرها من أقوالهم الظاهرة= تدل على هذه الأمور المنكرة القبيحة دلالة بَيِّنَة.

لكنْ علماؤهم يتأوَّلونها بتأويلات تُناقض مدلولَها، مع فساد تلك المعاني التي يَحملونها عليها عقلًا وشرعًا.

وليست تلك ألفاظَ الأنبياء حتى يقال: حكمُهم في ذلك حكمُ سائر الطوائف من المسلمين وغيرهم، الذين يقولون ما يرونه متشابهًا من كلام الأنبياء، ويقولون: إن الأنبياء تكلَّموا بما لا يَعرف أحدٌ معناه، أو إنهم خاطبوا الجمهور بما أرادوا به تفهيمهم أمورًا ينتفعون بها، وإن كان ذلك كذبًا باطلًا في نفس الأمر.

فإن هؤلاء الطوائف، وإن كان فيهم من الضلال والجهل ما قد بُسط في غير هذا الموضع[2]= فقد فعلوا ذلك في ألفاظ الأنبياء التي لها حُرمة النبوّة.

بخلاف النصارى فإنهم وضعوا عقيدة وشريعة، ليست ألفاظُها منقولةً عن أحد من الأنبياء.

---

(١) «المعقولة» ليست في (د، ط. النيل)، وقد استعملها المصنف قبل أبواب.

(٢) بياض في (ل) بقدر كلمة.

الوجه الرابع عشر: قولهم: «ويُراد بالأب والابن غيرُ أبوَّة وبنوةِ نكاح، ومن أراد ولادةَ زوجةٍ لعنَّاه».

فيقال: لفظ الولادة المعروف[1]، إنما يكون من أصلين، وإنما يكون بانفصال جزءٍ من الأصلين، وإنما يكون بحدوثِ المولود، سواءٌ أريد ولادةُ الحيوان أو غيرُها، كما تتولّد النار من[2] الزنادين، فإذا قُدِح أحدُهما بالآخر، خرج منهما[3] جزءٌ لطيف، فاستحال نارًا، ثم سَقَط علىٰ الحِراق.

وقد توسّع بعضُ الناس في الولادة حتىٰ عبّر به عما يَحدث عن الشيء، وإن لم يكن بانفصال جزءٍ منه، كتولُّد الشعاع عن النار والشمس وغيرها؛ لأن هذا يَحدُث بشيئين أحدهما ما يَصدر عنه من الشمس والنار، والثاني المحلُّ القابل[4] الذي ينعكس عليه، وهو الجُرم المقابِل له الذي يقوم به الشعاع.

فأما ما يحدث عن شيء واحد= فلا يُعرَف أنه يُسمّىٰ ولادة؛ إن قُدِّر وجود ذلك، وكذلك لا يُعرَف ما يَلزمُ الشيءَ الواحدَ أنه يُسمّىٰ ولدًا.

فأما ما يقوم بالموصوف من صفاته اللازمة له، فهذا أبعدُ[5] عن أن يسمَّىٰ هذا الملزومُ[6] ولادة، بل لا تكون الولادة إلا عن أصلين.

وكلُّ من قال: إن لله ولدًا، لزِمه أن يكون له صاحبة بأيِّ وجهٍ فَسَّر الولادة،

---

(١) المطبوع: «المعروفة»، خلافًا للنسخ الخطية والمطبوعة.

(٢) المطبوعتان زيادة: «بين»، وليس في الأصول.

(٣) (ل): «منها».

(٤) المطبوعتان زيادة: «له».

(٥) (ل): «فهو أبعد»، وزيد بعده في المطبوعتين: «شيء».

(٦) كذا، ولعلها «اللزوم».

وأن يكون له ولدٌ حادثًا[1]، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٠، ١٠١].

فاستفهم تعالىٰ استفهام إنكار؛ ليبيِّن امتناع أن يكون له ولد؛ إذا[2] لم تكن له صاحبة، فإن الولد لا يكون إلا من أصلين، وهذا مما ينبغي أن يُتفطَّن له، فإنَّ تسمية[3] ما يلزم الشيءَ الواحدَ متولِّدًا عنه= لا يُعرف[4]، لاسيّما الصفاتُ القديمةُ الأزليَّةُ اللازمةُ لذات رب العالمين الذي لم يزل ولا يزال موصوفًا بها، فإن صفات العبد اللازمة له، كحياته وقدرته ونحو ذلك= ليست متولِّدة عنه عند جميع العقلاء.

ولا يقول عاقل يَعقِل ما يقول: إن لون السماء وقَدْرها متولِّدٌ عنها، ولا إن قدر الشمس وضوءها القائمَ بها اللازمَ لها متولِّدٌ عنها، ولا يقول أحد: إن حرارة النار وضوءها القائمَ بها متولِّدٌ عنها.

وإنما يقال ـ إن قيل ـ فيما ليس بقائم بها[5]، بل قائمٌ بغيرها، أو فيما هو حادثٌ بعد أن لم يكن، كالشعاع القائم بالأرض والحيطان، وهذا ليس بقائم

(١) كذا في النسخ الخطية وط. النيل، بالنصب على الحالية. وفي المطبوع: «حادثٌ»، خلاف الأصول.
(٢) كذا الأصول الخطية والمطبوعة، وفي المطبوع: «إذ».
(٣) المطبوعتان: «جَعْل».
(٤) زيد بعده في المطبوعتين: «لاسيما صفاته القائمة به اللازمة له، كعلمه وحياته»، وليس في الأصول الخطية.
(٥) «بها» سقط من (ل).

بها، بل قائم بغيرها وهو[1] حادثٌ: متولِّدٌ عن أصلَين لا عن أصل واحد.

فأما صفات المخلوق القائمة به اللازمة له، فلا يقول أحدٌ من العقلاء: إنها متولِّدة عنه.

والنصارىٰ يزعمون أن كلمة الله التي يفسِّرونها بعلمه أو حكمته، وروح القدس التي يفسِّرونها بحياته أو قدرته[2]= هي صفة له قديمة أزليّة، لم يزل ولا يزال موصوفًا بها.

ويقولون ـ مع ذلك ـ: إن الكلمة هي مولودة [منه][3]، فيجعلون علمَه القديمَ الأزليَّ متولِّدا عنه، ولا يجعلون حياته القديمة الأزليَّة متولِّدة عنه.

وقد أصابوا في أنهم لم يجعلوا حياته متولِّدة عنه، لكن ظهر بذلك بعضُ مناقضاتهم وضلالهم، فإنه أنواع كثيرة، فإنه إن كانت صفة الموصوف القديمة الأزليَّة[4] [اللازمة] لذاته يقال: إنه[5] ابنه وولده ومتولِّد عنه، ونحو ذلك= فتكون حياتُه ـ أيضًا ـ ابنَه وولدَه ومتولِّدة[6] عنه، وإن لم يكن كذلك= فلا يكون علمُه ابنَه ولا ولدَه ولا متولدًا عنه.

وأفظع[7] من ذلك: أن روح القدس المنفصلةَ عنه القائمةَ بالأنبياء

(١) المطبوع: «هو»، بلا عاطف، خلاف الأصول؛ توهمًا أنه مقول القول، وليس كذلك، بل جملة: «متولِّد...».
(٢) المطبوعتان: «وقدرته» خلاف النسخ.
(٣) زيادة يقتضيها السياق.
(٤) كذا في النسخ الخطية، وفي المطبوعتين: «اللازمة»، والجمع بينهما أقوم.
(٥) كذا الأصول الخطية، وفي المطبوعتين: «إنها»، وكلاهما متَّجه.
(٦) المطبوعتان: «ومتولدًا».
(٧) المطبوعتان: «وأبلغ»، متقاربان.

والصدِّيقين= لا يقولون إنها ولده ولا إنها متولِّدة عنه، بل يخصُّون ذلك بالكلمة، فلا ينقلون عن أحدٍ من الأنبياء أنه سمَّىٰ شيئًا من صفات الله ابنًا ولا ولدًا، ولا قال: إن علم الله أو كلامه أو حكمته ولدُه أو[1] ابنُه، أو هو متولِّد عنه.

فعُلِم أن القوم في غاية التناقض في المعاني والألفاظ، وأنهم مخالفون للكتب الإلهية كلّها، ولِما فطر الله عليه عبادَه من المعقولات التي يسمُّونها: نواميس عقلية، ومخالفون لجميع لغات الآدميين، وهذا مما يَظهر به فسادُ تمثيلهم، فإنهم قالوا: تولَّدت الكلمة عنه، كما تُولَد الكلمة والحكمة فينا[2] عن العقل.

فيقال لهم: لو قُدِّر أن الأنبياء سمَّوا ذلك ولدًا[3]، فما يتولَّد فينا حادث بعد أن لم يكن، وحدوثه بِتَسَبُّبٍ[4] مِن فعلنا وقدرتنا ومشيئتنا.

فأما صفاتنا[5] اللازمة لنا، التي لا اختيار لنا في اتِّصافنا بها، ولم نزل متَّصفين بها= فلا يقول عاقل: إنها متولِّدة فينا وعنّا.

وأنتم تجعلون صفة الله القديمة اللازمة له التي لم يزل ولا يزال متّصفا بها= متولِّدة عنه.

فلو قُدِّر أن ما ذكرتموه من التولُّد العقليّ [كان] أمرًا معروفًا في اللغة والعقل والشرع= لم يكن لكم أن تجعلوا علم الله وحكمته التي فسَّرتم بها كلمتَه= ابنًا له

---

(١) «أو» سقط من (د).

(٢) «فينا» سقط من (ل).

(٣) كذا الأصول الخطية، وفي المطبوعتين: «تَوَلُّدًا».

(٤) (ل): «سبب»، والمطبوع: «يتسبب»، تصحيف.

(٥) (ل): «قائمًا بصفاتنا»، وكذا كانت في (د)، ثم أُصلح إلىٰ ما أثبتُّه، غير أنه غفل عن إزالة التنوين آخره.

ومولودًا[1] منه، لم يزل مولودا منه؛ لأن هذا باطلٌ عقلًا وشرعًا ولغةً.

أما العقل، فإن صفة الموصوف اللازمة له ـ وإن كان مخلوقًا ـ ليست متولِّدة عنه، فكيف الصفة القديمة للموصوف القديم!

ولو جاز هذا= جاز أن يُجعَل ما كان لازمًا لغيره ولدًا له ومولودًا منه، فيُجعَل كيفيات الأشياء وكمِّياتها متولِّدةً عنها وأمثالها.

ويقال: إن طُول الجسم وعرضَه وعمقَه متولِّدٌ عنه، وإن حياة الحي متولِّدة عنه، وإن القوىٰ والطبائع التي جعلها الله في المخلوقات[2] متولِّدة عنها.

وأما الشرع، فإن هذا لو كان متولِّدًا وهو في بعض اللغات يُسمّىٰ ولدًا= لم يجز أن يُحمَل علىٰ ذلك كلامُ الأنبياء، إلا أن يكون في لغتهم يُسمَّىٰ ولدًا.

وكلُّ من نظر في كتب الأنبياء من علماء النصارىٰ وغيرهم= لم يجد أحدًا من الأنبياء يُسمِّي علم الله وكلمته وحياته ولدًا له، ولا ابنًا له، ولا قال: إن ذلك يَتولَّد[3] عنه.

فقولهم عن المسيح: «**عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس**»: إنه أراد بالابن كلمةَ الله القديمةَ الأزليَّة، وأنها متولّدة[4] منه، وإنه أراد بروح القدس حياةَ الله القديمةَ الأزليّة= كذبٌ محض علىٰ المسيح عليه السلام لا يوجد قط في كلامه ولا كلام غيره من الأنبياء أنهم سمَّوا[5] علم الله وحكمته، ولا شيئا من صفاته القائمة به: ابنًا، ولا سمَّوا حياته: روح القدس.

---

(١) (ل): «مولودًا» بلا عطف.

(٢) (ط. النيل): «الحيوان».

(٣) (ل): «متولدًا»، وهي مطموسة في (د).

(٤) (ل): «مولَّدة».

(٥) (د): «يُسمّوا»، وكذا بعده بسطر.

وأما اللغة، فإن هذا التعبير الذي ذكروا ــ وهو[1] تسمية صفات الموصوف اللازمة له ولدًا وابنًا ومتولِّدًا ـ لا يُعرف في لغات بني آدم المعروفة.

وقد يتبنَّىٰ الرجل ولدَ غيره فيتَّخذُه ولدًا ويجعلُه بمنزلة الولد، وإن لم يكن متولِّدًا عنه، كما كانت تفعله أهل الجاهلية من العرب وغيرهم، ولهذا نزَّه الله ـ تعالىٰ ـ نفسَه عن الولادة وعن اتخاذ الولد فقال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الصافات:١٥١ - ١٥٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٠٠، ١٠١].

وقال تعالىٰ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٣ـ٤].

وأما اتخاذ الولد، ففي مواضع متعددة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ [الإسراء:١١١].

وقوله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة:١١٦ - ١١٧].

وقوله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا

(١) «وهو» ليست في (ل)، ومطموس في (د)، ولعلها ليست موجودة.

يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٩][1].

وقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩١].

وقوله: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر:٤].

وأهل الكتاب يَذكرون أن في كتبهم تسميةَ عباد الله الصالحين ابنًا، وتسمية الله أبًا، وتسمية المصطفين أبناء، وهذا إذا كان ثابتًا عن الأنبياء، فإنهم لا يعنون به إلا معنىً صحيحًا.

واللفظ قد يكون له في لغة معنىً، وله معنىً آخر في لغةٍ أخرىٰ غير ذلك[2]، والمرادُ بهذا الولدِ والابنِ= لا ينافي كونه مخلوقًا مربوبًا عبدًا لله ﷻ.

وأما تسمية شيءٍ من صفات الله ابنًا أو ولدًا، فهذا لا يُعرف عن أحد من الأنبياء، ولا الأمم أهل اللغات سوىٰ مبتدعة النصارىٰ.

ولم يَبق للتولُّد إلا معنيان: أحدهما: أن يَنفصل عنه جزء.

والثاني: أن يَحدُث عنه شيء، إما باختياره، وإما بغير اختياره وقدرته، كحدوث الشعاع عن النار والشمس.

---

(١) زيد بعده في المطبوعتين تمامُ الآية، خلافًا للنسخ الخطية.

(٢) في النسختين الخطيتين: «كغير ذلك» بزيادة الكاف! وسقط قوله: «معنىٰ آخر» من (ط. النيل)، وفي المطبوع: «وله في لغة أخرىٰ معنىٰ غير ذلك»، خلاف النسخ.

وكلٌّ من الأمرين لا يكون إلا عن أصلين، ولا بُدَّ أن يكون حادثًا، لا يكون من صفاته اللازمة له، فيَمتنع أن يتولَّد عنه شيء إن لم يكن معه أصلٌ آخر يتولّد عنهما.

والتولُّد عنه بغير قدرته ومشيئته ممتنعٌ عند أهل الملل، المسلمين واليهود والنصارىٰ وسائر الأمم، سوىٰ طائفة من المتفلسفة يقولون: إنه موجبٌ بذاته مستلزمٌ[1] لِمَا يصدر عنه، فهؤلاء قولهم يناسب هذا التولد.

والنصارىٰ تُكفِّر هؤلاء، لكن قد ضاهوهم في القول، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

وهذا قاله طائفة من اليهود، وهو معروف عن شخص يقال له فِنْحاص بن عازُورا وأتباعه[2].

قال أبو محمد بن حزم[3]: «والصَّدوقيّة طائفة من اليهود نُسبوا إلىٰ رجل يقال له: «صَدُوق»[4]، وهم يقولون ــ من بين سائر اليهود ــ: إن

---

(١) المطبوع: «مستلزمًا»، خلاف سائر الأصول.

(٢) ذكره الطبري في «تفسيره»: (٨/ ٥٥٥)، والماوردي في «النكت والعيون»: (٢/ ٢٥٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير»: (٣/ ٤٢٤).

(٣) في «الفَصْل»: (١/ ٨٢).

(٤) وهو الكاهن الأعظم في عهد سليمان عليه السلام، وقد توارث ذريتُه هذا المنصب جيلًا بعد جيلٍ، حتىٰ عام (١٦٢ق. م).
و«الصدوقيون»: فرقة دينية يهودية، وضرْبٌ سياسيٌ يمثِّل النُّخبة اليهودية من أمراء «اورشليم»، كان لهم تأثير في الجانبين السياسي والاقتصاديّ، أما الدين فقد ارتبط بالهيكل وطقوسه فحسب، دون قاعدة دينية قوية؛ لذا أنكروا اليوم الآخر، والتلمودَ، والملائكة، واهتمُّوا بالتفسيرِ الحرفيِّ للتوراة، وقد انتهىٰ وجود هذه الطائفة مع خراب الهيكل، عام (٧٠م) علىٰ يد الرّومان. ينظر: «تاريخ الديانة اليهودية»: (ص/ ٢٢٤).

العُزَير[1] ابن الله، وكانوا بجهة اليمن».

ولكن المتفلسفة الذين يقولون بصدور العقول والأفلاك عنه، وإن سُمِّي ذلك تولُّدًا[2]، فهم يجعلون ولدَه منفصلًا عنه، لكن يُثبتون ولدًا قديمًا أزليًّا صَدَر عنه بغير اختياره، ويَجعلون الشيء الواحد متولِّدًا عنه.

وسائر الطوائف الذين أثبتوا لله ولدًا، جعلوه حادثًا منفصلًا عنه.

فأما جَعْل صفتِه القائمةِ به ولدًا[3] ومولودًا= فهذا لا يُعرَف عن غير النصارىٰ، فإذا أثبتوا له ولدًا وابنًا غير مخلوق، والصفةُ[4] القائمة به اللازمة له لم تتولّد عنه ولا تُسمَّىٰ ابنًا ولا ولدًا عند أحد من الأنبياء وغيرهم= تَعيَّن أن يكون الولد إما جزءًا منفصلًا عنه، وإما معلولًا له صادرًا عنه بغير قدرته ومشيئته، وأيَّ القولين قالوه فهم فيه كفار مضاهئون لقول الذين كفروا من قبل.

وبعض علمائهم وإن أنكر ذلك لكنهم يقولون ما يستلزم ذلك، ويُشبِّهونه بالشعاع من الشمس، ويقولون عن الروح: هو منبثق من الله خارج منه.

وهذا كله يناسب الولادة التي هي خروجُ شيءٍ منه، أو حدوثُ شيءٍ عنه بغير اختياره ومشيئته، ولا بُدَّ له ـ مع ذلك ـ من محلٍّ يقوم به؛ فإن الشعاع لا يقوم إلا بالأرض.

والأمر الـمُنبَثِق الخارجُ مِن غيره، إما أن يكون جوهرًا قائمًا بنفسه، أو صفة قائمة بغيرها.

---

(١) (ط. النيل): «العزيز»، وكذا كانت في (د)، ثم أزيل إعجام الأخير.

(٢) (ل): «مولدًا».

(٣) المطبوعتان زيادة: «له» وليس في الأصول.

(٤) (ل): «والصفات».

فإن كان جوهرًا، فقد انفصل من الرب جزء.

وإن كان عرضًا، فلا بدَّ له من محلٍّ، فيكون متولّدًا عن أصلين.

وتشبيههم بتولّد الكلام عن العقل تشبيهٌ باطل؛ فإن ذلك يحصل بقدرة الإنسان ومشيئته، وهو حادثٌ بعد أن لم يكن.

هذا إذا عُرف أن ما يقوم بقلب الإنسان من عِلمٍ وحكمة، يقال: إنه متولِّد[1] عنه، ويقال: إنه ابنه، مع أن هذا أمرٌ غير معروف في اللغات، ولو كان معروفًا في لغة بعض الأمم= لم يَجُزْ أن يفسَّر به كلامُ الأنبياء، إن لم يكن معروفًا في لغتهم.

وأما ما يدَّعونه، فإنهم يقولون: إن الكلمة لازمةٌ لذات الله أزلًا وأبدًا، وهي مولودة[2] منه، مع أنها غير مصنوعة= فهذا كلام متناقض باطل من وجوه.

فإن المتولد عن الشيء لا يتولّد إلا عنه وعن غيره، وأما الشيء الواحد فلا يتولّد عنه وحده شيء.

وأيضا، فإن ما تولّد عن غيره لم يكن إلا[3] حادثًا، وأما الصفة القديمة اللازمة لذات الرب فليست مولودة له[4]، ولا متولِّدة عنه، بل هي قائمة به لازمة لذاته.

وأيضًا، فإن المولود اسمُ مفعول، يقال: ولده يَلِده فهو مولود، وهذا لا يقال إلا في الحادث المتجدِّد، فإنه مفعولُ فِعْل الوالد. والقديم الأزليّ لا يكون مفعولًا مولودًا.

---

(١) المطبوعتان: «يتولَّد».

(٢) (ل): «متولدة»، وكذا كان في (د)، ثم أصلح إلى المثبت.

(٣) «إلا» سقط من المطبوع!

(٤) «له» ليس في (ل)، وألحقت في (د).

وأيضًا، فتسمية الصفة القديمة الأزليّة مولودًا وابنًا، لا يوجد في كلام أحد من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ.

فهَبْ أن هذا مما يسوغ لنا في اللغة أن نقوله= لكن[1] لا يجوز أن نُحدِثَ لغةً غير لغة الأنبياء، ونحمِلَ كلام الأنبياء[2] عليها؛ فإن هذا كذب عليهم.

وهكذا تفعل النصارىٰ وأمثالهم من أهل التحريف بكلام الأنبياء، يحدثون لهم لغة تخالف لغة[3] الأنبياء، ويحملون كلامهم عليها[4].

مثال ذلك: أن الأنبياء أخبروا بأن الله إله واحد، وكفَّروا مَن أثبت إلهين اثنين، وأمروا بالتوحيد ودعَوا إليه، وحرَّموا الشرك وكفَّروا أهله، وأخبروا أن الله واحد أحد، وكان مرادهم بذلك توحيده، وأنه لا يجوز أن يُعبَد إلا الله، وأنه لا يستحقّ العبادة إلا هو، ليس مقصودهم بذلك نفي صفاته.

فلم يقصدوا بلفظ «الأحد» و«الواحد» أنه ليس له عِلم ولا قدرة ولا شيء من الصفات.

فجاء طائفة من أهل البدع، ففسّروا[5] اسم «الواحد» و«الأحد» بما جعلوه اصطلاحًا لهم، فقالوا: الواحد الذي ليس فيه تركيب ولا ينقسم، ولو كان له صفاتٌ لكان مركَّبًا، ولو قامت به الصفات لكان جسمًا، والجسم مركب من الجواهر المنفردة، أو من المادّة والصورة، فلا يكون أحدًا ولا واحدًا.

---

(١) «لكن» سقط من (ل).

(٢) (ل): «ونحمل كلامهم».

(٣) المطبوع: «مخالفة للغة»، و(ط. النيل): «مخالفةً لغة»، خلاف النسخ.

(٤) كذا في (د)، وفي المطبوعتين: «كلام الأنبياء عليه». ومن قوله: «فإن هذا كذب عليهم ... الخ» مؤخَّر في (ل) بعد سبع أوراق تقريبًا، وهو بهذا الموضع أليق.

(٥) زيد بعده في المطبوعتين: «لفظ»، خلافًا للنسخ.

فيقال: هذا الذي قالوه، لو قُدِّر أنه صحيح في العقل واللغة، فليس هو لغةَ الأنبياء التي خاطبوا بها الخلق، فكيف إذا لم يكن هذا الواحدُ من لغة أحدٍ من الأمم؟

بل جميع الأمم تُسمِّي ما قام به الصفات واحدًا، بل يسمّونه وحيدًا، وقد يُسمُّونه في غير الإثبات[1] أحدًا، كقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، وقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر:١١]، وأمثال ذلك.

وأما البحث العقلي في هذا، فقد بسطناه في غير هذا الموضع[2]، وبينَّا أن ما يسمّيه هؤلاء المتفلسفة تركيبًا، كقولهم: إن الشيء مركّب من وجودٍ وماهية، وقولهم: إن الأنواع مركّبة من الأجناس والفصول= هو باطل عند[3] جمهور العقلاء.

وليس في الخارج إلا ذات متّصفة بصفات، ليس في الخارج وجود قائمٍ[4] بنفسه، وماهيّة أخرىٰ غير هذا الشيء الموجود القائم بنفسه مثلا.

ولكن قد يُعنىٰ بلفظ «الماهية»[5]: ما يُتصوَّر في الأذهان، وبالوجود:

---

(١) (ل): «الأسباب»، والصواب ما أثبتُّه. والمراد: أن اسم «الأحد» لم يَرِد في سياق الإثبات إلا لله، ولا يُستعمَل في حق غير الله إلا مع الإضافة أو في غير الإثبات. كقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾، وكالآيات الواردة هنا. «بيان تلبيس الجهمية»: (٣/ ١٩٣)، «درء التعارض»: (٧/ ١٢١). (٣/ ٤٤٢)، (٥/ ٨٧).

(٢) «درء التعارض»: (٣/ ٤٤٢)، (٥/ ٨٧، ١٣٨) وما بعدها.

(٣) زيد بعده في المطبوعتين: «جميع»، وليس في النسخ الخطية.

(٤) (د): «القائم»، وهو ما في المطبوعتين.

(٥) كذا في (ل)، ولم تحرر في (د)، والمطبوعتان: «ماهية».

ما يوجد في الأعيان[1]، فهذه الماهية غير هذا الموجود، وحينئذ فيقال: هذه الماهية غير هذا الوجود.

وكذلك[2] قولهم: إن الإنسان الموجود في الخارج مركّب من الجنس والفصل، فإن الإنسان الموجود هو ذاتٌ متصفة بصفاتٍ، هو وغيره من الموجودات.

ولكن يُتصوَّر في الذهن ما هو مركّب من الحيوان والناطق، كما يُتصوَّر ما هو مركَّب من الحيوان والضاحك، وهذا تركيبٌ ذهني[3] لا تركيبٌ في الخارج، وقد بُسط هذا في غير هذا الموضع[4].

وتَبيَّن[5] أن ما جعلوه من الصفات داخلًا في الماهيّة، وما جعلوه خارجًا عنها لازمًا لها، وما هو مجموعُ أجزاء الماهيّة= يَرجع عند التحقيق إلىٰ ما هو مدلولٌ عليه بالتضمُّن والالتزام والمطابقة.

ومن ذلك: تركيب[6] الجسم من الجواهر المفرَدة، أو من المادَّة والصورة.

وأكثر العقلاء يُنكِرون تركُّب[7] الجسم من هذا وهذا[8].

---

(١) زيد بعده في المطبوعتين: «وحينئذ»، وليس في الأصول الخطية.

(٢) (ل): «ولكن كذلك».

(٣) (ل): «وقْفيٌّ».

(٤) تقدم قريبًا، وينظر: «منهاج السنة النبوية»: (٥/ ٤٥٣) وما بعدها.

(٥) (ل): «وبين».

(٦) (ل): «تركُّب».

(٧) المطبوع: «تركيب»، خلافًا للنسخ.

(٨) زيد بعده في المطبوعتين: «كما قد بُسط في موضع آخر».

والمقصود هنا، أن كلام الأنبياء لا يجوز أن يُحمَل إلا علىٰ لغتهم التي[1] عادتُهم أن يخاطبوا بها الناس، لا يجوز أن يُحدث أحدٌ لغة[2] غير لغتهم، ويَحمِل كلامهم عليها.

بل إذا كان لبعض الناس ـ عادةٌ ولغةٌ ـ يخاطِب بها أصحابَه، وقُدِّر أن ذلك يجوز له= فليس له أن يجعل[3] ذلك لغةَ النبي، ويحمِل كلامَ النبي علىٰ ذلك.

ومن هذا إخبار الأنبياء بأن الله يقول ويتكلّم وينادي ويناجي، وأنه قال كذا وتكلّم بكذا، ونادىٰ موسىٰ ونحو ذلك.

والمعروف في لغتهم ولغة سائر الأمم، أن المتكلّم من قام به الكلام، وإنْ كان متكلمًا بقدرته ومشيئته. لا يُعرَف في لغتهم أن المتكلم من أَحدث كلامًا منفصلًا عنه، ولا أن المتكلم من قام به الكلامُ بدون قدرته ومشيئته.

فليس لأحد ـ إذا جعل اسم المتكلِّم لمن يُحدِث كلامًا بائنًا عنه، أو من قام به بدون قدرته ومشيئته ـ أن يُحمَل كلامُ الأنبياء علىٰ هذا.

بل المتكلّم ـ عند الإطلاق ـ من تكلَّم بقدرته ومشيئته، مع قيام الكلام به. وهذا هو المعروف في لغة الأنبياء وسائر الأمم عند الإطلاق، ونظائر هذا متعددة.

فمن فسَّر كلامَ الأنبياء بغير لغتهم المعروفة= فهو[4] ممن بَدَّل كلامهم وحرَّفه، والنصارىٰ من هؤلاء.

---

(١) المطبوع زيادة: «من» وليس في الأصول الخطية، ولا (ط. النيل).
(٢) «لغة» ليس في (ل)، و«أَحَدٌ» ليس في (د).
(٣) المطبوع: «يحمّل»، خلاف الأصول.
(٤) المطبوع: «فهم» تصحيف.

وكـذلك اسـم العـادل والظـالم ونحـوهم[1]، فـإن المعـروف مـن[2] كـلام الأنبياء وغيرهم= أن العادل من قام به العدل، وفَعَل العدلَ بمشيئته وقدرته.

والظالم من قام به الظلم، وفَعَله بقدرته ومشيئته. لا يُسمُّون من لم يقم بـه الظلـم، ولكـن قـام بغيـره= ظالـمًا[3]؛ لكونـه[4] قـد جُعِل ذلـك فـاعلًا لـه، ولا يُسمُّون من لم يفعل الظلم ـ ولكن فَعَله غيرُه فيه ـ ظالـمًا.

فمَن جَعَل الظالم والكافر والفاسق من لم يَفعل شيئًا من ذلك ولكن فَعَله غيرُه فيه، أو جَعَل الظالمَ من لم يَقُم به ظلمٌ فَعَله، ولكـن جَعَلـه[5] غيـرُه متّصـفًا بـه= ظالما= فقد خَرَج عن المعروف من كلام الأنبياء وغيرهم.

وأبلغُ من ذلك: أن المحدَث والحادِث في لغة جميع الأمم لا يُسمَّىٰ به إلا مـا كـان بعـد أن لـم يكـن، والمخلـوق أبلـغُ مـن المحـدَث والحـادث، فليس لأحدٍ إذا أَحدث اصطلاحًا سَمَّىٰ به القديمَ الأزليّ الذي لم يزل موجودًا، ولكنه زعم أنه معلولٌ لغيره فسمّاه محدَثًا بهذا الاعتبار= أن يقول: أنا أَحمل كلام الأنبياء الذي أَخبروا بـه: أن السماوات والأرض وما بينهما مخلوق أو مصنوع أو مفعول[6] أو محدث أو نحو ذلك من العبارات= علىٰ أن مرادهم بذلك أنه معلول، مع كونه قديمًا أزليًّا لم يزل.

وأما لفظ «القديم» فهو في اللغة المشهورة التي خاطبنا بها الأنبياء، يراد به

---

(١) كذا الأصول الخطية وط. النيل، وتخريجه مشهور، وفي المطبوع: «ونحوهما».

(٢) (ل): «في».

(٣) «ظالمًا» سقط من المطبوع.

(٤) المطبوع: «لكون».

(٥) النسخ الخطية والمطبوعة: «جعل»، والصواب ما أثبت.

(٦) المطبوع: «معقول»، خلاف النسخ الخطية والمطبوعة.

ما كان متقدمًا علىٰ غيره تقدُّمًا زمانيا، سواء سبقه عدَمٌ أو لم يسبقه، كما قال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس:٣٩]، وقال تعالىٰ: ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف:٩٥]، وقال «الخليل»: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٧٥-٧٧].

فلهذا كان القديم الأزليّ الذي لم يزل موجودًا، ولم يَسبقْه عدمٌ= أحقّ باسم القديم من غيره.

وليس لأحد أن يَجعل القديمَ والمتقدّم اسمًا لما قارن غيرَه في الزمان؛ لزعمه أنه متقدم عليه بالعلة، ويقول: إنه متقدم علىٰ غيره وسابقٌ له بهذا الاعتبار، وإن ذلك المعلولَ متأخرٌ[1] عنه بهذا الاعتبار، ثم يَحمِل ما جاء من كلام الأنبياء وأتباع الأنبياء وعموم الخلق علىٰ هذا الاصطلاح لو كان حقًّا، فكيف إذا كان باطلًا؟!

وما ذكره من التقدُّم والسبق والتأخر بغير الزمان= أمرٌ غير موجود ولا معقول، ولا يُعرَف في الوجود مَن فَعَل شيئا وكان علةً فاعلةً له إلا وهو متقدِّم عليه سابق له، ليس مقارنًا له في الزمان البتّة، بل يتقدَّم[2] عليه تقدُّمًا زمانيًّا.

وكل ما[3] يُعرَف أنه سببٌ أو علّة فاعلة= فإنه متقدِّم علىٰ مُسبَّبه ومعلولِه، لكن قد يكون متصلًا به ليس بينهما زمان آخر، فيقال: ليس هذا متأخرا عن هذا؛ أي هو متَّصل به ليس بينهما فصل. ويقال: ليس ذلك متقدّمًا علىٰ هذا؛ أي ليس بينهما زمان، بل هو متَّصل به.

---

(١) (ل): «وإن كان المعلول متأخرًا».

(٢) المطبوعتان: «متقدم».

(٣) المطبوع: «من»، تصحيف.

إذ قد يراد بلفظ التقدُّم هذا، كقول النبي ﷺ: «**الجنازة متبوعةٌ، وليست بتابعة، ليس منها**[1] **من تقدّمها**»[2]؛ أي من كان قد تقدَّمها، حتىٰ لم يكن قريبًا منها، لم يكن تابعًا لها.

كما جاء في الحديث الآخر: «**الراكب خلف الجنازة، والماشي أمامها ووراءها، وعن يمينها ويسارها، قريبًا منها**» رواه أبو داود وغيره[3]، وهو أَبْيَنُ حديث روي في هذا الباب في هذا الحكم، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ [يس:٤٠] أي: لا يتقدَّم عليه، بحيث يكون بينهما انفصال، بل كلٌّ منهما متصل بالآخر.

والمقصود هنا: أن معرفة اللغة التي خاطَبَنا بها الأنبياءُ، وحَمْلَ كلامهم

---

(١) كذا، وفي لفظ آخر عند أحمد (٣٧٣٤): «ليس منا»، واستظهره الشيخ أحمد شاكر في تعليقه علىٰ «المسند»: (٣/ ٥٠٠).

(٢) أخرجه أحمد (٣٩٣٩، ٣٩٧٨، ٤١١٠)، وابن ماجه (١٤٨٤)، والترمذي (١٠١١) من طرق عن يحيىٰ بن عبد الله الجابر التيمي عن أبي ماجدة (أو أبي ماجدٍ) عن ابن مسعود، قال أبو عيسىٰ: «هذا حديث لا نعرفه من حديث ابن مسعود، إلا من هذا الوجه. وسمعت محمد بن إسماعيل يضعف حديث أبي ماجد هذا.. وأبو ماجد رجل مجهول لا يعرف» اهـ. وقيل ليحيىٰ: من أبو ماجد هذا؟ قال: طائر طار فحدثنا! ويحيىٰ التيمي ضعفه ابن معين، وأبو حاتم، والنسائي، وقال أحمد: ليس به بأس. وقد ضعَّف الحديثَ البخاريُّ، وابنُ عديٍّ، والترمذيُّ، والنسائيُّ، والبيهقيُّ. ينظر: التلخيص الحبير (٢/ ٢٢٩). والمصنف إنما ساق الحديث استئناسًا به في بيان مسألة لغوية عقلية، لا لاستنباط حكم شرعي، وفَرْقٌ بين المقامين.

(٣) أخرجه أحمد (١٨١٧٤)، وأبو داود (٣١٨٠) والبيهقي في الكبرىٰ (٤/ ٨)، والحاكم (١/ ٣٦٣)، وأخرجه دون ذكر القُرْبِ من الجنازة: أحمد (١٨١٦٢، ١٨٢٠٧)، والترمذي (١٠٣١)، والنسائي (١٩٤٢، ١٩٤٣، ١٩٤٨) وابن ماجه (١٤٨١) كلهم من طرق عن زياد بن جبير عن أبيه عن المغيرة بن شعبة، وقد اختلف علىٰ زياد في رفعه ووقفه، ورجح الرفع: ابن حبان، والترمذيُّ وقال: «حسن صحيح»، والحاكم وقال: «صحيح علىٰ شرط البخاري»، ورجَّح الوقفَ: الدارقطني في العلل (٧/ ١٣٤). ينظر: التلخيص الحبير (٢/ ٢٣٢) وما قبلها، والإرواء (٣/ ١٦٩-١٧٠).

عليها= أمرٌ واجبٌ متعيِّن، ومَن سلك غير هذا المسلك، فقد حرَّف كلامهم عن مواضعه، وكذَب عليهم وافترىٰ.

ومثل هذا التحريف والتبديل قد اتفق المسلمون واليهود والنصارىٰ علىٰ أنه وقع فيه خلقٌ كثير من أهل الكتب الثلاثة، وأن التوراة والإنجيل حُرِّفا بهذا الاعتبار، وكذلك القرآن حَرَّفه أهل الإلحاد والبدع بهذا الاعتبار[1].

فأهل[2] الكتاب نقلوا عن الأنبياء أنهم تكلّموا بلفظ الأب والابن، ومرادهم ـ عندهم ـ بالأب: الرب، وبالابن: المصطفىٰ المختار المحبوب.

ولم يَنقل أحدٌ منهم عن الأنبياء أنهم سمَّوا شيئًا من صفات الله ابنًا، ولا قالوا عن شيء من صفاته: إنه تولّد عنه، ولا إنه مولودٌ له.

فإذا وُجد في كلام المسيح ـ عليه السلام ـ أنه قال: «**عمِّدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس**» ثم فسَّروا الابنَ بصفة الله القديمة الأزليّة= كان هذا كذبًا بيِّنًا علىٰ المسيح، حيث لم يكن في لغته أن لفظ الابن يُراد به صفةُ الله القديمة الأزلية.

وكذلك إذا لم يَكن في كلام الأنبياء أن حياة الله تُسمَّىٰ روح القدس، وإنما يريدون بروح القدس ما يُنزله الله تعالى علىٰ الأنبياء والصالحين ويؤيِّدهم به[3]= كان تفسيرُ قول المسيح: «روح القدس»: أنه أراد حياة الله= كذبًا علىٰ المسيح.

---

(١) (ل) زيادة: «فإن هذا كذب محض عليهم، وهكذا تفعل النصارىٰ وأمثالهم من أهل التحريف لكلام الأنبياء، يُحدِثون لهم لغةً تخالف لغة الأنبياء، ويَحملون كلام الأنبياء عليها»، وكذا كانت هنا في (د)، ثم ضرب عليها، وألحقت بالكلام السابق، كما تقدم التنبيه إليه.

(٢) (ل): «فإن أهل».

(٣) «به» سقط من المطبوعتين.

وهذا ـ من بعض الوجوه ـ أفسدُ من قول بعض المتفلسفة: إن العقول والنفوس والفلك[1] معلولة له متولِّدة عنه، لازمة له أزلًا وأبدًا، وإن كان هذا أيضا باطلًا[2] في صريح العقل، كما هو كُفرٌ بما أَخبرتْ به الأنبياء، كما قد بُسط في موضع آخر[3]، فإنه لا يَصدُر شيءٌ عن فاعلٍ إلا شيئًا[4] بعد شيءٍ= لا يُتصوَّر أن يكون المفعولُ مقارِنًا للفاعل لا يتأخّر عنه، ولا يكون التولُّد إلا عن أصلين.

والواحد من كل وجهٍ الذي ليس له صفة ثبوتية= لا وجود له، ولو كان له وجودٌ= لم يَصدر عنه وحده شيءٌ، كما قد بُسط الكلام علىٰ ذلك في مواضع أُخَر[5].

ومما يوضح ذلك: أن خواص النصارىٰ وعلماءهم مع تجويزهم أن يقال: إن المسيح ابن الله= يلزمهم أن تكون مريمُ صاحبةَ الله وامرأته، كما قال ذلك من يغلو منهم، ومنهم من يجعل مريم إلهًا مع الله، كما جَعَل المسيح إلهًا.

فإن قالوا بذلك= جعلوا لله صاحبة وولدًا، وجعلوا المسيح ابن مريم وأُمَّه مريمَ[6] إلهين من دون الله، كما فَعل ذلك من فَعَله منهم.

فإنهم يعبدون مريم ويَدْعونها بما يدعون به الله ـ سبحانه ـ والمسيح، ويجعلونها إلها كما يجعلون[7] المسيح إلهًا، فيقولون: يا والدة الإله، اغفري لنا وارحمينا، ونحو ذلك، فيَطلبون منها ما يَطلبونه من الله ﷻ.

---

(١) المطبوع: «والأفلاك»، خلاف النسخ الخطية والمطبوعة.

(٢) (د، ل، ط. النيل): «باطل» سهوٌ.

(٣) ينظر: «درء التعارض»: (٣/ ٦٢ ـ ٧٢)، (٨/ ٢٦٨ ـ ٢٧٤).

(٤) المطبوعتان: «فاعل الأشياء»!

(٥) ينظر: «الرد علىٰ المنطقيين»: (ص/ ٢١٤)، و«شرح الأصبهانية»: (ص/ ٣٢١)، و«مجموع الفتاوىٰ»: (١٧/ ١٠٣، ٢٨٧).

(٦) «مريم» سقط من المطبوعتين.

(٧) (ل): «يجعلوا في».

ومنهم من يقول عن مريم: إنها صاحبة الله ﷻ.

وبيان لزوم ذلك: أن المسيح ـ عندهم ـ إنسان تام وإله تام، ناسوت ولاهوت، فناسوته من مريم، ولاهوته الكلمة القديمة الأزلية، وهي الخالق عندهم.

فالمسيح بين[1] أصلين، ناسوت ولاهوت، فإذا كان الأب هو الله ـ عندهم ـ والكلمة المولودة عن الأب ابن الله= فمعلوم أن اللاهوت لما التحم بالناسوت ليصير منهما المسيح ازْدَوجَ به وقارنه، وهذا معنىٰ الزوجيّة.

فكما أنهم قالوا: إن الولادة عقليّة لا حسيّة، فكذلك الازدواج والنكاح عقليٌّ لا حسيٌّ، فإن اللاهوت ـ علىٰ قولهم ـ ازدوج بناسوت مريم ونكَحَها نكاحًا عقليًّا، وخُلِق المسيح من هذا وهذا[2].

وهم يقولون في الأمانة: إن المسيح تجسَّد من مريم ومن روح القدس.

فإن فسّروا روح القدس بجبريل ـ كما يقوله المسلمون ـ فهو الحق، وبطل قولهم، لكنهم يقولون: روح القدس هو الأقنوم الثالث، كما يقولون في الكلمة، وهو اللاهوت عندهم.

فهم قد ذكروا أنه تجسَّد من الناسوت واللاهوت، فيلزمهم علىٰ هذا أن يكون المسيح هو الابن، وهو روح القدس، فيكون أقنومين، لا أقنومًا واحدًا، وقد تقدم تناقضهم في هذا.

والمقصود هنا، أنهم إذا قالوا: إن الرب أو بعض صفاته اتّحد بما خلق من

---

(١) (د): «من».

(٢) «وهذا» ليس في (ل).

مريم، فلا بُدَّ أن يحصل[1] له اتصالٌ بمريم قبل اتصاله بما خلق منها، وذلك هو معنىٰ النكاح والازدواج.

وعند جمهور النصارىٰ أن مريم ولدت اللاهوت كما ولدت الناسوت، وهي أمُّ اللاهوت، ويقولون في دعائهم: يا والدةَ الإله.

واللاهوت الذي ولدتْه مريم هو ـ عندهم ـ ربُّ العالمين، واللاهوت اتحد بالناسوت عندهم، من حينِ خَلْق الناسوت في بطن مريم، لم يَحدُثْ بعد الولادة.

فإذا جاز أن يكون لرب العالمين عندهم أمٌّ ولدتْه بوجهٍ من الوجوه= فإمكانُ أن يكون له صاحبةٌ وزوجةٌ أولىٰ وأحرىٰ، وليس في ذلك ما يُحيله[2] العقل والشرع إلا وهو لكونها أُمًّا للاهوت أشدُّ إحالةً.

فإن جاز أن يكون للاهوت أمٌّ، والأمُّ أصلٌ، فَلَأَنْ يكون له صاحبةٌ هي زوجةٌ ونظيرٌ= أقرب وأولىٰ، فإن من المعلوم أنَّ وَلَدَ الشيء المتفرِّع[3] المتولِّد عنه= أنقصُ بالنسبة إليه من نظيره.

فإذا قالوا: إن لرب العالمين ولدًا اتَّحد بالناسوت هو نظيره المساوي له في الجوهر، وقالوا: إن الناسوت أُمُّ هذا المسيح الذي هو الله وهو ابن الله، وقالوا: إن الناسوت مريم، وَلَد اللاهوتَ، كما وَلَد الناسوتَ، ولم يكن هذا عيبًا يُنزَّه الرب عنه= فَلَأَن يجعلوا[4] أُمَّ هذا الولدِ الذي حَبِلتْ به واتَّحد به اللاهوت

---

(١) (ل): «يجعل».

(٢) (ل): «مما يخيله».

(٣) المطبوعتان: «أن ولد ذلك الشيء وهو المتفرع»، خلاف النسخ.

(٤) زيد بعده في المطبوعتين: «له» وليس في الأصول الخطية.

وهو منها، ووَلَدت اللاهوت= صاحبةً وزوجةً للأب، أولىٰ وأحرىٰ، وإلا فكيف تلد ابنه الذي هو اللاهوت ولا تكون صاحبته وامرأته؟!

وهم يقولون: نحن[1] سمّينا علمه مولودًا عنه؛ لكونه تولّد عنه تولُّد الكلمة عن العقل، وهذا الولد اتَّحد بالناسوت فسمَّينا المجموعَ ولدًا.

وبهذا يفرِّقون بين كون المسيح ابنًا وغيرِه من الأنبياء يسمىٰ ابنًا.

فإنهم يقولون: هؤلاء أبناءُ بالوضع، والمسيحَ ابنًا[2] بالطبع؛ أي أولئك سُمُّوا أبناء بمشيئة الرب وقدرته؛ لأنه اصطفاهم.

والكلمةُ التي جعلوها متَّحدة بالمسيح هي عندهم متولِّدة عن الله تولُّدًا قديمًا أزليًّا، لا يتعلق بمشيئته وقدرته، ولهذا قالوا: مولودٌ غير مصنوع، فإن القديم الأزليّ ـ مع كونه قائمًا بذاته ـ لا يكون مصنوعًا عند أحد من العقلاء، ولا القائلين بقِدَم العالم!

فإذا كانت الكلمة اتَّحدت بالمسيح المخلوق من مريم والتحمتْ به، فإذا قيل ـ مع ذلك ـ: إن القديم مسَّ المحدَث أو لاصَقَه أو باشرَه= كان أيسرَ من هذا كله[3]، ولهذا كان الحلولُ أسهلَ من الاتحاد.

---

(١) «نحن» سقط من (ل).

(٢) كذا بالنصب في الأصول الخطية، ويمكن تخريجه علىٰ أوجه، منها النصب علىٰ المفعولية لفعل محذوف، تقديره: «وجعلوا المسيح ابنًا».

(٣) زيد بعده في المطبوعتين: «والمسيح وُلِد ولادةً حادثةً عندهم، غيرَ الولادة القديمة التي للكلمة، فيَلزمُ أن تكون مريمُ قد صارت زوجةً وامرأةً، بل نُكِحتْ نكاحًا حادثًا يناسب تلك الولادة المحدَثة، قال تعالىٰ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام:١٠١]». ولعلّها مقحمة؛ لارتباط ما بعدها بما قبلها لفظًا ومعنىً.

فمن قال: إنه حلَّ في جسد المسيح[١] وباشره، كما يحُلُّ الماء في اللبن= كان أهونَ ممن يقول: إنه اتَّحد به والتحم به.

فإذا قيل: إن مريم امرأةُ القديم وصاحبتُه وزوجتُه= كان ما في هذا من إثبات مباشرته لها ومماسَّته لها واتصاله بها، ومهما قُدِّر من اتصال الزوج بزوجته[٢]= أهونَ مما قالوه من اتحاد القديم بالمحدث، ومصيرِه وإياه[٣]: إما جوهرًا واحدًا، وإما شخصًا واحدًا، وإما مشيئة واحدة.

ولهذا كان كلُّ عاقل يعلم أن النكاحَ الحسيَّ أسهلُ من الولادة الحسية[٤].

فالذكر من الحيوان إذا نكَح الأنثىٰ، فإنما مسُّ الذكر للأنثىٰ[٥]، لم تَصِر الأنثىٰ متولدةً عنه. فإذا جوَّزوا أن يكون للرب[٦] القديم الأزليِّ ما يتولَّد عنه ويتَّحد به، وهو محدَث مخلوق= فَلَأَن يكون له[٧] ما يمسّه أولىٰ وأحرىٰ.

وإذا قالوا: إن المسيح إنما كان ابنًا؛ لأن الكلمة القديمة[٨] ـ التي هي ابن ـ اتَّحدت به.

قيل[٩]: فقد يُسمَّىٰ الناسوت الذي اتَّحد به القديمُ= ابنًا عندكم ـ باسم

(١) زيد بعده في المطبوعتين: «وماسَّه»، وليس في النسخ الخطية.

(٢) (ل): «فزوجته».

(٣) المطبوع: «إياه» بإسقاط العاطف؛ سهوًا.

(٤) (ل) زيادة: «العقلية».

(٥) (ل): «لأنثىٰ».

(٦) (ل): «الرب».

(٧) «له» سقط من (ل).

(٨) «القديمة» سقط من (ل)، وألحق في هامش (د).

(٩) (ل، المطبوعتان): «قبلُ»، ثم وُصلت بما قبلها، فاستعجم النصُّ والتبس. وهي مغفلة في (د)، والصواب ما أثبت من احتمال الرسم فيها. والمصنّف إنما قصد الرد بطريق الإلزام؛ أي إذا كنتم تثبتون بنوَّة المسيح باتحاد الكلمة القديمة به مع كونه ناسوتًا= فيلزمكم إثبات زوجية مريم وإن كانت ناسوتًا؛ لاتحاد القديم بها ـ أيضًا ـ وحصول الولد منهما.

القديم ـ وجعلتموه إلهًا خالقًا، فما المانع مِن(١) جَعْل أمٍّ ذلك الناسوت الذي جعلتموه ابنَ الله= صاحبة لله وزوجة، باعتبار أن القديم الأزلي حصل منه ومنها= ما هو ابن للقديم(٢) الأزلي؟

الوجه الخامس عشر: أن يقال: لفظ الابن وروح القدس، قد جاء في حق غير المسيح ـ عندكم ـ حتىٰ الحواريين عندكم يقولون: إن المسيح قال لهم: «**إنّ الله أبي وأبوكم**(٣)**، وإلهي وإلهكم**»، ويقولون: «**إن روح القدس تحل فيهم**».

وفيما عندكم من التوراة أن الرب قال لموسىٰ: «**اذهب إلىٰ فرعون، فقل له: يقول لك الرب: إسرائيل ابني بِكري، أرسله يعبدني، فإن أبيتَ أن ترسل ابني بكري، قتلتُ ابنك بِكرك**»(٤).

فلمَّا لم يرسل فرعون بني إسرائيل كما قال الله، قَتَل الله أبكار فرعون وقومه من بكر فرعون الجالسين(٥) علىٰ السرير، إلىٰ الأول من أولاد الآدميين، إلىٰ ولد الحيوان البهيم»(٦).

---

(١) «من» ليس في (ل)، وهي ملحقة في (د).
(٢) (د، المطبوعتان): «القديم».
(٣) عامة النسخ الخطية والمطبوعة: «وأبيكم»، لحنٌ! منشؤه ورود النص ـ كما مرَّ ـ بلفظ: «أريد أن أذهب إلىٰ أبي وأبيكم»، فحُكي اللفظ ولم يُفطن لمغايرة الأسلوب.
(٤) «الخروج»: (٤: ٢٢ ـ ٢٣).
(٥) كذا في الأصول، بالجمع صفة للأبكار، ويومئ إليه ما في الترجمة اليسوعية: «الخروج» (١٢: ٢٩) ونصّه: «ضَرَب الرب كل بِكر في أرض مصر، من بِكر فرعون الذي سيجلس علىٰ عرشه» فذكر كل من سيجلس علىٰ العرش وهم جماعة. وفي «المطبوعتين»: «الجالس»، صفة لفرعون، موافقًا سائر الترجمات الأخرىٰ.
(٦) المطبوعتان: «إليهم»، والمثبت أقرب، وهو ما في «التخجيل»: (١/ ٢٤٤)، وفي «الخروج»: (١٢: ٢٩ ـ ٣٠): «إلىٰ بكر الأسير الذي في السجن، وكل بكر بهيمة».

فهذه التوراة تسمِّي بني إسرائيل كلَّهم[1] أبناءَ الله وأبكاره، وتُسمِّي أبناءَ أهل مصر أبناء فرعون، ويُتَوَسَّع بتسمية[2] سخال الحيوان أولاد المالك[3] للحيوان.

وفي مزامير داود يقول: «**أنت ابني، سَلْني أُعطِك**»[4]. وفي الإنجيل يقول عن المسيح: «**أنا ذاهبٌ إلىٰ أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم**»[5]، وقال: «**إذا صلَّيتم فقولوا: يا أبانا الذي في السماء، قُدُّوسٌ اسمك، افعل بنا كذا وكذا**»[6].

ويقولون عن القدِّيسين: إن روح القدس يحُلُّ فيهم، وكذلك حلَّتْ في داود وغيره من الأنبياء، بل عندهم: إن الله يحُلُّ[7] في الصديقين كلهم.

فإن كان الابن وروح القدس، يقتضي اتحادَ اللاهوت بالناسوت= وَجَب أن يكون كلٌّ من الحواريين لاهوتًا وناسوتًا، وكذلك الأنبياء، فيكون النبيُّ لاهوتًا وناسوتًا؛ لأنه قد يسمَّىٰ[8] عندكم ابن الله، ونَطقتْ فيه روحُ القدس، لاسيما وأنتم قلتم في الأمانة: إنه روحٌ ممجَّد مسجود له، ناطق في الأنبياء.

فإن كان هذا يوجِب حلولَ اللاهوت في الناسوت أو اتِّحادَه به[9]، لزم أن يكون غير المسيح من الأنبياء، بل والحواريين، بل وأبناء إسرائيل= لاهوتًا

---

(١) «كلهم» ليس في (ل).

(٢) كذا في (د)، و(ل، المطبوع): «فتوسع بتسمية»، و(ط. النيل): «ويتوسع فتسميه».

(٣) (ل): «الملك».

(٤) «المزامير»: (٢: ٧، ٨).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) «متىٰ»: (٦: ٩)، و«لوقا»: (١١: ٢).

(٧) (ل): «حلَّ».

(٨) المطبوعتان: «سمّي».

(٩) «به» سقط من (ل، المطبوع).

وناسوتًا؛ إذ كان الذي جعلتموه اللاهوتَ حلَّ بغير المسيح واتّحد به، أو يسكن[1] فيه، أو احتجب به، أو ما قلتم من الألفاظ التي استدللتم بها على أن اللاهوت حلَّ في المسيح، كلفظ الابن وروح القدس= موجودٌ[2] عندكم في حق غير[3] المسيح.

والمعجزات التي احتججتم بها للمسيح، قد وجدت لغير المسيح.

ولو قدر أن المسيح أفضل من بعض أولئك، فلا ريب أن المسيح - عليه السلام - أفضل من جمهور الأنبياء، أفضل من داود وسليمان وأصحاب النبوات الموجودة[4] عندكم، وأفضل من الحواريين.

لكن مَزيد الفضل يقتضي الفضيلةَ في النبوة والرسالة، كفضيلة إبراهيم وموسى ومحمد ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ، وذلك لا يقتضي خروجَه عن جنس الرسل، كما قال تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[المائدة: ٧٥]

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا

---

(١) كذا في النسخ الخطية، وفي المطبوعتين: «سكن».

(٢) (د، ط. النيل): «موجودة».

(٣) المطبوعتان: «غير حق»، خلاف النسخ، والمثبت أولى، وبلفظه يتكرر قريبًا.

(٤) (ل): «الموجود».

رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٢ - ٧٥] الآية كلها[١].

وجماع هذا الجواب: أن ما يُوصف به المسيح عندهم من كونه ابن الله، أو حلّ فيه[٢]، أو ظهر أو سكن، وكون روح القدس أو روح الله حلَّت فيه، وكونه مسيحًا= كل ذلك موجود عندهم في حق غير المسيح.

فليس للمسيح اختصاصٌ بشيء من هذه الألفاظ، وإنما يوجد اختصاصه بلفظ الكلمة[٣]، وهذا هو الذي خصّه به القرآن، فإن الله قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء:١٧١].

وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبدُه ورسوله، وأن عيسىٰ عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه= أدخله الله الجنة علىٰ ما كان من عمل**»[٤] فهذا الذي خصّه به القرآن= هو الذي خصّتْه به[٥] الكتب المتقدمة، إذ كان القرآن مصدِّقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمِنًا عليه.

وأما سائر ما يوصف به ويدَّعون اختصاصه به من كونه ابنًا لله وكونه مسيحًا= فغيره أيضًا في كتب الأنبياء[٦] يُسمَّىٰ ابنًا لله ومسيحًا.

---

(١) «الآية كلها» سقط من المطبوع.

(٢) المطبوعتان: «وكون الله حلَّ فيه».

(٣) زيد بعده في المطبوعتين: «وكونه تجسّد من روح القدس»، خلافًا للنسخ.

(٤) البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨) وهذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم: «أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء».

(٥) «به» سقط من (د، المطبوعتين).

(٦) (د، المطبوعتان): «الله»، وكذا كان في (ل) ثم صوب لما أثبتّه.

وكذلك[1] ما يُذكر من الألفاظ التي يَحتجّون بها علىٰ الحلول، مثل كون الرب ظهر فيه أو حلّ أو سكن= فإن هذه الألفاظ موجودة عندهم في حق[2] غير المسيح، بخلاف لفظ الاتحاد، فإنه لا يوجد عندهم عن الأنبياء لا في حق المسيح ولا غيره، كما لا يوجد عندهم عن الأنبياء لفظ «الأقانيم» ولا لفظ «التثليث» ولا «اللاهوت» و«الناسوت»، ولا تسمية الله جوهرًا، بل هذا كله مما ابتدعوه، كما ابتدعوا أيضًا تسمية صفات الله ابنًا وروحَ القدس، فهم ابتدعوا ألفاظًا لم يَنطق بها الأنبياء، أثبتوا لها معانيَ باطلة[3]، وابتدعوا استعمال ألفاظ الأنبياء في غير مرادهم، وحَمَلوا مرادَهم عليها.

والألفاظ المتشابهة التي يحتجّون بها علىٰ اتحاد اللاهوت بالناسوت= موجودة ـ عندهم ـ في حقّ غير المسيح.

فليس للمسيح خاصّةٌ في كلام الأنبياء، تُوجِب أن يكون هو الله أو ابن الله، وتلك الألفاظ قد عُرِف ـ باتفاقهم واتفاق المسلمين ـ أن المراد [بها] حلولُ الإيمان بالله ومعرفته وهداه ونوره ومثاله العلمي[4]، كما قد بُسِط الكلام علىٰ ذلك[5]، وقد تقدم.

ومَن قال من ضُلَّال المسلمين: إن الرب يتّحد أو يحل في الأنبياء والأولياء، وإن هذا[6] من السِّرِّ الذي لا يباح به= فقولُه من جنس قول النصارىٰ

(١) (د، المطبوعتان): «ولذلك».
(٢) «حق» سقط من (د).
(٣) «باطلة» سقط من المطبوع.
(٤) زيد بعده في المطبوعتين: «في قلوب عباده الصالحين» وليس في النسخ.
(٥) ينظر: (٣/ ٢٣٢، ٢٨٣) والتعليق عليها. وفي المطبوعتين زيادة: «في غير هذا الموضع» وليس في النسخ.
(٦) (ل): «وهذا».

في المسيح، وهذا كثيرٌ في كلام كثير من المشايخ والمدَّعين للمعرفة والتحقيق والتوحيد، فيجعلون[1] توحيدَ العارفين أن يصير الموحِّدُ هو الموحَّد، ومنهم من يقول: إن الله يحُل في قلب العارف ويتكلّم بلسانه، كما يتكلم الجنيّ علىٰ لسان المصروع، ويقول الأول[2]:

ما وحَّد الواحدَ مِن واحدٍ … إذ كلُّ من وحَّده جاحدُ
توحيدُ من ينطِقُ عن نعته … عارِيَّةٌ أبطلها الواحدُ
توحيدُه إيّاه توحيدُه … ونَعْت من يَنْعَتُه لاحِدُ

ومِن هؤلاء مَن يقول: إن[3] هذا هو السِّر الذي باح به الحلَّاج وغيره، وهذا عندهم من الأسرار التي يكتمها العارفون، فلا يبوحون بها إلا لخواصّهم. ومنهم من يقول: إنما قُتل الحلَّاج؛ لأنه باح بالسر[4] ويُنشِدون:

من باح بالسِّرِّ كان القتل شيمتَه … من[5] الرجال ولم يؤخَذ له ثارُ

وأمثال ذلك.

وهؤلاء في دعواهم الاتحاد[6] بغير المسيح، شرٌّ من النصارىٰ.

فإن المسيح ـ صلوات الله عليه ـ أفضلُ مِن كل مَن ليس بنبيّ، بل هو أفضلُ من جماهير الأنبياء والمرسلين.

---

(١) (ل): «يجعلون».
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) «إن» ليس في (د).
(٤) المطبوعتان: «بهذا بالسر».
(٥) كذا في الأصول الخطية، وفي المطبوعتين: «بين»، والوجهان جائزان وزنًا علىٰ بحر البسيط.
(٦) زيد بعده في المطبوعتين: «والحلول» وليس في النسخ. وفي (د): «لغير».

فإذا كان من ادَّعىٰ أن اللاهوت اتَّحد به كافرا= فكيف بمن ادَّعىٰ ذلك فيمن هو دونه؟

وهذا الاتحاد الخاصّ غير الاتحاد والحلول العام، كقول(١) الذين يقولون إنه حالٌّ بذاته في كل مكان، أو يتّحد(٢) بكل شيء.

وغلاة هؤلاء ومحققوهم يقولون: إنه عينُ الوجود، والوجودُ واحد. فيجعلون الوجود(٣) الخالق القديم الواجب= هو عينُ وجود المخلوق المحدَث الممكِن.

وهؤلاء(٤) مثل ابن عربي الطائي، وصاحبِه الصدر القونوي(٥)، وصاحبِه التلمساني العفيف(٦)، وابنِ سبعين، وصاحبِه الشّشْتريّ، وعبدِ الله البلْيانيّ(٧)

---

(١) كذا في (ل)، ولم يحرَّر في (د)، وفي المطبوعتين: «لقول»، تصحيف. وبعدها في (د): «الذي».

(٢) المطبوعتان: «متّحد».

(٣) (ل): «الموجود».

(٤) (ل): «فهؤلاء».

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف الرومي، الصوفي، شيخ الاتحادية بقونية، تلميذ ابن عربي، وصاحب: «النفحات»، و«التجليات». (ت٦٧٢هـ). ترجمته في: «تاريخ الإسلام»: (١٥/ ٢٤٠)، و«ذيل التقييد»: (١/ ٩٦).

(٦) المطبوعتان: «العفيف التلمساني».

(٧) (ط. النيل): «البلباني»، والصواب ما أثبت. وهو عبد الله بن مسعود بن محمد بن الحسين البلياني (ت٦٨٦هـ ـ ١٢٨٨م) نسبة إلىٰ «بليان» مدينة في إيران، من أعمال «كازرون» التي تبعد عن «شيراز» نحو (١٤٥كم)، وإليها نُسِبَ أيضًا. من آثاره: «مفتاح الكنوز» و«رياض الصالحين». ينظر: «كشف الظنون»: (٢/ ١٧٧٠)، و«معجم المؤلفين»: (٦/ ١٥٠).
تنبيه: نسب المصنف شعر ابن إسرائيل الآتي قريبًا: «وما أنت غير الكون... الخ» إلىٰ البلياني المذكور هنا ـ كما في الفتاوىٰ (٢/ ٤٧٣) و«مجموعة الرسائل»: (مج١/ ٢٢٦) ـ فقال: «وآخر يقال له البلياني من مشايخ شيراز. ومن شعره: ... وأيضًا: وما أنت غيرُ الكون بل أنت عينُه» فأوهم أنه هو، وليس كذلك؛ فإن ابن إسرائيل دمشقي، وهذا بلياني شيرازي، وذاك محمد وهذا عبد الله، فلعل ما في المصادر متصحِّف عن قوله: «ومن شعرهم»، يؤكد ذلك أن البيت وقع في =

وعامر البصريّ وطوائف غير هؤلاء.

وهؤلاء يقولون: إن[1] النصارىٰ إنما كفَروا لأنهم خصُّوا ذلك بالمسيح.

وحقيقة قول هؤلاء= هو جحد الخالق وتعطيله، كما قال فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٢٣]، وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص:٣٨]

فإن فرعون ما كان يُنكِر هذا الوجود المشهود، لكن يُنكِر أن له صانعًا مباينًا له خَلَقَه، وهؤلاء موافقون لفرعون في ذلك.

لكن فرعون أظهر الجحود والإنكار، فلم يقل: الوجود المخلوق هو الخالق.

وهؤلاء ظنّوا أنهم يُقرِّون بالخالق، وأن الوجود المخلوق هو الخالق. وقد بُسِط الكلام علىٰ هؤلاء في آخر هذا الكتاب[2].

وهؤلاء لهم شُعراء[3] نَظَموا قصائد علىٰ مذهبهم، كابن الفارض في قصيدته المسماة: «بنظم السلوك»[4] حيث يقول:

= «تلبيس الجهمية»: (٥/ ٩٧) صريح النسبة إلىٰ ابن إسرائيل لا البلياني، ثم إن المصنف أورد بعد البيت المذكور أبياتًا أخرىٰ، يبعد أن تكون جميعًا للبلياني، بل بعضها مقطوع النسبة لغيره. فتبين أنهما اثنان. والله أعلم.

(١) «إن» ليس في (ل).

(٢) «وقد بسط الكلام علىٰ هؤلاء في آخر هذا الكتاب» ليس في (ل).

(٣) (ل): «وهؤلاء سوا» وفي المطبوعتين: «لهم شعر»، والصواب ما أثبته من (د).

(٤) منظومة تائية تقع في تسعة وخمسين ـ أو واحد وستين ـ وسبعمائة بيت، مطلعها:

سَقَتْني حُمَيَّا الحبّ راحة مقلتي ... وكأسي مُحَيَّا مَن عن الحُسْن جَلّتِ =

لهـا صـلواتي بالـمَقام أقيمهـا ... وأَشْـهدُ فيهـا أنهـا لـيَ صَـلَّتِ
كلانـا مُصَـلٍّ، واحـدٌ سـاجدٌ إلـىٰ ... حقيقتـه بـالجمع في كـلِّ سَـجْدةِ
وما كـان لـي صلَّىٰ سوايَ ولـم تكـن ... صـلاتيْ لغيـريْ في أدا كـلِّ ركعـةِ

إلىٰ أن قال:

وما زلـتُ إيَّاهـا وإيَّـايَ لـم تَـزَل ... ولا فَـرَقَ، بـل ذاتـيْ لـذاتيْ أَحبَّـتِ

وقوله:

إلـيَّ رسـولًا كنـتَ منِّـيَ مُرْسَـلًا ... وذاتـي بآيـاتي[1] علـيَّ اسـتدلَّتِ
فـإن دُعِيَـتْ كنـتُ المجيـبَ وإن أكـنْ ... منـادىً أجابـتْ مَـنْ دعـاني ولَبَّـتِ
وقـد[2] رُفعـتْ تـاءُ المخاطَـب بيننـا ... وفي رَفْعِهـا عـن فُرْقـة الفَـرْقِ رِفْعَتـي[3]

وكذلك لابن[4] إسرائيل في شعره قطعةٌ من هذا، كقوله:

= وسُمِّيت بالتائية الكبرىٰ، تمييزًا لها عن تائيته الصغرىٰ التي تقع في ثلاثةٍ ومائة بيت، وموضع هذه الأبيات من التائية في: (١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ٢٦٣، ٤٦٠، ٢١٦، ٢١٨) علىٰ التوالي. وينظر: «ديوانه» (ص٧٨) (ط. دار النجم).

وابن الفارض هو: عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، أشعر المتصوفة، وشيخ الاتحادية (ت٦٣٢هـ). ترجمته في: «تاريخ الإسلام»: (١٤/ ٧٦)، و«البداية والنهاية»: (١٧/ ٢٢٢).

(١) (ط. النيل): «بإياي»، خلافًا للنسخ، ومصدر النقل.

(٢) في «ديوانه»: (٩١)، و«شرح القيصري علىٰ التائية» (ص٥٦): «فقد».

(٣) زيد بعد هذ البيت في المطبوعتين: «إلىٰ أمثال هذه الأبيات» وليس في النسخ.

(٤) (د، المطبوعتان): «ابن». وابن إسرائيل هو: نجم الدين محمد بن سوار بن إسرائيل، أبو المعالي الشَّيباني الدِّمشقي، كان من شعراء الفقراء، حذا في بعض شعره حذو ابن الفارض، (ت٦٧٧هـ). قال عنه المصنف في «بيان تلبيس الجهمية» (٥/ ٩٧): «في شعره إيمان وكفر وهدىٰ وضلال». ترجمته في: «الوافي بالوفيات»: (٣/ ١٢٠)، «شذرات الذهب»: (٧/ ٦٢٦).

وهذا البيت منسوب إليه في: «الفتاوىٰ»: (٢/ ٨٠). «مجموعة الرسائل»: (مج١/ ٢٢٦).

وما أنتَ غيرَ الكون بل أنت عينُه ... ويَفهم هذا السرَّ مَن هو ذائقُ

والتِّلمساني الملقَّبُ بالعفيف[1]، كان من أَفْجَر الناس، وكان أحذقَ هؤلاء الملاحدة.

ولما قُرئ عليه كتابُ «فصوص الحكم» لابن عربي= قيل له: هذا الكلام يخالف[2] القرآن، قال: القرآن كلُّه شِرك، وإنما التوحيد في كلامنا.

فقيل له: إذا[3] كان الوجودُ واحدًا= فلماذا تَحْرُمُ عليَّ أمّي، وتُباح[4] امرأتي؟

فقال: الجميع عندنا حلال، ولكنْ هؤلاء المحجوبون قالوا: حرام، فقلنا: حرامٌ عليكم.

وكلام هؤلاء كلُّه متناقض[5] يَنقُض بعضه بعضا.

فإن قوله: على[6] «هؤلاء المحجوبون» وقوله[7]: «قلنا حرام عليكم»= يقتضي الفرق بينه وبين المحجوبين، وبين المخاطَب والمخاطِب، وهذا يناقِض وحدةَ الوجود.

وإذا قالوا: «هذه مظاهر للحق ومجالٍ»= فإن كان[8] الظَّاهر غير الـمُظْهَر، والـمُجلىٰ غير المتجلّي= فقد ثبت التعدد، وأن في الوجود اثنين ظاهرًا ومَظْهَرًا. وإن جعلوهما واحدا= فقد بطَل جوابهم.

---

(١) «الملقب بالعفيف» سقط من (د).

(٢) (د، ط. النيل): «مخالف».

(٣) (ل): «فإذا».

(٤) زيد بعده في المطبوعتين: «لي» وليس في النسخ.

(٥) «متناقض» ليس في (د).

(٦) «على» سقط من المطبوع، خلافًا للنسخ الخطية والمطبوعة.

(٧) «قوله» سقط من (ل)، وهي ملحقة في (د).

(٨) (ل): «ذاك».

فصل:

قال الحاكي عنهم(١): فقلتُ: فإنهم يُنكِرون علينا قولنا: إن الله ـ تعالىٰ ـ جوهرٌ.

قالوا: إننا نسمع عن هؤلاء القوم أنهم ذوو فضل وأدبٍ ومعرفةٍ، ومَن هذا صورتُه، وقد قرأ شيئًا من كتب الفلاسفة والمنطق= فما حقُّهم يُنكرون هذا علينا! وذلك أنه ليس في الوجود شيءٌ إلا وهو إما جوهر وإما عرَض؛ لأن أيَّ أمرٍ نظرناه وجدناه إما قائمًا بنفسه غيرَ مفتقِر في وجوده إلىٰ غيره، وهو الجوهر، وإما مفتقِرٌ في وجوده إلىٰ غيره لا قِوام له بنفسه، وهو العَرض، ولا يمكن أن يكون لهذين القسمين قسمٌ ثالث. فأشرفُ هذين القسمين القائمُ بذاته الغيرُ مفتقِرٍ في وجوده إلىٰ غيره. وهو الجوهر.

ولما كان الباري ـ تقدَّست أسماؤه ـ أشرفَ الموجودات؛ إذ هو سبب سائرها= أَوْجبَ أن يكون أشرفَ الأمور وأعلاها الجوهرُ؛ ولهذا قلنا إنه جوهر لا كالجواهر المخلوقة، كما نقول إنه شيءٌ لا كالأشياء المخلوقة، وإلا لزِم أن يكون قِوامُه بغيره، ومُفْتَقِرًا في وجوده إلىٰ غيره، وهذا [من](٢) القبيح أن يقال علىٰ الله ـ تعالىٰ ـ.

فقلت لهم: إنهم يقولون إنا إنما نمتنع من أن نُسمِّيَه(٣) جوهرًا؛ لأن الجوهرَ ما قَبِل عَرَضًا وما شَغَل الحيِّز، ولهذا ما يُطلَق عليه القول بأنه ـ تعالىٰ ـ جوهر.

---

(١) هو بولس الأنطاكي، كما تقدم في الفصل السابق.

(٢) عامة النسخ الخطية «فمن»، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) (ل): «تسَمِّيه».

قالوا: إن الذي يَقبل عَرَضًا ويشغَل حيِّزًا هو الجوهر الكثيف، فأما الجوهر اللطيف فما يَقبل عرضًا ولا يشغل حيِّزًا؛ مثلَ جوهر النفس، وجوهر العقل، وجوهر الضوء، وما يجري هذا المجرىٰ من الجواهر اللطيفة المخلوقة.

فإذا كانت الجواهر اللطيفة المخلوقة لا تَقبل عرضًا، ولا تشغَل حيِّزًا= فيكون خالقُ الجواهر اللطائف والكثائف، ومركِّبُ اللطائف بالكثائف يَقبل عَرَضا ويشغَل حيِّزًا!؟ كلا.

والجواب من وجوه:

أحدها: أن يقال: أما تسمية الباري جوهرًا. فهو من أهون ما يُنكَر علىٰ النصارىٰ؛ ولهذا كان مِن الناس مَن ينكره من جهة الشرع ـ فقط ـ أو اللغة، ومنهم من يُنكره من جهة العقل أيضًا، ومنهم من يراه نزاعًا لفظيًّا. وطائفة من المسلمين يُسمُّونه جوهرًا وجسمًا أيضًا.

وذلك أن المسلمين في أسماء الله ـ تعالىٰ ـ علىٰ طريقتين، فكثير منهم يقول: إن أسماءه سمعيَّة شرعيّة، فلا يُسمَّىٰ إلا بالأسماء التي جاءت بها الشريعة، فإن هذه عبادة[1]، والعبادات مبناها علىٰ التوقيف والاتباع.

ومنهم من يقول: ما صحَّ معناه في اللغة، وكان معناه ثابتًا له= لم يَحْرُم تسميته به؛ فإن الشارع لم يُحَرِّم علينا ذلك، فيكون عفوًا.

والصواب القول الثالث؛ وهو أن يُفرَّق بين أن يُدْعىٰ بالأسماء أو يُخبَر بها عنه. فإذا دُعي لم يُدْعَ إلا بالأسماء الحسنىٰ كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

---

(١) (ل): «عبادات».

وأما الإخبار عنه فهو بحسب الحاجة؛ فإذا احتيج في تَفهيم الغيرِ المرادَ إلىٰ أن تُتَرْجَم أسماؤه بغير العربية، أو يُعبَّر عنه باسمٍ له معنىٰ صحيح= لم يكن ذلك محرَّمًا.

وأما الذين منعوه من جهة العقل فكثيرٌ منهم[1] يقولون: إن الجوهر ما شغَل الحيِّز، وحَمَل الأعراض والله ﷻ ليس كذلك، وهذا قولُ من نفىٰ ذلك من أهل الكلام. ومنهم من يقول: الجوهر ما إذا وُجِد كان وجودُه لا في موضوع، وهذا إنما يكون فيما وجودُه زائدًا[2] علىٰ ذاته، وواجبُ الوجود وجودُه عينُ ذاته، فلا يكون جوهرًا. وهذا قول ابن سينا وأمثاله من متأخري المتفلسفة.

وأما قدماء الفلاسفة؛ كأرسطو وأمثاله؛ فكانوا يسمُّونه جوهرًا؛ وعنهم أَخذت النصارىٰ هذه التسمية؛ فإن أرسطو كان قبل المسيح بأكثر من ثلاثمائة سنة؛ ولهذا قال هؤلاء في كتابهم[3]: نعجب ممن يُنكِر ذلك وهو قد قرأ شيئًا من كتب الفلاسفة والمنطق[4].

وأما اللغة: فإن لفظ الجوهر ليس من العربية العَرْباء؛ ولهذا لا يُعرَف في كلام العرب الـمَحض، وإنما هو مُعرَب كما ذكر ذلك الجوهري وغيره.

---

(١) زيد بعده في المطبوع: «مَن»، وليست في الأصول الخطية، ولا طبعة النيل.

(٢) كذا في النسخ الخطية وط. النيل، بالنصب، وقد تقدم توجيه نظائره، وفي المطبوع بالرفع، خلافًا للأصول.

(٣) أي رسالة «بولس الأنطاكي» التي أشرنا إليها مرارا.

(٤) زيد بعده في (ط. النيل): «وقد ذكرتْ طائفة أن أفلاطون وغيره كانوا يُنكرون تسميته جوهرًا، وأن أرسطو سمَّاه جوهرًا، ومما حكىٰ النزاع بينهم أبو نصر الفارابي».

قال الجوهريُّ(١): «الجوهر معرب، الواحدة جوهرة»، فهو من العربية المعرَّبة، لا من العربية العرْباء، كلفظ سِجِّيل، وإستبرق وأمثالِ ذلك من الألفاظ المعرَّبة.

وهذا اللفظ ليس موجودًا في القرآن، ومع هذا فلما عُرِّب كان معناه في اللغة هو الجوهر المعروف. وتسمية القائم بنفسه أو الشاغل للحيّز جوهرًا= فهو(٢) أمر اصطلاحي، ليس هو من الأسماء اللغوية ولا [العرفية](٣) العامة، ولا الأسماء الشرعية.

وقد قيل: إنه مأخوذٌ من كلام الأوائل، كاليونان وغيرهم، فإنه يوجد في كلامهم: تسميةُ القائم بنفسه جوهرًا. وقد قيل: سمَّوه بذلك؛ لأن جوهر الشيء أصلُه، والقائم بنفسه هو الأصل. وقد يُسمُّون العرض القائم بغيره جوهرًا.

وقيل: لأن لفظ الجوهر «فَوْعل»، من الجهر؛ وهو الظهور والوضوح، والقائم بنفسه يَظهر ويُعرَف قبل أن يُعرَف ما قام به من الأعراض.

والناس متفقون علىٰ إثبات الأعيان القائمة بنفسها التي تسمّىٰ جواهر أو أجسامًا(٤)، وتنازعوا في ثبوت الأعراض القائمة بها، والنزاع عند محققّيهم لفظيٌّ؛ فإنّ عاقلًا لا ينازِع أن الجسم يتحرّك بعد سكونه. لكن منهم من يقول: حركته ليست زائدةً علىٰ ذاته. ومنهم من يقول: هي زائدة علىٰ ذاته. وهو نظير نزاعهم في الصفات: هل هي زائدة علىٰ الذات أو ليست زائدة؟.

---

(١) في: «الصحاح»: (٢/ ٦١٩)، (باب الراء، فصل الجيم)، (جهر).

(٢) كذا، والأقوم: «هو».

(٣) في النسخ الخطية: «العربية»، والصواب ما أثبت من (ط. النيل)، وانظر بيانًا له في: «التعريفات»: (ص/ ١٩٤)، و«الكليات»: (ص/ ٦١٧).

(٤) (ل): «جوهرًا وأجسامًا».

والتحقيق أن مُسمّىٰ الإنسان إذا أُطلق دخل فيه صفاته، وإذا مُيِّز بين هذا وهذا= قيل: الذات والصفات. ومن الناس من يَخصُّ بلفظ العرض ما لم يكن من الصفات لازمًا للموصوف، والصفات اللازمة يسمِّيها صفاتٍ ذاتيةً أو[(١)] جوهريّة. ومنهم من يخصّ بالعرَض ما لا يبقىٰ عنده زمانين، ويقول: صفات المخلوق تسمّىٰ أعراضًا؛ لأنها لا تَبقىٰ[(٢)] زمانين، بخلاف صفات الله، فإنها عنده باقية[(٣)] فلا تسمَّىٰ أعراضا.

ومن نُظّار المسلمين[(٤)] من يُسمِّي صفات كلِّ موصوف أعراضًا[(٥)]، وإذا كان كذلك فلا يَدخُل في أسماء الله التي تُذكَر في أصول الإيمان التي يجب اعتقادها من الأسماء= ما هو اصطلاحُ طائفةٍ من الناس، مع أنه يُوهِم معنىً باطلا.

وهذا الموضع مما اضطرب فيه ـ مع النصارىٰ ـ كثيرٌ من الناس. منهم من يجعل الصفات أعيانًا قائمةً بنفسها وجواهر قائمة بنفسها.

ومنهم من يجعل الأعيان القائمة بنفسها صفات، والصفات لا تقوم بأنفسها، بل لا بُدَّ لها من موصوفٍ تقوم به.

والأولون نوعان:

منهم من نفىٰ[(٦)] الصفات، وقال: لو أثبتنا له حياة وعلمًا وقدرة= لزم أن

---

(١) «أو» سقط من (ل).

(٢) المطبوعتان: «تقبل».

(٣) (ط. النيل): «فإنها ثابتة».

(٤) زيد بعده في (ط. النيل): «وغيرهم».

(٥) من قوله: «من يخصص بالعرض..» إلىٰ هنا ساقط من (د).

(٦) (ل): «يقرُّ»، تصحيف فاحش.

تكون هذه آلهة؛ فإن القِدَم أخصُّ وصفه، فلو أثبتنا قديمًا ليست هي الذات= لزم أن يشارك الذات في أخص وصفها، فتكون ذاتًا أخرىٰ قائمةً بنفسها.

وهذه طريقة كثير من نفاة الصفات من مبتدعة المسلمين، واليهودُ والنصارىٰ احتجُّوا علىٰ نفي الصفات بأنا[1] لو أثبتناها= لزم أن تكون آلهة.

قال[2] من قال من المنتسبين إلىٰ الإسلام: إنا لو أثبتنا الصفات لقلنا بقول النصارىٰ، حيث أثبتوا لله الأقانيم، وحجّة هؤلاء قائمة علىٰ النصارىٰ، **وهم النوع الثالث**[3]، فإنهم أثبتوا لله صفات وجعلوها[4] جوهرًا قائمًا بنفسه، وقالوا[5]: إن الله موجود حيٌّ ناطق، ثم قالوا: حياتُه جوهرٌ قائم بنفسه، ونطقه ـ وهو الكلمة ـ جوهر قائم بنفسه وقالوا في هذا: إنه إله من إله، وهذا إله من إله، فأثبتوا صفات لله وجعلوها جواهر قائمةً بنفسها، ثم قالوا: الجميع جوهر، فكان في كلامهم أمورٌ كثيرة من الباطل المتناقض؛ منهم من جعل الصفات جوهرًا. ومنهم من جعل الجواهر المتعددة جوهرًا واحدًا.

والذين قالوا من نفاة الصفات من[6] المعتزلة والجهمية: إن مَن أَثبتَ الصفات فقد قال بقول النصارىٰ= هو متوجِّه علىٰ مَن جَعَل الصفات جواهر.

---

(١) (ل): «فإنا»، والصواب ما أثبت.

(٢) المطبوعتان: «وقال» بالعطف، خلاف النسخ. وقد تقدمت الإشارة إلىٰ أقوالهم قريبًا.

(٣) باعتبار التفصيل، لا الإجمال، فالمصنف قسَّم من اضطرب في هذا الباب إلىٰ فريقين: من يقول: إن الصفات أعيان قائمة بنفسها، ومن يقول: قائمة بغيرها، ثم الأوَّلون علىٰ نوعين؛ منهم من نفىٰ الصفات، والثاني: (وهو الثالث علىٰ طريق التفصيل) من يثبتها مع كونها قائمة بنفسها.

(٤) سقط من المطبوع واو العطف في: «وجعلوها».

(٥) (د، ط. النيل): «فقالوا».

(٦) «من» سقط من (ل، المطبوع).

وهؤلاء هم والنصارىٰ[1] يزعمون أن الصفات جواهر آلهة، ثم قال هؤلاء: ولا إله إلا الله، فلا صفة له. وقالت النصارىٰ: بل الأب جوهر إله، والابن جوهر إله، وروح القدس جوهر إله، ثم قالوا: والجميعُ إلهٌ واحد.

ونفسُ تصوُّر هذه الأقوال ـ التصوُّر التام ـ يوجِب العلمَ بفسادها[2]. وأما الرسل وأتباعهم فنطقوا بأن[3] لله علمًا وقدرة وغير ذلك من الصفات، وثبتوا[4] أن الإله إله واحد.

فإذا قال القائل: عبدتُ الله ودعوتُ الله؛ فإنما دعا وعَبَد إلهًا واحدًا؛ وهو ذاتٌ متَّصفة بصفات الكمال= لم يَعبُد ذاتًا لا حياة لها ولا علم ولا قدرة، ولا عبد ثلاثةَ آلهة ولا ثلاثةَ جواهر، بل نفسُ اسم الله يتضمّن ذاتَه المقدسة المتصفة بصفاته ـ سبحانه ـ، وليست صفاته خارجة عن مسمّىٰ اسمه، ولا زائدة علىٰ مسمّىٰ اسمه، بل إذا قُدِّر ذاتٌ مجرَّدة عن الصفات، فالصفات زائدة علىٰ هذه الذات المقدَّرة في الذهن المجرَّدة عن الصفات، ليست الصفات زائدة علىٰ[5] الذات المتَّصفة بالصفات، فإن تلك لا وجود لها[6] إلا بصفاتها فتقديرها ـ مجردة عن صفاتها ـ تقديرٌ ممتنع.

وقد تنازع المثبتة: هل يقال الصفات غير[7] الذات، أم يقال ليست غير

(١) سقط من المطبوع واو العطف في: «هم والنصارىٰ»! والمشار إليهم مع النصارىٰ هم نفاة الصفات القائلين بأنها أعيان قائمة بنفسها.

(٢) (ل): «بفسادهما».

(٣) المطبوعتان: «أن»، خلاف النسخ.

(٤) (د، ط. النيل): «وبينوا».

(٥) المطبوعتان: «عن».

(٦) (ل): (لا تَحَقُّقَ لها)، ونسخة في هامش (د)، و(لها) سقط من المطبوع.

(٧) (ل، المطبوع): «عين»، هنا والموضع الذي يليه، والمثبت أولىٰ؛ لاتفاق النسخ عليه فيما بعدهما.

الذات؟ أم يقال: لا يقال هي[1] غير الذات، ولا يقال ليست غير الذات؟

وتنازعوا في مسمَّىٰ الغيرين[2]: هل هما ما جاز مفارقةُ أحدهما الآخر مطلقًا، أو ما جاز مفارقتُه بوجود أو زمان أو مكان، أو هما[3] ما جاز العلمُ بأحدهما مع عدم العلم بالآخر؟ وغاية ذلك منازعاتٌ لفظيّة.

وكثيرٌ[4] منهم فرَّق في الصفات اللازمة بين بعضها وبعض؛ فجعل بعضَها زائدا علىٰ الذات وبعضها ليس بزائد علىٰ الذات، وكان الفرق بحسب ما يتصوَّره، لا بحسب ما الأمر عليه في نفسه. فإذا أمكنهم تصوُّر الذات بدون صفة قالوا: هذه زائدة، وإلا قالوا ليست زائدة. وهذا يقتضي أنها زائدة علىٰ ما تصوَّروه هم من الذات، لا أنه في الخارج ذاتٌ مجرَّدة عن تلك الصفة، وصفةٌ زائدة عليها، بل ليس إلا الذات المتصفة بتلك الصفات.

ولكن يجب الفرق بين أن يقال: إن الصفات غير الذات، وبين أن يقال: إنها غير الله؛ فإن اسم «الله» متناولٌ لذاته المتصفة بصفاته.

فإذا قال القائل: دعوتُ الله وعبدتُ الله؛ فلم يدْعُ ذاتًا مجرّدة ولا صفات مجرّدة، بل دعا الذات المتصفة بصفاتها، فاسمه ـ تعالىٰ ـ يتناول ذلك. فليست صفاتُه خارجةً عن مسمىٰ اسمه، ولا زائدةً علىٰ ذلك، وإن قيل إنها زائدة علىٰ الذات المجردة. ومن ظنَّ أنها زائدة علىٰ الذات المتّصفة بصفاتها التي تدخل صفاتها في مسمّاها= فقد غلِط، ولكن في الأذهانِ والألسنةِ زَلَقٌ[5] في هذا

(١) (ل): «هن»، وقوله: «ولا يقال ليست غير الذات» سقط من (د).
(٢) (ل): «العزيز»، تصحيف.
(٣) «هما» ليس في (ل).
(٤) (ل): «وكتبهم»، وكذا كانت في (د) وصوبت كالمثبت.
(٥) (ط. النيل): «تزلق»، وكلاهما صواب.

الموضع كثيرًا.

فإذا قيل: الصفات مغايرة للذات= لم يكن في هذا من المحذور ما في قولنا: إن صفات الله غير الله؛ فإن اسم الله يتناول صفاته.

فإذا قيل[1]: إنها غيره= فُهِم من ذلك أنها مباينةٌ له، وهذا باطل. ولهذا كان النفاة إذا ناظروا أئمة المسلمين، كما ناظروا الإمام أحمد بن حنبل في محنته المشهورة فقالوا له: «ما تقول في القرآن وكلام الله، أهو الله أم غير الله؟». عارضهم بالعلم؛ وقال لهم: «ما تقولون في علم الله، أهو الله أم غير الله؟»[2].

وأجاب ـ أيضًا ـ بأن الرسل[3] لم تَنطق بواحد من الأمرين، فلا حجة لهم[4] في كلام الله ورسوله، فإن الله لم يقل لكلامه: هو أنا، ولا قال: إنه غيري! حتىٰ يقول القائل: إذا كان قد جعل كلامَه غيرَه وسواه، فقد أخبر أنه خالق لكل ما سواه!

فإن كان الاحتجاج بالسمع؛ فلا حجةَ فيه، وإن كان الاحتجاج بالعقل؛ فالمرجع في ذلك إلىٰ المعاني لا إلىٰ العبارات. فإن أراد المريد بقوله: هل كلامه وعلمه غيره: أنه مباين له= فليس هو غيرًا له بهذا الاعتبار. وإن أراد بذلك: أن نفس الكلام والعلم ليس هو العالم المتكلم= فهو غيرٌ له بهذا الاعتبار. وإذا كان اللفظ مجمَلا= لم يجُزْ إطلاقُه علىٰ الوجه الذي يُفهِم المعنىٰ الفاسد.

وأما الذين جعلوا الأعيان القائمة بأنفسها صفات، فهم هؤلاء المتفلسفة

---

(١) «قيل» ليس في (د).

(٢) بمعناه في: «الرد علىٰ الجهمية»: (ص١٠٥، ١٠٦)، وينظر: «الصفدية»: (١/ ١٠٧)، و«درء التعارض»: (٣/ ٢٤).

(٣) (د، ط. النيل): «المرسلين».

(٤) (د، ط. النيل): «لكم».

النفاة للصفات ومن أشبههم؛ فإنهم قالوا: إن رب العالمين عقل وعاقل ومعقول.

ولفظ «العقل» عندهم وإن كانوا يقولون: هو جوهر قائم بنفسه= فقد صرَّحوا أيضًا بأنه ـ نفسَه ـ علمُه[1]، حتىٰ صرَّحوا بأن ربَّ العالمين عِلْمٌ، كما صرح بذلك ابن رشد وغيره[2]، ونقلوه عن أرسطو، وأن العقول العشرة كل منها عِلْم، فهو عِلْم وعالِم ومعلوم، بل قالوا: عقْل وعاقل ومعقول، وعاشِق ومعشوق وعِشْقٌ، ولذيذ وملتَذٌّ ولذَّة، فجعلوه ـ نفسَه ـ لذّة وعقلا وعِشْقًا، وجعلوا ذلك هو العالم العاشق الملتَذّ، وجعلوا نفس العِلم نفس العِشْق ونفس اللذة؛ فجعلوه ـ نفسَه ـ صفات، وجعلوه ذاتًا قائمةً بنفسها، وجعلوا كلَّ صفة هي الأخرىٰ، وهذا مما يعلم ـ بصريح العقل ـ بطلانُه.

ومنهم من لا يصرِّح بأنه ـ نفسَه ـ عِلْم، فإنه يقول: هو عاقل ومعقول وعقل؛ يقول: إنه يعلم ـ نفسَه ـ بلا علم[3]، بل هو العالم، وهو المعلوم وهو العلم. وحقيقة كلامهم تعود إلىٰ قول أولئك؛ فإنهم إذا قالوا: إن العلم الذي يعلم به ذاته هو العالم وهو المعلوم= فقد جعلوا نفسَ العلم نفسَ العالم ونفسَ العلم نفسَ المعلوم، وهي حقيقة قول أولئك، وهذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع[4].

---

(١) كأنها في (د): «علم».

(٢) ينظر: «درء التعارض»: (٩/ ٣٩٩) وما بعدها، وقد تقدم الكلام عن العقول العشرة. وابن رشد هو: أبو الوليد، محمد بن أحمد الأندلسي، القرطبي. المعروف بابن رشد الحفيد، فقيه، طبيب، متكلم. له: «بداية المجتهد» وغيره. (ت٥٩٥هـ). ترجمته في: «بغية الملتمس»: (ص٥٤)، «تاريخ الإسلام»: (١٢/ ١٠٣٩).

(٣) زيد بعده في (ل): «عَلِمه».

(٤) (٢/ ٢٦٨ ـ ٢٧٧)، وينظر: «درء التعارض»: (٥/ ٨١)، ومجموع الفتاوىٰ: (١٧/ ٢٨٦) وما بعدها. وفي (د) زيادة: «يتلوه» أي يتبعه الوجه الثاني.

الوجه الثاني: أن يقال لهم: أنتم تقولون إنكم متّبعون للكتب الإلهية، وإذا كان كذلك= لم يَنْبغي[1] لكم في شريعة إيمانكم من الأسماء إلا ما جاءت به الأنبياء عليهم السلام.

والأنبياء لم يُسَمِّيه[2] أحدٌ منهم جوهرًا، وإنما سمَّاه بذلك «**أرسطو**» وأمثاله، وهؤلاء كانوا مشركين يعبدون الأصنام، ولم يكونوا يعرفون الله المعرفة الصحيحة، ولا يقولون: إنه خالق السماوات والأرض، ولا إنه بكل شيء عليم، ولا على كل شيء قدير، وإنما كانوا يعبدون الكواكب العلويّة، والأصنام السفليّة، ويعبدون الشياطين، ويؤمنون بالجبت والطاغوت، وإنما صاروا مؤمنين= لمّا دخل إليهم دين المسيح ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ بعد «**الإسكندر المقدوني**» ـ صاحب «**أرسطو**» ـ بنحو ثلاثمائة سنة[3]، وكانوا يُسمُّون الملك من ملوكهم «**بَطْلَمْيُوس**»[4]، كما يُسمُّون[5] القبطُ ملكَها «**فرعون**»، والحبشةُ ملكَها «**النجاشي**»، والفرسُ «**كسرىٰ**» ونحو ذلك.

---

(١) كذا في النسخ الخطية، بالياء؛ إجراء للمعتل مُجرىٰ الصحيح، وهي لغة صحيحة، يشهد لها قراءة قنبل: «إنه مَن يتقي». «الحجة» للفارسي: (٤/ ٤٤٨). وفي المطبوعتين: «لم ينبغِ».

(٢) كذا، وتخريجه كالذي قبله، وفي المطبوعتين: «لم يسمِّ الله».

(٣) زيد بعده في «ل، والمطبوع»: «ويقال إن آخر ملوكهم كان بطلميوس»، وكذا كان في (د)، ثم ضُرب عليها، لذا حذفت من (ط. النيل)، ويظهر أن العبارة مقحمة، فهي إما في معنىٰ ما بعدها أو تناقضه؛ لإيهامها أن التسمية خاصّة بآخر ملوكهم.

(٤) كذا بتقديم الميم، ويقال: (بَطْلَيْمُوس) بتأخير الميم، وكلاهما صحيح. ينظر: «تاج العروس»: (١٥/ ٤٥٩). و«البطالسة» خلفاء الإسكندر المقدوني في مصر، وهم خمسة عشر ملكًا فقط، امتدّ حكمهم من «بطليموس» الأول: «سوتير» سنة (٢٨٥ ق. م) إلىٰ «بطليموس» الخامس عشر: «قيصرون» الذي انتهىٰ حكمه سنة (٣٠ ق. م). انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني: (٢/ ١٧٥).

(٥) كذا في النسخ الخطية، بواو الجماعة، وتخريجه علىٰ لغة «بلحارث» تخريج مشهور، وله شواهد في القرآن والسنة وكلام العرب. انظرها في: «كتاب سيبويه»: (٢/ ٤١)، و«شرح الأشموني»: (١/ ٣٨٩). (ط. النيل): «تسمي»، علىٰ الجادّة.

وحينئذ فعدولُكم عن طريقة الأنبياء والمرسلين. إلىٰ طريقة الكفار والمشركين المعطلين من الضلال المبين.

وفي كتبهم: أن بولص لما صار إلىٰ «**أيثينية**»[1] دار الفلاسفة، وفيها دارُ الأصنام، وجد مكتوبًا علىٰ باب دار العلماء[2]: «الإله الخفيّ الذي لا يُعرَف هو الذي خلق العالم».

فكانوا لا يَعرفون ربَّ العالمين، فكيف يُعدَل عن طريقة رسل الله وأنبيائه كموسىٰ، وداود، والمسيح، إلىٰ طريقة هؤلاء الكفار المشركين المعطلين؟!

ولكن النصارىٰ ركَّبوا دينًا من دينين: من دين الأنبياء الموحِّدين ودين المشركين، فصار في دينهم قسطٌ مما جاءت به الأنبياء، وقِسطٌ مما ابتدعوه من دين المشركين في أقوالهم وأفعالهم، كما أحدثوا ألفاظ الأقانيم، وهي ألفاظ لا توجد في شيء من[3] كلام الأنبياء، وكما أحدثوا الأصنام المرقومة[4] بدل الأصنام المجسَّدة، والصلاةَ إلىٰ الشمس والقمر والكواكب، بدل الصلاة لها[5]، والصيام في وقت الربيع، ليجمعوا بين الدين الشّرعي والأمر الطبيعي وغير ذلك.

---

(١) (ط. النيل): «أثينة».

(٢) (د، ط. النيل) زيادة: «والأصنام مكتوبا».

(٣) «شيء من» سقط من (ل، والمطبوع).

(٤) أي الرسوم المصورة.

(٥) (ل، ط. النيل): «إليها»، أي: اعتاضوا بالصلاة إلىٰ حيثُ تظهر الشمس والقمر والكواكب عن الصلاة والسجود لها. وانظر: «منهاج السنة النبوية»: (١/ ٣٢١).

الوجه الثالث: قولهم: إن الذي يشغَل حيِّزًا ويقبل عرَضًا هو الجوهر الكثيف، فأما الجوهر اللطيف فما[1] يقبل عرَضًا ولا يشغَل حيِّزا، مثل جوهر النفس وجوهر العقل وجوهر الضوء.

فيقال: الكلام في الجواهر، هل هي منقسمة إلىٰ متحيِّز وغير متحيِّز أو كلها متحيِّزة[2]؟ هو متَّصل بالكلام علىٰ نفس الإنسان الناطقة.

فنقول: إن المسلمين من أعظم الناس معرفةً بوجود الملائكة والجن، كما دلّ علىٰ ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة. وكذلك سلف الأمة وأئمتها يَعرفون وجود النفس التي هي روح الإنسان التي تُفارق بدنَه حين الموت، كما دلّ علىٰ ذلك الكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة، وإن كان كثيرٌ من أهل الكلام[3] يزعم أنها عرَض من أعراض البدن، أو جزءٌ من أجزائه، فهذا قولٌ محدَث في الإسلام، لم يَذهب إليه أحدٌ من السلف والأئمة، وإن كان محكيًّا عن أكثر المتكلمين، فليس الذين قالوا هذا من سلف الأمة ولا أئمتها، بل هم من أهل الكلام المحدَث المذموم عند السلف.

وأئمة الأمة وكثير من المتفلسفة الداخلين في أهل الملل يقولون: إن الذوات التي تسميها الأنبياءُ «الملائكةَ» هي التي تسميها المتفلسفة المشّاؤون «عقولًا»، أو «عقولًا ونفوسًا»، وهذا[4] غلط عظيم كما قد بُسط في موضعه[5].

فإن العقول التي يثبتها هؤلاء المتفلسفة لا حقيقة لها عند الرسل

---

(١) (ل): «فلا».

(٢) (ل) زيادة: «هو».

(٣) (ل، المطبوعتان): «الكتاب»، وكذا كان في (د) ثم صوب إلىٰ ما أثبته. وهو المتعيِّن؛ لكلامه الآتي.

(٤) «وهذا» ليس في (ل). وقد تقدم الكلام علىٰ هذه المسألة صدر الكتاب.

(٥) ينظر: «درء التعارض»: (١٠/ ٨٤)، و«بغية المرتاد»: (ص/ ٢١٩)، و«قاعدة جليلة في التوسل»: (ص/ ٣٣).

وأتباعهم، بل ولا حقيقة لها في المعقول الصريح(١) أنها أعراضٌ قائمة بنفسها. وقد صرَّحوا بأن واجب الوجود ـ نفسَه ـ هو عِلْم، وجعلوا نفسَ العلم هو نفس العالم، ونفس تصوّر هذا القول يكفي في العلم بفساده، كما أن هؤلاء المتفلسفة ـ أتباع أرسطو ـ لا يعرفون الملائكة، بل ولا الجن، وإنما عِلمُهم معرفةُ الأجسام الطبيعية، وتكلّموا في الإلهيات بكلام قليل نزر؛ باطلُه أكثرُ من حقِّه، كما قد بُسِط في موضع آخر(٢).

وهؤلاء يزعمون أن العقل الأول أَبْدعَ ما دونه من العقول والأفلاك إلىٰ أن ينتهي الأمر إلىٰ العقل العاشر، فهو مبدِعُ ما تحت فَلَك القمر. وهذا كله من أعظم الكفر عند الرسل وأتباعهم أهل الملل. فإن مضمون هذا أن ملَكًا من الملائكة خَلَق كل ما تحت السماء، وملَكًا(٣) فوقه خَلَق كل ما سوىٰ الله ـ سبحانه ـ وهذا من أعظم الكفر في دين المرسلين وأهل الملل المسلمين واليهود والنصارىٰ.

قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٩]. فأخبر أن الملائكة لا تسبقُه بالقول، ولا تعملُ إلا بأمره، فضلًا عن أن يكون ملكٌ(٤) خلق كل شيء.

---

(١) زيد بعده في (ل، والمطبوع): «بل حقيقة كلامهم»، إقحام يوهم رجوع الكلام إلىٰ الرسل، لكن يرده السباق واللحاق.

(٢) ينظر: «الرد علىٰ المنطقيين»: (ص/ ١٠٢، ٣٨٨، ٤٤٤)، و«النبوّات»: (١/ ١٩٤)، و«مجموع الفتاوىٰ»: (١٧/ ٣٣٥).

(٣) (ل): «وملكها».

(٤) (ط. النيل) زيادة: «هو».

وهؤلاء يقولون: إن الوحي والكلام الذي جاءت به الرسل، إنما هو فيضٌ من هذا العقل الفعَّال علىٰ قلوب الأنبياء. والله ـ تعالىٰ ـ عند هؤلاء لم يكن يعرف موسىٰ ولا عيسىٰ ولا إبراهيم ولا محمدًا ولا غيرهم من الرسل، ولا يَعرف الجزئيات، بل عند أرسطو وأتباعه: أنه لا يعلم شيئًا من الأشياء، بل ولا خَلق عندهم شيئًا، بل ولا يَقدِر عندهم علىٰ خلق شيء، فضلًا عن أن يكون علىٰ كل شيء قدير وأن يكون قد[1] أحاط بكل شيء علمًا.

وأرسطو وقومه كانوا مشركين يعبدون الأصنام بمقدونية وأثينية[2] وغيرهما من مدائن الفلاسفة[3] اليونان، وكان وزيرًا للإسكندر بن فيلبس المقدوني، وكان هذا قبل المسيح ـ عليه السلام ـ بنحو ثلاثمائة سنة، ولم يكن وزيرًا لذي القرنين الذي بنىٰ سدَّ يأجوج ومأجوج.

وعامةُ علم القوم علم الطبيعيات والحسابيات، وأما العلم الإلهي ـ وهو الذي يُسمُّونه علمَ ما بعد الطبيعة، وهو منتهىٰ فلسفتهم ـ [فإنما][4] يتكلمون[5] فيه علىٰ أمور كلية؛ قسَّموا الوجود إلىٰ جوهر وتسعة أعراض يجمعها بيتان[6]:

زيدُ الطّويلُ الأسودُ بنُ مالكِ ... في داره بالأمس كان مُتّكي[7]

في يده سيفٌ نَضَاه فانْتَضَىٰ ... فهذه عشرُ مقولاتٍ سوا

---

(١) «قد» سقط من (ل، والمطبوع).

(٢) (د): «وأيثينيه»، (ط. النيل): «وأثينة». والتفريق بين ذي القرنين المذكور في القرآن وبين الإسكندر بن فيلبس= ذكره المصنف في أوائل هذا الكتاب.

(٣) المطبوعتان: «فلاسفة»، خلاف النسخ.

(٤) في النسخ الخطية: «فإمَّا» بالإدغام.

(٥) كذا استظهرته في (د)، وفي (ل) «يتكلّموا»، والمطبوعتين: «تكلموا»، خلاف النسخ.

(٦) أوردهما المصنف في بعض كتبه، ينظر: «الصفدية»: (٢/ ١٨٠، ٢٧٤)، و«الرد علىٰ المنطقيين»: (ص١٣٢، ٣٠٣)، و«الفتاوىٰ»: (٩/ ٢٢).

(٧) كذا هنا، والأجود: «يتّكي» كما في: «الرد علىٰ الشاذلي»: (ص/ ١٩٤)، وغيره.

وهي: الجوهر، والكمُّ، والكيفُ، والأينُ، ومَتَىٰ، والإضافةُ، والمِلْكُ، والوضعُ، وأن يفعل، وأن يَنْفَعِل[1].

وقد نازَعَه أتباعه وغيرهم في هذا[2] الحصر وقالوا: إنه لا دليل عليه. ومنهم من جعلها ثلاثة.

و[منهم][3] مَنْ قال غير ذلك وأَثْبتَ العلة الأولىٰ بناء علىٰ حركة الفَلَك، وأنه يتحرَّك حركة شوقية، فلابُدَّ له مما يتشبَّه به. فالعلة الأولىٰ هي غايةٌ[4]؛ لحاجة الفَلَك إليها من جهة أنه يتحرَّك[5] ليتشبَّه[6] بها، كحركة المؤْتَمِّ بإمامه، والمقتدي بقدوته، وقد يقولون: كتحريك المعشوق لعاشقه.

وكلام أرسطو في ذلك موجودٌ، قد[7] نقلتُه بألفاظه وتكلمتُ عليه في غير هذا الموضع[8]، وقد ذَكَر ذلك في مقالة «اللام»[9] ـ وهي آخر فلسفته ومنتهىٰ

---

(١) عرَّف «أرسطو» بهذه المصطلحات في المقالات الأولىٰ من كتابه: «ما بعد الطبيعة»: (ص٩٧ـ١١٣)، ثم أطال في بيانها في المقالة الثانية عشرة، المعروفة «بمقالة اللام» (ص٢١٥ـ٢٣٦)، وستأتي الإشارة إليها.

(٢) (ل): «هذا» ليس في (ل).

(٣) زيادة يستقيم بها الكلام.

(٤) (ط. النيل): «علة».

(٥) (ل، والمطبوع): «متحرك».

(٦) (ل): «لنسبة»، تصحيف.

(٧) المطبوع: «وقد»، خلاف النسخ.

(٨) «منهاج السنة النبوية»: (١/ ٢٣٦-٢٩٨)، و«الرد علىٰ المنطقيين»: (ص١٤٣)، «شرح الأصبهانية»: (ص٣١٥) وما بعدها، والمجلد الثاني عشر من «الفتاوىٰ».

(٩) هي المقالة الثانية عشرة من أربع عشرة مقالة، مرتبة علىٰ الحروف اليونانية، أودعها «ارسطو» كتابه: «ما بعد الطبيعة»، أو «الفلسفة الأولىٰ»، كما سمّاه، وقد صدر عن دار «ذو الفقار»، باللاذقية، (ط١/ ٢٠٠٨م)، وتقع هذه المقالة منه في (ص٢١٥-٢٣٦).

حكمته ـ وفي كتاب «أثولوجيا»[(١)].

ولم يُثبِت أن الربّ مبدِعٌ[(٢)] للفلَك، [ولا][(٣)] علّة فاعلة، ولا يُسمَّىٰ[(٤)] واجبَ الوجود، ولا قسَّم الموجودات إلىٰ واجب قديمٍ وممكن قديم، بل ذاك فِعلُ المتأخرين؛ كابن سينا وأمثاله، وقد بسطنا الكلام عليهم في غير هذا الموضع[(٥)].

والمتأخرون الذين سمعوا كلام أهل الملل أرادوا إصلاح كلامه وتقريبه إلىٰ العقول، لعله يوافِق ما عُلِم بصريح المعقول وصحيح المنقول. فتكلم عليه ثابت بن قُرَّة[(٦)] وبيَّن أن الفلك لا قِوام له إلا بطبيعته، ولا قِوام لطبيعته إلا بحركته[(٧)]، ولا قوام لحركته الإرادية إلا بمحرِّك لها.

وزعموا أن المحرِّك يجب أن لا يكون متحرِّكًا، وقرَّروا ذلك بأدلة فاسدة، قد بُسط الكلام عليها في غير هذا الموضع[(٨)].

---

(١) طبع في «برلين» (١٨٨٣م)، بعناية: فريدرخ دبتريصي. وهو فصول منتزَعة من «التاسوعات» لأفلوطين (٢٠٣م ـ ٢٧٠م)، وقد دفع هذا بعضَهم إلىٰ التشكيك في نسبته لأرسطو. ينظر: «أرسطو عند العرب»: (ص٣٥-٧٤).

(٢) النسخ الخطية: «مبدعًا»، وكأنه أراد: «ولم يُثبِتْ مبدِعًا للفلك»، ثم زاد فيها ولم يلاحظ ما بعدها. وجاءت بعبارة قريبة في مواضع أُخَر، كما في التعليق الآتي.

(٣) ليست في النسخ، وهي في «الرد علىٰ المنطقيين» (ص١٤٨): «فهم لم يُثبِتوا له (أي: للعالم) مبدِعًا، ولا علةً فاعلةً، بل علة غائية، يتحرك الفلَك للتشبُّه بها».

(٤) (ط. النيل): «سماه».

(٥) «منهاج السنة النبوية»: (٢/ ١٦٦-١٩٨)، و«الرد علىٰ المنطقيين»: (ص/ ١٧٧، ٣٩٥).

(٦) ثابت بن قرة بن مروان بن ثابت، أبو الحسن الحرّاني، الصابئ نِحْلة، كان مقدَّمًا في الطب والفلسفة والتنجيم والهندسة (ت٢٨٨هـ). ترجمته في: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»: (ص٢٩٥)، و«وفيات الأعيان»: (١/ ٣١٣).

(٧) (ل): «تحركه».

(٨) انظر: «درء تعارض العقل والنقل»: (٩/ ٢٧٢-٣٢١)، و«الرد علىٰ المنطقيين»: (١/ ٢٨٨).

فقالوا: إنه إنما تحرَّكَ الفلَك من جهة تَشَبُّه[1] الفَلَك به، وإن لم يكن هو القادر علىٰ تحريك الفلَك، بل ولا شعور منه بالفلَك.

وعبَّر عن ذلك ابن رشد الفيلسوف وأمثاله؛ فقالوا[2]: إنه يأمر الفَلَك بالحركة، وقوام الفَلَك= بطاعته لأمر الله. مع أنه عندهم لا إرادةَ له ولا عِلم له بما يأمر به، بل كونه آمِرًا هو معنىٰ كون الفَلك يتشبَّه به، كما يأمر المعشوق عاشقه ـ أي بِحُبِّه[3] ـ وإن كان المعشوق لا شعور له ولا إرادة في أن يحبه ذاك.

ثم[4] لو قُدِّر أنه هو الآمر= فإنما يَصْدر بسبب أمره مجرَّدُ حركة الفلك؛ ولهذا شبَّهوا ذلك بأمر السلطان لعسكره بأمرٍ يطيعونه فيه، فجعلوا الحركات معلولة له[5] بهذا الاعتبار، لم يُثبِتوا أنه أبدع شيئًا من الأفلاك والعناصر والمولَّدات[6] ولا العقول ولا النفوس، لا أبدعَ أعيانها ولا صفاتها، ولا أفعالَها، بل غايتُه أن يكون آمرًا لها بالحركة؛ كأمر الملك لعسكره، مع أنه عندهم ليس آمرًا بالحقيقة، بل ولا علم له بشيء من الموجودات، بل غايةُ ما يزعم أرسطو وأتباعه أن للفلك حاجةً[7] إليه من جهة تَشبُّهه به، وأما كونه هو عِلَّة[8] موجبة للفلك= فإنما يقول هذا من يقوله من متأخِّريهم كابن سينا.

(١) المطبوع: «نسبة»، تصحيف.
(٢) بيان قوله في: «درء تعارض العقل والنقل»: (٨/ ١٩٦).
(٣) كذا استظهرتها في (د)، وفي (ل): «أي محبه»، والمطبوعتان: «أن يحبه».
(٤) (ل): «ما».
(٥) «معلولة» سقط من (د).
(٦) (ل): «والمولودات».
(٧) (ل): «خاصة»، تصحيف.
(٨) المطبوع: «عليه»، تصحيف.

وأما الفارابي؛ فهو الذي وسَّع القول في هذا الباب، وقسَّم الموجود[1] إلىٰ واجب وممكن، وجعَل الأفلاك واجبة ممكنة به، وفي ذلك من الفساد والاضطراب ما قد بُسط في غير هذا الموضع. وبنىٰ ابن سينا الكلام في نفي صفاته علىٰ كونه واجب الوجود.

وأما الفارابي في كتاب «آراء[2] المدينة الفاضلة» وغير ذلك فاعتمد علىٰ كونه أول، وكذا أرسطو في كتاب «أثولوجيا» اعتمد علىٰ كونه هو الأول، وشبَّهه بالأول في العدد، وعلىٰ ذلك بَنَوا نفي الصفات، وأنَّا[3] لو أثبتناها لخرج عن كونه أوّل، مع أنهم لم يقيموا حجّة علىٰ كونه أوّل بهذا المعنىٰ الذي زعموه، كما لم يقيموا حجّة علىٰ كونه واجب الوجود بالمعنىٰ الذي ادَّعوه، بل تكلموا بألفاظ مجملة متشابهة، تحتمل حقًّا وباطلًا؛ فإنه معلوم أن الله واجب الوجود بذاته موجود بنفسه، وأنه [الأول][4] الذي ليس قبله شيء، وهو القديم الأزليّ الذي لم يزل ولا يزال.

وهؤلاء جعلوا وجوب الوجود بمعنىٰ أنه لا يتعلق بغيره فلا يكون له

---

(١) في الأصول: «قسَّموا». وفي المطبوع: «الوجود»، خلاف النسخ.
والفارابي هو: محمد بن محمد بن طرخان الفارابي أبو نصر التركي، صاحب الفلسفة، عُرف بالمعلم الثاني، لشرحه مؤلفات «ارسطو» وعنايته بآرائه. (ت٣٣٩هـ). ترجمته في: «الفهرست»: (ص٣٢٣)، و«تاريخ الإسلام»: (٧/ ٧٣١).

(٢) (ط. النيل) زيادة: «أهل». والكتاب امتداد لما قصده ارسطو من تأسيس مدينة فاضلة تقوم علىٰ مبادئ فلاسفة اليونان، معتمدة آراءهم في الطبيعة وما وراءها. ويقع في (١٢٨) ورقة، وأولىٰ طبعاته في ليدن (١٨٩٥م، ١٣١٢هـ)، ثم صدر عن مطبعة النيل سنة (١٣٢٣هـ ١٣٢٥هـ)، وله طبعات أخرىٰ. انظر: مصادر الترجمة، و«معجم المطبوعات»: (٢/ ١٤٢٥).

(٣) (ل، والمطبوع): «وإنما».

(٤) (ل): «الأزل»، و(د): «الأزلي».

صفة. وكونه «أول» بمعنىٰ: أول الأعداد الذي لا تعدّد فيه، ومعلومٌ[1] أن الواحد والأوّل المجرد عن كل شيء= إنما يقدر في الأذهان لا في الأعيان.

فالذِّهن يُقدِّر واحدًا واثنين وثلاثة وأربعة، إلىٰ سائر الأعداد المجرّدة، والعدد المجرّد عن المعدود إنما يوجد في الأذهان لا في الأعيان، فأما الموجود في الخارج فإنما هي أعيان قائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها، والأول منها هو ذاتٌ متّصفة بصفاتها، لا يوجد في الأعيان، ليس[2] بذات قائمة بنفسها، ولا صفة قائمة بغيرها، بل لا توجد ذات مجردة عن صفاتها.

وهذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع[3]، ولكن نبَّهنا هنا عليها؛ لأن هؤلاء القوم قالوا: «إنا نعجب من هؤلاء القوم أنهم ذوو فضل وأدب ومعرفة، ومَن هذا صورتُه وقد قرأ شيئًا من كتب الفلاسفة والمنطق، فما حقهم ينكرون علينا هذا!».

فكلام[4] هؤلاء النصارىٰ يتضمَّن تعظيم الفلاسفة وأهل المنطق، وأن من قرأ كتبهم عَرف بها مِن الحق في الإلهيات[5] ما لا يعرفه سائرُ أهل الملل، وهذا يدلّ علىٰ جهل هؤلاء النصارىٰ بما جاءت به الرسل، وبما يُعرَف بالعقل المحض.

أما الأول: فِلأَنَّ المسيح وأتباعه كالحواريين ومن اتبعهم ليس فيهم مَن عظَّم هؤلاء الفلاسفة، ولا استعان بهم، ولا التفت إليهم[6]، بل وهم عندهم من

---

(١) (ل، المطبوع): «فمعلوم».

(٢) (د): «ليست»، والمثبت أولىٰ؛ لعود ضميره علىٰ «الأول» أي من حيث هو عدد.

(٣) تقدمت الإحالة في (٣/ ٤٢٠، ٤٢١).

(٤) (ل، والمطبوع): «فكل كلام»، (ط. النيل): «فكان كلام».

(٥) (د): «الأذهان».

(٦) «ولا التفت إليهم» ليس في (د).

أئمة الكفر ورؤوس الضلال، وكذلك موسىٰ وأتباعه، وكذلك محمد وأتباعه، فليس[1] في رسل الله وأنبيائه ولا في أتباعهم مَن يعظّمهم ولا يستعين بكلامهم، بل الرسل وأتباعهم متفقون علىٰ تضليلهم وتجهيلهم.

وأما العقليات: فإنما يعظّم كلام هؤلاء الفلاسفة في العلوم الكليّة والإلهيّة= مَن هو مِن أجهل الناس بالمعارف الإلهية والعلوم الكلية؛ إذ كان كلامهم في ذلك فيه من الجهل والضلال ما لا يحيط به إلا ذو الجلال، وإنما كان القوم يَعرفون ما يعرفونه من الطبيعيات والرياضيات كالهندسة وبعض الهيئة وشيئا من علوم الأخلاق والسياسات المدنيّة والمنزليّة التي هي جزء مما جاءت به الرسل، واليهودُ والنصارىٰ بعد النسخ والتبديل أعلمُ من هؤلاء بالعلوم الإلهية والأخلاق والسياسات[2]، فضلًا عما وراء ذلك.

فاعتضاد هؤلاء النصارىٰ بهؤلاء المتفلسفة يدل[3] علىٰ عِظَم[4] جهلهم بالشرعيات والعقليات، وقد بسط الكلام [عليه] في مواضع متعددة[5]؛ إذ كان الرد علىٰ الفلاسفة لا يختص به النصارىٰ، بل الكلام في ذلك معهم ومع مَن يعظّمهم من أهل الملل عموما.

ومعلومٌ أن المنتسبين إلىٰ الإسلام من أتباع الفلاسفة؛ كالفارابي وابن سينا والسهروردي المقتول، وابن رشد الحفيد وأمثالهم[6]= أحذق بهم وأعلم من النصارىٰ.

---

(١) (د): «وليس».

(٢) من قوله: «المدنية والمنزلية ... الخ» سقط من (د)؛ لانتقال النظر، والعبارة بنحو لفظها عند المؤلف في: «الصفدية»: (٢/ ٢٤٩)، و«الفتاوىٰ»: (١٧/ ٣٣٠).

(٣) «يدل» سقط من (د).

(٤) (د) «تعظيم».

(٥) ينظر ما تقدم: (١/ ٤٦٧)، و«الرد علىٰ المنطقيين» (ص/ ٣٩٤) وما بعدها.

(٦) (ل): «وإمامهم»، و(المطبوع): «إمامهم». وتقدم التعريف بمن ذُكر.

وكتب الفلاسفة التي صارت إلىٰ المسلمين[١]، من الطبّ والحساب والمنطق وغير ذلك= هذّبها المنتسبون إلىٰ الإسلام فجاء كلامهم فيها خيرًا من كلام أولئك اليونان.

والنصارىٰ واليهود إنما يَعتمدون في هذه العلوم علىٰ ما وصفه هؤلاء المنتسبون إلىٰ الإسلام، مع أن هؤلاء عند علماء المسلمين[٢] جهَّال ضلَّال في الإلهيات والكليّات، فكيف يكون سلفهم ومن يعظّمهم من اليهود والنصارىٰ؟

و[إنما][٣] صار أولئك اليونان عارفين بالله، موحّدين له، عابدين له، مؤمنين بملائكته وكتبه ورسله= لمّا دخل إليهم أتباع المسيح يدعونهم إلىٰ دين الله الذي بعث به المسيح. وكلُّ من كان من أتباع المسيح غير مبدِّل لشيء من دينه قبل النسخ= فإنه من المؤمنين المهتدين، وهم من أولياء الله، وهم من أهل الجنة.

ومن ظنّ أن كلام الرسل يوافق هؤلاء اليونان؛ فإن ذلك يدل علىٰ جهله بما جاءت به الرسل وبما يقوله هؤلاء. وإنما يوجد مثل هذا في كلام الملاحدة من أهل الملل؛ ملاحدة اليهود والنصارىٰ وغيرهم؛ كأصحاب «رسائل إخوان الصفا»[٤]، وأمثالهم من الملاحدة المنتسبين إلىٰ تشيع أو إلىٰ تصوّف كابن

---

(١) (المطبوع): «الإسلام»، وكذا كان في (ل) ثم صوب كالمثبت.

(٢) (ل): «الإسلام».

(٣) في الأصول: «ولما»، ولا جواب لها، فلعل الصواب ما أثبت.

(٤) ثنتان وخمسون مقالة ـ كما جاء في مقدّمتها، والمشهور إحدىٰ وخمسون ـ منها إحدىٰ وخمسون مقسّمة علىٰ أربعة أقسام، رياضية، وطبيعية، وعقلية، وإلهية، وأخيرة جامعة لأنواع المقالات. ومؤلِّفوها هم: «إخوان الصفا وخلان الوفا» جماعة من الباطنية الإسماعيلية، كتموا أسماءهم ـ وقد عُرف بعضهم في كلام التوحيدي وغيره ـ فاجتمعوا علىٰ تصنيف هذه الرسائل ـ بعد المائة الثالثة في دولة بني بويه ـ ثم بثّوها في الوراقين، فانتشرت في الناس. وتأثّر بها مَن جاء بعدُ من الفلاسفة؛ كابن سينا والفارابي. وهي أصل مذهب القرامطة والفلاسفة، وقد طبعت هذه الرسائل عدة طبعات في الهند ومصر ولبنان. ينظر: «منهاج السنة»: (٢/ ٢٨٤)، و«الفتاوىٰ»: (٤/ ٧٩)، ومقدمة «رسائل إخوان الصفا» لبِطْرُس البستاني: (ص/ ١٢).

عربي وابن سبعين وأمثالهما. وفي الكتب الـمَضْنون بها علىٰ غير أهلها[1] ـ ونحوِ ذلك ـ من الكلام المنسوب إلىٰ أبي حامد= قطعةٌ من ذلك.

وهؤلاء يحتجُّون[2] بالحديث المأثور «أوّلَ ما خلق الله العقل فقال له: أقبِل. فأقبَل، ثم قال له: أدبِر فأدبَر، فقال: وعزَّتي ما خلقتُ خلقًا أكرم عليّ منك، فبِك آخذ وبِك أعطي، وبك الثواب وعليك العقاب»[3].

---

(١) كتاب «المضنون به علىٰ غير أهله» منسوب إلىٰ أبي حامد الغزالي، وقد نفىٰ جماعةٌ من العلماء نسبتَه إليه، كابن الصلاح في «طبقات الشافعية»: (١/ ٢٦٣)، والتاج السبكي في «طبقات الشافعية الكبرىٰ»: (٦/ ٢٥٧).
ونسبه له جماعة منهم ابن خلّكان في «وفيات الأعيان»: (٤/ ٢١٨)، والصفدي في «الوافي بالوفيات»: (١/ ٢١٢)، والمصنف كما هنا، وفي «النبوات»: (٢/ ٦٩٩)، وفي «نقض المنطق»: (ص/ ٥٥) حيث قال: «وأما أهل الخبرة به وبحاله فيعلمون أن هذا كله كلامه؛ لعلمهم بمواد كلامه ومشابهة بعضه بعضًا...»، علىٰ أن الشيخ بعد أن ذكر هذه الكتب في «الرد علىٰ الشاذلي»: (ص/ ٤١) ونَقَل قولَ تلميذه ابن العربي: «شيخنا أبو حامد دخل في بطن الفلاسفة ثم أراد أن يخرج منه فما قدر»= مال إلىٰ كونه رجع عنها فقال: «لكنْ أبو حامد مع هذا يُكَفِّر الفلاسفةَ في غير موضع، وبيَّن فسادَ طريقتهم وأنها لا تُحَصِّل المقصود، وهو في آخر عمره اشتغل بالبخاري، ومات علىٰ ذلك، ولهذا قيل: إنه رجع عن هذه الكتب، ومن الناس من يقول إنها مكذوبة عليه»، وقال في «الفتاوىٰ»: (١٣/ ٢٨٣) «بل رجع عنها، وهذا أقرب الأقوال»، ونحوًا من هذا في: «منهاج السنة»: (٢/ ٣٥٩)، (٨/ ٣١)، و«الرد علىٰ المنطقيين»: (ص/ ٢٨٢). وينظر: «مؤلفات الغزالي»: (ص١٥١ـ١٥٥)، والتعليق علىٰ «الرد علىٰ الشاذلي»: (ص/ ٢٠ـ٢١).
وكتاب «المضنون» طبع مرارًا. انظر: «معجم المطبوعات العربية»: (٢/ ١٤١٠).

(٢) (ل، ط. النيل): «قد يحتجون».

(٣) هذا الحديث روي مرفوعًا من مسند عائشة وأبي هريرة وأبي أمامة، وعن الحسن مقطوعًا تارة، ومرسلًا أخرىٰ.
فأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣١٨)، من طريق سهل بن المرزبان بن محمَّد التميمي عن الحميدي عن ابن عيينة عن منصور عن الزهريّ عن عروة عن عائشة مرفوعًا، وقال: «غريبٌ من حديث سفيان ومنصور والزهري، لا أعلم له راويًا عن الحميدي إلَّا سهلًا، وأراه واهمًا فيه». اهـ.
وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٨٤٥)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٧٩٨، ٦/ ٢٠٤٠)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٣٤٩)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٧٤) عن أبي هريرة بلفظ: «لما خلق الله العقل قال له: قم..» وسنده تالف، أعلَّه ابن الجوزي بضعف ثلاثة من رجاله. =

وهذا الحديث كذب موضوع علىٰ النبي ﷺ[1]، ذكر ذلك أهل العلم بالحديث؛ كأبي جعفر العقيلي[2]، وأبي حاتم بن حبان البستي[3]، وأبي الحسن الدارقطني[4]، وأبي الفرج بن الجوزي[5] وغيرهم.

= وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٨٣)، و«الأوسط» (٧٢٤١)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٩١٦)، عن أبي أمامة، كلفظ حديث أبي هريرة، وسنده ضعيف أيضًا، أعلّه العقيلي بالجهالة والضعف.

وأخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (ص٥٣٥)، ومن طريقه ابن أبي عاصم في «الزهد» (ص٣٢٠)، عن الحسن مرسلًا ـ بنحو حديث أبي هريرة ـ وفي سنده سيار بن حاتم، ضعفه ابن المديني، وفي حديثه مناكير كما قال أبو أحمد الحاكم، والعقيليُّ، والأزديُّ، علىٰ أن حديثه مرسل.

وأخرجه البيهقي في «الشعب» (٦/ ٣٤٨) عن الحسن من قوله. وقال: «هذا من قول الحسن، وغيره مشهور، وقد روي عن النبي ﷺ بإسناد غير قوي».

وبالجملة؛ فالحديث لا تخلو طرقه المسندة من ضعف شديد، وقد سئل عنه الإمام أحمد فقال: «هذا موضوع ليس له أصل»، كما في «المنتخب من علل الخلال» (ص٨٧). وقال ابن حبان: «ليس عن رسول الله ﷺ خبر صحيح في العقل». وقال العقيلي: «لا يثبت في هذا الباب شيء»، وسئل عنه المصنف، فأجاب بتوسع كما في «بغية المرتاد»: (١٦٩ـ١٧٩) وقال: «اتفق أهل المعرفة بالحديث علىٰ أنه ضعيف، بل موضوع علىٰ رسول الله ﷺ». وقال الحافظ في «الفتح»: (٦/ ٢٨٩): «ليس له طريق ثبت». وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٧٤)، والصغاني في «الموضوعات» (ص٣٥)، وعليٌّ القاري في «الموضوعات الكبرىٰ» (ص٤٣، ٩٨). ينظر: «المغني عن حمل الأسفار» (ص٩٩)، و«المقاصد الحسنة» (١/ ١٩٩-٢٠٠)، و«كشف الخفاء» (١/ ٢٦٩).

(١) المطبوعتان زياد: «كما».

(٢) في «الضعفاء» (٣/ ٩١٦) وقال: «لا يثبت في هذا الباب شيء».

(٣) قال: «ليس عن رسول الله ﷺ خبر صحيح في العقل». نقله عنه: ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ٢٠٤)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٧٤).

(٤) قال: «كتاب العقل وضعه أربعة؛ أوّلهم: ميسرة بن عبد ربه، ثم سرقه منه داود بن المحبر، فركبه بأسانيد غير أسانيد ميسرة، وسرقه عبد العزيز بن أبي رجاء فركبه بأسانيد أُخر، ثم سرَقه سليمان بن عيسىٰ السنجري فأتىٰ بأسانيد أخر». كما نقله عنه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ٣٢٦).

(٥) في «الموضوعات» (١/ ١٧٤)، وقال: «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ».

ثم لفظه ـ لو كان صحيحًا ـ حجّةٌ علىٰ نقيض مطلوبهم، فإنه قال: «**أولَ ما خلق الله العقل قال له**»[1] بنصب (أول)، وفي لفظ: «لما خلق الله العقل قال له»[2].

فلفْظُهُ يقتضي أنه خاطبه في أول ما خَلَقه، فحرَّفوا لفظَه، وقالوا: (**أولُ ما خلق الله العقل**) بالضم، وليس هذا لفظه، ولكن لفظه يقتضي أنه خاطبه في أوّل أوقاتِ خلْقه؛ ولهذا قال: «**ما خلقتُ خلقًا أكرمَ عليَّ منك**»، وهذا يقتضي أنه خَلَق قبلَه غيرَه.

وعندهم هو أوَّل المبدَعَات، يَمتنع أن يتقدّمه شيءٌ، مع أنه وسائرَ العقول والأفلاك ـ عندهم ـ قديمةٌ أزلية لم تزل ولا تزال.

ثم قال: «**فبك آخذ وبك أعطي وبك الثواب وعليك العقاب**» فجعل به هذه الأنواع الأربعة.

وعندهم أن العقل صدَرَ عنه جميعُ العالم العلوي والسفلي؛ وذلك أن لفظ (العقل) في الحديث سواءٌ كان صحيحًا أو ضعيفًا، هو العقل في لغة الأنبياء والمرسلين، هو عقل الإنسان، وهو عرَض قائم به، وهذه صفة قائمة بالإنسان، ليس هو جوهرًا قائمًا بنفسه.

والعقل في لغة هؤلاء الفلاسفة هو جوهر قائم بنفسه.

وأما النفس الفلكية، فلهم فيها قولان: قيل: إنها عرَض قائم بالفلَك، وهو قول أكثرهم. وقيل: بل جوهر قائم بنفسه، ولهذا[3] يميل ابن سينا، وهذه الأمور مبسوطة في موضع آخر[4].

---

(١) «قال له» سقط من المطبوعتين.

(٢) تقدم في تخريج الحديث آنفًا.

(٣) (ل): «وإلىٰ هذا».

(٤) ينظر: «الصفدية» (١/ ٣٤)، و«منهاج السنة»: (١/ ٤٠٠، ٨/ ١٩)، و«مجموع الفتاوىٰ»: (٣/ ٣٠١، ٩/ ٢٧٣)، وما سيأتي (٤/ ١٢٣، ٦٣٠).

والمقصود هنا: ذَكَر هؤلاء النصارىٰ[1] أن ثَمّ جوهرًا لطيفًا، غير الجوهر الكثيف، ويُمثِّلوا[2] ذلك بالنفس والعقل والضَّوء[3]، ثم[4] لم يُقيموا علىٰ ثبوت شيء من ذلك دليلًا. ولا دليلَ مما دلَّت عليه الكتب الإلهية؛ فإن النفس الفلكيّة والعقول العشرة لم يَنطق بها كتاب ولا رسول، بل ولا دلَّ عليها دليل عقليّ، وأدلة المتفلسفة عليها ضعيفة. وإنما دلّ العقل علىٰ ما أخبرت به الرسل من الملائكة.

ولكن هؤلاء الذين حَمَلوا كلام الرسل علىٰ ما يوافق قول المتفلسفة= يجعلون اللوحَ المحفوظ هو النفسَ الفلكية، كما يجعلون العقل والقلم هو العقل الأوّلَ، والعرشَ هو الفلكَ التاسع، وغير ذلك مما قد بُسط الكلام عليه في موضع آخر[5].

وإذا لم يُقيموا حجّة شرعيّة ولا عقليّة علىٰ ما مثّلوا به من الجواهر اللطيفة= لم يكن لهم حجّةٌ علىٰ من قال: إن الجوهرَ ما يشغَل حيِّزًا ويَقبل عرَضًا.

ولما قرَنوا النفس بالعقل= كان ذلك ظاهرًا في أنهم أرادوا النفس الفلكيّة. فأمّا إنْ أرادوا النفس الإنسانية= فهذه ثابتة قد[6] أخبرت بها الرسل وأتباعهم، كما قد بُسِط في موضعه[7]، لكن هذه لا تُقْرَن بالعقل الذي هو جوهر. والعقل صفة هذه وهو مصدر (عقِل يعقِل عقلًا). وقد يُراد بالعقل غريزة قائمة بها، ويراد بالعقل العمل بالعلم كما قد بُسط في موضع آخر[8].

---

(١) «النصارىٰ» ليس في (د، ط. النيل)، وألحقت بعد سطر في موضع آخر.

(٢) المطبوعتان: «ومثّلوا».

(٣) (ل): «والصور».

(٤) زيد بعده في (د، ط. النيل): «إن النصارىٰ».

(٥) ينظر: «درء التعارض» (١٠/ ١٨٩)، و«الرد علىٰ المنطقيين» (ص/ ٤٧٤)، و«الرد علىٰ الشاذلي» (ص/ ٣٨، ١٤١)، و«مجموع الفتاوىٰ»: (١/ ٢٤٥).

(٦) «قد» سقط من (ل، والمطبوع).

(٧) ينظر: «الصفدية»: (٢/ ٢٥٣ ـ ٢٥٧)، والتعليق الآتي.

(٨) ينظر: «بغية المرتاد»: (ص/ ٢٤٣ ـ ٢٦٥)، و«مجموع الفتاوىٰ»: (٩/ ٢٨٦).

الوجه الرابع: قولهم: «وجوهر الضوء».

فيقال لهم: إن أردتم بالضوء نفس الشمس والنار= فهذا جسم متحيز؛ يشغَل حيِّزًا، ويَقبل عرضًا، ليس هو من الجواهر اللطيفة الذي[1] مثّلتم بها وإن أردتم بالضوء الشعاعَ القائمَ بالهواء والجدران ونحو ذلك= فليس هذا بجوهر، لا لطيف ولا كثيف، بل هو عرَضٌ قائم بغيره.

الوجه الخامس: قولكم: «إن الجوهر اللطيف لا يقبل عرَضًا»= كلام ممنوع، وهو باطل أيضًا. فإن نفس الإنسان تَقبل الأعراض القائمة بها، وكذلك النفس الفلكيّة ـ عند من أثبتها ـ تقوم بها إراداتٌ وتصوّراتٌ متجدّدة.

ولفظ «العرَض» في اصطلاح النظَّار يُراد به ما قام بغيره سواءٌ كان صفة لازمة أو عارضة، وهذا موجَب تقسيم النصارىٰ، كما هو قول الفلاسفة، فإنهم قالوا: ليس في الوجود شيءٌ إلا وهو إما جوهرٌ وإما عرضٌ؛ لأنه أيّ أمرٍ نظرناه وجدناه إما قائمًا بنفسه، غير مفتقر في وجوده إلىٰ غيره، وهو «الجوهر». وإما مفتقر[2] في وجوده إلىٰ غيره، لا قِوام له بنفسه وهو «العرض».

قالوا: ولا يُمكن أن يكون لهذين قسم ثالث.

وهذا الذي قالوه هو تقسيم أرسطو وأتباعِه، وهو يسمّي المبدأ الأول جوهرًا، وهذا تقسيم سائر النظار. لكن أكثرهم لا يدخلون رب العالمين في مسمّىٰ الجوهر، ومنهم من يُدخله فيه، وبعض النزاع في ذلك لفظي.

وإذا كان الأمر علىٰ ما قالوه؛ فالضوء القائم بالأرض والهواء عرَضٌ ليس جوهرًا قائما بنفسه، وقد[3] جعلوه جوهرًا، وهذا تناقض بيِّن.

---

(١) كذا النسخ، وفي (ط. النيل): «التي».

(٢) كذا بالرفع في الأصول، والجادّة نصبه علىٰ العطف.

(٣) المطبوعتان: «وهم قد».

وأيضًا، فالجواهر اللطيفة تقوم بها الأعراض؛ كالحياة والعلم، بل والرب ـ علىٰ قولهم ـ تقوم به الحياة والعلم.

فإذا سمَّوه جوهرًا= لزمهم أن يُسمُّوا صفاته أعراضًا، إذا قالوا: لا موجود إلا جوهر أو عرض، وهذا يناقِض[1] قولهم: الموجود إما جوهر وإما عرض، فليس في الموجودات إلا هذا أو هذا، بل موجَب كلامهم أنها قائمة بذات الله، فكيف بذات غيره!

وإن[2] **قالوا**: يُعْنَىٰ بالأعراض، الصفاتُ العارضة أو القائمة بالأجسام= كان هذا مناقِضًا لقولهم: (الموجود[3] إما جوهر وإما عرض)، مع قولهم: (إن الرب جوهر ثلاثة أقانيم، والأقنوم ذات وصفة)، ومع قولهم: (إن الرب جوهر)؛ فقولهم يقتضي[4] أن الرب جوهر تقوم به الأعراض، فكيف غيره!

ثم يقال: إذا قُدِّر أنهم يدَّعون ثبوت جوهر لا يقوم به الأعراض، فهذا اصطلاحٌ لهم وافقوا فيه[5] نفاةَ الصفات من الفلاسفة كأرسطو وذويه[6]، فإنهم يقولون: إن الرب جوهر لا يتصف بشيء من الصفات الثبوتية، لكن ليس هذا قول النصارىٰ!

---

(١) (ل): «فهؤلاء يوجد تناقض»، ومقدار ورقة من قوله: «وهذا يناقض ...» إلىٰ: «ونظار المسلمين» مؤخر في (ط. النيل) إلىٰ ما بعد قوله: «الموجود إما جوهر وإما عرض، وهذا تناقض» بعد ورقتين، ولعله سبق نظر، أو تداخل ألواح الأصل!

(٢) (ل، والمطبوع): «وإذا».

(٣) (ل): «للوجود».

(٤) «يقتضي» ليس في (د).

(٥) (ل): «فيهم».

(٦) (ط. النيل): «وأتباعه».

فتبيَّن أنهم في قولهم: (إن الرب جوهر) وفي قولهم: (إن من الجواهر ما لا يقوم به الصفات)= موافقون للمشركين[١] الفلاسفة، أرسطو وأتباعه، لا موافقين للمسيح والحواريين، وأنهم أثبتوا الصفات لله موافقة للمسيح والحواريين ثم جعلوه جوهرًا، ثم قالوا: إن الجوهر اللطيف لا تقوم به الصفات، وهذا قول الفلاسفة المشركين المعطلين، وهذا تحقيق ما ذكرناه عنهم من أنهم ركَّبوا دينا من دين المسيح والحواريين ومن دين الكفار المشركين، ونظَّار المسلمين[٢].

فهؤلاء إن عَنَوا بالعَرَض هذا= [فكلٌّ][٣] جوهر يقبل الصفات.

وإن أرادوا بالعرض ما يعنيه[٤] المتفلسفة بالصفات العرضية التي يفرِّقون بينها وبين الذاتية، مع أن هذا ليس مقتضىٰ كلامهم= فقد ذكرنا في غير هذا الموضع[٥] أن تقسيم هؤلاء الصفات اللازمةَ الموصوفَ[٦] إلىٰ ذاتية وعرضيّة= تقسيم باطل، وبتقدير[٧] أن يكون حقا؛ فالنفس ـ أيضًا ـ تَقبل الصفات العرضية، بل وكذلك كل جوهر سواء كان لطيفًا أو كثيفًا.

فقولهم[٨]: «إن الجوهر اللطيف لا يقبل عرضًا؛ مثل جوهر النفس وجوهر العقل وجوهر الضوء وما يجري هذا المجرىٰ من الجواهر اللطيفة»= كلامٌ باطلٌ علىٰ كل تقدير.

---

(١) (ل): «المشركين».

(٢) «ونظار المسلمين» ضرب عليها في (ل).

(٣) النسختان: «وكل»، والصواب ما أثبت.

(٤) (ل): «تعيّنه».

(٥) ينظر ما تقدم: (٢/ ٢٦٩)، وما سيأتي: (٤/ ٦٢٨)، و«درء التعارض»: (٥/ ٨٧)، و«مجموع الفتاوىٰ»: (٩/ ٢٥٦).

(٦) كذا في النسخ الخطية، بالنصب؛ معمولًا لاسم الفاعل. والمطبوعتان: «للموصوف».

(٧) (ل، والمطبوع): «وتقدير»!

(٨) (ل، المطبوعتان): «فقولكم».

وإن عَنَوا بلفظ العرَض شيئًا آخر، لم ينفعهم ذلك؛ فإن المتكلمين الذين قالوا: «الجوهر هو ما يشغَل حيِّزًا ويقبل عرضًا»= إنما أرادوا بالعرض ما يقوم بغيره من المعاني، سواء كان لازمًا له أو عارضًا له، ومعلومٌ أن كل جوهر فإنه تقوم به المعاني. والخالق ـ تعالىٰ ـ عندهم يقوم به الحياة[1] والعلم، فإذا كان الخالق ـ تعالىٰ ـ تقوم به المعاني ـ وهم يسمّونه جوهرًا ـ فكيف لا تقوم المعاني بغيره.

وهؤلاء يثبتون جوهرًا لطيفًا لا تقوم به الأعراض، مع قولهم: إنه تقوم به المعاني، وهذا اصطلاحٌ لهم لا يوافقهم عليه أحد. ثم يتناقضون فيقولون: الموجود إما جوهر وإما عرض، وهذا تناقض!.

ونظّار المسلمين لهم ــ في تسمية صفات الله القائمة به أعراضًا ــ نزاع بينهم[2]: بعضهم يسمِّيها أعراضًا، وبعضهم يُنكر هذه التسمية، مع اتفاق هاتين الطائفتين علىٰ قيام الصفات به، وجمهور نُظّار المسلمين لا يسمّونه جوهرًا، وبعضهم يسمّيه جوهرًا، وأما من أنكر قيام الصفات به فذاك لا يسمّيه[3] جوهرًا ولا جسمًا.

وهؤلاء النصارىٰ متناقضون تناقضا بيِّنًا، ولهذا كان لهم طريقة لا يوافقهم عليها أحد من طوائف العقلاء، وذلك يظهر:

بالوجه السادس: وهو أن الناس لهم في إثبات الصفات القائمة بذات الله ـ تعالىٰ ـ قولان:

---

(١) (ل): «الحيا»، والمطبوع: «الحياء»!

(٢) «بينهم» سقط من (ل، والمطبوع).

(٣) (المطبوع): «يسمي الله» وليس في النسخ، ولا في (ط. النيل)!

فسلف المسلمين وأئمتهم وجمهور الخلق من أهل الملل وغير أهل الملل، يثبتون قيام الصفات بالله، ﷻ.

وهل تُسمَّىٰ أعراضًا؟ علىٰ قولين.

والقول الثاني: قول من ينفي الصفات، مثل الملاحدة الجهمية ونحوهم، من مبتدعة المسلمين، ومَن وافقهم من الفلاسفة، وبعض اليهود والنصارىٰ، فهؤلاء لا تقوم به المعاني والصفات عندهم، فلا يقولون: تقوم به الأعراض.

ثم مِن هؤلاء مَن يسمِّيه جوهرًا كأرسطو وأتباعه. ومنهم من لا يسمّيه جوهرًا، كمتأخري الفلاسفة: ابن سينا وأمثاله، مع جمهور نظار المسلمين وغيرهم[1].

وأما الجمهور القائلون بقيام المعاني به؛ فبعضهم يسمِّيها أعراضًا وإن لم يسمِّه جوهرًا. وقد سمّاه بعضهم جوهرّا، وبعضهم ينفي أن يكون[2] أعراضًا، وبعضهم يسكت عن النفي والإثبات، فلا يسمِّيها أعراضًا ولا ينفي تسميتها بذلك، أو يستفصل القائل عن كونها أعراضًا.

وأما هؤلاء النصارىٰ فقالوا: هو[3] جوهر ثلاثة أقانيم، ووصفوه بالصفات الثبوتية؛ وهي الحياة والنطق، وقالوا: الموجود إما جوهر وإما عرض، فلزمهم أن تكون صفات الله أعراضًا عندهم.

ثم قالوا: الجوهر اللطيف لا يقوم به الأعراض، ونزَّهوا الرب أن تقوم به

---

(١) زيد بعده في (ل، والمطبوع): «سواء سموه جوهرًا أو لم يسموه»، ولا يستقيم مع نفيه عنهم ذلك في الجملة قبلها، لذا ضرب عليها في (د).

(٢) كذا، والأجود: «تكون» أي: المعاني.

(٣) «هو» سقط من (ل، والمطبوع).

الأعراض، مع قولهم: إنه جوهر، فتناقضوا[1] تناقضًا بيِّنا، حيث جمعوا بين كلام الرسل وأتباعهم وبين كلام المشركين المعطّلين الفلاسفة. فما تلقّوه عن المسيح= فهو حق، وما ابتدعوه مِن قولِ مَن خالف الرسل= فهو باطل. فجمعوا في قولهم بين الحق والباطل، وسلكوا مسلكًا لا يُعرف عن غيرهم.

وإيضاح هذا أن يقال في: الوجه السابع: أن هذا الذي ذكروه تناقضٌ بيِّن؛ فإنهم قالوا: الموجود إما جوهر وإما عرض، فالقائم[2] بذاته هو الجوهر، والقائم بغيره هو العرض. ثم قالوا: إنه موجود حي ناطق، له حياة ونطق.

فيقال لهم: حياته ونطقه؛ إما جوهر وإما عرض، وليس جوهرًا؛ لأن الجوهر ما قام بنفسه، والحياة والنطق لا يقومان بأنفسهما، بل بغيرهما، فهما من الأعراض، فتعيَّن أنه عندهم جوهر يقوم به الأعراض، مع قولهم: إنه جوهر لا يقبل عرضا.

فإن[3] قيل: أرادوا بقولهم: (لا يقبل عرضًا) ما كان حادثًا.

قيل: فهذا ينقُض تقسيمهم الموجود إلىٰ جوهر وعرض، فإن المعنىٰ القديم الذي يقوم به ليس جوهرًا وليس حادثًا. فإن كان عرضًا؛ فقد قام به العَرَض وقبِله، وإن لم يكن عرضًا؛ بطل التقسيم.

يبين هذا: أنه يقال[4]: **أنتم قلتم**: إنه شيء حي ناطق. وقلتم: هو ثلاثة أقانيم. وقلتم: المتحد بالمسيح أقنوم الكلمة. وقلتم في الأمانة: «**نؤمن بإله واحد أب ضابط الكل، وبربٍّ واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من**

---

(١) (ل، والمطبوع): «تناقضوا». والمثبت ما قدّرته في (د).

(٢) المطبوع: «القائم»!

(٣) (د، ط. النيل): «وإن».

(٤) (ط. النيل): «فتبين من هذا أنهم يقال لهم».

الأب قبل كل الدهور، إله حق من إله حق من جوهر أبيه، مولود غير مخلوق، مساوٍ للأب في الجوهر».

ثم قلتم: إن الرب جوهر. وقلتم: إن الذي يشغل حيِّزًا أو يقبَل عرضًا هو الجوهر الكثيف؛ فأما الجوهر اللطيف فلا يقبل عرضًا، ولا يشغل حيِّزًا؛ مثل جوهر النفس وجوهر العقل، وما يجري هذا المجرىٰ من الجواهر اللطيفة.

فإذا كانت الجواهر اللطيفة المخلوقة لا تَقبل عرضًا ولا تشغَل حيّزًا= فكيف[1] خالق الجواهر اللطائف والكثائف ومركّب اللطائف بالكثائف يقبل عرضًا ويشغَل حيّزا؟ كلّا!

فصرَّحتم بأنه جوهر لا يقبل عرضًا، وقلتم: ليس في الموجود شيءٌ إلا وهو إما جوهر وإما عرض؛ فإن كان قائما بنفسه غير محتاج في وجوده إلىٰ غيره فهو الجوهر، وإن كان مفتقرا في وجوده إلىٰ غيره لا قوام له بنفسه؛ فهو العرض.

فيقال لكم: الابن القديم الأزليّ المولود[2] من جوهر أبيه، الذي هو مولودٌ غير مخلوق، الذي تجسّد ونزل= هو[3] جوهر قائم بنفسه أم هو عرض قائم بغيره، والوجود[4] عندكم: إما جوهر وإما عرض.

فإن قلتم: هو جوهر، فقد صرَّحتم بإثبات جوهرين: الأب جوهر، والابن جوهر، ويكون حينئذ أقنوم الحياة جوهرًا ثالثًا، فهذا تصريح بإثبات ثلاثة

---

(١) (ل، والمطبوعتان): «فيكون».

(٢) (د، ط. النيل): «الموجود».

(٣) «هو» ليس في (ل، والمطبوع).

(٤) المطبوع: «والموجود»، والمثبت من (ل، وط. النيل)، كذا استظهرته في (د)، متقاربان.

جواهر قائمة بنفسها[١]، وحينئذ فيبطل قولهم: إنه إله واحد، وإنه أَحدِيُّ الذات ثُلاثيّ الصفات، وإنه واحد بالجوهر ثلاثة بالأقنوم؛ إذ كنتم قد صرّحتم ـ علىٰ هذا التقدير ـ بإثبات ثلاثة جواهر.

وإن قلتم: بل [الابن][٢] القديم الأزلي، الذي هو الكلمة، التي هي العلم والحكمة= عرضٌ قائم بجوهر الأب، ليس[٣] جوهرًا ثانيا؛ فقد صرحتم بأن الرب جوهر تقوم به الأعراض، وقد أنكرتم هذا في كلامكم، وقلتم: هو جوهر لا تقوم به الأعراض. وقلتم: إن في[٤] المخلوقات جواهر[٥] لا تقوم بها الأعراض، فالخالق أولىٰ، وهذا تناقضٌ بيِّن لا حيلة فيه لمن تدبّر كلامهم أوّله وآخره.

فإن كلامهم هذا يوجب أنه جوهرٌ واحد، لا يقوم به شيء من الأعراض.

وهم يقولون: جوهر واحد، ثلاثة أقانيم. وسواء[٦] سمَّوها صفات أو خواص أو أعراضًا، أو قالوا: الأقنوم هو الذات والصفة= فيقال لهم: الرب مع الأقانيم: ثلاثة جواهر، أو جوهر واحد له ثلاث صفات، أو جوهر[٧] لا صفة له؟

فإن قالوا: ثلاثة جواهر، أثبتوا ثلاثة وبطل قولهم: إن الرب جوهر واحد وإله واحد، وصرّحوا بإثبات ثلاثة آلهة.

---

(١) (د، ط. النيل): «بأنفسها».
(٢) النسخ الخطية: «الأب»، سبق قلم، أو انتقال نظر.
(٣) المطبوعتان زيادة: «هو»، وليس في النسخ.
(٤) المطبوعتان: «من».
(٥) (ل): «وقلتم هو جوهر».
(٦) موضع «وسواء» بياض في (ل) مقدار كلمة.
(٧) (ط. النيل) زيادة: «واحد».

وإن قالوا: بل جوهر واحد له ثلاث صفات؛ فقد صرّحوا أن هذا الجوهر تقوم به الصفات، وإذا قامت به الصفات ـ وقد سموه جوهرًا ـ وقالوا: كل موجود إما جوهر وإما عرض= لزمهم قطعًا أن تكون صفاته أعراضًا، فبطل قولهم: إنه جوهر لا تقوم به الأعراض.

وإن قالوا: جوهر واحد لا تقوم به الصفات[1]؛ بطل قولهم: له حياة ونطق. وإذا نفوا الصفات؛ أبطلوا التثليث والاتحاد وبطلت الأمانة، مع مخالفتهم لكتب الأنبياء، فإنها مصرِّحة بإثبات الصفات، ومع مخالفتهم لصريح[2] العقل.

والمقصود أنهم يتناقضون تناقضًا بيِّنًا؛ لأنهم أثبتوا جوهرًا لا تقوم به الأعراض، مع قولهم: الموجود إما جوهر وإما عرض، ومع قولهم: إنه جوهر ثلاثة أقانيم. فإذا لم تَقُم به الأعراض= لم يكن له صفات؛ فإن الصفة قائمة بغيرها ليست جوهرًا، بل هي ـ إذا كان الموجود إما جوهر وإما عرض ـ من قِسم الأعراض، لا من قسم الجواهر، فكان هذا الكلام نافيًا لقيام الصفات به مطلقًا.

ثم قالوا فالأقانيمُ[3] التي توجب إما إثبات صفات، وإما إثبات جواهر= ثلاثةٌ قائمةٌ بنفسها، مع أنها إذا قامت بنفسها لزم اتّصافها بالصفات. ولا ريب أن القوم يَجمعون في قولهم بين النقيضين، بين إثبات الصفات ونفيها، وبين إثبات ثلاثة جواهر ثلاثة آلهة، وبين قولهم الإله واحد[4].

---

(١) (ط. النيل) زيادة: «بحال».

(٢) (ل): «بصريح».

(٣) كذا النسخ، والمطبوعتان: «بالأقانيم»، وهو أجود.

(٤) (ل، المطبوع): «الواحد»، والمثبت أولىٰ.

وسبب ذلك: أنهم ركّبوا لهم اعتقادًا، بعضُه من نصوص الأنبياء المحكَمة، كقولهم: إله[1] واحد. وبعضه من متشابه كلامهم، كلفظ (الابن) و (روح القدس). وبعضه من كلام الفلاسفة المشركين المعطِّلين، كقولهم: جوهر لا تقوم به الصفات.

ومما يوضح ذلك: أنك تجد عامّة علماء النصارىٰ ـ فضلا عن عامتهم ـ لا يعرفون ما نسخَه المسيح من شريعة التوراة مما أقرّه، مع اتفاقهم علىٰ أن المسيح لم يَنسخْها كلها، ولم يُقرّها كلّها، بل أخبرهم أنه إنما جاء لِيُتِمّها لا لِيُبطلها، وقد أحلّ بعض ما حُرِّم فيها، كالعمل في السبت.

ومعلومٌ أن المقصود بالرسل= تصديقهم فيما أخبروا، وطاعتهم فيما أَمروا.

فإذا كان عامة النصارىٰ لا يُميِّزون ما أمرهم به مما لم يأمرهم به، ولا ما نهاهم عنه مما لم ينههم عنه مع اعترافهم بأنه أقرّ كثيرًا من شريعة التوراة، بل أكثرَها، وأحلّ بعضَها فنسَخَه ورفَعَه، وهم لا يعرفون هذا من هذا، لم يكونوا عارفين بما جاء به المسيح، ولا يعرفون ما أمرهم الله علىٰ لسان موسىٰ وسائر الأنبياء= فإنهم لا يجوز لهم العمل بكل ما في التوراة، بل قد نَسخ المسيح بعضَ ذلك باتفاقهم واتفاق المسلمين علىٰ ذلك.

ولا يجوز لهم تعطيلُ جميع شريعة التوراة، بل يجب عليهم العمل بما لم يَنسخْه المسيح، وعامتهم لا يعرفون ما نسخه مما لم ينسخه، فلا يمكنهم العمل بالتوراة والانتفاع بها في الشرع، حتىٰ يعرفوا المنسوخ منها من غير المنسوخ.

---

(١) (ط. النيل): «الإله».

وعامتهم لا يعرفون ذلك، فلم يكونوا حينئذ علىٰ شريعة منزَّلة من الله، لا من جهة المسيح، ولا من جهة موسىٰ فلم يَعْلموها[1]، بل كان ذلك مجهولًا عند عامتهم وجمهورهم أو جميعهم، فكانوا محتاجين إلىٰ أن يعرفوا ما شرعه الله مما لم يشرعه؛ فأرسل الله محمدًا ﷺ بِشَرْعٍ أَمَرَ فيه بمحاسن ما في الكتابين، وعَوَّض[2] عما نسخه بما هو خيرٌ منه.

---

(١) في الأصلين الخطّيين: «يعلمونها»، غلطٌ من الناسخ، أو علىٰ إلغاء (لم) ورفع الفعل بعدها، لغة أشار إليها ابن مالك، لكن قال غيره: ضرورة، وأنشد عليها الأخفش وثعلب:

لولا فَوارسُ من نُعْمٍ وأُسْرَتِهم ... يوم الصُّلَيْفاءِ لم يُوفُون بالجارِ

أصله: «لم يوفوا». انظر: «سر صناعة»: (٢/ ١١٨)، و«شرح التسهيل»: (٤/ ٦٦)، و«مغني اللبيب»: (ص/ ٣٦٥). والمثبت من (ط. النيل)، وهو الجادّة.

(٢) (ل): «وعرض».

فصل

ثم قالوا: «إنا نعجب من هؤلاء القوم، الذين مع أدبهم وما يأخذون به أنفسهم من الفضل، كيف لم يعلموا أن الشرائع شريعتان: شريعة عدل وشريعة فضل؛ لأنه لما كان الباري عدلًا وجوادًا وجب أن يُظهِر عدله علىٰ خلقه فأَرسل موسىٰ إلىٰ بني إسرائيل فوَضع شريعة العدل، وأمرهم بفعلها إلىٰ أن استقرّت في نفوسهم.

ولما كان الكمال الذي هو الفضل لا يُمكن أن يضعَه إلا أَكمل الكُمَّال= وجب أن يكون هو ـ تقدّست أسماؤه وجلّت آلاؤه ـ الذي يَضَعُه؛ لأنه ليس شيءٌ أكملَ منه، ولأنه جواد[1]؛ وَجَب أن يجود بأجلّ الموجودات وليس من[2] الموجودات أكملُ من كلمته؛ ولذلك وَجَب أن يجود[3] بكلمته[4]، فلهذا وجب أن يتّحد بذات محسوسة يُظهِر منها قدرته وجودَه.

ولما لم يكن في المخلوقات أجلُّ من الإنسان= اتحد بالطبيعة البشرية من السيدة الطاهرة، من مريم البتول المصطفاة علىٰ نساء العالمين، وبعد هذا الكمال ما تبقّىٰ شيء يوضع؛ لأنّ جميع ما يتقدّمه مقتضيه[5]، وما يأتي بعد الكمال غيرُ محتاجٍ إليه؛ لأنَّ[6] ليس شيءٌ يأتي بعد الكمال فيكون فاضلًا،

---

(١) (ل): «جعلا»، وفي هامشها: (لعله: جواد)، فذكر الصواب احتمالا.

(٢) المطبوعتان: «في».

(٣) (ل): «يجدد».

(٤) زِيد بعده في المطبوع «فلهذا وجب أن يجود بكلمته»، وليس في النسخ ولا طبعة النيل!

(٥) كذا في (ل)، و(د)، ثم غيّر فيها إلىٰ «منقصة»، وهو ما في (ط. النيل). وزاد قبلها في المطبوع: «وما يأتي»، وليس في الأصول الخطية ولا المطبوعة!

(٦) كذا في النسخ، علىٰ حذف ضمير الشأن، و(ط. النيل): «لأنه»، وكلاهما مستعمل. انظر: «شرح الكافية»: (١/ ٢٣٦)؛ لابن مالك. و«شرح الرّضي»: (٤/ ٣٧٦).

بل دُوْنٌ(١)، أو أَخَذَ منه، والآخذ منه(٢) فهو فَضْلٌ لا يُحتاج إليه، وفي هذا القول نفع(٣)، والسلام علىٰ من اتبع الهدىٰ.

وهذا مما عرفتُه من [أمر](٤) القوم الذين رأيتُهم وخاطبتُهم في محمد ـ ﷺ ـ وما يحتجّون به عن أنفسهم، فإن يكن ما ذكروه صحيحًا؛ فلله الحمد. وإن كان خلاف ذلك؛ فمولانا يكتب ذلك، فقد(٥) جعلوني سفيرًا، والحمد لله رب العالمين».

والجواب عن(٦) هذا من وجوه:

أحدها: أن يقال: بل الشرائع ثلاثة: شريعةُ عدل فقط، وشريعةُ فضل فقط، وشريعةٌ تجمع العدل والفضل، فتُوجِب العدل، وتندُب إلىٰ الفضل، وهذه أكمل الشرائع الثلاث وهي شريعة القرآن الذي جُمِع(٧) فيه بين العدل والفضل. مع أنا لا ننكِر أن يكون موسىٰ ـ عليه السلام ـ أوجَبَ العدل ونَدَب إلىٰ الفضل، وكذلك المسيح ـ أيضًا ـ أوجَبَ العدل ونَدَب إلىٰ الفضل.

---

(١) كذا الأصول، و(ط. النيل): «دونًا»، وكلاهما متَّجه. و«دونٌ» بمعنىٰ: حقير وخسيس، أو ردي، وليس ظرفًا، ومنه قولهم: «طعام دُون»، وأنشدوا:

إذا ما عَلا المرءُ رامَ العَلاءَ ... ويقنَع بالدُّون مَن كان دُونَا

ينظر: «توجيه اللمع»: (ص/ ١٥٤)، و«اقتطاف الأزاهر»: (ص/ ١٢١).

(٢) «والآخذ منه» سقط من المطبوع. وبعده: «فاضل»، خلافًا للنسخ.

(٣) كذا في (د). و(ط. النيل): «مقنع»، وفي هامش (ل): «لعله: قنع».

(٤) كذا في هامش (ل) احتمالًا، قال: «ولعله: أمر»، وسائر النسخ: «أنّ»، والتصحيف إليه قريب. والكلام هنا «لبولس الأنطاكي» الحاكي عن علماء النصارىٰ اعتقادهم المذكور.

(٥) (د، ط. النيل): «بعد أن».

(٦) (ل): «علىٰ».

(٧) (د، ط. النيل): «يجمع».

وأما من يقول: إن المسيح أَوجَبَ الفضل، وحَرَّم علىٰ المظلوم[1] أن يقتصّ من ظالمه، أو أن موسىٰ لم يَندُب إلىٰ الإحسان، فهذا فيه غضاضة بشريعة[2] المرسلين. لكن قد يقال: إنّ ذِكْر العدل في التوراة أكثر، وذِكْر الفضل في الإنجيل أكثر، والقرآن جَمَع بينهما علىٰ غاية الكمال.

والقرآن بيّن أن السعداء أهل الجنة، وهم أولياء الله= نوعان: أبرار مقتصدون، ومقرَّبون سابقون. **فالدرجة الأولىٰ** تحصل بالعدل: وهو[3] أداء الواجبات وترك المحرمات. **والثانية** لا تحصل إلا بالفضل: وهو أداء الواجبات والمستحبّات، وترك المحرّمات والمكروهات.

فالشريعة الكاملة تَجمع العدل والفضل؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة:٢٨٠]. فهذا عدل واجب، من خرج عنه استحق العقوبة في الدنيا والآخرة.

ثم قال: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٨٠] فهذا فضلٌ مستحبٌّ مندوب إليه، مَن فَعله أثابه الله ورفع درجته، ومن تركه لم يعاقبْه.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ [النساء:٩٢] فهذا عدل.

ثم قال تعالىٰ: ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا﴾ [النساء:٩٢] فهذا فضل.

---

(١) المطبوعتان: «كل مظلوم».

(٢) (ل): «شريعة».

(٣) (د، والمطبوعتان): «وهي».

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة:٤٥] فهذا عدل.

ثم قال: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ [المائدة:٤٥] فهذا فضل.

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ﴾ [البقرة:٢٣٧] فهذا عدل.

ثم قال: ﴿إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧] فهذا فضل.

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ﴾ [النحل:١٢٦] فهذا عدل.

ثم قال: ﴿وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل:١٢٦] فهذا فضل.

وقال تعالىٰ ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورىٰ:٤٠] فهذا عدل.

ثم قال: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ:٤٠] فهذا فضل.

وهو سبحانه دائمًا يحرِّم الظلمَ ويوجب العدل ويندُب إلىٰ الفضل، كما في آخر سورة البقرة لـمَّا ذكر حكم الأموال. والناسُ فيها إما محسنٌ وإما عادل وإما ظالم؛ فالمحسن المتصدِّق، والعادل المعاوِض كالمبايع[1]، والظالم كالمرابي.

فبدأ بالإحسان والصدقة، فذكر ذلك ورغَّب فيه فقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ

---

(١) المطبوعتان: «كالبايع» خلاف النسخ.

وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٦١ - ٢٦٣] الآيات.

ثم ذكر تحريم الربا، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢٧٥]

ثم لما أحلَّ البيع ذَكَر المداينات، وذكر[(١)] حكمَ البيع الحالّ والمؤجّل، وحِفْظَ ذلك بالكتاب والشهود أو الرهن، وخَتَم السورة[(٢)] بأصولِ الإيمان من الإيمان بالكتب والرسل[(٣)]، بعد أن افتتحها بذلك، وذكر[(٤)] أصناف الناس، وهم ثلاثة: إما مؤمن وإما كافر وإما منافق. فذكر نعت المؤمنين، ثم ذكر نعت الكافرين، ثم ذكر نعت المنافقين، ثم مهَّد أصول الإيمان؛ فأمر بعبادة الله ـ تعالىٰ ـ وذكر آياته وآلائه.

ثم قرَّر نبوّةَ رسوله[(٥)]، ثم ذكر اليوم الآخر والوعد والوعيد، ثم ذكر بدء

---

(١) «وذكر»: سقط من (ل، والمطبوع)، وإثباتها أولىٰ؛ فالمقام مقام إطناب.

(٢) زيد بعدها في (ل): «بعدُ». (ل)، وفي (د): «بعدَ أن» ثم ضرب عليها.

(٣) (ل، المطبوع) زيادة: «وهو سبحانه».

(٤) (ل): «افتتحها بذكر»، وكذا كان في (د) ثم صوبت كما أثبت، وهو الأولىٰ؛ لإفادته ارتباط آخر السورة بأولها.

(٥) (ل، المطبوع): «رسله»، والصواب ما أثبت؛ والآية المعنيّة قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة:٢٣].

العالم وخَلْقَ السماوات والأرض، ثم خلقَ آدم وإسجادَ الملائكة له وخروجَه من الجنة، وهبوطَه إلىٰ الأرض.

ثم بعد أن عمَّ بالدعوة جميعَ الخلق، خصّ أهل الكتاب فخاطبهم: خاطب اليهود أولًا بني إسرائيل، ثم النصارىٰ، ثم خاطب المؤمنين فقرَّر لهم قواعدَ دينه؛ فذكر أصلَ الملةِ[1] إبراهيمَ، وبناءه للبيت ودعاءه لأهل مكة، ووكّد الأمر بملّة إبراهيم، ثم ذكر ما يتعلق بالبيت من اتّخاذه قبلةً ومِن تعظيم شعائر الله التي عنده كالصفا والمروة، ثم ذكر التوحيد والحلال والحرام والمطاعمَ للناس عمومًا، ثم للذين آمنوا[2] خصوصًا، ثم ذكر ما يتعلق بالقتل من القصاص وبالموت من الوصيّة.

ثم ذكر شرائع الدين، فذكر صيام شهر رمضان، وما يكون فيه من الاعتكاف، ثم ذكر ما يتصل بشهر الصيام، وهو أشهر الحج، فذكر الحج، وذكر حكم القتال عموما، وخصوصًا في البلد الحرام.

ولما ذكر الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة، ذكر[3] بعد ذلك الحلال والحرام في الفروج. فذكر أحكام وطء[4] النساء والحيض والإيلاء

(١) كذا في النسخ الخطية، علىٰ أن «إبراهيم» بدل من «أصل الملة»، وقد دلّت علىٰ هذا المعنىٰ آيات، منها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٦٨] وقوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣]. وفي المطبوعتين: «ملة» علىٰ الإضافة، وتحتمله الآية المشار إليها وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤].

(٢) (د) زيادة: «ثم».

(٣) (ل): «ثم ذكر»، وضرب علىٰ (ثم) في (د).

(٤) (ل): «الوطء».

منهن والطلاق لهن، واختلاعهن. وذكر حكم الأولاد وإرضاعهم، واعتداد النساء وخِطبتهن في العدة، وطلاقهن قبل الدخول وبعده.

ثم ذكر الصلوات والمحافظة عليهن، ثم قرر المعاد وما يدل عليه من إحياء الموتىٰ في الدنيا مرة بعد مرة.

فتضمّنت هذه السورة الواحدة جميعَ ما يحتاج الناس إليه في الدين؛ أصوله[1] وفروعه، وافتتحها بالإيمان بالكتب والرسل، ووسَّطها بالإيمان بالكتب والرسل، وختمها بالإيمان بالكتب والرسل. فإن الإيمان بالكتب والرسل هو عمود الإيمان وقاعدته وجِماعُه.

وأَمَر فيها الخلقَ عمومًا، وخصوصًا بعد عموم[2]، وذَكَر فيها الإيمانَ بالخالق وآيات ربوبيته، والإيمان بالمعاد والدار الآخرة، والأعمال الصالحة التي أَمَر بها، وأن مَن كان مِن أتباع الرسل من المؤمنين واليهود والنصارىٰ والصابئين قائمًا بهذه الأصول: وهو الإيمان بالله واليوم الآخر، والعمل الصالح فهو السعيد في الآخرة، والذي[3] له أجره عند ربه، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

بخلاف من بدَّل منهم الكتاب، أو كذَّب بكتاب فإن هؤلاء من الكفار.

فمن كان متّبعًا لشرع التوراة قبل مبعث المسيح، غير مبدّل له= فهو من السعداء. وكذلك من كان متّبعًا لشرع الإنجيل قبل مبعث محمد ﷺ غير مبدّل له= فهو من السعداء.

---

(١) (ل، المطبوع): «وأصوله» بالعطف.

(٢) «بعد عموم» سقط من (ل، والمطبوع).

(٣) المطبوعتان: «الذي» بإسقاط العاطف.

ومن بدّل شرع التوراة أو كذَّب بالمسيح فهو كافر، كاليهود بعد مبعث المسيح ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ، وكذلك من بدّل شرع الإنجيل أو كذّب محمدًا ﷺ= فهو كافر كالنصارىٰ بعد مبعث محمد ﷺ.

فقُدماء اليهود والنصارىٰ الذين اتّبعوا الدّين قبل النسخ والتبديل= سُعَداء[1]، وأما اليهود والنصارىٰ الذين تمسّكوا بِشَرْع مبدّل منسوخ وتركوا اتباع الكتاب[2] والرسول الذي أُرسل إليهم وإلىٰ غيرهم وعَدَلوا عن الشرع المنزّل المحكم= فهم كفار.

وردَّ دعاوىٰ اليهود والنصارىٰ الكاذبة، مثل قول هؤلاء: لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا، وقول هؤلاء: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارىٰ، فقال: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢].

وبيّن مِن كُفْر اليهود والنصارىٰ، ما عُرِف به[3] حالُهم. لكن أكثر ما ذكر في هذه السورة: اليهود، كما أن أكثر ما ذكر في سورة آل عمران: النصارىٰ، فإن هذه نزلت أوّل مَقْدَمه المدينة، وكان اليهود جيرانه. وآل عمران تأخر نزولها إلىٰ آخر الأمر، لما قَدِم عليه نصارىٰ نجران. وفيها فُرِض الحج، لـمّا طهَّر الله مكة من المشركين، فكان أكثر دعائه في أول الأمر للمشركين؛ لأنهم جيرانه بمكة، ثم لليهود[4]؛ لأنهم جيرانه بالمدينة، ثم للنصارىٰ؛ لأنهم كانوا أبعدَ عنه

---

(١) (ل، والمطبوع): «سعدوا».

(٢) (ل، والمطبوع): «الكتب».

(٣) (ل، والمطبوع): «مما عُرف»، والمطبوع: «بهم»، تصحيف.

(٤) «لأنهم جيرانه بمكة، ثم لليهود» سقط من (ل).

من ناحية الشام واليمن، والمجوسِ ـ أيضًا ـ لأنهم كانوا أبعدَ عنه بأرض العراق وخراسان.

وهذا هو الترتيب المناسب، يدعو الأقرب إليه فالأقرب، ثم يرسل رسلَه إلىٰ الأبعد. وهو ﷺ كان ـ أولًا ـ مشغولًا بجهاد المشركين واليهود. فلما صالح المشركين صلحَ[(١)] الحديبية، وحارب يهود خيبر عَقِيبَ ذلك، ففتحها الله عليه، وقسمها بين الذين بايعوه تحت الشجرة: الذين شهدوا صلح الحديبية= تفرغ لمن بَعُد عنه، فأرسل رسله إلىٰ جميع مَن حوالَيْه من الأمم.

أرسل إلىٰ ملوك النصارىٰ بمصر والشام والحبشة، فإنه كان قد مات ملكُ الحبشة[(٢)] النجاشيُّ الذي أسلم، وأخبر الناس بموته يوم مات، وخرج بأصحابه إلىٰ ظاهر المدينة فصلّىٰ عليه بهم[(٣)] صلاة الجنازة كما كان يصلّي علىٰ سائر موتىٰ المسلمين[(٤)]. وتولّىٰ بعد النجاشي[(٥)] آخر، فأرسل إليه كما ذكره مسلم في صحيحه وغيره[(٦)]، وأرسل إلىٰ ملوك اليمن من المشركين واليهود، وإلىٰ ملوك العرب. وكان في العرب خلقٌ كثير يهود، وخلقٌ كثير

---

(١) (ط. النيل): «صالح».

(٢) «ملك الحبشة» سقط من (ل).

(٣) (ل): «فصلىٰ بهم عليه».

(٤) جاء ذكر نعي النجاشي والصلاة عليه والدعاء له عند البخاري (١٢٤٥، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣٢٠، ١٣٢٧، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ٣٨٧٧، ٣٨٧٨، ٣٨٧٩، ٣٨٨٠)، ومسلم (٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣).

(٥) (ل): «بعده نجاشي».

(٦) (١٧٧٤)، والترمذي في «سننه» (٢٧١٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٥٥٥) عن أنس رضي الله عنه: «أن نبيّ الله ﷺ كتب إلىٰ كسرىٰ، وإلىٰ قيصر، وإلىٰ النجاشي، وإلىٰ كل جبار يدعوهم إلىٰ الله تعالىٰ»، قال أنس: وليس بالنجاشي الذي صلىٰ عليه النبيﷺ. اهـ. وهذا الآخر أرسل إليه النبي ﷺ عمرو بن أمية الضمري، ولم يُسْلِم. وانظر: «فتح الباري»: (٨/ ١٢٩)، و«زاد المعاد»: (١/ ١١٢).

نصارىٰ، وخلقٌ كثير مجوس فدعا جميع الخلق من اليهود والنصارىٰ والمجوس والمشركين، عربهم وعجمهم.

الوجه الثاني: أن يقال لهم: الناس لهم في أمر الله ونهيه **قولان مشهوران**:

أحدهما: أنه يرجع إلىٰ محض المشيئة، لا يُعتبر فيه أن يكون المأمورُ به مصلحةً للخلق، وإن اتّفق أن يكون مصلحةً، وإن كان الواقعُ كونَه مصلحة، وهذا قول من يقول: لا يَفعل ولا يحكم لسبب[1] ولا لحكمة ولا لغرض.

والقول الثاني: وهو قول جمهور الناس: إن الله إنما أرسل الرسل ليأمروا الناس بما يُصلحهم وينفعهم إذا فعلوه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال - تعالىٰ -: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦].

فإن قيل بالأول: لم يُسأل عن حكمة إرسال الرسل.

وإن قيل بالثاني: ففي إرسال محمد ﷺ من الحكم والمصالح= أعظمُ مما كان في إرسال موسىٰ والمسيح، والذي حصلَ به من صلاح العباد في المعاش والمعاد أضعافُ ما حصل بإرسال موسىٰ والمسيح من جهة الأمر والخلق.

---

(١) (ل، والمطبوع): «بسبب».

فإن في شريعته من الهدىٰ ودين الحق أكملَ مما في الشريعتين المتقدّمتين. وتيسيرُ الله من اتباع الخلق[1] له واهتدائهم به ما لم يتيسر مثلُه لمن قبله، فحصل فضيلةُ شريعته من جهة فضلها في نفسها، ومن جهة كثرة من قَبِلها وكمالِ قبولهم لها، بخلاف شريعة من قبله، فإن موسىٰ ﷺ بُعِث إلىٰ بني إسرائيل، وكان فيهم من الرد والعناد في حياة موسىٰ وبعد موته ما هو معروف، وقد ذكر النصارىٰ في كتابهم هذا، من ذلك ما تقدم.

ولم تكن شريعةُ التوراة في الكمال مثلَ شريعة القرآن، فإن القرآن فيه مِن[2] ذِكْر المعاد وإقامةِ الحُجَج عليه وتفصيلِه، ووصفِ الجنة والنار، ما لم يُذكَر مثلُه في التوراة.

وفيه مِن ذِكر قصة هود وصالح وشعيب وغيرهم من الأنبياء، ما لم يُذكر في التوراة.

وفيه من ذكر أسماء الله الحسنىٰ وصفاته، ووَصْف ملائكته وأصنافهم وخَلْق الإنس والجن ما لم يُفصَّل مثله في التوراة. وفيه مِن تقرير التوحيد بأنواع الأدلة ما لم يُذكَر مثله في التوراة، وفيه مِن ذِكْر أديان أهل الأرض ما لم يُذكر مثله في التوراة.

وفيه مِن مناظرة المخالفين وإقامة البراهين علىٰ أصول الدين ما لم يُذكر مثله في التوراة، مع أنه لم يَنزل كتابٌ من السماء أهدىٰ من القرآن والتوراة.

وفي شريعة القرآن تحليلُ الطيبات وتحريمُ الخبائث. وشريعةُ التوراة فيها تحريم كثير من الطيبات عليهم، حُرِّمت عليهم عقوبة لهم.

---

(١) (ل): «الحق».

(٢) «من» ساقط من (ل، والمطبوع).

وفي شريعة القرآن من قَبول الدية في الدماء ما لم يُشرع في التوراة، وفيها مِن وَضع الآصار والأغلال التي في التوراة ما يَظهر به أن نعمة الله علىٰ أهل القرآن أكمل.

وأما الإنجيل؛ فليس فيه شريعة مستقلّة، ولا فيه الكلام علىٰ التوحيد وخَلْق العالم وقصص الأنبياء وأممهم، بل أحالهم علىٰ التوراة في أكثر الأمر.

ولكنْ أحلّ المسيح بعضَ ما حرم عليهم، وأمَرهم بالإحسان والعفو عن المظالم[1] واحتمال الأذىٰ، والزهد في الدنيا، وضرب الأمثال لذلك.

فعامة[2] ما امتاز به الإنجيل عن التوراة بمكارم الأخلاق المستحسنة، والزهد المستحب[3]، وهذا كله في القرآن، وهو في القرآن أكمل. فليس في التوراة والإنجيل والنبوات ما هو من العلوم النافعة والأعمال الصالحة إلا وهو في القرآن أو ما هو أفضل منه.

وفي القرآن من العلوم النافعة والأعمال الصالحة من الهدىٰ ودين الحق ما ليس في الكتابين، لكن النصارىٰ لم يتَّبعوا لا[4] التوراة ولا الإنجيل، بل أحدثوا شريعة لم يُبعث بها نبيٌّ من الأنبياء، كما وضعوا لقسطنطين «الأمانة» ووضعوا له أربعين كتابًا، ويُسمُّونها[5] القوانين، فيها[6] بعض ما جاءت به الأنبياء، وفيها شيء كثير مخالف لشرع الأنبياء، وصاروا إلىٰ كثير من دين المشركين الذين

(١) (ل، المطبوع): «الظالم».

(٢) (ل): «فغاية».

(٣) المطبوعتان زيادة: «وتحليل بعض المحرمات» ليس في النسخ.

(٤) «لا» ليست في (ل).

(٥) (ل، المطبوع): «فيها».

(٦) (ل): «فيه».

عَبدوا مع الله آلهة أخرىٰ، وكذَّبوا رسله فصار في دينهم من الشرك، وتغيير[1] دين الرسل ما غيَّروا به شريعة الإنجيل؛ ولهذا التبستْ عند عامتهم شريعةُ الإنجيل بغيرها، فلا يَعرفون ما نسخه المسيح من شريعة التوراة مما أقرّه ولا ما شرعه مما أُحدث بعده.

فالمسيح لم يأمرهم بتصوير الصُّوَر وتعظيمها، ولا دعاء من صُوِّرتْ تلك التماثيل علىٰ صورته، ولا أَمر بهذا أحدٌ من الأنبياء.

لا يوجد قطّ عن نبي أنه أَمر بدعاء الملائكة والاستشفاع بهم، ولا بدعاء الموتىٰ من الأنبياء والصالحين والاستشفاع بهم، فضلًا عن دعاء تماثيلهم والاستشفاع بها، فإن هذا من أصل[2] الشرك الذي نبَّهتْ عليه الرسل، وهذا كان أصلَ الشرك في بني آدم من عهد نوح.

قال الله تعالىٰ عن قوم نوح[3]: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾ [نوح: ٢٣، ٢٤].

قال كثير من العلماء، منهم ابن عباس وغيره[4]: هؤلاء كانوا قومًا صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا علىٰ قبورهم، ثم صوّروا تماثيلهم، ثم عبدوهم، وقد ذَكَر ذلك المسيحُ وعلماءُ النصارىٰ.

والمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يأمرْهم بعبادته، ولا قال: إنه الله، ولا[5] بما ابتدعوه

---

(١) (د، ط. النيل): «وتغير».

(٢) المطبوعتان: «أصول» خلاف النسخ.

(٣) (د، ل) زيادة: «وقالوا».

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٤٩٢٠).

(٥) (ط. النيل) زيادة: «أمرهم».

من التثليث والاتحاد.

والمسيح[1] لم يأمرهم باستحلال كل ما حرَّمه[2] الله في التوراة[3] من الخبائث؛ كالخنزير وغيره، فاستحلّوا الخبائث المحرّمة، وغيّروا شريعة التوراة والإنجيل.

والمسيح لم يأمرهم بأن[4] يُصلّوا إلىٰ المشرق ولم يأمرهم أن يعظِّموا الصليب، ولم يأمرهم بترك الختان ولا بالرهبانية، ولا بسائر ما ابتدعوه بعده.

ولهذا لما ظَهَر فسادُ دين النصارىٰ، صار بعض الناس، كأبي عبد الله الرازي يقول: لم يظهر الانتفاع بدين المسيح، إلا في طائفة قليلة كانوا قبل محمد ﷺ، فإن الدين الذي كان عليه جمهور النصارىٰ، ليس هو دين المسيح[5]. ونُبيِّن هذا:

بالوجه الثالث: وهو أن يقال: هَبْ أنّ شريعة الكتابين كانت كافية، فإنما ذاك إذا كانت محفوظة معمولًا بها، ولم يكن الأمر كذلك، بل كانت قد درس كثيرٌ من معالمها.

وقد اختَلف أهل الكتاب في المسيح وغيره اختلافا عظيمًا كما قال تعالىٰ:

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ

---

(١) (ل): «فالمسيح».

(٢) (ل): «حرم».

(٣) «في التوراة» ليس في (ل)، وألحقت في هامش (د).

(٤) (د، ط. النيل): «أن».

(٥) قال الفخر الرازي في: «معالم أصول الدين» (ص/ ١١٠): «وأما الذين بقوا علىٰ شريعة عيسىٰ عليه السلام مع البراءة من التثليث فهم قليلون».

بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة: ١٤].

وقد قال - تعالىٰ -: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [البقرة: ٢١٣]. أي فاختلفوا. ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ [البقرة:٢١٣].

والوقت الذي بعث الله فيه محمدًا ﷺ لم يكن قد بَقِي أحدٌ مُظهِرا لِـمَا بَعث الله به الرسل قبله.

فبعثه علىٰ حين فترة من الرسل، وطُمُوس من السبل، أحوجَ ما كان الناس إلىٰ رسول، كما في صحيح مسلم[1] عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله نظر إلىٰ أهل الأرض فمَقَتَهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب**».

وكان الناس حين مبعث محمد ﷺ إما أُمِّيِّين، لا كتابَ لهم، يشركون بالرحمن، ويعبدون الأوثان، وإما أهل كتاب قد بدّلوا معانيَه وأحكامَه وحرّفوا حلالَه وحرامَه، ولبَّسوا حقّه بباطله، كما هو الموجود.

فلو أراد الرجل أن يميّز له أهلُ الكتاب ما جاءت به الأنبياء مما هم عليه مما أحدثوه بعدهم= لم يَعرف جمهورُهم ذلك، بل قد صار الجميع عندهم دِينًا واحدًا.

---

(١) «٢٨٦٥»، وقد تقدم.

فبَعَث الله ﷻ محمدًا ﷺ بالكتاب الذي أنزله[1] عليه مصدّقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا، فميّز به الحق من الباطل والهدىٰ من الضلال والغي من الرشاد. قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾[2] [المائدة: ١٥ - ١٧].

إلىٰ قوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [المائدة: ١٩].

الوجه الرابع: إن شريعة التوراة تَغلِب عليها الشدة، وشريعةَ الإنجيل يغلِب عليها اللين، وشريعة القرآن معتدِلةٌ جامعةٌ بين هذا وهذا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة:١٤٣]

وقال في وصف أمته: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح:٢٩].

---

(١) (ل): «أنزل».

(٢) الآيات الثلاثة سقطت من (د).

وقال ـ أيضًا ـ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤].

فوصفهم بالرحمة للمؤمنين، والذلّة لهم، والشدّة علىٰ الكفار والعزّة عليهم.

وكذلك كان صفة محمد ﷺ نبيِّهم، أكملِ النبيين وأفضل الرسل؛ بحيث قال: «**أنا محمد وأنا أحمد، وأنا نبيّ الرحمة، وأنا نبيّ الـمَلْحَمة، وأنا نبيّ التوبة، وأنا الضّحوك القتَّال**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٥٥) من حديث أبي موسىٰ الأشعري، دون لفظ: (وأنا نبي الملحمة) (وأنا الضحوك القتال)، وفيه زيادة: (المقفي، والحاشر).
وأما وصفه بالضحوك القتال، فقد جاء عن ابن عباس موقوفًا، وعن معمر بن راشد -وغيره- مرسلًا.
أما أثر ابن عباس: فقد رواه ابن فارس في كتابه: «أسماء رسول الله ﷺ ومعانيها» (ص٣٣٩)، وعنه: السيوطي في «الرياض الأنيقة» (ص٢٠٢) من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «اسمه في التوراة: أحمد الضحوك القتال، يركب البعير، ويلبس الشَّمْلة، ويجتزي بالكِسْرة، سيفُه علىٰ عاتقه».
وسنده تالف؛ فيه مجهولٌ، فضعيفٌ، فمتَّهمٌ بالوضع، فمدلِّسٌ معنعِن.
وأما أثر معمرٍ فأخرجه الواقدي في «المغازي» (١/ ٣٦٧) وعنه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (١/ ٤٩٠) عن معمر بن راشد، وابن أبي حبيبة، ومحمد بن يحيىٰ بن سهل، وغيرهم، في قصة إجلاء بني النضير، وفيها قولهم: «إنما صاحبها الضحوك القتال، في عينيه حمرة، ويأتي من قِبل اليمن، ويركب البعير، ويلبس الشملة، ويحترئ بالكِسْرة، وسيفه علىٰ عاتقه، ليس معه آية، يتعلق بالحكمة..».
والأثر علىٰ إرساله هو من رواية الواقدي، وهو متروك الحديث، بل متهم، وحاله لا تخفىٰ.
وقد أشار إلىٰ هذا الوصف: المصنفُ في عدد من كتبه، منها: «السياسة الشرعية» (ص١٧)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٢٥٧)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٣/ ٣٣١)، والذهبيُّ في «تاريخ الإسلام» (١/ ٤٨٧)، وابن القيم في «زاد المعاد» (١/ ٨٥، ٨٧، ٩٦)، و«تحفة المودود» (ص٢١٠)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٠٩)، وغيرهم.
والحاصل: أن هذا الوصف لا يصح مرفوعًا، بل هو مما ورد في كتب بني إسرائيل، كما نص عليه ابن عباس، وهذا ما أشار إليه ابن القيم في «هداية الحيارىٰ» (٣/ ١٣٥) حيث قال: =

فوَصَف نفسه بأنه نبيّ الرحمة والتوبة، وأنه نبيّ الملحمة، وأنه الضحوك القتال، وهذا أكمل ممن بُعِث[1] بالشدة والبأس غالبًا، أو باللين غالبًا، وقد قيل بسبب ذلك: إن بني إسرائيل كانت نفوسهم قد ذلّت؛ لقهر[2] فرعون لهم واستعباد فرعون لهم، فشُرِعت لهم الشدّة لتقوىٰ أنفسهم ويزول عنهم ذلك الذلّ.

ولهذا لـمّا أُمِروا بالجهاد نكَلوا عنه وقال لهم موسىٰ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة:٢١-٢٤]

= «وأما صفته ﷺ في بعض الكتب المتقدمة بأنه «الضحوك القتال»؛ فالمراد به: أنه لا يمنعه ضحكُه وحسنُ خلقه عن القتل إذا كان حداً لله وحقاً له، ولا يمنعه ذلك عن تبسّمه في موضعه، فيعطي كلَّ حال ما يليق بتلك الحال».

وأما وصفه بنبيِّ الملحمة: فقد جاء عند ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٣٥١)، ومن طريقه أبو يعلىٰ في المسند (٧٢٤٤)، ومن طريقه ابن حبان في صحيحه (٦٣١٤)، وأحمد (١٩٥٢٥، ١٩٦٢١)، عن أبي موسىٰ قال: كان النبي ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء، فقال: «أنا محمد، وأحمد، والمقفي، والحاشر، ونبي الرحمة، ونبي الملحمة». وسنده صحيح.

وفي الباب عن جبير بن مطعم عند البخاري (٣٥٣٢، ٤٨٩٦) ومسلم (٢٣٥٤) ولفظه: «إن لي أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس علىٰ قدمي، وأنا العاقب».

(١) كذا النسخ الخطية، وفي المطبوعتين: «نعت».

(٢) (ط. النيل): «بقهر».

وأما أصحاب محمد ﷺ فقال له قائلهم يوم بدر: «والله لا نقول لك كما قال قوم موسىٰ لموسىٰ[1]: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ بل[2] نقاتل أمامك ووراءك وعن يمينك وعن يسارك. والذي بعثك بالحق لو استعرضتَ بنا هذا البحر فخُضْتَه لخضناه معك، ولو سِرتَ بنا إلىٰ بِرْك الغِماد لسِرْنا معكَ»[3].

وكان الكلام قريبًا من «بدر»، والبحر من جهة الغرب، و«بِرْك الغماد» مكان من يماني مكة، بينه وبين مكة عدّة ليال[4]، والكفار كانوا ـ إذ ذاك ـ بمكة وأصحابه من ناحية المدينة شاميّ[5] مكة، فمكةُ جنوبهم، والبحرُ غربهم.

يقول: لو طلبتَ أن ندخل بلد العدو ونذهبَ إلىٰ تلك الناحية= لفعلناه.

قالوا: فلما نصر الله بني إسرائيل وأظهرَهم= ظهرتْ فيهم الأحداثُ بعد ذلك وتجبّروا، وقستْ قلوبهم وصاروا شَبَهًا[6] بآل فرعون، فبعث الله

---

(١) «لموسىٰ» سقط من المطبوع. و(ط. النيل): «كما قالت بنو إسرائيل قال لموسىٰ».

(٢) المطبوعتان: «لكن».

(٣) أخرجه أحمد (١٢٠٤٥) والنسائي في الكبرىٰ (٧/ ٣٨٦)، وأبو يعلىٰ (٣٧٦٦، ٣٨٠٣)، وابن حبان (٤٧٢١)، من طرق عن حميد عن أنس، وجعله من كلام الأنصار، دون قوله: «لكن نقاتل أمامك ووراءك وعن يمينك وعن يسارك»، وسنده علىٰ شرط الشيخين، والجزء الأول منه أخرجه البخاري (٣٩٥٢) عن ابن مسعود، من كلام المقداد بن عمرو، لكن ليس عند المشورة، بل عند دعاء النبي ﷺ علىٰ المشركين، وقوله: «والذي بعثك بالحق.. الخ» أخرجه مسلم (١٧٧٩) عن أنس، من كلام سعد بن عبادة عند المشورة. وينظر: سيرة ابن هشام» (١/ ٦١٥).

(٤) خمس ليال إلىٰ جهة اليمن، وهو اليوم منطقة في «عسير»، علىٰ الساحل، تعرف باسم «البِرك»، علىٰ قرابة (٦٠٠كم) جنوب مكة، وقيل: بل موضع بأقصىٰ اليمن. و«بِرك» ـ بكسر الباء وفتحها ـ حجارة مثل حجارة الحرّة، خَشِنة يصعب المسلك فيها، وقيل غير ذلك. و«الغماد» بتثليث غينه، والكسر أشهر. انظر: «صفة جزيرة العرب»: (ص/ ٣٠٤)، و«مراصد الأطلاع»: (ص/ ١٨٧)، و«المعالم الجغرافية»: (ص٤٢).

(٥) (ل): «شرقي».

(٦) (ط. النيل): «شبيهًا».

المسيح عليه السلام بـاللّين والصـفْح والعفـو عـن المسـيء واحتمـال أذاه؛ لِيُلِـين أخلاقهم، وتزول[1] ما كانوا فيه من الجبرية والقسوة.

فأفرطَ هؤلاء في اللّين حتىٰ تركوا الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر والجهادَ في سبيل الله، وتركوا الحكمَ بين الناس بالعدل وإقامةَ الحدود، وتَرهَّب عبَّادُهم منفردين، مع أن في ملوك النصارىٰ من الجبريّة والقسوة والحكم بغير ما أنزل الله وسفْك الدماء بغير حق مما يأمرهم به علماؤهم وعبّادهم، ومما لم يأمروهم به ما شاركوا فيه اليهود.

فبعث الله محمدًا ﷺ بالشريعة الكاملة العادلة، وجعَل أمّته عدلًا خيارًا لا ينحرفون إلىٰ هذا الطرف ولا إلىٰ هذا الطرف، بل يشتدّون علىٰ أعداء الله ويَلِيْنون لأولياء الله، ويستعملون العفو والصفح فيما كان لنفوسهم، ويستعملون الانتصار والعقوبة فيما كان حقًّا لله.

وهذا كان خُلُق نبيّهم، كما في الصحيحين[2] عن عائشة قالت: «**ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادمًا ولا امرأة[3] ولا دابّة ولا شيئًا قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا نِيل منه شيءٌ قط فانتقم لنفسه، إلا أن تُنتهَك محارمُ الله، فإذا انتُهِكت محارمُ الله لم يَقُم لغضبه شيءٌ حتىٰ ينتقم لله**»[4].

---

(١) المطبوعتان: «ويزيل».

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٢٨)، وجملة ترك الانتقام لنفسه جاءت عند البخاري (٣٥٦٠، ٦١٢٦، ٦٧٨٦، ٦٨٥٣)، ومسلم (٢٣٢٧) من حديث عائشة رضي الله عنها أيضًا.

(٣) (ط. النيل): «خادمًا له قط، ولا امرأة له قط»، وهو لفظ أحمد في «مسنده»: (٢٤٠٣٤)، وسنده علىٰ شرط البخاري.

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٢٨)، وجملة تَرْك الانتقام لنفسه جاءت عند البخاري (٣٥٦٠، ٦١٢٦، ٦٧٨٦، ٦٨٥٣)، ومسلم (٢٣٢٧) من حديث عائشة رضي الله عنها أيضًا.

وزاد في (ط. النيل) تتمة الحديث: «وما عُرض عليه أمران أحدهما أيسر من الآخر إلا أَخذ بأيسرهما؛ إلا أن يكون مأثمًا، فإن كان مأثمًا كان أبعدَ الناس منه» وهي عند الشيخين وأحمد ـ وهذا لفظه ـ.

وفي الصحيح[1] عن أنس أنه قال: «**خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي أفٍّ قطُّ، ولا قال لشيء فعلتُه لم فعلتَه؟ ولا لشيء لم أفعله: لم لا فعلتَه؟**»[2]. وكان بعضُ أهله إذا عَتَبوني علىٰ شيء يقول: «**دعُوه، فلو قُدِّر شيءٌ؛ لكان**»[3].

هذا مع قوله في الحديث الصحيح، لما سَرقت امرأةٌ كانت من أشرف قريش من بني مخزوم فأَمر بقطع يدها، فقالوا: من يُكلِّمْ فيها رسولَ الله ﷺ؟ فقالوا: مَن يجترئُ عليه إلا أسامة بن زيد؟ فكلَّموه فكلّمه فيها، فقال: «**يا أسامة! أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟ إنما هلك[4] من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سَرق فيهم الشريفُ تركوه، وإذا سَرق فيهم الضعيفُ أقاموا عليه الحدّ! والذي نفسي[5] بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرَقَتْ لقطعتُ يدها**»[6].

ففي شريعته ﷺ من اللين والعفو والصفح ومكارم الأخلاق أعظمُ مما في الإنجيل، وفيها من الشدّة والجهاد، وإقامة الحدود علىٰ الكفار والمنافقين أعظمُ مما في التوراة، وهذا هو غاية الكمال؛ ولهذا قال بعضهم: بُعِث موسىٰ بالجلال، وبُعِث عيسىٰ بالجمال، وبُعِث محمد بالكمال[7].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩) واللفظ له. وفي (ط. النيل): «الصحيحين».

(٢) زيد بعده في (ط. النيل): «ولا لم صنعت؟، ولا ألا صنعت!»، وهي عند البخاري في «صحيحه» (٦٠٨٣).

(٣) أخرجه الخرائطي في «مكارم الأخلاق»: (ح٧١)، (ص/ ٤٣)، وتقدم تمام تخريجه.

(٤) المطبوع: «أهلك»، خلاف الأصول، وباللفظين جاءت الروايات.

(٥) المطبوعتان: «نفس محمد ﷺ»، خلاف النسخ، وكلاهما ثابت روايةً.

(٦) أخرجه البخاري (٣٤٧٥، ٣٧٣٣، ٤٣٠٤، ٦٧٨٧)، ومسلم (١٦٨٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٧) لم أقف علىٰ قائله، وهو عند المصنف في بعض كتبه: انظر مقدمة «الرسالة القبرصية» في «مجموع الفتاوىٰ»: (٢٨/ ٦٠٢).

الوجه الخامس: إن نعم الله علىٰ عباده تتضمّن نفعَهم والإحسانَ إليهم، وذلك نوعان:

أحدهما: أن يَدْفَع بذلك مضرّتهم ويُزيل حاجتهم وفاقتهم؛ مثل رِزقهم الذي لولا هو لماتوا جوعًا، ونصْرهم الذي لولا هو لأهلكهم عدوُّهم، ومثل هداهم الذي لولا هو لضلّوا ضَلالًا يضرّهم في آخرتهم.

وهذا النوع من النعمة لا بدّ لهم منه، وإن فقدوه حصل لهم ضرر، إما في الدنيا وإما في الآخرة وإما فيهما؛ ولهذا كان في سورة النحل، وهي سورة النعم، في أولها أصول النعم، وفي أثنائها كمال النعم.

والنوع الثاني: النعم التي يحصلُ بها من كمال النعم وعلوّ الدرجة ما لا يحصل بدونها.

كما أنهم في الآخرة نوعان: أبرار أصحاب يمين، ومقرَّبون سابقون. ومن خرج عن هذين كان من أصحاب الجحيم.

وإذا كانت النعمة نوعين= فالخلق كانوا محتاجين إلىٰ إرسال محمد ﷺ من هذين الوجهين، وحصل بإرساله هذان النوعان من النعمة، فإن الناس بدونه كانوا جهّالًا ضالين، أُمِّيُّهم[1]، وأهل الكتاب منهم.

ولم يكن قد بقي من أهل الكتاب ـ أتباع المسيح ـ مَن هو قائم بالدين الذي يوجب السعادة عند الله في الآخرة، بل كانوا قد بدّلوا وغيّروا.

وأيضًا، فلو قُدِّر أنهم لم يبدّلوا شيئًا ففي إرساله مِن كمال النعم وتواصلها[2] وعلوّ الدرجات في السعادة ما لم يكن حاصلًا بالكتاب الأول،

---

(١) (ل، والمطبوع): «أُمّيّين».

(٢) (ط. النيل): «وفواضلها»، ولم تحرر في (د).

فكان إرساله أعظمَ نعمة أنعم الله بها على أهل الأرض من نوعي النعيم.

ومن استبرأ[1] أحوال العالم تبيّن له أن الله لم يُنعِم على أهل الأرض نعمةً أعظمَ من إنعامه بإرساله ﷺ، وإن الذين ردوا رسالته هم ممن[2] قال الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم:٢٨].

ولهذا وَصَف بالشكر من قبِل هذه النعمة فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام:٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٤].

الوجه السادس: أن يقال: قولهم: «إنا نعجب من هؤلاء القوم...» إلى آخر الفصل= قولُ جاهلٍ ظالمٍ يستحقُّ أن يقال له: بل العجب من هذا العجب هو الواجب، بل هو الذي لا ينقضي منه العجب، وإنّ كل عاقل ليَعجب ممن عَرف دين محمد ﷺ وقَصْدُه الحقَّ، ثم اتّبع غيره، ويعلمُ أنه لا يفعل ذلك إلا مُفْرِطٌ في الجهل والضلال، أو مُفْرِطٌ في الظلم واتباع الهوى.

(١) كذا النسخ الخطية، من الاستبراء، يقال استبرأ الخبر: إذا استقصاه. واستبرأ الشيء: إذا طَلَب آخره ليعرفه ويقطع الشبهة عنه. فهو مرادف الاستقراء، وقد استُعمل بهذا المعنى في: «الفلك الدائر»: (٤/ ١٥٧)، و«صبح الأعشى»: (١٠/ ٢٩٥). وانظر: «مجمع بحار الأنوار»: (١/ ١٥٥). وفي المطبوعتين: «استقرأ»، خلاف النسخ.

(٢) المطبوع: «من»!

وذلك أن أهل الأرض نوعان: أهل الكتاب وهم اليهود والنصارىٰ، وغير أهل الكتاب كالمشركين من العرب والهند والترك، وغيرهم، كالمجوس من الفرس وغيرهم، وكالصابئة(١) من المتفلسفة، وغيرهم.

وأهل الكتاب يُسلِّمون لنا أن مَن سوىٰ أهل الكتاب انتفع بنبوة محمد ﷺ منفعة ظاهرة، وأنه دعا جميع طوائف المشركين والمجوس والصابئين إلىٰ خيرٍ مما كانوا عليه، بل كانوا أحوجَ الناس إلىٰ رسالته.

وأما أهل الكتاب: فاليهود مُسلِّمون لنا حاجة النصارىٰ إليه، وأنه دعاهم إلىٰ خيرٍ مما كانوا عليه. والنصارىٰ تُسلِّم لنا حاجة اليهود إليه، وأنه دعاهم إلىٰ خيرٍ مما كانوا عليه.

فما من طائفةٍ من طوائف أهل الأرض إلا وهم مقرّون بأن محمدًا ﷺ دعا سائر الطوائف ـ غيرهم ـ إلىٰ خيرٍ مما كانوا عليه، وهذه شهادةٌ مِن جميع أهل الأرض؛ بأنه دعا أهلَ الأرض إلىٰ خيرٍ مما كانوا عليه. فإن شهادةَ جميع الطوائف مقبولةٌ علىٰ غيرهم؛ إذ كانوا غير متَّهمين عليهم، فإنهم معادُون لمحمد وأمته، ومعادون(٢) لسائر الطوائف، وأما شهادتهم لأنفسهم= فغيرُ مقبولة؛ فإنهم خصومه، وشهادة الخصم علىٰ خصمه غير مقبولة.

وقد اعتَرف الفلاسفة بأنه لم يَقرع العالمَ ناموسٌ أفضل(٣) من ناموسه، واعترفوا بأنه أفضلُ من ناموس موسىٰ والمسيح عليهم الصلاة والسلام، بل(٤)

---

(١) سقطت واو العطف من (ل).

(٢) (ل): «معادون»، بإسقاط العاطف.

(٣) المطبوع: «بأفضل»، خلاف النسخ، وأوهم في هامشه أن خلافًا بين النسخ، وليس كذلك.

(٤) زاد في المطبوع: «كان» وليس في النسخ ولا في (ط. النيل)، وذكر في التعليق أنه سقط من (ط. النيل)!

لهم من[1] الطعن في نواميس غيرِه ما ليس هذا موضع ذكره.

بخلاف ناموس محمد ﷺ فإنه لم يطعن فيه أحدٌ منهم، إلا من كان خارجًا عن قانون الفلسفة التي تُوجب عندهم العدلَ والكلامَ بعِلم. وأما[2] من التزم منهم الكلام بعلم وعدل فهم متفقون على أن ناموس محمد ﷺ أفضلُ ناموس طَرَق العالم، فكيف يُعجَبُ[3] من مثل هذا الناموس؟ !.

الوجه السابع: أن يقال لأهل الكتاب خصوصًا، فيقال لليهود: أنتم أذلُّ الأمم، فلو قُدِّر أنّ ما أنتم عليه دينُ الله الذي لم يُبدَّل= فهو مغلوب مقهور في جميع الأرض، فهل تعجبون من أن يَبْعث الله رسولًا يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، فيبعثه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله؛ حتى يصير دين الله الذي بَعَث به رسله وأنزل به كتبَه منصورًا ظاهرًا بالحجة والبيان والسيف والسّنان![4].

ويقال للنصارى: أنتم لم تُخلِّصوا دين الله الذي بَعث به رسله من دين المشركين والمعطلين، بل أَخذتم من أصول المشركين والمعطِّلين من الفلاسفة وغيرهم ما أدخلتموه في دينكم، وليس لكم على أكثر الكفّار حجّةٌ[5] علمية ولا يدٌ قهريّة، بل للكفار في قلوبكم من الرعب والخوف والتعظيم ما أنتم به من أضعف الأمم حجّةً وأضيقها محجّة، وأبعدِها عن العلم والبيان،

---

(١) «من» سقط من (د).

(٢) (د، ط. النيل): «فأما».

(٣) (د): «تعجب»، و(ط. النيل): «يتعجب».

(٤) (ل): «والبنان».

(٥) (د، ط. النيل): «لا حجة».

وأعجزِها عن إقامة الحجة والبرهان؛ تارة تخافون من كفار الفلاسفة[1] وغيرهم من المشركين والمعطِّلين، فإما أن توافقوهم علىٰ أقوالهم، وإما أن تَخضعوا لهم متواضعين، وتارة تخافون من سيوف المشركين، فإما أن تتركوا بعضَ دينكم لأجلهم، وإما أن تذِلُّوا لهم خاضعين.

ففيكم مِن ضَعْف سلطان الحجة، وضَعْف سلطان النُّصرة ما يَظهر به حاجتُكم إلىٰ قيام الهدىٰ ودين الحق الذي بَعث الله به[2] رسله، وأنزل به كتبه، فالعجب منكم كيف تعدِلون عما فيه سعادتكم في الدنيا والآخرة إلىٰ ما فيه شقاؤكم في الدنيا والآخرة! هذا هو العجب، ليس العجب ممن آمن بما فيه سعادةُ الدنيا والآخرة وفي خلافه شقاوة الدنيا والآخرة.

ومثل هذا لا يَرِدُ علىٰ المسلمين، فإنه لم يزل ولا يزال فيه[3] طائفة قائمة بالهدىٰ ودين الحق، ظاهرةٌ بالحجة والبيان واليد والسِّنان، إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، كما ثبت في الصّحاح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمةً بأمر الله لا يضرّهم من خذلهم ولا من خالفهم حتىٰ تقوم الساعة**»[4]، وفي لفظ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة حتي يأتي الله بأمره**»[5].

---

(١) (ط. النيل): «الكفار الفلاسفة»، والمطبوع: «الكفار والفلاسفة».

(٢) «به» سقط من (د، ط. النيل).

(٣) (د، ل، ط. النيل): «فيهم».

(٤) أخرجه بنحوه البخاري (٣٦٤١، ٧٤٦٠) ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية. وفي الباب عن المغيرة بن شعبة عند البخاري (٣٦٤٠، ٧٣١١، ٧٤٥٩)، ومسلم (١٩٢١)، وأخرجه مسلم أيضًا ـ بنحوه ـ من رواية عقبة بن عامر (١٩٢٤)، وجابر بن سمرة (١٩٢٢)، وجابر بن عبد الله (١٥٦، ١٩٢٣)، وسعد بن أبي وقاص (١٩٢٥)، وثوبان، كما سيأتي.

(٥) أخرجه مسلم (١٩٢٠) من حديث ثوبان.

الوجه الثامن: أن يقال لأهل الكتاب: لليهود: أنتم لما كنتم متّبعين لموسىٰ عليه السلام= كنتم علىٰ الهدىٰ ودين الحق، وكنتم منصورين، ثم كثُرتْ فيكم الأحداثُ التي تعرفونها كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٥٩ - ٦٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ معطوف علىٰ ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ أي مَنْ لعنه الله وغضب عليه[1] وعَبَد هو الطاغوت، ليس هو داخلا في خبر «جعل» حتىٰ يلزم إشكالٌ كما ظنه بعض الناس. وأهل الكتاب معترفون بأن اليهود عبدوا الأصنام مرات، وقتلوا الأنبياء.

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٤ - ٨].

وهم معترفون بأن بيت المقدس خُرِّب مرتين[2]:

---

(١) (ل، والمطبوع): «عليهم».

(٢) ينظر: «تفسير الطبري»: (١٤/ ٤٩٩-٥٠٠)، و«البغوي»: (٥/ ٧٦)، و«البداية والنهاية»: (٢/ ٣٦١). وفي «الكتاب المقدس» عندهم: «الملوك»: الأول والثاني، و«أخبار الأيام»: الأول والثاني.

فالخراب الأول لما جاء «بُخْت نَصَّر» وسباهم إلىٰ بابل، وبقي خرابًا سبعين سنة.

والخراب الثاني بعد المسيح بنحو سبعين سنة، وقد قيل: هذا تأويل قوله: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨].

فبعد الخراب الثاني تفرّقوا في الأرض ولم يبق لهم مُلْكٌ.

وبين الخرابين كانوا تحت قهر الملوك الكفار، وبعث المسيح ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهم كذلك.

ويقال للنصارىٰ: أنتم ما زلتم مقهورين مغلوبين مبدَّدين في الأرض، حتىٰ ظهر قسطنطين وأقام دين النصرانية بالسيف، وقتَل من خالفه من المشركين واليهود. لكن أظهرَ دِيْنًا مبدَّلا مغيَّرًا ليس هو دين المسيح ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ ومع هذا فكانت أرض العراق وفارس كفارًا[1] ـ المجوس وغيرهم ـ مجوسًا ومشركين. وكانوا في بعض الأزمنة يَقهرون النصارىٰ علىٰ بلادهم، وأما أرض المشرق والمغرب ففيهما من أنواع المشركين أُمم، وكان الشرك والكفر ظاهرًا في أرض اليمن والحجاز والشام والعراق.

فلما بَعث الله محمدًا ﷺ أظهر به توحيدَ الله وعبادتَه وحده لا شريك له ظهورًا لم يُعرَف في أمة من الأمم، ولم يَحصل مثلُه لنبي من الأنبياء، وأَظهرَ به من تصديق الكتب والرسل والتوراة[2] والإنجيل والزبور، وموسىٰ وعيسىٰ

(١) ط. النيل زيادة: «من».

(٢) (ل): «التوراة» بإسقاط واو العطف.

وداود وسليمان وغيرهم من الرسل= ما لم يكن ظاهرًا لا عند أهل الكتاب ولا غيرهم، فأهل الكتاب وإن كانوا خيرًا من غيرهم= فلم يكونوا قائمين بما يجب من الإيمان بالله ورسله ولا باليوم الآخر ولا شرائع دينه، ولا كانوا قاهرين لأكثر الكفار، بل ولا كانوا[1] منصورين عليهم ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ [التوبة: ٢٩].

أما اليهود ففيهم من التنقُّص من الأنبياء[2] وسبهم[3]، وذِكر عيوبٍ نزَّههم الله عنها[4]= ما هو معروف. حتىٰ إن منهم من يقول إن سليمان كان ساحرًا، وداودَ كان منجِّمًا[5] لم يكن نبيًّا، إلىٰ أمثال ذلك مما يطول وصفه. ففيهم[6] من الكفر بالأنبياء، من جنس ما كان في سلفهم الخبيث.

وأما النصارىٰ فمع غلوهم في المسيح وأتباعه= يستخِفُّون بغيره، فتارة يجعلون الحواريّين مثلَ إبراهيم وموسىٰ أو أفضلَ منهم، وتارة يقولون ــ كما قال اليهود ــ: إن سليمان لم يكن نبيًّا بل سقط من النبوة، وتارة يجعلون ما خاطب الله به داود وغيرَه من الأنبياء إنما أريد به المسيح، مع أن اللفظ لا يدل علىٰ ذلك، بل يتأوّلون كتبَ الله بمجرَّد هوىٰ أنفسهم، وتارة يقولون: إن الواحد منهم إذا أطاع اللَه بما يزعمون أنه طاعة= صار مثل واحد من الأنبياء وأفضلَ

---

(١) «كانوا» ليس في (ل). وسقطت «بل» من المطبوع.
(٢) (د، ط. النيل): «بالأنبياء».
(٣) (ل. والمطبوع): «في سبهم».
(٤) (د، ط. النيل): «منها».
(٥) (ل): «مسبِّحًا».
(٦) (ل): «فيهم».

منه، ووجبتْ طاعتُه كما تجب طاعةُ الأنبياء[1]، ويسوِّغون لمثل هؤلاء أن يغيِّروا شرائع الأنبياء ويضعوا دينًا ابتدعوه.

ومحمد ﷺ وأمّته أقاموا توحيد الله الذي كان عليه إبراهيم وموسىٰ وسائر الرسل، وآمنوا بكل كتاب أنزله الله، وكلِّ رسول بعثَه الله، وأقاموا دين الرحمن إقامةً لم يُقمْها أحدٌ من الأمم.

فعامة أهل الأرض مع محمد ﷺ[2]: إما مؤمنٌ به باطنًا وظاهرًا، وهم أولياء الله المتقون وحزبه المفلحون وجنده الغالبون.

وإما مسلمون له في الظاهر؛ تقيَّة وخوفًا من أمّته، وهم المنافقون.

وإما مسالِمون له بالعهد والذِّمّة والهُدْنة، وهم أهل الذمة والهدنة في جميع الأرض. وإما خائفون من أمته.

وحيث كان الواحدُ والطائفة من أمته متمسّكًا بدينه= كان نوره ظاهرًا وبرهانُه قاهرًا[3] معظَّما منصورًا، يُعرَف فضلُه علىٰ كل مَن سواه.

وهذا أمرٌ يعرفه الناس في أرض الكفار من المشركين وأهل الكتاب؛ لِـما خصَّ الله به محمدًا ﷺ وأمَّتَه من الهدىٰ ودين الحق. وقد أظهروا دين الرب في مشارق الأرض ومغاربها بالقول والعمل.

فهل يقولُ مَن عنده علمٌ وعدلٌ: إنه لا فائدة في إرسال محمد ﷺ، وأنه يستغنىٰ بما عند أهل الكتاب عن رسالته؟!

---

(١) قوله: «وأفضل منه ... الخ» سقط من (ل، والمطبوع).
(٢) «مع محمد ﷺ» سقط من (د).
(٣) (ل، والمطبوع): «باهرًا»، والمثبت أولىٰ؛ لملاءمته ما بعده.

الوجه التاسع: أن يقال: هم معترفون بانتفاع المشركين به غايةَ الانتفاع، فإنه أقام توحيدَ الله ودينَه[1] فيهم، وأنه عظَّم المسيح، وردّ علىٰ اليهود قولهم فيه وأهانهم، وحينئذٍ فهذا من أعظم الفوائد وأجلّ المقاصد وأعظم نعم الله علىٰ عباده، ثم هو ـ مع ذلك ـ قال: إن الله أرسله وأمره بذلك.

فإن كان كاذبًا= فالكذّاب المفتري علىٰ الله من شرِّ الكفار الملاعين[2]، ومَن يكون كذلك لا يحصل منه هذا الخيرُ العظيم، الذي ما حصل مثله من أحد من الأنبياء، فإنه أزال دين المشركين، ودين المجوس، وقَمَع اليهود، وكلُّ واحدة من هذه الثلاث لم يَقدِر عليها أحدٌ قبله من الأنبياء والمرسلين.

وإن كان صادقًا؛ فهو قد أخبر أنه رسول الله إلىٰ النصارىٰ وغيرهم من الأمم، وأَخبر عن الله بكُفْر كلِّ من لم يؤمن به.

وهذا الوجه مما يُخاطَب به كلُّ صنف، فيقال لكل صنف من الأمم: أنتم معترفون بأن مَن سواكم إذا اتّبعوا دين محمد ﷺ كان خيرًا لهم مما هم عليه؛ فاليهود معترفة بأن النصارىٰ إذا اتَّبعوه كان خيرًا لهم من دين النصارىٰ، والنصارىٰ معترفون بأن اليهود إذا اتّبعوه كان خيرًا لهم من دين اليهود، وأهل الكتاب اليهود والنصارىٰ معترفون بأن مَن سواهم إذا اتّبعوا محمدًا كان خيرا لهم مما هم عليه.

فالمجوس والمشركون من العرب، والسودان والترك وأصناف الخَزَر[3]

---

(١) «ودينه» ليس في (د).

(٢) «الملاعين» سقط من المطبوعتين.

(٣) جماعة من آسيا الوسطىٰ قدموا إلىٰ بلاد القوقاز في منتصف القرن السادس الميلادي تقريبًا، كانت لهم دولة في القرن السابع، شملت سبع دول في روسيا وأذربيجان وجورجيا وأرمينيا وتركيا وكازاخستان، امتدت إلىٰ القرن العاشر الميلادي. «تاريخ يهود الخزر»: (ص/ ١٩) وما بعدها.

والصقالبة[1]، إذا اتّبعوه كان خيرًا لهم مما هم عليه، وسائر أصناف الكفار معترفون بأن أتباعه خيرٌ من غيرهم. ومَن ليس مِن أهل الكتاب ـ عامَّتهم ـ معترفون بأن دين المسلمين خيرٌ من دين اليهود والنصارىٰ.

وحينئذٍ فيقال: من جاء بهذا الدين الذي يُفضِّله جميعُ أهل الأرض علىٰ غيره يَمتنع أن يكون من أكفر الناس وأحقّهم بغضب الله وعقابه.

وكل من قال: إنه رسول الله؛ فإن كان صادقًا كان من خير أهل الأرض وأحقِّهم برضوان الله[2] وثوابه، وإن كان كاذبًا كان من شرِّ أهل الأرض وأحقِّهم بغضب الله وعقابه. ومَن حصل منه هذا الخيرُ والعلم والهدىٰ وما فيه صلاح الدنيا والآخرة أعظمُ مما حصل من جميع الخلق= يَمتنِع أن يكون من أكفر الناس المستحقّين لغضب الله وعقابه، فوجب أن يكون من خير أهل الأرض[3] وأحقِّهم برضوان الله وثوابه.

الوجه العاشر: إن الله ـ ﷻ ـ كانت سنَّتُه قبل إنزال التوراة، إذا كُذِّب نبيٌّ من الأنبياء يَنتقِم له[4] من أعدائه بعذابٍ من عنده، كما أهلك قومَ نوح بالغرق، وقومَ هود بالريح الصرصر، وقومَ صالح بالصيحة، وقومَ شعيب بالظُّلّة، وقومَ لوط بالحاصب، وقومَ فرعون بالغرق. قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى

(١) شعوب تسكن بين جبال الأورال والبحر الأدرياني في أوربا الشرقية والوسطىٰ. وأصلهم جماعة من الأسرىٰ الذين كانت تأتي بهم الجيوش الألمانية من حملاتها من جميع البلاد الأوربية ثم يبيعونهم في الأندلس، وقد انتهىٰ بهم الأمر أن أسلموا وكان لهم دور بارز في سياسة الدول الإسلامية في الأندلس. «الموسوعة الإسلامية العامة»: (ص/ ٨٧١).

(٢) (د): «برضوانه».

(٣) زيد بعده في المطبوعتين: «بل هو خير أهل الأرض»، وليس في النسخ الخطية.

(٤) (ل): «الله»، و(ط. النيل): «أن ينتقم له».

﴿ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٣].

فلما أنزل التوراة، أمرَ أهل الكتاب بالجهاد، فمنهم من نَكَل ومنهم من أطاع.

وصار المقصودُ بالرسالة لا يحصل إلا بالعلم والقدرة كما قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].

فقول هؤلاء: إن التوراة جاءت بالعدل، والإنجيلَ بالفضل فلا حاجة إلىٰ غيرهما= لو قُدِّر أنه حق؛ إنما يستقيم إذا كان الكتابان لم يبدَّلا، بل كانا متَّبَعَيْن علمًا وعملًا، وكان أهلُهما[1] مع ذلك منصورين مؤيَّدين علىٰ من خالفهم، فكيف وكلٌّ منهما قد بُدِّل كثير مما فيه، وأهلُهما غير منصورين علىٰ سائر الكفار، بل الكفار ظاهرون عليهم في أكثر الأرض؛ كأرض اليمن والحجاز وسائر جزيرة العرب وأرض العراق وخراسان والمغرب[2] وأرض الهند والسِّند والتُّرك، وكان بأيدي أهل الكتاب الشام ومصر وغير ذلك، ومع هذا فكانت الفرس قد غلبتْهم علىٰ ذلك، ثم إن الله أظهر النصارىٰ عليهم، فكان[3] ظهورُهم تَوطِئةً وتمهيدًا لإظهار دين الإسلام.

فإن الفرس المجوس لـمَّا غلبوا الروم ساء ذلك النبيَّ ﷺ والمؤمنين به، وفرِح بذلك مشركو العرب وكانوا أكثرَ من المؤمنين[4]؛ لأن أهل الكتاب

---

(١) (د): «أهلها».

(٢) (ل): «الغرب».

(٣) (ل): «وكان».

(٤) أخرجه أحمد (٤٩٥، ٢٧٧٠) والترمذي (٣١٩٣) من طريق حبيب بن أبي عمرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال الترمذي: حديث حسن غريب. وصحح إسناده أحمد شاكر في تعليقه علىٰ المسند. وفي الباب عن أبي سعيد الخدري، ونِيارِ بن مُكْرَم رضي الله عنهما.

أقربُ إلىٰ المؤمنين من المجوس، والمجوس أقرب إلىٰ المشركين منهم إلىٰ أهل الكتاب، ووعَد الله المؤمنين أن تَغلِب الروم بعد ذلك، وأنه يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

فأضاف النصرة إلىٰ اسم الله[1]، ولم يقل (بنصر الله إياهم)؛ وذلك أنه حين ظهرت الروم علىٰ فارس= كان النبي ﷺ وأصحابُه قد ظهروا علىٰ المشركين واليهود.

وأرسل النبي ﷺ إذ ذاك يدعو ملوك النصارىٰ بالشام ومصر إلىٰ الإيمان به، فعرفوه وعرفوا أنه النبيُّ المبشَّر به، وكان ذلك أولَ ظهور دينه، ثم أرسل طائفة من أصحابه إلىٰ مؤتة[2]، ثم خرج بنفسه بالمسلمين[3] عام تبوك إلىٰ الشام، ثم فتح هذه البلاد أصحابُه[4]، فكان تأييدُ دين الله وظهوره وإذلال المشركين والمجوس وغيرهم[5] علىٰ يديه ويدَيْ أمته، لا علىٰ يد اليهود[6] والنصارىٰ.

فلو قُدِّر أن شرع أولئك كاملٌ لا تبديل فيه= لكان مغلوبًا مقهورًا، وكان الله قد أرسل من يؤيِّد دينَه ويُظهِره، فكيف وهو مبدّل؟

---

(١) (ط. النيل) زيادة: «الذي هو الفاعل».

(٢) (ل، والمطبوع): «غيرهم»، وكذا كان في (د) ثم صوب في موضعه إلىٰ المثبت. وكانت هذه الغزوة في جمادىٰ الأولىٰ سنة ثمان من الهجرة. انظر: «سيرة ابن هشام»: (٢/ ٣٧٣).

(٣) (ل، والمطبوع) زيادة: «معهم»، و(ط. النيل): «خرج بالمسلمين معه». وكانت هذه الغزوة عام تسع من الهجرة. انظر: «سيرة ابن هشام»: (٢/ ٥١٥).

(٤) في خلافة عمر بن الخطاب ﵁. انظر: «السيرة النبوية وأخبار الخلفاء»: (٢/ ٤٦٥) لابن حبان، و«تاريخ الطبري»: (٣/ ٣٩٤) وما بعدها.

(٥) زيد بعده في المطبوعتين: «من الكفار»، ولا حاجة له!

(٦) (ل) زيادة: «من الكفار»!

ولو لم يبدَّل= فدينُ أحمدَ أكملُ وأفضلُ منه، فذاك مفضول مبدَّل، وهذا فاضل لم يبدَّل، وذاك[1] مغلوب مقهور، وهذا مؤيَّد منصور. وببعض هذا تحصل الفائدة في إرساله.

فكان من أجلِّ الفوائد= إرسالُ محمد ﷺ، فكيف يقال: إنه لا فائدة في إرساله.

الوجه الحادي عشر: قولهم: «لما كان الباري عدلًا جوادًا أَوجب أن يُظهِر عدلَه وجودَه».

فيقال لهم: جُود الجواد غير إلزام الناس بترك حقوقهم، فإن الجواد هو الذي يُحسِن إلىٰ الناس ليس هو الذي يُلزِم الناس بترك حقوقهم.

وهؤلاء يزعمون أن شريعة الإنجيل أَلزمت الناس بترك حقوقهم، وأنه لا يُنصَف مظلومٌ من ظالمه، ولهذا ليس عندهم حكمٌ عدْل يحكمون به بين الناس، **بل الحكم عندهم حكمان: حكم الكنيسة**، وليس فيهم[2] إنصافُ المظلوم من الظالم.

والثاني: حكمُ الملوك، وليس هو شرعًا منزَّلًا، بل هو بحسب آراء الملوك.

ولهذا تجدهم يردُّون الناس إلىٰ حكمِ شرْع الإسلام في الدماء والأموال ونحو ذلك، حتىٰ في بعض بلادهم يكون المَلِك والعسكر كلُّهم نصارىٰ، وفيهم طائفة قليلة مسلمون لهم حاكم، فيردُّون الناس في الدماء والأموال إلىٰ

(١) المطبوع: «وذلك»، خلاف عامة الأصول.
(٢) كذا الأصول الخطية، ولعله علىٰ تقدير: ليس في المنتسبين إليها. وفي المطبوعتين: «فيه» أي الحكم.

حكمِ شرعِ المسلمين، وذلك أن الدماء والأموال وإن كان يُستحبّ للمظلوم أن يعفو فيها عن ظالمه، فالحاكم الذي يَحكم بين الناس، متىٰ حكم علىٰ المظلوم بترك حقه= كان حاكمًا بالظلم لا بالعدل.

ولو أَمرنا كل وليٍّ مقتول أن لا يقتصَّ من القاتل، وكلَّ صاحب دَيْن أن لا يطالِب غريمَه، بل يدَعَه علىٰ اختياره، وكلَّ مشتوم ومضروب أن لا يَنتصِف من ظالمه= لم يكن للظالمين زاجرٌ يزجرهم، وظَلَم الأقوياءُ الضعفاءَ[1]، وفسدت الأرض. قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

فلا بدَّ من شرع يتضمَّن الحكم بالعدل، ولا بدّ ـ مع ذلك ـ مِن ندْب الناس إلىٰ العفو والأخذ بالفضل.

وهذه شريعة الإسلام كما تقدم ما ذكرناه[2] من الآيات، مثل قوله: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ [المائدة: ٤٥][3].

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

وقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ: ٤٠].

وقوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

---

(١) (د، ط. النيل): «للضعفاء».

(٢) (ل، والمطبوع): «ذكرنا».

(٣) زيد بعده في المطبوعتين: «وقوله» وليس في الأصول الخطية.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤][(١)].

وقوله: ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ [النساء: ٩٢].

وقوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

وقال أنس: «**ما رُفِع للنبي ﷺ أمرٌ[(٢)] فيه القصاص، إلا أَمر فيه بالعفو**»[(٣)]، فكان يأمر بالعفو، ولا يُلزِم الناس به؛ ولهذا لما عَتَقَتْ بريرةُ، جاريةُ عائشة زوج النبي ﷺ[(٤)]، وكان لها أن تفسخ النكاح، وطلب زوجُها أن لا تفارقه= شفع[(٥)] إليها أن لا تفارقه، فقالت: أتأمرني؟ قال: «**لا إنما أنا شافعٌ**»[(٦)]. فلم يوجِب عليها قبولَ شفاعته ﷺ.

الوجه الثاني عشر: قولهم: «ولما كان الكَمال[(٧)] الذي هو الفضل لا يُمكن أن يضعه إلا أكمل الكُمَّال»[(٨)].

---

(١) (ط. النيل) زيادة: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۝٤١ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٤١ - ٤٢] وليس في النسخ.

(٢) (د، ط. النيل) زيادة: «شيء»، وقد جاءت الرواية باللفظتين منفردتين لا مجتمعتين في سياق واحد.

(٣) أخرجه أحمد (١٣٢٢٠، ١٣٦٤٥)، وابن ماجه (٢٦٩٢)، وأبو داود (٤٤٩٧)، والنسائي (٤٧٨٣، ٤٧٨٤) من طرق عن عبد الله بن بكر المزني عن عطاء بن أبي ميمونة عن أنس بن مالك، وسنده قوي؛ رجاله رجال الشيخين، غير عبد الله، وهو صدوق لا بأس به.

(٤) «جارية عائشة زوج النبي ﷺ» سقط من (ل، والمطبوع).

(٥) (د، ط. النيل): «فشفع».

(٦) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٥٢٨٣). وزوجها المذكور اسمه مغيث رضي الله عنه.

(٧) (ل) زيادة: «هو».

(٨) «الكمال» سقط من (ل).

فيقال لهم: العدل والفضل لا يَشرعه إلا الله، فشريعة التوراة لم يَشرعها إلا الله، وشريعة الإنجيل لم يَشرعها إلا الله ـ ﷻ ـ.

يبيّن ذلك: أن الله كلّم موسىٰ من الشجرة تكليمًا، وهم غايةُ ما قرّروا به إلهية المسيح؛ أنْ زعموا أنّ الله كلّم الناس من ناسوت المسيح، كما كلّم موسىٰ من الشجرة، ومعلومٌ عند كل عاقل، لو كان هذا حقًّا، أنّ تكليمه لموسىٰ من الشجرة أعظمُ تكليمٍ كلمه الله لعباده، فكيف يقال: إن شريعة العدل لم يشرعها الله ﷻ؟

ثم يقال لهم: بل شريعة العدل أحقُّ بأن تضاف إلىٰ الله مِن شريعة الفضل، فإن الأمر بالإحسان والعفو يُحسنه كل أحد، وأما معرفة[1] العدل والحكم بين الناس به، فلا يقدِر عليه إلا آحاد الناس؛ ولهذا يوجد الذي يُصلح[2] بين الناس بالإحسان، خلقٌ كثيرٌ، وأما الذي يُحسِن أن يَفصل بينهم بالعدل فناس قليل، فكيف يقال: إن الذي يأمر بشرع الفضل هو الله، دون الذي يأمر بشرع العدل؟

والله ـ تعالىٰ ـ أرسل الرسل، وأنزل الكتب؛ ليقوم الناس بالقسط كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

وأمْر المسيح ـ عليه السلام ـ للمظلوم بالعفو عن الظالم= ليس فيه ما يدلُّ علىٰ أنه من الواجب الذي مَن تركه استحقّ الذم والعقاب، بل هو من المرغّب فيه،

---

(١) (ط. النيل): «شريعة».

(٢) (د) «الذين يصلح»، و(ط. النيل): «من الذين يصلحون».

الذي مَن فعَله استحق المدح والثواب.

وموسىٰ عليه السلام أَوْجب العدل الذي مَن تركه استحقّ الذم والعقاب. وحينئذ فلا منافاة بين إيجاب العدل، وبين استحباب الفضل.

لكن إيجاب العدل يَقترن به الترهيب والتخويف في تركه. واستحبابُ الفضل يقترن به الترغيب والتشويق إلىٰ فعله، فذاك فيه رهبةٌ مع ما فيه من الرغبة. وهذا فيه رغبة بلا رهبة.

ولهذا قال المسيح ـ عليه السلام ـ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧ - ١١٨].

ولهذا قيل: إن المسيح ـ عليه السلام ـ بُعِث لتكميل التوراة، فإن النوافل تكون بعد الفرائض كما في صحيح البخاري[(١)] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يقول الله تعالىٰ: من عادىٰ لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرَّب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضتُ عليه، ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتىٰ أُحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يُبصر به، ويدَه التي يبطش بها، ورجلَه التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يُبصر وبي يبطش وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينّه ولئن استعاذني[(٢)] لأعيذنّه، وما ترددتُ عن شيء أنا فاعله تَرَدُّدي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بدّ له منه**».

(١) (٦٥٠٢).

(٢) كذا في النسخ الخطية موافقًا نصَّ رواية البخاري، وفي المطبوعتين: «استعاذ بي»!

وإلا فلو قيل: إن المسيح ـ عليه السلام ـ أَوجب على المظلوم العفو عن الظالم؛ بمعنى أنه مستحق للوعيد والذم والعقاب[1] إن لم يَعْفُ عنه= لزم من هذا أن يكون كلُّ من انتصف من الظالم= ظالـمًا مستحقًّا للذم والعقاب، وهذا ظُلمٌ ثان للمظلوم الذي انتصف؛ فإن الظالم ظَلَمه أولًا، فلما انتصف منه ظُلِم ظُلمًا ثانيًا، فهو ظلمٌ لعادلٍ[2] انتصف من ظالمه.

وما أحسنَ كلامَ الله حيث يقول: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٣٦ - ٤٣].

وقال: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠].

فهذا من أحسن الكلام وأعدله وأفضله حيث شَرَع[3] العدل فقال: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]. ثم ندب إلى الفضل، فقال: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠].

---

(١) (ل، والمطبوع): «يستحق الوعيد». و(ط. النيل): «وللذم وللعقاب».
(٢) (ل): «للعادل»، والمطبوع: «العادل»، تصحيف.
(٣) (د، ط. النيل): «يشرع».

ولما ندب إلىٰ العفو، ذكر أنه لا لوم علىٰ المنتصف، لئلا يُظَنّ أن العفو فرضٌ فقال: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ [الشورىٰ: ٤١].

ثم بين أن السبيل إنما يكون علىٰ الظالمين فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورىٰ: ٤٢].

ثم لما[١] رفع عنهم السبيل ندَبهم مع ذلك إلىٰ الصبر والعفو فقال: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورىٰ: ٤٣].

فهذا أحسنُ شرعٍ وأجمله[٢]، يُرغِّب في الصبر والغفر[٣] والعفو والإصلاح بغاية الترغيب، ويَذكر ما فيه من الفضائل والمحاسن وحميد العاقبة، ويَدفع[٤] عن المنتصف ممن ظلمه الملامَ والعَذْل، ويُبيّن أنه لا حرج عليه ولا سبيل إذا انتَصر بعدما ظُلِم.

فهل يمكن أن تأتي شريعةٌ بأنْ تجعل علىٰ المنتصف سبيلًا مع عدله وهي لا تجعل علىٰ الظالم سبيلًا مع ظلمه؟

فعُلم أن ما أَمر به المسيح من العفو لم يكن لأنّ تاركَه مستحقٌّ للذم والعقاب، بل لأنه محرومٌ مما يحصل للعافي المحسن من الأجر والثواب،

---

(١) «لما» سقط من (د).

(٢) (ل، والمطبوع): «وأحكمه»، والمثبت من (د)، وهو الأولىٰ؛ لاقترانه بالحسن، كما في حديث: «أحسن الجهاد وأجمله حج مبرور»، واستعمله المؤلف ـ في سياقٍ مشابهٍ ـ انظر: «جواب الاعتراضات المصرية»: (ص/ ٧)، و«شرح الأصبهانية»: (ص/ ٦١٦).

(٣) «والغفر» ليس في (ط. النيل)، وهي مطموسة في (د)، وضرب بعدها علىٰ «العفو»، فيحتمل أن يكون تكرر في موضع الطمس وبعده، فضرب علىٰ أحدهما، ويكون حينئذ ما في مطبوعة النيل موافقًا لما في (د).

(٤) كذا النسخ الخطية، وفي المطبوعتين: «ويرفع» خلاف النسخ، وهما متقاربان.

وهـذا حـقٌّ لا ينـاقِض شـرعَ التـوراة، فعُلـم أن شـرع الإنجيـل لـم ينـاقِض شـرع التـوراة؛ إذ كـان فرعًـا عليهـا ومكمِّـلًا لهـا، وحينئـذ فـزَعْمُهم أن شـرع الإنجيـل شرَعه الله دون شرْع التوراة= كلامُ مَن هو مِن أجهل الناس وأضلِّهم، ولهذا كان هذا[1] فرعًا علىٰ قولهم بالاتحاد، وأن المسيح هو الله. فذاك الضلال[2] أوجب هذا القول المحال.

(١) «هذا» سقط من المطبوع.

(٢) (ل، والمطبوع) زيادة: «مما».

فصل

وجميع ما احتجُّوا به من التوراة والإنجيل وغيرهما من كلام الأنبياء عليهم السلام إنما تكون الحجة فيه علميّةً برهانيّةً= إذا أقاموا الدليل علىٰ نبوّة من احتجُّوا بكلامه، بأنْ بيّنوا إمكان النبوّة، ثم تبيّنوا[1] وقوعَها في الشخص المعيّن بالطرق التي يُستدَلّ بها علىٰ نبوّة النبي. وهم لم يفعلوا شيئًا من ذلك، بل احتجّوا بذلك بناء[2] علىٰ أنها مقدِّمة مسلَّمة يسلِّمها المسلمون لهم.

وهذا لا ينفعهم لوجوه:

أحدها: أن فيمن ذكروه من لم يَثبُت عند المسلمين أنه نبيٌّ، كميخا وعاموص.

الثاني: أنّ من ثبت عند المسلمين نبوّتُه كموسىٰ وعيسىٰ وداود وسليمان= لم يَثبت عندهم أنهم قالوا جميعَ ما ذكروه من الكلام، وأن ترجمته بالعربية هو ما ذكروه، وأن مرادهم به ما فسّروه.

الثالث: أن جمهور المسلمين لا يعلمون نبوّة أحد من الأنبياء قبل محمد إلا بإخبار محمد ﷺ بنبوتهم، فلا يُمكنهم التصديق بنبوّة أحد من هؤلاء إلا بعد التصديق بنبوّة محمد ﷺ.

فإذا طَلب هؤلاء من المسلمين أن يُسلِّموا نبوَّة هؤلاء، دون نبوة محمد=

---

(١) (تبيَّنت الشيءَ) أي توسَّمتُه وتفرَّستُه، والمراد هنا الاستيثاق من وقوع ذلك. وفي (ل، والمطبوع): «بيّنوا». والمثبت أولىٰ. وينظر: «لسان العرب»: (١٢/ ٦٤٣).

(٢) «بناء» ساقط من (د، ط. النيل).

لـم يُمكـن المسـلمين[1] أن يسـلِّموا ذلـك لهـم، ولا يسـوغ[2] ذلـك للمسـلمين لا عقلًا ولا نقلًا، وحينئذ؛ إذا[3] لم يُقيموا الأدلة علىٰ نبـوّة أولئك؛ لـم يكونـوا قد ذكروا لا حجّة برهانيّة ولا حجّة جدليّة.

الرابع: أن المسلمين لم يصدِّقوا بنبوة موسىٰ وعيسىٰ، إلا مع إخبارهما بنبوة محمد، فإن سلّموا أنهما أَخبرا بنبـوّة محمـد= ثبتتْ نبوتـه ونبوتهمـا، وإن جحدوا ذلك= جحد المسلمون نبوّة من يدّعون أنه موسىٰ وعيسىٰ اللـذين لـم يُخبِرا بمحمد ﷺ.

الخامس: أن المسلمين وكلَّ عاقل، يمتنع[4] ـ بعد النظر التام ـ أن يُقِرّ بنبوّة موسىٰ وعيسىٰ دون محمد ﷺ؛ إذ كانت[5] نبوّته أكمل، وطرق معرفتها أتمَّ وأكثرَ، وما من دليل يُستدلّ به علىٰ نبوّة غيره إلا وهو علىٰ نبوته أدلّ، فإنّ جحْد نبوته يستلزم جحْد نبوّةِ غيره بطريق الأولىٰ. ولكن من قال ذلك هو متناقِض كما يتناقض سائر أهل الباطل؛ ولهذا قال ـ تعالىٰ ـ في الكفار: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات: ٨ - ٩].

---

(١) (د، ط. النيل): «المسلمون»، علىٰ كونه فاعلًا، وكلاهما محتمل.
(٢) (ل، والمطبوع): «يشرع».
(٣) (د): «فإذا».
(٤) (د، ط. النيل): «يمنع».
(٥) (ل): «كان».

فصل

قد ذكرنا في جواب أوّل كتابهم بيانَ امتناعِ احتجاجهم بشيء من كلام محمد ﷺ أو غيره من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ على ما يخالف دين المسلمين من دينهم.

ونحن نبسط هذا هنا فنقول: لا ريب أن الباطل لا يقوم عليه دليل صحيح لا شرعي ولا عقلي[1]؛ سواءٌ كان من الخبريّات أو الطلبيّات.

فإن الدليل الصحيح يَستلزم صحة المدلول عليه، فلو قام على الباطل دليلٌ صحيح لزم أن يكون حقًا مع كونه باطلًا، وذلك جمعٌ بين النقيضين؛ مثل كون الشيء موجودًا معدومًا.

وأهل الكتاب معهم حق في الخبريات والطلبيات، ومعهم باطل، وهو ما بدّلوه في الخبريات، سواءٌ كان المبدَّل هو اللفظ أو معناه وما ابتدعوه، أو ما نُسِخ من العمليات.

والمنسوخ الذي تنوّعت فيه الشرائع قليلٌ بالنسبة إلى ما اتّفقت عليه الكتب والرسل. فإن الذي اتّفقت عليه هو الذي لا بدّ للخلق منه في كل زمان ومكان، وهو الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩].

وعامّة السور المكية، كالأنعام، والأعراف، وآل حم، وآل طس،

---

(١) المطبوعتان: «لا عقلي ولا شرعي».

وآل الر[1]= هي من الأصول الكليّة التي اتفقت عليها شرائع المرسلين، كالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والصدق والعدل والإخلاص، وتحريم الظلم والفواحش والشرك، والقول على الله بلا علم.

وعامّة ما عندهم من النقول الصحيحة عن الأنبياء من التوراة والإنجيل والزبور ونبوات الأنبياء= توافق المنقول عن محمد ﷺ، شهد هذا لهذا وهذا لهذا، وذلك من دلائل نبوة أولئك الأنبياء ومن دلائل نبوة محمد ﷺ.

ولهذا يَذكر الله ذلك؛ بيانًا لإنعامه بمحمد[2]، ودلالة لنبوّته، كقوله ـ تعالىٰ[3]ـ: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٢ - ٤٤].

وقال تعالىٰ لما قص قصة نوح: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]

فذكر آلاءه ونعمتَه[4] وآيته، بكونه لم يكن يعلمُها هو، ولا قومه ـ أيضًا ـ كانوا يعلمونها؛ لئلا يُظنّ أنه تعلَّم ذلك من قومه، فإن قومه لم يكونوا يعلمون ذلك.

---

(١) (ل): «والم حم، والم طس، والر».
(٢) (ط. النيل): «علىٰ محمد»، وهو أظهر، لولا مخالفة النسخ.
(٣) (ط. النيل) زيادة: «لما ذكر قصة مريم».
(٤) (ل، والمطبوع): «الإله نعمته»، متقاربان.

وقد عُلِم بالنقل المتواتر[1] أن محمدا ﷺ وُلد بمكة، وبها نشأ بعد أن كان مسترضعًا في بادية سعد بن بكر ـ قريبًا من الطائف شرقيَّ مكة ـ وهو صغير، ثم حَمَلتْه مرضعته حليمةُ السعديّة إلىٰ أمه بمكة، لا يعلم شيئًا من ذلك، ولا هناك من يَتعلّم منه شيءٌ من ذلك. وأهلُ مكة يعلمون حاله وأنه لم يتعلّم ذلك من أحد، ثم أخبرهم بالغيب الذي لا يعلمه أحدٌ إلا بتعليم الله له.

فكان هذا من أعلام رسالته، ودلائل نبوته، عليهم أولًا، وعلىٰ غيرهم آخرًا. فإنهم كانوا مشاهدين له يعلمون أنه لم يتعلّم ذلك من أحد. وغيرُهم يعلم ذلك بالأخبار المتواترة، ويعلم أن قومه المكذّبين له مع حرصهم علىٰ الطعن فيه، ومع علمهم بحاله= لو كان قد تعلم من أهل الكتاب لقالوا: هذا قد تعلمه منهم. قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦].

والمقصود: أنه نفىٰ علمَ قومه بما أخبره فيه، بيانا لآلاء الله[2] التي هي آياته ونعمه، فإن ذلك يدل علىٰ أنه لم يتعلّم ذلك من قومه، وفيه إنعامُ الله علىٰ الخلق بذلك.

وقال تعالىٰ -لما ذكر قصة يوسف-: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢].

---

(١) ينظر: دلائل النبوة؛ لأبي نعيم (١/ ١٥٥)، وأعلام النبوة؛ للماوردي (ص٢٠٩-٢١١)، وسيرة ابن هشام (١/ ١٥٨، ١٦٧)، والروض الأنف (٢/ ١٤٣-١٥٠).

(٢) (ل): «بيان لا إله إلا الله»، تصحيف.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٣ - ٤٦].

فنفىٰ ـ سبحانه ـ شهودَه[1] لهذه الأمور الغائبة وحضورَه لها؛ تنبيها للناس علىٰ أنه أَخبر بالغيب الذي لم يَشهده ولم يَعرفه من جهة إخبار الناس، فإن قومه لم يكونوا يعلمون ذلك، ولا عاشَرَ غيرَ قومه. وكلُّ مَن عَرف حالَه يعلم أنه لم يتعلّم شيئًا من ذلك، لا من أهل الكتاب ولا ممن نَقل عن أهل الكتاب.

فإذا كان محمد ﷺ أخبر بمثل ما أخبرت به الأنبياء قبله، في باب أسماء الله وصفاته، وتوحيده وملائكته وأوليائه وأعدائه، مع العلم بأن في هذه الأمور من التفاصيل الكثيرة ما يَمتنع اتفاقُ اثنين عليه إلا عن مواطأةٍ بينهما، ومحمد وموسىٰ ـ صلوات الله عليهما وسلامه ـ لم يتواطآ، بل لم يواطئ محمد ﷺ أحدًا من الرسل قبله ولا واطأوه.

والخبر الكذب إما أن يتعمّد صاحبُه الكذب فيه[2]، وإما أن يغلَط.

فالكاذبان المتعمّدان للكذب لا يتفقان في القصص الطويلة والتفاصيل العظيمة.

---

(١) (ل، والمطبوع): «شهادته».

(٢) «فيه» سقط من (ل، والمطبوع).

وكذلك الغالطان لا يتّفق غلطُهما في مثل ذلك، بل الاثنان من آحاد الناس إذا أخبر كلٌّ منهما عن حال بلدة رآها[1]، وأخبر الآخر بمثل خبره من غير مواطأة= عُرِف صدقُهما، فكيف بالأمور الغائبة التي لا يُمكن العلم بها إلا من جهة الله تعالىٰ؟! فهذا من دلائل نبوة الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ.

وأما القَدر الذي يخالِف ما جاء به محمد ﷺ مما ينقلونه عن الأنبياء= فهو نوعان:

أحدهما: ما وقع فيه النسخ من الشرائع[2]، وهذا لا يمنعُه؛ لكن المنسوخ مثلَ هذا بالنسبة إلىٰ ما لم ينسخ من الكتاب= نظيرُ المنسوخ من القرآن والأحاديث النبوية، فإنه قليل جدًا بالنسبة إلىٰ ما لم ينسخ، وكذلك عامة ما أمر به موسىٰ وداود والمسيح وغيرهم من الأنبياء، إذا اعتُبِر بما أَمر به محمدٌ ﷺ= وُجد عامةُ ذلك متّفقًا لم يُنسَخ منه إلا القليل.

والثاني: الخبريات؛ وهذه قد ادّعىٰ بعضُ أهل الكتاب أن محمدًا خالف بعضَ ما أَخبرت به الأنبياء قبله، وهذا باطل؛ فإن أخبار الأنبياء لا يجوز أن تتناقض؛ إذ هم ـ كلهم ـ صادقون مصدَّقون. ومَن علِم أن محمدًا رسولُ الله، وأن موسىٰ رسولُ الله، وأن المسيح رسولُ الله= علِم أن أخبارهم لا تتناقض، لكن قد يخبِر هذا بما لم يخبِرْ[3] هذا؛ فيكون في إخبار أحدهم زياداتٌ علىٰ إخبار غيره، لا ما يناقِض خبرَ غيره.

(١) «رآها» سقط من (ل، والمطبوع).
(٢) (ل): «الشريعة».
(٣) زيد بعده في المطبوع: «به»، وليس في الأصول، ولا في (ط. النيل).

وما يذكره أهل الكتاب مما يناقض خبر محمد ﷺ فهو ـ عامّته ـ مما حرّفوا معناه وتأويله، وقليلٌ منه حُرِّف لفظُه، وأهل الكتاب ـ اليهود والنصارىٰ ـ مع المسلمين= متفقون علىٰ أن الكتب المتقدّمة وقع التحريف[1] ـ إما عمدًا وإما خطأً ـ في ترجمتها وفي تفسيرها وشرحها وتأويلها، وإنما تنازع الناس: هل وقع التحريفُ في بعض ألفاظها؟

فكل[2] ما يدَّعي فيه[3] مدَّعٍ أن محمدًا ﷺ ناقضَه= فلا بدّ له من أن يُثبِت مقدمتين:

إحداهما: ثبوتُ ذلك اللفظ عن ذلك النبي. **والثاني:** ثبوتُ معناه.

وكلُّ من احتجّ بنقلٍ عن نبي، فلا بدّ له من هاتين المقدمتين: الإسناد والمتن، فلا بدّ له من ثبوتً اللفظ، ولابدّ له من ثبوت معنىٰ اللفظ.

وإذا كان النقل ليس بلغة النبيّ، بل بلغة أخرىٰ= فلا بدّ من الترجمة الصحيحة، وعامةُ النصارىٰ ليس عندهم كتبُ الأنبياء بلغة الأنبياء.

فإن موسىٰ والمسيح ومَن بينهما من أنبياء بني إسرائيل إنما كانوا يتكلّمون باللغة العبرانية. والمسيح كان عبرانيًّا، لم يتكلم بغير العبرانية، وإنما تكلّم بغيرها كالسُّرْيانيّة واليونانية والرومية بعضُ من اتبعه.

وجمهورُ النصارىٰ لا يُعرَفون بالعبرانية، فلا يُحسنون أن يقرأوا بالعبرانية لا توراةً ولا إنجيلا ولا غير ذلك، وإنما يتكلمون بذلك باللغة[4] الرومية

(١) زِيد بعده في المطبوعتين: «بها»، وليس في الأصول الخطية!

(٢) (ل، والمطبوع): «وكل».

(٣) «فيه» ليس في (د).

(٤) «باللغة» سقط من (ل، والمطبوع).

أو السُّرْيانيّة أو غيرهما، وإن كان فيهم قليلٌ ممن يتكلّم بالعبرانية، بخلاف اليهود، فإن العبرانية فاشيةٌ فيهم، وحينئذ فمن احتج من أهل الكتاب بشيء من كلام الأنبياء المنقول[1] بالرومية والسّريانية أو بالعربية[2]= فإنه يحتاج مع إثبات النقل إلىٰ إثبات الترجمة وصحّتها؛ فإنهم كثيرًا ما يضطربون في الترجمة[3]، ويختلفون في معناها.

فهذه مقدّمات ثلاثٌ لا بدّ لهم منها في كل ما يحتجون من كلام الأنبياء، ولو لم يدّعوا أنه معارِضٌ لِما أخبرَ به محمدٌ ﷺ، فكيف إذا ادَّعوا به تناقضَه[4] لما جاء به محمد ﷺ[5]؟!

فإن قدِّر أنه ثبت أن نبيًّا[6] أخبر بشيء= امتنع قطعا أن يُخبِر محمد ﷺ بنقيضه؛ فإن فيما نُقل عن محمد ﷺ ـ أيضًا ـ ما ليس بثابتٍ لفظُه؛ مثلَ بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وفيما ثبت لفظُه ما ليس معناه صريحًا في المناقضة، بل لا يدلّ علىٰ ذلك.

فكم ممن يفسّر القرآن بما لا يدل عليه لفظُ القرآن، بل[7] ولا قاله أحد من الصحابة[8] ولا التابعين.

---

(١) (د، ط. النيل) «المنقولة».
(٢) (د، ط. النيل): «بالعبرانية».
(٣) (ل، والمطبوع) زيادة: «وصحتها».
(٤) (ط. النيل): «ادَّعوا مناقضته»، وهو أظهر؛ لكن خلاف النسخ.
(٥) «فكيف إذا ادعوا به تناقضه لما جاء به محمد ﷺ» ليس في (د).
(٦) (ل): «عن نبي».
(٧) «بل» ليس في (د).
(٨) (ل، والمطبوع) زيادة «بل».

كمن يقول: إن شعيبًا النبيّ كان حَمْو(١) موسىٰ. وليس في القرآن والسنة وكلام الصحابة إلا ما يدل علىٰ نقيض ذلك(٢).

وكمن يقول: إن الرسل الذين أُرسلوا إلىٰ القرية كانوا من أتباع المسيح. وليس في القرآن والمنقول عن الصحابة إلا ما يدل علىٰ نقيض ذلك(٣).

وأما ما عُلم أن محمدًا ﷺ أخبر به فقد قامت الأدلة القاطعة اليقينية علىٰ صدقه وصِدق ما أَخبر به، أعظمَ مما قامت علىٰ صِدق غيره وصِدق ما جاء به، فمهما عارض ذلك عُلم أنه كذبٌ علىٰ الأنبياء، ولا يمكن أحدًا من الخلق أن يَذكر دليلًا قطعيّا علىٰ صحة ذلك النقل، بل غايتهم أن يذكروا طريقًا ظنيًّا لا يفيدهم إلا الظن، والظنُّ لا يعارِض اليقين.

فما جاء به محمد ﷺ يُمكن صاحبَ النظر والاستدلال أن يعلمَه عِلمًا يقينيًّا لا يُرْتاب فيه.

---

(١) (ل): «هو كان». (ط. النيل): «كان هو».
و«حمو» كذا، لغة، أو علىٰ جَعْل (كان) زائدة، وهو باب لطيف له شواهد. انظر: «المقاصد الشافية»: (٢/ ١٩٦)، و«الأشموني»: (١/ ٥٢، ٢٤١). والأشهر: «حما»، كما في (ط. النيل).

(٢) لم يُنقَل القول بذلك عن أحد من الصحابة، وإنما هو قول الحسن، وهو معارَض بقول ابن عباس وغيره، ومخالِف ـ أيضًا ـ لما جاء في كتب الأنبياء، ومما يبعده: أن شعيبًا عربي وموسىٰ عبراني، وظاهر القرآن أنه لم يكن بينهما ترجمان. وكذلك قوله تعالىٰ ـ علىٰ لسان شعيب ـ: ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ [هود:٨٩]، وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل، وبين موسىٰ والخليل مدة طويلة. ثم لوكان شعيبًا لأوشك أن ينصّ علىٰ اسمه. وأما ما جاء في السنة من التصريح باسمه فلا يصح. **والحاصل**: أن هذا لا يُدرك علمُه إلا بخبر عن معصوم، ولا خبر. وللمصنف رسالة مختصرة في هذه المسألة ـ وتالية الذِّكر ـ مطبوعة ضمن: «جامع الرسائل»: (١/ ٦١ـ٦٦). وانظر: «تفسير الطبري»: (١٩/ ٥٦٢)، و«تفسير ابن كثير»: (٦/ ٢٢٨ـ٢٢٩).

(٣) انظر الرسالة المشار إليها آنفًا في: «جامع الرسائل»: (١/ ٦١ـ٦٦).

وما يناقضُه لا سبيل لأحدٍ إلىٰ العلم به، ولا يُتصوَّر أن يقوم بقلبه[1] منه إلا الظنّ أو التقليد[2]، وكلاهما لا يناقِض العلم، فهذا أصلٌ جامع. ثم العارف يعبِّر عنه مع كل إنسان بحسب ما يوصِل معناه إلىٰ ذلك المخاطب.

والمقصود هنا أن يقال: كل ما يحتجّون به علىٰ مخالفة ما ثبت عن محمد ﷺ لا يمكن أن يقوم لهم عليه دليلٌ لا شرعي ولا عقلي، وهذا نعلمُه مُجملا.

ونحن نبين ذلك مفصَّلا فنقول: ما يحتجون به إما أن يكون حجة عقلية وإما أن يكون سمعية.

أما العقليات: فمعلوم أن الحجج العقلية الدالة علىٰ فساد ما يقوله النصارىٰ، أظهرُ مما يحتجّون به علىٰ صحة دينهم. **ومن احتج منهم أو من اليهود بحجة عقلية علىٰ مخالفة شيء من دينه فلها أجوبة:**

أحدها: أن يبيَّن أن ذلك يلزم غيره من الأنبياء، فإنهم جاءوا بذلك أو بأعظم منه، فلا يقدح أحدٌ بحجة عقليّة في محمد ﷺ إلا كان ذلك قدحًا[3] بطريق الأولىٰ في غيره من الأنبياء، كما بينّا في الرد علىٰ الرافضة، أنه لا يقدح أحدٌ في الخلفاء الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان، إلا أمكن أن يُقدح بمثل ذلك وبأعظمَ منه في علي، فيَمتنِع أن يكون عليٌّ سليمًا من القوادح في إمامته إلا والثلاثة أسلمُ منه مما يقدح في إمامتهم.

ويمتنع أن يكون موسىٰ وعيسىٰ وداود برآء مما يَقدح في نبوتهم إلا ومحمد أبرأُ مما يقدح في نبوته.

---

(١) (ل): «عليه». والضمير لصاحب النظر والاستدلال.

(٢) المطبوعتان: «والتقليد».

(٣) كذا في (ل، ط. النيل)، ولم تحرر في (د)، وفي المطبوع: «قد جاء»، تصحيف.

وهذا كما لو[1] احتجّ محتجٌّ بما في القرآن من آيات[2] الصفات، فيقال له: في التوراة وغيرها من كتب الأنبياء مثلُ ذلك وأعظمُ[3]، وإذا احتجَّ بإنزال المتشابهات فيقال له: في الكتب المتقدمة من المتشابهات[4] أعظم مما في القرآن. وهل ضلّت النصارىٰ إلا باتّباع المتشابه من كلام الأنبياء وترك المحكم؟

والثاني: أن يبيَّن أن مثل[5] تلك الحجة لا تَصلح أن يعارَض بها ما جاءت به الأنبياء. كما إذا أَخذ بعض الناس يطعن في شيء من الشرائع بالرأي، بُيِّن له أن ما ثبت عن الأنبياء لا يعارَض برأي ولا قياس.

الثالث: أن يبيَّن فسادُ تلك الحجة العقلية.

إن كانت من باب الخبريات: بُيِّن فسادُها كما قد بسطنا القول في ذلك في كتاب «درء تعارض العقل والشرع»[6]، وذكرنا أن جميع ما يُحتجّ به علىٰ خلاف نصوص الأنبياء من العقليات، فإنه باطل. وذكرنا ما يَعتمد عليه النفاةُ في[7] هذا الباب.

وإن كانت من باب الطلبيات فهي من باب الأمر والنهي. فمَن كان مِن[8] مذهبه أنه لا يعلِّل أحكام الله ولا يقول: إن حسن الأفعال وقبحها يُعلَم بالعقل،

---

(١) (د، ط. النيل): «إذا».

(٢) (ل، المطبوع): «إثبات».

(٣) «وأعظم» ليس في (د).

(٤) (ل، المطبوع): «التشابه».

(٥) «مثل» سقط من (ل، والمطبوع).

(٦) (١/ ١٧٧) وما بعدها.

(٧) (ل، المطبوع): «من».

(٨) (ل، المطبوع): «في».

ولا ينزِّه الله عن فعل ولا عن حكم، بل يُجوِّز عليه كلَّ شيء، وإنما ينفي ذلك بالخبر السمعي أو العادة= فهذا يجاب بهذا الجواب، لكن عامة القلوب والعقول لا تَقبل هذا.

وأما علىٰ قول الجمهور: فيبيَّن[1] ما في مأموراته من الحكم والمصالح، وما في منهيّاته من المفاسد والضرر، ويُبيَّن رجحانُ ما جاء به علىٰ ما يعارَض به، بل ويُبيَّن رجحانُ شرائع الأنبياء علىٰ سياسات سائر الأمم، بل ويُبيَّن رجحانُ شريعة محمد ﷺ علىٰ سائر[2] الشرائع، وهذا مبسوط في مواضع[3].

وأما إذا احتج أهل الكتاب في[4] مناقضة محمد ﷺ بحجة سمعية سواءٌ كانت من كلامه، أو كلام غيره من الأنبياء عليهم السلام= **كان الجواب من وجوه:**

أحدها: أن يقال لهم: لا يمكنكم أن تصدّقوا بنبوة نبيٍّ من الأنبياء مع التكذيب بمحمد ﷺ، فإنكم لا يمكنكم أن تحتجّوا بكلام أحدٍ من الأنبياء، حتىٰ تثبت نبوتُه[5]. والطريق التي[6] بها ثبتتْ نبوة الأنبياء[7]= تَثبتُ نبوة محمد ﷺ بمثلها وبأعظم منها. بل نحن نبيّن أن التصديق بنبوّته أولىٰ من التصديق بنبوّة غيره، لأن[8] كل ما يُستدلّ به علىٰ نبوة نبي= فمحمد ﷺ أحقُّ بجنس ذلك الدليل من غيره، وما يعارَض به نبوة نبي، فالجواب عن محمد ﷺ

---

(١) (ل، المطبوع): «فنبين»، وكذا المواضع بعده.

(٢) (د، ط. النيل): «وسائر».

(٣) ينظر ما تقدم: (٢/ ١٢٧ ـ ١٣١)، (٣/ ٤٤٢ ـ ٤٨٣)، وما سيأتي: (٤/ ٢٢٧ ـ ٢٥٨)، وكذا «الرد علىٰ المنطقيين» (ص/ ٤٢٠)، و«شرح الأصفهانية» (ص/ ٢١٦)، و«درء التعارض» (٧/ ٤٥٧).

(٤) (ل، المطبوع): «علىٰ».

(٥) قوله: «فإنكم لا يمكنكم أن تحتجوا ... الخ» سقط من (ل، والمطبوع).

(٦) (ل، والمطبوع): «الذي».

(٧) «ثبتت نبوة الأنبياء» سقط من المطبوع.

(٨) (ل، والمطبوع): «وأن».

أولىٰ من الجواب عن غيره. فهو مقدّم فيما يدل علىٰ النبوة، وفيما يجاب[1] به عن المعارضة، وهو[2] أكمل في ذلك.

فيمتنع مع العلم والعدل أن يصدَّق بنبوة غيره مع التكذيب[3] بنبوّته، كما يمتنِع مع العلم والعدل في كل اثنين أحدُهما أكملُ من الآخر في فنٍّ[4] أن يُقَرّ بمعرفة ذلك الفن للمفضول دون الفاضل.

وقولنا: مع العلم والعدل؛ لأن الظالم[5] يُفضِّل المفضول مع علمه بأنه مفضول، والجاهلَ قد يَعرف المفضول، ولا يَعرف الفاضل.

فإن كثيرًا من الناس يعلمون فضيلةَ متبوعهم: إما في العلم [أو][6] العبادة، ولا يعرفون أخبارَ غيره، حتىٰ يوجد أقوام يعظّمون بعض الأتباع دون متبوعه[7] الذي هو أفضل منه عند السامع[8]، وغيرُه لا يعرفونه.

فهؤلاء ليس عندهم علم؛ ولهذا تجد كثيرًا من هؤلاء يرجّح المفضول؛ لعدم علمه[9] بأخبار الفاضل، وهذا موجود في جميع الأصناف، حتىٰ في المدائن، يُفضِّل الإنسان مدينة يعرفها علىٰ مدينةٍ هي أكمل منها؛ لكونه لا يعرفها.

---

(١) (د): «جاءت».
(٢) (ل، والمطبوع): «وهذه».
(٣) (ل): «الكذب».
(٤) «فن» سقط من (ل).
(٥) (ط. النيل): «العالم»، وكذا (د) بعد التعديل. والصواب ما أثبت.
(٦) النسخ الخطية بالواو «والعبادة».
(٧) (ل): «ومتبوعه».
(٨) كذا في الأصول، وهو متَّجه، وفي المطبوعتين: «التابع».
(٩) (د، ط. النيل): «العلم».

والحكم بين الشيئين بالتماثل أو التفاضل، يستدعي معرفةَ كلٍّ منهما ومعرفةَ ما اتّصف به من الصفات التي يقع بها التماثل والتفاضل، كمن يريد أن يعرف أن البخاري أعلمُ من مسلم، وكتابَه أصح، أو أن سيبويه أعلمُ من الأخفش، ونحوَ ذلك.

وقد فضّل الله بعض النبيين علىٰ بعض، كما قال - تعالىٰ -: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥].

وقال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

والكلام في شيئين: أحدهما: في كون المفضول يستحقّ تلك المنزلةَ دون الفاضل، وهذا غايةُ الجهل والظلم. كقول الرافضة الذين يقولون: إن عليًّا كان إماما عالما عادلا، والثلاثة لم يكونوا كذلك.

وكذلك اليهود والنصارىٰ الذين يقولون: إن موسىٰ كان رسولًا، ومحمد ﷺ لم يكن كذلك، فإن هذا في غاية الجهل والظلم. بخلاف من اعترف باستحقاق الاثنين للمنزلة، ولكن فضَّل المفضول، فهذا أقلُّ جهلًا وظلما.

ومعلوم أن المرسلين يتفاضلون، تارة في الكتب المنزّلة عليهم وتارة في الآيات والمعجزات الدالة علىٰ صدقهم، وتارة في الشرائع وما جاءوا به من العلم والعمل وتارة في أممهم.

فمَن عنده علم وعدل؛ فينظرُ في القرآن وفي غيره من الكتب كالتوراة والإنجيل، أو في معجزات محمد ﷺ ومعجزات غيره، أو في شريعته وشريعة غيره، أو في أمته وأمة غيره= وجد له من التفضيل علىٰ غيره ما لا يخفىٰ إلا علىٰ مُفْرِطٍ في الجهل أو الظلم. فكيف يمكن مع هذا أن يقال: هو كاذب مفتر، وغيُره

هو النبي الصادق؟!

نعم، كثيرٌ من أهل الكتاب لم يعرفوا من أخباره ما يُبَيِّن لهم ذلك، كما أن كثيرًا من الرافضة لم يعرفوا من أخبار الثلاثة ما يُبيِّن لهم فضيلتهم على علي رضي الله عنه، فهؤلاء في الجهل، وطلبُ العلم عليهم فرض، خصوصا أمر النبوة.

فإن النظر في أمر من قال: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الأعراف: ١٥٨] مقدَّم على كل شيء؛ إذ كان التصديق بهذا مستلزمًا لغاية السعادة، والتكذيب به مقتضيًا لغاية الشقاوة، فبالرسول يحصل الفرقُ بين السعداء والأشقياء، وبين الحق والباطل والهدى والضلال، والفرقُ بين أولياء الله وأعدائه.

وكما يُسلَكُ هذه الطريقُ العقليّة في القياس والاعتبار، بأن يُعتبَر حال محمد ﷺ وكتابُه وشرعُه وأُمَّتُه بحال غيره وكتابه وشرعه وأمته[1]، ويُنظرَ هل هما متماثلان أو متفاضلان وأيّهما أفضل، وإذا تبيّن أن حاله أفضلُ كان تصديقُه أولى، وامتنَع أن يكون غيرُه صادقًا وهو كاذب. بل لو كانا متماثلين وجب كونه صادقًا، بل وكذلك لو كانا متقاربين وغيرُه أفضل، فإن النبي[2] الكذّاب لا يقارِب الصادق، بل بينهما من التباين ما لا يخفى إلا على أعمى الناس= فكذلك يُسلَك[3] هذه الطريقُ في جنس الأنبياء -عليهم السلام- مطلقًا

(١) «وأمته» سقط من (ل، المطبوع).

(٢) كذا في النسخ، وفي المطبوعتين «المتنبي»، ولعله استحسان من غير اعتماد على أصل؛ استبشاعًا للفظ، أو لعدم وقوع ذلك من الأنبياء أصلًا.

(٣) (د، ط. النيل): «فكذلك يُسلك هذا الطريق».

وأممهم، بأن تُعرف أخبارُ من مضىٰ من الأنبياء وأممهم، وتُرىٰ آثارُ هؤلاء وهؤلاء كما قال تعالىٰ: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].

وقال -تعالىٰ-: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۗ (١) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف:١٠٩ - ١١١].

وقال تعالىٰ لما ذكر آل فرعون: ﴿ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ [القصص: ٤٢].

وكذلك قال تعالىٰ - عن عاد: ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ [هود: ٦٠].

وقال - تعالىٰ - عن قوم شعيب: ﴿ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ [هود: ٩٥].

---

(١) من صدر الآية إلىٰ هنا ساقطٌ من (د).

وإذا ذكر الأنبياء ـ عليهم السلام ـ قال تعالىٰ: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٧٨) سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٨ - ٧٩] ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات: ١٠٩] ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ [الصافات: ١٢٠] ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات: ١٣٠]

وقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠]

ومِثل هذا في القرآن كثيرٌ، فيَذكر مِن حال الأنبياء وأتباعهم، وما حصل لهم من الكرامة، وما حصل للكفار بهم من الخزي والعذاب= ما بَيَّن حسن[1] حال هؤلاء وقُبْحَ حال هؤلاء.

ومما يوضِّح ذلك: أنَّ من اعتبر حال[2] أهل الملل، من المسلمين واليهود، والنصارىٰ، وحالَ غيرهم في العلوم النافعة والأعمال الصالحة= تبيّن له أن حال أهل الملل أكملُ بما لا يحصىٰ.

وإذا نظر ما عند غير أهل الملل من الحكمة العلمية والعملية، كحكمة[3] الهند واليونان والعرب في[4] الجاهلية والفرس وغيرهم= وجد ما عندهم بعضَ ما عند أهل الملل من الحكمة العلمية والعملية، فيمتنع أن يكون علماء اليونان والهند ونحوهم علىٰ حق وهدىٰ، وعلماء المسلمين واليهود والنصارىٰ علىٰ باطل وضلال. وكذلك يمتنع أن تكون تلك[5] الأمة لها علم نافع وعمل صالح وأهل الملل ليسوا كذلك!

(١) (د، ط. النيل): «وحُسن»، و(ما بين) ساقط منهما.
(٢) «حال» سقط من (ل).
(٣) (ل): «فحكمة».
(٤) (ل، والمطبوع): «من».
(٥) «تلك» سقط من المطبوع.

ففي الجملة: لا يوجد في غير أهل الملل من علم نافع وعمل صالح: من حكمة علمية وعملية، إلا وذلك في أهل الملل أكمل، ولا يوجد في أهل الملل شرٌّ إلا وهو في غيرهم أكثر.

وهؤلاء فلاسفة اليونان، الذين قد شُهِروا عند كثير من الناس باسم الحكمة، **وحكمتُهم كحكمة سائر الأمم، نوعان: [نظرية]**[1] **وعملية**:

والعملية في الأخلاق وسياسة المنزل وسياسة المدائن، وكلُّ مَن تأمل ما عند اليهود والنصارىٰ بعد النسخ والتبديل من سياسة الأخلاق والمنزل والمدائن= وجده خيرًا مما عند أولئك بأضعاف مضاعفة.

فإن أولئك عمدة أمرهم: الكلام علىٰ قوىٰ النفس الشهويّة والغضبيّة، وقوة العلم والعدل، كأمورٍ[2] من جنس آداب العقلاء، ليس عندهم من معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله، ومن عبادته وحده لا شريك له شيء له قدْرٌ، والذي عندهم من العلوم الطبيعية والحسابية ليس مما يَنفع بعد الموت إلا أن يستعان به علىٰ ما ينفع بعد الموت. والذي عندهم من العلم الإلهيّ قليل جدًّا مع ما فيه من الخطأ الكثير.

وكلُّ ما عندهم من علم نافع وعمل صالح، فهو جزءٌ مما جاءت به الأنبياء عليهم السلام فيمتنع أن يكون هؤلاء المسمَّون بالحكماء وأتباعهم علىٰ حق في الاعتقاد، وصدقٍ في الأقوال وخيرٍ في الأعمال كما هو غاية مطلوبهم، والأنبياءُ وأتباعهم ليسوا كذلك.

---

(١) عامة النسخ الخطية «فطرية»، وكذا المطبوع، والصواب ما أثبت، وهو ما في (ط. النيل).

(٢) (ل): «مأمور».

واعتبِرْ ذلك بمَن تعرفُ مِن خاصة هؤلاء وعامّتهم، وخاصّة هؤلاء وعامّتهم، وإن كان بينهما من التفاوت كما[1] بين أهل الجنة وأهل النار= فالاعتبار في مثل ذلك مما جاء به التنزيل. قال تعالىٰ: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩].

والمقصود أنه بالاعتبار والقياس العقلي والموازنة= يوزن الشيءُ بما[2] يناظره، ويُعتبَر به قياسُ الطرد وقياسُ العكس. فيَظهر لكل من تدبّر ذلك: أن أهل الملل أولىٰ بالحق والصدق والخير من غيرهم، وإن كان لأولئك من الحكمة ما يناسب أحوالهم، وحكماؤهم أفضلُ من عوامهم، وهم[3] خيرٌ من الكفار بالرسل الذين ليس فيهم خير أصلا[4]، وهذا مما استفادوه أتباعُ الأنبياء[5] منهم، فيكون هذا من دلائل نبوتهم وأعلام رسالتهم؛ استدلالًا بالأثر علىٰ المؤثِّر وبالمعلول علىٰ علّته.

وكذلك مَن تدبّر حال المسلمين، وحال اليهود والنصارىٰ= تبيّن له رجحانُ حال المسلمين، فيكون هذا من دلائل نبوة محمد ﷺ وأعلام رسالته.

وقد ذكرنا في غير هذا الموضع[6] أن النبوّة تعلم بطرق كثيرة، وذكرنا طرقًا متعددة في معرفة النبي الصادق والمتنبي[7] الكذّاب، غير طريق المعجزات.

---

(١) (ل، المطبوع): «ما».

(٢) (ل): «مما».

(٣) (د): «وهو».

(٤) (ط. النيل): «الذين ليس لهم من الحكمة ما لهم».

(٥) كذا في عامة النسخ الخطية والمطبوعة، ولعلها: «من أتباع الأنبياء» بزيادة (من).

(٦) «النبوات»: (١/ ٢١٣)، و«الأصبهانية»: (ص/ ١٣٧).

(٧) (ل): «والنبي».

فإن الناس كلما قويتْ حاجتهم إلىٰ معرفة الشيء يسّر الله أسبابه كما يُيَسّر[1] ما كانت حاجتُهم إليه في أبدانهم أشدّ، فلما كانت حاجتُهم إلىٰ النفَس والهواء أعظمَ منها إلىٰ الماء= كان مبذولًا لكل أحد في كل وقت، ولما كانت حاجتُهم إلىٰ الماء أكثرَ من حاجتهم إلىٰ القوت، كان وجودُ الماء أكثر.

وكذلك لما[2] كانت حاجتهم إلىٰ معرفة الخالق أعظمَ، كانت آياته ودلائل ربوبيته وقدرته وعلمه ومشيئته وحكمته= أعظمَ من غيرها، ولما كانت حاجتهم إلىٰ معرفة صدق الرسل بعد ذلك أعظمَ من حاجتهم إلىٰ غير ذلك= أقام الله[3] سبحانه من دلائل صدقهم وشواهد نبوتهم وحسن حال من اتّبعهم وسعادته ونجاته، وبيانِ ما يحصل له من العلم النافع والعمل الصالح، وقبحِ حال من خالفهم وشقاوته وجهله وظلمه= ما يَظهر لمن تدبّر ذلك. ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وهذا الذي ذكرناه من اعتبار الشيء بنظرائه وموافقيه وأشباهه، واعتباره بأضداده ومخالفيه، حتىٰ يُعرف في المتشابِهين أيُّهم[4] أكمل وأفضل، وفي المختلِفين أيُّهم أولىٰ بالحق والهدىٰ والعدل= موجودٌ في سائر الأمور، عِلْمها وعملها، كعلم الطب والحساب والنحو[5] والفقه وغير ذلك.

(١) (ل، والمطبوع): «يتيسر».
(٢) (د، ط. النيل): «لذلك فلما».
(٣) لفظ «الله» ليس في (ل).
(٤) (ل): «أنهم»، وكذا الموضع بعده.
(٥) «والنحو» سقط من (ل، والمطبوع).

فيمتنع ـ مع العلم والعدل ـ أن يقال: جالِينوس[1] كان طبيبًا، وأَبُقْراط[2] لم يكن طبيبًا، أو أن يقال: تامِيطُمْيُوس[3] كان فيلسوفًا، وأرسطو لم يكن فيلسوفًا[4].

أو أن يقال: الأخفش كان نحويًّا وسيبويه لم يكن نحويًّا. أو أن يقال[5]: زفر[6] والحسن بن زياد[7] ومحمد بن الحسن[8] كانوا فقهاء، وأبو حنيفة لم يكن فقيهًا، أو أن أشهب[9] وابن القاسم[10]، وابن وهب[11] كانوا فقهاء،

---

(١) تقدم التعريف به.

(٢) أبقراط بن أيراقليدس بن أبقراط، طبيب يوناني، من أشرف أهل بيته وأعلاهم نسبًا، وأحذق الأطباء علمًا، وأرفعهم شأنا، عاش (٩٥) سنة. ينظر: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»: (ص/ ٢٦)، و«صُوّان الحكمة»: (ص/ ٢٠٧).

(٣) كذا، ولعله: «طيماوس» (Timaeus)، فيلسوف إغريقي من القرن الخامس قبل الميلاد، اشتهر بمحاورته مع أفلاطون. ينظر: «الموسوعة الكونية»: (١٥/ ٧٦)

(٤) «أو أن يقال: تاميطميوس كان فيلسوفا، وأرسطو لم يكن فيلسوفا» سقط من (د، ط. النيل).

(٥) «يقال» ليس في (د، ط. النيل).

(٦) زفر بن الهذيل بن قيس العنبري، أبو الهذيل الأصبهاني: فقيه كبير، من أصحاب الإمام أبي حنيفة، وولي قضاء البصرة. (ت١٥٨هـ). ينظر: «أخبار أبي حنيفة وأصحابه»: (ص/ ١٠٩).

(٧) الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي، أبو علي: فقيه، من أصحاب أبي حنيفة، ولي قضاء الكوفة مدّة، متكلّم في حديثه. (ت٢٠٤هـ). ينظر: «لسان الميزان»: (٢/ ٢٠٨).

(٨) (د، ط. النيل): «ويونس بن خالد السمتي» أو السمني، بدل محمد بن الحسن. وهو: محمد بن الحسن بن فرقد، من موالي بني شيبان، أبو عبد الله: إمام في الفقه والأصول، وهو الذي نشر علم أبي حنيفة، وصاحب كتب ظاهر الرواية. (ت١٨٩هـ). ينظر: «مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه» للذهبي: (ص/ ٧٩).

(٩) أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسي العامري الجعديّ، أبو عمرو، فقيه مصر. (ت٢٠٤هـ). ينظر: «ترتيب المدارك وتقريب المسالك»: (٣/ ٢٦٢).

(١٠) عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقيّ المصري، أبو عبد الله، ثقة فقيه زاهد، صاحب «المدونة». (ت١٩١هـ). ترجمته في: «الديباج المذهّب»: (١/ ٤٦٥).

(١١) عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري بالولاء، المصري، أبو محمد: فقيه محدث عابد. (ت١٩٧هـ). ينظر: «الثقات» لابن حبان: (٨/ ٣٤٦).

ومالك لم يكن فقيهًا[1]، أو أن المزني[2] والبُويْطي[3] وحرملة[4] كانوا فقهاء، والشافعي لم يكن فقيهًا، أو أن[5] أبا داود[6] وإبراهيم الحربي[7] وأبا بكر الأثرم[8] كانوا فقهاء، وأحمد بن حنبل لم يكن فقيهًا. أو أن عليًّا كان إمام عدل، وأبا بكر وعمر لم يكونا[9] إمامَيْ عدل، أو أن نور الدين الشهيد[10] كان عادلًا، وعمر بن عبد العزيز لم يكن عادلًا، أو أن كُوشْيار[11] كان يعلم الهيئة،

(١) أخر في (ل) جملة: «أو أن أشهب ...» على جملة: «أو أن المزني والبويطي...» الخ.

(٢) إسماعيل بن يحيىٰ بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني المصري: صاحب الإمام الشافعيّ، زاهدٌ مجتهدٌ قوي الحجة، وهو إمام الشافعيين. (ت٢٦٤هـ). ينظر: «طبقات الفقهاء» للشيرازي: (١/ ٩٧).

(٣) يوسف بن يحيىٰ القرشي، أبو يعقوب البويطي المصري: صاحب الإمام الشافعيّ، وواسطة عقد جماعته، خَلَفه في الدرس والإفتاء. (ت٢٣١هـ). ينظر: «طبقات الشافعية الكبرىٰ»: (٢/ ١٦٢).

(٤) (د، ط. النيل): «والربيع» مكان حرملة. وهو حرملة بن يحيىٰ التجيبي، مولاهم، المصري، أبو عبد الله: فقيه، من أصحاب الشافعيّ. (ت٢٤٣هـ). ينظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة: (١/ ٦١).

(٥) (ل، والمطبوع): «وأن».

(٦) سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، أبو داود: إمام أهل الحديث في زمانه، وصاحب السنن. (ت٢٧٥هـ). ينظر: «تقريب التهذيب»: (ص/ ٢٥٠).

(٧) إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله البغدادي الحربي، أبو إسحاق: محدث فقيه زاهد، تفقّه علىٰ الإمام أحمد، وصنف كتبًا كثيرة (ت٢٨٥هـ). ينظر: «طبقات الحنابلة»: (١/ ٨٦).

(٨) أحمد بن محمد بن هانئ الطائي، أو الكلبي، الإسكافي، أبو بكر الأثرم: من حفاظ الحديث، أخذ عن الإمام أحمد وغيره. (ت٢٦١هـ). ينظر: «طبقات الفقهاء»: (ص/ ١٧٠).

(٩) (ل، المطبوع): «يكونوا».

(١٠) محمود بن زنكي (عماد الدين) ابن آقسنقر، أبو القاسم، نور الدين، الملقب بالملك العادل: ملك الشام وديار الجزيرة ومصر. أعدل ملوك زمانه وأجلّهم وأفضلهم. ولد في حلب، وكان فقيهًا محدِّثًا، معتنيًا بمصالح رعيته، حصَّن القلاع، وأول من بنىٰ دارًا للحديث. (ت٥٦٩هـ). ينظر: «تاريخ دمشق»: (٥٧/ ١١٨)، «سير أعلام النبلاء»: (٢٠/ ٥٣١).

(١١) كوشيار بن لبان ـ بالموحدة أو المثناة ـ الجيلي، أبو الحسن، مهندس الأصول في أحكام النجوم، صنّف «الزيج الجامع» و«الاصطرلاب» وغيرها. مات سنة (٣٥٠ هـ). ينظر: «تاريخ حكماء الإسلام» (ص/ ٤٣) و«الأعلام»: (٥/ ٢٣٦).

وبَطْلَيْمُوس[1] لم يكن يعرف الهيئة، أو أن أبا علي بن الهيثم[2] كان يعرف علم الهندسة، وأقليدس[3] لم يكن يعرف ذلك[4]، أو أن النابغة الجَعْدي[5] كان شاعرًا، والنابغة الذّبياني[6] لم يكن شاعرًا.

أو أن يقال: إن القمر مستنيرٌ، والشمسَ ليستْ مستنيرةً، أو أن عُطارد نجمٌ ثاقب[7]، وزُحَل[8] ليس بنجم ثاقب.

أو أن مسلمًا كان عالـمًا بالحديث، والبخاري لم يكن كذلك. أو أن كتابه أصحُّ من كتاب البخاري. ونحوَ ذلك مما يطول تَعداده.

---

(١) بَطْلَيْمُوس (Ptolemy): هو القلوذي، صاحب كتاب «المجسطي» وغيره، إمام في الرياضة والفلك والنجوم وإليه انتهىٰ علمها. إغريقي يوناني، عاش في الإسكندرية ما بين (٩٠م – ١٦٨م). ينظر: «صوان الحكمة»: (ص/ ٢١٦ ـ ٢١٧)، و«الموسوعة الكونية»: (١٥/ ١٢٠).

(٢) محمد بن الحسن بن الهيثم، أبو علي المهندس، ولد بالبصرة سنة:(٩٦٥م)، وتوفي بالقاهرة سنة: (١٠٣٩م)، من أكبر علماء الفيزياء في العصور الوسطىٰ، ألّف كتبا عديدة في الرياضيات والفلك والطب الفلسفة والفيزياء، فُقِد أغلبها. ينظر: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»: (ص/ ٥٥٠)، والموسوعة الكونية»: (٧/ ٥٤٥).

(٣) اقليدس: (Euclid) عالم رياضيات إغريقي، وأول من أفردها علمًا، ودرّسها في الإسكندرية، وبها أسس المدرسة الشهيرة. وبنىٰ نظرية هندسية بقيت تعرف باسمه، (ت: ٢٨٥ق. م) تقريبًا. ينظر: «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» للقفطي: (ص/ ٥٤)، «الموسوعة الكونية»: (٦/ ١٢٢).

(٤) «أو أن أبا علي بن الهيثم ... الخ» سقط من (ل، والمطبوع).

(٥) قيس بن عبد الله بن عُدَس الجعديّ العامري، مختلف في اسمه، أبو ليلىٰ: شاعر مفلق، صحابي، من المعمّرين. هجر الأوثان ونهىٰ عن الخمر قبل الإسلام، ثم وفد علىٰ النبي ﷺ وأسلم، سمي (النابغة)؛ لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله. (ت٥٠هـ) تقريبًا. ينظر: «المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء»: (ص/ ٢٥٢)، «والجليس الصالح الكافي»: (ص/ ٦٧٤).

(٦) زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانيّ الغطفانيّ المضري، أبو أمامة: شاعر جاهلي حجازي، من الطبقة الأولىٰ، وله قبّة بسوق (عكاظ) يقصده فيها الشعراء فيعرضون عليه أشعارهم. (ت ١٨ ق.هـ) تقريبًا. ينظر: «طبقات فحول الشعراء»: (١/ ٥١)، «الشعر والشعراء»: (١/ ١٦٢).

(٧) (د، ط. النيل): «ثقب ضوءه».

(٨) (د، ط. النيل): «والمشتري».

فصـل[1]

والنصارىٰ لهم سؤال مشهور بينهم، وهو أن منهم[2] من يقول: محمد ﷺ لم تُبشِّر به النبوّات بخلاف المسيح فإنه بشّرت به النبوات، وزعموا أن من لم تبشِّر به[3]، فليس بنبي وهذا السؤال[4] يورَدُ علىٰ وجهين:

أحدهما: أنه لا يكون نبيًا حتىٰ يبشَّر به.

والثاني: أن من بُشِّر[5] به أفضلُ أو أكملُ، ممن لم يُبشَّر به[6]، أو أن هذا طريق تُعرَف به نبوّة المسيح، اختصّ به.

وأنتم قد قلتم: «ما من طريق ثبتت به نبوّة نبي إلا ومحمد تثبت نبوته بمثل تلك الطريق وأفضل».

فأما هذا الثاني، فيستحق الجواب.

---

(١) زاد في (ب) مقدمة هنا، ليست في سائر النسخ الخطية، نصها: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي شرع لنا الدين والصلاة والسلام علىٰ أفضل من اعتصم بحبله المتين، سيدنا ومولانا محمد عبده ونبيه ورسوله الأمين، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه الرحماء فيما بينهم، الأشداء علىٰ الكافرين، صلاة دائمة متعاقبة في كل وقت وحين، وسلم تسليمًا كثيرًا إلىٰ يوم الدين، أما بعد؛ فيقول العبد المتمسك بذيل الألطاف الخفية، أبو العباس أحمد ابن تيمية الحنبلي، عامله المولىٰ بغفران ذنبه الخفي والجلي، هذا كتاب سميته تخجيل أهل الإنجيل والنهج الصحيح، في الرد علىٰ من بدَّل دين عيسىٰ ابن مريم المسيح، أذكر فيه أعلام النبوات بنص الحديث والكتاب الفصيح، فأقول والله الهادي، وعليه توكلي واعتمادي، وإليه ملجأي واستنادي: اعلم وفقك الله وإيانا أن النصارىٰ ... الخ».
ووهم هنا بعض الباحثين فظنّ أنها مقدِّمة لكتاب آخر للمصنف في الردّ علىٰ النصارىٰ، سبقه إلىٰ هذا الوهم مؤلّفو «دائرة المعارف الإسلامية»: (١/ ١١٤)، والظاهر أنها زيادة من الناسخ؛ خلت منها سائر النسخ الأخرىٰ. ولزيادة التحرير ينظر: «منهج أهل السنة والجماعة في الرد علىٰ النصارىٰ»: (ص/ ٨٥ ـ ٩٥).

(٢) (ف، ل، ح): «فيهم».

(٣) (ب، ف، ل) زيادة: «النبوات».

(٤) (ب): «القول».

(٥) (د، ل): «بشرت».

(٦) عدا (ب، ف): «تبشر»، و«به» سقط من (ل).

وأما الأول فنحن نجيبهم[1] عنه أيضًا، لكن هل تجب الإجابة عنه؟ فيه[2] قولان بناءً علىٰ أصل وهو أنه: هل مِن شرط النسخ الإشعارُ بالناسخ[3]؟ ولنظَّار المسلمين فيه قَولان:

أحدهما: أنه لا بدَّ إذا شَرع حُكمًا يريد أن ينسخه، فلا بدّ أن يُشعِر المخاطَبين بأنه سينسخه[4]؛ لئلا يظنّوا دوامه فيكون ذلك تجهيلا لهم.

والثاني: لا يشترط ذلك.

وأيضًا، فمَن بُعِث بعد موسىٰ بشريعةٍ[5]، هل يجب أن يكون مبشَّرًا به؟ فيه قولان.

وبكل حال، فلا ريب عند علماء المسلمين أن المسيح ـ عليه السلام ـ بَشّر بمحمد ﷺ كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

وقد[6] قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

---

(١) (ح): «فنجيبهم»، و«فنحن» سقط من (ف، ل).

(٢) (ل، ف، ح): «ففيه».

(٣) عدا (ب): «بالمنسوخ»، ولعل المثبت أولىٰ، وبه يتكرر بعد أوراق. وهذه المسألة في: «أصول الفقه»: (٣/ ١٠٣٠) لابن مفلح، و«التحبير»: (٦/ ٢٨٢٧) للمرداوي.

(٤) (د، ط. النيل): «بأني سأنسخه»، و(ب): «بآية نسخه».

(٥) «بشريعة» سقط من (ل، والمطبوع).

(٦) عدا (ف، ح) زيادة: «قد».

وقال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ في موضعين من القرآن؛ أحدهما في التوحيد والقرآن[١]، والآخر في القبلة والقرآن ومحمد[٢].

فقال في الأول: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٩ - ٢٠].

وهذا في سورة الأنعام، وهي مكية.

وقال في سورة البقرة - وهي مدنية - ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ[٣] وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ

---

(١) (د، ط. النيل): «أو القرآن».

(٢) (ب، ف، ح): «أحدهما في التوحيد والآخر في النبوة».

(٣) عامة الأصول: «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب» سهو، تلك آية: [البقرة: ١٤٩ ـ ١٥٠].

بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٥ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾(1) [البقرة: ١٤٤ - ١٤٧].

وقال - تعالىٰ -: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

وقال - تعالىٰ -: ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وقال - تعالىٰ -: ﴿أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧].

وقال - تعالىٰ -: ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣].

وقال - تعالىٰ -: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

وقال - تعالىٰ -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا۩﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩].

---

(١) من قوله: «ولئن اتبعت ...» إلىٰ هنا سقط من (ف).

وقال -تعالىٰ-: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ۝٥٣ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: ٥٢ - ٥٤].

وقال - تعالىٰ -: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤][(١)].

وإذا كان كذلك فيقال: معلومٌ باتفاق أهل الملل، أنه ليس مِن شرط نبوةِ كلِّ نبي أن يُبشَّر به من قبله؛ إذ النبوة ثابتة بدون ذلك، لاسيما ونوح وإبراهيم وغيرهما لم يُعلَم أنه بَشَّر بهما مَن قبلهما، وكذا[(٢)] عامّة الأنبياء الذين قاموا في بني إسرائيل لم تتقدَّم لهم[(٣)] بشارات؛ إذ كانوا لم يُبعثوا بشريعةٍ ناسخة، كداود وأَشْعِيا[(٤)] وغيرهما.

وإنما قد يُدّعىٰ هذا فيمن جاء بنسخِ[(٥)] شرعِ مَن قبله، كما جاء المسيح بنسخ بعض أحكام التوراة، وكذلك محمد ﷺ، ففي مثل هذا يَتنازع[(٦)] المتنازعون من علماء المسلمين وغيرهم: هل يشترط أن يكون قد أخبر بذلك قبل النسخ؟ علىٰ قولين.

وحينئذ[(٧)] **فالمسلمون يقولون:** شريعة التوراة والإنجيل لم تشرع شرعًا

---

(١) «ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب» إلىٰ هنا سقط من (ح).
(٢) (ب، ف): «وكذلك».
(٣) (ف، ح، ل): «بهم»، و(ح، ب): «ولم تتقدم».
(٤) زيد بعده في هامش (ف): «بكسر الشين، وفتح الياء في آخره. كتبه الفقير البكري».
(٥) (د، ط. النيل): زيادة: «بعض».
(٦) (ف، ح): «تنازع».
(٧) (د، ط. النيل): زيادة «فنقول».

مطلقًا، بل مقيّدا إلىٰ أن يأتي محمد ﷺ، وهذا مثل الحكم المؤقّت بغايةٍ لا يُعلم متىٰ يكون، كقوله تعالىٰ: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾ [النساء: ١٥][١].

ومثل هذا جائزٌ باتفاق أهل الملل. **وهل يسمَّىٰ هذا نسخا؟ فيه قولان:**

قيل: لا يسمّىٰ نسخًا، كالغاية المعلومة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. فإن ارتفاع وجوب الصيام بمجيء الليل لا يُسمّىٰ نسخًا باتفاق الناس. فقيل[٢]: إن الغاية المجهولة كالمعلومة.

وقيل: بل هذا يسمىٰ نسخًا. ولكن هذا النسخ جائز باتفاق أهل الملل اليهود وغيرهم، وعلىٰ هذا[٣] فثبوت نبوّة المسيح ومحمد ـ صلوات الله وسلامه عليهما ـ لا تتوقّف[٤] علىٰ جواز النسخ المتنازَع فيه، فإن ذلك إنما يكون في الحكم المطلق. والشرائعُ المتقدِّمة لم تُشرع مطلقا.

وسواء قيل: إن الإشعار بالناسخ واجب، أو قيل: إنه غير واجب= فعلىٰ

---

(١) هذه الآية والتي قبلها سقطتا من (ح).

(٢) (ب): «وقيل». وانظر هذه المسألة في: «المعتمد»: (١/ ٣٦٧)، و«البحر المحيط»: (٥/ ٢١٧) للزركشي، و«شرح الورقات»: (ص/ ١٦٠) للمحلّي.

(٣) (د): «وعليه».

(٤) (ب): «يتوقف».

القولين قد أَشْعرَ أهلَ الشرع الأول بأنه سيُنسَخ، فإن موسىٰ بَشّر بالمسيح، وكذلك غيره من الأنبياء، وموسىٰ والمسيح وغيرُهما من الأنبياء بشّروا بمحمدٍ ﷺ، وإذا كان هذا هو الواقع فنبوّة المسيح ومحمد ـ صلىٰ الله عليهما وسلم ـ لا تتوقّف علىٰ ثبوت النسخ المتنازَع فيه.

وحينئذ[(١)] **فنقول**: العلم بنبوة محمد ﷺ ونبوة المسيح لا يتوقّف علىٰ العلم بأن مَن قبلهما بَشّر بهما، بل طرق العلم بالنبوّة متعدّدة، فإذا عُرِفَتْ نبوّته بطريق من الطرق= ثبتت نبوّته عند مَن عَلِم ذلك وإن لم يعلم أن من قبله بَشّر به.

لكن يقال: إذا كان الواجب أو الواقع أنه لا بدّ مِن إخبار مَن قبله بمجيئه، وأن الإشعار بنسخِ شريعةِ مَن قبله واجبٌ أو واقع= صار ذلك شرطًا في النبوة، ومن عَلِم نبوّته[(٢)]= عَلِم أن هذا قد وقع، وإن لم يُنقل إليه[(٣)].

فإذا قال المعارِض: عدمُ إخبار مَن قبله به قد[(٤)] يقدح في نبوّته، فإنه[(٥)] إذا قُدِّر أنه لم يُخبِر به مَن قبله[(٦)]، والإخبار شرطٌ في النبوة= كان ذلك قدحًا.

قيل: **الجواب هنا من طريقين**:

أحدهما أن يقال: إذا عُلمتْ نبوّته بما قام عليها من أعلام النبوة= فإما أن يكون تبشير مَن قبله به لازمًا لنبوته[(٧)] ـ واجبًا أو واقعًا ـ، وإما أن لا يكون لازمًا.

---

(١) «وحينئذ» سقط من (د).

(٢) (ف، ح): «بنبوته».

(٣) (ف): «إلينا».

(٤) «قد» سقط من (ل، ب، ح). و«به» ليس في (د).

(٥) (ل، ح): «وأنه».

(٦) «به يقدح في نبوته ... » إلىٰ هنا سقط من (ح).

(٧) «بما قام عليها من أعلام النبوة ...» إلىٰ هنا سقط من (ح)

فإن لم يكن لازمًا= لم يجب وقوعه، وإن كان لازمًا= علم أنه قد وقع، وإن كان ذلك لم يُنقل إلينا؛ إذ ليس كلُّ ما قالتْه الأنبياء المتقدمون علِمناه ووصل إلينا، وليس كلُّ ما أخبر به المسيح ومَن قبله من الأنبياء وصل إلينا، وهذا مما يُعلم بالاضطرار.

ولو[1] قُدِّر أن هذا ليس في الكتب الموجودة= لم يلزم أن المسيح ومَن قبله لم يذكروه، بل يمكن أنهم ذكروه[2] وما نُقل، ويمكن أنه كان في كتبٍ غيرِ هذه[3]، ويمكن أنه كان في نُسَخٍ غيرِ هذه النُّسَخ فأُزيل مِن بعضها، ونُسِختْ هذه مما أزيل منه، وتكون تلك النُّسخ التي هو موجودٌ فيها غيرَ هذه، فكلُّ هذا ممكنٌ في العادة، لا يُمكن الجزم بنفيه.

فلو قُدِّر أنه ليس في هذه الكتب الموجودة اليوم بأيدي أهل الكتاب= لم يُقطَع بأن الأنبياء لم يُبشِّروا به، فإذا لم يمكن اليهود[4] أن يقطعوا بأن المسيح لم تُبشِّر به الأنبياء، ولا يمكن أهل الكتاب أن يقطعوا بأن محمدًا لم تُبشِّر به الأنبياء= لم يكن معهم علمٌ بعدم ذلك، بل غاية ما يكون عند أحدهم ظنٌّ؛ لكونه طلب ذلك فلم يجده.

ودلائل[5] **نبوة المسيح ومحمد قطعية يقينية، لا يُمكن القدح فيها بظنٍّ؛** فإن الظن لا يَدْفع اليقين، لاسيّما مع الآثار الكثيرة المخبِرة بأن محمدًا[6] كان مكتوبًا باسمه الصريح فيما هو منقول عن الأنبياء، كما في صحيح البخاري[7]

(١) (ف، ح): «وإن».
(٢) «بل يمكن أنهم ذكروه» سقط من (ح).
(٣) (ط. النيل) زيادة: «الكتب».
(٤) المطبوع: «لليهود»، خلاف عامة النسخ الخطية.
(٥) (ف، ح): «ودليل».
(٦) (ل، ب، ف، ح): «بأنه».
(٧) (٢١٢٥، ٤٨٣٨)، والسائل: عطاء بن يسار.

أنه قيل لعبد الله بن عمرو: أَخبِرْنا ببعض صفة رسول الله ﷺ في التوراة، فقال: «إنه لموصوفٌ في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشِّرًا ونذيرًا وحِرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سمَّيتُك المتوكل، ليس[1] بفظٍّ ولا غليظٍ ولا صخَّاب[2] بالأسواق، ولا يجزي[3] بالسيئة السيئة، ولكن يجزي بالسيئة الحسنة ويعفو ويغفر[4]، ولن أقبضه حتىٰ أقيم به الملة العوجاء[5]، فأفتح به أعينًا عُميًا وآذانًا صُمًّا وقلوبًا غُلفًا، بأن يقولوا لا إله إلا الله»[6].

ولفظ التوراة والإنجيل والقرآن والزّبور قد يُراد به الكتب المعيّنة، ويراد به الجنس، فيعبَّر بلفظ القرآن عن الزبور وغيره، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ[7]: **«خُفِّف علىٰ داود القرآن فكان ما بين أن تُسْرَج[8] دابتُه إلىٰ أن يركبها يقرأ القرآن»**[9]. والمراد به: قرآنه، وهو الزبور، ليس المراد به القرآن الذي لم يَنزل إلا علىٰ محمد.

---

(١) عدا (ف): «لست»، والمثبت موافق لمصدر التخريج.

(٢) لفظ الصحيح: «سخّاب»، وهما لغتان، والصخب: رفع الصوت بالخصام. وقوله: «حرزًا»: أي حصنًا وحفظًا. و«الأميين»: العرب. انظر: «فتح الباري»: (٤/ ٣٤٣)، (٨/ ٥٨٦).

(٣) عدا (ف، ح): «تجزي»، ولفظه في «الصحيح»: «يدفع».

(٤) عدا (ف، ح): «تجزي ... وتعفو، وتغفر»، والمثبت موافق لما في الصحيح.
وقوله: «يجزي بالسيئة الحسنة» ليست عند البخاري في صحيحه.

(٥) تصحف في المطبوع إلىٰ: «الموجاء»!

(٦) قوله: «بأن يقولوا لا إله إلا الله» كذا مؤخّر في عامة النسخ، وموضعه في الصحيح بعد قوله: «الملة العوجاء»، وهو به أليق.

(٧) (ف) زيادة: «قال».

(٨) عدا (ل): «يُسْرِج»، والمثبَت موافق للفظ الرواية.

(٩) أخرجه البخاري (٣٤١٧، ٤٧١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وكذلك ما جاء في صفة أمة محمد: «**أناجيلُهم في صدورهم**»[1] فسمَّىٰ الكتب التي[2] يقرؤونها ـ وهي القرآن ـ: أناجيل.

وكذلك في التوراة: «إني سأقيم لبني إسرائيل نبيا من إخوتهم أنزل عليه توراة مثل توراة موسىٰ»[3]، فسمّىٰ الكتاب الثاني: توراةً.

فقوله: «أخبرني بصفة رسول الله ﷺ في التوراة» قد يراد بها[4]: نفسُ الكتب المتقدمة كلِّها، وكلُّها تُسمّىٰ توراة[5]، ويكون هذا في بعضها.

وقد يراد به التوراةُ المعيّنة، وعلىٰ هذا فيكون[6] هذا في نسخةٍ لم تُنسَخ منها هذه النسخ، فإن النسخ الموجودة بالتوراة التي وقفنا عليها ليس فيها هذا،

---

(١) جزء من حديثٍ مرفوع أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٠٤٦)، والزبير بن بكار في «أخبار المدينة»، وأبو نعيم في «الدلائل» ـ كما في «الدر المنثور»: (٣/ ٥٧٦) ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «صفتي أحمد المتوكل ...» ثم ساق صفة أمته، وسنده ضعيف؛ لجهالة جملة من رواته.

وروي حكايةً عن موسىٰ ـ عليه السلام ـ مما قرأه في التوراة، في سياق حديثٍ آخر طويل أخرجه الكلاباذي في «معاني الأخبار» (٨٦١)، وأبو نعيم في «الدلائل»: (١/ ٦٨) وجزءِ أبي عليٍّ الصواف (ص/ ٢٨)، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، وهو غريبٌ؛ تفرّد به الربيع بن النعمان، له غرائب، وفيه لين، كما قال أبو نعيم.

والحاصل: أن هذا القول لا تصحّ حكايته عن الكتب المتقدمة في حديث مرفوع. انظر: «مجمع الزوائد»: (٣٤٧٣)، و«إتحاف الخيرة»: (٧/ ٦١)، و«ضعيف الجامع»: (٣٤٧٣).

وروي مقطوعًا عن قتادة عند الطبري في «تفسيره»: (١٣/ ١٢٤) وعبد الرزاق في «تفسيره»: (١/ ٢٣٦)، وعن وهب بن منبه عند البيهقي في «الدلائل» (١/ ٣٧٩).

(٢) (ل، ح): «الذي»، وكذا كان في (د) ثم أصلح إلىٰ المثبت.

(٣) «التثنية»: (١٨: ١٨)، ونصه في النسخ المتداولة اليوم: «سأقيم لهم نبيًّا من بين إخوتهم مثلك، وأُلقي كلامي في فمه، فينقلُ إليهم جميعَ ما أكلّمه به».

(٤) (ب، ف): «به»؛ أي القول، والأول ما أثبت عودًا علىٰ «التوراة».

(٥) (ف): «التوراة».

(٦) (ف): «يكون».

لكن هذا عندهم في نبوّة أشعيا، قال فيها: «عبدي الذي سُرَّت به نفسي، أُنْزِلُ عليه وحيي، فيُظهِر في الأمم عدلي، ويوصيهم بالوصايا، لا يضحك ولا يُسمَع صوتُه في الأسواق، يفتح العيون العُوْر، والآذانَ الصمَّ، ويحيي القلوب الغُلْف، وما أعطيه لا أعطيه[1] أحدًا، يحمد الله حمدًا جديدًا يأتي من أقصىٰ الأرض، وتفرح البَرِيَّة[2]، وسكانها يُهلّلون الله علىٰ كل شرَفٍ، ويكبِّرونه علىٰ كل رابية، لا يضعُف ولا يُغلَب ولا يميل إلىٰ الهوىٰ، مُشَقَّحٌ[3]، ولا يذلّ الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة، بل يُقوّي الصديقين، وهو ركن المتواضعين، وهو نور الله الذي لا يُطفىٰ. أثر سلطانه علىٰ كتفَيه»[4].

وهذه صفاتٌ منطبقة[5] علىٰ محمد ﷺ وأمّته، وهي من أجلّ[6] بشارات الأنبياء المتقدمين به.

ولفظ التوراة قد عُرف أنه يراد به جنس الكتب التي يُقرُّ بها[7] أهل الكتاب، فيدخل في ذلك الزبور، ونبوّة أشعيا، وسائرُ النبوات غير الإنجيل.

---

(١) عدا (ف): «أعطي».
(٢) (ف): «القرية».
(٣) موضعها بياض في (ل)، وفي (ف): «مسفح»، وقدّمها في (ب) بعد قوله: «لا أعطي أحدًا»، ثم عاد فألحقها هنا. و«مُشقَّح» كمحمّد وزنًا ومعنىٰ، والشّقْح: هو الحمد بلغتهم. انظر: «نهاية الأرب في فنون الأدب»: (١٦/ ١١٣)، و«الطّراز الأول»: (٤/ ٣٨٦) لابن معصوم.
تنبيه: وقع هذا اللفظ في «هداية الحيارىٰ»: (ص/ ١٨٤) بالفاء (مشفّح)، وهو قولٌ فيه، كما في «مجمع بحار الأنوار»: (٣/ ٢٣٣)، لكن نصَّ ابن معصوم علىٰ تصويب القاف بعد أن حكىٰ الوجهين. و«مُشفّح» بالفاء، عند العرب هو: المحروم من الخير. انظر: «المحيط في اللغة»: (٢/ ٤٣١).
(٤) «نبوّة أشعيا»: (٤٢: ١ ـ ١٥)، بنحو لفظه ومعناه.
(٥) (ف، ح): «متضمنة»، وفي هامش (ف) المثبت احتمالا.
(٦) (ف): «إحدىٰ»، و(ب): «آخر».
(٧) (ب، ف): يقرأونها. و(ح): «أنه الكتب يراد جنس الشيء يقر بها»، تصحيف!

فإن كان المراد بلفظ التوراة والإنجيل[1] في القرآن[2] هذا المعنىٰ[3]؛ فلا ريب أنَّ ذِكْر النبي في التوراة ـ بهذا الاعتبار[4] ـ كثيرٌ متعددٌ[5] ظاهرٌ، كما سنبيِّن بعضَه، وحينئذ فتكون التوراة في قوله: ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ متناولةً لجنس الكتب التي يقرُّ بها أهل الكتاب، ولفظُ «الإنجيل» يختصّ بما عند النصارىٰ، ولهذا لم يذكر كونه في «الزبور» مع أنه مذكور فيه؛ إذ كان مندرجًا في لفظ «التوراة»[6].

الطريق الثاني من الجواب: أن نبيِّن أن الأنبياء قبله بشّروا به. وهذا هو دليل مستقل علىٰ نبوته، وعَلَم عظيم من أعلام رسالته.

وهذا ـ أيضًا ـ يدل علىٰ نبوة ذلك النبي؛ إذ أخبر بأنباءٍ من الغيب مع دعوىٰ النبوّة، ويدل علىٰ نبوة محمد ﷺ لإخبار من ثبتتْ[7] نبوّته بنبوته. هذا إذا وجد الخبر ممن لا نعلم نحن نبوته[8]، ولم يُذكر[9] في كتابنا.

---

(١) «والإنجيل» ليس في (ل).

(٢) (ف، ح): «والقرآن».

(٣) «المعنىٰ» سقط من (ف).

(٤) «في التوراة بهذا الاعتبار» سقط من (ل). «في التوراة» سقط من (ف، ح)، و«بهذا الاعتبار» سقط من (ل)، ووضع تحتها خط في (ح)؛ إشارة إلىٰ الشك فيها.

(٥) (ل، ف، ح): «في كتب متعددة»، و(ب): «كثيرة متعددة».

(٦) (ل): «ظاهر، كما سنبين... الخ» سقط من (ل، ب، ف، ح).

(٧) المطبوع: «تثبت» خلاف عامة النسخ.

(٨) (د، ط. النيل): «ثبوته».

(٩) (ف) زيادة: «لنا».

وأما من ثبتت نبوته بطرق[1] أخرىٰ كموسىٰ والمسيح، فهذا مما تَظاهَرَ فيه الأدلة علىٰ المدلول الواحد، وهو - أيضًا - يتضمّن أن كل ما ثبتت به نبوة غيره فإنه تثبت به نبوته، وهو جواب ثان لِمَن[2] يَجعل ذلك شرطًا لازمًا لنبوّته.

(١) (ب، ف، ح): «بطريق».
(٢) (ف، ح): «لم».

فصـل

ثم العلم بأن الأنبياء قبله بشَّروا به يُعلَم من وجوه:

أحدها: ما في الكتب الموجودة اليوم بأيدي أهل الكتاب مِن ذِكره.

الثاني: إخبار مَن وقف على تلك الكتب وغيرها من كتب أهل الكتاب ـ ممن أسلم ومن لم يسلم ـ بما وجدوه مِن ذِكره فيها[١].

وهذا مثلُ ما تواتر عن الأنصار أن جيرانهم من أهل الكتاب كانوا يخبرون بمبعثه، وأنه رسول الله، وأنه موجود عندهم[٢]، وكان هذا من أعظم ما دعا الأنصار إلى الإيمان به لـمَّا دعاهم إلى الإسلام، حتى آمن الأنصار به وبايعوه من غير رهبة ولا رغبة[٣]. ولهذا قيل: إن المدينة فتحت بالقرآن، لم تفتح بالسيف كما فتح غيرها

وقد أخبر الله بذلك عن أهل الكتاب في القرآن، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ

---

(١) (د، ط. النيل): «بها».

(٢) (د، ط. النيل) زيادة: «وكانوا ينتظرونه».

(٣) أي من غير رهبة منه، ولا رغبة عنه، ولا رغبة في غيره، تكون سببًا في امتناعهم عن الإسلام. وقد استعمل المؤلف هذا التعبير في نظائر أخرى. انظر: «مجموع الفتاوى»: (٧/ ٢١٩)، و«منهاج السنة»: (٨/ ٣٣٣).

أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة: ٨٧ - ٩٠][1].

ومثلُ ما تواتر عن إخبار النصارىٰ بوجوده في كتبهم؛ مثلَ إخبار هرقل ملك الروم، والمقوقس ملك مصر[2] صاحب الإسكندرية، والنجاشي ملك الحبشة، والذين جاءوه[3] بمكة، وقد ذكر الله ذلك عنهم[4] في القرآن؛ في قوله عن اليهود: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

وقال عن النصارىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣][5] وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾ [القصص: ٥٢ - ٥٣].

وقال ابن إسحاق: «حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أن يهود كانوا يستفتحون علىٰ الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب= كفروا به وجحدوا ما كانوا

(١) من قوله «وقد أخبر الله بذلك ...» إلىٰ آخر الآيات سقط من (ل، ب، ف، ح).

(٢) «ملك مصر» ليس في (ف).

(٣) (ف): «جاؤوا».

(٤) «عنهم» سقط من (ل، ب، ف، ح).

(٥) (ح): تتمة الآية، وما بعدها إلىٰ قوله: «وزاد البخاري في حديثه» سقط من (ح)، قدر ست أوراق.

يقولون فيه، فقال معاذ بن جبل، وبِشر بن البراء بن مَعْرُور، وداود بن سلمة(١): يا معشر يهود(٢) اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهلُ شرك، وتُخبرونا بأنه مبعوث، وتصفونه بصفته(٣)، فقال سلام بن مِشْكَم، أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء(٤) نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم. فأنزل الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]»(٥).

وقال أبو العالية وغيره: «كانوا ـ يعني اليهود ـ إذا استَنصَروا بمحمد علىٰ مشركي العرب يقولون: اللهم ابعث هذا النبيّ الذي نجدُه مكتوبًا عندنا، حتىٰ نعذِّب(٦) المشركين ونقتلهم. فلما بعث الله محمدًا ﷺ ورأوا أنه من غيرهم= كفروا به؛ حسدًا للعرب، وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآيات

---

(١) كذا في عامة الأصول، وفي «تفسير ابن أبي حاتم» (٩٠٥)، و«ابن كثير»: (١/ ٣٢٦) في بعض نسخه الخطية، ولعله تصحيف؛ فإني لم أقف في الرواة علىٰ من يسمىٰ بهذا، وصوابه: «أخو بني سلمة» كما في مصادر التخريج الأخرىٰ؛ وهو بشر بن البراء نفسه، انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (٨/ ٣١٣)، و«معرفة الصحابة»: (١/ ٣٨٧) لأبي نعيم. وفي (ب): «داود بن مسلم»، تصحيف آخر!

(٢) (ب): «اليهود»، وكلاهما ثبتت بهما الرواية.

(٣) «بصفته» سقط من (ل).

(٤) (ح، ط. النيل): «شيءٌ»، ولم تحرر في (د)، والمثبت موافق لمصادر التخريج. وفي (ف): «ما جاء».

(٥) أخرجه ابن جرير في «تفسيره»: (٢/ ٢٣٣) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩٠٥)، من طريق ابن إسحاق بهذا الإسناد، وأخرجه أبو نعيم ـ أيضًا ـ في «الدلائل» (١/ ٨٢) وأبهم فيه الراوي عن عكرمة، وكذا أورده مبهمًا ابن هشام في «السيرة»: (١/ ٥٤٧)، والسهيليّ في «الروض الأنف»: (٤/ ٢٤٠). ومحمد بن أبي محمد هو مولىٰ آل زيد بن ثابت، مجهول، لم يرو عنه غير ابن إسحاق، وذِكْر ابن حبان له في «الثقات» لا يجدي، لما عرف من مذهبه في المجاهيل.
والأثر مروي من طرق أخرىٰ عن ابن عباس مختصرًا، ويشهد له ما يأتي. وانظر: «جامع الآثار»: (١/ ٩٠-٩٢)، لابن ناصر الدين.

(٦) (د، ط. النيل): «يعذِّب... ويقتلهم»، وكلاهما في مصادر التخريج.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩][١].

وروىٰ ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ثم الظَّفَري[٢]، عن رجال من قومه قالوا: ومما دعانا إلىٰ الإسلام ـ مع رحمة الله وهداه ـ أنا كنا نسمعُ من رجال يهود، كنا[٣] أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب[٤]، عندهم علم ليس عندنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نِلْنا منهم بعضَ ما يكرهون قالوا لنا: قد تقارَب زمانُ نبيٍّ يُبعث الآن نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم. فكنا كثيرًا ما[٥] نسمع ذلك منهم، فلما بعث الله رسوله ﷺ رسولًا من عند الله= أجبنا[٦] حين دعانا إلىٰ الله، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا[٧] به فبادرناهم إليه، فآمنّا به وكفروا به، ففينا وفيهم نزل[٨] هؤلاء الآيات التي في البقرة: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩][٩].

---

(١) «تفسير الطبري»: (٢/ ٢٤٠)، و«ابن كثير»: (١/ ٣٢٦)، و«جامع الآثار»: (١/ ٩٢).

(٢) (د، ب، ط. النيل): «الطفري»، والصواب ما أثبت، نسبة إلىٰ ظَفَر، بطن من الأنصار. انظر: «الأنساب»: (٩/ ١٣٣)، وترجمته في «تاريخ دمشق»: (٢٥/ ٢٧٤)، و«تهذيب التهذيب»: (٥/ ٥٤).

(٣) (ف): «وكنا».

(٤) عدا (د، ف): «الكتاب».

(٥) (ل، ب): «مما».

(٦) (ب): «أجبناه».

(٧) (د، ب، ط. النيل): «يتوعدونا».

(٨) المطبوع: «نزلت» خلافًا لعامة النسخ.

(٩) سيرة ابن هشام (١/ ٢١١)، و«الروض الأنف»: (٢/ ٣٢٦)، و«السيرة»: (١/ ٢٩١)، لابن كثير، و«جامع الآثار»: (١/ ٩٢)، وأورده الألباني في «صحيح السيرة»: (ص/ ٥٨).

قال: ابن إسحاق[1]: «وحدثنا صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، حدثنا يحيىٰ بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زُرارة الأنصاري، قال: حدثني مَن شئتُ من رجال قومي عن حسان بن ثابت الأنصاري، قال: والله إني لغلامٌ يَفَعَةٌ[2] ابن سبع سنين أو ثمان سنين، أَعقِل كلّ ما سمعت، إذ سمعتُ يهوديًّا يقول علىٰ أُطُم يثرب، يصرخ[3]: يا معشر اليهود[4] فلما اجتمعوا عليه قالوا: مالَكَ! ويلَكَ! قال: طلع نجْمُ أحمد الذي يُبعَث الليلة»[5].

ورویٰ أبو زرعة، بإسناد صحيح، عن أسامة بن زيد، عن أبيه زيد بن حارثة، قال: «خرج[6] رسول الله ﷺ وهو مُرْدِفي ثم أقبل رسول الله ﷺ في يومٍ حارٍّ من أيام مكة، حتىٰ إذا كنا بأعلىٰ الوادي= لقِيَه زيد بن عمرو بن نفيل، فقال له رسول الله ﷺ: «**يا ابن عمرو، ما لي أرىٰ قومك قد شَنِفوك**»[7]؟ قال: أما والله، إن ذلك لِغَير ثائرةٍ كانت مني[8] فيهم، ولكن أَراهم علىٰ ضلال، فخرجتُ أبتغي هذا الدين.

---

(١) «ابن إسحاق» سقط من (ل).

(٢) (ط. النيل): «يفقه»، تصحيف. يقال: يفع الغلام: إذا شَبّ. ويافع: أي قارب الاحتلام. «النهاية»: (٥/ ٢٩٩)، و«لسان العرب»: (٨/ ٤١٥).

(٣) (ب، ف): «فصرخ»، والمثبت موافق للمصادر. و«الأطم»: البناء المرتفع.

(٤) (ب، ف): «يهود»، روايتان.

(٥) في «السير والمغازي»: (ص/ ٨٤)، وعنه ابن هشام في «السيرة»: (١/ ١٥٩)، والحاكم في «المستدرك»: (٦٠٥٦)، وأبو نعيم (ص/ ٧٥)، والبيهقي (١/ ١١٠) كلاهما في «الدلائل»، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٢/ ٣٨٣)، وفي إسناده انقطاع؛ فإن يحيىٰ بن عبد الله لم يسمِّ عمن سمع، وله شاهد من حديث حويصة بن مسعود، وسنده لا يصح. وقد يقويه رواية ابن إسحاق له، وهو إمام المغازي، ولم يعارض، لذا أورده الألباني في: «صحيح السيرة»: (ص/ ١٣).

(٦) (د، ط. النيل) زيادة: «علينا»، ولا يستقيم مع قوله: «وهو مردفي»، وليس في المصادر.

(٧) (ل، ف): «سبقوك»، تصحيف. وفي رواية البزار: «شَنِفوا لك». «وشنِفوك» بكسر النون، أي أبغضوك. والثائرة: الغضب. «القاموس المحيط»: (ص/ ١٠٦٧).

(٨) «مني» سقط من (ب، ف)، والمثبت موافق لمصادر التخريج.

فأتيتُ إلىٰ[1] أحبار يثرب، فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به، فقلت: ما هذا بالدِّين الذي أبتغي. فخرجتُ حتىٰ آتي أحبارَ خيبر فوجدتُهم يعبدون الله ويشركون به، فقلت: ما هذا بالدين الذي أبتغي[2]، فقال لي حبر من أحبار الشام: إنك لتسأل عن دينٍ ما نعلم أحدًا[3] يَعبُدُ اللهَ به إلا شيخٌ بالجزيرة.

فخرجتُ فقَدِمتُ عليه فأَخبرته بالذي خرجت له، فقال: إنّ كلّ مَن رأيت في ضلالةٍ، فمَن[4] أنت؟ قلت: أنا من أهل بيت الله، ومن أهل الشوك والقَرْظ[5].

فقال: إنه[6] قد خرج في بلدك نبي ـ أو هو[7]: خارج ـ قد خرج نجمُه، فارجع فصدِّقه واتّبعه وآمِن به، فرجعتُ فلم أُحِسَّ شيئًا بعدُ.

قال: فأناخ رسول الله ﷺ بعيرَه، فقدّمنا إليه السفرة، قال زيد[8]: ما آكُل شيئًا ذُبح لغير الله فتفرّقا، فجاء رسول الله ﷺ فطاف بالبيت.

قال زيد[9]: وأنا معه، وكان صنمان من نحاس يقال لهما: (إساف)

---

(١) (ل، ب): «علىٰ». وفي بعض الروايات: «فقدِمتُ علىٰ».

(٢) «فخرجت حتىٰ آتي...» إلىٰ هنا سقط من (ف).

(٣) (ف): «ما يُعلم أحدٌ»، والمثبت هو الموافق للروايات.

(٤) (د، ب، ف، ط. النيل): «ممن». والمثبت موافق لمصادر التخريج.

(٥) (ف): «الشرك والفرط»، و(ب): «الشوك والقرض»، تصحيف، والصواب ما أثبت موافقًا للمصادر. و«القرظ»: حبٌّ يُدبَغ به. والمراد: أرض الجزيرة واليمن، لأنها منابت القرظ. «المصباح المنير»: (٢/ ٤٩٩).

(٦) (ب): «قال فإنه».

(٧) (ف): «وهو».

(٨) أي زيد بن عمرو.

(٩) أي زيد بن حارثة.

و(نائلة) مستقبَل الكعبة، يَتمسّح بهما الناسُ إذا طافوا، فقال رسول الله ﷺ: **«لا تَمسَّهما[1] ولا تمسَّحْ بهما»**.

قال زيد: فقلت في نفسي ـ وقد طُفنا ـ لأمسَّنَّهما[2] حتىٰ أنظر ما يقول، فمسَسْتُهما، فقال رسول الله ﷺ: **«ألم تُنْهَه»**؟ فلا والذي أكرمه، ما مسسْتهُما حتىٰ أنزل الله عليه الكتاب.

ومات زيد بن عمرو بن نُفَيل قبل الإسلام[3] فقال رسول الله ﷺ: **«إنه يُبعَث أمَّة وحده»**[4].

وروىٰ البخاري[5] حديثَ خروج زيد بن عمرو قريبًا من هذا اللفظ.

وقال: ابن إسحاق: حدثنا صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن محمود بن لَبيد، عن سَلَمة بن سلامة بن وَقْش[6]، قال: كان بين أبياتنا

---

(١) (ب): «لا تمسنهما».

(٢) (ط. النيل): «لأمسهما».

(٣) «فقال رسول الله ﷺ: ألم تنهه؟ ...» إلىٰ هنا سقط من (ف)؛ لانتقال النظر.

(٤) أخرجه ابن عاصم في «الآحاد والمثاني»: (١/ ١٩٩)، والبزار في «المسند»: (١٣٣١)، والحربي في «غريب الحديث»: (٢/ ٨٠١)، والطبراني في «الكبير»: (٤٦٦٣)، والحاكم في «المستدرك»: (٤٩٥٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة»: (٢/ ١٢٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»: (٢/ ١٢٥) كلهم من حديث زيد بن حارثة رضي الله عنه. والحديث صححه الحاكم، والمصنِّف كما هنا، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٩/ ٤١٧): «ورجاله رجال الصحيح؛ غير محمد بن عمرو بن علقمة، وهو حسن الحديث» اهـ.

قلت: ووقع في بعض روايات هذا الحديث زيادات لا تصح، كذبح النبي ﷺ للأنصاب؛ لذا قال الذهبي في «السير» (١/ ٢٢٢): «وفي بعضه نكارة بيِّنة». والثابت في الصحيح: أن النبي ﷺ قدِّمت له سفرة، فأبىٰ زيدٌ أن يأكل منها.

(٥) في «صحيحه»: (٣٨٢٦، ٣٨٢٧، ٥٤٩٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٦) (د، ب): «وقس»، بالإهمال، والصواب ما أثبت، وهو صحابي جليل، من أهل العقبة، وشهد بدرًا، (ت٤٥هـ وقيل:٣٤هـ) عن سبعين سنة. وترجمته في «معرفة الصحابة»: (٣/ ١٣٣٧).

يهوديٌّ، فخرج علىٰ نادي[1] قومه بني عبد الأشهل ذاتَ غداة، فذكر البعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان، فقال ذلك لِأصحابِ وثنٍ، لا يَرون أنّ بعثًا كائنٌ بعد موتٍ، وذلك قبل مبعث رسول الله، فقالوا: ويحك يا فلان! ـ أو: ويلك! ـ وهذا كائن؟ أن الناس يُبعثون بعد موتهم إلىٰ دارٍ فيها جنة ونار يجزون من أعمالهم[2]؟!

قال: نعم، والذي يُحلَف به لوددتُ أنَّ حظّي من تلك النار أن توقدوا أعظمَ تَنُّوْرٍ في داركم، فتحمونه، ثم تقذفوني فيه ثم تُطَيِّنون عليّ[3] وأني أنجو من تلك النار غدًا.

فقيل: يا فلان، فما علامة ذلك؟ قال: **نبي يُبعث من ناحية هذه البلاد وأشار إلىٰ مكة واليمن بيده**، قالوا: فمتىٰ تراه[4]؟ فرمىٰ بطرفه فرآني وأنا مضطجع بفناء باب[5] أهلي وأنا أَحْدَثُ القوم، فقال: إن يَسْتَنفِذْ هذا الغلامُ عمرَه يُدرِكْه.

فما ذهب الليل والنهار حتىٰ بَعث الله رسولَه، وإنه[6] لحيٌّ بين أظهرهم، فآمنّا به وصدَّقناه، وكفَر به بغيًا وحسدًا. فقلنا له: يا فلان ألستَ الذي قلتَ ما

(١) (د، ط. النيل): «بادي»، والصواب ما أثبت، وفي بعض المصادر: «مجلس».
(٢) كذا في النسخ، وهو الموافق لمصادر التخريج، و(ف): «بأعمالهم»، بالباء، وهما يتعاوران، ومنه: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ أي: بطرف. والأظهر أن تكون (من) بمعنىٰ (علىٰ)، كقوله: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: عليهم.
(٣) (ب): «عاليَه».
(٤) (ب، ط. النيل): «نراه»، ولم تحرر في (د)، وهما روايتان.
(٥) (د، ط. النيل): «بفنايات»، و(ف): «بفانات»، والمثبت موافق لمصادر التخريج.
(٦) (ف): «وإني». والمثبت موافق للمصادر.

قلتَ وأخبرتَنا؟ قال: ليس به[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن غلاما يهوديًا كان يَخدم[2] النبيّ ﷺ، فمرض فأتاه رسول الله ﷺ يعوده، فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة، فقال له رسول الله: **يا يهودي[3]! أنشدك بالله الذي أنزل التوراة علىٰ موسىٰ! هل تجد في التوراة صِفَتي ومخرجي؟** قال: لا، قال الفتىٰ: بلىٰ والله يا رسول الله إنا نجد في التوراة نَعتَك ومَخرجك، وإني[4] أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال: النبي ﷺ: **أَقيموا هذا مِن عند رأسه، وَلُوْا أخاكم**» رواه البيهقي بإسناد صحيح[5].

وقال ابن إسحاق[6]: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن شيخ من بني

---

(١) في «السِّيَر»: (٢/ ٦٤)، ومن طريقه أحمد في «المسند»: (١٥٨٤١)، والبخاري «التاريخ»: (٤/ ٦٨)، ويعقوب الفسوي في «مشيخته»: (ص/ ١١٢)، والطبراني في «الكبير»: (٦٣٢٧)، والحاكم في «المستدرك»: (٥٧٦٤)، وأبو نعيم في «الدلائل» (١/ ٧٤)، والبيهقي في «الدلائل»: (٢/ ٧٨)، والحديث صححه الحاكم، وقال: «علىٰ شرط مسلم»، وقال الهيثمي في «المجمع»: (٨/ ٢٣٠): «رجاله رجال الصحيح، غير ابن إسحاق، وقد صرَّح بالسماع».

(٢) (ف): «لزم»، خلاف النسخ ومصدر التخريج.

(٣) «يا يهودي» سقط من (ف)، وهي ثابتة في الرواية.

(٤) (ب): «وأنا»، والمثبت موافق للمصادر.

(٥) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة»: (٦/ ٢٧٢) من طريق ثابت عن أنس. ورجاله ثقات، غير مؤمل بن إسماعيل، صدوق سيء الحفظ، وقد أخرج له البخاري تعليقًا. وأصل القصة عند البخاري (١٣٥٦) مختصرًا، دون ذكر نبوته في التوراة. وفي الباب: عن ابن مسعود، وأبي صخر العقيلي عن رجل من الأعراب، ولم تخل أسانيدها من ضعف. وانظر: «جامع الآثار»: (١/ ١٧٧).

(٦) في «السِّير»: (٢/ ٦٤)، ومن طريقه أبو نعيم في «الدلائل»: (١/ ٨١)، والبيهقي في «الكبرىٰ»: (١٨٧٢٦)، (٩/ ١١٤)، وفي «الدلائل»: (٢/ ٨١)، وسنده ضعيف، لجهالة الشيخ القرظي. ورواه ابن سعد في «الطبقات الكبرىٰ»: (١/ ١٦٠) من طريق آخر عن أبي سفيان مولىٰ ابن أحمد. وفي سنده الواقدي، وحاله لا يخفىٰ. وله طرق في: «جامع الآثار»: (١/ ١٦٨ــ ١٧١) ويشهد لغرض إيراده هنا ما قبله وما بعده، والخبر ذكره الألباني في «صحيح السيرة»: (ص/ ٦٠).

قريظة، قال: هل تدري عما كان إسلام أَسِيد وثَعلبة ابني سَعْيَةَ[١]، وأَسَد بن عبيد، نفرٌ من [هَدْل][٢]، لم يكونوا من بني قريظة ولا النضير، كانوا فوق ذاك، فقلتُ: لا، قال: فإنه قدِم علينا رجل من الشام من يهود، يقال له: ابن الهَيَّبان، فأقام عندنا، والله ما رأينا رجلًا قطّ لا يصلي الخمس خيرًا منه.

فقدِم علينا قبل مبعث النبي ﷺ بسنين[٣]، وكنا إذا أقحطنا وقلّ علينا المطر، نقول: يا ابن الهيَّبان! اخرج فاستسق لنا، فيقول: لا والله حتىٰ تُقدِّموا أمام مَخْرَجكم صدقة، فنقول كم؟ فيقول: صاعًا من تمر أو مُدَّيْن من شعير، فنُخرِجه ثم يَخرج إلىٰ ظاهر حرَّتنا ونحن معه فيستسقي، فوالله ما يقوم من مجلسه حتىٰ تَمُرّ الشِّعاب. قد فعل ذلك غيرَ مرةٍ ولا مرتين ولا ثلاثة.

فحَضَرَتْه الوفاة واجتمعوا[٤] إليه، فقال: يا معشر يهود ما تَرونه أخرجني من أرض الخَمْر والخمير إلىٰ أرض البؤس والجوع؟ قالوا: أنت أعلم، قال: فإنه إنما أخرجني أتوقَّع[٥] خروج نبيٍّ قد أَظلَّ زمانُه، هذه البلاد مُهاجَرُه، فاتِّبعوه ولا تُسْتبَقُنَّ[٦] إليه إذا خرج[٧]، يا معشر يهود! فإنه يُبعَث بسَفْك الدماء،

(١) (ب): «شعبة»، و(د): «سعيد»، وكلاهما تصحيف، والصواب ما أثبت، و(أَسيد) بفتح الهمزة. راجع تراجمهم وضبط أسمائهم في: «الاستيعاب»: (١/ ٩٦)، و«أسد الغابة»: (١/ ٨٥)، و«الإصابة»: (١/ ٢٠٦)، و«الروض الأنف»: (٢/ ٢١٦)، و«التلخيص»: (٤/ ٢٠٦).

(٢) عامة المصادر «هذيل»، ولعل الصواب ما أثبت، كما نصَّ عليه في «توضيح المشتبه»: (٩/ ١٤٣)، و«سبل الهدىٰ والرشاد»: (٥/ ٢٣)، وعليه جلّ المصادر، ووقع مصحَّفًا في «سيرة ابن إسحاق»: (٢/ ٦٤)، و«تفسير الطبري»: (٢٠/ ٢٤٦). انظر: «السيرة»: (١/ ٢١٣) لابن هشام.

(٣) (ف): «بسنتين»، ولم تحرر في (ل، د).

(٤) (ب): «واجتمعنا».

(٥) (ط. النيل): «توقع»، خلاف عامة الأصول الخطية.

(٦) (ب، ف، ط. النيل): «ولا تُسبقنَّ».

(٧) «إذا خرج» ليس في (د).

وسَبْي[1] الذراري والنساء ممن يخالفه[2]، فلا يَمْنعنَّكم ذلك منه. ثم مات.

فلما كانت الليلة التي فُتِحتْ فيها قريظة، قال أولئك الثلاثة الفِتية ـ وكانوا شبّانًا أحداثًا ـ: يا معشر يهود! والله إنه الذي ذَكَر لكم ابن الهيَّبان[3]، فقالوا: ما هو به. قالوا: بلىٰ والله إنه لصفته، ثم نزلوا فأسلموا وخلَّوا أموالهم وأولادهم وأهاليهم. قال ابن إسحاق: فلما فُتِح الحصنُ رُدّ ذلك عليهم.

وفي الصحيحين[4] من حديث ابن عباس عن أبي سفيان بن حرب، لما حدثه عن هِرَقل ـ وقد تقدم حديثه في أول الكتاب ـ وذكر فيه أن هِرَقل لما سأله عن صفات رسول الله ﷺ قال: إن يكن ما تقول فيه[5] حقًّا، إنه لنبي[6]، وقد كنتُ أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنّه منكم، ولو أعلم أني أخلُص إليه لأحببتُ لقاءه، ولو كنتُ عنده لغسلت عن قدميه.

وزاد البخاري في حديثه، وقال ابن النَّاطور[7]: وكان هرقل حزَّاء يَنظر في النجوم، فنظر فقال: إن ملك الختان قد ظهر، فمَن يختَتِن من هذه الأمة؟ قالوا[8]: تُختتَن اليهود، فلا يُهِمَّنَّك شأنهم، وابعث إلىٰ من في مملكتك من اليهود فيقتلوهم. ثم وَجد إنسانًا من العرب فقال: انظروا أمختتن هو؟ فنظروا

---

(١) عدا (د، ف): «وبسبي»، وما أثبت موافق للمصادر.

(٢) (د، ط. النيل): «خالفه»، والمثبت كما في المصادر.

(٣) (ف): «التيهان»، تصحيف، والصواب ما أثبت. «الهيَّبان» بفتحات، وتشديد الياء، وأصله صفة، تعني (مُنتَفِش) أو (جبان). «سبل الهدىٰ»: (٤/ ٣٣٥)، (٥/ ٢٣).

(٤) تقدم تخريجه، وشرح غريبه.

(٥) «فيه» سقط من المطبوع.

(٦) عدا (د، ط. النيل): «نبي»، ولفظ الصحيحين: «فإنه نبي».

(٧) (د، ط. النيل): «الناظور»، روايتان. وهو بالعربية: حارس البستان. «فتح الباري»: (١/ ٤٠).

(٨) عدا (ب): «قال»، والمثبت موافق للرواية.

فإذا هو مختتن، وسأله عن العرب، فقال: يختتنون. وقال فيه: وكان بِرُومِية صاحبٌ له كان هرقلُ نظيرَه في العلم، فأرسل إليه، وسار[1] إلىٰ حمص، فلم يَرِم[2] حمص حتىٰ أتاه كتابٌ من صاحبه يوافق رأيَه علىٰ خروج النبي ﷺ، وأنه نبي[3].

وكذلك النجاشي ملك الحبشة، لما هاجر الصحابة إليه، لما آذاهم المشركون وخافوا أن يَفتنوهم عن دينهم، وقرؤوا عليه القرآن، قال: فأخذ عُودًا بين أصبعيه، فقال: ما عدا عيسىٰ ابن مريم ما قُلْت هذا العودَ، فتناخرتْ بطارقتُه، فقال: وإن نَخَرْتم. اذهبوا فأنتم سِيُومٌ بأرضي. يعني أنتم آمنون. وقال هذا؛ لأن قريشًا أرسلوا هدايا إليه وطلبوا منه أن يرد هؤلاء المسلمين وقالوا: هؤلاء فارقوا ديننا وخالفوا دينك[4].

وفي الصحيحين[5]، حديث ورقة بن نوفل الذي ترويه عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي، قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في[6] النوم، فكان لا يرىٰ رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حُبِّب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء فيتحنّث فيه ـ وهو التعبّد ـ الليالي ذوات العدد.

إلىٰ أن قالت: فأتت به خديجةُ ورقةَ بن نوفل، وكان قد تنصّر في الجاهلية،

---

(١) المطبوع: «وصار»، خلاف عامة النسخ ومصدر التخريج.

(٢) (د، ط. النيل) زيادة: «من»، خلافًا لمصدر الرواية. و«لم يرم حمص»: أي لم يبرح من مكانه. «الفتح»: (١/ ٤٢).

(٣) زيد بعده في (ط. النيل): (الحديث رواه أحمد وغيره). ووقع في (ح) خرم هنا مبدؤه، ينتهي عند أول الوجه الثالث.

(٤) تقدم تخريجه، وفي (د) زيادة: «الحديث رواه أحمد وغيره».

(٥) البخاري (٣، ٤٩٥٣)، ومسلم (١٦٠). وعدا (د، ط. النيل): «الصحيح».

(٦) عدا (د، ب): «من»، خلافًا لمصدر التخريج.

وكـان يكتـب الكتـاب العربـي، فيكتـب بالعربيـة مـن الإنجيـل[١] مـا شـاء الله أن يكتب، فقالت: اسمَع من ابن أخيك، فأخبَره رسول الله ﷺ خبرَ مـا رأىٰ، فقـال ورقة: هذا الناموس الذي أَنزل الله علىٰ موسىٰ، ليتني كنت[٢] جـذعًا أنصـرك إذ يخرجك قومك، قال:

أوَمخرجيَّ هم؟ قال ورقـة: نعـم[٣]، لـم يـأتِ أحـدٌ بمثـل مـا جئـتَ بـه إلا عُودي، وإن يُدركْني يومك أنصرْك نصرًا مؤزَّرا. ثم لم ينشب[٤] ورقة أن توفي».

وقال ابن إسحاق: «وقدِم علىٰ رسول الله ﷺ عشـرون رجـلا ــ أو قريـب مـن ذلـك ــ وهـو بمكـة مـن النصـارىٰ حـين ظَهَـر خـبرُه بالحبشـة، فوجـدوه في المجلس فكلّموه وسألوه ورجال من قريش في أنديتهم.

فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله ﷺ عما أرادوا، دعاهم رسـول الله ﷺ إلـىٰ الله ﷻ وتـلا علـيهم القـرآن، فلمـا سـمعوا[٥] فاضـت أعيـنهم مـن الـدمع ثـم استجابوا له وآمنوا به وصدّقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره.

فلما قاموا من عنده= اعترَضَهم أبو جهل في نفر من قريش، فقالوا: خيّبكم الله مِن ركب، بعَثكم مَن وراءكم من أهل دينكم لترتادوا لهـم فتـأتونهم[٦] بخـبر

---

(١) عدا (ل، ب): «وكان يكتب من الإنجيل»، و(د): «وكان يكتب الإنجيل»، والمثبت لفظ البخـاري، وفي لفظ آخر: «وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانيـة...». والتوفيـق بينهمـا: أنه كان جامعًا للغتين.

(٢) «كنت» ليس في (د، ط. النيل)، و(ب): «أكون». ولفظ الصحيح: «يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكـون حيًا إذ يخرجك قومك».

(٣) «ورقة: نعم»، سقط من النسخ عدا (ف).

(٤) لم يتعلق بشيء من الأمور، أي لم يمكث طويلًا.

(٥) (ف): «سمعوه»، والمثبت كما في المصادر.

(٦) كذا عامة النسخ، وتقدم توجيه نظائره، والجـادة: «فتـأتوهم»؛ عطفًـا علـىٰ مـا قبلـه، وفي المصـادر: «ترتادون لهم لتأتوهم».

الرجل= فلم تطمئنّ مجالسُكم عنده حتىٰ فارقتم دينكم وصدّقتموه بما قال لكم؟! ما نعلم ركبًا أحمقَ منكم ـ أو كما قالوا لهم[1] ـ

فقالوا: سلام عليكم لا نُجاهِلكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم.

ويقال: فيهم نزل قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٢، ٥٣]» الآية[2].

وعن محمد بن عمر بن إبراهيم[3] بن محمد بن جُبَير: حدثتني جدّتي أم عثمان بنت سعيد بن محمد بن جُبَير، عن أبيها سعيد بن محمد بن جُبَير بن مُطعم، عن أبيه[4]، قال: سمعتُ أبي جُبَيرًا يقول: لما بعث الله نبيّه وظهر أمرُه بمكة= خرجتُ إلىٰ الشام، فلما كنت ببُصْرىٰ؛ أَتَتْني جماعةٌ من النصارىٰ فقالوا لي: أمِن الحرم أنت؟ قلت: نعم، قالوا: فتعرف[5] هذا الذي تنبّأ فيكم؟ قلت: نعم، قال: فأخذوا بيدي فأدخلوني دَيْرًا لهم فيه تماثيل وصور، فقالوا لي: انظر هل ترىٰ صُورة هذا النبي الذي بُعث فيكم؟ فنظرتُ فلم أَرَ صورته، قلت:

---

(١) «لهم» سقط من (ف).

(٢) «السير»: (٤/ ٢٠٠)، لابن إسحاق، و«سيرة ابن هشام»: (١/ ٣٩١).

(٣) كذا في (ل، ب، ف)، موافقًا لما في «التاريخ الكبير»: (١/ ١٧٩)، و«الثقات لابن حبان»: (٩/ ٦٧)، و«الجرح والتعديل؛ لابن أبي حاتم»: (٨/ ١٩)، وفي (د، ط. النيل) «سعيد»، وعليه عامة مصادر التخريج، والظاهر أنه تصحيف؛ لأنها علىٰ هذا تكون عمته؛ فهي ابنة «سعيد» باتفاق النسخ والمصادر، ولو كان أبوه «عمر بن سعيد»= لكانت عمته، واتفاقهم ثابت علىٰ أنها جدته. فيحتمل أن يكون: «محمد بن عمر بن إبراهيم بن سعيد»، فتكون «أم عثمان بنت سعيد» عمة أبيه، في مقام جدته، أو يكون مصحّفًا لانتقال النظر إلىٰ ما بعده. والله أعلم.

(٤) «عن أبيه» سقط من (ف).

(٥) (ب): «أتعرف».

لا أرىٰ صورته[1]، فأدخلوني دَيرًا أكبرَ من ذلك الدَّير فيه صورٌ أكثر مما في ذلك الدَّير، فقالوا لي: انظر، هل ترىٰ صورته؟ فنظرت، فإذا أنا بصفة رسول الله ﷺ وصورتِه، وإذا أنا بصفة أبي[2] بكر وصورتِه، وهو آخذٌ بِعَقِب رسول الله ﷺ فقالوا لي[3]: هل ترىٰ صفتَه؟ قلت: نعم، قالوا: هو هذا؟ وأشاروا إلىٰ صفة رسول الله ﷺ. قلت: اللهم نعم، أَشهد أنه هو[4]. قالوا: أتعرف هذا الذي أَخذَ بعقِبه؟ قلت: نعم.

قالوا: نَشهد أن هذا[5] صاحبُكم، وأن هذا الخليفةُ مِن بعده. رواه البخاري في تاريخه، وقال فيه: قال الذي أَراه الصور: لم يكن نبيٌّ إلا كان بعده نبيٌّ، إلا هذا النبي. ورواه أبو نُعيم في دلائل النبوة[6].

وروىٰ موسىٰ بن عقبة أن هشام بن العاص، ونُعيم بن عبد الله، ورجلًا آخر، قد سمّاه= بُعِثوا إلىٰ ملك الروم زمن أبي بكر، قال: فدخلنا علىٰ جَبَلَةَ بن الأَيْهم وهو بالغُوطة فذكر الحديث: وأنه انطُلِق بهم إلىٰ الملِك، وأنهم وجدوا عنده شِبْهَ الرَّبْعة[7] العظيمة مُذَهَّبة، وإذا فيها أبوابٌ صغارٌ ففتَح منها[8] بابًا،

---

(١) «قلت لا أرىٰ صورته» سقط من (ب).

(٢) (ف): «أنا بأبي»، والمثبت موافق لما في المصادر.

(٣) عدا (ب) زيادة: «انظر»، تكرار، وليس في مصادر التخريج.

(٤) (ب): «هذا»، خلافًا للمصادر.

(٥) (ف) زيادة: «هو»، وكذا الموضع قبله: «هو آخذٌ بعقبه».

(٦) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير»: (١/ ١٧٩) مختصرًا، والآجُرّي في الشريعة (٩٧١) (٣/ ٨٣)، وأبو نعيم في «الدلائل»: (١/ ٤٩)، والبيهقي في «الدلائل»: (١/ ٣٨٤)، كلهم من طريق محمد بن عمر المذكور، وسنده ضعيف؛ لجهالة آل جبير، ويشهد له ما بعده. وانظر: «جامع الآثار»: (١/ ٢٧٦).

(٧) (ف): «الزبعة» تصحيف. والربعة: إناء مربّع كالجُونة، سميت بذلك؛ لكونها في الأصل ذات أربع طاقات، أو لكونها ذات أربع أرجل. «تاج العروس»: (١١/ ١٤١).

(٨) المطبوع: «فيها». ولم تحرر في (ل).

فاستخرَج منه خِرقةَ حريرٍ سوداءَ، فيها صورةٌ بيضاءُ، وذَكر صفة آدم، ثم فَتَح بابًا آخر، فاستخرج منه حريرة، وفيها صورة نوح، ثم إبراهيم، ثم أَراهم حريرةً فيها صورة محمد ﷺ وقال: هذا آخر الأبواب لكني عجَّلته؛ لأنظر ما عندكم ثم فَتح أبوابًا أُخَر، وأَراهم صُوَر[1] بقيّة الأنبياء؛ موسىٰ، وهارون، وداود، وسليمان، وعيسىٰ ابن مريم ـ عليهم السلام ـ وصفةَ لوط، وصفةَ إسحاق، وذكر أن هذا كان[2] عندهم قديمًا من عهد آدم، وأن دانيال صوَّرَها بأعيانها[3].

وروي مثلُ هذا عن المغيرة بن شعبة، أنه لما دخل علىٰ المقوقس ملك مصر والإسكندرية ملكِ النصارىٰ= أخرج له صُوَر الأنبياء، وأخرج له صورة نبيّنا ﷺ فعَرَفها[4].

والوجه الثالث[5]: نفس إخباره بذلك في القرآن مرّة بعد مرّة، واستشهادُه بأهل الكتاب وإخبارُه بأنه مذكور في كتبهم= مما يدل العاقل علىٰ أنه كان موجودًا في كتبهم، فإنه لا ريب عند كل من عرف حال محمد من مؤمن وكافر، أنه كان مِن[6] أعقل أهل الأرض، فإن المكذّبين له لا يشكّون في أنه كان عنده من الخِبرة والمعرفة والحِذْق، ما أوجب أن يُقيم مثل هذا الأمر العظيم، الذي

---

(١) عدا (د، ل، ب): «صورة».

(٢) «كان» سقط من (د، ل).

(٣) أبو نعيم في «الدلائل»: (١/ ٥٠)، والبيهقي في «الدلائل»: (١/ ٣٨٥)، كلاهما من طريق موسىٰ بن عقبة به. قال ابن ناصر الدين بعد أن أورده في «جامع الآثار»: (١/ ٢٩٥): «حديث هشام حسن غريب، لا أعرفه إلا من الوجه الذي ذكرته»، ثم ساق له طرقًا أخرىٰ بألفاظ متقاربة. وانظر: «سبل الهدىٰ»: (١/ ١٣٥).

(٤) عند أبي نعيم في «الدلائل»: (١/ ٤٥)، وحكاه في «الإصابة»: (٨٦٢٠)، و«جامع الآثار»: (١/ ٢٧١)، ومداره علىٰ الواقدي، وهو متروك. وقد تقدم خبر المغيرة.

(٥) (ب): «والثالث».

(٦) «من» سقط من (ب).

لم يحصل لأحد مثلُه، لا قبله ولا بعده، فعُلِم ضرورة أنه لا يفعله ولا يُخبِر به، وهو مِن أحرص الناس علىٰ تصديقه، وأخبرِهم بالطرق التي يُصدَّق بها، وأبعدِهم عن أن يفعل ما يَعلم أنه يُكذَّب به(١).

فلو لم يَعلم أنه مكتوبٌ عندهم بل عَلِم انتفاءَ ذلك= لامتنع أن يُخبِر بذلك مرّة بعد مرّة، ويَستشهد به ويُظهِر ذلك لموافقيه ومخالفيه، وأوليائه وأعدائه، فإن هذا لا يفعله إلا من هو أقلُّ الناس عقلًا؛ لأن فيه إظهارَ كذِبِه عند مَن آمن به منهم، وعند مَن يَخْبُرونه، وهو ضدُّ مقصوده، وهو بمنزلة من يريد إقامة شهودٍ علىٰ حقِّه فيأتي إلىٰ مَن(٢) يعلم أنه لا يكذب، ويعلم أنه ليس بشاهدٍ ولا حَضَر قضيته، ويقول: هذا يشهد لي، وهذا يشهد لي(٣) فإنهم كانوا حاضرين هذه القضية، فيقول أولئك: لسنا نشهد له(٤)، ولا حضرنا هذه القضية، فهذا لا يفعله عاقل يعلم أنهم لم يكونوا حاضرين، وأنهم يُكذِّبونه، ولا يشهدون له.

الرابع: أن يقال: لَـمَّا قامت الأعلام علىٰ صِدقه، وقد(٥) أَخبر أنه مكتوبٌ في الكتب المتقدمة، وأن الأنبياء بشَّروا به= عُلم أن الأمر كذلك. لكن(٦) هذا لا يُذكر إلا بعد أن يُقام دليلٌ منفصلٌ علىٰ نبوته.

والطريق الأول، هو مِن أَظهر الحجج علىٰ أهل الكتاب، وأَظهر(٧)

(١) (ل): «فيه»، و(ف، ح) جمع بين اللفظين.
(٢) (د، ط. النيل) زيادة: «لا»، سبق قلم.
(٣) «وهذا يشهد لي» سقط من (ف، ح).
(٤) (ف): «لهم».
(٥) (د، المطبوعتان): «فقد».
(٦) «لكن» سقط من (ل، ح).
(٧) (ح): «وإظهار»، ثم ضرب عليها دون تصويب.

الأعلام علىٰ نبوّته.

وقد استخرج غير واحد من العلماء من الكتب الموجودة الآن في أيدي أهل الكتاب من البشارات بنبوته[1] مواضع متعددة، وصنفوا في ذلك مصنّفات[2]، وهذه البشارات في هذه الكتب من جنس البشارات بالمسيح ﷺ.

واليهود مقرُّون[3] باللفظ، لكن يدَّعون أن المبشَّر به ليس هو المسيح عيسىٰ ابن مريم، وإنما هو آخر يُنتظَر[4]، وهم ـ في الحقيقة ـ لا يَنتظرون إلا المسيح الدجال، وينتظرون - أيضا - مجيء المسيح[5] عيسىٰ ابن مريم إذا نزل من السماء، كما بسط في موضع آخر[6] ويحرِّفون[7] دلالة اللفظ، ويقولون: إنها لا تدل علىٰ نبيٍّ منتظر.

كما قالوا في قوله: «**سأقيم لبني إسرائيل من إخوتهم مثلَك يا موسىٰ، أُنزل عليه توراةً[8] مثل توراة موسىٰ، أجعل كلامي عَلىٰ فِيه**».

قال بعضهم: ليس هذا إخبارًا، بل هذا استفهام إنكار، وقدَّروا ألف استفهام، وليس في النص شيءٌ من ذلك.

---

(١) «بنبوته» سقط من (د).

(٢) من أقدمها ـ مما وصلنا ـ كتاب: «الدين والدولة في إثبات نبوة محمد ﷺ» لعلي بن ربن الطبري، (كان حيًّا سنة ٢٤٧هـ)، وكان نصرانيًا فأسلم، ومن ذلك كُتب: «دلائل النبوة» لأبي بكر الفريابي: (ت ٣٠١هـ)، وأبي نعيم الأصبهاني: (ت٤٣٠)، وأبي العباس المستغفري: (ت٤٣٢هـ)، وأبي بكر البيهقي: (ت٤٥٨هـ)، و«تثبيت دلائل النبوة» للقاضي عبد الجبار: (ت٤١٥هـ). و«أعلام النبوة» لأبي الحسن الماوردي (ت٤٥٠هـ)، وغيرها كثير، وانظر ما سيأتي في كلام المصنف: (٤/ ٤٧٩).

(٣) (د، المطبوعتان): «يقرون».

(٤) (ب): «منتظر».

(٥) «المسيح» سقط من (ف).

(٦) ينظر ما تقدم: (١/ ٢٦٤، ٢/ ٣٢٦)، وما سيأتي: (٤/ ٤٣ ـ ٤٦).

(٧) (ب، ح): «أو يحرفون».

(٨) «توراة» سقط من المطبوع.

فاليهود يحرِّفون الدلالات المبشِّرة بالمسيح، وذلك عند المسلمين والنصارىٰ لا يقدح في البشارة بالمسيح، بل تُبيَّن دلالةُ النصوص عليه، وبطلانُ تحريف اليهود.

وكذلك البشارات بمحمد ﷺ في الكتب المتقدمة لا يَقدح فيها تحريفُ أهل الكتاب[1]، اليهود والنصارىٰ، بل تُبيَّن دلالةُ تلك النصوص علىٰ نبوّة محمد ﷺ وبطلانُ تحريف أهل الكتاب.

الوجه الخامس: أن يقال: معلوم أن ظهورَ دين محمد ﷺ في مشارق الأرض ومغاربها، أعظمُ حادث حدث في الأرض؛ فلم يُعرَف قطُّ دينٌ انتشر ودام كانتشاره ودوامه.

فإن شرع موسىٰ، وإن دام فلم ينتشر انتشاره[2]، بل كان غايةُ ظهوره ببعض الشام. وأما شرع المسيح فقَبْل قسطنطين لم يكن له مُلْكٌ، بل كانوا يكونون ببعض بلاد الروم وغيرها، وكانوا مستضعفين بقَتْل[3] أعيانهم أو عامتهم في كثير من الأوقات، ولما انتشر= تَفرَّق أهلُه فِرَقًا متباينةً يكفّر فيها بعضهم بعضا.

ثم إن شرع محمد ﷺ ظهر في مشارق الأرض ومغاربها وفي وسط الأرض المعمورة؛ الإقليم الثالث والرابع والخامس[4]، وظهرتْ أمته علىٰ

(١) «أهل الكتاب» سقط من (ف).

(٢) (د، ف، المطبوعتان) زيادة: «ودوامه»، وكذا كان في (ل) ثم ضرب عليها، وكرر العبارة في (ح) دون هذا اللفظ، ولعله الأليق بالسياق.

(٣) عدا (ف، ط. النيل): «تقتل»، ولم تحرر في (د).

(٤) (د، ط. النيل): «الثاني والثالث والرابع»، وقد سبق التعريف بها في الجزء الأول.

النصارىٰ في أفضل الأرض وأجلِّها عندهم؛ كأرض الشام ومصر والجزيرة وغيرها، ودام شرعُه، فله اليوم أكثرُ من سبعمائة سنة.

ومعلومٌ أن هذا المدَّعي للنبوة، سواءٌ كان صادقًا أو كاذبًا= لا بد أن يخبر به الأنبياء، فإنهم أخبروا بظهور الدجال الكذّاب، تحذيرًا للناس من فتنته، وأنه كذَّاب، يَظهر علىٰ يديه أمورٌ يفتتن بها الناس[1]، مع أن الدجّال مدتُه قليلة.

فلو كان ما يقوله المكذِّب لمحمد[2] حقًّا، وأنه كاذب ليس برسول= لكانت فتنتُه أعظمَ من فتنة الدجال من وجوهٍ كثيرة؛ لأن الذين اتبعوه أضعاف أضعاف من يتبع[3] الدجال. فلو كان كاذبًا لكان الذين افتتنوا[4] به أضعاف[5] أضعاف من يفتتن بالدجال، فكان التحذيرُ منه أولىٰ من التحذير من الدجال؛ إذ ليس في العالم من زمان آدم إلىٰ اليوم كذابٌ ظهر ودام هذا الظهورَ والدوامَ، فكيف تُغْفِل الأنبياءُ التحذيرَ عن مثل هذا لو كان كاذبا[6]؟.

وإذا كان صادقًا: فالبشارة به[7] للإيمان به= أولىٰ ما تبشّر به الأنبياء من المستقبلات وتُخبِر به.

فعُلم أنه لا بد أن يكون في الكتب ذِكرُه، ثم قد وجد مواضع كثيرة في الكتب تزيد علىٰ مائة موضع استدلوا بها علىٰ أنه مذكور[8]، وتواتر عن خلقٍ

---

(١) «من فتنته، وأنه كذاب ...» إلىٰ هنا سقط من (ل، ح، المطبوع).

(٢) (ف، ح): «بمحمد».

(٣) (د): «تبع».

(٤) (ب): «الذي يفتتن».

(٥) «أضعاف أضعاف من يتبع» سقط من (ح)، لانتقال النظر.

(٦) (ب): «كذابًا».

(٧) «به» من (د).

(٨) ينظر علىٰ سبيل المثال: «الأجوبة الفاخرة» للقرافي: (ص/ ١٦٢) وما بعدها، و«إظهار الحق»: =

كثيرٍ من أهل الكتاب أنه موجود في كتبهم، وتواتر عن كثيرٍ ممن أسلم أنه كان سببُ إسلامهم[(١)] - أو من أعظم سبب إسلامهم= علمَهم بذِكره في الكتب المتقدمة، إما بأنه وُجد ذِكره في الكتب، كحال كثيرٍ ممن أسلم قديمًا وحديثًا، وإما بما[(٢)] ثبت عندهم من أخبار أهل الكتاب، كالأنصار؛ فإنه كان[(٣)] مِن أعظم أسباب إسلامهم ما كانوا يسمعونه من جيرانهم أهل الكتاب مِن ذِكْره ونَعْته[(٤)]، وانتظارِهم إيّاه، وأن مِن خيارهم[(٥)] مَن لم[(٦)] يسكُنْ أرضَ يثرب مع شدَّتها ويدَعْ أرض الشام مع رخائها؛ إلا لانتظاره لهذا[(٧)] النبيِّ العربي الذي[(٨)] يُبعَث من ولد إسماعيل.

ولم يُمكِن أحدًا قطّ أن يَنقل عن شيء من الكتب أنه وَجد فيها ذكرَه بالذم والتكذيب والتحذير، كما يوجد ذِكر الدجال.

وعند أهل الكتاب مِن ذِكر أصحابه؛ كعمر بن الخطاب وغيرِه، وعدلهم وسيرتِهم، عن المسيح وغيره= ما هو معروف عندهم. فإذا كان[(٩)] الذين

= (٤/ ١١١٦ ـ ١١٩٨)، وأيضًا: «محمد رسول الله هكذا بشرت الأناجيل» لبشرىٰ ميخائيل زخاري، و«مباحث بريئة في الإنجيل» لمصطفىٰ الرفاعي، و«بشارات الأنبياء بمحمد ﷺ» لعبد الوهاب طويلة.

(١) (ف): «إسلامه»، وكذا الموضع بعده.

(٢) (ل): «من»، و(ف، ح): «وما ثبت».

(٣) «كان» سقط من (ف).

(٤) (ف، ح): «وبعثه».

(٥) (ف): «أحبارهم».

(٦) كذا في (د، ل، ف)، و(ح) ضرب علىٰ (لم)، وزيد بعده في (ب، والمطبوع): «لم يوجب له أن».

(٧) (د، ب): «لانتظارِ لهذا».

(٨) (ب): «والذي».

(٩) (د): «كانوا».

استخرَجوا ذِكرَه من كتب أهل الكتاب والذين سمِعوا خبرَه[1] من علماء أهل الكتاب إنما يذكرون نعتَه فيها بالمدح والثناء= عُلِم بذلك أن الأنبياء المتقدمين ذكروه بالمدح والثناء، ولم يذكروه بذمٍّ ولا عيب.

وكلُّ من ادّعىٰ النبوّة ومدَحه الأنبياء وأثنوا عليه= لم يكن إلا صادقًا في دعوىٰ النبوة؛ إذ[2] يَمتنع أن الأنبياء يُثْنون علىٰ من يَكذِب في دعوىٰ النبوة: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وهذا مما يبيّن أنه لا بدّ أن يكون الأنبياء ذكروه وأخبروا به، وأنهم[3] لم يذكروه إلا بالثناء والمدح لا بالذم والعيب، وذلك ـ مع دعوىٰ النبوة ـ لا يكون إلا إذا كان صادقًا في دعوىٰ النبوّة، فتبيّن أنهم بشّروا بنبوّته، وهو المطلوب.

يُبيّن ذلك: أن الأنبياء أخبروا أهلَ الكتاب بما سيكون منهم من الأحداث، وما يسلَّط عليهم من الملوك الذين يقتلونهم ويخرّبون بلادهم ويَسبُونهم كبُخْت نصَّر وسَنْحاريب[4]، ولكن هؤلاء الملوك لم يدّعوا أنهم أنبياء، ولم يَدْعُوا إلىٰ دين، فلم تحتج[5] الأنبياءُ إلىٰ التحذير من اتِّباعهم، وقد حذَّروا من اتّباع من يدَّعي النبوة وهو كاذب.

---

(١) (ب): «أخباره».

(٢) «إذ» سقط من (د، ب)، وفي (ح): «أن».

(٣) (د، ل، ط. النيل): «وأنه».

(٤) عدا (ب): «سنجاريب»، والمثبت أقرب للترجمة، وعليه جُلّ المصادر، وهو: (Sennacherib) ملك أشوري، ملك بعد أبيه سرجون الثاني عاش ما بين: (٧٠٥ ق.م ـ ٦٨١ ق.م)، جعل من (نينوىٰ) عاصمة لمملكته، وحارب بابل وسورية وفلسطين، واحتلّ يهوذا وحاصر القدس، مات مقتولًا، وله ذِكر في سفر الملوك، وأخبار الأيام، وأشعيا، وغيرها. ينظر: «البداية والنهاية»: (٢/ ٣٥٧ـ ٣٥٩)، و«الموسوعة الكونية»: (١٣/ ٦٤٦)، و«قاموس الكتاب المقدس»: (ص/ ٤٨٧).

(٥) (ف): «دين تحتاج».

ومحمد ﷺ قد قهر أهلَ الكتاب، وقَتل(١) مَن قَتل وسبىٰ من سبىٰ، وأخرجهم من ديارهم فلا بدَّ أن يذكروه ويذكروا الأحداث التي تجري عليهم في أيامه. وإذا كان كاذبًا مدَّعيًا للنبوة؛ فلا بدَّ أن يحذِّروهم(٢) من اتّباعه، ومعلومٌ أن عامة أهل الكتاب ومَن نَقل عنهم إما أن يقول: ليس موجودًا في كتبنا، أو يقول: إنه موجودٌ بالمدح والثناء، لا يُمكن أحدًا أن ينقل عن الكتب المتقدمة أنه موجود فيها بالذم والتحذير. ولو كان(٣) مذكورًا عندهم بالذم والتحذير؛ لكان هذا(٤) مِن أعظم ما يحتجّون به عليه(٥) في حياته، وعلىٰ أمّته بعد مماته، ويَحتجُّ به من لم يُسلِم منهم علىٰ من أسلم.

فإنه معلوم أن كثيرًا من أهل الكتاب كان عندهم من البغض له والعداوة وتكذيبه، والحرص علىٰ إبطال أمره= ما أوجب أن يَفْتَروا أشياء لم توجد، وينسبوا إليه أشياء يَعرِف كذبَها كلُّ مَن عَرف أمرَه، حتىٰ آل الأمر ببعضهم إلىٰ أن فسّروا قول المسلمين: «الله أكبر» بأن « أكبر» صنم، وأن النبيَّ أمرهم بتعظيم هذا الصنم.

وقال بعضهم فيه: إنه أوجب الزنا علىٰ المرأة المطلّقة ثلاثًا؛ عقوبةً لزوجها بأنه لا ينكحها حتىٰ يزني بها غيره.

وقال بعضهم: إنه تعلم من «بُحَيْرىٰ الراهب» مع عِلم كلّ مّن عرف سيرته أنه لم يجتمع «ببحيرىٰ» وحده، ولم يَرَه إلا بعض نهارٍ مع(٦) أصحابه، لما مَرُّوا

---

(١) (ب، ف، ح) زيادة: «منهم»، و(د، ط. النيل) أخَّر جملة القتل عن السبي.

(٢) عدا (د، ف): «يحذّرهم»، وضمير الفاعل للأنبياء، والمفعول لأتْباعهم.

(٣) «لو كان» سقط من (ح)، وذكر في هامش (ف) احتمالا.

(٤) «هذا» سقط من (ح، وط. النيل). وزيد قبله في المطبوع «من».

(٥) «عليه» ليس في (ف)، و(ب): «عليهم».

(٦) (د، ط. النيل): «ومع».

به لـمَّا قدموا الشام في تجارة، وأن «بحيرىٰ» سألهم عنه، ولم يكلِّمه إلا كلمات يستخبره فيها عن حاله لم يخبره بشيء[1].

ومع طعن بعض[2] أهل الكتاب فيه بأنه بُعِث بالسيف، حتىٰ قد يقولوا[3]: إنما قام[4] دينُه بالسيف، وحتىٰ يوهموا الناس أن الذين اتّبعوه إنما اتّبعوه[5] خوفًا من السيف، وحتىٰ يقولوا: إن الخطيب إنما يتوكّأ علىٰ سيفٍ يوم الجمعة؛ إشارة إلىٰ أنه إنما يقوم[6] الدّين بالسيف، إلىٰ أمثال هذه الأمور ـ التي هي مِن أظهر الأمور كذبًا عليه - يَعرِف أدنىٰ الناس معرفةً بحالِه أنها كذب، وهم ـ مع هذا ـ يَتشبَّثُون[7] بها.

فلو كان عندهم أخبارٌ عن الأنبياء تُوجِب ذمّه[8] والتحذيرَ من متابعته= لكان إظهارُهم لذلك واحتجاجُهم به أقوىٰ وأبلغ[9]، وكان ذلك مما يجب في العادة اشتهارُه بين خاصّتهم وعامّتهم، قديمًا وحديثًا، وكان ظهورُ ذلك فيهم[10] أولىٰ من ظهور خبر الدجال فيهم وفي المسلمين؛ فإن هذا الأمر من أعظم ما تتوفّر الهمم والدواعي علىٰ نقله واشتهاره.

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام»: (١/ ١٨٠)، و«الروض الأنف»: (٢/ ١٤٠).
(٢) «بعض» ليس في (ب).
(٣) كذا كافّة النسخ، والجادّة: «يقولون»، وقد تقدم توجيه نظائره..
(٤) (ب): «أقام».
(٥) «إنما اتبعوه» سقط من (ح).
(٦) (د، ب، ف): «يقيم».
(٧) (ف): «يسبونه».
(٨) (د، ط. النيل) زيادة: «وتكذيبه».
(٩) (ب): «واحتجاجهم أبلغ وأقوىٰ».
(١٠) (ح): «منهم».

فإذا لم يكن كذلك= عُلم أنه ليس في كتب الأنبياء ما يوجِب تكذيبه، وقد قام الدليل علىٰ أنه لا بدّ مِن أن تَذْكره الأنبياء وتُخبِر[1] بحاله، فإذا لم يُخبِروا أنه كاذب= عُلم أنهم أخبروا أنه نبيٌّ صادق، كما قد[2] شاع ذلك وظهر واستفاض من وجوه كثيرة.

فالكتاب الذي بُعِث به مملوءٌ بشهادة[3] الكتب له، والكتبُ الموجودة فيها مواضع كثيرة شاهدة له من وجوه متعدّدة، والأخبار متواترة عمن اطلع علىٰ ما فيها بذلك[4]، والأخبار متواتِرة عمن أسلم لأجل ذلك، وهذا مما يوجِب القطعَ بأنه مذكور فيها بما يدل علىٰ صدقه في دعوىٰ النبوة، وليس فيها ما يخبِر بكذبه[5] والتحذير منه وهذا هو المطلوب.

وفي **الجملة** أمره أظهر وأشهر وأعجب وأبهر وأخرق للعادة من كل أمر ظهر في العالم من البشر. ومثل هذا إذا كان كاذبًا، فلِكذبه لوازمُ كثيرةٌ جدًّا تفوق الحصر، متقدّمة ومقارنة ومتأخرة. فإن مَن هو أدنىٰ دعوةً منه إذا كان كاذبًا= لزِم كذِبَه من اللوازم ما يُبيّن كذِبَه، فكيف مثلُ هذا؟! فإذا[6] انتفتْ لوازمُ الكَذِب[7] انتفىٰ الملزوم.

---

(١) (ف): «يذكره الأنبياء ويخبروا».

(٢) «قد» من (ف).

(٣) (د، ط. النيل) زيادة: «أهل».

(٤) «والأخبار متواترة عمن اطلع علىٰ ما فيها بذلك» سقط من (ل، والمطبوع) لانتقال النظر.

(٥) (ح): «تكذيبه».

(٦) «إذا» سقط من (ف، ح).

(٧) (د، ح، ط. النيل): «المكذَّب»، و(ل، ح): «المكذوب».

وصدقه لازمٌ لأمور كثيرةٍ، كلُّها تدل علىٰ صدقه، وثبوتُ الملزوم يقتضي ثبوتَ اللازم ماضِيه ومقارِنه ومتأخِّره. ومدّعي النبوة لا يخلو من الصّدق أو الكذب، وكلٌّ من الصدق والكذب له لوازمُ وملزوماتٌ، فأدلة الصِّدق مستلزِمةٌ له، وأدلة الكذب مستلزِمةٌ له، والصدق له لوازم والكذب له لوازم، فصدقه يعرف بنوعين: بثبوت[1] دلائل الصدق المستلزِمة لصدقه، وبانتفاء لوازم الكذب الموجِب انتفاؤها انتفاءَ كذبه.

كما أن كذب الكذَّاب[2] يُعرَف بأدلةِ كذبه المستلزِمة لكذبه، وبانتفاء[3] لوازم الصدق المستلزِم[4] انتفاؤها لانتفاء صدقه، والله أعلم.

والشيءُ يعرَف تارة بما يدلّ علىٰ ثبوته، وتارة بما يدلّ علىٰ انتفاء نقيضه، وهو[5] الذي يُسمىٰ قياس الخُلْف، فإن الشيء إذا انحصر في شيئين= لزم من ثبوت أحدهما انتفاءُ الآخر، ومن انتفاء أحدهما ثبوتُ الآخر.

ومدّعي النبوة إما صادق وإما كاذب، وكلٌّ منهما له لوازم يدل انتفاؤها علىٰ انتفائه، وله ملزومات يدل ثبوتها علىٰ ثبوته. فدليل الشيء مستلزِم له كأعلام النبوة ودلائلها، وآيات[6] الربوبية وأدلة الأحكام الشرعية[7] وغير ذلك،

---

(١) (ف، ح): «ثبوت».

(٢) (ف): «الكاذب».

(٣) (ف): «وانتفاء».

(٤) (د، ل، ف، ح): «المستلزمة».

(٥) (ف): «وهذا».

(٦) (ل): «أو آيات».

(٧) «الشرعية» سقط من (ل، والمطبوع).

وانتفاء الشيء يُعلَم بما يَستلزِم نفيَه، كانتفاء لوازمه؛ مثلَ صِدْق الكاذب[1]، يقال: لو كان صادقًا لكان متَّصفًا[2] بما يتَّصف به الصادقون.

وكذلك كذِب الصادق، يقال: لو كان كذَّابًا لكان متَّصفًا بما يتَّصف به الكذَّاب[3]، فإنه قد عُرِف حالُ الأنبياء الصادقين، والمتنبِّئين[4] الكذابين، فانتفاءُ لوازم الكذب دليلُ صدقه، كما أن ثبوت ما يَستلزِم الصدق دليلُ صدقه، وكذلك الكذّاب يُستدلُّ علىٰ كَذِبه بما يَستلزم كَذِبه وبانتفاء لوازم صدقه، وهكذا سائر الأمور.

---

(١) (ح): الكذب، و(د، ب، ط. النيل): الكذاب، و(ل) زيادة: «أصلًا».

(٢) (ف): «لاتصف».

(٣) (ف): «الكاذب».

(٤) (ف): «والمنتسبين».

فهرس موضوعات المجلد الثالث

الموضوع	الصفحة
*** (فصلٌ): في بيان اضطراب النصارىٰ في طبيعة المسيح**	٥
– إبطال قول النصارىٰ: (في السيد المسيح طبيعتان: طبيعةٌ لاهوتيّة، وطبيعةٌ ناسوتيّة) وبيان اختلافهم في ذلك	٥
– ما نقله كثيرٌ من نُظّار المسلمين عن النصارىٰ يوجد كثير منهم علىٰ خلافه	٦
*** نُقولُ أبي المعالي وصاحبه أبي القاسم الأنصاري عن النصارىٰ في طبيعة المسيح**	٦
– اختلافهم في الأقانيم	٧
– اختلافهم في معنىٰ الاتحاد	٧
– اختلافهم في الفرق بين الجوهر والأقانيم	٨
*** نُقولُ أبي الحسن ابن الزاغوني عن النصارىٰ في طبيعة المسيح**	٩
– اختلافهم في الأقانيم	١٠
– اختلافهم في الكلمة الملقاة علىٰ مريم	١١
– اختلافهم في الاتحاد	١٢
– كلام أبي محمد ابن حزم في بيان تفرّق النصارىٰ واختلافهم في المسيح	١٣
– أصحاب «أريوس»	١٤
– أصحاب مقدنيوس	١٤
– البربرانيّة	١٥
– قوله: وهذه الفرق قد بادت، وعمدتهم اليوم ثلاث فرق:	١٥
– المَلَكانيَّة	١٥
– النسطورية	١٦
– اليعقوبية	١٦
*** رسالة الحسن بن أيوب إلىٰ أخيه عليّ، وهو ممن أسلم علىٰ بصيرة بعد**	١٧

الخبرة بكتبهم ومقالاتهم
- **مقارنته بين مذاهب النصارىٰ ومقالاتهم في المسيح عليه السلام** ٢٠
- مذهب «الأريوسية» الموحّدين والمعترفين بعبودية المسيح ٢٠
- مذهب «اليعقوبية» القائلين بأن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين ٢١
- مذهب «المَلكانيَّة» القائلين بأن المسيح شخص واحد له طبيعتان، ولكل منهما مشيئة ٢١
- مذهب «النسطورية» القائلين بأن المسيح شخصان وطبيعتان لهما مشيئة واحدة ٢٣
- ردُّ الحسن بن أيوب علىٰ اليعقوبية ٢٣
- ردُّه علىٰ المَلكانيَّة ٢٤
- تعليق من المصنف علىٰ كلام الحسن بن أيوب في ردّه علىٰ المَلكانيَّة ٢٥
- ردُّ الحسن بن أيوب علىٰ «النسطورية»، وأن معنىٰ قولهم يعود إلىٰ قول اليعقوبية ٢٥
- ردُّه علىٰ قول النصارىٰ: «إن مريم ولدت المسيح بناسوته» ٢٦
- **نصّ «قانون الإيمان النّيقي» عند النصارىٰ، كما أورده الحسن بن أيوب** ٢٧
- **نقد الحسن بن أيوب لقانون شريعة النصارىٰ:** ٢٨
- أوجهٌ أربعةٌ نستدل بها علىٰ صحة الشريعة من سقمها ٣١
- الوصف بالبنوة وقع في الكتاب المقدس ـ عندهم ـ لغير المسيح ٣٣
- وجهٌ من مخالفة النصارىٰ لما جاء في الإنجيل ٣٥
- نقْدُه عقيد الاتّحاد، واستدلاله بنصوص الكتاب المقدس ـ عندهم ـ ٣٨
- نقده عقيدة البنوّة . ٤٠
- بيان مخالفة «النسطورية» لقانون الإيمان، وتكفيرهم سائر الفرق من المَلكانيَّة واليعقوبية ٤١
- الأدلة من الإنجيل علىٰ خلق المسيح وعبوديته ٤٨
- الجواب عن استدلالهم بإحيائه الموتىٰ وإبرائه الأكمه والأبرص وغير ٤٩

ذلك علىٰ ألوهيته .
- تعليق المصنف علىٰ ما يورده الحسن بن أيوب من نصوص الكتاب المقدس ـ عندهم ـ وأن عامة ما يذكره تعترف به النصارىٰ، وربما نازعه بعضهم في يسير من الألفاظ ٥٥
- رجوع إلىٰ كلام الحسن بن أيوب في الاستدلال بنصوص الإنجيل علىٰ بطلان ألوهية المسيح ٥٥
- تشبيه المسيح بالكاهن «ملكيز داق» دليل علىٰ أنه عبدٌ مخلوق . ٥٩
- الشبهات حول بنوّة المسيح والرد عليها ٦٣
- الرد علىٰ زعمهم أن المسيح لا يتّجه إلىٰ الله عند ظهور المعجزات علىٰ يديه، بخلاف من قبله من سائر الأنبياء ٦٤
- إبطال ما تعلّقوا به في إثبات ألوهية المسيح بما جاء من غفرانه ذنوب بعض أصحابه، والغفران لا يكون إلا من الله ٦٥
- إبطال الاستدلال علىٰ ألوهية المسيح بتسميته ربًّا في بعض النصوص ٦٦
- الرد علىٰ استدلالهم بقول المسيح في الإنجيل: «أنا وأبي واحد» علىٰ إثبات ألوهيته ٦٧
- الرد علىٰ استدلالهم بقوله: «أنا قبل إبراهيم» علىٰ إثبات ألوهيته ٦٧
- إبطال تعلقهم في ألوهية المسيح بأن تلاميذ المسيح كانوا يعملون الآيات باسمه ٦٩
- **الاستدلال علىٰ عبودية المسيح بقوله عن يوم القيامة: «إن ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعرفه أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن أيضًا، ولكن الأب وحده يعرفه» .** ٧٠
- تشبيه المصنف قول النصارىٰ بأقوال الملاحدة المتبعين لفلاسفة اليونان، من فتح باب الإلحاد في كتب الله المنزلة، بحمل الألفاظ النبوية الشرعية علىٰ المعاني التي أرادوها . ٧٢
- مناقشة الملاحدة في تقسيم الإحداث إلىٰ: ذاتي وزماني، وصرفهم معنىٰ ٧٣

الخلق إلىٰ الإحداث الذاتي
- أمثلة علىٰ تحريف الملاحدة نصوص الكتب الإلهية المنزّلة . ٧٥
- أمثلة علىٰ تحريف النصارىٰ نصوص الكتب الإلهية المنزّلة والردّ عليهم ٧٦
- العقول العشرة والنفوس الفلكية عند الفلاسفة ٧٧
- تنزيه الكتب الإلهية الربَّ سبحانه عن الأفعال المذمومة، كما نزّهته عن صفات النقص ٧٨
- تقرير التوحيد وسد ذرائع الشرك، وأصول المحرمات المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ...﴾ [الأعراف: ٣٣] كله مما اتفقت عليه شرائع الأنبياء، بخلاف تحريم الطيبات عقوبةً ٨١
*** (فصلٌ): رجوعٌ إلىٰ كلام الحسن بن أيوب، ودليلٌ آخر من كلام المسيح يبطل دعوىٰ ألوهيته، وذلك قوله: «ليس الخيِّرُ إلا الله وحدَه»** ٨٣
- مناقشة النصارىٰ في عقيدة الأقانيم ونقدها ٨٤
*** نصوص النصارىٰ الدالة علىٰ بشريّة المسيح؛ منها:** ٨٨
- قول المسيح: «طوبىٰ لك يا سمعان ابن يونان، إنه لم يطلعك علىٰ هذا لحم ولا دم، ولكن أبي الذي في السماء» ٨٩
- وقوله: «إن الله إلهي وإلهكم وأبي وأبوكم» ٩٠
- وقوله: «إن ذلك شيء لا يعلمه أحدٌ من الخلق، ولا الملائكة المقرّبون، ولا الابن ـ يعني نفسه ـ، إلا الله وحده» ٩١
- وقوله للمرأة التي جاءته فقالت: أنت ذلك النبيُّ الذي كُنَّا ننتظر مجيئه؟: قال: «صدقتِ، طوبىٰ لكِ» . ٩١
- وقوله: «أُمِرْنا ألّا نسجد إلا لله وحده، ولا نعبد سواه» . ٩١
- وقوله عن نفسه: «هو يسوع الناصريُّ النبيُّ الذي من الناصرة» ٩٢
- وقوله: «اخرجوا بنا من هذه المدينة، فإن النبيَّ لا يُبَجَّل في مدينته» ٩٢
- وقوله: «لا يُهان نبي إلا في مدينته وفي بيته وأقاربه» ٩٢
- وقوله: «وإن هاهنا أفضل من يونس» ٩٢

- وقول داود في نبوته عليه: «من هذا الرجل الذي ذكرتَه وجعلتَه دون الملائكة قليلًا» ٩٢
- وقصته مع «شمعون الصفا» ٩٣
- وقصته مع الذي شكا له خبر ابنته وما ينالها من الشيطان . ٩٣
- ومنها: ما جاء في الإنجيل أن رؤساء الكهنة كانوا يُنزلونه منزلة النبي . ٩٤
- وقوله: «ليس إلىٰ ذلك سبيل، لأنه ليس لي أن أعطيَه، ولكن مَن وعَدَ له أبي» ٩٤
- وقوله لتلاميذه: «فإني أعدكم كما وعدني أبي الملكوت لتأكلوا وتشربوا معي علىٰ مائدتي في ملكوتي» . ٩٥
- وقوله لشمعون: «أم تظن أني لستُ قادرًا أن أطلب إلىٰ أبي فيقيم لي اثني عشر جندًا ملائكة أو أكثر» . ٩٦
- وإقرار النصارىٰ بأن المسيح مولود من أبيه، وكل مولود مفعولٌ مخلوقٌ؛ إذن فالمسيح مخلوق ٩٦
- ومنها: ما افتتح به «متَّىٰ» إنجيله بقوله: «كتاب مولد يسوع المسيح ابن داود بن إبراهيم» ٩٧
- وقول جبريل لمريم: «إنه ابن داود» ٩٨
- ومنها: ما ذكر في شريعة الإيمان عندهم أن يسوع المسيح: «بِكْر الخلائق» ٩٨
- وقول داود: «من أجل هذا البر مسحك الله إلهك، أكثر مما مسح به نظراءك» ٩٩
- في «الإنجيل» و«كتب بولس» نحوٌ من عشرين ألف آية كلها تنطق بعبودية المسيح . ١٠٠
*** توجيه النصوص المشكلة التي استدل بها النصارىٰ علىٰ ألوهية المسيح، منها:** ١٠٠
- قول المسيح: «أنا بأبي» . ١٠١

- وقوله متضرّعًا إلىٰ الله في تلاميذه: «يا أيها الربُّ القدُّوس احفظهم باسمك الذي أعطيتني؛ ليكونوا هم أيضًا شيئًا واحدًا، كما أنا شيءٌ واحدٌ» ١٠١
- وقوله: «إني قد منحتُهم من المجد الذي أعطيتَني ومنحتَني؛ ليكونوا أيضًا شيئًا واحدًا، كما أنا شيءٌ واحدٌ، فأنا بهم وأنت بي» ١٠١

*** خاتمة رسالة الحسن بن أيوب، في بيان اختلاف النصارىٰ في أصل دينهم، واتفاق المسلمين في أصل الدين، وإن اختلفوا في بعض فروعه** ١٠٣

*** نقْلٌ مطوَّل عن كتاب: «نظم الجوهر» لمؤرّخ النصارىٰ: ابن البطريق، وسَرْد ما ذكره من تاريخ النصرانية، وأخبار النصارىٰ واختلاف طوائفهم، وما أورده انتصارًا لقول «المَلَكِيَّة»** ١٠٦

- ذكره مولدَ المسيح وأنه ولد في عهد ملك الروم «أغسطس» لثنتين وأربعين سنة من ملكه. ١٠٧
- **ظهور «يحيىٰ بن زكريا» في خمس عشرة سنة من ملك «طيباريوس بن أغسطس» وتعميده اليهود** ١٠٨
- عزْم «طيباريوس» علىٰ الدخول في النصرانية بعد دعوة «بلاطس البنطي» له، ثم نكوصه عن ذلك؛ موافقة لأتباعه ١٠٨
- في عصر «طيباريوس» بُنيتْ مدينة: «طبرية»، مشتقة من اسمه. ١٠٨
- ما وجده تلاميذ المسيح بعد موت «طيباريوس» من اليهود والروم من تعذيب وشدّة ١٠٩
- كتابة «متىٰ» إنجيله بالعبرانية في «بيت المقدس»، وتفسير «يوحنّا» له من العبرانية إلىٰ الرومية ١٠٩
- دعوة «مرقس» إلىٰ النصرانية في الإسكندرية، وترسيمه «حنانيا» الإسكافي بطريركًا عليها، ووضعه طريقة تنصيب «البطريرك» من بعده، ثم خروجه بعدها إلىٰ «برقة» ١٠٩
- تولّي «نارون بن قلوديوس» الملك، وما أهاجه علىٰ النصارىٰ من شر وبلاء ١١١

- كتابة «بِطْرُس» إنجيل «مرقس» عنه، وكذا كتابة «لوقا» إنجيله بالرومية في عصر: «نارون» . ١١١
- قتل «نارون» لبِطْرُس ومرقس، وصلْبه الأول منكّسًا، وإحراقه الثاني بالنار ١١٢
- تخريب «طيطس» بيت المقدس، بعد المسيح بسبعين سنة، وقتل من كان فيها من النساء والأطفال ١١٣
- تولي «ذوماطيانوس» الملك، وشدّته علىٰ اليهود والنصارىٰ، وهروب «يوحنّا» إلىٰ «افسس»، ثم عفوه عنهم بعد ذلك ١١٣
- تولّي «طرايانوس» الملك، وإثارته البلاء والحزن علىٰ النصارىٰ ١١٤
- كتابة «يوحنّا» إنجيله بالرّومية في جزيرة يقال لها: «تيمرا» في عصر «طرايانوس» ١١٥
- تولّي «اندريانوس» الحكم، وما لقيه أهل مصر وبيت المقدس من بلائه ١١٦
- خراب بيت المقدس، وهروب اليهود إلىٰ مصر والشام وإلىٰ الجبال والغور ١١٧
- تولّي «مرقس اوريليوس» الملك، وما أثاره علىٰ النصارىٰ من بلاء وجوعٍ ووباء ١١٨
* (فصلٌ): في حساب فِصْح النصارىٰ وصومهم، وكيف يستخرج من فِصح اليهود ١٢٠
- تقلّد «قمودوس» المُلك برومية، الذي كان في عصره: «جالينوس» و«ديمقراطيس» الحكيمان ١٢١
- تولّي «سويرس قيصر»، وما أهاجه علىٰ النصارىٰ من بلاء وعذاب ١٢٣
- تولّي «غرديانوس» المُلك، وظهور «ماني» في عصره مدّعيًا النبوة، ومبتدعًا دين المانيّة ١٢٤
- تولّي «داقنوس» الملك، وما جرّه علىٰ النصارىٰ من بلاء وعذاب شديد ١٢٥
- قصة هروب الغلمان السبعة إلىٰ الكهف؛ خوفًا من «داقنوس»، وبنائه الباب عليهم ليموتوا ١٢٦

- ظهور «بولس الشِّمْشاطي»، وبيان مقالته في التوحيد وبشريّة عيسىٰ ١٢٨
- مجمع «أنطاكية» المنعقد سنة (٢٦٨م)، والذي أوجبوا فيه لعن «بولس» ومن يقول بمقالته ١٢٨
- بناء «نارون» البطرك كنيستَي: «حنّا» و«مار مريم» في الإسكندرية في عهد «أوراغوس» ١٢٩
- تولّي «قاروس» مُلك الإمبراطورية الرومانية، وشدته علىٰ النصارىٰ، وقتله «قزمان» و«دميان» ١٣٠
- تولّي «دقيطانيوس» وما جرّه علىٰ النصارىٰ من بلاء وفتنة، وقتله: «ماري جرجس»، و«ماري مينا»، و«ماري بقطر»، وغيرهم ١٣٠
- تصيير «بِطْرُس» الملقب بخاتم الشهداء بطركًا علىٰ الإسكندرية، وقتله بعد ذلك ١٣١
- ظهور «أريوس» بالإسكندرية، ودعوته إلىٰ التوحيد والقول ببشرية المسيح ١٣٢
- تحذير «بِطْرُس» تلميذيه: «أشلا» و«الاكصندروس» من مقالة «أريوس» ١٣٢
- تولّي «غلاريوس» و«مكسنتيوس» وما أثاراه علىٰ النصارىٰ من بلاء لم يفعله أحد من الملوك قبلهم ١٣٣
- تولّي «قسطس أبو قسطنطين» علىٰ «بزنطية» وما والاها، وتقديمه النصارىٰ، وحبّه لهم ١٣٣
- زواج «قسطس» من «هيلانة»، وولادتها «قسطنطين» ١٣٤
- هروب «قسطنطين» من «غلاريوس» إلىٰ «بزنطية»، وموت أبيه بعد أن سلّمه الملك ١٣٥
- محاربة «قسطنطين» لمكسنتيوس، بعد استغاثة أهل «رومية» به، وانتصاره عليهم. ١٣٦
- تهيّؤ «غلاريوس» لقتال «قسطنطين»، وهلاكه بعد أن انهزم من بين يديه، ثم كيف صبّ الله عليه عذابًا مات به ١٣٧

- دخول «قسطنطين» في النصرانية، بعد أن مَلَكَ الدنيا في هدوء وسلامة ١٣٨
- اعتلاء «الأكصندروس» كنيسة الإسكندرية، ولعنه «أريوس» ومنعه من دخول الكنيسة ١٣٩
- عيد «ميكائيل الملاك» وكنيسته في الإسكندرية ١٣٩
- استعداء «أريوس» علىٰ «الاكصندروس» عند «قسطنطين» ومناظرته له بين يديه، السببَ الذي أدّىٰ إلىٰ عقد مجمع «نيقية» ١٤١
*** مجمع «نيقية» المنعقد سنة (٣٢٥م)، في سبع عشرة سنة من ملك «قسطنطين»، بحضور ألفين وثمانية وأربعين أسقفًا من مختلف الآراء والمذاهب** ١٤٢
- اتفاق ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا علىٰ رأي واحد، وظهورهم علىٰ باقي الأساقفة، وتمكين الملك لهم برئاسة «الاكصندروس» بطريرك الإسكندرية، بعد لعنهم مقالة «أريوس»، ونفيهم له ١٤٤
- التغيير في «عيد الفصح» عند النصارىٰ وتمييزه عن فِصح اليهود . ١٤٥
- قول ابن البطريق: «وسنّ قسطنطين الملك ثلاث سنن» ١٤٥
- قصة طلب «قسطنطين» وأمه «هيلانة» موضع المقبرة والصليب، وبناء الكنائس ١٤٦
- مجمع «بيت المقدس»، ومناصرة «مانيوس» لـ «أريوس»، ومناظرته بَطْرَك الإسكندرية ١٤٨
*** (فصل): أمْر «قسطنطين» بألا يسكن بيتَ المقدس يهوديٌّ، وبقتْل من لم يتنصّر، وامتحان اليهود في تنصّرهم بأكل لحم الخنزير؛ لعلمه بتحريمه عليهم في التوراة** ١٥١
- جواب «بولس البترك» عن استشكال «قسطنطين» أن يكون لحم الخنزير محرّمًا في التوراة ثم يأكله النصارىٰ . ١٥١
- أبناء «قسطنطين» الثلاثة، ومحاولة «أريوس» وأصحابه إقناع الملك بعقيدة التوحيد ١٥٣

- ادّعاء النصارىٰ ظهور الصليب علىٰ «الأقرانيون» في ذلك العصر، وغلبة مقالة أريوس فيه علىٰ القسطنطينية، وأنطاكية، وبابل، والإسكندرية ١٥٤
- تولّي «يوليانوس» الحكم، بعد أن ارتدّ عن النصرانية، ومحاولته حمل الناس علىٰ الوثنيّة ١٥٥
- ابتداع «الرّهبنة» وظهور أول راهب سكن البريّة وبنىٰ الديارات في مصر، ثم آخر بالشام ١٥٧
*** «مجمع القسطنطينية» في عهد «ثذوس» بعد أن شَكَوا إليه اختلاف آراء النصارىٰ وكثرة مقالاتهم، وغلبة عقيدة «أريوس»** ١٥٨
- اتفاقهم في مجمع «القسطنطينية» علىٰ لعن «مقدونيوس»، وأسقف «لونية»، و«بوليناريوس» وأتباعهم، وتثبيتهم أن روح القدس خالقة، وأن الأب والابن جوهر واحد وطبيعة واحدة ١٥٩
- امتحان المنانية بأكل اللحم، إذ كانوا لا يرون أكله، ويعتاضون عنه بالسمك ١٦٠
- المنانية صنفان: السماعون والصديقون، وردّ ابن البطريق عليهم في تحريمهم أكل اللحم . ١٦١
- قصة ظهور الفتية الذين كانوا قد اختبأوا في الكهف؛ هربًا من «داقنوس» الملك ١٦٢
- تولّي «ثذوس الصغير ابن ثذوس»، وظهور «نسطور» القائل بأن مريم ولدتْ ابنين، أحدهما إلهٌ مولود من الأب، والآخر إنسانٌ مولودٌ من مريم . ١٦٥
*** انعقاد مجمع «أفسس» إثْر الخلاف العقديّ بين بَطْرَك الإسكندرية و«نسطور»، وتمسّك كل منهما برأيه، مما اضطر الملك «ثذوس الصغير» للتدخل بعدها للإصلاح بينهما .** ١٦٦
- موت «نسطور» في «إخميم» بصعيد مصر، بعد نفيه، وبعد أن درست مقالته أحياها في المشرق مطران «نِصِّيبين» في عصر «يوستينيانوس» ١٦٨
*** ردّ ابن البطريق علىٰ النسطورية، لمخالفتهم قولَ «نسطور» القديم، حيث** ١٦٩

قالوا إن المسيح جوهران وأقنومان، إله تام بأقنومه وجوهره، وإنسانٌ تامٌّ بأقنومه وجوهره .
- **تعقيب المصنف علىٰ ردّ ابن البطريق، وبيان أن قول المَلَكِيَّة أشد بطلانًا من قول النسطورية، وكلاهما باطل .** ١٧٠
- رجوعٌ إلىٰ قول ابن البطريق في نقده عقيدة «النسطورية»، وإلزامهم بالقول بألوهية المسيح عند سؤالهم عن وقت اتحاد اللاهوت بالناسوت ١٧٥
- ردّ المصنف كلام ابن البطريق، وأن ما يُورِدُه علىٰ النسطورية يَرِد علىٰ الطوائف الأخرىٰ، وفيه دليل علىٰ بطلان قول النصارىٰ ١٧٦
- عَودٌ إلىٰ احتجاج ابن البطريق علىٰ النسطورية بالسؤال عن وقت اتحاد الكلمة بالإنسان ١٧٩
- مناقشة المؤلف احتجاج ابن البطريق، ودفعه بأن ما سأل عنه لازم للطوائف الثلاثة ١٧٩
* **رد ابن البطريق علىٰ من وصفهم بأئمة الضلالة: «نسطورس»، و«أرطيوس»، و«ديسقورس»، و«سورس»، و«يعقوب البرادعي»، وأشياعهم** ١٨٦
* **مناقشة المصنف لكلام ابن البطريق، وبيان بطلانه من وجوه:** ١٨٨
- **الوجه الأول**: بيان بطلان قوله: إن من عظيم تدبير الله أنْ بعث كلمتَه الخالقةَ ليست مخلوقة، ولكن مولودةٌ منه، فهبطت والتحمتْ من مريم العذراء ١٨٨
- **الوجه الثاني**: بيان بطلان قوله: «بعث كلمتَه الخالقة التي بها خَلَق كلَّ شيء» ١٩٠
- **الوجه الثالث**: عدم تعيين المراد من قوله: «كلمةُ الله الخالقة» أهي كلامُ الله كلُّه، أم هي بعضُ كلام الله، أم هي المعنىٰ القائم بالذات القديم الأزليِّ ١٩١
- **الوجه الرابع**: أن يقال لهم: هذا الكلام إن لم يُعلَم بالمعقول، فليس في المنقول ما يدل عليه، وأنتم لا تدَّعون أنكم عرفتموه بالعقل ١٩٣
- **الوجه الخامس**: كلام الأنبياء كلّه ينطق بأن روح الله وروحَ القدس ونحوَ ١٩٤

ذلك هو ما نزَّله علىٰ الأنبياء، كالوحي والتأييد، أو الملائكة
- **الوجه السادس**: إذا كانت كلمته الخالقة قد هبطت، فهل رب العالمين هبط والتحم من مريم، أم لم يَهبط ولم يَلتحم، وإنما هبط والتحم الكلمة التي أرسلها؟ ١٩٤
- **الوجه السابع**: تناقضه في قوله: إن الله بعث كلمته الخالقة التي بها خَلَقَ كل شيٍء، فمع كونه جعلها خالقة، جعل أنه بها خَلَق كل شيء، والذي خَلَقَ بها كلَّ شيء ـ هو خالقٌ ١٩٥
- **الوجه الثامن**: أن الكتب دلَّتْ علىٰ أن المسيح تجسَّد من روح القدس، ومن مريم العذراء البتول، وهكذا هو في الأمانة التي لهم، وبهذا أخبر القرآن ١٩٧
- **الوجه التاسع**: إبطال قوله: «فاحتَجبت الكلمة الخالقة بإنسانٍ مخلوق خلقتْه لنفسها»، وقوله: «فكانت مسكنًا في حلوله واحتجابه لِلُطفها عن جميع ما لطُف من الخلائق كلهم» ٢٠٤
- **الوجه العاشر**: مناقشة قوله: «واعلم أنه لا يُرىٰ شيءٌ من لطيف الخلق إلا في غليظ الخلق، ولا يُرىٰ ما هو لطيف من اللطيف إلا مع ما هو أغلظ منه» ٢٠٥
- **الوجه الحادي عشر**: إبطال قوله: «وإنا وجدنا روح الإنسان العاقلةَ الكَلِمانية ـ يعنون النَّفْس الناطقة ـ ألطفَ من لطيف الخلق، فلذلك كانت أولىٰ خَلْق الله بحجاب الله» ٢٠٨
- **الوجه الثاني عشر**: إبطال قوله: «غير قوام الكلمة الخالقة الذي هو أحد التثليث الإلهي، فذلك القوام معدود معروف مع الناس، لـمَّا ضُمَّ إليه وخَلَقَه له التحم به من جوهر الإنسان » ٢١٠
- الدّوْر القبْلي والدّوْر المعيّ، وبيان الممتنع منهما والجائز ٢١٥
- الاتحاد الخاص من النصارىٰ يشبه من بعض الوجوه قولَ أهل الوحدة والاتحاد العام، كابن عربي، وغيره ٢١٦
- **أرباب الاتحاد بنَوْا قولهم علىٰ أصلين فاسدَيْن: أحدهما**: أن أعيان الممكنات ثابتة في العدم ٢١٧

- **الأصل الثاني**: أنهم جعلوا نفسَ وجودِ رب العالمين الخالق القديم الأزليّ الواجب بنفسه ـ هو نفسُ وجود المربوب المصنوع الممكن ٢١٨
- بيان أن النصيرية أتباع «أبي شعيب محمدِ بنِ نُصَيْر» يقولون في عليٍّ بن أبي طالب نظيرَ ما يقولُه النصارىٰ في المسيح، كذلك سائرُ الغلاة في علي، أو في أحدٍ من أهل بيته ٢٢٠
- قول بعض أهل الاتحاد العام: ما ثَمَّ وجود إلا وجود الحق، مع التفريق بين الوجود المطلق والمعيَّن . ٢٢٣
- ردّ «أرسطو» وأتباعه علىٰ القائلين بوجود الكليّات المجرّدة عن الأعيان في الخارج ٢٢٤
- الوجود المطلق بشرط الإطلاق، والوجود المطلق لا بشرط . ٢٢٥
- بيان أن النصارىٰ زعموا أن اللاهوت محتاج إلىٰ ما اتّحد به من الناسوت، وأهل الاتحاد زعموا أن رب العالمين محتاجٌ إلىٰ كل ما سواه من الأعيان الثابتة في العدم، وكلاهما علىٰ باطل ٢٣١
- مناقشة النصارىٰ في معنىٰ حلول الرب في المسيح، وأنه حلول الإيمان والمعرفة والهدىٰ . ٢٣٢

*** (فصل): في مناقشة ابن البطريق في تشبيهه الحلول بشعاع الشمس الذي يملأ ضوءه ما بين السماء والأرض نورًا، فكذلك سكن الله في الناسوت من غير أن يفارقه الأب، والرد عليه من خمسة وجوه:** ٢٣٦

- الوجه الأول . ٢٣٦
- الوجه الثاني ٢٣٧
- الوجه الثالث . ٢٣٨
- الوجه الرابع . ٢٣٨
- الوجه الخامس ٢٣٩

*** (فصل) في مناقشة ابن البطريق في تشبيهه الحلول بكلمة الإنسان المولودة من عقله تكتب في قرطاسٍ، فهي في القرطاس من غير أن تفارق العقل،** ٢٤١

وكذلك كلمة الله، ودَفْع ذلك من تسعة وجوه:
- الوجه الأول . ٢٤١
- الوجه الثاني ٢٤٢
- الوجه الثالث . ٢٤٣
- الوجه الرابع . ٢٤٣
- الوجه الخامس ٢٤٤
- الوجه السادس ٢٤٤
- الوجه السابع . ٢٤٥
- الوجه الثامن . ٢٤٧
- الوجه التاسع . ٢٤٧
* **الجواب عن احتجاج النصارىٰ بأن في المسلمين من يقول: إن كلام الله حالٌّ في الصدور أو في القرطاس أو في المصحف من غير مفارقة، فكذلك قول النصارىٰ، وردُّ ذلك من وجهين:** ٢٤٨
* **(فصل): في بيان ابن البطريق معنىٰ الحلول وأنه من غير تغيّر ولا احتيال، وتقسيمه الخلطة إلىٰ ثلاثة أقسام:** ٢٦٣
- **القسم الأول:** خلطة الطبيعتين الثقيلتين، مع تغير واحتيال، كخلطة الخمر والماء ٢٦٤
- **القسم الثاني:** خلطة الطبيعتين الثقيلتين، مع افتراقٍ وانفصال، كخلطة الزيت والماء ٢٦٥
- **القسم الثالث:** خلطة الحلول بلا اختلاط ولا احتيال ولا فساد ولا فرقة ولا انقطاع، كخلطة النفس والجسد، وعلىٰ هذا الوجه دَبَّرتْ كلمة الله الخالقة خلطتَها للطبيعة البشرية ٢٦٨
* **مناقشة المصنف لكلام ابن البطريق في الخلطة وأنواعها وبيان ما فيه تناقض وأغاليط .** ٢٧٠
- إبطال تمثيل النصارىٰ الحلولَ والاتحادَ بالشمس مع الماء والطين، وبيان ٢٨٠

المعنىٰ الحق في لفظ (الحلول)
- عودٌ إلىٰ أقسام الخلطة ومناقشتها . ٢٨٧
* **(فصلٌ) في بيان ما أشار إليه السّرد التاريخي المتقدِّم عن ابن البطريق من أن عامّة دين النصارىٰ ليس مأخوذًا عن المسيح، بل هو مما ابتدعه طائفة منهم، وأن أول ملك أظهر دينهم هو «قسطنطين» بعد المسيح بأكثر من ثلاثمائة سنة .** ٢٩١
* **(فصلٌ) في حاصل ما ذُكر من الجواب عن قولهم: «في السيد المسيح طبيعتان، طبيعة لاهوتية، التي هي طبيعة كلمة الله وروحه، وطبيعة ناسوتية التي أخذت من مريم العذراء واتّحدت به»** ٢٩٥
- **الرد علىٰ ادّعاء النصارىٰ: أنّ أمر الاتحاد لا يُعقَل، بل هو فوق العقول، وذلك من وجهين:** ٣٠١
- **الوجه الأول:** أنه يجب التفريق بين ما يَعلم العقلُ بطلانَه وامتناعَه، وبين ما يَعجز عن تصوُّره ومعرفته. فالأول: من مُحالات العقول، والثاني من محاراتها، والرسل يخبرون بالثاني ٣٠١
- **الوجه الثاني:** أن يقال: ما يَعجز العقلُ عن تصوُّره إذا أخبرت به الأنبياء ـ عليهم السلام ـ قُبِل منهم؛ لأنهم يعلمون ما يَعجَز غيرهم عن معرفته. وهذه الأقوال لم يَقل الأنبياء شيئًا منها ٣٠٣
- بيان أن العقل موضعٌ غلِط فيه طائفتان، غاليةٌ غَلَتْ في المعقول حتىٰ قدَّمتْه علىٰ الحس ونصوص الرسول. وأخرىٰ جَفَتْ عنه، فَرَدَّت صريحه وقَدَّمت عليها ما ظنَّته من السمعيات والحِسِّيَّات . ٣٠٥
* **(فصلٌ) في احتجاج النصارىٰ علىٰ عقيدة الأقانيم بما عند المسلمين من إثبات الأسماء والصفات، إذ كل منهما يقتضي التركيب والتجسيم، والجواب عن ذلك من خمسة عشر وجهًا:** ٣١٢
- **الوجه الأول:** فرقٌ بين من آمن بما جاءت به الرسل من غير تحريف، وبين من ابتدع أقوالًا لم تقلها الرسل، بل تخالف ما قالوه . ٣١٤

- **الوجه الثاني**: أن يقال: ما ذكرتموه عن المسلمين كذب ظاهر عليهم . ٣١٩
- **الوجه الثالث**: أن يقال: ما في القرآن والحديث من وصف الله بهذه الصفات التي يسميها بعض الناس تجسيمًا، هو مثل ما في التوراة وسائر كتب الأنبياء ٣٢٤
- **الوجه الرابع**: إبطال قولهم عن المسلمين: «فيوهمون السامعين أن الله ذو جسم وأعضاء وجوارح» ٣٢٧
*** ورود المعاني التي تضاف إلىٰ الخالق تارة وإلىٰ المخلوق أخرىٰ علىٰ ثلاثة أوجه**: . - تارة تقيّد بالإضافة إلىٰ الخالق أو بإضافته إليها: - تارة تُقيَّد بالمخلوق . - تارة تُطلَق مجرَّدة، وهذه للناس فيها أقوال ٣٢٨
- **الوجه الخامس**: مناقشة قولهم: «لما كان اعتقادهم في الباري جَلَّتْ قدرته أنه غير ذي جسم» ٣٣٣
- **الوجه السادس**: أن يقال لهؤلاء النصارىٰ: إما أن تَعْنوا بلفظ الجسم المعنىٰ اللغوي وهو الجسد، وإما أن تَعْنوا به المعنىٰ الاصطلاحي عند أهل الكلام، كالمشار إليه مثلا. ٣٤٢
- **الوجه السابع**: أن يقال: غاية مقصودكم أن تقولوا: إن المسلمين أطلقوا ألفاظًا ظاهرها كفر عندهم، لمجيء النص بها، وهم لا يعتقدون مدلولها، فكذلك نحن، وهذا مردود ٣٤٣
- **الوجه الثامن**: بطلان قولهم: «وكذلك نحن النصارىٰ العلة في قولنا: إن الله ثلاثة أقانيم، أب وابن وروح القدس: أن الإنجيل نطق به» ٣٤٥
- **الوجه التاسع**: أن يقال لهم: أنكم إنما ضللتم بعدولكم عن صريح كلام الأنبياء وظاهره إلىٰ ما تأولتموه من التأويلات ٣٤٩
- **الوجه العاشر**: أنكم بالغتم في ذم المسيح وإنجيله كما بالغتم في سبّ الله وشتمه، وإن كنتم لا تعلمون ذلك، حيث جعلتم ظاهر كلامه كفرًا لا ترضونه، وهو أنه ثلاثة آلهة متفرقة أو ثلاثة أجسام مؤلفة إلىٰ غير ذلك، ثم عدلتم عنه إلىٰ إثبات الأقانيم الثلاثة ٣٥٠

- **الوجه الحادي عشر**: أن غلاة المجسّمة الذين يكفرهم المسلمون أحسن حالًا من النصارىٰ، شرعًا وعقلًا، وأقل مخالفة للشرع منهم . ٣٥٥
- **الوجه الثاني عشر**: أنّ كلّ من يعتقد في التجسيم ما يعتقد يُمكنه أن يقول كما يقوله النصارىٰ . ٣٦٣
- **الوجه الثالث عشر**: أن يقال لهم: أنتم تلعنون من قال إن المسيح ليس إلهًا، وتلعنون من قال هو الأب الخالق، فتجمعون بين النقيضين ٣٦٧
- **الوجه الرابع عشر**: مناقشة النصارىٰ في معنىٰ الولادة، وفي قولهم: «ويراد بالأب والابن غير أبوة وبنوة نكاح، ومن أراد ولادة زوجةٍ لعنّاه» ٣٧٢
- كلام الأنبياء لا يجوز أن يُحمل إلا علىٰ لغتهم التي عادتهم أن يخاطبوا بها الناس، ولا يجوز أن يُحدِث أحدٌ لغة غير لغتهم، ويحمل كلامهم عليها ٣٨٥
- قول النصارىٰ أفسدُ من قول بعض المتفلسفة: إن العقول والنفوس معلولة له متولِّدة عنه . ٣٩٠
- **الوجه الخامس عشر**: أن يقال: لفظ الابن وروح القدس قد جاء في حق غير المسيح عندكم . ٣٩٥
- لم يختص المسيح بالألفاظ التي يحتجون بها علىٰ الحلول، فقد جاء إطلاقها في حق غيره ٣٩٩
- من قال من ضُلّال المسلمين إن الرب يتّحد أو يحل في الأنبياء والأولياء فقوله من جنس قول النصارىٰ ٣٩٩

* **(فصل): في احتجاج النصارىٰ علىٰ قولهم: (إن الله جوهر)** بما ثبت في كتب الفلاسفة أن الموجود إما جوهر أو عرض، وأنه عندهم ليس جوهرًا كثيفًا يقبل عرضًا ويشغل حيِّزًا، بل لطيفٌ كجوهر النفس، والعقل ٤٠٥
* **الجواب عن هذه الشبهة من سبعة وجوه:** ٤٠٦
- **الوجه الأول**: أن يقال: أما تسمية الباري جوهرًا هو من أهون ما يُنْكر علىٰ النصارىٰ
- المسلمون في أسماء الله علىٰ طريقتين، والصواب القول الثالث . ٤٠٦

- الناس متفقون علىٰ إثبات الأعيان القائمة بنفسها-التي تسمىٰ (جواهر)، وتنازعوا في ثبوت الأعراض القائمة بها، والنزاع لفظي عند محققيهم ٤٠٨
- التحقيق: أن مسمّىٰ الإنسان إذا أَطلق دخل فيه صفاته . ٤٠٩
- اضطراب النصارىٰ في مفهوم الأعراض والصفات والأعيان والجواهر ٤٠٩
- **الوجه الثاني**: أن يقال: أنتم تقولون إنكم متبعون للكتب الإلهية، والأنبياء لم يسمِّه أحد منهم جوهرًا، وإنما سمّاه بذلك «أرسطو» وأمثاله . ٤١٥
- **الوجه الثالث**: نقض قولهم: إن الذي يشغل حيّزًا ويقبل عرَضًا هو الجوهر الكثيف لا اللطيف ٤١٧
- العقل الفعال والعقول العشرة عند الفلاسفة ٤١٧
- تقسيم الموجودات إلىٰ واجب قديم، وممكن قديم عند الفلاسفة ٤٢١
- كلام النصارىٰ يتضمن تعظيم الفلاسفة وأهل المنطق، وهو دليل جهلهم بما جاءت به الرسل، وبما يُعرف بالعقل المحض ٤٢٤
- **الوجه الرابع**: مناقشة النصارىٰ في قولهم: «وجوهر الضوء» في سياق التمثيل علىٰ الجوهر اللطيف . ٤٣١
- **الوجه الخامس**: إبطال قولهم: «إن الجوهر اللطيف لا يقبل عرَضًا» . ٤٣١
- **الوجه السادس**: الناس لهم في إثبات الصفات القائمة بذات الله قولان، لم يقل النصارىٰ بأحدهما، بل تناقضوا تناقضًا بيِّنًا . ٤٣٤
- **الوجه السابع**: بيان تناقض النصارىٰ في قولهم: الموجود إما جوهر وإما عرض؛ فالجوهر ما قام بذاته، والعرض ما قام بغيره، مع قولهم: إنه موجود حي ناطق، له حياة ونطق . ٤٣٦
* **(فصلٌ) في احتجاج النصارىٰ علىٰ تفضيل شريعتهم بأن الباري لما كان عدلًا جوادًا وجب أن يظهر عدله فأرسل موسىٰ، ثم أظهر جوده وفضله بعيسىٰ فليس شيء بعد هذا أكمل منه .** ٤٤٢
* **الجواب عن هذه الشبهة من اثني عشر وجهًا:** ٤٤٣
- **الوجه الأول**: أن يقال: بل الشرائع ثلاثة: شريعة عدْل فقط، وفضلٍ فقط،

وثالثة تجمعهما، فتوجب العدل وتندب إل الفضل، وهي شريعة القرآن
- **الوجه الثاني**: أن يقال لهم: الناس في أمر الله ونهيه قولان: محض مشيئة، أو بما يصلح العباد وينفعهم، وفي إرسال محمد ﷺ من الحكم والمصالح أعظم مما كان في إرسال موسىٰ والمسيح ٤٥١
- **الوجه الثالث**: أن يقال: هب أن شريعة الكتابين كانت كافية، فإنما ذاك إذا كانت محفوظة معمولًا بها، ولم يكن الأمر كذلك، بل كانت قد دَرَس كثير من معالمها . ٤٥٥
- **الوجه الرابع**: إن شريعة التوراة تغلِب عليها الشدة، وشريعة الإنجيل تغلب عليها اللين، وشريعة القرآن معتدلة جامعة ٤٥٧
- **الوجه الخامس**: إذا كانت النعمة نوعين: نعمة بها دفْعُ المضرة وزوال الحاجة، وأخرىٰ يحصل بها كمال النعم= فإن الخلق كانوا محتاجين إلىٰ إرسال محمد ﷺ من الوجهين معًا ٤٦٣
- **الوجه السادس**: أن يقال قولهم: «إنا نعجب من هؤلاء القوم » قول جاهلٍ ظالمٍ يستحق أن يقال له: بل العجب من هذا العجب هو الواجب ٤٦٤
- **الوجه السابع**: أن يقال لليهود: أنتم أذل الأمم، فلو قدّر أن دينكم لم يبدّل؛ فهو مغلوب مقهور، ويقال للنصارىٰ: أنتم لم تُخلّصوا دين الله من دين المشركين والمعطّلين . ٤٦٦
- **الوجه الثامن**: أن يقال لليهود: أنتم لما كنتم متّبعين لموسىٰ عليه السلام كنتم علىٰ الهدىٰ، ثم بدّلتم وكثُرت فيكم الأحداث. ويقال للنصارىٰ: أنتم ما زلتم مقهورين مغلوبين مبدّدين ٤٦٨
- **الوجه التاسع**: أن يقال: هم معترفون بانتفاع المشركين به غاية الانتفاع، فهذا من أعظم المقاصد وأجل نعم الله علىٰ عباده ٤٧٢
- **الوجه العاشر**: قولهم: إن التوراة جاءت بالعدل، والإنجيل بالفضل، فلا حاجة إلىٰ غيرهما؛ لو قُدِّر أنه حق، إنما يستقيم إذا كان الكتابان لم يبدَّلا، فكيف وقد حصل ! ٤٧٣

- **الوجه الحادي عشر**: مناقشة قولهم: «لما كان الباري عدْلًا جوادًا أوجبَ أن يُظهر عدلَه وجودَه» ٤٧٦
- **الوجه الثاني عشر**: مناقشة قولهم: «ولما كان الكمال الذي هو الفضل لا يمكن أن يضعه إلا أكمل الكُمَّال» ٤٧٨
* **(فصلٌ)**: جميع ما احتجّ به النصارىٰ من التوراة والإنجيل إنما يكون حجة إذا أقاموا الدليل علىٰ نبوة من احتجّوا بكلامه، وهم لم يفعلوا ذلك ٤٨٤
* **(فصلٌ)**: بسط القول في بيان امتناع احتجاجهم بشيء من كلام محمد ﷺ أو غيره من الأنبياء عليهم السلام علىٰ ما يخالف دين المسلمين من دينهم ٤٨٦
- القدر الذي يخالف ما جاء به محمد ﷺ مما ينقلونه عن الأنبياء نوعان. ٤٩٠
- كل ما يدّعي فيه مدّعٍ أن محمدًا ﷺ ناقضه فلا بُدَّ له من أن يثبت مقدمتين ٤٩١
- كل ما يحتج به النصارىٰ علىٰ مخالفة ما ثبت عن محمد ﷺ لا يمكن أن يقوم لهم عليه دليلٌ لا شرعي ولا عقليّ من حيث الجملة ٤٩٤
- **تقسيم حججهم في ادّعاء مخالفة ما ثبت عن محمد ﷺ إلىٰ عقلية وسمعية.** ٤٩٤
- **حججهم العقلية**، والجواب عنها من ثلاثة وجوه
- **حججهم السمعية**: والجواب عنها ٤٩٦
- الحكمة عند سائر الأمم نوعان: نظرية، وعملية ٥٠٢
* **(فصلٌ)**: في الجواب عن قول النصارىٰ المشهور: إن محمدًا ﷺ لم تبشّر به النبوات، ولا يكون نبيًّا حتىٰ يبشَّر به، ثم إن من بُشِّر به ـ كعيسىٰ ـ أفضل وأكمل ممن لم يبشَّر به. ٥٠٨
- الجواب علىٰ دعوىٰ من يدّعي القدح في نبوة من لم يبشَّر به من طريقين: ٥١٤
- الطريق الأول:
- الطريق الثاني: ٥١٩
* **(فصلٌ)**: في وجوه العلم بأن الأنبياء قبله بشّروا به. ٥٢١
- **الوجه الأول**: ما في الكتب الموجودة اليوم بأيدي أهل الكتاب مِن ذِكْره ٥٢١

- **الوجه الثاني**: إخبار مَن وقف علىٰ تلك الكتب وغيرها من كتب أهل الكتاب بما وجدوه مِن ذِكْره فيها ٥٢١
- **الوجه الثالث**: إخباره بذلك في القرآن مرة بعد مرة، واستشهاده بأهل الكتاب ٥٣٦
- **الوجه الرابع**: ما قام من الأعلام علىٰ صدقه، مع إخباره بأنه مكتوب في الكتب المتقدمة وأن الأنبياء بشّروا به ٥٣٧
- **الوجه الخامس**: انتشار دينه ﷺ في مشارق الأرض ومغاربها، والمدّعي للنبوة لا بدّ أن يخبر به الأنبياء؛ إن كان كاذبًا فللتحذير منه، أو صادقًا فللإيمان به، وهو ما جاءت به الأخبار في حقِّه ٥٣٩

فهرس موضوعات المجلد الثالث ٥٤٩



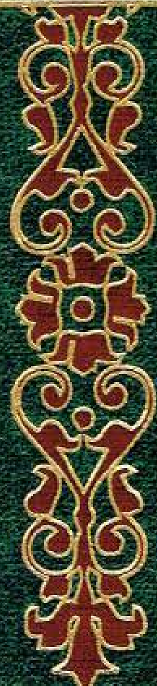
الجواب الصحيح
لمن بدل دين المسيح

تأليف
شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية
(٦٦١ - ٧٢٨ هـ)

تحقيق
د. أحمد بن فارس السلوم

إشراف
د. علي بن محمد العمران

المجلد الرابع





طبع برعاية
مؤسسة عبد اللطيف العيسى الخيرية

مركز التأصيل للدراسات والبحوث
Taseel Center for Studies & Research

راجع هذا المجلد

د. سُليمان بن عبدالله العُمير

د. عبدالرحيم بن صمايل السُّلمي

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن تيمية، احمد بن عبدالحليم
الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. /احمد بن عبد الحليم ابن تيمية ؛ علي محمد العمران - جدة ، ١٤٤٠ هـ

٥ مج.

ردمك: ٧-٠-٩١٣١٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٥-٤-٩١٣١٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج٤)

١- الإسلام و النصرانية ٢- الديانات المقارنة أ-العمران ، علي محمد (محقق) ب.العنوان

ديوي ٢٩١ ١٤٤٠/١١٣١٧

رقم الإيداع: ١٤٤٠/١١٣١٧
ردمك: ٧-٠-٩١٣١٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٥-٤-٩١٣١٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج٤)

الطبعة الأولى
١٤٤١هـ - ٢٠١٩م



مركز التأصيل للدراسات والبحوث
Taseel Center for Studies & Research

جدة، شارع عبدالله السليمان، مقابل اكسترا
المملكة العربية السعودية

هاتف: 00966126288685
جوال: 00966596747896

الرمز البريدي: 22246، **الرقم الإضافي:** 6929
البريد الإلكتروني: sabban.taseel@gmail.com

الجواب الصحيح

لمن بدل دين المسيح

تأليف

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

(٦٦١ - ٧٢٨هـ)

تحقيق

د. أحمد بن فارس السلوم

إشراف

د. علي بن محمد العمران

المجلد الرابع





مركز التأصيل للدراسات والبحوث
Taseel Center for Studies & Research

بسم الله الرحمن الرحيم

الأصول المعتمدة في تحقيق هذا الجزء

(ظ) نسخة المكتبة الظاهرية كتبت سنة ٧٧٢ بخط ابن المحب.

(د) نسخة دار الكتب المصرية (نسخة عتيقة عليها خط المصنف، ثم جرىٰ ترميمها وإكمال خرومها سنة ١٢٨١)

(ل) نسخة ليدن. (كتبت سنة ٧٣٠)

(ب) نسخة بودليان. كتبت في القرن التاسع احتمالا

(ح) نسخة المتحف البريطاني. لعلها في القرن الثاني عشر

(ف): نسخة الافتاء. كتبت سنة ١٢٧٦

ط. النيل (الطبعة الأولىٰ للكتاب بمطبعة النيل بالقاهرة سنة ١٣٢٢).

فصـلٌ(١)

وممـا ينبغـي أن يعـرف -مـا قـد نبهنـا عليـه غيـر مـرة- أنَّ شـهادة الكتـب المتقدمة لمحمد ﷺ: إمَّا شهادتها بنبوته، وإمَّا شهادتها بمثل ما أخبر به هو مـن الآيات البينات علىٰ نبوته ونبوة من قبله، وهو حجـة علىٰ أهـل الكتـاب وعلـىٰ غير أهل الكتاب مِن أصناف المشركين والملحدين(٢)، كمـا قـد ذكـر الله هـذا النوع من الآيات في غير موضع من كتابه.

كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ تَكُن(٣) لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧]، وقوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ(٤) الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤]، وقوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣]، وقوله ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام:١١٤](٥).

وقوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].

وقوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا

---

(١) من هنا إلىٰ بداية الأصل ظ اعتمدنا علىٰ الأصل ب.

(٢) في (ل): المشركين الملحدين.

(٣) كذا في الأصل (ب) بالتاء، وهي قراءة ابن عامر وحده، ويلزم منها رفع آية، وقرأ الباقون: (يكن) بالياء، (آيةً) بالنصب (النشر ٢/ ٣٣٦).

(٤) في الأصل ب (فاسل) بالنقل، وهي قراءة ابن كثير والكسائي وخلف، وقرأ الباقون بالهمز (النشر ١/ ٤١٤)، وهكذا هي في الأصل (ل، د).

(٥) لم يذكر هذه الآية في (ل) وهي في (ب، د) بدون الواو في أول الآية.

جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المائدة: ٨٣، ٨٤].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

وذلك مثل قوله في التوراة -ما قد تُرجم بالعربية-: «جاء الله من طور سيناء» وبعضهم يقول في الترجمة[1]: «تجلىٰ الله من طور سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران»[2].

قال كثير من العلماء -واللفظ لأبي محمد بن قتيبة-: «ليس بهذا خفاء علىٰ من تدبره[3] ولا غموض؛ لأنَّ مجيء الله من طور سيناء: إنزاله التوراة علىٰ موسىٰ بطور[4] سينا، كالذي هو عند أهل الكتاب وعندنا، وكذلك يجب

---

(١) «في الترجمة» ليس في (ل).

(٢) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٥٤، خير البشر ص١٢٩، وهذا النص ورد في سفر التثنية (٣٣: ٢) وهو بحسب الترجمة التي بين أيديهم: «وهذه هي البركة التي بارك بها موسىٰ رجل الله بني إسرائيل قبل موته. فقال: جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتىٰ من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم».
وبنحو ما ذكره المصنف ذكره ياقوت في معجم البلدان (٣/ ١٧١)، ثم قال: «وهذا في الجزء العاشر في السفر الخامس من التوراة» وانظر أيضًا فيه (٤/ ٢٢٥). بينما في التخجيل: الفصل العشرين من السفر الخمسين.
وكذا نقله البقاعي في نظم الدرر (٣/ ١٨٦)، (٨/ ١١١) ثم ذكر منام السموأل بن يحيىٰ أحد أحبار اليهود (٨/ ١٠٩)، والسموأل هو مؤلف «غاية المقصود في الرد علىٰ النصارىٰ واليهود» وهذه البشارة في كتابه (ص٥٥) حيث أطال في شرحها.

(٣) في هامش (د): «في الأصل: من تدبيره».

(٤) كذا في (ب)، وفي (ل، د): «من طور».

أن يكون إشراقه من سَاعير إنزاله علىٰ المسيح الإنجيل[1]، وكان المسيح من سَاعير - أرض الخليل بقرية تدعىٰ «ناصرة» - وباسمها سُمّيَ[2] مَن اتَّبعه: نصارىٰ.

وكما وجب أن يكون إشراقه من سَاعير بالمسيح؛ فكذلك يجب أنْ يكون استعلانُه من جبال فاران: إنزاله القرآن علىٰ محمد ﷺ، وجبال فاران هي جبال مكة.

قال: وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران[3] هي مكة، فإنْ ادعوا أنها غير مكة -وليس يُنكرُ ذلك من تحريفهم وإفكهم- قلنا: أليس في التوراة أن إبراهيم أسكن «هاجر» و«إسماعيل» فاران؟

وقلنا: دلونا علىٰ الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران، والنبي الذي أنزل عليه كتابًا بعد المسيح، أوليس «استعلن» و«علن» بمعنىٰ[4] واحد؟ وهما: ظهر وانكشف، فهل تعلمون دينًا ظهر ظهور دين[5] الإسلام وفشا في مشارق الأرض ومغاربها فشوه؟»[6].

وقال ابن ظَفَر[7]: «ساعير: جبل بالشام، منه ظهرت نبوة المسيح»[8].

---

(١) (ل، د): «الإنجيل علىٰ المسيح».
(٢) (ل): «يسمىٰ».
(٣) انظر معجم البلدان (٤/ ٢٢٥).
(٤) (ل، د): «وهما بمعنىٰ».
(٥) ليست في (ل، د).
(٦) هداية الحيارىٰ ٢/ ٣٤٥.
(٧) هو محمد بن عبدالله بن محمد بن ظفر الصقلي، نشأ بمكة وسكن حماة، وتوفي سنة ٥٦٥، وظفر: بفتح الظاء المعجمة والفاء وبعدها راء، كذا ضبطه ابن خلكان، قال الصفدي: رأيت بعضهم يقول: ابن ظُفُر بضم الظاء والفاء، والاول أشهر (وفيات الأعيان ٤/ ٣٩٥، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٢٣، الوافي بالوفيات ١/ ١٤١). وهو صاحب كتاب: «خيرُ البِشر بخير البَشر»، وهو كتاب مطبوع، ومن مصادر المصنف.
(٨) خير البشر ص١٢٩.

قلت: وبجانب بيت لحم -القرية التي ولد فيها المسيح- (قرية)[1] تسمىٰ إلىٰ اليوم سَاعير، ولها جبال تسمىٰ سَاعير[2].

وفي التوراة: «أن نسل العيص كانوا سكانًا بساعير، وأمر الله موسىٰ أنْ لا يؤذيهم»[3].

وعلىٰ هذا فيكون ذكر الجبال الثلاثة حقًّا، جبل حراء الذي ليس حول مكة جبل أعلىٰ منه، ومنه كان نزول أول الوحي علىٰ النبي ﷺ، وحوله من الجبال جبال كثيرة، حتىٰ قد قيل: إنَّ بمكة اثني عشر ألف جبل، وذلك المكان يسمىٰ فاران إلىٰ هذا اليوم، وفيه كان ابتداء نزول القرآن.

والبريَّة: التي بين مكة وطور سينا تسمىٰ برِّيَّة فاران، ولا يمكن أحدٌ[4] أن يدَّعي أنه - بعد المسيح - نزل كتاب في شيء من تلك الأرض ولا بعث نبي، فعلم أنه ليس المراد باستعلانه من جبال فاران إلاَّ إرسال محمد ﷺ.

وهو سبحانه ذكر هذا في التوراة علىٰ الترتيب الزماني، فذكر إنزال التوراة

(١) ليست في (ب).
(٢) انظر: معجم البلدان (ساعير:٣/ ١٧١)، وقال: اسم لجبال فلسطين، من حدود الروم، وهو قرية من الناصرة بين طبرية وعكا.
(٣) ذكر هذا النص ابن القيم في هداية الحيارىٰ، ولا شك أنه استفاده من المصنف، ولم أجد النص هكذا فيما بين يدي من المصادر، وقد ذكر السموأل (في غاية المقصود في الرد علىٰ النصارىٰ واليهود ٥٣): أن في الجزء الأول من السفر الخامس، قوله: «اتيم عوبز بقبول اخيحم بنىٰ عيسووهيوشييم بسيعير»، تفسيره: «أنتم عابرون في تخم إخوتكم بنىٰ العيص المقيمين في سيعير، إياكم أن تطيعُوا في شىٰء من أرضهم».
وقريب من هذا ما في سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح ٢٠، وفيه: «والآن هوذا بنو عمون ومواب وجبل ساعير الذين لم تدع إسرائيل يدخلون إليهم حين جاؤا من أرض مصر بل مالوا عنهم ولم يهلكوهم».
(٤) (ل): أحدا.

ثم الإنجيل ثم القرآن، وهذه الكتب نور الله وهداه.

وقال في الأول: جاء، أو: ظهر[1]، وفي الثاني: أشرق، وفي الثالث: استعلن.

وكان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر، أو ما هو أظهر من ذلك، ونزول الإنجيل مثل إشراق الشمس، زاد به النور والهدىٰ.

وأمَّا نزول القرآن، فهو بمنزلة ظهور الشمس في السماء؛ ولهذا قال: «واستعلن من جبال فاران»، فإنَّ محمداً ﷺ ظهر به نور الله وهداه في مشرق الأرض ومغربها أعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين، كما يظهر نور الشمس إذا استعلن[2] في مشارق الأرض ومغاربها؛ ولهذا سماه الله سراجًا منيرًا، وسمىٰ الشمس سراجًا وهاجًا.

والخلق يحتاجون إلىٰ السراج المنير، أعظم من حاجتهم إلىٰ السراج الوهاج؛ فإن الوهاج يحتاجون إليه في وقت دون وقت، وكما قيل: قد يتضررون به بعض الأوقات، وأما السراج المنير فيحتاجون إليه كل وقت وفي كل مكان ليلاً ونهارًا، سرًّا وعلانية.

وقد قال ﷺ: «زُويتْ لي الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها»[3].

وهذه الأماكن الثلاثة[4] أقسم الله بها في القرآن في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤

(١) (ل): «وظهر».
(٢) (د): «استعلنت».
(٣) سبق تخريجه.
(٤) (ل): الثلاث.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ١-٨].

فأقسم بالتين والزيتون، وهو الأرض المقدسة الذي ينبت فيها ذلك، ومنها بعث المسيح، وأنزل عليه فيها الإنجيل، وأقسم بطور سينين، وهو الجبل الذي كلَّم الله فيه موسىٰ وناداه من واديه الأيمن من البقعة المباركة من الشجرة، وأقسم بالبلد الأمين، وهي مكة وهو البلد الذي أسكن إبراهيم ابنه إسماعيل وأمَّه هاجر(١)، وهو الذي جعله الله حرمًا آمنا ويتخطف الناس من حوله، وجعله آمنا خلقًا وأمرًا قدرًا وشرعًا.

فإنَّ إبراهيم حرَّمه ودعا لأهله فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٥، ١٢٦].

فأخبر الله تعالىٰ أنَّ إبراهيم دعا الله بأن يجعل مكة بلدًا آمنًا، واستجاب الله دعاء إبراهيم، وذكر ذلك في غير موضع، وبها بنىٰ إبراهيم البيت، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ

(١) ليست في (ل). وفي هامشها: سقط لعله: فيه، أو كان أسكنه.

﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧-١٢٩].

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧].

وقال تعالىٰ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قريش: ١-٤].

وقال تعالىٰ عن المشركين(١): ﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧].

وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

فقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ أقسام منه بالأمكنة الشريفة العظيمة(٢) الثلاثة، التي ظهر فيها نوره وهُداه، وأنزل فيها الثلاثة: التوراة والإنجيل والقرآن.

كما ذكر الثلاثة في التوراة: «جاء الله من طور سينا وأشرق من ساعير

---

(١) «عن المشركين» ليس في (ل).

(٢) (ل): المعظمة.

واستعلن من جبال فاران».

ولما كان ما في التوراة خبرًا عنها، أخبر بها علىٰ ترتيبها الزماني، فقدَّم الأسبق فالأسبق، وأمَّا في[1] القرآن فإنه أقسم بها تعظيمًا لشأنها، وذلك تعظيم لقدرته - سبحانه - وآياته وكتبه ورسله، فأقسم بها علىٰ وجه التدريج درجة بعد درجة، فختمها بأعلىٰ الدرجات.

فأقسم أولاً بالتين والزيتون، ثم بطور سيناء، ثم بمكة، لأنَّ أشرف الكتب الثلاثة: القرآن ثم التوراة ثم الإنجيل، وكذلك الأنبياء، فأقسم بها علىٰ وجه التدريج، كما في قوله: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾ [الذاريات: ١-٤].

فأقسم بطبقات المخلوقات، طبقة بعد طبقة، فأقسم بالرياح الذاريات؛ ثم بالسحاب الحاملات للمطر، فإنها فوق الرياح؛ ثم بالجاريات يسرا، وقد قيل: إنها السفن[2]، ولكن الأنسب أن تكون هي الكواكب المذكورة في قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥ - ١٦]، فسماها جواري، كما سمىٰ الفُلك جواري في قوله: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾ [الشورىٰ: ٣٢]،

---

(١) ليست في (ل).

(٢) هذا القول مروي عن علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد رحمه الله، وغالب المفسرين لا يذكر سواه، (انظر: جامع البيان ٢٢/ ٣٩١، معالم التنزيل ٧/ ٣٦٨، زاد المسير ٤/ ١٦٧، الدر المنثور ٧/ ٦١٤، فتح القدير ٥/ ٩٨).
وقال الحافظ ابن كثير: «المشهور عن الجمهور أنها السفن، تجري ميسرة في الماء جريا سهلا. وقال بعضهم: هي النجوم تجري يسرا في أفلاكها، ليكون ذلك ترقيا من الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ، إلىٰ ما هو أعلىٰ منه، فالرياح فوقها السحاب، والنجوم فوق ذلك، والمقسمات أمرا الملائكة فوق ذلك، تنزل بأوامر الله الشرعية والكونية» (تفسير ابن كثير ٧/ ٤١٤) فلعله يريد بالبعض شيخه ابن تيمية والله أعلم.

والكواكب فوق السحاب.

ثم قال: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ [الذاريات: ٤] وهي الملائكة التي هي أعلىٰ درجة من هذا كله[١].

وما ذكره ابن قتيبة -وغيره من علماء المسلمين- من تربية إسماعيل في بِرِّيَّة فاران فهكذا هو في التوراة، وقال فيها: «وغدا إبراهيم، فأخذ الغلام وأخذ خبزا وسقاءً من ماء ودفعه إلىٰ هاجر وحمله عليها، وقال لها: اذهبي، فانطلقت هاجر، فضلت في بِرِّيَّة سبعٍ، ونفد الماء الذي كان معها، فطرحت الغلام تحت شجرة، وجلست مقابلته علىٰ مقدار رمية بسهم؛ لئلا تبصر الغلام حين يموت، ورفعت صوتها بالبكاء، وسمع الله صوت الغلام فدعا ملكُ الله هاجر، وقال لها: ما لك يا هاجر لا تخشي؛ فإنَّ الله قد سمع صوت الغلام حيث هو، فقومي فاحملي الغلام وشدي يديك[٢] به، فإني جاعله لأمة عظيمة، وفتح الله عينيها فبصرت بئر ماء فسقت الغلام وملأت سقاءها، وكان الله مع الغلام، فربي وسكن في برية فَاران»[٣].

---

(١) وسميت الملائكة مُقسمات لأنها تقسم الأمور علىٰ ما أمر الله به (زاد المسير ٤/ ١٦٧).

(٢) في (ل): يدك.

(٣) انظر: خير البشر ص١٢٨، سفر التكوين (٢١: ١٤-٢١)، ولفظه بحسب الترجمة الحالية: «فبكر ابراهيم صباحًا وأخذ خبزًا وقربة ماء وأعطاهما لهاجر، واضعًا إياهما علىٰ كتفها، والولد، وصرفها، فمضت وتاهت في برية بئر سبع، ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدىٰ الاشجار، ومضت وجلست مقابله بعيدا نحو رمية قوس، لأنها قالت: «لا أنظر موت الولد»، فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت، فسمع الله صوت الغلام، ونادىٰ ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: «ما لك يا هاجر؟ لا تخافي، لأنَّ الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو، قومي احملي الغلام وشدي يدك به، لأني سأجعله أمة عظيمة، وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء، فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام، وكان الله مع الغلام فكبر، وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس، وسكن في برية فاران، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر». =

فهذا خبر الله في التوراة: أنَّ إسماعيل سكن ورُبِّيَ[1] في برية فاران بعد أن كاد يموت من العطش، وأن الله سقاه من بئر ماء.

وقد علم بالتواتر، واتفاق الأمم أنَّ إسماعيل إنما رُبي بمكة، وهو وأبوه إبراهيم بنيا البيت، فعلم أنَّ أرضَ مكة: فاران[2].

وهذه البشارة في التوراة لهاجر بإسماعيل، وقول الله: «إني جاعله لأمة

= والجملة الأخيرة تخالف ما ثبت في البخاري من أن إسماعيل تزوج من جرهم مرتين، وجرهم ليست من مصر، وسيأتي الحديث.

(١) في (ل) ربي وسكن.

(٢) هاهنا زيادة في (د) ليست في (ل)، وهي:

[والله تعالىٰ قد أخبر في القرآن في غير موضع بكون إسماعيل كان بمكة، فقال عن الخليل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٣٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٤-١٢٩)].

وهذه الزيادة ثبتت في أصل (ب) إلا أنه ضرب عليها، وكتب في أولها: لا، وفي أخرها: إلىٰ.
فلا شك أن ناسخ (د) أو أصل (د) لم يفطن إلىٰ أنها مضروب عليها.

عظيمة وتعظمه[1] جدا جدا، وإن هاجر فتحت عينيها فرأت بئر ماء فدنت منها» إلىٰ آخر الكلام.

وفي موضع آخر قال عن إسماعيل: «إنه يجعل يده فوق يد الجميع»[2].

ومعلوم باتفاق الأمم والملل[3]، أنَّ إسماعيل تربَّىٰ بأرض مكة، فعلم أنها فاران، وأنه هو وإبراهيم بنيا البيت الذي ما زال محجوجًا من عهد إبراهيم، تحجُّه العرب وغير العرب من الأنبياء وغيرهم، كما حج إليه موسىٰ بن عمران ويونس بن متَّىٰ، كما في الصحيح من رواية ابن عباس، «أن رسول الله ﷺ مرَّ بوادي الأزرق، (بين مكة والمدينة)[4]، فقال: أي وادٍ هذا؟ فقالوا: هذا وادي الأزرق، قال: كأني أنظر إلىٰ موسىٰ ﷺ هابطًا من الثنية، واضعًا إصبعيه[5] في أذنيه، له جؤارٌ إلىٰ الله ﷻ بالتلبية، مارًّا بهذا الوادي.

قال: ثم سرنا حتىٰ أتينا علىٰ ثنية، قال: أي ثنية هذه؟ قالوا: هَرْشىٰ، فقال: كأني أنظر إلىٰ يونس علىٰ ناقة حمراء، عليه جبة صوف، خِطام ناقته ليف خُلبة، مارًّا بهذا الوادي ملبيًا»[6].

وفي رواية «أمَّا موسىٰ فرجل آدم جعد، علىٰ جمل أحمر مخطوم

---

(١) في ب: كتب معظمة ثم ضرب عليها، وفي (ل، د): عظيمة ومعظمة.

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٥٤، خير البشر ص١٢٨.

(٣) في (ل، د): الأمم والنقل، زاد في (د): المتواتر.

(٤) ما بين القوسين ليس في ل.

(٥) في (ل): أصبعه.

(٦) صحيح مسلم (١٦٦).

وهرْشىٰ جبل قرب الجُحفة، والخُلبة: الليف، وقد يسمىٰ الحبل نفسه خُلبة، وقوله: ليف خلفة، أي علىٰ البدل (النهاية في غريب الحديث ٢/ ٥٨).

وفي الأصل ب: جلبة بالجيم، وهو تصحيف.

بخُلبة»(١).

ولما بعث الله محمدًا أوجب حجه علىٰ كل أحد، فحجَّت إليه الأمم من مشارق الأرض ومغاربها.

والبئر الذي شرب منها إسماعيل وأمه هي بئر زمزم، وحديثها مذكور في صحيح البخاري، عن ابن عباس، قال: «أوَّل ما اتخذ النساء المِنْطق من قِبل أم إسماعيل، اتخذت منطقا(٢) ليُعفىٰ أثرها علىٰ سارة.

ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل -وهي ترضعه- حتىٰ وضعها عند البيت، عند دوحة فوق زمزم، في أعلىٰ المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، ووضع عندها جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفَّا إبراهيم منطلقًا، فتبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي(٣) ليس فيه أنيس(٤) ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذًا لا يضيعنا(٥)، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتىٰ إذا كان عند البيت(٦) -حيث لا يرونه- استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه الدعوات فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ

(١) صحيح مسلم (٢٧٠).
(٢) في (ل): «منطقها».
(٣) ليست في (ل، د).
(٤) في (ل): أنس. وفي (د): ليس أنس.
(٥) في د زيادة: «وفي لفظ: وتبعته أم إسماعيل حتىٰ إذا بلغوا كداء نادته من وراء: يا إبراهيم إلىٰ من تتركنا، قال إلىٰ الله، قالت: رضيت بالله، ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتىٰ إذا كان عند البيت..».
(٦) كذا في (ب، د) وفي (ل): الثنية، وهو الذي في نسخ الصحيح، ولم أجد في روايات الصحيح ما يستأنس به لتصحيح ما ورد في (ب، د). (إرشاد الساري٥/ ٣٥٣).

عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧] وجعلت أم إسماعيل تُرضع إسماعيل، وتشرب من ذلك الماء حتىٰ إذا نفد ما في السقاء وعطشت وعطش ابنها -وجعلت تنظر إليه يتلوَّىٰ- انطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترىٰ أحدًا؟ فلم تر أحدًا فهبطت من الصفا، حتىٰ إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعيَ الإنسان المجهود، حتىٰ جاوزت الوادي ثم أتت المروة، فقامت عليها ونظرت هل ترىٰ أحدًا(١)؟ فلم تر أحدًا، ففعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: فلذلك سعىٰ الناس بينهما.

فلما أشرفت علىٰ(٢) المروة سمعت صوتًا، فقالت: صه -تريد نفسها- فسمعت فقالت أيضًا(٣): قد(٤) أسمعتَ إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه -أو قال: بجناحه- حتىٰ ظهر الماء، فجعلت تحوِّضه(٥) وتقول بيديها هكذا، تغرف من الماء في سقائها، وهو يفور بعدما تغرف.

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم لم

---

(١) في (ل، د): من أحد.

(٢) ليست في ل.

(٣) كذا في ب، وكتب تحت فسمعت: فتسمعت ص. أي هكذا في نسخة، وفي ل: فسمعت أيضا فقالت، وفي الصحيح: ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت..الخ. (انظر: إرشاد الساري ٥/ ٣٥٤).

(٤) كتب في ب: لقد ثم ضرب عليها، والمثبت من (د) والصحيح.

(٥) في (ل، د): تحوطه. قال الحافظ في الفتح (٦/ ٤٠٢): «فجعلت تحوضه بحاء مهملة وضاد معجمة وتشديد أي تجعله مثل الحوض».

تغرف من الماء لكان عينًا معينًا».

قال: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة؛ فإن هاهنا بيت الله، يبني هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله.

وكان البيت مرتفعًا من الأرض كالرابية، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله»[1]، وذكر تمام الحديث[2].

---

(١) صحيح البخاري (٣٣٦٤).

(٢) أتمه في (د)، فقال:

[فكانت كذلك حتىٰ مرت بهم رفقة من جرهم، أو أهل بيت من جرهم، مقبلين من طريق كُداء، فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرًا عائفًا، فقالوا: إنَّ هذا الطائر يدور علىٰ ماء، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جريًا أو جريين فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا، قال: وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا: نعم، قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «فألفىٰ ذلك أم إسماعيل وهي تحب الإنس» فنزلوا وأرسلوا إلىٰ أهليهم فنزلوا معهم، حتىٰ إذا كان بها أهل أبيات منهم، وشب الغلام وتعلم العربية منهم، وأنفسهم وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجد (إسماعيل)، فسأل امرأته فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: (نحن) بشر، نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه، قال: إذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، وقولي له يغير عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئًا، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا، فأخبرته أنا في جهد وشدة، قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، وقال: غير عتبة بابك، قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك، إلحقي بأهلك، فطلقها، وتزوج منهم أخرىٰ، فلبث عنهم (إبراهيم) ما شاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل علىٰ امرأته فسألها عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت علىٰ الله، فقال: ما طعامكم؟ قالت اللحم، قال فما شرابكم؟ قالت الماء. قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء، قال النبي ﷺ: «ولم يكن لهم يومئذ حب، ولو كان لهم دعا لهم فيه». قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، ومريه أن يثبت

وكانت بئر زمزم قد عميت ثم أحياها عبد المطلب، جد النبي ﷺ وصارت السقاية في ولده: في العباس، وأولاده يسقون فيها[1]، ويسقون[2] أيضا الشراب الحلو، والشرب من ذلك سنة.

والله تعالىٰ قال في إسماعيل: «إني جاعله لأمة عظيمة ومعظمة جدًّا جدًّا»[3].

وهذا التعظيم المؤكد «جدا جدا» يقتضي أن يكون تعظيمًا مبالغًا فيه، فلو قدر أن البيت الذي بناه لا يحج إليه أحد، وأن ذريته ليس منهم نبي، كما

= عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة، وأثنت (في الأصل: وغسلت) عليه، فسألني عنك فأخبرته، فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير، قال: فأوصاك بشيء، قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام، ويقولل لك: أن تثبت عتبة بابك، قال: ذاك أبي وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك، (ثم لبث عنهم ما شاء الله)، ثم جاء بعد ذلك، وإسماعيل يبري نبلاً له تحت دوحة قريبًا من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الولد بالوالد والوالد بالولد، ثم قال: يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك [ربك]، قال: وتعينني؟ قال: وأعينك، [قال: فإن الله أمرني] أن أبني ها هنا بيتا، وأشار إلىٰ أكمة مرتفعة علىٰ ما حولها، [قال: فعند ذلك رفعا] القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتىٰ إذا ارتفع البناء، جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، قال: فجعلا يبنيان حتىٰ يدورا حول البيت وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وما بين () من الصحيح وليس من د، وما بين [] بيض له في الأصل فاستدركته من الصحيح.

(١) في (د): منها.

(٢) في (ب): يستقون.

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٧٠٧، التكوين (١٧: ٢٠): وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا اثني عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة.

يقوله كثير من أهل الكتاب، لم يكن هناك تعظيمًا مبالغًا فيه جدًّا جدًّا؛ إذ أكثر ما في ذلك أن يكون له ذرية، ومجرد كون الرجل له نسل وعقب لا يعظم به إلا إذا كان في الذرية مؤمنون مطيعون لله[1].

وكذلك قوله: «أجعله لأمة[2] عظيمة» إن كانت تلك الأمة كافرة لم تكن عظيمة، بل كان يكون أبًا لأمة كافرة، فعلم أنَّ هذه الأمة العظيمة كانوا مؤمنين، وهؤلاء يحجون البيت، فعلم أن حج البيت مما يحبه الله ويأمر به.

وليس في أهل الكتاب (من يحج إليه)[3] إلا المسلمون، فعلم أنهم الذين فعلوا ما يحبه الله ويرضاه، وأنهم وسلفهم الذين كانوا يحجون البيت أمة أثنىٰ الله عليها وشرفها، وأن إسماعيل عظَّمه الله جدًّا جدًّا، بما جعل في ذريته من الإيمان والنبوة، (وهذا هو)[4] كما امتن الله علىٰ نوح وإبراهيم بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الحديد: ٢٦].

وقال تعالىٰ في الخليل: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، ولما قال في نوح: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ كان في ذريته أهل الإيمان كلهم، فعلم بذلك أن[5] إسماعيل وذريته معظمون عند الله ممدوحون، وأن إسماعيل معظم جدًّا جدًّا، كما عظم الله نوحًا وإبراهيم، وإن كان إبراهيم

(١) قال ابن ظفر: قولهم في الترجمة جدا جدا إنما هو تفسير لقوله في التوراة باللسان العبراني: مؤيد مؤيد، وقد اختلفوا في تفسير هذه اللفظة، فقيل: معنىٰ جدا جدا أي : حقا حقا، وقيل: بل معناه طيبا طيبا، وقيل: معناه حمدا حمد. (خير البشر ص١٢٨).

(٢) في (ل): أمةً.

(٣) ما بين القوسين ليس في (ل).

(٤) مابين القوسين ليس في (ب).

(٥) «نوح ...بذلك أن» سقط من (ل).

أفضل من إسماعيل لكنَّ المقصود أن هذا التعظيم له ولذريته إنما يكون إذا كانت ذريته معظمة علىٰ دين حق، وهؤلاء يحجون إلىٰ هذا البيت، ولا يحج إليه بعد مجيء[1] محمد غيرهم.

ولهذا لما قال تعالىٰ[2]: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧]، فقالوا: لا نحج، فقال: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧][3].

وأيضًا: فهذا التعظيم المبالغ فيه الذي صار به ولد إسماعيل فوق الناس لم يظهر إلاَّ بنبوة محمد، فدل ذلك علىٰ أنها حقٌّ مُبشَّرٌ به[4].

---

(١) ليست في (ب).

(٢) هاهنا زيادة في (د) ضرب علىٰ بعضها، صورتها:
[ولهذا لما قال تعالىٰ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ قالت اليهود أو بعض أهل الكتاب: فنحن مسلمون فقال الله تعالىٰ]

(٣) يشير إلىٰ ما روىٰ جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، قال: لما نزلت آية الحج، جَمع رسول الله ﷺ أهلَ الأديان كلَّهم فقال: يا أيها الناس، إن الله ﷻ كتب عليكم الحج فحجُّوا، فآمنتْ به ملة واحدة، وهي من صدّق النبيّ ﷺ، وآمن به، وكفرَتْ به خمس ملل، قالوا: لا نؤمن به، ولا نصلي إليه، ولا نستقبله، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (انظر تفسير الطبري ٦/ ٥٠).

(٤) في (ب): ومبشرا به.
وهاهنا زيادة في النسخة (ل) خلت منها بقية النسخ، وهي:
[فهذا نعت محمد ﷺ لا نعت المسيح، فهو الذي بعث بشريعة قوية، ودق ملوك الأرض وأممها، حتىٰ امتلأت الأرض منه ومن أمته من مشارق الأرض ومغاربها، وسلطانه دائم لم يقدر أحد أن يزيله، كما زال ملك اليهود وزال ملك النصارىٰ عن خيار الأرض وأوسطها].
وهذا إقحام وقع فيه الناسخ -لا مناسبة له- فإن العبارة ستأتي بنصها في موضعها من كلام الشيخ عند الحديث عن بشارة دانيال.

ومثل هذا:

بشارة أخرىٰ بمحمد ﷺ من كلام شَمعون بما رضوه من ترجمتهم، وهو: «جاء الله بالبينات من جبال فاران، وامتلأت السماء والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته»[1].

فهذا تصريح بنبوة محمد ﷺ الذي جاء بالنبوة من جبال فاران، وامتلأت السماوات والأرض من تسبيحه *[2] وتسبيح أمته، ولم يخرج أحد قط[3] امتلأت السماوات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته[4] مما يسمىٰ فاران سوىٰ محمد ﷺ.

فإنَّ المسيح[5] لم يكن بأرض فاران البتة، وموسىٰ إنما كُلِّم من الطور، والطور ليس من أرض فاران، وإن كانت البرية التي بين الطور وأرض الحجاز من فاران، فلم يُنزل الله فيها التوراة، وبشارة التوراة قد تقدمت بجبل (الطور، وبشارة الإنجيل بجبل)[6] ساعير.

---

(١) نقل هذه البشرىٰ ابن ظفر في خير البشر ١٣٩، وابن القيم في هداية الحيارىٰ ٢/ ٣٤٨، ولم أجد في نصوص الكتاب المقدس نحوه. وسيأتي نحوه عن حبقوق.

(٢) من هنا بداية نسخة الظاهرية، المرموز لها: ظ، وهي الأصل المعتمد في هذا المجلد.

(٣) ب: قط أحد. وفي (ل): وامتلأت.

(٤) من قوله «فهذا تصريح...» إلىٰ هنا سقط من (د) لانتقال النظر فيما يظهر.

(٥) (ب، ل): والمسيح.

(٦) سقط ما بين القوسين من (ب، ل) لانتقال النظر، ولا بد منه لتصحيح السياق.

ومثل هذا:

ما نقل عن[1] نبوة حبقوق أنه قال: «جاء الله من التيمن، وظهر القدس علىٰ جبال فاران، وامتلأت الأرض من تحميد أحمد، ومَلك بيمينه رقاب الأمم، وأنارت الأرض لنوره وحُملت[2] خيله في البحر»[3].

ومن ذلك:

ما في التوراة التي بأيديهم، في السفر الأول منها، وهي خمسة أسفار في الفصل التاسع في قصة هاجر، لما فارقت سارة وخاطبها المَلك فقال: «يا هاجر من أين أقبلت؟ وإلىٰ أين تريدين؟» فلما شرحت له الحال قال: «ارجعي فإني سأكثر ذريتك وزرعك حتىٰ لا يحصون، وها أنت تحبلين وتلدين ابنًا تسمينَه[4] إسماعيل؛ لأنَّ الله قد سمع تذلُّلَك وخضوعك، وولدك يكون وحشي الناس[5]، وتكون يده فوق الجميع، ويد الكل به، ويكون مسكنه علىٰ تخوم جميع إخوته»[6].

---

(١) (ب، ل): في.

(٢) ب: وجملت.

(٣) وردت العبارة في سفر حبقوق الذي بين أيديهم اليوم (٣: ٣): «الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران سلاه جلاله غطىٰ السموات والارض امتلات من تسبيحه».
ويظهر أن المصنف صدر عن خير البشر لابن ظفر فإنه ذكرها بالنص ص١٤٠، وذكر قبل ذلك أن هذا مما نقله قدماء المؤرخين عن حبقوق.

(٤) في (ل، ب): تسميه.

(٥) ب: أخشىٰ الناس. وما ثبت من باقي الأصول يوافق ما في المصادر وسفر التكوين (١٦: ١٢): «وإنه يكون إنسانا وحشيا». ويوافق كذلك ما ذكره ابن ظفر في خير البشر ١٢٨.

(٦) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٥٣، خير البشر ص١٢٨.
والنص كما ورد في سفر التكوين (١٦: ٨-١٢) بحسب الترجمة التي بين أيديهم اليوم: =

قال المستخرجون لهذه البشارة: «معلوم أن يد بني إسماعيل قبل مبعث محمد ﷺ لم تكن فوق أيدي بني إسحاق، بل كان في بني إسحاق النبوة والكتاب، وقد دخلوا مصر زمن يوسف مع يعقوب، فلم يكن لبني إسماعيل فوقهم يد، ثم خرجوا منها لما بُعث موسىٰ، وكانوا مع موسىٰ[(١)] أعز أهل الأرض لم يكن[(٢)] لأحد عليهم يد، ثم[(٣)] مع يوشع بعده إلىٰ زمن داود وملك سليمان الذي لم يؤت أحد مثله، وسُلِّطَ عليهم بعد ذلك بخت نصر، فلم يكن لبني إسماعيل (ظ٢) عليهم أمرٌ[(٤)]، ثم بعث المسيح، وخُرِّب بيت المقدس الخراب الثاني، حيث أفسدوا في الأرض مرتين، ومن حينئذ زال ملكهم فقطعهم[(٥)] الله في الأرض أممًا، وكانوا تحت حكم الروم والفرس، لم يكن للعرب عليهم حكم أكثر من غيرهم، ولم يكن لولد إسماعيل سلطان علىٰ أحد من الأمم - لا أهل الكتاب ولا الأميين - فلم تكن يد ولد إسماعيل فوق الجميع، حتىٰ بُعث[(٦)] محمد ﷺ؛ الذي دعا به إبراهيم لولد إسماعيل[(٧)] حيث

= «وقال: «يا هاجر جارية ساراي، من أين أتيت؟ وإلىٰ أين تذهبين؟». فقالت: «أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي». فقال لها ملاك الرب: «ارجعي إلىٰ مولاتك واخضعي تحت يديها». وقال لها ملاك الرب: «تكثيرا أكثر نسلك فلا يعدُّ من الكثرة». وقال لها ملاك الرب: «ها أنت حبلىٰ، فتلدين ابنا وتدعين اسمه إسماعيل، لأنَّ الرب قد سمع لمذلتك. وإنه يكون إنسانًا وحشيا، يده علىٰ كل واحد، ويد كل واحد عليه، وأمام جميع إخوته يسكن».

(١) ليست في (ل).

(٢) ب: «تكن».

(٣) ليست في (ل).

(٤) (ب، ل، المطبوعة): «يدٌ».

(٥) (ل، ب، المطبوعة): «وقطعهم».

(٦) (ل، المطبوعة): «بعث الله محمدا».

(٧) (ل، ب، المطبوعة، د): «إبراهيم وإسماعيل حيث قالا».

قال: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

فلما بُعث صار يد ولد إسماعيل فوق الجميع، فلم يكن في الأرض سلطان أعز من سلطانهم، وقهروا فارس والروم وغيرهم من الأمم، وقهروا اليهود والنصارىٰ والمجوس والمشركين والصابئين؛ فظهر بذلك تحقيق قوله في التوراة: «وتكون يده فوق الجميع[١] ويد الكل به»، وهذا أمر مستمر إلىٰ آخر الدهر[٢].

فإن قيل: هذه بشارة بملكه وظهوره؟

قيل: الملك ملكان؛ ملك ليس فيه دعوىٰ نبوة، وهذا لم يكن لبني إسماعيل علىٰ الجميع، وملك صدر عن دعوىٰ نبوة، فإن كان مدعي النبوة كاذبًا فمن أظلم ممن افترىٰ علىٰ الله كذبًا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء، وهذا من شر[٣] الناس وأظلمهم وأكذبهم وأفجرهم، وملكه شر من ملك الظالم الذي لم يدع نبوة كـ«بخت نصر» و«سنحاريب».

ومعلوم أنَّ الإخبار بهذه لا يكون بشارة، ولا تفرح سارة وإبراهيم بهذا، كما لو قيل: يكون جبارًا طاغيًا يقهر الناس علىٰ طاعته، ويقتلهم ويسبي حريمهم، ويأخذ أموالهم بالباطل، فإن الإخبار بهذا لا يكون بشارة ولا يسر المخبَر بذلك، وإنما يكون بشارة تسره إذا كان ذلك بِعدل، وكان علوه محمودًا لا إثم فيه، وذلك من مدعي النبوة لا يكون إلا وهو صادق لا كاذب.

---

(١) هامش ب: بلغ.
(٢) انظر: خير البشر ص١٢٧.
(٣) ب: «أشر الناس وأكذبهم وأظلمهم». ومثله في (ل) لكن بلفظ: شر.

فصل

قالوا(١): وقال: داود في الزبور في مزمور له(٢): «سبحوا الله تسبيحًا جديدًا، وليفرح بالخالق مَن اصطفىٰ الله له أمته وأعطاه النصر، وسدد الصالحين منهم بالكرامة، يسبحونه علىٰ(٣) مضاجعهم ويكبرون الله بأصواتٍ مرتفعة، بأيديهم سيوف ذات شفرتين؛ لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه»(٤).

وهذه الصفات إنَّما تنطبق علىٰ صفات محمدٍ ﷺ وأمته، فهم الذين يكبرون الله بأصوات مرتفعة في أذانهم للصلوات(٥) الخمس، وعلىٰ الأماكن العالية، كما قال جابر بن عبد الله: «كنا مع رسول الله ﷺ إذا علونا كبرنا، وإذا هبطنا سبَّحنا، فوضعت الصلاة علىٰ ذلك» رواه البخاري(٦).

---

(١) ليست في (ب، ل).

(٢) في (ل، د): في الزبور في قوله..

(٣) في (ل): عن.

(٤) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٥٩، خير البشر ص١٤٢، وفي سفر المزامير (٦: ١٤٩) بحسب الترجمة التي بين أيدههم اليوم: «هللويا. غنوا للرب ترنيمة جديدة تسبيحته في جماعة الاتقياء. ليفرح إسرائيل بخالقه. ليبتهج بنو صهيون بملكهم. ليسبحوا اسمه برقص بدف وعود ليرنموا له. لأنَّ الرب راض عن شعبه يجمل الودعاء بالخلاص. ليبتهج الاتقياء بمجد ليرنموا علىٰ مضاجعهم. تنويهات الله في أفواههم وسيف ذو حدين في يدهم. ليصنعوا نقمة في الأمم وتأديبات في الشعوب. لأسر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبول من حديد. ليجروا بهم الحكم المكتوب كرامة هذا لجميع أتقيائه. هللويا».

(٥) ب: «في إقامتهم الصلوات الخمس».

(٦) صحيح البخاري (٢٩٩٣) بلفظ: «كنا إذا صعدنا كبرنا، وإذا نزلنا سبحنا».

وفي (ب، ل): رواه أبو داود وغيره.

والذي رواه أبو داود في السنن (٢٥٩٩) هو حديث ابن عمر، أن رسول الله ﷺ كان إذا استوىٰ علىٰ بعيره خارجا إلىٰ سفر كبر ثلاثا، ثم قال: «﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٣-١٤]، اللهم إني أسألك =

وفي صحيح مسلم[1] عن عبدالله بن عمر (قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قفل من الجيوش أو السرايا أو الحج أو العمرة إذا أوفىٰ علىٰ ثنية أو فَدْفَد، كبَّر ثلاثًا، ثم قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير، آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده»[2].

وفي صحيح البخاري عن أنس قال: «صلىٰ رسول الله ﷺ -ونحن معه بالمدينة- الظهر أربعًا، والعصر بذي الحليفة، ركعتين ثم بات بها حتىٰ أصبح ثم ركب حتىٰ استوت به راحلته علىٰ البيداء، حمد الله وسبح وكبر ثم أهل بعمرة وحج» وذكر الحديث[3].

وعن أبي هريرة: «أن رجلا قال: يا رسول الله، إني أريد أن أسافر فأوصني، قال: عليك بتقوىٰ الله والتكبير علىٰ كل شَرف، فلما أن ولىٰ الرجل قال: اللهم اطو له البعد، وهون عليه السفر» رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وحسنه الترمذي[4].

= في سفرنا هذا البر والتقوىٰ، ومن العمل ما ترضىٰ، اللهم هون علينا سفرنا هذا، اللهم اطو لنا البعد، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل والمال». وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون». وكان النبي ﷺ وجيوشه إذا علوا الثنايا كبروا، وإذا هبطوا سبحوا، فوضعت الصلاة علىٰ ذلك.

(١) في (ب، ل): «وفي الصحيحين عن ابن عمر»، ومنه إلىٰ آخر حديث ابن عمر الآتي سقط من النسختين، وهو محصور بين قوسين.

(٢) الحديث في الصحيحين: صحيح البخاري (٢٩٩٥)، صحيح مسلم (١٣٤٤).

(٣) صحيح البخاري (١٥٥١).

(٤) رواه أحمد (٨٣١٠)، والترمذي (٣٤٤٥) ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة (٥٠٥)، قال الترمذي: حديث حسن أهـ وفي إسناده أسامة بن زيد الليثي، صدوق يهم، انظر ترجمته في (تهذيب الكمال ٢/ ٣٤٧).
قوله: وحسنه الترمذي ليس في (د).

وروىٰ ابـن ماجـه منـه: «أوصـيك بتقـوىٰ الله (ظ٣) والتكبيـر علـىٰ كـل شرَف»[١].

وعن[٢] ابن عمر قال: «كان النبي ﷺ وجيوشه إذا علوا الثنايا كبَّروا، وإذا هبطوا سبحوا»، رواه أبو داود بإسناد صحيح)[٣].

وهـم يكـبرون الله بأصـوات عاليـة مرتفعـة في أعيـادهم: عيـد الفطـر وعيـد النحـر، في الصـلاة والخطبـة، وفي ذهـابهم إلـىٰ موضـع الصـلاة، وفي أيـام مِنـىٰ: الحُجاج وسائر أهل الأمصار يكبرون عَقب[٤] الصلوات، فإمام الصلاة يسنُّ له الجهر بالتكبير.

وذكر البخـاري عـن عمـر بـن الخطـاب: «أنـه كـان يكـبر في قُبَّتـه[٥] بمنـىٰ، فيسمعه أهل المسجد فيكبرون بتكبيره[٦]، فيسـمعهم أهـل الأسـواق فيكـبرون، حتىٰ ترتجَّ منىً تكبيرًا»[٧].

قال[٨]: «وكـان ابـن عمـر وابـن عبـاس يخرجـان إلـىٰ السـوق أيـام العشـر،

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٧٧١). وفي إسناده أسامة بن زيد ضعفوه من قبل سوء حفظه.
(٢) قدم هنا في (د) فقال: وروىٰ أبو داود وغيره بإسناد صحيح..
(٣) سنن أبي داود (٢٥٩٩)، والثنايا بمعنىٰ الشَّرَف، وهو ما ارتفع من الأرض (النهاية ٢/ ٤٦٢).
(٤) (ب، ل): عقيب.
(٥) ليست في (ل، ب).
(٦) ليست في ب. وعنده: فيستمعهم.
(٧) ذكره البخاري تعليقا في باب التكبير أيام منىٰ وإذا غدا إلىٰ عرفة ٢/ ٢٠، ورواه موصولا أبو عبيد والبيهقي كما في فتح الباري ٢/ ٤٦٢.
(٨) ليست في (ب، ل).

فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما»[1].

ويكبرون على قرابينهم: هَدْيهم وضحاياهم، كما كان «نبيهم يقول عند الذبح: بسم الله والله أكبر»[2].

ويكبرون إذا رموا الجمار،[3] ويكبرون في الطواف عند محاذاة الركن، وكل هذا يجهرون فيه بالتكبير غير ما يسرونه.

قال تعالى -لما ذكر صوم رمضان الذي يقيمون له عيد الفطر-[4]: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال[5] لما ذكر الهدي الذي يُقرَّب من[6] عيد النحر، وهو يوم الحج الأكبر: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ

---

(١) علقه البخاري في باب فضل العمل في أيام التشريق ٢/ ٢٠، وقال الحافظ: لم أره موصولاً عنهما وقد ذكره البيهقي أيضًا معلقًا عنهما (فتح الباري / ٤٥٨).

(٢) كما روى ذلك جابر بن عبدالله رضي الله عنه، رواه أحمد (١٤٨٣٧) وأبو داود (٢٨١٠)، والترمذي (١٥٢١)، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم: أن يقول الرجل إذا ذبح: بسم الله والله أكبر، وهو قول ابن المبارك والمطلب بن عبد الله بن حنطب يقال إنه لم يسمع من جابر أهـ. وقد توبع فيه المطلب كما قد أخرجه أحمد (١٥٠٢٢) من طريق أبي عياش عن جابر.

(٣) زيادة في (ل، ب، د): ويكبرون على الصفا والمروة.

(٤) كرر هنا في (ل، ب): قال تعالى.

(٥) ليست في (ب،ل، والمطبوعة)، وتأخرت إلى قبل الآية.

(٦) (ب، ل): في.

﴿سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٦، ٣٧].

والنصارىٰ يسمون عيد المسلمين: عيد الله أكبر، لظهور التكبير فيه، وليس هذا لأحد من الأمم، لا[١] أهل الكتاب ولا غيرهم غير المسلمين، وإنما كان موسىٰ يجمع بني إسرائيل بالبوق، والنصارىٰ شعارهم[٢] الناقوس.

وأما تكبير الله بأصوات مرتفعة فإنما هو شعار المسلمين، فإنَّ الأذان شعار المسلمين، وبهذا يظهر تقصير[٣] من فسَّر ذلك بتلبية الحجاج.

وفي الصحيحين عن أنس عن النبي ﷺ: («أنه كان إذا غزا قوما لم يغزُ حتىٰ يصبح فإن سمع أذانا أمسك، وإن لم يسمع اذانا أغار بعدما يصبح»، رواه البخاري[٤].

وفي لفظ مسلم: «كان يغير إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان، فإن سمع أذانًا أمسك وإلاَّ أغار، فسمع رجلا يقول: الله أكبر الله أكبر، فقال رسول الله ﷺ: علىٰ الفطرة، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال: خرجت من النار»[٥].

---

(١) ليست في (ل).

(٢) في (ل): «لهم الناقوس».

(٣) ليست في (ل).

(٤) صحيح البخاري (٦١٠). والتخريج ليس في (د).
وهكذا ثبت الحديث في (ظ، د)، وهو الصواب الموافق للبخاري.
وما بين القوسين ليس في (ل، ب،المطبوعة)، بل فيه: «وفي الصحيحين عن أنس عن النبي ﷺ: أنه كان إذا أراد الإغارة إن سمع أذانا أو رأىٰ مسجدا وإلا أغار».
وليس في الصحيحين لفظة: أو رأىٰ مسجدا، ولم أجده في طرق الحديث التي وقفت عليها، وإنما ذكره المصنف من حديث عصام المزني بلفظ آخر.

(٥) صحيح مسلم (٣٨٢).

وعن عصام المزني قال: كان النبي ﷺ إذا بعث السرية يقول: إذا رأيتم مسجدًا أو سمعتم مناديًا فلا تقتلوا أحدا«، رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه)[1].

وكذلك قوله: «بأيديهم سيوف ذات شفرتين» وهي السيوف العربية التي بها فتح الصحابة وأتباعهم البلاد[2].

وقوله: «يسبحونه علىٰ مضاجعهم» بيان لنعت المؤمنين الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلىٰ جنوبهم، ويصلي الفرضَ[3] أحدُهم قائمًا، فإن لم يستطع فقاعدًا، فإن لم يستطع فعلىٰ جنب[4].

فلا يتركون ذكر الله في حال[5]، بل يذكرونه حتىٰ في هذه الحال، ويصلون

---

(١) رواه أحمد (١٥٧١٤)، وأبو داود (٢٦٣٥)، والترمذي(١٥٤٩)، وقال: «هذا حديث حسن غريب».
وإسناده ضعيف لأنه من رواية ابن عصام عن أبيه، وابن عصام لا يُعرف (تهذيب الكمال ٣٤/ ٤٦٢، ميزان الاعتدال ٤/ ٥٩٤).
ولم أجده في ابن ماجه، ولا رمز له المزي برمزه لا في تهذيب الكمال ولا في تحفة الأشراف(٧/ ٢٩٦).

(٢) فإن السيوف العربية قاطعة علىٰ الحدَّيْن. وفي (ب): «فتح بها الصحابة».

(٣) من (ظ، د).

(٤) كما روىٰ البخاري في صحيحه (١١١٧) عن عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: كانت بي بواسير، فسألت النبي ﷺ عن الصلاة، فقال: «صل قائما، فإن لم تستطع فقاعدا، فإن لم تستطع فعلىٰ جنب».
وفي (ب): «جنبه».

(٥) اقتداء بنبيهم ﷺ، كما روىٰ مسلم في صحيحه (٣٧٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يذكر الله علىٰ كل أحيانه.

في البيوت على المضاجع[1]، والصلاة أعظم التسبيح، كما في قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: ١٧، ١٨]، وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠].

وفي الصحيحين عن جرير بن عبد الله قال: «كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: إنكم (ظ٤) سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا، ثم قرأ قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه: ١٣٠]»[2].

وهذا معنى قول داود: «سبحوا الله تسبيحًا جديدًا»، يعني التسابيح التي يشرعها الله جديدًا[3]: كالصلوات الخمس التي شرعها للمسلمين جديدًا.

ولما أقامها جبريل للنبي ﷺ قال: «هذا وقتك ووقت الأنبياء قبلك»[4].

---

(١) في (ب، ل) زيادة: (بخلاف أهل الكتاب).

(٢) رواه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

(٣) في (ب، ل): والتسابيح التي شرعها الله جديدا.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٣٠٨١) (٣٣٢٢)، وأبو داود (١٤٩)، والترمذي (١٤٩) من حديث ابن عباس. قال الحافظ في التلخيص الحبير (١/ ٤٤٥): وفيه عبد الرحمن بن الحارث بن عياش بن أبي ربيعة مختلف فيه، لكنه توبع أخرجه عبد الرزاق عن العمري عن عمر بن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه عن ابن عباس نحوه، قال ابن دقيق العيد: هي متابعة حسنة، وصححه أبو بكر بن العربي وابن عبد البر...، وقال ابن عبد البر: لا توجد هذه اللفظة وهي قوله: «هذا وقتك ووقت الأنبياء من قبلك» إلا في هذا الحديث أهـ.

فكان الأنبياء يسبحون في هذه الأوقات،وذلك هو[1] التسبيح المقدم[2]، والتسبيح الجديد للمسلمين[3] كما يدل عليه سائر الكلام.

ولا يمكن أن يكون ذلك للنصارىٰ؛ لأنهم لا يكبرون الله بأصوات مرتفعة، ولا بأيديهم سيوف ذات شفرتين لينتقم الله بهم من الأمم، بل أخبارهم تدل علىٰ أنهم كانوا مغلوبين مع الأمم، ولم يكونوا يجاهدونهم بالسيف، بل النصارىٰ قد تعيبُ من يقاتل الكفار بالسيف، ومنهم من يجعل هذا من معايب محمد ﷺ وأمته، ويغفلون عمَّا عندهم من أنَّ[4] الله تعالىٰ أمر موسىٰ بقتال الكفار، وقاتلهم بنو إسرائيل بأمره، وقاتلهم يوشع وداود، وغيرهما من الأنبياء، وإبراهيم الخليل قاتل لدفع الظلم عن أصحابه[5].

فصل

قالوا: وقال داود في مزاميره - وهي الزبور -: «من أجل هذا بارك الله عليك إلىٰ الأبد، فتقلد أيها الجبار السيف[6]؛ لأنَّ البهاء لوجهك، والحمد الغالب عليك، اركب كلمة الحق وسمتَ التأله، فإنَّ ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك وسهامك مسنونة[7]، والأمم يخرُّون تحتك»[8].

---

(١) في (ب، ل): كما يدل التسبيح..الخ.
(٢) في (ل): المتقدم.
(٣) ليست في ب، ل.
(٤) ليست في ظ، وفي (ل): أن أن.
(٥) في (ب): صح.
(٦) في (ل): «بالسيف».
(٧) في (ظ): «ومسنونة». وما أثبتناه من باقي الأصول أحرىٰ بالصواب.
(٨) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٦٠، خير البشر ص ١٣٦الذي نحوه، والذي في الزبور (٤٥: ٢) بحسب النسخة التي بين أيدهم: «أنت أبرع جمالاً من بني البشر =

قالوا[1]: وليس متقلد السيف من الأنبياء بعد داود سوىٰ محمد ﷺ، وهو الذي خرَّت الأمم تحته، وقرنت[2] شرائعه بالهيبة[3]، كما قال ﷺ: «نصرت بالرعب مسيرة شهر»[4].

وقد أخبر داود أنَّ له ناموسًا وشرائع، وخاطبه بلفظ الجبار، إشارة إلىٰ قوته وقهره لأعداء الله، بخلاف المستضعف المقهور.

وهو ﷺ نبي الرحمة، ونبي الملحمة[5]، وأمته أشداء علىٰ الكفار رحماء بينهم، أذلة علىٰ المؤمنين أعزة علىٰ الكافرين، بخلاف من كان ذليلاً للطائفتين من النصارىٰ المقهورين مع الكفار، أو كان عزيزًا علىٰ المؤمنين من اليهود، بل كان مستكبرًا كلما جاءهم رسول بما لا تهوىٰ أنفسهم كذبوا فريقًا وقتلوا فريقًا[6].

= انسكبت النعمة علىٰ شفتيك لذلك باركك الله إلىٰ الأبد. تقلد سيفك علىٰ فخذك أيها الجبار جلالك وبهاءك. وبجلالك اقتحم اركب من أجل الحق والدعة والبر فتريك يمينك مخاوف. نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك شعوب تحتك يسقطون».

(١) في (ب، ل): «قال».
والقائل هو أبو البقاء الهاشمي في تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٦٠.

(٢) في الأصل ظ: بدون حرف العطف، ومثل هذا الاختلاف الطفيف الذي لا يضر بالمعنىٰ لن أنبه عليه في الغالب، بل سأتبع ما في الأصل ظ إن كان وجيها، أو ما اتفقت عليه غالب النسخ، وإن لم أشر إلىٰ ذلك.

(٣) تتمة كلام أبي البقاء: فإما القبول بالجزية وإما السيف، وتصديقه قوله ﷺ...الخ.

(٤) متفق عليه، رواه البخاري (٣٣٥) ومسلم (٥٢١) من حديث جابر.

(٥) كما ثبت ذلك من حديث أبي أموسىٰ الأشعري عند مسلم (٢٣٥٠٠)، وأحمد (١٩٥٢٥).

(٦) في (ب): صح.

فصل

قالوا: وقال: داود في مزمور له: «إن ربنا عظيم محمود جدا» وفي ترجمةٍ[1]: «إلهنا قدوس، ومحمد قد عم الأرض كلها فرحا»[2].

قالوا[3]: فقد نص داود علىٰ اسم محمد وبلده، وسماها قرية الله[4]، وأخبر أن كلمته تعم الأرض كلها.

قلتُ: قد تقدم الحديث الصحيح لما قيل لعبدالله بن عمرو، وروي لعبدالله بن سلام[5]: أخبرنا ببعض صفة رسول الله ﷺ في التوراة، فقال: «إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن»، وذكر صفته موجودة في نبوة أشعياء، وليست موجودة في نفس كتاب موسىٰ.

وتقدم أنَّ لفظ التوراة يقصدون به جنس الكتب التي عند أهل الكتاب، (وكذلك ما يوجد كثيرًا من قول كعب الأحبار وغيره ممن ينقل عن أهل

---

(١) كذا في الأصول، وفي هداية الحيارىٰ وردت عنده البشارة هكذا: «إن ربنا عظم محمودا جدا، وفي مكان آخر: إلهنا قدوس..».
بينما في الأصل الذي صدر منه، وهو: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٦١: «إن ربّنا عظيم محمود جدّاً، وفي قرية إلهنا قدوس، ومحمّد قد عَمَّ الأرض كلها فرحـاً».

(٢) هامش ظ: «ص٩٩، ع٣». وهذا تخريج للبشارة من «الكتاب المقدس».
والنص كما في النسخة المطبوعة اليوم من المزامير (٩٩: ٣): «يحمدون اسمك العظيم والمهوب قدوس هو».

(٣) القائل هو أبو البقاء الهاشمي في تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٦١.

(٤) كذا في الأصول، ولم يذكر في البشارة اسم بلدته، وفي هداية الحيارىٰ ٢/ ٣٥٦: فقد نص داود علىٰ اسم محمد وصرح أن كلمته عمت الأرض.

(٥) في (ب): وروي أنه قيل لعبدالله بن سلام. وفي (ط النيل): أنه لعبدالله بن سلام في غير البخاري.

الكتاب: قرأت في التوراة، إنما يريدون به جنس الكتاب الذي عند أهل الكتاب)[1]، لا يخصون بذلك كتاب موسىٰ، وإذا كان هذا معروفًا عندهم، (وقد خوطبوا بهذه اللغة كان[2] قوله تعالىٰ في القرآن: ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ)[3] فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ يراد بالتوراة جنس الكتب التي عند أهل الكتاب، فيتناول ذلك كتاب موسىٰ وزبور داود وصحف سائر الأنبياء - سوىٰ الإنجيل - فإنه ليس عند أهل الكتاب، وإنما هو عند النصارىٰ خاصة.

وأما سائر كتب الأنبياء فالأمَّتان تقرُّ[4] بها، ويؤيد ذلك أنَّ الله تعالىٰ كثيرا ما يقرن في القرآن بين التوراة والإنجيل (ظ٥)[5]، وإنما يذكر الزبور مفردًا، كقوله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ١-٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ [التوبة: ١١١].

---

(١) ما بين القوسين ليس في (ل، والمطبوعة).

(٢) في (ط النيل): فإن قوله تعالىٰ..

(٣) سقط ما بين القوسين من (ب، ل) لانتقال النظر.

(٤) ط النيل: تقران.

(٥) في (ب،ل، المطبوعة) هنا زيادة: «وبين القرآن». والصواب حذفها، والمثال الثالث يؤيد ذلك، إذ أن مقصود المؤلف أن القرآن يقرن بين التوراة والإنجيل، كما سيبينه بالأمثلة من الآيات الكريمة، وليس مراده أنه يقرن بين القرآن والإنجيل والتوراة من جهة وبين القرآن والزبور، كما ورد في بعض النسخ.

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وأهل الكتاب يجدونه مكتوبًا في الكتب التي بأيديهم، وهو في كثير منها أصرح مما هو في كتاب موسىٰ خاصة.

فإذا أريد بالتوراة جنس الكتب فلا يستريب عاقل في كثرة ذكره ونعته ونعت أمته في تلك الكتب.

ومعلوم أنَّ الله أراد بذلك الاستشهاد بوجوده في تلك الكتب، وإقامة الحجة بذكره فيها، فإذا كان ذكره في غير كتاب موسىٰ أكثر وأظهر عندهم؛ كان الاستدلال بذلك أولىٰ من تخصيص الاستدلال بكتاب موسىٰ.

فإذا حُمل لفظ التوراة في هذا علىٰ جنس الكتب، كما هو موجود في لغة من تكلم بذلك من الصحابة والتابعين، كان هذا في غاية البيان والمدح للقرآن والكتب[1] المتقدمة، وتصديق بعضها بعضًا.

وقد أُمرنا أن نؤمن بما أوتي النبيون مطلقًا، كما قال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

---

(١) في (ب): وللكتب.

والزبور ذكره مفردًا في موضعين من القرآن، في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

فذكره مفردًا، وذكر كتاب موسىٰ بهذه الإضافة، لا بلفظ التوراة في غير موضع فقال: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠-١٢](١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ٩١].

وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ [الأنعام: ١٥٤].

---

(١) في (ب): ذكر أول الآيات وآخرها اختصارا.

وإذا كان لفظ التوراة يتناول الكتب التي عند أهل الكتابين[1] جميعًا، والزبور وغيره داخل في هذا الاسم، وكان ظهور اسمه ونعته في التوراة ووجودهم ذلك فيما عندهم وتكرره في غاية القوة، وكان معرفتهم ذلك[2] كما يعرفون أبناءهم واضحًا بينًا، وإن قدر هذه الكتب التي يعترف بها عامتهم لم يكتم منها شيء بل هي باقية كما كانت.

فصل

وقالوا: وقال داود في مزموره: «لترتاح البوادي وقراها، ولتَصِر[3] أرض «قيذار» مروجًا، وليسبِّح سكان الكهوف، ويهتفوا[4] من قُلل[5] الجبال بحمد الرب، ويذيعوا تسبيحه[6] في الجزائر»[7].

---

(١) في (ط النيل): أهل الكتاب.

(٢) في (ب، ل، ط النيل): لذلك.

(٣) في (ب): ولتصير..

(٤) (ل): وتصفوا.

(٥) في (ظ، ط النيل): تلك. وما ثبت من (د، والمطبوعة): قلل، وستأتي الكلمة بعد قليل في ظ: قلل، وكانت في (ب): تلك فحولها: قلل. وكذا في (ل) لكن بقيت الكاف آخرها!.
والصحيح: قلل، هكذا أورد البشارة أبو البقاء في التخجيل ٢/ ٦٦٢، وعنه صدر المصنف، وهكذا ذكرها ابن القيم في هداية الحيارىٰ (٢/ ٣٥٦) وهو صدر عن المصنف.

(٦) هامش ظ: تسابيحه خ، أي أنه في نسخة أخرىٰ، وكذا ثبت في (المطبوعة، ب، ل) والتخجيل.

(٧) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٦٢. ولم أجده في المزامير، وقد ذكر محقق التخجيل أن النص ورد في سفر أشعياء ٤٢: ١١-١٢ وليس في مزامير داود. قال: وقد وردت البشارة في الدين والدولة ص ١٤٣، أعلام النبوة ص ٢٠٢، الجواب الصّحيح ٣/ ٣٢٢، هداية الحيارىٰ ص ١٤٧، الأجوبة الفاخرة ص ١٧١، الإعلام ص ٢٧٣، مقامع هامات ص ٢٢٥، إظهار الحقّ ص ٥٢٦.
وفي سفر أشعياء -بحسب الترجمة اليوم-: «غنّوا للرّبّ أغنية جديدة، تسبيحه من أقصىٰ ٱلأرض. أيّها ٱلمنحدرون في ٱلبحر وملؤه وٱلجزائر وسكّانها، لترفع ٱلبريّة ومدنها صوتها، =

قالوا[1]: فلمن البوادي من الأمم سوىٰ أمة محمد؟ ومن «قيذار» سوىٰ ابن (ظ٦) إسماعيل جدُّ رسول الله ﷺ[2]؟ ومن سكان الكهوف وتلك الجبال سوىٰ العرب؟.

فصل

قالوا: وقال داود في مزمور له: «ويحوز من البحر إلىٰ البحر، ومن لدن الأنهار إلىٰ منقطع الأرض، ويخر[3] أهل الجزائر بين يديه، ويلحس أعداؤه التراب ويسجد له ملوك الفرس، وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد، ويخلص البائس المضطهد ممن هو أقوىٰ منه، وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له، ويرأف بالمساكين والضعفاء، ويصلىٰ عليه، ويبارك عليه[4] في كل حين»[5].

= ٱلدّيار ٱلّتي سكنها قيدار. لتترنّم سكّان سالع. من رؤوس ٱلجبال ليهتفوا. ليعطوا ٱلرّبّ مجدا ويخبروا بتسبيحه في ٱلجزائر».

(١) القائل هو أبو البقاء في التخجيل ٢/ ٦٦٢.

(٢) قيذار هو المذكور في كتب الأنساب باسم: قَيْذَر، وهو ابن إسماعيل لصلبه (انظر: الاشتقاق ٤٣). وفي بعض المصادر والنسخ: قيدار.
قال ابن إسحاق: ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام اثني عشر رجلا: نابتا، وكان أكبرهم، وقَيْذَرُ، وَأَذْبُلَ، وَمُبَشًّا، وَمِسْمَعًا، وَمَاشِي، وَدِمًّا، وَأَذَرُ، وَطَيْمَا، وَيَطُورَ، ونَبِشَ، وقَيْذُما وَأُمُّهُمْ رَعْلَةُ بِنْتُ مُضَاضِ بْنِ عَمْرٍو الْجُرْهُمِيُّ (سيرة ابن هشام ١/ ٥).
وروىٰ ابن جرير هذا عن ابن إسحاق، لكن وقع عنده: قيدر، بالدال المهملة (تاريخ الأمم والملوك١/ ٣١٤) ثم قال: وقد ينطق أسماء أولاد إسماعيل بغير الألفاظ التي ذكرت عن ابن إسحاق، فيقول بعضهم في قيدر: قيدار.

(٣) في (ب) بالتاء في هذا الفعل والأفعال التي تليه.

(٤) ليست في سوىٰ (ظ).

(٥) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٦٢، وفي المزامير: ٧٢: ٨-١٥. نحو هذه البشارة.

وهـذه الصـفات منطبقـة علـىٰ محمـد وأمتـه، لا علـىٰ المسـيح، فـإنَّ محمـدا ﷺ حـاز مـن البحـر الرومـي إلـىٰ البحـر الفارسـي، ومـن لـدن الأنهـار بجيحـون وسـيحون[1]، إلىٰ منقطع الأرض بـالمغرب، كمـا قـال: «زويـت لـي الأرض، فرأيتُ[2] مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها»[3].

وهو يُصلىٰ عليه ويُبارك في كل حين، في كل صلاة من الصلوات الخمس وغيرها، يقول كلٌّ من أمته: اللهـم صـل علـىٰ محمـد وعلـىٰ آل محمـد، وبـارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد، فيصلىٰ عليه ويبارك.

وقد خرَّتْ أهل الجزائر بين يديه، أهل جزيرة العرب، وأهل الجزيرة التي بين الفرات ودجلة، وأهل جزيرة قبرص، وأهل جزائر[4] الأندلس.

وخضعت له ملوك الفرس، فلم يبق فيهم إلاَّ منْ أسلم أو أدىٰ الجزية عن يد وهو صاغر.

بخلاف ملوك الروم، فإن فيهم من لم يسلم، ولم يؤد الجزية، فلهذا خص ملوك فارس، ودانت له الأمم، فعامة الأمم -التي تعرفه وتعرف أمته- كانت إمَّا مؤمنةً به[5]، أو مسلمة له منافقة، أو مهادنة مصالحة، أو خائفة منهم.

وأنقذ الضعفاء من الجبارين.

---

(١) في (ب): كجيحون وسيحون.

(٢) ليست في سوىٰ (ظ).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في (ب، المطبوعة، ل): «جزيرة».

(٥) في (ب، ل، المطبوعة): «ودانت له الأمم التي تعرفه وتعرف أمته كانت إما مؤمنة به أو مسلمة له منافقة».

وهذا بخلاف المسيح؛ فإنه لم يتمكن هذا التمكن في حياته، ولا من اتبعه بعد موته تمكنوا هذا التمكن، ولا حازوا ما ذكر، ولا صلي عليه وبورك عليه في اليوم والليلة، فإنَّ النصارىٰ يدَّعُون إلاهيَّة المسيح، (فلا يصلون عليه وإنما يصلون له)[1].

فصل

[2]وفي نبوة أشعياء: (قال أشعياء)[3]: «قيل لي: قم نظَّارًا، فانظر ماذا ترىٰ، فقلت: أرىٰ راكبين مقبلين[4]: أحدهما علىٰ حمار والآخر علىٰ جمل، يقول أحدهما لصاحبه: سقطت بابل[5] وأصحابها للمنخر»[6].

قالوا: فراكب الحمار هو المسيح عليه السلام، وراكب الجمل هو محمد ﷺ وهو أشهر بركوب الجمل من المسيح بركوب الحمار، وبمحمد ﷺ سقطت أصنام بابل[7].

---

(١) هامش ظ: «بلغ مقابة». وما بين القوسين من ظ، وكتبه في ب ثم ضرب عليه. وبعده صح صح، وليس هو في المطبوعة، وأشار إليه في هامشها.

(٢) في (ب، ل، المطبوعة) زيادة: وقال.

(٣) ليست الجملة في (ب) وأظنه سقط عليه لانتقال النظر.

(٤) في (ل): مقبلة.

(٥) في (ب، ل): «سقطت أصنام بابل».

(٦) كذا مجودة في ظ، وفي (ب، ط النيل، المطبوعة): للمنحر. والنقطة في (ل) ظاهرة، لكن ضرب عليها بقلم آخر. والبشارة في التحجيل: للمنحر، وفي كتاب ابن ظفر خير البشر ص١٣٨، لكن بدون الكلمة الأخيرة، وانظر: هداية الحيارىٰ (٢/ ٣٥٧).

(٧) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٦٦، وعنه صدر المصنف، خير البشر ص١٣٨. ونحو هذه البشارة في سفر أشعياء ٢١: ٦-١٠.
وفي هامش (ف): «قال البغوي رحمه الله: بعث الله أشعياء بن أمضياء قبل مبعث زكريا ويحي وعيسىٰ عليهم السلام، وأشعياء هو الذي بشر بعيسىٰ ومحمد عليهما السلام فقال: أبشري أورشلك الآن يأتيك راكب الحمارومن بعده صاحب البعير».

فصل

ومما ينبغي أن يعلم: أنَّ الكتب المتقدمة بشَّرت بالمسيح، كما بشرت بمحمد ﷺ، وكذلك أنذرت بالمسيح الدجال، والأمم الثلاثة - المسلمون واليهود والنصارىٰ - متفقون علىٰ أن الأنبياء أنذرت[1] بالمسيح الدجال، وحذرت منه، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الدجال[2]، حتىٰ نوح أنذره[3] أمته، وسأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لأمته: إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر[4]: ك ف ر، يقرؤه كل مؤمن قارئ وغير قارئ»[5].

والأمم الثلاثة متفقون علىٰ أنَّ الأنبياء بشروا بمسيح من ولد داود، فالأمم الثلاثة متفقون علىٰ الإخبار بمسيح هدىً من نسل داود، ومسيح ضلالة لم يأت بعد، (وسوف يأتي)[6]، وهم متفقون علىٰ أن مسيح الهدىٰ سيأتي أيضًا، ثم المسلمون والنصارىٰ متفقون علىٰ أنَّ مسيح الهدىٰ هو عيسىٰ ابن مريم، واليهود ينكرون أن يكون هو عيسىٰ ابن مريم، مع إقرارهم بأنه من ولد داود.

قالوا: لأنَّ المسيح المبشر به تؤمن به الأمم كلها، وزعموا أنَّ المسيح ابن مريم إنما بعث بدين النصارىٰ، وهو دين ظاهر البطلان، (ولهذا إذا خرج

---

(١) في (ب): أخبرت.

(٢) في (ب،ل، المطبوعة): المسيح الدجال.

(٣) في (ب): أنذر.

(٤) ليست في ل.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) ليست في (ب، ل، المطبوعة).

المسيح (ظ٧) اتبعوه[١]، فيخرج معه سبعون ألف مُطيلس من يهود أصبهان، ويسلط المسلمون علىٰ اليهود فيقتلونهم حتىٰ يقول الحجر والشجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي[٢] فاقتله، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح)[٣].

والنصارىٰ تقرُّ بأنَّ المسيح مسيح الهدىٰ بعث، ويقرُّون[٤] بأنَّه سيأتي مرة ثانية، لكن يزعمون أن هذا الإتيان الثاني هو يوم القيامة، ليجزي[٥] الناس بأعمالهم، وهو في زعمهم هو الله، والله الذي هو اللاهوت يأتي في ناسوته، كما زعموا أنه جاء قبل ذلك.

وأما المسلمون فآمنوا بما أخبرت به الأنبياء علىٰ وجهه، وهو موافق لما أخبر به خاتم الرسل، حيث قال في الحديث الصحيح: «يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً، وإمامًا مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية»[٦].

وأخبر في الحديث الصحيح: «أنه إذا خرج مسيح الضلالة الأعور الكذاب، نزل عيسىٰ ابن مريم علىٰ المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين[٧]، واضعًا يديه علىٰ منكبي ملكين، فإذا رآه الدجال انماع كما ينماع

---

(١) في (ب): المسيح الدجال فتخرج بعده..
(٢) في (ب): يا مسلم ورائي يهودي تعال فاقتله.
(٣) ما بين القوسين ليس في (ل، المطبوعة). والحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة، رواه البخاري (٢٩٢٦)، ومسلم (٢٩٢٢). وحديث ابن عمر، رواه البخاري (٣٥٩٣)، ومسلم (٢٩٢١).
(٤) في (ل): ومقرون.
(٥) في (ب): ليخزي.
(٦) سبق تخريجه.
(٧) هامش (ف): «المهرودة بالدال المهملة والمعجمة وهي الثوب المصبوغ هـ رياض النووي».

الملح في الماء، فيدركه فيقتله بالحربة عند باب لـد الشرقي، علىٰ بضـع عشـرة خطوة منه»[1].

وهذا تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩]، أي: يؤمن بالمسيح قبل أن يموت، حين نزوله إلىٰ الأرض، وحينئذ لا يبقىٰ يهودي ولا نصراني، ولا يبقىٰ دين إلا[2] الإسلام، وهذا موجود في نعته عند أهل الكتاب[3].

ولكـن النصـارىٰ ظنُّوا أن ذلـك[4] مجيئـه بعـد قيـام القيامـة، وأنـه هـو الله، فغلطوا في ذلك كما غلطوا في مجيئه الأول حيث ظنوا أنه الله[5]، واليهود أنكروا

(١) الحديث في صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان (٢٩٣٧)، إلا جملة: انماع كما ينماع الملح في الماء، فإنها وردت في صحيح مسلم (٢٨٩٧) من حديث أبي هريرة، بلفظ: «فإذا رآه عدو الله، ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتىٰ يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته».
وأما قوله: «علىٰ بضع عشرة خطوات منه» فلم أقف عليه في حديث، لكن في حديث مجمع بن جارية الأنصاري: «يقتل ابن مريم المسيح الدجال بباب لد، أو إلىٰ جانب لد». رواه أحمد (١٥٤٦٦).
ولُد: مدينة بفلسطين تقع علىٰ بضعة أميال جنوب شرق يافا، وحوالي ثلاثة أميال شرق توأمها الرملة.

(٢) في (ب، ل): دين الإسلام.

(٣) قال ابن جرير: معنىٰ ذلك: «وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به»، يعني: بعيسىٰ، «قبل موته»، يعني: قبل موت عيسىٰ، يوجِّه ذلك إلىٰ أنّ جميعهم يصدِّقون به إذا نزل لقتل الدجّال، فتصير الملل كلها واحدة، وهي ملة الإسلام الحنيفيّة، دين إبراهيم ﷺ، ثم رواه عن ابن عباس، وأبي مالك والحسن البصري وقتادة، ثم ذكر أقوالا أخرىٰ في التفسير (تفسير الطبري ٩/ ٣٨٦).

(٤) ليس في (ل).

(٥) في (ب، ل): هو الله.

مجيئه الأول، وظنوا أن الذي بُشِّر به ليس هو[1] إيَّاه، وليس هو الذي يأتي آخرًا، وصاروا ينتظرون غيره، وإنما هو بعث إليهم أولاً فكذَّبوه، وسيأتيهم ثانيًا فيؤمن به كل من على وجه الأرض من يهودي ونصراني إلا من قتل أو مات، ويظهر كذب هؤلاء الذين كذبوه، ورموا أُمَّه بالفرية، وقالوا: إنه ولد زنىٰ، وهؤلاء الذين غلوا فيه، وقالوا: إنه الله.

ولما كان المسيح عليه السلام نازلاً في أمة محمد ﷺ صار بينه وبين محمد من الاتصال ما ليس بينه وبين غير محمد، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «إن أولىٰ الناس بابن مريم لأنا، إنه ليس بيني وبينه نبي»[2]، وروي: «كيف تهلك أمة أنا في أولها، وعيسىٰ في آخرها»[3].

وهذا مما يظهر به مناسبة اقترانهما، فيما رآه[4] أشعياء: حيث قال: «[5]راكب الحمار وراكب الجمل».

---

(١) ليست في (ب، ل، المطبوعة).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ٥٢١) من حديث عبدالله بن عمرو، وفي إسناده عبدالوهاب بن الضحاك الحمصي، متهم بوضع الحديث (ميزان الاعتدال ٢/ ٦٧٩).
ثم رواه ابن عساكر في التاريخ (٤٧/ ٥٢٢) وفي المعجم (٥٤٤) من حديث ابن عباس بلفظ: كيف تهلك أمة أنا أولها وعيسىٰ بن مريم آخرها والمهدي من أهل بيتي في وسطها، تفرد به خالد بن يزيد القشيري ولم أعثر له علىٰ ترجمة، ثم هو منقطع، لأنه من رواية أبي جعفر عن أبيه عن ابن عباس، ومحمد بن علي والد أبي جعفر لم يدرك ابن عباس.
قال ابن عساكر: هذا حديث غريب جدًّا، وخالد بن يزيد غير مشهور، ومحمد بن إبراهيم هو ابن محمد بن علي الإمام وأبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أهـ.
(٤) في (ب، المطبوعة): رواه.
(٥) في (ب) زيادة: أرىٰ راكبين..

فصل

قالوا: وقال أشعياء النبي عليه السلام مثنيًا[1] علىٰ مكة شرفها الله: «ارفعي إلىٰ ما حولك بصرك، فستبتهجين وتفرحين من أجل أنَّ الله يُصيِّر إليك ذخائر البحرين[2]، وتحج إليك عساكر الأمم، حتىٰ يعم بك قطر الإبل المؤبَّلة[3]، وتضيق أرضك عن القَطَرات[4] التي تجتمع إليك، وتُساق إليك كباش مدين، ويأتيك أهل سبأ، ويسير إليك أغنام فاران، ويخدمك رجال مأرب»[5].

يريد سدنة الكعبة، وهم أولاد مأرب بن إسماعيل[6].

---

(١) في (ل، المطبوعة): متنبيا، وفي (ب) رسمها بصورة تحتمل الأمرين.

(٢) في (ل، المطبوعة): البحر.

(٣) الإبل المؤبَّلة أي: مكملة، وقيل الجماعة من الإبل (جمهرة اللغة ٢/ ١٠٢٧) وقال ابن فارس: أي جعلت قطيعا قطيعا، وذلك نعت في الإبل خاصة (مقاييس اللغة ١/ ٤٠).
قلت ومثله في الغنم قولهم: غنم مغنمة (أساس البلاغة ١٨، وانظر: مشارق الأنوار ١/ ١٢، النهاية في غريب الحديث ١/ ١٦).

(٤) كذا في الأصل مضبوطا بفتح القاف، و(ل)، وفي (ب): «القُطران» بضم القاف.

(٥) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٦٧.

(٦) لم يذكر النسابة لإسماعيل ولدا اسمه مأرب، وهو في النص المترجم الحالي للتوارة: «نبايوت» الذي هو نابت، الجد المذكور في نسب النبي ﷺ عند من ساقه إلىٰ إبراهيم (التاريخ الكبير١/ ٥، سيرة ابن هشام ١/ ١٠٤) وكذا هو في الأصل الذي صدر عنه المصنف: التخجيل، فلعله تصحف علىٰ الشيخ: فإن تصحيف نابت إلىٰ مارب قريب جدا.
وفي التوراة (التكوين ٢٥: ١٣): أسماء بني إسماعيل بحسب مواليدهم: نبايوت بكر إسماعيل، وقيدار، وأدبئيل، ومبسام.
وقد وقع في خير البشر ص١٣٧: «وسادات بناوت يخدمونك» ثم قال: «هذا تصريح البشرىٰ بنبوة محمد ﷺ لأنه خطاب يجب صرفه إلىٰ الكعبة ألا تسمعون إلىٰ ذكره قيدار وبناوت، فقيدار هو ابن إسماعيل، وبناوت هي بنت قيدار بن إسماعيل».
والنص المترجم من سفر إشعياء (٦٠: ١) يؤيد ذلك، فإن فيه: «قومي استنيري لانه قد جاء نورك ومجد الرب اشرق عليك. لانه ها هي الظلمة تغطي الارض والظلام الدامس الامم.اما عليك فيشرق الرب ومجده عليك يرىٰ. فتسير الامم في نورك والملوك =

قالوا: فهذه الصفات كلها حصلت بمكة، فحملت إليها ذخائر البحرين، وحج إليها عساكر[1] الأمم، وسيقت إليها أغنام فاران: الهدايا والأضاحي[2].

وفاران: هي البرية الواسعة التي فيها مكة، وضاقت الأرض عن قطرات الإبل المؤبلة الحاملة للناس ولأزوادهم[3] إليها، وأتاها[4] أهل سبأ، وهم أهل اليمن[5].

فصل

قالوا: وقال: أشعياء النبي عليه السلام معلنًا باسم رسول الله ﷺ: «إني جعلت أمرك محمداً يا محمد[6]، يا قدوس الرب، اسمك موجود من الأبد»[7].

= في ضياء اشراقك ارفعي عينيك حواليك وانظري. قد اجتمعوا كلهم. جاءوا إليك. يأتي بنوك من بعيد وتحمل بناتك علىٰ الأيدي. حينئذ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبك ويتسع، لأنه تتحول إليك ثروة البحر، ويأتي إليك غنىٰ الأمم. تغطيك كثرة الجمال، بكران مديان وعيفة كلها تأتي من شبا. تحمل ذهبا ولبانا، وتبشر بتسابيح الرب. كل غنم قيدار تجتمع إليك. كباش نبايوت تخدمك. تصعد مقبولة علىٰ مذبحي، وأزين بيت جمالي».

ونحو هذه الترجمة ذكر ابن ظفر في خير البشر ص١٣٨.

(١) في (ل): عسكر.

(٢) القائل هو أبو البقاء في تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٦٧.

(٣) (ل): وأزوادهم.

(٤) في (ل): وأتىٰ.

(٥) في (ب) زيادة: وغيرهم.

(٦) كذا نص البشارة في (ظ)، وفي (ب): إني جعلت أمرك يا محمد نافذا، وسر الرب اسمك موجود من الأبد. وفي (ل): إني جعلت أمرك يا محمد يا قدوس الرب اسمك موجود من الأبد.

(٧) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٧٣، وقارن بما في سفر أشعياء ٦٣: ١٥-١٦، وقد نقلها تلميذ المصنف في هداية الحيارىٰ ٢/ ٣٦٠.

والمصنف صدر عن التخجيل وقد ترك بين البشارة السابقة وهذه البشارة عدة بشارات نقلها أبو البقاء عن سفر أشعياء.

قالوا: فهل بقي بعد ذلك (ظ٨) لزائغ مقال، أو لطاعن مجال؟ وقول أشعياء: إن اسم محمد موجود من الأبد موافق لقول داود عليه السلام الذي حكيناه: أن اسمه موجود قبل الشمس[١].

وقوله: «يا قدوس الرب»[٢] يعني يا من طهره الرب[٣]، وخلصه من بشريته[٤]، واصطفاه لنفسه[٥].

فصل

قالوا: وقال أشعياء - وشهد لهذه الأمة بالصلاح والديانة -: «سأرفع علمًا لأهل الأرض بعيدًا، فيصفر لهم من أقاصي الأرض، فيأتون سراعا»[٦].

والنداء هو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من التلبية في الحج، وهم الذين جعلوا لله الكرامة، فوحدوه وعبدوه، وأفردوه بالربوبية، وكسروا الأصنام، وعطلوا الأوثان.

والعَلَم المرفوع: هو النبوة، وصفيره: هو دعاؤهم إلىٰ بيته ومشاعره، فيأتونه سامعين مطيعين[٧].

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٧٣.

(٢) في (ب): وقوله نافذ وسر الرب..

(٣) تصحفت في (ف): يعني بأمره ظهره الرب. فكتب في الهامش: لعله أظهره.

(٤) في (ب): «شوائب بشريته». وهكذا هو في المصدر.

(٥) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٧٣ .

(٦) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٧٣ .

(٧) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٧٣ . وعنه صدر المصنف.
وجاء في آخر الإصحاح الستين من سفر أشعياء الذي نقل المصنف أوله في البشارة بمكة، ما يمكن أن يكون قريبا مما أورده المصنف، ففيه (٦٠: ٢١-٢٢): «شعبك كلهم أبرار إلىٰ الأبد يرثون الأرض غصن غرسي عمل يدي لا تمجد. الصغير يصير ألفا والحقير أمة قوية أنا الرب في وقته أسرع به».

فصـل

قالوا: وقال أشعياء النبي - والمراد مكة شرفها الله -: «سُرِّي[1] واهتزي أيتها العاقر التي لم تلد، وانطقي بالتسبيح، وافرحي إذ لم تحبلي، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي»[2].

يعني بأهله: بيت المقدس، ويعني بالعاقر: مكة شرفها الله؛ لأنها لم تلد قبل نبينا ﷺ، ولا يجوز أن يريد بالعاقر بيت المقدس؛ لأنه بيت الأنبياء ومعدن الوحي، فلم تزل تلك البقعة ولادة[3].

---

(١) في (ل، المطبوعة): سيري. وهو تصحيف.

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٧٤. وعنه صدر المصنف، وفي سفر إشعياء (٥٤: ١-١٧) إسهاب في وصف مكة، وقد تولىٰ ابن ظفر (في خير البشر ص١٤١)، شرح هذه البشارة.

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٧٤.

فصل

قالوا: وقال أشعياء النبي - ونصَّ علىٰ خاتم النبوة[1]-: «ولد لنا غلام، يكون عجبًا وبشرًا، والشامة علىٰ كتفه أُرْكون السلام، إله جبار، وسلطانه سلطان السلام، وهو ابن عالمه، يجلس علىٰ كرسي[2] داود»[3].

---

(١) خاتم النبوة كان بين كتفي النبي صيلىٰ الله عليه وسلم، قال ابن حجر: «من علاماته التي كان أهل الكتاب يعرفونه بها» (فتح الباري ٦/ ٥٦١).
وترجم البخاري في صحيحه (٤/ ١٨٦): باب خاتم النبوة، وروىٰ فيه حديث السائب بن يزيد (٣٥٤١) أنه نظر إلىٰ الخاتم بين كتفيه مثل زر الحجلة. وفي صحيح مسلم (٢٣٤٤) عن جابر بن سمرة أنه في ظهر النبي صلىٰ الله عليه وسلم مثل بيضة الحمام، وعن عبدالله بن سرجس (٢٣٤٦) أن الخاتم عند ناغض -أي أعلىٰ الكتف- كتفه اليسرىٰ، جمعا عليه خيلان كأمثال الثآليل. واستوعب الترمذي أحاديثه في الشمائل في باب ما جاء في خاتم النبوة، (١٦-٢٣).
وهذه الروايات متقاربة، قال ابن حجر (في فتح الباري ٦/ ٥٦٣): وأما ما ورد من أنها كانت كأثر محجم أو كالشامة السوداء أو الخضراء أو مكتوب عليها محمد رسول الله أو سر فأنت المنصور أو نحو ذلك فلم يثبت منها شيء وقد أطنب الحافظ قطب الدين في استيعابها في شرح السيرة وتبعه مغلطاي في الزهر الباسم، ولم يبين شيئا من حالها والحق ما ذكرته، ولا تغتر بما وقع منها في صحيح ابن حبان، فإنه غفل حيث صحح ذلك، والله أعلم، قال القرطبي: اتفقت الأحاديث الثابتة علىٰ أن خاتم النبوة كان شيئًا بارزًا أحمر عند كتفه الأيسر، قدره إذا قلل قدر بيضة الحمامة وإذا كبر جمع اليد أهـ.
وقد استظهر ابن حجر -من مجموع روايات ذكرها- أنه ﷺ لم يولد بخاتم النبوة، بل ظهر له بعد حادثة شق الصدر وهو مسترضع في بني سعد (فتح الباري ٦/ ٥٦٢).

(٢) ليست في (ل).

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٧٥، وفي سفر أشعياء (٩: ١-٧): «الشعب السالك في الظلمة أبصر نورا عظيما. الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور. أكثرت الأمة. عظمت لها الفرح. يفرحون أمامك كالفرح في الحصاد...، لأنه يولد لنا ولد ونعطىٰ ابنا، وتكون الرياسة علىٰ كتفه، ويدعىٰ اسمه عجيبا، مشيرا، إلها قديرا، أبا أبديا، رئيس السلام. لنمو رياسته، وللسلام لا نهاية علىٰ كرسي داود وعلىٰ مملكته، ليثبتها ويعضدها بالحق والبر، من الآن إلىٰ الأبد. غيرة رب الجنود تصنع هذا».

قالوا[1]: الأُرْكون هو العظيم بلغة الإنجيل، والأراكنة المعظَّمون.

ولما أبرأ[2] المسيح مجنونًا من جنونه، قال اليهود: «إن هذا لا يخرج الشياطين من الآدميين إلا بأركون[3] الشياطين» يعنون عظيمهم.

وقال المسيح في الإنجيل: «إن أركون هذا العالم يدان»[4]، يريد إمَّا إبليس أو الشرير العظيم الشر من الآدميين[5].

وسماه إلهًا علىٰ نحو قول التوراة: «إن الله جعل موسىٰ إلها لفرعون» أي حاكمًا عليه ومتصرفًا فيه، وعلىٰ نحو قول داود للعظماء من قومه: «إنكم آلهة».

فقد شهد أشعياء بصحة نبوة محمد ﷺ ووصفه بأخص علاماته وأوضحها، وهي شامته، فلعمري لم تكن الشامة لسليمان، ولا للمسيح، وقد وصفه بالجلوس علىٰ كرسي داود، يعني أنه سيرث بني إسرائيل، نبوتهم وملكهم، ويبتزهم رياستهم[6].

---

(١) القائل هو أبو البقاء الهاشمي في تخجيل أهل التوراة والإنجيل ٢/ ٦٧٥.

(٢) في (ب): أتوا.

(٣) في (ب): «مايكون» معدلة عن الصواب.

(٤) في (ب) غيرها إلىٰ: قدان.

(٥) قال شمر: أركون القرية: رئيسها، وفلان ركن من أركان قومه أي شريف من أشرافهم. وقال أبو العباس: يقال للعظيم من الدهاقين: أركون (تهذيب اللغة١٠/ ١٠٩، وانظر: الفائق في غريب الحديث ٢/ ٨١، النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٦٠، لسان العرب١٣/ ١٨٦).

(٦) يبتزهم أي يجردهم من الرئاسة (النهاية في غريب الحديث ١/ ١٢٤). وهذه البشارة مع شرحها في تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٧٦. والكلام المنقول عنه.
وفي (ب): نبشرهم. وهو تصحيف.

فصل

قالوا: وقال أشعياء في وصف أمة محمد ﷺ: «ستمتلئ البادية والمدن من أولاد قيذار يسبحون، ومن رؤوس الجبال ينادون، هم الذين يجعلون لله الكرامة، ويسبحونه في البر والبحر»(١).

قلت: وقيذار هو ابن إسماعيل باتفاق الناس، وربيعة ومضر من ولده، ومحمد ﷺ من مضر، وهذا الامتلاء والتسبيح (في البر والبحر)(٢) لم يحصل لهم إلا بمبعث محمد ﷺ(٣)، وقد جعلت لهم الأرض مسجدًا وطهورًا فهم يصلون الخمس في البر والبحر(٤).

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٧٦.
جاء في سفر أشعياء (٤٢: ٨-١٣): «أنا الرب هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر ولا تسبيحي للمنحوتات. هوذا الأوليات قد أتت والحديثات أنا مخبر بها. قبل أن تنبت أعلمكم بها. غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحه من أقصىٰ الارض. أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها. لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار. لتترنم سكان سالع. من رؤوس الجبال ليهتفوا. ليعطوا الرب مجدا ويخبروا بتسبيحه في الجزائر» .
وقد تكرر في التوراة ذكر «سالع» وفسرها أصحاب «قاموس الكتاب المقدس/ دائرة المعارف الكتابية المسيحية» بأنها اسم عبراني معناه صخرة.
ولا شك أن المدينة النبوية تحيط بها الصخور -المسماة بالحرار- وفيها جبل عظيم يقال له جبل سلع. ففي هذا النص البشارة بالمدينة كذلك، والله أعلم.

(٢) ضرب في (ب) علىٰ البر والبحر بعد أن كتبها في الأصل. كما ضرب علىٰ قلت من قبل. ولم يكتبه في (ل).

(٣) هنا زيادة في (ط النيل): والتسبيح الصلوات الخمس. وقد ثبتت في (ب) لكنه ضرب عليها.
ولا شك أن الصواب عدم إثباتها لأنه سيعيدها في آخر الكلام.

(٤) «وقد جعلت ... والبحر» ليس في (ل).

فصل

قالوا: وقال أشعياء - والمراد مكة -: «أنا رسمتك علىٰ كفي، وسيأتيك أولادك سراعًا، ويخرج عنك من أراد أن يخيفك ويحزنك[١]، فارفعي بصرك إلىٰ ما حولك، فإنهم سيأتونك ويجتمعون إليك، فتسمي باسمي[٢] إني أنا الحي، لتلبسي الحلل وتزيني بالإكليل، مثل العروس، ولتضيقن خراباتك من كثرة سكانك[٣] والراغبين فيك، وليهابن كل من يناوئك، وليكثرن أولادك حتىٰ تقولي من رزقني هؤلاء (ظ٩) كلهم؟ وأنا فريدة وحيدة[٤]، نزورٌ رَقُوبٌ[٥]، فمن ربىٰ لي هؤلاء، ومن تكفل لي بهم؟»[٦].

---

(١) في (د، ط النيل): ويخربك. وهو مهمل في (ب). وفي (ل) أهمل الراء ونقط النون، مما يجعلها توافق ما في ظ، وفي المطبوعة: يخونك. وليس في الأصول الخطية ما يوافقه.
وفي التخجيل -الذي صدر عنه المصنف-: ويخزيك.

(٢) في التخجيل: قسما باسمي. وهو أقرب للصواب.

(٣) في (ب): سكاتك.

(٤) في (ل) قدم وأخر.

(٥) الرقوب: الرجل والمرأة إذا لم يعش لهما ولد، لأنه يرقب موته ويرصده خوفا عليه (النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٤٩، لسان العرب١٠/ ٨٩).

(٦) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٧٦.
وفي سفر أشعياء (٤٩: ١٨-٢٣): «ارفعي عينيك حواليك وانظري.كلهم قد اجتمعوا أتوا إليك.حي أنا يقول الرب إنك تلبسين كلهم كحلي وتتنطقين بهم كعروس. إن خربك وبراريك وأرض خرابك إنك تكونين الآن ضيقة علىٰ السكان ويتباعد مبتلعوك. يقول أيضًا: في أذنيك بنو ثكلك. ضيق علي المكان وسعي لي لاسكن. فتقولين في قلبك: مَن ولد لي هؤلاء وأنا ثكلىٰ وعاقر منفية ومطرودة؟ وهؤلاء من رباهم؟ هانذا كنت متروكة وحدي. هؤلاء أين كانوا ؟ هكذا قال السيد الرب: ها إني أرفع إلىٰ الأمم يدي وإلىٰ الشعوب أقيم رايتي. فياتون بأولادك في الأحضان وبناتك علىٰ الأكتاف يحملن. ويكون الملوك حاضنيك وسيداتهم مرضعاتك. بالوجوه إلىٰ الأرض يسجدون لك ويلحسون غبار رجليك فتعلمين أني أنا الرب الذي لا يخزىٰ منتظروه».

قالوا[١]: وذلك إفصاحٌ من أشعياء بشأن الكعبة، فهي التي ألبسها الله الحلل الديباج الفاخرة، ووكَّل بخدمتها الخلفاء والملوك، ومكة: هي التي ربَّىٰ الله لها الأولاد من حجاجها، والقاطنين بها.

قلت[٢]: وذلك أنَّ مكة هي التي أخرج عنها كل من أراد أن يخيفها ويخزيها[٣]، فلم تزل عزيزة مكرمة محرمة[٤]، لم يهنها أحد من البشر قط، بل أصحاب الفيل لما قصدوها عذبهم الله تعالىٰ العذاب المشهور، ولم تزل عامرة محجوجة من لدن إبراهيم الخليل، بخلاف بيت المقدس، فإنه قد أخرب[٥] مرة بعد مرة، وخلا من السكان، واستولىٰ العدو عليه وعلىٰ أهله.

وكذلك إخباره بإهانة كل من يناوئها هو للكعبة دون بيت المقدس، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

والحجَّاج بن يوسف كان معظما للكعبة؛ لم يرمها بمنجنيق، وإنما قصد ابن الزبير خاصة[٦].

وأما كثرة أولادها، وهم الذين يحجون إليها و[٧]يستقبلونها في صلاتهم، فهم أضعاف أضعاف أولاد بيت المقدس.

---

(١) القائل هو أبو البقاء الهاشمي في تخجيل من حرف التوارة والإنجيل ٢/ ٦٧٧.

(٢) ليست في (ل).

(٣) في ما سوىٰ الأصل ظ: ويخربها. وفي (ل) مهمل فيحتمل هذا وهذا.

(٤) في (ب): محترمة.

(٥) في (ب): أخربت.

(٦) وذلك سنة أربع وستين لما حاصر الحجاج عبدالله بن الزبير ﵁ بمكة، فرماه بالمنجنيق وكانوا يوقدون حول الكعبة، فأقبلت شرارة هبت بها الريح فأحرقت الأستار وخشب سقف الكعبة واحترق قرنا الكبش الذي فدي به إسماعيل وكان في السقف (تاريخ الإسلام ٢/ ٥٩٣).

(٧) في (ب): أو.

فصـل

قـالوا: وقـال أشـعياء - حاكيًـا عـن الله تعـالىٰ -: «اشـكر حبيبـي وابنـي أحمد»[١].

فسمَّاه الله حبيبًا وسماه ابنًا، وداود ابنًا غير أنَّ الله خصه عليهم بمزية فقال: «حبيبي ابني اشكره»، فتعبد أشعياء بشكر محمد، ووظف[٢] عليه وعلىٰ قومه شكره وإجلاله، ليتبين[٣] قدره ومنزلته عنده، وتلك منزلة لم يؤتها غيره من المرسلين[٤].

وقال: أشعياء: «إنَّا سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد»[٥].

وهذا إفصاح من أشعياء باسم رسول الله ﷺ، فليرنا أهل الكتاب نبيًا نصَّت[٦] الأنبياء علىٰ اسمه صريحًا، سوىٰ رسول الله ﷺ.

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٧٨. ولم أجد نحوه في سفر أشعياء المطبوع.

(٢) في (ل): ووصف.

(٣) ليست واضحة في ظ، ومهملة في ل، وهي تدل علىٰ ما أثبت، وهكذا أثبتها في ط النيل والمطبوعة، وفي ب: ليستيقن.

(٤) في (ل): الرسل.
والمصنف صد عن التخجيل ٢/ ٦٧٨.

(٥) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٧٩.
وفي سفر أشعياء (٢٤: ١٦): «من اطراف الارض سمعنا ترنيمة مجدا للبار».

(٦) في (ب): نَصَبَ.

فصل

قالوا: وقال حبقوق: - وسمىٰ محمدا رسول الله ﷺ مرتين في نبوته -: «إنَّ الله جاء من التيمن[1]، والقدوس من جبال[2] فاران، لقد أضاءت السماء من بهاء محمد، وامتلأت الأرض من حمده، شعاع منظره مثل النور، يحوط بلاده بعزه، تسير المنايا أمامه، وتصحب سباع الطير أجناده، قام فمسح الأرض فتضعضعت له الجبال القديمة، وانخفضت الروابي، وتزعزعت ستور أهل مدين ولقد حاز المساعي القديمة[3]».

ثم قال: «زجرك في الأنهار، واختدام[4] صوامك في البحار، ركبت الخيول، وعلوت مراكب الإنقاذ[5]، وسينزع في قِسيِّك أعراقًا ونزعًا[6]، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواءً، ولقد رأتك الجبال فارتاعت، وانحرف عنك شؤبوب السبيل[7]، ونعرت المهاوي نعيرًا ورعبًا[8]، رفعت أيديها وجلاً

---

(١) في (ب): اليمن.

(٢) في (ب، ل، المطبوعة): جبل.

(٣) الجملة الأخيرة ليست في المطبوعة، وهي في الأصول كلها، إلا أنها ثبتت في (ل) في هامشها لحقا.

(٤) في (ب): واحتدام، وفي (ل) وإقدام، وعليه أثر التصحيح. يوافق ما في المصدر.

(٥) كذا جودها في ظ ب، يوافق ما في المصدر، وفي ط النيل: الإيقاد. وفي (ل، المطبوعة): الإيفاد. وهو وصف لأحوال أمة النبي ﷺ في الجهاد، والإيفاد أي الإشراف علىٰ الشيء (لسان العرب ٣/ ٤٦٥) فمراكب الإيفاد أي التي يشرفون بها علىٰ القرىٰ.

(٦) نزع القوس مدها وجذبها (النهاية في غريب الحديث ٥/ ٤١، تاج العروس٢٢/ ٢٤٠)، وقد نقل ابن القيم النبوءة في هداية الحيارىٰ ٢/ ٣٤٩ وليس فيها: أعراقا ونزعا.

(٧) الشؤبوب الدفعة، شآبيب المطر أي دفعاته (لسان العرب ١/ ٤٧٩).
وهكذا هو في (ظ، د) وفي (ل، ب، المطبوعة) والمصدر: السيل. وكلاهما صحيح المعنىٰ.

(٨) كذا في ظ، والنعير الصوت من الخيشوم، وفي ط النيل: وتعبرت المهاوي تعبيرا، وفي ل: وتغيرت المهاوي تغيرا ورعبا، وفي ب: وتعيرت المهاوي نعيرا ورعبا. =

وخوفًا، وسارت العساكر في بريق سهامك ولمعان نيازكك[1]، وتدوخ[2] الأرض غضبًا[3]، وتدوس الأمم رجزًا[4]؛ لأنك ظهرت بخلاص أمتك وإنقاذ تراث آبائك[5]».

قالوا: وهذا تصريح بمحمد، ومن رام صرف نبوة حبقوق هذه عن محمد رسول الله ﷺ (فقد رام)[6] ستر النهار، وحبس الأنهار، وأنىٰ يقدر علىٰ ذلك

= والمهاوي جمع مَهواة، الموضع في الهواء المشرف علىٰ ما دونه من جبل وغيره (تاج العروس ٤٠/ ٣٢٥) أي ما بين الجبلين.

وفي المصدر: المهاري. وهي الإبل المنسوبة إلىٰ المهرة، كذا في شرح القاموس (١٤/ ١٥٨) ولعله الصواب.

(١) هامش (ف): النيزك الرمح القصير، ونزكه طعنه به.

(٢) هامش (ف): داخ البلاد نهزها واستولىٰ عليها كدوخها، قاموس.

(٣) في (د): غصبًا. وما ثبت هو الصحيح.

(٤) في (ب، ط النيل، المطبوعة): زجرا، وفي (ل): جزرا.

(٥) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٩٠.

وهذه البشارة في الإصحاح الثالث والأخير من سفر حبقوق، وفيه -بحسب الترجمة اليوم- (٣: ٣-١٢): «الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران سلاه جلاله غطىٰ السموات والأرض امتلأت من تسبيحه. وكان لمعان كالنور له من يده شعاع وهناك استتار قدرته. قدامه ذهب الوباء وعند رجليه خرجت الحمىٰ. وقف وقاس الأرض نظر فرجف الأمم ودكت الجبال الدهرية وخسفت آكام القدم. مسالك الأزل له. رأيت خيام كوشان تحت بلية. رجفت شقق أرض مديان. هل علىٰ الأنهار حمي يا رب هل علىٰ الأنهار غضبك أو علىٰ البحر سخطك حتىٰ إنك ركبت خيلك مركباتك مركبات الخلاص. عريت قوسك تعرية. سباعيات سهام كلمتك. سلاه. شققت الأرض أنهارا. أبصرتك ففزعت الجبال. سيل المياه طما. أعطت اللجة صوتها. رفعت يديها إلىٰ العلاء. الشمس والقمر وقفا في بروجهما لنور سهامك الطائرة للمعان برق مجدك. بغضب خطرت في الأرض. بسخط دست الام. خرجت لخلاص شعبك لخلاص مسيحك. سحقت رأس بيت الشرير معريا الاساس حتىٰ العنق.سلاه».

(٦) ما بين القوسين ليس في (ب).

وقد سماه باسمه مرتين؟ وأخبر بقوة أمته، وسير المنايا أمامهم، واتباع جوارح الطير آثارهم.

وهذه النبوة لا تليق إلا بمحمد، ولا تصلح إلا له، ولا تدل[1] إلا عليه، فمن حاول صرفها عنه فقد حاول ممتنعًا[2].

قلت[3]: وقد ذكر فيها مجيء نور الله من التيمن - وهي ناحية مكة والحجاز - فإنَّ[4] أنبياء بني إسرائيل كانوا يكونون من ناحية الشام، ومحمد ﷺ جاء من ناحية اليمن[5]، وجبال فاران هي جبال مكة - كما قد تقدم بيان ذلك - وهذا مما لا يمكن النزاع فيه.

وأما امتلاء السماء من بهاء أحمد؛ فأنوار الإيمان والقرآن التي ظهرت منه ومن أمته، وامتلاء[6] الأرض من حمده وحمد أمته في صلواتهم فأمر ظاهر؛ فإن أمته هم الحمَّادون[7]، (ظ١٠) لا بدَّ لهم من حمد الله في كل صلاة وكل[8]

---

(١) في (ب): تنزل.
(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٩٠.
(٣) ليست في (ل).
(٤) ليست في (ب).
(٥) في (ب): التيمن.
(٦) في (ب): وامتلأت.
(٧) يشبه هذا ما روىٰ الدارمي (٥) عن كعب الأحبار قال: «نجده مكتوبا: محمد رسول الله ﷺ لا فظا ولا غليظا، ولا صخابا بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، وأمته الحمادون يكبرون الله ﷻ علىٰ كل نجد، ويحمدونه في كل منزلة، يتأزرون علىٰ أنصافهم، ويتوضؤون علىٰ أطرافهم، مناديهم ينادي في جو السماء، صفهم في القتال، وصفهم في الصلاة سواء، لهم بالليل دوي كدوي النحل مولده بمكة، ومهاجره بطيبة، وملكه بالشام».
(٨) ليست في (ب، ل).

خطبة، ولا بد لكل مصل في كل ركعة من أن يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَلِكِ[1] يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢ - ٤].

فإذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]. قال: أثنىٰ علي عبدي، فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ[2] يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]. قال: مجدني عبدي[3].

فهم يفتتحون[4] القيام في الصلاة بالتحميد، ويختمونها[5] بالتحميد، وإذا رفعوا رؤوسهم من الركوع يقول إمامهم: سمع الله لمن حمده، ويقولون جميعًا: ربنا ولك الحمد، ويختمون صلاتهم بتحميده، بجعل التحيات له والصلوات والطيبات، وأنواع تحميدهم لله (وثنائهم عليه)[6] يطول وصفه.

---

(١) في (ب): مالك.

(٢) في (ل): ملك، وباقي النسخ كما أثبت. وهما قراءتان مشهورتان. ومع أن قراءة الشيخ: ملك إلا أنه – فيما يظهر – أثبت مالك تبعا للرواية.

(٣) رواه مسلم في الصحيح (٣٩٥) من حديث أبي هريرة.

(٤) في (ل): يفتحون.

(٥) في (ب): ويختمونه.

(٦) بدلها في (ب): مما.

فصل

قالوا: وقال: حِزقيال[١] - وهو يهدد اليهود ويصف لهم أمة محمد ﷺ-: «وإنَّ الله مظهرهم[٢] عليكم، وباعث فيكم[٣] نبيًّا، ومنزل[٤] عليهم كتابًا، ومملكهم[٥] رقابكم، فيقهرونكم ويذلونكم بالحق، ويخرج رجال بني قيذار في جماعات الشعوب، معهم ملائكة علىٰ خيل بيض متسلحين، فيحيطون بكم، وتكون عاقبتكم إلىٰ النار، نعوذ بالله من النار»[٦].

قلت: وذلك أنَّ رجال بني قيذار هم: ربيعة ومضر ابنا عدنان، وهما جميعا من ولد قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم[٧]، والعرب كلهم من بني عدنان، وبني قحطان.

فعدنان: أبو ربيعة، ومضر، وأنمار، من ولد إسماعيل باتفاق الناس[٨].

وأما قحطان فقيل هم من ولد إسماعيل، وقيل هم من ولد هود[٩].

---

(١) في (د، ط النيل): دانيال. وهو تصحيف.

(٢) في (ب): يطهرهم، (ط، النيل): يظهرهم.

(٣) في (ب): عليهم. (ل): فيهم.

(٤) في (ب): وينزل.

(٥) في (ب): ويملكهم.

(٦) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٩٦.

(٧) «بن إبراهيم» ليس في (ب، ل، ط النيل).

(٨) وهؤلاء الثلاثة أبناء نزار بن معد (سيرة ابن هشام ١/ ١٩٨).

(٩) وممن قال بأن نسبة قحطان إلىٰ إسماعيل الإمام البخاري في الصحيح (٤/ ١٨٠)، حيث ترجم: باب نسبة اليمن إلىٰ إسماعيل «منهم أسلم بن أفصىٰ بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة».

وقد ذكر الحافظ ابن حجر الخلاف في ذلك في فتح الباري (٦/ ٥٣٧).

ومضر ولَدُه إلياس[١]، وإلياس بن مضر، وقريش هم من وَلدِ إلياس بن مضر، وهوازن مثل عقيل وكِلاب وسعد بن بكر وبنو نمير وثقيف[٢]، وغيرهم، من[٣] ولد إلياس بن مضر.

وهؤلاء انتشروا في الأرض، فاستولوا علىٰ[٤] أرض الشام والجزيرة ومصر والعراق وغيرها[٥]، حتىٰ إنهم لما سكنوا الجزيرة بين الفرات ودجلة، سكنت مضر في حرَّان[٦] وما قرب منها، فسميت «ديار مضر»[٧]، وسكنت ربيعة في الموصل وما قرب منها، فسميت «ديار ربيعة»[٨].

(وقال: «تنزل الملائكة علىٰ خيل بيض»، وهذا مما تواترت به الآثار؛ أن الملائكة كانت تنزل علىٰ الخيل البيض، كما[٩] نزلت يوم بدر لنصرة النبي ﷺ

---

(١) في (ب، ل): إلياس بن مضر.
(٢) هؤلاء من ولد قيس بن عيلان بن مضر بن نزار وليس إلياس بن مضر (انظر: سيرة ابن هشام ١/ ١٢٣، والأنساب ٣/ ١٣٩)، وكلاب المقصود به هو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، لا كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي (الأنساب ١١/ ١٨٤).
(٣) في (ل): هم من.
(٤) في (ب): فاستدلوا علىٰ الأرض أرض..
(٥) في (ب): وغيرهم.
(٦) هي مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة ديار مضر، بينها وبين الرّها يوم وبين الرّقّة يومان، وهي علىٰ طريق الموصل والشام والروم (معجم البلدان ٢/ ٢٣٥).
(٧) قال ياقوت الحموي (في معجم البلدان (٢/ ٤٩٤): وهي ما كان في السهل بقرب من شرقي الفرات نحو حرّان والرّقّة وشمشاط وسروج وتلّ موزن.
(٨) قال ياقوت الحموي (في معجم البلدان ٢/ ٤٩٤): بين الموصل إلىٰ رأس عين نحو بقعاء الموصل ونصيبين ورأس عين ودنيسر والخابور جميعه وما بين ذلك من المدن والقرىٰ، وربما جمع بين ديار بكر وديار ربيعة وسميت كلها ديار ربيعة لأنهم كلهم ربيعة، وهذا اسم لهذه البلاد قديم، كانت العرب تحله قبل الإسلام في بواديه، واسم الجزيرة يشمل الكلّ.
(٩) في (د، ط النيل): فإنها نزلت.

وأمته، ونزلت يوم الأحزاب وأحاطوا[1] ببني قريظة)[2].

فصـل

قالوا[3]: وقال: دانيال عليه السلام، وذكر محمدًا رسول الله ﷺ باسمه، فقال: «سينزع[4] في قسيك[5] إغراقا، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواءً»[6].

فهذا تصريح بغير تعريض، وتصحيح ليس فيه تمريض، فإنْ نازع في ذلك منازع فليوجدنا آخر اسمه محمد، له سهامٌ تُنزع، وأمرٌ مطاع لا يدفع[7].

وقال: دانيال[8] أيضًا - حين سأله بخت نصر عن تأويل رؤيا رآها ثم نسيها-: «رأيتَ أيها الملك صنمًا عظيمًا قائمًا بين يديك، رأسه من ذهب،

---

(١) في (د، ط النيل): أحاطت.

(٢) ما بين القوسين من الأصل ود، ط النيل، وكتبه في (ب) ثم ضرب عليه، وليس في (ل).

وأما نزول الملائكة في يوم بدر فمذكور في القرآن الكريم، قال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤]، ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩]، وأما إحاطتها ببني قريظة فرواه البخاري في صحيحه (٢٨١٣) (٤١١٧) وترجم في الموضع الثاني: باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، ومخرجه إلىٰ بني قريظة ومحاصرته إياهم.

(٣) ليست في (ل، د).

(٤) في (ل، د): ستنزع، (ب): سننزع.

(٥) في (د): قيسيك.

(٦) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٩٦، هداية الحيارىٰ ٢/ ٣٤٩، ٣٧٥.

(٧) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٩٦، وعنه صدر المصنف.

(٨) في (ب، ل، د، ط النيل) زيادة: النبي.

وساعداه من الفضة، وبطنه وفخذاه من النحاس[1]، وساقاه من الحديد، ورجلاه من خزف[2]، ورأيت حجرًا لم يقطعه يد إنسان، قد جاء وصك ذلك الصنم فتفتت وتلاشىٰ وعاد رفاتًا، ثم نسفته الرياح، فذهب وتحول ذلك الحجر فصار جبلاً عظيمًا حتىٰ ملأ الأرض كلها، فهذا ما رأيتَ أيها الملك.

فقال بخت نصر: صدقت. فما تأويلها؟

قال دانيال: أنت الرأس الذي رأيته من الذهب، ويقوم بعدك ولداك اللذان رأيت من الفضة، وهما دونك، ويقوم بعدهما مملكة أخرىٰ هي دونهما[3]، وهي شبه[4] النحاس، والمملكة الرابعة تكون قوية مثل الحديد الذي يدق كل شيء، فأما الرجلان التي رأيت من خزف فمملكة ضعيفة وكلمتها مشتتة[5]، وأما الحجر الذي رأيت قد صكَّ ذلك الصنم العظيم ففتته فهو نبي يقيمه الله إلهُ السماء والأرض من قبيلة بشريعة قوية، فيدق جميع ملوك الأرض وأممها، حتىٰ تمتلئ[6] منه الأرض ومن أمته، (ظ١١) ويدوم سلطان ذلك النبي إلىٰ انقضاء الدنيا، فهذا تعبير رؤياك أيها الملك»[7].

---

(١) في (ب): نحاس.

(٢) في (ل، د): الخزف.

(٣) في (د): دونها.

(٤) في (ب، ط النيل): تشبه.

(٥) في (ب): متشبه، (ط النيل): سخيفة.

(٦) في (ب، المطبوعة): امتلأت.

(٧) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٩٨، وهذا المنام في الإصحاح الثاني من سفر دانيال.

قلت: فهذا نعت محمد ﷺ لا نعت المسيح، فهو الذي بُعث بشريعة قوية، ودق جميع ملوك الأرض وأممها، حتىٰ امتلأت الأرض منه ومن أمته في مشارق الأرض ومغاربها، وسلطانهم(١) دائم، لا(٢) يقدر أحد أن يزيله كما زال سلطان(٣) اليهود وزال سلطان النصارىٰ عن خيار الأرض وأوسطها(٤).

فصل

وقال: دانيال(٥) أيضًا: «سألتُ الله وتضرعتُ إليه أن يبين لي ما يكون من بني إسرائيل، وهل يتوب عليهم ويرد إليهم ملكهم ويبعث فيهم(٦) الأنبياء(٧)، أو يجعل ذلك في غيرهم؟».

قال دانيال عليه السلام: «فظهر لي الملك في صورة شاب حسن الوجه، فقال: السلام عليك يا دانيال، إن الله تعالىٰ يقول: إنَّ(٨) بني إسرائيل أغضبوني وتمردوا عليّ وعبدوا من دوني آلهة أخرىٰ، فصاروا من بعد العلم إلىٰ الجهل، ومن بعد الصدق إلىٰ الكذب، فسلطتُ عليهم بخت نصر، فقتل رجالهم وسبىٰ ذراريهم، وهدم بيت مقدسهم، وحرق كتبهم، وكذلك فعل من بعده بهم، وأنا غير راض عنهم ولا مقيلهم عثراتهم، فلا يزالون في سخطي حتىٰ أبعث مسيحي

---

(١) في (ب، ل، المطبوعة): وسلطانه.
(٢) في (ب، ل، المطبوعة): لم.
(٣) بدلها في (ب، ل، المطبوعة، ط النيل): ملك، في الموضعين. وكتب في هامش (ب) خـ سطان. أي هكذا في نسخة.
(٤) في (ب): وأوسعها.
(٥) في ما سوىٰ (ظ): دانيال النبي عليه السلام أيضا. وفي (د): قالوا: وقال دانيال..
(٦) ليست في (ب).
(٧) هاهنا ورقة سقطت من (د) يستمر السقط إلىٰ أول الفصل الآتي.
(٨) في الأصل (ظ) فقط زيادة هنا: في. يظهر لي أنه لا معنىٰ لها.

ابن العذراء البتول، فأختم عليهم عند ذلك باللعن والسخط، فلا يزالون ملعونين، عليهم الذلة والمسكنة حتىٰ أبعث نبي[1] بني إسماعيل[2]، الذي بُشِّرتْ به هاجر، وأرسلتُ إليها[3] ملاكي فبشرها، فأوحي إلىٰ ذلك النبي[4]، وأعلمه السيماء[5]، وأزينه بالتقوىٰ، وأجعل البر شعاره، والتقوىٰ ضميره، والصدق قوله، والوفاء طبيعته، والقصد سيرته، والرشد سنته، أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب، وناسخ لبعض[6] ما فيها، أسري به إلي وأُرقيه من سماء إلىٰ سماء حتىٰ يعلو، فأدنيه وأسلم عليه وأوحي إليه، ثم أرده إلىٰ عبادي بالسرور والغبطة، حافظا لما استُودع، صادعًا بما أُمر، يدعو إلىٰ توحيدي باللين من القول والموعظة الحسنة، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، رؤوف بمن والاه، رحيم بمن آمن به، خشن علىٰ من عاداه، فيدعو قومه إلىٰ توحيدي وعبادتي، ويخبرهم بما رأىٰ من آياتي، فيكذبونه ويؤذونه»[7].

قال الناقل لهذا الكلام[8]: «ثم سرد دانيال قصة رسول الله ﷺ حرفًا حرفًا مما أملاه عليه الملك، حتىٰ وصل آخر أيام أمته بالنفخة وانقضاء الدنيا، ونبوته

---

(١) في (ب): نبي من بني.
(٢) في تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: بني إسرائيل. وهو تصحيف.
(٣) في (ب): عليها.
(٤) ليست في الأصل، وهي ثابتة في (ل، ب)، وبها يصح السياق.
(٥) في (ط النيل، المطبوعة): الأسماء. يوافق ما في المصدر. وما ثبت في الأصول الخطية هو الصحيح، والسيما الأثر، قال تعالىٰ ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ [الفتح:٢٩].
(٦) في (ب): بعض.
(٧) لم أجد في سفر دانيال ما يقرب من ذلك. وقد ذكرها ابن القيم في هداية الحيارىٰ ٢/ ٣٧٦.
(٨) في (ب، ل، ط النيل): البشارة. وليست الجملة كلها في ط النيل. وهذا الناقل هو أبو البقاء كما في تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٧٠١.

كثيرة، وهي الآن في أيدي اليهود والنصارىٰ[1] يقرءونها[2]، وفيها ما وصفنا من إشادة الله بذكر هذه الأمة، وبذكر نبيهم[3]، واتصال مملكتهم بالقيامة».

قلت: فهذه نبوة دانيال فيها البشارة بالمسيح، والبشارة بمحمد ﷺ، وفيها من وصف محمد ووصف أمته بالتفصيل ما يطول وصفه، وقد قرأها المسلمون لما فتحوا العراق، كما ذكر ذلك العلماء، منهم أبو العالية الرياحي: ذكر أنهم لما فتحوا تستر وجدوا دانيال[4] وعنده مصحف.

قال أبو العالية: «أنا قرأت ذلك المصحف، وفيه صفتكم ولحون كلامكم، وكان أهل الناحية[5] إذا أجدبوا كشفوا عن قبره فيُسقون، فكتب في ذلك أبو موسىٰ[6] الأشعري إلىٰ عمر بن الخطاب، فكتب إليه[7]: أن احفر بالنهار ثلاثة عشر قبرا[8]، وادفنه بالليل في واحد منها، لئلا يفتتن الناس به»[9].

---

(١) في (ب، ل): قدم وأخر.
(٢) من هنا إلىٰ قال أبو العالية ليس في (ط النيل)، وفيها بدله: ويقرون ويقولون لم يظهر صاحبها بعد.
(٣) في (ب، ل): وفيها ما وصفنا مما ذكره الله من وصف هذه الأمة ونبيها..
(٤) في (ب): وجدوا دانيال ميتا ووجدوا عنده مصحفا..
(٥) في (ط النيل): وكان أهل الناحية يعني أرض السوس حيث دانيال مدفون بها إذا..
(٦) في (ب، ل، ط النيل): أبو موسىٰ في ذلك.
(٧) في (ب، ل): فكتب إليه عمر.
(٨) ليست في (ب): متشبه، (ط النيل): سخيفة.
(٩) روىٰ قصة أبي العالية ابن إسحاق في سيرته، قال ابن كثير: «وقال يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن أبي خلدة خالد بن دينار حدثنا أبو العالية قال: لما افتتحنا تستر وجدنا في مال بيت الهرمزان سريرا، عليه رجل ميت، عند رأسه مصحف، فأخذنا المصحف فحملناه إلىٰ عمر بن الخطاب، فدعا له كعبا فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل من العرب قرأه، قرأته مثل ما أقرأ القرآن هذا. فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ =

= قال: سيركم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد. قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة، فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها، لنعميه علىٰ الناس فلا ينبشونه. قلت: فما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون. قلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يقال له دانيال. قلت: منذ كم وجدتموه قد مات؟ قال: منذ ثلاثمائة سنة. قلت: ما تغير منه شيء؟ قال: لا إلا شعرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض ولا تأكلها السباع.

وهذا إسناد صحيح إلىٰ أبي العالية ولكن إن كان تاريخ وفاته محفوظا من ثلاثمائة سنة، فليس بنبي بل هو رجل صالح، لأنَّ عيسىٰ ابن مريم ليس بينه وبين رسول الله نبي» (البداية والنهاية ٢/ ٣٧٦).

وأبو العالية: رفيع بن مهران الرياحي، تابعي كبير مشهور.

وها هنا زيادة في ط النيل (ولم أجدها في دَ بحسب المصورة التي بين يدي) صورتها:

[فصل:

قالوا: قال كعب – وذكر صفة رسول الله صلىٰ الله عليه في التوراة ويريد بها التوارة التي هي أعم من التوارة المعينة-: «أحمد عبدي المختار، لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، يعفو ويغفر، مولده بكا، وهجرته طابا، وملكه بالشام، وأمته الحامدون، يحمدون الله علىٰ كل نجد، ويسبحونه في كل نزلة، ويغضون أطرافهم، ويأتزرون علىٰ أنصافهم، وهم رعاة الشمس، ومؤذنهم في جو السماء، وصفهم في القتال وصفهم في الصلاة سواء، رهبان بالليل، أسد في النهار، لهم دوي كدوي النحل، يصلون الصلاة حيث أدركتهم، ولو علىٰ كناسة».

فصل:

قالوا: قال ابن أبي الزناد: حدثني عبدالرحمن بن الحارث، عن عمر بن حفص – وكان من خيار الناس- قال: كان عند أبي وجدي ورقة يتوارثونها قبل الإسلام، فيها: اسم الله وقوله الحق، وقول الظالمين تبار، هذا الذكر لأمة تأتي في آخر الزمان يتزرون علىٰ أوساطهم، ويرصدون أطرافهم، ويخوضون البحور إلىٰ أعدائهم، فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ما هلكوا بالطوفان، وفي ثمود ما هلكوا بالصيحة. =

= فصل:

قالوا: قال أشعياء -وذكر قصة العرب- فقال: «ويدوسون الامم دياس البيادر، وينزل البلاء بمشركي العرب، وينهزمون بين يدي سيوف مسلولة وقسي موترة من شدة الملحمة».

وهذا إخبار عما طرأ بعبدة الأوثان من رسول الله ﷺ يوم بدر ويوم حنين وفي غيرهما من الوقائع].

انتهىٰ ما وجدته زائدا في ط النيل، مع تصحيح بعض التصحيفات.

ويلاحظ علىٰ هذا النص أمور:

الأول: أنه خلت منه نسخة ابن المحب، وحالها كما وصفنا، وكذا بقية النسخ.

الثاني: انه يخالف أسلوب المصنف في تحقيق الروايات في هذا الكتاب، فإنه ذكر حديث كعب، وهو مروي في صحيح البخاري عن عبدالله بن عمرو بن العاص، وقد ذكره المصنف في موضعه وأشار إليه.

الثالث: أنه إقحام لذكر العرب في الحديث عن البشارات بالنبي ﷺ.

الرابع: أنه مما ذكره ابن القيم في كتاب هداية الحيارىٰ (٢/ ٣٧٧) عقب به علىٰ كلام أبي العالية، ولكنه ليس في تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، وهو مصدر المصنف الرئيس في هذه البشارات، فقد اتبعه بذكرها وتسلسلها. وليس بين البشارة التي أثبتناها والبشارة التالية شيء من ذلك في المصدر.

الخامس: أنَّ البيهقي رواه في دلائل النبوة، وهو من مصادر المؤلف، فقد روىٰ البيهقي (دلائل النبوة ١/ ٣٨٢) عن أبي خلدة خالد بن دينار عن أبي العالية قصة دانيال كما نقلها ابن كثير، ثم روىٰ عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي، عن عمر بن الحكم بن رافع بن سنان، وهو عم عبد الحميد بن جعفر قال: حدثني بعض عمومتي وآبائي أنهم كانت عندهم ورقة يتوارثونها في الجاهلية، حتىٰ جاء الله تعالىٰ بالإسلام وهي عندهم، فلما قدم النبي ﷺ، المدينة، ذكروا له وأتوه بها مكتوب فيها: اسم الله وقوله الحق، وقول الظالمين في تباب، هذا الذكر لأمة تأتي في آخر الزمان يسبلون أطرافهم، ويأتزرون علىٰ أوساطهم، ويخوضون البحور إلىٰ أعدائهم، فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان، وفي

فصل(1)

قالوا: «وقال يوحنا الإنجيلي: قال يسوع المسيح في الفصل الخامس عشر

= عاد ما أهلكوا بالريح، وفي ثمود ما أهلكوا بالصيحة، بسم الله وقوله الحق، وقول الظالمين في تباب، كأنه استقبل قصة أخرىٰ.

قال: فعجب رسول الله ﷺ، لما قرئت عليه لما فيها.

فقد يكون هذا النص كان في نسخة ثم حذفه المصنف أخيرا، أو أنه مما حشاه بعض النساخ، ثم زاده الناقل عن هذا الأصل في النص.

فائدة: ذكر البقاعي أن هذه البشارة هي سبب إسلام كعب الأحبار، وقال في نظم الدرر (١٨/ ٣٤٢): ورویٰ أصحاب فتوح البلاد في فتح بيت المقدس عن كعب الأحبار أن سبب إسلامه أن أباه كان أخبره أنه ذخر عنه ورقتين جعلهما في كوة وطين عليهما، وأمره أن يعمل بهما بعد موته، قال: فلما مات فتحت عنهما فإذا فيهما: محمد رسول الله صلىٰ الله خاتم النبيين لا نبي بعده مولده بمكة ومهاجرة بطيبة ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي السيئة بالسيئة، ولكن يجزي بالسيئة الحسنة ويعفو ويغفر ويصفح، وإن أمته الحمادون الذين يحمدون الله علىٰ كل شيء وعلىٰ كل حال، ويذلل ألسنتهم بالتكبير، وينصر الله نبيهم علىٰ كل من ناواه، يغسلون فروجهم بالماء، ويؤثرون علىٰ أواسطهم، وأناجيلهم في صدورهم، يأكلون قربانهم في بطونهم ويؤجرون عليها، تراحمهم بينهم تراحم بين الأم والأب، وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم، هم السابقون المقربون والشافعون والمشفع لهم..

(١) في (د، ط النيل): بسم الله الرحمن الرحيم، وبه ثقتي، فصل في كلمة الإنجيل وتفسيرها..

ومن المراجع المهمة التي تطرقت إلىٰ نقل البشارات من الإنجيل -في زمانه- كتاب: «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» في تفسير قوله تعالىٰ ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦]، حيث عقد فصلا عنوانه: «ذكر ما يصدق هذه الآية من الإنجيل من تصديقه للتوارة وبشارته بأحمد ﷺ» (نظم الدرر ٢٠/ ١٨). ومبحث البشارة بالفارقليط عنده في تفسير سورة النساء (٥/ ٤٨١)، وكذا في آخر آية من سورة الفتح.

من إنجيله: إن الفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء»[1].

وقال: يوحنا التلميذ أيضًا – يعني[2] عن المسيح – أنه قال لتلاميذه: «إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب أنْ (ظ١١) يعطيكم فَارقليطًا آخر، يثبت معكم إلىٰ الأبد، روح الحق الذي لم يطق العالم أن يقتلوه، لأنهم لم يعرفوه، ولست أدعكم أيتامًا؛ لأني سآتيكم عن قريب»[3].

وقال يوحنا: «قال المسيح: من يحبني يحفظ كلمتي، وأبي يحبه، وإليه يأتي، وعنده يتخذ المنزل، كلمتكم بهذا لأني عندكم مقيم، والفارقليط روح الحق[4] الذي يرسله أبي، هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم كلمَّا قلت لكم: استودعتكم سلامي[5]، لا تقلق قلوبكم ولا تجزع، فإني منطلق وعائد إليكم، لو كنتم تحبوني كنتم تفرحون بمضيي إلىٰ الأب، فإن أنتم ثبتم في كلامي وثبت كلامي فيكم كان لكم كل ما تريدون، وبهذا يمجد[6] أبي»[7].

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٧٠١، وعنه صدر المصنف، خير البشر ص١٣٢، وفي إنجيل يوحنا: (١٤: ٢٦): «وأما المعزي، الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم».

(٢) ليست في (ل).

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٧٠٤، وفي إنجيل يوحنا: (١٤: ١٥): «إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلىٰ الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم. لا أترككم يتامىٰ. إني آتي إليكم.».

(٤) كان كتب في الأصل (ل): روح القدس، ثم كتب ضرب علىٰ القدس، وكتب فوقها: الحق. وكذا وقع في الموضع الآتي. وفي المصدر: روح القدس.

(٥) في (ط النيل): وأمي.

(٦) في (ب): يحمد.

(٧) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٧٠٦، وانظر إنجيل يوحنا (١٤: ٢٣-٣١).

وقال أيضًا: «إذا جاء الفارقليط الذي أبي يُرسله[1]، روح الحق الذي من أبي، هو يشهد لي، قلت لكم هذا حتىٰ إذا كان تؤمنوا به ولا تشكوا فيه»[2].

وقال أيضًا: «إنَّ خيرا لكم أن أنطلق؛ لأني إن لم أذهب لم يأتكم الفارقليط، فإذا انطلقت أرسلته إليكم، فهو يوبِّخ العالم علىٰ الخطيئة، وإنَّ لي كلامًا كثيرًا، أريد أن أقوله، ولكنكم لا تستطيعون حمله، لكن إذا جاء روح الحق ذاك يرشدكم إلىٰ جميع الحق؛ لأنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم بكل ما يأتي، ويعرفكم جميع ما للأب»[3].

وقال يوحنَّا الحواري: «قال المسيح: إن أركون العالم سيأتي، وليس لي شيء»[4].

---

(١) في (ب، ل، المطبوعة، ط النيل): أرسله.

(٢) تخجيل من حرف التوارة والإنجيل ٢/ ٧٠٨، خير البشر ص١٣٤، وفي إنجيل يوحنا (١٥: ٢٦-٢٧): «ومتىٰ جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق، الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي. وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معي من الابتداء.». ثم في (١٦: ١): «قد كلمتكم بهذا لكي لا تعثروا».

(٣) تخجيل من حرف التوارة والإنجيل ٢/ ٧١١، خير البشر ١٣٤، وفي إنجيل يوحنا (١٦: ٤-٨) «لكني قد كلمتكم بهذا حتىٰ إذا جاءت الساعة تذكرون أني أنا قلته لكم. ولم أقل لكم من البداية لأني كنت معكم. وأما الآن فأنا ماض إلىٰ الذي أرسلني، وليس أحد منكم يسألني: أين تمضي؟ لكن لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم. لكني أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم».

(٤) تخجيل من حرف التوارة والإنجيل ٢/ ٧١٤، إنجيل يوحنا (١٤: ٢٩-٣٠) وهو بحسب الترجمة الحالية: «وقلت لكم الان قبل ان يكون، حتىٰ متىٰ كان تؤمنون. لا اتكلم ايضا معكم كثيرا، لان رئيس هذا العالم ياتي وليس له في شيء».

وقال متَّىٰ التلميذ: «قال المسيح: ألم تقرؤوا أنَّ الحجر الذي أرذله البناؤون صار رأسًا للزاوية من عند الله، كان هذا وهو عجيب في أعيننا، ومن أجل ذلك أقول لكم: إنَّ ملكوت الله سيُؤخذ منكم، ويُدفع إلىٰ أمة أخرىٰ تأكل ثمرتها، ومن[1] سقط علىٰ هذا الحجر ينشدخ، وكل من سقط هو عليه يمحقه»[2].

وقال يوحنا التلميذ في كتاب «رسائل التلاميذ، المسمىٰ بفراكسيس»[3]:

«يا أحبابي، إياكم أن تؤمنوا بكل روح، لكن ميزوا الأرواح التي من عند الله من غيرها[4]، واعلموا أنَّ كل روح تؤمن بأنَّ يسوع المسيح قد جاء وكان

---

(١) في (ب): ومتىٰ.

(٢) تخجيل من حرف التوارة والإنجيل ٢/ ٧١٥، وفي إنجيل متَّىٰ (٢١: ٤٢-٤٤) بحسب الترجمة: «أما قرأتم قط في الكتب: الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية؟ من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا. لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطىٰ لأمة تعمل أثماره. ومن سقط علىٰ هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه».

(٣) كذا في الأصول، موافقا لما في المصدر، وقد ذكره ابن القيم باسم: افراكيس، وهذا الخلاف قد يكون بسبب الترجمة، لأن الاسم أعجمي، والعرب لا تبتدئ بالساكن، فإما أن يحركوا أوله، أو يبتدئوا بهمزة الوصل، وعرفه ابن القيم بقوله: كتاب أخبار الحواريين (هداية الحيارىٰ ١/ ٣٤٢).

ولكن ابن حزم قد ذكره باسم: الأفركسيس، ونسبه للوقا الطبيب، وقال: «الأفْرَكسيس كتاب ألفه لوقا الطبيب المذكور في أخبار الحواريين وأخبار صاحبه بولش البنياميني، وسيرهم وقتلهم، يكون نحو خمسين ورقة بخط مجموع». وصدر التعريف به بقوله: «وليس للنصارىٰ كتاب قديم يعظمونه بعد الأناجيل الأربعة إلا الأفركسيس» (انظر: الفصل في الملل والنحل ٢/ ٣، تاريخ نص الفصل في الملل والنحل ص٤٦١، تأليف د. سمير قدوري)، وهو نفسه سفر أعمال الرسل المنسوب إلىٰ لوقا.

(٤) هامش ظ: بلغ مقابلة.

جسدانيًا فهي من عند الله، وكل روح لا تؤمن بأن يسوع المسيح جاء وكان جسدانيًا فليست من عند الله، بل من المسيح الكذاب الذي سمعتم به، وهو الآن في العالم»[١].

وقال شمعون الصفا، رئيس الحواريين في كتاب «فراكسيس»: «إنَّه قد حان أن يُبتَدَأَ الحكم من بيت الله ابتداء»[٢].

قلت: وهذا اللفظ - لفظ الفارقليط - في لغتهم ذكروا فيه أقوالاً[٣]:

قيل: إنه الحمّاد.

وقيل: الحامد[٤].

وقيل: المعزِّ[٥].

وقد قيل: إنه الحمد، ورجح هذا طائفة.

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٧١٧. وقال: «فقد شهد الحواري بأن محمّد من عند الله؛ لأن محمّد قد آمن أن المسيح قد جاء وكان جسدانيـًا. فأما اليهود فلم يؤمنوا بالمسيح ولا كثير من أهل ذلك الزمان. واليهود إلىٰ الآن في انتظار مسيح آخر، ولا مسيح يأتي سوىٰ المسيح الدجّال الكذاب الذي حذرت منه الأنبياء عليهم السلام فهذا الحواري يوحنا قد شهد بصدق محمّد وأمته، وأن اعتقادهم في المسيح هو الاعتقاد الحقّ، وقد أكذب النصارىٰ بقوله هذا في دعوىٰ ربوبية المسيح. إذ فرَّق في قوله بين الله وبين الميسح. وشهد أن الله غيره وأنه غير الله».

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٧١٧. وقال: بيت الله هو الكعبة.

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٧٠٢، هداية الحيارىٰ ٢/ ٤٨٧. وقد أطال عبدالله الترجمان الحديث عن الفارقليط في كتاب: تحفة الأريب في الرد علىٰ أهل الصليب، حيث كان هذا اللفظ سبب إسلامه.

(٤) في (ب، ل، ط النيل، المطبوعة): إنه الحامد.

(٥) في (ل): إنه المعزّ.

وقالوا: الذي يقوم عليه البرهان في لغتهم أنه الحمد، والدليل عليه قول يوشع: «مَن عمل[1] حسنة تكون له فارقليط جيد»، أي حمدٌ جيدٌ.

وقولهم المشهور في مخاطبتهم[2]: فارقليط، وفارقليطان، وما زاد على الجميع، أي: حمدٌ، ومنه كما نقول نحنُ: يد ومنَّة[3].

(وأكثر النصارى[4] على أنه: المخلص.

وقيل: هو الحكيم[5].

والمسيح نفسه يسمونه المخلِّص، وفي الإنجيل الذي بأيديهم أنه قال: «إني لم آتِ لأزيِّن العالم بل لأخلص العالم»[6].

والنصارى يقولون في صلواتهم[7]: «لقد ولدت لنا مخلصًا»)[8].

---

(١) في (ب): يعمل.

(٢) في (ب، ل، المطبوعة): تخاطبهم.

(٣) في (د، ط النيل): «ومنه كما يقول تجويد – وفي ط النيل: تحويد- ومنه هنا رويده يأتي بعد قوله وواحد منها بقي عبرانيا» وليس هذا في شيء من الأصول الخطية، ويظهر أنه يشير إلى شيء في النسخة الأصل.

(٤) في (ب): كتب فوقها: مقدم، وسيأتي بيان معنى ذلك..وحدد المقدم في (ب) بقوله: مقدم..إلى. وفي (ل): ضرب عليها وكتب فوق السطر: يؤخر.

(٥) الجملة من (ظ) فقط. قال ابن ظفر: «هم مختلفون في معنى الفارقليط، والذي صح عندي من ذلك قول الحكيم الذي يعرف السر». (خير البشر ص١٣٣).

(٦) إنجيل يوحنا ١٢: ٤٧.

(٧) ما سوى (ظ): صلاتهم.

وأصل العبارة في التخجيل ٢/ ٧٠٢: «والنصارى يقرؤون في صلاتهم: يا والدة الإله لقد ولدتي لنا مخلّصـًا».

(٨) ما بين القوسين من الأصل ظ، وقد تأخر في بقية الأصول إلى ما بعد: وواحد بقي عبرانيا، ومحله هنا أليق. وكتب فوقه في (ل) في موضعه: تقدم. =

ومن قال: معناه المخلِّص فيحتجون بأنها كلمة سريانية، ومعناها المخلص، وقالوا: هو مشتق من قولنا: «راوق»[1]، ويقال بالسريانية «فاروق»، فجعل «فارق»، قالوا: ومعنىٰ «ليط» كلمة تزاد للتثبيت[2] والتقدير كما يقال في العربية: رجل هو، وحجر هو، وبدر هو، وذكر هو، قالوا: وكذلك يزاد في السريانية[3]: «ليط».

والذين قالوا: هو المعزّ، قالوا: هو في[4] لسان اليونان المعز.

ويعترض علىٰ هذين القولين: بأنَّ المسيح لم تكن لغته سريانية ولا يونانية، بل عبرانية.

ويجاب عنه: بأنه تكلم بالعبرانية، وترجم عنه بلغة أخرىٰ (ظ١٣) كما أملوا أحد الأناجيل باليونانية، والآخر بالسريانية، والآخر بالرومية، وواحد منها بقي عبرانيا.

وقد اختلف فيه[5]:

فمن[6] النصارىٰ من قال: هو روح نزلت علىٰ الحواريين، وقد يقولون:

= وليس هو في ط النيل.

(١) كذا في (ل) وفي الأصل: رادو، وفي (ب): فاروق، وفي المطبوعة في المتن (راوف)، وضبطها في الهامش بالقاف، وفي ط النيل: فار، وفي د: راد.
والذي في هداية الحيارىٰ: فارق. وما أثبتناه أحرىٰ أن يكون صحيحا، وينظر في بيان معنىٰ هذه الكلمة: إظهار الحق ٤/ ١١٨٧.

(٢) ليست في (ب، ل، المطبوعة) وفي د، ط النيل: يراد بها للتثبت والتقدير..

(٣) في (ظ): اليونانية، وهو غلط، صوابه ما أثبت من باقي النسخ.

(٤) ليست في (ب).

(٥) أي في الفارقليط.

(٦) في (ل): عن.

إنه ألسن نارية نزلت من السماء على التلاميذ، ففعلت الآيات والعجائب[١].

ولهذا يقول[٢] مَن خَبر أحوال النصارى: إنه لم ير أحدًا منهم يحسن تحقيق مجيء هذا الفارقليط الموعود به.

منهم من يزعم أنَّه المسيح نفسه؛ لكونه جاء بعد الصلب بأربعين يومًا، وكونه قام من قبره.

(وتفسيره بالروح باطل، وأبطل منه تفسيره بالمسيح)[٣] لوجوه:

منها: أنَّ روح القدس ما زالت تنزل على الأنبياء والصالحين قبل المسيح وبعده[٤]، وليست موصوفة[٥] بهذه الصفات.

وقد قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال النبي ﷺ لحسان بن ثابت -لما كان يهجو المشركين- قال: «اللهم أيده بروح القدس».

---

(١) ذكره أبو البقاء في تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٧٠٥. ورده بأن هذه الألسن نزلت ثم انقضت ومضت ولم تدم للأبد ولم تعلم أحداً شيئا!

(٢) في (ب): يقولون.

(٣) ليست في (ب)، وكتب: وهذا ضعيف وتفسيره بهذا ظاهر البطلان، ثم ضرب عليه. بينما في (ل) كتب: وهذا ضعيف، ثم ضرب عليه، وأثبت مثل ما في الأصل.

(٤) هنا زيادة كتبت لحقا في الأصلين (ل، د) وعليها صح، وثبتت في متن (ط النيل، والمطبوعة): «وهذا مما اتفق عليه أهل الكتاب، أن روح القدس نزلت على الأنبياء والصالحين، قبل المسيح وبعده».

(٥) في (ب): موجودة.

وقال: «روح[1] القدس معك ما دمت[2] تنافح عن نبيه»[3].

وإذا كان كذلك؛ ولم يسمِّ أحدٌ هذه الروح فارقليطًا دلَّ علىٰ أنَّ الفارقليط أمر غير هذا.

وأيضًا: فمثل هذه ما زالت يؤيَّد بها الأنبياء والصالحون[4]، وما بشر به المسيح أمر عظيم، يأتي بعده أعظم من هذا.

وأيضًا: فإنَّه وصف الفارقليط بصفات لا تناسب هذا، وإنما تناسب رجلاً يأتي بعده نظيرًا له، فإنه قال: «إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطًا آخر، يثبت معكم إلىٰ الأبد»[5].

فقوله: «فارقليطا آخر» دلَّ علىٰ أنَّه ثانٍ لأول كان قبله، ولم يكن معهم في حياة المسيح إلاَّ هو، لم تنزل عليهم روح، فعلم أنَّ الذي يأتي بعده نظيرًا له، ليس أمرًا معتادًا يأتي للناس.

وأيضًا: فإنَّه قال: «يثبت معكم إلىٰ الأبد»، وهذا إنما يكون لما يدوم، ويبقىٰ معهم[6] إلىٰ آخر الدهر، ومعلوم أنَّه لم يرد بقاء ذاتِه، فعُلم أنَّه بقاء شرعه وأمره، فعُلم أنَّ الفارقليط الأول لم يثبت معهم شرعه ودينه إلىٰ الأبد،

---

(١) في ما سوىٰ (ظ): إن روح.

(٢) في ما سوىٰ (ظ): زلت.

(٣) سبق تخريج الحديثين.

(٤) في (ل): والصالحين.

(٥) إنجيل يوحنا (١٤: ١٥-١٦) وهو بحسب الترجمة: «إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلىٰ الأبد».

(٦) في (ل): معكم.

وهذا يبين أنَّ هذا الثاني صاحب شرع لا يُنسخ(١) بخلاف الأول، وهذا إنما ينطبق علىٰ محمد ﷺ.

وأيضًا: فإنَّه أخبر أنَّ هذا الفارقليط الذي أخبر به يشهد له، ويُعلمهم كلَّ شيء، وأنه يُذكرهم كلَّ مَا قال المسيح، وأنه يوبخ العالم علىٰ الخطيئة(٢)، فقال: «والفارقليط الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم كل ما قلت لكم».

وقال: «إذا جاء الفارقليط الذي أبي أرسله، هو يشهد لي، قلت لكم هذا حتىٰ إذا كان تؤمنوا به، ولا تشكوا فيه»(٣).

وقال: «إنَّ خيرًا لكم أنْ أنطلق؛ لأني إنْ لم أذهب لم يأتكم الفارقليط، فإذا انطلقتُ أرسلته إليكم، فهو يوبخ العالم علىٰ الخطيئة، وإنَّ لي كلامًا كثيرًا أريد أن أقوله، ولكنكم لا تستطيعون حمله، لكن إذا جاء روح الحق ذاك الذي يرشدكم إلىٰ جميع الحق؛ لأنَّه ليس ينطق من عنده(٤)، بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم(٥) بكل ما يأتي، ويعرفكم جميع ما للأب»(٦).

---

(١) بيض لها في (ل).

(٢) في (ب، ل، المطبوعة): خطيئته.

(٣) إنجيل يوحنا (١٥: ٢٦) وهو بحسب الترجمة الحالية: «ومتىٰ جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الاب، روح الحق، الذي من عند الاب ينبثق، فهو يشهد لي. وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معي من الابتداء».

(٤) في (ب، ل): من عند نفسه.

وصدق الله إذ يقول في صفة نبيه ﷺ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم:٣-٥].

(٥) في (ل): ويخبر.

(٦) إنجيل يوحنا (١٦: ٥-١٦) بحسب الترجمة: «وأما الآن فأنا ماض إلىٰ الذي أرسلني، =

فهذه الصفات والنعوت -التي تلقوها[1] عن المسيح- لا تنطبق علىٰ شيء في قلب بعض الناس، لا يراه أحدٌ، ولا يسمع كلامَه[2]، وإنما ينطبق علىٰ من يراه الناس، ويسمعون كلامه، فيشهد للمسيح، ويعلمهم كل شيء، ويذكرهم كل ما قال لهم المسيح، ويوبخ العالم (ظ١٤) علىٰ الخطيئة، ويرشد الناس إلىٰ جميع الحق، وهو لا ينطق من عنده، بل يتكلم[3] بما يسمع، ويخبرهم بكل ما يأتي، ويعرفهم جميع ما لرب العالمين.

وهذا لا يكون مَلَكًا لا يراه أحد، ولا يكون هُدىً ولا عِلما في قلب بعض الناس، بل لا يكون إلاَّ إنسانًا عظيم القدر، يخاطب الناس بما أخبر به المسيح، وهذا لا يكون إلا بشرًا رسولاً، بل يكون أعظم من المسيح، فإنَّ المسيح بيَّن أنه يقدر علىٰ ما لا يقدر عليه المسيح، من خطاب الناس بأمور عظيمة لا تحملها عقول أولئك[4]، ويعلم ما لا يعلمه المسيح، ويخبر بكل ما يأتي، وبما يستحقه الرب حيث قال: «وإنَّ لي كلامًا كثيرا أريد أنْ أقوله، ولكنكم لا تستطيعون

= وليس أحد منكم يسألني: أين تمضي؟ لكن لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم. لكني أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم. ومتىٰ جاء ذاك يبكت العالم علىٰ خطية وعلىٰ بر وعلىٰ دينونة. أما علىٰ خطية فلأنهم لا يؤمنون بي. وأما علىٰ بر فلأني ذاهب إلىٰ أبي ولا ترونني أيضا. وأما علىٰ دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين. إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متىٰ جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلىٰ جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجدني، لأنه يأخذ مما لي ويخبركم. كل ما للاب هو لي. لهذا قلت إنه يأخذ مما لي ويخبركم. بعد قليل لا تبصرونني، ثم بعد قليل إيضا ترونني، لأني ذاهب إلىٰ الاب».

(١) في (ب): نقلوها.

(٢) أي روح القدس.

(٣) في (ب): بكل ما.

(٤) «من خطاب ... أولئك» ليس في (ل).

حمله، ولكن إذا جاء روح الحق ذاك الذي يرشدكم إلىٰ جميع الحق؛ لأنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم بكل ما يأتي، ويعرفكم جميع ما للأب»[1].

وهذه الصفات لا تنطبق إلاَّ علىٰ محمد ﷺ، وذلك أن الإخبار عن الله بما هو متصف به من الصفات، وعن ملائكته وملكوته[2]، وعمَّا أعده في الجنة لأوليائه وفي النار لأعدائه؛ أمر لا يحتمل عقول كثير من الناس معرفته علىٰ التفصيل.

ولهذا قال علي رضي الله عنه[3]: «حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتحبون أن يُكذَّب الله ورسوله»[4].

وقال ابن مسعود: «ما من رجل يحدث قومًا حديثا[5] لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم»[6].

---

(١) حاشية في (ب): والأب بلغتهم هو الله الذي لا إله إلا هو، لا والد له، ولا مولود له.

(٢) في (ب، ل): وعن ملكوته.

(٣) في (ل): عليه السلام.

(٤) رواه البخاري في الصحيح (١٢٧)، وترجم عليه البخاري: باب من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية ألا يفهموا، دون قوله: «ودعوا ما ينكرون». وهذا الزيادة رواها آدم بن أبي إياس العسقلاني في كتاب العلم له، وأبو نعيم في المستخرج، ذكر ذلك الحافظ في فتح الباري (١/ ٢٢٥)، ثم قال: «ودعوا ما ينكرون أي يشتبه عليهم فهمه وكذا رواه أبو نعيم في المستخرج، وفيه دليل علىٰ أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة».

(٥) في (ب، ل) بحديث.

(٦) رواه مسلم في مقدمة الصحيح (١/ ١١). قال الحافظ في فتح الباري (١/ ٢٢٥): وممن كره التحديث ببعض دون بعض: أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج علىٰ السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب، ومن قبلهم أبو هريرة كما تقدم عنه في الجرابين، وأن المراد ما يقع من الفتن، ونحوه عن حذيفة، =

وسأل رجل ابن عباس عن قوله تعالىٰ: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، قال: «ما يؤمنك أني لو أخبرتك بتفسيرها لكفرت(١)؟ وكفرك بها تكذيبك بها»(٢).

فقال لهم المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن لي كلاما كثيرًا أريد أنْ أقوله، ولكنكم لا تستطيعون حمله»، وهو الصادق المصدوق في هذا، لهذا ليس في الإنجيل من صفات الله، وصفات ملكوته، ومن صفات اليوم الآخر إلاَّ أمور مجملة، وكذلك التوراة، ليس فيها من ذكر اليوم الآخر إلا أمور مجملة(٣)، مع أنَّ موسىٰ كان قد مهَّدَ الأمر للمسيح، ومع هذا فقد قال لهم المسيح: «إنَّ لي كلامًا كثيرًا أريد أن أقوله، ولكنكم لا تستطيعون حمله»، ثم قال: «ولكن إذا جاء روح الحق ذلك الذي يرشدكم إلىٰ جميع الحق»، وقال: «إنه يخبركم بكل ما يأتي، ويعرفكم جميع ما للرب».

فدلَّ هذا علىٰ أنَّ هذا الفارقليط هو الذي يفعل هذا دون المسيح، وكذلك كان محمد ﷺ أرشد الناس إلىٰ جميع الحق، حتىٰ أكمل الله له الدين، وأتم به النعمة؛ ولهذا كان خاتم الأنبياء، فإنه لم يبق شيء يأتي به غيره.

= وعن الحسن أنه أنكر تحديث أنس للحجاج بقصة العرنيين لأنه اتخذها وسيلة إلىٰ ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي، وضابط ذلك: أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة، وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشىٰ عليه الأخذ بظاهره مطلوب.

(١) في (ب، ل): أخبرتكم بها لكفرتم، أي لو أخبرتكم بتفسيرها لكفرتم.
وفيهما تتمة الآية ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾.

(٢) رواه ابن جرير في التفسير ٢٣/ ٤٦٩، من طريق إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس، وفي ابن مهاجر ضعف يسير، قال الحافظ في التقريب: صدوق فيه لين، لكن روىٰ ابن جرير نحوه (٢٣/ ٤٧٠) من حديث جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٣) في (ب): الجملة.

وأخبر محمد ﷺ بكل ما يأتي من أشراط الساعة، والقيامة، والحساب، والصراط، ووزن الأعمال، والجنة وأنواع نعيمها، والنار وأنواع عذابها، فلهذا كان في القرآن من تفصيل أمر الآخرة، وذكر الجنة والنار، وما يأتي من ذلك أمور كثيرة توجد لا في التوراة، ولا في الإنجيل، وذلك تصديق قول المسيح: «إنه يخبر بكل ما يأتي».

ومحمد ﷺ بعثه الله بين يدي الساعة كما قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، (وأشار بأصابعه السبابة والوسطىٰ)[1] وكان إذا ذكر الساعة علا صوته، واحمر وجهه، واشتد غضبه (كأنه منذر جيش)[2].

وقال: «أنا النذير العريان»[3].

وقال: «إنْي نذير لكم بين يدي عذاب شديد»[4].

[5] فأخبر من الأمور التي تأتي في المستقبل بما لم يخبر[6] به نبي من الأنبياء، كما نعته به المسيح حيث قال: «إنه يخبركم بكل ما يأتي»، ولا يوجد

---

(١) ليست في الأصل (ظ).

(٢) مابين القوسين ليس في (ب).

والحديث رواه مسلم في الصحيح (٨٦٧) عن جابر بن عبد الله، قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتىٰ كأنه منذر جيش يقول: «صبحكم ومساكم»، ويقول: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، ويقرن بين إصبعيه السبابة، والوسطىٰ..الحديث.

(٣) متفق عليه من حديث أبي موسىٰ، رواه البخاري(٦٤٨٢)، ومسلم (٢٢٨٣).

(٤) كما في حديث ابن عباس في صدعه ﷺ بالدعوة، ، وهو متفق عليه، رواه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨) .

(٥) هنا في (ل) زيادة في المتن: «وقال إنما مثلي ومثلكم».

(٦) في (ل، ب): يأت.

قط مثل[1] هذا عن أحد من الأنبياء قبل محمد ﷺ، فضلاً عن أنْ يوجد عن شيء ينزل في[2] قلب بعض الحواريين.

وأيضًا: فقال: «ويعرفكم جميع ما للرب»، فبين أنه يعرف الناس جميع ما لله، وذلك (ظ١٥) يتناول ما لله من الأسماء والصفات، وما له من الحقوق، وما يجب من الإيمان به، وبملائكته وكتبه ورسله، بحيث يكون ما يأتي به جامعًا لكل ما يستحقه الرب.

وهذا لم يأت به أحدٌ غير محمد ﷺ، حيث تضمَّن[3] ما جاء به من الكتاب والحكمة هذا كله.

(ومعلوم أنَّ ما نزل علىٰ الحواريين لم يكن فيه هذا كله ولا نصفه ولا ثلثه، بل ما جاء به المسيح أعظم مما جاء به الحواريون، وهذا الفارقليط الثاني جاء بأعظم مما جاء به المسيح)[4].

وأيضًا: فإنَّ المسيح قال: «إذا جاء الفارقليط الذي أرسله أبي هو يشهد لي، قلت لكم هذا حتىٰ إذا كان تؤمنوا به ولا تشكوا فيه»، فبيَّن أنه أخبرهم به ليؤمنوا به إذا جاء، ولا يشكُّوا فيه، وأنه يشهد له، وهذه صفة من[5] بشَّر به المسيح وشهد للمسيح، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦].

---

(١) في (ب): ولا يوجد هذا قط. وفي (ل): ولا يوجد مثل هذا قط.
(٢) في (ل): عن شيء نزل علىٰ قلب.
(٣) في (ل): يتضمن.
(٤) محل هذا في (ب) بعد قوله الآتي: تؤمنوا به ولا تشكوا فيه. وفي هذا الموقع اضطراب من الأصل (ب).
(٥) في (ل، ب): نبي.

وأخبر أنَّه يوبِّخ[1] العالم علىٰ الخطيئة، ولم يوجد أحد وبَّخ جميع العالم علىٰ الخطيئة إلاَّ محمد ﷺ، فإنه أنذر جميع العالمين[2] من أصناف الناس، ووبخهم علىٰ الخطيئة: من الكفر والفسوق والعصيان، ([3] وبَّخ المشركين[4] من العرب والهند والترك وغيرهم، ووبَّخ المجوس، وكانت مملكتهم أعظم الممالك، ووبخ أهل الكتابين اليهود والنصارىٰ، وقال في الحديث الصحيح عنه: «إن الله نظر إلىٰ أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب»)[5].

لم يقتصر علىٰ مجرد الأمر والنهي، بل وبَّخهم وقرعهم[6] وتهددهم.

وأيضًا: فإنَّه أخبر أنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بكل ما يسمع، وهذا إخبار بأنَّ كل ما يتكلم به فهو وحي يسمعه، ليس هو شيئًا تعلَّمَه[7] من الناس، أو عرفه باستنباطه.

وهذه خاصة محمد ﷺ، فإنَّ المسيح ومن قبله من الأنبياء كانوا يتعلمون من غيرهم، مع ما كان يوحىٰ إليهم، فعندهم علم غير ما يسمعونه من الوحي، ومحمد ﷺ لم ينطق إلاَّ بما يسمعه من الوحي، فهو مبلِّغ لما أرسل به، وقد قيل له: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

---

(١) وبَّخ بمعنىٰ لام وعذل وأنب وهدد (تاج العروس ٧/ ٣٦٣). وانظر: خير البشر ص١٣٥.
(٢) في (ل، ب) العالم.
(٣) ما بين القوسين ليس في (ب) وقد سقط من (ل) فاستدرك في الحاشية لحقا.
(٤) في (ل) جميع المشركين.
(٥) سبق تخريجه.
(٦) في (ب): فزعهم.
(٧) في (ب) يعلم.

فضمن الله له العصمة إذا بلغ رسالاته، فلهذا أرشد الناس إلىٰ جميع الحق، وألقىٰ إلىٰ الناس ما لم يمكن غيره من الأنبياء إلقاءه خوفًا أنْ يقتلوه، كما يذكرون عن المسيح وغيره[(١)].

وقد أخبر المسيح بأنه لم يذكر لهم جميع ما عنده، وأنهم لا يطيقون حمله، وهم معترفون بأنه كان يخاف منهم إذا أخبرهم بحقائق الأمور، ومحمد ﷺ أيده الله تعالىٰ تأييدًا لم يؤيده لغيره، فعصمه من الناس حتىٰ لم يخف من شيء يقوله، وأعطاه من البيان والعلم ما لم يؤته غيره، فالكتاب الذي بعث به فيه من بيان حقائق الغيب ما ليس في كتاب غيره.

وأيّد أمّتَه تأييدًا أطاقت به حمل ما ألقاه إليهم، فلم يكونوا كأهل التوراة الذين حملوا التوراة، ثم لم يحملوها، ولا كأهل الإنجيل الذين قال لهم المسيح: «إن لي كلاما كثيرا أريد أن أقوله لكم، ولكن لا تستطيعون حمله».

(وروي أن المسيح قال: جئتكم بالأمثال، وهو يجيئكم بالتأويل)[(٢)].

ولا ريب أنَّ أمة محمد أكمل عقولاً، وأعظم إيمانًا، وأتم تصديقًا وجهادًا، ولهذا كانت علومهم وأعمالهم القلبية وإيمانهم أعظم، وكانت العبادات البدنية لغيرهم أعظم[(٣)].

---

(١) ليست في (ب).

(٢) ما بين القوسين من الأصل (ظ،د، ط النيل) فقط.

(٣) ومع ذلك فقد عوضهم الله خيرا بالبركة في أوقاتهم، حتىٰ يدركوا ما سبقتهم به الأمم السابقة من أعمال الأبدان، فأعطاهم فضيلة يوم عرفة، وفضيلة ليالي رمضان، كما ورد في سبب نزول سورة القدر، قال تعالىٰ: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، وقد جاء عن بعض السلف أنه قال: عن مجاهد قال: كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتىٰ يصبح، ثم يجاهد العدو بالنهار حتىٰ يمسي، ففعل ذلك ألف شهر، فأنزل الله هذه الآية: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل. (انظر: تفسير الطبري ٢٤/ ٥٣٣، تفسير ابن كثير ٨/ ٤٤١).

قال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٥ - ٢٨٦] (ظ١٦).

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أن الله قال: «قد فعلت»(١).

وأيضًا: فإنَّه أخبر عن الفارقليط أنَّه يشهد له، وأنه يُعلِّمهم كل شيء، وأنه يذكرهم كل ما قال المسيح، ومعلومٌ أنَّ هذا لا يكون إلا إذا شهد له شهادة يسمعها الناس، لا يكون هذا شيئًا في قلب طائفة قليلة، ولم يشهد أحد للمسيح شهادةً سمعها عامة الناس إلاَّ محمد ﷺ، فإنه أظهر أمر المسيح، وشهد له بالحق حتىٰ سمع شهادته له عامة أهل الأرض، وعلموا أنه صدَّق المسيح، ونزَّهه عما افترته عليه اليهود، وعما غلت فيه النصارىٰ، فهو الذي شهد له بالحق.

ولهذا لما سمع النجاشي من الصحابة ما شهد به محمد ﷺ للمسيح قال لهم: «ما زاد عيسىٰ علىٰ ما قلتم هذا العود»(٢).

وجعل الله تعالىٰ أمَّة محمد شهداء علىٰ الناس، يشهدون عليهم بما

---

(١) رواه مسلم في الصحيح (١٢٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) سبق تخريجه.

علموه من الحق، إذ كانوا وسطًا عدلاً، لا يشهدون بباطل، فإنَّ الشهيد[1] لا يكون إلاَّ عدلاً بخلاف من جار في شهادته، فزاد علىٰ الحق أو نقص منه، كشهادة اليهود والنصارىٰ في المسيح.

وأيضًا: فإنَّ معنىٰ الفارقليط إنْ كان هو الحامد أو الحماد أو الحمد أو المعزِّ؛ فهذا الوصف ظاهر في محمد ﷺ، فإنه وأمته الحمادون الذين يحمدون الله علىٰ كل حال، وهو صاحب لواء الحمد، والحمد مفتاح خطبهم وصلواتهم[2]، ولهذا لما[3] كان حمَّادًا جُوزي بوصفه -فإنَّ الجزاء من جنس العمل- فكان اسمه محمدا وأحمد[4].

أما محمَّد: فهو علىٰ وزن مُكرَّم ومعظَّم ومقدَّس[5]، وهو الذي يُحمد حمدًا كثيرًا مبالغًا فيه، ويستحقُّ ذلك، فلما كان حمادًا لله[6] كان مُحمَّدًا[7].

وفي شعر حسان بن ثابت:

وشقَّ له من اسمه ليجله   فذو العرش محمود وهذا محمد[8]

---

(١) هامش ظ: الشاهد خ. أي في نسخة. وهكذا ثبت في (ب، ل، د، ط النيل).

(٢) في (ب، ل، د، ط النيل): مفتاح خطبه ومفتاح صلاته.

(٣) في (د): ولما كان.

(٤) في (ب): محمد علىٰ وزن.. ويقط ما بينهما، وفي (ل) كتبها: محمدا ومحمد، فتكرر محمد مرتين، وهو سبق قلم بدليل أنه لم يصرفه، وما أثبت من الأصل وط النيل هو الصحيح، وبقية الكلام يدل عليه.

(٥) ليست في (د).

(٦) في (د): كان أحمد كان محمدا.

(٧) انظر الاشتقاق لابن دريد ص٨.

(٨) ديوان حسان بن ثابت ص٤٠.

وأما أحمد: فهو أفعل التفضيل، أي هو أحمد من غيره، أي أحقُّ بأن يكون محمودًا أكثر من غيره، يقال: هذا أحمدُ من هذا، أي هذا أحق بأن يُحمد من هذا، فيكون فيه تفضيل له على غيره في كونه محمدًا(١).

فلفظ «محمد» يقتضي فضله في الكمية، ولفظ «أحمد» يقتضي فضله في الكيفية.

ومن الناس من يقول: أحمد أي أكثر حمدا من غيره، فعلى هذا يكون بمعنى الحامد والحماد.

وقال -مَن رجَّح أنَّ معنى الفارقليط في لغتهم هو الحمد كما تقدم-: وإذا كان كذلك فهو ما جاء في القرآن: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

قالوا: ولا شك عندهم أنَّه اسم مشتق من الحمد، مثل ما نقول في لغتنا: ضارب ومضروب.

وأمَّا اسم «المعِزّ»(٢) فلم يعرف قط نبي أعز أهل التوحيد لله والإيمان كما أعزَّهم محمد، فهو أحق باسم المعز من كل إنسان(٣).

---

(١) كذا في (الأصل ظ، د، وط النيل) وفي (ب، ل): محمودا، وهما بمعنى، لما قرر من أن محمدا المحمود.

(٢) في د: وأما من فسره بالمعز. وهكذا هو في أصل ل، وكتب في الهامش مثل الذي ثبت هنا وفوقه خ.

(٣) على هذا المعنى الذي ذكره المصنف فإنه: المعز، اسم فاعل من أعز يعز، لأنه يعز أهل الإيمان.

وفي هداية الحيارى ص٣٣٥: المعزي. وهكذا هو في المطبوع من نسخ الإنجيل بحسب الترجمة الحالية، وفسره بعضهم بمعنى المخفف، أي المعين والوكيل (إظهار الحق:١١٨٧) فتكون الكلمة على ذلك اسم فاعل من عزى يعزي، والله أعلم.

وأما معنىٰ المخلص: فهو أيضًا ظاهر فيه، فإنَّ المسيح هو المخلص الأول كما ذكر في الإنجيل، وهو معروف عند النصارىٰ أنَّ المسيح صلوات الله عليه سُمِّي[1] مخلصًا، فيكون المسيح هو الفارقليط الأول، وقد بشَّر بفارقليط آخر، فإنه قال: «وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطًا آخر، يثبت معكم إلىٰ الأبد».

فهذه بشارة بمخلص ثان يثبت معهم إلىٰ الأبد، والمسيح هو المخلص الأول.

وأمَّا ما ينزل في القلوب فلم يسمه أحدٌ مخلِّصًا، ولا فارقليطًا، فلا يجوز أن يفسر كلام المسيح إلاَّ بلغته، ومعانيه المعروفة في لغته التي خاطب بها، وكذلك سائر الأنبياء، (ظ١٧) بل وسائر الناطقين.

وقد وُصف هذا المخلص الثاني بأنه يثبت معهم إلىٰ الأبد، ومحمد هو المخلِّص الذي جاء بشرع باق إلىٰ الأبد، لا ينسخ.

وأيضًا: ما[2] في إنجيل يوحنا أنَّ المسيح قال: «إنَّ أركون العالم سيأتي وليس لي شيء»[3].

وقد ذكروا أنَّ الأركون بلغتهم: العظيم القدر، والأراكنة العظماء[4]،

---

(١) في (د): قد سمي.

(٢) في (ب، ل، ط النيل): فإن في الإنجيل إنجيل يوحنا.

(٣) تخجيل من حرف التوارة والإنجيل ٢/ ٧١٤، إنجيل يوحنا: الإصحاح ١٤: ٣١، ونصه: «أكلمكم كثيرا لأن أركون هذا العالم يأتي وليس له في شيء . ولكن ليعلم العالم أنني أحب الأب وكما أوصاني الأب كذلك أفعل قوموا ننطلق من هاهنا».

(٤) تخجيل من حرف التوارة والإنجيل ٢/ ٧١٤.

وقد كانوا يقولون عن المسيح: «إن أركون الشياطين يعينه[1]» أي عظيم الشياطين، وهو من افتراء اليهود علىٰ المسيح، فقول المسيح عليه السلام: «أركون العالم» إنما ينطبق علىٰ عظيم العالم وسيد العالم وكبير العالم، وقد أخبر أنه سيأتي، فامتنع أن يكون هذا الأركون المسيح، أو أحدًا مثله، ولم يأت بعد المسيح من ساد العالم وأطاعه العالم غير محمد ﷺ، وهذا من بشارة المسيح به.

وقد سُئل النبيُّ ﷺ: ما كان أول أمرك؟ قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبُشرىٰ عيسىٰ، ورؤيا أمي رأت حين ولدتني أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ببُصرىٰ»[2].

وبالجملة، فمعلوم بالاضطرار[3] واتفاق أهل الأرض أنَّه لم يأت بعد المسيح من ساد العالم باطنًا وظاهرًا؛ وانقادت له القلوب والأجساد؛ وأطيع في السر والعلانية في محياه وبعد مماته في جميع الأعصار؛ وأفضل الأقاليم شرقًا وغربًا أحدٌ غير محمد ﷺ، فإنَّ الملوك يطاعون ظاهرًا لا باطنًا، ولا يطاعون

---

(١) في (ب): تعيبه، وهو تصحيف.
ووقع في إنجيل متىٰ نحو هذه العبارة من قول اليهود لما رأو بعض آيات المسيح عليه السلام، جاء فيه (٩: ٣٢-٣٥): «وفيما هما خارجان، إذا إنسان أخرس مجنون قدموه إليه. فلما أخرج الشيطان تكلم الأخرس، فتعجب الجموع قائلين: لم يظهر قط مثل هذا في إسرائيل، أما الفريسيون فقالوا: برئيس الشياطين يخرج الشياطين».
ونحوه في إنجيل لوقا (١١: ١٥) ومرقس (٣: ٢٢) وفيه لما سمع المسيح ذلك قال: «كيف يقدر شيطان أن يخرج شيطانا».
وسموا اسم رئيس الشياطين: علزبول (انجيل متىٰ: ١١: ٢٤) وفي تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٧٠٨ أن اسمه: بعل زبول.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) ليست في (ب، ل)، وفي (د، ط النيل): باتفاق أهل الأرض والاضطرار.

بعد موتهم، ولا يطيعهم أهل الدين طاعة يرجون بها ثواب الله في الدار الآخرة ويخافون عقاب الله في الدار الآخرة، بخلاف الأنبياء.

ومحمد ﷺ أظهر دين الرسل قبله، وصدَّقهم، ونوه بذكرهم وتعظيمهم، فبه آمن بالأنبياء والرسل -مثل(١) موسىٰ والمسيح وغيرهما- أمم عظيمة، لولا محمد لم يؤمنوا بهم.

ومن كان يعرف هؤلاء من أهل الكتاب كانوا مختلفين فيهم؛ كاختلاف أهل الكتاب في المسيح، وكانوا يقدحون في داود وسليمان وغيرهما بما هو معروف عندهم، وأيضًا فإنَّه ذكر لهم من الرسل ما لم يكونوا يعرفونه، مثل هود وصالح وشعيب وغيرهم.

ومحمد ﷺ صدق المسيح في أخباره بأنَّه أركون العالم فقال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائي، أنا خطيب الأنبياء إذا وفدوا، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا»(٢).

---

(١) في (ب، ل): قبل.

(٢) روىٰ الإمام مسلم في صحيحه (٢٢٧٨) الجملة الأولىٰ منه، من حديث عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع».
وروىٰ الترمذي (٣١٤٨) وابن ماجه (٤٣٠٨): عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم، ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أول شافع، وأول مشفع، ولا فخر، ولواء الحمد بيدي يوم القيامة، ولا فخر». وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان ضعيف الحديث، وقد اختلف عليه فيه، فرواه بعضهم عنه فقال فيه: عن ابن عباس، رواه الإمام أحمد في المسند (٢٥٤٦) ولفظه: «إنه لم يكن نبي إلا له دعوة قد تنجزها في الدنيا، وإني قد اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي، وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض، ولا فخر، وبيدي لواء الحمد، ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائي، ولا فخر» ثم ذكر حديث الشفاعة. =

وهو صاحب لواء الحمد[1]، وصاحب المقام المحمود؛ الذي يغبطه به الأولون والآخرون يوم القيامة[2]، فهو سيد العالمين حقًا، وهذا مطابق لقول المسيح: «إنه أركون العالم»، فهو أركون الآخرين في الدنيا والآخرة، وهو أركون الأولين والآخرين في الآخرة.

وقول المسيح: «إن أركون العالم سيأتي، وليس لي شيء» تضمن

= وله شاهد من حديث أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني لأول الناس تنشق الأرض عن جمجمتي يوم القيامة، ولا فخر، وأعطىٰ لواء الحمد، ولا فخر، وأنا سيد الناس يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة، ولا فخر» رواه الإمام أحمد (١٢٤٦٩) بإسناد حسن.

وأما زيادة: «أنا خطيب الأنبياء إذا وفدوا، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا» فقد روىٰ الدارمي (٤٩)، والترمذي (٣٦١٠)، عن أنس مرفوعا: «أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد بيدي، وأنا أكرم ولد آدم علىٰ ربي»، لفظ الترمذي، وعند الدارمي: «أنا أولهم خروجا، وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا مستشفعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم علىٰ ربي، يطوف علي ألف خادم كأنهم بيض مكنون، أو لؤلؤ منثور»

وفي إسناده ليث بن أبي سليم مضطرب الحديث، قال الترمذي: حسن غريب. وقد ذكره الدارقطني في العلل (٦/ ٨٠). إلا أن أحاديث الشفاعة في مجملها تثبت هذا المعنىٰ.

(١) سبق ذكر الأحاديث الدالة علىٰ ذلك، قال المناوي: «لواء الحمد: أي رايته، يومئذ: أي يوم القيامة، بيدي جريا علىٰ عادة العرب أن اللواء إنما يكون مع كبير القوم، ليعرف مكانه، إذ موضوعه أصالة شهرة مكان الرئيس» (فيض القدير ٣/ ٤٠).

(٢) قال ابن عمر: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا، كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتىٰ تنتهي الشفاعة إلىٰ النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود»، رواه البخاري (٤٧١٨) ثم رواه البخاري مطولا عن أنس بذكر الشفاعة (٧٤٤٠).

الأصلين: إثبات الرسول، وإثبات التوحيد، وأن الأمر كله لله[1]، وهو تحقيق شهادة: أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله.

وقول المسيح: «ليس لي شيء» تبرئة[2] له مما نسب إليه من الربوبية، وهذا النفي يشترك فيه جميع الخلق، قال الله تعالىٰ لمحمد ﷺ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأنعام:٥٠]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ -أي: ملجأ وملاذًا[3]- ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢١-٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وأيضًا: ففي نبوة أشعياء أنَّه وصف محمدًا بأنَّه أركون السلم، والسلم والسلام: الإسلام[4]، فهو يبين أنه سيد[5] دين الإسلام، ولا ريب أن الأنبياء كلهم بعثوا بدين الإسلام، لكن لم يظهر هذا الدين واسمه وانتشر ذكر دين الإسلام في الأرض[6] كما ظهر بمحمد، فمحمد أركون الإسلام الذي يجمع كل خير وبر، كما أنَّ إبليس أركون الشر.

---

(١) في (ب): لله وحده.
(٢) في (د): تنزيه.
(٣) انظر تفسير الطبري ١٧/ ٦٥١، حيث ذكر اتفاق المفسرين علىٰ هذا المعنىٰ وإن اختلفت ألفاظهم.
(٤) في (ب، د): والسلم السلام والإسلام. وفي (ل): والسلام والسلام فهو يبين..
(٥) في (ب): فهو تبين أنه شيد دين الإسلام.
(٦) في (ب) زيادة: كلها. وفي (د، ط النيل): وانتشر ذكره من بينهم في الأرض.

قال تعالىٰ عن نوح: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧١ - ٧٢].

فهذا نوح -أول رسول بعثه الله تعالىٰ إلىٰ أهل الأرض- يذكر أنه أُمر أن يكون من المسلمين.

وقال تعالىٰ عن إبراهيم: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٠ - ١٣٢].

وقال موسىٰ لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾، وقالت السحرة[1]: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف:١٢٦][2]، وقالت بلقيس: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

---

(١) في (ب، ل، ط النيل) زيادة: «لما أسلموا وأراد فرعون قتلهم».

(٢) قدم في (ب، ل، د، ط النيل) بلقيس علىٰ السحرة. وما ثبت في الأصل أنسب للترتيب الزمني.

(وقال تعالىٰ ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٥٢ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾)[1].

فإن قيل: فقد سمىٰ المسيح[2] الفارقليط روح الحق، وسماه روح القدس!

قيل: قد قال يوحنا في كتاب أخبار الحواريين، المسمىٰ «إفراكسيس»: «[3]إياكم أن تؤمنوا بكل روح، لكن ميزوا الأرواح التي من عند الله من غيرها، واعلموا أنَّ كلَّ روح تؤمن بأنَّ يسوع المسيح قد جاء فكان جسدانيًا فهي من عند الله، وكل روح لا تؤمن بأنَّ المسيح جاء وكان جسدانيًا فليست من عند الله، بل من المسيح الكذاب، وهو[4] الآن في العالم».

وإذا كان كذلك عُلم أن الروح عندهم يتناول النبي المرسل من البشر، وجبريل الذي نزل بالوحي علىٰ محمد ﷺ هو روح الحق وروح القدس[5]، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]، وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤]، وقال: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧].

---

(١) ما بين القوسين من الأصل ظ، د، ط النيل.
(٢) من الأصل وط النيل.
(٣) في (ب، ل، د، ط النيل) زيادة: «يا أحبابي».
(٤) في (د): الذي هو الآن..
(٥) قدم وأخر في (د): «هو روح القدس وهو روح الحق».

وهذا الروح إنما جعله بمجيء محمد، والكلام الذي نزل به هو الذي بلغه محمد، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

فاصطفىٰ الله جبريل من الملائكة، ومن[1] البشر محمدًا ﷺ، ولهذا يضاف القول[2] الذي هو القرآن إلىٰ نزول هذا تارة، وإلىٰ نزول[3] هذا تارة كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١]، فهذا الرسول[4] جبريل.

وقال[5]: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٠ - ٤٣]، فهذا الرسول محمد.

وأضافه إلىٰ كل منهما بلفظ الرسول لتضمنه أنه بلغه عن مُرسله، لم يقل: إنه لقول ملك، ولا نبي، بل كفَّر من قال: إنه قول البشر كما ذكر ذلك عن الوحيد[6].

وقد قال تعالىٰ في القرآن: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الطلاق: ١٠ - ١١]،

---

(١) في (ب، ل، د، ط النيل): «واصطفىٰ محمدا من البشر».

(٢) في (د): ولهذا يشير القول.

(٣) في (ل): قول هذا تارة وإلىٰ قول..، وكان كتب: نزول ثم ضرب عليها.

(٤) في (ب،ل، د) زيادة في الموضعين: هنا.

(٥) في (ب، ل، ط النيل): وقال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ.

(٦) وهو الوليد المذكور في قوله تعالىٰ ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ إلىٰ أن قال: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر:١٨-٢٥].

ومعلوم أنَّ الرسول نفسه لم ينزل، بل أبدل الرسول[1] من الذكر؛ لأنَّ الرسول جاء بالذكر.

ولما كان الرسول الملكي والرسول البشري والذكر المنزل أمورا متلازمة؛ يلزم من ثبوت واحد ثبوت الآخرين، ومن الإيمان (ظ١٩) بواحد الإيمان بالآخرين، فيلزم من كون القرآن حقًّا كون جبريل ومحمد حقًّا، وكذلك يلزم من كون محمد حقًّا كون جبريل والقرآن حقًّا، ويلزم من كون جبريل حقًّا كون القرآن ومحمد حقًّا، ولهذا جمع الله بين الإيمان بالملائكة[2] والكتب والرسل في مثل قوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فتعليم محمد وتذكيره وشهادته هو تعليم روح القدس وروحه، والإخبار بأنَّ الملك ينطق علىٰ لسان البشر؛ أو الجني ينطق علىٰ لسانه كثير[3]، كما في حديث ابن عمر: «كنا نتحدث أنَّ السكينة تنطق علىٰ لسان عمر»[4].

---

(١) كذا في الأصول إلا (ظ) ففيها: «بل أنزل للرسول من الذكر». وهو وإن كان صحيحا إلا أن ما ثبت في بقية الأصول أصح.

(٢) هاهنا سقط في ط النيل وأصلها (د) ينتهي عند قوله الآتي: من وجهين. وسأنبه علىٰ آخره وما كتب الناسخ عليه.

وحاول الناسخ إكمال المعنىٰ فكتب في الهامش: «لعله وبالأنبياء من جهتين».

(٣) في (ب): «والجني ينطق علىٰ لسان البشر». ومثله في (ل) لكن: أو.

(٤) حديث ابن عمر رواه الترمذي (٣٦٨٢) عنه قال: رسول الله ﷺ قال: «إن الله جعل الحق علىٰ لسان عمر وقلبه». وقال ابن عمر: «ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال فيه عمر أو قال ابن الخطاب فيه - شك خارجة - إلا نزل فيه القرآن علىٰ نحو ما قال عمر»، صححه الترمذي، ثم قال: وفي الباب عن الفضل بن العباس، وأبي ذر، وأبي هريرة.

وروىٰ أحمد في المسند (٨٣٤) عن علي قال: «وما نبعد أن السكينة تنطق علىٰ لسان عمر».

ويقال: «ما ألقىٰ هذا علىٰ فِيك[1] إلا الشيطان».

ويكون مع هذا البشر يتكلم[2] بقدرته واختياره، ليس هو كالمصروع الذي يتكلم الجني علىٰ لسانه وهو لا يدري ما يقول، فلهذا يقال: هذا قول الرسول البشري[3]، وهو[4] قول الرسول الملكي.

ويقال: الفارقليط روح الحق وروح القدس يشهد لي وهو يعلمكم، وهو يذكركم، ونحو ذلك، فإنَّ الفارقليط يتضمن ذكر جبريل ومحمد جميعًا، وقول أحدهما هو قول الآخر، ومعروف في اللغة بدل الاشتمال[5]، كقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، والشهر ليس هو نفس القتال، لكن لما اشتمل علىٰ القتال أبدل أحدهما من الآخر[6].

وقوله تعالىٰ: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا﴾ [الطلاق: ١٠ - ١١].

ومن هذا النمط أبدل الرسول من الذكر لاشتماله عليه، وهنا[7] الثاني اشتمل علىٰ الأول، والرسول البشري كان الرسول الملكي يتصل به في الباطن

(١) في (ل): لسانك.
(٢) في (ب، ل): ينطق.
(٣) في أصل ظ: الملكي، وما ثبت من هامشها وكتب فوقه: خ. ووكذا هو في بقية الأصول.
(٤) في (ب): وهذا.
(٥) بدل الاشتمال: هو بدل شيء من شيء، يشتمل عامله علىٰ معناه اشتمالا بطريق الإجمال، كأعجبني زيد علمه، قال ابن هشام: وضابطه أن يكون بين الأول والثاني ملابسة بغير الجزئية، انظر: المفصل في صنعة الإعراب ١٥٧، أوضح المسالك ٣/ ٣٦٥، شرح قطر الندىٰ ٣٠٩، حاشية الصبان علىٰ الأشموني ٣/ ١٨٥.
(٦) انظر اللمع لابن جني ٨٩.
(٧) في (المطبوعة): وهذا.. وليس في الأصول ما يوافقه.

فيثقل عليه الوحي حين ينزل[1].

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها «أن الحارث بن هشام قال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ قال: أحيانًا[2] في مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم[3] عني، وقد وعيت ما قال، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»، قالت عائشة: «ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإنَّ جبينه ليتفصد عرقا»[4].

والفصم: الفك والفصل في الأمور اللينة، كما قال: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وبالقاف: هو الكسر الذي يكون في الأمور الصلبة[5].

فبين أنَّ الملك حين نزول الوحي يتصل به، ويلتبس به، ثم بعد ذلك ينفصل عنه وينفك عنه، وهذا الاشتمال والاتصال[6] أبلغ من غيره، فيحسن معه أن يكون إبدال أحدهما من الآخر أحسن من غيره، فيقال: هذا القرآن بلغه الرسول النبي، بلغه جبريل عن الله، ونظائر هذا متعددة.

---

(١) في (ب،ل): ينزله.

(٢) في (ب، ل) زيادة: يأتيني.

(٣) في (ب) في الموضعين: فيقصم

(٤) صحيح البخاري (٢)، صحيح مسلم (٢٣٣٣).

(٥) قال الحافظ: «أصل الفصم القطع، ومنه قوله تعالىٰ ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦] وقيل: الفصم بالفاء القطع بلا إبانة، وبالقاف القطع بإبانة، فذكر بالفصم إشارة إلىٰ أن الملك فارقه ليعود والجامع بينهما بقاء العلقة» (فتح الباري ١/ ٢١)، والمنقول ذكره ابن الأثير في النهاية (٤/ ٧٤).

(٦) في (ل): والانفصال.

وفي جميع بشارات المسيح؛ يذكر أنَّ الأب -وهو في لغتهم: هو[1] الله- هو الذي يرسل الفارقليط، وفي بعضها قال: «أنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطًا آخر، يثبت معكم إلىٰ الأبد»، وفي بعضها: «والفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي، هو يعلمكم كل شيء»، فقد بيَّن أنَّ الله يرسله، وأنه يطلب من الله أن يرسله.

وأما قوله في بعض الألفاظ: «فإذا انطلقت أرسلته إليكم» فيكون معناه: إني أرسله بدعاء أبي، وطلبي منه أن يرسله، كما يطلب الطالب من ولي الأمر أن يرسل رسولاً، أو يولي نائبًا، أو يعطي أحدًا، ويقول: أنا أرسلتُ هذا، ووليت هذا، وأعطيت هذا؛ أي: كنت سببًا في ذلك[2].

ومما ينبغي أن يُعلم أنَّ الله تعالىٰ إذا قضىٰ بأن[3] يكون الشيء فإنه يقدر له أسبابًا يكون بها، ومن تلك الأسباب دعاء طائفة من عباده به، فيكون في ذلك من النعمة إجابة دعاء هذا وهذا وهذا[4].

ومحمد ﷺ دعا به الخليل عليه السلام فقال: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، مع أن الله تعالىٰ قد قضىٰ بإرساله، وأعلن باسمه قبل ذلك كما قيل له: يا رسول

---

(١) ليست في (ل).

(٢) ويمكن أن يكون مراده أن انطلاقي سبب إرساله، لما يعلمه من أنه لا يأتي هذا حتىٰ يذهب هذا، أي لا يأتي محمد حتىٰ يرفع المسيح عليهما السلام، فجعل انطلاقه سببا لإرساله من هذا الوجه، والله أعلم.

(٣) في (ل): ما يكون.

(٤) سقطت الأخيرة من (ب).

الله، متىٰ كنت[1] نبيًا؟ قال: (ظ ٢٠) «وآدم بين الروح والجسد»[2]، وقال: «إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين، وإنَّ آدم لمنجدل في طينته»[3].

وهذا كما أنَّ الله قضىٰ بنصره يوم بدر، ومن أسباب ذلك استعانته[4] بالله.

وكذلك ما يقضيه من إنزال الغيث يكون من أسبابه دعاء عباده له، ونظائره كثيرة، فلا يمتنع أن يكون المسيح سأل ربه بعد صعوده أن يرسل محمدًا ﷺ، ويكون هذا من أسباب إرساله، لكن إبراهيم سأل في الدنيا فذكر الله تعالىٰ ذلك، بخلاف سؤال المسيح، فإنه كان بعد صعوده إلىٰ السماء[5].

---

(١) هذا الحرف مهمل في (ل) لكنه من عدد النبرات يكون: كتبت.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في (ل): استغاثته.

(٥) أطال المصنف الحديث عن الفارقليط وعن الأركون في هذه البشارة، ومن المهم أن يعلم أن الكلمة الآن ليست موجودة في الأناجيل المنتشرة بين يدي الناس، قال د. محمود قدح في تحقيقه (تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٧٠٣): «إن الطبعات الحديثة للأناجيل لا توجد فيها لفظة: «فارقليط»، وأبدلت بألفاظ أخرىٰ مثل: «المُعزي، المحامي، المعين، المخلص، الوكيل، الشافع». علمـًا بأن كلمة «الفارقليط» كانت موجودة في الترجمة العربية للأناجيل المطبوعة في لندن سنة ١٨٢١م، ١٨٣١م، ١٨٤٤م. وقد وقفت علىٰ مخطوطة لترجمة التوراة والزبور والإنجيل في إسطنبول بمكتبه عاطف أفندي تحت رقم: (٧). وفيها ذكرت لفظة الفارقليط. ومعلوم لدينا أن اليهود والنصارىٰ يسعون إلىٰ إخفاء البشارات بالنبيّ ﷺ من كتبهم المقدسة لديهم أو تحريف معناها. وذلك مما أخبرنا الله عزوجل عنهم فقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]. فما معنىٰ كلمة: فارقليط التي اخلف النصارىٰ في معناها؟ إن فارقليط معربة من كلمة: بيركليتوس اليونانية (PERIQLYTOS) التي تعني اسم: أحمد، صيغة المبالغة من الحمد. والأدلة علىٰ ذلك كثيرة منها:
=

فصل:

والقرآن نفسه قد بين من آيات نبوته وبراهين رسالته أنواعًا متعددة، مع اشتمال كل نوع علىٰ عدد من الآيات والبراهين.

مثال ذلك:

إخباره لقومه بالغيب الماضي الذي لا يمكن بشرًا أن يعلمه إلاَّ أن يكون

= ١- شهادة العلامة علي بن ربنّ الطبري - الذي كان مسيحياً فأسلم - في القرن الثالث الهجري بذلك في كتابه: الدين والدولة ص ١٨٤.

٢- إن هذه الكلمة كانت سبباً في إسلام القس الأسباني: أنسلم تورميدا في القرن التاسع الهجري بعدما أخبره أستاذه القسيس - بعد إلحاح منه - أن الفارقليط هو اسم من أسماء محمّد ﷺ. فكان ذلك سبباً في إشهار إسلامه وتغيير اسمه إلىٰ عبد الله الترجمان وتأليف كتابه: تحفة الأريب في الرّدّ علىٰ أهل الصليب، وذكر فيه قصته مفصلة. ر: ص: ٦٥-٧٥.

٣- شهادة القسيس دافيد بنجامين كلداني - الذي هداه الله إلىٰ الإسلام وغيّر اسمه إلىٰ: عبد الأحد داود- في كتابه القيم: «محمّد في الكتاب المقدس» بذلك، فقد وضح فيه أن الفارقليط ليس هو الروح القدس وليس أي شيء يدعيه النصارىٰ، وإنما هو اسم محمّد ﷺ. وبيّن ذلك بأدلة من نصوص الأناجيل وقواميس اللغة اليونانية. (ر: ص: ٢٠٧-٢٢٩ من كتابه المذكور).

٤- ذكر الأستاذ عبد الوهّاب النجار في قصص الأنبياء ص ٣٩٧، ٣٩٨، أنه كان في سنة ١٨٩٤م زميل دراسة اللغة العربية للمستشرق الإيطالي. (كارلو نالينو) وقد سأله النجار في ليلة ٢٧/ ٧/ ١٣١١هـ ما معنىٰ: بيريكلتوس ؟. فأجابه قائلاً: إن القسس يقولون إن هذه الكلمة معناها: المعزي. فقال النجار: إني أسأل الدكتور كارلونالينو الحاصل علىٰ الدكتوراه في آداب اليهود باللغة اليونانية القديمة، ولست أسأل قسيساً. فقال: إن معناها: «الذي له حمد كثير».فقال النجار: هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من حمد؟ فقال الدكتور: نعم. فقال النجار: إن رسول الله ﷺ من أسمائه أحمد، فقال الدكتور: يا أخي أنت كثيراً ثم افترقا. (ر: للتوسع في المزيد من الأدلة: إظهار الحق ص ٥١١-٥١٤، دراسة الكتب المقدسة ص ١٢٥-١٢٩، موريس بوكادي)».

نبيًا، أو يكون ممن تلقاه عن نبي، وقومه يعلمون أنه لم يتعلم ذلك من بشر، لا من أهل الكتاب، ولا غيرهم[1].

وهذا نوعان:

منه: ما كان يسأله عنه المشركون أو[2] أهل الكتاب لينظروا هل هو نبي أم لا؟

وكان قومه يرسلون إلىٰ أهل الكتاب البعيدين عنهم، مثل مَن كان بالمدينة، وغيرها من أهل الكتاب، يطلبون منهم ما يسألونه عنه، فيرسلون إليهم ليسألوه عن ذلك، ويمتحنون بذلك هل هو نبي أم لا؟

ومنه: ما كان الله تعالىٰ يخبره به ابتداءً، ويجعله عَلَما وآية لنبوته، وبرهانًا لرسالته، مع ما في ذكر هذه القصص من الاعتبار لأمور أخرىٰ.

فكان كلٌّ من هذين النوعين دليلاً وعبرة علىٰ نبوته، من طريقين، فكانت عبرة ودليلاً[3] علىٰ نبوته من جهة إخباره بالغيب، الذي لا يعلمه إلا نبي، وكانت عبرة بما فيها من أحوال المؤمنين والكافرين التي توجب اتباع سبيل المؤمنين الذين اتبعوا مثله، وتجنب سبيل الكافرين الذين خالفوا مثله، وحكم الشيء حكم نظيره.

فإذا كان مَن كان مثله ومثل من اتبعه سعيدًا، وكان[4] من خالف مثله ومثل من اتبعه شقيًا، كان في هذا دلالة[5] وعبرة توجب اتباعه، وتنهىٰ عن مخالفته.

---

(١) في (ب): ولا من غيرهم.
(٢) في (ب، ل): وأهل.
(٣) في (ل): وكان دليلا وعبرة علىٰ نبوته.
(٤) في (ب،ل): وحال.
(٥) هامش (ف): الدلالة بكسر الدال وفتحها الحجة، من شرح خطب ابن نباتة.

وهذا أيضًا دليل علىٰ نبوة من قبله من الأنبياء من وجهين[1]:

من جهة: (أنهم أخبروا به قبل أن يبعث بسنين كثيرة، فكان الأمر كما أخبروا به، وهذا آية لنبوتهم، وإخبارهم بنبوته دليل علىٰ نبوته، فصار ما في الكتب المتقدمة من خبره دليلا علىٰ نبوة من قبله وعلىٰ نبوته، كما أن إخباره هو أيضًا عنهم مع بعد العهد خبرا لم يتعلمه من بشر دليلا علىٰ نبوته، وقد أخبر بنبوتهم، فثبتت نبوته ونبوتهم ﷺ أجمعين.

الجهة الثانية)[2]: أنه أخبر بمثل ما أخبروا به من غير مواطأة بينه وبينهم[3]، لم يأخذوا عنه، ولم يأخذ عنهم، وكل منهما أخبر عن الله بأخبار مفصلة، يمتنع الاتفاق عليها عادة إلا بتواطؤ، فإذا لم يكن تواطؤ وتشاعر، وامتنع اتفاق ذلك من غير مواطأة؛ علم أن كلاًّ من المخبرين صادق.

قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف: ٧]، وقص قصته في السورة، إلىٰ أن قال: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢ - ١٠٦].

---

(١) في (ط النيل): من جهتين، وهذا نهاية السقط الذي أشرنا إليه آنفا. وهو بمقدار ورقة من المخطوط (د)، وكتب في هامش د: «هنا نقص ورقة في النسخة المنقول منها فليراجع من نسخة أخرىٰ إن وجد». ثم ضرب عليه.

(٢) سقط ما بين القوسين -وهو الجهة الأولىٰ من تنظير المصنف- من (ب، ل) لانتقال النظر، ولم يثبته في متن المطبوعة، وهو ثابت في الأصل ومطبوعة النيل، وبه يتم الكلام.

(٣) في (ب، ل، د) زيادة: ولا تشاعر. وفي (د، ب، ل): بينهم وبينه.

إلىٰ قوله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحىٰ(١) إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١٠٨ - ١١١].

(ظ٢١) وقال تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٨٣]، وقال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقال: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩].

وقال تعالىٰ لما قص قصة نوح من سورة هود، وهي أطول ما قصه في القرآن من قصة نوح: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]، فذكر سبحانه أن هذا الذي أوحاه إليه (من أنباء الغيب)(٢) ما كان يعلمه هو ولا قومه من قبل هذا،

---

(١) كذا ضبطها في ظ، وهي قراءة من سوىٰ حفص، وقرأ حفص: ﴿نُّوحِىٓ﴾ (النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٩٦).

(٢) ما بين القوسين ليس في (ب).

فإذا لم يكن قومه يعلمون ذلك لا من أهل الكتاب، ولا من غيرهم، وهو لم يعاشر إلا قومه -وقومه يعلمون ذلك منه، ويعلمون أنهم لم يكونوا يعلمون ذلك، ويعلمون أيضًا أنه هو لم يكن يعلم ذلك، وأنه لم يكن يعاشر غيرهم وهم لا يعلمون ذلك- صار هذا حجة علىٰ قومه، وعلىٰ من بلغه خبر قومه.

ومثل[(١)]: ما أخبرهم عن قصة آدم، وسجود الملائكة له، وتزيين إبليس له حتىٰ أكل من الشجرة، وهبط هو وزوجه[(٢)].

وأخبرهم عن نوح[(٣)] (ودعائه لقومه)[(٤)] ومكثه فيهم ألف سنة إلاَّ خمسين عامًا، وهذا في التوراة الموجودة بأيدي أهل الكتاب: مقدار لبثه في قومه قبل الغرق وبعده[(٥)].

---

(١) في (د): ومثل هذا.

(٢) في (ب): وزوجته إلىٰ الأرض.

(٣) في (ب، ل):قصة نوح.

(٤) ما بين القوسين ليس في (ل). وفي (ط النيل دون د): ودعاه علىٰ قومه.

(٥) في سفر التكوين (٩: ٢٨-٢٩): «وعاش نوح بعد الطوفان ثلاث مئة وخمسين سنة. فكانت كل أيام نوح تسع مئة وخمسين سنة، ومات».

ولا شك أن هذا من تحريف أهل الكتاب فقد قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:١٤]. انظر: تفسير الطبري ٢٠/ ١٧، تفسير البغوي ٦/ ٢٣٦.

وذكر ابن عطية (في التفسير ٤/ ٣١٠) احتمالا أن يكون مراده من الألف إلا خمسين مدة مكثه في قومه قبل الرسالة وبعدها، وهذا مخالف للتفسير بالمأثور، والله أعلم.

علىٰ أن المذكور في نسخ التوراة من زمن المصنف وإلىٰ زماننا يخالف المروي عن كعب الأحبار-وهو من أحبار اليهود الذين أسلموا- فإنه قال: لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، وعاش بعد الطوفان سبعين عاما فكان مبلغ عمره ألف سنة وعشرين عاما (تفسير القرطبي ١٣/ ٣٣٢).

وأخبرهم عن قصة الخليل، وما جرىٰ له مع قومه، وإلقائه في النار، وذبح ولده، ومجيء الملائكة إليه في صورة ضيفان، وتبشيره بإسحاق ويعقوب، وذهاب الملائكة إلىٰ لوط، وما جرىٰ للوط مع قومه، وإهلاك الله مدائن قوم لوط، وقصة إسرائيل يعقوب[١] مع بنيه، مثل قصة[٢] يوسف وما جرىٰ له بمصر، ثم قصة موسىٰ مع فرعون، وتكليم الله إياه مرة بعد مرة، وآياته: كالعصا واليد[٣] والقمَّل، والضفادع، والدم، وفلق البحر، وتظليل الغمام علىٰ بني إسرائيل، وإطعامهم المن والسلوىٰ، وانفجار الماء من الحجر اثنا عشر عينًا[٤] لسقيهم، وعبادتهم العجل، وقتل بعضهم بعضًا لما تاب الله عليهم، وقصة البقرة، ونتق الجبل فوقهم، (وقصة داود وقتله لجالوت، وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم، وقصة الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه)[٥]، وغير ذلك من أحوال بني إسرائيل، إلىٰ أنْ ذكر قصة زكريا وابنه يحيىٰ، وعيسىٰ بن مريم، وأحوال المسيح وأيامه[٦]، ودعائه لقومه، والآيات التي بعث بها، وتفاصيل ذلك.

وذكر قصة أصحاب الكهف، وقصة ذي القرنين، وغير ذلك من قصص الأنبياء والصالحين والكفار مفصلة مبينة بأحسن بيان وأتم معرفة، مع علم

---

(١) من الأصل ظ فقط.

(٢) في (ل، ط النيل، د): كقصة. وقد سقطت هذه الجملة من (ب) ووضع علامة اللحق علىٰ جهة اليسار، ولم أره كتب شيئا.

(٣) في (ب، ل، د، ط النيل):واليد البيضاء.

(٤) كذا في الأصول إلا د. ففيه: اثني عشر. والوجه: اثنتا عشرة عينا.

(٥) ما بين القوسين علم علىٰ أوله وآخره في ظ بـ: لا... إلىٰ، وكتب فوقه: خ، أي أنه سقط من نسخة. وليس هو في (ب). وثبت في باقي الأصول.

(٦) في (ل، د): وآياته.

قومه الذين يعرفون أحواله من صغره إلىٰ أن ادَّعىٰ النبوة أنه لم يتعلم هذا من بشر، بل لم يجتمع هو بأحد من البشر يعرف ذلك، ولا كان عندهم بمكة من يعرف ذلك، لا يهودي ولا نصراني، ولا غيرهم.

فكان هذا من أعظم الآيات والبراهين لقومه بأنَّ هذا إنما أعلمه به وأنبأه به الله، ومثل هذا الغيب لا يعلمه إلا نبي، أو من أخذ عن نبي، فإذا لم يكن هو قد أخذه عن نبي تعيَّن أن يكون نبيًا.

ثم سائر أهل الأرض يعلمون أنه لم يتعلم ذلك من بشر، من طرق[1]:

أحدها: أن قومه المعادين له الذين هم من أحرص الناس علىٰ القدح في نبوته -مع كمال علمهم- لو علموا أنه تعلم ذلك من بشر لطعنوا عليه ذلك وأظهروه، فإنهم - مع علمهم بحاله - يمتنع أن لا يعلموا ذلك لو كان، ومع[2] حرصهم علىٰ القدح فيه يمتنع أن لا يقدحوا فيه، ويمتنع أن لا يظهر ذلك.

الثاني: أنه قد تواتر (ظ٢٢) عن قومه أنهم كانوا يقولون: إنه لم يكن يجتمع به من يُعلِّمه ذلك.

الثالث: أنه لو كانت هذه القصص المتنوعة قد تعلمها من أهل الكتاب - مع عداوته لهم - لكانوا يخبِّرون بذلك، ويظهرونه، ولو أظهروا ذلك لنقل[3] وعرف، فإن هذا من الحوادث التي تتوفر الهمم والدواعي علىٰ نقله.

الرابع: أنه حين بعث كان الناس إمَّا مشركًا وإمَّا كتابيًا، فلم يكن هناك أحد علىٰ الدين الذي دعا إليه، وقد علم الناس بالتواتر أن المشركين من قريش

---

(١) وفي هذا جواب علىٰ سؤال: كيف يعرف العجم أوجه إعجاز القرآن.

(٢) في (ب) بدون عطف.

(٣) في (ب، ل، د، ط النيل): لنقل ذلك.

وغيرهم لم يكونوا يعرفون هذه القصص، ولو قدر أنهم كانوا يعرفونها[1] فهم أول من دعاهم إلىٰ دينه فعادوه وكذبوه، فلو كان فيهم من علَّمَه أو من يعلم أنه تعلمه من غيره لأظهر ذلك.

الخامس: أن مثل هذا لو كان فلا بدَّ أن يعرفه ولو خواص الناس، وكان في أصحابه الذين آمنوا به من يعرف ذلك، وكان ذلك يشيع ولو تواصوا بكتمانه، كما شاع ما كُتم من أمر الدول الباطنية، ولكان خواصه في الباطن يعلمون كذبه، وكان علمهم بذلك يناقض تصديقه في الباطن كما عُرف في نظائر[2] ذلك، فكيف وكان أخص أصحابه وأعلمهم بحاله أعظمهم محبة وموالاة، بخلاف حال من يبطن خلاف ما يظهر، فإن خواص أصحابه لا يعظمونه في الباطن.

فإذا علم الناس أن قومه الذين كانوا معادين له غاية العداوة -وكانوا يطلبون القدح في نبوته بكل طريق- يخبرون[3] أنه لم يكن عندهم بشر يعلِّمُه مثل هذا -وأنه لم يكن في قومه ولا بلده من يعرف هذا- عَلِمَ الناس ما علمه قومه من أنَّ هذا إنما أنبأه به الله، وكان هذا من أعلامه وآياته وبراهينه.

وهذا مما بيَّن الله في القرآن أنه من آياته، وأنه حين أخبر قومه بهذا - مع تكذيبهم وعداوتهم[4] له - لم يمكن أحدا منهم أن يقول له: بل فينا من كان يعلم ذلك، وأنت كنت تعلم ذلك، وقد تعلمته منا أو من غيرنا، فكان إقرارهم بعدم علمه وعلمهم -مع فرط عداوتهم له- آية بينة لجميع الأمم أنه لم يكن هو ولا هم يعلمون ذلك.

---

(١) في (ب): يعرفون.

(٢) في (ب،ل): في مثل.

(٣) في (ب، ل): يعلمون.

(٤) في (ب، ل، د، ط النيل): وفرط عداوتهم.

ولهذا[1] لما كان بعضهم يفتري عليه فرية ظاهرة كانوا كلهم يعلمون كذبه، وإذا اجتمعوا وتشاوروا في أمره يعرفون[2] أنَّ هذا كذب ظاهر عليه، كما كان بعضهم يقول: إنه مجنون، وبعضهم يقول: إنه كاهن، وبعضهم يقول: إنه ساحر، وبعضهم يقول: إنه مُعلَّم تعلمه[3] من بشر، وبعضهم يقول: أضغاث أحلام، فحكىٰ الله أقوالهم مبينًا ظهور[4] كذب من قال ذلك، وأنه قول ضال جائر[5]، قد بهره حال الرسول فحار، فلم يدر ما يقول.

كما قال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ١ - ٦].

فأخبر عمن قال ذلك، وهم يعلمون أن هذا من أظهر الكذب، فإن هذه القصص المذكورة في القرآن لم يكن بمكة من يعرفها، فضلاً عن أن يمليها، كما

---

(١) من هنا سقطت ورقة من الأصل المنقول عنه الأصل(ب)، وسيأتي بيان آخره، وكتب في الهامش: الوريقة أولها ولهذا.

(٢) في (د): يعترفون.

(٣) في (ل): إنه تعلم من بشر.

(٤) في (ل): لظهور.

(٥) في (ل، د، ط النيل): حائر.

قال تعالىٰ[(١)]: ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ [هود: ٤٩] ؛ ولهذا قال: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفرقان: ٦] ؛ فأخبر أن هذا مِن علم مَن يعلم السر، والبشر[(٢)] لا يعلمون ذلك إلا من جهة إخبار الأنبياء، وليس بمكة من يعلم ما أخبرت به الأنبياء.

ثم ذكر ما اقترحوه فقال (ظ٢٣): ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ (فهذه اقتراحات ليست أخبارا)[(٣)]، ثم قال: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٧ – ٩].

(فقوله: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾)[(٤)] أمر بالنظر في كيفية ما ضربوه من الأمثال، حيث شبهوه بمن يظهر الفرق بينه وبينه ظهورا لا يخفىٰ علىٰ الناظر، ولهذا قال: ﴿فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٩]، إذ كان ظاهرا أن هذا ضلال عن طريق الحق، فلا يستطيع الضال عن طريق الحق سبيلاً إليه[(٥)].

---

(١) في (ل، د، ط النيل): «كما قال: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، وقال..».

(٢) في (ل، د): إذ كان البشر.

(٣) ما بين القوسين ليس في (ل) ولم يفصل في (د، ط النيل) بين الآية بشيء..

(٤) ما بين القوسين من الأصل ظ فقط.

(٥) في (ب، د): إليه سبيلا.

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ٩٨ - ١٠٣].

فأخبر عما افتراه بعضهم، من قوله: إنما يعلمه (هذا القرآن)(١) بشر. وكان بمكة مولىٰ أعجمي -مولىً(٢) لبعض قريش- قيل: إنه عبدٌ(٣) لبني الحضرمي(٤).

والنبي لا يحسن بلسان العجمي، وذاك لا يحسن التكلم(٥) بهذا اللسان(٦) العربي.

فلما قالوا: إنه افترىٰ هذا القرآن، وأنه علمه إياه بشر قال تعالىٰ:

---

(١) ليست في (ل). وفي ط النيل: «إنما يعلمه هدي القرآن» وهو تصحيف، حيث في الأصل د يكتب هذا هكذا: هدي.
(٢) في (ل، د): مولىٰ أعجمي لبعض.
(٣) في (د): مولىٰ.
(٤) روىٰ ابن جرير عن قتادة قال: قالت قريش: إنما يعلمه بشر، عبد لبني الحضرمي يقال له يعيش، قال الله تعالىٰ: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ وكان يعيش يقرأ الكتب (تفسير الطبري١٧/ ٢٩٩).
(٥) في (ل، د، ط النيل): يتكلم.
(٦) في (ل، ط النيل فقط): الكلام.

﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ﴾ [النحل: ١٠٣]، أي يضيفون إليه هذا التعليم وينسبونه إليه، وعبَّر عنه بلفظ الإلحاد لما فيه من الميل[1].

فقال: لسان هذا الشخص الذي قالوا إنه يعلمه القرآن لسان أعجمي، وهم لم يمكنهم أن يضيفوا هذا التعليم إلىٰ رجل عربي، بل إلىٰ هذا الأعجمي لكونه كان ربما[2] يجلس أحيانًا إلىٰ النبي ﷺ، وذلك الأعجمي لا يمكنه التكلم[3] بهذا الكلام العربي، بل هو أعجمي، ومحمد لا يعرف بالعجمية، ولكن غاية ذاك المولىٰ[4] الأعجمي -كعبد بني الحضرمي- أن يكون يعرف قليلاً من كلام العرب الذي يحتاج إليه في العادة، مثل الألفاظ التي يحتاج إليها في غالب الأوقات؛ كلفظ الخبز والماء والسماء والأرض، لا يعرف أن يقرأ سورة واحدة من سور[5] القرآن[6].

---

(١) ذلك لأن أصل الإلحاد الميل، ومنه اللحد حفرة مائلة من الوسط، قال الراغب: «ولحد بلسانه إلىٰ كذا: مال. قال تعالىٰ: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ [النحل: ١٠٣] من: لحد، وقرئ: ﴿يَلحدون﴾ من: ألحد، وألحد فلان: مال عن الحق» (مفردات القرآن ٧٣٧). والقراءة الثانية هي قراءة حمزة والكسائي وخلف (كما في النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٧٣). قال ابن جرير: «يلحدون إليه: بضم الياء من ألحد يلحد إلحادا، بمعنىٰ يعترضون، ويعدلون إليه، ويعرجون إليه...، وبفتح الياء، يعني: يميلون إليه، من لحد فلان إلىٰ هذا الأمر يلحد لحدا ولحودا، وهما عندي لغتان بمعنىٰ واحد» (تفسير الطبري ١٧/ ٣٠١).

(٢) ليست في (ل).

(٣) في (د): أن يتكلم.

(٤) ليست في (ل).

(٥) ليست في (ل).

(٦) انظر: تفسير الطبري ١٧/ ٢٩٨.

فبين سبحانه ظهور كذبهم فيما افتروه، ولم يقل أحد منهم ما يمكن أن يكون شبهة في تعلمه أنباء الغيب من علماء أهل الكتاب ونحو ذلك، وإنما قالوا ما ظهر بطلانه لكل أحد، ولم ينقل عن أحد منهم أنه قال قولاً يخفىٰ بطلانه، بل ما يظهر كذبه لكل أحد[1].

فتبين أنه لم يمكنهم أن يقولوا: إنه تعلم أخبار الغيوب من واحد[2]، وهذه[3] القصة: قصة نوح - لا سيما قصة نوح المستوفاة في سورة هود[4]- لا يعلمها إلا نبي، أو من تلقاها عن نبي، فإذا عرف أنه لم يتلقها عن أحد علم أنه نبي، ولهذا قال تعالىٰ في آخرها: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

والقول في سائر القصص كالقول فيها، كما قال في سورة يوسف: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢]، وقال في سورة آل عمران -لما ذكر قصة مريم وزكريا-:[5]﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

---

(١) تناول الأستاذ محمد بن عبدالله دراز هذه المسألة بالتفصيل، وحللها تحليلا رائعا في كتاب: النبأ العظيم، في المرحلة الثانية من بحثه، وهي مرحلة: بيان أن محمدا ﷺ لا بد أن يكون قد أخذ القرآن عن معلم (من ص٨٥)، فمن أراد الاستزادة فليراجعه ففيه فوائد.

(٢) في (د): أحد.

(٣) هنا نهاية السقط في (ب).

(٤) في (ب، ل): لا سيما قصته في سورة هود كما تقدم.

(٥) في (ب، ل، ط النيل): ساق الآية من أولها ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾.

وقال في قصة موسىٰ (ظ٢٤): ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [القصص: ٤٤ - ٤٥][1].

والإنسان إنما يعلم مثل هذا بمشاهدة أو خبر، فنبه بقوله: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ علىٰ أنك[2] إنما علمت ذلك بإخبارنا وإيحائنا إليك وإعلامنا لك بذلك، إذ كان معلوما عند كل من عرفه أنه لم يسمع ذلك من بشر، وأنه لم يكن هو ولا قومه يعلمون ذلك.

وقد قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦]، بيَّن ذلك أن تلاوته عليهم هذا الكتاب، وإدراؤهم[3] -أي إعلامهم به- هو بمشيئة الله وقدرته لا من تلقاء نفسه، كما قال (قبل هذا)[4]: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٥ - ١٦].

---

(١) في (ب، ل، ط النيل) زيادة: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ الآية.
(٢) في (ب، ل): أنه.
(٣) في (ب) زيادة: به.
(٤) ليس في (ب، ل): يتكلم.

بيَّن أنه لبث فيهم عمرا من قبله وهو لا يتلو شيئًا من ذلك، ولا يَعلمه، ولا يُعلمهم به، فليس الأمر من جهته، ولكن من جهة الله الذي لو شاء ما تلاه عليهم ولا أدراهم به، وتلاوته عليهم وإدراؤهم به هو إعلام بغيوب لا يعلمها إلا نبي، فبيَّن أن ذلك من الإرسال الديني الذي يحبه الله ويرضاه، لا من الكوني الذي قضاه[1] وقدره، ولا يحبه ولا يرضاه؛ كإرسال الشياطين.

ولهذا كانوا يعرضون عليه أن يصير ملكًا عليهم، وأن يعطوه حتىٰ يكون من أغناهم، وأن يزوجوه ما شاء من نسائهم، فيقول: «لو وضعتم الشمس في يميني والقمر في شمالي علىٰ أن أدع هذا الأمر لم أستطع أن أدعه»[2].

وهذه الثلاث هي مطالب النفوس في الدنيا: السلطان، والمال، والنساء، فيعرض عن قبول الدنيا التي هي غاية أماني طالبها، ويبين أنه لا يقدر علىٰ أن يدع ما أُمر به من تبليغ الرسالة.

قال تعالىٰ: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ[3] إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا

---

(١) ليست في (ب، ل): يتكلم.

(٢) رواه ابن إسحاق في السيرة (انظر: سيرة ابن هشام ١/ ٢٤٠) من حديث: يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس، أنه حدث أن قريشا قالت..الحديث، وهو منقطع، لأن يعقوب أدرك صغار التابعين، وتوفي سنة ١٢٨ .

(٣) كذا كتبها في الأصول، وهي قراءة المدنيين: أبي جعفر ونافع، وابن كثير وأبي عمرو وأبي بكر بن عياش، وقرأ الباقون: ﴿خِلَٰفَكَ﴾ (النشر في القراءات العشر ٢/ ٣٠٨).

تَحۡوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٣ - ٧٧].

بيَّن سبحانه أنهم طلبوا أن يمنعوه بكل طريق، فإن الإنسان إنما يتم عمله بإرادته وقدرته، فمع الإرادة الجازمة والقدرة التامة يجب وجود المقدور، وإذا تعذر أحدهما امتنع، فطلبوا تغيير إرادته ليركن إليهم فيغير ما أوحي إليه، فعصمه الله وثبته، ثم طلبوا تعجيزه بأن يستفزوه ويخرجوه(١)، حتىٰ يعجز عن تبليغ رسالة ربه، ولو كان ذلك لعاجلهم الله بالعقوبة، أسوةَ مَن تقدمه مِن الرسل، فإن الله كان إذا أراد إهلاك أمة أخرج نبيها منها ثم أهلكها، لا يهلكها وهو بين أظهرها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣] هذا بعد قوله: ﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الأنفال: ٣٢]، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ﴾ فلما خرج من بينهم بالهجرة أتاهم(٢) الله بعذاب أليم يوم بدر وغيره.

فقوله: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣]، إشارة إلىٰ سعيهم في إفساد إرادته(٣).

وقوله: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الإسراء: ٧٦] إشارة إلىٰ سعيهم في(٤) تعجيزه(٥)(ظ٢٥).

---

(١) يستفزونه أي يستخِفُّونه، قال ابن جرير: «ليستخفونك من الأرض التي أنت بها ليخرجوك منها ﴿وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ يقول: ولو أخرجوك منها لم يلبثوا بعدك فيها إلا قليلا حتىٰ أهلكهم بعذاب عاجل» (تفسير الطبري ١٧/ ٥١٠).

(٢) في (ب): واتاهم.

(٣) أي إرادته للدعوة إلىٰ الله.

(٤) في (ب، ل): إلىٰ.

(٥) وذلك بطرده من الأراضي، فلا يلبث في واحدة.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] بين سبحانه من حاله -ما تعلمه الخاصة والعامة، وهو معلوم لجميع قومه الذين شاهدوه، متواتر عند من غاب عنه وبلغته أخباره من جميع الناس- أنَّه كان أميًّا لا يقرأ كتابًا، ولا يحفظ كتابًا من الكتب، لا المنزلة ولا غيرها، ولا يقرأ شيئا مكتوبًا، لا كتابًا منزلاً ولا غيره، ولا يكتب بيمينه كتابًا، ولا ينسخ شيئًا من كتب الناس لا المنزلة ولا غيرها.

ومعلوم أن من تعلَّم من غيره إما أن يأخذ تلقينًا وحفظًا، وإمَّا أن يأخذ كتابةً(١)، وهو لم يكن يقرأ شيئًا من الكتب من حفظه، ولا يقرأ مكتوبًا، والذي يأخذ من كتاب غيره إما أن يقرأه وإما أن ينسخه، وهو لم يكن يقرأ ولا ينسخ(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن(٣) لَّهُمْ

---

(١) في (ب، ل): من كتابه. (ط النيل): من كتابة.

(٢) وفي كونه ﷺ أميا مطابقة بين صفة نبي آخر الزمان الواردة في الكتاب السابق وبينه ﷺ، ففي سفر إشعياء (٢٩: ١٢): «ويدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة، ويقال له: إقرأ هذا، فيقول: لا أعرف الكتابة»، وهذا ما حصل مع النبي الأمي ﷺ، ففي الحديث المشهور، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرىٰ رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلىٰ أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلىٰ خديجة فيتزود لمثلها، حتىٰ جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ»، قال: «فأخذني فغطني حتىٰ بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتىٰ بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١-٣]..» الحديث، رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

(٣) في (ب): تكن. في الموضعين، وهي قراءة ابن عامر، ويلزم منها قراءة آية بالرفع، فاعل تكن علىٰ أنها تامة (النشر ٢/ ٣٣٦، إتحاف فضلاء البشر ٤٢٤).

ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٧]، إلىٰ قوله: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢١٠ - ٢٢٧].

فقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦]. وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء: ١٩٧]، وعلماء بني إسرائيل يعلمون ذكر إرسال محمد ونزول الوحي عليه، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾(1) [الأنعام: ١١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٢، ٥٣] ويعلمون المعاني التي فيه أنها موافقة لأقوال الرسل قبله في الخبر والأمر(2).

---

(١) أتم الآية في (ب).

(٢) انظر تفسير الطبري ١٩/ ٣٩٧.

فإنه أخبر عن توحيد الله وصفاته، وعرشه وملائكته؛ وخلقه السماوات والأرض؛ وغير ذلك؛ بمثل ما أخبرت به الرسل قبله، وأمر بتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له وبالعدل والصدق والصلاة والزكاة، ونهىٰ عن الشرك والظلم والفواحش كما أمرت ونهت الرسل قبله، والسور المكية نزلت بالأصول الكلية المشتركة، التي اتفقت عليها الرسل التي لا بد منها، وهي: الإسلام العام الذي لا يقبل الله تعالىٰ من أحد من الأولين والآخرين دينًا غيره.

وأمَّا السور المدنية ففيها هذا، وفيها ما يختص به محمد ﷺ من الشرعة والمنهاج، فإنَّ دين الأنبياء واحد كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إنا معاشرَ الأنبياء ديننا واحد»(1)، قال الله تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥١ - ٥٣]، وقال تعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٠ - ٣٢] (ظ٢٦).

---

(1) سبق تخريجه.

وأما الشرعة والمنهاج:

فقد قال عن أهل التوراة والإنجيل والقرآن: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨][(١)]، وقال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٣٤][(٢)]، وقال: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [الحج: ٦٧].

وأما القبلة:

فلم يجعل ما ابتدعه أهل الكتاب من القبلة، فلذلك قال: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨]، لم يقل: إنا جعلنا لكل وجهة، كما قال في المنسك والشرعة والمنهاج[(٣)].

---

(١) قال ابن جرير: «الشرعة هي الشريعة بعينها، تجمع الشرعة شرعا والشريعة شرائع، ولو جمعت الشرعة شرائع كان صوابا، لأن معناها ومعنىٰ الشريعة واحد، فيردها عند الجمع إلىٰ لفظ نظيرها. وكل ما شرعت فيه من شيء فهو شريعة، ومن ذلك قيل: لشريعة الماء شريعة، لأنه يشرع منها إلىٰ الماء. ومنه سميت شرائع الإسلام شرائع، لشروع أهله فيه. ومنه قيل للقوم إذا تساووا في الشيء: هم شرع، أي سواء.
وأما المنهاج، فإن أصله: الطريق البين الواضح، يقال منه: هو طريق نَهْجٌ، ومَنْهَجٌ، بيِّن..، ثم يستعمل في كل شيء كان بينا واضحا سهلا، فمعنىٰ الكلام: لكل قوم منكم جعلنا طريقا إلىٰ الحق يؤمه، وسبيلا واضحا يعمل به» (تفسير الطبري ١٠/ ٣٨٤).

(٢) في (ب، ل) ذكر الآية إلىٰ قوله ﴿يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ ثم قال: إلىٰ قوله ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا ..﴾.

(٣) كذا في الأصل وط النيل، وفي (ل): النسك، وفي (ب): في الشرعة والنسك والمنهاج.
الوجهة هي القبلة، روي ذلك عن مجاهد وغيره (تفسير الطبري ٣/ ١٩٣)، وقوله: ﴿مُوَلِّيهَا﴾: أي هو مول وجهه إليها ومستقبلها.
وقرأ ابن عامر -من السبعة-: ﴿هو مولاها﴾ أي: أن الله موليه إياها (تفسير الطبري ٣/ ١٩٥، النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٢٣).

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [طه: ١٣٣] فإنه إذا أتاهم ببيان ما في الصحف الأولىٰ - مع علمهم بأنه لم يعاشر أحدا من أهل الصحف الأولىٰ ولا استفاد منهم علما - كان هذا من أعظم الآيات من الله.

وكما أن إخباره عن أمور الغيب تدل علىٰ نبوته؛ فإنه يدل علىٰ أن النبوة إنباء من الله، ليس ذلك كما يقوله بعض المتفلسفة كابن سينا وأمثاله: «إنه فيض فاض عليه من النفس الفلكية أو العقل الفعال»، ويقولون: «إن النفس أو العقل هو اللوح المحفوظ، وأنَّ من اتصلت نفسه به علم ما تعلمه[1] الأنبياء»، ويقولون: «النبوة مكتسبة لأن هذه صفتها» و[2]«إن سبب علمه بالغيب هو اتصال نفسه بالنفس الفلكية»، ويزعمون[3] أنها اللوح المحفوظ، وأن تحريكها للفلك هو سبب حدوث الحوادث في الأرض، فتكون عالمة بما يحدث في الأرض؛ لأن العلم بالسبب يوجب العلم بالمسبب.

فإن هذا مبني علىٰ مقدمات باطلة، قد بسط الكلام علىٰ بطلانها في مواضع أخرىٰ[4]:

منها: إثبات العقل الفعال، ومنها: دعواهم أنه لا سبب للحوادث إلا حركة الفلك، ومنها: أن المحرك له هو النفس، ومنها: اتصال نفوسنا بتلك النفس، والمقصود هنا أنَّ هذا لو كان حقًّا فإنما يفيد علما بالمستقبل الذي

---

(١) في (ب، ل): علمته.

(٢) في (ب، ل): ويقولون.

(٣) في (ب، ل): وزعموا.

(٤) انظر مثلا: مجموع الفتاوىٰ للمصنف (٩/ ١٢، ١٠٤، ١٢/ ٥٥٦).

تكون الحركة الحاضرة[1] سببا له، أمَّا ما قد مضىٰ (قبل ذلك)[2] بمئين أو ألوف من السنين فليس شيء من حركات الفلك - حين مبعث الرسول - كان سببًا له، وإنما تكون الحركة الموجودة[3] في زمانه سببًا للمستقبل لا للماضي، وحينئذ فلا يكون تحريك النفس للفلك سببًا للعلم بهذه الأمور، ولا يكون ذلك هو اللوح المحفوظ، بل القرآن المجيد في لوح محفوظ، وهو في أم الكتاب[4]: ﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٨ - ٧٩].

وأخبر سبحانه أنه: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]، وقال في آية أخرىٰ: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]، وقال: في موضع آخر: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ۝٢٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بظَنِين[5] ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ۝٢٥ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ۝٢٦ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢٩].

---

(١) ليست في (ب).
(٢) ما بين القوسين ليس في (ب، ل).
(٣) في (ب): الجاهزة. ثم أعاد كتابة السطر كله في الهاماش وكتب كما في باقي النسخ.
(٤) في (ب، ل) زيادة: وهو.
(٥) هكذا ضبطه في الأصول، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي ورويس، من الظن: أي ما هو بمتهم، وقرأ الباقون ﴿بِضَنِينٖ﴾ من ضنَّ بالشيء إذا بخل به، أي: ما هو ببخيل فيكتم ما أنزل الله إليه. (النشر في القراءات العشر ٢/ ٣٩٩).

وقد قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، فذكر أنه قول رسول اصطفاه من الملائكة، نزل به علىٰ رسول اصطفاه من البشر، فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٤٠ - ٥٢].

فنزه كلاً مِن الرسولين عما قد يشتبه به(١).

نزه الملك أن يكون شيطانًا، ونزه البشر أن يكون كاهنًا أوشاعرًا(٢)، وبيَّن برهان ذلك وآيته، فقال: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠ - ٢١٢].

فبين أنه ما يصلح لهم النزول به، بل هم منهيون عن (ظ٢٧) ذلك، وهم ممتنعون عن ذلك لا يريدونه لمنافاته لمقصودهم، وأنهم لو أرادوا ذلك لعجزوا عن ذلك فلم يستطيعوه، إذ كانوا معزولين عن أن يسمعوه من الملأ الأعلىٰ، وهم إنما يقدرون علىٰ أن ينزلوا بما سمعوه لا بما لم يسمعوه، وذلك(٣) أنَّ الفاعل للفعل إنما يفعله إذا كان مريدًا له قادرًا عليه.

---

(١) لعلها في (ب): يشببه.
(٢) في (ب، ل): شاعرا أو كاهنا.
(٣) من هنا ورقة سقطت من أصل (ب)، وكتب في الهامش: الوريقة أولها وذلك.

فبين بقوله: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ﴾ [الشعراء: ٢١١] أنهم لا يريدون تنزيله، وبقوله: ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [الشعراء: ٢١١] أنهم عاجزون عن تنزيله[١].

أَمَّا كونهم لا يريدون:

فلأنه لا ينبغي لهم، و«ينبغي» مضارع[٢] بغىٰ يبغي: أي طلب وأراد.

فالذي لا ينبغي للفاعل هو الذي لا يطلبه ولا يريده، إما لكونه ممتنعًا من ذلك، أو لكونه ممنوعًا منه، والشيطان إنما يريد الكذب والفجور، لا يريد الصدق والصلاح، وما جاء به الرسول مناقض[٣] لمراد الشياطين غاية المناقضة، فلم يحدث في الأرض أمرٌ أعظم[٤] مناقضة لمراد الشياطين من إرسال محمد ونزول القرآن[٥]، فيمتنع أن تفعل الشياطين ما لا يريدون إلاَّ نقيضه.

وهم أيضًا ممنوعون من ذلك بحيث لا يصلح لهم ذلك، ولا يتأتَّىٰ منهم، كما أنَّ الساحر لا ينبغي له أن يكون نبيًا، والمعروف بالكذب والفجور لا ينبغي له مع ذلك أن يكون نبيًا، ولا أنْ يكون حاكمًا، ولا شاهدًا، ولا مفتيًا، إذ الكذب والفجور يناقض مقصود الحكم والشهادة والفُتيا، فكذلك ما في طَبع الشياطين من إرادة الكذب والفجور يناقض أن تتنزل بهذا الكلام الذي هو في غاية الصدق والعدل، لم يشتمل علىٰ كذبة واحدة ولا ظلم لأحد.

---

(١) هذا أحد الأوجه الثلاثة التي ذكرها المصنف لامتناع تنزل الشياطين به، وقد لخصها ابن كثير -تلميذ المصنف- في التفسير، فانظرها فيه (تفسير ابن كثير ٦/ ١٦٥).

(٢) في (ل): مطاوع.

(٣) في (ل): مناقص..مناقصة.. كذا في ما يأتي، ولعله ترك النقط لشدة الوضوح.

(٤) في الأصل: أعظم من من مناقضة.

(٥) في (ل) زيادة: عليه.

ثم قال: ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [الشعراء: ٢١١] فإنهم عن سمع هذا الكلام معزولون بما حُرست به السماء من الشهب، كما قال عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٨ - ٩].

وقد ذكرنا تواتر هذا الخبر، وأنَّ السماء حُرست حرسًا لم يعهده الناس قبل ذلك، ورأىٰ ذلك الناس(١) بأبصارهم فكانوا قد عاينوا ما أخبرهم به من الرمي بالشهب التي يرمىٰ بها لطرد الشياطين، فعزلوا بذلك عن سمع الملأ الأعلىٰ، وكان ما عاينه الكفار - من الرمي الشديد العام الذي انتقضت به العادة المعروفة من رمي الشهب - دليلاً علىٰ سبب خارق للعادة(٢)، ولم يحدث إذ ذاك في الأرض أمر لم تجر به العادة إلا ادعاءه للرسالة، فلم يعرف قبله ولا بعده من نزل عليه الكلام كنزوله عليه؛ إذ كان(٣) موسىٰ عليه السلام إنما أنزلت عليه التوراة مكتوبة، لم تنزل منجمة مفرقة ملقاة إليه حفظًا حتىٰ تحتاج السماء إلىٰ حراستها عن استراق سمعها، والزبور تابع لشرع التوراة، وكذلك الإنجيل فرع علىٰ التوراة، لم ينزل كتاب مستقل إلا التوراة والقرآن، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ﴾ [القصص: ٤٩](٤).

---

(١) في (ل) قدم الناس.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/ ١٨٩، وتفسير ابن كثير ١/ ١٨٩.

(٣) في الأصل ظ: قال، وهو تصحيف ظاهر.

(٤) ويتضح مراد الشيخ أكثر بالآية التي قبلها، وهي قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

=

ولهذا يقرن سبحانه بين التوراة والقرآن كثيرا كما في قوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ٩١]، إلىٰ قوله: ﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام: ٩٢].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧].

قال سعيد بن جبير وغيره: «والأحزاب هي الملل كلها»(١)، قال: «وهذا تصديق قول النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي(٢) يهودي، ولا نصراني،

= وقد اختلفت القراءة فيها، فقرأ الكوفيون: ﴿سِحْرانِ﴾، وقرأ الباقون: ﴿ساحران﴾ (النشر في القراءات العشر ٢/ ٣٤٢)، فمن فسر الآية: بالتوارة والإنجيل فهو يريد قراءة: سحران، ومن فسر الآية بموسىٰ ومحمد صلىٰ الله عليهما وسلَّم فهو يريد قراءة: ساحران، قال قتادة: قوله: سحران تظاهرا قال ذلك أعداء الله اليهود للإنجيل والفرقان، ومن قال: ساحران فيقول: محمد وعيسىٰ صلىٰ الله عليهما وسلم (تفسير ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٨٥)، والمعنىٰ علىٰ القراءتين متلازم.

قال البغوي: «قرأ أهل الكوفة: «سحران»، أي: التوراة والقرآن: «تظاهرا» يعني: كل سحر يقوي الآخر، نسب التظاهر إلىٰ السحرين علىٰ الاتساع، قال الكلبي: كانت مقالتهم تلك حين بعثوا إلىٰ رءوس اليهود بالمدينة، فسألوهم عن محمد فأخبروهم أن نعته في كتابهم التوراة، فرجعوا فأخبروهم بقول اليهود، فقالوا: سحران تظاهرا. وقرأ الآخرون: «ساحران» يعنون محمدا وموسىٰ عليهما السلام، لأن معنىٰ التظاهر بالناس وأفعالهم أشبه منه بالكتب» (تفسير البغوي ٦/ ٢١٢).

(١) انظر: تفسير الطبري ١٥/ ٢٨٠، تفسير ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠١٥.

(٢) في (ل، ط النيل) زيادة: من هذه الأمة.

ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار»، وقرأ هذه الآية: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧][1].

وقالت الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا﴾ [الأحقاف: ٣٠] (ظ٢٨).

وقال النجاشي - لما سمع القرآن -: «إن هذا والذي جاء به موسىٰ ليخرج من مشكاة واحدة»[2].

(وقال ورقة بن نوفل للنبي ﷺ: «يا ابن أخي هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسىٰ»)[3].

---

(١) رواه أيوب السختياني عن سعيد بن جبير، (انظر: تفسير الطبري ١٥/ ٢٧٩، تفسير ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠١٥) إلا أنه في بعض الروايات قال أيوب: نبئت عن سعيد بن جبير، فذكره (رواه الطبري في التفسير ١٥/ ٢٧٩).
وقد بين أبو بشر جعفر بن أبي وحشية إياس في روايته عن سعيد بن جبير أن سعيدا رواه عن أبي موسىٰ الأشعري، فروىٰ أحمد في المسند (١٩٥٣٦)، والطبري في التفسير (١٥/ ٢٨١) من طريق شعبة عن أبي بشر بإسناده، ولفظه: «من سمع بي من أمتي أو يهودي أو نصراني فلم يؤمن بي لم يدخل الجنة» إلا أنه منقطع بين سعيد بن جبير وأبي موسىٰ الأشعري، ورواه البزار في مسنده (كما في الزائد: ١٦)، ثم قال: «لا نعلم أحدا رواه عن النبي ﷺ إلا أبو موسىٰ، بهذا الإسناد، ولا أحسب سمع سعيد من أبي موسىٰ».
وفي صحيح مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة ﵁ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار».

(٢) رواه ابن إسحاق في السيرة (السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٥٧) ومن طريقه أحمد في المسند (١٧٤٠) بإسناد حسن.

(٣) زيادة من الأصل ظ، د، ط النيل.
والحديث متفق عليه، رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠). =

وأيضًا: فكان معروفًا عندهم إخبار الكهان عن الشياطين التي تسترق السمع، فلما رأوا أنَّ السماء قد حُرست حرسًا شديدًا خلاف العادة علموا أنَّ الشياطين مُنعوا استراق السمع، وعلمت الجن ذلك كما تقدم[1].

وقد قالت الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ٨ - ١٠][2].

وقد تواترت الأخبار بأنه حين المبعث كثر الرمي بالشهب أمرًا خارقًا للعادة، حتىٰ خاف بعض الناس أن يكون ذلك لخراب العالم، حتىٰ نظروا هل الرمي بالكواكب التي في الفلك أم الرمي بالشهب؟

فلما رأوه بالشهب علموا أنَّه لأمر حدث، وأرسلت الجن تطلب سبب ذلك حتىٰ سمعت القرآن، فعلموا أنه كان لأجل ذلك.

[3]كما جاء في الصحيحين عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلىٰ سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلىٰ قومهم، فقالوا: مالكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قالوا:

= والناموس: صاحب السر، قال الحافظ: «والمراد بالناموس هنا جبريل عليه السلام»، ثم بين الحكمة من قوله: «علىٰ موسىٰ» ولم يقل علىٰ عيسىٰ مع كونه نصرانيا، (فتح الباري ١/ ٢٦).

(١) هنا نهاية الوريقة الساقطة من أصل (ب).

(٢) لم يذكر الآية الأخيرة في ب ل.

(٣) من هنا إلىٰ آخر خبر السدي ثبت في الأصل ظ و د و ط النيل، وسقط من باقي الأصول.

ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا حدث[1]، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا[2] ما هذا الأمر الذي حدث، فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء، قال: فانطلقوا نحو تهامة، إلىٰ رسول الله ﷺ بنخلة، وهو عامد إلىٰ سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلىٰ قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا، يهدي إلىٰ الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا، فأنزل الله تعالىٰ علىٰ نبيه: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾[3].

وروىٰ الإمام أحمد عن ابن عباس قال: كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا، فيكون ما سمعوا حقا، وما زادوه باطلا، وكانت النجوم لا يرمىٰ بها قبل ذلك، فلما بعث النبي ﷺ كان أحدهم لا يقعد مقعده إلا رمي بشهاب يحرق ما أصاب، فشكوا ذلك إلىٰ إبليس، فقال: ما هذا إلا من أمر قد حدث، فبُثَّتْ[4] جنوده فإذا هم بالنبي ﷺ يصلي بين جبلي نخلة، فأتوه فأخبروه، فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض.

وروىٰ ابن أبي حاتم بإسناده عن السدي: زعم أنَّ السماء لم تكن تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي، أو دين لله ظاهر، فكانت الشياطين قبل محمد ﷺ قد اتخذت المقاعد في السماء الدنيا، يستمعون ما يحدث في السماء من أمر،

---

(١) في د: لأمر حدث، وفي صحيح البخاري: إلا شيء حدث، وفي موضع آخر: إلا ما حدث، وفي صحيح مسلم: إلا من شيء حدث.

(٢) كذا في الصحيحين و د، وفي ظ: تنظرون.

(٣) صحيح البخاري (٧٧٣)(٤٩٢١)، صحيح مسلم (٤٤٩).

(٤) في د والمسند: فبث.

حتىٰ لما بعث الله محمدا ﷺ نبيا رجموا ليلة من الليالي، ففزع لذلك أهل الطائف، فقالوا: هلك أهل السماء، لما رأوا من شدة النار في السماء، واختلاف الشهب، فجعلوا يعتقون أرقاءهم، ويسيبون مواشيهم، فقال لهم عبدياليل بن عمرو بن عمير: ويحكم يا معشر الطائف، أمسكوا عن أموالكم، وانظروا إلىٰ معالم النجوم، فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها فلم يهلك أهل السماء، إنما هذا من أجل ابن أبي كبشة - يعني محمدا (ظ٢٩) ﷺ - وإن أنتم لم تروها فقد هلك أهل السماء، فنظروا فرأوها فكفوا عن أموالهم، وفزعت الشياطين في تلك الليلة، فأتوا إبليس فحدثوه بالذي كان من أمرهم، فقال: ائتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها، فأتوه فشم فقال: صاحبكم بمكة، فبعث سبعة نفر من جن نصيبين، قدموا مكة فوجدوا نبي الله ﷺ قائما يصلي في المسجد الحرام، يقرأ القرآن، فدنوا منه حرصا علىٰ القرآن، حتىٰ كادت كلاكلهم تصيبه، ثم أسلموا، فأنزل الله شأن أمرهم علىٰ نبيه ﷺ(١).

وهذا من أعلام النبوة ودلائلها.

وقبل ذلك وبعده(٢) كان الرمي خفيفًا، لم تمتلئ به السماء كما ملئت حين نزول القرآن.

وقوله(٣): ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣].

---

(١) نهاية الزيادة من الأصل ظ، د، ط النيل.
(٢) في (ب، ل): وقبل زمان البعث وبعده.
(٣) في (ب، ل): وقال تعالىٰ.

والأفاك الكذاب، والأثيم الفاجر، كما قال: ﴿لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ١٥ - ١٦].

وقال النبي ﷺ(١) في الحديث المتفق على صحته: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يدعو إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا»(٢).

فالشياطين تنزل على من يحصل مقصودها بنزولها عليه، وهو المناسب لها في الكذب والإثم(٣)، فأما الصادق البار، فلا يحصل به مقصود الشياطين، فإنَّ الشيطان لا يطلب الصدق والبر، وإنما يطلب الكذب والفجور، ومحمد ﷺ ما زال قومه يعرفونه بينهم بالصادق الأمين، لم تجرب عليه كذبة واحدة، ولما جاءه الروح بالوحي لم يخبر بخبر واحد كذب، لا عمدًا ولا خطأ.

ومن تنزلت عليه الشياطين لا بد أن يخبر بالكذب، فإنَّ الشياطين يلقون إليهم السمع، ولا يلقون إليهم ما سمعوه على وجهه، بل يكذبون فيه كثيرا، إذ كان أكثر الشياطين الذين ينزلون عليهم كاذبين فيما ينزلون به عليهم، فإنَّ الشياطين(٤) - وإن كان كلهم كاذبًا - فليس كل من ألقى السمع يكذب فيما

---

(١) في (ب): والنبي..قال. وفي (ل): وفي الحديث المتفق عليه.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) كذا في ظ، وفي هامشها: والفجور خ، أي في نسخة أخرى. وهكذا هو في (ب،ل).
(٤) في (ب، ل): والشياطين.

يلقيه، بل قد يصدق أحدهم فيما يلقيه من السمع ولو مرة[(١)]، ولكن أكثرهم يكذبون، والذي يصدق منهم مرة يكذب مرات، والذي ينزل عليه الشياطين أفاك أثيم.

(وفي صحيح البخاري: عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الملائكة تنزل في العنان، وهو السحاب، فتذكر الأمر قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع، فتسمعه فتوحيه إلىٰ الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم»)[(٢)].

فالفرق بين الصادق البار الذي يأتيه الملك الكريم، والكاذب الأثيم الذي يأتيه الشيطان الرجيم فرق مبين، يعرف بأدنىٰ معرفة بحال الاثنين، ولما كان الكاهن الذي يأتيه شيطان قد يخبر ببعض الأمور الغائبة بين سبحانه أن هذا يكون[(٣)] - وإن صدق في بعض الأخبار - كاذبًا فاجرًا، والذي يأتيه أيضًا يأتيه بالكذب، فلا يشتبه بمن لا يكذب ولا يفجر، وهذا مما يبين أن النبي لا يكون إلا بارًّا معصوما أن يصرَّ علىٰ ذنب[(٤)].

---

(١) في (ب، ل): من السمع ويسترقه.

(٢) سقط هذا الحديث من النسخة (ب، ل).

والحديث في صحيح البخاري (٣٢١٠)(٣٢٨٨).

(٣) في (ب): يكذب.

(٤) هامش ظ: بلغ مقابلة. وفي (ب): صح.

ولهذا كان القرآن أعظم معجزات النبي ﷺ، وسائر معجزاته -مهما بلغت- فهي تبع له، وقد بدأ المصنف ببيان إعجاز القرآن في هذا الفصل، ثم عرج بالتفصيل والتمثيل لسائر المعجزات والخوارق، وقال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:« وأنفع الخوارق الخارق الديني وهو حال نبينا محمد ﷺ، قال ﷺ: «ما من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما آمن علىٰ مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» =

فصل:

وقد ذكرنا أنَّ قومه المعادين له غاية[١] العداوة ما زالوا[٢] معترفين بصدقه ﷺ، وأنهم لم يجربوا عليه كذبًا قط[٣]، بل ومعترفين بأن ما يقوله ليس بشعر ولا كهانة، وأنه ليس بساحر، وكانوا في أول أمره يرسلون إلىٰ البلاد التي فيها علماء أهل الكتاب يسألونهم عنه؛ لأن مكة لم يكن بها ذلك.

ففي الصحيحين[٤] عن ابن عباس أن أبا سفيان بن حرب (ظ ٣٠) حدثه، قال: «انطلقت إلىٰ الشام في المدة[٥] التي كانت بيني وبين رسول الله ﷺ قال: فبينا[٦] أنا بالشام إذ جيء بكتاب رسول الله ﷺ إلىٰ هرقل، قال: وكان دحية الكلبي جاء به، فدفعه إلىٰ عظيم بصرىٰ، فدفعه عظيم بصرىٰ إلىٰ هرقل، فقال هرقل: هل هاهنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قالوا: نعم، قال: فدعيتُ في نفر من قريش فدخلنا علىٰ هرقل، فأجلسنا بين يديه، فقال: أيكم أقرب نسبًا من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، قال أبو سفيان: فقلت أنا،

= أخرجاه في الصحيحين. وكانت آيته هي دعوته وحجته بخلاف غيره من الأنبياء.
ولهذا نجد كثيرا من المنحرفين منا إلىٰ العيسوية يفرون من القرآن والقال إلىٰ الحال كما أن المنحرفين منا إلىٰ الموسوية يفرون من الإيمان والحال إلىٰ القال ونبينا ﷺ صاحب القال والحال وصاحب القرآن والإيمان. ثم بعده الخارق المؤيد للدين المعين له لأن الخارق في مرتبة ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ والدين في مرتبة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾» (مجموع الفتاوىٰ ١١/ ٣٣٤).

(١) سقطت من (ب).
(٢) في (ب): يزالوا.
(٣) ليست في (ب، ل).
(٤) في (ب): الصحيح. وهكذا في أصل (ب) ثم عدلها.
(٥) في هامش (ب): الهدنة، صح.
(٦) في (ل): فبينما.

فأجلسوني بين يديه، وأجلسوا أصحابي خلفي، فدعا بترجمانه، فقال: قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، فإن كَذَبَني فكذِّبُوه.

قال[1] أبو سفيان: وايم الله! لولا مخافة أن يؤثر علي كذبٌ[2] لكذبتُ عليه.

ثم قال لترجمانه: سله كيف نسبه[3] فيكم؟ قال: قلت: هو فينا ذو نسب[4]، قال: فهل كان في آبائه من ملك، قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا»، وذكر الحديث[5].

(وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود، قال: انطلق سعد بن معاذ معتمرًا، فنزل علىٰ أمية بن خلف، وكان أمية إذا انطلق إلىٰ الشام فمر بالمدينة ينزل علىٰ سعد، فقال لسعد: انتظر حتىٰ إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت، فبينا سعد يطوف إذا أبو جهل، فقال: من هذا الذي يطوف بالبيت،فقال: أنا سعد، فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة آمنًا وقد آويتم محمدا وأصحابه، قال: نعم، فتلاحيا بينهما، فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك علىٰ أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي، ثم قال سعد: والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام، قال: فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك، وجعل يمسكه، فغضب سعد، فقال: دعنا عنك، فإني سمعت محمدا ﷺ يزعم أنه قاتلك، قال: إياي؟ قال: نعم، قال: والله ما يكذب محمد إذا حدث.

---

(١) في (ب): «قال: فقال أبو سفيان». ومثله في (ل) بدون: «أبو سفيان».

(٢) في (ب): كذبا.

(٣) في (ب، ل): حسبه...حسب.

(٤) في (د): حسب، وكتب في الهامش: نسب خ.

(٥) في (ب،ل): باقي الحديث.

وقد مر الحديث مرارا، انظر صحيح البخاري (٧) ومسلم (١١٧٣).

فرجع إلىٰ امرأته فقال: أما تعلمين ما قال أخي اليثربي؟ قالت: وما قال؟ قال: زعم أن محمداً يزعم أنه قاتلي، قالت: فوالله ما يكذب محمد.

قال: فلما خرجوا إلىٰ بدر وجاء الصريخ، قالت له امرأته: أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي، قال: وأراد ألا يخرج، فقال له أبو جهل: إنك من أشراف الوادي، فسر يوما أو يومين، فسار معهم فقتله الله[1].

وفي رواية أنه قال: والله ما يكذب محمد، وعزم أن لا يخرج خوفًا من هذا، حتىٰ قال له أبو جهل: إنك متىٰ رآك[2] الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك، فقال: أما إذ غلبتني فلأشترين أجود بعير بمكة، وذكَّرته امرأته بقول سعد، فقال: ما أريد أن أكون معهم إلاَّ قريبا)[3].

---

(١) في ط النيل: فقتله رسول الله.

(٢) في (ط النيل): يراك.

(٣) رواه البخاري في الصحيح (٣٦٣٢)، وفي روايته أن أمية بن خلف قال: والله لا يكذب محمد، ثم قالت زورجه مثل ذلك، وفي الحديث قصة تنظر في موضع الحديث، وقد ترجم عليه البخاري ترجمتين: الأولىٰ باب علامات النبوة في الإسلام، باب ذكر النبي ﷺ من يقتل ببدر.
وما بين القوسين من الأصل، د، ط النيل.
واختصره في (ب، ل) وساقه بالمعنىٰ، «فقال: وفي الصحيحين عن عبدالله بن مسعود حديث حديث سعد بن معاذ لما قال (لصفوان بن) أمية إنهم قاتلوك، يعني النبي ﷺ وأصحابه، وفزع (صفوان -في ل بدلها: منه-) لذلك، وقال لامرأته ذلك، فقالت: والله ما يكذب محمد، وقال هو في رواية أخرىٰ: ما يكذب محمد، وعزم أن لا يخرج خوفا من هذا، فقال: والله لا أخرج من مكة، وأراد التخلف عن بدر، حتىٰ قال له أبو جهل: إنك متىٰ يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك، فقال:
أما إذ غلبتني فلأشترين أجود بعير بمكة، وذكرته امرأته قول سعد، فقال: ما أريد أن أكون معهم إلا قريبا». وما بين القوسين سقط من ل.

وكذلك ما ذكره أهل المغازي وغيرهم «أنَّ أُبيَّ بن خلف[1] لما بلغه أن النبي ﷺ قال: أنا أقتله، ثم طعنه رسول الله ﷺ فخدشه، وجعل أصحابه يجزِّعونَه[2] ويقولون: إنما هو خدش[3]، فقال: والله لو كان بمُضَر لقتلهم، أليس قال: «لأقتلنك»[4].

وعن مجاهد قال: قال مولاي السائب بن يزيد: «كنت فيمن بنىٰ البيت، وإنَّ قريشًا اختلفوا في الحجر حين أرادوا أن يضعوه، حتىٰ كادوا يقع بينهم قتال بالسيوف، فقالوا: اجعلوا بينكم أول رجل يدخل من الباب، فدخل رسول الله ﷺ وكانوا يسمونه في الجاهلية الأمين، فقالوا: يا محمد، قد رضينا بك»[5].

(وقال ابن إسحاق -في قصة بناء البيت واختلاف قريش في من يضع الحجر، وأنهم مكثوا علىٰ ذلك أربع ليال أو خمسًا-: ثم إنهم اجتمعوا في

---

(١) في (ب، ط النيل): أمية بن خلف. وما ثبت هو الصواب، فإنه هو الذي قتله النبي ﷺ، وأما أمية فسبقت قصته (وانظر: دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٢٥٨، فتح الباري ١/ ٣٥١).
(٢) في (ب): يشجعوه.
(٣) في (ب، ل، ط النيل) زيادة: وليس بشيء.
(٤) رواه عبدالرزاق في مصنفه (٩٧٣١) من حديث مقسم والزهري مرسلا، ورواه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٠٦) من طريق موسىٰ بن عقبة عن الزهري مرسلا، و(٣/ ٢٥٨) من حديث عروة بن الزبير مرسلا.
(٥) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٤٥٧) من طريق هلال بن خباب ثنا مجاهد قال قال لي مولاي عبد الله بن السائب، فذكره، ثم قال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه وله شاهد صحيح علىٰ شرطه.
ورواه عبدالرزاق في المصنف (٩١٠٣) من طريق ابن جريج عن مجاهد مرسلا، لم يذكر السائب فيه.
والشاهد الذي أشار إليه الحاكم هو حديث علي بن ابي طالب (المستدرك ١/ ٤٥٨) وإسناده حسن.

المسجد فتشاورا، وتناصفوا، فزعم بعض أهل الرواية أنَّ أبا أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو[1] بن مخزوم -وكان عامئذ أسن قريش كلهم، قال: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد، يقضي بينكم فيه، ففعلوا، فكان أول داخل رسول الله ﷺ، فلما رأوه قالوا: (هذا الأمين)[2]، هذا الأمين قد جاء، رضينا، هذا محمد، فلما انتهىٰ إليهم وأخبروه الخبر، قال رسول الله ﷺ: هلمَّ لي ثوبًا، فأُتي به، فأخذ الركن -يعني الحجر الأسود- فوضعه فيه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعًا، ففعلوا حتىٰ إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ﷺ، ثم بنىٰ عليه، وكانت قريش تسمي رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي: الأمين)[3].

وعن عقيل بن أبي طالب قال: «جاءت قريش إلىٰ أبي طالب فقالوا له: إنَّ ابن أخيك يأتينا في كعبتنا ونادينا ويُسمعنا ما يؤذينا، فإن رأيت أن تكفه عنا فافعل. قال: فقال لي: يا عقيل التمس ابن عمك. قال: فأخرجته من كبس من أكباس[4] شعب أبي طالب، فأقبل يمشي حتىٰ انتهىٰ إلىٰ أبي طالب، فقال له:

---

(١) كذا في الأصل ظ مجودا، وعلىٰ العين فتحة، وفي آخره واو، وكذا في بقية النسخ.
والذي في السيرة: عمر، وكذا في أكثر المصادر، انظر: سبل الهدىٰ ٢/ ١٧١، البداية والنهاية ٣/ ٤٨٧. وهكذا ثبت اسمه في كتب الأنساب، انظر: نسب قريش ١٨.

(٢) ما بين القوسين ليس في (ط النيل، وأصلها: د).

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٩. وما بين القوسين ثبت في الأصل ظ، د، ط النيل.

(٤) في (الأصل ظ، ب، د، ط النيل): «كيس من أكياس»، بالياء. وفي (ل) أهمل الحرف.
وفي المصدر: كبس، وفسره بقوله: يقول من بيت صغير. وكذا في البداية والنهاية (٤/ ١٠٧)، وقال ابن الأثير: «في حديث عقيل «إن قريشا قالت لأبي طالب: إن ابن أخيك قد آذانا فانهه، فقال: يا عقيل ائتني بمحمد، قال: فانطلقت إلىٰ رسول الله ﷺ فاستخرجته من كبس» الكبس بالكسر: بيت صغير، ويروىٰ بالنون، من الكناس، وهو بيت الظبي».

يا ابن أخي، والله ما علمت إن كنتَ لي مُطيعا، وقد جاءني قومك يزعمون أنك تأتيهم في كعبتهم وناديهم[1] فتسمعهم ما يؤذيهم، فإنْ رأيت أن تكف عنهم؟ قال: فحلق ببصره إلىٰ السماء، فقال: والله ما أنا بأقدر علىٰ أن أدع ما بُعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من النار، فقال أبو طالب: إنه - والله - ما[2] كذب قط فارجعوا راشدين».

رواه البخاري في تاريخه[3]، وأبو زرعة في الدلائل[4].

ورواه محمد بن إسحاق قريبًا من هذا اللفظ، وقال: «فأخرجته من حفش -وهو بيت صغير- وقال فيه: فظن رسول الله ﷺ أن قد بدا لعمه، وأنه خاذله ومسلمه، وضعف عن القيام معه، فقال: «يا عم لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركتُ هذا الأمر حتىٰ يظهره الله أو أهلك في طلبه»[5].

---

(١) في (ب، ل): وتأذيهم.

(٢) في (ب): والله إنه..

(٣) رواه البخاري في التاريخ (٧/ ٥١)، وأبو يعلىٰ (٦٨٠٤)، والبزاز في مسنده (٢١٧٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ١٩١)، والأوسط (٨٥٥٣)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٥٧٧)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٨٧). وقال الهيثمي: «رجال أبي يعلىٰ رجال الصحيح». قلت: وإسناده حسن.

(٤) دلائل النبوة لأبي زرعة عبيدالله بن عبدالكريم الرازي (ت:٢٦٤) من مصادر المصنف، قد ذكره في آخر هذا الكتاب، ذكره البرذعي في سياق سؤالاته لأبي زرعة الرازي ص ٦٩٢، ونقل عنه ابن كثير كثيرا في التفسير (٣/ ١٠١)، وفي البداية والنهاية (انظر: ١/ ٣٢٦-٤/ ٢٥٩-٦/ ٧٥-٧٧-٢٧٨-٢٨٣)، وذكره أيضا السخاوي في الإعلان بالتوبيخ ص١٦٦ (بواسطة: من مصادر السيرة النبوية كتب دلائل النبوة، للباحث: أحمد محمد فكير، ص٧)، قلت: وقد نقل عنه المصنف في هذا المجلد كثيرا، مما يدل علىٰ أن الكتاب كان مشهورا، منتشرا في دمشق، في زمنه وزمن تلميذه ابن كثير.

(٥) سيرة ابن هشام (١/ ٢٤٠)، من حديث يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس مرسلا.

وفي الصحيحين عن عبد الله بن الصامت قال: «قال أبو ذر: خرجنا من قومنا غفار، وكانوا يحلون الشهر الحرام، فخرجت أنا وأخي أنيس وأمُّنا، فنزلنا علىٰ خال لنا فأكرمنا وأحسن إلينا، فحسدنا قومه، فقالوا: إنك إذا خرجت عن أهلك خالف إليهم أنيس، فجاء خالنا فنَثَا[1] علينا الذي قيل له، فقلت له: أما ما مضىٰ من معروفك فقد كدَّرته، ولا جماع لك فيما بعد، فقربنا صِرمتنا، فاحتملنا عليها، وتغطىٰ خالنا ثوبه[2] يبكي، وانطلقنا حتىٰ نزلنا بحضرة مكة.

فنافر[3] أنيس رجلاً عن صرمتنا وعن مثلها، فأتينا[4] الكاهن فخير أنيسًا فأتىٰ بصرمتنا ومثلها معها.

قال: وقد صليتُ يا ابن أخي قبل أن ألقىٰ رسول الله ﷺ بثلاث[5] سنين، قلت: لمن؟ قال: لله، قلت: فأين توجه؟ قال: أتوجه حيث يوجهني ربي، أصلي عشاء، حتىٰ إذا كان من آخر الليل أُلقيت كأني خِفاء[6]، حتىٰ تعلوني الشمس.

---

(١) نثا: أي أشاعه وفشاه. قال النووي: «هو بنون ثم مثلثة أي أشاعه وأفشاه»(شرح مسلم ١٦/ ٢٧).
وهكذا هو في الأصل ظ، د، وفي ط النيل: فتنا، وهو تصحيف يخالف أصله، وفي (ب): فنبأ. وهو مهمل في (ل).
(٢) كذا في عامة الأصول، وفي الأصل (ل): «بثوبه» والباء كأنها ملحقة. وما ثبت في الأصول هو الصحيح الموافق لما في صحيح مسلم.
(٣) قال النووي: «قال أبو عبيد وغيره في شرح هذا: المنافرة المفاخرة والمحاكمة، فيفخر كل واحد من الرجلين علىٰ الآخر ثم يتحاكمان إلىٰ رجل ليحكم أيهما خير وأعز نفرا وكانت هذه المفاخرة في الشعر أيهما أشعر كما بينه في الرواية الأخرىٰ» (شرح مسلم ١٦/ ٢٧).
(٤) في (ب، ط النيل) فأتيا.
(٥) في (ب): ثلاث.
(٦) الخفاء هو الكساء، وزنا ومعنىٰ. وفي هامش ظ حاشية: الخفاء كساء يطرح علىٰ السقاء.
وفي (ب): جفا، وهو تصحيف. وفي (ل) مهمل.

فقال أنيس: إن لي حاجة بمكة فاكفني، فانطلق أنيس حتىٰ أتىٰ مكة فراث علي، ثم جاء فقلت: ما صنعت؟ قال: لقيت رجلاً بمكة علىٰ دينك يزعم أن الله أرسله، قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحر.

وكان أنيس أحد الشعراء، قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة، فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله علىٰ أقراء الشعر[1] فما يلتئم علىٰ لسان أحد يقري[2] بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق، وإنهم لكاذبون. قال: قلت: فاكفني حتىٰ أذهب فأنظر، (قال: نعم، وكن علىٰ حذر من أهل مكة، فإنهم قد شنفوا[3] له وتجهموا)[4].

قال: فأتيت مكة فضعَّفتُ رجلا منهم(ظ٣٢)، فقلت: أين هذا الذي تدعونه الصابئ؟ فأشار إلي فقال: الصابئ، فمال علي أهل الوادي بكل مدرة وعظم حتىٰ خررتُ مغشيًا علي»، وذكر الحديث وصفة إسلامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ مسلم[5].

وفي حديث البخاري عن ابن عباس: «أن أبا ذر أرسل أخاه، وقال: اعلم لي عِلْم هذا الرجل، الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء، فاسمع من قوله، ثم ائتني، فانطلق الآخر حتىٰ قدم مكة، وسمع من قوله، ثم رجع[6] إلىٰ أبي ذر

---

(١) (في ط النيل وأصلها د): الشعراء.

(٢) هذه اللفظة ثبتت في (ظ، د، ط النيل) وليست هذه الكلمة في نسخ صحيح مسلم المطبوعة ولا ذكرها النووي، وأقراء الشعر: طرقه وأنواعه (شرح مسلم ١٦/ ٢٨).

(٣) في (د، ط النيل): سبقوا. وهي تصحيف

(٤) ما بين القوسين ليس في (ب، ل)، وليس هو كذلك في صحيح مسلم، وهو في دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٢٠٩ حيث صدر المصنف عنه.

(٥) صحيح مسلم (٢٤٧٣)، ولم يخرجه البخاري من هذا الوجه.

(٦) في (ب): أتىٰ.

فقال: رأيتُه يأمر بمكارم الأخلاق، وكلامًا ما هو بالشعر، فقال: ما شفيتني فيما أردت، فتزود وحمل شنة له فيها ماء حتىٰ قدم مكة فأتىٰ المسجد»، وذكر تمام الحديث(١).

وعن جابر بن عبدالله قال: «قال الملأ وأبو جهل: لقد غلبنا أمر(٢) محمد، فلو التمستم رجلاً عالمًا بالشعر والكهانة والسحر، فأتاه فكلمه، فأتانا ببيان من أمره، قال عتبة بن ربيعة: والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر، وعلمت من ذلك علما، فما يخفىٰ علي إن كان كذلك، فأتاه، فلما خرج إليه قال: أنت يا محمد خير أم هاشم؟ أنت خير أم عبدالمطلب؟ أنت خير أم عبدالله؟ فبمَ تشتم آلهتنا، وتُضلِّل آباءنا؟ فإنْ كنت إنَّما بك الرياسة عقدنا لك الرياسة، فكنت رأسنا ما بقيت، وإن كان بك الباه زوَّجناك عشر نسوة تختار من أي بنات قريش شئت، وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به أنت وعقبك من بعد.

ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم، فلما فرغ قرأ رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ [فصلت: ١ - ٤]، إلىٰ قوله: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣]، فأمسك عُتبة علىٰ فيه، وناشد بالرحم أن يكف، ورجع إلىٰ أهله، فلم يخرج إلىٰ قريش، فاحتبس عنهم عُتبة، فقال أبو جهل: يا معشر قريش، والله(٣) ما نرىٰ عتبة إلا قد صبأ إلىٰ محمد، وأعجبه طعامه، وما ذاك إلا من حاجة أصابته، فانطلقوا بنا إليه، فأتاه أبو جهل فقال: يا عُتبة، ما حبسك عنا إلا

---

(١) صحيح البخاري (٣٨٦١)، وصحيح مسلم (٢٤٧٤).
(٢) ليست في (ب).
(٣) ليست في (ب).

أنَّك صبوتَ إلىٰ محمد، وأعجبك أمره، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما نُغنيك عن طعام محمد، فغضب وأقسم أن لا يكلم محمدًا أبدا، وقال: لقد علمتم أني من أكثر قريش مالاً، ولكني أتيته وقصصت عليه القصة، فأجابني بشيء، والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر[1]: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [فصلت: ١-٣]، إلىٰ قوله: ﴿أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣]. فأمسكت بفيه، وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئًا لم يكذب، فخفت أن ينزل بكم العذاب».

رواه أبو بكر أحمد بن مردويه، في كتاب التفسير عن محمد بن فضيل عن الأجلح عن الذيَّال بن حرملة عنه، ورواه يحيىٰ بن معين عن محمد بن فضيل، ورواه أبو يعلىٰ الموصلي في مسنده، ورواه عبد بن حميد عن شيخ أبي يعلىٰ: ابن أبي شيبة[2].

وفي بعض الطرق: «إنْ كنتَ تزعم أنَّ هؤلاء خيرٌ منك فقد عبدوا الآلهة، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتىٰ نسمع»[3].

---

(١) في (ب): ولا أن محمد سحر.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٧٧١٥)، ومن طريقه عبد بن حميد (المنتخب من المسند ١١٢٣)، وأبو يعلىٰ (١٨١٨)، ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح. ومن طريق الحاكم وآخر رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٠٢)، وهو حديث حسن، فالأجلح الكوفي صدوق شيعي، والذيال بن حرملة معروف، وقد روىٰ عنه غير واحد، ووثقه ابن حبان (الثقات ٤/ ٢٢٢) ولم يجرحه أحد.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣٧٧١٥)، مسند أبي يعلىٰ (١٨١٨)، دلائل النبوة لأبي نعيم (٢٣٠)، وتتمته – وفيه بيان غلظتهم عليه ﷺ -: «إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم =

ورواه ابن إسحاق قال: حدثني يزيد بن زياد مولىٰ لبني هاشم، عن محمد بن كعب، قال: حُدِّثتُ أنَّ عتبة بن ربيعة وكان سيدًا حليما، وذكر الحديث إلىٰ أن قال: «لما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد، قال: ورائي أني - والله[1]- قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني، واجعلوها بي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإنْ تصبْه العرب فقد كُفيتموه بغيركم، وإنْ يظهر علىٰ العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به.

قالوا: سحرك - والله - يا أبا الوليد بلسانه[2]، قال: هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم (ظ٣٣).

ثم ذكر شعر أبي طالب يمدح عتبة فيما قال»[3].

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: «قدم ضماد مكة -وهو رجل من أزد شنوءة- وكان يرقي من هذه الريح، فسمع سفهاء أهل مكة يقولون: إنَّ

= علىٰ قومه منك، فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب حتىٰ لقد طار فيهم أن في قريش ساحرا، وأن في قريش كاهنا، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلىٰ أن يقول بعضنا لبعض بالسيوف حتىٰ نتفانىٰ أيها الرجل، إن كان إنما بك الباءة..» الحديث.

(١) في (ب): ورائي والله أني.

(٢) في (ب): بكلامه.

(٣) رواه ابن إسحاق (كما في سيرة ابن هشام ١/ ٢٦١)، ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٠٥) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٨/ ٢٤٥). ويزيد بن زياد فيه ضعف، انظر: الكامل في الضعفاء (٩/ ١٧٥) ميزان الاعتدال (٤/ ٤٢٣) ثم لم يبين محمد بن كعب من الذي حدثه.
وفي (ب): يمنع عنه فيما قال.

محمدًا مجنون، فقال: لو أني رأيتُ هذا الرجل لعلَّ الله أن يشفيه على يدي، قال: فلقيت محمدًا، فقلت: إني أرقي من هذه الريح، وإن الله يشفي على يدي من شاء، فهلم، فقال محمد: «إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أما بعد» قال: فقال: أعد علي كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات فقال: والله لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت بمثل[1] كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن قاموس[2] البحر.

قال: فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام، قال: فبايعه رسول الله ﷺ فقال: «وعلى قومك»، فقال: وعلى قومي» الحديث[3].

وعن ابن عباس قال: «جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي ﷺ، فقال: إقرأ علي، فقرأ عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، قال: أعد، فأعاد النبي ﷺ فقال: «والله إنَّ له لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما يقول هذا البشر».

---

(١) في (ب): مثل.

(٢) كذا في الأصول كلها: قاموس، إلا أن الحرف الأول في (ل) غير واضح، وثبت في (المطبوعة): ناعوس موافقة لما في مطبوعة صحيح مسلم.
وناعوس البحر وسطه، وقعره الأقصى، قال النووي: «ضبطناه بوجهين أشهرهما ناعوس بالنون والعين هذا هو الموجود في أكثر نسخ بلادنا والثاني قاموس بالقاف والميم وهذا الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير صحيح مسلم» (شرح مسلم ٦/ ١٥٧).
قلت: وضبط المصنف جاء على الرواية الثانية. وفي هامش (ف): البحر أو أبعد موضع فيه.

(٣) صحيح مسلم (٨٦٨).

وفي لفظ: قال ابن عباس: «إنَّ الوليد بن المغيرة جاء إلىٰ النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه، فقال: يا عم، إنَّ قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً، قال: ولم؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمدا لتعوض مما قِبَله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقُل فيه قولاً يبلغ قومك أنَّك منكر له وأنك كاره له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه[1] ولا بقصيدته مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول لحلاوة[2]، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلىٰ، وإنه ليحطم ما تحته.

قال: لا يرضىٰ عنك قومك حتىٰ تقول فيه، قال: فدعني حتىٰ أفكر فيه، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر، يأثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾ [المدثر: ١١]».

رواه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب[3] عن عكرمة عنه[4].

---

(١) في (ب): «بزجره». في الموضعين. وهي في (ل) مهملة.
(٢) في (ب): حلاوة.
(٣) تصحفت في (ب): ابن عمر!.
(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠٧)، ومن طريقه البيهقي في الشعب (١٣٣)، ودلائل النبوة (٢/ ١٩٨)، من طريق إسحاق بن إبراهيم عن عبدالرزاق، قال الذهبي: هكذا رواه الحاكم موصولا، ورواه معمر عن عباد بن منصور عن عكرمة مرسلا، ورواه مختصرا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة مرسلا (تاريخ الإسلام١/ ٥٥٨).
قلت: حديث عباد بن منصور عند الطبري في تفسيره (٢٤/ ٢٤)، وهذا هو الصحيح، فإن عبدالرزاق رواه في تفسيره (٣/ ٣٦٢) عن معمر عن رجل عن عكرمة مرسلا، فلو كان عنده موصولا لما اقتصر علىٰ هذا المرسل، وإسحاق بن إبراهيم هو الدبري لا ابن راهويه، لأن الراوي عنه: محمد بن علي الصنعاني، شيخ الحاكم سمع منه بمكة أحاديث =

وفي رواية أخرىٰ: «أن الوليد بن المغيرة اجتمع، ونفر من قريش، وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم فقال: إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيًا واحدًا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا، ويرد بعضكم قول بعض، فقالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقُل، وأقم لنا رأيًا نقوم به، فقال: بل أنتم فقولوا وأنا أسمع، فقالوا: نقول كاهن، فقال: ما هو بكاهن، لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكاهن[1]، فقالوا: نقول مجنون، فقال: ما هو بمجنون، لقد رأينا المجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته، قالوا: فنقول شاعر، فقال: ما هو بشاعر، قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريظه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر[2]، قالوا: فنقول ساحر، قال: فما هو بساحر، قد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثه ولا عُقَده، فقالوا: ما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله حلاوة، وإن أصله لغَدق، وإن فرعه لجنىٰ، فما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل، وإنَّ أقرب القول أن تقولوا: ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه[3]، وبين المرء وبين أخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته.

فتفرقوا عنه، فجعلوا يجلسون للناس حين[4] قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا له[5] أمره، فأنزل الله تعالىٰ في الوليد بن المغيرة، وذلك من قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١] إلىٰ قوله: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾

= الدبري، وصرح بذلك في أول حديث رواه عنه في المستدرك (١/ ٢١٤)، فقد يكون الدبري أخطأ في هذا الحديث، والله أعلم.

(١) كتب في الأصل ظ: الكهان ثم ضرب عليه وكتب الكاهن. وفي (ل، د): الكهان.

(٢) في (ب): بشعر.

(٣) في (ب): ابنه، وهو مهمل في (ل) فيحتمل كلا الكلمتين.

(٤) في (ب): حتىٰ.

(٥) في (ب): لهم.

[المدثر: ٢٦]، وأنزل في النفر الذين كانوا معه: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١]، أي أصنافًا[١].

وروىٰ ابن إسحاق، عن شيخ من أهل مصر، عن عكرمة عن ابن عباس، قال: قام النضر بن الحارث فقال: «يا معشر قريش، والله لقد نزل بكم أمر ما ابتليتم بمثله، لقد كان محمد فيكم غلامًا حدثًا، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثًا، وأعظمكم أمانة، حتىٰ إذا رأيتم في صدغه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به قلتم: ساحر، لا والله ما هو بسحر، قد رأينا السحرة ونفثهم وعُقَدهم، وقلتم: كاهن، لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة وسمعنا سجعهم، وقلتم: شاعر، لا والله ما هو بشاعر، لقد روينا[٢] الشعر، وسمعنا أصنافه كلها؛ هزجه ورَجَزَه[٣] وقريظه، وقلتم: مجنون، ولا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا المجنون فما هو بخنقه، ولا تخليطه، يا معشر قريش انظروا في شأنكم، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم.

وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش، وممن يؤذي رسول الله ﷺ، وينصب له العداوة[٤].

---

(١) رواه ابن إسحاق في السيرة (انظر: سيرة ابن إسحاق ١٥٠، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٤٣) من طريق محمد بن أبي محمد مولىٰ آل زيد بن ثابت عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس، ومن طريقه البيهقي في (دلائل النبوة ٢/ ٢٠٠) وهذا إسناد يتكرر كثيرا عند ابن إسحاق، ومحمد بن أبي محمد مجهول (ميزان الاعتدال ٤/ ٢٦).

(٢) في (ب): رأينا. وفي (ل): روانا.

(٣) في (ب): وزجره.

(٤) رواه ابن إسحاق في السيرة (٢٠١، وانظر: سيرة ابن هشام ١/ ٢٦٥) ومن طريق ابن إسحاق: رواه الطبري في التفسير (١٧/ ٣٩٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٠١)، وعندهم: حدثني شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس.

قال: وحدثني الزهري قال: «حُدثتُ أنَّ أبا جهل وأبا سفيان، والأخنس بن شريق، خرجوا ليلةً ليسمعوا من رسول الله ﷺ، وهو يصلي في الليل في بيته، وأخذ كل رجل منهم مجلسًا ليستمع فيه، وكلا[(١)] لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتىٰ إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا، فجمعتهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئًا، ثم انصرفوا، حتىٰ إذا كانت الليلة الثانية، عاد كل رجل منهم إلىٰ مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتىٰ إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قال أول مرة، ثم انصرفوا، فلما كانت الليلة الثالثة فعلوا كذلك، ثم جمعتهم الطريق فتعاهدوا أن لا يعودوا، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه، ثم أتىٰ أبا سفيان في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد، فقال: يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء أعرفها، وأعرف ما يراد بها، فقال الأخنس: وأنا، والذي حلفت به، ثم خرج من عنده حتىٰ أتىٰ أبا جهل فدخل عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد، فقال: ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف؛ أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، ثم إذا تجاثينا علىٰ الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتىٰ ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به ولا نصدقه أبدًا»[(٢)].

وكذلك رُويَ عن المغيرة بن شعبة، أن أبا جهل قال له مثل ذلك، وقال: إني لأعلم أن ما يقول حق، ولكن بني قصي قالوا: فينا الندوة، قلنا: نعم، فينا

---

(١) كذا في الأصول (ظ،ب) مجودا، وفي (ل، د): وكل.

(٢) سيرة ابن إسحاق ص١٩٠. وانظر: دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٢٠٦، تاريخ الإسلام ١/ ٥٦١.

الحجابة، فقلنا: نعم، فينا السقاية، فقلنا: نعم[١]. وذكر نحوه[٢].

وقد كانوا يرسلون إلىٰ أهل الكتاب ليسألوهم عن أمره ﷺ[٣].

فقال محمد بن إسحاق: حدثني شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة، عن عكرمة[٤]، عن ابن عباس قال: «بعثت قريش النضر بن

---

(١) كذا في الأصول كلها.

(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٠٧) من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن المغيرة، ولفظه: عن المغيرة بن شعبة قال: «إن أول يوم عرفت رسول الله ﷺ أني أمشي أنا وأبو جهل إذ لقينا رسول الله ﷺ، فقال لأبي جهل: يا أبا الحكم، هلم إلىٰ الله وإلىٰ رسوله، أدعوك إلىٰ الله. فقال أبو جهل: يا محمد، هل أنت منته عن سب آلهتنا، هل تريد إلا أن نشهد أن قد بلغت، فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حقا ما اتبعتك. فانصرف رسول الله ﷺ، وأقبل علي فقال: والله إني لأعلم أن ما يقول حق، ولكن بني قصي قالوا: فينا الحجابة، فقلنا: نعم، فقالوا: فينا الندوة، قلنا: نعم، ثم قالوا: فينا اللواء، فقلنا: نعم، وقالوا: فينا السقاية، فقلنا: نعم، ثم أطعموا وأطعمنا حتىٰ إذا تحاكت الركب قالوا: منا نبي، والله لا أفعل».
وهشام بن سعد فيه ضعف، ولكنه كان يتيم زيد بن أسلم، ولذا قال أبو داود: أثبت الناس في زيد بن أسلم (سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٤٥، ميزان الاعتدال ٤/ ٢٩٨)، لكن في رواية زيد بن أسلم عن المغيرة انقطاع والله أعلم.

(٣) في هامش الأصل ظ حاشية فيها:
[قال الإمام أحمد: ثنا حسين بن حسن، حدثنا أبو كدينة، ثنا أبو كدينة، عن عطاء بن السائب، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عبد الله، قال: مر يهودي برسول الله ﷺ، وهو يحدث أصحابه قال: فقالت قريش: يا يهودي، إن هذا يزعم أنه نبي فقال: لأسألنه عن شيء لا يعلمه إلا نبي، قال: فجاء حتىٰ جلس، ثم قال: يا محمد، مم يخلق الإنسان؟ قال: «يا يهودي، من كل يخلق: من نطفة الرجل، ومن نطفة المرأة، فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة، منها العظم والعصب، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة، منها اللحم والدم»، فقام اليهودي، فقال: هكذا كان يقول من قبلك].
وهذا الحديث رواه أحمد (٤٤٣٨)، وفيه حسين بن حسن الأشقر ضعيف الحديث، وقد توبع فيه، إلا أن عطاء بن السائب مختلط، والله أعلم.

(٤) في (ب، ل، ط النيل) زيادة: مولىٰ ابن عباس.

الحارث وعقبة بن أبي مُعيط إلىٰ أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم: اسألوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتىٰ قدما المدينة، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالا: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال: فقالت لهم أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل (ظ٣٤)، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فرَوْا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طوَّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فإنه نبي فاتبعوه، وإن هو لم يخبركم فهو رجل متقوِّل، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم.

فأقبل النضر وعقبة حتىٰ قدما مكة علىٰ قريش، فقالا: يا معشر[1] قريش، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور، فأخبروهم بها، فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد، أخبرنا، فسألوه عما أمروهم به، فقال لهم رسول الله ﷺ: أخبركم، فجاءه جبريل من الله بسورة الكهف[2]، فيها خبر ما سألوه عنه، من أمر الفتية، والرجل الطواف، وقول الله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥]»[3].

---

(١) في (ب): معاشر.

(٢) في (ب): أصحاب الكهف.

(٣) رواه ابن إسحاق في السيرة ص٢٠٢، (وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٦٦)، ومن طريقه الطبري في التفسير ١٥/ ١٤٣، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٧٠).

قال ابن إسحاق: بلغني أن رسول الله ﷺ افتتح السورة فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني محمدًا، إنك رسولي في تحقيق ما سألوا عنه من نبوته ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا﴾ أي أنزله قيِّما أي معتدلا لا اختلاف فيه.

وذكر تفسير السورة إلىٰ قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ أي: وما قدروا من قدرتي[1]، وفيما صنعت في أمر الخلائق، وما وضعت علىٰ العباد من حجتي، ما هو أعظم من ذلك[2].

وقال مجاهد: «ليسوا بأعجب آياتنا[3]، من آياتنا من هو أعجب من ذلك»[4].

وفي تفسير العوفي[5] عن ابن عباس: «الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب، أفضل من شأن أصحاب الكهف»[6].

قلت[7]: والأمر علىٰ ما ذكره السلف، فإنَّ قصة أصحاب الكهف هي من آيات الله، فإنَّ مُكثهم نيامًا لا يموتون ثلاثمائة سنة آية دالة علىٰ قدرة الله ومشيئته، وأنه يخلق ما يشاء، ليس كما يقوله أهل الإلحاد.

---

(١) في (ب، ل، ط النيل): قدري.
(٢) سيرة ابن إسحاق ص٢٠٣.
(٣) في (ب): من آياتنا. وما بين القوسين ليس في (ل).
(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (١٧/ ٦٠١)، وروىٰ نحوه عن قتادة وابن إسحاق.
(٥) في (ب): البغوي، وهو تصحيف.
(٦) رواه ابن جرير في تفسيره ١٧/ ٦٠١، والعوفي هو: عطية بن سعد العوفي، ضعيف الحديث (الكامل لابن عدي ٧/ ٨٤)، وله نسخة عن ابن عباس تروىٰ من طريق آل بيته، وهي من النسخ التفسيرية الضعيفة المشهورة.
(٧) ليست في (ب،ل).

وهي آيةٌ على معاد الأبدان، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ﴾ [الكهف: ٢١].

وكان الناس قد تنازعوا في زمانهم:

هل تعاد الأرواح دون الأبدان، أم الأرواح والأبدان، فجعل الله تعالى أمرهم آية لمعاد الأبدان(١).

وإخبار النبي ﷺ بقصتهم من غير أن يُعلِّمه بشر آية على نبوته، فكانت قصتهم آية على أصول الإيمان الثلاثة: الإيمان بالله، واليوم الآخر، والإيمان برسوله.

ومع هذا فليسوا من آيات الله بعجب، بل من آيات الله ما هو أعجب من ذلك.

وقد ذكر الله تعالى سؤالهم له عن الآيات التي كانوا يسألوه(٢) عنها ليعلموا: هل هو نبي صادق أم كاذب؟ فقال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف: ٧]، إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢]، إلى قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥، ١٠٦]، إلى قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن

---

(١) ذكر ذلك بعض المفسرين، قال عكرمة: «تنازعوا في الأرواح والأجساد، فقال المسلمون: البعث للأرواح والأجساد، وقال بعضهم: البعث للأرواح دون الأجساد، فبعثهم الله من رقادهم وأراهم أن البعث للأرواح والأجساد». (انظر: جامع البيان للطبري ١٧/ ٦٤٠، والكشف والبيان للثعلبي ٦/ ١٦٢).

(٢) في (ب): سالوه.

قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩].

وقال تعالىٰ لما ذكر قصة (ظ٣٦) أهل الكهف التي سألوه عنها: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٨٣]، أي يسألونك عن ذاك، ويسألونك عن هذا.

والقرآن مملوء من إخباره عن الغيب الماضي، الذي لا يعلمه أحد من البشر، إلاَّ من جهة الأنبياء الذين أخبرهم الله بذلك، ليس هو الشيء الذي تزعمه ملاحدة المتفلسفة، فإن هذه الأمور الغيبية المعينة المفصلة لا يؤخذ خبرها قط إلا عن نبي، كموسىٰ ومحمد صلىٰ الله عليهما وسلم، وليس أحد ممن يدعي المكاشفات؛ لا من أولياء الله، ولا من غير أولياء الله يخبر بشيء من ذلك، ولهذا كان هذا من أعلام الأنبياء وخصائصهم التي لا يشركهم فيها غيرهم.

وأهل الملل متفقون علىٰ ما دل عليه العقل الصريح من أن هذا لا يُعلم إلا بخبر نبي؛ فإذا كان محمد قد أخبر من ذلك بما أخبر به موسىٰ وغيره من الأنبياء، وأخبر بما يعلمونه مما لا يعلمه أحد إلا بالتعلم منهم، وقد عرف أنَّ محمدا لم يتعلم هذا من بشر، كان هذا آية وبرهانًا قاطعًا علىٰ نبوته، ثم العلم بأنَّ محمدا لم يتعلم هذا من بشر يحصل[1] بوجوه:

---

(١) في (ب، ل): يحصل في حياته أما قومه..

-أمَّا قومه المباشرون له، الخبيرون بحاله، فكانوا يعلمون أنه لم يتعلم هذا من بشر، فقامت عليهم الحجة بذلك.

-وأمَّا من لم يعرف حاله إلاَّ بالسماع فيعلم ذلك بطرق:

منها: تواتر أخباره، وكيف كان من حين ولد إلىٰ أن مات، كما هي مستفيضة مشهورة متواترة، يعلمها من كان له خبرة بذلك، أعظم مما يُعلم به حال موسىٰ وعيسىٰ عليهما الصلاة والسلام، فإنَّ محمدا ﷺ ظهر أمره، وانتشرت أخباره، وتواترت أحواله، أعظم من جميع بني آدم؛ فما بقي ما دون هذا من أحواله يخفىٰ علىٰ الناس فكيف مثل هذا؟

ومنها: أنه أخبر[1] في القرآن بما لا يوجد عند أهل الكتاب، مثل: قصة هود وصالح وشعيب، وبعض التفاصيل في قصة إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ؛ مثل تكليم المسيح في المهد، ومثل نزول المائدة، فإنَّ هذا لا يعرفه أهل الكتاب[2]، ومثل إيمان امرأة فرعون، وغير ذلك؛ فيمتنع أن يُقال: إنَّ هذا تعلمه من أهل الكتاب، وقومه لم يكونوا يعلمون ذلك.

بل قد رأوا هُم[3] وغيرهم آثار المنذَرين الذين عاقبهم الله لما كذبوا الرسل، كقوم عاد وثمود وغيرهم؛ فيستدلُّ الناس بالآثار الموجودة علىٰ صدق الرسل، وعقوبة الله لمن يكذبهم، ويستدل قومه وغيرهم علىٰ صدقه فيما أخبر به من هذه الأمور التي لم يتعلمها من أهل الكتاب بتصديق أهل الكتاب له فيما

---

(١) في (ب): قد أخبر.

(٢) هنا في زيادة في الأصل: إلا. فصارت الجملة: لا يعرفه إلا أهل الكتاب، وفي سائر النسخ بحذف إلا، وهو الصحيح، لأنه قرر أول الكلام أن هذا مما لا يعرفه أهل الكتاب.

(٣) في (ب، ل): أراهم.

وافقهم فيه، مع علمهم أنه لم يتعلم ذلك منهم، ويكون هذا مما يدل علىٰ أنه لم يتعلم ذلك من أهل الكتاب[1] كما قد يظنه بعضهم، وذلك من الوجهين كما تقدم.

ومنها: أنَّ أكثر قومه كانوا من أعظم الناس عداوة له، وحرصًا علىٰ تكذيبه والطعن فيه، وبحثًا عما به يقدحون فيه، فلو كان قد تعلم هذه الأخبار من بشر لكانوا يعلمون ذلك، ويقدحون به فيه ويظهرونه، وكان[2] ذلك مما يظهر أعظم مما ظهر غيره؛ فلما لم يقع ذلك دلَّ علىٰ أنهم لم يكونوا يعلمون ذلك، ولم يتمكنوا من القدح به فيه مع علمهم بحاله، ورغبتهم في القدح فيه، ومع كمال الداعي والقدرة يجب وجود المقدور، فلما كان داعيهم تامًّا ولم يقدحوا؛ عُلم أن ذلك لعجزهم، وعجزهم عن القدح مع علمهم بحاله دليل علىٰ أنهم علموا أنَّه لم يتعلمه من بشر.

ومنها: أن يُقال: مثل هذا لو وقع لكان من أعظم ما تتوفر الهمم والدواعي علىٰ نقله، ويشيع[3]، بل كان المتبعون له المؤمنون به إذا اطلعوا علىٰ ذلك فلا بد أن يشيعوه ويعلنوه، فكيف (ظ٣٧) المخالفون له المكذبون له؟ فإنَّ القوم المتفرقين الذين لم يتواطؤوا -كما لا يجتمعون علىٰ تعمد الكذب- فلا يجتمعون علىٰ كتمان مثل هذا، بل يجتهد الملوك والرؤساء في إخفاء ما يبطنونه من أمر ملكهم الذي بنوه عليه، ويُحلِّفون أولياءهم علىٰ كتمان ذلك، ويبذلون لهم الرغبة والرهبة في ذلك، ثم يظهر ذلك.

---

(١) في (ب، ل) زيادة: شيئا.
(٢) هامش الأصل ظ: ولكان. وفوقها: خ، أي من نسخة أخرىٰ. وكذا ثبت في (ب، ل).
(٣) ليست في (ب، ل).

-كما فعل القرامطة الباطنية من أهل البحرين، وبني عبيدالله بن ميمون القداح[1]، وكما عرف الناس أنَّ النُّصيرية لهم خطاب يسرونه إلىٰ أوليائهم، وإن لم يعلم أكثر الناس ما ذلك الخطاب الذي يسرونه[2]-.

لا سيما والذين آمنوا بمحمد ﷺ واتبعوه -أولاً من المهاجرين كانوا مؤمنين به باطنًا وظاهرًا، هجروا لأجله الأوطان والأهل والمال، وصبروا علىٰ أنواع المكاره والأذىٰ- طائفة كبيرة ذهبت إلىٰ الحبشة، مهاجرة بدينها لما عذبها المخالفون له حتىٰ يرجعوا عن دينه، وطائفة كانوا بمكة يعذبون: هذا يُقتل، وهذا يخرج به إلىٰ بطحاء مكة في الحرِّ وتوضع الصخرة علىٰ بطنه حتىٰ يكفر، (فلا يكفر)[3]، وهذا يمنع رزقه ويترك جائعا عُريانا، ثم إنهم هجروا أحبَّ البلاد إليهم، وأفضلها عندهم: مكة أم القرىٰ إلىٰ مدينة كانوا فيها محتاجين إلىٰ أهلها، وتركوا أموالهم بمكة.

قال[4] تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]، وقال تعالىٰ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ

(١) انظر عن القداح وأسراره: كشف أسرارا الباطنية ص٣٢ فما بعد.
(٢) انظر لخطابهم ما ذكره المصنف في الفتاوىٰ ٢٨/ ٥٥٣، ٣٥/ ١٤٥، وشيخ الإسلام من أخبر الناس بالنصيرية، حيث كانوا في بلاد الشام.
(٣) ليست في (ب، ل).
(٤) في (ب، ل): كما قال تعالىٰ.

عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وقال تعالىٰ: ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ [الممتحنة: ١].

وجميع المهاجرين والأنصار آمنوا به طوعًا واختيارًا، قبل أن يؤمر أحد بقتال، بل مكث بمكة بضع عشرة سنة لا يقاتل[١] أحدًا، ولم يُؤمر بقتال، بل كان لا يُكره أحدًا علىٰ الدين كما قال تعالىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وكانوا خلقًا كثيرًا، ومعلوم أن الخلق الكثير[٢] الذين اتبعوا شخصًا قد جاء بدين لا يوافقه عليه (في زمنه)[٣] أحد، وطلب منهم أن يؤمنوا به ويتبعوه، ويفارقوا دين آبائهم، ويصبروا[٤] علىٰ عداوة الناس لهم وأذاهم، ويهجروا لأجله ما ترغب النفوس فيه من الأهل والمال والوطن، وهو مع ذلك لم يُعط أحدًا منهم مالاً، ولا كان له مال يعطيهم إياه، ولا ولَّىٰ أحَدا ولاية، ولم يكن عنده ولاية يوليهم إياها، ولا أكره أحدا، ولا بقرصة في جلده، فضلاً عن سوط[٥] أو عصا أو سيف، وهو مع ذلك يقول عما يخبرهم به من الغيب: الله تعالىٰ أخبرني به، لم يخبرني بذلك بشر.

فلو كانوا يعلمون مع ذلك[٦] أنه تعلمه من بشر لكان هذا مما يقوله

---

(١) في (ظ) وضع النقطتين من أسفل فصارت: يقايل.
(٢) ليست في (ب).
(٣) ليست في (ب، ل).
(٤) في (ب): ويصيروا.
(٥) في (ب): «يقرضه في جلده فضلا عن صوت».
(٦) في (ب، ل): «مع ذلك يعلمون».

بعضهم لبعض، ويمتنع في جبلَّة بني آدم وفطرهم[1] أن يعلموا أنه كاذب وأنه قد تعلم هذا من بشر، وليس فيهم من يخبر بذلك، مع أنهم كانوا كثيرين لا يمكن تواطؤهم علىٰ الكذب أو الكتمان، بل ولا داعي لهم يدعوهم إلىٰ ذلك، ويمتنع أن لا يعلموا ذلك، وهم بطانته المطلعون علىٰ أحواله، وهم يسمعون كلام أعدائه المطلعين علىٰ حاله.

والقرآن كان ينزل شيئًا فشيئًا، لم ينزل جملة، بل كانوا يسألونه عن الشيء بعد الشيء من الغيب بين الذين آمنوا به وباطنوه واطلعوا علىٰ أسراره، وهو لا يعلم (ظ٣٨) شيئًا من ذلك، ثم يخبرهم به، وهم مطلعون علىٰ أمره خبرًا بعد خبر، وسؤالاً بعد سؤال، وهذا كان بمكة، وليس بها أحد من علماء أهل الكتاب، لا اليهود ولا النصارىٰ.

ثم هاجر إلىٰ المدينة وبها خلق كثير من اليهود؛ قينقاع والنضير وقريظة، ولعلهم كانوا بقدر نصف أهلها، أو أقل أو أكثر، وهم أيضًا يسألونه عن الغيوب التي لا يعلمها إلاَّ نبي فيخبرهم بها، ويتلو عليهم ما سأله[2] عنه المشركون من الغيب، وما أخبرهم به، ويتلو عليهم هذا الغيب الذي أوحاه الله إليه، ويبين أنَّ الله تعالىٰ علَّمه ذلك، لم يُعلمه إياه بشر، فآمن به طائفة من أهل الكتاب وكفرت به[3] طائفة أخرىٰ، والطائفتان ليس فيهم من يقول: إنَّ هذا تعلمتَه منا أو من إخواننا أو نظرائنا، ولا إنك قرأته في كتبنا.

مع أنه لو كان قد تعلم ذلك منهم لكان شيوخه منهم وشيوخهم[4] إذا

---

(١) في (ب): «وفطرتهم».
(٢) في (ب): «سألوه».
(٣) ليست في (ب).
(٤) في الأصل (ظ): «أو شيوخهم» وما ثبت أجود.

علموا أنه كاذب تعلَّم[1] منهم يمتنع أن يصدقوه باطنًا وظاهرًا، بل تصديقهم للكتاب الأول، وعلمهم بكذب من ادعىٰ نزول كتاب ثان -وقد تعلم منهم- يدعوهم إلىٰ أن يبينوا أمره، ويظهروا كذبه، ويقولوا للناس: تعلم منا، ونحن أخبرناه بذلك، لا سيما مع ما فعله باليهود من القتل والسبي والحصار[2].

وهذا لو وقع لكان من أعظم ما تتوفر الهمم والدواعي علىٰ نقله، ينقله الموافق والمخالف، فلما لم يقل ذلك أحد ولم ينقله أحد -مع ما أظهره من الأخبار المستفيضة[3] المتواترة التي علمها الخاص والعام، بأنَّ هذا إنَّما أنبأني الله به لم يخبرني به بشر- كان هذا دليلاً قاطعًا بينًا في أنَّ هذه الأخبار الغيبية التي لا يعلمها إلاَّ نبي أو من تعلمها من نبي (أعلمه الله بها)[4] هي مما أنبأه الله به، ولم يعلمه ذلك بشر، وهذا من الغيب الذي قال الله تعالىٰ فيه في السورة التي ذكر فيها استماع الجن للقرآن وإنذار قومهم به[5] حيث قال: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ١-٣]، إلىٰ قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَـٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ

---

(١) في (ب، ل، ط النيل): تعلمه.

(٢) في (ب، ل، ط النيل): من القتل والحصار والجلاء والسبي وغير ذلك.

(٣) ليست في (ب، ل).

(٤) ما بين القوسين ليس في (ب، ل).

(٥) ليست في (ب).

إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ [الجن: ١٩-٢٨].

فقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ﴾(١) يبين أنه غيب يضاف إليه يختص به، لا يعلمه أحد إلا من جهته، بخلاف ما يغيب عن بعض الناس ويعلمه بعضهم، فإن هذا قد يتعلمه بعضهم من بعض.

(قال تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾.

فهذه أنباء الغيب التي أوحاها إليه هي من الغيب الذي لا يظهر الله عليه أحدا، إلا من ارتضىٰ من رسول، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه (ظ٣٩) رصدا، يرصدون من يأتيه من إنسي وجني فيدفعونه، ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم)(٢) (٣).

---

(١) زاد في (ب): أحدا.

(٢) ما بين القوسين ليس في (ب، ل).

(٣) قال ابن عباس: «قوله: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ فأعلم الله سبحانه الرسل من الغيب الوحي وأظهرهم عليه بما أوحي إليهم من غيبه، وما يحكم الله، فإنه لا يعلم ذلك غيره».
وأما قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ فقد قال ابن جرير: «فإنه يرسل من أمامه ومن خلفه حرسا وحفظة يحفظونه، ثم روىٰ عن الضحاك قال: كان النبي ﷺ إذا بعث إليه الملك بالوحي بعث معه ملائكة يحرسونه من بين يديه ومن خلفه، أن يتشبه الشيطان علىٰ صورة الملك» (تفسير الطبري ٢٣/ ٦٧١).
=

فمما سأله عنه أهل الكتاب في المدينة مسائل، وهي غير المسائل التي كان يُسأَل عنها وهو بمكة، كما كان مشركو قريش يرسلون إلىٰ اليهود بالمدينة، يسألونهم[1] عن محمد ﷺ، فيرسل اليهود إليهم[2] بمسائل يمتحنون بها نبوته.

وذلك مثل:

ما في صحيح البخاري عن أنس قال: «جاء عبد الله بن سلام إلىٰ رسول الله ﷺ مقدمه المدينة فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلاَّ نبي: ما أول أشراط الساعة، وما أول طعام يأكله أهل الجنة، والولد ينزع إلىٰ أمه وإلىٰ أبيه، قال: أخبرني جبريل آنفًا، قال عبدالله[3]: ذاك عدو اليهود من الملائكة.

= وقال ابن كثير: «وقوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ هذه كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وهكذا قال هاهنا: إنه يعلم الغيب والشهادة، وإنه لا يطلع أحد من خلقه علىٰ شيء من علمه إلا مما أطلعه تعالىٰ عليه؛ ولهذا قال: ﴿فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ وهذا يعم الرسول الملكي والبشري.

ثم قال: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾ أي: يختصه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله، ويساوقونه علىٰ ما معه من وحي الله؛ ولهذا قال: ﴿لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾.

وقد اختلف المفسرون في الضمير الذي في قوله: ﴿لِّيَعۡلَمَ﴾ إلىٰ من يعود؟ فقيل: إنه عائد إلىٰ النبي ﷺ.. ثم ذكر القول الثاني: وهو ليعلم أهل الشرك ومن كذب الرسل أنهم قد ابلغوا رسالات ربهم» (تفسير ابن كثير ٨/ ٢٤٧).

(١) في (ب، ل، د): يسألوهم.

(٢) في (ب): فيرسلون إليهم اليهود بمسائل يمتحنون، وفي (ل، د) مثله لكن قدم اليهود.

(٣) ليست في (ب).

«أمَّا[١] أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلىٰ المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت[٢]، وأما الولد فإذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة نزع الولد إلىٰ أبيه، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إلىٰ أمه».

فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله، قال: يا رسول الله، إنَّ اليهود قوم بهت، فإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني[٣] عندك، فجاءت اليهود، فقال لهم النبي[٤] ﷺ: أي رجل عبد الله فيكم، قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، وعالمنا وابن عالمنا، قال: أرأيتم إن أسلم عبد الله، قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج إليهم عبد الله (بن سلام)[٥] فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا، وتنقصوه، قال: فهذا ما كنت أخاف وأحذر»[٦].

وروىٰ مسلم في صحيحه عن ثوبان قال: «كنت قائما عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود، وقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يُصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ قال: قلت: ألا تقول يا رسول الله؟ قال: إنما سمَّيته باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: إن اسمي الذي سماني به أهلي محمد، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال رسول الله ﷺ: ينفعك

---

(١) كذا في الأصول، والقول من هنا للنبي ﷺ. وقد رواه البخاري في موضعين، قال في كل منهما: قال..الخ.

(٢) في (د): الحوت.

(٣) في هامش (ب): يتهموني.

(٤) في (د): رسول الله.

(٥) ليست في (ب، ل، د، ط النيل).

(٦) صحيح البخاري (٣٩٣٨)(٤٤٨٠).

شيء إن حدثتك، قال: أسمع بأذني، فنكت بعود معه، فقال له: سل، فقال اليهودي: أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال: رسول الله ﷺ: في الظلمة دون الجسر، قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: فقراء المهاجرين، فقال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: زيادة كبد نون(١)، قال: وما غذاؤهم علىٰ أثره؟ قال: ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها، قال: فما شرابهم عليه؟ قال: من عين فيها(٢) تسمىٰ سلسبيلا، قال: صدقت، قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان، قال: ينفعك إن حدثتك، قال: أسمع بأذني، قال: جئت أسألك عن الولد، قال: ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منيُّ الرجل منيَّ المرأة أذكرَ بإذن الله، وإذا علا منيُّ المرأة منيَّ الرجل آنثا بإذن الله(٣).

فقال اليهودي: صدقت، وإنك لنبي، ثم انصرف.

فقال: النبي ﷺ: إنه سألني عن هذا الذي سألني عنه وما أعلم شيئًا منه حتىٰ أتاني به الله تعالىٰ»(٤).

وروىٰ(٥) أبو داود الطيالسي: حدثنا عبد الحميد بن بهرام، عن شَهر بن حوشب، عن ابن عباس، قال: «حضرتْ عصابة من اليهود يومًا إلىٰ(٦)

---

(١) في رواية أخرىٰ عند مسلم: زائدة كبد الحوت، والمقصود طرف الكبد، وهو أطيبها.
(٢) ليست في (ب).
(٣) قدم وأخر في (ب).
(٤) صحيح مسلم(٣١٥).
(٥) في الأصل د: «ورواه عبد بن حميد في تفسيره عن احمد بن يونس عن عبدالحميد به». وهذا حاشية في الأصل أدرجها الناسخ كما سيأتي في التعليقة في آخر الحديث.
(٦) ليست في (د)، وفي (ب): أتوا. وفي (ل): فقالوا يا رسول الله حدثنا عن خلال..

النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله (ظ ٤٠) حدثنا عن خلال نسألك عنها لا يعلمها إلا نبي، فقال: سلوني عما شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب علىٰ بنيه إن أنا حدثتكم بشيء تعرفونه صدقا لتبايعوني(١) علىٰ الإسلام(٢)، فقالوا: لك ذلك، قال: فسلوني عما شئتم، قالوا: أخبرنا عن أربع خلال: أخبرنا عن الطعام الذي حرم إسرائيل علىٰ نفسه من قبل أن تنزل التوراة، وأخبرنا عن ماء الرجل كيف يكون الذكر منه حتىٰ يكون ذكرا، وكيف تكون الأنثىٰ حتىٰ تكون أنثىٰ، وأخبرنا كيف هذا النبي في النوم، ومن وليك من الملائكة(٣)؟

قال: فعليكم عهد الله وميثاقه لئن أنا حدثتكم لتبايعوني، فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق، قال: أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة علىٰ موسىٰ هل تعلمون أن إسرائيل - يعقوب - مرض مرضًا شديدًا طال سقمه فيه؛ فنذر لله نذرًا لئن شفاه الله من سقمه ليحرمنَّ أحب الشراب إليه، وأحب الطعام إليه(٤)، وكان أحب الشراب إليه ألبان الإبل، وكان أحب الطعام إليه لحوم الإبل؟

قالوا: اللهم نعم.

فقال رسول الله ﷺ: اللهم اشهد عليهم، قال: فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، الذي أنزل التوراة علىٰ موسىٰ هل تعلمون أنَّ ماء الرجل غليظ أبيض(٥)، وأن ماء المرأة رقيق أصفر، فأيهما علا كان الولد والشبه له بإذن الله؟

---

(١) في (د، ل): لتتابعوني.

(٢) حاشية بهامش الأصل: [شيئا فعرفتموه لتبايعني علىٰ الإسلام].

(٣) حاشية بهامش الأصل: [في عبد وأحمد: وأخبرنا كيف هذا النبي الأمي في النوم، ومن وليه من الملائكة].

(٤) في (ب): قدم الطعام علىٰ الشراب.

(٥) في (ب): أبيض غليظ.

قالوا: اللهم نعم.

فقال: اللهم اشهد، قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، وأنزل(١) التوراة علىٰ موسىٰ، هل تعلمون أن هذا النبي(٢) تنام عيناه ولا ينام قلبه؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: اللهم اشهد.

قالوا: أنت الآن حدثنا(٣) مَن وليك من الملائكة، فعندها نجامعك أو نفارقك.

قال: وليي جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم يبعث الله نبيًا قط إلا وهو وليه.

قالوا: فعندها نفارقك، لو كان وليك غيره لاتبعناك وصدقناك، قال: فما يمنعكم أن تصدقوه(٤)، قالوا: إنه عدونا من الملائكة.

فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: ٩٧]. إلىٰ قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]»(٥).

---

(١) في (ب): الذي أنزل.

(٢) في هامش الأصل ظ: [في عبد: الأمي].

(٣) في (ب): حدثتنا، وله وجه من الصحة علىٰ أن ما بعده استئناف.

(٤) في هامش الأصل: [في عبد: أن تصدقوا به]. قلت: وكذا ثبت في (ط النيل، وهامش د).

(٥) في أول الحديث حاشية في الأصل:

[ورواه عبد بن حميد في تفسيره عن أحمد بن يونس عن عبدالحميد به، ورواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده: حدثنا هاشم بن القاسم ثنا عبدالحميد، ثنا شهر، قال: قال ابن عباس فذكره].

والحديث رواه الطيالسي (٢٨٥٤)، وأحمد في المسند (٢٥١٤)، وعبد بن حميد (كما في تفسير ابن كثير ١/ ١٨٦)، وابن جرير الطبري (١/ ٤٣١) وشهر بن حوشب صدوق كثير الأوهام.

وفي هامش الأصل: بلغ.

ففي هذه الأحاديث أنَّ علماء اليهود -كعبد الله بن سلام وغيره- كانوا يسألونه عن مسائل، يقولون فيها: لا يعلمها إلا نبي، أي: ومن تعلمها من الأنبياء، فإن السائلين كانوا يعلمونها، كما جاء - أيضا -: «لا يعلمها إلا نبي أو قليل من الناس»[١].

وكانوا يمتحنونه بهذه المسائل[٢] ليتبين هل يعلمها، وإذا كان يعلم ما لا يعلمه إلا نبي كان نبيًّا، ومعلوم أنَّ مقصودهم بذلك إنما يتم إذا علموا أنه لم يتعلم[٣] هذه المسائل من أهل الكتاب، ومن تعلم منهم، وإلا فمعلوم أن هذه المسائل كان يعلمها بعض الناس، لكن تعلمها هؤلاء من الأنبياء.

وهذا يبين أنَّ هؤلاء السائلين له من أهل الكتاب كانوا يعلمون أنَّ أحدًا من البشر لم يعلمه ما عند أهل الكتاب من العلم، إذ لو جوزوا ذلك عليه لم يحصل مقصودهم من امتحانه هل هو نبي أم لا؟ فإنهم إذا جوزوا أن يكون تعلم ما لا يعلمه إلا نبي من أهل الكتاب، كان من جنسهم، فلم يكن في علمه[٤] بها وإجابتهم عنها دليل علىٰ نبوته، فلا بد أن يكون هؤلاء السائلون يقطعون بأنه لم يتعلم من أهل الكتاب.

وهذا كان بالمدينة بعد أن أقام بمكة بضع عشرة سنة، وانتشر أمره، وكذبه قومه، وحرصوا[٥] علىٰ إبطال دعوته بكل طريق يقدرون عليه، فلو كان بمكة أو

---

(١) في ما سوىٰ الأصل (ظ): أو رجل أو رجلان.
(٢) في (ب): بالمسائل.
(٣) في (ب، ل): يعلم... ومن يعلم.
(٤) في (ب): علمهم.
(٥) في (ب): وحرضوا.

بالمدينة أحدٌ من أهل الكتاب يتعلم منه؛ أو لقي أحدا من أهل الكتاب في طريق فتعلم منه؛ لكان ذلك يقدح في مقصود هؤلاء السائلين، فتبين أنه كان معلوما عند أهل الكتاب أنه لم يتعلم شيئا من الغيب من بشر، لا سيما ولو كان قد تعلمه من أهل الكتاب وقد كذبهم وحاربهم لأظهروا ذلك، ولشاع في أهل الكتاب، فكان إذا أجابهم[1] قالوا: هذا تعلمته من فلان وفلان منا، أو هذا علمكه بعض أهل ديننا.

وهذا كما كانوا (ظ٤١) يرسلون إلىٰ قومه من قريش ليسألوه عن مسائل، ويقولون: إن أخبركم بهنَّ فهو نبي مرسل، وإلاَّ فهو متقول، ويقولون: سلوه عن مسائل لا يعلمها إلاَّ نبي.

فهذا من أهل المدينة ومن قريش قومه يبين أن قومه المشركين وأهل الكتاب كانوا متفقين علىٰ أنه لم يتعلم شيئا من ذلك من البشر، إذ لو جوزوا ذلك لم يحصل مقصودهم بذلك، ولم يجز أن يقولوا لا يعلمها إلا نبي، فإنهم كانوا جميعًا يعلمون أن من أهل الكتاب من يعلم هذه المسائل، وبذلك يعرف هل يجيب فيها بما قالته الأنبياء، أو بخلاف ذلك.

ويعلمون أن من كان يعلمها من أهل الكتاب ومن تعلم منهم لا يدل جوابه عنها علىٰ نبوته؛ كما لو أجاب عن تلك المسائل بعض أهل الكتاب، وكما لو سأل في زماننا بعض الناس لبعض المسلمين عن تلك المسائل أو غيرها من أنباء الغيب التي لا يعلمها إلاَّ نبي، فإن ذلك لا يدل علىٰ نبوته؛ لأنه قد تعلم ذلك من الأنبياء، فدلَّ علىٰ أن مرادهم بقولهم: لا يعلمها إلا نبي: أي لا يعلمها ابتداءً بدون تعليم بشر إلاَّ نبي.

---

(١) في (ب): حدثهم.

ويدلُّ علىٰ أنَّ المشركين وأهل الكتاب كانوا جميعًا متفقين علىٰ أنه لم يتعلم من بشر مع انتشار أخباره، ومع اطلاع قومه علىٰ أسراره، ومع ظهور ذلك لو وجد، مع أنهم لو جوزوا تجويزا أن يكون قد تعلمها من بشر في الباطن لم يجز أن يستدل بها علىٰ نبوته، فدلَّ علىٰ أنهم كانوا قاطعين بأنه لم يتعلم ذلك من بشر، لا في الباطن ولا في الظاهر، وهذا طريق بيِّنٌ يدل علىٰ أنه لم يتعلم ذلك من بشر سوىٰ الطرق المذكورة هنا.

فصل:

ولمَّا كان محمد[1] ﷺ رسولاً إلىٰ جميع الثقلين جنهم وإنسهم، عربهم وعجمهم، وهو خاتم الأنبياء - لا نبي بعده - كان من نعمة الله علىٰ عباده، ومن تمام حجته علىٰ خلقه: أن تكون آياتُ نبوته وبراهين رسالته معلومة لكل الخلق الذين بعث إليهم، وقد يكون عند هؤلاء من الآيات والبراهين علىٰ نبوته ما ليس عند هؤلاء.

وكان يظهر لكل قوم من الآيات النفسية والأفقية ما يبين به أن القرآن حق، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٢، ٥٣].

أخبر سبحانه أنه سيُري العباد الآيات في أنفسهم وفي الآفاق، حتىٰ يتبين لهم أن القرآن حق، فإنَّ الضمير عائد إليه، إذ هو الذي تقدم ذكره، كما قال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ

(١) في (ب): محمد رسول الله.

بَعِيدٍ ﴾ [فصلت: ٥٢].

والضمير في «كان» عائد إلىٰ معلوم، يقول: أرأيتم إن كان القرآن من عند الله، ثم كفرتم به، من أضل ممن هو في شقاق بعيد(١).

فإنه علىٰ هذا التقدير يكون الكافر(٢) في شقاق بعيد، قد شاق الله ورسوله، ولا أحد أضل ممن هو في مثل هذا الشقاق، حيث كان في شق، والله ورسوله في شق(٣)، كما قال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٦، ١٣٧].

---

(١) وفي ذلك يقول ابن جرير: «وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾ يقول جل ثناؤه: أري هؤلاء المشركين وقائعنا بأطرافهم وبهم حتىٰ يعلموا حقيقة ما أنزلنا إلىٰ محمد، وأوحينا إليه من الوعد له بأنا مظهرو ما بعثناه به من الدين علىٰ الأديان كلها، ولو كره المشركون» (تفسير ابن جرير ٢١/ ٤٩٤).
فهذا هو القول الأول في عود الضمير، وهو الذي رجحه المصنف، ونقل ابن الجوزي قولا آخر، وهو: جميع ما دعاهم إليه الرسول (زاد المسير ٤/ ٥٧) والمعنىٰ علىٰ كلا القولين متفق، فإن كل ما دعاهم إليه الرسول إنما هو من مرجعه إلىٰ مشكاة القرآن.

(٢) ليست في (ب، ل).

(٣) الشقاق: هو المخالفة وكونك في شق غير شق صاحبك، أو من شق العصا بينك وبينه (المفردات للراغب الأصفهاني ٤٦٠).
قال ابن جرير: وأصل «الشقاق» عندنا، والله أعلم، مأخوذ من قول القائل: «شق عليه هذا الأمر»، إذا كربه وآذاه. ثم قيل: «شاق فلان فلانا»، بمعنىٰ: نال كل واحد منهما من صاحبه ما كربه وآذاه، وأثقلته مساءته. ومنه قول الله تعالىٰ ذكره: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا﴾ [النساء: ٣٥] بمعنىٰ: فراق بينهما (تفسير الطبري ٣/ ١١٦).

بيَّن أن من تولىٰ عن ذلك لم يكن متبِّعا للحق قاصدًا له، فإن هذا الذي قلتموه لا يتولىٰ عنه من أهل الكتاب من قصده الحق، وإنما يتولىٰ عنه من قصده المشاقة والمعاداة لهوىٰ نفسه، وهذا يكفيك الله أمره[1].

والقرآن إن كان من عند الله ثم كفر به من كفر فلا أحد أضل (ظ٤٢) ممن هو في مثل حاله إذ هو في شقاق بعيد، وإن قُدِّر أنه لم يعلم أنَّه حق فهو ضال، والشقاق قد يكون مع العناد، وقد يكون مع الجهل، فإنَّ الآيات إذا ظهرت فأعرض عن النظر الموجب للعلم كان مُشاقًّا، ولهذا قال عقب ذلك: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

فأخبر أنه سُيري عباده من الآيات الأفقية والنفسية ما يبين[2] أنه حق.

ثم قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]، فإن شهادته وحده كافية بدون ما ينتظر من الآيات، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣].

وشهادته للقرآن ولمحمد تكون بأقواله التي أنزلها قبل ذلك علىٰ أنبيائه، كما قال تعالىٰ عن أهل الكتاب: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠].

(وتكون بأقواله التي أنزلها علىٰ محمد، فإن القرآن نفسه آية بينة ومعجزة قاهرة)[3].

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٣/ ١١٥، الكشاف ١/ ١٩٦.
(٢) في (ب): يبين لهم.
(٣) ما بين القوسين ليس في (ب، ل).

وتكون بأفعاله وهو ما يحدثه من الآيات والبراهين الدَّالة علىٰ صدق رسله، فإنه صدَّقهم بها فيما أخبروا به عنه، وشهد لهم[1] بأنهم صادقون.

والقرآن - نفسه - هو قول الله، وفيه شهادة الله بما أخبر به الرسول، وإنزاله علىٰ محمد وإتيان محمد به هو آية وبرهان، وذلك من فعل الله[2] إذ كان البشر لا يقدرون علىٰ مثله، لا يقدر عليه أحد من الأنبياء، ولا الأولياء، ولا السحرة، ولا غيرهم، كما قال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

ومحمد ﷺ أخبر بهذا في أوَّل أمره، إذْ كانت هذه الآية[3] في سورة «سبحان» وهي مكية، صدَّرها بذكر الإسراء الذي كان بمكة باتفاق الناس[4]، وقد أخبر خبرا وكَّده[5] بالقسم عن جميع الثقلين - إنسهم وجنهم - أنهم إذا اجتمعوا علىٰ أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، بل يعجزون عن هذا[6].

وهذا فيه آيات لنبوته:

منها: إقدامه علىٰ هذا الخبر العظيم عن جميع الإنس والجن إلىٰ يوم القيامة بأنهم لا يفعلون هذا، بل يعجزون عنه.

هذا لا يُقدم عليه مَن يطلب مِن الناس أن يصدقوه إلا وهو واثق بأنَّ الأمر

---

(١) في (ب، ل): «وشهد لهم بها».

(٢) أي إنزاله والإتيان به.

(٣) ليست في (ب).

(٤) هامش ظ: بلغ مقابلة.

(٥) في (ب، ط النيل، د): «واكده».

(٦) في (ب، ل): ذلك.

كذلك، إذ لو كان عنده شك في ذلك لجوز[1] أن يظهر كذبه في هذا الخبر فيفسد عليه ما قصده، وهذا لا يقدم عليه عاقل مع اتفاق الأمم -المؤمن بمحمد، والكافر به- علىٰ كمال عقله ومعرفته وخبرته، إذ ساس العالم سياسة لم يسسهم أحد بمثلها، ثم جعله هذا في القرآن المتلو المحفوظ إلىٰ يوم القيامة، الذي يقرأ به في الصلوات، ويسمعه العام والخاص، والولي والعدو، دليل علىٰ كمال ثقته بصدق هذا الخبر.

وإلاَّ لو كان شاكًّا في ذلك لخاف أن يظهر كذبه عند خلق كثير، بل عند أكثر من اتبعه ومن عاداه، وهذا لا يفعله من يقصد أن يُصدَّق[2]، فمن يقصد[3] أن يُصدقه الناس لا يقول مثل هذا -ويظهره هذا الإظهار، ويشيعه هذه الإشاعة، ويخلده هذا التخليد- إلاَّ وهو جازم عند نفسه بصدقه.

ولا يتصور أن بشرًا يجزم بهذا الخبر[4] إلا أن يعلم أنَّ هذا مما يعجز عنه الخلق، إذ عِلْمُ[5] العالم بعجز جميع الإنس والجن إلىٰ يوم القيامة هو من أعظم دلائل كونه معجزًا، وكونه آية علىٰ نبوته، فهذا من دلائل نبوته في أول الأمر عند من سمع هذا الكلام، وعلم أنه من القرآن الذي أُمر ببلاغه إلىٰ جميع الخلق، وهو وحده كاف في العلم بأن القرآن معجز.

دع ما سوىٰ ذلك من الدلائل الكثيرة علىٰ أنه معجز، مثل:

عجز جميع الأمم عن معارضته مع كمال الرغبة والحرص علىٰ معارضته، وعدم الفعل مع كمال الداعي يستلزم (ظ٤٣) عدم القدرة، فلما كان

---

(١) في (ط النيل وأصلها د): «لجواز».
(٢) في (ب، ل، ط النيل): «يصدقه الناس».
(٣) في (ب): «قصد».
(٤) في (ب): «بهذا الأخبار».
(٥) في (ب): «وهو إذ علم».

داعي[1] العرب وغيرهم على المعارضة تامًّا -(وانتفت المعارضة)[2]- عُلم عجز جميع الأمم عن معارضته، وهذا برهان ثانٍ يعلم به صدق هذا الخبر، وصدق هذا الخبر آية[3] لنبوته غير العلم بأن القرآن معجز، فإن ذلك آية مستقلة لنبوته، وهي آية باقية ظاهرة[4] إلى آخر الدهر، معلومة لكل أحد، وهي من أعظم الآيات.

فإنَّ كونه مُعجزًا يعلم بأدلة متعددة، والإعجاز فيه من[5] وجوه متعددة، فتنوعت دلائل إعجازه، وتنوعت وجوه إعجازه، وكل وجه من الوجوه فهو دليل[6] على إعجازه، وهذه جمل لبسطها تفصيل طويل[7].

ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٠، ٥١]،

---

(١) في (ب، ل): «دواعي».
(٢) سقط (من المطبوعة) وهو ثابت في كل الأصول.
(٣) في (ب): «أنه آية».
(٤) في (ب، ل): «ظاهرة باقية».
(٥) ليست في (ل).
(٦) في (ب، ل): هو دال.
(٧) يفرق الشيخ بين إعجاز القرآن، وبين أوجه إعجاز القرآن، فقد يعلم إعجازه بأدلة من أظهرها الآية التي شرحها آنفا، وهي قوله تعالى ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ﴾الآية، فيعلم بذلك الناس أنه معجز، لكن ليس بالضرورة أن يعلموا أوجه إعجازه، ومنها: الغيبيات التي في القرآن، ويرى المصنف أن ظهور كون القرآن معجز أشهر وأظهر للناس من معرفة أوجه إعجازه، ثم بيَّن العلاقة بين كون القرآن معجزة، وبين أوجه إعجازه، فكل وجه من أوجه إعجازه دليل على إعجازه، وهذا بين لمن تأمله.

فهو كافٍ في الدعوة والبيان، وهو كافٍ في الحجة والبرهان(١).

فصل:

والآيات والبراهين الدالة علىٰ نبوة محمد ﷺ كثيرة متنوعة، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء، ويسمِّيها من يسميها من النُّظَّار «معجزات»، وتُسمىٰ «دلائل النبوة» و «أعلام النبوة» (ونحو ذلك)(٢).

وهذه الألفاظ إذا سُمِّيت بها آيات الأنبياء كانت أدل علىٰ المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ «المعجزات» موجودًا في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ: الآية، والبينة، والبرهان.

كما قال تعالىٰ في قصة موسىٰ: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القصص: ٣٢]، في العصا واليد(٣).

وقال تعالىٰ في حق محمد ﷺ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

---

(١) قال القرطبي (في التفسير ١٣/ ٣٥٥): «قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ هذا جواب لقولهم ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي أو لم يكف المشركين من الآيات هذا الكتاب المعجز الذي قد تحديتهم بأن يأتوا بمثله، أو بسورة منه فعجزوا، ولو أتيتهم بآيات موسىٰ وعيسىٰ لقالوا: سحر ونحن لا نعرف السحر، والكلام مقدور، لهم ومع ذلك عجزوا عن المعارضة».

(٢) ما بين القوسين ليس في (ب، ل).

(٣) البرهان: بيان للحجة، قال الراغب (في المفردات ١٢١): «البرهان أوكد الأدلة، وهو الذي يقتضي الصدق أبدا لا محالة، وذلك أن الأدلة خمسة أضرب: دلالة تقتضي الصدق أبدا، ودلالة تقتضي الكذب أبدا، ودلالة إلىٰ الصدق أقرب، ودلالة إلىٰ الكذب أقرب، دلالة هي إليهما سواء».

وقد قال في مطالبة أهل الدعاوىٰ الكاذبة بالبرهان: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

وقال: ﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤]، وقال: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقال: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٧٤) وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [القصص: ٧٤، ٧٥].

وأما لفظ «الآيات» فكثير في القرآن[١].

كقوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (١٢٣) وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ[٢]﴾ [الأنعام: ١٢٣، ١٢٤].

---

(١) الآية هي الدلالة الواضحة (تفسير الطبري ١٧/ ١٧٩، الكشاف ٢/ ٥٩٧، الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٨٣).
وقال الراغب: «واشتقاق الآية إما من أي فإنها هي التي تبين أيا من أي، أو من قولهم: أوىٰ إليه. والصحيح أنها مشتقة من التأيي الذي هو التثبت والإقامة علىٰ الشيء» (المفردات ١٠٢).

(٢) كذا في الأصول الخطية، وهي قراءة من سوىٰ ابن كثير وحفص، حيث قرآ بالتوحيد (النشر ٢/ ٢٦٢). وهكذا ثبت في المطبوعة و ط النيل، وهو من تغيير المحققين.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١]، وقال: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ(١)﴾ [النمل: ١٢]، وقول فرعون له: ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: ٣١].

وقال قوم صالح له: ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٤، ١٥٥]، وقال: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [الأعراف: ٧٣].

وقال المسيح: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقال في حقِّ محمد: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: ٤، ٥]، (وقال: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾)(٢)، وقال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١، ٢]، وقال (ظ٤٤): ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥].

---

(١) في الأصول زيادة: ﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾، وهي من آية ٢٢ في سورة طه، وليست من آية سورة النمل.

(٢) ما بين القوسين ليس في (ب، ل).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٠،٥١][(١)].

وقال: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣].

وقال: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [آل عمران: ١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ [يونس: ١٥][(٢)].

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١].

وقال لما ذكر قصص الأنبياء في سورة الشعراء، قال في آخر كل قصة: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٩٠ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

---

(١) أخطأ في الأصول كلها في أول الآية، فكتب: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ..﴾ ولم ينتبه لها في ط النيل، ويظهر أن الخطأ قديم لاتفاق الأصول عليه، وهما آيتان: الأولىٰ في طه:١٣٣، والثانية في العنكبوت: ٤٩.

(٢) كتب في (ب): ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ ثم ضرب عليها، وليست في (ل).

وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف: ٧]، إلىٰ أن قال في آخرها: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢] إلىٰ قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥].

وقال: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٠].

وقال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

وأما لفظ «المعجز»، فإنما يدل علىٰ أنه أعجز غيره(١):

كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الزمر: ٥١]، وقال: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [العنكبوت: ٢٢].

---

(١) العجز هو التأخر عن الشيء والضعف، وقال ابن فارس: «عجز عن الشيء يعجز عجزا، فهو عاجز، أي ضعيف. وقولهم إن العجز نقيض الحزم فمن هذا؛ لأنه يضعف رأيه. ويقولون: المرء يعجز لا محالة، ويقال: أعجزني فلان، إذا عجزت عن طلبه وإدراكه. ولن يعجز لله تعالىٰ شيء، أي لا يعجز الله تعالىٰ عنه متىٰ شاء» (معجم مقاييس اللغة ٤/ ١٨٩، وانظر: المفردات ٥٤٨).
وللمصنف رسالة في حد المعجزة وحقيقتها، والفرق بينها وبين الكرامة، عنوانها: قاعدة شريفة في المعجزات والكرامات، وذلك في مجموع الفتاوىٰ: ١١/ ٣١١.
افتتحها بقوله: اسم «المعجزة» يعم كل خارق للعادة في اللغة وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره - ويسمونها: الآيات - لكن كثيرا من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما فيجعل المعجزة للنبي و «الكرامة» للولي وجماعهما الأمر الخارق للعادة.

ومن لا يثبت فعلا إلاَّ لله يقول: المعجز هو الله، وإنما يسمَّىٰ غيره معجزا مجازًا.

وهذا اللفظ لا يدل علىٰ كون ذلك آية ودليلا إلاَّ إذا فسر المراد به وذكر شرائطه، ولهذا كان كثير من أهل الكلام لا يسمي معجزًا إلا ما كان للأنبياء فقط، وما كان للأولياء -إن أثبت لهم خرق عادة- سماها كرامة.

وأحمد وغيره كانوا يسمون هذا وهذا معجزًا[١]، ويقولون لخوارق الأولياء: إنها معجزات، إذ لم يكن في اللفظ ما يقتضي اختصاص الأنبياء بذلك، بخلاف ما كان آية وبرهانًا علىٰ نبوة النبي، فإن هذا يجب اختصاصه به.

وقد يسمون الكرامات آيات، لكونها تدل علىٰ نبوة من اتبعه الولي، فإن الدليل مستلزم للمدلول، يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول، فكذلك ما كان آية وبرهانا -وهو الدليل والعلم علىٰ نبوة النبي- يمتنع أن يكون لغير النبي، وبسط هذا له موضع آخر[٢].

والمقصود هنا أن دلائل نبوة محمد ﷺ كثيرة متنوعة كما قد تكلمنا علىٰ ذلك في غير هذا الكتاب، وبيَّنا أنَّ من يخصص دلائل النبوة بنوع فقد غلط، بل هي أنواع كثيرة.

لكن الآيات نوعان:

منها: ما مضىٰ وصار معلوما بالخبر، كمعجزات موسىٰ وعيسىٰ.

ومنها: ما هو باق إلىٰ اليوم، كالقرآن الذي هو من أعلام نبوة محمد ﷺ،

---

(١) في (ب، ل، ط النيل): «والسلف كأحمد وغيره كانوا يسمون هذا وهذا معجزا».
(٢) انظر: قاعدة شريفة في المعجزات والكرامات مجموع الفتاوىٰ: ١١/ ٣١١.

وكالعلم والإيمان الذين في أَتْباعه، فإنه من أعلام نبوته، وكشريعته التي أتىٰ بها، فإنها أيضا (ظ٤٥) من أعلام نبوته، وكالآيات التي يظهرها الله وقتًا بعد وقت من كرامات الصالحين من أمته، ووقوع ما أخبر بوقوعه، كقوله: «لا تقوم الساعة حتىٰ تقاتلوا الترك»[١].

وقوله: «لا تقوم الساعة حتىٰ تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرىٰ»[٢]، وقد خرجت هذه النار سنة خمس وخمسين وستمائة، وشاهد الناس أعناق الإبل في ضوء النار ببصرىٰ[٣].

وظهور دينه وملته بالحجة والبرهان، واليد والسنان[٤].

ومثل المثلات والعقوبات التي تحيق بأعدائه، (وغير ذلك)[٥].

وكنعته الموجود في كتب الأنبياء قبله، وغير ذلك.

والقرآن كلام الله وفيه الدعوة والحجة، فله به اختصاص علىٰ غيره كما ثبت عنه في الصحيح أنه قال: «ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن علىٰ مثله البشر، وإنما كان الذي أُوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»[٦].

---

(١) رواه البخاري (٢٩٢٨)، ومسلم (٢٩١٢) من حديث أبي هريرة.
(٢) رواه البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٢٩٠٢) من حديث أبي هريرة.
(٣) سيأتي حديث المصنف عن هذه النار قريبا.
(٤) هذا معطوف علىٰ النوع الثاني، وهو: الباقي إلىٰ اليوم. وكذلك ما بعده.
وفي (ل، ب): واللسان.
(٥) ما بين القوسين ليس في (ب).
(٦) رواه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢) من حديث أبي هريرة.

والقرآن يظهر كونه آية له[1] وبرهانًا من وجوه: جملة وتفصيلا[2].

أمّا الجملة:

فإنه قد عَلمت الخاصة والعامة من عامة الأمم عِلمًا[3] متواترًا أنَّه هو الذي أتىٰ بهذا القرآن، وتواترت بذلك الأخبار أعظم من تواترها بخبر كل أحد من الأنبياء والملوك والفلاسفة، وغيرهم.

والقرآن نفسه فيه تحدي الأمم بالمعارضة، والتحدي هو أن يحدوهم: أي يدعوهم ويبعثهم إلىٰ أن يعارضوه، (فيقال فيه)[4]: حداني علىٰ هذا الأمر: أي بعثني عليه، ومنه سمي حادي العيس؛ لأنه بحداه يبعثها علىٰ السير.

وقد يريد بعض الناس بالتحدي دعوىٰ النبوة، ولكن أصله الأول[5].

قال تعالىٰ في سورة الطور: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ

---

(١) أي للنبي ﷺ. وتأخرت (له) في (ب، ل) بعد برهانا.

(٢) هذا الفصل في الحديث عن إعجاز القرآن بناه المصنف علىٰ طريقتين، إجمالية وتفصيلية، وهذا من أحسن ما يلخص به إعجاز القرآن، فحري بطالب العلم حفظه والاعتناء به.
وقد ذكر المصنف نحو هذا المبحث في العقيدة الأصفهانية ص٢٢٠.

(٣) ليست في (ب).

(٤) ليست في (ب).

(٥) التحدي هو المباراة ومنازعة الغلبة، قال الزمخشري: «تحدىٰ أقرانه إذا باراهم ونازعهم الغلبة، وتحدىٰ رسول الله ﷺ العرب بالقرآن، وتحدىٰ صاحبه القراءة والصراع، لينظر أيهما أقرأ وأصرع، وأصله في الحداء، يتبارىٰ فيه الحاديان ويتعارضان، فيتحدىٰ كل واحد منهما صاحبه، أي يطلب حداءه كما تقول توفاه بمعنىٰ استوفاه. وأنا حدياك أي معارضك» (أساس البلاغة ١/ ١٧٥، تاج العروس ٣٧/ ٤١٠).
وينظر فصل التحدي من كتاب: إعجاز القرآن للباقلاني ص٢٥١ حيث بين الحاجة للتحدي في إعجاز القرآن للعربي والأعجمي علىٰ حد سواء.

﴿مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣،٣٤].

فهنا قال: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ في أنه تقوله، فإنه إذا كان محمد قادرًا علىٰ أن يتقوله -كما يقدر الإنسان علىٰ أن يتكلم بما يتكلم به من نظم ونثر- كان هذا ممكنًا للناس، الذين هم من جنسه، فأمكن الناس أن يأتوا بمثله.

ثم إنه تحداهم بعشر سور مثله، فقال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

ثم تحداهم بسورة واحدة منه، فقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٧ - ٣٨].

فطلب منهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات -هُم وكل من استطاعوا من دون الله- ثم تحداهم بسورة واحدة -هم ومن استطاعوا- وقال: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [هود: ١٤]، وهذا أصل دعوته، وهو الشهادة بأنه لا إله إلا الله، والشهادة بأن محمدا رسول الله[1].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ١٤]، كما قال: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء: ١٦٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري ١٥/ ٢٦١، إعجاز القرآن للباقلاني ص١٧.

أي: هو يعلم أنه منزل، لا يعلم أنه مفترىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٣٧] أي: ما كان لأن يفترىٰ، يقول: ما كان ليفعل هذا، فلم ينف مجرد فعله، بل نفىٰ احتمال فعله، وأخبر بأن مثل هذا لا يقع، بل يمتنع وقوعه، فيكون المعنىٰ: ما يمكن، ولا يحتمل، ولا يجوز أن يَفتريَ هذا القرآن من دون الله، فإنَّ الذي يفتريه من دون الله مخلوق، والمخلوق لا يقدر علىٰ ذلك(١).

وهذا التحدي كان بمكة، فإن هذه السور مكية: سورة يونس وهود والطور، ثم أعاد التحدي في المدينة بعد الهجرة(٢)، فقال في البقرة -وهي سورة مدنية- (ظ٤٦): ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ثم قال: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤].

فذكر أمرين:

أحدهما: قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ﴾ [البقرة: ٢٤]، يقول: إذا لم تفعلوا فقد علمتم أنه حقٌّ، فخافوا الله أن تكذبوه، فيحيق بكم العذاب الذي وعد به المكذبين، وهذا دعاء إلىٰ سبيل ربه بالموعظة الحسنة، بعد أن دعاهم بالحكمة، وهو جدالهم بالتي هي أحسن.

---

(١) انظر: تفسير الطبري ١٥/ ٩٠، تفسير القرطبي ٨/ ٣٤٣، تفسير ابن كثير ٤/ ٢٦٨.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ١٩٩.

والثاني: قوله: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ و «لن» لنفي المستقبل، فبتَّ[1] الخبر أنهم فيما يستقبل من الزمان لا يأتون بسورة من مثله، كما أخبر قبل ذلك[2].

وأمره أن يقول في سورة «سبحان» -وهي سورة مكية- افتتحها بذكر الإسراء، وهو كان بمكة بنص القرآن والخبر المتواتر، وذكر فيها من مخاطبته للكفار بمكة ما يبين ذلك، بقوله: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

فعمَّ (بأمره له أن يخبر)[3] بالخبر جميع الخلق معجِّزًا لهم، قاطعًا بأنهم إذا اجتمعوا كلهم لا يأتون بمثل هذا القرآن، ولو تظاهروا وتعاونوا علىٰ ذلك، وهذا التحدي والدعاء هو لجميع الخلق، وهذا قد سمعه كل من سمع القرآن وعرفه الخاص والعام، وعُلم مع ذلك أنهم لم يعارضوه، ولا أتوا بسورة مثله، ومن حين بعث وإلىٰ اليوم الأمر علىٰ ذلك، مع ما علم من أنَّ الخلق كلهم كانوا كفارًا قبل أن يبعث، ولما بعث إنما تبعه قليل، وكان الكفار من أحرص الناس علىٰ إبطال قوله، مجتهدين بكل طريق ممكن[4]، تارَّة يذهبون إلىٰ أهل الكتاب فيسألونهم عن أمور من الغيب حتىٰ يسألوه عنها، كما سألوه عن قصة يوسف وأهل الكهف وذي القرنين (كما تقدم)[5]، وتارة يجتمعون في مجمع

---

(١) في (ب): فثبت.

(٢) ولذا قال قتادة: فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا، أي: لا تقدرون علىٰ ذلك ولا تطيقونه (تفسير الطبري ١/ ٣٧٩).

وفي (ب): «كما أخبره قبل ذلك».

(٣) ليست في (ب، ل).

(٤) في (ب، ل): يمكن.

(٥) ليست في (ب).

بعد مجمع علىٰ ما يقولونه فيه، وصاروا يضربون له الأمثال، فيشبهونه بمن ليس مثله لمُجرَّد شبهٍ مَا مع ظهور الفرق.

فتارة يقولون: مجنون، وتارة يقولون: ساحر، وتارة يقولون: كاهن، وتارة يقولون: شاعر، إلىٰ أمثال ذلك من الأقوال التي يعلمون - هم وكل عاقل يسمعها - أنها افتراء عليه.

فإذا كان قد تحداهم بالمعارضة - مرة بعد مرة - وهي تبطل دعوته، فمعلوم أنهم لو كانوا قادرين عليها لفعلوها، فإنَّه مع وجود هذا الداعي التام المؤكد إذا كانت القدرة حاصلة وجب وجود المقدور، ثم هكذا القول في سائر أهل الأرض.

فهذا القدر يوجب علمًا بيِّنًا لكل أحد بعجز جميع أهل الأرض عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن بحيلة وبغير حيلة، وهذا أبلغ من الآيات التي تكرَّر جنسها كإحياء الموتىٰ، فإنَّ هذا لم يأت أحد بنظيره[1].

وكون القرآن آيةً معجزة ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط، أو نظمه وأسلوبه فقط، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط، ولا من جهة صَرف الدواعي عن معارضته فقط، ولا من جهة سلب قدرتهم علىٰ معارضته فقط، بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة:

من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ علىٰ المعنىٰ، ومن جهة (معانيه التي أمر بها)[2]، ومعانيه التي أخبر بها عن الله تعالىٰ وأسمائه وصفاته وملائكته، وغير ذلك، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي، وعن الغيب المستقبل، ومن جهة ما أخبر به عن المعاد،

---

(١) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني ص١٨.

(٢) سقط من المطبوعة لانتقال النظر.

ومن جهة ما بيَّن فيه من الدلائل اليقينية، والأقيسة العقلية التي هي الأمثال المضروبة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩](١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤].

وقال: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٧ - ٢٨].

وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن هو حجة علىٰ إعجازه، ولا تناقض في ذلك، بل كل قوم بيَّنوا لما تنبهوا له(٢).

ومن أضعف الأقوال قول من يقول من أهل الكلام: إنه معجز بصرف الدواعي مع قيام(٣) الموجب لها، أو بسلب القدرة الجازمة(٤)، (وهو: أن الله صرف قلوب الأمم عن معارضته مع قيام المقتضىٰ التام)(٥)، أو سَلَبَهم القدرة المعتادة في مثله سلبًا عامًا، مثل قوله تعالىٰ لزكريا: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠].

---

(١) أخطأ في ظ في أول الآية فكتب: ولقد ضربنا..

(٢) في (ب): «يثبتوا لما ينتهوا له»، وفي (ل): «تنبهوا لما تنبهوا له».

(٣) في (ب، ل): «مع تمام».

(٤) في (ب، ل): «التامة».

(٥) ما بين القوسين تأخر في (ل، ب، المطبوعة) بعد الآية.

فإنَّ هذا يقال علىٰ سبيل التقدير والتنزيل[1]، وهو أنَّه إذا قدر أن هذا الكلام يقدر الناس علىٰ الإتيان بمثله فامتناعهم جميعهم عن هذه المعارضة مع قيام الدواعي العظيمة إلىٰ المعارضة من أبلغ الآيات الخارقة للعادات، بمنزلة من يقول: إني آخذ أموال جميع أهل هذا البلد العظيم، وأضربهم جميعهم، وأجوعهم، وهم قادرون علىٰ أن يشكوا إلىٰ الله، أو إلىٰ ولي الأمر، وليس فيهم مع ذلك من يشتكي[2]، فهذا من أبلغ الأعاجيب[3] الخارقة للعادة.

ولو قدر أنَّ واحدًا صنف كتابًا يقدر أمثاله علىٰ تصنيف مثله، أو قال شعرًا يقدر أمثاله علىٰ أنْ يقولوا مثله، وتحداهم كلهم وقال: عارضوني، وإن لم تعارضوني فأنتم كفار مأواكم النار، ودماؤكم لي حلال، امتنع في العادة أن لا يعارضه أحد، فإذا لم يعارضوه كان هذا من أبلغ[4] العجائب الخارقة للعادة.

والذي جاء بالقرآن قال للخلق كلهم: أنا رسول الله إليكم جميعًا[5]، ومن آمن بي دخل الجنة، ومن لم يؤمن بي دخل النار، وقد أبيح لي قتل رجالهم، وسبي ذراريهم، وغنيمة أموالهم، ووجبت[6] عليهم كلهم طاعتي، ومن لم يطعني كان من أشقىٰ الخلق، ومن آياتي هذا القرآن، فإنَّه لا يقدر أحد علىٰ أن يأتي بمثله، وأنا أخبركم أن أحدًا لا يأتي بمثله.

فيقال: لا يخلو إمَّا أن يكون الناس قادرين علىٰ المعارضة أو عاجزين، فإن كانوا قادرين ولم يعارضوه بل صرف الله دواعي قلوبهم، ومنعها أن تريد

---

(١) في (ب، ل): «التنزل».

(٢) في (ب): يشتكيني.

(٣) هامش الأصل ظ: العجائب. ص. وهكذا ثبت في (ب، ل).

(٤) في (ب، ل): «أبلغ من».

(٥) في (ب، ل): «جميعكم».

(٦) في (ب، ل): «ووجب».

معارضته مع هذا التحدي العظيم، أو سلبهم القدرة التي كانت فيهم قبل تحديه، فإن سلب القدرة المعتادة أن يقول رجل: معجزتي أنكم كلكم لا يقدر أحد منكم علىٰ الكلام ولا علىٰ الأكل والشرب، فإن المنع من المعتاد كإحداث غير المعتاد، فهذا من أبلغ الخوارق.

وإن كانوا عاجزين ثبت أنَّه خارق للعادة.

فثبت كونه خارقًا[1] علىٰ تقدير النقيضين: النفي والإثبات، فثبتَ أنه من العجائب الناقضة للعادة في نفس الأمر.

فهذا غاية التنزل، وإلاَّ فالصواب المقطوع به أنَّ الخلق كلهم عاجزون عن مُعارضته، لا يقدرون علىٰ ذلك، ولا يقدر محمد ﷺ نفسُه من تلقاء نفسِه علىٰ أن يبدل سورة من القرآن، بل يظهر الفرق بين القرآن وبين سائر كلامه لكل من له أدنىٰ تدبر، كما قد أخبر الله تعالىٰ به في قوله: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وأيضًا: فالناس يجدون دواعيهم إلىٰ المعارضة حاصلة، لكنهم يحسون من أنفسهم العجز عن المعارضة، ولو كانوا قادرين لعارضوه.

وقد انتدب غير واحد لمعارضته، لكن جاء بكلام فضح به نفسه، وظهر[2] تحقيق ما أخبر به القرآن من عجز الخلق عن الإتيان بمثله، مثل قرآن مسيلمة الكذاب، كقوله: «يا ضفدع بنت ضفدعين، نقي كم تنقين، لا الماء تكدرين، ولا الشارب تمنعين، رأسك في الماء، وذنبك في الطين»[3].

---

(١) في (ب): «خارقا للعادة».

(٢) في (ب، ل): «وظهر به».

(٣) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٩/ ٤٧٣، حيث نقل بعض النصوص من قرآن مسيلمة المزعوم، وقد أفرد الحافظ المستغفري بابا في كتاب فضائل القرآن عن قرآن مسيلمة وخرج فيه بعض ذلك (٢٨٣)-(٢٨٤).

وكذلك أيضًا يعرفون أنَّه لم يختلف حال قدرتهم قبل سماعه وبعد سماعه، فلا يجدون أنفسهم عاجزين عما كانوا قادرين عليه، كما وجد زكريا عجزه عن الكلام (ظ٤٨) بعد قدرته عليه.

وأيضًا: فلا نزاع بين العقلاء المؤمنين بمحمد ﷺ والمكذبين له أنَّه كان قصده أن يصدقه الناس ولا يكذبوه، وكان مع ذلك مِنْ أعقل الناس وأخبرهم وأعرفهم بما به ينال مقصوده، سواء قيل إنه صادق أو كاذب، فإنَّ من دعا الناس إلىٰ مثل هذا الأمر العظيم -ولم يزل حتىٰ استجابوا له طوعًا وكرهًا، وظهرت دعوته وانتشرت ملته هذا الانتشار- هو من عظماء الرجال علىٰ أي حال كان.

فإقدامه - مع هذا القصد - في أول الأمر وهو بمكة -وأتباعه قليل- علىٰ أن يقول خبرًا يقطع به أنه لو اجتمع الإنس والجن علىٰ أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، لا في ذلك العصر ولا في سائر الأعصار المتأخرة، لا يكون إلا مع جزمه[1] بذلك، وتيقنه له، وإلا فمع الشك والظن لا يقول ذلك من يخاف أن يظهر كذبه فيفتضح فيرجع الناس عن تصديقه، وإذا كان جازمًا بذلك متيقنا له لم يكن ذلك إلاَّ عن إعلام الله له بذلك.

وليس في العلوم المعتادة أن يعلم الإنسان أنَّ جميع الخلق لا يقدرون أن يأتوا بمثل كلامه إلا إذا عَلم العالم أنه خارج عن قدرة البشر، والعلم بهذا يستلزم كونه معجزًا، فإنا نعلم ذلك وإن لم يكن علمنا بذلك خارقًا للعادة، ولكن يلزم من العلم ثبوت المعلوم، وإلاَّ كان العلم جهلاً، فثبت أنَّه علىٰ كل تقدير يستلزم كونه خارقًا للعادة.

---

(١) في (ب): «خبرته».

(ولو قال مفتر: بل أنا أقول الذي أخبر بهذه الغيوب وأتىٰ بهذه العجائب كان جاهلاً أخرق لاً يدري ما يقول، قيل له: فهذا أبلغ في الإعجاز وخرق العادة أن يكون مجنونا قد أتىٰ بهذه الغيوب والعجايب التي لا يقدر عليها أحد من العقلاء والمجانين)[1].

وأما التفصيل:

فيقال: نفس نظم القرآن وأسلوبه عجيب بديع، ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة، ولم يأت أحد بنظير هذا الأسلوب، فإنه ليس من جنس الشعر ولا الرجز[2] ولا الخطابة ولا الرسائل، ولا نظمه نظم شيء من كلام الناس عربهم وعجمهم.

ونفس فصاحة القرآن وبلاغته هذا عجيب خارق للعادة، ليس له نظير في كلام جميع الخلق، وبسط هذا وتفصيله طويل، يعرفه من له نظر وتدبر.

ونفس ما أخبر به القرآن في باب توحيد الله وأسمائه وصفاته أمر عجيب خارق للعادة، لم يوجد مثل ذلك في كلام بشر، لا نبي ولا غير نبي.

وكذلك ما أخبر به عن الملائكة والعرش والكرسي والجن وخلق آدم، وغير ذلك، ونفس ما أمر به القرآن من الدين والشرائع كذلك، ونفس ما أخبر به من الأمثال، وبينه من الدلائل هو أيضًا كذلك.

ومَن تدبر ما صنفه جميع العقلاء في العلوم الإلهية والخلقية والسياسية وجد بينه وبين ما جاء في الكتب الإلهية - التوراة والإنجيل والزبور وصحف

---

(١) ما بين القوسين ليس في (ب، ل).
(٢) في (ب): الزجر.

الأنبياء – (تفاوت عظيم)[1]، ووجد بين ذلك وبين القرآن من التفاوت أعظم مما بين لفظه ونظمه، وبين سائر ألفاظ العرب ونظمهم.

فالإعجاز في معناه أعظم وأكبر[2] من الإعجاز في لفظه، وجميع عقلاء الأمم عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه.

وما في التوراة والإنجيل -لو قُدِّر أنه مثل القرآن- لا يقدح في المقصود، فإنَّ تلك كتب الله أيضًا، ولا يمتنع أن يأتي نبي بنظير آية نبي، كما أتىٰ المسيح بإحياء الموتىٰ، وقد وقع إحياء الموتىٰ علىٰ يد غيره، فكيف وليس ما في التوراة والإنجيل مماثلاً لمعاني القرآن لا في الحقيقة ولا في الكيفية ولا الكمية، بل يظهر التفاوت لكل من تدبر القرآن وتدبر الكتب.

وهذه الأمور من ظهرت له من أهل العلم والمعرفة[3] ظهر له إعجازه من هذا الوجه، ومن لم يظهر له ذلك اكتفىٰ بالأمر الظاهر الذي يظهر له ولأمثاله، كعجز جميع الخلق عن (ظ٤٩) الإتيان بمثله مع تحدي النبي وإخباره بعجزهم، فإنَّ هذا أمر ظاهر لكل أحد.

(ودلائل النبوة من جنس دلائل الربوبية، فيها الظاهر البين لكل أحد)[4]، كالحوادث[5] المشهودة، مثل: خلق الحيوان والنبات والسحاب وإنزال المطر، وغير ذلك، وفيها ما يختص به مَن عرفه، مثل دقائق التشريح[6]، ومقادير الكواكب وحركاتها، وغير ذلك.

---

(١) ليس في (ب، ل).
(٢) في (ل): وأكثر.
(٣) في (ب): بالمعرفة.
(٤) سقط من (ب) لانتقال النظر فيما يظهر.
(٥) في (ب): كالخوارق المشهودة.
(٦) هامش (ف): التشريح علم يبحث فيه عن أعضاء الإنسان وكيفية تركيبها، قاله السيوطي.

فإنَّ الخلق كلهم محتاجون إلىٰ الإقرار بالخالق والإقرار برسله، وما اشتدت الحاجة إليه في الدين والدنيا فإن الله يجود به علىٰ عباده جودًا عامًّا مُيسَّرا.

فلما كانت حاجتهم إلىٰ النَّفَس أكثر من حاجتهم إلىٰ الماء، وحاجتهم إلىٰ الماء أكثر من حاجتهم إلىٰ الأكل، كان سبحانه قد جاد بالهواء جودًا عامًّا في كل مكان وزمان لضرورة الحيوان إليه، ثم الماء دونه، ولكنه يوجد أكثر مما يوجد القوت وأيسر؛ لأنَّ الحاجة إليه أشد.

فكذلك دلائل الربوبية حاجة الخلق إليها في دينهم أشد الحاجات، ثم دلائل النبوة، فلهذا يسرها الله وسهلها أكثر مما لا يحتاج إليه العامة، مثل تماثل الأجسام واختلافها، وبقاء الأعراض أو فنائها، وثبوت الجوهر الفرد أو انتفائه، ومثل مسائل المستحاضة، وفوات الحج وفساده[1]، ونحو ذلك مما يتكلم فيه بعض العلماء.

---

(١) هذه أمثلة للمسائل التي لا يحتاجها العامة وتخفىٰ علىٰ أكثرهم. بل حتىٰ الخاصة قد اختلفوا فيها.
قال الشيخ: «القول في العقليات المحضة كمسألة الجوهر الفرد، وتماثل الأجسام، وبقاء الأعراض، ودوام الحوادث في الماضي أو المستقبل أو غير ذلك، كل هذه مسائل عقلية قد تنازع فيها العقلاء، وهذا باب واسع» (درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٩٣).
وقال كذلك: «تنازع الناس في دقيق الكلام كمسألة الجوهر الفرد وتماثل الأجسام؛ وبقاء الأعراض ونحو ذلك فليس في هذا تكفير ولا تفسيق» (مجموع الفتاوىٰ ١٩/٢٠٨، منهاج السنة ٥/ ٨٩).
وقد سبق له الكلام عن بقاء الأعراض وفنائها فيما مضىٰ (٣/ ٣٠٦).

فصل[1]:

وسيرة الرسول ﷺ (من آياته)[2]، وأخلاقه وأقواله وأفعاله وشريعته من آياته، وأمته من آياته، وعلم أمته ودينهم من آياته، وكرامات صالحي أمته من آياته.

وذلك يظهر بتدبر سيرته من حين وُلد وإلىٰ أن بُعث، ومن حيث بُعث إلىٰ أن مات، وتدبر نسبه وبلده وأصله وفصله، فإنه كان من أشرف أهل الأرض نسًبا، من صميم سلالة إبراهيم الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، (فلم يأت نبي بعد إبراهيم إلا من ذريته)[3]، وجعل له ابنين: إسماعيل وإسحاق عليهما الصلاة والسلام، وذكر في التوراة هذا وهذا، وبشر في التوراة بما يكون من ولد إسماعيل، ولم يكن في ولد إسماعيل من ظهر فيه ما بَشَّرتْ به النبوات غيره، ودعا[4] إبراهيم لذرية إسماعيل[5] بأن يبعث فيهم رسولاً منهم.

---

(١) هذا الفصل من محاسن هذا الكتاب –وكله محاسن– قال الحافظ ابن كثير: «ومن الدلائل المعنوية أخلاقه عليه الصلاة والسلام الطاهرة وخلقه الكامل، وشجاعته، وحلمه، وكرمه، وزهده، وقناعته، وإيثاره، وجميل صحبته، وصدقه، وأمانته، وتقواه، وعبادته، وكريم أصله، وطيب مولده ومنشئه ومرباه، كما قدمناه مبسوطا في مواضعه، وما أحسن ما ذكره شيخنا العلامة أبو العباس بن تيمية، رَحِمَهُ اللهُ، في كتابه الذي رد فيه علىٰ فرق النصارىٰ واليهود ومن أشبههم من أهل الكتاب وغيرهم، فإنه ذكر في آخره دلائل النبوة، وسلك فيها مسالك حسنة صحيحة منتخبة بكلام بليغ يخضع له كل من تأمله وفهمه» ثم ذكر هذا الفصل (البداية والنهاية٨/ ٥٤٩).
في هامش (ب): بلغ.

(٢) ما بين القوسين تأخر في (ب) بعد قوله: النبوات غيره..

(٣) في (ب): «كالخوارق المشهودة».

(٤) في (ب): «عن دعا».

(٥) في (ب، ل): لذريته. وخط تحتها في (ب) خطا، وكتب: إسماعيل، وفي هامش (ل) كتب: إسماعيل.

ثم من قريش صفوة بني إبراهيم، ثم من بني هاشم صفوة قريش، ومن مكة أم القرىٰ وبلد البيت الذي بناه إبراهيم، ودعا الناس إلىٰ حجِّه، ولم يزل محجوجًا من عهد إبراهيم، مذكورًا في كتب الأنبياء بأحسن وصف.

وكان من أكمل الناس تربية ونشأة، لم يزل معروفًا بالصدق والبر والعدل ومكارم الأخلاق، وترك الفواحش والظلم وكل وصف مذموم، مشهودًا له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة، وممن آمن به وممن[1] كفر بعد النبوة، لا يُعرف له شيء يعاب به، لا في أقواله ولا في أفعاله ولا في أخلاقه، ولا جُرِّب[2] عليه كذبة قط، ولا ظُلم ولا فاحشة.

وكان خَلْقُه وصورته من أكمل الصور وأتمها وأجمعها للمحاسن الدالة علىٰ كماله، وكان أُمِّيًّا من قوم أميِّين لا يعرف لا هو ولا هم ما يعرفه أهل الكتاب: التوراة والإنجيل، ولم يقرأ شيئًا عن علوم الناس، ولا جالس أهلها، ولم يدع نبوة إلىٰ أن أكمل الله له أربعين سنة، فأتىٰ بأمر هو أعجب الأمور وأعظمها، وبكلام لم يسمع الأولون والآخرون بنظيره، وأخبرنا بأمر لم يكن في بلده وقومه من يعرف مثله، (ولم يعرف قبله ولا بعده -لا في مصر من الأمصار ولا في عصر من الأعصار - من أتىٰ بمثل ما أتىٰ به، ولا من ظهر كظهوره، ولا من أتىٰ من العجائب والآيات بمثل ما أتىٰ به، ولا من دعا إلىٰ شريعة أكمل من شريعته، ولا من ظهر دينه علىٰ الأديان كلها بالعلم والحجة وباليد والقوة كظهوره)[3].

---

(١) في (ب): وكفر.

(٢) في (ب): ولا جرت.

(٣) ما بين القوسين ثبت في الأصل ظ، د، وط النيل فقط.

ثـم إنـه[1] اتبعـه ضـعفاء النـاس وهـم أتبـاع الأنبيـاء، وكذبـه أهـل الرياسـة (ظ٥٠) وعادوه، وسعوا في هلاكه وهلاك من اتبعه بكل طريق، كما كان الكفار يفعلون بالأنبياء وأتباعهم.

والذين اتبعوه لم يتبعوه لرغبة ولا لرهبة، فإنه لم يكن عنده مال يعطيهم، ولا جهات يوليهم إياها، ولا كان له سيف، بل كان السيف والمال والجاه مع أعدائه.

وقد آذوا أتباعه بأنواع الأذىٰ، وهم صابرون محتسبون لا يرتدون عن دينهم لما خالط قلوبهم من حلاوة الإيمان والمعرفة.

وكانت مكة يحجها العرب من عهد إبراهيم فتجتمع في الموسم قبائل العرب، فيخرج إليهم يبلغهم الرسالة، ويدعوهم إلىٰ الله، صابرًا علىٰ ما يلقاه من تكذيب المكذب، وجفاء الجافي، وإعراض المعرض، إلىٰ أن اجتمع بأهل يثرب وكانوا جيران اليهود قد سمعوا أخباره منهم، وعرفوه، فلما دعاهم علموا أنه النبي المنتظر الذي تخبرهم به اليهود، وكانوا قد سمعوا من أخباره ما عرفوا به مكانته، فإنَّ أمره كان قد انتشر، وظهر في بضع عشرة سنة فآمنوا به، وبايعوه علىٰ هجرته وهجرة أصحابه إلىٰ بلدهم، وعن[2] الجهاد عنه، فهاجر هو ومن اتبعه إلىٰ المدينة، وبها المهاجرون والأنصار، ليس فيهم من آمن برغبة دنيوية ولا برهبة إلا قليلاً من الأنصار أسلموا في الظاهر، ثم حسن إسلام بعضهم.

ثم أُذن له في الجهاد، ثم أُمر به، ولم يزل قائمًا بأمر الله علىٰ أكمل طريقة، وأتمها من الصدق والعدل والوفاء، لا يحفظ له كَذبة واحدة ولا ظلم لأحد، ولا غدر بأحد، بل كان أصدق الناس وأعدلهم، وأوفاهم بالعهد، مع اختلاف

---

(١) في (ب، ل، ط النيل): ثم اتبعه أتباع الأنبياء وهم ضعفاء الناس.

(٢) في (ب، ل، ط النيل): وعلىٰ الجهاد معه.

الأحوال عليه من حرب وسِلْم وأمن وخوف وغنىً وفقر وقلة وكثرة[1]، وظهوره علىٰ العدو تارة وظهور العدو عليه تارة، وهو علىٰ ذلك كله لازم لأكمل الطرق وأتمها، حتىٰ ظهرت الدعوة في جميع أرض العرب التي كانت مملوءة من عبادة الأوثان، ومن أخبار الكهان، وطاعة المخلوق في الكفر بالخالق، وسفك الدماء المحرمة، وقطيعة الأرحام، لا يعرفون آخرة ولا معادًا، فصاروا به[2] أعلم أهل الأرض وأدينهم وأعدلهم وأفضلهم، حتىٰ إنَّ النصارىٰ لما رأوهم حين قدموا الشام قالوا: «ما كان الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء»[3].

وهذه آثار علمهم وعملهم في الأرض وآثار غيرهم، يعرف العقلاء فرق ما بين الأمرين.

وهو ﷺ -مع ظهور أمره، وطاعة الخلق له، وتقديمهم له علىٰ الأنفس والأموال- مات ولم يخلف درهمًا ولا دينارًا، ولا شاة ولا بعيرًا، إلاَّ بغلته وسلاحه، ودرعه مرهونة عند يهودي علىٰ ثلاثين وسقًا[4] من شعير

---

(١) في (ب): «وفقر وقدرة وعجز وتمكن وضعف وقلة وكثرة».

(٢) ليست في (ب، ل).

(٣) انظر قولهم هذا في إغاثة اللهفان ٢/ ٢٩٨، وزاد المعاد ٣/ ٣١٥، البداية والنهاية ٨/ ٥٤٩.

(٤) كذا في جميع الأصول التي بين يدي. وفي أصل المطبوعة: «صاعا»، ونبه أنه صححه من البخاري. وفي (هامش ط النيل): «صاعا - نسخة». أي هكذا ثبت في نسخة، وفي (هامش د): «قوله ثلاثين وسقا، الذي في الصحيح والمسند وغيرهما: ثلاثين صاعا من شعير».
وهذا الذي ثبت في هذه النسخة المقابل عليها (ط النيل) لعله من تصحيح بعض النساخ لاتباع لفظ الحديث. فإن قوله: «وسقا» هو الصحيح في الكتاب، وهو سبق قلم من المصنف، فإن الثلاين وسقا سترد في هذا الكتاب في حديث دَين جابر الذي لليهودي.
«والصاع إناء يسع خمسة أرطال وثلثا بالبغدادي، وقال بعض الحنفية: ثمانية» (فتح الباري١/ ٣٠٥). والمد يساوي رطلا وثلث (شرح مسلم للنووي٤/ ٢)، أي أن الصاع: أربعة أمداد، بينما الوسق هو ستون صاعا (فتح الباري ٣/ ٣١١).

ابتاعها لأهله(١).

وكان بيده عقار ينفق منه على أهله، والباقي يصرفه في(٢) مصالح المسلمين، فحكم بأنه لا يُورث ولا يأخذ ورثته شيئًا من ذلك(٣).

وهو في كل وقت يظهر على يديه من عجائب الآيات وفنون الكرامات ما يطول وصفه، ويخبرهم بخبر ما كان وما يكون، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، ويشرع الشريعة شيئًا بعد شيء حتى أكمل الله دينه الذي بُعث به، وجاءت شريعته أكمل شريعة، لم يبق معروف تعرف(٤) العقول أنَّه معروف إلاَّ أمر به، ولا منكر تعرف العقول أنه منكر إلاَّ نهى عنه، لم يأمر بشيء فقيل: ليته لم يأمر به، ولا نهى عن شيء قيل: ليته لم ينه عنه، وأحل الطيبات لم يحرم شيئًا منها كما حرم في شرع غيره، وحرم الخبائث لم يحل منها شيئًا كما استحله غيره، وجمع محاسن ما عليه الأمم،

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٢٩١٦) عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي، بثلاثين صاعا من شعير».
وروى أحمد (١٣٤٩٧) بإسناد صحيح عن أنس بن مالك، قال: لقد دعي نبي الله ﷺ ذات يوم على خبز شعير، وإهالة سنخة، قال: ولقد سمعته ذات يوم المرار وهو يقول: «والذي نفس محمد بيده، ما أصبح عند آل محمد صاع حب، ولا صاع تمر، وإن له يومئذ لتسع نسوة، ولقد رهن درعا له عند يهودي بالمدينة، أخذ منه طعاما فما وجد لها ما يفتكها به».

(٢) في (ب): على.

(٣) روى البخاري (٢٧٧٦)، ومسلم (١٧٦٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقتسم ورثتي دينارا ولا درهما ما تركت بعد نفقة نسائي، ومئونة عاملي فهو صدقة».
ورويا كذلك حديث أبي بكر أنه قال لفاطمة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث، ما تركنا صدقة» (صحيح البخاري: ٣٠٩٣، مسلم: ١٧٥٩).
وقد ترجم البخاري في صحيحه: باب قول النبي ﷺ: «لا نورث ما تركنا صدقة» فخرج فيه هذه الأحاديث وغيرها.

(٤) في (ب): يعترف.

فلا يذكر في التوراة والإنجيل والزبور نوع من الخير[1] عن الله وعن الملائكة[2] وعن اليوم الآخر إلا وقد جاء به علىٰ أكمل وجه.

وأخبر بأشياء ليست في هذه[3] (ظ٥١) الكتب، (فليس في تلك[4] الكتب)[5] إيجاب لعدل، وقضاء بفصل، وندب إلىٰ الفضائل، وترغيب في الحسنات إلاَّ وقد جاء به وبما هو أحسن منه، وإذا نظر اللبيب في العبادات التي شرعها، وعبادات غيره من الأمم ظهر فضلها ورجحانها، وكذلك في الحدود والأحكام، وسائر الشرائع.

وأمته أكمل الأمم في كل فضيلة، فإذا قيس علمهم بعلم سائر الأمم ظهر فضل علمهم، وإنْ قيس دينهم وعباداتهم وطاعتهم لله بغيرهم ظهر أنهم أدين من غيرهم، وإذا قيس شجاعتهم وجهادهم في سبيل الله وصبرهم علىٰ المكاره في ذات الله ظهر أنهم أعظم جهادًا وأشجع قلوبًا، وإذا قيس سخاؤهم وبذلهم وسماحة أنفسهم بغيرهم، تبين أنهم أسخىٰ وأكرم من غيرهم، وهذه الفضائل به نالوها، ومنه تعلموها، وهو الذي أمرهم بها، لم يكونوا قبله متبعين لكتاب جاء هو بتكميله كما جاء المسيح بتكميل شريعة التوراة، فكانت فضائل أتباع المسيح وعلومهم بعضها من التوراة، وبعضها من الزبور، وبعضها من النبوات، وبعضها من المسيح، وبعضها ممن بعده كالحواريين[6]، وقد استعانوا بكلام

---

(١) في (ب، ط النيل): الخبر.

(٢) في (د): وعن ملائكته.

(٣) ليست في (ب، ل).

(٤) ليست في (ل).

(٥) سقط من (ب) لانتقال النظر فيما يظهر.

(٦) في (ب) زيادة: ومن بعد الحواريين.

الفلاسفة وغيرهم، حتىٰ أدخلوا لما غيروا دين المسيح في دين المسيح أمورًا من أمور الكفار المناقضة(١) لدين المسيح.

وأمَّا أمة محمد ﷺ فلم يكونوا قبله يقرءون كتابًا، بل عامتهم ما آمنوا بموسىٰ وعيسىٰ وداود والتوراة والإنجيل والزبور إلاَّ من جهته، فهو الذي أمرهم أن يؤمنوا بجميع الأنبياء، ويُقرُّوا بجميع الكتب المنزلة من عند الله، ونهاهم أن يفرقوا بين أحد من الرسل، فقال تعالىٰ في الكتاب الذي جاء به: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٦، ١٣٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٥ - ٢٨٦].

وأمته لا يستحلون أن يأخذوا شيئًا من الدين من غير ما جاء به، ولا يبتدعون بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، ولا يشرعون من الدين ما لم يأذن به الله، لكن ما قصه عليهم من أخبار الأنبياء وأممهم اعتبروا به، وما حدثهم

---

(١) في (ب): أمور الكفار المناقضين.

به[1] أهل الكتاب موافقًا لما عندهم صدقوه، وما لم يعلموا صدقه ولا كذبه أمسكوا عنه، وما عرفوا أنه باطل كذبوه[2].

ومَن أدخل في الدين ما ليس منه من أقوال متفلسفة الهند أو الفرس أو اليونان أو غيرهم كان عندهم من أهل الإلحاد والابتداع، وهذا هو الدين الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون، وهو الذي عليه أئمة الدين[3]؛ الذين لهم في الأمة لسان صدق، وعليه جماعة المسلمين وعامتهم، ومن خرج عن ذلك كان مذمومًا مدحورًا عند الجماعة، وهو مذهب أهل السنة والجماعة الظاهرون إلىٰ قيام الساعة، الذين قال فيهم النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم، حتىٰ تقوم الساعة»[4].

وقد يتنازع (ظ٥٢) بعض المسلمين مع اتفاقهم علىٰ هذا الأصل الذي هو دين الرسل عمومًا، ودين محمد خصوصًا، ومن خالف في هذا الأصل كان عندهم ملحدًا مذمومًا، ليسوا كالنصارىٰ الذين ابتدعوا دينًا قام به أكابر علمائهم وعبادهم، وقاتل عليه ملوكهم، ودان به جمهورهم، وهو دين مبتدع ليس هو دين المسيح، ولا دين غيره من الأنبياء.

والله ﷻ أرسل رسله بالعلم النافع والعمل الصالح، فمن اتبع الرسل

---

(١) ليست في (ب، ل).

(٢) فصل المصنف في حكم نقل الاسرائيليات وروايتها في المقدمة التي كتبها في أصول التفسير ص٤٢، وقرر فيه أن مبدأ ذكر الإسرائيليات مبني علىٰ كونها: «للاستشهاد لا للاعتقاد».

(٣) في (ب، ط النيل): المسلمين.

(٤) سبق تخريجه.

حصل له سعادة الدنيا والآخرة، وإنَّما دخل في البدع من قصَّر في اتباع الأنبياء علمًا وعملاً.

ولما بعث الله تعالىٰ محمدًا بالهدىٰ ودين الحق تلقىٰ ذلك عنه المسلمون أمته، فكل علم نافع وعمل صالح عليه أمة محمد ﷺ أخذوه عن نبيهم، مع ما يظهر لكل عاقل أنَّ أمته أكمل الأمم في جميع الفضائل العلمية والعملية، ومعلوم أنَّ كل كمال في الفرع المتعلم هو من الأصل المعلم، وهذا يقتضي أنه كان أكمل الناس علمًا ودينًا، وهذه الأمور توجب العلم الضروري بأنه كان صادقًا في قوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] لم يكن كاذبًا مفتريًا، فإنَّ هذا القول لا يقوله إلاَّ من هو من خيار الناس وأكملهم إن كان صادقًا، أو هو من شر الناس وأخبثهم إن كان كاذبا، وما ذكر من كمال علمه ودينه، يناقض الشر والخبث والجهل، فتعين[1] أنه متصف بغاية الكمال في العلم والدين، وهذا يستلزم أنه كان صادقًا في قوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

لأنَّ الذي لم يكن صادقًا إمَّا أن يكون متعمدًا للكذب أو مخطئا:

والأول: يوجب أنَّه كان ظالما غاويًا، والثاني: يقتضي أنه كان جاهلاً ضالاً، وكمال علمه ينافي جهله، وكمال دينه ينافي تعمد الكذب، فالعلم بصفاته يستلزم العلم بأنه لم يكن متعمدًا للكذب[2]، ولم يكن جاهلاً يكذب بلا علم، وإذا انتفىٰ هذا وذاك تعين أنه كان صادقًا عالما بأنه صادق.

---

(١) في (ب): فتبين.
(٢) هامش ظ: بلغ مقابلة.

ولهذا نزَّهه الله عن هذين الأمرين بقوله تعالىٰ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١ - ٤].

وقال تعالىٰ عن الملك الذي جاء به: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١]، ثم قال عنه: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٢ - ٢٤]، أي: بمتهم أو بخيل[1]، كالذي لا يُعلِّمُ إلا بجُعل، أو لمن يكرمه، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٥ - ٢٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]، إلىٰ قوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣].

بيَّن سبحانه أنَّ الشيطان إنما ينزل علىٰ من يناسبه ليحصل به غرضه، فإنَّ الشيطان يقصد الشر؛ وهو الكذب والفجور، لا يقصد الصدق والعدل،

---

(١) قراءة الشيخ بالظاء ﴿بظنين﴾، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي ورويس، وقرأ الباقون: ﴿بِضَنِينٍ﴾ (النشر في القراءات العشر ٢/ ٣٩٩).
وأشار الشيخ إلىٰ القراءتين بقوله: بمتهم أو بخيل، قال أبو علي الفارسي: «معنىٰ بظنين أي: بمتهم، وهو من ظننت التي بمعنىٰ: اتهمت...، وعلىٰ هذا قول عمر: أو ظنين في ولاء..
ومن قال: بضنين فهو من البخل، قالوا: ضننت أضن، مثل: مذلت أمذل، وهو مذل ومذيل، وطب يطب فهو طبيب، والمعنىٰ: إنه يخبر بالغيب فيبثه ولا يكتمه، كما يمتنع الكاهن من إعلام ذلك حتىٰ يأخذ عليه حلوانا» (الحجة للقراء السبعة ٦/ ٣٨٠).

فلا يقترن إلا بمن فيه كذب؛ إمَّا عمدًا وإمَّا خطأ وفجور[1]، فإنَّ الخطأ في الدين هو من الشيطان أيضًا، كما قال ابن مسعود - لما سُئل عن مسألة -: «أقول فيها برأيي، فإن يكن صوابًا فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه»[2].

فالرسول بريءٌ من تنزل الشيطان عليه في العمد والخطأ، بخلاف غير الرسول، فإنه قد يخطئ، ويكون خطؤه من الشيطان، وإن كان خطؤه مغفورًا له، فإذا لم يُعرف له خبرٌ أخبر به كان فيه مخطئًا، ولا أمرٌ أمر به كان فيه فاجرًا، عُلم أنَّ الشيطان لم ينزل عليه، وإنما ينزل عليه ملك كريم، ولهذا قال في الآية الأخرىٰ عن النبي ﷺ (ظ٥٣): ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٠ - ٤٣][3].

---

(١) كذا في ظ، وفي (ب، ل): وفجور أيضا. وفي (ط النيل): «إلا بمن فيه كذب وفجور، إما عمدا وإما خطأ».

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٤٠٩٩) (١٨٤٦٠)، وأبو داود في السنن (٢١١٦) عن عبدالله بن عتبة، قال: «أتي ابن مسعود في رجل تزوج امرأة، فمات عنها ولم يفرض لها، ولم يدخل بها، فسئل عنها شهرا، فلم يقل فيها شيئا، ثم سألوه، فقال: أقول فيها برأيي، فإن يك خطأ فمني ومن الشيطان، وإن يك صوابا، فمن الله: لها صدقة إحدىٰ نسائها، ولها الميراث، وعليها العدة. فقام رجل من أشجع فقال: أشهد لقضيت فيها بقضاء رسول الله ﷺ في بروع ابنة واشق، قال: فقال هلم شاهداك، فشهد له الجراح وأبو سنان، رجلان من أشجع»، وإسناده صحيح.
وروىٰ الدارمي نحو هذه العبارة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في مسألة الكلالة (مسند الدارمي:٣٠١٥).

(٣) هامش (ب): بلغ.

فصل[1]:

وقد نقل الناس صفاته الظاهرة الدالة علىٰ كماله، ونقلوا أخلاقه مِنْ حلمه وشجاعته وكرمه وزهده وغير ذلك، ونحن نذكر بعض ذلك[2]:

ففي الصحيحين: عن البراء بن عازب قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا، وأحسنه[3] خَلْقًا، ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير»[4].

وعنه قال: «كان رسول الله ﷺ بعيد ما بين المنكبين، عظيم الجُمَّة إلىٰ شحمة أذنيه، عليه حُلة حمراء، ما رأيت قط شيئًا أحسن منه»[5].

وفي البخاري -وسئل البراء-: «أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف،

---

(١) ترك مكان الكلمة في (ب) بياضا.

(٢) من عادة بعض العلماء ذكر أخلاق النبي ﷺ الشريفه ومناقبه المنيفة في أبواب دلائل النبوة، فإن هذه الأخلاق دالة علىٰ عناية الله به، وصنعه علىٰ عينه، كما قال تعالىٰ عن موسىٰ عليه السلام: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه:٣٩]، قال أبو عبدالله الحاكم منبها علىٰ ذلك: «وقد قدمت هذه الأحاديث الصحيحة في دلائل النبوة من أخلاق سيدنا المصطفىٰ لقول الله عز وجل ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الدخان:٣٢] وقول الله عز وجل ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤] وقوله تعالىٰ ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:١-٤]» (المستدرك٢/ ٦١٣).

(٣) في (ب، ل): وأحسنهم. وهو كذلك في بعض نسخ الصحيح (إرشاد الساري٦/ ٢٧).

(٤) صحيح البخاري (٣٥٤٩)، صحيح مسلم (٢٣٣٧)، واللفظ له، وعند البخاري: الطويل البائن، قال ابن حجر: «المراد بالطويل البائن المفرط في الطول مع اضطراب القامة» (فتح الباري٦/ ٥٦٩).

(٥) صحيح البخاري (٥٩٠١)، صحيح مسلم (٢٣٣٧) واللفظ له، وقوله: «بعيد ما بين المنكبين أي عريض أعلىٰ الظهر» (فتح الباري ٦/ ٥٧٢).

قال: لا، بل مثل القمر»(١).

وفي الصحيحين من حديث كعب بن مالك قال: «كان النبي ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه، حتىٰ كأنَّه فلقة قمر»(٢).

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: «كان رسول الله ﷺ ضخم الرأس والقدمين، لم أرَ قبله ولا بعده مثله، وكان بَسِط(٣) الكفين ضخم اليدين»(٤).

وسئل عن شعره، فقال: «كان شَعرًا رجِلاً، ليس بالجعد ولا بالسَّبْط، بين

---

(١) صحيح البخاري (٣٥٥٢) قال الحافظ: «كأن السائل أراد أنه مثل السيف في الطول فرد عليه البراء فقال: بل مثل القمر، أي في التدوير، ويحتمل أن يكون أراد مثل السيف في اللمعان والصقال، فقال بل فوق ذلك، وعدل إلىٰ القمر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان» (فتح الباري ٦/ ٥٧٣).

(٢) صحيح البخاري (٣٥٥٦)، صحيح مسلم (٢٧٦٩)، وقال الحافظ: «أي الموضع الذي يبين فيه السرور، وهو جبينه، فلذلك قال: قطعة قمر ولعله كان حينئذ ملثما، ويحتمل أن يكون يريد بقوله: قطعة قمر القمر نفسه، ووقع في حديث جبير بن مطعم عند الطبراني: التفت إلينا النبي ﷺ بوجهه مثل شقة القمر، فهذا محمول علىٰ صفته عند الالتفات، وقد أخرج الطبراني حديث كعب بن مالك من طرق في بعضها: كأنه دارة قمر» (فتح الباري٦/ ٥٧٤).

(٣) في الأصول كلها: بسيط، وهو تصحيف. ولم أجد في روايات البخاري ما يعضده، بل قال الحافظ: «كان بسط الكفين ووقع هنا في رواية الكشميهني سبط الكفين بتقديم المهملة علىٰ الموحدة وهو موافق لوصفها باللين، قال عياض: وفي رواية المروزي سبط أو بسط بالشك» (فتح الباري ١٠/ ٣٥٩، وانظر: إرشاد الساري ٨/ ٤٦٨).

(٤) صحيح البخاري (٥٩٠٦)، ولم يخرجه مسلم، وليس في النسخ المطبوعة من الصحيح: «ضخم الرأس»، وفي كلام الحافظ ما يشعر أنها في الصحيح حيث قال: «ثم أورده من طريق أخرىٰ عن جرير -وهو ابن حازم- أيضا زاد فيها كان ضخم اليدين وفي ثالثة كان ضخم الرأس والقدمين» (فتح الباري ١٠/ ٣٥٨)، قلت: وقد ثبتت هذه اللفظة في المختصر النصيح للمهلب بن أبي صفرة (٢٢١٥) في حديث أبي النعمان عن جرير بن حازم.

أذنيه وعاتقه»[1].

وفي الصحيحين عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة، قال: «كان رسول الله ضَليع الفم، أشكَل العينين، منهوس العقبين»، وفسرها سماك بن حرب فقال: «واسع الفم[2]، طويل شَق العين، قليل لحم العقب»[3].

وفي الصحيحين عن أنس، قال: «كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، ولا بالأبيض الأمْهَق ولا بالآدم، ولا بالجعد القطط ولا بالسَّبِط»[4].

وفي الصحيحين عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أزهر اللون، كأنَّ عرقه اللؤلؤ، إذا مشىٰ تكفأ، وما مسست ديباجة ولا حريرًا ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شمِمت مسكًا ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله ﷺ»[5].

---

(١) لفظ مسلم في الصحيح (٢٣٣٨)، الشعر الجعد هو الذي يتجعد كشعور السودان والسبط هو الذي يسترسل فلا يتكسر منه شيء كشعور الهنود (فتح الباري ١٠/ ٣٥٧).

(٢) في صحيح مسلم: عظيم الفم، وما ثبت هو رواية الترمذي (٣٦٤٧).

(٣) رواه مسلم في الصحيح (٢٣٣٩)، ولم يخرجه البخاري.

(٤) صحيح البخاري (٣٥٤٨)، صحيح مسلم (٢٣٤٧) المهق هو الكريه من البياض، كلون الجص (النهاية في غريب الحديث ٤/ ٣٧٤)، والقطط: البالغ في الجعودة بحيث يتفلفل (فتح الباري ١٠/ ٣٥٧).
وفي (ب): ولا بالبسيط. وهو تصحيف.

(٥) صحيح البخاري (٣٥٤٧)، صحيح مسلم (٢٣٣٠) واللفظ له، والأزهر الأبيض المستنير (النهاية ٢/ ٣٢١)، قال الحافظ: «أزهر اللون أي أبيض مشرب بحمرة» ثم ذكر اختلاف الروايات في بيان لونه الشريف، وخلص إلىٰ القول: «تبين من مجموع الروايات أن المراد بالسمرة الحمرة التي تخالط البياض وأن المراد بالبياض المثبت ما يخالطه الحمرة والمنفي ما لا يخالطه وهو الذي تكره العرب لونه وتسميه أمهق» (فتح الباري ٦/ ٥٦٩).

وروىٰ الدارمي عن ابن عباس، قال: «كان رسول الله ﷺ أفلج[١] الثنيتين، إذا تكلم رئي النور يخرج[٢] من ثناياه»[٣].

وروىٰ عن ابن عمر، قال: «ما رأيت أحدا أنجد ولا أجود ولا أشجع ولا أضوء[٤] من رسول الله ﷺ»[٥].

وعن أنس قال: «دخل علينا رسول الله ﷺ فقالَ[٦] عندنا، فعرق، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرَق فيها، فاستيقظ النبي ﷺ فقال: يا أمَّ سليم، ما هذا الذي تصنعين؟ قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا، وهو أطيب من الطيب»، أخرجاه[٧].

وروىٰ الدارمي عن جابر، قال: «كان رسول الله ﷺ لا يسلك طريقًا فيتبعه أحد إلاَّ عرف أنَّه قد سلكه من طيب عرقه»[٨].

---

(١) في ط النيل: أبلج، وهو تصحيف.

(٢) في (ب): قد خرج.

(٣) رواه الدارمي (٥٩)، وفي إسناده: عبدالعزيز بن أبي ثابت الزهري متروك الحديث (ميزان الاعتدال ٢/ ٦٣٢)، وقوله: أفلج -بالجيم- قال ابن الأثير: الفلج بالتحريك: فرجة ما بين الثنايا والرباعيات، والفرق: فرجة بين الثنيتين (النهاية ٣/ ٤٦٨).

(٤) في (ب): ولا أوضأ.

(٥) رواه الدارمي (٦٠)، ورواته ثقات، لكن لم يبين عبدالملك بن عمير سماعه من ابن عمر، وهو مشهور بالإرسال والتدليس.

(٦) في (ب): فنام، وكان كتب فقال ثم ضرب عليه.

(٧) صحيح مسلم (٢٣٣١)، ولم يخرجه البخاري.
وكلمة أخرجاه ليست في (ب). وفي (ل) كتب لحقا: أخرجاه في الصحيحين.

(٨) رواه الدارمي (٦٧)، بلفظ: «من طيب عرفه، أو قال: من ريح عرقه» وهو حديث غريب، فيه مغيرة بن عطية لم يذكر فيه ابن أبي حاتم جرحا ولا تعديلا (٨/ ٢٢٧)، والراوي عنه هو إسماعيل بن الفضل بن عبدالرحمن ذكره البخاري بروايته عن المغيرة هذا الحديث (١/ ٣٩٩).

وفي حديث أم معبد المشهور، لما مر بها النبي ﷺ في الهجرة هو وأبو بكر، ومولاه، ودليلهم، وجاء زوجها فقال: صفيه لي يا أم معبد، فقالت: «رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، حلو المنطق، فصلٌ لا نزر ولا هَذَرٌ، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن»(١).

وروىٰ (أبو زرعة بإسناده)(٢) عن محمد بن عمار بن ياسر(٣)، قال: قلت للرُّبيِّع بنت معوذ بن عفراء: صفي لنا رسول الله ﷺ، فقالت: «يا بني، لو رأيته

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٦٠٥)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٩)، والبيهقي في الدلائل (١/ ٢٧٧) من حديث حبيش بن خالد الخزاعي رضي الله عنه، قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ويستدل علىٰ صحته وصدق رواته بدلائل، فمنها: نزول المصطفىٰ ﷺ بالخيمتين متواترا في أخبار صحيحة ذوات عدد، ومنها أن الذين ساقوا الحديث علىٰ وجهه أهل الخيمتين من الأعاريب الذين لا يتهمون بوضع الحديث والزيادة والنقصان، وقد أخذوه لفظا بعد لفظ عن أبي معبد وأم معبد، ومنها أن له أسانيد كالأخذ باليد أخذ الولد عن أبيه والأب عن جده لا إرسال ولا وهن في الرواة، ومنها أن الحر بن الصباح النخعي أخذه عن أبي معبد كما أخذه ولده عنه، فأما الإسناد الذي رويناه بسياقة الحديث عن الكعبيين فإنه إسناد صحيح عال للعرب الأعاربة وقد علونا في حديث الحر بن الصباح» ثم رواه من طريقه.
وقد اختصر المصنف حديثها، وتكملته في المصادر، وينظر في تفسير ألفاظه: شرح السنة للبغوي (١٣/ ٢٦٦).

(٢) ما بين القوسين ليس في (ب). وهو في هامش (ل) لحقا.
وأبو زرعة عبيدالله بن عبدالكريم الرازي (ت:٢٦٤) له كتاب في دلائل النبوة سبقت الإشارة إليه، وهو من مصادر المصنف.

(٣) كذا وقع في الأصول، وهو أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، كما في المصادر، وأبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر من رجال السنن، وقال أبو حاتم: منكر الحديث (الجرح والتعديل٩/ ٤٠٥)، وفي قول آخر منقول من كتاب الكنىٰ أنه قال: صحيح الحديث (كما في تهذيب الكمال ٣٤/ ٦٢)، وقال ابن الجنيد عن ابن معين: ثقة (السؤالات ٢١٨).

رأيت الشمس طالعة»[1].

وفي الصحيحين عن أنس، قال: «كان رسول الله أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قِبَل الصوت فتلقاهم رسول الله راجعًا، وقد سبقهم (ظ٥٤) إلىٰ الصوت، وقد استبرأ الخبر، وهو علىٰ فرس لأبي طلحة عُري في عنقه السيف وهو يقول: لَمْ تراعوا، وقال: «وجدناه بحرا»، وكان الفرس قَبل ذلك بطيئًا فعاد لا يجارىٰ»[2].

وفي الصحيحين عن ابن عباس، قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[3].

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب قال: «كنا إذا احمر البأس نتقي به، وإنَّ الشجاع منا الذي يحاذي به -يعني النبي ﷺ-»[4].

---

(١) رواه الدارمي (٦١)، والطبراني في الأوسط (٤٤٥٨)، والكبير (٢٤/ ٢٧٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣٥٤)، ودلائل النبوة (١/ ٢٠٠)، وابن عساكر في التاريخ (٣/ ٣١٢) كلهم من طريق عبدالله بن موسىٰ التيمي، عن أسامة بن زيد عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، وأفاد الطبراني تفرد التيمي به، والتيمي من رجال ابن ماجه، قال ابن معين: صدوق كثير الخطأ، (تهذيب الكمال ١٦/ ١٨٤، تاريخ الإسلام ٤/ ٩٠٢)، وقال أحمد: كل بلية منه (تهذيب التهذيب ٦/ ٨٢)، وقال ابن حبان: في أحاديثه رفع الموقوف وإسناد المرسل كثيرا حتىٰ يخطر ببال من الحديث صناعته أنها معمولة من كثرتها لا يجوز الاحتجاج به عند الانفراد ولا الاعتبار عند الوفاق (المجروحين ٢/ ١٦).

(٢) صحيح البخاري (٢٩٠٨)، صحيح مسلم (٢٣٠٧)، وقوله: عري أي ما عليه سرج (فتح الباري ٦/ ٧٠).

(٣) صحيح البخاري (٦)، صحيح مسلم (٢٣٠٨).

(٤) صحيح مسلم (١٧٧٦) ولم يخرج البخاري هذا اللفظ، إنما أخرج أصله في غزوة حنين (٤٣١٧).

وعن علي بن أبي طالب، قال: «لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله ﷺ، وكان أشد الناس بأسًا، وما كان أحد أقرب إلىٰ العدو منه»، ذكره البيهقي بإسناد صحيح[1].

وفي الصحيحين عن أنس، قال: «خدمت رسول الله عشر سنين، والله ما قال لي أفٍّ[2] قط، ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا؟»[3].

وفي (رواية في)[4] الصحيحين أيضًا قال: «خدمته في السفر والحضر، والله ما قال لي لشيء صنعته: لم صنعتَ هذا هكذا؟ ولا لشيء لم أصنعه: لم لم تصنع هذا هكذا؟ وكان أحسن الناس خُلقا»[5].

وفي الصحيحين عن جابر، قال: «ما سُئل رسول الله ﷺ (شيئا، فقال: لا»[6].

وفي الصحيحين عن أنس قال: «ما سئل رسول الله ﷺ)[7] علىٰ الإسلام شيئًا إلاَّ أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلىٰ قومه

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٦١٤)، وأحمد في المسند (٦٥٤)، والنسائي في الكبرىٰ (٨٥٨٥)، وأبو يعلىٰ (٤١٢) وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ (٧٥)، والبيهقي في الدلائل (١/ ٣٢٤).
وقد صححه المصنف كما في عامة النسخ، وفي (ب): ذكره البيهقي بإسناده.

(٢) في (ب): أفا. وهي رواية في مسلم.

(٣) هذا لفظ مسلم في الصحيح (٢٣٠٩).

(٤) ليست في (ب).

(٥) صحيح البخاري (٢٧٦٨)، صحيح مسلم (٢٣٠٩).
وجملة: كان أحسن الناس خلقا، رواها مسلم في الصحيح (٢٣١٠).
ولفظ الحديث في (ب): «أفًّا قط، ولا قال لي لم فعلت كذا».

(٦) صحيح البخاري (٦٠٣٤)، صحيح مسلم (٢٣١١).

(٧) ما بين القوسين سقط من (ط النيل وأصلها د) لانتقال النظر.

فقال: يا قوم، أسلموا، فإنَّ محمدًا يعطي عطاء من لا يخاف الفاقة»(١).

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخُدري قال: «كان رسول الله ﷺ أشدَّ حياءً من العذراء في خُدرها، وكان إذا كره شيئًا عرفناه في وجهه»(٢).

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو -وذكر رسول الله ﷺ- قال: «لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا»(٣).

وروىٰ البخاري عن أنس قال: «لم يكن رسول الله ﷺ سبَّابًا ولا فاحشًا(٤) ولا لعَّانًا، كان يقول لأحدنا عند المعتبة: ما له تربت جبينه»(٥).

وفي صحيح مسلم عن عائشة أنَّها قالت: «ما خُير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط، إلاَّ أن تُنتهك حرمة الله»(٦).

---

(١) صحيح مسلم (٢٣١٢)، ولم يخرجه البخاري.

(٢) صحيح البخاري (٣٥٦٢)، صحيح مسلم (٢٣٢٠).

(٣) صحيح البخاري (٣٥٥٩)، صحيح مسلم (٢٣٢١).

(٤) في هامش (د): فحاشا خ.

(٥) صحيح البخاري (٦٠٣١)، وعنده: ترب جبينه، قال الحافظ: «قوله ترب جبينه أي قتل، لأن القتيل يقع علىٰ وجهه ليترب، وظاهره الدعاء عليه بذلك، ولا يقصد ذلك، وكذا قوله تربت يداك، أي افتقرت فامتلأت ترابا، وقيل: المراد ضعف عقلك بجهلك بهذا، وقيل: افتقرت من العلم، وقيل: معناه استغنيت، يقال هي لغة القبط استعملها العرب واستبعد، والراجح أنه شيء يدعم به الكلام؛ تارة للتعجب، وتارة للزجر، أو التهويل، أو الإعجاب، وهو كويل أمه، ولا أبا لك، وعقرىٰ حلقي، وقال الداودي: إنما هو ثربت بالمثلثة، وغلط» (هدي الساري ٩٢)، وينظر فتح الباري ١٠/ ٤٥٣.

وفي (ب): تربت يمينه.

(٦) صحيح البخاري (٣٥٦٠)، صحيح مسلم (٢٣٢٧).

وعنها قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئًا قط، لا امرأة ولا خادمًا، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله فيَنتقم لله»(١).

وروىٰ مسلم في صحيحه عنها، وقد سُئلت(٢) عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: «كان خُلقه القرآن»(٣).

وروىٰ أبو داود الطيالسي عن شعبة، ثنا أبو إسحاق، ثنا أبو عبد الله الجدلي(٤)، قال: «سمعت عائشة، وسألتُها(٥) عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا، ولا سخَّابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح أو يغفر» شك أبو داود، ورواه الحاكم في مستدركه علىٰ الصحيحين(٦).

---

(١) رواه مسلم في الصحيح (٢٣٢٨).
(٢) السائل هو سعد بن هشام بن عامر.
(٣) صحيح مسلم (٧٤٦).
(٤) في (ب): الخلال، وكتب تحتها: «اسم لرجل». وهو تصحيف. ومثله ما ثبت في (ل): الهذلي.
(٥) في (ل، ط النيل): وسألها.
(٦) رواه أبو داود الطيالسي (١٦٢٣)، وأحمد (٢٥٤١٧)، والترمذي (٢٠١٦)، وقال: حسن صحيح.
وعندهما: يعفو ويصفح بدون شك، ولم أجده في مستدرك الحاكم.
قال الحافظ: «قوله فاحشا ولا متفحشا أي ناطقا بالفحش، وهو الزيادة علىٰ الحد في الكلام السيء، والمتفحش المتكلف لذلك، أي لم يكن له الفحش خلقا ولا مكتسبا» (فتح الباري ٦/ ٥٧٥).
وقوله: ولا سخابا، قال ابن الأثير: والسخب والصخب: بمعنىٰ الصياح (النهاية ٢/ ٣٤٩).

[1]وروىٰ مسلم في صحيحه عن سعد بن هشام، وقد سأل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن خُلق رسول الله ﷺ، فقالت: «ألستَ تقرأ القرآن؟ قال: بلىٰ، قالت: فإن خلق نبي الله القرآن»[2].

وفي صحيح الحاكم عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «بُعثتُ لأتمم صالح الأخلاق»[3].

وفي الصحيحين عن علقمة، قال: سألتُ عائشة: «كيف كان عمل رسول الله ﷺ؟ وهل كان يخص شيئًا من الأيام؟ قالت: لا، كان عمله ديمة، وأيكم يستطيع ما كان رسول الله ﷺ يستطيع»[4] (ظ٥٥).

وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبة، قال: «قام رسول الله حتىٰ تورمت قدماه، فقيل: يا رسول الله، أليس قد غفر الله لك ما تقدم (من ذنبك)[5]

---

(١) في (ب، ل، ط النيل) تأخر هذا الحديث إلىٰ ما بعد حديث علقمة الآتي.

(٢) صحيح مسلم (٧٤٦).

(٣) رواه أحمد (٨٩٥٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٧٠)، وصححه، ورواه البيهقي في السنن الكبير (١٠/ ٣٢٣) وفي إسناده عبدالعزيز بن محمد الدراوردي يرويه عن محمد بن عجلان، والدراوردي سيء الحفظ (ميزان الاعتدال٢/ ٦٣٣)، وقال الهيثمي (مجمع الزوائد٨/ ١١٧): «رجاله رجال الصحيح».
لكن أشار البيهقي إلىٰ أن الدراوردي تفرد به بهذا اللفظ، وغيره رواه عن ابن عجلان بإسناده بلفظ: «أكمل المؤمنين أحسنهم خلقا»، ثم قال ابن عجلان -مرسلا-: وقال رسول الله ﷺ فذكره.
تأخر هذا الحديث في (ل، ط النيل) إلىٰ ما بعد الحديث الآتي.

(٤) صحيح البخاري (١٩٨٧)، صحيح مسلم (٧٨٣)، والديمة: المطر الدائم في سكون، شبهت عمله في دوامه مع الاقتصاد بديمة المطر (النهاية ٢/ ١٤٨).
وقد تقدم هذا الحديث في المطبوعة وغيرها قبل حديثين.

(٥) ليست في ب.

وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدًا شكورًا»[1].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: «ما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قط، إن اشتهاه أكله وإلاَّ تركه»[2].

وروىٰ الإمام أحمد وأبو داود والترمذي[3] من حديث بَهز بن حكيم، عن أبيه عن جده، أن أخاه أتىٰ النبي ﷺ فقال: جيراني علامَ أُخذوا؟ فأعرض عنه النبي ﷺ فقال: إنَّ الناس يزعمون أنك نهيت عن البغي[4]، ثم تستخلي[5] به، فقال: «لأن كنتُ أفعلُ ذلك إنَّه لعلي وما هو عليهم، خلوا له جيرانه»[6].

وروىٰ الإمام أحمد[7] عن أنس بن مالك قال: «ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا، لما يعلمون من كراهته لذلك».

رواه عن عبدالرحمن بن مهدي: حدثنا حماد بن سلمة، عن حميد، عنه، (ورواه أبو داود والترمذي)[8].

---

(١) صحيح البخاري (١١٣٠) صحيح مسلم (٢٨١٩).
(٢) صحيح البخاري (٣٥٦٣)، صحيح مسلم (٢٠٦٤).
(٣) زاد في (ل، ط النيل): وأبو الشيخ الأصبهاني.
(٤) في (ب،ل): الغي.
(٥) في (ب، ط النيل): تستحلي. وهو مهمل في (ل).
(٦) رواه أحمد (٢٠٠١٧)، وأبو داود مختصرا (٣٦٣١)، والترمذي (١٤١٧) بدون القصة، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ (٦٩)، وإسناده حسن.
(٧) في (ل): وروىٰ الإمام أحمد وأبو داود والترمذي.
(٨) رواه أحمد (١٢٣٤٥)، والترمذي (٢٧٥٤)، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ (١٢٥)، وإسناده صحيح علىٰ شرط مسلم.
ولم أجده في سنن أبي داود، ولا عزاه له المزي في تحفة الأشراف (١/ ١٨٢).
وما بين القوسين من (الأصل، ط النيل).

وروىٰ أبو الشيخ وأبو نعيم وغيرهما، عن ابن عباس: «أن الله أرسل إلىٰ نبيه ﷺ مَلكًا من الملائكة معه جبريل، فقال الملك[1]: إن الله خيَّره بين أن يكون عبدًا نبيًّا وبين أن يكون مَلِكًا نبيًّا، قال: فالتفت رسول الله ﷺ إلىٰ جبريل كالمستشير، فأشار جبريل بيده: أن تواضع، فقال رسول الله ﷺ: لا، بل أكون عبدًا نبيًّا» ورواه النسائي والبخاري في تاريخه[2].

وفي صحيح مسلم عن أنس قال: «كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فعاده[3] النبي ﷺ فقال: أتشهد أن لا إله إلا الله؟ فنظر الغلام إلىٰ أبيه، فقال له أبوه: أطع أبا القاسم، فأسلم، فقال النبي ﷺ: الحمد لله الذي أنقذه بي من النار»[4].

---

(١) ليست في (ب).

(٢) رواه النسائي في الكبرىٰ (٦٧١٠)، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ (٦١٨)، من طريق بقية، قال: حدثني الزبيدي، قال: حدثني الزهري، عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، قال: كان ابن عباس يحدث فذكره، وهو منقطع فإن محمد بن علي لم يدرك جده ابن عباس رضي الله عنهما.

والذي في تاريخ البخاري الكبير (١/ ١٩٤) روايته مرسلا عن محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب، ولم أجد فيه حديث ابن عباس.

وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: رواه أحمد (٧١٦٠)، وأبو يعلىٰ (٦١٠٥)، وابن حبان (٦٣٦٥) من حديث عمارة، عن أبي زرعة، قال: ولا أعلمه إلا عن أبي هريرة، قال: جلس جبريل إلىٰ النبي ﷺ، فنظر إلىٰ السماء، فإذا ملك ينزل، فقال جبريل: إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق، قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد، أرسلني إليك ربك، أفملكا نبيا يجعلك، أو عبدا رسولا؟ قال جبريل: تواضع لربك يا محمد. قال: «بل عبدا رسولا». وهذا إسناد جيد، والحديث صحيح.

(٣) في (ل): فأتاه.

(٤) هو في صحيح البخاري (١٣٥٦).

وعن (قيس بن)[1] أبي حازم أن النبي ﷺ كلَّم رجلاً فأرعد[2]، فقال له رسول الله ﷺ: «هون عليك، فإني لست بملك، إنَّما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد».

رواه ابن الجوزي من طرق بعضها متصلاً[3] عن ابن مسعود[4]، قال ابن الجوزي: وروي متصلا، والصواب إرساله كما تقدم[5].

وفي الصحيح عن أنس: «أنَّ امرأة كان في عقلها شيء، قالت: يا رسول الله، إن لي إليك حاجة، قال: يا أم فلان، خذي في أي الطرق شئت، قومي فيه حتىٰ أقوم معك، فخلا معها يناجيها حتىٰ قضت حاجتها» رواه مسلم[6].

وعن أنس قال: «كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ

---

(١) ليس في (ل).

(٢) في (ب) زيادة: منه.

(٣) كذا في جميع الأصول.

(٤) كذا في جميع الأصول: عن ابن مسعود. وكتب حاشية في (ظ): وجرير. وهذه الحاشية ثبتت في المتن في (ط النيل).
وقوله ابن مسعود تصحيف فيما يظهر، صوابه: عن أبي مسعود، فإن الحديث حديثه، كما في مصادر التخريج.

(٥) رواه ابن ماجه (٣٣١٢) والحاكم في المستدرك (٣/ ٤٧) من حديث جعفر بن عون، ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، عن أبي مسعود.
قال البوصيري: هذا إسناد صحيح رواته ثقات (زوائد ابن ماجه ٤/ ١٩).
ورواه الطبراني في الأوسط (١٢٦٠) والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٧) من طريقين - فيهما ضعف- عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير، وهو وهم.
فالحديث معلول، بين ذلك الدارقطني (في العلل ٦/ ١٩٥) أنه مرسل عن قيس، وكذا ابن حجر (في إتحاف المهرة ١١/ ٢٧٣).

(٦) صحيح مسلم (٢٣٢٦).

فتدور به في حوائجها حتىٰ تفرغ، ثم يرجع[1]» رواه البخاري في الأدب[2].

وروىٰ عن ابن أبي أوفىٰ قال: «كان رسول الله ﷺ يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له حاجته»[3].

وعنه قال: «كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر، ويقل اللغو، ويطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، ولا يستنكف أن يمشي مع العبد ولا مع الأرملة حتىٰ يفرغ من حاجتهم» ورواه الدارمي والحاكم في صحيحه[4].

وروىٰ أبو داود الطيالسي عن أنس قال: «كان رسول الله ﷺ يركب الحمار، ويلبس الصوف، ويجيب دعوة المملوك، ولقد رأيته يوم خيبر علىٰ حمار خطامه ليف»[5].

---

(١) في (ب): ترجع.

(٢) رواه أحمد (١١٩٤١)، والبخاري في الصحيح معلقا (٦٠٧٢)، وإسناده صحيح، ولم أجده في الأدب المفرد ولم يعزه إليه أحد من الحفاظ، فمراد المصنف كتاب الأدب من الصحيح.
قال الحافظ: «والمقصود من الأخذ باليد لازمه وهو الرفق والانقياد، وقد اشتمل علىٰ أنواع من المبالغة في التواضع، لذكره المرأة دون الرجل، والأمة دون الحرة، وحيث عمم بلفظ الإماء أي أمة كانت، وبقوله حيث شاءت أي من الأمكنة، والتعبير بالأخذ باليد إشارة إلىٰ غاية التصرف حتىٰ لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست منه مساعدتها في تلك الحاجة لساعد علىٰ ذلك، وهذا دال علىٰ مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر ﷺ» (فتح الباري ١٠/ ٤٩٠).

(٣) رواه الدارمي (٧٥)، والنسائي في الكبرىٰ (١٧٢٨).

(٤) رواه الدارمي (٧٥)، والحاكم (٢/ ٦١٣) وإسناده صحيح.

(٥) رواه الطيالسي (٢٢٦٢)، وابن ماجه (٤١٧٨)، وإسناده ضعيف لأنه من رواية مسلم الأعور عن أنس، ومسلم منكر الحديث (الجرح والتعديل ٨/ ١٩٢).

وروىٰ مسلم في صحيحه عن أنس، قال: «ما رأيت أرحم بالعيال من رسول الله»[(١)].

وروىٰ البخاري عنه قال: «مر رسول الله (ظ٥٦) ﷺ علىٰ صبيان فسلَّم عليهم»[(٢)].

وروىٰ ابن عباس قال: «كان رسول الله يجلس علىٰ الأرض، ويأكل علىٰ الأرض، ويعتقل الشاة[(٣)]، ويجيب دعوة المملوك»[(٤)].

وعن قدامة بن عبد الله: «رأيت رسول الله ﷺ علىٰ بغلة شهباء، لا ضَرْب ولا طَرْد ولا إليكَ إليكَ» رواهما أبو الشيخ[(٥)].

وعن عائشة قالت: «ما رأيتُ رسول الله ﷺ قط مستجمعًا ضاحكًا حتىٰ أرىٰ منه لهواته، إنما كان يبتسم، وكان إذا رأىٰ غَيْمًا أو ريحا عُرف في وجهه، فقلت: يا رسول الله، الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عُرف في وجهك الكراهية، قال: يا عائشة، وما يؤمنني أن يكون فيه عذاب؟ قد عُذِّب قوم بالريح، وقد أتىٰ العذاب قوما، وتلا قوله تعالىٰ:

---

(١) صحيح مسلم (٢٣١٦).

(٢) صحيح البخاري (٦٢٤٧).

(٣) اعتقل الشاة أي: وضع رجليها بين ساقيه وفخذه فحلبها (تاج العروس٣٠/ ٢٦)، وهي من علامات التواضع، قال علي الأزدي: ثلاث من كن فيه لم يكن متكبرا، أن يعتقل الشاة، ويركب الحمار.. (غريب الحديث للحربي ٣/ ١٢٢٧).

(٤) رواه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ (١٢٨)، وفيه مسلم الأعور منكر الحديث.

(٥) رواه الطيالسي (١٤٣٥) وأحمد (١٥٤١٠) والترمذي (٩٠٣)، والنسائي في الكبرىٰ (٤٠٥٣)، وابن ماجه (٣٠٣٥)، وأبو الشيخ (١١٨) بإسناد حسن، وعندهم: رمىٰ جمرة العقبة علىٰ ناقه صهباء، وبعضهم قال: شهباء..الحديث.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]»، أخرجاه في الصحيحين[١].

وفي الصحيحين أيضًا عن أنس قال: «كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذ بردائه جبذًا شديدًا، حتىٰ نظرت إلىٰ صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته[٢]، ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، قال: فالتفت إليه رسول الله فضحك، ثم أمر له بعطاء»[٣].

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة، قال: «كان رسول الله ﷺ لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه حتىٰ تطلعَ الشمس، فإذا طلعت قام، وكانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم»[٤].

وفي رواية أخرىٰ صحيحة: «كان طويل الصمت، قليل الضحك، وكان أصحابه[٥] ربما تناشدوا عنده الشعر، والشيء من أمورهم، فيضحكون ويتبسم»[٦].

وفي صحيح البخاري عن عائشة وسألها الأسود: ما كان رسول الله ﷺ يصنع في أهله؟ فقالت: «كان يكون في مهنة أهله - تعني خدمة أهله - فإذا حضرت الصلاة خرج»[٧].

---

(١) صحيح البخاري (٤٨٢٨)، صحيح مسلم (٨٩٩).
(٢) في (ب): جذبته.
(٣) صحيح البخاري (٣١٤٩)، صحيح مسلم (١٠٥٧).
(٤) صحيح مسلم (٦٧٠).
(٥) في (ب): وكانوا الصحابة. وفي (ل): وكانوا أصحابه.
(٦) رواه الطيالسي (٨٠٨)، وأحمد (٢٠٨١٠)، وأبو الشيخ (٥).
(٧) صحيح البخاري (٦٧٦).

وفي رواية عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عروة قال: «سأل رجل عائشة: هل كان يعمل في بيته؟ فقالت: كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته»[١].

وروىٰ الطيالسي: حدثنا شعبة، ثنا «الأعور»[٢]، قال: سمعت أنسا يقول: «كان رسول الله يركب الحمار، ويلبس الصوف، ويجيب دعوة المملوك.

ولقد رأيته يوم خيبر علىٰ حمار خطامه من ليف»[٣].

[٤]وفي صحيح مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام (من خبز بُرٍّ تباعًا، حتىٰ مضىٰ لسبيله)[٥]»[٦].

وعنها قالت: «كنا آل محمد ﷺ يمر بنا الهلال والهلال والهلال[٧]، ما نوقد بنار لطعام، إلا أنه التمر والماء، إلا أنه حولنا أهل دور من الأنصار، فيبعث أهل كل دار بغزيرة[٨] شاتهم إلىٰ رسول الله ﷺ، وكان للنبي ﷺ[٩] من

---

(١) رواه أحمد (٢٥٣٤١)، وليس هو في المصنف لعبد الرزاق.

(٢) في الأصول كلها: «الأغر» وهو تصحيف، فإنه مسلم أبو عبدالله الأعور، كما في مسند الطيالسي(٢٢٦٢).

(٣) ذكره المصنف آنفا، وخرجته هناك.

(٤) كرر هنا في (ب، ل) ما مضىٰ من حديث مسلم، فقال: «وروىٰ مسلم في صحيحه عن أنس قال: ما رأيت أحدا أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ، ورىٰ عنه البخاري قال: مر رسول الله ﷺ علىٰ صبيان فسلم عليهم».

(٥) ليس ما بين القوسين في (ب).

(٦) متفق عليه، صحيح البخاري (٦٦٨٧)، صحيح مسلم (٢٩٧٠).

(٧) سقط الهلال الثالث من (ط النيل).

(٨) في (ب): «برة ما يهتم» وهو تصحيف. (ط النيل): بفزيرة. والمثبت هو الصحيح.

(٩) كذا في الأصل ظ، ومثله في (ل) لكن قال: وكان النبي، وفي (ب): وكان النبي ﷺ يشرب من ذلك اللبن.

ذلك اللبن» أخرجاه في الصحيحين(١).

وفي صحيح البخاري قال أنس: «ما رأىٰ رسول الله ﷺ رغيفًا مرققًا حتىٰ لحق بالله، ولا رأىٰ شاةً سميطًا بعينه قط»(٢).

وفي صحيح البخاري عنه: «ما أكل رسول الله ﷺ علىٰ خِوان، ولا في سُكُرُّجة، ولا خُبز له مُرقق، فقيل له: علىٰ ما كانوا يأكلون؟ قال: علىٰ السفر»(٣).

---

(١) يظهر أن المصنف صدر عن دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٣٤١) فإن اللفظ أقرب إليه، وقريب منه رواية مسند الإمام أحمد(٢٤٧٦٨)، حيث ذُكر فيها: «غزيرة الشاة».
والحديث متفق عليه من طريق عروة بن الزبير عن عائشة؛ صحيح البخاري (٢٥٦٧)، ومسلم (٢٩٧٢) ولفظه: عن عائشة ﵂، أنها قالت لعروة: ابن أختي «إن كنا لننظر إلىٰ الهلال، ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار»، فقلت يا خالة: ما كان يعيشكم؟ قالت: «الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، كانت لهم منائح، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانهم، فيسقينا».
والغزيرة: كثيرة اللبن (النهاية ٣/ ٣٦٥).

(٢) صحيح البخاري (٥٤٢١)، قال ابن الأثير: «سميطا: أي مشوية، فعيل بمعنىٰ مفعول» (النهاية ٢/ ٤٠٠). وقال الحافظ:«المسموط: الذي أزيل شعره بالماء المسخن، وشوي بجلده، أو يطبخ، وإنما يصنع ذلك في الصغير السن الطري، وهو من فعل المترفين من وجهين؛ أحدهما: المبادرة إلىٰ ذبح ما لو بقي لازداد ثمنه، وثانيهما أن المسلوخ ينتفع بجلده في اللبس وغيره، والسمط يفسده» (فتح الباري ٩/ ٥٣١).

(٣) صحيح البخاري (٥٣٨٦).
والخوان: ما يعد للسفرة من الخشب، ولا يقال له سفرة إلا إذا كان عليه طعام (هدي الساري١٩١)، وكونه يأكل علىٰ السفرة بلا خوان، أي أنه يأكل علىٰ الأرض.
والسكرجة: هكذا ضبطها الحافظ، ونقل عن بعضهم جواز فتح الراء، وناقشه في ذلك، ثم نقل عن ابن مكي أنه قال: «وهي صحاف صغار يؤكل فيها ومنها الكبير والصغير فالكبيرة تحمل قدر ست أواق وقيل ما بين ثلثي أوقية إلىٰ أوقية قال ومعنىٰ ذلك أن العجم كانت تستعمله في الكواميخ والجوارش للتشهي والهضم» (فتح الباري ٩/ ٥٣٢) قلت: =

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب: «أنه خطب وذكر ما فتح علىٰ الناس، فقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يلتوي[1] يومه من الجوع ما يجد من الدقل ما (ظ٥٧) يملأ به بطنه»[2].

وفي صحيح البخاري عن أنس: «أنه مشىٰ إلىٰ رسول الله ﷺ بخبز شعير، وإهالةٍ سَنِخَة، ولقد رهن درعه عند يهودي فأخذ لأهله شعيرًا، ولقد سمعته يقول: ما أمسىٰ عند آل محمد صاع تمرٍ[3] ولا صاع حبٍّ، وإنهم يومئذ تسعة أبيات»[4].

وفيه عن عائشة، قالت: «كان فراش رسول الله من أدم حشوه ليف»[5].

وفي الصحيحين[6] من حديث عمر بن الخطاب - لما ذكر اعتزال رسول الله نساءَه - قال: «فدخلتُ علىٰ رسول الله ﷺ في خزانته، فإذا هو مضطجع علىٰ حصير، فأدنىٰ إليه إزاره وجلس، وإذا الحصير قد أثر بجنبه، وقلبت عيني في بيته فلم أجد شيئًا يرد البصر غير قبضة من شعير، وقبضة من قرظ نحو

= وهي أشبه ما تكون بالأطباق الصغيرة التي تقدم فيها المقبلات في زماننا هذا..
والخبز المرقق هو الملين المحسن، كخبز الحواري، قال الحافظ: «الرغيف الواسع الرقيق» (فتح الباري ٩/ ٥٣٠).

(١) كذا في الأصول الخطية كلها، وهو يوافق ما في صحيح مسلم، وفي المطبوعة: «يتلوىٰ». وهو من تغيير المحقق.

(٢) صحيح مسلم (٢٩٧٨)، والدقل رديء التمر ويابسه، وما ليس له اسم خاص، فتراه ليبسه ورداءته لا يجتمع ويكون منثورا (النهاية في غريب الحديث ٢/ ١٢٧).

(٣) كذا في الأصل، وفي (ب، ل، ط النيل): صاع بر، وهو الذي يوافق ما في الصحيح.

(٤) صحيح البخاري (٢٠٦٩)، والسنخة: المتغيرة الريح (النهاية ٢/ ٤٠٨).

(٥) متفق عليه، صحيح البخاري (٦٤٥٦)، صحيح مسلم (٢٠٨٢)، والأدم الجلد.

(٦) في (ب، ل) وفي صحيح مسلم.

الصاعين، وإذا أَفيق معلقة، فابتدرت عيناي، فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك يا ابن الخطاب؟ فقلت[1]: يا رسول الله، وما لي لا أبكي وأنت صفوة الله ورسوله وخيرته من خلقه، وهذه خزانتك، وهذه الأعاجم -(وفي رواية)[2]: كسرىٰ وقيصر- في الثمار والأنهار، فقال: أو في شك أنت يا ابن الخطاب، أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا.

[3]أو ما ترضىٰ أن تكون لهم الدنيا، ولنا الآخرة؟ قال: بلىٰ، قال: فاحمد لله ﷻ، قال: فقلت: أستغفر الله»[4].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا»[5].

وروىٰ الطيالسي -بإسناد صحيح- عن ابن مسعود، قال: «اضطجع النبي علىٰ حصير، فأثر الحصير بجلده، فجعلت أمسحه عنه وأقول: بأبي أنت وأمي

---

(١) في (ب): فقال.

(٢) ليست في (ب).

(٣) في (ب، ل): وفي رواية..

(٤) يظهر أن المصنف صدر عن دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٣٣٦)، فإن هذا اللفظ أقرب إليه، وهو حديث متفق عليه كما ذكر الشيخ، انظر: صحيح البخاري (٤٩١٣)، صحيح مسلم (١٤٧٩).

وقوله: أفيق، هو بفتح أوله، وجمعه: أفق، كقوله: قفيز وقفز (شرح مسلم للنووي: ٩/ ١٧٨)، قال ابن الأثير: هو الجلد الذي لم يتم دباغه، وقيل هو ما دبغ بغير قرظ (النهاية في غريب الحديث ١/ ٥٥، وانظر: فتح الباري ٩/ ٢٨٨).

(٥) متفق عليه، رواه البخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (١٠٥٥)، وهذا مما يؤكد صدور المؤلف عن دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٣٣٩) فإن البيهقي عزاه أولا لمسلم.

والقوت: قدر ما يمسك الرمق من المطعم (النهاية ٤/ ١١٩).

يا رسول الله، ألا آذنتنا فنبسط لك شيئا يقيك منه تنام عليه؟ فقال: ما لي وللدنيا، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها»[1].

ورواه الحاكم في صحيحه عن ابن عباس أن عمر[2] دخل علىٰ النبي ﷺ فذكر نحوه[3].

وفي الترمذي عن أنس بن مالك، قال: «حج النبي ﷺ علىٰ رحل رثٍّ وقطيفة»[4].

ورواه البخاري عن أنس أيضًا في كتاب الحج فقال: «حجَّ أنس علىٰ رحل رثٍّ، ولم يكن شحيحًا، وحدَّث أن النبي ﷺ حج علىٰ رحل، وكانت زاملته»[5].

---

(١) رواه الطيالسي (٢٧٥)، والترمذي(٢٣٧٧)، وقال: حسن صحيح، والبيهقي في الدلائل (١/ ٣٣٧).

(٢) في (ب): ابن عمر، وهو تصحيف.

(٣) رواه أحمد (٢٧٤٤)، والحاكم (٤/ ٣٠٩)، وإسناده صحيح.
كتب في هامش ظ: حاشية ورواه أحمد.

(٤) رواه ابن ماجه (٢٨٩٠)، والترمذي في الشمائل (٣٣٥).
وفي إسناده يزيد بن أبان الرقاشي ضعيف الحديث جدا (ميزان الاعتدال ٤/ ٤١٨)، وتتمة الحديث: وقطيفة تساوي أربعة دراهم، أو لا تساوي، ثم قال: «اللهم حجة لا رياء فيها، ولا سمعة».

(٥) علقه البخاري عن شيخه محمد بن أبي بكر المقدمي (١٥١٧)، وهو في النسخ المطبوعة موصول، إذ فيها: حدثنا محمد، وفي المختصر النصيح (٧٢٠)، وتحفة الأشراف (١/ ١٦٠): وقال محمد بن أبي بكر، وأشار إلىٰ ذلك البيهقي في السنن ٤/ ٣٣٢، وبين الحافظ أن قوله: حدثنا، هو في رواية أبي ذر وحده، ولغير أبي ذر: قال، وقال الحافظ: «قوله: وكانت زاملته أي الراحلة التي ركبها، والمراد أنه لم تكن معه زاملة تحمل طعامه ومتاعه بل كان ذلك محمولا معه علىٰ راحلته وكانت هي الراحلة والزاملة» (فتح الباري ٣/ ٣٨١).

وفي صحيح الحاكم عن أنس: «أن النبي ﷺ لبس خشنا، وأكل خشنًا، ولبس الصوف، واحتذىٰ المخصوف، قيل: للحسن: ما الخشن؟ قال: غليظ الشعير، ما كان يسيغه إلاَّ بجرعة ماء»[1].

فصل[2]:

وممَّا يبين[3] به فضل أمته علىٰ جميع الأمم - وذلك مستلزم لكونه رسولاً صادقا كما تقدم، وهو آية وبرهان علىٰ نبوته، فإن كل ملزوم فإنه دليل علىٰ لازمه- أنَّ الأمم نوعان:

نوع لهم كتاب منزل من عند الله، كاليهود والنصارىٰ.

ونوع لا كتاب لهم كالهند، واليونان، والترك، وكالعرب قبل مبعث محمد ﷺ.

وما من أمة إلاَّ ولا بدَّ لها[4] من علم وعمل بحسبهم، يقوم به ما يقوم من مصالح دنياهم، وهذا من الهداية العامة التي جعلها الله لكل إنسان بل لكل حيوان[5]، كما يهدي الحيوان إلىٰ جلب ما ينفعه بالأكل والشرب، ودفع ما يضره باللباس والسكن، وقد خلق الله فيه حبًّا لهذا، وبغضًا لهذا.

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٣٨٤)، والحاكم (٤/ ٣٢٦) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
واحتذىٰ المخصوف، أي اتخذه حذاء، وأصل الخصف ضم الشيء إلىٰ الشيء (النهاية ٢/ ٣٨).
هامش ظ: بلغ.

(٢) في (د، ط النيل): فصل «في المعاد». وهذا الفصل عقده المصنف ليبين فضل أمة الإسلام في العلم والعمل، واختار المعاد مثالاً للمقارنة بين أمة الإسلام وسائر الأمم.

(٣) في (ب): «تبين».

(٤) في (ب): «لهم».

(٥) هامش ظ: حي خ. أي أنها كذلك في نسخة. وهكذا هو في (ب).

قال تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١-٣].

وقال موسىٰ: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

(وقال الخليل: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء:])[١].

وقال في أول ما أنزل علىٰ محمد (ظ٥٨) ﷺ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ٨-١٠].

ثم الأمم متفاضلون في معرفة الخالق تعالىٰ، وفي الإقرار بمعادٍ[٢] بعد الموت، إما للأرواح فقط، وإمَّا للأبدان فقط، وإما لمجموعهما كما هو قول سلف المسلمين وأئمتهم وعامتهم أهل السنة والجماعة.

ومتفاضلون فيما يحمدونه، ويستحسنونه من الأفعال والصفات، وما يذمونه ويستقبحونه من ذلك، لكن عامة بني آدم علىٰ أن العدل خير من الظلم، والصدق خير من الكذب، والعلم خير من الجهل، وأن المحسن إلىٰ الناس خير من الذي لا يحسن إليهم.

---

(١) هذه الآية ليست في (ل، ب).

(٢) في (ب، ل): بالمعاد.

وأمَّا المعاد[1] - إما للأرواح أو[2] للأبدان، وإن الناس بعد الموت يكونون سعداء وأشقياء[3]- فيقر به كثير من الأمم غير أهل الكتاب -وإن كان علىٰ وجه قاصر- كحكماء الهند، واليونان، والمجوس، وغيرهم.

وذلك أن أهل الأرض في المعاد علىٰ أربعة أقوال[4]:

أحدها:

وهو مذهب سلف المسلمين؛ من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين المشهورين، وغيرهم من أهل السنة والحديث من الفقهاء والصوفية والنظار، وهو إثبات معاد الروح والبدن[5] جميعًا، وأن الإنسان إذا مات كانت روحه منعمة أو معذبة، ثم تعاد روحه إلىٰ بدنه عند القيامة الكبرىٰ.

ولهذا يذكر الله في كثير من السور أمر القيامتين: القيامة الصغرىٰ بالموت، والقيامة الكبرىٰ حين يقوم الناس من قبورهم وتعاد أرواحهم إلىٰ أبدانهم، كما ذكر الله القيامتين في سورة الواقعة حيث قال في أولها: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١-١١].

---

(١) في (ط النيل): فهو إما.

(٢) في (ب): وإما.

(٣) في (ل): أو أشقياء.

(٤) انظر: الصفدية ٢/ ٢٦٧، المستدرك علىٰ مجموع الفتاوىٰ ١/ ٩١، درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٠١.

(٥) في (ل): الأرواح والأبدان.

ثم ذكر سبحانه حال الأصناف الثلاثة في القيامة الكبرىٰ، وقال في آخر السورة: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٣-٩٤].

وكذلك قال في سورة القيامة: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١-١٣] فذكر القيامة الكبرىٰ، ثم قال في آخر السورة: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٢٦-٣٠].

وبسط هذا له موضع آخر، فإنَّ ذكر ما ينال الروح عند فراق البدن من النعيم والعذاب كثير في النصوص النبوية، وأما وصف القيامة الكبرىٰ في الكتاب والسنة فكثير جدا لأنَّ محمدا ﷺ خاتم الأنبياء، وقد بعث بين يدي الساعة، فلذلك[1] وصف القيامة بما لم يصفه به غيره، كما ذكر المسيح - في صفته - فقال: «إنه يخبركم (ظ٥٩) بكل ما يأتي، ويعرفكم جميع ما للرب».

---

(١) في (ب): فكذلك.

والقول الثاني:

قول من يثبت معاد الأبدان فقط، كما يقول ذلك كثير من المتكلمين الجهمية والمعتزلة المبتدعين من هذه الأمة، وبعض المصنفين يحكي هذا القول عن جمهور متكلمي المسلمين، أو جمهور المسلمين، وذلك غلط، فإنه لم يقل ذلك أحد من أئمة المسلمين، ولا هو قول جمهور نظارهم، بل هو قول طائفة من متكلميهم المبتدعة، الذين ذمَّهم السلف والأئمة.

والقول الثالث:

المعاد للنفس الناطقة بالموت فقط[1]، وأنَّ الأبدان لا تعاد، وهذا لم يقله أحد من أهل الملل لا المسلمين ولا اليهود ولا النصارىٰ، بل هؤلاء كلهم متفقون علىٰ إعادة الأبدان، وعلىٰ القيامة الكبرىٰ، ولكن مَن يُفَلسف[2] من هؤلاء -فوافق سلفه من الصابئة والفلاسفة المشركين علىٰ أنَّ المعاد للروح وحده- فإنَّه يزعم أن الأنبياء خاطبوا الجمهور بمعاد الأبدان، وإن لم يكن له حقيقة، وخاطبوهم بإثبات الصفات لله وليس له حقيقة، وأن الأنبياء لم يظهروا الحقائق للخلق، وأنه لا يستفاد من أخبارهم معرفة شيء من صفات الله ولا معرفة شيء من أمر المعاد.

وحقيقة قولهم: أنَّ الأنبياء كذبوا للمصلحة.

وهؤلاء ملاحدة كفَّار عند المتبعين للأنبياء من المسلمين واليهود والنصارىٰ، وإن كان هؤلاء كثيرين موجودين فيمن يتظاهر بأنه من أهل الملل، لظهور أديانهم، وهو في الباطن علىٰ هذا الرأي.

---

(١) النفس الناطقة هي الروح (درء تعارض العقل والنقل٦/ ٣٢)، وبين الشيخ أنه مصطلح فلسفي (مجموع الفتاوىٰ ٣/ ٣٢)، وانظر: الصفدية ٢/ ٢٦٧.

(٢) كذا في ظ مظبوطا، وفي (ب، ل، ط النيل): تفلسف.

وهؤلاء -القائلون بمعاد الأرواح[1] فقط- منهم من يقول: بأنَّ الأرواح تتناسخ إمَّا في أبدان الآدميين، أو أبدان الحيوان مطلقًا، أو في جميع الأجسام النامية، ومنهم من يقول: بالتناسخ للأنفس[2] الشقية فقط، وكثير من محققيهم ينكر التناسخ.

والقول الرابع:

إنكار المعادين جميعًا، كما هو قول أهل الكفر من العرب واليونان والهند والترك وغيرهم.

والمتفلسفة أتباع أرسطو -كالفارابي وأتباعه- لهم في معاد الأرواح ثلاثة أقوال:

قيل: بالمعاد للنفس[3] العالمة والجاهلة.

وقيل: بالمعاد للعالمة دون الجاهلة.

وقيل: بإنكار الاثنين.

والفارابي نفسه قد قال الأقوال الثلاثة.

وبسط الكلام علىٰ هذه الأمور له موضع آخر[4].

والمقصود هنا أنَّ كل ما عند أهل الكتاب -بل وسائر أهل الأرض- مِن علم نافع وعمل صالح فهو عند المسلمين، وعند المسلمين ما ليس عند غيرهم

---

(١) في (ب): الروح.
(٢) في (ب): في النفس.
(٣) في (ب): للأنفس.
(٤) انظر: مجموع الفتاوىٰ ٤/ ٢٨٣، ٣١٤، ٥/ ٣٣.

في جميع المطالب التي تنال بها السعادة والنجاة.

وعقلاء جميع الأمم تأمر بالعدل ومكارم الأخلاق، وتنهىٰ عن الظلم والفواحش، ولهم علوم إلهية وعبادات بحسبهم، ويعظمون أهل العلم والدين منهم، والهند واليونان والفرس في ذلك أكمل من كفار الترك والبربر ونحوهم، مع أن هؤلاء أيضا فيهم قسط من ذلك بحسبهم[١].

ومعلوم عند الاعتبار أنَّ الأمم الذين لهم كتاب -كاليهود والنصارىٰ- أكمل من الأمم الذين لا كتاب لهم في الفضائل العلمية والعملية، فإن ما لم يأخذه الناس عن الأنبياء يعلم بالعقل والاعتبار، أو بالمنام والإلهام، وإخبار الجن، ونحو ذلك من طرق الأمم، وكل طريق صحيح من الطرق العقلية والإلهامية وغيرهما[٢] يشارك[٣] أهل الكتاب فيه من لا كتاب له، ويمتاز أهل الكتاب بعلوم وأعمال أخذوها عن الأنبياء، ليس في قوة من ليس بنبيٍّ أن يعلمها، وهذا ظاهر في الأخلاق والسياسات المنزلية والمدنية، فإن جنس أهل الكتاب -ولو كان منسوخا مبدلاً- أحسن حالاً ممن لا كتاب له.

وأمَّا في العبادات والإيمان بالله واليوم الآخر: فرجحانهم فيه ظاهر.

وأمَّا علوم وأعمال يكون ضررها (ظ٦٠) راجحًا؛ كالسحر والطلسمات وما يتوسل به من الشرك إلىٰ استخدام الشياطين، ونحو ذلك، فهذا وإن كان غير أهل الكتاب أقوم به، فإنما ذاك لاستغناء أهل الكتاب بما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة.

---

(١) ليست في (ب، ل).
(٢) في (ب، ل): وغيرها.
(٣) في (ل): شارك.

ولهذا لما ذكر الله سبحانه في قصة سليمان براءته عن ذلك، وكانت الشياطين قد[1] كتبت كتب كفر وسحر، ودفنتها تحت كرسي سليمان، فلما مات أظهروا ذلك وقالوا: إنما كان يُسخر الجن بهذه الأسماء والعزائم، فصدقهم فريقان:

فريق قدحوا في سليمان بل كفروه من أهل الكتاب، وقال: من فعل ذلك فهو كافر.

وفريق قالوا: نحن نقتدي بسليمان ونفعل كما كان يفعل، وهم أهل العزائم والطلاسم التي يستخدمون بها الجن، ويقولون: إن سليمان كان يستخدمهم بها، حتىٰ يقولوا: إن هذه الأسماء كانت مكتوبة علىٰ تاجه، وهذا صورة خاتمه، وهذا كلام آصف بن برخيا، إلىٰ أمثال ذلك مما يضيفونه إليه، وهو كذب علىٰ سليمان.

وقد ذكر ذلك علماء المسلمين[2] في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ

---

(١) ليست في (ب).

(٢) انظر: تفسير الطبري ٢/ ٤٠٧، تفسير البغوي ١/ ١٢٧، تفسير ابن كثير ١/ ٣٤٩.

﴿ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ١٠٢ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠١-١٠٣].

فذمَّ سبحانه من عدل عن اتباع كتاب الله ورسوله واتبع ما تتلوه الشياطين علىٰ عهد سليمان، وبيَّن سبحانه أنَّ سليمان لم يكفر ولكن الشياطين كفروا، وأنهم يعلمون الناس السحر، وما أنزل علىٰ الملكين ببابل هاروت وماروت، وأنَّ الملكين ما يعلمان من أحد حتىٰ يقولا: إنما نحن فتنة فلا تكفر[1].

وأخبر سبحانه أنهم لا يضرون به أحدًا إلا بإذن الله، وأنهم يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم، ثم قال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ أي من نصيب، أي هؤلاء يعلمون أن صاحبه لا نصيب له في الآخرة، وإنما يطلبون أنهم يقضون به أغراضهم الدنيوية لما لهم في ذلك من الهوىٰ، وذلك ضار لهم لا نافع، كما قال في المشرك: ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ [الحج: ١٣].

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٣] فبين سبحانه أنه بالإيمان والتقوىٰ يحصل[2] من ثواب الله ما هو خير لهم من هذا، (فإنهم إنما يطلبونه لما يرجون به من الخير

---

(١) قال ابن جرير: معنىٰ الكلام: واتبعوا ما تتلوا الشياطين من السحر علىٰ ملك سليمان فتضيفه إلىٰ سليمان، وما كفر سليمان، فيعمل بالسحر، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر (جامع البيان ٢/ ٤١٨).

(٢) في (ب): يحصل له.

لهم، وهذا خير لهم)[1]، وهذا كقوله: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الجمعة: ٩].

فإنَّ ما تطلبه النفوس فيه لها لذة، يُجعل خيرا بذلك الاعتبار، لكن إذا كان الألم زائدًا على اللذة كان شره أعظم من خيره.

والشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، فهي تأمر بما ترجَّح مصلحته، وإن كان فيه مفسدة مرجوحة كالجهاد، وتنهىٰ عما ترجحت مفسدته، وإن كان فيه مصلحة مرجوحة كتناول المحرمات من الخمر وغيره، ولهذا أمر تعالىٰ أن نأخذ بأحسن ما أنزل إلينا من ربنا.

فالأحسن: إما واجب وإما مستحب، قال تعالىٰ: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٥] وقال: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥] فأمر باتباع الأحسن والأخذ به، وقال تعالىٰ (ظ٦١): ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ١٧،١٨] فاقتضىٰ أن غيرهم لم يهده، وهذا يقتضي وجوب الأخذ بالأحسن، وهو مُشكل، وقد تكلم الناس فيه[2].

ونظيره قوله تعالىٰ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون: ٩٦]

---

(١) سقط ما بين القوسين من (ب).

(٢) انظر: تفسير المصنف لهذه الآية في مجموع الفتاوىٰ ١٦/ ٥-٧. وما ذكره زين الدين الرازي في: أنموذج جليل ص١٤٧.

مع قوله تعالىٰ في موضع آخر[1]: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [الرعد: ٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ في موضعين [الأنعام:١٥٢][الإسراء:٣٤].

وقد يقال: هذا نظير قوله: ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، وقوله: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، وقوله: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾، وقوله: ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾، وقوله: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ وقوله: ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾، (إلىٰ قوله ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾)[2].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وقوله: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]، وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء: ٦٦].

ونظائر[3] هذا كثيرة، مما يذكر فيه أن المأمور به خير وأحسن من المنهي عنه، وإن كان الأول واجبًا والثاني محرمًا، وذلك لأنَّ المأمور به قد يشتمل علىٰ

---

(١) حاشية في هامش الأصل ظ: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾.
(٢) ليس في (ب، ل).
(٣) هامش (د): «في الأصل وتظاهر».

مفسدة مرجوحة، والمنهي عنه يشتمل علىٰ مصلحة مرجوحة، فيكون باعتبار ذلك في هذا خير وحسن، وفي هذا شر وسيئ، لكن هذا خير وأحسن وإن كان واجبًا.

فقوله: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥] هو أمر بالأحسن من فعل المأمور أو ترك المحظور، وهو يتناول الأمر بالواجب والمستحب، فإنَّ كلاهما أحسن من المحرم والمكروه، لكن يكون الأمر أمر إيجاب وأمر استحباب، كما أمر بالإحسان في قوله: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] والإحسان منه واجب، ومنه مستحب(١).

---

(١) لشيخ الإسلام رسالة صغيرة في تفسير قوله تعالىٰ ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ الآية، وذلك ضمن مجموع الفتاوىٰ ١٦/ ٥، ذكر وجهين لمعنىٰ الأحسن، الأول: أن هذا مثل قوله: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ واتباع القول إنما هو العمل بمقتضاه، ومقتضاه فيه حسن وأحسن ليس كله أحسن وإن كان القرآن في نفسه أحسن الحديث؛ ففرق بين حسن الكلام بالنسبة إلىٰ غيره من الكلام وبين حسنه بالنسبة إلىٰ مقتضاه المأمور والمخبر عنه.
والثاني، وهو أن يقال: القرآن تضمن خبرا وأمرا فالخبر عن الأبرار والمقربين وعن الكفار والفجار؛ فلا ريب أن اتباع الصنفين حسن واتباع المقربين أحسن والأمر يتضمن الأمر بالواجبات والمستحبات. ولا ريب أن الاقتصار علىٰ فعل الواجبات حسن وفعل المستحبات معها أحسن ومن اتبع الأحسن فاقتدىٰ بالمقربين وتقرب إلىٰ الله بالنوافل بعد الفرائض كان أحق بالبشرىٰ.

فصل[1]:

وإذا كان جنس أهل الكتاب أكمل - في العلوم النافعة والأعمال الصالحة - ممن لا كتاب له، فمعلوم أنَّ أمته ﷺ أكمل من طائفتي أهل الكتاب: اليهود والنصارىٰ وأعدل، وقد جمع لهم محاسن ما في التوراة وما في الإنجيل.

فليس عند أهل الكتاب فضيلة علمية وعملية إلا وأمة محمد ﷺ أكمل منهم فيها.

فأمَّا العلوم:

فهم أحذق في جميع العلوم من جميع الأمم حتىٰ العلوم التي ليست بنبوية، ولا أخروية، كعلم الطب مثلاً والحساب، ونحو ذلك، هم أحذق فيها من الأمتين، ومصنفاتهم فيها أكمل من مصنفات الأمتين، بل هم أحسن علمًا وبيانًا لها من الأوائل الذين كانت هي غاية علمهم، وقد يكون الحاذق فيها من هو عند المسلمين منبوذ[2] بنفاق وإلحاد، ولا قدر له عندهم، لكن حصل له بما[3] تعلمه من المسلمين من العقل والبيان ما أعانه علىٰ الحذق في تلك العلوم، فصار حثالة المسلمين أحسن معرفة وبيانًا لهذه العلوم من أولئك المتقدمين.

وأمَّا العلوم الإلهية والمعارف الربانية وما أخبرت به الأنبياء من الغيب كالعرش والملائكة والجن والجنة والنار وتفاصيل المعاد:

---

(١) في هامش (د): «فصل في وجوه العدل ومقصود العبادات وصفاتها».

(٢) في (ل): منبوز.

(٣) في (د): مما.

فكل من نظر في كلام المسلمين فيها وكلام علماء اليهود والنصارىٰ وجد كلام المسلمين فيها أكمل وأتم.

ومعلوم أن علم أهل الكتاب والملل بذلك أتم من علم غيرهم.

وأما العبادة والزهد والأخلاق (ظ٦٢) والسياسة المنزلية والمدنية:

فالكلام فيها مبني علىٰ أصل، وهو: «معرفة المقصود بها وما به يحصل المقصود».

فنقول: للناس في مقصود العبادات مذاهب:

منهم من يقول: المقصود بها تهذيب أخلاق النفوس وتعديلها لتستعد بذلك للعلم، وليست هي مقصودة في نفسها، ويجعلونها من قسم الأخلاق، وهذا قول متفلسفة اليونان، وقول من اتبعهم من الملاحدة والإسماعيلية وغيرهم من المتفلسفة الإسلاميين؛ كالفارابي وابن سينا وغيرهما، ومَن سلك طريقهم[(١)] من متكلم ومتصوف ومتفقه، كما يوجد مثل ذلك في كتب أبي حامد[(٢)]، والسهروردي المقتول، وابن رشد الحفيد، وابن عربي، وابن سبعين[(٣)].

لكن أبو حامد يختلف كلامه: تارة يوافقهم، وتارة يخالفهم.

---

(١) في (ب): طريقتهما.

(٢) يعني الغزالي.

(٣) وبين المصنف أن هؤلاء يجعلون العبادات وسائل محضة إلىٰ ما يدعونه العلم، ولذلك يرون هذا ساقطا عمَّن حصَّل المقصود، قال المصنف: «كما تفعل الملاحدة الإسماعيلية ومن دخل في الإلحاد أو بعضه وانتسب إلىٰ الصوفية أو المتكلمين أو الشيعة أو غيرهم» انظر: مجموع الفتاوىٰ ٩/ ١٣٦.

وهذا القدر فعله ابن سينا وأمثاله ممن رام الجمع بين ما جاءت به الأنبياء، وبين فلسفة المشائين: أرسطو وأمثاله، ولهذا تكلموا في الآيات، وخوارق العادات، وجعلوا لها ثلاثة أسباب:

القوىٰ الفلكية، والقوىٰ النفسانية، والطبيعية.

إذ كانت هذه هي المؤثرات في هذا العالم عندهم، وجعلوا ما للأنبياء وغير الأنبياء من المعجزات والكرامات وما للسحرة من العجائب هو قوىٰ[1] النفس، لكن الفرق بينهما أن ذلك قصده الخير، وهذا قصده الشر[2].

وهذا المذهب من أفسد مذاهب العقلاء، كما قد بُسط الكلام عليه في غير هذا الموضع، فإنه مبني علىٰ إنكار الملائكة، وإنكار الجن، وعلىٰ أنَّ الله لا يعلم الجزئيات، ولا يخلق بمشيئته وقدرته، ولا يقدر علىٰ تغيير العالم.

ثم إنَّ هؤلاء لا يُقرُّون من المعجزات إلاَّ بما جرىٰ علىٰ هذا الأصل، وأمكن أن يقال فيه هذا، مثل: نزول المطر، وتسخير السباع، وإمراض الغير وقتله، ونحو ذلك، فأما قلب العصا حية، وإحياء الموتىٰ، وإخراج الناقة من الهضبة، وانشقاق القمر، وأمثال ذلك فلا يقرون به.

وقد عُلم بطرق متعددة ما يكون من الخوارق بسبب أفعال الجن، وبسبب أفعال الملائكة، وأحوال الجن معلومة عند عامة الأمم: مسلمهم وكافرهم، لا يجحد ذلك إلاَّ من هو من أجهل الناس، وكذلك من فسرها بقوىٰ الأنفس، وهذا غير إخبار الله عنهم فيما أنزله من الكتب.

---

(١) في (ب، ل): من قوىٰ النفس.

(٢) انظر: الصفدية للمصنف ١/ ١٦٥ ، ومفتاح دار السعادة لتلميذه ابن القيم ٢/ ١١٩.

وأما الملائكة فأمرهم أجل، وهم رسل الله في تدبير العالم، كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥]، وقال[1]: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ [الذاريات: ٤].

وقد ذكر الله تعالىٰ في كتبه من أخبارهم وأصنافهم ما يطول وصفه، وآثارهم موجودة في العالم، يُعرف ذلك بالاعتبار كما قد بسط في موضعه؛ إذ المقصود هنا ذكر مذاهب الناس في العبادات، وهؤلاء غاية ما عندهم في[2] العبادات والأخلاق والحكمة العملية[3] أنهم رأوا النفس لها[4] شهوة وغضب من حيث القوة العملية، ولها نظر[5] من جهة القوة العلمية، فقالوا: كمال الشهوة في العفة، وكمال الغضب في الحلم والشجاعة، وكمال القوة النظرية في العلم، والتوسط في جميع ذلك بين الإفراط والتفريط هو: العدل.

وما ذكروه من العمل متعلق بالبدن[6] لم يثبتوا خاصية النفس التي[7] هي محبة الله وتوحيده، بل ولا عرفوا ذلك كما لم يكن عندهم من العلم بالله إلا

---

(١) ليست في (ب).
(٢) في (ب): من.
(٣) في (ظ): «والحكمة والعملية». وهو سبق قلم، وسيذكر المصنف لاحقا: «الحكمة العملية» وتتفق عليه النسخ.
والحكمة العملية يراد بها العبادات، والحكمة النظرية يراد بها الاعتقاد (انظر: الصفدية ٢/ ٢٤٠، والرد علىٰ المنطقيين ص٤٢٥ حيث ذكر مبحثا نفيسا في الفرق بين المتفلسفة وبين المسلمين في العلم والعمل).
(٤) في (ب، ل): فيها.
(٥) في (ب): نظير.
(٦) في (د، ط النيل، المطبوعة): «الندب».
وهو تصحيف، وما أثبت من الأصول هو الصحيح، إذ المقصود البدن الذي هو في مقابل النفس، ومقاصد العبادات يختلف نظر الناس فيها ما بين ناظر إلىٰ البدن أو النفس، انظر: (مدارج السالكين ١/ ١٠٧).
(٧) في (ب): خاصة النفس الذي هو.

قليل مع كثير من الباطل، كما قد بسط الكلام عليهم في موضع آخر[1].

ومحبة الله وتوحيده هو الغاية التي فيها صلاح للنفس، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، فلا صلاح للنفس ولا كمال لها إلا في ذلك، وبدون ذلك تكون فاسدة لا صلاح لها، كما قد بسط الكلام على ذلك في موضع آخر.

ولهذا كان هذا هو دين الإسلام الذي اتفقت عليه الرسل، (وهو جماع دعوة المرسلين)[2]، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، (ظ٦٣) وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا يُوحَى[3] إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وأن[4] هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥١-٥٣].

وقال -لما ذكر قصص الأنبياء-: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا

---

(١) انظر في درء تعارض العقل والنقل ٦/ ٥٩، في سياق رد المصنف على قول ابن سينا: «العارف يريد الحق الأول لا لشيء غيره».

(٢) ما بين القوسين ليس في (ب، ل).

(٣) ضبطها في الأصول الخطية بالياء المضمومة، وهي قراءة الجمهور إلا حفصا وحمزة والكسائي وخلفا (النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٩٦).

(٤) بفتح همزة أن في الأصل ظ، وهي قراءة من سوى الكوفيين (النشر ٢/ ٣٢٨).

رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٢، ٩٣].

وقال: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٠-٣٢].

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فالغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم: عبادة الله وحده، وهي حقيقة قول القائل: لا إله إلا الله، وبهذا بعث الله جميع الرسل، وأنزل جميع الكتب، ولا تصلح النفس وتكمل وتزكو(١) إلا بهذا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت: ٦] أي لا يؤتون ما تزكو به نفوسهم من التوحيد والإيمان(٢).

---

(١) في (ب، ل) قدم وأخر.

(٢) وهذا أحد قولين وردا في هذه الآية، قال ابن جرير: «الذين لا يؤتون الزكاة: اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: معناه: الذين لا يعطون الله الطاعة التي تطهرهم، وتزكي أبدانهم، ولا يوحدونه وذلك قول يذكر عن ابن عباس».
ثم روىٰ عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة أنه قال: هم الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله (تفسير الطبري ٢١/ ٤٣٠).
=

وكل من لم يحصل له هذا الإخلاص لم يكن من أهل النجاة والسعادة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] في موضعين من كتابه.

وهذا أول الكلمات العشر التي أنزلها الله علىٰ موسىٰ حيث قال: «أنا الله لا (إله إلا أنا إلهك الذي أخرجتك من أرض مصر، من التعبد: لا يكون لك إله غيري، لا تتخذ صورا ولا تمثالا، ما في السماوات من فوق، ومن في الأرض من أسفل، وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن، ولا تعبدهن إني أنا ربك العزيز»[1].

= ثم ذكر ابن جرير القول الثاني، وأن المراد زكاة الأموال، وصوبه تقديما للحقيقة الشرعية، لكن قال ابن كثير: «فيه نظر؛ لأن إيجاب الزكاة إنما كان في السنة الثانية من الهجرة إلىٰ المدينة، علىٰ ما ذكره غير واحد وهذه الآية مكية، اللهم إلا أن يقال: لا يبعد أن يكون أصل الزكاة الصدقة كان مأمورا به في ابتداء البعثة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١]، فأما الزكاة ذات النصب والمقادير فإنما بين أمرها بالمدينة، ويكون هذا جمعا بين القولين، كما أن أصل الصلاة كان واجبا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في ابتداء البعثة، فلما كان ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة ونصف، فرض الله علىٰ رسوله ﷺ الصلوات الخمس، وفصل شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك، شيئا فشيئًا» (تفسير ابن كثير ٧/ ١٦٤).

(١) حاشية بهامش الأصل ظ: «هكذا في السفر الثاني من التوراة، وهو: سفر المخرج، أي سفر خروج بني إسرائيل من مصر، وفي السفر الخامس، وهو سفر السين، قال: أنا الرب إلهكم الذي أخرجتكم من مصر ومن بيت التعبد، لئلا يكون لك إلها آخر غيري، ولا تعمل لك كل صنم وكل شبه، الذي في السماء من فوق والذي في الأرض من أسفل؛ والذي في الماء من أسفل من الأرض، ولا تسجد لهم، ولا تعبدهم، من أجل أني أنا الرب إلهك الله المعبود».
قلت: هكذا سمىٰ السفر الثاني: المخرج، وهو يسمىٰ اليوم: سفر الخروج، وكذا السفر الخامس، سفر السين –ولعلها: الثين– وهو يسمىٰ اليوم: سفر التثنية. =

وقد شهد المسيح عليه السلام أنَّ هذا هو أعظم وصية في الناموس)[1].

فعبادة الله وحده لا شريك له، وأن يكون الله أحب إلىٰ العبد من كل ما سواه، هو أعظم وصية وكلمة جاء بها المرسلون؛ كموسىٰ والمسيح ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين، وضد هذا هو الشرك الذي لا يغفره الله تعالىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] وقد بسط الكلام علىٰ هذا في غير موضع.

وبين أنَّ النفس ليس لها نجاة ولا سعادة ولا كمال إلاَّ بأن يكون الله معبودها ومحبوبها، الذي لا أحب إليها منه، ولهذا كثر في الكتب الإلهية الأمر بعبادة الله وحده.

= والذي في أيدينا اليوم من سفر (الخروج: ٢٠)، وسفر (التثنية: ٥) -وفيها الوصايا العشر- مع خلاف يسير بين السفرين: «أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من مصر من بيت العبودية * لا يكن لك آلهة أخرىٰ أمامي * لا تصنع لك تمثالا منحوتا صورة مما في السماء من فوق وما في الأرض من أسفل وما في الماء من تحت الأرض* لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء وفي الجيل الثالث والرابع من الذين يبغضونني * وأصنع إحسانا إلىٰ ألوف من محبي وحافظي وصاياي * لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلا * اذكر يوم السبت لتقدسه * ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك * وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك. لا تصنع عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك * لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، واستراح في اليوم السابع. لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه * أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك علىٰ الأرض التي يعطيك الرب إلهك * لا تقتل * لا تزن * لا تسرق * لا تشهد علىٰ قريبك شهادة زور * لا تشته بيت قريبك. لا تشته امرأة قريبك، ولا عبده، ولا أمته، ولا ثوره، ولا حماره، ولا شيئا مما لقريبك».

(١) ما بين القوسين ترك مكانه بياضا في (ب، ل) وكتب فيه: صح. كأنه هكذا هو من الأصل المنقول منه. والمثبت من الأصلين: ظ، د.

ولفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب، فلا بدَّ أنْ يكون العابد محبًّا للإله المعبود كمال الحب، ولا بدَّ أن يكون ذليلاً له كمال الذل، فمن أحب شيئًا ولم يذل له لم يعبده، ومن خضع له ولم يحبه لم يعبده، وكمال الحب والذل لا يصلح إلا لله وحده، فهو الإله المستحق للعبادة التي لا يستحقها إلا هو، وذلك يتضمن كمال الحب، والذل، والإجلال، والإكرام، والتوكل، والعبادة(١).

والنفوس محتاجة إلىٰ الله من حيث هو معبودها ومنتهىٰ مرادها وبغيتها، ومن حيث هو ربها وخالقها، فمن أقر(٢) بأن الله رب كل شيء وخالقه ولم يعبد الله(٣) وحده -بحيث يكون الله أحب إليه مما(٤) سواه، وأخشىٰ عنده من كل ما سواه، وأعظم عنده من كل ما سواه، وأرجىٰ عنده من كل ما سواه (ظ٦٤)، بل من سوَّىٰ بين الله وبين بعض المخلوقات في الحب بحيث يحبه مثل ما يحب الله، ويخشاه مثل ما يخشىٰ الله، ويرجوه مثل ما يرجو الله، ويدعوه مثل ما يدعوه- فهو مشرك الشرك الذي لا يغفره الله، ولو كان مع ذلك عفيفًا في طعامه ونكاحه، وكان حليمًا شجاعا.

فما ذكره المتفلسفة من الحكمة العملية ليس فيها من الأعمال ما تسعد به النفوس، وتنجو من العذاب، كما أن ما ذكروه من الحكمة النظرية ليس فيها

---

(١) تكررت هذه المعاني في كتب الشيخ المصنف ورسائله كثيرا، انظر: التدمرية ص١٦٦، جامع الرسائل ٢/ ٢٤٨، درء تعارض العقل والنقل ٦/ ٥٩. وينظر له: «قاعدة في المحبة» حيث أفاض في ذلك.

(٢) في (ب، ل): آمن بالله.

(٣) كتب إلا فوق لفظ الجلالة في (ب) وهو خطأ يحيل المعنىٰ، وقع به محقق المطبوعة.
ومراد المصنف أن من أقر بالربوبية ولم يفرد الله بالعبادة فهو مشرك، ولعل اللبس وقع من طول الفصل بين من وجوابها، وقد ميزت ذلك بعلامتين ليتضح المعنىٰ.

(٤) في (ب، ل): من كل ما سواه.

الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فليس عندهم من العلم ما تهتدي به النفوس، ولا من الأخلاق ما هو دين حق، ولهذا لم يكونوا داخلين في أهل السعادة في الآخرة المذكورين في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢](١).

وهذه الفضائل الأربع التي ذكرها المتفلسفة لا بد منها في كمال النفس وصلاحها وتزكيتها، والمتفلسفة لم يحدوا ما يُحتاج إليه بحدٍّ يُبيِّن مقدار ما تحصل به النجاة والسعادة، ولكن الأنبياء بينوا ذلك، وقد قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فهذه الأنواع الأربعة هي التي حرمها تحريمًا مطلقًا لم يبح منها شيئًا لأحد من الخلق، ولا في حال من الأحوال، بخلاف الدم والميتة ولحم الخنزير، وغير ذلك، فإنه يحرم في حال، ويباح في حال، وأمَّا الأربعة فهي محرمة مطلقًا.

فالفواحش متعلقة بالشهوة.

والبغي بغير الحق يتعلق بالغضب.

والشرك بالله فساد أصل العدل، فإنَّ الشرك ظلم عظيم.

والقول علىٰ الله بلا علم فساد في(٢) العلم.

فقد حرم سبحانه هذه الأربعة، وهي: فساد الشهوة والغضب وفساد العدل والعلم.

---

(١) انظر: الرد علىٰ المنطقيين ص١٤٥.
(٢) ليست في (ب).

وقوله: ﴿وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾ [الأعراف: ٣٣] تضمَّن تحريم أصل الظلم في حق الله، وذلك يستلزم إيجاب العدل في حق الله تعالىٰ، وهو عبادته وحده لا شريك له، فإنَّ النفس لها القوتان: العلمية، والعملية، وعمل الإنسان عملٌ اختياري، والعمل الاختياري إنما يكون بإرادة العبد.

وكل إنسان له إرادة وعمل بإرادته؛ فإنَّ الإنسان حساس متحرك بالإرادة، ولهذا قال النبي ﷺ: «أصدق الأسماء الحارث وهمام»(١) والإرادة لا بدَّ لها من مُراد، وكل مُراد فإمَّا أن يُراد لنفسه، وإمَّا أن يراد لغيره، (والمراد لغيره)(٢) لا بدَّ أن ينتهي إلىٰ مرادٍ لنفسه(٣).

فالقوة العملية تستلزم أنْ يكون للإنسان مرادا(٤)، وذلك المراد لنفسه «هو المحبوب لنفسه، وهو الإله الذي يستحق أن يكون محبوبا لذاته، وهذا هو العلة الغائية، الذي»(٥)هو علة فاعلة للعلة الفاعلية(٦)، ولهذا قيل: «العامة

---

(١) رواه أحمد (١٩٠٣٢)، وأبو داود (٤٩٥٠)، وفي إسناده ضعف.

(٢) ليست في (ب).

(٣) فيمتنع أن تكون جميع المرادات مرادات لغيرها، فإن هذا تسلسل في العلل الغائية، وهو ممتنع، كامتناع التسلسل في العلل الفاعلية، بل أولىٰ، وإذا كان لا بد للإنسان من مراد لنفسه، فهذا هو الإله الذي يألهه القلب، فإذا لا بد لكل عبد من إله، فعلم أن العبد مفطور علىٰ أنه يحب إلهه، (عارض العقل والنقل ٨/ ٤٦٥).

(٤) كذا في الأصل ظ، د: وفي (ل، ب): للإنسان مراد.

(٥) سقط ما بين القوسين من (ل).

(٦) في (ب،ل): الفاعلة.

الربوبية هي العلة الفاعلية، والألوهية هي العلة الغائية، (بيان تلبيس الجهمية ٤/ ٥٣٣).

قال المصنف: الإلهية هي الغاية؛ والربوبية تتضمن خلق الخلق وإنشاءهم فهو متضمن ابتداء حالهم؛ والمصلي إذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فبدأ بالمقصود الذي هو الغاية علىٰ الوسيلة التي هي البداية، فالعبادة غاية مقصودة؛ =

تقول: قيمة كل امرئ ما يحسنه، والعارفون يقولون: قيمة كل امرئ ما يطلب».

وفي بعض الكتب المتقدمة: «إني لا أنظر إلىٰ كلام الحكيم وإنما أنظر إلىٰ همته»[1].

وهؤلاء المتفلسفة لم يذكروا هذا في كمال النفس، وإنما جعلوا كمالها العملي في تعديل الشهوة والغضب بالعفة والحلم، وهذا غايته ترك الإسراف في الشهوة والغضب.

والشهوة: هي جلب ما ينفع البدن ويبقي النوع.

والغضب: دفع ما يضر البدن.

ولم يتعرضوا لمراد الروح الذي يحبه لذاته مع أنهم إنما تكلموا فيما يعود إلىٰ البدن (ظ٦٥)، وجعلوا ذلك إصلاحًا للبدن الذي هو آلة للنفس، وجعلوا كمال النفس في مجرد العلم.

وقد بسطنا[2] غلطهم في هذا الأصل من وجوه في غير هذا الموضع، وبينا أنَّ النفس لها كمال في العمل والإرادة، كما أنَّ لها كمالاً في العلم، وأنَّ العلم المجرد ليس كمالاً لها ولا صلاحًا، ولو كان كمالاً لم يكن ما عندهم من العلم

= والاستعانة وسيلة إليها؛ تلك حكمة وهذا سبب؛ والفرق بين العلة الغائية والعلة الفاعلية معروف؛ ولهذا يقال: أول الفكرة آخر العمل وأول البغية آخر الدرك، فالعلة الغائية متقدمة في التصور والإرادة وهي متأخرة في الوجود (مجموع الفتاوىٰ ١٠/ ٢٨٤، وانظر: جامع المسائل ٦/ ٨٩، درء تعارض العقل والنقل ١/ ٣٣٠).

(١) نقله ابن القيم عن شيخه سماعا، قال: سمعت شيخنا يقول: وفي بعض الآثار الإلهية..فذكره (مدارج السالكين٣/ ٥).

(٢) ضرب عليها في (ب) وكتب فوقها: بينا.

ما هو كمال النفس(١).

وبيَّنا غلط الجهمية الذين قالوا: الإيمان هو مجرد العلم، وأنَّ الصواب قول السلف والأئمة: إنَّ الإيمان قول وعمل، أصله قول القلب، وعمل القلب المتضمن علم القلب وإرادته، وإذا كان لا بدَّ للنفس من مراد محبوب لذاته لا تصلح إلا به، ولا تكمل إلا به -وذلك هو إلهها- فليس لها إله يكون به صلاحها إلا الله، ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وليس ذلك للإنسان فقط بل للملائكة والجن، فإنهم كلهم أحياء عقلاء ناطقون، لهم علم وعمل اختياري، ولا صلاح لهم إلا بمرادهم المحبوب لذاته، وهو معبودهم، ولا يجوز أنْ يكون معبودًا محبوبًا لنفسه إلا الله، فلو كان في السماوات والأرض إله إلا الله لفسدتا، فلهذا كان دين جميع الرسل عبادة الله وحده لا شريك له.

وهؤلاء المتفلسفة لا يعرفون ذلك، فليس عندهم من صلاح النفس وكمالها في العلم والعمل ما تنجو به من الشقاء، فضلاً عما تسعد به، ومما يبين ذلك أن أرسطو -معلمهم الأول- هو وأتباعه إنما أثبتوا العلة الأولىٰ بالحركة الفلكية، فقالوا: الحركة الدَّوْرية حركة اختيارية نفسانية، فقوامه بحركته الاختيارية، وفساده بعدمها، وقوام حركته بما يتحرك لأجله، فإنَّ الفاعل بالاختيار إنما قوامه بعلته الغائية التي يتحرك لأجلها، وغايته التي يتحرك لأجلها هو العلة الأولىٰ فإنه يتحرك للتشبه بها.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ ٢/ ٩٤، فما بعد.

فجعلوا قوام العالم كله بالعلة الأولىٰ من حيث هو متشبه به؛ لأنَّ المتحرك باختياره لا بد له من مراد.

ومعلوم أنَّ الحركة الإرادية تطلب مرادًا محبوبًا لنفسه(١)، وتستلزم ذلك أعظم من استلزامها مُتشبَّهًا(٢) به، فإن كل متحرك بإرادة(٣) لا بد له من مراد محبوب لنفسه، فإن الإرادة لا بد لها من مراد، والمراد يكون إمَّا مرادًا لنفسه، وإمَّا لغيره، والمراد لغيره إنما يراد لذلك الغير فلا بدَّ أن يكون ذلك الغير مُرادًا لنفسه، أو ينتهي إلىٰ مراد لنفسه، وإلاَّ لزم التسلسل في العلل الغائية، وذلك باطل كبطلان التسلسل في العلل الفاعلية بصريح العقل، واتفاق العقلاء، وبسط هذا له موضع آخر.

وإذا كان الفاعل بالاختيار يستلزم مرادًا محبوبًا لنفسه؛ فلا بدَّ أن يكون لما يتحرك في السماوات بإرادته، سواء كان هؤلاء الملائكة، أو ما يسمونه هم نفسًا من محبوب مراد لذاته يكون هو(٤) الإله المعبود المراد بتلك الحركات.

وكذلك نَفسُ الإنسان حركتها بالإرادة من لوازم ذاتها، فلا بد لها من محبوب مراد لذاته، وهو الإله، وهذا المحبوب المراد لذاته هو الله تعالىٰ، ويمتنع أن يكون غيره، كما قد بسط هذا في موضع آخر.

وبينٌ أنه كما يمتنع أن يكون موجودًا بغيره -بل هو واجب الوجود

---

(١) في (ل): «لنفسها». وهو خطأ.
(٢) في (ل): مشبها. وفي (ب): مشبه.
(٣) في (ب، ل): «بالإرادة».
(٤) في (ب): «يكون هو الله تعالىٰ هو الإله».

بنفسه- فيمتنع أن يكون مرادًا لغيره بل مراد لنفسه، كما يمتنع أن يكون للعالم ربان قادران، يمتنع أن يكون للعالم إلهان معبودان، فإن كون أحدهما قادرًا يناقض كون الآخر قادرًا؛ لامتناع اجتماع القادرين علىٰ مقدور واحد، وامتناع كون أحدهما قادرًا علىٰ الفعل حين يكون الآخر قادرا عليه، وامتناع ارتفاع قدرة أحدهما بقدرة الآخر مع التكافؤ، لذلك[1] يمتنع أن يكون إلهان معبودان محبوبان لذاتهما؛ لأن كون أحدهما هو المعبود لذاته يناقضه أن يكون غيره معبودا لذاته، فإن ذلك يستلزم أن يكون بعض المحبة والعمل لهذا، وبعض ذلك لهذا، وذلك يناقض كون الحب (ظ٦٦) والعمل كله لهذا، فإن الشركة نقص في الحب، فلا تكون حركة المتحرك بإرادته له، فلا يكون أحدهما معبودًا معمولاً له إلاَّ إذا لم يكن الآخر كذلك، فإن العمل لهذا يناقض أن يكون له شريك فضلاً عن أن يكون لغيره.

وكل من أحب شيئين فإنما يحبهما لثالث غيرهما، وإلا فيمتنع أن يكون كل منهما محبوبًا لذاته؛ إذ المحبوب لذاته هو الذي تريده النفس وتطلبه، وتطمئن إليه، بحيث لا يبقىٰ لها مراد غيره، وهذا يناقض أن يكون له شريك.

والقول الثاني (في مقصود العبادات)[2]:

قول من يقول: إنَّ الله عرض[3] الناس بالتكليف بالعبادات ليثيبهم علىٰ ذلك بعد الموت؛ فإنَّ الإنعام بالثواب لا يحسُن[4] بدون التكليف؛ لما فيه من

---

(١) في (ب): «كذلك».
(٢) ليست في (ب، ل).
(٣) في (المطبوعة): «عوض»، وهو تصحيف إذ إن كل النسخ الخطية التي بين يدي اتفقت عليه، وافقتها ط النيل.
(٤) في (ب): «الإنعام لا يحسن بالثواب».

الإجلال والتعظيم الذي لا يستحقه إلا مُكلِّف[1]، كما يقول ذلك القدرية (كالمعتزلة ومن وافقهم من الشيعة وأهل الكتاب من)[2] المسلمين واليهود[3] وغيرهم.

وهؤلاء قد يقولون: إنَّ[4] الواجبات الشرعية لطفًا في الواجبات العقلية، وقد يقولون: إن الغاية المقصودة التي بها يحصل الثواب هو العمل، والعلم ذريعة إليه، حتىٰ يقولوا مثل ذلك في معرفة الله تعالىٰ، يقولون: إنما وجبت لأنها لطف[5] في أداء الواجبات العقلية العملية.

والقول الثالث:

قول من يقول: بل الله تعالىٰ أمر بذلك لا لحكمة مطلوبة ولا بسبب، بل لمحض المشيئة، وهذا قول الجبرية المقابلين للقدرية: كالجهم، والأشعري، وخلق كثير من المتكلمين[6] والفقهاء والصوفية وغيرهم[7].

القول الرابع:

قول سلف الأمة وأئمتها، وهو: أنَّ نفس معرفة الله تعالىٰ ومحبته مقصودة لذاتها، وأن الله سبحانه محبوب مستحق للعبادة لذاته لا إله إلا هو، ولا يجوز أن يكون غيره معبودًا محبوبًا لذاته، وأنه سبحانه يحب[8] عباده الذين يحبونه،

---

(١) في (ب): بتكلف.
(٢) ليست في (ب، ل).
(٣) ليست في (د، ل).
(٤) في (ب، ل، د): يجعلون الواجبات.
(٥) في (ب): تطلب.
(٦) في (ب): من المسلمين. وهو تصحيف.
(٧) انظر: مجموع الفتاوىٰ ٨/ ٣٧.
(٨) في (ب): يحبه. وهو تصحيف.

ويرضىٰ عنهم، ويفرح بتوبة التائب، ويبغض الكافرين ويمقتهم، ويغضب عليهم ويلعنهم[1]، وأنَّ في ذلك من الحكم البالغة، ولذلك[2] من الأسباب ما يطول وصفه في هذا (الخطاب كما قد بسط في موضعه.

إذ المقصود هنا هو[3]: التنبيه علىٰ أن المسلمين)[4] أكمل من غيرهم في العلوم النافعة والأعمال الصالحة.

وإذا عرف مذاهب الناس في مقاصد العبادات فهم أيضا مختلفون[5] في صفاتها:

-فمن الناس من يظن أنَّ كلَّ ما كان أشق علىٰ النفس وأشد إماتة لشهوتها فهو أفضل، وهذا مذهب كثير من المشركين والهند[6] وغيرهم، وكثير من أهل الكتاب اليهود والنصارىٰ، وكثير من مبتدعة المسلمين[7].

-والقول[8] الثاني: قول من يقول: إن أفضلها ما كان أدعىٰ إلىٰ تحصيل الواجبات العقلية.

-والثالث: قول من يقول: فضل بعضها علىٰ بعض لا علة له، بل يرجع إلىٰ محض المشيئة.

---

(١) في (ب، ل): ويذمهم.
(٢) في (ب، د): وكذلك.
(٣) ليست في (ب).
(٤) ما بين القوسين ليس في (ل).
(٥) في (ب): يختلفون.
(٦) في (ب، ل): المشركين الهند.
(٧) وهذا المذهب الأول.
(٨) ليست في (ب، ل).

-والرابع -وهو الصواب-: أن أفضلها ما كان لله أطوع، وللعبد أنفع.

فما كان صاحبه أكثر انتفاعًا به، وكان صاحبه أطوع لله به من غيره فهو أفضل، كما جاء في الحديث: «خير العمل أنفعه»[1].

وعلىٰ كل قول فعبادات المسلمين أكمل من عبادات غيرهم:

أمَّا علىٰ الأول فأولئك يقولون: كلما كانت الأعمال أشق علىٰ النفس

---

(١) ذكره المصنف بالمعنىٰ، ولفظه: «خير العمل ما نفع»، فقد ورد هكذا ضمن حديث طويل.
رواه الخرائطي في اعتلال القلوب (٣٦) والقضاعي في مسند الشهاب (١٢٣٣) وقوام السنة في الترغيب والترهيب (١٢٥٣) وابن عساكر في معجمه (١/ ٥٦٦) من طريق عبدالله بن مصعب بن خالد بن زيد الجهن عن أبيه عن جده زيد بن خالد قال: تلقفت هذه الخطبة من في رسول الله ﷺ بتبوك سمعته يقول في خطبة طويلة فيها: «خير العمل ما نفع، وخير الهدي ما اتبع، وخير ما ألقي في القلب اليقين».
ورواه أبو القاسم بن أبي قعنب في حديثه، كما في السلسلة الضعيفة للألباني (٥/ ٨٠، رقم:٢٤٦٤)، ثم أعاده فيها برقم (٥٦٤١).
قال ابن عساكر بعد أن رواه: حسن غريب لم يرو إلا بهذا الإسناد أهـ.
وفي إسناده عبدالله بن مصعب عن أبيه، قال ابن القطان: مصعب وابنه غير معروفين (الوهم والإيهام ٤/ ٦٠٥)، قال الذهبي: عبد الله بن مصعب بن خالد الجهني، عن أبيه، عن جده، فرفع خطبة منكرة، وفيهم جهالة (ميزان الاعتدال ٢/ ٥٠٦).
قلت: روىٰ الدارقطني منه في السنن (٥/ ٤٤: ٤٦١١) قوله: والخمر جماع الإثم.
وله شاهد موقوف، رواه هناد في الزهد (٤٩٧)، والبيهقي في المدخل إلىٰ السنن (ص٤٢٦) من طريق عبدالرحمن بن عابس حدثني أناس عن ابن مسعود، فذكر خطبة طويلة، فيها: خير العلم ما نفع، ثم قال البيهقي في آخره: كذا قال: خير العمل ما نفع!
ثم رواه من طريق أحمد بن حنبل، ثنا عبد الرحمن بن مهدي، في حديث ابن مسعود إنما قال سفيان: العمل، فكتبتها ليحيىٰ يعني القطان: العلم فقال: إنه قرأه علي: العلم وقال حدثني ناس من أصحاب عبد الله قال: ثم سألته فقال: حدثني ناس ولم يذكر عن أصحاب عبد الله يعني: خير العلم ما نفع.

فهي أفضل، ثم هؤلاء قد يفضلون الجوع والسهر والصمت والخلوة ونحو ذلك، كما يفعل ذلك من يفعله من المشركين الهند وغيرهم، ومن النصارىٰ ومبتدعة هذه الأمة.

ولكن يقال لهم: الجهاد أعظم مشقة من هذا كله، فإنه بذل النفس، وتعريضها للموت، ففيه غاية الزهد المتضمن لترك الدنيا كلها، وفيه جهاد النفس في الباطن، وجهاد العدو في الظاهر، (وتلك العبادات توجد من الضعفاء)[1]، ومعلوم أن المسلمين أعظم جهادًا من اليهود والنصارىٰ، فإن اليهود خالفوا موسىٰ في الجهاد وعصوه، والنصارىٰ لا يجاهدون علىٰ دين.

وأمَّا علىٰ قول من يجعل العبادات العقلية[2] لطفًا في الواجبات (ظ٦٧) العقلية[3]، فلا ريب أنَّ عبادات المسلمين - كصلاتهم وصيامهم وحجهم - أدعىٰ إلىٰ العدل الذي هو جماع الواجبات العقلية، من عبادات غيرهم التي ابتدعوها، فإنها متضمنة للظلم المنافي للعدل.

وأمَّا علىٰ قول نفاة التعليل، ورد ذلك إلىٰ مشيئة الله: فيكون الأمر في ذلك راجعًا إلىٰ محض مشيئة الله، وتعبده للخلق، وحينئذ فمن تكون عباداته تابعة لأمر الله الذي جاءت به الرسل يكون متعبدًا بما أمر الله به، بخلاف من تكون عباداته قد ابتدعها أكابرهم من غير أن يأتيهم بها رسولٌ من عند الله.

---

(١) ليست في (ب، ل).

(٢) هامش الأصل ظ: الشرعية خ، أي هكذا في نسخة، ومثله ثبت في بقية الأصول، وهو الأنسب للسياق.

(٣) ليست في (ب، ل).

وأما علىٰ القول الرابع: فإنَّ ما علم أنَّ الله أمر به يتضمن طاعة الله، وهذا إنما يكون في عبادات أمر الله بها، وهي عبادات المسلمين دون من ابتدع كثيرًا من عباداتهم أكابرُهم.

وأما انتفاع العباد بها فهذا يعرف بثمراتها[1] ونتائجها وفوائدها، ومن ذلك آثارها في صلاح القلوب، فليتدبر الإنسان عقول المسلمين وأخلاقهم وعدلهم يظهر له الفرق بينهم وبين غيرهم.

ثم صفات عباداتهم فيها من الكمال والاعتدال، كالطهارة والاصطفاف والركوع والسجود، واستقبال بيت إبراهيم الذي هو إمام الخلائق، والإمساك فيها عن الكلام، وما فيها من الخشوع، وتلاوة القرآن واستماعه الذي يظهر الفرق بينه وبين غيره من الكتب لكل متدبر منصف، إلىٰ أمثال ذلك من الأمور التي يظهر بها فضل عبادات المسلمين علىٰ عبادات غيرهم.

وأمَّا حكم المسلمين في الحدود والحقوق فلا يخفىٰ علىٰ عاقل فضله، حتىٰ إن النصارىٰ في طائفة من بلادهم ينصبون لهم من يقضي بينهم بشرع المسلمين إذْ لم يكن لهم شرع عام يُحكم به بين الناس، وليس في الإنجيل حكم عام، بل عامته الأمر بالزهد ومكارم الأخلاق، وهو مما يأمر به المسلمون أيضًا.

وقد ذكرنا في كون المسلمين معتدلين متوسطين بين اليهود والنصارىٰ - في التوحيد والنبوات والحلال والحرام وغير ذلك- مما يبين أنهم أكمل من الأمتين، مع أن دلائل هذا كثيرة جدًّا، وإنما المقصود التنبيه علىٰ ذلك، وحينئذ ففضل الأمة يستلزم فضل متبوعها.

---

(١) في (ب): بشهواتها.

فصل:

وممَّا يبين أمر محمد ﷺ أنَّ من دعا إلىٰ مثل ما دعا إليه لا يخلو من ثلاثة أقسام:

إمَّا أنْ يكون نبيًا صادقًا مرسلاً من الله كما أخبر عن نفسه، بمنزلة نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ وداود وسليمان، وغيرهم من الأنبياء، الذين ذكرهم الله تعالىٰ في قوله: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٦].

وإمَّا أن يكون ملكًا عادلاً وضع ناموسًا سياسيًا وقانونًا عدليًّا ينفع به الخلق، ويحملهم به[1] علىٰ السيرة العادلة بمبلغ علمه، كما كان للأمم من يضع لهم النواميس، مثل واضعي النواميس من اليونان والهند والفرس وغيرهم.

وإن كان واضع الناموس مختصًا بقوة قدسية ينال بها العلم بسهولة،

---

(١) في (ب): «ويحمل به الخلق».

وله[١] قوة نفسية يتصرف فيها تصرفات خارجة عن العادة، ويكون له قوة تخييلية تمثل له في نفسه أشكالاً نورانية، وأصواتًا[٢] يسمعها في داخل نفسه، فإن هذه الخواص الثلاثة هي التي يقول ابن سينا وأمثاله (ظ٦٨) من المتفلسفة: إنها خواص النبي، ومن قامت به كان نبيًّا، والنبوة مكتسبة عندهم[٣].

ولكن لما كانت هذه موجودة لكثير من الخلق ولم يصل بها إلىٰ قريب من درجة الصديقين - أتباع الأنبياء - كالخلفاء الراشدين، وحواريي عيسىٰ، وأصحاب موسىٰ جعلناها من هذا القسم؛ إذ صاحب هذا قد يكون فيه عدل وسياسة بحسب ما معه من العلم والعدل، فهذا القسم الثاني.

---

(١) ليست في (ب، ل).

(٢) في (ب): «أشكال نورانية وأصوات». هكذا مجودا ولا وجه له.

(٣) قال المصنف: «وابن سينا عظمها أكثر من ذلك؛ فجعل للنبي ثلاث خصائص:
أحدها: أن ينال العلم بلا تعلم، ويسميها القوة القدسية؛ وهي القوة الحدسية عنده.
والثاني: أن يتخيل في نفسه ما يعلمه؛ فيرىٰ في نفسه صورا نورانية، ويسمع في نفسه أصواتا؛ كما يرىٰ النائم في نومه صورا تكلمه، ويسمع كلامهم، وذلك موجود في نفسه لا في الخارج، فهكذا عند هؤلاء جميع ما يختص به النبي مما يراه ويسمعه دون الحاضرين، إنما يراه في نفسه ويسمعه في نفسه، وكذلك الممرور عندهم.
والثالث: أن يكون له قوة يتصرف بها في هيولي العالم، بإحداث أمور غريبة؛ وهي عندهم آيات الأنبياء، وعندهم ليس في العالم حادث إلا عن قوة نفسانية، أو ملكية، أو طبعية؛ كالنفس الفلكية والإنسانية والأشكال الفلكية والطبائع التي للعناصر الأربعة، والمولدات، لا يقرون بأن فوق الفلك نفسه شيء يفعل، ولا يحدث شيئا، فلا يتكلم، ولا يتحرك بوجه من الوجوه؛ لا ملك ولا غير ملك، فضلا عن رب العالم» (النبوات ٢/ ٦٩٨).

٣-وإمَّا أن يكون رجلاً كاذبًا فاجرًا أفاكًا أثيما يتعمد[١] الكذب والظلم، أو يتكلم بلا علم فيخطئ خطأ من يتكلم بلا علم، ومن يظن الكذب صدقًا والباطل حقًّا، والضلال هدىٰ، والغي رشدًا، والظلم عدلاً، والفساد صلاحًا.

فكلُّ من دعا الخلق إلىٰ متابعته، وطاعته علىٰ سبيل الحتم والإيجاب - بأن يصدقوه فيما أخبر، ويطيعوه فيما أوجب وأمر[٢] باطنًا وظاهرًا من غير أن يجبر[٣] أحدا علىٰ اتباعه وتصديقه وطاعته، ولا سوَّغ[٤] له مخالفته بوجه من الوجوه لا في الباطن ولا في الظاهر- لم يخرج عن هذه الأقسام الثلاثة.

وذلك لأنه إمَّا أن يكون قصده الإثم والعدوان، أو قصده البر والعدل، فإن كان قصده الأول فهو ظالم فاجر، ومثل هذا لا يكون إلاَّ كاذبًا عمدًا أو خطأ، وإن كان قصده البر والعدل، فلا يخلو مع ذلك إمَّا أن يكون عالمًا بكل ما يخبر به من الغيوب جازما بصدق نفسه جزما لا يحتمل النقيض، عالمًا بأن ما يأمر به عدل، لا يجوز لمن أمره أن يعصيه بوجه من الوجوه، وإمَّا أن لا يكون جازمًا بذلك، فإن كان جازمًا بذلك كان هذا هو النبي المعصوم الذي لا يخبر إلا بحق وصدق[٥]، ولا يأمر إلا بعدل: ﴿وَتَمَّتْ كلمات[٦] رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

---

(١) في (ب): تعمد.

(٢) في (ب): «فيما أوحيه وأمر به». وفي (ل): «فيما أوجبه وأمر به».

(٣) في (ب): «يخبر». وفي (ل): «يخير».

(٤) في (ل): «يسوغ». وفي (ب): «نوع».

(٥) ليست في (ب، ل).

(٦) كذا في الأصل ظ: «كلمات»، بالجمع وهي قراءة من سوىٰ الكوفيين ويعقوب (النشر ٢/ ٢٦٢).

بخلاف القسم الذي يتحرىٰ العدل والصدق باجتهاده ورأيه، فإنَّ هذا قد يأمر بأشياء يجوز أن تكون المصلحة والعدل[1] في خلافها، ويخبر بأشياء باجتهاده يجوز أن يكون المصلحة والعدل في خلافها، ويخبر بأشياء باجتهاده[2] يجوز أن يكون الأمر فيها بخلاف ذلك، ولا بدَّ أن يغلط في بعض ما يخبر به من العلميات، وما يأمر به من العمليات، فإنه لا معصوم إلا الأنبياء، ولهذا لم يجب الإيمان بكل ما يقوله بشر إلا أن يكون نبيًّا، فإنَّ الإيمان واجب بكل ما يأتي به النبي.

قال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الآية [البقرة: ١٧٧].

وإذا كان كذلك فمعلوم بالتواتر أنَّ محمدا ﷺ ذكر أنه رسول نبي[3] كإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ، بل أخبر أنه سيد ولد آدم، وأنَّ آدم فمن دونه تحت لوائه يوم القيامة، وأنه لما أسري به وعرج إلىٰ ربه علا علىٰ الأنبياء كلهم، علىٰ إبراهيم وموسىٰ وهارون وعيسىٰ ويحيىٰ وغيرهم، وأخبر أنه لا نبي بعده، وأن أمته هم الآخرون في الخلق السابقون يوم القيامة، وأن الكتاب الذي أنزل إليه

---

(١) في (ل) زيادة: «والصدق».

(٢) «يجوز ... باجتهاده» ليس في (ل).

(٣) ليست في (ب، ل): «تعمد».

أحسن الحديث، وأنَّه مهيمن علىٰ ما بين يديه من الكتب[1]، مع تصديقه لذلك، وحينئذ فإن كان عالمًا بصدق نفسه فهو نبي رسول، ومن قال هذا القول وهو يعلم أنه كاذب فهو من أظلم الناس وأفجرهم: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وإن كان يظنُّ صِدق نفسه وليس كذلك (ظ٦٩) فهو مخطئ غالط ملبوس عليه، وإذا كان كذلك فلا بد أن يخطئ فيما يخبر به من الغيوب، ويظلم فيما يأمر به من العدل، ولا يتصور استمراره علىٰ هذا بل لا بد أن يتبين له ولغيره أنه صادق أو كاذب.

(كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾)[2].

فإنَّ من ظن صدق نفسه[3] في مثل هذه الدعوىٰ، وليس بصادق يكون من أجهل الناس وأظلمهم[4]، وأبعدهم عن التمييز بين الحق والباطل، والصدق والكذب والخير والشر، فإنَّ هذا بمنزلة من اشتبه عليه النبي الصادق بالمتنبي الكذاب، وهذا من أجهل الناس إذا اشتبه عليه حال غيره فكيف بمن اشتبه عليه حال نفسه؛ ولم يعلم هو[5] ما يقوله أصدق[6] أم كذب؟.

---

(١) في (ب): «الكتاب».
(٢) ما بين القوسين ليس في (ب، ل).
(٣) في (ب): «صدق في نفسه».
(٤) في (ب): «وأضلهم».
(٥) ليست في (ل).
(٦) في (ب): «أصدق هو».

ومن كان جاهلاً مع هذه الدعوىٰ العظيمة -التي[1] لم يدع بشر مثلها- ومع كثرة ما يخبر به من الغيوب الماضية والمستقبلة، ويأمر به وينهىٰ عنه من الأمور الكلية والسنن العامة والشرائع والنواميس؛ فلا بد أن يكون فيها من الضلال والغي ما يبين لأكثر الخلق.

فإذا كانت أخباره عن الماضي والمستقبل يُصدق بعضها بعضًا، والذي يأمر به هو الطريق الأقوم، والكتاب الذي جاء به كتاب متشابه مثاني، يشبه بعضه بعضا في الصدق، قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، فإنه لو كان من عند غير الله لوجب أن يكون فيه تناقض، لامتناع قدرة البشر علىٰ أن تخبر بهذه الأخبار، وما فيها من الغيوب، ويأمر بهذه الأوامر مع سلامة ذلك من التناقض، ولهذا لا يوجد بشر غير نبي يسلم من ذلك.

وإذا كان محمد ﷺ قد عُلم بالاضطرار من سيرته أنه كان يتحرىٰ الصدق والعدل، وأنه ما جُرِّبت عليه كذبة قط، وعلم أنه كان جازمًا بما يخبر به مع عظم الأخبار وكثرتها، وأنه هو[2] وحده قام يدعو الناس إلىٰ ما جاء به، ومن عادة طالب الملك والرياسة -ولو كان عادلاً- أن يستعين بمن يعينه كأقاربه وأصدقائه ونحوهم، وأن يبذل للنفوس في[3] العاجل ما يرغبها به -كالمال والرياسة- ويرهب من خالفه، ومحمد ﷺ دعا الناس وحده وهو بمكة، فآمن به المهاجرون ثم آمن به الأنصار بالمدينة، ثم آمن به أهل البحرين، ولم يعط

---

(١) ليست في الأصل (ظ).

(٢) في (ب، ل): «وهو».

(٣) في (ب): «وأن تبدل النفوس من». والفعل في (ل) مهمل.

أحدًا منهم درهمًا، ولا كان معه ما يخيفهم لا سيف ولا غيره، بل مكث بمكة بضع عشرة سنة -هو والمؤمنون به- مستضعفين[1]، لم يكن له مال يبذله لهم، ولا سيف يخيفهم[2] به.

وكان[3] أعظم من آمن به أبو بكر الصديق -مع كمال عقله وخلقه ودينه في قومه، ومحبتهم له، وعلو قدره فيهم- أنفق ماله كله في سبيل الله حتىٰ قال له النبي ﷺ: «ما تركت لأهلك؟ قال: تركت[4] الله ورسوله»[5]، ولم يعطه النبي ﷺ درهمًا واحدًا يخصه به، ثم تولىٰ الأمرَ بعده فترك ما كان معه للمسلمين، واكتفىٰ كل يوم بدرهمين له ولعياله، ومات وهو فقير من فقراء المسلمين.

وتولىٰ بعده عمر بن الخطاب، وفتح أعظم ممالك العالم، مملكة فارس والروم فقهر الروم علىٰ بلاد الشام والجزيرة ومصر، وأميره الكبير أبو عبيدة

---

(١) في (ب): «مستضعفون».

(٢) في (ب): «يحتفهم».

(٣) في (ب): «وكان من».

(٤) في (ب، ل، د): «تركت لهم».

(٥) رواه أحمد في فضائل الصحابة (٥٢٧)، وفي إسناده عبدالله بن عمر العدوي، ضعيف الحديث.

وله شاهد من حديث زيد بن أسلم، عن أبيه قال: سمعت عمر قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، فوافق ذلك مالا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما. قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قلت: مثله، قال: فأتىٰ أبو بكر بكل ما عنده. فقال: «يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟» فقال: أبقيت لهم الله ورسوله. فقلت: لا أسابقك إلىٰ شيء أبدا، رواه الدارمي (١٧٠١)، وأبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥)، قال الترمذي: حسن صحيح أهـ وفي إسناده هشام بن سعد، صدوق له أوهام، وقد قيل فيه: إنه أوثق الناس في زيد بن أسلم (سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٤٤).

(بـن الجـراح)[1] أزهـد الخلـق في ولايتـه[2]، وأعبـدهـم للخـالق، وأرحمهـم للمخلوق، وأبعدهم عن هوىٰ النفس، ولهذا قـال النبي ﷺ فيـه: «إن لكـل أمـة أمينًا، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[3] رضي الله عنه.

وأميره علىٰ فارس سعد بن أبي وقاص الذي كان مستجاب الدعوة، وكان من أزهد الخلق، وكان آخر مـن بقـي مـن أهـل الشـورىٰ، والنـاس يتنـازعون في الولاية (ظ٧٠)، وهو معتزل في قصره بالعقيق لا يزاحم أحدا، فقال له ابنه عُمر: تركت الناس يتنـازعون الملـك وجلسـت ههنـا، فقـال: سـمعت رسـول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب العبد التقي[4] الغني الخفي»[5].

---

(١) من ظ فقط.

(٢) في (ب، ل): «أزهد الخلق في الأموال». وفي (د): «في ولايته الأموال».

(٣) رواه البخاري (٤٧٤٤)، ومسلم (٢٤١٩).

(٤) في (ب): «النقي». وفي (ل): «النقي الخفي». وفي (د): «التقي النقي الخفي». وما ثبت في ظ هو الصحيح.

(٥) رواه مسلم (٢٩٦٥)، دون قوله: النقي، وقال النووي: «المراد بالغنىٰ غنىٰ النفس هذا هو الغنىٰ المحبوب لقوله ﷺ «ولكن الغنىٰ غنىٰ النفس» وأشار القاضي إلىٰ أن المراد الغنىٰ بالمال، وأما الخفي فبالخاء المعجمة هذا هو الموجود في النسخ والمعروف في الروايات، وذكر القاضي أن بعض رواة مسلم رواه بالمهملة، فمعناه بالمعجمة الخامل المنقطع إلىٰ العبادة والاشتغال بأمور نفسه، ومعناه بالمهملة الوصول للرحم اللطيف بهم وبغيرهم من الضعفاء، والصحيح بالمعجمة» (شرح مسلم ١٨/ ١٠١).

فصل:

ومن آيات محمد ﷺ ودلائل نبوته التي في القرآن قصة الفيل، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ [الفيل: ١ - ٥].

وقد تواترت قصة أصحاب الفيل، وأن أهل الحبشة النصارىٰ ساروا بجيش عظيم ومعهم فيل ليهدموا الكعبة -لما أهان بعض العرب كنيستهم التي باليمن- فقصدوا إهانة الكعبة وتعظيم كنائسهم، فأرسل الله عليهم طيرًا أهلكتهم عامتهم(١)، وكان ذلك عام مولد النبي ﷺ، وكان جيران البيت مشركين يعبدون الأوثان، ودين النصارىٰ خير من دينهم(٢).

فعلم بذلك أنَّ هذه الآية لم تكن لأجل جيران البيت حينئذ، بل كانت لأجل البيت أو لأجل النبي ﷺ، الذي ولد في ذلك العام عند البيت، أو لمجموعهما، وأي ذلك كان فهو من دلائل نبوته.

فإنه إذا قيل: إنما كانت آية للبيت وحفظًا له وذبًّا عنه؛ لأنه بيت الله الذي بناه إبراهيم الخليل؛ فقد عُلم أنه ليس من أهل الملل من يحج إلىٰ هذا البيت ويصلي إليه إلا أمة محمد ﷺ، ومحمد هو الذي فرض حجه والصلاة إليه، فإذا كان هذا البيت عند الله خيرًا من الكنائس التي للنصارىٰ -حتىٰ إنَّ الله

---

(١) ليست في (ب، ل).

(٢) قصة الفيل مشهورة في كتب السيرة وكتب التفسير، انظر مثلا: سيرة ابن هشام ١/ ٣٧، تفسير الطبري ٢٤/ ٦٠٩، تفسير القرطبي ٢٠/ ١٨٨، تفسير ابن كثير ٨/ ٤٨٣.

أهلك النصارى أهل الكنائس لما أرادوا تعظيم الكنائس وإهانة البيت- عُلم أن دين أهل هذا البيت خير من دين النصارى، والمشركون ليسوا خيرًا من النصارى، فتعيَّن[١] أنَّ أمة محمد ﷺ خير من النصارى، وذلك يستلزم أن نبيهم صادق، وإلا فمن كانوا متبعين لنبي كاذب فليسوا خيرا من النصارى بل هم من شرار الخلق، كأتباع مسيلمة الكذاب والأسود العنسي وغيرهما.

وقال في القرآن: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ والأبابيل جماعات في تفرقة، فوج بعد فوج[٢].

﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ أي: من طين مستحجر، (وهي كلمة معربة، أصلها بالفارسية: سنك وكيل[٣]، وكيل بالفارسية هي الطين، ويقولون في الجمع كيلان، أي أطنان[٤] لأن الواو والنون في الفارسية للجمع، فيقولون: مسلمان وفقيهان وعالمان، أي: مسلمون وعلماء وفقهاء، ولما عربتها العرب صارت عربية ينطقون بها، ويعرفون معناها، والقرآن نزل بلغتهم العربية، والمعرب عربي)[٥].

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥] كالتبن الذي أُكل.

---

(١) في (ب): فتبين.
(٢) الأبابيل لا واحد لها (معاني القرآن ٣/ ٢٩٢)، قال الطبري: أي طيرا متفرقة يتبع بعضها بعضا من نواح شتىٰ (جامع البيان ٢٤/ ٦٠٥).
(٣) في (د): وكل. في الموضعين.
(٤) في (د): كيلان أي أطيان.
(٥) ما بين القوسين ليس في (ب، ل): تعمد.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام في معنىٰ التقرير، وهذا يقتضي أن هذا قد وقع وعلم به الناس ورأوه، وقد قررهم علىٰ ذلك؛ لما فيه من الدلالة والبيان والإنعام علىٰ الخلق(١).

فصلٌ(٢):

ومن آيته الظاهرة التي في القرآن: ما ذكره من أنَّ السماء ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا، بخلاف ما كانت العادة جارية به.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١ - ٢] إلىٰ قوله: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ٨ - ١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠ - ٢١٢].

وهذا كان النبي (ظ ٧١) ﷺ يقرؤه علىٰ الناس، وهم يقرءونه، ولم ينكره أحد، ولا ارتاب به مؤمن، ولا احتج به عليه كافر، فدل أن الناس علموا صدق ما أخبرت به الجن، من أن السماء ملئت حرسا شديدًا وشهبًا، وأنهم لم يتمكنوا حينئذ مما كانوا يتمكنون منه قبل ذلك من الاستماع.

---

(١) هامش ظ: بلغ مقابلة.

(٢) كلمة فصل ليست في (ب، ل) فصار هذا الفصل من جملة الفصل السابق، وهي ثابتة في الأصل ظ و د.

ومعلوم أن هذا أمر يراه الناس بأبصارهم فإن امتلاء السماء بالشهب أمر يراه الناس كلهم، فلو لم يكن كذلك لكان الناس يكذبون بهذا، مؤمنهم وكافرهم، فإن الجماعة العظيمة الذين لم يتواطؤوا يمتنع اتفاقهم علىٰ الكذب وعلىٰ التصديق بما يعلمون أنه كذب، وعلىٰ كتمان ما يعلمونه، وعلىٰ ترك إنكار ما يعلمون أنه كذب.

وقد سمع القرآن ألوف مؤلفة أدركوا مبعثه وشاهدوا أحوال السماء، فلو لم يكن هذا كان موجودا - مع أن عامتهم كانوا مكذبين له ولما آمنوا كانوا طوائف متباينين - يمتنع اتفاقهم علىٰ كذب أو كتمان أو سكوت، فلما لم ينكر ذلك أحد، بل تظاهرت الأخبار بمثل ما أخبر به القرآن من الرمي العظيم بالشهب، الذي لم يعهد مثله، حتىٰ صاروا يشكون: هل ذلك في الكواكب التي في الفلك أو في غيرها؟ وقالوا: إن كان في كواكب الأفلاك فهو خراب العالم، فلما رأوه فيما دونها، علموا أنه لأمر حدث.

ففي الصحيحين من حديث ابن عباس قال: «انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلىٰ سوق[1] عكاظ، وقد حِيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلىٰ قومهم، فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل[2] بيننا وبين السماء، أُرسلت علينا الشهب، قالوا: ما ذاك إلا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء؟

---

(١) ليست في (ب).
(٢) في (ب): قد حيل.

فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فمر النفر الذين أخذوا نحو تِهامة -وهو بنخل- عامدين إلىٰ سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلىٰ قومهم فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١ - ٢].

فأنزل الله ﷻ علىٰ نبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١]»[(١)].

وفي لفظ البخاري: «بنخلة[(٢)] قريب من مكة»[(٣)]، وهو الصواب.

وقد ظنَّ بعض الناس أن الشهب لم يكن يُرمىٰ بها قبل ذلك بحال، والصواب أنه كان يرمىٰ[(٤)] بها - كما هو الآن - أحيانًا.

كما ثبت في صحيح مسلم، عن ابن عباس -ورواه أيضًا أحمد في مسنده-: أنَّ رسول الله ﷺ «بينما هو في نفر من الأنصار إذ رمي بنجم فاستنار، فقال لهم: ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمىٰ به في الجاهلية؟ قالوا: كنا (يا رسول الله)[(٥)] نقول حين رأيناها يرمىٰ بها: مات ملك، ولد مولود، فقال رسول الله ﷺ: ليس ذلك كذلك، ولكن الله إذا قضىٰ في خلقه أمرًا يسمعه أهل العرش

---

(١) صحيح البخاري (٧٧٣)، صحيح مسلم (٤٤٩).
(٢) نخلة موضع بمكة (هدي الساري ١٩٣)، وينظر في تحديده ما ذكره ياقوت في معجم البلدان (٥/ ٢٧٨).
(٣) صحيح البخاري (٧٧٣).
(٤) في (ب، ل): الرمي.
(٥) ما بين القوسين ليس في (ل)، وتأخر في (ب) بعد نقول.

فيسبحون فيسبح من تحتهم بتسبيحهم، فيسبح من تحت ذلك، فلم يزل التسبيح يهبط حتىٰ ينتهي إلىٰ السماء الدنيا، حتىٰ يقول بعضهم لبعض: لم سبحتم؟ فيقولون: سبح من فوقنا فسبحنا بتسبيحهم، فيقولون[1]: ألا تسألون مَن فوقكم مم سبحوا؟ فيسألونهم فيقولون: قضىٰ الله في خلقه كذا وكذا -الأمر الذي كان- فهبط[2] به الخبر من سماء إلىٰ سماء حتىٰ ينتهي إلىٰ سماء الدنيا فيتحدثون به، فتسترقه الشياطين بالسمع علىٰ توهم منهم واختلاف، ثم يأتون به الكهان[3] من أهل الأرض فيحدثونهم فيخطئون ويصيبون، فتحدث به الكهان»[4].

وفي الصحيحين عن عائشة قالت: «قلت: يا رسول الله، (ظ٧٢) إنَّ الكهان قد[5] كانوا يحدثوننا بالشيء فيكون حقًّا، قال: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقذفها[6] في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة»[7].

وروىٰ البخاري في صحيحه عن عائشة أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الملائكة تنزل في العنان -وهو السحاب- فتذكر الأمر قُضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع فتسمعه، فتوحيه إلىٰ الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من[8]

---

(١) في (ب): فيقول.
(٢) في (ب، ل، د): فيهبط.
(٣) في (ب، ل): إلىٰ الكهان.
(٤) مسند أحمد (١٨٨٢) صحيح مسلم (٢٢٢٩).
(٥) ليست في (ب).
(٦) كذا في صحيح مسلم، وعند البخاري: فيقرها، وفي بعضها: يقرقرها، (فتح الباري ١٠/ ٢١٩).
(٧) صحيح البخاري (٥٧٢٦)، صحيح مسلم (٢٢٢٨).
(٨) في (ب، ل، د): من عند.

أنفسهم»[1].

وفي صحيح البخاري أيضًا عن أبي هريرة قال: «إن نبي الله ﷺ قال: إذا قضىٰ الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقول، كأنه سلسلة علىٰ صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع هكذا، بعضهم فوق بعض، فيسمع[2] الكلمة فيلقيها[3] (إلىٰ من تحته، ثم يلقيها الآخر إلىٰ من تحته، حتىٰ يلقيها)[4] علىٰ لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا[5]: (كذا وكذا)[6] -الكلمة التي سمعت من السماء- فيصدق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء»[7].

ورواه محمد بن إسحاق، عن الزهري[8]، وقال في آخره: «ثم إن الله ﷻ حجب الشياطين عن السمع بهذه النجوم، فانقطعت الكهانة فلا كهانة»[9].

ورواه معمر، عن الزهري، وقال: فقلت للزهري: أو كان يرمىٰ بها في الجاهلية؟ قال: نعم.

---

(١) صحيح البخاري (٣٢١٠).
(٢) في (ب): فيستمع.
(٣) في (ب): فينقلها.
(٤) ما بين القوسين ليس في (ل).
(٥) ليست في (ل).
(٦) سقط من (ب).
(٧) صحيح البخاري (٤٧٠١).
(٨) يريد حديث ابن عباس السابق.
(٩) السيرة لابن هشام ١/ ١٩١.

قلت: يقول الله ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ [الجن: ٩] الآية. قال: غلظت واشتد أمرها حين بعث النبي ﷺ[١].

وروىٰ الطبري، عن داود[٢]، ثنا عاصم بن علي، ثنا علي بن عاصم[٣]، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان للجن مقاعد في السماء يستمعون الوحي، (وكان الوحي)[٤] إذا أوحي سمعت الملائكة كهيئة الحديدة يرمىٰ[٥] بها علىٰ الصفوان، فإذا سمعت الملائكة صلصلة الوحي خر لجباههم مَنْ في السماء من الملائكة، فإذا نزل عليهم أصحاب الوحي قالوا: ماذا قال ربكم؟ قال: فينادون: قال ربكم الحق وهو العلي الكبير.

قال: فإذا نزل إلىٰ السماء الدنيا قالوا: يكون في الأرض كذا وكذا موتًا، وكذا وكذا حياةً، وكذا وكذا جدوبةً، وكذا وكذا خَصبًا، وما يريد أن يصنع، وما يريد أن يبتدي ﷻ فنزلت الجن فأوحوا إلىٰ أوليائهم من الإنس[٦] مما يكون في الأرض.

فبينما هم كذلك إذ بعث الله النبيَّ ﷺ فزجرت الشياطين (عن

---

(١) حديث معمر رواه عبدالرزاق في تفسيره (٣/ ٣٥٢)، ومن طريقه رواه أحمد (١٨٨٢)، والطبري في التفسير (٢١/ ١٤).
(٢) كذا في كل الأصول، وهو علي بن داود كما في المصدر. وعلي بن داود القنطري -وأخوه عاصم بن داود- من شيوخ ابن جرير الطبري.
(٣) وهو أبو الذي يروي عنه، وعلي بن عاصم بن صهيب ضعيف، وهو من رجال التهذيب.
(٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(٥) في (ل): رمي.
(٦) في (ب): من الأمر. وهو تصحيف، وما ثبت يوافق ما في جامع البيان للطبري.

السماء)[1]، ورموهم بالكواكب، فمنعوا، فجعل لا يصعد أحد إلا احترق، وفزع أهل الأرض لما رأوا في الكواكب، ولم يكن قبل ذلك، فقالوا: هلك من في السماء، وكان أهل الطائف أول من فزع، فينطلق الرجل إلىٰ إبله فينحر كل يوم بعيرا لآلهتهم، فينطلق صاحب الغنم فيذبح كل يوم شاة، فينطلق صاحب البقر فيذبح كل يوم بقرة، فقال لهم رجل: ويلكم، لا تُهلكوا أموالكم، فإن معالمكم من الكواكب التي تهتدون بها لم يسقط منها شيء، فأقلعوا وقد أسرعوا[2] في أموالهم.

وقال إبليس: حدث في الأرض حدث فأُتي من كل مكان في الأرض بتربة، فجعل لا يؤتىٰ بتربة أرض إلا شمها، فلما أُتي بتربة تهامة، قال: ههنا حدث الحدث.

وصرف الله[3] إليه نفرا من الجن، وهو يقرأ القرآن فقالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١] حتىٰ ختم الآية، فولوا إلىٰ قومهم منذرين[4].

ورواه أبو زرعة، عن موسىٰ بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة، عن عطاء بنحوه، (أو قريبا منه)[5].

---

(١) ليس في (ل).
(٢) في (ب): شرعوا.
(٣) لفظ الجلالة ليس في (ب).
(٤) تفسير الطبري (٢١/ ١٥)، ثم قال: «فهذه الأخبار تنبئ عن أن الشياطين تسمع، ولكنها ترمىٰ بالشهب لئلا تسمع».
وفي علي بن عاصم بن صهيب اختلاف كثير، وقد تركه بعضهم لكثرة خطئه (انظر: سير أعلام النبلاء٩/ ٢٤٩، تهذيب التهذيب ٧/ ٣٤٤). ولكنه توبع كما بين المصنف.
(٥) ما بين القوسين من الأصل (ظ) فقط.

ورواه البيهقي من طرق، عن حماد بن سلمة، عن عطاء أيضا[١].

فقد تبين أنه لما كان في زمن المبعث ملئت السماء حرسًا شديدًا وشهبًا، وقبل ذلك (ظ٧٣) لم يكن الحرس شديدًا، ولا كانت السماء[٢] مملوءة حرسًا وشهبًا[٣]- كما هي الآن - يرمىٰ بها أحيانًا، وكانوا يقعدون منها مقاعد للسمع أي يسترق أحدهم ما يسمعه كما يستمع المستمع إلىٰ حديث غيره مختفيًا بسماعه مسترقًا له، فكانت الشياطين تسترق - أي تستمع - ما تقوله الملائكة، فلما بعث محمد ﷺ صار أحدهم إذا استمع وجد الشهاب قد أرصد له، فلم يستطع أن يقعد ويستمع كما كان قبل ذلك[٤].

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٢٤٠.
وعطاء بن السائب مختلط، واختلف النقاد في سماع حماد بن سلمة منه، والأرجح أنه سمع منه قبل الاختلاط، والله أعلم (انظر: سؤالات السلمي للدارقطني ٤٤٣، في ميزان الاعتدال: ٣/ ٧٠).

(٢) ليست في (ب، ل).

(٣) وضع في (ظ) علامة وكتب في الهامش: صوابه: «بل كانت». كأنه يريد تصويب العبارة إلىٰ النحو التالي: «بل كانت كما هي الآن يرمىٰ بها».

(٤) روىٰ البيهقي من طريق عطية العوفي -وهو ضعيف- عن ابن عباس: «لم تكن سماء الدنيا تحرس في الفترة بين عيسىٰ ومحمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم، وكانوا يقعدون منها مقاعد للسمع فلما بعث الله ﷻ محمدا صلىٰ الله عليه وآله وسلم حرست السماء حرسا شديدا، ورجمت الشياطين، فأنكروا ذلك» فذكر الحديث، ثم قال البيهقي: فهذا يوافق الحديث الثابت عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، إلا أن فيه زيادة ينفرد بها عطية العوفي، وهي قوله «لم تكن سماء الدنيا تحرس في الفترة بين عيسىٰ ومحمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم»، وروي ذلك عن ابن عباس ويحتمل أن يكون المراد بذلك أنها لم تكن تحرس الحراسة الشديدة حتىٰ بعث نبينا صلىٰ الله عليه وآله وسلم فملئت حرسا شديدا وشهبا (دلائل النبوة ٢/ ٢٤٢).

فصل:

وقد ذكرنا بعض آياته التي في القرآن؛ لأن من أهل الكتاب من يقول: لا نصدق[1] إلا بما في القرآن كما في التوراة والإنجيل (ما فيهما)[2] من آيات موسىٰ والمسيح عليهما الصلاة والسلام، إذ كان نقل القرآن عنه متواترًا لا يستريب فيه أحد، فنبهنا علىٰ بعض ما في القرآن مع أنَّ آياته التي ليست في القرآن كثيرة جدًا.

وليس من شرط المنقول المتواتر أن يكون في القرآن، بل كما تواتر عنه من شريعته ما ليس في القرآن -وهو من الحكمة التي أنزلها الله عليه- كذلك تواتر عنه من دلائل نبوته ما ليس في القرآن، وهو من آياته وبراهينه، وقد قال تعالىٰ في غير موضع: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [النساء: ١١٣] فالحكمة منزلة عليه، وهي منقولة في غير القرآن.

وقد تواتر عنه كون الصلوات خمسًا، والفجر ركعتين[3]، والمغرب ثلاثًا، والباقي أربعًا أربعًا[4]، والرباعية في السفر ركعتان، وتواتر عنه سجود السهو، كذلك تتواتر عنه أنواع من المعجزات، والأخبار المأثورة في أصناف آياته وبراهينه كثيرة جدًا، لا يمكن إحصاؤها، وهي مشتملة علىٰ جنس[5] العلم والقدرة، علىٰ أنواع من الإخبار بالغيوب المستقبلة مفصلة، كأنما رآها بعينه،

---

(١) في (ب): يصدق.

(٢) ليس في (ب، ل).

(٣) في (ب، ل): ركعتان.

(٤) في (ب، ل): أربع أربع.

(٥) في (ب، ل): جنسي.

لم يأت منها خبر إلا كما أخبر به، وهذا أمر لم يكن قط إلا لنبي.

أمَّا الكاهن والمنجم ونحو هؤلاء فيكذبون كثيرًا، كما يصدقون أحيانًا[1]، ويخبرون بجمل غير مفصلة.

وأمَّا أهل الولاية والصلاح فأعظمهم كشفًا يخبر من ذلك بأمور قليلة، لا تبلغ عُشر معشار ما أخبر به النبي، ولا يخبرون بها مفصلة كخبره، وعلىٰ أنواع من القدرة والتصرف الخارق للعادة، والآيات إما من باب العلم والخبر والمكاشفة، وإما من باب القدرة والتأثير والتصرف.

وفي القرآن من الإخبار بالمستقبلات شيء كثير، كقوله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ [الروم: ١ - ٤] فغلبت الروم فارس في بضع سنين، وقد ذكرنا تفصيل ذلك فيما مضىٰ.

وكقوله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ﴾ [النور: ٥٥] وكان كما أخبر.

روىٰ الدارمي عن أبي بن كعب قال: «لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة -وآوتهم الأنصار- رمتهم العرب عن قوس واحدة، وكانوا لا يبيتون إلا في السلاح، ولا يصبحون إلا فيه، فقالوا: ترون أنا نعيش حتىٰ نبيت آمنين مطمئنين، لا نخاف إلا الله ﷻ، فنزلت: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ

---

(١) ليست في (ب، ل).

﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [النور: ٥٥] إلىٰ آخر الآية»(١).

---

(١) لا يقصد المصنف الإمام الدارمي صاحب السنن، وإنما أحمد بن سعيد الدارمي -أحد الرواة- حيث تفرد به عن علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي.
رواه الطبراني في الأوسط مختصرا (٧٠٢٩)، الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٢) ومن طريقه البيهقي في الدلائل (٣/ ٦)، كلهم من طريق الدارمي، قال الطبراني: «تفرد به أحمد بن سعيد الدارمي». وفي علي بن الحسين بن واقد ضعف يسير، وقد خالفه غيره، فرواه أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية مقطوعا عليه، ولفظه: قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾... الآية، قال: فمكث النبي ﷺ عشر سنين خائفا يدعو إلىٰ الله سرا وعلانية، قال: ثم أمر بالهجرة إلىٰ المدينة. قال: فمكث بها هو وأصحابه خائفون، يصبحون في السلاح، ويمسون فيه، فقال رجل: ما يأتي علينا يوم نأمن فيه، ونضع عنا السلاح، فقال النبي ﷺ: «لا تغبرون إلا يسيرا حتىٰ يجلس الرجل منكم في الملإ العظيم محتبيا فيه، ليس فيه حديدة». فأنزل الله هذه الآية ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾... إلىٰ قوله: ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾، قال: يقول: من كفر بهذه النعمة (فأولئك هم الفاسقون) وليس يعني الكفر بالله. قال: فأظهره الله علىٰ جزيرة العرب فآمنوا، ثم تجبروا، فغير الله ما بهم، وكفروا بهذه النعمة، فأدخل الله عليهم الخوف الذي كان رفعه عنهم، قال القاسم: قال أبو علي: بقتلهم عثمان بن عفان رضي الله عنه. رواه ابن جرير في التفسير (١٩/ ٢٠٩)، وابن أبي حاتم مختصرا (١٤٧٦٠).
وهاهنا كلمة جيدة في بيان تحقيق هذا الوعد الرباني، للحافظ ابن كثير الدمشقي -تلميذ المصنف- قال في التفسير (٦/ ٧٧): «هذا وعد من الله لرسوله ﷺ بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي: أئمة الناس والولاة عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، وليبدلن بعد خوفهم من الناس أمنا وحكما فيهم، وقد فعل تبارك وتعالى ذلك، وله الحمد والمنة، فإنه لم يمت رسول الله ﷺ حتىٰ فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين، وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها. وأخذ الجزية من مجوس هجر، ومن بعض أطراف الشام، وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر والإسكندرية -وهو المقوقس- وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة، الذي تملك بعد أصحمة، رحمه الله وأكرمه، ثم لما مات رسول الله ﷺ واختار الله له ما عنده من الكرامة، قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق، فلم شعث ما وهىٰ عند =

وكان كذلك، استخلف الله المؤمنين في الأرض، ومكن لهم دينهم في مشارق الأرض ومغاربها.

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ [الفتح: ٢٨] وكان كما أخبر ووعد.

وقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٨] وكان كما أخبر.

وقال تعالىٰ(ظ٧٤): ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ(١) وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤] فأخبر أنهم لن يفعلوا، وكان كما أخبر.

= موته ﷺ، وأطد جزيرة العرب ومهدها، وبعث الجيوش الإسلامية إلىٰ بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد، ﵁، ففتحوا طرفا منها، وقتلوا خلقا من أهلها. وجيشا آخر صحبة أبي عبيدة، ﵁، ومن معه من الأمراء إلىٰ أرض الشام، وثالثا صحبة عمرو بن العاص، ﵁، إلىٰ بلاد مصر، ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بصرىٰ ودمشق ومخاليفهما من بلاد حوران وما والاها، وتوفاه الله ﷿، واختار له ما عنده من الكرامة. ومن علىٰ الإسلام وأهله بأن ألهم الصديق أن استخلف عمر الفاروق، فقام في الأمر بعده قياما تاما، لم يدر الفلك بعد الأنبياء ﵈ علىٰ مثله، في قوة سيرته وكمال عدله. وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكمالها، وديار مصر إلىٰ آخرها، وأكثر إقليم فارس، وكسر كسرىٰ وأهانه غاية الهوان، وتقهقر إلىٰ أقصىٰ مملكته، وقصر قيصر، وانتزع يده عن بلاد الشام فانحاز إلىٰ قسطنطينة، وأنفق أموالهما في سبيل الله، كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله، عليه من ربه أتم سلام وأزكىٰ صلاة، ثم لما كانت الدولة العثمانية -أي خلافة عثمان ﵁- امتدت المماليك الإسلامية إلىٰ أقصىٰ مشارق الأرض ومغاربها».

(١) اختصر في (ب، ل)، وكتب: إلىٰ قوله: فإن..

وأخبر أنه قال للمسيح: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وكان كما أخبر.

وأنزل في مكة:(١) ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٤-٤٥]، وقال: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الفتح: ٢٢] فكان كما أخبر(٢).

وقال: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [المائدة: ١٤]، وكانوا(٣) كما أخبر(٤).

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ

---

(١) لم يذكر الآية الأولىٰ في (ب، ل).

(٢) وكان النبي ﷺ في المدينة يستنجز ربه هذا الوعد، ففي صحيح البخاري (٢٩١٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ، وهو في قبة: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم» فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك يا رسول الله، فقد ألححت علىٰ ربك وهو في الدرع، فخرج وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٥-٤٦].

(٣) في (ب، ل): فكان.

(٤) قال ابن كثير: «﴿فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: فألقينا بينهم العداوة والتباغض لبعضهم بعضا، ولا يزالون كذلك إلىٰ قيام الساعة، وكذلك طوائف النصارىٰ علىٰ اختلاف أجناسهم لا يزالون متباغضين متعادين، يكفر بعضهم بعضا، ويلعن بعضهم بعضا؛ فكل فرقة تحرم الأخرىٰ ولا تدعها تلج معبدها، فالملكية تكفر اليعقوبية، وكذلك الآخرون، وكذلك النسطورية والأريوسية، كل طائفة تكفر الأخرىٰ في هذه الدنيا ويوم يقوم الأشهاد» (تفسير ابن كثير ٣/ ٦٧).

مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾ [المائدة: ٦٤]

فكان كما أخبر(١).

وقال تعالىٰ: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١١١ - ١١٢].

وقال: ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ ﴾ [الفتح: ٢٢].

وقال: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ [التوبة: ١٤].

فكان كذلك، لم يقاتلوهم بعد نزول الآية إلا انتصر عليهم المسلمون، وما زال الإسلام في عز وظهور حتىٰ ظهر علىٰ أهل المشرق والمغرب(٢).

---

(١) قوله: ألقينا بينهم..أي بين اليهود والنصارىٰ، كما قاله مجاهد وغيره (تفسير الطبري ١٠/ ٤٥٨).

ثم عاد الحديث عن اليهود، فقال: كلما أقدوا نارا للحرب أطفأها الله، والمعنىٰ: أنهم كلما عقدوا أسبابا يكيدونك بها، وكلما أبرموا أمورا يحاربونك بها يبطلها الله ويرد كيدهم عليهم، ويحيق مكرهم السيئ بهم، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ أي: من سجيتهم أنهم دائما يسعون في الإفساد في الأرض، والله لا يحب من هذه صفته (تفسير ابن كثير ٣/ ١٤٧).

(٢) وإذا نظر للسبب الخاص لنزول آية براءة، وهو ما حصل لخزاعة حلفاء النبي ﷺ من قتل علىٰ يد بني بكر حلفاء قريش، فقد تحقق لهم شفاء الصدر بفتح مكة، (تفسير الطبري ١٤/ ١٦٠)، وإن أريد بها العموم فقد وقع ذلك كذلك، وهو مراد المصنف،

قال ابن كثير: ثم قال تعالىٰ عزيمة علىٰ المؤمنين، وبيانا لحكمته فيما شرع لهم =

وقال تعالىٰ خطابًا لليهود: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [البقرة: ٩٤ - ٩٦].

وقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾(١) [الجمعة: ٦-٧].

فأخبر عن اليهود أنهم لن يتمنوا الموت أبدا، وكان كما أخبر، فلا يتمنىٰ اليهود الموت أبدا، وهذا دليل من وجهين:

١-من جهة إخباره بأنه لا يكون أبدا.

٢-ومن جهة صرف الله لدواعي اليهود عن تمني الموت، مع أن ذلك مقدور لهم.

وهذا من أعجب الأمور الخارقة للعادة، وهم - مع حرصهم علىٰ تكذيبه - لم تنبعث دواعيهم لإظهار تكذيبه بإظهار تمني الموت(٢).

= من الجهاد مع قدرته علىٰ إهلاك الأعداء بأمر من عنده: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ وهذا عام في المؤمنين كلهم (تفسير ابن كثير ٤/ ١١٨).

(١) الآية الثانية ليست في (ب، ل).

(٢) وذلك لأنهم لو تمنوا الموت لماتوا، روي عن ابن عباس: لو تمنىٰ اليهود الموت لماتوا، وفي لفظ: لشرق أحدهم بريقه (ذكره ابن كثير، ثم قال: هذه أسانيد صحيحة إلىٰ ابن عباس (التفسير ١/ ٣٣١).

وقال في سورة المدثر: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا(١) (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ [المدثر: ١١ - ٢٨].

وقال عن أبي لهب عمِّه: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ١ - ٣]، فكان كما أخبر، مات الوليد كافرًا، ومات أبو لهب كافرًا.

وقال في سورة الفتح: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٠](٢).

وقال: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧].

وقال: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٦] (ظ ٧٥).

---

(١) في (ب، ل): إلىٰ قوله: ﴿سَأُصْلِيهِ﴾.

(٢) وهذه المغانم علىٰ قول مجاهد هي كل المغانم إلىٰ يوم القيامة، والمعجلة هي فتح خيبر (تفسير ابن كثير ٧/ ٣٤١).

وهذا كله وقع كما أخبر، فحصلت لهم الغنائم الكثيرة، ودخلوا المسجد الحرام آمنين، ودعيت الأعراب إلىٰ قتال الروم والفرس، يقاتلونهم أو يسلمون، فلا بد من القتال أو الإسلام، ليس هناك هدنة بلا قتال (ولا إسلام)[1]، كما كان يكون قبل نزول آية الجزية[2].

وقال تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ١ - ٣]، فدخل الناس في دين الله أفواجا بعد الفتح، فما مات ﷺ وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الإسلام[3].

وقال تعالىٰ عن المنافقين: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝١١ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الحشر: ١١ - ١٢].

---

(١) ليست في (ب).

(٢) في (ب، ل): «نزول الآية». انظر: تفسير ابن كثير ٧/ ٣٣٩.

(٣) والفتح هو فتح مكة، وفي صحيح مسلم (٤٨٤) عن مسروق، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر من قول: «سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه» قالت: فقلت يا رسول الله، أراك تكثر من قول: «سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه؟» فقال: «خبرني ربي أني سأرىٰ علامة في أمتي، فإذا رأيتها أكثرت من قول: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه، فقد رأيتها ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١]، فتح مكة، ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ٢-٣]».

وكذلك كان، فروى أهل التفسير والمغازي والسير أنَّ هذه الآية نزلت في المنافقين، كعبد الله بن أُبي، وعبد الله بن نبتل[1]، ورفاعة بن تابوت، ونحوهم[2]، كانوا يقولون لبني النضير، وهم اليهود حلفاؤهم: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ [الحشر: ١١] الآية، فأخبر الله عنهم أنهم لن يفعلوا ذلك وكذلك كان، وضرب الله مثلاً بالشيطان: ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦]، كذلك المنافقون وبنو النضير[3].

فصل:

وآياته ﷺ قد استوعبت جميع أنواع الآيات الفعلية والخبرية، فإخباره عن الغيب الماضي والحاضر والمستقبل بأمور باهرة، لا يوجد مثلها لأحد من النبيين قبله، فضلا عن غير النبيين، ففي القرآن من إخباره عن الغيوب شيء كثير - كما تقدم بعض ذلك - وكذلك في الأحاديث الصحيحة، مما أخبر بوقوعه، فكان كما أخبر[4].

ففي الصحيحين عن حذيفة قال: «قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا ما ترك

---

(١) في (ب): نفتل.

(٢) كأوس بن قيظي (كما في تفسير الطبري ٢٣/ ٢٨٩ عن مجاهد).

(٣) انظر: السيرة لابن هشام ٢/ ١٢٤، تفسير الطبري ٢٣/ ٢٨٩، تفسير القرطبي ١٨/ ٣٣، تفسير ابن كثير ٨/ ٧٤.

(٤) وهذا المبحث من أشهر أبواب كتب دلائل النبوة، أعني: الغيبيات التي أخبر بها النبي ﷺ، وقد عدها الحافظ المستغفري أحد الأبواب العشرة الرئيسة لدلائل النبوة، (دلائل النبوة ١/ ١٣٥).

شيئا يكون من مقامه ذلك إلىٰ قيام الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه»(١).

وفي صحيح مسلم، عن أبي زيد عمرو بن أخطب قال: «صلىٰ بنا رسول الله ﷺ الفجر، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتىٰ حضرت الظهر، ثم نزل فصلىٰ بنا، ثم صعد المنبر فخطبنا حتىٰ حضرت العصر، ثم نزل فصلىٰ بنا، ثم صعد المنبر فخطبنا حتىٰ غربت الشمس، قال: وأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فأحفظنا أعلمنا»(٢).

وفي صحيح البخاري عن عدي بن حاتم قال: «بينا أنا عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه(٣) قطع السبيل، فقال: يا عدي، هل رأيت الحيرة(٤)؟ فقلت: لم أرها وقد أنبئت عنها، قال: فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتىٰ تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله، قال: قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دعار طيئ(٥) الذين سعروا

---

(١) صحيح البخاري (٦٦٠٤)، صحيح مسلم (٢٨٩١)، واللفظ له. وفي صحيح البخاري (٣١٩٢) معلقا عن عمر: عن طارق بن شهاب، قال: سمعت عمر رضي الله عنه، يقول: قام فينا النبي ﷺ مقاما، فأخبرنا عن بدء الخلق، حتىٰ دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه.

(٢) صحيح مسلم (٢٨٩٢).

(٣) في (ب): السنة. وهو تصحيف.

(٤) هامش (ف):الحيرة قرية قريبة من الكوفة بالعراق.

(٥) قوله: دعار طيء، الدعار جمع داعر، وهو الشاطر الخبيث المفسد، وفي هامش (ف): «دعار جمع داعر من الدعارة هي الفساد والشر، وطيء علىٰ وزن سيد أبو قبيلة في اليمن، كذا في الصحاح». =

البلاد؟ ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرىٰ، قلت: كسرىٰ بن هرمز! قال: كسرىٰ بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله عنه، فلا يجد أحدًا يقبله منه، وليلقينَّ الله تعالىٰ أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، فيقولن له: ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول: بلىٰ. فيقول: ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول بلىٰ. فينظر عن يمينه فلا يرىٰ إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرىٰ إلا جهنم.

قال عدي: سمعت رسول الله (ظ٧٦) ﷺ يقول: اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة.

قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتىٰ تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرىٰ بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال رسول الله ﷺ: يخرج الرجل ملء كفه»[١].

قلت: وهذا الذي أخبر به من خروج الرجل بملء كفه من ذهب أو فضة فلا يجد من يقبله، ظهر كما أخبر في زمن عمر بن عبد العزيز.

وفي صحيح مسلم، عن جابر بن سمرة، عن نافع بن عُتبة قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، قال: فأتىٰ النبي ﷺ قوم من قِبل المغرب، عليهم ثياب الصوف، فوافقوه عند أكمة، فإنهم لقيام ورسول الله ﷺ قاعد، قال: فقالت لي

= قال الحافظ: «والمراد قطاع الطريق وطيء قبيلة مشهورة منها عدي بن حاتم المذكور، وبلادهم ما بين العراق والحجاز، وكانوا يقطعون الطريق علىٰ من مر عليهم بغير جواز، ولذلك تعجب عدي كيف تمر المرأة عليهم وهي غير خائفة، قوله: قد سعروا البلاد أي أوقدوا نار الفتنة، أي ملؤا الأرض شرا وفسادا، وهو مستعار من استعار النار وهو توقدها» (فتح الباري ٦/ ٦١٣).

(١) صحيح البخاري (٣٥٩٥).

نفسي: ائتهم فقم بينهم وبينه لا يغتالونه[1]، قال: ثم قلت: لعله نجيٌّ معهم، فأتيتهم فقمت بينهم وبينه، قال: فحفظت منه أربع كلمات أعدهن في يدي، قال: تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم تغزون فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله»[2].

وروىٰ البخاري عن عوف بن مالك قال: «أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم، فقال: اعدد ستًّا بين يدي الساعة: موتي، وفتح بيت المقدس، ثم مُوتان يأخذ فيكم كقُعاص الغنم[3]، ثم استفاضة المال حتىٰ يعطىٰ الرجل مائة دينار فيظل ساخطًا، ثم فتنة لا يبقىٰ بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية[4]، كل غاية اثنا عشر ألفًا»[5].

قلت: ففتح بيت المقدس بعد موته في خلافة عمر بن الخطاب، ثم بعد ذلك وقع الطاعون العظيم بالشام، طاعون عمواس في خلافة عمر أيضا، ومات

---

(١) في هامش (ل): يقتلونه.

(٢) صحيح مسلم (٢٩٠٠)، قوله «لعله نجي معهم» أي: يناجيهم ومعناه يحدثهم (شرح النووي علىٰ مسلم ١٨/ ٢٧).

(٣) الموتان بضم الميم الموت الكثير الوقوع، وقيل بفتح الميم فيه، والقعاص كذا ورد في الأصول، إلا (ط النيل)، وكما أثبت ورد في مشارق الأنوار للقاضي عياض (٢/ ١٩١). وهو في المختصر النصيح (١١٥٩)، وفتح الباري (٦/ ٢٧٨): عقاص، بتقديم المهملة، وسيأتي كذلك من كلام المصنف بعد الحديث، قال الحافظ: داء يأخذ الدواب فيسيل من أنوفها شيء فتموت (فتح الباري ٦/ ٢٧٨).

(٤) هامش (ف): «الوباء الموعود وقع في زمان عمر فمات سبعون ألف في ثلاثة أيام، وبنو الأصفر الروم، والهدنة الصلح، والغاية العلم».

(٥) صحيح البخاري (٣١٧٦).

فيه معاذ بن جبل، وأبو عبيدة بن الجراح، وخلق كثير، وكان ذلك أول طاعون وقع في الإسلام، فكان ما أخبر به، حيث أخذهم طاعون كقُعاص الغنم، ثم استفاض المال في خلافة عثمان بن عفان حتىٰ كان أحدهم يُعطىٰ مائة دينار فيتسخطها، وكثر المال حتىٰ كانت الفَرس تشترىٰ بوزنها[١].

(ثم وقعت الفتنة العامة التي لم يبق بيت من العرب إلا دخلته لما قتل عثمان، ووقعت الفتنة بين المسلمين، واقتتلوا[٢] يوم الجمل ويوم صفين)[٣].

وفي الصحيحين عن خباب بن الأرت قال: «شكونا إلىٰ رسول الله ﷺ، وهو متوسد بردةً له في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلنا: ألا تدعو الله لنا، ألا تستنصر لنا، قال: فجلس محمرًا وجهه، ثم قال: والله إن من كان قبلكم ليؤخذ الرجل فيمشط بأمشاط الحديد ما بين لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويؤخذ[٤] فتحفر له الحُفرة فيوضع المنشار علىٰ رأسه، فيشق باثنتين ما يصرفه عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتىٰ يسير الراكب منكم من صنعاء إلىٰ حضرموت لا يخشىٰ إلا الله ﷻ والذئب[٥] علىٰ غنمه، ولكنكم تعجلون»[٦].

---

(١) روىٰ البيهقي (في السنن الكبرىٰ ٤/ ٢٠٣): أن عبد الرحمن بن أمية أخو يعلىٰ بن أمية ابتاع من رجل فرسا أنثىٰ بمائة قلوص، فبدا له فندم البائع، فأتىٰ عمر رضي الله عنه فقال: إن يعلىٰ وأخاه غصباني فرسي ، فكتب عمر إلىٰ يعلىٰ بن أمية «أن الحق بي» فأتاه فأخبره، فقال: «إن الخيل لتبلغ هذا عندكم» قال: ما علمت فرسا قبل هذه بلغ هذا!.

(٢) في (ل): «ووقعت الفتنة بين المسلمين أو الملوك يوم الجمل ويوم صفين» وهو تصحيف.

(٣) ما بين القوسين تأخر في ب إلىٰ ما بعد حديث خباب، وثبتت هنا في (ل) لحقا في هامشها.

(٤) في ب: فيؤخذ الرجل.

(٥) في (ب): أو الذئب.

(٦) صحيح البخاري (٣٦١٢)، ولم يروه مسلم، (كما في تحفة الأشراف: ٣/ ١١٧).

وفي الصحيحين -واللفظ للبخاري- عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتىٰ (ظ٩٤) تقاتلوا الترك، صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المُطْرَقة، ولا تقوم الساعة حتىٰ تقاتلوا قوما نعالهم الشعر»(١).

قلت: وهؤلاء الطوائف كلهم قاتلهم المسلمون كما أخبر(٢) ﷺ، وأمر هذه الطوائف معروف، فإن قتال الترك من التتار وغيرهم الذين هذه صفتهم معروف مشهور، وحديثهم في أكثر من عشرة آلاف نسخة كبار وصغار من كتب المسلمين، قبل (ظ٧٧) قتال هؤلاء الذين ظهروا من ناحية المشرق الذين هذه صفتهم، التي لو كلف من رآهم بعينه أن يصفهم لم يحسن مثل هذه الصفة(٣).

---

(١) صحيح البخاري (٢٩٢٨)، وصحيح مسلم (٢٩١٢).

(٢) كتب في (ب) فوق السطر: النبي.

(٣) فقد جمع الحديث عدة صفات بأبلغ العبارات، وقوله: كالمجان المطرقة، قال الحافظ: «المجان بالجيم وتشديد النون جمع مجن -أي الترس- والمطرقة التي ألبست الأطرقة من الجلود وهي الأغشية، تقول طارقت بين النعلين أي جعلت إحداهما علىٰ الأخرىٰ» (فتح الباري ٦/ ١٠٤).

وأما قوله: دلف الأنوف، وفي بعض الراويات: فطس الأنوف، فالفطس الانفراش، وأما الدلف -بالدال والذال- قيل معناه الصغر وقيل الدلف الاستواء في طرف الأنف ليس بحد غليظ وقيل تشمير الأنف عن الشفة العليا ودلف بسكون اللام جمع أدلف مثل حمر وأحمر وقيل الدلف غلظ في الأرنبة وقيل تطامن فيها وقيل ارتفاع طرفه مع صغر أرنبته وقيل قصره مع انبطاحه (فتح الباري ٦/ ٦٠٨).

وقوله: نعالهم الشعر، يحتمل معان، قال الحافظ: «قيل: المراد به طول شعورهم حتىٰ تصير أطرافها في أرجلهم موضع النعال، وقيل: المراد أن نعالهم من الشعر بأن يجعلوا نعالهم من شعر مضفور،...، ووقع في رواية لمسلم كما تقدم من طريق سهيل عن أبيه عن أبي هريرة: يلبسون الشعر، وزعم ابن دحية أن المراد به القندس الذي يلبسونه في الشرابيش، قال: وهو جلد كلب الماء» (فتح الباري ٦/ ٦٠٨). =

وفي الصحيحين عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتىٰ تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرىٰ»[١].

وقد ظهرت هذه النار سنة بضع وخمسين وستماية، ورآها الناس، ورأوا أعناق الإبل قد أضاءت ببصرىٰ، وكانت تحرق الحجر، ولا تنضج اللحم[٢].

وفي الصحيحين عن أبي سعيد، وأسماء أن رسول الله ﷺ «قال لعمار بن ياسر: تقتلك الفئة الباغية»[٣].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «هلك كسرىٰ ثم لا يكون كسرىٰ[٤] بعده، وقيصر ليهلكن ثم لا يكون قيصر بعده، ولتنفقن

= ووقع في هامش (ف): المجان جمع المجن وهو الترس، والمطرقة التي أطرقت أي ألبست بطراق، وهو الجلد الذي يغشاه، والذلف بضم الذال المعجمة وسكون اللام جمع الأذلف، من الذلف بفتح اللام وهو صغر الأنف مع استواء الأرنبة، والأرنبة طرف الأنف والله تعالىٰ أعلم.

(١) صحيح البخاري (٧١١٨)، صحيح مسلم (٢٩٠٢).

(٢) ذكر أبو شامة والنووي وابن كثير أنها كانت سنة ٦٥٤ (شرح مسلم ١٨/ ٢٨، البداية والنهاية١٩/ ٢٨)، وفصل ابن حجر في شأنها (فتح الباري ١٣/ ٧٩).

(٣) حديث أبي سعيد الخدري رواه البخاري في الصحيح (٤٤٧)، ومسلم في الصحيح (٢٩١٦)، والحديث وإن أخرجه البخاري إلا أنه ترك هذه اللفظة منه، انظر بحث ذلك في: المختصر النصيح للمهلب بن أبي صفرة ١/ ٣٢٤، فتح الباري ١/ ٥٤٢.
ورواه مسلم (٢٩١٦) من حديث أم سلمة.
وأما قوله: أسماء، فهكذا هو في الأصول، ولعله تصحيف عن أم سلمة.

(٤) هامش (ف): «اسم ملك الفرس في ذلك الزمان كان برز بن هرمز» أهـ كأنه يريد: أبرويز.
وقال ابن كثير: كان آخر ملوكهم - الذي سلب منه الملك - يزدجرد بن شهريار بن أبرويز بن هرمز بن أنوشروان وهو الذي انشق الإيوان في زمانه وكان لأسلافه في الملك ثلاثة آلاف سنة ومائة وأربعة وستون سنة وكان أول ملوكهم خيومرت بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام (البداية والنهاية٣/ ٣٩٩).

كنوزهما في سبيل الله»[1].

وفي الصحيحين عن جابر، عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا هلك كسرىٰ فلا كسرىٰ بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله»[2].

وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لتفتحن عصابة من المسلمين، أو قال: من المؤمنين كنز آل كسرىٰ الذي في الأبيض»[3]. والأبيض قصرٌ كان لكسرىٰ[4].

وفي صحيح البخاري[5] عن أبي بكرة، عن النبي ﷺ «أنه قال عن الحسن -ابن ابنته وهو يخطب على المنبر-: أن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[6].

قلت: فوقع هذا كما أخبر به، بعد موت الرسول بنحو ثلاثين سنة، وهو سنة أربعين من الهجرة، لما أصلح الله بالحسن بين الفئتين العظيمتين اللتين كانتا متحاربتين بصفين، عسكر علي وعسكر معاوية.

---

(١) صحيح البخاري (٣١٢٠)، ومسلم (٢٩١٨).

(٢) رواه البخاري (٣١٢١)، ومسلم (٢٩١٩). وجابر هو ابن سمرة.
قال ابن عقيل الحنبلي: «كانت العرب بين هذين الملكين كالكرة يلعبان بهم، ويحملون إليهما الهدايا، فلما جاء الإسلام صارت كلمة العرب هي العليا، فلا كسرىٰ ولا قيصر من حيث المعنىٰ، إنما هو اسم فارغ من المعنىٰ» (كشف المشكل من الصحيحين لابن الجوزي ١/ ٤٤٨).

(٣) هي رواية لحديث جابر بن سمرة الذي ذكره آنفا، وهذا اللفظ عند مسلم (٢٩١٩).

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي (١٨/ ٤٣).

(٥) في (ب، ل) زيادة: وغيره.

(٦) صحيح البخاري (٢٧٠٤).

وفي الصحيحين عن ابن عباس «أنَّ رجلا أتىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني رأيت الليلة[1] في المنام ظلة تنطف[2] السمن والعسل، فأرىٰ الناس يتكففون منها بأيديهم، فمنهم المستكثر والمستقل، ثم إذا سبب واصل من الأرض إلىٰ السماء فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجل بعدك فَعَلا، ثم أخذ به رجل آخر فَعَلا، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع، ثم وصل له فَعَلا.

قال أبو بكر: يا رسول الله بأبي أنت وأمي لتدعني فلأعبره، فقال: أعبر، فقال أبو بكر: أما الظلة فظلة الإسلام، وأما الذي ينطف من السمن والعسل فالقرآن[3] (حلاوته ولينه، وأما ما يكفف فالمستكثر من القرآن)[4] والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلىٰ الأرض فالحق الذي أنت عليه، فأخذت به فيعليك الله، ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو، ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو، ثم يأخذ[5] به رجل آخر فينقطع به ثم يوصل له فيعلو به.

فأخبرني يا رسول الله: أصبت أم أخطأت؟ فقال: أصبت بعضا وأخطأت بعضا، قال: فوالله يا رسول الله لتخبرني بالذي أخطأت، قال: لا تقسم»[6].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينا أنا نائم رأيتني علىٰ قليب عليها دلو[7]، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع بها ذَنُوبًا أو ذَنُوبين، وفي نزعه ضعف - والله يغفر له - ثم

---

(١) في (ب): الملائكة. وهو تصحيف.
(٢) الظلة السحابة، وتنطف أي تقطر قليلا قليلا (شرح مسلم للنووي ١٥/ ٢٨).
(٣) في (ب، ل): فهو القرآن.
(٤) ما بين القوسين سقط من (ل) لانتقال النظر.
(٥) في (ب): يأتي.
(٦) صحيح البخاري (٧٠٤٦)، صحيح مسلم (٢٢٦٩).
(٧) في (ب): فنزحت عنه فنزعت عنها.

استحالت غَرْبًا فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عَبقَرِيًّا من الناس ينزع نزع عمر حتىٰ ضرب الناس بعطن.

وفي رواية: فاستحالت الدلو غَرْبا في يد عمر»[1].

قال الشافعي رحمة الله عليه: «رؤيا الأنبياء وحي، وقوله: في نزعه ضعف، قصر مدته، وعجلة موته، وشغله بالحرب مع أهل الردة عن الافتتاح والتزيد الذي بلغه عمر في طول مدته»[2].

وفي الصحيحين عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه «أن امرأة سألت رسول الله ﷺ شيئًا فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: يا رسول الله أرأيت إن جئت فلم أجدك ؟ قال: أي كأنها تعني الموت، قال: إن لم تجديني فائتي أبا بكر»[3].

وروىٰ أبو داود الطيالسي، عن أبي ثعلبة الخشني، وعن أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، عن النبي ﷺ قال: «إن الله بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة،

---

(١) صحيح البخاري (٣٦٦٤)، صحيح مسلم (٢٣٩٢).
الغرب الدلو العظيمة، والنزع الاستقاء، ومعنىٰ ضرب الناس بعطن، أي أرووا إبلهم ثم آووها إلىٰ عطنها وهو الموضع الذي تساق إليه بعد السقي لتستريح (شرح مسلم ١٥/ ١٥٩).

(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٣٤٥)، عقب به علىٰ الحديث، ودلائل النبوة للبيهقي من مصادر المصنف في هذه الفصول.
وقال النووي: «وأما قوله ﷺ في أبي بكر رضي الله عنه: وفي نزعه ضعف؛ فليس فيه حط من فضيلة أبي بكر، ولا إثبات فضيلة لعمر عليه، وإنما هو إخبار عن مدة ولايتهما، وكثرة انتفاع الناس في ولاية عمر لطولها، ولاتساع الإسلام وبلاده والأموال وغيرها من الغنائم والفتوحات، ومصر الأمصار، ودون الدواوين، وأما قوله ﷺ: والله يغفر له؛ فليس فيه تنقيص له ولا إشارة إلىٰ ذنب، وإنما هي كلمة كان المسلمون يدعمون بها كلامهم، ونعمت الدعامة، وقد سبق في الحديث في صحيح مسلم أنها كلمة كان المسلمون يقولونها افعل كذا والله يغفر لك» (شرح مسلم ١٥/ ١٦١).

(٣) صحيح البخاري (٣٦٥٩)، صحيح مسلم (٢٣٨٦).

وكائنًا خلافة ورحمة، وكائنًا ملكًا عضوضًا، وكائنًا عنوة وجبرية، وفسادًا في الأمة، يستحلون الفروج والخمور والحرير، وينصرون على ذلك، ويرزقون أبدًا حتىٰ يلقوا الله ﷻ»[1].

وروىٰ أبو داود، عن سمرة بن جندب أنَّ رجلاً قال: «يا رسول الله، إني رأيت كأنَّ دلوا دلي من السماء فجاء أبو بكر رضي الله عنه فأخذ بعراقيها[2] فشرب شربًا ضعيفًا، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتىٰ تضلع، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتىٰ تضلع، ثم جاء علي فأخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح عليه منها شيء»[3].

وفي السنن عن سَفينة، عن النبي ﷺ أنه قال: «تكون خلافة النبوة ثلاثين

---

(١) رواه الطيالسي (٢٢٥)، ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٣٤٠)، وفي إسناده: ليث بن أبي سليم مضطرب الحديث.
والملك العضوض: ما يصيب الرعية فيه ظلم وعسف، كأنهم يعضون فيه عضا، والملك العضوض جمع عض، وهو الخبيث الشرس (النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٥٣).

(٢) العراقي: جمع عرقوة الدلو، وهو الخشبة المعروضة علىٰ فم الدلو، وهما عرقوتان كالصليب. وقد عرقيت الدلو إذا ركبت العرقوة فيها (النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٢١).

(٣) رواه أحمد (٢٠٢٤٢)، وأبو داود (٤٦٣٧)، وفيه: عبدالرحمن الجرمي، ذكره البخاري بهذا الحديث (في التاريخ الكبير ٥/ ٢٦٩)، لم يرو عنه غير ابنه عبدالرحمن، ووثقه ابن حبان (الثقات ٥/ ٨٧) (انظر: ميزان الاعتدال ٢/ ٦٠٢)، وقال الحافظ في التقريب: مقبول، قلت: وفيه توثيق يحيىٰ بن معين كما في سؤالات الدارمي (١١٣)، فإنه قال: سألت يحيىٰ بن معين عن أشعث بن عبد الرحمن الجرمي؟ قال: ثقة، قلت: وأبوه؟ فقال: ثقة أهـ، وهذا التوثيق فات المزي والذهبي وابن حجر فلم يذكروه، فالحديث صحيح.
قال الحافظ بعد أن ذكر الحديث: «هذا يبين المراد بالنزع الضعيف والنزع القوي الفتوح والغنائم» (فتح الباري ١٢/ ٤١٤).

سنة ثم تصير ملكا»[1].

فكان هذا العام تمام الثلاثين سنة من موته، ودخل في ذلك خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم[2].

وفي الصحيحين عنه[3] ﷺ أنه قال: «زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها»[4].

وفي صحيح مسلم (عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ)[5]: «إنَّ الله زوىٰ لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنةٍ عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًّا من سوىٰ أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال لي: يا محمد، إني إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة[6]، ولا أسلط عليهم عدوًّا من[7] سوىٰ أنفسهم يستبيح

---

(١) رواه أحمد (٢١٩١٩) وأبو داود (٤٦٤٦)، الترمذي (٢٢٢٦)، وإسناده حسن.

(٢) في بعض طرق أحمد: قال سفينة: «أمسك خلافة أبي بكر سنتين، وخلافة عمر عشر سنين، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة، وخلافة علي ست سنين». وعند أبي داود: قال سعيد بن جمهان، قلت: لسفينة إن هؤلاء يزعمون أن عليا لم يكن بخليفة قال: «كذبت أستاه بني الزرقاء يعني بني مروان».

وفي هامش (د): «وتمامها ستة أشهر التي استخلف فيها سيدنا الحسن السبط رضوان الله عليه وعلىٰ سائر أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته الطاهرين، هـ س».

(٣) في ظ: وفي الصحيحين عن عن رسول.

(٤) هذا مختصر من الرواية التي تليها، ولم يخرج البخاري هذا الحديث.

قوله: زوريت لي الأرض: أي جمعت وقبضت (مشارق الأنوار ١/ ٣١٣، النهاية ٢/ ٣٢٠).

(٥) ما بين القوسين ليس في (ب)، وبدله في (ل): عنه ﷺ.

(٦) في (ب، ل): عامة.

(٧) ليست في (ب)، وكتبها في (ل) تحت السطر.

بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بين[1] أقطارها، حتىٰ يكون بعضهم يهلك بعضًا (ويسبي بعضهم بعضًا)[2]»[3].

وهذا أخبر به في أول الأمر، وأصحابه في غاية القلة قبل فتح مكة، وكان كما أخبر، فإنَّ ملك أمته انتشر في الشرق والغرب، ولم ينتشر في الجنوب والشمال كانتشاره في الشرق والغرب[4]؛ إذ كانت أمته أعدل الأمم؛ فانتشرت دعوته في الأقاليم التي هي وسط المعمور من الأرض، كالثالث والرابع والخامس.

وقد تقدم قوله: «هلك كسرىٰ فلا يكون كسرىٰ بعده» وذاك كسرىٰ بن هرمز آخر الأكاسرة المملكين، ثم ولي بعده ولاة متضعفون[5]، فكان آخرهم يزدجرد، وإليه الإشارة باللفظ الآخر: «إذا هلك كسرىٰ فلا كسرىٰ بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله ﷻ»[6].

وهذا أخبر به وملك كسرىٰ وقيصر أعز ملك في الأرض، وصدق الله خبره في خلافة عمر وعثمان فهلك كسرىٰ، وهو آخر الأكاسرة في خلافة عثمان بأرض فارس، ولم يبق بعده كسرىٰ، ولم يبق للمجوس والفرس ملك، وهلك قيصر الذي بأرض الشام وغيرها، ولم يبق بعده من (ظ٧٩) هو ملك علىٰ الشام ولا مصر ولا الجزيرة من النصارىٰ، وهو الذي يدعىٰ قيصر.

---

(١) ليست في (ب). واستدركها لحقا في (ل).
(٢) ما بين القوسين ليس في (ب، ل، ط النيل). وهي ثابتة في (ظ) وصحيح مسلم.
(٣) صحيح مسلم (٢٨٨٩).
(٤) شرح صحيح مسلم للنووي (١٨/ ١٣).
(٥) في (ب، ط النيل): مستضعفون.
(٦) سبق تخريجه.

قال الشافعي: «كانت قريش تنتاب الشام انتيابًا كثيرًا، وكان كثير من معاشها منه، وتأتي العراق فيقال: لما دخلت في الإسلام ذكرت للنبي ﷺ خوفها من انقطاع معاشها بالتجارة من الشام والعراق إذا فارقت الكفر ودخلت في الإسلام، وخلاف ملك الشام والعراق لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «إذا هلك كسرىٰ فلا كسرىٰ بعده»، فلم يبق بأرض العراق كسرىٰ يثبت له أمر بعده، وقال: «إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده» فلم يكن بأرض الشام قيصر، فأجابهم علىٰ ما قالوا، وكان كما قال؛ قطع الله الأكاسرة عن العراق وفارس، وقيصر عن الشام، وقال في كسرىٰ: «مزق الله ملكه» فلم يبق للأكاسرة مُلك، وقال في قيصر: «ثبت ملكه»[1] فثبت ملكهم ببلاد الروم، وتنحىٰ عن الشام، وكل هذا يصدق بعضه بعضا»[2].

وفي الصحيحين عن (سفيان بن)[3] أبي زهير قال: قال رسول الله ﷺ: «تفتح اليمن[4] فيأتي قوم يُبِسُّون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير

---

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي ٤/ ٣٩٤.

(٢) كلام الشافعي رواه عنه البيهقي في دلائل النبوة ٤/ ٣٩٤.

(٣) ليس في (ب، ل). وكتب في هامش ل:صوابه سفيان بن زهير. قلت: وهكذا ثبت في ط النيل، والصحيح ما في الأصل (ظ).

(٤) وقع في إحدىٰ روايات مسلم تقديم الشام علىٰ اليمن، رواه من طريق ابن أبي شيبة عن وكيع، وهكذا هو في مسند ابن أبي شيبة (٧٧٥)، وخالفه كل من رواه فذكروا اليمن قبل الشام، ولم أقف عليه من رواية وكيع عند غير ابن أبي شيبة، فلعل ابن أبي شيبة لم يضبطه، والله أعلم.
قال النووي: «قال العلماء في هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ لأنه أخبر بفتح هذه الأقاليم وأن الناس يتحملون بأهليهم إليها ويتركون المدينة وأن هذه الأقاليم تفتح علىٰ هذا الترتيب ووجد جميع ذلك كذلك بحمد الله وفضله» (شرح مسلم ٩/ ١٥٩).

لهم لو كانوا يعلمون، ثم تفتح الشام[1] فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، ثم يفتح العراق فيأتي قوم يتحملون بأهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»، وفي رواية: «فيخرج من المدينة»[2].

فأخبر ﷺ بفتح اليمن والشام والعراق قبل أن يكون، وأخبر أنه يخرج من المدينة أقوام يتحملون بأهليهم، ومن أطاعهم إلىٰ هذه الأمصار، يطلبون الريف وسعة الرزق، قال: والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون.

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر، عن النبي ﷺ أنه قال: «ستفتح مصر، وهي أرض يسمىٰ فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرا».

وفي رواية: «فأحسنوا إلىٰ أهلها، فإن لهم ذمةً ورحمًا، فإذا رأيتم رجلين يقتتلان علىٰ موضع لبنة فاخرج منها»، فمر أبو ذر بعد فتح مصر بمدة بابني شرحبيل بن حسنة، وهما يتنازعان في موضع لبنة فخرج منها[3].

وفي صحيح البخاري، عن سليمان بن صُرد قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «حين أجلي الأحزاب عنه: الآن نغزوهم ولا يغزونا»[4] وكذلك كان.

---

(١) هنا في بعض النسخ: فيأتي قوم يبسون، وهو في الصحيح وسقط من ظ.

(٢) صحيح البخاري (١٨٧٥)، صحيح مسلم (١٣٨٨).

قوله: يبسون، أي يسوقون داوبهم ويزجرونها (فتح الباري ٤/ ٩٢).

(٣) صحيح مسلم (٢٥٤٣).

والقيراط جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به (شرح مسلم للنووي ١٦/ ٩٧).

(٤) صحيح البخاري (٤١٠٩)، زاد في موضع (٤١١٠): «نحن نسير إليهم».

قال الحافظ: «وذكر الواقدي أنه ﷺ قال ذلك بعد أن انصرفوا، وذلك لسبع بقين من ذي القعدة، وفيه علم من أعلام النبوة، فإنه ﷺ اعتمر في السنة المقبلة فصدته قريش =

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم وأنتم»، قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله، قال رسول الله ﷺ: «أو غير ذلك؟ تتنافسون[1]، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون، ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم علىٰ رقاب بعض»[2].

وفي صحيح البخاري، عن أبي هريرة أنه[3]: لما أنزل الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ[4]﴾ [الجمعة: ٢ - ٣] سئل النبي ﷺ عن هؤلاء الآخرين، فقال: «لو كان الدين معلقًا بالثُّريَّا لناله رجال من أبناء فارس».

وفي لفظ: «لو كان الإيمان»، وفي لفظ: «لو كان العلم»[5].

= عن البيت، ووقعت الهدنة بينهم إلىٰ أن نقضوها، فكان ذلك سبب فتح مكة، فوقع الأمر كما قال ﷺ، وأخرج البزار بإسناد حسن من حديث جابر شاهدا لهذا الحديث، ولفظه: أن النبي ﷺ قال يوم الأحزاب وقد جمعوا له جموعا كثيرة: لا يغزونكم بعد هذا أبدا ولكن أنتم تغزونهم» (فتح الباري ٧/ ٤٠٥).

(١) الأفعال في (ب) كلها بالياء.

(٢) صحيح مسلم (٢٩٦٢).

(٣) في (ب) زيادة هنا: قال.

(٤) أتم الآية في (ب، ل).

(٥) متفق عليه، صحيح البخاري (٤٨٩٧)، صحيح مسلم (٢٥٤٦). ولفظ: الدين عند مسلم فقط، وأما الإيمان فمتفق عليه، وأما لفظ: العلم، فليس عند الشيخين، بل رواه أحمد (٧٩٥٠) من طريق شهر بن حوشب عن أبي هريرة، وشهر بن حوشب ضعيف، ولفظه: «لو كان العلم بالثريا لتناوله أناس من أبناء فارس».
وفي (ب، ل): «العلم» بدون: لو كان.

وكان كما أخبر، فإنه حصل في التابعين وتابعيهم، وهلم جرا، من أبناء فارس، مثل: الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وسعيد بن جبير، وعكرمة مولىٰ ابن عباس(١)، ومجاهد بن جبر، وأضعاف هؤلاء، من نالوا ذلك.

«ولما نزل قوله تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] سئل عنهم، فقال: هم قوم هذا، وأشار إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري»(٢).

وقال: «إني لأجد نَفَس الرحمن من قِبَل اليمن»(٣).

---

(١) المشهور في ترجمة عكرمة مولىٰ ابن عباس أنه بربري (سير اعلام النبلاء٥/ ١٣).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٢٢٦١) والطبراني (١٧/ ٣٧١) والحاكم في المستدك (٢/ ٣١٤) والبيهقي في الدلائل (٥/ ٣٥١) من حديث عياض الأشعري، وقال الحاكم: علىٰ شرط مسلم، وأقره الذهبي.

(٣) رواه أحمد في المسند من حديث أبي هريرة (١٠٩٧٨)، وله شاهد من حديث سلمة بن نفيل، رواه البزار (٣٧٠٢)، والطبراني في الكبير (٧/ ٥٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٩١).

وقيل: إن المراد الأنصار، لأنهم يمانيون، وقد فرج الله بهم علىٰ المؤمنين، قال ابن الأثير: «وهو مستعار من نفس الهواء الذي يرده التنفس إلىٰ الجوف فيبرد من حرارته ويعدلها، أو من نفس الريح الذي يتنسمه فيستروح إليه، أو من نفس الروضة، وهو طيب روائحها، فيتفرج به عنه، يقال: أنت في نفس من أمرك، واعمل وأنت في نفس من عمرك: أي في سعة وفسحة، قبل المرض والهرم ونحوهما» (النهاية في غريب الحديث ٥/ ٩٣).

وليس هذا الحديث من أحاديث الصفات، كما قد يظنه بعضهم، قال المصنف: «فقوله «من اليمن» يبين مقصود الحديث فإنه ليس لليمن اختصاص بصفات الله تعالىٰ حتىٰ يظن ذلك ولكن منها جاء الذين يحبهم ويحبونه الذين قال فيهم: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾. وقد روي أنه لما نزلت هذه الآية: سئل عن هؤلاء؛ فذكر أنهم قوم أبي موسىٰ الأشعري؛ وجاءت الأحاديث الصحيحة مثل قوله: «أتاكم أهل اليمن أرق قلوبا وألين أفئدة؛ الإيمان يماني والحكمة يمانية» وهؤلاء هم الذين قاتلوا أهل الردة =

وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «أتاكم أهل اليمن، هم أرق قلوبًا (ظ ٨٠) وألين أفئدة، الإيمان يمانٍ، والفقه يمانٍ، والحكمة يمانية»(١).

فلما ارتد من ارتد عن الإسلام أتىٰ الله بهؤلاء الذين يحبهم ويحبونه، فقاتل الصديق بهم أهل الردة، وغلب بهم أبو بكر وعمر كسرىٰ وقيصر(٢).

وقال لعثمان بن عفان: «إنَّ الله مُقمِّصُك قميصًا فإن أرادوك علىٰ خلعه فلا تخلعه»(٣).

= وفتحوا الأمصار فبهم نفس الرحمن عن المؤمنين الكربات ومن خصص ذلك بأويس فقد أبعد»(مجموع الفتاوىٰ ٦/ ٣٩٨).

(١) صحيح البخاري (٤٣٣٨)، صحيح مسلم (٥٢).

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٣٦٢.وروىٰ البيهقي في السنن الكبرىٰ (٨/ ١٧٧) عن قتادة قال: فىٰ قوله ﷻ (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتىٰ الله بقوم يحبهم ويحبونه) الآية: «نزلت هذه الآية وقد علم الله أنه سيرتد مرتدون من الناس، فلما قبض الله رسوله ﷺ ارتد الناس عن الإسلام إلا ثلاثة مساجد؛ أهل المدينة وأهل مكة وأهل جواثا من أهل البحرين، من عبد القيس، وقالت العرب: أما الصلاة فنصلي، وأما الزكاة فوالله لا تغصب أموالنا، فكلم أبو بكر رضىٰ الله عنه أن يتجاوز عنهم ويخلي عنهم، وقيل له: إنهم لو قد فقهوا لأعطوا الزكاة طائعين، فأبىٰ عليهم أبو بكر رضىٰ الله عنه قال: والله لا أفرق بين شيء جمع الله بينه، والله لو منعوني عناقا مما فرض الله ورسوله لقاتلتهم عليه، فبعث الله عليهم عصائب، فقاتلوا علىٰ ما قاتل عليه رسول الله ﷺ حتىٰ أقروا بالماعون، وهي الزكاة المفروضة، ثم إن وفد العرب قدموا عليه فخيرهم بين خطة مخزية أو حرب مجلية، فاختاروا الخطة، وكانت أهون عليهم أن يشهدوا أن قتلاهم في النار وقتلىٰ المسلمين فىٰ الجنة، وما أصاب المسلمون من أموالهم فهو حلال وما أصابوا من المسلمين ردوه عليهم».

(٣) رواه أحمد (٢٤٤٦٦) وابن ماجه (١١٢) من حديث عائشة قالت: كنت عند النبي ﷺ فقال: «يا عائشة، لو كان عندنا من يحدثنا؟» قالت: قلت: يا رسول الله، ألا أبعث إلىٰ أبي بكر؟ فسكت، ثم قال: «لو كان عندنا من يحدثنا»، فقلت: ألا أبعث إلىٰ عمر؟ فسكت، قالت: ثم دعا وصيفا بين يديه، فساره، فذهب، قالت: فإذا عثمان يستأذن، فأذن له، =

وفي الصحيحين عن أبي موسىٰ قال: «بينا رسول الله ﷺ في حائط من حوائط المدينة، وهو متكئ يركز بعود في الماء والطين، إذ استفتح رجل فقال: افتح وبشره بالجنة. فإذا هو أبو بكر ففتحت له وبشرته بالجنة.

ثم استفتح رجل آخر، فقال: افتح له وبشره بالجنة. فذهبت فإذا هو عمر، ففتحت له، وبشرته بالجنة.

ثم استفتح رجل آخر، فقال: افتح له، وبشره بالجنة علىٰ بلوىٰ تصيبه، فذهبت فإذا هو عثمان ففتحت له[1]، وبشرته بالجنة، وقلت له الذي قال، فقال: اللهم صبرًا، والله المستعان»[2].

وفي الصحيحين حديث حذيفة «عن النبي ﷺ في الفتن التي تموج موج البحر، وقال لعمر: إنَّ بينك وبينها بابًا مغلقًا يوشك ذلك الباب أن يكسر، فسأله مسروق من الباب؟ فقال: عمر»[3].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكون الفتن، القاعد فيها خير (من القائم، والقائم خير)[4] من الماشي، والماشي فيها خير

= فدخل، فناجاه النبي ﷺ طويلا، ثم قال: «يا عثمان إن الله ﷻ مقمصك قميصا، فإن أرادك المنافقون علىٰ أن تخلعه، فلا تخلعه لهم، ولا كرامة» يقولها: له مرتين أو ثلاثا.

وفي إسناده فرج بن فضالة ضعيف الحديث (ميزان الاعتدال ٣/ ٣٤٤)، وقد اختلف فيه عليه (انظر: العلل لابن أبي حاتم ٢/ ٣٦١)..

ورواه الترمذي (٣٧٠٥) من طريق أخرىٰ عن عائشة، وقال: حسن غريب أهـ.

وله شاهد من حديث زيد بن أرقم رواه الطبراني في المعجم الكبير (٥٠٦١)، ومن حديث عبدالله بن عمرو، رواه الطبراني في الأوسط (٨٧٤٩).

(١) ليست في (ب، ل).

(٢) صحيح البخاري (٣٦٧٤)، صحيح مسلم (٢٤٠٣).

(٣) صحيح البخاري (٥٢٥)، صحيح مسلم (١٤٤)

(٤) ما بين القوسين ليس في (ب، ل). وهو في الأصل والمصادر.

من الساعي، من يُشرف لها تستشرفه، ومن وجد فيها ملجأ فليعذ به»[1].

ورواه أبو بكرة، وقال فيه: «فإذا وقعتْ فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه، قال: فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: يعمد إلىٰ سيفه فيدق علىٰ حده بحجر، ثم لينج إن استطاع النجاء، اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت. فقال رجل: أرأيت يا رسول الله إن أكرهت حتىٰ ينطلق بي إلىٰ أحد الصفين، أو إحدىٰ الفئتين، فضربني رجل بسيفه، أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: يبوء بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار»[2].

وفي صحيح[3] أبي حاتم قال النبي ﷺ: «ويلٌ للعرب من شر قد اقترب، من فتنة[4] عمياء صماء بكماء، القاعد فيها خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، ويل[5] للساعي فيها من الله يوم القيامة»[6].

وفي الصحيحين عنه أنه قال: «إني لأرىٰ الفتن تقع خلال بيوتكم كمواقع القطر»[7].

---

(١) صحيح البخاري (٣٦٠١)، صحيح مسلم (٢٨٨٦).
(٢) صحيح مسلم (٢٨٨٧).
(٣) في (ب): وفي صحيح مسلم وأبي حاتم.
(٤) في (ل): أو فتنة.
(٥) في (ب): وويل.
(٦) صحيح ابن حبان (٦٧٠٥)، من حديث أبي هريرة، وترجم عليه أبو حاتم بن حبان: البيان بأن الفتن التي ذكرناها قصد العرب بتوقعها دون غيرهم أهـ وفي إسناده الدراوردي، صدوق سيء الحفظ.
(٧) صحيح البخاري (١٨٧٨)، صحيح مسلم (٢٨٨٥)، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

وفي الصحيحين من غير وجه أنه «لما قال له ذو الخويصرة: يا محمد، اعدل فإنك لم تعدل. فقال: ويحك، قد خبتَ وخسرتَ إن لم أعدل، فقال بعض أصحابه: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: إنه يخرج من ضئضئ هذا أقوام يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، آيتهم أن فيهم رجلا مخدج اليد علىٰ عضده مثل البَضْعة من اللحم تَدرْدر، عليها شعرات»[1].

وفي رواية في الصحيحين: «تمرق مارقة علىٰ حين فرقة من المسلمين تقتلهم أدنىٰ الطائفتين إلىٰ الحق»[2].

وهؤلاء ظهروا بعد موته ببضع وعشرين سنة في أواخر خلافة علي، لما افترق المسلمون، فكانت الفتنة[3] بين عسكر علي، وعسكر معاوية، وقتلهم علي بن أبي طالب وأصحابه، وهم أدنىٰ الطائفتين إلىٰ الحق. والطائفة الأخرىٰ قتلوا عمار بن ياسر، وهي الطائفة الباغية.

وكان علي قد أخبرهم بهذا الحديث، وبعلامتهم فطلبوا هذا المخدج فلم يجدوه، حتىٰ قام علي - بنفسه - ففتش عليه فوجده مقتولا فسجد شكرًا لله[4].

وفي الصحيح[5] عنه أنه قال (ظ٨١): «سيكون بعدي أمراء يؤخرون

---

(١) صحيح البخاري (٣٦١٠)، صحيح مسلم (١٠٦٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٢) لفظ صحيح مسلم (١٠٦٤) عن أبي سعيد، وعند البخاري (٣٦١٠) بعضه.
(٣) في المطبوعة: الفئة. وهو تصحيف.
(٤) صحيح مسلم (١٠٦٦) حيث روىٰ ذلك من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
(٥) كذا في (ب، ل)، وفي الأصل (ظ): وفي الصحيحين. والصواب ما أثبت.

الصلاة عن وقتها فصلوا الصلاة لوقتها، واجعلوا صلاتكم معهم نافلة»[1].

وهؤلاء ظهروا بعده بمدة؛ فكانوا يؤخرون الظهر إلىٰ وقت العصر، ويؤخرون العصر إلىٰ اصفرار الشمس.

وفي الصحيحين عنه أنه قال للأنصار[2]: «إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتىٰ تلقوني علىٰ الحوض»[3].

فلقوا بعده من استأثر عليهم، ولم يعطهم حقهم.

وفي الصحيحين عنه أنه قال: «ستكون بعدي أمراء يطلبون منكم حقهم، ويمنعونكم حقكم، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله[4]، قال: أدوا إليهم حقهم، واسألوا الله حقكم»[5].

وفي الصحيحين عنه: «أنه سارَّ فاطمة ابنته رضي الله عنها فقال لها وهو في مرضه الذي توفي فيه: إني أقبض في مرضي هذا، ثم أخبرها أنها أول أهله لحوقا به»[6].

وفي رواية: «وأخبرها أنها سيدة نساء المؤمنين»[7].

وفي الصحيحين عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «أسرعكنَّ بي

---

(١) رواه مسلم في الصحيح (٥٣٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) ليست في (ل، ب).

(٣) صحيح البخاري (٣٧٩٢)، صحيح مسلم (١٨٤٥) من حديث أسيد بن حضير رضي الله عنه.

(٤) «يا رسول الله» ليس في (ب).

(٥) صحيح البخاري (٧٠٥٢) صحيح مسلم (١٨٤٣)، من حديث ابن مسعود، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها»، قالوا: يا رسول الله، كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال: «تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم».

(٦) صحيح البخاري (٣٦٢٥)، صحيح مسلم (٢٤٥٠)

(٧) صحيح البخاري (٦٢٨٥)، صحيح مسلم (٢٤٥٠).

لحاقا أطولكنَّ يدًا، قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يدًا، فكانت أطولنا يدًا زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتصَّدَّق»[1].

وفي صحيح البخاري وغيره عن أم حرام[2]، عن النبي ﷺ أنه قال: «أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور لهم»[3].

وفي صحيح البخاري، عن أم حرام[4] قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا، قالت: قلتُ يا رسول الله، أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم.

قالت: ثم قال النبي ﷺ: أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم، فقلت: يا رسول الله، أنا فيهم؟ قال: لا»[5].

وغزاها المسلمون في خلافة معاوية، وكان يزيد أميرهم، وكان في العسكر أبو أيوب الأنصاري الذي نزل النبي ﷺ في بيته لما قدم المدينة مهاجرا، ومات ودفن تحت سورها[6].

---

(١) صحيح البخاري (١٤٢٠)، صحيح مسلم (٢٤٥٢).

(٢) في الأصول كلها: عن ابن عمر، وهو تصحيف. وتكراره الحديث قد يفيد أنه صدر عن نسخة فيها تصحيف أو انتقل نظره أثناء النقل، فإن حديث ابن عمر في الصحيح آخر بعد حديث أم حرام، في قتال اليهود، والله أعلم.

(٣) صحيح البخاري (٢٩٢٤)، بلفظ الحديث التالي.

(٤) في (ب) زيادة: أيضا. ثم ضرب عليها. وهي ثابتة في (ل، ط النيل) مما يدل على أن قوله آنفا: عن ابن عمر سبق قلم أو انتقال نظر.

(٥) صحيح البخاري (٢٩٢٤).

(٦) الاستيعاب لابن عبدالبر ٤/ ١٦٠٦، أسد الغابة ٦/ ٢٢.

وفي (ب، ل، ط النيل) زيادة: «وذكروا أنهم كانوا إذا أجدبوا كشفوا عن قبره فيسقون».

ثم غزاها المسلمون مرة ثانية في خلافة عبد الملك غزاها ابنه مسلمة، وحصروها عدة سنين، وبنوا فيها مسجدًا.

وفي الصحيحين عن أنس قال: «كان النبي ﷺ يدخل علىٰ أم حرام بنت ملحان[1] فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله ﷺ فأطعمته، وجعلت تَفْلي رأسه، فنام ثم استيقظ وهو يضحك، فقالت: مم تضحك يارسول الله؟ فقال: عُرض عليَّ ناس من أمتي يركبون ثبج هذا البحر مُلوكًا علىٰ الأسرة أو مثل الملوك علىٰ الأسرة. فقالت أم حرام: ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظ، وهو يضحك، فقالت: مم تضحك؟ فقال: عرض علي ناس من أمتي كما قال في الأولىٰ، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: أنت من الأولين.

قال أنس: فركبت البحر زمان معاوية بن أبي سفيان فصُرعت عن دابتها لما خرجت من البحر فماتت»[2].

وهذا كان في خلافة عثمان، ومعاوية نائبه، وكان المسلمون في خلافة عمر لم يغزوا في البحر، وأول ما غزوا البحر في خلافة عثمان، وفتحوا جزيرة قبرص، وجاءوا بسبيها إلىٰ دمشق، وكان أبو الدرداء حيًّا بدمشق فجعل يبكي، فقيل له: ما يبكيك يا أبا الدرداء؟ هذا يوم قد أعز الله فيه الإسلام، فقال: إنما أبكي أني رأيت هذه الأمة كانت قاهرة ظاهرة فأضاعت أمر الله ؛ فأصارها الله

---

(١) هامش (ف): «ملحان بكسر الميم وسكون اللام، وبالحاء المهملة، كانت تحت عبادة بن الصامت ولم يكن بينها وبين رسول الله ﷺ محرمية علىٰ الصواب وقيل كانت خالته، وقيل كانت خالته من الرضاعة».
قلت: هذه مسألة مشهورة عند أهل العلم فلا نطيل بذكرها.
(٢) صحيح البخاري (٢٧٨٨)، صحيح مسلم (١٩١٢).

إلىٰ ما ترون، ما أهون العباد علىٰ الله إذا ضيعوا أمره[1].

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «سألت ربي ثلاثًا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألته أن لا يسلط علىٰ أمتي عدوًا من غيرهم فيجتاحهم فأعطانيها، وسألته أن لا يهلكهم بسنة عامة فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها»[2].

وثبت عنه في الصحيحين أنه قال: «لا تزال طائفة (ظ ٨٢) من أمتي ظاهرين علىٰ الحق لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم حتىٰ تقوم الساعة»[3].

وهذا أخبر به حين كانت أمته أقل الأمم، فانتشرت الأمة في مشارق الأرض ومغاربها، وكان كما أخبر به، فإن هذه الأمة - ولله الحمد والمنة - لم يزل فيها طائفة ظاهرة بالعلم والدين والسيف، لم يصبها ما أصاب من قبلها من بني إسرائيل وغيرهم، حيث كانوا مقهورين مع الأعداء، بل إن غلبت طائفة في قطر من الأرض، كانت في القطر الآخر أمة ظاهرة منصورة، ولم يسلط علىٰ مجموعها عدوا من غيرهم، ولكن وقع بينهم اختلاف وفتن.

وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما بعدُ[4]: قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس،

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧/ ١٨٦، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٥١.
(٢) رواه مسلم في الصحيح (٢٨٨٩)، من حديث ثوبان، وليس هو في صحيح البخاري.
(٣) صحيح البخاري (٧٣١١)، صحيح مسلم (١٩٢١)، من حديث المغيرة بن شعبة، وهو عندهما كذلك من حديث معاوية، صحيح البخاري (٣٦٤١)، صحيح مسلم (١٠٣٧).
(٤) ليست في (ب، ل).

ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات[1] رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[2].

وهؤلاء ظهروا بعده بمدة طويلة، وظهر النسوة بعد ذلك بسنين كثيرة، وعلىٰ رءوسهن عمائم كأسنمة الجمال البُخَاتي، يسمون العمامة: سنام الجمل.

وفي حديث مسلم، عن أسماء بنت أبي بكر، عن النبي ﷺ أنه قال: «سيكون في ثقيف كذاب ومُبير»[3].

وظهر الكذاب من ثقيف، وهو المختار بن أبي عُبيد الذي أظهر التشيع والانتصار للحسين، وقتل عُبيد الله بن زياد وغيره من قتلة الحسين، ثم أظهر أنه يوحىٰ إليه، وأنه ينزل عليه، حتىٰ قيل لابن عمر وابن عباس عنه، قيل لأحدهما: إنه يوحىٰ إليه، وللآخر: إنه ينزل عليه. فقال أحدهما: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقال الآخر: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢][4].

وأما المبير فكان هو الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان مبيرًا سفاكًا للدماء بغير حق، انتصارًا لمُلك عبد الملك بن مروان الذي استنابه.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أنه قال: لقد قال رسول الله ﷺ: «أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثي فيجمعه إلىٰ صدره، فإنه لن ينسىٰ شيئًا سمعه،

---

(١) قدم وأخر في (ب، ل).
(٢) صحيح مسلم (٢١٢٨).
(٣) صحيح مسلم (٢٥٤٥).
(٤) انظر ترجمة المختار في سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٣٨.

فبسطت بردة علي حتىٰ فرغ من حديثه، ثم جمعتها إلىٰ صدري فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئا سمعته منه»[1].

وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الإسلام عزيزا إلىٰ اثني عشر خليفة، كلهم من قريش»[2].

وفي لفظ: «إلىٰ اثني عشر أميرًا»[3].

وفي رواية لأبي داود الطيالسي: «كلهم يجتمع عليهم الأمة»[4].

وفي رواية، فقالوا: «ويكون[5] ماذا؟ قال: ثم يكون الهرج»[6].

قال أبو بكر البيهقي: «وفي الرواية الأولىٰ بيان العدد، وفي الثانية بيان المراد بالعدد، وقد بين وقوع الهرج[7]، وهو القتل بعدهم»، قال[8]: «وقد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة إلىٰ وقت الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ثم وقع الهرج والفتنة العظمىٰ، وإنما يزيدون علىٰ العدد المذكور إذا تركت الصفة

---

(١) صحيح البخاري (٧٣٥٤)، صحيح مسلم (٢٤٩٢).
(٢) صحيح البخاري (٧٢٢٢)، صحيح مسلم(١٨٢١) واللفظ لمسلم.
(٣) وهو لفظ البخاري في صحيحه (٧٢٢٢).
(٤) رواه أبو داود السجستاني في السنن (٤٢٧٩)، ومن طريقه البيهقي في الدلائل (٦/ ٥٢٠)، وفي إسناده أبو خالد البجلي، والد إسماعيل بن أبي خالد، لم يوثقه إلا ابن حبان، وصحح الترمذي حديثه، وقال الحافظ: مقبول (تهذيب الكمال ٣٣/ ٢٧٢، تقريب التهذيب: ٦٣٦)، وأما الذي في رواية أبي داود الطسالسي (٨٠٤): كلهم من قرييش.
(٥) في (ب، ل): يكون.
(٦) رواه البيهقي في الدلائل ٦/ ٥٢٠، وإسناده حسن.
(٧) في دلائل النبوة (٦/ ٥٢٠): وفي الرواية الثالثة بيان وقوع الهرج وهو القتل بعدهم..
(٨) ليست في (ل).

المذكورة فيه، أو عد معهم من كان بعد الهرج»(١).

وفي الصحيحين عن جابر قال: «قال لي رسول الله ﷺ: هل لك من أنماط؟ قلت: يا رسول الله، وأنىٰ يكون لي أنماط، فأنا أقول اليوم لامرأتي: نحي عنك أنماطك، فتقول: ألم يقل رسول الله ﷺ: إنها ستكون لكم أنماط»(٢).

وفي الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا نائم رأيت أنه وضع في يدي سواران من ذهب، ففظعتهما(٣) فكرهتهما، فأذن لي فنفختهما فطارا(٤)، وأولتهما كذابين يخرجان بعدي»(٥).

---

(١) دلائل النبوة (٦/ ٥٢٠).
وليس في ذكر هذا العدد نفي الزيادة، فقد ذكر ذلك أمام ابن عباس فأنكره، قال سعيد بن جبير: سمعت عبد الله بن عباس- ونحن نقول: اثني عشر أميرا ثم لا أمير واثني عشر أميرا ثم هي الساعة- فقال ابن عباس ما أحمقكم، إن منا أهل البيت بعد ذلك المنصور والسفاح والمهدي يدفعها إلىٰ عيسىٰ ابن مريم (دلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٥١٤).
قال البيهقي: «وليس في إثباته هذا العدد نفي الزيادة عليه وقد قيل أراد اثني عشر أميرا كلهم تجتمع عليهم الأمة ثم يكون الهرج.» (دلائل النبوة ٦/ ٥١٩).

(٢) صحيح البخاري (٣٦٣١)، صحيح مسلم (٢٠٨٣).
والأنماط جمع نمط، وهو بساط له خمل رقيق، (النهاية ٥/ ١١٩، فتح الباري ٦/ ٦٣٠).

(٣) كذا في ظ، وفي (ب، ل): فقطعتهما. وهو تصحيف.
قال الحافظ ابن حجر: «قوله ففظعتهما وكرهتهما: بفاء وظاء مشالة مكسورة بعدها عين مهملة يقال فظع الأمر فهو فظيع إذا جاوز المقدار قال بن الأثير الفظيع الأمر الشديد وجاء هنا متعديا والمعروف فظعت به وفظعت منه فيحتمل التعدية علىٰ المعنىٰ أي خفتهما أو معنىٰ فظعتهما اشتد علي أمرهما» (فتح الباري ٨/ ٩٣).

(٤) في (د): فأذن لي في فنفختهما، وكتب في الهامش: لعله فأذن لي في نفخهما فنفختهما، من خط م.

(٥) صحيح البخاري (٣٦٢٠)، صحيح مسلم (٢٢٧٤).

قال عبدالله[1]: أحدهما العنسي الذي قتله فيروز باليمن، والآخر مسيلمة[2].

وفي الصحيحين من حديث (ظ٨٣) ابن عمر قال: «سمعت رسول الله ﷺ قال وهو مستقبل المشرق: ها إن الفتنة ها هنا، إن الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان»[3].

وفي بعض طرق البخاري: قام خطيبًا فأشار بيده نحو مسكن عائشة فقال: وذكر الحديث[4].

فالمشرق عن مدينته فيه البحرين، ومنها خرج مسيلمة الكذاب الذي ادعىٰ النبوة، وهو أول حادث حدث بعده، واتبعه خلائق، وقاتله خليفته الصديق رضي الله عنه.

وروىٰ أبو حاتم في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال: «سمعت النبي ﷺ يقول: إن بين يدي الساعة كذابين، منهم صاحب اليمامة، ومنهم صاحب صنعاء العنسي، ومنهم صاحب حمير، ومنهم الدجال، وهو أعظمهم فتنة»، وصاحب اليمامة هو مسيلمة. قال: وقال أصحابي: قال: هم قريب من ثلاثين كذابا[5].

---

(١) يعني ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٣٦.
(٣) صحيح البخاري (٣٢٧٩)، صحيح مسلم (٢٩٠٥).
(٤) رواه البخاري في الصحيح (٣١٠٤)، وفي بعض ألفاظ مسلم (٢٩٠٥): قام عند باب حفصة، وفي بعضها: خرج من بيت عائشة، ويجمع بين هذه الألفاظ: بأنه خرج من بيت عائشة فلما قام عند باب حفصة أشار إلىٰ جهة بيت عائشة حيث كان بيتها في الشرق، ثم قال ذلك.
(٥) صحيح ابن حبان (٦٦٥٠)، وإسناده جيد.

وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتىٰ يخرج ثلاثون، دجالون كذابون، كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتىٰ يفيض المال، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج.

قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: القتل القتل»[1].

وفي صحيح ابن حبان عن أبي ذر قال: «ركب رسول الله ﷺ حمارًا، وأردفني خلفه، ثم قال: يا أبا ذر، أرأيت إن أصاب الناس جوع شديد حتىٰ لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلىٰ مسجدك[2] كيف تصنع؟ فقال: الله ورسوله أعلم، قال: تعفف. قال: يا أبا ذر، أرأيت إن أصاب الناس موت شديد حتىٰ يكون البيت بالعبد كيف تصنع؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: اصبر. يا أبا ذر، أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضا حتىٰ تغرق حجارة الزيت من الدماء كيف تصنع؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: اقعد في بيتك، وأغلق عليك بابك. فقال: أرأيت إن لم أُترك؟ قال: فأت من أنت منه، فكن فيهم. قال: فآخذ سلاحي؟ قال: إذًا تشاركهم فيه، ولكن إن خشيت أن يروعك شعاع السيف فألق[3] طرف ردائك علىٰ وجهك يبوء بإثمك وإثمه»[4].

وفيه عن ابن مسعود قال: «أتيت النبي ﷺ، وهو في قبة من[5] أدم، فيها أربعون رجلاً، فقال: إنكم مفتوحون، ومنصورون، فمن أدرك ذلك الزمان منكم فليتق الله، وليأمر بالمعروف، ولينه عن المنكر، ومن كذب علي متعمدا

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٧١٢١)، صحيح مسلم (١٥٧).

(٢) في (الأصل ظ): مسجد. وما ثبت من باقي الأصول يوافق ما في المصدر.

(٣) في (ل): فأطلق.. وهو تصحيف.

(٤) رواه أحمد (٢١٣٢٥)، وابن حبان في الصحيح (٦٦٨٩)، وإسناده صحيح.

(٥) ليست في (ب).

فليتبوأ مقعده من النار»[1].

وأما الفتوح التي فتحت عليهم، والنصرة التي نصروا فقد أخبر به في أوائل مبعثه كما تقدم ذكره[2] ووقع ما أخبر به.

وروىٰ أبو حاتم في صحيحه، عن ابن عباس قال: «مرض أبو طالب فأتته قريش، وأتاه النبي ﷺ يعوده، وعند رأسه مقعد رجل، فقام أبو جهل فقعد فيه، فشكوا رسول الله ﷺ إلىٰ أبي طالب، فقالوا: إن ابن أخيك يقع في آلهتنا، قال: ما شأن قومك يشكونك يا ابن أخي؟ قال: يا عم، إنما أردتهم علىٰ كلمة واحدة تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية، فقال: وما هي؟ قال: لا إله إلا الله. فقاموا، فقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥] ؟ قال: ونزلت: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص: ١] إلىٰ قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]»[3].

---

(١) صحيح ابن حبان (٤٨٠٤)، ورواه الحاكم (٤/ ١٥٩)، وزاد فيه: «ومثل الذي يعين قومه علىٰ غير الحق كمثل البعير يتردىٰ فهو يمد بذنبه» قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».
ورجاله ثقات إلا إنه من رواية عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود عن أبيه، وقد سمع منه نحوا من أربعة أحاديث، لم يذكروا هذا منها، قال أحمد: كان له عند موت أبيه ست سنين (تعريف أهل التقديس ٤٠)، وقد أثبت له الإمام أحمد مطلق السماع (سؤالات ابن هانئ: ٢١٧٠)، وكذا علي بن المديني (تهذيب الكمال١٧/ ٢٤٠) والبخاري(التاريخ الكبير٥/ ٢٩٩)، في حين نفىٰ ذلك ابن معين، فقال: لم يسمع من أبيه شيئا (تهذيب الكمال ١٧/ ٢٤٠، تاريخ الإسلام ٢/ ٨٥٤).

(٢) «كما تقدم ذكره» ليس في (ب).

(٣) رواه أحمد (٢٠٠٨)، والطبري في التفسير (٢١/ ١٥١)، وابن حبان (٦٦٨٦)، وفي إسناده يحي بن عمارة، روىٰ عنه الأعمش وعطاء بن السائب، فارتفعت جهالته، (التاريخ الكبير ٨/ ٢٩٦، الجرح والتعديل ٩/ ١٧٥) ووثقه ابن حبان (الثقات ٧/ ٦٠٥).

وفي صحيح ابن حبان،[1] عن (إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم)[2]، قال: لما أقبلت عائشة مرَّت[3] ببعض مياه بني عامر طرقتهم ليلا فسمعت نباح الكلاب، فقالت: أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب[4]، قالت: ما أظنني إلا راجعة. قالوا: مهلا -يرحمك الله- تقدمين فيراك المسلمون، فيصلح الله بك. قالت: ما أظنني إلا راجعة[5]، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كيف بإحداكنَّ ينبح عليها كلاب الحوأب؟»[6].

وفيه أيضًا (ظ ٨٤) عن ابن أبي طالب قال: «قال لي عبد الله بن سلام، وقد وضعت رجلي في الغرز، وأنا أريد العراق: لا تأت العراق[7] فإنك إن أتيتهم أصابك ذَنَب السيف، قال علي: وايم الله لقد قالها لي رسول الله ﷺ.

قال أبو الأسود: فقلت في نفسي: ما رأيت كاليوم رجلاً محاربًا يحدث الناس بمثل هذا»[8].

---

(١) هاهنا حاشية في ظ ساق فيها إسناد ابن حبان، صورتها: أنا عمران بن موسىٰ بن مجاشع، ثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا وكيع وعلي بن مسهر، عن إسماعيل بن أبي خالد.

(٢) في (ب، ل): عن إسماعيل بن أبي قيس، وهو تصحيف.

(٣) في (ل، ب): قربت.

(٤) هامش (ف): الحوأب ماء في الطريق ما بين البصرة ومكة من مياه بني كلاب والحوأب الوادي الواسع كثير الماء.

(٥) في (ب، ل): ما أظنني رافعة.

(٦) رواه أحمد (٢٤٢٥٤)، وابن حبان في الصحيح (٦٧٣٢)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٢٠)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٤١٠).

قال الحافظ: سنده علىٰ شرط الصحيح (فتح الباري١٣/ ٥٥).

(٧) في (ب): أهل العراق.

(٨) رواه ابن حبان (٦٧٣٣)، والحاكم (٣/ ١٤٠)، وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين أهـ. =

وهذا وأمثاله مما أخبر به ﷺ من المستقبلات فوقع بعده كما أخبر، ورأىٰ الناس ذلك.

وأمَّا ما أخبر به مما لم يقع إلىٰ الآن فكثير.

وقد أخبر بأشياء من المغيبات، ووقعت في زمانه، ووجدت كما أخبر:

كما في الصحيحين عن سهل بن سعد، أنَّ رسول الله ﷺ «قال يوم خيبر: لأعطينَّ الراية[1] غدًا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله علىٰ يديه»[2] فكان كذلك.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: «شهدنا مع رسول الله ﷺ حُنينا، فقال - لرجل ممن يدعي الإسلام -: هذا من أهل النار، فلما حضرنا القتال، قاتل الرجل قتالاً شديدًا فأصابته جراحة، فقيل: يا رسول الله، الرجل الذي قلت له آنفا: إنه من أهل النار، فإنه قاتل اليوم قتالا شديدا، وقد مات، فقال

= وإسناده حسن، من أجل أن فيه: عبدالملك بن أعين، وهو صدوق شيعي، روىٰ له البخاري ومسلم مقرونا بغيره.

وعندهما: ذباب السيف، وهو طرفه الذي ضرب به (النهاية ٢/ ١٥٢).

وفي هامش الأصل ظ حاشية: «وروىٰ أبو حاتم في صحيحه: عن قيس بن أبي حازم عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: مثلت لي الحيرة كأنياب الكلاب، وإنكم ستفتحونها، فقام رجل فقال: هب لي يا رسول الله ابنة بقيلة، فقال: هي لك، فأعطوه إياها، فجاء أبوها فقال: أتبيعها، قال: نعم، قال: بكم، احتكم بما شئت، قال: بألف درهم، قال: قد أخذتها، قال: فقيل له: لو قلت ثلاثين ألفا، قال: وهل عدد أكثر من ألف».

وهذا الحديث رواه ابن حبان (٦٦٧٤)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٣٢٦)، وإسناده حسن، تفرد به محمد بن يحيىٰ بن أبي عمر العدني، وهو حافظ صدوق.

(١) في (ب، ل): هذه الراية.

(٢) رواه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦).

النبي ﷺ: إلىٰ النار. فكاد بعض المسلمين أن يرتاب، فبينا هم علىٰ ذلك إذ قيل: فإنه لم يمت، ولكن به جرحًا شديدًا، فلما كان من الليل لم يصبر علىٰ الجراح فقتل نفسه، فأُخبر النبي ﷺ بذلك، فقال: الله أكبر، أشهد أني عبد الله ورسوله. ثم أمر بلالا فنادىٰ في الناس: إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وأن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»(١).

ورواه سهل بن سعد(٢).

وفي الصحيحين عن علي رضي الله عنه قال: «بعثني رسول الله ﷺ، وأبا مرثد الغنوي، والزبير بن العوام، والمقداد، وكلنا فارس، فقال: انطلقوا حتىٰ تأتوا روضة خاخ، فإن بها امرأة معها كتاب من حاطب إلىٰ المشركين.

قال: فأدركناها تسير علىٰ بعير لها خبب فقلنا لها: أين الكتاب؟ فقالت: ما معي كتاب. قال: فأنخنا بها، فالتمسنا الكتاب في رحلها، فلم نر كتابًا، قال: قلنا: ما كذب رسول الله ﷺ، لتخرجن الكتاب أو لنجردنك. قال: فلما رأت أني أهويت إلىٰ حجزتها، وهي محتجزة بكساء، فأخرجت الكتاب من عقاصها(٣)، فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلىٰ ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: يا حاطب، ما هذا؟ قال: لا تعجل علي، إني كنت

---

(١) صحيح البخاري (٣٠٦٢)، صحيح مسلم (١١١).
(٢) وهو متفق عليه كذلك، رواه البخاري (٢٨٩٨) ومسلم (١١٢).
وهذه الجملة ليست في (ب).
(٣) هامش (ف): «العقاص جمع عقيصة وهي الشعر المعقوص، وأصل العقص الليُّ وإدخال أطراف الشعر في أصوله».

امرأ ملصقًا في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ يدًا يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفرًا، ولا ارتدادًا عن ديني، ولا رضىً بالكفر بعد الإسلام.

فقال رسول الله ﷺ: إنه قد صدقكم.

فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله قد اطلع إلىٰ أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»(١).

فكان في هذا الكتاب إخبار المشركين بأن النبي ﷺ يريد غزوهم، فأعلمه الله بذلك(٢).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: «نعىٰ رسول الله ﷺ للناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه، فخرج إلىٰ المصلىٰ وكبر أربع تكبيرات»(٣).

وفي رواية عن جابر، قال: «إن رسول الله ﷺ صلىٰ علىٰ أصحمة النجاشي»(٤).

وفي لفظ من رواية أبي هريرة، قال: «قد مات اليوم عبد الله صالح

---

(١) صحيح البخاري (٣٠٠٧)، صحيح مسلم (٢٤٩٤).
(٢) في هامش الأصل (ب): «وجد في كتاب حاطب: بعث يخبرهم حاطب بأن محمد صلعم متوجه إليكم بجيش كالليل إذا سرىٰ، أو كالسيل إذا جرىٰ، فكونوا منه علىٰ حذر».
(٣) صحيح البخاري (١٢٤٨)، صحيح مسلم (٩٥١).
(٤) صحيح البخاري (١٣٣٤)، ومسلم (٩٥٢).

أصحمة، فقام فأمنا، وصلىٰ عليه»[1].

وفي رواية عمران (ظ٨٥) بن حصين قال: «إنَّ أخاكم قد مات فصلوا عليه»[2]. يعني النجاشي.

وروىٰ موسىٰ بن عقبة، عن ابن شهاب: قصة الصحيفة، ورواها عروة بن الزبير، ومحمد بن إسحاق بمعناه، قال: «ثم إن المشركين اشتدوا علىٰ رسول الله ﷺ كأشد ما كانوا، حتىٰ بلغ المسلمين الجهد، واشتد عليهم البلاء، وأجمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله ﷺ علانية، فلما رأىٰ أبو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يُدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم، ويمنعوه ممن أراد قتله، فاجتمعوا علىٰ ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله حمية، ومنهم من فعله إيمانًا ويقينًا، فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا الرسول وأجمعوا علىٰ ذلك اجتمع المشركون من قريش، فأجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم، ولا يبايعوهم، ولا يدخلوا بيوتهم حتىٰ يسلموا رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهودًا ومواثيق، لا يقبلوا من بني هاشم أبدا صُلحًا، ولا تأخذهم بهم رأفة حتىٰ يسلموه للقتل.

فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين، واشتد عليهم البلاء والجهد، وقطعوا عنهم الأسواق فلم يتركوا طعامًا يقدم مكة[3] ولا بيعًا إلا بادروهم إليه فاشتروه؛ يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله ﷺ[4].

---

(١) هذا لفظ صحيح مسلم (٩٥٢) لحديث جابر لا لحديث أبي هريرة.
(٢) صحيح مسلم (٩٥٣)، وفي لفظ آخر: إن أخا لكم.
(٣) ليست في (ب).
(٤) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣١٢) وهو من مراسيل الزهري في السيرة النبوية.

زاد ابن إسحاق في روايته[1] قال: حتىٰ كان يسمع أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع، وغدوا[2] علىٰ من أسلم فأوثقوهم وآذوهم، واشتد البلاء عليهم، وعظمت الفتنة، وزلزلوا زلزالا شديدا[3].

قال موسىٰ بن عقبة في تمام حديثه: وكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله ﷺ فاضطجع علىٰ فراشه حتىٰ يرىٰ ذلك من أراد مكرًا به واغتياله، فإذا نوم الناس أمر أحد بنيه أو إخوته، أو بني عمه فاضطجع علىٰ فراش رسول الله ﷺ، وأمر رسول الله ﷺ أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه.

فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بني عبد مناف، ومن بني قصي، ورجال سواهم من قريش قد ولدتهم نساء بني هاشم، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم، واستخفوا بالحق، واجتمع[4] أمرهم من ليلتهم علىٰ نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر، والبراءة منه، وبعث الله ﷻ علىٰ صحيفتهم التي فيها المكر برسول الله ﷺ الأرضة فلحست كل ما كان فيها من عهد وميثاق، ويقال: كانت معلقة في سقف البيت، فلم تترك اسما لله ﷻ فيها إلا لحسته، وبقي ما فيها من شرك أو ظلم أو قطيعة رحم، وأطلع الله رسوله علىٰ الذي صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأبي طالب فقال أبو طالب: لا

---

(١) في (ب): رواية.

(٢) كذا في الأصل (ظ)، وفي (ب): وبحدوا. وفي (ل): عدوا. وليست هذه الكلمة في سيرة ابن هشام، ولا في المصادر التي نقلت عنه مما وقفت عليه، كدلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٣١٥)، البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٢١٢).

(٣) رواه البيهقي في دلائل النبوة من طريق ابن إسحاق (٢/ ٣١٥).

(٤) في (ب): وأجمع.

والثواقب ما كذبني، فانطلق يمشي بعصابة من بني عبد المطلب حتىٰ أتىٰ المسجد وهو حافل من قريش، فلما رأوهم عامدين بجماعتهم أنكروا ذلك، وظنوا أنهم أخرجوا من شدة البلاء، فأتوهم ليعطوهم رسول الله ﷺ.

فتكلم أبو طالب، فقال: قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم، فائتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها، فلعله أن يكون بيننا وبينكم صلح، وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها، فأتوا بصحيفتهم معجبين بها، لا يشكون أن الرسول مدفوع[١] إليهم.

فوضعوها بينهم[٢]، وقالوا: قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلىٰ أمر يجمع قومكم، فإنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خطرا[٣] لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم. فقال أبو طالب: إنما أتيتكم لأعطيكم (ظ٨٦) أمرًا فيه نَصَف، فإن ابن أخي أخبرني -ولم يكذبني- أنَّ الله ﷻ بريء من هذه الصحيفة التي في أيديكم، ومحا كل اسم هو له فيها، وترك فيها غدركم وقطيعتكم إيانا، وتظاهركم علينا بالظلم، فإن كان الحديث الذي قال ابن أخي كما قال فأفيقوا، فوالله لا نسلمه[٤] أبدا حتىٰ نموت من عند آخرنا، وإن كان الذي قال باطلاً دفعناه إليكم فقتلتموه أو استحييتموه.

قالوا: قد رضينا بالذي تقول، ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق ﷺ قد أخبر خبرها، فلما رأتها قريش كالذي قال أبو طالب قالوا:

---

(١) في (ب، ل): مدفوعا.

(٢) ليست في ب.

(٣) كذا في الأصل يوافق ما في البداية والنهاية (٤/ ٢٠٩)، وهو الصواب، وفي (ب): حضر.

(٤) في (ب): يسلم.

والله إن كان هذا إلا سحرا[1] من صاحبكم، فارتكسوا وعادوا أشرَّ ما كانوا عليه من كفرهم والشدة علىٰ رسول الله ﷺ والمسلمين، وعلىٰ رهطه والقيام بما تعاهدوا عليه.

فقال أولئك النفر من بني عبد المطلب: إن أولىٰ بالسحر والكذب غيرنا، فكيف ترون؟ فإنا نعلم أن الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلىٰ الجبت والسحر من أمرنا، ولولا أنكم اجتمعتم علىٰ السحر لم تفسد صحيفتكم، وهي في أيديكم، طمس الله ما كان فيها من اسم، وما كان فيها من بغي تركه، أفنحن السحرة أم أنتم؟.

فقال عند ذلك النفر -من بني عبد مناف وبني قصي، ورجال من قريش ولدتهم نساء بني هاشم، منهم أبو البختري، والمطعم بن عدي، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة[2]، وزمعة بن الأسود، وهشام بن عمرو، وكانت الصحيفة عنده، وهو من بني عامر بن لؤي في رجال من أشرافهم ووجوههم-: نحن براء مما في هذه الصحيفة، فقال أبو جهل: هذا أمر قد[3] قضي بليل.

وأنشأ أبو طالب يقول في ذلك الشعر، في شأن صحيفتهم، ويمتدح النفر الذين تبرءوا منها، ونقضوا ما كان فيها من عهد، ويمتدح النجاشي[4].

---

(١) في (ل): إلا سحر.

(٢) كذا في (ب، ل)، وفي الأصل ظ: زهير بن أبي أمية والمغيرة. وهو تصحيف، وزهير هذا هو: زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب.(سيرة ابن إسحاق ١٦٥، سيرة ابن هشام ١/ ٢٥٢).
وقد عد زهير من المؤلفة قلوبهم (البداية والنهاية ٦/ ٥٦٤، الإصابة ٢/ ٤٧٣).

(٣) ليست في (ب).

(٤) يعني أن النجاشي أحسن لمن هاجر إليه، قال ابن كثير: «عن موسىٰ بن عقبة أنه قال: =

قال موسىٰ بن عقبة: فلما أفسد الله صحيفة مكرهم، خرج النبي ﷺ فعاشوا وخالطوا الناس»[1].

وفي صحيح البخاري، عن عبد الله بن مسعود، قال: «انطلق سعد بن معاذ معتمرًا، فنزل علىٰ أمية بن خلف أبي صفوان، وكان أمية بن خلف إذا انطلق إلىٰ الشام فمر بالمدينة نزل علىٰ سعد بن معاذ[2]، فقال سعدٌ لأمية: انظر لي ساعة خلوة لعلي أن أطوف بالبيت.

قال: انتظر حتىٰ إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت[3]، قال: فخرج به قريبا من نصف النهار فلقيهما أبو جهل فقال: يا أبا صفوان، من هذا معك[4]؟ قال: هذا سعد، فقال[5] أبو جهل: ألا أراك تطوف بالبيت آمنا، وقد أويتم الصباة، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم، أما والله لولا أنك مع أبي

= إنما كانت هجرة الحبشة بعد دخولهم إلىٰ الشعب عن أمر رسول الله ﷺ لهم في ذلك. فالله أعلم، قلت: والأشبه أن أبا طالب إنما قال قصيدته اللامية، التي قدمنا ذكرها، بعد دخولهم الشعب أيضا فذكرها هاهنا أنسب» (البداية والنهاية ٤/ ٢١١).

واللامية أولها:

ولما رأيت القوم لا ود فيهم وقد قطعوا كل العرىٰ والوسائل

أوردها ابن كثير (في البداية والنهاية ٤/ ١٣٥) ثم قال: «هذه قصيدة عظيمة فصيحة بليغة جدا ؛ لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت إليه، وهي أفحل من المعلقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنىٰ منها جميعا، وقد أوردها الأموي في «مغازيه» مطولة بزيادات أخر».

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٣١٤.

(٢) غير منسوب في (ب).

(٣) في (ب): فطفت بالبيت.

(٤) في (ب): الذي معك.

(٥) في (ب): فقال له.

صفوان ما رجعت إلىٰ أهلك سالمًا، فقال له سعد -وقد[1] رفع صوته عليه-: لئن منعتني من هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه طريقك علىٰ المدينة.

قال: فقال له أمية: لا ترفع صوتك علىٰ أبي الحكم سيد أهل الوادي، فقال سعد: دعنا منك يا أمية فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه قاتلك. قال: بمكة؟ قال: لا أدري.

ففزع لذلك أمية فزعا شديدًا، وقال: والله ما يكذب محمد، فلما رجع أمية إلىٰ أهله فقال: يا أم صفوان، ألم تري إلىٰ ما قال لي سعد؟ قالت: وما قال لك؟ قال: زعم أن محمدًا أخبرهم أنه قاتلي، فقلت له: بمكة؟ فقال: لا أدري، فقالت: والله ما يكذب محمد، فقال أمية: والله لا أخرج من مكة.

فلما كان يوم بدر استنفر[2] أبو جهل الناس، فقال: أدركوا عيركم. قال: فكره أمية أن يخرج، فأتاه أبو جهل، فقال: يا أبا صفوان، إنك متىٰ يراك الناس قد تخلفت -وأنت سيد أهل الوادي- تخلفوا معك، فلم يزل أبو جهل حتىٰ قال: إذ غلبتني فوالله لأشترين أجود بعير (ظ٨٦) بمكة.

قال أمية: يا أم صفوان جهزيني. فقالت له: يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي. قال: لا، وما أريد أن أجوز معهم إلا قريبًا، قال: فلما خرج أمية جعل لا ينزل منزلا إلا عقل بعيره فلم يزل كذلك حتىٰ قتله الله ببدر»[3].

وعن كعب بن مالك قال: «كان أبي بن خلف -أخو بني جمح- قد حلف

---

(١) ليست في (ب).

(٢) في (ب): استنصر.

(٣) صحيح البخاري (٣٦٣٢)(٣٩٥٠).

وهو بمكة ليقتلنَّ رسول الله ﷺ، فلما بلغت رسول الله ﷺ حلفته قال رسول الله ﷺ: بل أنا أقتله إن شاء الله ﷻ، فأقبل أُبيٌّ مقنعًا في الحديد، وهو يقول: لا نجوت إن نجا محمد، فحمل علىٰ رسول الله ﷺ يريد قتله، فاستقبله مصعب بن عمير -أخو بني عبد الدار- يقي رسول الله ﷺ بنفسه، فقتل مصعب بن عمير، وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أبي بن خلف من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة، فطعنه فيها بحربته، فوقع أبي عن فرسه، ولم يخرج من طعنته دم فأتاه أصحابه، فاحتملوه، وهو يخور خوار الثور، فقالوا له: ما أجزعك! إنما هو خدش، فذكر لهم قول رسول الله ﷺ: أنا أقتل أبيا، ثم قال: والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون(١)، فمات إلىٰ النار»(٢).

---

(١) في (ب): جميعا.

(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٠٦)، في سياق قصة خروج النبي ﷺ إلىٰ أحد وكيف كانت الوقعة، عن موسىٰ بن عقبة، وفي بعض جمله نسبه موسىٰ إلىٰ كعب بن مالك، ولكن قصة قتل أبي بن خلف لم يضفها إلىٰ كعب، بل هي من مراسيل موسىٰ بن عقبة، وبعضها قال فيه عقبة: عن سعيد بن المسيب، والمصنف قد صدر عن الدلائل.

قال البيهقي بعد أن رواه عن عروة بن الزبير مرسلا (٣/ ٢٥٩): وقد رويناه فيما مضىٰ عن موسىٰ بن عقبة عن ابن شهاب عن سعيد ابن المسيب

ورواه أيضا عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن ابن شهاب عن ابن المسيب.

وذكره الواقدي عن يونس بن محمد بن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه.

قال الواقدي وكان ابن عمر يقول: مات أبي ابن خلف ببطن رابغ، فإني لأسير ببطن رابغ بعد هوي من الليل إذا نار تأجج لي، فهبتها، وإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذبها يصيح: العطش، وإذا رجل يقول: لا تسقه، فإن هذا قتيل رسول الله، هذا أبي بن خلف.

وروىٰ القصة الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢٨) فوصلها عن سعيد بن المسيب عن أبيه، وفي الإسناد محمد بن فليح، وقد خالفه موسىٰ بن عقبة وغيره، فجعلوه من مراسيل سعيد، والقصة صحيحة لورودها من هذه الطرق المختلفة.

ورواه موسىٰ بن عقبة، عن ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب، وذكره الواقدي بإسناده(١)، وهذا لفظه، وهو مما ذكره عروة بن الزبير في مغازيه وابن إسحاق وغيرهما(٢).

وذكر موسىٰ بن عقبة في مغازيه «أنَّ عمير بن وهب الجمحي لما رجع فُلُّ المشركين إلىٰ مكة، وقد قتل الله من قتل منهم، أقبل عمير حتىٰ جلس إلىٰ صفوان بن أمية في الحجر، فقال صفوان: قبح الله العيش بعد قتلىٰ بدر. قال: أجل، والله ما في العيش خير بعدهم، ولولا دين علي لا أجد له قضاء، وعيال لا أدع(٣) لهم شيئا لرحلت إلىٰ محمد فقتلته إن ملأت عيني منه، فإن لي عنده علة أعتل بها، أقول قدمت علىٰ ابني أفدي هذا الأسير، ففرح صفوان بقوله، وقال له: علي دينك، وعيالك أسوة عيالي في النفقة، فحمله صفوان وجهزه، وأمر بسيف عمير فصقل وسُمَّ.

فأقبل عمير حتىٰ قدم المدينة فنزل بباب المسجد، وعقل راحلته، وأخذ السيف فعمد(٤) لرسول الله ﷺ، فنظر عمر بن الخطاب إليه، وهو في نفر من الأنصار يتحدثون، فقال عمر: عندكم الكلب، هذا(٥) عدو الله الذي حرش بيننا يوم بدر، وحزرنا للقوم.

---

(١) في (ل) زيادة: قال ثنا. وفي (ل): بإسناده وعن عروة بن الزبير وهذا لفظه، وهو مما ذكره..

(٢) ورواها السدي كذلك، رواه ابن جرير في التفسير (٧/ ٢٥٤)، ومقسم مولىٰ ابن عباس كما في مصنف عبدالرزاق (٩٧٣١)، وانظر دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٢٥٩.

(٣) في (ب): أجد.

(٤) في (ب): يعمد.

(٥) في (ب): هذا هو.

ثم قام عمر حتىٰ دخل علىٰ رسول الله ﷺ، وذكَر الحديث[1]، إلىٰ أن قال: قال له رسول الله ﷺ: ما أقدمك؟ قال: أسيري عندكم، ففادونا في أسرائنا فإنكم العشيرة والأهل، قال: فما بال السيف في عنقك؟ قال عمير: قبحها الله من سيوف فهل أغنت عنا شيئا؟ إنما نسيته في عنقي حين نزلت، فقال له رسول الله ﷺ: اصدقني ما أقدمك؟ قال: ما قدمت إلا في أسيري. قال: فماذا شرطت لصفوان بن أمية في الحجر؟ ففزع عمير وقال: ماذا شرطت له؟ قال: تحملت له بقتلي علىٰ أن يعول بنيك، ويقضي دينك، والله حائل بينك وبين ذلك. فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، وأن لا إله إلا الله، كنا نكذبك بالوحي، وبما يأتيك من السماء، وهذا الحديث كان بيني وبين صفوان في الحجر لم يطلع عليه أحد غيري وغيره، فأخبرك الله به». وذكر بقية الحديث[2].

وفي صحيح البخاري عن أنس قال: «بعث رسول الله ﷺ أقوامًا من بني سُليم إلىٰ بني عامر في سبعين، فلما قدموا قال لهم خالي: أتقدمكم فإن آمنوني حتىٰ أبلغهم عن رسول الله ﷺ، وإلاَّ كنتم (ق٨٨) مني قريبًا، فتقدم فآمنوه، فبينما هو يحدثهم عن النبي ﷺ إذ أومئوا إلىٰ رجل منهم فطعنه فأنفذه، قال: فزت ورب الكعبة، ثم مالوا علىٰ بقية أصحابه فقتلوهم إلاَّ رجلاً أعرج صعد الجبل وآخر معه، فأخبر جبريل النبي ﷺ أنهم قد لقوا ربهم فرضي الله عنهم

---

(١) «وذكر الحديث» ليس في (ب، ل).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٥٩)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٤٧)، وعنه صدر المؤلف، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٥٦)، والبيهقي في الدلائل ٣/ ١٤٧ عن عروة بن الزبير.

وأرضاهم، فكنا نقرأ: أن بلغوا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا، ثـم نسـخ بعد، فدعا عليهم أربعين صباحًا علىٰ رعل وذكوان وبني لحيان وعصية، الـذين عصوا الله ورسوله.

وكان في هؤلاء عامر بن فهيرة قال عنه عامر بـن الطفيـل: لقـد رأيتـه بعـدما قتل رفع إلىٰ السماء حتىٰ إني لأنظر إلىٰ السماء بينه وبين الأرض»[1].

وفي الصـحيحين مـن حـديث أبـي حميـد السـاعدي قـال: «خرجنـا مـع رسـول الله ﷺ غـزوة[2] تبـوك، فأتينـا وادي القـرىٰ علـىٰ حديقـة لامـرأة، فقـال رسول الله ﷺ: أُخرصوها، فخرصناها، وخرصها رسول الله ﷺ عشرة أوسق، قال: أحصيها حتىٰ أرجع[3] إليك إن شاء الله تعالىٰ، فانطلقنا حتىٰ قـدمنا تبـوك، فقال النبي ﷺ: ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقم فيها أحد مـنكم، فمـن كان له بعير فليشد عقاله، فهبت ريح شديدة فقام رجل فحملته الريح حتىٰ ألقته بجبل طيئ»[4].

وروىٰ الإمام أحمد، عن ابن عباس قال: «كان الذي أسر العباس بـن عبـد المطلب أبو اليسر بن عمرو وهو كعب بن عمرو أحد بني سلمة، فقال له رسـول الله ﷺ: كيف أسرته يا أبا اليسر؟ فقال: لقد أعانني عليه رجل ما رأيتـه بعـد ولا قبل، هيئته كذا هيئته كذا.

---

(١) صحيح البخاري (٢٨٠١)، صحيح مسلم (٦٧٧).
(٢) في (ب، ل): في غزوة.
(٣) في (ب، ل): نرجع.
(٤) صحيح البخاري (١٤٨١)، صحيح مسلم (١٣٩٢).

فقال رسول الله ﷺ: لقد أعانك عليه ملك كريم، وقال للعباس: يا عباس، افد نفسك وابني أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث، وحليفك عتبة بن جحدم أخو بني الحارث بن فهر. قال: فإني قد كنت مسلمًا قبل ذلك وإنما استكرهوني، قال: الله أعلم بشأنك، إن يك ما تدعي حقًّا فالله يجزيك بذلك، وأما ظاهر أمرك فقد كان علينا، فافد نفسك.

وقد كان رسول الله ﷺ قد أخذ منه[1] عشرين أوقية ذهبًا، فقال: يا رسول الله، احسبها لي[2] من فداي، قال: لا، ذلك شيء أعطاناه الله منك، قال: فإنه ليس لي مال، قال: فأين المال الذي وضعته بمكة حين خرجتَ عند أم الفضل وليس معك أحد غيركما، فقلتَ: إنْ أُصبت في سفري هذا فللفضل كذا، ولقثم كذا، ولعبد الله كذا.

قال: فوالذي بعثك بالحق ما علم بهذا أحد من الناس غيري وغيرها وإني أعلم أنك لرسول الله»[3].

---

(١) في اصل (ل): معه، وكتب فوقها: منه.

(٢) ليست في (ب، ل).

(٣) رواه أحمد (٣٣١٠) من طريق ابن إسحاق عمن سمع عكرمة عنه عن ابن عباس، وهذا إسناد ضعيف لجهالة شيخ ابن إسحاق.
ورواه الطبراني في الكبير (١١٣٩٨)، عن ابن إسحاق عن ابن ابي نجيح عن عطاء عن ابن عباس، وكذا رواه الطبري في التفسير (٥/ ٢٢٦) لكن قال: مجاهد بدل عطار.
ورواه الحاكم (٣/ ٣٢٤) من حديث ابن إسحاق نا يحيىٰ بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة.
وله شاهد من حديث عروة والزهري مرسلا (كما في دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ١٤٢).
ونحو هذه القصة ما روىٰ الحاكم (٣/ ٢٤٦) ومن طريقه البيهقي في الدلائل (٣/ ١٤٤) عن علي بن عيسىٰ النوفلي، عن أبيه، عن عمه: إسحاق بن عبد الله بن الحارث، عن أبيه عبد الله بن الحارث بن نوفل قال: «لما أسر نوفل بن الحارث ببدر قال له رسول الله ﷺ =

(وفي صحيح البخاري عن نافع عن ابن عمر، قال: «أمر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة، فإن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة»[1].

قال ابن عمر: كنت معهم ففتشته، يعني ابن رواحة، فوجدنا فيما أقبل من جسده بضعًا وسبعين بين طعنة برمح ورمية)[2].

وروىٰ البخاري عن أنس بن مالك قال: «نعىٰ رسول الله ﷺ زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب، وإن عيني رسول الله ﷺ لتذرفان، ثم أخذها خالد بن الوليد سيف من سيوف الله، حتىٰ فتح الله عليهم»[3].

= افد نفسك يا نوفل. قال مالي شيء أفدي به نفسي يا رسول الله. قال: افد نفسك من مالك الذي بجدة –وعند البيهقي: بحرة– قال: أشهد أنك رسول الله ففدىٰ نفسه بها فكانت الفرع».

(١) ما بين القوسين من الأصل (ظ)، وفي (ب، ل):
«وفي صحيح البخاري لما أرسل النبي ﷺ الجيش في غزوة مؤتة وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال: فإن قتل فجعفر فإن قتل فعبدالله بن رواحة، فروىٰ البخاري عن أنس..».

(٢) صحيح البخاري (٤٢٦١).

(٣) صحيح البخاري (١٢٤٦).
هامش الأصل ظ: بلغ مقابلة.

فصل:

وآيات رسول الله[1] ﷺ المتعلقة بالقدرة والفعل والتأثير أنواع:

الأول منها: ما هو في العالم العلوي.

كانشقاق القمر، وحراسة السماء بالشهب الحراسة التامة لما بُعث، وكمعراجه إلىٰ السماء.

فقد ذكر الله انشقاق القمر (ظ٨٩)، وبيَّن أن الله فعله، وأخبر به لحكمتين عظيمتين:

إحداهما: كونه من آيات النبوة، لما سأله المشركون آية، فأراهم انشقاق القمر.

والثانية[2]: أنه دلالة علىٰ جواز انشقاق الفلك، وأن ذلك دليل علىٰ ما أخبرت به الأنبياء من انشقاق السماوات، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ۝٣ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ۝٤ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ الداعي[3] إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ۝٦ خاشعًا[4] أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ﴾ [القمر: ١-٧].

---

(١) في (ب، ل): وآياته..

(٢) في (ب، ل): والثاني.

(٣) كتبها بالياء، أثبتها وصلا أبو جعفر، وأبو عمرو، وورش، وأثبتها في الحالين يعقوب، والبزي (النشر ٢/ ٣٨٠).

(٤) كذا في الأصول، وهي قراءة البصريين وحمزة والكسائي وخلف، وكتب فوقها في (ظ): «خشعا». وهي قراءة الباقين (النشر ٢/ ٣٨٠).

فذكر اقتراب الساعة وانشقاق القمر، وجعل الآية في انشقاق القمر دون الشمس وسائر الكواكب[1]؛ لأنه أقرب إلىٰ الأرض من الشمس والنجوم، وكان الانشقاق فيه دون سائر أجزاء الفلك؛ إذ هو الجسم المستنير[2] الذي يظهر فيه[3] الانشقاق لكل من يراه ظهورا لا يتمارىٰ فيه، وأنه - نفسه - إذا قبل الانشاق فقبول محله أولىٰ بذلك، وقد عاينه الناس وشاهدوه[4].

وكان النبي ﷺ يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار مثل: صلاة الجمعة، والعيدين ليسمع الناس ما فيها من آيات النبوة، ودلائلها، والاعتبار بما فيها، فكل الناس تقر بذلك ولا تنكره، فعلم أن انشقاق القمر كان معلومًا عند الناس عامة.

وفي صحيح مسلم «أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي: ما كان يقرأ به رسول الله ﷺ في الأضحىٰ والفطر؟ فقال: كان يقرأ فيهما بـ ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق: ١]، و ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]»[5].

ومعلوم بالضرورة -في مطرد العادة- أنه لو لم يكن انشق لأسرع المؤمنون به إلىٰ تكذيب ذلك، فضلاً عن أعدائه الكفار والمنافقين، ومعلوم أنه كان من أحرص الناس علىٰ تصديق الخلق له، واتباعهم إياه، فلو لم يكن انشق لما كان يخبر به ويقرؤه علىٰ جميع الناس، ويستدل به، ويجعله آية له.

---

(١) في (ب): وجعل الأمر بين انشقاق القمر والشمس وسائر الكواكب.. وهو تصحيف.
(٢) في (ب، ل): المستدير.
(٣) في (ب): منه.
(٤) انظر تفسير الطبري ٢٢/ ٥٦٥.
(٥) صحيح مسلم (٨٩١).

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: «إن أهل مكة سألوا نبي الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين»[1].

وعنه قال: «إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فانشق القمر فرقتين»[2].

زاد الترمذي فنزلت: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]. إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢]، يقول: ذاهب[3].

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال: «انشق القمر علىٰ عهد رسول الله ﷺ شقتين، فقال رسول الله ﷺ: اشهدوا»[4].

وعن ابن مسعود أيضًا قال: «رأيت القمر منشقًا شقتين بمكة قبل مخرج النبي ﷺ، شقة علىٰ جبل[5] أبي قبيس، وشقة علىٰ السويداء، فقال كفار قريش - أهل مكة -: هذا سحر سحركم به[6] ابن أبي كبشة، انظروا السُّفَّار فإن كانوا

---

(١) صحيح البخاري (٣٦٣٧)، صحيح مسلم (٢٨٠٢).
وقوله مرتين: يريد قطعتين، أو شقين، كما في الحديث الآتي عن ابن مسعود، لا أنه أراد تكرر الانشقاق مرتين في وقتين، ومما يدل علىٰ ذلك رواية من روىٰ هذا الحديث عن قتادة عن أنس بلفظ: فرقتين، قال الحافظ: «وقد خفي علىٰ بعض الناس فادعىٰ أن انشقاق القمر وقع مرتين، وهذا مما يعلم أهل الحديث والسير أنه غلط، فإنه لم يقع إلا مرة واحدة، وقد قال العماد ابن كثير: في الرواية التي فيها مرتين نظر، ولعل قائلها أراد فرقتين، قلت: وهذا الذي لايتجه غيره جمعا بين الروايات» (فتح الباري ٧/ ١٨٣).
(٢) رواه البخاري (٣٦٣٧)، ومسلم (٢٨٠٢).
(٣) سنن الترمذي (٣٢٨٦)، بإسناد علىٰ شرط الشيخين.
(٤) صحيح البخاري (٣٨٦٩)، صحيح مسلم (٢٨٠٠).
(٥) ليست في ب.
(٦) في الأصل (ظ): محمد ابن أبي كبشة وفوق محمد علامة التمريض.

رأوا ما رأيتم فقد صدق، وإن لم يكونوا رأوا ما رأيتم فهو سحر.

قال: فسئل السُّفَّار، وقدموا من كل وجه، فقالوا: رأينا» رواه البخاري ومسلم(١).

وروىٰ البخاري عن ابن عباس أنه قال: «انشق القمر علىٰ زمان رسول الله ﷺ»(٢).

وروىٰ مسلم «عن ابن عمر في قوله تعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] قال: قد كان ذلك علىٰ عهد رسول الله ﷺ انشق القمر فلقتين، فلقة من دون الجبل، وفلقة من خلف الجبل، فقال رسول الله ﷺ: اللهم اشهد»(٣).

وعن جُبير بن مطعم قال: «انشق القمر ونحن بمكة حتىٰ صار فرقتين علىٰ هذا الجبل، وعلىٰ هذا الجبل، فقال الناس: سحرنا محمد، فقال رجل: إن كان سحركم فلم يسحر الناس كلهم» (ظ ٩٠) رواه الترمذي(٤).

وكذلك صعوده ليلة المعراج إلىٰ ما فوق السماوات، وهذا مما تواترت به الأحاديث، وأخبر به القرآن، أخبر بمسراه ليلا من المسجد الحرام إلىٰ المسجد

---

(١) يريد المصنف أن الشيخين رويا أصله، بلفظ: انشق القمر علىٰ عهد رسول الله ﷺ فلقتين، فستر الجبل فلقة، وكانت فلقة فوق الجبل، الحديث، واللفظ الذي ذكره المصنف نحوه في الدلائل للبيهقي ٢/ ٢٦٧.

(٢) صحيح البخاري (٣٨٧٠). ورواه مسلم كذلك (٢٨٠٣).

(٣) صحيح مسلم (٢٨٠١)، ولم يسق مسلم لفظه، بل أحال علىٰ حديث ابن مسعود، واللفظ الذي ساقه المصنف هو للبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٦٧) وعنه صدر المؤلف.

(٤) سنن الترمذي (٣٢٨٩)، وإسناده جيد، وفيه اختلاف لا يضر أشار إليه الترمذي (انظر: دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٢٦٨).

الأقصىٰ، وهو البيت المقدس، وفي موضع آخر بصعوده إلىٰ السماوات، فقال تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

فأخبر هنا بمسراه ليلاً بين المسجدين، وأخبر أنه فعل ذلك ليريه من آياته، ومعلوم أن الأرض قد رأىٰ سائر الناس ما فيها من الآيات، فعلم أن ذلك ليريه آيات لم يرها عموم الناس، كما قال في السورة الأخرىٰ: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٢-١٨].

وفي الصحيحين «عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، قال: هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ ليلة أسري به»(١).

فكان في إخباره بالمسرىٰ - ليريه من آياتنا(٢) - بيان أنه رأىٰ من آياته ما لم يره الناس، وقد بين ذلك في السورة الأخرىٰ فإنه رأىٰ جبريل عند سدرة المنتهىٰ، عندها جنة المأوىٰ، إذ يغشىٰ السدرة ما يغشىٰ، وأنه رأىٰ بالبصر آيات ربه الكبرىٰ.

وذكر في تلك السورة المسرىٰ؛ لأنه أمكنه أن يقيم عليه برهانا؛ فإنه لما أخبرهم به فكذبه من كذبه، وتعجبوا من ذلك، سألوه عن نعته وصفته، فنعته

---

(١) صحيح البخاري (٣٨٨٨).
(٢) في (ب): آياته.

لهم لم يخرم من النعت شيئا[١]، وأخبر خبر عيرهم التي كانت في الطريق[٢]، فظهر لهم صدقه، وكان صدقهم في هذا آية علىٰ صدقه فيما غاب عنهم، وكان قطع المسافة البعيدة في الزمان اليسير لأجل ما أراه من الآيات التي تختص برؤيتها الأنبياء.

وبهذا تميز عمن يقطع المسافة كرامة لولي أو بتسخير الجن، كما في قصة بلقيس حيث: ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ۝٣٩ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ [النمل: ٣٩-٤٠] فإن قطع الجسم للمسافة البعيدة إنما كان لما أوتيه سليمان من الملك، كما كانت الريح: ﴿تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ۝٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ۝٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ﴾ [ص: ٣٦-٣٨] وهذا تسخير ملكي.

---

(١) سيذكر المصنف الروايات الدالة علىٰ ذلك.

(٢) رواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٥٥)، من حديث شداد بن أوس بلفظ: قال: قلنا يا رسول الله كيف أسري بك، فذكر الحديث إلىٰ أن قال ﷺ: «ثم انصرف بي فمررنا بعير لقريش بمكان كذا وكذا قد أضلوا بعيرا لهم فجمعه فلان، فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم أتيت أصحابي قبل الصبح بمكة فأتاني أبو بكر رضي الله عنه، فقال يا رسول الله أين كنت الليلة فقد التمستك في مكانك، فقال: علمت أني أتيت بيت المقدس الليلة، فقال: يا رسول الله إنه مسيرة شهر فصفه لي، قال: ففتح لي صراط كأني أنظر فيه، لا يسلني عن شيء إلا أنبأته عنه، قال أبو بكر: أشهد أنك رسول الله، فقال المشركون: انظروا إلىٰ ابن أبي كبشة يزعم أنه أتىٰ بيت المقدس الليلة، قال: فقال: إن من آية ما أقول لكم أني مررت بعير لكم بمكان كذا وكذا، قد أضلوا بعيرا لهم فجمعه فلان، وإن مسيرهم ينزلون بكذا ثم بكذا، ويأتونكم يوم كذا وكذا، يقدمهم جمل آدم عليه مسح أسود وغرارتان سوداوان، فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينتظرون حتىٰ كان قريب من نصف النهار حتىٰ أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه رسول الله ﷺ».
قال البيهقي: هذا إسناد صحيح وروي ذلك مفرقا في أحاديث غيره.

وقطع محمد ﷺ كان لما أراه الله من الآيات التي ميزه بها على سائر النبيين[1]، وكان ذلك فتنة: أي محنة وابتلاء للناس، ليتبين من يؤمن به ممن يكذبه.

وأحاديث المعراج وصعوده إلى ما فوق السماوات، وفرض الرب عليه الصلوات الخمس حينئذ، ورؤيته لما رآه من الآيات، والجنة والنار، والملائكة والأنبياء في السماوات، والبيت المعمور، وسدرة المنتهى، وغير ذلك، معروف متواتر في الأحاديث.

وهذا النوع -لم يكن لغيره من الأنبياء مثله- يظهر به تحقيق قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، فالدرجات التي رفعها محمد ليلة المعراج - وسيرفعها في الآخرة كالمقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون - ليس لغيره مثلها.

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة[2] وأبي ذر[3]، ومن رواية ابن عباس، وأبي حبة (ظ٩١) الأنصاري[4]، وغيرهم.

---

(١) في (ب): الأنبياء.

(٢) صحيح البخاري (٣٢٠٧)، وصحيح مسلم (١٦٤) من حديث قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة.

(٣) صحيح البخاري (٣٤٩)، وصحيح مسلم (١٦٣) من حديث الزهري عن أنس عن أبي ذر. هامش الأصل ظ: حاشية من رواية..

(٤) حديث ابن عباس وأبي حبة عقب به الزهري روايته لحديث أنس، فقال بعده: وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة..الحديث. في (ب): وابا جنة. وهو تصحيف.

فروىٰ أنس: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أُتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهىٰ بصره، قال: فركبته حتىٰ أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد، فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت، فجاءني جبريل بإناء من خمر، وإناء من لبن فاخترت اللبن، فقال جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلىٰ السماء فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. قال: ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير.

ثم عرج بنا إلىٰ السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وبعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. قال: ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة عيسىٰ[1]، ويحيىٰ بن زكريا عليهما السلام، فرحبا بي، ودعوا لي بخير.

ثم عرج بنا إلىٰ السماء الثالثة، فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف عليه السلام، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن قال: فرحب بي ودعا لي بخير.

ثم عرج بنا إلىٰ السماء الرابعة فاستفتح جبريل قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس ﷺ فرحب ودعا لي بخير، قال الله ﷻ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧].

---

(١) في (ب): عيسىٰ بن مريم.

ثم عرج بنا إلىٰ السماء الخامسة فاستفتح جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقيل من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بهارون عَلَيْهِ السَّلَامُ، فرحب[1] ودعا لي بخير.

ثم عرج بنا إلىٰ السماء السادسة، فاستفتح جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فرحب ودعا لي بخير.

ثم عرج بنا إلىٰ السماء السابعة، فاستفتح جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم ﷺ، مسندًا ظهره إلىٰ البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه.

ثم ذهب بي إلىٰ سدرة المنتهىٰ، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي[2] تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحىٰ الله إليَّ ما أوحىٰ، ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلىٰ موسىٰ، فقال: ما فرض ربك علىٰ أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلىٰ ربك فسله التخفيف؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلىٰ ربي فقلت: يا رب، خفف عن أمتي، فحط عني خمسًا، فرجعت إلىٰ موسىٰ، فقلت: حُطَّ عني خمسٌ، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف، قال: فلم أزل أرجع بين ربي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وبين موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حتىٰ قال: يا محمد، إنهن خمس

---

(١) في (ب): «فرحب بي».

(٢) في (ب): «غشيها».

صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة، ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرا، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها (ظ٩٢) لم تكتب شيئا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة.

قال: فنزلت حتىٰ انتهيت إلىٰ موسىٰ عليه السلام، فأخبرته، فقال: ارجع إلىٰ ربك فسله التخفيف، فقال رسول الله ﷺ: فقلت: قد رجعت إلىٰ ربي حتىٰ استحييت منه»(١).

وفي رواية قال: «فأُتيت فانطُلق بي إلىٰ زمزم فشرح عن صدري، ثم غسل بماء زمزم، ثم أنزلت طست من ذهب مملية(٢) حُكمًا(٣) وإيمانا، فحشي بها صدري»(٤).

وفي رواية: «فشق من النحر إلىٰ مراق البطن»(٥).

وقال عن البيت المعمور: «فقلت: ما هذا؟ قال: هذا بناء بناه الله(٦) يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك يقدسون الله ويسبحونه، لا يعودون فيه(٧)»(٨).

---

(١) رواه مسلم في الصحيح (١٦٢)، ولم يخرج البخاري حديث أنس.
(٢) كذا في الأصول، وكتب فوقها في ظ: كذا.
(٣) في (ب): حكمة.
(٤) رواه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣) من حديث أنس عن أبي ذر.
(٥) رواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) من حديث أنس عن مالك بن صعصعة.
(٦) في (ب،ل): «بناه الله للملائكة».
(٧) في (ل): إليه.
(٨) ليس هذا اللفظ في الصحيحين ولا في الكتب الستة، وقد نقله صاحب الجمع بين الصحيحين (٢/ ٤٠٦) من مستخرج أبي بكر البرقاني، إتماما لحديث صحيح مسلم.
وقد رواه الطبري في التفسير (٢٢/ ٤٥٧) بإسناد علىٰ شرط مسلم.

وفي حديث أبي ذر: «فنزل جبريل، ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا، فأفرغها في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلىٰ السماء الدنيا، فلما جئنا(١) السماء الدنيا قال جبريل لخازن سماء الدنيا: افتح، قال: من هذا؟ قال: جبريل، قال: هل معك أحد؟ قال: نعم، معي محمد(٢).

فلما علونا السماء فإذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة، قال: فإذا نظر قِبل يمينه ضحك، وإذا نظر قِبل شماله بكىٰ، قال: مرحبًا بالابن الصالح، والنبي الصالح، قال: قلت: يا جبريل، من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه، فأهل اليمين أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار»(٣).

قال الزهري: وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس، وأبا حبة الأنصاري يقولان: قال رسول الله ﷺ: «ثم عرج بي حتىٰ ظهرت بمستوىٰ أسمع فيه(٤) صريف الأقلام»(٥).

---

(١) في (ب): جئنا إلىٰ.
(٢) اختصر المصنف هنا سؤال: «هل أرسل له» اكتفاء بالرواية المطولة التي ساقها أولا.
(٣) رواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٣).
(٤) في (ب): منه.
(٥) رواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٣).
قال ابن رجب: «صريف الأقلام: صوت ما تكتبة الملائكة بأقلامها من أقضية الله تعالىٰ ووحيه، أو ما ينسخونه من اللوح المحفوظ، أو ما شاء الله من ذلك، ويقال: أن صريف القلم: هو تصويته في رجوعه إلىٰ ورائه، مثل كتابته لحرف (ك)، وصريره: هو تصويته في مجيئه إلىٰ بين يديه، مثل كتابته لحرف (ن) وما أشبه ذلك». (فتح الباري لابن رجب ١/ ٤٦٢).

وفي صحيح مسلم، عن عبد الله بن مسعود قال: «لما أسري برسول الله ﷺ انتُهي به إلىٰ سدرة المنتهىٰ، وهي في السماء السادسة[1]، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها، فيقبض منها.

قال: ﴿إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ﴾ [النجم: ١٦] قال: فراش من ذهب، قال: فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثا: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله شيئا من أمته المقحمات»[2].

---

(١) كذا في الأصل ظ، وفي (ب، ل، ط النيل): السابعة.
والذي في (ظ) يوافق ما في مسند أحمد في موضعين (٣٦٦٥) (٤٠١١)، وصحيح مسلم.
وهو الصحيح في هذا الموضع.
وقد ذكر الحديث كما في الصحيح النووي وابن رجب وابن حجر (انظر: فتح الباري لابن رجب٢/ ٣٢١، فتح الباري لابن حجر ٧/ ٢١٣)، لكن ورد في حديث أنس ما يفيد أن سدرة المنتهىٰ في السابعة، كما في بقية النسخ.
قال الحافظ ابن حجر: «وقال القرطبي في المفهم: ظاهر حديث أنس أنها في السابعة لقوله بعد ذكر السماء السابعة: ثم ذهب بي إلىٰ السدرة، وفي حديث ابن مسعود أنها في السادسة، وهذا تعارض لا شك فيه، وحديث أنس هو قول الأكثر، وهو الذي يقتضيه وصفها بأنها التي ينتهي إليها علم كل نبي مرسل، وكل ملك مقرب، علىٰ ما قال كعب.
قال: وما خلفها غيب لايعلمه إلا الله، أو من أعلمه.
وبهذا جزم إسماعيل بن أحمد، وقال غيره: إليها منتهىٰ أرواح الشهداء، قال: ويترجح حديث أنس بأنه مرفوع وحديث بن مسعود موقوف، كذا قال، ولم يعرج علىٰ الجمع، بل جزم بالتعارض، قلت: ولا يعارض قوله إنها في السادسة مادلت عليه بقية الأخبار أنه وصل إليها بعد أن دخل السماء السابعة، لأنه يحمل علىٰ أن أصلها في السماء السادسة، وأغصانها وفروعها في السابعة، وليس في السادسة منها إلا أصل ساقها» (فتح الباري ٧/ ٢١٣).
(٢) صحيح مسلم (١٧٣).

وعنه «في قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩]. قال: إن النبي ﷺ رأىٰ جبريل في صورته له ستمائة جناح[١].

وفي الصحيحين عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «لما كذبتني قريش قمت في الحجر، فجلىٰ الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه»[٢].

وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر، وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط، قال: فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به»[٣].

قلت[٤]: وصعود الآدمي ببدنه إلىٰ السماء قد ثبت في أمر المسيح عيسىٰ بن مريم، فإنه صعد إلىٰ السماء، وسوف ينزل إلىٰ الأرض، وهذا مما يوافق النصارىٰ عليه المسلمين[٥]، فإنهم يقولون: إن المسيح صعد إلىٰ السماء ببدنه وروحه كما يقوله المسلمون، ويقولون: إنه سوف ينزل إلىٰ الأرض أيضا كما يقوله المسلمون، وكما أخبر به النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة، لكن كثيرٌ من النصارىٰ يقولون: إنه صعد بعد أن صلب، وأنه قام من القبر، وكثير من اليهود يقولون: إنه صلب ولم يصعد[٦]، ولم يقم من قبره.

---

(١) رواه البخاري (٣٢٣٣)، ومسلم (١٧٤).
(٢) صحيح البخاري (٣٨٨٦)، صحيح مسلم (١٧٠).
(٣) صحيح مسلم (١٧٢).
(٤) ليست في (ب،ل).
(٥) في (ب، ل): للمسلمين.
(٦) «ولم يصعد» ليست في (ب).

وأما المسلمون وكثير من النصارىٰ فيقولون: إنه لم يصلب ولكن صعد (ظ٩٣) إلىٰ السماء بلا صلب.

والمسلمون -ومن وافقهم من النصارىٰ- يقولون: إنه ينزل إلىٰ الأرض قبل القيامة، وأن نزوله من أشراط الساعة كما دل علىٰ ذلك الكتاب والسنة.

وكثير من النصارىٰ يقولون: إن نزوله هو يوم القيامة، وإنه هو الله الذي يحاسب الخلق.

وكذلك إدريس صعد إلىٰ السماء ببدنه، وكذلك عند أهل الكتاب أن إلياس صعد إلىٰ السماء ببدنه(١).

ومن أنكر صعود بدن إلىٰ السماء من المتفلسفة فعمدته شيئان:

أحدهما: أنَّ الجسم الثقيل لا يصعد.

وهذا في غاية الضعف، فإن صعود الأجسام الثقيلة إلىٰ الهواء مما تواترت به الأخبار في أمور متعددة، مثل عرش بلقيس الذي حُمل من اليمن إلىٰ الشام في لحظة، لما قال سليمان: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٣٨ - ٤١].

---

(١) ليست في (ب). وكتبها لحقا في (ل).

ومثل حمل الريح لسليمان عليه السلام وعسكره لما كان يحمل البساط في الهواء، وهو جالس عليه وأصحابه.

ومثل حمل قرىٰ قوم لوط، ثم إلقائها في الهواء.

ومثل المسرىٰ إلىٰ بيت المقدس الذي ظهر صدق مُخْبره.

ورجال كثير في زماننا وغير زماننا يحملون من مكان إلىٰ مكان في الهواء، وهذا مما تواتر عندنا وعند من يعرف ذلك.

وأيضًا: فمعلوم أن النار والهواء الخفيف يحرك[1] حركة قسرية[2] فيهبط، وكذلك التراب[3] والماء الثقيلان يحركان حركة قسرية فتصعد، وهذا مما جرت به العادة.

(والشبهة الثانية[4]: ظن بعض المتفلسفة -كأرسطو وشيعته- أنَّ الأفلاك لا تقبل الانشقاق، وحجتهم علىٰ ذلك في غاية الضعف.

فإنهم قالوا: لو كانت تقبل الانشقاق لكان المحدد للأفلاك المحرك لها يتحرك حركة مستقيمة، والحركة المستقيمة تحتاج إلىٰ خلاء خارج العالم، ولا خلاء هنالك[5].

---

(١) في (ب): يتحرك. وفي (د): تحركه..

(٢) في (ل) في الموضعين: قوية.

(٣) في (ب، ل): والتراب.

(٤) في ب: والشبهة في ذلك.

(٥) في (ب، ل، د): هناك.

وهذه الحجة فاسدة من وجوه:

منها: أنها إنما تدل علىٰ ذلك في الفلك الأعلىٰ لا فيما دونه، كفلك القمر، وهذا مما[1] أجابهم به الرازي وغيره.

ومنها: أن وجود أجسام[2] خارج الفلك كوجود الفلك في حيزه، فقول القائل: إن ذلك يحتاج إلىٰ خلاء كقوله: (إن وجود الفلك في حيزه يحتاج إلىٰ خلاء، وقوله)[3] بنفي الخلاء خارجه كقوله بنفي الخلاء عن حيزه، فإن كان الخلاء عدمًا محضًا فهو منتفٍ في الجانبين، وإن قيل إنه أمر وجودي لزم أن يحتاج إليه في الموضعين، وحينئذ فيبطل القول بنفيه[4])[5].

وبهذا يظهر جوابهم عن إنكارهم انشقاق القمر، فإن عمدتهم فيه أن الفلك لا يقبل الانشقاق، وقد عرف فساد ذلك عقلاً وسمعًا، وتواتر عن الأنبياء أنهم أخبروا بانشقاق السماوات.

وإيضاح الرد علىٰ هؤلاء: أن ما يثبتونه من أنَّ الحركة لا بد لها من جهة ومحدد يحدد الجهات؛ إنما يدل علىٰ الافتقار إلىٰ جنس المحدد، لا يدل علىٰ الاحتياج إلىٰ محدد معين[6].

---

(١) في (ل): إنما.

(٢) في (د): الأجسام.

(٣) سقط ما بين القوسين في ب، وجاءت العبارة في (ل): ومنها أن وجود أجسام خارج الفلك كوجود الفلك في حيزه يحتاج إلىٰ خلاء وقوله بنفي الخلاء.. وما ثبت من الأصل ظ هو المستقيم.

(٤) في (ل): بنفسه.

(٥) ما بين القوسين وهو الشبهة الثانية والجواب عنها هنا موضعه في الأصول كلها، وكذا في ط النيل. ولم يذكره في المطبوعة هنا، وتأخر عنده كما سأنبه.

(٦) من هنا إلىٰ آخر هذا النوع سقط من الأصل (ل)، وكتب: يتلوه في وريقة.. وقد سقطت الوريقة فلم أرها في التصوير، والله المستعان.

فإذا قدر أنه خلق وراء المحدد محددًا آخر، وخرق الأول حصل به المقصود، وهكذا عامة أدلتهم، إنما تدل علىٰ شيء مطلق، لكن يعينونه بلا حجة فيغلطون في التعيين، كدليلهم علىٰ دوام الفاعلية[1] أو الحركة، أو زمانها[2]، فإن ذلك لا يدل علىٰ الحركة الفلكية، وأن الزمان هو مقدار الحركة، بل إذا كان الله قد خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام كما أخبرت به الرسل، لم تكن تلك الأيام التي خلق الله فيها السماوات والأرض هي مقدار حركة الشمس التي هي مما خلق في تلك الأيام.

بل وقد أخبر الله تعالىٰ أنه كان عرشه علىٰ الماء قبل أن يخلق السماوات والأرض، وأخبر أنه خلق السماوات من دخان، وهو بخار الماء؛ فإذا كان قبل هذه الحركات المشهودة حركات أخر لأجسام غير هذه الأجسام المشهودة، لم يكن هذا مناقضًا لما دل عليه العقل[3].

وكذلك ما يذكرونه في قدم العالم، فليس مع القوم دليل واحد عقلي صحيح يناقض ما أخبرت به الرسل، ولكن قد يناقض ما يظنه بعض أهل الكلام من دين الرسل كما قد بسط في غير هذا الموضع.

---

(١) الفاعلية: امتناع أنه يصير فاعلا بعد أن لم يكن فيجب أنه ما زال فاعلا (مجموع الفتاوىٰ ٦/ ٣٣٣، ٣٣٤).

(٢) في ب: زمنها.

(٣) هنا في المطبوعة أعاد ما سبق من قول المصنف: ورجال كثيرون..الخ ما ذكر من الشبهة الثانية وجوابها كما سبق ونبهت. وقد أفسد بذلك نظم الكلام واستقامته، مع مخالفته الأصول القديمة.

النوع الثاني[1]: آيات الجو.

كاستسقائه ﷺ، واستصحائه، وطاعة السحاب في[2] حصوله وذهابه بدعائه ﷺ، ونزول المطر بدعائه[3].

ففي الصحيحين «عن أنس بن مالك أن رجلا دخل المسجد في يوم جمعة من باب كان نحو دار القضاء، ورسول الله ﷺ قائمٌ يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائمًا، ثم قال: يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه[4]، ثم قال: اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا.

قال أنس: ولا والله ما نرىٰ[5] في السماء من سحاب، ولا من قزعة، وأن السماء لمثل الزجاجة، وما بيننا وبين سلع من دار، فوالذي نفسي بيده ما وضع يديه حتىٰ ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتىٰ رأيت المطر يتحادر عن لحيته»[6].

وفي رواية أخرىٰ: «فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت[7].

قال: فلا والله ما رأينا الشمس سبتًا، قال: ثم دخل رجل من ذلك الباب في

---

(١) في (ل): الثالث. وهو سبق قلم.
(٢) في(ب): من.
(٣) في (ل): وطاعة السحاب له ونزول المطر بدعائه.
(٤) ليست في (ب).
(٥) في (ب): يرىٰ.
(٦) صحيح البخاري (١٠١٣)، صحيح مسلم (٨٩٧).
(٧) يظهر أنه حك الألف في (ب٩، وكتب في الهامش:«كل مطر يكون بألف هو نوع من العذاب، وبضده يكون للرحمة».

الجمعة المقبلة، ورسول الله ﷺ قائمًا يخطب، فاستقبله قائمًا فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم علىٰ الآكام، والضراب، وبطون الأودية، ومنابت الشجر، قال: فما يشير بيده[1] إلىٰ ناحية إلا انفرجت[2] حتىٰ رأيت المدينة في مثل الجوبة، وسال الوادي قناة[3] شهرًا، ولم يجئ أحد من ناحية إلا أخبر بجود»[4].

ومن هذا الباب:

نصر الله تعالىٰ له بالريح التي قال الله فيها: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٩].

قال مجاهد: يعني ريح الصبا، أرسلت علىٰ الأحزاب يوم الخندق حتىٰ كفأت قدورهم علىٰ أفواهها، ونزعت فساطيطهم[5] (حتىٰ أظعنتهم)[6]، وجنودا لم تروها: يعني الملائكة[7].

---

(١) في (ب، ل): يديه.

(٢) في (ب،ل): تفرجت.

(٣) قناة اسم الوادي، وأضاف الوادي إلىٰ نفسه.

(٤) صحيح البخاري (٩٣٣)، صحيح مسلم (٨٩٧).

والجوبة: أي الفجوة، والمعنىٰ: تقطع السحاب عن المدينة وصار مستديرا حولها، وهي خالية منه.

ووادي قناة: وادي في المدينة (شرح صحيح مسلم للنووي ٦/ ١٩٤).

(٥) في هامش (ب): جمع فسطاط، وهو عمود الخيمة.

(٦) ما بين القوسين سقط من (ل)، وهو ثابت في الأصول وفي تفسير ابن جرير.

(٧) رواه ابن جرير الطبري في التفسير ٢٠/ ٢١٦.

وفي صحيح مسلم، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «نصرت بالصَّبا، وأهلكت عاد بالدبور»(١).

وفي المغازي والسير قصة الأحزاب، وكيف أرسلت عليهم الريح والملائكة، وانهزموا بغير قتال معروف(٢).

النوع الثالث: تصرفه في الحيوان الإنس والجن والبهائم.

فرُوي عن عبد الله بن جعفر قال: «أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم فأسرَّ إليَّ حديثًا لا أحدث به أحدًا من الناس، قال: وكان أحب ما استتر به هدف أو حائش نخل، فدخل حائط رجل من الأنصار، فإذا جمل فلما رأىٰ النبي ﷺ حنَّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح رأسه(٣) وذفراه(٤) فسكن، ثم قال: لمن هذا الجمل؟ فجاء فتىٰ من الأنصار فقال: هو لي يا رسول الله، فقال له

---

(١) رواه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠)، قال ابن حجر: «قوله بالصبا بفتح المهملة بعدها موحدة مقصورة يقال لها القبول بفتح القاف لأنها تقابل باب الكعبة إذ مهبها من مشرق الشمس وضدها الدبور وهي التي أهلكت بها قوم عاد ومن لطيف المناسبة كون القبول نصرت أهل القبول وكون الدبور أهلكت أهل الإدبار وأن الدبور أشد من الصبا» (فتح الباري ٢/ ٥٢١).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٤، ولشيخ الإسلام تفسير لسورة الأحزاب وتنزيل لمعانيها علىٰ ما مر بالقطر الشامي من اجتماع الأعداء وتحزبهم، وذلك في (مجموع الفتاوىٰ ٢٨/ ٤٤٠).

(٣) كتب فوقها في الأصل ظ: خ: سراته.
وسراة البعير ظهره وأعلاه، وهذا الذي ذكره هو رواية في الحديث، ذكرها ابن الأثير في النهاية ٢/ ٣٦٤.

(٤) حاشية في هامش (ظ، د):
[الذفران أصول الأذنين، وإنما سميتا بذلك لذفر العرق، والذفر شدة الرائحة من الشيء الطيب أو الشيء الخبيث الريح، فأما الدفر -بالدال المهملة وتسكين الفاء- فإنه البين، ومنه قيل للدنيا: أم دفر]. انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ١٦٠-١٦١، ١٢٤.

النبي ﷺ: ألا (ظ٩٥) تتقي الله في هذه البهيمة التي ملّكك الله إياها؟ فإنه شكا إليّ أنك تجيعه وتدئبه».

روىٰ مسلم بعضه وبقيته علىٰ شرطه، رواه أبو داود وغيره(١).

وروىٰ أحمد والدارمي وغيرهما، عن جابر قال: «أقبلنا مع رسول الله ﷺ في سفر، حتىٰ إذا دُفعنا إلىٰ حائط من حيطان بني النجار إذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحد إلا شدَّ عَليه(٢)، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فجاء حتىٰ أتىٰ الحائط فدعا البعير، فجاء واضعًا مشْفَرَه إلىٰ الأرض، حتىٰ برك بين يديه، قال: فقال النبي ﷺ: هاتوا خطامًا، فخطمه ودفعه إلىٰ صاحبه.

قال: ثم التفت إلىٰ الناس فقال: إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله، إلا عاصي الجن والإنس(٣)»(٤).

وروىٰ الطبراني، عن جابر قال: «خرجنا في غزوة ذات الرقاع(٥) حتىٰ إذا

---

(١) رواه أحمد (١٧٤٥)، وأبو داود (٢٥٤٩)، واقتصر مسلم (٣٤٢) منه علىٰ هدف أو حائش نخل.

(٢) أي: حمل عليه، كأنه وحشي (انظر: النهاية ٢/ ٤٥١).

(٣) في (ب): عاصي الإنس والجن.

(٤) رواه أحمد (١٤٣٣٣)، والدارمي (١٨)، وإسناده جيد.

(٥) غزوة ذات الرقاع بعد خيبر كما قال البخاري في الصحيح (باب: غزوة ذات الرقاع ٥/ ١١٣)، ثم روىٰ عن أبي موسىٰ الأشعري (٤١٢٨) عن أبي موسىٰ ﷺ، قال: «خرجنا مع النبي ﷺ في غزوة ونحن ستة نفر، بيننا بعير نعتقبه، فنقبت أقدامنا، ونقبت قدماي، وسقطت أظفاري، وكنا نلف علىٰ أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع، لما كنا نعصب من الخرق علىٰ أرجلنا».

وأما أصحاب المغازي فقد جزموا أنها قبل خيبر، لكنهم مختلفون بتاريخها، قال الحافظ: «فعند ابن إسحاق أنها بعد بني النضير وقبل الخندق سنة أربع...، وعند ابن سعد وابن حبان أنها كانت في المحرم سنة خمس، وأما أبو معشر فجزم بأنها كانت بعد بني قريظة =

كنا بحرة واقم[1]، عرضت امرأة بدوية بابن لها فجاءت[2] إلىٰ رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، هذا ابني قد غلبني عليه الشيطان، فقال: أدنيه مني، فأدنته منه، فقال: افتحي فمه، ففتحته، فبصق فيه رسول الله ﷺ ثم قال: اخسأ عدو الله، وأنا رسول الله، قالها[3] ثلاث مرات، ثم قال: شأنك بابنك، ليس عليه بأس فلن يعود إليه شيء مما كان يصيبه.

(ثم خرجنا فنزلنا منزلا، صحراء ديمومة ليس فيها شجرة، فقال النبي ﷺ لجابر: «يا جابر، انطلق فانظر لي مكانا - يعني للوضوء - فخرجت أنطلق، فلم أجد إلا شجرتين مفترقتين، لو أنهما اجتمعتا سترتاه، فرجعت إلىٰ النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله، ما رأيت شيئا يسترك إلا شجرتين متفرقتين ولو أنهما اجتمعتا سترتاك، فقال النبي ﷺ: «انطلق إليهما، فقل لهما: إن رسول الله ﷺ يقول: اجتمعا» قال: فخرجت، فقلت لهما، فاجتمعا حتىٰ كأنهما في أصل واحد، ثم رجعت فأخبرت النبي ﷺ، فخرج رسول الله ﷺ حتىٰ قضىٰ حاجته، ثم رجع، فقال: «ائتهما، فقل لهما: إن رسول الله ﷺ يقول لكما: ارجعا كما كنتما، كل واحدة إلىٰ مكانها»، فرجعت، فقلت لهما: إن رسول الله ﷺ يقول لكما: «ارجعا كما كنتما»، فرجعتا)[4].

= والخندق وهو موافق لصنيع المصنف -أي البخاري- وقد تقدم أن غزوة قريظة كانت في ذي القعدة سنة خمس، فتكون ذات الرقاع في آخر السنة وأول التي تليها وأما موسىٰ بن عقبة فجزم بتقديم وقوع غزوة ذات الرقاع لكن تردد في وقتها» (فتح الباري ٧/ ٤١٧).

(١) وهي الحرة الشرقية من حرتي المدينة النبوية، قال ابن الأثير: «هي بكسر القاف: أطم من آطام المدينة. وإليه تنسب الحرة» (النهاية ٥/ ٢١٦).

(٢) ليست في (ب، ل).

(٣) ليست في (ب، ل).

(٤) ما بين القوسين قصة الشجرتين، اختصرها في (ب، ل) وكتب: وذكر قصة الشجرتين إلىٰ أن قال: فنزلنا في واد.. الخ.

ثم خرجنا فنزلنا في واد من أودية بني محارب، فعرض له رجل من بني محارب يقال له: غورث[1] بن الحارث، والنبي ﷺ متقلد سيفه، فقال: يا محمد، أعطني سيفك هذا، فسله فناوله إياه، فهزه[2] ونظر إليه ساعة، ثم أقبل علىٰ النبي ﷺ، فقال: يا محمد، من يمنعك مني؟[3] فارتعدت يده حتىٰ سقط السيف من يده، فتناوله رسول الله ﷺ ثم قال: يا غورث، من يمنعك مني؟ قال: لا أحد[4].

قال: ثم أقبلنا راجعين، فجاء رجل من أصحاب النبي ﷺ بعشٍّ طير يحمله، وفيه فراخ، وأبواه يتبعانه، ويقعان علىٰ يد الرجل، فأقبل النبي ﷺ علىٰ من كان معه، فقال: أتعجبون بفعل هذين الطيرين بفراخهما؟.

-زاد في رواية: فربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفراخه-.

ثم أقبلنا راجعين، حتىٰ إذا كنا بحرة واقم عرضت لنا المرأة التي جاءت بابنها بوَطْب[5] من لبن وشاة، وأهدته له، فقال: ما فعل ابنك؟ هل أصابه شيء مما كان يصيبه؟ قالت: لا، والذي بعثك بالحق ما أصابه شيء مما كان يصيبه، وقَبِل هديتها.

---

(١) في (ب): «غوريت». في الموضعين، وهو تصحيف كما لا يخفىٰ.

(٢) «إياه، فهزه» ليس في (ب، ل).

(٣) في الطبراني: قال: الله يمنعني منك، فارتعدت يده، وفي الأصل ظ كتب: قال، ثم ضرب عليها.

(٤) في الطبراني: قال: لا أحد، بأبي أنت، فقال النبي ﷺ: «اللهم اكفنا غورثا وقومه» ثم أقبلنا راجعين.

(٥) الوطب: الزق الذي يكون فيه السمن واللبن وهو جلد الجذع فما فوقه، وجمعه. أوطاب ووطاب (النهاية ٥/ ٢٠٣).

ثم أقبلنا[1] حتىٰ إذا كنا بمهبط من الحرة، أقبل جمل يرقل[2]، فقال: أتدرون ما قال هذا الجمل؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا جمل جاءني يستعدي علىٰ سيده(ظ٩٦)، يزعم أنه كان يحرث عليه منذ سنين، حتىٰ إذا أجربه، وأعجفه، وكبر سنه أراد نحره، اذهب معه يا جابر إلىٰ صاحبه فائت به.

فقلت: يا رسول الله[3] ما أعرف صاحبه، قال: إنه سيدلك عليه، قال: فخرج بين يدي مُعْنِقًا[4] حتىٰ وقف بي في مجلسٍ من بني خطمة، فقلت: أين رب هذا الجمل؟ قالوا: فلان بن فلان[5] فجئته، فقلت: أجب رسول الله ﷺ. فخرج معي حتىٰ جاء النبي ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: إن جملك هذا يستعدي عليك، يزعم أنك حرثت عليه زمانا حتىٰ أجربته، وأعجفته، وكبر سنه، ثم أردت أن تنحره.

قال: والذي بعثك بالحق إن ذلك لكذلك[6]، فقال له رسول الله ﷺ: بعنيه، قال: نعم يا رسول الله، فابتاعه منه ثم سيبه في الشجر حتىٰ يصيب سنامًا، فكان إذا اعتل علىٰ بعض المهاجرين والأنصار من نواضحهم شيء أعطاه أياه فمكث بذلك زمانا»[7].

---

(١) في (ب، ل): أقبلنا راجعين.

(٢) الإرقال ضرب من العدو (النهاية ٢/ ٢٥٣).

(٣) أخر النداء في (ب، ل).

(٤) العنق نوع من أنواع السير.

(٥) «بن فلان» ليس في (ب، ل).

(٦) في (ب، ل): كذلك.

(٧) رواه الطبراني في الأوسط (٩١١٢) من طريق: إبراهيم بن المنذر، نا محمد بن طلحة التيمي، ثنا عبد الحكيم بن سفيان بن أبي نمر، عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر، =

وهذا الحديث له شواهد:

أخرج أهل الصحيح منه قصة الشجرتين(١).

وقصة الذي شهر السيف علىٰ رسول الله ﷺ(٢).

وقصة الطير رواها أبو داود(٣).

وقصة الصبي ذكرها غير واحد(٤).

ورویٰ الإمام أحمد في مسنده عن يعلىٰ بن مرة الثقفي قال: «ثلاثة أشياء

= عن جابر بن عبد الله، وفي آخره: قال إبراهيم بن المنذر: قال لي محمد بن طلحة: «كانت غزوة ذات الرقاع تسمىٰ غزوة الأعاجيب». قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن شريك بن عبد الله إلا عبد الحكيم بن سفيان، ولا عن عبد الحكيم إلا محمد بن طلحة، تفرد به إبراهيم بن المنذر».

قلت: وعبدالحكيم لم أجد فيه جرحا ولا تعديلا، قال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط، والبزار باختصار كثير، وفيه عبد الحكيم بن سفيان، ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه أحد، وبقية رجاله ثقات» (مجمع الزوائد ٩/ ٨).

(١) رواه مسلم في أخريات صحيحه في ذكر حديث جابر الطويل (٣٠١٢).

(٢) وهو متفق عليه من حديث جابر كذلك، رواه البخاري (٢٩١٣)، ومسلم (٨٤٣).

(٣) قصة الطير رواها أبو داود في السنن (٢٦٧٥)، ورواها أبو داود الطيالسي في مسنده (٣٣٤)، ومن طريقه -وطريق غيره- رواها البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٣٢)، من حديث: عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود عن أبيه، وفي سماعه منه خلاف.

ووقع عند البيهقي: تعرض بجناحيها، فقال: كذا في كتابي تعرض، وقال غيره: تفرش: يعني تقرب للأرض وترفرف بجناحيها.

(٤) حديث الصبي رواه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢٠) من طرق عن جابر.

وهذه الآيات الثلاث ترجم عليها البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ١٨): باب ذكر المعجزات الثلاث التي شهدهن جابر بن عبد الله الأنصاري وغيره في الشجرتين والصبي والجمل، وما كان في كل واحد منهن من آثار النبوة.

فرویٰ حديث جابر بطوله، ثم أخرج له شواهد، منها ما سيذكره المصنف لاحقًا.

رأيتهنَّ من رسول الله ﷺ، بينا[1] نحن نسير معه إذ مررنا ببعير يُسنَىٰ عليه[2]، فلما رآه البعير جرجر[3] ووضع جِرانه[4] بالأرض، فوقف عليه النبي ﷺ، فقال: أين صاحب هذا البعير؟ فجاء، فقال: بعنيه. فقال: لا، بل أهبه، قال: لا بعنيه، قال: لا بل نهبه لك، وهو لأهل بيت ما لهم معيشة غيره، قال: أما إذ ذكرت هذا من أمره فإنه يشتكي[5] إليَّ كثرة العمل وقلة العلف، فأحسنوا إليه.

-وفي رواية: أنهم أرادوا نحره-[6].

ثم سرنا فنزلنا منزلاً، فقال النبي ﷺ: انطلق إلىٰ هاتين الشجرتين، فقل لهما: إن رسول الله ﷺ يقول لكما: أن تجتمعا، فانطلقتُ، فقلت لهما ذلك، فانتزعت كل واحدة منهما من أصلها، فنزلت كل واحدة إلىٰ صاحبتها فالتفتا جميعا، فقضىٰ رسول الله ﷺ حاجته من ورائهما، ثم لما فرغ عادت كل واحدة منهما مكانها بأمره.

وأتته امرأة بصبي[7] لها به لمم، فقالت: يا رسول الله، إن ابني هذا به لمم منذ سبع سنين، يأخذه في كل يوم مرتين، فتفل النبي ﷺ في فيه، وقال: اخرج

---

(١) في (ب، ل): بينما.

(٢) السانية هي الإبل التي يستقىٰ عليها.

(٣) الجرجرة صوت البعير عند الضجر (النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٥٥).

(٤) الجران باطن العنق، قال ابن الأثير: «ومنه حديث عائشة ﵂ «حتىٰ ضرب الحق بجرانه» أي قر قراره واستقام، كما أن البعير إذا برك واستراح مد عنقه علىٰ الأرض» (النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٦٣).

(٥) في (ب): شكىٰ.

(٦) وهي في مسند أحمد (١٧٥٥٩).

(٧) في (ب): بابن.

عدو الله أنا رسول الله، فبرئ، فلما رجعنا جاءت أم الغلام بكبشين وشيء من أقط، قالت: والذي بعثك بالحق ما رأينا منه ريبا بعدك، فأخذ أحد الكبشين، والأقط، ورد الكبش الآخر»[1].

(وروىٰ نحو هذه القصة أبو يعلىٰ الموصلي عن أسامة بن زيد رضي الله عنه[2])[3].

ورواه الحاكم في صحيحه قال فيه: «سافرت مع رسول الله ﷺ، فرأيت منه عجبًا»، وذكر الحديث، وفيه: «أنَّ رسول الله ﷺ قال: للمرأة لما أخرج الشيطان من ابنها: إذا رجعنا فأعلمينا ما صنع»[4].

ورواه الدارمي أيضًا[5].

وروىٰ أبو داود الطيالسي، عن ابن مسعود[6] قال: «كنا مع رسول الله ﷺ

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٧٥٥٩)(١٧٥٦٥)، بإسنادين، الأول: حبيب بن أبي جبيرة، عن يعلىٰ بن سيابة، وهو يعلىٰ بن مرة لكن نسبه إلىٰ أمه، وحبيب مجهول (تعجيل المنفعة ٤٢١).
والثاني: عطاء بن السائب، عن عبد الله بن حفص، عن يعلىٰ بن مرة الثقفي، وفي عبدالله بن حفص بحث انظره في تهذيب الكمال (١٤/ ٤٢٦)، وإكمال تهذيب الكمال (٧/ ٣٠٩)، وبالجملة فهو مجهول.

(٢) ما بين القوسين محله في (ب) بعد قوله ورواه الدارمي أيضا.
وفي (ل): وروىٰ أبو داود الطيالسي عن ابن مسعود رضي الله عنه، وروىٰ هذه القصة أبو يعلىٰ الموصلي عن أسامة بن زيد رضي الله عنه).
وما ثبت في الأصلين ظ، د أجود لأنه سيذكر حديث ابن مسعود لاحقا.

(٣) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢٤) وفي إسناده: معاوية بن يحيىٰ الصدفي ضعيف.

(٤) وهذا هو حديث يعلىٰ بن أمية، لكن من طريق المنهال بن عمرو عنه، رواه الحاكم (٢/ ٦١٦، ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٢٠)، ورواه الإمام أحمد (١٧٥٦٤).

(٥) رواه من حديث ابن عباس وسيذكره المصنف بعد حديثين.

(٦) محل هذا الحديث في (ل)، بعد حديث ابن عباس. فقد ذكر حديث الدارمي عن ابن عباس الآتي بعد حديث الحاكم، وأخر حديث سفينة.

في سفر فدخل رجل غَيضة، فأخرج منها بيضة حمَّرة، فجاءت الحمرة ترف علىٰ رأس رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال: أيكم فجع هذه؟ فقال رجل من القوم: أنا أخذت بيضتها، فقال: رده، رحمة لها»[1].

وروىٰ الحاكم في صحيحه عن سَفِينة[2] مولىٰ رسول الله ﷺ قال: ركبتُ البحر في سَفينة، فانكسرت (ظ٩٧) السفينة، فركبت لوحًا من ألواحها، فطرحني في[3] أجمة فيها أسد فلم يرعني إلا به.

فقلت: يا أبا الحارث، أنا مولىٰ رسول الله ﷺ، فطأطأ رأسه، وغمز بمنكبه شقي فما زال يغمزني ويهديني الطريق حتىٰ وضعني علىٰ الطريق، فلما وضعني علىٰ الطريق همهم فظننت أنه يودعني[4].

---

(١) رواه الطيالسي (٣٣٤)، وأحمد (٣٨٣٥)، وهو من رواية عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود عن أبيه، وفي سماعه من أبيه خلاف، وفيه كذلك المسعودي: وهو عبدالرحمن بن عبدالله بن عتبة بن عبدالله بن مسعود، وهو مختلط لكن رواه عنه أحمد من طريق أبي قطن وهو سمع منه قبل الاختلاط، ولكن قد رواه بعضهم عن المسعودي فأرسله عن عبدالرحمن، رواه أحمد (٣٨٣٦)، وقد مر ذكر الحديث آنفا.

(٢) هو سفينة مولىٰ رسول الله ﷺ، أعتقته أم سلمة، واشترطت عليه أن يخدم النبي ﷺ (روىٰ ذلك أبو داود في سننه:١٧٠٧)، واختلف في اسمه، علىٰ واحد وعشرين قولا (الإصابة ٣/ ١١١)، أشهرها: قيس (كذا روىٰ عنه الحاكم في المستدرك ٣/ ٦٠٦).
وسبب تسميته سفينة أنه كان مع النبي ﷺ في سفر، فكان بعض القوم إذا أعيا ألقىٰ عليه ثوبه حتىٰ حمل من ذلك شيئا كثيرا، فقال له النبي ﷺ: ما أنت إلا سفينة، وكان يسكن بطن نخلة (رواه أحمد في المسند: ٢١٩٢١).

(٣) في (ب): إلىٰ.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٠٦) وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه، ورواه المستغفري في دلائل النبوة (٤٥٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٤٦)، وفي إسناده أسامة بن زيد فيه ضعف، لكنه توبع عليه، فرواه عبدالرزاق عن معمر عن الحجبي عن ابن المنكدر قال: إن سفينة..فذكره، رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٦)، وصورته مرسلة والله أعلم.

وروىٰ الدارمي عن ابن عباس: «أنَّ امرأة جاءت بابن لها إلىٰ رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إن ابني به جنون، وإنه يأخذه عند غدائنا وعشائنا، فيخبث علينا، فمسح رسول الله ﷺ صدره ودعا، فثعَّ ثعَّة، خرج من جوفه مثل الجرو الأسود فشفي»(١).

وروىٰ الإمام أحمد وأبو يعلىٰ الموصلي، عن عائشة قالت: «كان لآل رسول الله ﷺ وحش، إذا خرج رسول الله ﷺ اشتد ولعب وأقبل وأدبر، فإذا أحس برسول الله ﷺ قد دخل ربض فلم يترمرم كراهية أن يؤذيه» ولفظه للإمام أحمد(٢)، ورواه أبو نعيم(٣).

---

(١) رواه الدارمي (١٩)، وأحمد (٢١٣٣) وفي إسناده فرقد السبخي، ضعيف الحديث.
ثع: أي قاء، والثع: القيء، والثعة: المرة الواحدة، (النهاية ١/ ٢١٢).

(٢) «ولفظه للإمام أحمد» ليس في (ب،ل).

(٣) رواه أحمد (٢٤٨١٨) (٢٥١٦٩)، وأبو يعلىٰ (٤٤٤١) والبيهقي في الدلائل (٦/ ٣١)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١/ ٢٧٧).
من طريق مجاهد عن عائشة، وفي بعض الطرق: عن مجاهد قال: قالت عائشة، وأنكر بعضهم سماع مجاهد من عائشة، ففي العلل لأحمد بن حنبل (١٦٧٣): كان شعبة ينكر أن يكون مجاهد سمع من عائشة، وقال يحيىٰ بن سعيد في حديث موسىٰ الجهني، عن مجاهد: أخرجت إلينا عائشة، أو حدثتني عائشة، قال يحيىٰ بن سعيد: فحدثت به شعبة فأنكر أن يكون مجاهد سمع من عائشة (انظر سؤلات الميموني: ٤٨٥). وانظر: جامع التحصيل ٢٧٣.
قلت: ولا يلتفت إلىٰ هذا الإنكار فإن حديثه عنها في الصحيحين، (انظر مثلا: صحيح البخاري حديث (١٣٩٣)(٦٥١٦)، صحيح مسلم (١٢١١))
قال السندي: قولها: وحش، أي: حيوان وحشي، ولعله كان قبل تحريم المدينة، وكان قد صيد من الحل.
وقوله يترمرم: قال ابن الأثير: أي سكن ولم يتحرك، وأكثر ما يستعمل في النفي (النهاية ٢/ ٢٦٣).

وروىٰ الإمام أحمد عنها أيضًا «أن رسول الله ﷺ كان في نفر من المهاجرين والأنصار، فجاء بعير فسجد له، فقال أصحابه: يا رسول الله، تسجد لك البهائم والشجر، فنحن أحق أن نسجد لك، فقال: اعبدوا ربكم وأكرموا أخاكم[1] ولو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، ولو أمرها أن تنقل من جبل أصفر إلىٰ جبل أسود ومن جبل أسود إلىٰ جبل أبيض كان ينبغي لها أن تفعله».

رواه أحمد عن عفان، وابن ماجه بعضه[2] عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عفان، قال: ثنا حماد بن سلمة -ثنا المعنىٰ-[3]ثنا علي بن زيد، ثنا سعيد، عن عائشة[4].

وقصة هذا الجمل رواها جماعة (من الصحابة[5])[6].

---

(١) «اعبدوا ... أخاكم» ليس في (ب، ل). وهو ثابت في المصدر.

(٢) ليست في (ب).

(٣) في الأصل (ظ، ب) هنا: ثنا المثنىٰ.

وفي (ل، د): أبي.

وهو تصحيف أوجد واسطة بين حماد وشيخه علي، وتصحيحه من المسند -وعنه صدر المصنف- وذلك لأن أحمد رواه في المسند عن شيخين، عبدالصمد وعفان، قالا: حدثنا حماد قال عفان: أخبرنا المعنىٰ، عن علي بن زيد..الحديث، وهذا عادة لهم إذا روىٰ المسند عن شيخين، وساق لفظ أحدهما، ولم يسق لفظ الآخر، فإنه يبين أنه بمعناه، والله أعلم.

(٤) رواه أحمد (٢٤٤٧١)، وابن ماجه (١٨٥٢)، دون قصة الجمل، وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف الحديث.

(٥) ما بين القوسين ليس في (ب، ل).

(٦) ترجم البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢٨): «باب ذكر البعير الذي سجد للنبي ﷺ وأطاع أهله بعد ما امتنع عليهم ببركته ﷺ».

وقد مر ذكر حديث جابر وابن عباس، ومن الأحاديث سواها: =

وروىٰ الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري قال: «عدا الذئب علىٰ شاة فأخذها فطلبه الراعي، فانتزعها منه، فأقعىٰ الذئب علىٰ ذنبه، فقال: ألا تتقي الله تنزع مني رزقًا ساقه الله إلي؟ فقال: يا عجبًا، ذئب مقعٍ علىٰ ذنبه يكلمني كلام الإنس؟ قال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق.

قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتىٰ دخل المدينة، فزواها إلىٰ زاوية من زواياها، ثم أتىٰ رسول الله ﷺ فأخبره، فأمر رسول الله ﷺ فنودي: الصلاة جامعة، ثم خرج فقال للأعرابي: أخبرهم، فأخبرهم، فقال رسول الله ﷺ: صدق والذي نفسي[1] بيده، لا تقوم الساعة حتىٰ يكلم السباع الإنس ويكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده»[2].

= ما روىٰ أحمد (١٢٦١٤) عن أنس بن مالك قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه، وإن الجمل استصعب عليهم، فمنعهم ظهره، وإن الأنصار جاءوا إلىٰ رسول الله ﷺ فقالوا: إنه كان لنا جمل نسنىٰ عليه، وإنه استصعب علينا، ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا» فقاموا، فدخل الحائط والجمل في ناحيته، فمشىٰ النبي ﷺ نحوه، فقالت الأنصار: يا رسول الله، إنه قد صار مثل الكلب الكَلِب، وإنا نخاف عليك صولته، فقال: «ليس علي منه بأس». فلما نظر الجمل إلىٰ رسول الله ﷺ أقبل نحوه، حتىٰ خر ساجدا بين يديه، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط، حتىٰ أدخله في العمل. فقال له أصحابه: يا نبي الله، هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل، فنحن أحق أن نسجد لك..الحديث.

وروىٰ البيهقي في الدلائل (٦/ ٢٩) من طريق فائد أبي الورقاء عن ابن ابي أوفىٰ، وفائد متروك الحديث، ومن طريق حماد بن سلمة عن رجل من قيس عن أبيه.

(١) في (ب، ل): نفس محمد.

(٢) رواه الإمام أحمد (١١٧٩٢)، والحاكم (٤/ ٤٦٧)، والبيهقي في الدلائل ٦/ ٤١، من طريق: القاسم بن الفضل الحداني، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري، قال الحاكم: صحيح علىٰ شرط مسلم.

وفي (ب ل): تكلم..تخبر.

وروىٰ الترمذي آخره، وصححه[1].

وقال البيهقي: إسناده صحيح، وله شاهد من وجه آخر[2].

ورواه أحمد عن أبي هريرة قال: «وكان الراعي يهوديًا فأسلم»، وقال فيه: «أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضىٰ، وما هو كائن بعدكم»[3].

وفي الصحيحين عن أنس قال: «كان بالمدينة فزعٌ فاستعار النبي ﷺ فرسًا لأبي طلحة، وكان يقطِف[4]، فلما رجع قال: إن وجدنا فرسكم هذا بحرًا، وكان بعد ذلك لا يجارىٰ»[5].

وفي الصحيحين عن سلمة بن الأكوع، وسهل بن سعد، «عن النبي ﷺ في غزوة خيبر[6] أنه أرسل إلىٰ علي وهو أرمد العين، فقال: لأعطينَّ الراية رجلاً

---

(١) سنن الترمذي (٢١٨١) وقال: «وفي الباب عن أبي هريرة وهذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل، والقاسم بن الفضل ثقة مأمون عند أهل الحديث وثقه يحيىٰ بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي».

(٢) دلائل النبوة (٦/ ٤٢)، والشاهد له من وجه آخر هو ما رواه البيهقي من طريق شهر بن حوشب عن أبي سعيد الخدري.
وقيل: إن مكلم الذئب هو أهبان بن الأكوع، أو أهبان بن أوس الأسلمي (الإصابة ١/ ٢٨٩).

(٣) رواه أحمد (٨٠٦٣) من طريق عبدالرزاق في مصنفه (٢٠٨٠٨)، وهو من حديث شهر بن حوشب عن أبي هريرة، وشهر ضعيف الحديث. وهذا الحديث والطريق الثانية عن أبي سعيد واحد فيما يظهر، لأن مخرجه هو شهر، والله أعلم.

(٤) قال ابن الأثير: القطاف: تقارب الخطو في سرعة، من القطف: وهو القطع. وقد قطف يقطف قطفا وقطافا. والقطوف: فعول منه (النهاية ٤/ ٨٤).

(٥) صحيح البخاري (٢٦٢٧)، صحيح مسلم (٢٣٠٧).

(٦) ليست في (ب).

يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، يفتح الله علىٰ يديه، فبصق في عينيه فبرأ كأن لم يكن به وجع قط، وأعطاه الراية (ظ٩٨)، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتىٰ يكونوا مثلنا؟ قال: انفُذْ علىٰ رسلك حتىٰ تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلىٰ الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالىٰ فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم»(١).

وعن عاصم بن عمر بن قتادة، عن أبيه قتادة بن النعمان: «أنه أصيبت عينه في الغزو مع رسول الله ﷺ(٢) فسالت علىٰ وجنته، فأرادوا أن يقطعوها، فسألوا رسول الله ﷺ، فقال: لا، ودعا(٣)، وغمز حدقته براحته، فكان لا يدري أي عينيه أصيبت، فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما»(٤).

---

(١) حديث سهل بن سعد في صحيح البخاري(٢٩٤٢)، وصحيح مسلم (٢٤٠٦)، وحديث سلمة بن الأكوع في صحيح البخاري (٢٩٧٦)، وصحيح مسلم (١٨٠٤).
وقد ورد كذلك في صحيح مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص (٢٤٠٤)، وأبي هريرة (٢٤٠٥).

(٢) كذا في الأصل ظ، وكتب حاشية في ظ: بدر.
وقد وقع خلاف في الغزوة التي سالت بها عينه، فقيل يوم بدر، وقيل يوم أحد. (الإصابة٥/ ٣١٨).
وفي (ب): مع النبي ﷺ يوم بدر. وكتب فوقها خـ وكتب قبالتها في الهامش: أحد خـ.
وفي (ل): يوم بدر.
وفي (د): يوم أحد.

(٣) كذا في الأصول الخطية كلها (ظ، ب، ل، د)، والمعنىٰ واضح، وفي المطبوعة، وط النيل: ودعاه. وهو تصحيف.

(٤) رواه أبو يعلىٰ في مسنده (١٥٤٩)، وعنه ابن عدي في الكامل (٥/ ٤٦٤) ومن طريقه البيهقي في الدلائل (٣/ ١٠٠)، وفيه يحيىٰ بن عبدالحميد الحماني، كان يسرق الحديث، ولأجل ذلك اتهم بالكذب (ميزان الاعتدال ٤/ ٣٩٢)، وقال ابن عدي (في الكامل ٩/ ٩٨): «وليحيىٰ الحماني مسند صالح...، ولم أر في مسنده وأحاديثه أحاديث مناكير فأذكرها وأرجو أنه لا بأس به». =

وفي رواية: «فرفع حدقته حتىٰ وضعها موضعها، ثم غمزها براحته، وقال: اللهم اكسه[1] جمالاً، فمات وما يدري من لقيه أي عينيه أصيبت»، رواه عنه أهل المغازي[2].

وأنشد ولده بحضرة عمر بن عبد العزيز -وهو خليفة- وأقره من حضر ولم ينكروه:

أنا ابن الذي سالت علىٰ الخد عينه ... وردت بكف المصطفىٰ أيما رد

(فعادت كما كانت لأحسن حالها ... فيا حسن من عين ويا حسن ما يد)[3]

فلولا أنَّه كان معروفًا عند التابعين لم يُقروه، وهم إنما تلقوا هذا عن الصحابة.

وفي صحيح البخاري عن البراء بن عازب قال: «بعث رسول الله ﷺ إلىٰ أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار، وأمَّر عليهم عبد الله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ، ويُعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما

= وهو يرويه عن عبدالرحمن الغسيل وفيه ضعف.

وروىٰ البيهقي في الدلائل (٣/ ١٠٠) من طريق عبدالعزيز بن عمران -وهو أحد المتروكين- عن رفاعة بن رافع أنه وقعت له نحو هذه القصة، والله أعلم.

(١) في (ل): اكسبه. (ب): اكسيه.

(٢) انظر: المستدرك للحاكم ٣/ ٢٩٥، البداية والنهاية ٥/ ١٤٧، الروض الأنف ٦/ ٨.

(٣) في الأصل ظ كتب فوق يد: خ، وكتب في الهامش: رد صح.

والبيت الثاني ثبت في ظ، د، وليس هو في (ب، ل).

وولده الذي أنشد هو: عاصم بن عمر بن قتادة، فأجابه عمر بن عبدالعزيز:

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

(البداية والنهاية ٥/ ١٤٧، الإصابة ٥/ ٣١٨).

دنوا منه -وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم- قال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم، فإني منطلق ومتلطف للبواب لعلي أدخل، قال: فأقبل حتىٰ دنا من الباب (ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة، وقد دخل الناس، فهتف به البواب: يا عبدالله، إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب، فدخلت فكمنت، فلما دخل الناس أغلق الباب، ثم أعلق الأغاليق علىٰ وَدٍّ[1]، قال: فقمت إلىٰ الأقاليد فأخذتها ففتحت الباب، وكان أبو رافع يُسمر عنده، وكان في علالي له، فلما ذهب عنه أهل سمره[2] صعدت إليه، فجعلت كلما دخلت بابا أغلقت علي من داخل، قلت: إن القوم لو نذروا[3] بي لم يخلصوا إلي حتىٰ أقتله، فانتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم، وسط عياله، لا أدري أين هو من البيت، قلت: أبا رافع، قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت، فأضربه ضربة بالسيف، وأنا دهش، فما أغنيت[4] شيئا، وصاح، فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد، ثم دخلت إليه، فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع، فقال: لأمك الويل، إنَّ رجلاً[5] ضربني قبل بالسيف، قال: فأضربه ضبة أثخنته ولم أقتله)[6] ثم وضعت ضبيب[7] السيف في بطنه حتىٰ أخذ في ظهره، فعلمت أني قد قتلته،

---

(١) في بعض نسخ الصحيح المطبوعة (٤٠٣٩): ثم علق الأغاليق علىٰ وتد. وفي فتح الباري (٧/ ٣٤٣) مثل الذي ثبت في الأصل. وهما بمعنىٰ.

(٢) د: أهل السمرة.

(٣) أي علموا، وهو بكسر الذال - وكان عبدالله بن عتيك يرطن باليهودية- (فتح الباري ٧/ ٣٤٤).

(٤) د: أغنت.

(٥) في (د) زيادة: في البيت.

(٦) ما بين القوسين من الأصل ظ و د، وليس هو في (ب، ل)، كتب مكانه: وذكر قصة قتله إلىٰ أن قال.

(٧) ليست في (ب، ل).

=

فجعلت أفتح الأبواب بابًا فبابًا، حتىٰ انتهيت إلىٰ درجة فوضعت رجلي وأنا أرىٰ أني قد انتهيت إلىٰ الأرض فوقعت في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامتي ثم انطلقت، حتىٰ جلست عند الباب، فقلت: لا أبرح حتىٰ أعلم أقتلته أم لا، فلما صاح الديك قام الناعي علىٰ السور فقال: أنعَا[1] أبا رافع.

قال: فانطلقت إلىٰ أصحابي، فقلت: النجاء[2]، قد قتل الله أبا رافع قال: فانتهينا إلىٰ النبي ﷺ، وحدثناه فقال: ابسط رجلك، فبسطها فمسحها، فكأنما لم أشتكها قط»[3].

وفي البخاري عن يزيد بن أبي عُبيد قال: «رأيت في ساق سلمة بن الأكوع أثر ضربة، فقلت: يا أبا مسلم ما هذه الضربة[4]؟ قال: هذه ضربة أصابتني يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة أصيب سلمة، قال: فأتيت رسول الله ﷺ

= وهكذا ثبتت اللفظة في (ظ) وعامة نسخ البخاري، وفي (د، ط النيل): صيب.
وفي هذه اللفظة بحث راجعه في فتح الباري (٧/ ٣٤٤).

(١) كذا في الأصل، وهو يوافق ما في صحيح البخاري، قال الحافظ: «كذا ثبت في الروايات بفتح العين، قال ابن التين: هي لغة، والمعروف انعو، والنعي خبر الموت والاسم الناعي» (فتح الباري ٧/ ٣٤٤).
وفي (ب، ل، د): أنعي.

(٢) كذا في الأصل، وكتب النجاء الثانية ثم ضرب عليها، وهو الصحيح الموافق لما في البخاري (فتح الباري ٧/ ٣٤٥).
وكررها في (ب، د)، وفي (ل): النجاة النجاء.

(٣) صحيح البخاري (٤٠٣٩). قال ابن كثير: تفرد به البخاري بهذه السياقات من بين أصحاب الكتب الستة (البداية والنهاية ٦/ ١٣٤).

(٤) أخر النداء والمنادىٰ في (ب).

فنفث فيه ثلاث (ظ٩٩) نفثات فما اشتكيت منها حتىٰ الساعة»[١].

وفي الترمذي وغيره: «عن عثمان بن حُنيف أنَّ رجلا ضريرًا أتىٰ رسول الله ﷺ، فقال: ادع الله تعالىٰ أن يعافيني، قال: إن شئت صبرت فهو خير لك، وإن شئت دعوت الله[٢]، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ، فيحسن الوضوء، فيصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: اللهم[٣] إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد، إني أتوجه بك إلىٰ ربي في حاجتي هذه فتقضيها لي[٤]، اللهم فشفعه فيّ».

وفي رواية قال: يا رسول الله، ليس لي قائد، وقد شق علي. وذكر الحديث.

فقال عثمان: والله ما تفرقنا، ولا طال الحديث بنا حتىٰ دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضر قط.

قال الترمذي: حديث صحيح[٥].

---

(١) صحيح البخاري (٤٢٠٦)، وهو أحد ثلاثياته، حيث رواه البخاري عن المكي بن إبراهيم، عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة.

(٢) لفظ الجلالة من (ظ، د).

(٣) بيض له في د، وكتب في الهامش: في الأصل اللهم إني أتوجه بك إلي.

(٤) في سنن الترمذي: إني توجهت بك إلىٰ ربي في حاجتي هذه لتقضىٰ لي. وعند أحمد: فتقضي لي.

(٥) رواه أحمد (١٧٢٤٠)، والترمذي (٣٥٧٨)، وابن ماجه(١٣٨٥) من حديث أبي جعفر عن عمارة عن عثمان، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو الخطمي».قلت: ورجاله ثقات.

النوع الرابع[1]: آثاره في الأشجار والخشب.

ففي الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال: «كان المسجد مسقوفًا علىٰ جذوع النخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلىٰ جذع منها، فلما صنع المنبر وكان عليه سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار[2]، حتىٰ جاء إليه النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت.

وفي رواية: فصاحت النخلة صياح الصبي»[3].

وفي الصحيحين عن جابر: «أن امرأة من الأنصار قالت: يا رسول الله، ألا أجعل لك شيئًا تقعد عليه، فإنَّ لي غلامًا نجارًا، قال: إن شئت.

فعملت له المنبر.

فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ علىٰ المنبر الذي صُنع له، فصاحت النخلة التي كان يخطب عليها حتىٰ كادت أن تنشق، فنزل النبي ﷺ فضمها إليه، فجعلت تئن أنين الصبي الذي يُسكَّت حتىٰ استقرت»[4].

---

(١) هكذا ثبت في الأصل (ظ)، وفي باقي النسخ الخطية كلها: النوع الثالث.
وهو خطأ، الصواب ما ثبت في هذا الأصل المتقن، فقد سبقت الأنواع الثلاثة، فيكون هذا هو النوع الرابع، وهو آثاره في الأشجار والخشب.

(٢) في (ب): ذلك العشار.

(٣) صحيح البخاري (٣٥٨٥)، وقد تفرد به البخاري.

(٤) صحيح البخاري (٢٠٩٥). وتتمته: قال: «بكت علىٰ ما كانت تسمع من الذكر» ولم يخرجه مسلم.

وفي صحيح مسلم من حديث جابر قال: «سرنا مع رسول الله ﷺ حتىٰ نزلنا واديًا أفيح[1]، فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فاتبعته بإداوة من ماء، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئا يستتر به، فإذا شجرتان بشاطئ الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلىٰ إحداهما فأخذ بغصنين من أغصانها، فقال: انقادي عليَّ بإذن الله، فانقادت معه كالبعير المخشوش[2] الذي يصانع قائده، حتىٰ أتىٰ الشجرة الأخرىٰ فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: انقادي علي بإذن الله، فانقادت معه كذلك، حتىٰ إذا كان بالمنصف فيما بينهما فلأم بينهما[3] حتىٰ جمع بينهما، فقال: التئما عليَّ بإذن الله، فالتأمتا عليه.

فخرجت أحضُر مخافة أن يحس رسول الله ﷺ بقربي فيتباعد[4]، فجلست أحدث نفسي فحانت مني لفتة، فإذا برسول الله ﷺ مقبلاً، وإذا الشجرتان قد افترقتا، فقامت كل واحدة منهما علىٰ ساق»، وذكر الحديث[5].

وعن ابن عباس قال: «جاء رجل من بني عامر إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرني الخاتم الذي بين كتفيك، فإنني من أطب الناس، فقال: ألا أريك آية؟ قال: بلىٰ، فنظر إلىٰ نخلة، فقال: ادع لَكَ العذق[6]، فجاءه ينقز حتىٰ

---

(١) أي واسع (النهاية في غريب الحديث ٣/ ٤٨٤).

(٢) هو الذي جعل في أنفه الخشاش. والخشاش مشتق من خش في الشيء إذا دخل فيه، لأنه يدخل في أنف البعير (النهاية ٢/ ٣٤).

(٣) «فلأم بينهما» ليس في ب.

(٤) في (ب): فتباعدت.

(٥) صحيح مسلم (٣٠١٢).

(٦) في (ب، ل، د): ادع ذلك العذق.

قام بين يديه، فقال له: ارجع، فرجع[(1)]».

فقال العامري: يا آلَ بني عامر ما رأيت رجلا أسحر منه[(2)].

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

ورواه الدارمي أيضا قال فيه: فجاءت النخلة تنقز بين يديه ثم قال لها ارجعي، فعادت إلىٰ مكانها[(3)].

وفي رواية الترمذي: «جاء أعرابي إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: بم أعرف أنك نبي؟ قال: إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة تشهد أني رسول الله (ظ١٠٠)، فدعاه رسول الله ﷺ، فجعل ينزل من النخلة حتىٰ سقط إلىٰ النبي ﷺ، ثم قال: ارجع، فعاد.

فأسلم الأعرابي»[(4)].

---

(١) ليست في (ب).
(٢) «فقال ...منه» ليس في (ب، ل).
(٣) رواه أحمد (١٩٥٤)، والدارمي (٢٤)، والبيهقي في الدلائل ٦/ ١٥، وإسناده علىٰ شرط الصحيحين، لأنه يرويه الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس.
(٤) رواه البخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٣)، والترمذي في السنن (٣٦٢٨)، والطبراني في الأوسط (٥٠٦٨)، وقال: لم يرو هذا الحديث عن سماك إلا شريك، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٩)، وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه، والبيهقي في الدلائل (٦/ ١٥).
وهكذا رواه شريك عن سماك عن أبي ظبيان الجنبي، قال في آخره: فأسلم الأعرابي، وقد خالفه الأعمش في الرواية السابقة، وفيها أن الأعرابي لم يسلم، قال ابن كثير معقبا علىٰ رواية محمد بن أبي عبيدة عن أبيه عن الأعمش، وفيها: فرجع فقال العامري: يا آل عامر بن صعصعة، لا ألومك علىٰ شيء قلته أبدا» وهذا يقتضي أنه سلم الأمر، ولم يجب من كل وجه (البداية والنهاية ٨/ ٦٧٧).

وروىٰ الدارمي عن عبدالله بن عمر قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فأقبل أعرابي فلما دنا منه قال له النبي ﷺ: أين تريد؟ قال: إلىٰ أهلي، قال: هل لك في خير؟ قال: وما هو؟ قال: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله. فقال: ومن يشهد علىٰ ما تقول؟ قال: هذه السَّلَمَة، فدعاها رسول الله ﷺ وهي بشاطئ الوادي، فأقبلت تخدُّ[1] الأرض، حتىٰ قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا، فشهدت ثلاثا أنه كما قال، ثم رجعت إلىٰ منبتها، ورجع الأعرابي إليه، فقال: إن اتبعوني أتيتك بهم، وإلا رجعت فكنت معك»[2].

وفي الصحيحين، عن معن بن عبد الرحمن قال: سمعت أبي يقول: سألت مسروقًا من آذن النبي ﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن؟ فقال: حدثني أبوك - يعني عبدالله بن مسعود - أنه قال: آذنته بهم شجرة[3].

وفي الترمذي عن علي قال: «كنت مع رسول الله ﷺ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله شجر ولا جبل إلا هو[4] يقول: السلام عليك يا رسول الله»، رواه الحاكم في صحيحه[5].

---

(١) الوخد: ضرب من سير الإبل سريع. يقال: وخد يخد وخدا (النهاية في غريب الحديث ٥/ ١٦٣).

(٢) رواه الدارمي (١٦) بإسناد حسن.

(٣) صحيح البخاري (٣٨٥٩)، صحيح مسلم (٤٥٠).
وفي بعض الروايات أن هذه الشجرة هي: سمرة (فتح الباري ٧/ ١٧٢).

(٤) في (ب، ل): وهو.

(٥) رواه الترمذي (٣٦٢٦) والحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٩)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ورواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٥٤)، وأبو نعيم في الدلائل (٢٨٩)، وفي إسناده الوليد بن عبدالله بن أبي ثور ضعيف جدا (الكامل لابن عدي ٨/ ٣٥٥، ميزان الاعتدال ٤/ ٣٣٦). =

روىٰ الإمام أحمد في مسنده، عن[1] أنس بن مالك قال: «جاء جبريل إلىٰ النبي ﷺ ذات يوم، وهو جالس حزين قد خُضب بالدماء، ضربه بعض أهل مكة، فقال له: ما لك؟ قال: فقال: فعل هؤلاء وفعلوا. فقال له جبريل: أتحب أن أريك آية؟ فقال: نعم. قال: فنظر إلىٰ شجرة من وراء الوادي، فقال: ادع تلك الشجرة، فدعاها فجاءت تمشي حتىٰ قامت بين يديه، فقال: مرها فلترجع إلىٰ مكانها، فقال لها: ارجعي، فرجعت حتىٰ عادت إلىٰ مكانها، فقال النبي ﷺ: حسبي» ورواه أبو يعلىٰ الموصلي في مسنده[2].

= وسلام الحجر عليه ثابت في غير هذا الحديث: كحديث جابر بن سلمة قال: قال رسول الله ﷺ: إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن«رواه مسلم (٢٢٧٧).
قال عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي -وكان واعية- عن بعض أهل العلم: «أن رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم حين أراد الله ﷻ كرامته وابتدأه لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه وسمع منه، فيلتفت رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم خلفه وعن يمينه وعن شماله ولا يرىٰ إلا الشجر وما حوله من الحجارة وهي تحييه بتحية النبوة: السلام عليك يا رسول الله» (دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ١٤٦).
في (ب): رواه الحاكم وصححه.

(١) في (ب، ل): وروىٰ الإمام أحمد عن أنس.

(٢) رواه أحمد (١٢١١٢)، والدارمي (٢٣)، وابن ماجه (٤٠٢٨)، وأبو يعلىٰ (٣٦٨٥) والبيهقي في الدلائل (٢/ ١٥٤) وإسناده حسن.

فصل:

والنوع الخامس[1]: الماء والطعام والثمار[2] الذي كان يكثر ببركته فوق العادة.

وهذا باب واسع نذكر منه ما تيسر.

أما الماء:

ففي الصحيحين عن أنس «أن النبي ﷺ دعا بماء فأتي بقدح رحراح فجعل القوم يتوضئون، فحزرت ما بين السبعين إلىٰ الثمانين»[3].

وفي رواية عنه: أنَّ النبي ﷺ «خرج في بعض مخارجه ومعه أناس من أصحابه، فانطلقوا يسيرون، فحضرت الصلاة فلم يجدوا ما يتوضئون به، فانطلق رجل من القوم فجاء بقدح فيه ماء يسير، فأخذه النبي ﷺ فتوضأ، ثم مدَّ أصابعه الأربع علىٰ القدح، ثم قال: قوموا فتوضئوا،[4] وكانوا سبعين أو نحوه»[5].

وفيهما عن أنس أيضًا أنَّ «النبي ﷺ وأصحابه بالزوراء - والزوراء بالمدينة عند السوق والمسجد فيما[6] ثمَّه - دعا بقدح فيه ماء فوضع فيه كفه

(١) في الأصول سوىٰ ظ: الرابع، وقد سبق التنبيه علىٰ ذلك.

(٢) في ظ: الطعام والطعام، وما ثبت من بقية النسخ، وقد قسم المصنف هذا الفصل ثلاثة أقسام: الماء، الطعام، الثمار.

(٣) صحيح البخاري (٢٠٠)، صحيح مسلم (٢٢٧٩)، وفيه: قال: فجعلت «أنظر إلىٰ الماء ينبع من بين أصابعه».
والرحراح: القريب القعر مع سعة فيه (النهاية ٢/ ٢٠٨).

(٤) في الصحيح هنا: فتوضأ القوم حتىٰ بلغوا فيما يريدون من الوضوء..

(٥) صحيح البخاري (٣٥٧٤).

(٦) ليست في (ب، ل) وهي ثابتة في مسلم.

فجعل ينبع[1] بين أصابعه فتوضأ جميع أصحابه»[2].

(قال: قلت: كم كانوا يا أبا حمزة؟ قال: كانوا زهاء الثلاثمائة.

وفي رواية: بماء لا يغمر أصابعه، أو قدر ما يواري أصابعه[3])[4].

وفي الصحيحين عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ وحانت[5] صلاة العصر، فالتمس الناسُ الوضوء فلم يجدوه، فأتي رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع في ذلك الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضئوا منه. قال: فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ الناس حتىٰ توضئوا من عند آخرهم»[6].

وفي الصحيحين عن جابر قال: «قد رأيتني مع رسول الله ﷺ، وقد حضرت صلاة العصر، وليس معنا ماء غير فضلة(ظ١٠١)، فجُعل في إناء فأُتيَ النبي ﷺ به فأدخل يده فيه، وفرج أصابعه، ثم قال: حي علىٰ الوضوء[7]

---

(١) كذا في الأصل ظ، وكتب في (ب): من تحت السطر.
(٢) صحيح البخاري (٣٥٧٢)، صحيح مسلم (٢٢٧٩).
والزوراء سوق بالمدينة (فتح الباري ١/ ٢٧١).
(٣) ما بين القوسين ليس في (ل).
(٤) صحيح مسلم (٢٢٧٩).
(٥) في (ب): وجاءت.
(٦) صحيح البخاري (١٦٩)، صحيح مسلم (٢٢٧٩).
وقوله: «حتىٰ توضؤوا من عند آخرهم»: «قال الكرماني: حتىٰ للتدريج ومن للبيان، أي توضأ الناس حتىٰ توضأ الذين عند آخرهم، وهو كناية عن جميعهم، قال: وعند بمعنىٰ في، لأن عند وإن كانت للظرفية الخاصة لكن المبالغة تقتضي أن تكون لمطلق الظرفية، فكأنه قال: الذين هم في آخرهم.
وقال التيمي: المعنىٰ توضأ القوم حتىٰ وصلت النوبة إلىٰ الآخر.
وقال النووي: من هنا بمعنىٰ إلىٰ وهي لغة وتعقبه الكرماني بأنها شاذة» (فتح الباري ١/ ٢٧١).
(٧) كذا في الأصول، وهو يوافق رواية النسفي، وفي غيرها: «حي علىٰ أهل الوضوء» (فتح الباري ١٠/ ١٠٢).

والبركة من الله.

فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه، فتوضأ الناس وشربوا، فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني منه، فعلمت أنه بركة، قلت: لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: ألفا وأربعمائة»[1].

وفي صحيح البخاري، عن جابر أيضًا قال: «عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه رِكْوَة، فتوضأ، فجهش الناس نحوه، قال: ما لكم؟ قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يفور[2] من بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا، قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة»[3].

وفي البخاري عن البراء بن عازب قال: «تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحًا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها فجلس علىٰ شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ، ثم تمضمض ودعا، ثم صبه فيها، فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا، وكنا ألفا وأربعمائة، أو[4] أكثر من ذلك»[5].

---

(١) رواه البخاري (٥٦٣٩).
(٢) في هامش الأصل: يثور، وكتب فوقها: فيه. وهكذا هو في (ب، ل، د).
وورواية يفور هي رواية الكشميهني، ولغيره: يثور، وهما بمعنىٰ (فتح الباري ٦/ ٥٨٦).
(٣) صحيح البخاري (٣٥٧٦).
(٤) في (ب): وأكثر.
(٥) صحيح البخاري (٤١٥٠).

وفي صحيح مسلم، عن سلمة بن الأكوع قال: «قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ، ونحن أربع عشرة مائة، وعليها خمسون أشاءةً لا يرونها[1]، فقعد رسول الله ﷺ حتىٰ[2] جبا الركية، فإما دعا وإما بصق فيها.

قال: فجاشت[3] فسقينا واستقينا»[4].

---

(١) كذا في الأصلين: (ظ، ب) وكتب فوقها في ظ صح، والمعنىٰ علىٰ هذا: حول البئر خمسون نخلة صغيرة، فإنَّ الأشاءة النخلة الصغيرة، ولأنها حول البئر فلا تكاد ترىٰ البئر.

وفي باقي النسخ وصحيح مسلم: خمسون شاة لا ترويها، أي أن الماء لا يروي خمسين شاة.

ثم نظرت في النسخة الخطية من صحيح مسلم التي بخط الحافظ ابن خير (ق:٢٧٥/ أ) وفرعها التي بخط محمد الفضيل الشبيهي (المجلد الخامس، ورقة: ١٩٩) وكذا في نسخة صحيحة نسخت سنة ٦٢٩ وعليها سماعات أئمة (ق١٥٨) وفيها كلها: «وعليها خمسون شاة لا ترويها». وكذا في المصادر التي نقلت عن صحيح مسلم، كالجمع بين الصحيحين وجامع الأصول.

والذي يظهر لي أن ما في الأصلين صحيح المعنىٰ، ذلك لأن البئر لا تروي الشياه إلا بعد أن يستقىٰ منها، ولا تشرب الشياه من البئر مباشرة حتىٰ يقال إنها لا ترويها، فكيف حكم أن ما في البئر لا يكفي خمسين شاة!. وإنما المعنىٰ أن النخلات الصغار التي هي خمسون قد غطت البئر فلا ترىٰ منها، والعادة جارية أن البئر يكون حولها أشاءات وأشجار، والله أعلم بالصواب.

ثم وجدت في «نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض» ٣/ ٥٠١ : «خمسين شاة، الشاة معروفة، ويروىٰ: إشاء بهمزة مكسورة في أوله مفتوحة في آخره: وهي النخلة الصغيرة».

والصواب: أن إشاء جمع أشاءة، فالمفرد بفتح الهمزة والجمع بكسرها، والله أعلم.

(٢) في (ب، ل، د) وصحيح مسلم: علىٰ جبا.

والجبا -بالفتح- ما حول البئر، والركية هي البئر (انظر: مشكل الصحيحين لابن الجوزي ٢/ ٣٠٦، شرح مسلم للنووي ١٢/ ١٧٥).

(٣) قال القاضي عياض: في قوله «فجاشت فسقينا واستقينا: أي فاضت، وهذا من آياته ﷺ وعظيم معجزاته، وهذا باب منقول منها بالتواتر من تكثير قليل الماء في مواطن عدة» (إكمال المعلم ٦/ ٩٨).

(٤) صحيح مسلم (١٨٠٧).

وعن ابن عباس قال: «ودعا النبي ﷺ بلالاً فطلب بلال الماء، ثم جاء، فقال: لا والله ما وجدت الماء، فقال: النبي ﷺ: فهل من شن؟ فأتاه بشن فبسط كفيه فيه فانبعثت يدُه عينًا[1].

قال: فكان ابن مسعود يشرب وغيره يتوضأ»[2].

وعن جابر بن عبدالله قال: «غزونا أو سافرنا مع رسول الله ﷺ، ونحن يومئذ بضعة عشر ومائتين، فحضرت الصلاة، فقال رسول الله ﷺ: هل في القوم من طهور؟ فجاء رجل يسعىٰ بإداوة فيها شيء من ماء، ليس في القوم ماء غيره، فصبه رسول الله ﷺ في قدح، ثم توضأ فأحسن الوضوء، ثم انصرف وترك القدح، فركب الناس ذلك القدح وقالوا: تمسحوا تمسحوا.

فقال رسول الله ﷺ: علىٰ رسلكم، حين[3] سمعهم يقولون ذلك، فوضع رسول الله ﷺ كفه في الماء والقدح، وقال: بسم الله، ثم قال: أسبغوا الطهور.

فوالذي ابتلاني ببصري بعدُ[4] لقد رأيت العيون - عيون الماء[5]- تخرج

---

(١) في (ب، ل، د): «عين». هكذا مجودة في الأصلين. فهي إما أن تكون علىٰ الاستئناف، أو علىٰ ما جرت عليه عادة أهل الحديث من ترك ألف التنوين خطا والاتيان بها لفظا، وله شواهد لا نطيل بذكرها.

(٢) رواه الدارمي (٢٥)، والفريابي (٤٠) وفي إسناده عطاء بن السائب وهو مختلط، والراوي عنه شعيب بن صفوان وأبو كدينة يحيىٰ بن المهلب، ولم يُذكرا فيمن روىٰ عنه قبل الاختلاط، إلا أنه قد يمكن أن يقال إن الإمام أحمد صحح له حديثا من روايته عن عطاء رواه ابن مهدي عنه (تاريخ بغداد ١٠/ ٣٢٩، تهذيب الكمال ١٢/ ٥٣٠).
وسيعيده المصنف آخر الفصل.

(٣) في (ب، ل): حتىٰ.

(٤) ليست في (ب).

(٥) ليست في (ب).

من بين أصابعه، فلم يرفعهما حتىٰ توضئوا أجمعون».

رواهما الدارمي في مسنده[1].

وفي صحيح البخاري عن عبدالله بن مسعود قال: «كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفًا، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلَّ الماء، فقال: اطلبوا فضلة من ماء، فجاءونا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء، ثم قال: حي علىٰ الطهور الطهر[2] المبارك والبركة من الله، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع النبي ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤكل»[3].

وروىٰ مسلم في صحيحه عن معاذ بن جبل قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك فكان يجمع الصلاة، فصلىٰ[4] الظهر والعصر جميعًا، والمغرب والعشاء جميعًا، حتىٰ إذا كان يوم أخَّر الصلاة، ثم خرج فصلىٰ الظهر والعصر جميعًا، ثم دخل ثم خرج بعد ذلك، فصلىٰ المغرب والعشاء جميعًا، ثم قال: إنكم ستأتون (ظ١٠٢) غدًا - إن شاء الله - عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتىٰ يُضْحي النهارُ، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئًا حتىٰ آتي.

---

(١) رواه أحمد (١٤٨٦٠)، والدارمي (٢٦)، وإسناده صحيح.

(٢) كذا في (ظ)، وفي (ب، د): «علىٰ الطهر المبارك»، وفي (ل): «علىٰ الوضوء المبارك».
في الصحيح وغيره: حي علىٰ الطهور المبارك، قال الحافظ: «قوله: حي علىٰ الطهور المبارك؛ أي: هلموا إلىٰ الطهور وهو بفتح الطاء والمراد به الماء ويجوز ضمها، والمراد الفعل أي تطهروا، قوله: والبركة من الله؛ البركة مبتدأ والخبر من الله، وهو إشارة إلىٰ أن الإيجاد من الله» (فتح الباري ٦/ ٥٩٢).

(٣) صحيح البخاري (٣٥٧٩).

(٤) في (ب، ل): فيصلي.

فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان، والعين مثل الشراك تبِضُّ بشيء من ماء، فسألهما رسول الله ﷺ: هل مسستما من مائها شيئًا؟ قالا: نعم، فسبهما رسول الله ﷺ، وقال لهما ما شاء الله أن يقول،[1] ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً، حتىٰ اجتمع شيء.

قال: وغسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء منهمر، أو قال: غزير، استقىٰ الناس.

ثم قال: يوشك - يا معاذ إن طالت بك حياة - أن ترىٰ ما ها هنا قد ملئ جنانا»[2].

وفي صحيح مسلم حديث جابر الذي رواه عبادة بن الوليد، وقد تقدم أوله في قصة الشجرتين، وانقيادهما ثم افتراقهما[3]، ووضع الغصنين علىٰ القبرين[4].

وقال في آخره: «فأتينا العسكر، فقال رسول الله ﷺ: يا جابر ناد بوَضوء، فقلت: ألا وَضوء، ألا وَضوء، قال: قلت: يا رسول الله، ما وجدتُ في الركب من قطرة، وكان رجل من الأنصار يُبرِّد لرسول الله ﷺ الماء في أشجاب له[5]،

---

(١) في (ب): قال.

(٢) صحيح مسلم (٧٠٦).
قال النووي: «هكذا ضبطناه هنا تبض ونقل القاضي اتفاق الرواة هنا علىٰ أنه بالضاد المعجمة ومعناه تسيل والشراك هو سير النعل ومعناه ماء قليل جدا».

(٣) في (ب): انفرادهما.

(٤) في (ب، ل): القبر.

(٥) في الصحيح: «في أشجاب له علىٰ حمارة من جريد»، قال النووي: «أما الأشجاب هنا فجمع شجب بإسكان الجيم وهو السقاء الذي قد أخلق وبلي وصار شنا، =

فقال لي: انطلق إلىٰ فلان الأنصاري فانظر هل في أشجابه من شيء؟

قال: فانطلقت إليه، فنظرت فيها فلم أجد فيها إلا قطرة في عَزلاء شَجْبٍ لو أني أفرغه لشربه يابسه[١]، فأتيت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إني[٢] لم أجد فيها إلا قطرة في عَزلاء شَجْب لو أني أفرغه لشربه يابسه، قال: اذهب فأتني به، فأتيته به فأخذه بيده، فجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو، ويغمزه بيده، ثم أعطانيه، فقال: يا جابر، ناد بجفنة الركب، فقلت: يا جفنة الركب، فأتيت بها تُحمل، فوضعُتها بين يديه، فقال رسول الله ﷺ بيده في الجفنة هكذا فبسطها وفرق بين أصابعه، ثم وضعها في قعر الجفنة، فقال: خذ يا جابر، فصب علي وقل: باسم الله، فصببت عليه، وقلت: باسم الله، فرأيت الماء يفور من بين أصابعه ﷺ، ثم فارت الجفنة ودارت حتىٰ امتلأت، فقال: يا جابر، ناد من كانت له حاجة بماء، قال: فأتىٰ الناس، فاستقوا حتىٰ رووا، قال: فقلت: هل بقي أحد له حاجة؟ فرفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة وهي ملأىٰ»[٣].

= يقال شاجب أي يابس وهو من الشجب الذي هو الهلاك،...، وأما قول المازري وغيره أن المراد بالأشجاب هنا الأعواد التي تعلق عليها القربة فغلط لقوله يبرد فيها علىٰ حمارة من جريد، وأما الحمارة فبكسر الحاء وتخفيف الميم والراء وهي أعواد تعلق عليها أسقية الماء، قال القاضي ووقع لبعض الرواة حمار بحذف الهاء ورواية الجمهور حمارة بالهاء وكلاهما صحيح ومعناهما ما ذكرنا» (شرح مسلم ١٨/ ١٤٥).

(١) العزلاء -بفتح العين المهملة وبإسكان الزاي وبالمد- فم القربة، وقوله شربه يابسه معناه أنه قليل جدا فلقلته مع شدة يبس باقي الشجب وهو السقاء لو أفرغته لأشنقه اليابس منه ولم ينزل منه شيء (شرح مسلم ١٨/ ١٤٥).

(٢) ليست في (ب، ل).

(٣) صحيح مسلم (٣٠١٣).

وفي الصحيحين عن عمران بن حصين، قال: «كنت مع النبي ﷺ في مسير له فأدلجنا ليلتنا، حتىٰ إذا كان وجه الصبح عرسنا، فغلبتنا أعيننا، حتىٰ بزغت الشمس، فكان أول من استيقظ منا أبو بكر الصديق، وكنا لا نوقظ رسول الله ﷺ من منامه، حتىٰ يكون هو الذي يستيقظ؛ لأنا لا ندري ما يحدث له في نومه، ثم استيقظ عمر فجعل يكبر حتىٰ استيقظ رسول الله ﷺ، فلما رفع رأسه ورأىٰ الشمس قد بزغت، قال: ارتحلوا.

فسار بنا حتىٰ ابيضت الشمس، نزل فصلىٰ بنا الغداة، فاعتزل رجل من القوم لم يصل معنا، فلما انصرف قال له رسول الله ﷺ: ما منعك أن تصلي معنا؟ قال: أصابتني جنابة ولا ماء.

فقال له: عليك بالصعيد، فإنه يكفيك، فتيمم بالصعيد فصلىٰ.

ثم عجَّلني في ركب بين يديه نطلب الماء، وقد عطشنا عطشا شديدا، فبينما نحن نسير إذا نحن بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين، فقلنا لها: أين الماء؟ فقالت: إيهاه إيهاه لا ماء لكم، فقلت: كم بين أهلك وبين الماء؟ قالت: مسيرة يوم وليلة، قلنا: انطلقي إلىٰ رسول الله ﷺ، قالت: وما رسول الله؟ فلم نملكها من أمرها شيئا حتىٰ انطلقنا بها، فاستقبلنا بها رسول الله ﷺ فسألها، فأخبرته (ظ١٠٣) مثل الذي أخبرتنا، وأخبرته أنها مؤتمة لها صبيان أيتام، فأمر براويتها فأنيخت، فمجَّ في العزلاوين العلياوين[1]، ثم بعث براويتها فشربنا

---

(١) قال النووي: «قوله فمج في العزلاوين العلياوين المج زرق الماء بالفم والعزلاء بالمد هو المشعب الأسفل للمزادة الذي يفرغ منه الماء ويطلق أيضا علىٰ فمها الأعلىٰ كما قال في هذه الرواية العزلاوين العلياوين وتثنيتها عزلاوان والجمع العزالي بكسر اللام»(شرح مسلم٥/ ١٩١).

ونحن أربعون رجلاً عطاشًا، حتىٰ روينا، وملأنا كل راوية، وملأنا كل قربة معنا وإداوة، وغسلنا صاحبنا غير أنا لم نسق بعيرا، وهي تكاد تتضرج من الماء - يعني المزادتين - ثم قال: هاتوا ما كان عندكم، فجمعنا لها من كسر[1]، وتمر، وصر لها صرة، فقال لها: اذهبي فأطعمي عيالك، واعلمي أنا لم نرزأ من مائك شيئا.

فلما أتت أهلها قالت: لقد لقيت أسحر البشر، أو إنه لنبي كما زعم، كان من أمره ذيت وذيت، فهدىٰ الله ﷻ ذلك الصرم بتلك المرأة فأسلمت وأسلموا»[2].

وفي الصحيحين عن أبي قتادة قال: «خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: إنكم تسيرون عشيتكم هذه وليلتكم، وتأتون الماء غدا - إن شاء الله - فانطلق الناس لا يلوي أحد علىٰ أحد، وذكر حديث النوم في الوادي، فقال: ثم دعا بميضأة كانت معي فيها شيء من ماء، فتوضأ منها وضوءا دون وضوء، وبقي فيها شيء من ماء، ثم قال: لأبي قتادة: احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ.

ثم قال: أصبح الناس فقدوا نبيهم، فقال أبو بكر وعمر: إن رسول الله ﷺ يعدكم لم يكن ليخلفكم.

وقال الناس: إن رسول الله ﷺ بين أيديكم فإن تطيعوا أبا بكر وعمر ترشدوا. قال: فانتهينا إلىٰ الناس حين امتد النهار، وحمي كل شيء، وهم يقولون: يا رسول الله، هلكنا عطشا، فقال: لا هُلك عليكم[3]، ثم قال: أطلقوا

---

(١) في (ب): خبز.

(٢) صحيح البخاري (٣٤٤)، صحيح مسلم (٦٨٢).

(٣) لا هلك عليكم: بضم الهاء وهو من الهلاك (شرح صحيح مسلم للنووي ٥/ ١٨٨).
وهذا من المعجزات قوله ﷺ أطلقوا لي غمري هو بضم الغين المعجمة وفتح الميم وبالراء هو القدح الصغير (شرح صحيح مسلم للنووي ٥/ ١٨٨).

غُمري[1]، قال: ودعا بالميضأة فجعل رسول الله ﷺ يصب وأبو قتادة يسقيهم، فلم يعد أن رأىٰ الناس ما في الميضأة تكابُّوا عليها. فقال رسول الله ﷺ: أحسنوا الملأ[2] كلكم سيروىٰ، قال: ففعلوا، فجعل رسول الله ﷺ يصب، وأسقيهم حتىٰ ما بقي غيري وغير رسول الله ﷺ، ثم صبَّ رسول الله ﷺ، فقال لي: اشرب. فقلت: لا أشرب حتىٰ يشرب رسول الله ﷺ، قال: إن ساقي القوم آخرهم شربًا[3]، فشربت وشرب رسول الله ﷺ، قال: فأتىٰ الناس الماء جامين رواء»[4].

قال: عبد الله بن رباح: إني لأحدث بهذا الحديث في مسجد الجامع[5] إذ قال عمران بن حصين: انظر كيف تحدث، فأنا أحد الركب تلك الليلة، فقلت: أنت[6] أعلم، فقال: ممن أنت؟ قلت: من الأنصار، قال: فأنتم أعلم بحديثكم، قال: عمران: لقد شهدت تلك الليلة وما شعرت أن أحدا حفظه كما حفظته[7].

---

(١) بضم الغين المعجمة وفتح الميم وبالراء هو القدح الصغير (شرح صحيح مسلم للنووي ٥/ ١٨٨).

ووقع في (ب، ل): لي غمري.

(٢) ها هنا حاشية في هامش الأصل ظ منقولة من النهاية لابن الأثير، قال ابن الأثير: «الملأ، بفتح الميم واللام والهمزة كالأول: الخلق...وأكثر قراء الحديث يقرأونها «أحسنوا الملء» بكسر الميم وسكون اللام، من ملء الإناء. وليس بشيء. ومنه الحديث الآخر «أحسنوا أملاءكم» أي أخلاقكم» (كما في النهاية: ٤/ ٣٥١)، وانظر: (كشف المشكل ٢/ ١٥٤، وإكمال المعلم للقاضي ٢/ ٣٧٦، وشرح مسلم للنووي ٥/ ١٨٨).

(٣) ليست في (ب).

(٤) جامين رواء: أي نشاطا مستريحين (شرح مسلم للنووي ٥/ ١٨٩).

(٥) ليست في (ب).

(٦) في (ب): أنتم.

(٧) رواه مسلم في الصحيح (٦٨١).

وفي مسند الإمام أحمد -ورواه أبو يعلىٰ الموصلي- عن البراء بن عازب قال: «كنا مع رسول الله ﷺ فأتينا علىٰ رَكِي ذَمَّة[1]، قال: فنزل ستة أنا سابعهم، أو سبعة أنا ثامنهم، قال: فأدليت إلي دلو، ورسول الله ﷺ علىٰ شفة الركي، فجعلنا فيها نصفها، أو قريب من[2] ثلثيها، فرفعت إلىٰ رسول الله ﷺ قال: فكددت[3] بإنائي أجد شيئا[4] أجعله في حلقي فما وجدت، قال: فغمس رسول الله ﷺ يديه فيها[5]، وقال ما شاء الله أن يقول فأعيدت إلينا[6] الدلو وما فيها، قال: فقد رأيت آخرنا أُخرج بثوب مخافة الغرق قال: وساحت»[7].

---

(١) فسره في رواية المسند: أي قليل الماء (انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٦١).
وفي شرح القاموس: «وبئر ذمة وذميم وذميمة، واقتصر الجوهري علىٰ الأولىٰ وقال: أي: قليلة الماء؛ لأنها تذم»(٣٢/ ٢٠٤).
(٢) ليست في (ب، ل).
(٣) في (ب، ل، د): فكدت. يوافق ما في مسند أحمد، وما ثبت صحيح، ينظر (تاج العروس ٩/ ٨٩).
(٤) في (ب): أجد فيه. وفي (د): أخذ، وفي (ب، ل، د): سقيا.
(٥) أي في الدلو، بينته رواية أحمد: فرفعت الدلو إلىٰ رسول الله ﷺ، فغمس يده فيها..
(٦) هامش ظ: إليها خ. أي هكذا في نسخة أخرىٰ.
(٧) رواه أحمد (١٨٥٨٤) وإسناده صحيح. ولم أجده في مسند أبي يعلىٰ.
وقد ضعف محقق المسند هذا الحديث لأنه من رواية يونس عن البراء، وقال: «إسناده ضعيف لجهالة حال يونس- وهو ابن عبيد مولىٰ محمد بن القاسم الثقفي- قال ابن القطان: مجهول، وفال الذهبي: لا يدري من هو» . قلت: يونس هذا ليس هو يونس بن عبيد، إنما هو يونس بن جبير، كذا ورد منسوبا في دلائل النبوة للفريابي (٢٧)، ودلائل النبوة لقوام السنة (٢٢٢)، ويونس بن جبير ثقة، من رجال الشيخين، وقد تُرجم بالرواية عن البراء وبرواية حميد بن هلال عنه، فلا يلتبس بيونس بن عبيد، لاختلاف الرواة عنهما، مع اتفاقهما بالرواية عن البراء، والله أعلم.
وقوله: ساحت أي جرت نهرا، كذا فسره في رواية أحمد.

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجه طرف منه عن زياد بن الحارث الصدائي قال في آخره: «ثم قلنا: يا نبي الله، إن لنا بئرًا إذا كان الشتاء وسعنا ماؤها، واجتمعنا عليها، وإذا كان الصيف قلَّ ماؤها، فتفرقنا علىٰ مياه حولنا، وقد أسلمنا، وكل من حولنا (ظ١٠٤) عدو، فادع الله في بئرنا أن يسعنا ماؤها، فنجتمع عليها ولا نتفرق، فدعا بسبع حصيات فعركهن في يده، ودعا فيهن، ثم قال: اذهبوا بهذه الحصيات فإذا أتيتَ البئر، فألقوا واحدة واحدة، واذكروا اسم الله جلَّ وعزَّ.

قال الصدائي: ففعلنا ما قال لنا، فما استطعنا بعد أن ننظر إلىٰ قعرها»[1].

وروىٰ الإمام أحمد، عن ابن عباس قال: «أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم وليس في العسكر ماء، فأتاه رجل، فقال: يا رسول الله، ليس في العسكر ماء، قال: هل عندك شيء؟ قال: نعم، قال: فأتني به، قال: فأتاه بإناء فيه شيء من ماء قليل، قال: فجعل رسول الله ﷺ أصابعه علىٰ فم الإناء وفتح أصابعه، قال: فانفجرت من بين أصابعه عيون، وأمر بلالاً فقال: ناد في الناس الوضوء

---

(١) حديث الصدائي طويل، واقتصر المصنف علىٰ طرفه الأخير، رواه البيهقي في الدلائل (٥/ ٣٥٧) والفريابي في الدلائل (٣٨)، وأبو نعيم في الدلائل (٣٢١)، وقوام السنة (٧)، كلهم من طريق: عبدالرحمن بن زياد بن أنعم عن زياد بن نعيم عن زياد بن الحارث الصدائي، وابن أنعم ضعيف الحديث، قال الترمذي: رأيت البخاري يقوي أمره، ويقول: هو مقارب الحديث أهـ.قال يحي بن معين: ضعيف لا يسقط حديثه (تهذيب الكمال ١٧/ ١٠٦، سير أعلام النبلاء ٦/ ٤١٢).

وروىٰ أحمد (١٧٥٣٧) والترمذي (١٩٩) وابن ماجه (٧١٧) وأبو داود (٥١٤) من حديث زياد الصدائي جملة يسيرة ، وهي قوله: «أمرني رسول الله ﷺ أن أؤذن في صلاة الفجر»، فأذنت، فأراد بلال أن يقيم، فقال: رسول الله ﷺ: «إن أخا صداء قد أذن، ومن أذن فهو يقيم» وهذه الجملة هي التي عناها المؤلف، والله أعلم.

المبارك»[١].

فصل:

وأمَّا تكثير الطعام:

ففي الصحيحين «عن جابر قال: لما حُفر الخندق رأيت برسول[٢] الله ﷺ خَمَصًا، فانكفأت إلىٰ امرأتي، فقلت لها: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصًا شديدًا، فأخرجت لي جرابًا فيه صاع من شعير، ولنا بُهيْمة داجن، قال: فذبحتُها[٣] وطحنتْ، ففرغتْ إلىٰ فراغي، فقطعتُها في بُرمَتها، ثم وليتُ إلىٰ رسول الله ﷺ، فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ ومن معه، قال: فجئت فساررته، فقلت: يا رسول الله، إنا ذبحنا بُهيمة لنا، وطحنت صاعًا من شعير كان

---

(١) رواه أحمد (٢٢٦٨)، وهو من رواية أبي كدينة عن عطاء بن السائب، وقد سبق التنبيه عليه.
وفي صحيح مسلم (٢٧) قصة أخرىٰ حصلت في العسكر، وهو ما رواه الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أو عن أبي سعيد - شك الأعمش - قال: لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، قالوا: يا رسول الله، لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا، فأكلنا وادهنا، فقال رسول الله ﷺ: «افعلوا»، قال: فجاء عمر، فقال: يا رسول الله، إن فعلت قل الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة، لعل الله أن يجعل في ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، قال: فدعا بنطع، فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم، قال: فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، قال: ويجيء الآخر بكف تمر، قال: ويجيء الآخر بكسرة حتىٰ اجتمع علىٰ النطع من ذلك شيء يسير، قال: فدعا رسول الله ﷺ عليه بالبركة، ثم قال: «خذوا في أوعيتكم»، قال: فأخذوا في أوعيتهم، حتىٰ ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملئوه، قال: فأكلوا حتىٰ شبعوا، وفضلت فضلة، فقال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقىٰ الله بهما عبد غير شاك، فيحجب عن الجنة».

(٢) في (ب، ل): «رسول». في الموضعين.

(٣) في (ب، ل): فذبحت.

عندنا، فتعال أنت ونفر[1] معك، فصاح رسول الله ﷺ، وقال: يا أهل الخندق إنَّ جابرا قد صنع لكم سُؤْرًا، فحي هلاً بكم، وقال رسول الله ﷺ: لا تُنزِلُنَّ بُرمتكم، ولا تَخبُزنَّ عجينكم حتىٰ أجيء، فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس، حتىٰ جئت امرأتي فقالت: بك وبك، قلتُ[2]: قد فعلت الذي قلت لي.

فأخرجتُ له عجيننا فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلىٰ برمتنا فبصق فيها، وبارك ثم قال: ادعوا[3] لي خابزة فلتخبز معك، واقدحي من برمتكم ولا تُنزلوها[4]، وهم ألف، فأقسم بالله لأكلوا حتىٰ تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط[5] كما هي، وإن عجيننا ليُخبز كما هو»[6].

---

(١) غيرت في (ب) إلىٰ: وفقير.

(٢) في (ب، ل): قال.

(٣) كذا في الأصل ظ، وكتب فوقها صح، وكتب في الهامش: ادعي خ. أي هكذا في نسخة.
ولم يذكر الحافظ في الفتح خلافا في هذا الحرف في روايات الصحيح، وإنما ذكر: ادع خابزة، وهكذا ثبت في (ل)، ومثله في المختصر النصيح للمهلب بن أبي صفرة(٢٤٠٠)، وإرشاد الساري للقسطلاني (٦/ ٣٢٣).
وفي (ب): ادع لي جابر فليخبز.
ووقع في النسخ المطبوعة من الصحيح: ادع لي خابزة فلتخبز معي، وهكذا هو في (ب، ل)، فصار المعنىٰ: أن النبي ﷺ هو من يخبز، وهكذا هو في إرشاد الساري (٦/ ٣٢٣) عن فرع اليونينية، وفي بعضها: بدون لي، و في المختصر النصيح كالفرع (٢٤٠٠)، وهو في الأصل كما أثبته، ومثله في الفتح (٧/ ٣٩٨).

(٤) في (ب): تتركوها.

(٥) ضرب عليها في (ب) وكتب: لتنضغط.

(٦) صحيح البخاري (٤١٠٢)، صحيح مسلم (٢٠٣٩).
قوله: واقدحي، أي اغرفي، والمقدحة المغرفة (فتح الباري ٧/ ٣٩٨).

وفي رواية قال جابر: «إنَّا يوم الخندق نحفر فعرضت كُدية شديدة[1] فجاءوا إلىٰ رسول الله ﷺ فقالوا: هذه كُدية عرضت، فقال: أنا نازل، فقام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثًا لا نذوق ذواقًا، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كثيبًا أهيل، فقلت: يا رسول الله، ائذن لي إلىٰ البيت، فقلت لامرأتي: إني رأيت من رسول الله ﷺ شيئًا ما في ذلك صبر، قالت: عندي شعير وعناق، فذبحتُ العناق[2]، وطحنتِ الشعير حتىٰ جعلنا اللحم في البرمة، ثم جئت إلىٰ رسول الله ﷺ والعجين قد انكسر، والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج، فقلت: طُعيِّم لي، فقم أنت يا رسول الله، ورجل أو رجلان، قال: كم هو؟ فذكرت له، قال: كثير طيب، قال: قل لها: لا تنزع البُرمة، ولا الخبز من التنور حتىٰ آتي، قال: قوموا، فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل علىٰ امرأته قال[3]: ويحك، جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، (قالت: هل سألك؟ قلت: نعم، فقال: ادخلوا ولا تضاغطوا، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلىٰ أصحابه، ثم ينزع)[4]، فلم يزل يكسر ويغرف حتىٰ شبعوا، وبقي بقية، قال: كلي هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة»[5].

وفي الصحيحين[6] عن (ظ١٠٥) أنس بن مالك، قال: «قال أبو طلحة لأم

---

(١) الكدية قطعة صلبة من الأرض لا يؤثر فيها المعول.

(٢) في هامش (ل): وأراد بالعناق السخلة.

(٣) عدلت في (ب) إلىٰ: «قالت».

(٤) ما بين القوسين ليس في (ب، ل)، وبدله: «إلىٰ أن قال».

(٥) صحيح البخاري (٤١٠١).

(٦) حاشية بهامش الأصل: عن مالك عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة أهـ أي عن أنس.

سليم: قد سمعتُ صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ فقالت: نعم، فأخرجت أقراصًا من شعير، ثم أخذت خمارًا لها فلفت الخبز ببعضه، ثم دسَّته تحت ثوبي، وردَّتْني[1] ببعضه، ثم أرسلتني إلىٰ رسول الله ﷺ، قال: فذهبت به فوجدته جالسًا في المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم، فقال رسول الله ﷺ: آرسلك أبو طلحة[2]، قلت: نعم، (فقال: الطعام؟[3] فقلت: نعم)[4]، فقال رسول الله ﷺ لمن معه: قوموا.

قال: فانطلق وانطلقت معهم حتىٰ جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس، وليس عندنا ما نُطعمهم، فقالت: الله ورسوله أعلم، قال: فانطلق أبو طلحة حتىٰ لقي رسول الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ معه حتىٰ دخل، فقال رسول الله ﷺ: هلمي يا أم سُليم ما عندك، فأتت بذلك الخبز ففُتَّ، وعصرت عليه أم سُليم عكة لها فآدمته، ثم قال فيه رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقول، ثم قال: ائذن لعشرة، فأذن لهم، فأكلوا حتىٰ شبعوا، ثم خرجوا ثم قال: ائذن لعشرة، فأذن لهم فأكلوا حتىٰ شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: ائذن لعشرة، فأذن لهم حتىٰ أكل القوم كلهم وشبعوا، والقوم سبعون رجلا أو ثمانون»[5].

---

(١) في بعض طرق البخاري: ولاثتني به، أي لفت بعضه علىٰ رأسه وبعضه علىٰ إبطه من الالتياث، وهو الالتفاف (فتح الباري٦/ ٥٨٩).

(٢) في الأصل: «ارسلك» من غير مد، والضبط من إرشاد الساري (١/ ٤٢٥).

(٣) كذا في الأصل، وفي (ل): بطعام، وفي بعض نسخ الصحيح: لطعام، وفي بعضها: للطعام، وفي بعضها: بطعام (فتح الباري ٦/ ٥٨٩، إرشاد الساري ٨/ ٢١٣).

(٤) ما بين القوسين ليس في (ب).

(٥) صحيح البخاري (٣٥٧٨)، صحيح مسلم (٢٠٤٠) واللفظ له.

وفي طريق للبخاري: ثمانون[1].

وقال في رواية: ثم أكل رسول الله ﷺ وأبو طلحة وأم سليم وأنس، وفضل فضلة فأهديناه لجيراننا[2].

---

(١) صحيح البخاري (٥٣٨١). وفي (ب): ثمانون رجلا.

(٢) صحيح مسلم (٢٠٤٠/ ٤-٥).

وفي هامش الأصل ظ حاشية صورتها:

[وقال مسلم في صحيحه (٢٠٤٠): حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا عبد الله بن نمير، ح وثنا ابن نمير، واللفظ له، ثنا أبي، ثنا سعد بن سعيد، قال: حدثني أنس بن مالك، قال: بعثني أبو طلحة إلىٰ رسول الله ﷺ أدعوه، وقد جعل طعاما، قال: فأقبلت ورسول الله ﷺ مع الناس، فنظر إلي فاستحييت، فقلت: أجب أبا طلحة، فقال للناس: «قوموا»، فقال أبو طلحة: يا رسول الله، إنما صنعنا لك شيئا، قال: فمسها رسول الله ﷺ ودعا فيها بالبركة، ثم قال: «أدخل نفرا من أصحابي عشرة»، وقال: «كلوا»، وأخرج لهم شيئا من بين أصابعه، فأكلوا حتىٰ شبعوا فخرجوا، فقال: «أدخل عشرة»، فأكلوا فخرجوا، فما زال يدخل عشرة ويخرج عشرة حتىٰ لم يبق منهم أحد إلا دخل، فأكل حتىٰ شبع، ثم هيأها فإذا هي مثلها حين أكلوا منها.

وفي رواية لمسلم في هذا الحديث: ثم أخذ ما بقي فجمعه، ثم دعا فيه بالبركة، فعاد كما كان، فقال: «دونكم هذا».

وحدثني عمرو الناقد، ثنا عبد الله بن جعفر الرقي، ثنا عبيد الله بن عمرو، عن عبد الملك بن عمير، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، عن أنس بن مالك، قال:

أمر أبو طلحة أم سليم أن تصنع للنبي ﷺ طعاما لنفسه خاصة، ثم أرسلني -وساق الحديث- وقال فيه: فوضع النبي ﷺ يده وسمىٰ عليه، ثم قال: «ائذن لعشرة»، فأذن لهم فدخلوا، فقال: «كلوا وسموا الله»، فأكلوا حتىٰ فعل ذلك بثمانين رجلا، ثم أكل النبي ﷺ بعد ذلك وأهل البيت، وتركوا سؤرا.

وحدثنا عبد بن حميد، قال: حدثني عبدالله بن مسلمة، ثنا عبدالعزيز بن محمد، عن عمرو بن يحيىٰ، عن أبيه، عن أنس بن مالك، بهذه القصة في طعام أبي طلحة، عن النبي ﷺ.

وقال فيه:

فقام أبو طلحة علىٰ الباب حتىٰ أتىٰ رسول الله ﷺ، فقال له: يا رسول الله، إنما كان شيئا يسيرا، فقال له: «هلمه فإن الله سيجعل فيه البركة». =

= حدثنا عبد بن حميد، ثنا خالد بن مخلد البجلي، قال: حدثني محمد بن موسىٰ، قال: حدثني عبدالله بن عبدالله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ بهذا الحديث، وقال فيه:

ثم أكل رسول الله ﷺ، وأكل أهل البيت، وأفضلوا ما أبلغوا جيرانهم.

وحدثنا حسن بن علي الحلواني، ثنا وهب بن جرير، ثنا أبي،، قال: سمعت جريرا، يحدث عن عمرو بن عبدالله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك، قال:

رأىٰ أبو طلحة رسول الله ﷺ مضطجعا في المسجد يتقلب ظهرا لبطن، فأتىٰ أم سليم، فقال: إني رأيت رسول الله ﷺ مضطجعا في المسجد يتقلب ظهرا لبطن وأظنه جائعا - وساق الحديث- وقال فيه: ثم أكل رسول الله ﷺ وأبو طلحة، وأم سليم، وأنس، وفضلت فضلة فأهديناها لجيراننا.

وحدثني حرملة بن يحيىٰ التجيبي، ثنا عبد الله بن وهب، قال: أخبرني أسامة، أن يعقوب بن عبدالله بن أبي طلحة الأنصاري، حدثه أنه سمع أنس بن مالك يقول:

جئت رسول الله ﷺ يوما فوجدته جالسا مع أصحابه يحدثهم، وقد عصب بطنه بعصابة، قال أسامة: وأنا أشك علىٰ حجر، فقلت لبعض أصحابه: لم عصب رسول الله ﷺ بطنه؟ فقالوا: من الجوع، فذهبت إلىٰ أبي طلحة وهو زوج أم سليم بنت ملحان، فقلت: يا أبتاه، قد رأيت رسول الله عصب بطنه بعصابة، فسألت بعض أصحابه، فقالوا: من الجوع، فدخل أبو طلحة علىٰ أمي، فقال: هل من شيء؟ فقالت: نعم، عندي كسر من خبز وتمرات، فإن جاءنا رسول الله ﷺ وحده أشبعناه، وإن جاء آخر معه قل عنهم، ثم ذكر سائر الحديث بقصته.

ورواه مسلم من حديث النضر بن أنس قال: نحو حديثهم].

انتهت الحاشية، وقد حشد فيها الناسخ طرق حديث أنس كما وردت في صحيح مسلم.

وفي هذه الأحاديث ونحوها بيان خطأ الإمام ابن حبان في رده ربط النبي ﷺ الحجر علىٰ بطنه من الجوع، فإنه روىٰ حديث: أنس بن مالك (٣٥٧٩)، أن النبي ﷺ قال: «لا تواصلوا»، قالوا: إنك تواصل، قال: «إني لست كأحدكم، إني أطعم وأسقىٰ»، ثم أعقبه بقوله: «هذا الخبر دليل علىٰ أن الأخبار التي فيها ذكر وضع النبي ﷺ الحجر علىٰ بطنه هي كلها أباطيل، وإنما معناها الحجز لا الحجر، والحجز طرف الإزار، إذ الله جل وعلا كان يطعم رسول الله ﷺ ويسقيه إذا واصل فكيف يتركه جائعا مع عدم الوصال حتىٰ يحتاج إلىٰ شد حجر علىٰ بطنه، وما يغني الحجر عن الجوع». =

وفي صحيح مسلم عن سلمة قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة خيبر فأمرنا أن نجمع ما في أزوادنا - يعني من التمر - فبسط نطعًا فنثرنا عليه أزوادنا، قال: فتمطيت فتطاولت فنظرت، فحزرته كربضة شاة، ونحن أربع عشرة مائة، قال: فأكلنا ثم، تطاولت فنظرته فحزرته كربضة الشاة»(١).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة وأبي سعيد وسلمة بن الأكوع -واللفظ لمسلم- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كنَّا مع رسول الله ﷺ في مسير، قال: فنفدت أزواد القوم حتىٰ هموا بنحر بعض حمائلهم، قال: فقال عمر: يا رسول الله، لو جمعت ما بقي من أزواد القوم فدعوتَ الله عليها.

قال: ففعل، فجاء ذو البُر ببُره، وذو التمر بتمره، وذو النوىٰ بنواه.

-قيل: وما كانوا يصنعون بالنوىٰ؟ قال: يمصونه، ويشربون عليه الماء-.

قال: فدعا عليها حتىٰ ملأ القوم أزودتهم، قال: فقال عند ذلك: أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقىٰ الله بهما عبد غير شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة»(٢).

= قال الحافظ (في فتح الباري ٤/ ٢٠٨): «وقد أكثر الناس من الرد عليه في جميع ذلك، وأبلغ ما يرد عليه به أنه أخرج في صحيحه من حديث ابن عباس قال: خرج النبي ﷺ بالهاجرة فرأىٰ أبا بكر وعمر، فقال: ما أخرجكما؟ قالا: ما أخرجنا إلا الجوع، فقال: وأنا والذي نفسي بيده ما أخرجني إلا الجوع، الحديث، فهذا الحديث يرد ما تمسك به، وأما قوله: وما يغني الحجر من الجوع؟ فجوابه أنه يقيم الصلب، لأن البطن إذا خلا ربما ضعف صاحبه عن القيام لانثناء بطنه عليه، فإذا ربط عليه الحجر اشتد وقوي صاحبه علىٰ القيام، حتىٰ قال بعض من وقع له ذلك: كنت أظن الرجلين يحملان البطن فإذا البطن يحمل الرجلين».

(١) صحيح مسلم (١٧٢٩).

(٢) هذا حديث أبي هريرة، رواه مسلم في الصحيح (٢٧)، وسيذكر المصنف بقية الروايات تباعا.

وفي لفظ آخر قال: «لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، فقالوا: يا رسول الله، لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا، فقال رسول الله ﷺ: افعلوا.

قال: فجاء عمر، فقال: يا رسول الله، إن فعلت قلَّ الظهر.

-وفي رواية: ما بقاؤهم بعد إبلهم- ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع الله لهم بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك، فقال رسول الله ﷺ: نعم، فدعا بنطع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم، قال: فجعل الرجل يجيء بكف ذرة،[1] وجعل الآخر يجيء بكف تمر، وجعل يجيء الآخر بكسرة حتىٰ اجتمع علىٰ النطع من ذلك شيء يسير، قال: فدعا رسول الله ﷺ بالبركة، ثم قال: خذوا في أوعيتكم، قال: فأخذوا في أوعيتهم حتىٰ ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملؤه.

قال: فأكلوا حتىٰ شبعوا، وفضلت فضلة» الحديث[2].

وروىٰ البخاري من حديث سلمة بن الأكوع بنحوه.

قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فأصابنا جهد حتىٰ هممنا أن ننحر بعض ظهرنا، فأمرنا رسول الله ﷺ فجمعنا مزاودنا (ظ١٠٦) فبسطنا له نطعًا، فاجتمع زاد القوم علىٰ النطع، قال: فتطاولتُ لأحزره كم هو، فحزرته كربضة العنز، ونحن أربع عشرة مائة، قال: فأكلنا حتىٰ شبعنا جميعًا، ثم حشونا جُربنا.

---

(١) في (ب) زيادة: قال.

(٢) رواه مسلم (٢٧) من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو أبي سعيد، شك الأعمش.

فقال نبي الله ﷺ: فهل من وضوء؟ قال: فجاء رجل بإدواة فيها نطفة، فأفرغها في قدح، فتوضأنا كلنا نُدَغْفِقه دَغْفَقة[1] أربع عشرة مائة.

ثم جاء بعد ذلك ثمانية، فقالوا: هل من طهور؟ فقال رسول الله ﷺ: فرغ الوضوء»[2].

وفي صحيح مسلم عن جابر «أنَّ أم مالك[3] كانت تهدي للنبي ﷺ في عكة لها سمنًا، فيأتيها بنوها فيسألون الأدم، وليس عندهم شيء فتعمد إلىٰ الذي كانت تهدي فيه للنبي ﷺ فتجد فيها سمنًا، قال: فما زال يقيم لها أُدْم بيتها[4] حتىٰ عصرته، فأتت النبي ﷺ فقال: عصرتيها؟ قالت: نعم، قال: لو تركتيها ما زال قائمًا»[5].

وروىٰ مسلم في صحيحه عن جابر أيضًا قال: «جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ يستطعمه، فأطعمه شطر وسق شعير، فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما، حتىٰ كاله، فأتىٰ النبي ﷺ فقال: لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم»[6].

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: «تزوج النبي ﷺ زينب، فدخل بأهله، قال: فصنعت أمي[7] أم سليم حَيسًا، فجعلته في تَوْر من حجارة، فقالت:

---

(١) يقال: دغفق الماء إذا دفقه وصبه صبا كثيرا واسعا. وفلان في عيش دغفق: أي واسع (النهاية في غريب الحديث ٢/ ١٢٣).

(٢) صحيح البخاري (٢٤٨٦)، صحيح مسلم (١٧٢٩) واللفظ له.

(٣) في (ب): أم مليك.

(٤) في (ب): بنيها.

(٥) صحيح مسلم (٢٢٨٠).

(٦) صحيح مسلم (٢٢٨١).

(٧) ليس في (ب).

يا أنس، اذهب بهذا إلىٰ رسول الله ﷺ، فقل: بعثتْ بهذا أمي إليك، وهي تقرئك السلام، وتقول: إن هذا لك منا قليل يا رسول الله، قال: فذهبتُ بها إلىٰ رسول الله ﷺ فقلت: إن أمي تقرئك السلام وتقول: إن هذا لك منا قليل[(١)]، فقال: ضعه، ثم قال: اذهب فادع لي فلانًا وفلانًا وفلانًا ومن لقيتَ، وسمَّىٰ رجالاً.

قال: فدعوت من سمىٰ ومن لقيت، قال الجعد - وهو الراوي عن أنس[(٢)]- عدد كم كانوا؟ قال: كانوا زهاء ثلاثمائة.

وقال لي رسول الله ﷺ: يا أنس، هات التَّوْر[(٣)]، قال: فدخلوا حتىٰ امتلأت الصفة والحجرة، فقال رسول الله ﷺ: ليتحلق عشرة عشرة، وليأكل كل إنسان مما يليه، قال: فأكلوا حتىٰ شبعوا.

قال: فخرجت طائفة، ودخلت طائفة حتىٰ أكلوا كلهم، فقال: يا أنس، ارفع، فرفعت فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت، قال: وجلس طوائف منهم يتحدثون، وذكر نزول آية الحجاب»[(٤)].

وروىٰ البخاري عن أنس أيضًا: «أن أم سليم عمدت إلىٰ مدٍّ من شعير جشَّته، وجعلت منه خَطيفة، وعصرت عُكَّة عندها، ثم بعثتني إلىٰ رسول الله ﷺ،[(٥)]فأتيته وهو في أصحابه فدعوته، قال: ومن معي، فجئت، فقلت: إنه يقول: ومن معي،

---

(١) في (ب، ل) زيادة: يا رسول الله.

(٢) وهو الجعد أبو عثمان اليشكري البصري، من رجال البخاري ومسلم.

(٣) التور الإناء، وقد وصفه في الحديث أنه من حجارة (النهاية ١/ ١٩٩).

(٤) صحيح البخاري (٤٢١١)، صحيح مسلم (١٤٢٨) واللفظ له.

وقد ترجم عليه البخاري في بعض تراجمه: باب الحيس، وأصل الحيس ما يتخذ من التمر والأقط والسمن، وقد يجعل عوض الأقط الفتيت، أو الدقيق (فتح الباري ٩/ ٥٥٤).

(٥) في (ب) زيادة: قال.

فخرج إليه أبو طلحة فقال: يا رسول الله، إنما هو شيء صنعته أم سليم، فدخل فجيء به، وقال: أدخل عشرة، حتىٰ عد أربعين، ثم أكل النبي ﷺ، ثم قام فجعلت أنظر هل نقص منها شيء؟»(١).

وعن سمرة بن جندب قال: «كنا مع رسول الله ﷺ نتداول قصعة من غدوة إلىٰ الليل، يقوم عشرة ويقعد عشرة، فقلنا: ما كانت تُمدُّ؟ قال: فمن أي شيء تعجب؟ ما كانت تمدُّ إلا من ههنا، وأشار بيده إلىٰ السماء».

رواه النسائي والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، ورواه الدارمي والحاكم في صحيحه(٢).

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة أنه كان يقول: «والله الذي لا إله إلاَّ هو إن كنت لأعتمد علىٰ الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر علىٰ بطني من الجوع، ولقد (ظ١٠٧) قعدت يومًا علىٰ طريقهم الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليستتبعني، فمرَّ فلم يفعل، ثم عمر فسألته عن آية من كتاب الله (ما سألته)(٣) إلا ليستتبعني فمر فلم يفعل.

ثم مرَّ بي أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآني، وعرف ما في وجهي وما في نفسي، ثم قال: يا أبا هر، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: الحق، ومضىٰ فاتبعته،

---

(١) صحيح البخاري (٥٤٥٠).
قال ابن الأثير: الخطيفة لبن يطبخ بدقيق، ويختطف بالملاعق بسرعة (النهاية ٢/ ٤٩)، وقال الحافظ: الخطيفة هي العصيدة وزنًا ومعنىٰ (فتح الباري ٦/ ٥٨٩).
(٢) رواه أحمد (٢٠١٩٦)، والدارمي (٥٧)، والترمذي (٣٦٢٥)، والنسائي في الكبرىٰ (٦٧٠٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٧)، وقال: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ورواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٩٣)، وقال: هذا إسناد صحيح.
(٣) ليس في (ب).

فدخل فاستأذن، فأذن لي، فدخلت فوجد لبنًا في قدح، فقال: من أين هذا اللبن؟ قالوا: أهداه لك فلان، أو فلانة، قال: أبا هر، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: الحق أهل الصفة فادعهم لي.

قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون إلىٰ أهل ولا إلىٰ مال، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شَربة أتقوىٰ بها، فإذا جاءوا أمرني فكنت أنا أعطيهم، وما عسىٰ أن يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بُدٌّ، فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا واستاذنوا فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت.

فقال: يا أبا هر، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: خذ فأعطهم، قال: فأخذت القدح، فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتىٰ يرویٰ، ثم يرد علي القدح فأعطيه الآخر فيشرب حتىٰ يرویٰ[1]، ثم يرد علي القدح حتىٰ انتهيت إلىٰ النبي ﷺ، وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه علىٰ يده[2] فنظر إلي فتبسم، فقال: أبا هر، قلت: لبيك يا رسول الله. قال: بقيت أنا وأنت. قلت: صدقت يا رسول الله، قال: اقعد فاشرب، فقعدت فشربت، فقال: اشرب، فشربت، فما زال يقول: اشرب، حتىٰ قلت: لا، والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكًا، قال: فأرني، فأعطيته القدح، فحمد الله، وسمىٰ وشرب الفضلة»[3].

---

(١) في (ب، ل) زيادة: «ثم يرد علي القدح فأعطيه الآخر فيشرب حتىٰ يروي».
وليست هذه الزيادة في الأصل ولا في الصحيح.

(٢) غيرها في (ب) إلىٰ: ثغره.

(٣) صحيح البخاري (٦٤٥٢).

وفي الصحيحين عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال: «كنا مع رسول الله ﷺ ثلاثين ومائة، فقال النبي ﷺ: هل مع أحد منكم طعام؟ فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه، فعُجن، ثم جاء رجل مُشعان[1] طويل بغنم يسوقها، فقال النبي ﷺ: أبيعًا[2] أم عطية؟ أو قال: هبة؟ قال: بل بيع.

فاشترىٰ منه شاة فصُنعت، وأمر النبي ﷺ بسواد البطن[3] أن يشوىٰ، وأيم[4] الله ما في الثلاثين ومائة إلاَّ من قد حزَّ له النبي ﷺ حزَّة من سواد بطنها، إن كان شاهدًا أعطاه إياه، وإن كان غائبا خبَّأ له، فجعل منها قصعة، فأكلوا أجمعون، وشبعنا، ففضلت القصعتان فحملناه علىٰ البعير» أو كما قال[5].

---

(١) حاشية في هامش الأصل (ظ، ب): المشعان منتفش الشعر ثائر الراس أهـ (انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ٤٨٢).

(٢) في (ب): أبيع.

(٣) سواد البطن أي الكبد (النهاية ٢/ ٤١٩). وهكذا ثبت في هامش (ب).

(٤) كذا في الأصل ظ بهمزة قطع، قال ابن الأثير: «أيم الله من ألفاظ القسم، كقولك لعمر الله وعهد الله، وفيها لغات كثيرة، وتفتح همزتها وتكسر، وهمزتها وصل، وقد تقطع» (النهاية ١/ ٨٦).

(٥) صحيح البخاري (٢٦١٨)، صحيح مسلم (٢٠٥٦).
حاشية في هامش الأصل ظ:
[وقال الإمام أحمد: ثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي صالح قال:
دخل أعرابي علىٰ النبي ﷺ، فلم يجد شيئا يطعمه، فدعا ربه، فأتي بلقمة، فذهب الأعرابي ليأخذها، فمنعه، ثم جزأها له أجزاء، قال: فأكل حتىٰ شبع، وفضلت فضلة.
وقال عبدالله بن الإمام أحمد: ثنا محمد بن عبدالله بن نمير ثنا حفص بن غياث، عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: دخل أعرابي، فذكر نحو هذا الحديث].
قلت: حديث أحمد رواه ابنه صالح عنه في زوائد الزهد (حديث: ٢)، ولم أقف علىٰ حديث عبدالله بن أحمد.

وأما الثمار:

ففي صحيح البخاري «عن جابر بن عبد الله أن أباه استشهد، وترك دينًا، وترك ستَّ بنات، فلما حضر جَدَاد[1] النخل قال: أتيت النبي ﷺ، فقلت: قد علمت أن والدي قد استشهد يوم أحد وترك دينًا كثيرًا، وإني أحب أن يراك الغرماء.

قال: اذهب فبيدر كل تمر علىٰ ناحية.

ففعلت، ثم دعوته، فلما نظروا إليه كأنهم أغروا بي تلك الساعة، فلما رأىٰ ما يصنعون أطاف حول أعظمها بيدرًا ثلاث مرات، ثم جلس عليه، ثم قال: ادع لي أصحابك، فما زال يكيل لهم حتىٰ أدَّىٰ الله عن والدي أمانته، وأنا أرضىٰ أن يؤدي الله عن والدي أمانته، ولا أرجع إلىٰ أخواتي بتمرة، فسلم الله البيادر كلها، حتىٰ إني لأنظر إلىٰ البيدر الذي كان عليه النبي ﷺ كأنه[2] (ظ١٠٨) لم ينقص تمرة واحدة»[3].

وفي رواية: «أن أباه ترك عليه ثلاثين وسقًا لرجل من اليهود، فاستنظره جابر، فأبىٰ أن ينظره، فكلَّم جابر رسول الله ﷺ يشفع له إليه، فجاءه وكلم اليهودي ليأخذ تمر نخله بالذي له فأبىٰ، فدخل رسول الله ﷺ النخل فمشىٰ فيها، ثم قال لجابر: جُدَّ له فأوف له، فجدَّ له بعد ما راح رسول الله ﷺ ثلاثين وسقًا، وفضل له سبعة عشر وسقًا، فجاء جابر ليخبره بالذي كان، فوجده يصلي العصر، فلما انصرف أخبره بالفضل، فقال: أخبر بذلك ابن الخطاب،

---

(١) في (ب): «جذاذ»، والجداد والجذاذ بمعنىٰ واحد، وهو الصرام (فتح الباري٩/ ٥٦٧).

(٢) في (ب، ل): كأنها.

(٣) صحيح البخاري (٢٧٨١).

فذهب جابر إلىٰ عمر فأخبره، فقال عمر: لقد علمتُ حين مشىٰ فيها رسول الله ﷺ ليُباركنَّ فيها»(١).

وروىٰ الإمام أحمد والترمذي، وغيرهما **حديث مزود أبي هريرة:**

قال أحمد: حدثنا يونس، ثنا حماد بن زيد، عن المهاجر، عن أبي العالية، عن أبي هريرة قال: «أتيتُ النبي ﷺ بتمرات، وقلت: ادع الله لي فيهن بالبركة، قال: فصفهن بين يديه، قال: ثم دعا، فقال لي: اجعلهنَّ في مزودك، وأدخل يدك ولا تنثره، قال: فحملتُ منه كذا وكذا وسقًا في سبيل الله، ونأكل ونطعم، وكان لا يفارق حقوي، فلما قتل عثمان انقطع من حقوي فسقط».

ورواه الترمذي، عن عمران بن موسىٰ القزاز، عن حماد بنحوه، وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه(٢).

ورواه الحافظ عبد الغني(٣) وغيره من طريق أخرىٰ، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: «كان رسول الله ﷺ في غزاة، فأصابهم عوز من الطعام فقال يا: أبا هريرة، عندك شيء؟ قال: قلت: شيء من التمر في مزود لي قال: جيءْ به، فجئت بالمزود، قال: هات نطعًا، فجئت بالنطع فبسطه، فأدخل يده فقبض علىٰ التمر، فإذا هو إحدىٰ وعشرين(٤) تمرة، قال: ثم قال: باسم الله، فجعل يضع كل تمرة، ويسمي حتىٰ أتىٰ علىٰ التمر، فقال به هكذا، فجمعه،

---

(١) صحيح البخاري (٢٣٩٦).
(٢) رواه أحمد (٨٦٢٨)، والترمذي (٣٨٣٩)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ١٠٩)، وإسناده حسن.
(٣) كذا في الأصل، وعبدالغني من مصادر المصنف، وكأن عبدالغني رواه من طريق البيهقي في الدلائل والله أعلم.
(٤) كذا في الأصول كلها، وفي المصادر: إحدىٰ وعشرون. وهو الوجه.

فقال: ادعوا فلانًا وأصحابه، فأكلوا وشبعوا وخرجوا، ثم قال: ادعوا فلانا وأصحابه، فأكلوا وشبعوا وخرجوا، قال: وفضل تمر، قال: فقال لي: اقعد، فقعدت فأكل وأكلت، قال: وفضل تمر فأخذه فأدخله في المزود، فقال: يا أبا هريرة، إذا أردت شيئًا فأدخل يدك[1] ولا تكفأ فيُكفأ عليك.

قال: فما كنت أريد تمرًا إلا أدخلت يدي فأخذت منه خمسين وسقًا في سبيل الله ﷺ، وكان معلقًا خلف ظهري، فوقع زمان عثمان فذهب»[2].

ورواه من طريق يزيد بن أبي منصور، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: «أُصبت بثلاث: بموت النبي ﷺ، وكنت صويحبه، وخويدمه.

وبقتل عثمان.

والمزود، وأما المزود: كنا مع رسول الله ﷺ فأصاب الناس مخمصة، فقال لي رسول الله ﷺ: هل من شيء يا أبا هريرة؟ فقلت: نعم، شيء من تمر في مزود، قال: فائتني به، فأتيته به، فأدخل يده فأخرج قبضة[3] فبسطها، ثم قال: ادع لي عشرة، فأكلوا حتىٰ شبعوا، ثم أدخل يده فأخرج قبضة فبسطها، ثم قال: ادع لي عشرة، فأكلوا حتىٰ شبعوا، فما زال يصنع كذلك حتىٰ أطعم الجيش كلهم وشبعوا، ثم قال: خذ ما جئت به، وأدخل يدك واقبض، ولا تكفه.

قال أبو هريرة: فقبضت علىٰ أكثر مما جئت به.

ثم قال أبو هريرة: ألا أحدثكم عما أكلت منه، أكلت حياة رسول الله ﷺ وأطعمت، وحياة أبي بكر وأطعمت، وحياة عمر وأطعمت، وحياة عثمان

---

(١) في (ب، د) زيادة: فخذ.

(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ١١٠)، وإسناده جيد.

(٣) في (ب): قبصة.

وأطعمت، فلما قتل عثمان انتُهب بيتي وذهب المزود»[1].

وروىٰ الإمام أحمد في مسنده: حدثنا يعلىٰ بن عبيد، ثنا إسماعيل، عن قيس، عن دُكين بن سعيد المزني[2] قال: «أتينا رسول الله ﷺ أربعين وأربعمائة نسأله الطعام، فقال لعمر: اذهب فأعطهم[3]، فقال: يا رسول الله (ظ١٠٩)، ما بقي إلا آصع[4] من تمر ما أرىٰ تُقَيِّظني[5]، قال: اذهب فأعطهم[6]، قال: سمع وطاعة، قال: فأخرج عمر المفتاح من حُجْزته[7]، ففتح الباب، فإذا شبه الفصيل الرابض من تمر، فقال لنا: خذوا، فأخذ كل رجل منا ما أحب، ثم التفتُّ وكنتُ من آخر القوم، وكأنَّا لم نرزأ تمرة».

ورواه أبو داود، عن عبد الرحيم بن مطرف، عن عيسىٰ بن يونس، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن دكين.

قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي: وإسناده علىٰ شرط الصحيح[8].

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ١١٠)، وأبو نعيم في الدلائل (٣٤٢)، ويزيد بن أبي منصور لا بأس به، لكن والده لم أقف له علىٰ ترجمة.

(٢) في الأصل ظ: المدني، تصحف، والتصحيح من باقي النسخ ومن مصادر ترجمة دكين، وهي كثيرة.

(٣) في المسند: أربعين راكبا وأربع مائة..

(٤) في (ب): أصيع.

(٥) تصحف هذا الحرف فيما سوىٰ الأصل، ففي (ب): ما أراه يقتضني، وفي (ل): يقيضني، وفي (د): تقبصني.

(٦) في (ل): قال: فأطعمهم.

(٧) الحجزة موضع مشد الإزار، والجمع: حجز (النهاية ١/ ٣٤٤).

(٨) رواه أحمد (١٧٥٧٧)، وأبو داود(٥٢٣٨)، وأبو نعيم في الدلائل (٣٣٣)، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٣٦٧).

في هامش الأصل ظ: بلغ مقابلة.

فصل:

وأما النوع الخامس[1]: تأثيره في الأحجار وتصرفه فيها وتسخيرها له.

ففي صحيح البخاري عن أنس قال: «صَعِدَ النبي ﷺ أُحدًا، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم الجبل، فقال: اسكن - وضربه برجله - فليس عليك إلا نبي، وصديق، وشهيدان»[2].

وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «إني لأعرف حجرًا بمكة كان يُسلم عليَّ قبل أن أُبعث، إني لأعرفه الآن»[3].

وفي الترمذي عن علي، قال: «كنت مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله شجر ولا جبل إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله». ورواه الحاكم في صحيحه[4].

---

(١) كذا في كل الأصول الخطية، وحقه أن يكون السادس، كما سبق ونبهنا علىٰ النوع الماضي.
إلا أن كلمة الخامس في الأصل (د) مغيرة، كأنها كانت السادس فغيرها إلىٰ الخامس.

(٢) صحيح البخاري (٣٦٧٥).
وهاهنا حاشية في الأصل (د): «قوله في صحيح البخاري قلت: وكذا في صحيح مسلم فهو متفق عليه هـ سفاريني».
قلت: هو في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة (٢١٤٧)، ولفظه: عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ، كان علىٰ حراء هو وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: «اهدأ فما عليك إلا نبي، أو صديق، أو شهيد».
ولم يخرجه البخاري من حديث أبي هريرة، ولم يخرجه مسلم من حديث أنس.

(٣) صحيح مسلم (٢٢٧٧). وليس هو في صحيح البخاري.

(٤) رواه الترمذي (٣٦٢٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٩) وفي إسناده: الوليد بن أبي ثور ضعيف الحديث.

وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع قال: «غزونا مع رسول الله ﷺ حُنينًا، فلما واجهنا العدو تقدمته، فأعلو ثنية، فاستقبلني رجلٌ من العدو فأرميه بسهم فتوارىٰ عني، فما دريت ما صنع، ونظرت إلىٰ القوم فإذا هم قد طلعوا من ثنية أخرىٰ، فالتقوا هم وأصحاب النبي ﷺ، فولىٰ أصحاب النبي ﷺ، وأرجع منهزمًا، وعلي بردتان متزرٌ بإحداهما ومُرتَدٍ[1] بالأخرىٰ، فاستطلق إزاري فجمعتهما جميعا، ومررت علىٰ رسول الله ﷺ منهزمًا[2] وهو علىٰ بغلته الشهباء، فقال رسول الله ﷺ: لقد رأىٰ ابن الأكوع فزعًا، فلما غشوا النبي ﷺ نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب الأرض، واستقبل به وجوههم، وقال: شاهت الوجوه، فما خلق الله منهم إنسانًا إلاَّ ملأ عينيه ترابًا بتلك القبضة، فولوا مدبرين، فهزمهم الله»[3].

وفي صحيح مسلم عن العباس بن عبد المطلب قال: «شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ، فلم نفارقه، ورسول الله ﷺ علىٰ بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نُفاثة الجذامي، فلما التقىٰ المسلمون والكفار ولىٰ المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يُركض بغلته قِبل الكفار.

قال العباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفُّها، إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: أي عباس، ناد أصحاب السمرة، فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر علىٰ

---

(١) كذا في الأصل، وفي (ب، ل): متزر..مرتديا، وفي (د): متزرا.. مرتديا.
(٢) حال من سلمة، أي أنه كان منهزما لما مر بالنبي ﷺ.
(٣) صحيح مسلم (١٧٧٧).

أولادها: يا لبيك يا لبيك.

قال: فاقتتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار، ثم قصرت الدعوة علىٰ بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله ﷺ وهو علىٰ بغلته كالمتطاول عليها إلىٰ قتالهم، فقال رسول الله ﷺ: «هذا حين حَمِيَ الوَطِيس»[1].

ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمىٰ وجوه الكفار، ثم قال: انهزموا ورب الكعبة، قال: فذهبت أنظر فإذا القتال علىٰ (ظ١١٠) هيئته فيما أرىٰ، فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرىٰ حدَّهم كليلاً، وأمرهم مدبرًا حتىٰ هزمهم الله»[2]

وقد قال الله تعالىٰ: عن يوم بدر: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

---

(١) قال النووي: «قال الأكثرون: هو شبه التنور يسجر فيه، ويضرب مثلا لشدة الحرب التي يشبه حرها حره ،وقد قال آخرون: الوطيس هو التنور نفسه، وقال الأصمعي: هي حجارة مدورة إذا حميت لم يقدر أحد يطأ عليها، فيقال: الآن حمي الوطيس، وقيل: هو الضرب في الحرب، وقيل: هو الحرب الذي يطيس الناس أي يدقهم، قالوا: وهذه اللفظة من فصيح الكلام وبديعه الذي لم يسمع من أحد قبل النبي ﷺ» (شرح مسلم ١٢/ ١١٦).

(٢) صحيح مسلم (١٧٧٦).

قال النووي: «هذا فيه معجزتان ظاهرتان لرسول الله ﷺ إحداهما: فعلية، والأخرىٰ: خبرية، فإنه ﷺ أخبر بهزيمتهم ورماهم بالحصيات فولوا مدبرين، وذكر مسلم في الرواية الأخرىٰ في آخر هذا الباب أنه ﷺ قبض قبضة من تراب من الأرض ثم استقبل بها وجوههم فقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا من تلك القبضة، وهذا أيضا فيه معجزتان خبرية وفعلية، ويحتمل أنه أخذ قبضة من حصىٰ وقبضة من تراب فرمىٰ بذا مرة وبذا مرة، ويحتمل أنه أخذ قبضة واحدة مخلوطة من حصىٰ وتراب»(شرح مسلم١٢/ ١١٦).

وروىٰ ابن إسحاق عن جماعة، منهم: عروة والزهري وعاصم بن عمر وغيرهم، قالوا: «فكان رسول الله ﷺ في العريش هو وأبو بكر، ما معهما غيرهما، وقد تدانىٰ القوم بعضهم من بعض، فجعل رسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده من نصره، ويقول: اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة لا تعبد، وأبو بكر يقول: بعضَ مناشدتك ربك يا رسول الله، فإن الله سينجز لك ما وعدك من نصره.

وخفق رسول الله ﷺ خفقة ثم هبَّ، فقال رسول الله ﷺ: أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله ﷻ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده، علىٰ ثناياه النقع - يقول: الغبار -.

ثم خرج رسول الله ﷺ فعبأ أصحابه وهيأهم، وقال: لا يعجلن رجل منكم بقتال حتىٰ نؤذنه، فإذا أكثبكم القوم - يقول: قربوا منكم - فانضحوهم عنكم بالنبل، ثم تزاحم الناس فلما تدانىٰ بعضهم من بعض خرج رسول الله ﷺ، فأخذ حفنة من حصباء ثم استقبل بها قريشًا، فنفخ بها وجوههم، وقال: شاهت الوجوه، ثم قال رسول الله ﷺ: احملوا عليهم يا معشر المسلمين، فحمل المسلمون وهزم الله قريشًا، وقُتل مَن قُتل من أشرافهم، وأُسر من أُسر منهم»(١).

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل من طريق ابن إسحاق (٣/ ٨٠).
وانظر: السيرة لابن هشام ٣/ ١٧٤، وتفسير الطبري ١٣/ ٤٠٠.
وإنما أورده المصنف لقوله: فأخذ حفنة من حصباء ثم استقبل بها قريشا، فنفخ بها وجوههم..الخ، وقد روىٰ مسلم في الصحيح (١٧٦٣) بعض هذا الحديث، لكن ليس فيه هذه الجملة.

وفي حديث ابن أبي طلحة الوالبي[1]، عن ابن عباس: «فقال له جبريل: خذ قبضة من تراب، فأخذ قبضة من تراب، ورمىٰ بها وجوههم، فما من المشركين من أحد إلا وأصاب عينيه ومنخريه وفمه ترابًا من تلك القبضة، فولوا مدبرين»[2].

فصل:

النوع السادس من آياته: تأييد الله له بملائكته.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

وقال: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ (١٢٤) بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤-١٢٥].

وقال تعالىٰ (في الخندق)[3]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩].

---

(١) ليست في (ب، ل).

(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٧٨) مطولا، وروىٰ ابن جرير الطبري في التفسير (١٣/ ٣٩٩) بعضه.

وعلي بن أبي طلحة صاحب نسخة مشهورة عن ابن عباس، وهي معدودة من النسخ الحسان (العجاب في بيان الأسباب ١/ ٢٠٣).

(٣) ما بين القوسين ليس في (ب).

وقال تعالىٰ في حنين[1]: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٦].

وقال (في الهجرة)[2]: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ﴾ [التوبة: ٤٠].

وقال تعالىٰ (في بدر)[3]: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ ﴾ [الأنفال: ١٢].

وفي الصحيحين -واللفظ لمسلم- عن ابن عباس، عن عمر بن الخطاب قال: «لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلىٰ المشركين، وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وسبعة عشر رجلا، فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة، ثم مدَّ يديه، وجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فما (ظ ١١١) زال يهتف بربه مادًّا يديه مستقبِل القبلة حتىٰ سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه علىٰ منكبيه، ثم التزمه من ورائه فقال: يا نبي الله كذاك[4] مناشدتك ربك

---

(١) في الأصول الخطية كلها أخطأ في أول الآية، وكتب: (فأنزل..). وليس قوله: في حنين في النسخة (ب).

(٢) ليس في (ب).

(٣) ليس في (ب).

(٤) كذا في الأصل (ظ، د)، وكتب في هامشهما: كفاك خ. أي هكذا هي في نسخة. وهكذا ثبت في (ب، ل).

=

فإنه سينجز لك ما وعدك.

فأنزل الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، فأمده الله بالملائكة»[١].

قال أبو زُمَيل[٢]: فحدثني ابن عباس قال: «بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد[٣] في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة سوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيًا، فنظر إليه فإذا قد خطم أنفه، وشق وجهه كضربة[٤] بالسوط فاخضر ذلك أجمع.

فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسول الله ﷺ فقال: صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة، فقتلوا يومئذ سبعين، وأسروا سبعين» وذكر الحديث[٥].

وذكر البخاري في هذا الحديث «فخرج يعني النبي ﷺ، وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]»[٦].

وقال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم، عن بعض بني ساعدة قال: «سمعت أبا[٧] أُسيد مالك بن ربيعة[٨] بعدما أُصيب بصره يقول:

= وقد بين القسطلاني اختلاف النسخ من الصحيح في هذا الموضع، وأن الأكثر على: كذاك (إرشاد الساري ٦/ ٢٤٦).

(١) رواه مسلم في الصحيح (١٧٦٣).

(٢) هو سماك الحنفي راوي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في (ب): يمتد.

(٤) في (ب): كضربته.

(٥) صحيح مسلم (١٧٦٣).

(٦) صحيح البخاري (٣٩٥٣).

(٧) في هامش (د): في الأصل: سمعت أن الخ.

(٨) هو أبو أسيد الساعدي، من كبراء الأنصار شهد بدرا والمشاهد، مات سنة ٤٠ (سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٣٨).

لو كنت معكم ببدر الآن ومعي بصري لأخبرتكم بالشِّعب الذي خرجت منه الملائكة، لا أشك ولا أتمارىٰ، فلما نزلت الملائكة ورآها إبليس، وأوحىٰ الله إليهم ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الأنفال: ١٢]، إن الملائكة تأتي الرجل في صورة الرجل تعرفه وتقول له: أبشروا فإنهم ليسوا بشيء، والله معكم، كروا[1] عليهم.

فلما رأىٰ إبليس الملائكة نكص علىٰ عقبيه، وقال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال: ٤٨]، وهو في صورة سراقة، وأقبل أبو جهل يحضض أصحابه ويقول: لا يهولنكم خذلان سراقة إياكم فإنه علىٰ موعد من محمد وأصحابه، ثم قال: واللات والعزىٰ، لا نرجع حتىٰ نقرن محمدًا وأصحابه في الحبال فلا تقتلوهم، وخذوهم أخذا»[2].

وفي الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص قال: «رأيت يوم أحد عن يمين النبي ﷺ وعن يساره رجلين عليهم ثياب بيض، يقاتلان عن رسول الله ﷺ أشد القتال، ما رأيتهما قبل ذلك اليوم ولا بعده، يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام»[3].

وفي الصحيحين عن عائشة قالت: «أصيب سعد[4] يوم الخندق رماه رجل من قريش: ابن العَرِقَة، رماه في الأكحل، فضرب عليه رسول الله ﷺ خيمة في المسجد يعوده من قريب، فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق ووضع السلاح فاغتسل فأتاه جبريل عليه السلام، وهو ينفض رأسه من الغبار، فقال: وضعت

---

(١) في (ب): كبروا.
(٢) رواه البيهقي في الدلائل ٣/ ٥٣، وانظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٤. وفي إسناده مجهول.
(٣) صحيح البخاري(٤٠٥٤)، صحيح مسلم (٢٣٠٦).
(٤) هو سعد بن معاذ رضي الله عنه.

السلاح، والله ما وضعناه، اخرج إليهم، فقال رسول الله ﷺ: فأين؟ فأشار إلىٰ بني قريظة، فقاتلهم رسول الله ﷺ، فنزلوا علىٰ حكم رسول الله ﷺ، فردَّ رسول الله ﷺ الحكم فيهم إلىٰ سعد، قال: فإني أحكم فيهم أن تُقتل المقاتلة، وأن تُسبىٰ الذرية والنساء، وتقسم أموالهم»(١).

وفي بعض طرق البخاري: «فأتاه جبريل وقد عصب رأسَه الغبارُ»(٢).

وروىٰ البخاري عن أنس قال: «كأني أنظر إلىٰ الغبار ساطعًا في زُقاق بني غَنْمٍ، موكبَ جبريل صلوات الله عليه حين سار رسول الله ﷺ إلىٰ بني قريظة»(٣).

وروىٰ البخاري عن ابن عباس «أن النبي ﷺ (ظ١١٢) قال يوم بدر: هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب»(٤).

وفي المغازي من طرق: أنَّ الصحابة رأوا جبريل في صورة دحية الكلبي، وأنه معتمٌّ بعمامة أرخىٰ طرفها بين كتفيه، وقال النبي ﷺ: «بعثه الله إلىٰ بني قريظة يزلزل بهم حصونهم، ويلقي الرعب في قلوبهم»(٥).

---

(١) صحيح البخاري (٤١٢٢)، صحيح مسلم (١٧٦٩).

(٢) صحيح البخاري (٢٨١٣)، والمراد أن الغبار صار علىٰ رأسه كأنه عصابة.

(٣) صحيح البخاري (٤١١٨). وقوله: ساطعا أي مرتفعا (فتح الباري ٧/ ٤٠٨).

(٤) صحيح البخاري (٣٩٩٥). وترجم عليه البخاري: باب غزوة أحد (٤٠٤١).

(٥) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٤)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (٤٣٥)، والبيهقي فيه (٤/ ١٠) من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ سمع صوت رجل فوثب وثبة شديدة وخرج إليه. قالت: فاتبعته أنظر فإذا هو متكئ علىٰ عرف برذونه وإذا هو دحية الكلبي فيما كنت أرىٰ، وإذا هو معتم مرخ عمامته بين كتفيه فلما دخل علي رسول الله ﷺ قلت: لقد وثبت وثبة شديدة ثم خرجت أنظره فإذا هو دحية الكلبي. قال: أو رأيته؟ قلت: نعم. قال: «ذاك جبرئيل عليه السلام أمرني أن أخرج إلىٰ بني قريظة». =

وفي الصحيحين عن عائشة أنها قالت لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله هل أتىٰ عليك يوم كان أشدَّ من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضتُ نفسي علىٰ ابن عبد ياليل ابن عبد كلال فلم يجبني إلىٰ ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم علىٰ وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم.

قال: فناداني مَلك الجبال، وسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك ما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟.

فقال رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، ولا يشرك به شيئا»[1].

= وفي إسناده عبدالله العمري ضعيف الحديث، ورواه الإمام أحمد (٢٥٠٩٧) مطولا من طريق أخرىٰ عن عائشة. فيها ضعف كذلك، ورواه أبو نعيم (٤٣٦) من حديث سعيد بن المسيب مرسلا. ورواه ابن إسحاق (في السيرة: ٢٩٧) من حديث عكرمة مرسلا.
وجعله البيهقي شاهدا لحديث عائشة.
قال ابن كثير: «ولهذا الحديث طرق جيدة، عن عائشة وغيرها» (البداية والنهاية ٦/ ٧٥).

(١) صحيح البخاري (٣٢٣١)، صحيح مسلم (١٧٩٥).

النوع السابع: في كفاية الله له أعداءه، وعصمته له من الناس.

وهذا فيه آية لنبوته من وجوه:

منها: أنَّ ذلك تصديقٌ لقوله: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٤-٩٦]، فهذا إخبار الله بأنه يكفيه[١] المشركين المستهزئين[٢].

وأخبر أنه يكفيه أهل الكتاب بقوله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٦-١٣٧].

فأخبره الله تعالىٰ أنه يكفيه هؤلاء المشاقِّين له من أهل الكتاب[٣].

---

(١) الكفاية: ما فيه سد الخلة وبلوغ المراد في الأمر(المفردات:٢/ ٧١٩) والمعنىٰ: أن الله كافيك إياهم، وحافظك منهم (تفسير ابن كثير ٤/ ٥٥١).
قال ابن جرير: «يقول تعالىٰ ذكره لنبيه محمد ﷺ: إنا كفيناك المستهزئين يا محمد، الذين يستهزئون بك ويسخرون منك، فاصدع بأمر الله، ولا تخف شيئا سوىٰ الله، فإن الله كافيك من ناصبك وآذاك كما كفاك المستهزئين، وكان رؤساء المستهزئين قوما من قريش معروفين.»(تفسير الطبري١٧/ ١٥٣). وهؤلاء المستهزءون خمسة، وهم: الأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والحارث بن الطلاطلة، وقد كفاه الله ﷻ شأنهم بأهون الأسباب وأيسرها، كما روىٰ ذلك أهل التفسير والسير، وسيذكره المصنف (جامع البيان ١٧/ ١٥٤، الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٦٢).
(٢) ليست في (ب،ل).
(٣) قال ابن كثير: فسيكفيكهم الله أي: فسينصرك عليهم ويظفرك بهم.

وأخبره أنه يعصمه من جميع الناس بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، فهذا خبر عام، فإنَّ الله يعصمه من جميع الناس[1].

فكل من هذه الأخبار الثلاثة العامة قد وقع كما أخبر، وفي هذا عدة آيات:

منها: أنه كفاه أعداءه بأنواع عجيبة خارجة عن العادة المعروفة.

ومنها: أنه نصره مع كثرة أعدائه وقوتهم وغلبتهم، وأنه كان وحده جاهرًا بمعاداتهم، وسب آبائهم، وشتم (١٣٠) آلهتهم، وتسفيه أحلامهم، والطعن في دينهم، وهذا من الأمور الخارقة للعادة.

والمستهزئون كانوا من أعظم سادات قريش، وعظماء العرب، وكان أهل مكة أهل الحرم أعزَّ الناس وأشرفهم، تعظمهم جميع الأمم:

أمَّا العرب فكانوا يدينون لهم، وأما غيرهم من الأمم فكانوا يعظمونهم به لا سيما مِن حين جرىٰ لأهل الفيل ما جرىٰ، كما كانت الأمم تعظم بني إسرائيل لما ظهر فيهم من الآيات ما ظهر، وهؤلاء بنو إسماعيل ابن خليل الله، وهؤلاء بنو إسحاق ابن خليل الله، وكلاهما ممن وعد الله إبراهيم في التوراة فيهم بما وعده من إنعام الله عليه النعمة التي لم ينعم الله بها[2] علىٰ غيرهم.

---

(١) قال الراغب: وعصمة الأنبياء: حفظه إياهم أولا بما خصهم به من صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية، ثم بالنصرة وبتثبت أقدامهم، ثم بإنزال السكينة عليهم وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق، قال تعالىٰ: والله يعصمك من الناس (المفردات: ٥٧٠).
ومعنىٰ الآية: «أي: بلغ أنت رسالتي، وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك علىٰ أعدائك ومظفرك بهم، فلا تخف ولا تحزن، فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك ولذا كان ﷺ يحرس قبل نزول هذه الآية» (تفسير ابن كثير ٣/ ١٥٢).

(٢) في (ب): لم ينعمها علىٰ.

فكان أهل مكة مُعظَّمين لأنهم جيران البيت، ولأنهم أشرف (ظ١١٣) بني إسماعيل فـ«إِنَّ الله اصطفىٰ كنانة من ولد إسماعيل، واصطفىٰ قريشًا من كنانة، واصطفىٰ بني[1] هاشم من قريش، واصطفىٰ محمدًا ﷺ من بني هاشم»[2].

وكان قد عاداه أشراف هؤلاء كما عادىٰ المسيح أشراف بني إسرائيل، وبدَّل هؤلاء وهؤلاء نعمة الله كفرًا، وأحلوا قومهم دار البوار، وكفىٰ الله رسوله المسيح من عاداه منهم، ولم ينفعهم نسبهم، ولا فضل مدينتهم، وكذلك كفىٰ الله محمدًا من عاداه، وانتقم منهم، ولم تنفعهم أنسابهم[3]، ولا فضل مدينتهم، فإنَّ الله تعالىٰ إنَّما يثيب[4] بالإيمان والتقوىٰ لا بالبلد والنسب.

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٦-٦٧].

وقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [محمد: ١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٢-١١٣].

---

(١) ليست في (ب، ل).
(٢) رواه مسلم من حديث واثلة بن الأسقع (٢٢٧٦).
(٣) في (د): انتسابهم.
(٤) في (ب): يثبت، وهو مهمل في (ل).

وقد سمَّىٰ أهل العلم بعض من كفاه الله إياه من المستهزئين، وكانوا معروفين مشهورين عند الصحابة بالرياسة والعظمة في الدنيا، فذكروهم ليعرف هذا الأمر العظيم الذي أكرم الله به نبيه.

ففي صحيح مسلم[(١)] عن أبي هريرة قال: «قال أبو جهل: هل يعفِّر محمد وجهه بين أظهركم؟ قيل: نعم، قال: واللات والعزىٰ لئن رأيته يفعل ذلك[(٢)] لأطأنَّ علىٰ رقبته[(٣)]، فما فجأهم منه إلاَّ وهو ينكص علىٰ عقبيه ويتقي بيديه، فقيل له ما لك؟ قال: إنَّ بيني وبينه لخندقًا من نار وهولاً وأجنحة.

فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا»، وأنزل الله تعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ٩-١٩][(٤)].

وفي الصحيحين من حديث البراء بن عازب -حديث هجرة النبي ﷺ وأبي بكر من مكة إلىٰ المدينة- قال فيه: «واتبعنا سراقة بن مالك بن جعشم، ونحن في جَدَد من الأرض، فقلت: يا رسول الله، أُتينا، فقال: لا تحزن إن الله معنا، فدعا عليه رسول الله ﷺ فارتطمت فرسه إلىٰ بطنها فقال: إني قد علمتُ

---

(١) كذا في (ظ)، وهو الصحيح، وفي (د، ل): وفي الصحيحين، وفي (ب): ففي الصحيح.
(٢) في (ب): كذلك.
(٣) هاهنا نقص في كل النسخ الخطية، سببه -والله أعلم- انتقال نظر الشيخ، وتتمته كما في الصحيح: «أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتىٰ رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ علىٰ رقبته».
(٤) رواه مسلم (٢٧٩٧).

أنكما قد دعوتما علي فادعوا لي، والله لكما أن أرد عنكما الطلب، فدعا الله فنجا، فرجع لا يلقىٰ أحدًا إلا قال: قد كُفيتم ما هاهنا، فلا يلقىٰ أحدًا إلا رده»[1].

وفي لفظ: «فساخ فرسه في الأرض إلىٰ بطنه، ووثب عنه فقال: (يا محمد)[2] قد علمتُ أن هذا عملك، فادع الله أن يخلصني مما أنا فيه، ولك علي لأعمين علىٰ مَن ورائي»[3].

وفي الصحيحين عن ابن شهاب من رواية سراقة نفسه[4] قال: «جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجالس قومي بني مدلج إذ أقبل رجل منهم حتىٰ قام علينا ونحن جلوس، فقال: يا سراقة، إني رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه، قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلت: ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلانا وفلانا، ثم لبثت ساعة ثم قمت فدخلت، فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض، وخفضت عاليَه حتىٰ أتيت فرسي فركبتها، فرفعتها تقرب بي حتىٰ دنوت منهم، وعثرت بي (ظ١١٤) فرسي فخررت عنها، فقمت فأهويت بيدي إلىٰ كنانتي فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها، أضرهم أم لا، فخرج الذي أكره فركبت وعصيت الأزلام،

---

(١) صحيح البخاري(٣٦١٥)، صحيح مسلم (٢٠٠٩).
(٢) النداء ليس في (ب).
(٣) وهو لفظ في صحيح مسلم (٢٠٠٩/ ٢).
(٤) قال ابن شهاب: وأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي، وهو ابن أخي سراقة بن مالك بن جعشم، أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن جعشم يقول، فذكره.

فقربت بي حتىٰ إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ -وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات- ساخت يدا فرسي في الأرض حتىٰ بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار[١] ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام، فخرج الذي أكره فناديتهم بالأمان[٢] فوقفوا، فركبت فرسي حتىٰ جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ...» وذكر تمام الحديث[٣].

وفي الصحيحين عن جابر قال: «غزونا مع رسول الله ﷺ غزاة قِبل نجد، فأدركنا رسول الله ﷺ في القائلة، في واد كثير العضاة، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها، وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، فقال رسول الله ﷺ: إنَّ رجلاً أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم علىٰ رأسي، والسيف صلتًا في يده، فقال: من يمنعك مني؟ قلت: الله، فشام السيف، فها هو ذا جالس، ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ، وكان ملك قومه فانصرف حين عفا عنه فقال: لا أكون في قوم هم حرب[٤] لك»[٥].

وفي صحيح الحاكم عن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق قال: «كان فلان يجلس إلىٰ النبي ﷺ فإذا تكلم النبي ﷺ اختلج بوجهه، فقال له النبي ﷺ: كن كذلك.

---

(١) في (ب): عنان.
(٢) كذا في الأصول كلها إلا ظ وصحيح البخاري (إرشاد الساري ٦/ ٢١٩)، وفي (ظ): الايمان، ولم يبين همزتها، ولم أجد في روايات الصحيح ما يؤيدها والله أعلم.
(٣) رواه البخاري (٣٩٠٦).
(٤) في (ب): حزيب.
(٥) صحيح البخاري (٢٩١٠)، صحيح مسلم (٨٤٣).

فلم يزل يختلج حتىٰ مات»[1].

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: «كان رجل نصراني[2] فأسلم، وقرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب للنبي ﷺ فعاد نصرانيًا، فكان يقول: ما يدري محمد إلاَّ ما كتبت[3] له، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اجعله آية».

فأماته الله فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه، فحفروا له وأعمقوا ما استطاعوا، فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا مثل الأول، فحفروا له وأعمقوا فلفظته الثالثة، فعلموا أنه ليس من فعل الناس، فتركوه منبوذا»[4].

وروىٰ الإمام أحمد من حديث محمد[5] بن إسحاق قال: وحدثني يحيىٰ بن عروة عن أبيه عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: «قلت له:

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٠)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٢٣٩)، وقوام السنة في الدلائل (١١). قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
قلت: في إسناده: ضرار بن صرد متروك الحديث (تهذيب الكمال ١٣/ ٣٠٥، ميزان الاعتدال ٢/ ٣٢٨).
قال قوام السنة: «الاختلاج الارتعاد كان يحرك شفتيه وذقنه استهزاء بالنبي ﷺ يحكي ما فعل النبي ﷺ فدعا عليه النبي ﷺ فبقي كذلك يرتعد بوجهه إلىٰ أن مات» (دلائل النبوة ٣٨).

(٢) كذا في الأصول وبعض نسخ الصحيح، وذلك علىٰ أن كان تامة (عمدة القاري للعيني).

(٣) في (ب): كنت.

(٤) صحيح البخاري (٣٦١٧)، صحيح مسلم(٢٧٨١)، إلا أن قوله: «اللهم اجعله آية» ليس فيهما، ولم أجد هذه اللفظة في طرق الحديث، ولا ذكرها المهلب بن أبي صفرة ولا ابن بطال ولا ابن حجر ولا القسطلاني (٦/ ٦٤) في شروحهم.
وقد ذكرها معزوة للصحيحين ابن الأثير في جامع الأصول (١١/ ٣٦٧)، وتبعه السوسي في جمع الفوائد (٣/ ٤٦٨)، وذلك محل نظر، وفي مسند أحمد (١٢٢١٥): فقال النبي ﷺ: إن الأرض لم تقبله (انظر: دلائل النبوة للبيهقي ٧/ ١٢٧)..

(٥) ليست في (ب، ل).

ما أكبر[1] ما رأيت قريشًا أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته؟ قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يومًا في الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط، سفَّه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعَتنا، وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه علىٰ أمر عظيم، أو كما قالوا.

قال: فبينما هم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ، فأقبل يمشي حتىٰ استلم الركن، ثم مر بهم طائفًا بالبيت، فلما أن مر بهم غمزوه ببعض ما يقول.

قال: فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضىٰ، فلما مر الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضىٰ، فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فقال: «تسمعون يا معشر قريش، أمَا والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح»[2].

فأخذت القوم كلمته حتىٰ ما منهم رجل إلا كأنَّما علىٰ رأسه طائر واقع، حتىٰ إنَّ أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرْفَؤه[3] بأحسن ما يجد من القول، حتىٰ إنَّه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشدًا (ظ١١٥)، فوالله ما كنت جهولاً.

فانصرف رسول الله ﷺ، حتىٰ إذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه، حتىٰ إذا باداكم[4] بما تكرهون تركتموه.

---

(١) في (ب، ل، د): أكثر.

(٢) في هامش (ب): كناية عن القتل.

(٣) أي يسكنه ويرفق به ويدعو له (النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٤١).

(٤) في (ب): ناداكم.

فبينا هم في ذلك طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون له: أنت الذي تقول كذا وكذا، لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم، قال: فيقول رسول الله ﷺ: «نعم أنا الذي أقول ذلك».

قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع ردائه، وقام أبو بكر دونه يقول وهو يبكي: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨] ثم انصرفوا عنه»[١].

وذكر البخاري بعد حديث عروة عن عبد الله بن عمرو، قال: وقال عبدة: عن هشام عن أبيه قيل: لعمرو بن العاص[٢].

وروىٰ سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]، قال: المستهزئون الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث الزهري، والأسود بن المطلب أبو زمعة من بني أسد بن عبد العزىٰ، والحارث بن عيطل السهمي، والعاص بن وائل.

فأومأ جبريل إلىٰ أكحل الوليد بن المغيرة، فقال له النبي ﷺ: ما صنعت؟ قال: كُفيته.

---

(١) رواه أحمد (٧٠٣٦)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٧٥) من طريق ابن إسحاق، وإسناده حسن.

(٢) وذلك أن البخاري رواه مختصرا في الصحيح (٣٨٥٦) من طريق محمد بن إبراهيم التيمي، قال: حدثني عروة بن الزبير، قال: سألت ابن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ، قال: «بينا النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقا شديدا» فأقبل أبو بكر حتىٰ أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ، قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨] الآية، ثم قال: تابعه ابن إسحاق، حدثني يحيىٰ بن عروة، عن عروة، قلت: لعبد الله بن عمرو، وقال: عبدة، عن هشام، عن أبيه، قيل لعمرو بن العاص، وقال: محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، حدثني عمرو بن العاص.

وأومأ إلىٰ الأسود بن المطلب إلىٰ عينيه فقال: ما صنعت؟ فقال: كفيته.

وأومأ إلىٰ رأس الأسود بن عبد[١] يغوث فقال: ما صنعت؟ قال: كفيته.

وأومأ إلىٰ الحارث السهمي إلىٰ بطنه قال: ما صنعت؟ قال: كفيته.

وأومأ إلىٰ أخمص العاص بن وائل فقال: ما صنعت؟ قال: كفيته.

فأمَّا الوليد فمر برجل من خزاعة، وهو يريش نبله[٢] فأصاب أكحله فقطعها.

وأمَّا الأسود بن المطلب فعمي، فمنهم من يقول عمي هكذا، ومنهم من يقول: نزل تحت سمرة فجعل يقول: يا بني ألا تدفعون عني، ويقولون: ما نرىٰ شيئا، فجعل يقول: هلكت ها هو ذا أطعن في عيني بالشوك، فجعلوا يقولون: ما نرىٰ شيئا، فلم يزل كذلك حتىٰ عميت عيناه.

وأمَّا الأسود فخرج في رأسه قروح فمات منها.

وأما الحارث بن عيطل فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتىٰ خرج خرؤه من فيه فمات[٣].

وأما العاص بن وائل فركب إلىٰ الطائف علىٰ حمار فربض به علىٰ شبرقة -يعني شوكة- فدخلت في أخمص قدمه فمات، وقيل: دخلت في رأسه شبرقة

---

(١) سقطت من ظ، وقد ذكرها آنفا.

(٢) في (ب): وهو يريش نبلا فرمي فأصاب..

(٣) روىٰ ابن جرير في التفسير (١٧/ ١٥٦) عن أبي بكر الهذلي، قال: قلت للزهري: إن سعيد بن جبير وعكرمة اختلفا في رجل من المستهزئين، فقال سعيد: هو الحارث بن عيطلة، وقال عكرمة: هو الحارث بن قيس؟ فقال: صدقا، كانت أمه تسمىٰ عيطلة وأبوه قيس.

فمات[1].

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره: حدثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود، ثنا أبو عوانة، ثنا أبو بشر، عن سعيد، عنه[2].

وروىٰ بإسناده عن الربيع بن أنس قال: «أراد صاحب اليمن أن يؤوي[3]

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٤٩٨٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣١٦) من طريق سفيان بن حسين عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال السيوطي: إسناده حسن (الدر المنثور٥/ ١٠١). لكن فيه نظر من حيث إن سفيان بن حسين قد خولف فيه، فقد رواه ابن جرير من طريق هشيم بن بشير عن أبي بشر جعفر بن إياس سعيد بن جبير مقطوعا عليه، لم يذكر ابن عباس (تفسير الطبري ١٧/ ١٥٥) وهذا أصح، ورواه ابن جرير من طريق أخرىٰ عن سعيد من قوله، (وانظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٤٧٤).

وروىٰ ابن جرير (١٧/ ١٥٩) من طريق ابن جريج عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنهم كانوا ثمانية، وإسناده جيد، ولم يسق ابن جرير لفظه بل أحال علىٰ حديث قتادة عن مقسم، ولفظه: قال: هم الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وعدي بن قيس، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، مروا رجلا رجلا علىٰ النبي ﷺ ومعه جبرئيل، فإذا مر به رجل منهم قال جبرئيل: كيف تجد هذا؟ فيقول: بئس عدو الله، فيقول جبرئيل: كفاكه، فأما الوليد بن المغيرة، فتردىٰ، فتعلق سهم بردائه، فذهب يجلس فقطع أكحله فنزف فمات، وأما الأسود بن عبد يغوث، فأتي بغصن فيه شوك، فضرب به وجهه، فسالت حدقتاه علىٰ وجهه، فكان يقول: دعوت علىٰ محمد دعوة، ودعا علي دعوة، فاستجيب لي، واستجيب له، دعا علي أن أعمىٰ فعميت، ودعوت عليه أن يكون وحيدا فريدا في أهل يثرب فكان كذلك، وأما العاص بن وائل، فوطئ علىٰ شوكة فتساقط لحمه عن عظامه حتىٰ هلك، وأما الأسود بن المطلب وعدي بن قيس، فإن أحدهما قام من الليل وهو ظمآن، فشرب ماء من جرة، فلم يزل يشرب حتىٰ انفتق بطنه فمات، وأما الآخر فلدغته حية فمات..

(٢) وهذا من طريق الطيالسي، ولم أجده في مسنده، ولا ذكره السيوطي في الدر المنثور.

(٣) تصحفت في (ب) إلىٰ: يرقي.

النبي ﷺ فأتاه الوليد فزعم أنَّ محمدًا ساحر، وأتاه العاص بن وائل فأخبره أن محمدًا يعلم أساطير الأولين، وأتاه آخر فزعم أنه كاهن، وآخر زعم أنه شاعر، وآخر قال: إنه مجنون، فأهلكهم الله، كل منهم أصابه عذاب سوىٰ عذاب صاحبه، وذكر تفصيل عذابهم»[١].

وروىٰ مثله عن عكرمة[٢].

وقال محمد بن إسحاق: حدثنا يزيد بن رومان عن عروة[٣] -وغيره من العلماء-: «أن جبريل أتىٰ رسول الله ﷺ، وهم يطوفون بالبيت، فقام وقام رسول الله ﷺ إلىٰ جانبه، فمر به الأسود بن المطلب فرمىٰ في وجهه بورقة خضراء فعمي، ومر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلىٰ بطنه فاستسقىٰ فمات منه، ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلىٰ جرح بأسفل كعبه كان أصابه لما مر برجل يريش نبله فخدش رجله -وليس بشيء- فانتقض فمات، ومر به العاص بن وائل فأشار إلىٰ إخمص قدمه[٤]» (ظ١١٦). فذكر مثل ما تقدم من رواية ابن عباس[٥].

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ١٠٣.
(٢) أثر عكرمة عند ابن جرير في التفسير (١٧/ ١٥٦) وهو مختصر فيه ذكر أسمائهم الخمسة، وقال: هلكوا قبل بدر .
(٣) كذا في (ب، ل)، وفي (ظ، د): عكرمة. والصحيح ما أثبتناه، كذا هو في السيرة، ومصادر التخريج. فضلا عن أن يزيد من موالي آل الزبير، وهو مشهور بالرواية عن عروة دون عكرمة، حيث لم يذكر له المزي رواية عن عكرمة، (تهذيب الكمال٣٢/ ١٢٢).
(٤) في (ب): قدميه.
(٥) رواه ابن إسحاق في السيرة (٢٧٣)، وابن جرير في التفسير (١٧/ ١٥٤) وأبو نعيم في دلائل النبوة (٢٠٢)، وانظر سيرة ابن هشام (٢/ ٤٠)، والبداية والنهاية (٤/ ٢٦١).

ورواه أبو زرعة من طرق كثيرة عن جماعة من التابعين[1].

ومن المشهور عند أصحاب السير وغيرهم دعوته علىٰ عُتيبة بن أبي لهب.

«وكان أبو لهب لما عادىٰ النبي ﷺ أمر ابنيه أنْ يُطلقا ابنتي النبي ﷺ: رقية وأم كلثوم قبل الدخول، وقال عتيبة لرسول الله ﷺ: كفرت بدينك، وفارقت ابنتك، لا تحبني ولا أحبك، ثم تسلط عليه بالأذىٰ، وشق قميصه، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك».

فخرج في نفر من قريش حتىٰ نزلوا في مكان من الشام يقال له الزرقاء ليلاً، فأطاف بهم الأسد تلك الليلة، فجعل عتيبة يقول: يا ويل أخي، هو والله آكلي كما دعا محمد علي، قتلني وهو بمكة وأنا بالشام، فعدا عليه الأسد من بين القوم، وأخذ برأسه فذبحه[2].

وفي رواية هشام بن عروة عن أبيه قال: لما أطاف بهم الأسد[3] تلك الليلة، انصرف عنهم، فناموا وجعلوا عُتيبة في وسطهم، فأقبل الأسد يتخطاهم حتىٰ أخذ برأس عتيبة ففدغه[4]»[5].

---

(١) وفي هؤلاء المستهزئين أنزل قول الله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام:١٢٣]، روي ذلك عن عكرمة (تفسير ابن جرير ١٢/ ٩٤).

(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٣٨) عن قتادة مرسلا.

(٣) في (ب، ل): الأسد بهم.

(٤) الفدغ الشق والشدخ اليسير، كما ذكره ابن الأثير.

(٥) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٣٩) عن هشام بن عروة عن أبيه مرسلا. =

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: «بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلىٰ سلىٰ جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقىٰ القوم فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل علىٰ بعض، وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ، والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه، حتىٰ انطلق إنسان فأخبر فاطمة فجاءت -وهي جويرية- فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تسبهم.

= ورویٰ الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٣٩، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٣٣٨) من طريق أبي نوفل بن أبي عقرب، عن أبيه، قال: «كان لهب -ابن أبي لهب- يسب النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم، ويدعو عليه، قال: فقال النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم: اللهم سلط عليه كلبك، قال: وكان أبو لهب يحمل البز إلىٰ الشام، ويبعث بولده مع غلمانه ووكلائه ويقول: إن ابني أخاف عليه دعوة محمد فتعاهدوه، قال: وكانوا إذا نزل المنزل ألزقوه إلىٰ الحائط، وغطوا عليه الثياب والمتاع، قال: ففعلوا ذلك به زمانا، فجاء سبع فنشله فقتله، فبلغ ذلك أبا لهب فقال: ألم أقل لكم إني أخاف عليه دعوة محمد»..

قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

قال البيهقي: كذا قال عباس بن الفضل -وليس بالقوي- لهب بن أبي لهب، وأهل المغازي يقولون: عتبة بن أبي لهب، وقال بعضهم: عتيبة.

ورویٰ أبو نعيم نحوه في دلائل النبوة (٣٨٠) (٣٨٣) عن رجال من أهل بيت عثمان بن عروة بن الزبير، وعن هبار بن الأسود، وعن طاوس.

ورویٰ ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٠٢) حديث هبار بن الأسود.

قلت: وروده من هذه الطرق الكثيرة يصحح الخبر، ويقضي أن له أصلا، وأن زعم الطيبي بأنه حديث موضوع (كما في الفتح السماوي٢/ ٥٤٨) ليس بصحيح.

وانظر: تفسير الثعلبي الكشف والبيان ٩/ ١٣٥، وتخريج أحاديث الكشاف للزيلعي ٣/ ٣٧٧.

فلما قضىٰ النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثًا، وإذا سأل سأل ثلاثا، ثم قال: «اللهم عليك بقريش» ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال: اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وذكر السابع لم أحفظه، فوالذي بعث محمدًا بالحق لقد رأيت الذي سمىٰ صرعىٰ يوم بدر ثم سحبوا إلىٰ القليب قليب بدر»(١).

[وعنه قال: استقبل رسول الله ﷺ القبلة، ودعا علىٰ ستة نفر فذكره، وفي رواية: غير أن أمية بن خلف كان رجلاً ضخمًا فقطعت أوصاله فلم يلق في البئر. وقال: غيرتهم الشمس، وكان يومًا حارًّا(٢)](٣).

ويدخل في هذا الباب:

ما لم يزل الناس يرونه ويسمعونه: من انتقام الله ممن يسبه(٤) ويذمه ويذم دينه بأنواع من العقوبات، وفي ذلك من القصص الكثيرة ما يضيق هذا الموضع عن بسطه، وقد رأينا وسمعنا من ذلك ما يطول وصفه من انتقام الله ممن يؤذيه بأنواع من العقوبات العجيبة، التي تبين كلاءة الله لعرضه، وقيامه بنصره، وتعظيمه لقدره، ورفعه لذكره، وما من طائفة من الناس إلاَّ وعندهم من هذا الباب ما فيه عبرة لأولي الألباب.

---

(١) صحيح البخاري (٢٤٠)، صحيح مسلم (١٧٩٤).
(٢) صحيح البخاري (٣٩٦٠)، صحيح مسلم (١٧٩٤).
(٣) هذه الزيادة التي علمت علىٰ أولها وآخرها سقطت من الأصل (ظ)، وهي ثابتة في (ب، ل، د، ونسخة الإفتاء، و ط النيل).
(٤) في (ب) زيادة: ويؤذيه. أي يؤذي النبي ﷺ.

ومن المعروف المشهور المجرب عند عساكر المسلمين بالشام إذا حاصروا بعض حصون أهل الكتاب أنه يتعسر عليهم فتح الحصن، ويطول الحصار إلىٰ أن يسب العدو الرسول ﷺ فحينئذ يستبشر المسلمون بفتح الحصن، وانتقام الله من العدو، فإنه يكون ذلك قريبا كما قد جربه المسلمون غير مرة، تحقيقًا لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣](١).

ولما(٢) مزَّق كسرىٰ كتابه مزق الله ملك الأكاسرة كل ممزق، ولما أكرم هرقل والمقوقس كتابه بقي لهم ملكهم(٣).

---

(١) الشانئ هو المبغض، أي: إن مبغضك -يا محمد- ومبغض ما جئت به من الهدىٰ والحق والبرهان الساطع والنور المبين، هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذكره، وقد ذكر أهل العلم أن سبب نزولها قول بعضهم لبعض: إن محمدا أبتر لا عقب له، فإذا هلك انقطع ذكره، وذكروا في ذلك روايات كثيرة.
قال ابن كثير: «وهذا يرجع إلىٰ ما قلناه من أن الأبتر الذي إذا مات انقطع ذكره، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه ينقطع ذكره، وحاشا وكلا بل قد أبقىٰ الله ذكره علىٰ رءوس الأشهاد، وأوجب شرعه علىٰ رقاب العباد، مستمرا علىٰ دوام الآباد، إلىٰ يوم الحشر والمعاد صلوات الله وسلامه عليه دائما إلىٰ يوم التناد»(تفسير ابن كثير ٨/ ٥٠٥).

(٢) في (ب): وكما... فمزق.

(٣) يشير إلىٰ ما روىٰ البخاري في الصحيح (٦٤)، عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه رجلا وأمره أن يدفعه إلىٰ عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين إلىٰ كسرىٰ، فلما قرأه مزقه فحسبت أن ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ «أن يمزقوا كل ممزق» فتح الباري (٨/ ١٢٧).

النوع الثامن: في إجابة دعواته.

وإجابة الدعاء منه ما تكون إجابته معتادة لكثير من عباد الله: كالإغناء، (ظ١١٧) والعافية، ونحو ذلك.

ومنه ما يكون المدعو به من خوارق العادات: كتكثير الطعام والشراب كثرة خارجة عن العادة، وإطعام النخل في العام مرتين مع أن العادة في مثله مرة، ورد بصر الذي عمي، ونحو ذلك مما يأتي وما تقدم من أدعيته.

ومعلوم أنَّ من عوَّده الله إجابة دعائه لا يكون إلاَّ مع صلاحه ودينه، ومن ادَّعىٰ النبوة لا يكون إلا من أبرِّ الناس إن كان صادقًا أو من أفجرهم إن كان كاذبًا، وإذا عوده الله إجابة دعائه لم يكن فاجرًا بل برًّا، وإذا لم يكن مع دعوىٰ النبوة إلا برًّا تعيَّن أن يكون نبيًا صادقًا، فإن هذا يمتنع أن يتعمد الكذب، ويمتنع أن يكون ضالاًّ يظنُّ أنه نبي وأنَّ الذي يأتيه ملك ويكون ضالاً في ذلك، والذي[1] يأتيه الشيطان، فإنَّ هذا حال من هو جاهل بحال نفسه وحال من يأتيه، ومثل هذا لا يكون أضل منه، ولا أجهل منه، لأن الله تعالىٰ جعل بين الملائكة والشياطين وبين الأنبياء الصادقين وبين المتشبهين بهم من الكذابين من الفروق ما لا يحصيه غيره، بل جعل بين الأبرار والفجار من الفروق أعظم مما بين الليل والنهار.

ولأن ما يأتي به الأنبياء من الأخبار والأوامر مضادة[2] من كل وجه لما يأتي به الشيطان[3]، ومن استقرأ أحوال الرسل وأتباعهم وحال الكهان والسحرة

---

(١) في (ب): وإن الذي.

(٢) سقطت من ب، وبدلها في (ل): يخالف.

(٣) في (ب): الشياطين.

تبين له ما يحقق[1] ذلك.

والشيطان الذي يقول لمن ليس بنبي: «إنك نبي صادق، والله أرسلني إليك» يكون من أعظم الناس كذبًا، والكذب يستلزم الفجور فلا بد أن يأمره بما ليس بِرًّا بل إثمًا، ويخبره بما ليس صدقًا بل كذبًا، كما هو الواقع ممن تضله الشياطين من جهلة العباد، وممن تُزيِّن له أنه نبي أو أنه المهدي أو خاتم الأولياء، فكل هؤلاء لا بد أن تأمره الشياطين بإثم، ولا بد أن تكذب في بعض ما تخبره به تحقيقًا لقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء:٢٢١- ٢٢٢].

وحينئذ فمثل هذا لا يكون مع دعوىٰ النبوة من الأبرار الذين عودهم الله إجابة دعائهم إجابةً خارجة عن العادات، بل لا يكون مع دعوىٰ النبوة إلا مِن الأفاكين الفجار، وإذا كان صادقًا في دعوىٰ النبوة عالمًا بأنه صادق ثبت أنه نبي.

والأنبياء معصومون من الإقرار علىٰ خطأٍ فيما يبلغونه عن الله باتفاق الناس، وحينئذ فكل ما يبلغه عن الله فهو حق، وهو المطلوب.

ومَن كان يأتيه صادق وكاذب مثل ابن صياد[2]، ومثل كثير من العُبَّاد

---

(١) في (ب): له تحقيق.

(٢) يشير إلىٰ ما روىٰ البخاري (١٣٥٤) ومسلم (٢٩٣٠) من حديث سالم بن عبد الله، أن ابن عمر ﵄، أخبره أن عمر انطلق مع النبي ﷺ في رهط قبل ابن صياد، حتىٰ وجدوه يلعب مع الصبيان عند أطم بني مغالة، وقد قارب ابن صياد الحلم، فلم يشعر حتىٰ ضرب النبي ﷺ بيده، ثم قال لابن صياد: «تشهد أني رسول الله؟»، فنظر إليه ابن صياد، فقال: أشهد أنك رسول الأميين، فقال ابن صياد للنبي ﷺ: أتشهد أني رسول الله؟ فرفضه وقال: «آمنت بالله وبرسله» فقال له: «ماذا ترىٰ؟» قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب، فقال النبي ﷺ: «خلط عليك الأمر» ثم قال له النبي ﷺ: «إني قد خبأت لك خبيئا» =

الـذين لهـم إلهـام مـن الملـك، ووسـواس مـن الشـيطان، (فمثـل هـذا إذا أخـبره الشيطان)[1] بأنه نبي، ويقول: أنا أرسلني الله فلا بد أن يتبين كذبه، ولـو بـبعض الوجوه، مثل أن يخبره بكذب، فإن مثل هذا الشيطان الـذي قـال لـه: «إنَّـه نبـي» لا بد أن يكذب فيما يخبره به.

ومثل إخبار الصادق له بأن هذا كاذب، فإذا أتاه الشيطان بالكذب لا بد أن يخبره الصادق الذي يأتيه بما يخالف ذلك بخلاف الإخبار بأمور جزئية، إذ إخباره بأنه نبي صادق[2] مع أنه ليس كذلك يهلكه هلاكًا عظيمًا، ويُفسد علىٰ الصادق جميع ما يأتيه به لأن ذلك يستلزم أن يصدق ذلك الكاذب في كل ما يخبره به، إذ قد اعتقد أنه نبي، وحينئذ فلا يكون عنده كاذبًا ولا يعرف أنه كاذب، فلا يكون مثل ابن صياد ونحوه، ممن يعرف أنه يأتيه صادق وكاذب، بل أضل من هؤلاء؛ يظن أن كل ما يأتيه فهو صادق(ظ١١٨).

ولهذا كل من كان يأتيه إخبار ملكي صادق وإخبار شيطاني كاذب فلا بد أن يعرف أنه يأتيه كاذب؛ لأنه يتبين له الكذب فيما يخبره به الشيطان الكاذب، كما هو الواقع، ولهذا يوجد الكهان يعرفون كذب من يخبرهم كثيرًا، وكذلك العباد الذين لهم خطابات ومكاشفات بعضها شيطاني وبعضها ملكي، يتبين لهم الكذب فيما يأتيهم به الشيطان، كما هو الواقع، فلا يوجد شيخ عابد له حال شيطاني إلا ولا بد أن يخبره بكذب يظهر له أنه كذب، وحينئذ فإذا صدق هذا

= فقال ابن صياد: هو الدخ، فقال: «اخسأ، فلن تعدو قدرك» فقال عمر ﵁: دعني يا رسول الله أضرب عنقه، فقال النبي ﷺ: «إن يكنه فلن تسلط عليه، وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله».

(١) سقط من المطبوعة، وهو ثابت في الأصول.

(٢) في (ب): نبي صدق صادق.

الكاذب في إخباره النبوة كان مُصدقًا للكاذب، ولأن الصادق الذي يأتيه مخبراً له بالصدق ناصحًا له لا بد أن يبين له ذلك، فلا يُصر علىٰ اعتقاد أن من يأتيه صادق وهو في نفس الأمر كاذب، ولا يعلم أنه كاذب إلا من هو أفاك أثيم، والله تعالىٰ يقول: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١- ٢٢٢]، فتنزلها علىٰ الأفاك الأثيم، وأما نزول الشيطان مرة أو مرتين فقد يكون علىٰ من ليس بأفاك أثيم، فإن من لم يكن مدَّعيًا للنبوة لم يكن من هذا الباب، وإن كان مدَّعيًا للنبوة فيمتنع أن يُقره الصادق الذي يأتيه علىٰ ذلك، بل لا بد أن يبين له هذا إن جوز ذلك.

فإنَّ الناس تنازعوا: هل يجوز أن يُلقي الشيطان علىٰ لسان النبي ما ينسخه الله ويمحاه، أم لا يجوز ذلك؟ وعلىٰ كل حال يمتنع أن يقر علىٰ خطأ[1].

والمقصود هنا: إنما هو ذكر بعض أدعية النبي ﷺ التي شُوهد إجابتها.

وقد تقدم ذكر بعض أدعيته مثل:

دعائه علىٰ الملأ من قريش فقتلوا يوم بدر، وألقوا في القليب، ومثل دعائه علىٰ عُتيبة بن أبي لهب، ومثل دعائه علىٰ الذي كذب عليه بأن يجعله آية، ومثل دُعائه لما قلَّ الزاد وجمعوه علىٰ نطع فكثره الله ببركة دعوته حتىٰ كفىٰ الجيش العظيم في غزوة تبوك، ومثل دعائه في غزوة الخندق فكفىٰ الطعام -وهو صاع من شعير- لألف نفر، وكذلك دعاؤه لما نزحت بئر الحديبية فكثر ماؤها حتىٰ كفىٰ الركب -وهم ألف وخمسمائة- وركابهم[2]، ودعاؤه للذي ذهب بصره

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ ٥/ ٢٥٧، منهاج السنة النبوية ١/ ٤٧٠.

(٢) في (ب، ل): وقد تقدم.

فأبصر، ودعاؤه في الاستسقاء فما رد يديه إلاَّ والسماء قد أمطرت[(١)]، ودعاؤه في الاستصحاء، وإشارته إلىٰ السحاب فتقطع من ساعته، ودعوته علىٰ سراقة بن جعشم لما تبعهم في الهجرة فغاصت فرسه في الأرض، ودعاؤه يوم بدر، ويوم حنين.

وقال الله تعالىٰ له يوم بدر ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، وأمثال ذلك.

وفي الصحيحين عن جابر قال: «لما نزل: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال النبي ﷺ: «أعوذ بوجهك» ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «أعوذ بوجهك»، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾[(٢)] قال: «هاتان أهون أو أيسر»[(٣)].

وفي الصحيحين عنه ﷺ قال: «سألت ربي ثلاثًا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألته أن لا يهلك أمتي بسنة عامة فأعطانيها، وسألته أن لا يسلط عليهم عدوًا من غيرهم فيجتاحهم فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها، فلن يزال الهرج إلىٰ يوم القيامة»[(٤)].

---

(١) في (ب): مطرت.

(٢) سبق قلمه في ظ، فكتب: ويذيق بأسكم بأس بعض.

(٣) صحيح البخاري (٤٦٢٨).

(٤) رواه مسلم في الصحيح (٢٨٩٠) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، بلفظ: «سألت ربي ثلاثا، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي: أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها».
ويشبه أن المصنف أراد حديث جابر بن عتيك -الذي رواه أحمد في المسند(٢٣٧٤٩)- قال:: جاءنا عبد الله بن عمر، في بني معاوية قرية من قرىٰ الأنصار، فقال لي: =

وفي صحيح مسلم من «حديث سلمة بن الأكوع قال: جعل عمي يرتجز ويقول:

تــالله لــولا الله مــا اهتــدينا ولا تصـــدقنا ولا صـــلينا

ونحـن مِـن فضـلك مـا اسـتغنينا فثبـــت الأقـــدام إن لاقينـــا

وأنزلـــن سكينـــة علينـــا

فقال رسول الله ﷺ: «من هذا؟» قالوا: عامر قال: «غفر لك ربك»، قال: وما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان يخصه إلا استشهد.

قال: فنادىٰ عمر[1] -وهو علىٰ جمل له-: يا نبي الله لولا متعتنا بعامر (ظ١١٩) قال: فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه وهو يقول:

قــد علمــت خيبــر أني مرحــب شــاكي السـلاح بطـل مجـرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

قال: فبرز له عمي عامر فقال:

قــد علمــت خيبــر أني عــامر شــاكي الســلاح بطــل مغــامر

قال: فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر، وذهب عامر يسل سيفه فرجع سيفه علىٰ نفسه فقطع أكحله، وكانت فيها نفسه.

= هل تدري أين صلىٰ رسول الله ﷺ من مسجدكم هذا؟ فقلت: نعم فأشرت له إلىٰ ناحية منه، فقال: هل تدري ما الثلاث التي دعا بهن فيه؟، فقلت: نعم. قال: فأخبرني بهن فقلت: «دعا بأن لا يظهر عليهم عدوا من غيرهم، ولا يهلكهم بالسنين فأعطيهما، ودعا بأن لا يجعل بأسهم بينهم: فمنعنيها» قال: صدقت، فلا يزال الهرج إلىٰ يوم القيامة.

قال ابن كثير: «ليس هو في شيء من الكتب الستة، وإسناده جيد قوي، ولله الحمد والمنة.»(تفسير ابن كثير٣/ ٢٧١).

(١) في (ب، ل): بن الخطاب.

قال (سلمة: فخرجت في نفر من أصحاب رسول الله صلىٰ الله تعالىٰ عليه وسلم يقولون: بطل عمل عامر، قتل نفسه، قال)[1]: فأتيت النبي ﷺ وأنا أبكي، فقلت: يا رسول الله، بطل عمل عامر، (قتل نفسه)[2]؟ قال رسول الله صلىٰ الله تعالىٰ عليه وسلم: «من قال ذلك؟» قلت: ناس من أصحابك، قال: كذب من قال ذلك، بل له أجره مرتين»[3].

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: «قالت أم سليم: يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له، فقال: اللهم أكثر[4] ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته»[5].

وروىٰ البخاري قال: «دخل النبي صلىٰ الله تعالىٰ عليه وسلم علىٰ أم سليم فأتته بتمر وسمن فقال: «أعيدوا سمنكم في سقائه، وتمركم في وعائه» ثم قام إلىٰ ناحية البيت فصلىٰ غير المكتوبة، فدعا لأم سليم وأهل بيتها، فقالت أم سليم: يا رسول الله، إن لي خويصة، فقال: «ما هي؟» قالت: خادمك أنس قال: فما ترك خير[6] آخرة ولا دنيا إلا دعا به[7]: «اللهم ارزقه مالاً وولدًا، وبارك له فيه» فإني لمن[8] أكثر الأنصار مالاً، وحدثتني ابنتي أمينة أنه دفن لصلبي إلىٰ

---

(١) سقط من (ب).
(٢) ليس في (ب، ل).
(٣) رواه البخاري (٤١٩٦)، ومسلم (١٨٠٧) واللفظ له.
(٤) في (ب): أكرم. تصحيف.
(٥) صحيح البخاري (٦٣٣٤)، صحيح مسلم (٢٤٨٠).
(٦) ليس في (ل).
(٧) في (ب) زيادة: قال.
(٨) ليست في (ل).

مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون ومائة»[1].

وفي رواية لمسلم: «دعا لي بثلاث دعوات قد رأيت منها اثنتين، وأنا أرجو الثالثة في الآخرة»[2].

وفي الترمذي -وحسنه - عن أبي خلدة قال: قلت لأبي العالية: «سمع أنس من رسول الله ﷺ؟ قال: خدمه عشر سنين، ودعا له النبي صلىٰ الله تعالىٰ عليه وسلم، وكان له بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين، وكان فيها ريحان يجيء منه ريح المسك»[3].

وفي صحيح مسلم «عن أبي هريرة قال: كنت أدعو أمي إلىٰ الإسلام، وهي مشركة، فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ، وأنا أبكي، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أمي إلىٰ الإسلام وتأبىٰ علي، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أمَّ أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اهد أم أبي هريرة».

فخرجتُ مستبشرًا بدعوة رسول الله ﷺ، فصرت إلىٰ الباب فإذا هو مجاف، فسمعت أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء فاغتسلتْ، ولبستْ درعها، وعجلت عن خمارها ففتحت الباب، فقالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، فأتيته وأنا أبكي من الفرح، فقلت: يا رسول الله، أبشر فقد استجاب الله دعوتك، وهدىٰ أم أبي هريرة، فحمد الله وقال خيرا.

(١) صحيح البخاري (١٩٨٢).
(٢) صحيح مسلم (٢٤٨١).
(٣) سنن الترمذي (٣٨٣٣)، وإسناده صحيح.

فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يحببني وأمي إلىٰ عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم حبب عبدك هذا -يعني أبا هريرة- وأمه إلىٰ عبادك المؤمنين، وحبب إليهما المؤمنين».

فما خلق الله من مؤمنٍ يسمع بي ولا يراني إلا أحبني»[1].

وفي الصحيحين «عن أنس أن النبي ﷺ (ظ ١٢٠) رأىٰ علىٰ عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة، فقال: «ما هذا؟» قال: يا رسول الله إني تزوجت امرأة، قال: «كم سقت إليها؟» قال: وزن نواة من ذهب، قال: «فبارك الله لك، أولم ولو بشاة»[2].

وفي الصحيحين «أنه لما قدم آخىٰ رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، فعرض عليه سعد أن يناصفه أهله وماله، فقال له عبدالرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلني علىٰ السوق، (فدلوه علىٰ السوق، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم بايع الغد» وذكر الحديث[3])[4].

فظهرت بركة دعوة النبي ﷺ، فبلغ من مال عبد الرحمن ما قاله الزهري: أنه تصدق بأربعمائة ألف دينار، وحمل علىٰ خمسمائة فرس في سبيل الله، وخمسمائة بعير في سبيل الله، قال: وكان عامة ماله من التجارة[5].

---

(١) صحيح مسلم (٢٤٩١).

(٢) صحيح البخاري (٦٣٨٦)، صحيح مسلم (١٤٢٧).

هامش (ف):نواة الذهب تطلق علىٰ ما وزنه خمسة دراهم أو ثمنه خمسة دراهم، أو حجم نواة تمر.

(٣) ما بين القوسين ليس في (ب، ل، المطبوعة).

(٤) صحيح البخاري (٣٩٣٧)، ولم يخرج مسلم قصة المؤاخاة.

(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٦٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٩٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٥/ ٢٦٣).

=

وقال محمد بن سيرين: اقتسم نساء عبد الرحمن بن عوف ثمنهن فكان ثلاثمائة وعشرين ألفا[1].

وقال الزهري: أوصىٰ عبد الرحمن لمن شهد بدرًا -فوجدوا مائة- لكل رجل منهم أربعمائة دينار[2].

وقال عبد الله بن جعفر: حدثتني أم بكر بنت المسور أن عبد الرحمن باع أرضًا بأربعين ألف دينار، فقسمها في فقراء بني زهرة، وفي المهاجرين، وأمهات المؤمنين[3].

= وروىٰ الطبري (في التفسير ١٠/ ١٩٥) عن قتادة: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ﴾ [التوبة: ٧٩]، قال: تصدق عبد الرحمن بن عوف بشطر ماله، أربعة آلاف دينار، فقال أناس من المنافقين: إن عبد الرحمن لعظيم الرياء.

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٥/ ٣٠٤)، وروىٰ كذلك نحوه عن مجاهد، وروىٰ عن أنس بن مالك قال: رأيته قسم لكل امرأة من نسائه بعد موته مائة ألف، وروىٰ عن أبي صالح قال مات عبد الرحمن بن عوف وترك ثلاث نسوة فأصاب كل واحدة مما ترك ثمانون ألفا ثمانون ألفا، وعن عمرو بن أبي سلمة عن أبيه: صولحت امرأة عبد الرحمن من نصيبها ربع الثمن علىٰ ثمانين ألفا.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٥/ ٣٠٠).

(٣) تاريخ دمشق ٣٥/ ٢٨٥، سير أعلام النبلاء ١/ ٨٥.

وهو قصة من حديث رواه أحمد (٢٤٧٢٤) والحاكم (٣/ ٣١٠) من حديث أم بكر أن عبد الرحمن بن عوف، باع أرضا له من عثمان بن عفان بأربعين ألف دينار، فقسمه في فقراء بني زهرة، وفي المهاجرين، وأمهات المؤمنين، قال المسور: فأتيت عائشة بنصيبها، فقالت: من أرسل بهذا؟ فقلت: عبد الرحمن، قالت: أما إني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «لا يحنو عليكن بعدي، إلا الصابرون»، سقىٰ الله عبد الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة.

وأم بكر فيها جهالة، حيث لم يوثقها إلا ابن حبان ولم يرو عنها إلا راو واحد.

وقال محمد بن عمرو عن أبي سلمة[1]: إنَّ عبد الرحمن أوصىٰ لأمهات المؤمنين بحديقة قوِّمت بأربعمائة ألف.

وفي الترمذي -وصححه- ورواه ابن حبان في صحيحه عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك؛ بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام».

وكان عمر بن الخطاب أحبهما إلىٰ الله فأسلم عمر»[2].

---

(١) كذا في (ب،ل)، وفي (ظ، د): محمد بن عمرو بن أبي سلمة. والصحيح ما أثبت.
فإن الترمذي والحاكم وابن عساكر رووه من طريق قريش بن أنس عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال: خياركم خياركم لنسائي.
قال أبو سلمة بن عبدالرحمن: فأوصىٰ أبي لهن بحديقة قومت أو بيعت بأربعمائة ألف.
(سنن الترمذي ٣٧٥٠، المستدرك ٣/ ٣٥٢، تاريخ دمشق ٣٥/ ٢٨٢، سير أعلام النبلاء ١/ ٨٥ -لم يرو الترمذي حديث أبي هريرة-).
وأبو سلمة هو ابن عبد الرحمن بن عوف، حدث عن أبيه بشيء يسير، لأن أباه توفي وهو صبي صغير (سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٨٧).

(٢) رواه أحمد (٥٦٩٦)، والترمذي (٣٦٨١)، وقال: حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر، وابن حبان في صحيحه (٦٨٨١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢١٦).
قلت: تفرد به خارجة بن عبدالله عن نافع عن ابن عمر، وخارجة مختلف فيه، قال أحمد والدارقطني: ضعيف الحديث، وقال ابن معين: ليس به بأس (ميزان الاعتدال١/ ٦٢٥) فمثله لا يقبل حديثه إذا تفرد عن إمام مكثر له أصحاب ثقات، كنافع.
تابعه: عبيدالله بن عمر من رواية المبارك بن فضالة عنه، رواه من طريقه الحاكم في المستدرك (٣/ ٨٣)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وهذا الإسناد منكر، تفرد به مبارك بن فضالة، وهو معروف بتدليس التسوية، وضعفه النسائي وغيره (ميزان الاعتدال ٣/ ٤٣١).
وله شواهد: =

وروي أنَّ الدعوة كانت في يوم الأربعاء فأسلم يوم الخميس، وأعز الله به الإسلام(١).

= الأول رواه ابن ماجه (١٠٥) وابن حبان (٦٨٨٢) من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ: «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة»وفي إسناده مسلم بن خالد الزنجي ضعيف الحديث (ميزان الاعتدال: ٤/ ١٠٢).

وله إسناد آخر أمثل، وهو ما رواه الحاكم (٣/ ٨٣) من طريق الماجشون بن أبي سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه ومدار هذا الحديث علىٰ حديث الشعبي عن مسروق عن عبد الله اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك وقد تفرد به مجالد بن سعيد عن الشعبي ولم أذكر لمجالد فيما قبل روايته.

قلت: وإسناد الحاكم صحيح.

الثاني: رواه الترمذي (٣٦٨١) من حديث ابن عباس، وفيه: النضر أبو عمر، منكر الحديث، وقال الترمذي: وقد تكلم بعضهم في النضر أبي عمر، وهو يروي مناكير.

الثالث: ما أشار إليه الحاكم (٣/ ٨٣) من حديث المجالد عن الشعبي عن مسروق عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام فجعل الله دعوة رسول الله ﷺ لعمر رضي الله عنه فبني عليه ملك الإسلام وهدم به الأوثان.

لم يصححه الحاكم لأن في إسناده مجالد بن سعيد في حديثه لين، مع أنه مكثر عن الشعبي (ميزان الاعتدال ٣/ ٤٣٨).

(١) رویٰ الحاكم (٣/ ٥٠٢) عن عثمان بن الأرقم أنه كان يقول: أنا بن سبع الإسلام أسلم أبي سابع سبعة وكانت داره علىٰ الصفا وهي الدار التي كان النبي ﷺ يكون فيها في الإسلام وفيها دعا الناس إلىٰ الإسلام فأسلم فيها قوم كثير وقال رسول الله ﷺ ليلة الإثنين فيها اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام فجاء عمر بن الخطاب من الغد بكرة فأسلم في دار الأرقم وخرجوا منها وكبروا وطافوا بالبيت ظاهرين ودعيت دار الأرقم دار الإسلام....

ورویٰ نحوه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢١٦) من حديث أسامة بن زيد بن أسلم عن أبه عن جده عن عمر، وفيه: دعا يوم الاثنين، ورویٰ (٢/ ٢١٩) عن أنس أنه دعا ليلة الخميس. وكل هذه الروايات في أسانيدها نظر، ولذا عبر المصنف بقوله: روي.

قال عبد الله بن مسعود: «ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر» رواه البخاري[1].

وظهر من عز الإسلام في إمارته - شرقًا وغربا؛ وفتح الشام والعراق ومصر؛ وكسر عساكر كسرىٰ وقيصر- ما تحقق به إجابة الدعوة.

وفي الصحيحين أنَّ: «ابن عباس وضع للنبي ﷺ لما أتىٰ الخلاء وضوءًا فقال لما خرج: «من وضع هذا؟» فقيل: ابن عباس فقال: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل»[2].

وفي رواية قال: «ضمني رسول الله ﷺ إلىٰ صدره، وقال:» اللهم علمه الكتاب[3]».

وفي رواية: «الحكمة»[4].

وظهرت إجابة دعوته حتىٰ كان يسمىٰ: البحر[5].

وقال فيه ابن مسعود: لو أدرك ابن عباس أسناننا لما عشره منا أحد[6].

وكان عمر يقدمه ويدخله مع أكابر الصحابة، وعلم ابن عباس مشهور في

---

(١) صحيح البخاري (٣٦٨٤).

(٢) صحيح البخاري (١٤٣)، صحيح مسلم (٢٤٧٧).

إلا أن لفظة: وعلمه التأويل ليست في الصحيحين، نص علىٰ ذلك الحميدي وابن حجر (فتح الباري ١/ ١٧٠).

وهي مروية بإسناد حسن من غير طريق الصحيحين، فقد رواها أحمد (٢٣٩٧)، وابن حبان في الصحيح (٧٠٥٥)، والحاكم (٣/ ٥٣٤)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ١٩٣).

(٣) رواه البخاري (٧٥)، ومسلم (٢٤٧٧).

(٤) رواه البخاري (٣٧٥٦)، وبعده قوله: والحكمة: الإصابة في غير النبوة.

(٥) انظر طرفا من أقوالهم في ذلك في فتح الباري (٧/ ١٠٠).

(٦) دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ١٩٣)، فتح الباري (٧/ ١٠٠).

الأمة(١).

وفي الصحيحين عن جابر قال: «كنت أسير علىٰ جمل قد أعيا، وأردت أن أسيبه، قال: فلحقني رسول الله ﷺ فضربه ودعا له، فسار سيرا لم يسر مثله.

وفي رواية: قال لي: «ما لبعيرك؟» فقلت: عليل(٢)، قال: فتخلف رسول الله ﷺ فزجره(٣) فدعا له، فما زال يسير بين يدي الإبل قدامها، فقال: «كيف ترىٰ بعيرك؟» قلت: بخير، قد أصابته بركتك. قال: فتبيعنيه(٤)» وذكر الحديث(٥).

وفي الترمذي وغيره: قال النبي ﷺ: «اللهم استجب لسعد إذا دعاك»(٦).

---

(١) فقد روىٰ البخاري (٤٢٩٤): عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتىٰ معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: «إنه ممن قد علمتم» قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال: وما رئيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا حتىٰ ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئا، فقال لي: يا ابن عباس، أكذاك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له: إذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة، فذاك علامة أجلك: فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا. قال عمر: «ما أعلم منها إلا ما تعلم».

(٢) هذا لفظ مسلم، وعند البخاري: عيي.

(٣) في الأصل (ظ، ب، ل): في حره، وفي (د): في حيزه. والمثبت من الصحيح.

(٤) في (ل): فتبعنيه، وفي (د، ط النيل): فبعنيه.

(٥) صحيح البخاري (٢٧١٨)، صحيح مسلم (٧١٥).

(٦) رواه الترمذي (٣٧٥١) بإسناد حسن، من طريق جعفر بن عون عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن حازم عن سعد، ثم قال: وقد روي هذا الحديث عن إسماعيل، عن قيس أن النبي ﷺ قال: «اللهم استجب لسعد إذا دعاك» وهذا أصح. =

وفي لفظ: «اللهم أجب دعوته، وسدد رميته»، فكان سعد لا يرمي إلا يصيب، ولا يدعو إلا أجيب»(١).

وروىٰ الحاكم في صحيحه «عن علي رضي الله عنه قال: مرضتُ فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم (ظ١٢١)، وأنا أقول: اللهم إن كان أجلي قد حضر فأرحني، وإن كان متأخرا فارفعني، وإن كان بلاء فصبرني، فقال: «اللهم اشفه، اللهم عافه» ثم قال: «قم» فقمت، فما عاد إلي ذلك الوجع بعد»(٢).

وفي الصحيحين عن أم خالد قالت: «أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال: «من ترون نكسوه هذه الخميصة؟» فأسكت(٣) القوم، فقال: «ائتوني بأم خالد» فأتي بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فألبسنيها، فقال: «أبلي وأخلقي(٤)» مرتين.

= والإرسال هو رواية أصحاب إسماعيل كما أفاده الدارقطني في العلل (١/ ٢٥٩).
ولكن لم يتفرد جعفر بالوصل، فقد رواه كذلك موسىٰ بن عقبة، رواه عنه أبو نعيم علىٰ اللفظ التالي، وسيأتي في التعليقة التالية.

(١) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (٥١٢) وإسناده جيد.

(٢) رواه أحمد (٦٣٧)، والترمذي (٣٥٦٤)، وقال: حديث حسن صحيح، وابن حبان في الصحيح (٦٩٤٠)، والدارقطني في العلل (٣/ ٢٥٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٢٠)، وأبو نعيم في الدلائل (٣٧٤)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ١٧٩).
وفي إسناده عبدالله بن سلمة المرادي صاحب علي بن أبي طالب، في حديثه ضعف، وقد اختلط، وقال عمرو بن مرة: كان يحدثنا فتعرف وتنكر (العلل لأحمد بن حنبل ١٨٢٤، ميزان الاعتدال ٢/ ٤٣٠).

(٣) في (ل، د): فسكت.

(٤) في (ب): وأخلفي.
قال ابن الأثير: وفي حديث أم خالد «قال لها أبلي وأخلقي» يروىٰ بالقاف والفاء، فبالقاف من إخلاق الثوب تقطيعه، وقد خلق الثوب وأخلق. وأما الفاء فبمعنىٰ العوض والبدل، وهو الأشبه (النهاية في غريب الحديث ٢/ ٧١). =

فجعل ينظر إلىٰ علم الخميصة ويشير بيده إلي، ويقول: «يا أم خالد هذا سنا» والسنا بلسان الحبشة الحسن، فبقيت حتىٰ دكن»[1].

وعن أبي زيد[2] عمرو بن أخطب الأنصاري قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ادن مني» فمسح بيده علىٰ رأسي ولحيتي ثم قال: «اللهم جمله، وأدم جماله».

قال الراوي عنه[3]: فبلغ بضعًا وثمانين سنة، وما في لحيته بياض إلا نزر يسير، ولقد كان منبسط الوجه، ولم يتقبض وجهه حتىٰ مات.

رواه الإمام أحمد، وقال البيهقي: إسناده صحيح[4].

= وقد أشار الحافظ إلىٰ هذا الخلاف في الفتح (١٠/ ٢٨٠)، وأن الفاء رواية أبي زيد المروزي، وهكذا هو في المختصر النصيح (١١٠٦).

(١) صحيح البخاري (٣٠٧١)، وقوله: حتىٰ دكن، في صحيح البخاري: حتىٰ ذكر، أي ذكر الراوي من بقائها أمدا طويلا، وفي نسخة الصغاني وغيرها حتىٰ ذكرت، قال الحافظ: ولبعضهم حتىٰ دكن بمهملة وآخره نون أي اتسخ (فتح الباري ٦/ ١٨٤) وهي رواية أبي ذر عن الكشميهني (فتح الباري ١٠/ ٤٢٦)، ولم يذكرها المهلب بن ابي صفرة (المختصر النصيح:١١٠٦).

(٢) في المطبوعة وط النيل: أبي يزيد، وهو تصحيف، فالنسخ الخطية كلها علىٰ ما أثبت، وهو الصحيح، وهو صحابي جليل حديثه في الكتب الستة إلا البخاري (تهذيب الكمال ٢١/ ٥٤٢).

(٣) وهو: علباء بن أحمر، وعلباء إنما قال: «فلقد بلغ بضعا، ومائة سنة وما في رأسه ولحيته بياض، إلا نبذ يسير، ولقد كان منبسط الوجه، ولم ينقبض وجهه حتىٰ مات» كذا في المصادر.

(٤) رواه أحمد (٢٠٧٣٣)، ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢١٠)وقال: «هذا إسناد صحيح موصول». وقد توبع فيه علباء بن أحمر عن أبي زيد، فرواه أبو نهيك عن أبي زيد عمرو بن أخطب، رواه أحمد (٢٢٨٨١)، وابن حبان (٧١٧٢) والحاكم (٤/ ١٣٩)، والبيهقي (٦/ ٢١٢). =

ورواه الترمذي، وقال: «مسح رسول الله ﷺ يده علىٰ وجهي ودعا لي».

«قال عزرة[1]: إنه عاش مائة وعشرين سنة، وليس في رأسه إلا شعيرات بيض». قال الترمذي[2]: حديث حسن[3].

وذكر[4] البخاري في تاريخه: يعقوب بن إسحاق بن حنظلة بن حنيفة بن حِذْيَم قال: قال حِذْيَم[5]: يا رسول الله إني رجل ذو سن، وهذا أصغر بني، فسمت عليه، قال: «تعال يا غلام» فأخذ بيدي، ومسح برأسي، وقال: «بارك الله فيك» أو «بورك فيك» فرأيت حنظلة يؤتىٰ بالإنسان الوارم فيمسح بيده، ويقول: بسم الله، فيذهب الورم، وفي رواية: والشاة، والبعير»[6].

ويذكر عن أبي سفيان -واسمه مدلوك- أنه ذهب إلىٰ النبي ﷺ فأسلم

= ولفظه: نهيك، حدثني أبو زيد عمرو بن أخطب الأنصاري قال: استسقىٰ رسول الله ﷺ ماء، فأتيته بقدح فيه ماء، فكانت فيه شعرة فأخذتها فقال: «اللهم جمله» قال: فرأيته وهو ابن أربع وتسعين ليس في لحيته شعرة بيضاء.

(١) في الأصول كلها: عروة، وهو تصحيف، صوابه ما أثبت.

(٢) في (ب، ل): وقال حديث حسن.

(٣) رواه الترمذي (٣٦٢٩) من طريق عزرة بن ثابت عن علباء بن أحمر، وهو الطريق الأول للحديث، قال الترمذي: حديث حسن غريب، وأبو زيد اسمه عمرو بن أخطب.

(٤) في (ب، ل، د): وقال.

(٥) في الأصل ظ: خذيم في الموضعين، وهو مخالف لما في كتب التراجم وباقي النسخ. وأما ضبطه فمن الأصل و د وتبصير المنتبه (١/ ٤٢١).

(٦) رواه أحمد (٢٠٦٦٥)، والبغوي في معجم الصحابة (٢/ ١٨٦) والبيهقي في الدلائل (٦/ ٢١٤) وذكره البخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٣٧)، وليس في المطبوع ولا في الدلائل للبيهقي حيث نقله عن البخاري: «ثنا»، ولا «عن» بل فيه: قال يعقوب بن إسحاق: حنظلة بن حنيفة بن حذيم قال: قال حذيم.

وفي الإسناد: الذيال بن حنظلة، قال يحي بن معين: ثقة، وقال أبو حاتم: شيخ أعرابي (الجرح والتعديل ٣/ ٤٥٢) والحديث صحيح.

فدعا له النبي ﷺ، ومسح رأسه بيده، ودعا له بالبركة. فكان مقدم رأسه موضع يد النبي ﷺ أسود، وسائره أبيض» ذكره البخاري أيضًا[1] في تاريخه[2].

وروىٰ الإمام[3] أحمد في مسنده عن أبي العلا قال: «كنت عند قتادة بن ملحان في مرضه الذي مات فيه، فمر رجل في مؤخر الدار فرأيته في وجه قتادة، قال: كان رسول الله ﷺ مسح[4] وجهه، وكنت قبل ما رأيته إلاَّ رأيته[5] كأن علىٰ وجهه الدهان»[6].

[7]وفي صحيح البخاري أن عبدالله بن هشام كان يخرج إلىٰ السوق فيلقاه[8] ابن الزبير وابن عمر، فيقولان له: أشركنا، فإن رسول الله ﷺ قد دعا لك بالبركة، فيشركهم، فربما أصاب الراحلة كما هي فيبعث بها إلىٰ المنزل[9].

وفي مسند الإمام أحمد «عن عروة بن أبي الجعد قال: عرض للنبي ﷺ جلبٌ فأعطاني دينارًا، وقال: «أي عروة ائت الجلب فاشتر شاة» فأتيت الجلب

---

(١) قدمها في (ب، ل).

(٢) رواه البخاري في التاريخ الكبير (٨/ ٥٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢١٥)، وقوام السنة في دلائل النبوة نقلا من كتاب الطبراني «دلائل النبوة» (١٧٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٨/ ٣٤٧).
وفيه مطر بن العلاء، قال أبو حاتم: شيخ، ووثقه ابن حبان، يروي عن عمته آمنة بنت أبي الشعثاء لم أجد لها ذكرا في غير هذا الحديث (تاريخ ابن عساكر: ٦٩/ ٤٤).

(٣) في (ب، ل)/ وروىٰ أحمد بإسناده.

(٤) في (ب): يمسح.

(٥) في (ب، ل): قال: وكنت قبل ما رأيته إلا ورأيته..

(٦) رواه أحمد (٢٠٣١٧)، ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢١٧)، وإسناده صحيح.

(٧) الحديث التالي سقط من المطبوعة، وهو ثابت في كل الأصول الخطية وط النيل.

(٨) في (ب، ل، د): فيتلقاه.

(٩) رواه البخاري في الصحيح (٢٥٠١)، والمعنىٰ: أنه يربح الراحلة بأكملها.

فساومت صاحبه فاشتريت منه شاتين بدينار، فجئت بهما أسوقهما فلقيني رجل فساومني فأبيعه[1] شاة بدينار، فجئت بالدينار وجئت بالشاة، فقلت: يا رسول الله هذا ديناركم، وهذه شاتكم، قال: «وصنعت كيف؟» قال: فحدثته الحديث فقال: «اللهم بارك له في صفقة يمينه» فلقد[2] رأيتني أقف بكناسة الكوفة فأربح أربعين ألفًا قبل أنْ أصل إلىٰ أهلي» (رواه الإمام أحمد)[3].

وفي لفظ (آخر قال الراوي عنه: «فكان)[4] لو اشترىٰ التراب لربح فيه» رواه البخاري عن أهل داره عنه[5].

وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع «أن رجلاً أكل عند النبي ﷺ بشماله فقال له: «كل بيمينك» (ظ ١٢٢) قال: لا أستطيع، قال: «لا استطعت» ما منعه إلا الكبر، قال: فما رفعها إلىٰ فيه»[6].

ورویٰ مالك في موطئه عن زيد بن أسلم «عن جابر بن عبد الله السلمي

---

(١) في (ب، د): فابتعته، وهكذا هي في أصل (ل) وصححها في الهامش.

(٢) في (ب): كذلك.

(٣) ما بين القوسين ليس في الأصل (ظ).

رواه الإمام أحمد (١٩٣٦٢)، من حديث أبي لبيد عن عروة، وإسناد حسن.

(٤) ما بين القوسين ليس في (ب، ل).

(٥) صحيح البخاري (٣٦٤٢)، من حديث شبيب بن غرقدة، قال: سمعت الحي يحدثون، عن عروة، ثم ذكر حديثا بعده، هو مراده من الرواية، قال الحافظ: «ومما يدل علىٰ أن البخاري لم يقصد تخريج الحديث الأول أنه أخرج هذا في أثناء أحاديث عدة في فضل الخيل وقد بالغ أبو الحسن بن القطان في كتاب بيان الوهم في الإنكار علىٰ من زعم أن البخاري أخرج حديث شراء الشاة قال وإنما أخرج حديث الخيل فانجر به سياق القصة إلىٰ تخريج حديث الشاة وهذا كما قلناه وهو لائح لا خفاء به» (هدي الساري: ٣٩٧).

لكن قوله: الحي يقتضي أنه سمعه من جماعة أقلهم ثلاث (فتح الباري ٦/ ٦٣٤).

ورواه أبو داود (٣٣٨٤).

(٦) صحيح مسلم (٢٠٢١).

قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بني أنمار، قال جابر: فبينا أنا نازل تحت شجرة إذا رسول الله ﷺ، فقلت: هلم يا رسول الله إلىٰ الظل، قال: فنزل رسول الله ﷺ، قال جابر: فقمت إلىٰ غرارة لنا فالتمست فيها فوجدت فيها جرو قِثَّاء، فكسرته ثم قربته إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال: «من أين لكم هذا؟» قلنا: خرجنا به[١] من المدينة، قال: وعندنا صاحب لنا نجهزه[٢] يذهب يرعىٰ ظهرنا،[٣] فجهزته ثم أدبر يذهب إلىٰ الظهر، وعليه ثوبان له قد خلقا، فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال: «أما له ثوبان غير هذين؟» فقلت: بلىٰ يا رسول الله، ثوبان في العَيبة كسوته إياهما، قال: «ادعه فليلبسهما» فدعوته فلبسهما، ثم ولىٰ يذهب، فقال رسول الله ﷺ: «ما له ضرب الله عنقه، أليس هذا خيرا له» فسمعه الرجل فقال: يا رسول الله، في سبيل الله؟ (فقال: «في سبيل الله»)[٤] فقتل الرجل في سبيل الله»[٥].

ورواه أبو زُرعة عن سعيد بن سليمان، عن الليث عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء، عن جابر[٦].

---

(١) أثبتها في هامش الأصل، وكتب فوقها: لعله. وهي ثابتة في الأصول الأخرىٰ.
(٢) في هامش (ب) مقابل هذه الكلمة: عريانا.
(٣) في (ب، ل) زيادة: قال.
(٤) سقط من الأصل ظ -لانتقال النظر- وهي ثابتة في الأصول.
(٥) رواه مالك في الموطأ (٢/ ٩١٠) من حديثه عن زيد بن أسلم عن جابر، ورواه ابن حبان (٥٤١٨) من طريق مالك، ثم قال: «هكذا كانت نية المصطفىٰ ﷺ في البداية، وزيد بن أسلم سمع جابر بن عبد الله؛ لأن جابرا مات سنة تسع وسبعين، ومات أسلم مولىٰ عمر في إمارة معاوية سنة بضع وخمسين، وصلىٰ عليه مروان بن الحكم، وكان علىٰ المدينة إذ ذاك، فهذا يدلك علىٰ أنه سمع جابرا، وهو كبير، ومات زيد بن أسلم سنة ست وثلاثين ومائة، وقد عمر»، ورواه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢٤٤).
(٦) رواه مالك في الموطأ (٢/ ٩١٠).

فصل:

في الطرق التي تبين بها أن هذه الأخبار تفيد العلم

وهذه الأخبار: منها ما هو في القرآن.

ومنها: ما هو متواتر يعلمه العامة والخاصة.

كنبع الماء من بين أصابعه، وتكثير الطعام، وحنين الجذع، ونحو ذلك.

فإنَّ كلاً من ذلك تواترت به الأخبار واستفاضت، ونقلته الأمة جيلاً بعد جيل، وخلفًا عن سلف، فما من طبقة من طبقات الأمة إلا وهذه الآيات منقولة مشهورة مستفيضة فيها، ينقلها أكثر ممن ينقل كثيرًا من القرآن، وقد سمعها ونقلها[1] من الأمة أكثر ممن سمع ونقل كثيرًا من آيات القرآن، وأكثر ممن (سمع ونقل)[2] أنه كان يسجد في الصلاة سجدتي السهو، وممن سمع ونقل نُصب الزكوات وفرائضها.

بل مواقيت الصلاة وأعدادها إنما شاع نقلها للعمل[3] الدائم بها، وأمَّا هذه الآيات فنقلها أكثر ممن نقل مواقيت الصلاة من جهة الأخبار المعينة.

وذلك: أنَّ آيات الرسول كان كثيرًا منها يكون بمشهد من الخلق العظيم؛ فيشاهدون تلك الآيات كما شاهد أهل الحديبية -وهم ألف وخمسمائة- نبعَ الماء من بين أصابعه، وظهور الماء الكثير من بئر الحديبية لما نزحوها، ولم يتركوا فيها قطرة فكثر حتىٰ روىٰ العسكر، وكما شاهد العسكر في غزوة ذات الرقاع الماء

---

(١) قدم وأخر في (ل، ب).

(٢) ليست في (ل) سقطت عليه لأن الجملة فاتته فكتبها لحقا في الهامش.

(٣) في (ب): العملي.

اليسير لما صبه جابر في الجفنة وامتلأت، وملأ[1] منها جميع العسكر.

وكما شاهد الجيش في رجوعهم من غزوة خيبر المزادتين مع المرأة، وقد ملأوا كل وعاء معهم وشربوا، وهي ملأىٰ كما هي.

وكما شاهد أهل خيبر -وهم ألف وخمسمائة- الطعام الذي كان كربضة الشاة[2] فأشبع الجيش كلهم.

وكما شاهد الجيش العظيم -وهم نحو ثلاثين ألفًا- في غزوة تبوك العين لما كانت قليلة الماء فكثر ماؤها[3] حتىٰ كفاهم، وشاهدوا الطعام الذي جمعوه علىٰ نطع فأخذوا منه حتىٰ كفاهم.

وكما شاهد أهل الخندق -وهم أكثر من ألف- كثرة الطعام في بيت جابر بعد أنْ كان صاعًا من شعير وعناقًا، فأكلوا كلهم بعد الجوع حتىٰ شبعوا، وفضلت فضلة.

وكما (ظ١٢٣) شاهد الثمانون نفسًا كثرة الطعام لما أكلوا في بيت أبي طلحة.

وكما شاهد الثلاثمائة كثرة الماء لمَّا توضؤوا من قدح، والماء ينبع من بين أصابعه، حتىٰ كفاهم للوضوء، وكذلك وليمة زينب كانوا ثلاثمائة فأكلوا من طعام من تور من حجارة -وهو باق- فظنَّ أنس أنه أزيد مما كان.

وكانوا يتداولون قصعة من غدوة إلىٰ الليل، يقوم عشرة ويقعد عشرة -كما في حديث سمرة بن جندب-.

---

(١) في (ب، ل): ملؤا منها.

(٢) في (ب): شاة.

(٣) ليست في (ب، ل).

وأهل الصفة لما شربوا كلهم من اللبن القليل وكفاهم وفضل.

وكانوا ينقلون ذلك بينهم وهو مشهور، ينقله بعض من شاهده إلىٰ من غاب عنه[1].

فكان استفاضة آياته وشهرتها وتواترها في الأمة أعظم من تواتر سجود السهو في الصلاة، فإن هذا إنما كان مرات قليلة، ولم يحضره إلاَّ المصلون خلفه لتلك الصلاة.

وكذلك نقلهم لنُصب الزكاة وفرائضها، فإن هذا إنَّما سمعه منه طائفة قليلة ونقلوه.

وكذلك حكمه بالشُّفعة فيما لم يقسم[2].

وقضاؤه بأنَّ دية الخطأ علىٰ العاقلة[3].

وقضاؤه بأنَّ الولد للفراش وللعاهر الحجر[4].

ونهيه عن نكاح الشَّغَار[5].

وتحريمه لطلاق الحائض وطلاق الموطوءة قبل أن يتبين حملها[6].

وأن المعتقة تحت عبد يثبت لها الخيار[7].

---

(١) وكل هذه الأحاديث سبق أن ذكرها المصنف، وخرجناها فيما مضىٰ من هذا المجلد.

(٢) روىٰ البخاري (٢٢١٣)، ومسلم (١٦٠٨) عن جابر ﵁: «جعل رسول الله ﷺ الشفعة في كل مال لم يقسم، فإذا وقعت الحدود، وصرفت الطرق، فلا شفعة».

(٣) روي هذا من عدة أحاديث، منها حديث أبي هريرة عند مسلم (١٦٨١)، وقد رواه البخاري (٥٧٥٨) مختصرا، ولم يذكر: قضىٰ بالدية علىٰ العاقلة

(٤) رواه البخاري (٢٠٥٣)، ومسلم (١٤٥٧).

(٥) رواه البخاري (٥١١٢)، ومسلم (١٤١٥).

(٦) رواه البخاري (٥٢٥٢)، ومسلم (١٤٧١) من حديث ابن عمر في قصة طلاقه امرأته وهي حائض.

(٧) كما في قصة بريرة ومغيث، في صحيح البخاري (٥٢٨٠)، وترجم عليه: باب خيار الأمة تحت العبد.

وتوريث الجدة السدس[1].

ونهيه أن تنكح المرأة علىٰ عمتها وخالتها[2].

وقوله: «فيما سقت السماء العشر، وفيما سقي بالدوالي والنواضح نصف العشر»[3].

وأمثال ذلك إنما سمعها طائفة من الأمة هم أقل بكثير ممن شاهد آياته.

ثم إن الأمة متفقة علىٰ نقل ذلك، وهذه الأحكام متواترة عنه معلومة بالاضطرار من دينه.

فإذا كان مثل هذه الأمور تواتر في الأمة، واتفقت علىٰ نقله، فكيف بما كان أشهر وأظهر عند من عاينه، وكان علم الذين رأوه به أظهر من علمهم بهذه الأحكام، وقد نقلوا ذلك إلىٰ من غاب عنهم، فإنه قطعا يجب أن يكون تواتر هذه الآيات في الأمة أعظم وأظهر، ولهذا لا يكاد يوجد مسلم إلا وقد عرف كثيرًا من هذه الآيات وسمعها ونقلها إلىٰ غيره، بخلاف كثير من الأحكام المتواترة عنه المتفق علىٰ نقلها عند العلماء، فإن كثيرا من الناس لا يعرفها، ولا سمعها.

وإذا قال القائل: هذه مما تتوفر الهمم والدواعي علىٰ نقلها، فلو كانت موجودة لتوفرت الهمم والدواعي علىٰ نقلها، ولو كان كذلك لتواترت.

قلنا: وكذلك هو ولله الحمد، توفرت الهمم والدواعي علىٰ نقلها[4] (أكثر

---

(١) رواه أحمد (١٧٩٧٨).

(٢) رواه البخاري (٥١٠٩)، ومسلم (١٤٠٨).

(٣) رواه البخاري من حديث ابن عمر (١٤٨٣).

(٤) في (ب): علىٰ نقلها بين المسلمين، ثم من بداية هذا القوس إلىٰ القوس الآخر محله في (ب) بعد الحديث عن مغازي حمزة الآتي.

وهذا الموضع في النسخ مضطرب، وقد اعتمدت علىٰ ما في الأصل (ظ) لجودته وضبطه.

مما توفرت الهمم والدواعي علىٰ نقل[1] أكثر آيات الأنبياء قبله، وأكثر مما توفرت علىٰ نقل الأخبار العجيبة من سير الملوك والخلفاء.

فإنه من تدبر نقل هذه الآيات وجد شهرتها في كل زمان، وظهور الأخبار بها أعظم من شهرة ما ينقل من آيات[2] الأنبياء وأخبار الملوك والدول التي جرت العادة بتوفر الهمم والدواعي علىٰ نقلها، فإن مثل هذا لا يجب في كونه متواترًا أن يتواتر عند كل أحد من الناس.

فإنَّ أكثر ما تواتر عند كل أمة من أحوال متقدميها قد لا يسمعه كثير من الأمم من غيرهم فضلاً عن تواتره عندهم؛ حتىٰ إنَّ كثيرًا من الأمم الذين لا يعرفون الأنبياء قد لا يكونون[3] سمعوا بأسماء الأنبياء ولا بأخبارهم فضلاً عن تواترها عندهم، وأكثر أتباع الأنبياء لم يتواتر عندهم من أخبار الملوك وسيرهم ما تواتر عند غيرهم؛ حتىٰ إن أكثر المسلمين لم يسمعوا بأسماء خلفاء بني أمية، وبني العباس، وأسماء وزرائهم ونوابهم وقوادهم، وبالحروب التي (ظ١٢٤) جرت بينهم، ولا يعرفون الوقائع العظيمة من الحروب التي كانت بين المسلمين وأعدائهم، مثل: يوم أَجْنَادين[4]، ويوم مَرج الصُّفَّر[5]، ويوم

---

(١) في (ب): «علىٰ نقل الأخبار العجيبة من سير الملوك».
(٢) في (ل، ب): «نقل من أخبار الأنبياء وسير الملوك».
(٣) كذا في الأصلين (ظ، د)، وفي (ل، ب): يكونوا، وفي (ل): قد سمعوا.
(٤) من الوقعات المشهورة في فتوح الشام، بين الرملة وبيت جبرين، في الثالث من جمادىٰ الأولىٰ سنة ١٣، قيل إن عمرو بن العاص كان علىٰ الألوية كلها، وقيل بل كل أمير كان علىٰ جنده (تاريخ الطبري ٢/ ٣٤٧، تاريخ الإسلام ٢/ ٥١).
(٥) وهي وقعة بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد والروم بقيادة قلقط، في فتوح الشام، سنة ١٣ في جمادىٰ الآخرة، وقيل أول سنة ١٤، واستشهد فيها طائفة من الصحابة، انظر: تاريخ الطبري (٢/ ٣٣٣)، تاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ٥٢).

فِحْل[1]،ويوم اليرموك[2]، [[3]ويوم[4] جسر أبي عبيد، ويوم القادسية.

«بل وحربهم مع أهل الردة مع أتباع طليحة الأسدي، ووفد بزاخة، ومثل يوم حديقة الموت مع أتباع مسيلمة الكذاب»[5].

ولا يعرفون أن المسلمين فتحوا قبرص، ولا حاصروا[6] القسطنطينية مرتين، مرة في زمن معاوية، ومرة في زمن بني مروان[7].

وكذلك الفتن التي كانت بين المسلمين]، مثل يوم الحرة[8]، ويوم مَرج راهط[9]، وفتنة ابن المهلب بسجستان[10]، وفتنة ابن الأشعث والقراء مع الحجاج، وحرب مصعب بن الزبير مع المختار بن أبي عبيد، وفتنة المنصور مع محمد بن عبدالله بن حسن بن حسن[11] بالمدينة، ومع أخيه إبراهيم[12] بالبصرة.

---

(١) وقعة حصلت بعد أجنادين، في ذي القعدة سنة ١٣ (تاريخ الإسلام للذهبي: ٢/ ٥٣).
(٢) تأخر في (ل) بعد جسر أبي عبيد.
(٣) ما بين [] محله في (ل، د) بعد قوله: بالبصرة.
(٤) في (ل، د): ومثل.
(٥) ما بين «» ليس في (ل).
(٦) في (ل، ب): غزوا.
(٧) في (ب): مرة مع معاوية ومرة من بني مروان.
(٨) وقعة الحرة في المدينة سنة ثلاث وستين، حيث استباحها مسلم بن عقبة المري، واستشهد فيها جماعة من الصحابة (تاريخ الإسلام للذهبي: ٢/ ٥٣).
(٩) مراده الوقعة التي كانت بين الضحاك بن قيس ومروان بن الحكم، في مرج راهط، سنة ٦٤، قتل فيها الضحاك وطائفة معه، وتوطد الأمر لمروان بن الحكم في الشام ومصر (انظر: تاريخ الطبري ٣/ ٣٨١).
(١٠) ليست في (ل، د).
(١١) في (د): حسين، وهو تصحيف.
(١٢) في (د، ب): «محمد بن إبراهيم»، وهو تصحيف.

بل أكثر العامة لم يسمعوا بأبي مسلم صاحب الدعوة، وبعبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس، وما جرىٰ لهما من الحروب مع عساكر مروان بن محمد[1] آخر خلفاء بني أمية، ولم يسمعوا أيضًا بدخول عبد الرحمن بن هشام إلىٰ الأندلس، وما جرىٰ له فيها، ولا بالفتنة التي بين ابني الرشيد: الأمين والمأمون، مع أن هذه الأمور هي متواترة عند أهل العلم بالسير وأخبار الناس والتواريخ.

وظهور هذه الآيات[2] مشهورة بين الأمة عامتها وخاصتها في كل زمان أعظم من ظهور هذه الأخبار المتواترة، فهي أحق أن تجعل متواترة من هذه.

ونَقَلَةُ[3] هذه الآيات من الخاصة أهل العلم، وكتب الحديث والتفسير والمغازي والسير وكتب الأصول والفقه التي توجد فيها هذه الأخبار أصح نقلاً باتفاق أهل العقل والعلم من كتب التواريخ المرسلة، فإنَّ تلك كثير من أخبارها منقطع الإسناد، وفيها من الأكاذيب ما لا يحصيه إلا الله، وإن كان أصل القصة قد يكون متواترًا، وهذه الآيات المشهورة في الأمة، كثير من أجناسها متواتر عند العامة[4]، وكثير من آحادها متواتر عند الخاصة أهل العلم).

بل كثير من الفقهاء والمتكلمين[5] -أو أكثرهم- لا يعرفون عدد مغازي رسول الله ﷺ التي قاتل فيها أعداءه، وهي وقائع مشهورة كل منها متواتر تواترًا ظاهرًا عند أهل العلم[6]، مثل: يوم بدر، ويوم أحد، ويوم الخندق، وغزوة بني

---

(١) ليست النسبة في (ل، ب).
(٢) في (ل، د، ب) زيادة: «التي هي دلائل النبوة وأعلامها».
(٣) في (ل): ونقل. وفي (ب): «ونقلت».
(٤) في (ل، ب): «أهل العلم».. وليس قوله الآتي: «أهل العلم» عنده.
(٥) في (ب): «والمسلمين».
(٦) في (ب) زيادة: بها.

المصطلق، وغزوة خيبر، وفتح مكة، ويوم حنين، وحصار الطائف.

فكثير من أهل العلم فضلا عن العامة -وإن كانوا سمعوا بهذه الأسماء أو بعضها- فلا يعرفون أيها كان قبل الآخر، ولا يعرفون بأي بُقعة كانت تلك الغزاة، بل ولا يعرفون من كان العدو فيها، ولا كيف كانت، بل أكثر العامة لا يميزون بين بدر وحنين، بل يقول قائلهم: يوم بدر وحنين، ويظنون أن ذلك يوم واحد، وأنها غزاة واحدة، ولا يعرفون أنهما غزاتان بينهما نحو ست سنين، كانت بدر في السنة الثانية من الهجرة، وكانت حنين في السنة الثامنة بعد فتح مكة، وأن بدرًا مكان بين مكة والمدينة، شامي مكة ويماني المدينة، وحنين واد قريب من الطائف شرقي مكة، وإنما قرن بينهما في الاسم لأنَّ الله تعالىٰ أنزل فيهما الملائكة، وأيد بها نبيه والمؤمنين حتىٰ غلبوا عدوهم مع قوة العدو في بدر، ومع هزيمة أكثر المسلمين أولاً بحنين، وامتن الله بذلك في كتابه في قوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣] (ظ١٢٥) (١)، وفي قوله: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٦](٢).

حتىٰ إنَّ بعض أكابر أئمة الفتيا المشهورين قال له صاحبه لما أنكر عليه طلب علم السير: تسكت وإلا سألتُك قدام الناس: أيهما كانت قبل بدر أو أحد، فإني أعلم أنك لا تعلم ذلك(٣)!

---

(١) هامش ب: بلغ مقابلة من عبدالله..

(٢) في (ب) كتب الآية التي تليها.

(٣) في (ب): لا تعلمه.

مع أنه من المتواتر الذي لا يستريب فيه من له أدنىٰ[1] معرفة بالأخبار أن «أُحدًا» كانت بعد «بَدر»، وفي «بدر» انتصر المسلمون علىٰ الكفار، ويوم «أحد» استظهر الكفار.

بل وكثير من علماء المسلمين الأكابر لا يعلمون ما هو متواتر عند أهل الكتاب، بل وعند غيرهم من علماء المسلمين، مثل: خراب بيت المقدس مرتين، ومجيء بخت نصر إلىٰ بيت المقدس أوَّلاً[2].

والله سبحانه قد ذكر في القرآن المرتين فقال: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤-٧].

وكانت الأولىٰ بعد سليمان، وكانت الثانية بعد زكريا ويحيىٰ والمسيح لما قتلوا يحيىٰ بن زكريا، الذي يسميه أهل الكتاب يوحنا المعمداني.

وكثير من المذكورين بالعلم يظن أن «بخت نصر» هو الذي قدم الشام[3] لما قُتل يحيىٰ بن زكريا، وهذا عند أهل العلم -من أهل الكتاب وعند من له خبرة من علماء المسلمين- باطل، والمتواتر أن «بخت نصر» هو الذي قدم في

---

(١) ليست في (ب، ل).
(٢) ليست في (ل، ب).
(٣) سقطت هذه الكلمة من الأصل (ظ) وهي ثابتة في باقي الأصول.

المرة الأولىٰ[١].

وكذلك كون شعيب النبي كان حَمو موسىٰ عليه السلام، كما يقوله طائفة من الجهال، والمتواتر عند أهل الكتاب وعلماء المسلمين والصحابة والتابعين وغيرهم خلاف ذلك[٢].

---

(١) وهو قول ابن إسحاق رواه عنه ابن جرير في جامع البيان (١٧/ ٣٦٥)، لكن أشار ابن جرير إلىٰ الخلاف في ذلك.

وأورد ابن كثير (في تفسيره: ٥/ ٤٧) قول سعيد بن المسيب: ظهر بختنصر علىٰ الشام، فخرب بيت المقدس وقتلهم، ثم أتىٰ دمشق فوجد بها دما يغلي علىٰ كبا، فسألهم: ما هذا الدم؟ فقالوا أدركنا آباءنا علىٰ هذا، وكلما ظهر عليه الكبا ظهر. ثم قال: فقتل علىٰ ذلك الدم سبعين ألفا من المسلمين وغيرهم، فسكن، ثم قال: وهذا صحيح إلىٰ سعيد بن المسيب، وهذا هو المشهور، وأنه قتل أشرافهم وعلماءهم، حتىٰ إنه لم يبق من يحفظ التوراة، وأخذ معه خلقا منهم أسرىٰ من أبناء الأنبياء وغيرهم، وجرت أمور وكوائن يطول ذكرها. ولو وجدنا ما هو صحيح أو ما يقاربه، لجاز كتابته وروايته، والله أعلم.

(٢) للمصنف رسالة في هذه المسألة في جامع الرسائل ١/ ٦١-٦٩، قرر فيها ما ذكره هنا.

وفي المسألة خلاف حكاه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٧٠)، ثم قال: «وأكثر الناس علىٰ أنهما ابنتا شعيب عليه السلام وهو ظاهر القرآن».

وقال ابن كثير -تلميذ المصنف-: وقد اختلف المفسرون في هذا الرجل: من هو؟ علىٰ أقوال: أحدها أنه شعيب النبي عليه السلام الذي أرسل إلىٰ أهل مدين. وهذا هو المشهور عند كثيرين، وقد قاله الحسن البصري وغير واحد. فذكره عن مالك بن أنس، ثم قال: وقال آخرون: بل كان ابن أخي شعيب. وقيل: رجل مؤمن من قوم شعيب.

وقال آخرون: كان شعيب قبل زمان موسىٰ، عليه السلام، بمدة طويلة؛ لأنه قال لقومه: ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٩]، وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل عليه السلام بنص القرآن، وقد علم أنه كان بين موسىٰ والخليل عليهما السلام مدة طويلة تزيد علىٰ أربعمائة سنة، كما ذكره غير واحد.

وما قيل: إن شعيبا عاش مدة طويلة، إنما هو -والله أعلم- احتراز من هذا الإشكال، ثم من المقوي لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إياه لأوشك أن ينص علىٰ اسمه في القرآن هاهنا. وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسىٰ لم يصح إسناده، =

وعند النصارىٰ من أخبارهم وأخبار علمائهم وملوكهم المتواترة ما لا يعرفه (المسلمون واليهود، وعند المسلمين من أخبار علمائهم وملوكهم المتواترة ما لا يعرفه)[١] أكثر الأمم.

بل عند كل طائفة من المسلمين من أخبار شيوخهم وأمرائهم وبلادهم المتواترة ما لم يسمع به من[٢] غيرهم، وليس هذا بمنزلة من ادَّعىٰ خبرًا لم يكن يعرف في الذين شاهدوا تلك القصة[٣]، كما لو ادَّعىٰ مدعٍ أن النبي ﷺ حجَّ بعد الهجرة أكثر من حجة، أو أنه كان يصوم شهر رمضان بمكة، أو أنه كان بمكة أذان، أو أنه كان في عساكره وعساكر خلفائه دبادب وبوقات، أو أنه كان يؤذن للعيدين، أو كان يخطب للعيدين قبل الصلاة، أو أنه كان يصلي بالمدينة أكثر من عيد، أو أنه كان يصلي في السفر أربعًا، أو أنه بمكة صلىٰ[٤] صلاة العيد يوم النحر، أو أنه نصَّ علىٰ علي بن أبي طالب رضي الله عنه أو غيره بالخلافة نصًّا ظاهرًا مشهورًا، أو أنه عزل أبا بكر عن الإمارة في الحجة وولىٰ عليًّا، أو أنه صلىٰ في مرض موته غير أبي بكر، ونحو ذلك من الأخبار التي يعرف أنها كذب وباطل لتواتر نقيضها، ولأنها لو كانت صحيحة لكانت مما تتوفر الهمم والدواعي علىٰ نقله واشتهاره، مع أنه لم يكن له ذكر في الزمن المتقدم.

= كما سنذكره قريبا إن شاء الله، ثم من الموجود في كتب بني إسرائيل أن هذا الرجل اسمه: «ثبرون»، والله أعلم، وقال أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود: أثرون وهو ابن أخي شعيب عليه السلام، وعن أبي حمزة عن ابن عباس: الذي استأجر موسىٰ يثرىٰ صاحب مدين. رواه ابن جرير، ثم قال: الصواب أن هذا لا يدرك إلا بخبر، ولا خبر تجب به الحجة في ذلك (جامع البيان ١٩/ ٥٦١، تفسير ابن كثير ٦/ ٢٢٩).

(١) سقط ما بين القوسين في (ب، ل) لانتقال النظر.

(٢) ليست في (ب).

(٣) في (ل، د): «القضية».

(٤) في (ب، ل، د): «صلىٰ بمنىٰ».

وكذلك ما ينقله كثير من أهل الجهل ما[1] يجعلونه من معجزات الرسول أو غيره، ولا يوجد منقولاً عند أهل العلم بأحواله(ظ١٢٦)، بل يكذبون ناقله.

مثل قول[2] كثير من العامة: «إن الغمام كان يظله دائما».

فهذا لا يوجد في شيء من كتب المسلمين المعروفة عند علمائهم، ولا نقله عالم من علمائهم، بل هو عندهم كذب، وإن كان كثير من الناس ينقله، وإنما نقل أنَّ الغمامة أظلته لما كان صغيرًا وقدم مع عمه إلىٰ الشام تاجرًا، ورآه بَحيرا الراهب، ومع هذا فهذا لا يجزم بصحته[3].

---

(١) في (ب، ل): مثل ما.

(٢) في (ب، ل): نقل.

(٣) نقله عن المصنف مرعي الكرمي في الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة (ص:٧٢).

ومن أشهر أسانيد قصة بحيرا الراهب ما رواه الترمذي (٣٦٢٠) والحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٥) وأبو نعيم في دلائل النبوة (١٦٨)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٤) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣/ ٨) من حديث قراد عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي بكر بن أبي موسىٰ الأشعري عن أبيه، وهذا إسناد حسن غريب، وفيه: «فأقبل وعليه غمامة تظله، فقال: انظروا إليه، عليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلىٰ فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، فقال: انظروا إلىٰ فيء الشجرة مال عليه». (وانظر: سيرة ابن هشام ١/ ٢٠٣).

قال الترمذي: «حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

وقال الحاكم:«حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه».

ونقل البيهقي عن العباس الدوري أنه قال: «ليس في الدنيا مخلوق يحدث به غير قراد، وسمع هذا أحمد ويحيىٰ بن معين من قراد» ثم قال البيهقي: «وإنما أراد به بإسناده هذا موصولا، فأما القصة فهي عند أهل المغازي مشهورة».

قلت: قراد أبو نوح عبدالرحمن بن غزوان الخزاعي ثقة صاحب أفراد وغرائب، وهذا من غرائبه، وقد قال الذهبي معقبا علىٰ تصحيح الحاكم له: «أظنه موضوعا فبعضه باطل» يريد والله أعلم ما ورد فيه من ذكر بلال. =

وكذلك ما ينقله بعضهم من: أنه «كان إذا وطئ أثر قدماه[1] في الحجر وفي الرمل لم يكن يؤثر».

فهذا لم ينقله أهل العلم بأحواله، ولا واحد منهم بل هو كذب عليه[2].

وكذلك ما ينقله طائفة من الناس من كثرة القتل بحروبه، أو المغازي الكثيرة الذي يذكر مثلها صاحب الكتاب الذي سماه «تنقلات[3] الأنوار» ويقال له البكري[4]، فهذه لما كان أكثرها لا يوجد في كتب المسلمين المعروفة، ولا نقلها علماؤهم -بل قد تواتر ما يخالفها- كانت كذبًا ظاهرًا عند أهل العلم بأحواله، وإن كان كثير من الناس الجهال بأحواله قد يصدق بها.

ومثل ما ينقله طائفة: أنه كان في غزاة[5] نصب علي بن أبي طالب يده ليمر

= وقال ابن كثير: «وهكذا رواه غير واحد من الحفاظ من حديث أبي نوح عبد الرحمن بن غزوان الخزاعي مولاهم، ويقال له: الضبي، ويعرف بقراد سكن بغداد وهو من الثقات الذين أخرج لهم البخاري، ووثقه جماعة من الأئمة والحفاظ، ولم أر أحدا جرحه، ومع هذا في حديثه هذا غرابة...، فيه من الغرائب أنه من مرسلات الصحابة فإن أبا موسىٰ الأشعري إنما قدم في سنة خيبر سنة سبع من الهجرة، ولا يلتفت إلىٰ قول ابن إسحاق في جعله له من المهاجرة إلىٰ أرض الحبشة من مكة، وعلىٰ كل تقدير فهو مرسل، فإن هذه القصة كانت ولرسول الله ﷺ من العمر فيما ذكره بعضهم ثنتا عشرة سنة، ولعل أبا موسىٰ تلقاه من النبي ﷺ فيكون أبلغ، أو من بعض كبار الصحابة رضي الله عنهم أو كان هذا مشهورا مذكورا أخذه من طريق الاستفاضة».

(١) في (ب): قدميه. وفي (ل): قدمه.

(٢) انظر: الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة لمرعي الكرمي (ص:٧٢) نقلا عن المصنف.

(٣) في (ب، د): بنقلات.

(٤) حذر المصنف من هذا الكتاب في غير موضع، وبين ما فيه من أباطيل، فمن أراد الاستزادة فلينظر في مجموع الفتاوىٰ (١٨/ ٣٥١-٣٥٨).

(٥) في (ب، د): غزاة خيبر (ل): غزوة خيبر.

الجيش عليها، وأن البغلة مرت عليها فقال لها علي[1]: «قطع الله نسلك، فانقطع نسلها».

فهذا ليس في شيء من كتب أهل العلم بأحواله، ولا نقل ذلك واحد منهم، وإنما ينقل ذلك من هو معروف بالكذب أو جاهل، ولهذا كان هذا من الكذب الذي يقطع بكذبه علماء المسلمين، ويعلمون أنه تواتر نقيضه، وأنه لم يكن في غزوة خيبر بغلة، ولم يكن بالمدينة ولا بمكة بغلة، إلا بغلته التي أهداها له المقوقس النصراني ملك مصر والإسكندرية، وإنما أهداها له بعد فتح خيبر لما كتب النبي ﷺ إلىٰ ملوك الطوائف ودعاهم[2] إلىٰ الإسلام، ويعلمون أن البغلة لم تزل مقطوعة النسل لم يكن لها نسل قط[3].

وكذلك ما ينقله بعض الكذابين: من «أن طائفة من أهل البيت سُبوا وأركبوا جمالاً فنبت لها سنامان، وأنها البخاتي».

فهذا مما اتفق[4] أهل المعرفة بالأخبار علىٰ أنه كذب، لم يسب المسلمون قط في وقت من الأوقات أحدًا من أهل بيت النبي ﷺ لا في خلافة بني أمية، ولا بني العباس، والجمال البخاتي ما زالت هكذا لم يتجدد لها السنام في الإسلام[5].

(كما قال النبي ﷺ لما ذكر ما يُحدث النساء بعده، قال: «علىٰ رءوسهن

---

(١) ليس الاسم في (ل، ب).

(٢) في (ب، ل، د): يدعوهم.

(٣) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٥٠٣)، والفوائد المجموعة (ص٨٤).

(٤) في (ب) زيادة: عليه.

(٥) انظر: الفوائد المجموعة (ص٨٤).

كأسنمة البخت»)[1].

(وكذلك «مغازي حمزة» الشائعة بين كثير من جهال الترك وغيرهم، لا توجد في شيء من كتب العلم، بل قد تواتر عند أهل العلم أنَّ حمزة لم يشهد غزوة إلاَّ غزوة بدر ثم غزوة أحد، وقتل يوم أحد شهيدًا، قتله وحشي بن حرب، وهذا متواتر عند أهل العلم)[2].

وكذلك ما نقله[3] طائفة من أهل العلم: من «أنَّ الشمس رُدت لما فاتت عليًّا صلاة العصر لكون النبي ﷺ نام في حجره»، وجعل بعضهم هذا من المعجزات.

فليس هذا[4] في شيء من كتب المسلمين التي يعتمدون علىٰ ما فيها من المنقولات، لا الصحاح ولا المساند ولا التفسير ولا المغازي والسير، ولا غير ذلك، بل بين أهل العلم بالحديث أنَّ هذا كذب، وليس له إسناد واحد صحيح متصل، بل غايته أن يروىٰ عمن لا يعرف صدقه، ولم يروه إلاَّ هو مع توفر الهمم والدواعي علىٰ نقله، فعلموا أنه كذب[5].

---

(١) ما بين القوسين ليس في الأصل ظ، وهو ثابت في باقي الأصول.
والحديث رواه مسلم في الصحيح (٢١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) ما بين القوسين من الأصل (ظ) فقط، وتأخر في باقي النسخ إلىٰ ما بعد قول عبدالرحمن بن مهدي الآتي.

(٣) في (ب، ل): نقل.

(٤) في (ب، ل، د): هذا الحديث.

(٥) بين ذلك المصنف في «منهاج السنة النبوية» ٨/ ١٦٤ بالتفصيل.
والحديث رواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ٩٢)، وابن المغازلي في فضائل علي (ص١٥٥)، والجوزجاني في الأباطيل (١٥٤) وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٣٥٥)، من طريق عبيد الله بن موسىٰ، حدثنا فضيل بن مرزوق عن إبراهيم بن الحسن عن فاطمة بنت الحسين عن أسماء بنت عميس قالت: كان رسول الله ﷺ يوحىٰ إليه ورأسه في حجر علي، =

وهذا باب واسعٌ يبين أن علماء المسلمين يميزون بين[1] المنقولات الصدق والكذب، فيردون الكذب وإن كان فيه من فضائل نبيهم وأعلامه وفضائل أصحابه وأمته ما هو عظيم، ويقبلون الصدق وإن كان فيه شبهة وإشكال، وقد يحتج به المنازعون لهم.

وكان عبد الرحمن بن مهدي يقول: «أهل العلم يكتبون ما لهم (ظ١٢٧) وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم»[2].

وما كان من آيات النبي ﷺ[3] في الصحاح بل وكثير مما لم يخرجه

= فلم يصل العصر حتىٰ غربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ: «صليت يا علي؟» قال: لا، قال رسول الله ﷺ: «اللهم إن عليا كان علىٰ طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس»، فرأيتها غربت، ثم رأيتها طلعت بعدما غربت.
وعبيدالله بن موسىٰ من الغلاة، وفضيل بن مرزوق متكلم فيه، وهو شيعي كذلك، وقد اضطربوا في الحديث.
قال الجوزجاني: حديث منكر مضطرب، ثم روىٰ في خلافه حديث: «لم تحبس الشمس إلا ليوشع..»، الحديث.
قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، ثم أطال في بيان علته، وأقره الذهبي في تلخيص الموضوعات (ص١١٧)، ثم قال: «وقد أملىٰ أبو القاسم الحسكاني مجلسا في رد الشمس فقال: روي ذلك عن أسماء بنت عميس، وعلي، وأبي هريرة، وأبي سعيد بأسانيد متصلة. قلت: لكنها ساقطة ليست بصحيحة».
انظر في هذا الحديث: اللآلئ المصنوعة (١/ ٣٠٨)، الفوائد المجموعة للشوكاني (٣٥٠)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٢/ ٣٩٩).

(١) ليست في (ب،ل).
(٢) لم أقف عليه من قول عبدالرحمن بن مهدي، ولكن رواه الدارقطني في السنن (١/ ٢٧) ومن طريقه الهروي في ذم الكلام (٣٤٦) عن وكيع بن الجراح من قوله.
(٣) في (ب): وما كان في هذه الآيات في الصحاح.

البخاري ومسلم، فهذه عامتها مما يقطع أهل العلم بالحديث[1] بصحتها، ويتيقنون ذلك، وهذا عندهم مستفيض متواتر، وإن كان بعض ذلك قد لا يتواتر ويستفيض عند غيرهم، فإنَّ الأخبار قد تستفيض وتتواتر عند قوم دون قوم بحسب عنايتهم بها وطلبهم لها، وعلمهم بمن أخبر بها، وصفاتهم، ومقاديرهم، وما دلَّ من الدلائل علىٰ صدقهم، وأهل العلم بحديث رسول الله ﷺ وأقواله وأفعاله وسيرته وأسباب نزول القرآن ومعانيه وغير ذلك لهم بهذا من العلم وعندهم به من اليقين ما لا يوجد مثله لغيرهم.

كما أنَّ أصحاب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأبي حنيفة وداود وغيرهم عند كل طائفة من أقوال متبوعهم[2] ونصوصه وأخباره ما يقطعون به، وإن كان غيرهم لا يعرف ذلك.

والأطباء عندهم من كلام أبقراط وجالينوس ومحمد بن زكريا وأمثالهم ما يقطعون به، وغيرهم لا يعلم ذلك.

وأهل الهيئة عندهم من كلام بطليموس، والرصد الممتحن المأموني، وثابت بن قرة، وأبي الحسين الصوفي ونحوهم[3] ما يعلمونه هم، وغيرهم لا يعلم ذلك بحيث يجزم هؤلاء وهؤلاء بكثير من مذاهب أهل الطب والحساب وتجارب الأطباء وأرصاد أهل الحساب، وغيرهم لا يعلم ذلك.

وعند أهل الكتاب كاليهود من أخبار هلال وسمابي -وغيرهما- من شيوخهم ما لا يعلمه غيرهم.

---

(١) في (ب): أهل الحديث.

(٢) في (ب): متبوعه.

(٣) في (ب): وغيرهم. وسقطت من (ل).

وعند النصارىٰ من أخبار الحواريين، ومن أخبار قسطنطين، والمجمع الأول بنيقية، والمجمع الثاني، والثالث، والرابع، والخامس، وغير ذلك من مجامعهم، وأخبارهم ما يقطع به علماؤهم، وإن كان غيرهم لا يعلمون ذلك.

وأهل العلم بأيام الإسلام يعلمون من سيرة أبي بكر وعمر وعثمان ومغازيهم كوقعة أجنادين، ومرج الصُّفر، وغيرهما في خلافة أبي بكر، وكوقعة اليرموك، وجسر أبي عبيد، وهزيمة الفرس، وفتح مصر، وغير ذلك مما كان في زمن عمر بن الخطاب ما يقطعون به، وإن كان غيرهم لا يعرفون ذلك.

وكذلك ما كان بعد هؤلاء من سير الملوك وحوادث الوجود، بل أهل العلم بالرجال يعلمون من حال آحاد الصحابة والتابعين ومن بعدهم -كعبد الله بن عمر، وابن عباس، وأبي سعيد، وأبي هريرة، وعبد الله بن مسعود، وأنس بن مالك، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسعيد بن المسيب، والحسن البصري، وعلقمة، والأسود، وغير هؤلاء- ما لا يعلمه غيرهم.

وأهل العلم بالنحو يعلمون من حال سيبويه، والأخفش، والمبرد، والزجاج، والفراء، والكسائي، ما لا يعلمه غيرهم.

والقراء يعلمون من قراءة أبي عمرو، وابن كثير، وحمزة، والكسائي، وابن عامر، ويعقوب بن إسحاق، والأعمش، وخلف بن هشام، وأبي جعفر، ما لا يعلمه غيرهم.

فإذا كان آحاد أهل العلم من أهل الفقه أو الطب أو الحساب أو النحو أو القراءات، بل وآحاد الملوك تعلم الخاصة من أمورهم ما لا يعلمه غيرهم ويقطعون بذلك، فكيف بمن هو عند أتباعه أعلىٰ قدرا من كل عالم، وأرفع منزلة من كل ملك، وهم أرغب الخلق في معرفة أحواله، وأعظم تحريًا للصدق

فيها، ولرد الكذب منها حتىٰ قد صنفوا الكتب الكثيرة في أخبار جميع من روىٰ شيئًا من أخباره، وذكروا فيها أحوال نقلة حديثه، وما يتصل بذلك من جرح وتعديل، ودققوا في ذلك(ظ١٢٨)، وبالغوا مبالغة لا يوجد مثلها لأحد من الأمم، ولا لأحد من هذه الأمة إلا لأهل الحديث[١]، فهذا يُعطي أنهم أعلم بحال نبيهم من كل أحد بحال متبوعه، وأنهم أعلم بصدق الناقل وكذبه من كل أحد بصدق من نقل عن متبوعهم وكذبه، فإذا كان أولئك فيما ينقلونه عن متبوعهم متفقين عليه جازمين بتصديقه لا يكون إلا صدقًا، فهؤلاء مع جزمهم بالصدق، واتفاقهم علىٰ التصديق أولىٰ أن لا يكون ما جزموا بصدقه إلا صدقًا.

وعامة أخبار الصحيحين مما اتفق علماء الحديث علىٰ التصديق بها، وجزموا بذلك، وإنما تنازعوا في أحاديث قليلة منها[٢].

وعامة ما ذكرناه من آيات النبي ﷺ التي في الصحاح هي من موارد إجماعهم المستفيضة عندهم، التي يجزمون بصدقها، ليست من موارد نزاعهم، فهذا طريق يسلكه من عرفه من العلماء، ويعلم[٣] خبرة أهله من كان خبيرًا بهم.

فهذه طريقان في تصديق هذه الآيات: التواتر العام، والتواتر الخاص[٤].

الطريق الثالث: التواتر المعنوي.

وهذا مما اتفق علىٰ معرفته عامة الطوائف، فإن الناس قد يسمعون أخبارًا

---

(١) وكل من اطلع علىٰ جهود المحدثين في هذا الباب -وأنصف- علم فضلهم في ذلك، حتىٰ إن كثيرا من المستشرقين اعترف للمسلمين بهذا الفضل الذي خصهم الله به.

(٢) وهذه مسألة مدونة في علوم الحديث، انظر: مقدمة ابن الصلاح (ص٢٨)، النكت علىٰ ابن الصلاح للزركشي (١/ ٢٧٦).

(٣) في (ب): ويعرف.

(٤) أي التواتر العام عند عامة المسلمين، والتواتر الخاص عند أهل العلم، ولا سيما أهل الحديث.

متفرقة بحكايات يشترك مجموعها في أمر واحد، كما سمعوا أخبارا متفرقة تتضمن شجاعة عنترة وخالد بن الوليد وأمثالهما، وتتضمن سخاء حاتم ومعن بن زائدة وأمثالهما، وتتضمن حلم الأحنف بن قيس ومعاوية بن أبي سفيان وأمثالهما، وتتضمن شعر امرئ القيس والنابغة ولبيد وأمثالهم من المتقدمين، وشعر الفرزدق وجرير وعمر بن أبي ربيعة، وأمثالهم من المولدين، وشعر أبي نواس والمتنبي وأبي تمام، وأمثالهم من المُحْدثين.

بل وسمعوا أقوالاً وفتاوي متفرقة تتضمن فقه مالك، والثوري، والليث بن سعد، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من العلماء، وأخبارًا متفرقة تتضمن العدل وحسن السيرة من عمر بن الخطاب، وعمر بن عبد العزيز، وغيرهما من ولاة الأمر.

وسمعوا أخبارًا متفرقة تتضمن الزهد عن مثل الحسن البصري، وعامر بن عبدالله القيسي، ومالك بن دينار، والفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، وغيرهم من الزهاد.

وسمعوا أخبارًا متفرقة تتضمن معرفة أبقراط وجالينوس ونحوهما بالطب.

فيحصل بمجموع الأخبار علم ضروري بأنَّ الشخص موصوف بذلك النعت، وإن كان كل من الأخبار لو تجرد وحده لم يفد العلم، وإن كان كل من الحكايات ليست وحدها منقولة بالتواتر.

ومن هذا الباب العلم القطعي بالإيمان والموت[1]، ونحو ذلك مما

(١) في (ب): والدين. وفي هامش (ل) كتب: أظنه الأنساب والموت.

يحصل به استفاضة[1] توجب[2] العلم القطعي، كعلم الناس بأنَّ خديجة وعائشة ونحوهما من أمهات المؤمنين، وأن فاطمة وزينب من بنات النبي ﷺ، وأن عائشة بنت أبي بكر، وأن أبا بكر وعمر وعثمان تولوا الخلافة بعده، وأن أبا بكر وعمر دفنا في حجرته.

وإذا عرف هذا؛ فهذه الأحاديث -وأضعاف أضعافها- هي أضعاف أضعاف ما ينقل عن الواحد من هؤلاء، ونقلتها أجل وأكثر وأفضل من نقلة أخبار هؤلاء، وهي كلها تتضمن أن محمد بن عبدالله كان يجري علىٰ يديه من الآيات الخارقة للعادة والعجائب العظيمة ما لا يُعرف نظيره عن أحد من الناس.

وعِلْمُ المسلمين بهذا أعظم من علم أهل الكتاب بما ينقلونه من آيات موسىٰ وعيسىٰ وغيرهما، فإن نقلة آيات محمد ﷺ غير القرآن أضعاف أضعاف نقلة التوراة والإنجيل، فضلاً عن غيرهما من أخبار الأنبياء، فإن التوراة لم تكن جميعها محفوظةً لعموم بني إسرائيل (ظ١٢٩) كما يحفظ القرآن عامة المسلمين، وعند خراب بيت المقدس قلَّ من يحفظها جدًا حتىٰ تنازع الناس في تواتر نقلها، وكذلك الإنجيل نقلتُه أقلُّ بكثير من نقلة آيات محمد ﷺ.

وإذا قال النصارىٰ: «هؤلاء كانوا صالحين، وكان لهم آيات أيضًا[3]»، كما يذكرونه من آيات الحواريين؛ فأصحاب محمد ﷺ وتابعوهم[4] لهم من الآيات أعظم مما للحواريين وغيرهم من الأمم، وفيهم من كان يحمل العسكر

---

(١) في المطبوعة: «استقامة» وهو تصحيف لا يستقيم به المعنىٰ.

(٢) في (ب، ل): موجب.

(٣) كلمة أيضا ليست في (ب، ل).

(٤) في (ب، ل، د): وتابعوهم صالحون ولهم..

علىٰ الماء، ومن كان يشرب السموم القاتلة، ومن يحيي الله الموتىٰ بدعوته، ومن يكثر الطعام والشراب، وكتب كرامات الأولياء فيها من ذلك أعظم مما عند أهل الكتاب[1].

وهم ينقلون أخبار الأنبياء والصالحين من كتب عندهم، مثل كتاب «أخبار الحواريين»، وكتاب «سفر الملوك»، ونحو ذلك، وما يذكرون من حجة في صحة نقلها إلاَّ وحجة المسلمين فيما ينقلونه عن نبيهم وأصحابه والتابعين أظهر وأقوىٰ.

الطريق الرابع:

أنْ يُقال: هذه الآيات التي ذكرنا بعضها كانت تكون بمحضر من الخلق الكثير، كتكثير الطعام يوم الخندق، فإنه كان أهل الخندق رجالهم ونساؤهم ألوفًا، وكذلك نبع الماء من بين أصابعه، وفيضان البئر بالماء يوم الحديبية، وكانوا يومئذ ألفًا وخمسمائة، وكلهم صالحون من أهل الجنة، لا يعرف فيهم من تعمد كذبة واحدة علىٰ النبي ﷺ.

وكذلك تكثير الماء والطعام في غزوة خيبر كانوا عددًا كثيرًا[2]، وفي تبوك كانوا ألوفًا مؤلفة، وكان بعض من حضر هذه المشاهد ينقل[3] هذه الآيات قدام آخرين ممن حضرها، وينقلها لأقوام، فيذهب أولئك فيخبرون بها أولئك،

---

(١) من مظان الكرامات: كتاب كرامات الأولياء للحسن بن محمد الخلال، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، حث أفرد فصلا طويلا في كراماتهم، ودلائل النبوة للحافظ أبي العباس المستغفري، حيث إنه ذكر الدلائل في عشرة أبواب، والباب العاشر من دلائل النبوة عنده هي كرامات الأولياء، وجه ذكر كرامات الأولياء في دلائل النبوة أنها حصلت لهم بتصديقهم للنبي الذي يتبعون.

(٢) كذا في الأصل، وفي (ب، ل، د): كانوا ألفا وخمسمائة.

(٣) في (ل): نقل.

ويصدق بعضهم بعضًا، ويحكي هذا مثل ما حكىٰ هذا من غير تواطئ وتشاعر، وأدنىٰ أحواله أن يقره ولا ينكر عليه روايتها.

ونحن نعلم بموجب العادة الفطرية التي جبل الله تعالىٰ عليها عباده، وبموجب ما كان عليه سلف الأمة -من اعتياد[1] الصدق وتحريه، واعتقادهم أن ذلك واجب، ومن شدة توقيهم الكذب علىٰ نبيهم، وتعظيمهم ذلك، إذ قد تواتر عنه عندهم أنه قال: «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»[2] - فنحن نعلم أنهم لم يكونوا يُقِرُّون من يعلمون أنه يكذب عليه، ومَن أخبر عنه بما كانوا مشاهدين له وَكذب عليه فقد علموا أنَّه كذب عليه، فلما اتفقوا علىٰ الإقرار علىٰ ذلك، وعلىٰ تناقله بينهم -من غير إنكار أحد منهم لذلك- عُلم قطعًا أنَّ القوم كانوا متفقين علىٰ نقل ذلك كما هم متفقون علىٰ نقل القرآن والشريعة المتواترة، وإن كان جمهورهم ليس منتصبًا لتلقين القرآن، بل هذا يلقنه وهذا يسمعه من هذا المتلقن، لا ينكر بعضهم علىٰ بعض القراءة، وهذا يعلم هذا الصلاة: أنَّ الظهر في الحضر أربع ركعات، والمغرب ثلاثًا، والفجر ركعتين، وهذا يقر هذا، فلما كان بعضهم يقر بعضًا علىٰ نقل ذلك علم اتفاقهم علىٰ نقل ذلك، وهذا غاية التواتر.

فكذلك ما نقلوه من شرائعه ومن آياته وبراهينه، يبين ذلك أن ما أنكره بعضهم ردَّه علىٰ الآخر ولم يوافقه عليه، وإن كانوا متأخرين عن زمن الصحابة فكيف بالمتقدمين، كتنازعهم هل كان يجهر بالبسملة أم لا يجهر بها؟ وهل كان يداوم علىٰ القنوت في الفجر أم كان يقنت أحيانا للنوازل، أم قنت مرة ثم تركه؟

---

(١) في (ب): اعتماد. وفي (ل): اعتقاد.

(٢) سبق تخريجه.

فهذا من أهون الأمور وأيسرها، إذ كلهم متفقون علىٰ صحة صلاة من قنت، وعلىٰ صحة صلاة من لم يقنت، ومن جهر ومن خافت، ولكن (ظ١٣٠) لما[١] تنازعوا فيما فعله الرسول تنازعوا في الحكم.

فعلم بذلك أنَّ ما كان مشهورًا في الأمة عن النبي ﷺ -ولم ينكره أحد من علمائها- كانت الأمة متفقة علىٰ نقله كنقلهم للقرآن، وللشرائع الظاهرة المشهورة، وأن نقل ذلك أعظم من نقل سائر أخبار الأنبياء والعلماء والملوك والزهاد، وكذلك حجُّه، فإنهم كلهم متفقون علىٰ ما تواتر عنه من أنه لم يحج بعد الهجرة إلاَّ حجة واحدة، وهي التي تسمىٰ حجة الوداع، وإنما عاش بعدها نحوًا من ثلاثة أشهر، وأنه لما حج أمر أصحابه كلهم -إلا من ساق الهدي منهم- إذا طاف بالبيت وبين الصفا والمروة أن يحل من عمرته.

وأنه لم يعتمر هو ولا أحد من أصحابه الذين حجوا معه بعد الحج إلا عائشة وحدها، وأنه هو نفسه لم يحل في حجته، ولا أحد ممن ساق الهدي معه، وإنما اشتبه علىٰ بعضهم بعض ألفاظه أو بعض الأمور التي تخفىٰ علىٰ أكثر الناس.

وكان الصحابة ينقلون[٢] تمتع رسول الله ﷺ، ومرادهم بالتمتع أنه قرن بين العمرة والحج، فظن بعض الناس أنهم أرادوا أنه أخر الإحرام بالحج إلىٰ أن قضىٰ العمرة.

وقال[٣] بعض الصحابة: إنه أفرد بالحج، فظن بعض الناس أنه حج

---

(١) سقطت من الأصل (ظ) وهي ثابتة في كل النسخ.

(٢) في (ب): يقولون.

(٣) في (ب): بين.

واعتمر بعد الحج، وهذا لم ينقله أحد من العلماء، بل اتفقوا علىٰ أنه لم يعتمر بعد الحج.

وروىٰ بعض الصحابة أنه قرن، فظن بعض الناس أنه طاف طوافين، وسعىٰ سعيين، وهذا لم ينقله أحد عنه، وكان من أسباب غلط كثير من الناس أنهم كانوا يستعملون تلك الألفاظ في معانٍ غير ما استعملته فيها الصحابة، فغلط بعض الناس علىٰ بعض الصحابة.

وأما ما فعله[1] في الحج مشهورا فهو متواتر لم يختلف فيه النقل، ولا علماء النقل[2].

ومن تدبر هذه الطريق أفادته علمًا يقينيًّا قطعيًّا بصحة هذه الآيات عن محمد ﷺ، وكذلك الطرق المتقدمة، فإنَّا قد ذكرنا أن ما كان الناس أحوج إلىٰ معرفته يسر الله دلائله للناس أعظم من تيسير غيره، وحاجة الخلق إلىٰ تصديق الرسول أشد من حاجتهم إلىٰ جميع الأشياء، إذ بذلك تحصل سعادتهم في الآخرة، ونجاتهم من العذاب، وبه يحصل صلاح العباد في المعاد والمعاش.

الطريق الخامس:

أن نقول: ما من صنف من أصناف العلماء إلاَّ وقد تواتر عندهم من الآيات ما فيه كفاية، فكتب التفسير مشحونة بذكر الآيات متواتر ذلك فيها، وكتب الحديث مشحونة بذكر الآيات متواتر ذلك فيها، وكتب السير والمغازي

---

(١) في (ب): عمله... مشهور.

(٢) ومن أحسن بجمع الأحاديث المروية في صفة حجه ﷺ وبيان وجهها المهلب بن أبي صفرة في اختصار صحيح البخاري، المسمىٰ: المختصر النصيح ٢/ ١١٢.

والتواريخ مشحونة بذكر الآيات متواتر ذلك فيها، وكتب الفقه مشحونة بذكر الآيات متواتر ذلك فيها، وإن لم يكن هذا مقصودًا منها، وإنما المقصود الأحكام لكنهم في ضمن ما يروونه من الأحكام يروون فيها من الآيات ما هو متواتر عندهم، وكتب الأصول والكلام مشحونة بذكر الآيات متواتر ذلك فيها.

ونقل كل طائفة من هذه الطوائف يفيد العلم اليقيني، فكيف بما ينقله كل طائفة من هذه الطوائف، وهذه الطريق وغيرها مثل طريق الإقرار والتصديق، وطريق التواتر المعنوي، وطريق تصديق أهل الحديث والعلم بها، وغير ذلك، يستدل بها:

تارة علىٰ تواتر الجنس العام للآيات الخارقة للعادة، وهذا أقل ما يكون.

ويستدل بها علىٰ تواتر جنس جنس منها، كتواتر تكثير الطعام، وتواتر تكثير الطهور (ظ١٣١) والشراب.

وعلىٰ تواتر نوع نوع منها، كتواتر نبع الماء من بين أصابعه، وتواتر إشباع الخَلق العظيم من الطعام القليل.

وتواتر شخص شخص منها، كتواتر حَنين الجذع إليه، وأمثال ذلك.

وكلما أمعن الإنسان في ذلك النظر -واعتبر ذلك بأمثاله؛ وأعطاه حقه من النظر والاستدلال- ازداد بذلك علمًا ويقينًا، وتبين له أن العلم بذلك أظهر من جميع ما يُطلب من العلم بالأخبار المتواترة، فليس في الدنيا علم مطلوب بالأخبار المتواترة إلا والعلم بآيات الرسول وشرائع دينه أظهر من ذلك.

وما من حال أحد من الأنبياء والملوك والعلماء والمشايخ المتقدمين وأقواله وأفعاله وسيرته إلا والعلم بأحوال محمد أظهر من العلم به (وأبين،

ونقله أكمل وأتم)[1].

وما من علم يُعلم بالتواتر مما هو موجود الآن كالعلم بالبلاد البعيدة - كعلم أهل الشام بالعراق وخُراسان والهند والصين والأندلس، وعلم أهل المغرب بالشام والعراق وخراسان والهند، وعلم أهل خراسان بالشام والعراق ومصر، وعلم أهل الهند بالعراق والشام، وأمثال ذلك من علم أهل البلاد بعضهم بحال بعض- إلا وعلم الإنسان بحال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها - ما[2] هم عليه من الدين، وما ينقلونه عن نبيهم من آياته وشرائعه- أظهر من علمه بهذا كله.

وهذا مما يُبين أنه ليس في الوجود أمر يعلم بالنقول المتواترة إلاَّ وآيات الرسول وشرائعه تعلم بالنقول المتواترة أعظم مما يعلم ذلك الأمر، تحقيقًا لقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].

وظهوره علىٰ الدين كله -بالعلم والحجة والبيان- إنَّما هو بما يظهره من آياته وبراهينه، وذلك إنما يتم بالعلم بما يُنقل عن محمد ﷺ من آياته التي هي الأدلة، وشرائعه التي هي المدلول المقصود بالأدلة، فهذا قد أظهره الله علمًا وحجةً وبيانًا علىٰ كل دين، كما أظهره قوة ونصرًا وتأييدًا علىٰ كل دين[3]، كما أنه ما من دليل عقلي[4] يُستدل به علىٰ مدلول إلاَّ والأدلة علىٰ آيات الرب

---

(١) ما بين القوسين ليس في (ب، ل). وهو ثابت في الأصل (ظ، د).

(٢) في (ب، ل): وما هم.

(٣) في (ب، ل): والحمد لله رب العالمين. ومحلها في الأصل (ظ، د) آخر الفقرة، كما أثبته.

(٤) ليست في (ب، ل).

أكبر وأكثر، والحمد لله رب العالمين[١].

الطريق السادس:

أنَّ العلماء قد صنفوا مصنفات كثيرة في ذكر آياته وبراهينه المنقولة في الأخبار، وجردوا لذلك كتبًا، مثل: كتاب «دلائل النبوة» للفقيه الحافظ أبي بكر البيهقي[٢]، وقبله دلائل النبوة للشيخ الحافظ أبي نعيم الأصبهاني[٣]، وقبله دلائل النبوة لأبي الشيخ الأصبهاني[٤]، ولأبي القاسم الطبراني[٥]، وقبلهما

---

(١) وفي ذلك يقول القرطبي: «ليظهره على الدين كله» أي يعليه على كل الأديان. فالدين اسم بمعنى المصدر ويستوي لفظ الواحد والجمع فيه. وقيل: أي ليظهر رسوله على الدين كله، أي على الدين الذي هو شرعه بالحجة ثم باليد والسيف، ونسخ ما عداه، «وكفى بالله شهيدا» شهيدا: نصب على التفسير، والباء زائدة، أي كفى الله شهيدا لنبيه ﷺ، وشهادته له تبين صحة نبوته بالمعجزات. (الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٩٢).
والآية فيها معنى التبشير للمؤمنين، قال ابن كثير: «قال تعالى مبشرا للمؤمنين بنصرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه على عدوه وعلى سائر أهل الأرض: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ أي: بالعلم النافع والعمل الصالح؛ فإن الشريعة تشتمل على شيئين: علم وعمل، فالعلم الشرعي صحيح، والعمل الشرعي مقبول، فإخباراتها حق وإنشاءاتها عدل، ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ أي: على أهل جميع الأديان من سائر أهل الأرض، من عرب وعجم ومليين ومشركين، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ أي: أنه رسوله، وهو ناصره».(تفسير ابن كثير ٧/ ٣٦٠).

(٢) هو أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (ت:٤٥٨)، وكتابه مطبوع، وهو من أحسن الكتب المصنفة في دلائل النبوة على طريقة المحدثين، وأكثرها استيعابا، وقد أكثر المصنف الصدور عنه في هذا المجلد.

(٣) هو أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت:٤٣٠)، وكتابه مطبوع في مجلدين، وهو دون كتاب البيهقي في الاستيعاب والرواية.

(٤) هو أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر، يعرف بأبي الشيخ الأصبهاني (ت:٣٦٩)، وكتابه مفقود.

(٥) هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، (ت:٣٦٠)، صاحب المعاجم المشهورة، وكتابه دلائل النبوة مفقود، يكثر النقل منه قوام السنة في كتاب: دلائل النبوة.

دلائل النبوة للإمام الحافظ أبي زرعة الرازي[1]، وللشيخ المصنف أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا[2]، وللإمام أبي إسحاق إبراهيم الحربي[3]، و(للمصنف الحافظ)[4] جعفر الفريابي[5]، وما صنفه الشيخ العالم أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه المسمىٰ «بالوفا في فضائل المصطفىٰ»[6]، وما صنفه الحافظ أبو عبد الله المقدسي في[7] «دلائل النبوة»[8]، وهؤلاء -كلهم وغيرهم- يذكرون ما يذكرون بالأسانيد المعروفة، والطرق المتعددة الكثيرة المتواترة.

وهؤلاء منهم من يميز فيما يذكره من الأحاديث بين ما في صحيحي البخاري ومسلم، وما في غيرهما وإن كان صحيحًا أيضًا: كالبيهقي، وابن الجوزي، والمقدسي.

ومنهم من يذكر ذلك جميعه بأسانيده، وقد يتكلم علىٰ الأسانيد والطرق، ويذكر تعددها من غير احتياج منه إلىٰ أن يذكر ما رواه البخاري (ظ١٣٢)

---

(١) هو عبيدالله بن عبدالكريم الرازي (ت: ٢٦٤)، وهو مفقود، لكن المصنف وتلميذه ابن كثير أكثرا النقل عنه، وقد ذكره السخاوي في الإعلان بالتوبيخ ص١٩٦ في جملة ما صنف من دلائل النبوة.

(٢) هو أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا (ت: ٢٨١)، وقد ذكر كتابه السخاوي وغيره.

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي (ت:٢٨٥)، وكتابه في جملة الكتب المفقودة.

(٤) ما بين القوسين ليس في (ب، ل).

(٥) هو أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي (ت:٣٠١)، وكتابه جزء لطيف مطبوع.
وفي (ل، د): أبي جعفر، وهو تصحيف.

(٦) هو أبو الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي (ت:٥٩٧)، وكتابه مطبوع.

(٧) في (ب، ل): من.

(٨) هو أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد المقدسي، المعروف بالضياء المقدسي (ت:٥٩٧)، صاحب الأحاديث المختارة وغيرها.

ومسلم، كأبي زرعة شيخ مسلم، وأبي الشيخ، وأبي نعيم، وغيرهم.

وآخرون يذكرون ما يذكرونه معزوًا مسندًا إلىٰ من رواه، وإنْ لم يذكروا إسناده، كما يفعله القاضي عياض السبتي في كتابه المسمىٰ بـ«الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ»[1].

ومنهم من يقرر ذلك بشهرة ذلك وطرق أخرىٰ تبين صحته[2]، كما يفعله كثير من النُّظَّار:

كالقاضي عبد الجبار[3] والقاضي الماوردي[4] والجاحظ[5]، والفقيه سليم الرازي[6]، و(أضعاف هؤلاء)[7] غيرهم[8].

وهذه الكتب فيها من الأحاديث المتضمنة لآيات نبوته وبراهين رسالته أضعاف أضعاف الأحاديث المأثورة فيما هو متواتر عنه؛ مثل حجة الوداع، وعمرة الحديبية، وصد المشركين له، ومصالحته إياهم، وحله هو وأصحابه

---

(١) هو القاضي عياض بن موسىٰ اليحصبي السبتي (ت:٥٤٤)، وكتابه من أشهر الكتب، وقد طبع مرارا.

(٢) في (ل): أخرىٰ من صحته، (ب): حجته.

(٣) القاضي عبدالجبار بن أحمد الهمذاني (ت:٤١٥) له كتاب: تثبيت دلائل النبوة، وهو مطبوع.

(٤) القاضي الماوردي هو أبو الحسن علي بن محمد البغدادي (ت:٤٥٠)، وكتابه مطبوع باسم: أعلام النبوة.

(٥) الجاحظ هو عمرو بن بحر الكناني (ت:٢٥٥) له رسالة: حجج النبوة، وهي مطبوعة ضمن رسائله.
وفي (ل، ب): كالقاضي عبدالجبار والجاحظ والماوردي القاضي وسليم الرازي الفقيه.

(٦) هو سليم بن أيوب الرازي (ت:٤٤٧)، ولم أقف علىٰ ذكر لكتابه هذا.

(٧) ما بين القوسين ليس في (ب، ل).

(٨) ليست في (د).

بالحديبية، ورجوعهم ذلك العام، وفتح خيبر (عقب ذلك)[١]، وعمرة القضية، وعمرة الجعرانة.

ومثل: حصاره لأهل الطائف (قبل ذلك)[٢]، وفتح مكة قبل ذلك، ومثل غزوه النصارىٰ عام تبوك، وإرساله جيشًا لغزوهم بمؤتة من مشارف الشام قريبًا من الحصن المسمىٰ بالكرك، ومثل غزوه لليهود بخيبر، وغزوهم[٣] قبل ذلك لمن كان عند المدينة مثل بني قينقاع، والنضير، وقريظة.

ومثل إرساله أبا بكر أميرا علىٰ الحج سنة تسع، ونبذه العهود، ومناداته أن «لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان»[٤].

ومثل هجرته مع أبي بكر وغلامه عامر بن فهيرة ورجل ثالث كان دليلا لهم[٥].

ومثل: ما تواتر عنه أنه كان يصلي بالمسلمين يومي[٦] العيدين الفطر والنحر بالمصلىٰ خارج المدينة لم يكن يصلي العيد في مسجده إلاَّ مرة نُقل أنه صلىٰ في المسجد لأجل المطر[٧]، ولم يكن علىٰ عهده يصلي أحد بالمدينة

---

(١) ما بين القوسين ليس في (ب، ل).
(٢) ما بين القوسين ليس في (ب، ل).
(٣) في (ب، ل): وغزوه لليهود، وفي (د): وغزوهم لليهود.
(٤) رواه البخاري (١٦٦٢)، ومسلم (١٣٤٧).
(٥) وهو عبدالله بن أريقط، وقصتهم في صحيح البخاري (٣٦١٥)، ومسلم (٢٠٠٩) من رواية البراء بن عازب عن ابي بكر، ويسمىٰ حديثهم هذا حديث الرحل.
(٦) في (ب، ل): في العيدين.
(٧) وذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أنه أصابهم مطر في يوم عيد، فصلىٰ بهم النبي ﷺ صلاة العيد في المسجد» رواه أبو داود (١١٦٠) وابن ماجه(١٣١٣)، وفي إسناده عيسىٰ بن عبدالأعلىٰ بن أبي فروة مجهول.

صلاة العيد إلا خلفه، لم يكن يُصلَّىٰ صلاتيْ عيد علىٰ عهده وعهد أبي بكر وعمر وعثمان، وأول من فعل ذلك علي بن أبي طالب لما كثر الناس وضعف أقوام عن الخروج إلىٰ الصحراء استخلف من يصلي بهم في المسجد.

وكما تواتر عنه أنَّه كان يصلي الجمعة بأذان وإقامة لا يؤذن لها إلا إذا قعد علىٰ المنبر، وكذلك كان الأمر علىٰ عهد أبي بكر وعمر، فلما كان في أثناء خلافة عثمان كثر الناس فأمر بالنداء الثالث علىٰ دار قريبة من المسجد من جهة المشرق يقال لها: الزوراء.

وكما تواتر أنَّ مسجده بناه[1] باللَّبن، وسقفه بجذوع[2] النخل، وكانت حجر أزواجه قبلي المسجد وشرقيه، فلما كثر الناس زاد فيه عمر ثم زاد فيه عثمان، وبناه بالقصة والحجارة، ثم في إمارة الوليد أمر نائبه عمر بن عبد العزيز أن يشتري الحُجر ويزيدها في المسجد، فدخلت حجرة عائشة التي دفن فيها هو وأبو بكر وعمر في المسجد من حينئذ، وإنما كانت في حياته خارجة عن مسجده (إلىٰ سنة إحدىٰ وتسعين)[3].

وقال في مرض موته: «لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا. قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجدًا»[4].

وكما تواتر عنه: أنه نهىٰ عن الصلاة وقت طلوع الشمس، ووقت غروبها،

---

(١) في (ب، ل): كان باللبن.
(٢) في (ب، ل): من جذوع.
(٣) سقط من (ب): واستدرك في (ل) في الهامش، وعندهما: المسجد.
(٤) رواه البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٢٩).

وكما تواتر عنه أنه كان يضحي في عيد الأضحىٰ.

بل تواتر عند أهل العلم بأحواله تروكه المشهورة كما تواترت أفعاله المشهورة، فتواتر عنه أنه لم يكن يؤذن للعيدين وصلاة الكسوف والاستسقاء[1]، وأنه صلىٰ في كسوف الشمس صلاة طويلة ركعتين في كل ركعة ركوعان[2]، وأنه[3] كان (ظ١٣٣) يطوف بالبيت سبعًا، ويصلي ركعتين عقب[4] الطواف، (وكان يسعىٰ بين الصفا والمروة سبعا ولا يصلي ركعتين عقب السعي)[5].

وتواتر أنه كان يواصل، وينهىٰ أصحابه عن الوصال، ويقول: «إني لست كأحدكم[6]، إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني»[7].

وأنه لم يفرض صومًا إلاَّ شهر[8] رمضان، ولم يفرض الحج علىٰ المستطيع إلا مرة في العمر[9]، وأنه فرض الصلوات الخمس علىٰ كل بالغ عاقل إلا الحائض والنفساء، وأنه منع الحائض والنفساء من الصوم والصلاة،

(١) في (ب، ل، د): «ولا الكسوف ولا الاستسقاء».
(٢) في (ب، ل): «صلىٰ الكسوف بركوعين في كل ركعة صلاة طويلة». في (د) مثله لكن قال: «ركعتين».
(٣) في (ب، ل، د): «وتواتر أنه».
(٤) في (ب، ل): «بعد».
(٥) بدله في (ب، ل): «ولم يكن يصلي بعد السعي بالصفا والمروة ركعتين».
(٦) في (ب، ل،د): «كهيئتكم».
(٧) رواه البخاري (١٩٦٤)، ومسلم (١١٠٥).
(٨) في (ب، ل، د): «صوم شهر».
(٩) الجار والمجرور من (ظ، د).

وكانت الحائض تؤمر[1] بقضاء الصوم، ولا تؤمر بقضاء الصلاة.

وأنه أمر بالاغتسال من الجنابة للصلاة، وأمر بالوضوء[2] لمن بال أو تغوط أو خرج منه ريح أو مذي، وأنه رخص في الاستجمار بثلاثة أحجار، ونهىٰ عن الاستجمار[3] باليمين، ونهىٰ عن الاستجمار بالعظم والبعر، وقال: «إنها زاد إخوانكم من الجن»[4].

وأنه لم يجمع[5] المسلمين لا[6] علىٰ سماع كفٍّ ولا دفٍّ ولا رقص ولا صعق، لا هو ولا أصحابه عند سماع القرآن، بل كانوا توجل قلوبهم، وتقشعر جلودهم، وتدمع أعينهم[7]، وأنه لم يكن علىٰ عهده وعهد خلفائه أبي بكر وعمر وعثمان وعلي امرأة مطلقة تعاد إلىٰ زوجها[8] بنكاح يقصد به التحليل ظاهرًا، بل لعن المُحَلِّل[9] والمُحلَّل له لأنَّ ذلك ربما فُعل سرا.

وأنه أمر بعيادة المريض، وتشييع الميت، وإفشاء السلام، وإجابة الدعوة.

وأنه كان يصلي علىٰ الميت وكان يكبر عليه أربع تكبيرات، وقد كان

---

(١) في (ب، ل، د): وكان الحيض يؤمرن....ولا يؤمرن.
(٢) في (ب، ل، د) زيادة: «عند الصلاة».
(٣) في (ب، ل): «الاستنجاء».
(٤) رواه مسلم (٤٥٠)، مطولا، وأما اللفظ الذي ذكره المصنف فقد رواه أحمد (٤١٤٩)، والترمذي (١٨)، من حديث عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تستنجوا بالروث، ولا بالعظام، فإنه زاد إخوانكم من الجن».
(٥) في (ب، ل، د): لم يكن يجمع..
(٦) ليست في (ب، ل).
(٧) في (ب، ل): «عيونهم».
(٨) في (ب، ل): «عهده وعهد خلفائه تعاد امرأة مطلقة».
(٩) في (ظ): «المُحِل».

أحيانًا يكبر خمسًا وسبعًا، وأنه أمر بتغسيل الميت وتكفينه، والصلاة عليه ودفنه.

وأنه حرم كل مسكر، وحرم بيع الدرهم بالدرهمين، والدينار بالدينارين، والصاع بالصاعين من الحنطة والشعير والتمر والزبيب.

وأنَّه أمر بصدقة الفطر صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير لما كان أهل المدينة يقتاتون التمر والشعير.

وأنه أباح الدواء وقال: «تداووا عباد الله فإنه لم ينزل داء إلا أنزل له دواء إلا السام» والسام الموت[1]، وأنه كان يتداوىٰ بالحجامة وغيرها.

وكذلك ما تواتر عنه من أحاديث سوىٰ ما في القرآن من صفة الجنة والنار، وذكر العرش والملائكة، والجن، وإرساله إلىٰ الثقلين، وما ذكره من أسماء الله وصفاته، وما أخبر به من فتنة الإنسان في قبره، ومن عذاب القبر ونعيمه، ومن دخول من يدخل النار من أهل الكبائر من أمته، وخروجهم من النار بشفاعته، وشفاعة غيره، ومِنْ ذِكر حوضه، وما أخبر به من رؤية الله تعالىٰ يوم القيامة، ومحاسبة الله للعباد، وغير ذلك.

وما تواتر عنه من أنه كان يرسل رُسلاً إلىٰ الملوك يدعوهم إلىٰ الإيمان بالله وبما جاء به، كما أرسل إلىٰ ملوك اليمن، وملوك[2] الشام ومصر والعراق، وإلىٰ ملوك المشركين واليهود والنصارىٰ والمجوس بعد ما حارب اليهود مرة بعد مرة.

---

(١) رواه أحمد (١٨٤٥٤)، وأبو داود (٣٨٥٥) والترمذي(٢٠٣٨)، وابن ماجه(٣٤٣٦) من حديث أسامة بن شريك، وإسناده صحيح.

(٢) في (ب): وملك.

[1]وما تواتر عنه من أنه كان يركب الخيل والإبل والبغال والحمير.

وأنه رجم الزاني المحصن مرة بعد مرة، وقطع يد السارق، وجلد شارب الخمر.

وأنه كان يصلي في السفر الرباعية ركعتين ركعتين، وأنه بعرفة ومزدلفة جمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء[2]، وأنه كان بمنىٰ يصلي[3] ركعتين ركعتين، وأنه في حجة الوداع أمر المسلمين[4] كلهم أن يحلوا من إحرامهم، ويجعلوها عمرة إلا من ساق الهدي (ظ١٣٤) فإنه أمره أن يبقىٰ علىٰ إحرامه، وأنه هو لم يحل من إحرامه، ولا اعتمر بعد الحج لا هو ولا أحد ممن حج معه إلا عائشة لكونها كانت حائضًا.

وأن شهر[5] رمضان فُرض في السنة الثانية من الهجرة فصام تسع رمضانات.

وأنه كان له أربع بنات وثلاثة بنين، وكان يُكنىٰ بأكبر أولاده القاسم فيدعىٰ أبا القاسم، وأنه تزوج بنتي أبي بكر وعمر، وزوج عثمان بابنتيه، وزوج عليًّا بنتًا، وأنه آمن به من أعمامه حمزة والعباس، ولم يؤمن به لا أبو لهب ولا أبو طالب مع أن أبا طالب كان يحوطه، ويذب عنه.

---

(١) هنا زيادة في (د): «وما تواتر عنه من أنه كان إذا سافر من المدينة استخلف خليفة، وأنه كان يستكتب كتابا يكتبون له».
(٢) في (ب، ل):«وأنه جمع بين الصلاتين الظهر والعصر بعرفة، وفي مزدلفة جمع بين المغرب والعشاء».
(٣) قدم وأخر في (ب، ل)
(٤) في (ب، ل): «وأمر المسلمين في حجة الوداع أن يحلوا».
(٥) تغير الخط في الأصل (ل) من هنا إلىٰ ما بعد ورقة في الفصل الآتي.

وأنه استخلف أبا بكر أن يُصلي[1] بالناس لما مرض وثقل عن الصلاة، لم يصل أحد بإذنه مع حضوره غير أبي بكر في مرض موته[2]، ولما ذهب ليُصلح بين بني عمرو بن عوف.

وأنه كان من خواص أصحابه العشرة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة بن الجراح، (وعبد الرحمن بن عوف)[3]، وغير هؤلاء كعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، وأبي طلحة، وأبي أيوب، وأسيد بن حضير، وأضعاف هؤلاء.

وأنه بايعه تحت الشجرة ألف وأربعمائة -أو وخمسمائة[4]- وهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ١٨].

وأنه لما قدم المدينة بنىٰ مسجده، وكان في شماليه صُفَّةً يأوي إليها العزباء[5]، وأن المهاجرين والأنصار كلهم أسلموا طوعًا بلا رغبة ولا رهبة، وأن المهاجرين آذاهم الكفار أذىً عظيمًا حتىٰ هاجر منهم طائفة إلىٰ الحبشة إلىٰ عند النجاشي، وأن النجاشي آمن به، وأن النبي ﷺ أخبر المسلمين بموته يوم مات، وأخرجهم إلىٰ الصحراء فصلىٰ بهم عليه كما يصلي علىٰ الميت[6].

---

(١) في (ب، ل): ليصلي.
(٢) في (ب، ل): في مرضه.
(٣) سقط من (ب) واستدركه في هامش (ل).
(٤) ما بين الحاصرتين ليس في (ل)، وفي (ب): «أو خمسمائة».
(٥) في (ب، ل): «صفة ينزلها الغرباء».
(٦) في (ب، ل، د): وأنه لما مات أخبر النبي ﷺ بموته يوم مات، وأنه صلىٰ عليه بأصحابه في المصلىٰ كما يصلي علىٰ الميت الحاضر.

وأنه كان يخطب يوم الجمعة قبل الصلاة، ويخطب في العيد بعد الصلاة، وكان يؤذن للجمعة والصلوات الخمس، ولا يؤذن للعيدين، ولا غير الصلوات الخمس، وأن بلالاً كان يؤذن له بالمدينة هو وابن أم مكتوم الأعمىٰ، وكان سعد القرظ[1] يؤذن لأهل قباء، وأقام أبا محذورة مؤذنًا[2] لأهل مكة.

وكما تواتر عنه وعن خلفائه أنهم لم يكونوا بمنىٰ يُصلون صلاة عيد، بل يرمون جمرة العقبة وينحرون، كما أمر أهل الأمصار أن يصلون ثم ينحرون[3].

إلىٰ أمثال هذه الأمور مما هي متواترة عند كل من كان عالما بأحواله، ومنها ما هو متواتر عند جميع الأمة، ومنها ما هو متواتر عند جمهورها.

وليس منها شيء إلا وتواتر آياته وبراهينه التي لم تذكر في القرآن أعظم من تواتر هذه الأمور، والكتب المصنفة في آياته وبراهينه الخارجة عن القرآن فيها من الأحاديث أضعاف أضعاف ما يُوجد من الأحاديث في مثل هذه الأمور، بل في كل صنف من أصناف آياته من الأحاديث أضعاف ما يوجد في مثل ذلك:

كتواتر إخباره بالغيوب المستقبلة، وتواتر تكثيره للطعام والشراب[4] مرات متعددة، وتواتر تكثيره للطهور والشراب مرات متعددة:

-إمَّا بنبع الماء بين أصابعه.

-وإمَّا بفيضان الينبوع الذي يضع فيه بعض آثاره.

---

(١) في (ب، ل): وسعد القرض يؤذن..وهكذا ثبت اسمه في (د) بالضاد، وكتب: لعله سعد القرظ كما ذكره الذهبي. قلت: هكذا هو في الأصل ظ.

(٢) في (ب، ل): وأبو محذورة يؤذن لأهل مكة.

(٣) كذا في الأصل (ظ، ب، ل) مجودا، كأنه هكذا في أصله، وفي (د): أن يصلوا ثم ينحرون.

(٤) ليست في (ب).

-وإمَّا بفيض[1] الماء من الوعاء الذي يبرك فيه، والماء باق بحاله لم ينقص.

فالأحاديث المتواترة[2] في مثل هذه الأنواع أكثر من الأحاديث المتواترة في مثل تلك الأمور التي هي متواترة(ظ١٣٥)، ولهذا كان شهرة هذه الأمور في الأمة -وفي أهل العلم بأحواله- أعظم من شهرة كثير من تلك الأمور.

والمقصود هنا: أن تواتر أنواع[3] آياته المستفيضة في الأحاديث أعظم من تواتر أمور كثيرة هي متواترة عند الأمة أو عند علمائها أو علماء أهل الحديث، وهذا غير الآيات والبراهين المستفادة بالقرآن، فإنَّ تلك قد تجرد لها طوائف من المسلمين ذكروا من أنواعها وصفاتها ما هو مبسوط في غير هذا الموضع، حتىٰ بينوا أن ما في القرآن من الآيات تزيد علىٰ عشرات ألوف[4] من الآيات.

وهذان[5] غير ما في كتب أهل الكتاب من الإخبار به، وهذه الأجناس الثلاثة[6] غير ما في شريعته التي بعث بها، وغير صفات أمته، وغير ما يدل من المعرفة بسيرته وأخلاقه وصفاته وأحواله، وهذا كله غير نصر الله وإكرامه لمن آمن به، وعقوبته وانتقامه ممن كفر به، كما فعل بالأنبياء المتقدمين، فإنَّ تعداد أعيان دلائل النبوة مما لا يمكن بشرًا الإحاطةُ به إذ كان الإيمان به واجبًا علىٰ كل أحد.

---

(١) في (ب، ل): بفيضان.

(٢) في (ب): المشهورة.

(٣) ليست في (ب، ل).

(٤) في (ب): الألوف.

(٥) الإشارة بالمثنىٰ لما سبق من آيات القرآن وآيات غير القرآن، وهكذا هو في كل الأصول الخطية، وفي المطبوعة: هذا، وهو تصحيف وخلل في السياق.

(٦) وهي ما سبق ذكره: مما روته الأمة، وما في القرآن، وما في كتب أهل الكتاب.

فيبين الله لكل قوم -بل لكل شخص- من الآيات والبراهين ما لا[1] يبين لقوم، كما أنَّ دلائل الربوبية وآياتها أعظم وأكثر من كل دليل علىٰ كل مدلول، ولكل قوم -بل لكل إنسان- من الدلائل المعينة التي يريه الله إياها في نفسه وفي الآفاق ما لا يعرف أعيانها قوم آخرون.

قال تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، والضمير في ذلك[2] عائد إلىٰ القرآن عند المفسرين والسلف وعامة العلماء، كما يدل علىٰ ذلك القرآن بقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٢-٥٣].

وقد قيل: إن الضمير عائد إلىٰ الله.

والصواب الأول كما قال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾ وهذا هو القرآن، ثم قال بعد ذلك: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ ثم قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

فأخبر أنه سيُري الناس في أنفسهم وفي الآفاق من الآيات العيانية المشهودة المعقولة ما يبين أن الآيات القرآنية المسموعة المتلوة حق فيتطابق العقل والسمع، ويتفق العيان والقرآن، وتُصدّق المعاينة للخبر[3].

---

(١) سقطت (لا) من (ب، ل)، وفيهما: «ما يبين لقوم آخرين»، وهي ثابتة في (ظ، د) ولا بد منها لتصحيح الكلام

(٢) يريد الضمير في قوله: «أنه».

(٣) انظر: تفسير الطبري ٢١/ ٤٩٤، زاد المسير ٤/ ٥٧.

وإذا كان القرآن حقًّا لزم كون الرسول الذي جاء به صادقًا، وأن الله أنزله، وأنه يجب التصديق لما به أخبر، والطاعة لما أوجبه وأمر، وذلك يتضمن إثبات الصانع وتوحيده وأسماءه[1] وصفاته، وإثبات النبوات، وإثبات المعاد، وهذه هي أصول العلم والإيمان التي علقت بها السعادة والنجاة.

فصل:

وآيات النبوة وبراهينها تكون في حياة الرسول وقبل مولده، وبعد مماته لا تختص بحياته فضلاً عن أن تختص بحال دعوىٰ النبوة أو حال التحدي، كما ظنه بعض أهل الكلام، بل لا بدَّ من آيات في حياته تدل علىٰ صدقه تقوم بها الحجة، وتظهر بها المحجة.

كما قال النبي ﷺ -في الحديث الصحيح[2]-: «ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن علىٰ مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكونَ أكثرهم تابعًا يوم القيامة»[3].

وقد قال تعالىٰ في سورة إبراهيم: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ

---

(١) كذا في ظ: أي أنها معطوفة علىٰ يتضمن، وفيما سواها: وأسمائه، أي أنها معطوفة إما علىٰ إثبات أو توحيد..

(٢) ما بين الحاصرتين ليس في (ب).

(٣) رواه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢).

فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ
وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ
يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى
ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ
لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى
ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ
نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم
بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ
مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ
قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا
بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ [إبراهيم: ١-١٠](١).

فأخبر أنَّ قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات، فعلم أنهم جاءوا بالآيات البينات.

وقال: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ [آل عمران: ١٨٤](٢).

---

(١) في (ب، ل): لم يكتب الآيات كلها، بل كتب أول آية ثم قال: إلىٰ قوله..
(٢) عاد الخط في (ل) إلىٰ ما كان عليه.

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَـٰهُمْ وَجَعَلْنَـٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةًۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَـٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَـٰلَۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٧-٣٩].

فأخبر أنه سبحانه ضرب الأمثال لجميع هؤلاء الذين أرسل إليهم وأهلكهم فلم يعاقبهم إلا بعد أن أقام عليهم الحجة.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَى[1] إِلَيْهِمْۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٣-٤٤].

فأخبر أنه لم يرسل إلاَّ رجالا يوحي إليهم، لم يرسل إليهم ملائكة ولا نساء، وأنه أرسلهم بالبينات والزبر، والزُّبر جمع زبور وهي الكتب، فإن منهم من أنزل عليه كتاب، ومنهم من أرسل بتجديد الكتاب الذي قبله[2].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًاۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [فاطر: ٢٤-٢٦].

أخبر أنَّه ليس أمة من الأمم إلا خلا فيها نذير كما قال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

---

(١) كذا في الأصول الخطية، وهي قراءة من سوىٰ حفص عن عاصم (النشر ٢/ ٢٩٦).
(٢) انظر: تفسير الطبري ١٧/ ٢١١.

ثم أخبر أنَّ الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير، وهذا من عطف الخاص على العام لاختصاصه بوصف يختص به كقوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨]، فإن الزبر من البينات، والكتاب المنير من الزبر، وهو كقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحج: ٨]، فإن الهدى من العلم، والكتاب المنير من الهدى.

وبيَّن أنه أخذ الذين كفروا بهم، وهذا أنزله ليبين عاقبة المكذبين، ولهذا بنى الفعل للفاعل فقال: ﴿فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [فاطر: ٢٥] وهذه السورة مكية.

ثم أنزل في آل عمران -وهي مدنية- في سياق الآيات التي فيها تسلية[1] الرسول والمؤمنين به وتثبيتهم وتعزيتهم لما أصابهم من المكذبين يوم أحد (١٣٧) وغيره فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٢-١٧٥]، أي: يخوفكم أولياءه -كما قاله جمهور العلماء-[2].

---

(١) أثبتها في متن (ب) كما هي هنا، وفي الهامش كتب: تأييد.

(٢) أي أن الشيطان يخوف المسلمين بأوليائه (جامع البيان للطبري ٧/ ٤١٦)، والقول الثاني الوارد في الآية: يخوف أولياءه المنافقين، ليقعدوا عن قتال المشركين، قاله الحسن والسدي، وذكره الزجاج (زاد المسير ١/ ٣٥٠).

ثم قال: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٧٦]، وسياق الكلام في بيان أنَّ الكفار لا يضرون الله ولا عباده المؤمنين، بل ضررهم علىٰ أنفسهم، وأنَّ ما حصل لهم من نعمة إنما هو استدراج وإملاء.

إلىٰ أن قال: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٨١-١٨٣].

بيَّن سبحانه أن هذا القول منهم -مع أنه كذبٌ- فلم يقولوه إلا دفعًا للحق لا ليؤمنوا بمن جاءهم بذلك، إذ قد جاءهم رسل من قبله بالآيات البينات، والقربان الذي تأكله النار، ومع هذا قتلوهم، والكلام في مثل هذا للجنس الذي يوالي بعضهم بعضًا، ويتبع بعضهم بعضًا، كاليهود الذين هم علىٰ دين سلفهم الذين فعلوا ذلك، ولهذا يذمهم بصيغة الخطاب كقوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠]، ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، فالخطاب لجنس بني إسرائيل، وإن كان الذين عاينوا ذلك ماتوا.

ثم قال: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، فحذف هنا الفاعل، وبنىٰ الفعل للمفعول إذ

المقصود هنا تعزية الرسول وتسليته[1]، لا ذكر عقوبة المكذبين، فلهذا كانت هذه أخص من تلك[2].

فصل:

ومن آيات الأنبياء إهلاك الله لمكذبيهم، ونصره للمؤمنين بهم، فهذا من أعلام نبوتهم، ودلائل صدقهم، كإغراق الله تعالىٰ قوم نوح لما كذبوه، وكإهلاكه قوم عاد بالريح الصرصر، وإهلاك قوم صالح بالصيحة، وإهلاك قوم شعيب بالظلة، وإهلاك قوم لوط بقلب مدائنهم، ورجمهم بالحجارة، وكإهلاك قوم فرعون بالغرق.

وقد ذكر الله هذه القصص[3] في القرآن في غير موضع، وبين أنها من آيات الأنبياء الدالة علىٰ صدقهم، كما ذكره[4] في سورة الشعراء لما ذكر قصة موسىٰ قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٨].

ثم ذكر قصة إبراهيم، وقال في آخرها: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٣]، وكذلك ذكر مثل ذلك في قصة نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب.

ومن ذلك ما جعله من اللعنة الشائعة لمن كذبهم، ومن لسان الصدق بالثناء والدعاء لهم ولمن آمن بهم، كما قال تعالىٰ في قصة نوح: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي

---

(١) في (ب، ل): تسلية الرسول وتعزيته.
(٢) في هامش الأصل ظ: بلغ مقابلة.
وفي كل النسخ الخطية إلا (ل) أخطأ في كتاب الآية فبدأها: وإن يكذبوبك فقد..
(٣) في (ب): «هذا في القصص».
(٤) في (ب، ل): «يذكره».

﴿ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٨-٧٩]، وكذلك في قصة إبراهيم: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الصافات: ١٠٨-١٠٩]، أي: تركنا هذا القول الذي يقوله المتأخرون(١).

وكذلك في قصة موسىٰ وهارون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الصافات: ١٢٠]، و﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات: ١٣٠].

وكذلك في قصة إبراهيم قال: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٩-٥٠].

وقال في قصة فرعون(ظ١٣٨): ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٣٩-٤٢].

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١]، وقال لمحمد ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]، فأخبر أن العاقبة للمتقين.

---

(١) قال ابن كثير: «وقوله تعالىٰ: «سلام علىٰ نوح في العالمين» مفسر لما أبقىٰ عليه الذكر الجميل والثناء الحسن أنه يسلم عليه في جميع الطوائف والأمم» (تفسير ابن كثير ٧/ ٢٠).

ثم إنه ما وقع لهؤلاء ولهؤلاء تارة[1] يُعلم بالسمع والنقل، ويعلم بالعقل والاعتبار بآثارهم تارة، كما قال عن أهل النار: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

كما ذكر الله الطريقين في قوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١]، ثم قال: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أهلكتها[2] وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٢-٤٥][3].

ثم قال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٦-٣٧].

---

(١) في (ب، ل): أخر تارة.

(٢) كذا في الأصول وهي قراءة البصريين: أبي عمرو ويعقوب، والمصنف وأهل بلده كانوا يقرؤون بقراءة أبي عمرو في تلك الحقبة (انظر: النشر ٢/ ٣٢٧).

(٣) فهذه مما يعلم بالسمع والنقل.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الروم: ٩-١٠].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [غافر: ٢١-٢٢].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٢-٨٥].

وقال -لما قص قصص نوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب، وموسى في سورة هود-: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٠-١٠٢].

ولما ذكر قصة لوط في سورة الصافات قال: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧-١٣٨]، وفي سورة الحجر: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

﴿لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ۝٧٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ثم قال[1]: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ۝٧٨ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٩][2].

والإمام المبين: هو الطريق المستبين الواضح[3].

بيَّن سبحانه أنَّ هذه وهذه كلاهما بسبيل للناس يرونها بأبصارهم، فيعلمون بذلك ما فعل الله بمن كذب رسله وعصاهم.

ودلالة نصر الله المؤمنين وانتقامه(ظ١٣٩) من الكافرين علىٰ صدق الأنبياء من جنس دلالة الآيات والمعجزات علىٰ صدقهم، فكون هذا فُعل لأجل هذا؛ وكون ذاك سبب هذا؛ هو مما يعلم بالاضطرار عند تصور الأمر علىٰ ما هو عليه، كانقلاب العصا حية عقب سؤال فرعون الآية، وانشقاق القمر عند سؤال مشركي مكة آية، وأمثال ذلك.

والسؤال المشهور الذي يُورد في هذا الموضع -علىٰ قول من ينفي التعليل في أفعال الله أو يجوِّز[4] علىٰ الله كل فعل- حيث قيل لهم:

علىٰ أصلكم: لا يفعل الله شيئًا لأجل شيء، وحينئذ فلمْ يأت بالآيات الخارقة للعادة لأجل تصديق الرسول، ولا عاقب هؤلاء لتكذيبهم له، ولا أنجىٰ هؤلاء ونصرهم لإيمانهم به، إذا كان لا يفعل شيئًا لشيء عندكم.

---

(١) لم يفصل في (ب، ل) بين الآيات.
(٢) وهذه مما يعلم بالعقل والاعتبار، لأن آثارهم باقية.
(٣) أي أن المدينتين -مدينة أصحاب الأيكة ومدينة قوم لوط- بطريق يأتمون به في سفرهم ويهتدون به (تفسير الطبري ١٧/ ١٢٥).
(٤) في (ب، ل): ويجوز.

وقالوا لهم أيضًا: إذا جوَّزتم علىٰ الرب كل فعل جاز أن يظهر الخوارق علىٰ يد الكاذب!

ويُقال لهم أيضًا: أنتم لا تعلمون ما يفعل الرب إلا بعادة أو خبر الأنبياء، فقبل[١] العلم بصدق النبي لا يعلم شيء بخبره، والعادة إنما تكون فيما تكرر: كطلوع الشمس، ونزول المطر، ونحو ذلك، والإتيان بالخارق للتصديق ليس معتادًا.

فيقال في جوابه[٢]: هذا السؤال -إن كان متوجهًا- فإنما يقدح في قول هؤلاء الذين يقولون: يفعل شيئًا لأجل شيء، ويُجوزون عليه فعل كل شيء ممكن، لا ينزهونه عن فعل من الأفعال، وليس عندهم قبيح وظلم[٣] إلا ما كان ممتنعًا مثل جعل الشيء موجودًا معدومًا، وجعل الجسم في مكانين، ولهذا ذكر ذلك مخالفوهم حجة في إبطال مذهبهم، وقالوا: قولكم يقدح في العلوم الضرورية، ويسدُّ باب العلم بصدق الرسل[٤].

---

(١) في (ب، ل): فقيل.

(٢) الجار والمجرور ليس في (ب، ل).

(٣) في (ل): وليس قبيحا وظلما..

(٤) العلم الضروري: هو ما علم الإنسان من غير نظر ولا استدلال. وهو عند بعضهم: العقل، وللمصنف رسالة في اسم العقل عند المسلمين ضمن مجموع الفتاوىٰ (٩/ ٢٨٧).
قال المصنف: «فكل من آمن بالرسول عن بصيرة، فلا بد أن يكون في قلبه علم بأنه نبي حق؛ إما علم ضروري، أو علم نظري بدليل من الأدلة والعلوم النظرية مع أدلتها تبقىٰ ضرورية، وقد تكون في نفس الأمر علوم ضرورية، ولا يمكنه التعبير عما يدل عليها؛ كالذي يجده الإنسان في نفسه ويعلمه من العلوم البديهية والضرورية وغير ذلك؛ فإن كثيرا من الناس لا يمكنهم بيان الأدلة لغيرهم علىٰ وجود ذلك عندهم» (النبوات ٢/ ٩٨٤، وانظر: تعليق المحقق ٢/ ٩٨٢).

قالوا: إذا جوزتم أن يفعل كل شيء فجوِّزوا أن يكون الجبال انقلبت ياقوتًا، والبحار لبنًا، ونحو ذلك مما يعلم بالضرورة بطلانه.

وجوِّزوا أن يخلق المعجزات علىٰ يدي الكذابين.

وليس المقصود هنا الجواب عن هؤلاء، ولا بيان فساد قولهم، ولكن المقصود أنَّ هذا السؤال -إنْ كان متوجهًا- فإنما يقدح في قول هؤلاء لا يقدح فيما عُلم بالاضطرار من دلالات الآيات المذكورة علىٰ حال هؤلاء وهؤلاء، وأنَّ الله ﷻ نجىٰ موسىٰ ونصره لصدقه ونبوته وإيمانه، وأهلك فرعون لتكذيبه، وكذلك نصر محمدًا ومن اتبعه علىٰ من كذبه من قومه، ونصر نوحًا علىٰ من كذبه[1]، ونصر المسيح علىٰ من كذبه، ونصر سائر الرسل وأتباعهم المؤمنين، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

كما لا يقدح فيما علم بالاضطرار من أنَّ الله ينزل المطر في إبانه لسقي المزارع، وأنه يسوق النيل لسقي أرض مصر، وأنه جعل أعضاء الإنسان لما فيها من المنافع كالبطش باليدين، والمشي بالرجلين، والنظر بالعينين، والسمع بالأذنين، والنطق باللسان، وجعل ماء العين ملحًا لكونها شحمة، والملوحة تمنعها أن تذوب، وماء الأذن مُرًّا ليمنع الذباب من الولوج في الدماغ، وماء الفم عذبا ليطيب الطعام والشراب، وجعل ماء البحر مالحًا (لبقاء الأنام، فإنه لو كان عذبًا لأنتن ما يموت فيه من الحيوان العظيم فيفسد الريح فيموت الآدميون

---

(١) في (ب، ل، د): كفر به.

والبهائم بهذه الريح)[1]، إلىٰ ما لا يحصىٰ من حكمة الله المشهودة في خلقه.

ونفاة التعليل يقولون: نحن نعلم أنَّ هذا مُقارن لهذا بحكم العادة التي أجراها الله، وإن لم يخلق شيئًا لشيء، وكذلك من نفىٰ الأسباب مع نفي التعليل أيضا يقولون(ظ ١٤٠): نحن نعلم أنه يخلق هذا عند هذا لا به[2].

فاقتران المعجز بالتصديق من هذا الباب عندهم، لكن يبقىٰ عليهم أنَّ هذا لا يُعلم إلا بالعادة ولا عادة.

فلا جرم رجعوا إلىٰ فطرتهم من أن هذا أمر معلوم بالاضطرار، وإن كان مناقضًا لأصلهم الفاسد، وضربوا لذلك مثلاً بالملك الذي أظهر ما يُناقض عادته لتصديق رسوله[3].

لكن يقال لهم: الملك يفعل فعلاً لمقصود، فأمكن أن يقال: إنه قام ليصدق رسوله، وأنتم عندكم أن الله لا يفعل شيئًا لشيء، فلم يبق المثل مطابقًا، ولهذا صاروا مضطربين في هذا الموضع.

-تارة يقولون: المعجز دل[4] علىٰ الصدق، لئلا يفضي إلىٰ تعجيز الرب فإنه لا دليل علىٰ الصدق إلا خلق المعجز، فلو لم يكن دليلاً لزم أن يكون الرب غير قادر علىٰ تصديق الرسول الصادق.

وهذه طريقة الأشعري في أكثر كتبه، وأحد قوليه، وسلكها القاضي أبو بكر

---

(١) سقط من (ب، ل).

(٢) أطال المصنف الرد علىٰ هذا المذهب في غيرما موضع من كتبه، انظر: الرد علىٰ المنطقيين ٢٧٠، مجموع الفتاوىٰ ٨/ ٥٢٢، ٩/ ٢٨٨، منهاج السنة ٥/ ٣٦١.

(٣) انظر: النبوات ١/ ٥٨١-٥٨٣، ٥٣٦.

(٤) في (ب، ل): المعجزات دليلا.

أحيانا، وأبو إسحاق الإسفرائيني، وأبو بكر بن فورك، وأبو محمد اللبان، وأبو علي بن شاذان، والقاضي أبو يعلىٰ، وغيرهم[١].

-والثاني قالوا: نحن نعلم بالاضطرار (أنَّه فعل هذا لأجل التصديق كالمثل المضروب[٢]، وهذا هو القول الآخر، وهي طريقة أبي الحسن الأشعري في أماليه، وهي طريقة أبي المعالي وأتباعه كالرازي، وغيره.

وتنازعوا: هل يمكن خلق ذلك علىٰ يد كذاب؟

فقيل: لا يمكن لأنه لو أمكن لجاز وقوعه.

وقيل: بل هو مقدور لكن نعلم أنه لا يفعله)[٣] كما نعلم أنه لا يفعل كثيرا من الخوارق المقدورات كقلب الجبل ياقوتا، والبحر زئبقا[٤].

قالوا: فنحن (نجوز أشياء)[٥] ونعلم بالضرورة أنه لا يفعلها فلا يلزم من كونها مقدورة ممكنة أن لا نعلم انتفاء وقوعها، بل قد نعلم عدم وقوعها بالاضطرار، وإن كنا نقول إنها ممكنة مقدورة، وظهور المعجزات علىٰ يد الكذاب في دعوىٰ النبوة من هذا الباب عندنا.

وقالوا: المعجز علم علىٰ صدق الأنبياء فيمتنع أن يكون الدليل غير مستلزم للمدلول عليه، وهذا القول حق لكن منازعوهم يقولون: هو يستلزم نقيض ما نفوه من كون الله يخلق شيئًا لشيء، ويخلق شيئًا بشيء، وما قالوا من

---

(١) انظر النبوات ١/ ١٣٥، ٥٣٤.
(٢) في (ب، ل): المعروف.
(٣) ما بين القوسين سقط من (ل).
(٤) في (ل): زيتا.
(٥) سقط من (ل).

كونه يجوز عليه فعل كل شيء، وكان ما ذكروه من الحق دليلاً علىٰ أن الخلق يعلمون ما يعلمونه من حكمة الرب ومراده بما يخلقه لأمر آخر، وأنه سبحانه منزه عن أن يفعل أشياء لا يجوز منه فعل كل شيء، وهم يقولون هنا: قد يكون الشيء ممكنًا جائزًا مع العلم بأنه غير واقع، كانقلاب الجبال ياقوتًا، والبحر زئبقًا، وموت أهل البلد كلهم في لحظة، ومصير الأطفال علماء حكماء في لحظة واحدة.

وعلىٰ هذا الجواب يعتمدون كثيرًا، كما يذكره القاضي أبو بكر، والقاضي أبو يعلىٰ، وأبو المعالي، والرازي، وغيرهم.

ثم إنهم يقولون في العقل: إنه علوم ضرورية كالعلم بوجوب الواجبات، وامتناع الممتنعات، وجواز الجائزات، فالممتنعات كانقلاب دجلة دمًا، وأمثال ذلك من الأمور العادية، فيجعلون العادات واجبة تارة وممتنعة أخرىٰ، مع أنه لا سبب يوجب لا هذا ولا هذا.

ويقولون: نعلم أن هذا جائز ممكن لا يتوقف علىٰ سبب، ولا له مانع كالآخر، ثم نعلم أن هذا واقع، وهذا غير واقع لمجرد العادة.

مع أن خرق[1] العادة ليس له عندهم ضابط، بل كل ما يجري من العادات معجزات للأنبياء، فيجوز أن يكون عندهم للولي وللساحر، والفرق بينهما عندهم التحدي أو عدم المعارضة.

وكذلك المتفلسفة الملاحدة الذين يقولون: أسباب الآيات القوىٰ الفلكية، والقوىٰ النفسانية والطبيعية، وهذه (ظ١٤١) كلها مشتركة عندهم بين الأنبياء والسحرة لكن النبي يقصد الخير والعدل، والساحر يقصد الشر والظلم.

---

(١) في (ب): ضد العادة.

وكذلك أولئك الذين وافقوا جهمًا علىٰ أصله في القدر، لا فرق عندهم بين كرامات الأولياء وخوارق السحرة، لكن الولي مطيع لله، والساحر غير مطيع لله، هذا عمدة هؤلاء النفاة للحكمة والأسباب في أفعال الله تعالىٰ.

وجمهور الناس يخالفونهم، ويقولون: هذا القول فاسد بل نفس تصوره كاف في العلم بفساده، فإنه إذا تماثل هذا وهذا من كل وجه فمن أين يعلم وجود هذا أو وجوبه، وعدم هذا أو امتناعه!

وإذا قيل: معي[1] مُستندي العادة.

قيل له: منازعوك يقولون: هذا باطل من وجهين:

أحدهما: أنك أنت تجوز انتقاض العادة، وليس لانتقاضها عندك سبب تختص به، ولا حكمة انتقضت لأجلها، بل لا فرق عندك بين انتقاضها للأنبياء والأولياء والسحرة وغير ذلك، ولهذا قلتم: ليس بين معجزات الأنبياء وبين الكرامات والسحر فرق إلا مجرد اقتران دعوىٰ النبوة والتحدي بالمعارضة مع عدم المعارضة، مع أنَّ التحدي بالمعارضة قد يقع من المشرك بل ومن الساحر، فلم يثبتوا فرقًا يعود إلىٰ جنس الخوارق المفعولة، ولا إلىٰ قصد الفاعل والخالق، ولا قدرته ولا حكمته.

والثاني: أن العادة لا بد لها من أسباب وموانع يُعلم بها اطرادها تارة، وانتفاضها أخرىٰ.

وبهذا يظهر الجواب عما قالوه من أنَّ انقلاب الجبل ذهبا، والبحر زئبقا، والأناسي قرودا، ونحو ذلك ممكن معلوم الجواز مع العلم بأنه لم يقع، فإنهم

---

(١) من (ظ) فقط.

يقال لهم: جمهور الناس لا يسلِّمون لكم أن هذا ممكن إلا مع لوازمه، وانتفاء أضداده، وحينئذ يقال: لـم قلتم أن هـذا لا يستلزم أسبابًا تكـون قبلـه؟ وموانـع ترتفع كسائر ما يُحدثه الله من الأمور الخارقة للعادة، فإنه لا يحدث شيئًا إلا بإحداث أسباب ودفع موانع.

مثال ذلك: غرق قوم نوح لم يكن ماء وجد بلا سبب، بل أنزل الله ماء السماء، وأنبع ماء الأرض كما قال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر: ٩-١٣].

وكذلك عاد لما أهلكهم أرسل الريح الصرصر سبع ليال وثمانية أيام حسومًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦- ٨].

وكذلك ثمود، قال لهم صالح: ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ [هود: ٦٤-٦٨].

وكل ما وُجد في العالم من خوارق العادات - آيات الأنبياء وغيرها-

لم يأت منها شيء إلاَّ بأسباب تقدمته، كآيات موسىٰ -مثل مصير العصا حية- كانت بعد أن ألقاها؛ إمَّا عند أمر الله بذلك لما ناداه من الشجرة ورأىٰ النار الخارقة للعادة، وإمَّا عند مطالبة فرعون له بالآية، وإمَّا عند معارضة السحرة لتبتلع حبالهم وعصيهم، وكذلك سائر آياته (ظ١٤٢)، حتىٰ[1] إغراق فرعون كان بعد مسير الجيش وضربه البحر بالعصا، وكذلك تفجر الماء من الحجر كان بعد أن ضرب الحجر بعصاه، واستسقاء قومه إياه وهم في برية لا ماء عندهم.

وكذلك آيات نبينا ﷺ، مثل: تكثير الماء، كان بوضع يده فيه حتىٰ نبع الماء من بين الأصابع -أي تفجر الماء من بين الأصابع[2]- لم يخرج من نفس الأصابع، وكذلك البئر كان ماؤها يكثر: إمَّا بإلقائه سهمًا من كنانته فيها، وإمَّا بصبه الماء الذي بصق فيه فيها.

وكذلك المسيح كان يأخذ من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله، إلىٰ أمثال ذلك.

فأمَّا جبل ينقلب ياقوتًا بلا أسباب تقدمت ذلك فهذا لا كان ولا يكون، وكذلك نهر مُطَّرد[3] يصبح لبنًا بلا أسباب تقتضي ذلك يخلقها الله فهذا لا كان ولا يكون.

ومن قال: إن الشيء ممكن فهذا يعنىٰ به شيئان: يعنىٰ به الإمكان الذهني،

---

(١) هامش الأصل ظ: إلىٰ خ، أي في نسخة.
(٢) ما بين الحاصرتين ليس في (ب).
(٣) في (ب، ل): يطرد.

والإمكان الخارجي[1].

فالإمكان الذهني: هو عدم العلم بالامتناع، وهذا ليس فيه إلا عدم العلم بالامتناع، وعدم العلم بالامتناع غير العلم بالإمكان، فكل من لم يعلم امتناع الشيء كان عنده ممكنًا بهذا الاعتبار، لكن هذا ليس بعلم بإمكانه، ومن استدل علىٰ إمكان الشيء بأنه لو قدر لم يلزم منه محال من غير بيان انتفاء لزوم كل محال -كما يفعله طائفة من أهل الكلام، كالآمدي ونحوه- لم يكن فيما ذكره إلا مجرد الدعوىٰ.

وأما الثاني[2]: وهو العلم بإمكان الشيء في الخارج، فهذا يعلم بأن يعلم وجوده، أو وجود نظيره، أو وجود ما هو أقرب إلىٰ الامتناع منه، فإذا كان حمل البعير للقنطار ممكنًا كان حمله لتسعين رطلاً أولىٰ بالإمكان.

وبهذه الطريقة يبين الله في القرآن إمكان ما يريد بيان إمكانه، كإحياء الموتىٰ والمعاد، فإنه يبين ذلك تارة ببيان وقوعه، كما أخبر أن قوم موسىٰ قالوا: لن نؤمن لك حتىٰ نرىٰ الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون، ثم بعثهم الله من بعد موتهم لعلهم يشكرون.

---

(١) قال المصنف: «الإمكان يستعمل علىٰ وجهين: إمكان ذهني وامكان خارجي، فالإمكان الذهني: أن يعرض الشيء علىٰ الذهن فلا يعلم امتناعه، بل يقول: يمكن هذا لا لعلمه بامكانه بل لعدم علمه بامتناعه، مع أن ذاك الشيء قد يكون ممتنعا في الخارج.
وإما الإمكان الخارجي: فأن يعلم إمكان الشيء في الخارج، وهذا يكون بأن يعلم وجوده في الخارج أو وجود نظيره أو وجود ما هو أبعد عن الوجود منه، فإذا كان الابعد عن قبول الوجود موجودا ممكن الوجود فالأقرب إلىٰ الوجود منه أولىٰ» (الرد علىٰ المنطقيين ٣١٨، وانظر: النبوات ٢/ ٩١١).

(٢) أي الإمكان الخارجي.

وكما أخبر عن المقتول الذي ضربوه بالبقرة فأحياه الله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٢-٧٣].

وكما أخبر عن الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم، وكما أخبر عن الذي: ﴿مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ۖ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ ننشرها(١) ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

وأخبر سبحانه بنظير ذلك في قصة إبراهيم حيث قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

واستدل سبحانه بما هو أعظم من ذلك وهو النشأة الأولىٰ، وخلق السماوات والأرض، كقوله: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [يس: ٨١].

وقال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ

---

(١) هكذا في الأصول الخطية، وهي قراءة من سوىٰ ابن عامر والكوفيين (النشر ٢/ ٢٣١).

أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [الحج: ٥] (ظ١٤٣)[١].

فاستدل علىٰ إمكان الإحياء بابتداء خلق الحيوان، وبخلق النبات، وذكر ذلك في القرآن في غير موضع، وبسط هذا له موضع آخر.

والمقصود أن قول القائل: «هذا ممكن لا[٢] يحتاج إلىٰ دليل» لا يكفي في العلم بإمكانه عدم العلم بامتناعه، والله سبحانه علىٰ كل شيء قدير، والممتنع ليس بشيء باتفاق العقلاء، وكل ما خلقه الله فلا بد أن يخلق لوازمه، ويمنع[٣] أضداده، وإلا فيمتنع وجود الملزوم بدون[٤] اللازم، ويمتنع اجتماع الضدين، وليس للعباد اطلاع علىٰ لوازم كل مخلوق ولا أضداده[٥] المنافية لوجوده[٦].

فالجزم بإمكان وجوده بدون العلم بلوازمه وإمكانها وأضداده[٧] وانتفائها جهلٌ، والله سبحانه قادر علىٰ تغيير ما شاءه من العالم، وهو يشق السماوات، ويسير الجبال، ويبسها بسًّا فيجعلها هباءً منبثًّا، إلىٰ أمثال ذلك مما أخبر الله به

---

(١) لم يكتب الآيات كاملة في (ب، ل).
(٢) سقط من (ب) فأحال المعنىٰ.
(٣) في (ل): ويمتنع.
(٤) في (ب، ل): دون.
(٥) في (ب): علىٰ أضداده. وضرب في (ل) علىٰ: علىٰ.
(٦) هامش ظ: بلغ مقابلة.
(٧) في (ل): أضدادها.

كما يخلق سائر ما يخلقه بما يُيسره من الأسباب، وهذا مبسوط في موضع آخر.

والمقصود هنا: أنَّ آيات الأنبياء، ودلائل صدقهم متنوعة قبل المبعث وحين المبعث، وفي حياتهم، وبعد موتهم:

فقبل المبعث: مثل إخبار من تقدم من الأنبياء به، ومثل الإرهاصات الدالة عليه.

وأمَّا حين المبعث: فظاهر، وأما في حياته: فمثل نصره، وإنجائه، وإهلاك أعدائه.

وأما بعد موته:

فمثل نصر أتباعه، وإهلاك أعدائه كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

وقال للمسيح: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

ومحمد ﷺ جعلت له الآيات البينات قبل مبعثه، وحين مبعثه، وفي حياته، وبعد موته إلىٰ الساعة، وإلىٰ قيام الساعة، فإن ذكره (إلىٰ الساعة)[1]، وذكر كتابه والبشارة بذلك موجود في الكتب المتقدمة، كما قد بُسط في موضعه،

---

(١) ضرب عليها في (ب). وليست في (ل).

وقد تقدم بعض ذلك(١).

والخليل عليه الصلاة والسلام دعا به، فقال في دعائه ولذريته: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

ولما وُلد اقترن بمولده من الآيات ما هو معروف، وجرىٰ ذلك العام قصة أصحاب الفيل المشهورة، وكان يحصل له في مدة نشأته من الآيات والدلائل أمور كثيرة، قد ذُكر طرف منها في كتب دلائل النبوة والسيرة وغيرها، مثل الآيات التي حصلت لمرضعته لما صار عندها، ومثل ما شوهد من أحواله في صغره.

وأمَّا انتصار الله له ولأتباعه، وإعلاء ذكره، ونشر لسان الصدق له، وإهلاك أعدائه، وإذلال من يحاده ويشاقه، وإظهار دينه علىٰ كل دين باليد واللسان والدليل والبرهان، فهذا مما يطول وصف تفصيله.

قال تعالىٰ: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [آل عمران: ١٣].

(ظ١٤٤) وقال تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [الحشر: ٢].

---

(١) في (ب): بعضه. وليست الجملة كلها في (ل).

والأنبياء صلوات الله عليهم وأتباعهم المؤمنون -وإن كانوا يبتلون في أول الأمر- فالعاقبة لهم، كما قال تعالىٰ لما قص قصة نوح: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

وفي الحديث المتفق علىٰ صحته لما أرسل النبي ﷺ رسولاً إلىٰ ملك الروم فطلب من يخبره بسيرته، وكان المشركون[١] حينئذ أعداءه لم يكونوا آمنوا به، فقال: كيف الحرب بينكم وبينه؟ قالوا: الحرب بيننا وبينه سجال يدال علينا المرة، وندال عليه الأخرىٰ، فقال: كذلك الرسل تبتلىٰ وتكون لها العاقبة[٢].

فإنه كان يوم بدر نصر الله المؤمنين، ثم يوم أحد ابتلىٰ المؤمنين ثم لم ينصر الكفار بعدها حتىٰ أظهر الله الإسلام.

فإن قيل: ففي الأنبياء من قد قُتل؛ كما أخبر الله[٣] أن بني إسرائيل يقتلون النبيين بغير حق، وفي أهل الفجور من يُؤتيه الله مُلكا وسلطانًا، ويسلطه علىٰ مذنبين كما سلط «بخت نصر» علىٰ بني إسرائيل، وكما يسلط كفار المشركين وأهل الكتاب أحيانًا علىٰ المسلمين.

قيل: أمَّا من قُتل[٤] من الأنبياء فهم كمن يقتل من المؤمنين في الجهاد

---

(١) في (ل): المسؤولون.
(٢) رواه البخاري (٢٩٤١)، ومسلم (١٧٧٣).
(٣) لفظ الجلالة ليس في (ب).
(٤) في (ب، ل): يقتل.

شهيدًا، قال تعالىٰ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قتل[1] مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦-١٤٨].

ومعلوم أن من قُتل من المؤمنين شهيدا في القتال كان حاله أكمل من حال من يموت حتف أنفه[2]، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِ ﴾ [التوبة: ٥٢] أي: إما النصر والظفر، وإما الشهادة والجنة[3].

ثم الدين الذي قاتل عليه الشهداء ينتصر ويظهر، فيكون لطائفته السعادة في الدنيا والآخرة، من قتل منهم كان شهيدًا، ومن عاش منهم كان منصورًا سعيدًا، وهذا غاية ما يكون من النصر، إذ كان الموت لا بد منه فالموت علىٰ الوجه الذي تحصل به سعادة الدنيا والآخرة أكمل، بخلاف من يهلك هو وطائفته فلا يفوز لا هو ولا هم بمطلوبهم لا في الدنيا ولا في الآخرة.

والشهداء من المؤمنين قاتلوا باختيارهم، وفعلوا الأسباب التي بها قتلوا، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهم اختاروا هذا الموت إما أنهم قصدوا الشهادة، وإما أنهم قصدوا ما به يصيرون شهداء عالمين بأن لهم السعادة في

---

(١) هكذا في الأصول: قتل، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو ويعقوب(النشر ٢/ ٢٤٢).

(٢) هامش (ف): «معنىٰ قولهم مات حتف أنفه أن الميت علىٰ فراشه يتنفس حتىٰ ينقضي رمقه، انتهىٰ ابن الجوزي».

(٣) انظر: تفسير الطبري ١٤/ ٢٩٢، زاد المسير ٢/ ٢٦٦، تفسير ابن كثير ٤/ ١٦٢.

الآخرة، وفي الدنيا[1] بانتصار طائفتهم، وببقاء لسان الصدق لهم ثناء ودعاء بخلاف من هلك من الكفار؛ فإنهم هلكوا بغير اختيارهم هلاكًا لا يرجون معه سعادة الآخرة، ولم يحصل لهم ولا لطائفتهم شيء من سعادة الدنيا، بل أُتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين، وقيل فيهم: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٩].

وقد أخبر سبحانه أن كثيرا من الأنبياء قتل معه ربيون كثير، أي ألوف كثيرة، وأنهم ما ضعفوا ولا استكانوا لذلك، بل استغفروا من ذنوبهم التي كانت سبب ظهور العدو، وأن الله آتاهم ثواب الدنيا(ظ١٤٥)، وحسن ثواب الآخرة، فإذا كان هذا قتل المؤمنين فما الظن بقتل الأنبياء، ففيه لهم ولأتباعهم من سعادة الدنيا والآخرة ما هو من أعظم الفلاح.

وظهور الكفار علىٰ المؤمنين أحيانًا هو:

بسبب ذنوب المسلمين كيوم أحد، فإن تابوا انتصروا علىٰ الكفار، وكانت العاقبة لهم كما قد جرىٰ مثل هذا للمسلمين في عامة ملاحمهم مع الكفار، وهذا من آيات النبوة وأعلامها ودلائلها، فإن النبي إذا قاموا بعهوده ووصاياه نصرهم الله، وأظهرهم علىٰ المخالفين له، وإذا ضيعوا عهوده ظهر أولئك عليهم، فمدار النصر والظهور مع متابعة النبي وجودًا وعدمًا من غير سبب يزاحم ذلك، ودوران[2] الحكم مع الوصف وجودًا وعدمًا من غير مزاحمة وصف آخر يوجب العلم بأنَّ المدار عِلةٌ للدائر.

---

(١) في (ب) في الدنيا والآخرة.

(٢) في (ب): وأن الحكم، وهكذا كانت في (ل) فأصلحها في الهامش..

وقولنا: «من غير مزاحمة وصف آخر» يزيل النقوض الواردة.

فهذا الاستقراء والتتبع يبين أن نصر الله وإظهاره هو بسبب اتباع النبي، وأنه سبحانه يريد إعلاء كلمته ونصره ونصر أتباعه علىٰ من خالفه، وأن يجعل لهم السعادة، ولمن خالفهم الشقاء، وهذا يوجب العلم بنبوته، وأن من اتبعه كان سعيدًا، ومن خالفه كان شقيًّا.

ومن هذا ظهور «بخت نصر» علىٰ بني إسرائيل، فإنه من دلائل نبوة موسىٰ إذ كان ظهور بخت نصر إنما كان لما غيروا عهود موسىٰ، وتركوا اتباعه، فعوقبوا بذلك، وكانوا إذ كانوا متبعين لعهود موسىٰ منصورين مؤيَّدين كما كانوا في زمن داود وسليمان وغيرهما.

قال تعالىٰ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٤-٨].

فكان ظهور بني إسرائيل علىٰ عدوهم تارة، وظهور عدوهم تارة من دلائل نبوة موسىٰ ﷺ وآياته، وكذلك ظهور أمة محمد ﷺ علىٰ عدوهم تارة، وظهور عدوهم عليهم تارة هو من دلائل رسالة محمد ﷺ وأعلام نبوته.

وكان نصر الله لموسىٰ وقومه علىٰ عدوهم في حياته وبعد موته -كما جرىٰ لهم مع يُوشع وغيره- من دلائل نبوة موسىٰ، وكذلك انتصار المؤمنين

مع محمد في حياته وبعد مماته مع خلفائه من أعلام نبوته ودلائلها[1].

وهذا بخلاف الكفار الذين ينتصرون علىٰ أهل الكتاب أحيانًا، فإن أولئك لا يقول مُطَاعهم: إني نبي، ولا يقاتلون أتباع الأنبياء علىٰ دين، ولا يطلبون من أولئك أن يتبعوهم علىٰ دينهم، بل قد يصرحون بأنا إنما نصرنا عليكم بذنوبكم، وأن[2] لو اتبعتم دينكم لم ننصر عليكم.

وأيضًا فلا عاقبة لهم، بل الله يهلك الظالم بالظالم ثم يهلك الظالمين جميعًا، ولا قتيلهم يطلب بقتله سعادة بعد الموت، ولا يختارون القتل ليسعدوا بعد الموت، فهذا وأمثاله مما يظهر به الفرق بين انتصار الأنبياء وأتباعهم، وبين ظهور بعض الكفار علىٰ المؤمنين أو ظهور بعضهم علىٰ بعض.

ويبيِّن أن ظهور محمد وأمته علىٰ أهل الكتاب (ظ١٤٦) اليهود والنصارىٰ هو من جنس ظهورهم علىٰ المشركين عباد الأوثان، وذلك من أعلام نبوته ودلائل رسالته، ليس هو كظهور «بخت نصر» علىٰ بني إسرائيل، وظهور الكفار علىٰ المسلمين، وهذه الآية مما أخبر بها موسىٰ، وبيّنٌ أنَّ الكذاب المدعي للنبوة لا يتم أمره، وأنه إنما يتم أمر الصادق.

فإن من أهل الكتاب من يقول: «محمد وأمته سلطوا علينا بذنوبنا مع صحة ديننا الذي نحن عليه؛ كما سلط بخت نصر وغيره من الملوك»، وهذا قياس فاسد، فإن «بخت نصر» لم يدَّع نبوة، ولا قاتل علىٰ دين، ولا طلب من بني إسرائيل أن ينتقلوا عن شريعة موسىٰ إلىٰ شريعته، فلم يكن في ظهوره إتمامًا

---

(١) ب: «ودلائل رسالته».

(٢) في (ب): وأنكم.

لما ادعاه من النبوة ودعا إليه من الدين، بل كان بمنزلة المحاربين قطاع الطريق إذا ظهروا على القوافل، بخلاف من ادَّعىٰ نبوةً ودينًا دعا إليه، ووعد أهله بسعادة الدنيا والآخرة، وتوعد مخالفيه بشقاوة الدنيا والآخرة، ثم نصره الله وأظهره، وأتم دينه، وأعلىٰ كلمته، وجعل له العاقبة، وأذل مخالفيه، فإن هذا من جنس خرق العادات (المقترن بدعوىٰ النبوة فإنه دليل عليها، وذلك من جنس العادات)[1] التي لم تقترن بدعوىٰ النبوة، فإنه ليس دليلا عليها.

وقد يغرق في البحر أمم كثيرة فلا يكون ذلك دليلاً علىٰ نبوة نبي بخلاف غرق فرعون وقومه، فإنه كان آية بينة لموسىٰ، وهذا موافق لما أخبر به موسىٰ عليه الصلاة والسلام من أنَّ الكذاب لا يتم أمره، وذلك أن الله حكيم لا يليق به تأييد الكذاب علىٰ كذبه من غير أن يتبين كذبه.

ولهذا أعظم الفتن فتنة الدجال الكذاب لما اقترن بدعواه الإلهية بعض الخوارق كان معها ما يدل علىٰ كذبه من وجوه:

منها: دعواه الإلهية وهو أعور، والله ليس بأعور[2]، ومكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن قارئ وغير قارئ[3]، والله تعالىٰ لا يراه أحد حتىٰ يموت[4]، وقد ذكر النبي ﷺ هذه العلامات الثلاث في الأحاديث الصحيحة

---

(١) سقط ما بين القوسين من (ب).

(٢) رواه البخاري (٣٣٣٨)، ومسلم (٢٩٣٦) من حديث أبي هريرة وابن عمر.

(٣) رواه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣) من حديث أنس.

(٤) رواه مسلم (٢٢٤٥) من حديث ابن عمر، وقد جمع مسلم في صحيحه العلامات الثلاث في حديث واحد، وذلك في قصة ابن صياد.

وبقيت علامة رابعة اتفقا علىٰ تخريجها، وهي أن معه جنة ونار، فناره ماء بارد، وماؤه نار، رواه البخاري (٧١٣٠)، ومسلم (٢٩٣٤).

فأما تأييد الكذاب ونصره وإظهار دعوته دائمًا فهذا لم يقع قط، فمن يستدل على ما يفعله الرب سبحانه بالعادة والسنة فهذا هو الواقع، ومن يستدل على ذلك بالحكمة(١) فحكمته تناقض أن يفعل ذلك إذ الحكيم لا يفعل هذا.

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٢-٢٣].

فأخبر أن سنته التي لا تبديل لها نصر المؤمنين على الكافرين.

والإيمان المستلزم لذلك يتضمن طاعة الله ورسوله فإذا نقص الإيمان بالمعاصي كان الأمر بحسبه كما جرىٰ يوم أحد.

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٢-٤٣].

فأخبر أنَّ الكفار لا ينظرون إلا سنة الأولين، ولا يوجد لسنة الله تبديل تستبدل بغيرها ولا تتحول فكيف النصر للكفار على المؤمنين الذين يستحقون هذا الاسم.

وكذلك قال في المنافقين - وهم الكفار في الباطن دون الظاهر - ومن فيه شعبة نفاق: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى

---

(١) زيادو في (ب): أيضا.

ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠-٦٢].

والسنة هي العادة(١).

فهذه عادة الله المعلومة، فإذا نصر من ادَّعىٰ النبوة وأتباعه علىٰ من خالفه -إما ظاهرًا وباطنًا، وإما باطنًا - نصرًا مستقرًا كان ذلك دليلاً علىٰ أنه نبي صادق، إذ كانت سنة الله وعادته (ظ١٤٧) نصر المؤمنين بالأنبياء الصادقين علىٰ الكافرين والمنافقين، كما أن سنته تأييدهم بالآيات البينات، وهذه منها، ومن ادعىٰ النبوة وهو كاذب فهو من أكفر الكفار، وأظلم الظالمين قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ [الزمر: ٣٢](٢)، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

ومن كان كذلك كان الله يمقته ويبغضه ويعاقبه، ولا يدوم أمره، بل هو كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال: «إن الله يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]»(٣).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٢٤٧.
(٢) وقع في هذه الآية تصحيف فيما سوىٰ الأصل.
(٣) متفق عليه، رواه البخاري في الصحيح (٤٦٨٦)، ومسلم في الصحيح (٢٥٨٣).

وقال أيضا في الحديث الصحيح عن أبي موسىٰ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الرياح تقومها تارة وتميلها أخرىٰ، ومثل المنافق مثل شجرة الأرز، لا تزال ثابتة علىٰ أصلها حتىٰ يكون انجعافها مرة واحدة»(١).

فالكاذب الفاجر وإن أُعطي دولة فلا بد من زوالها بالكلية، وبقاء ذمه، ولسان السوء له في العالم، وهو يظهر سريعا ويزول سريعا كدولة الأسود العنسي، ومسيلمة الكذاب، والحارث الدمشقي(٢)، وبابا الرومي(٣)، ونحوهم.

وأمَّا الأنبياء فإنهم يُبتلون كثيرًا ليمحصوا بالبلاء، فإن الله إنما يمكن العبد إذا ابتلاه، ويظهر أمرهم شيئًا فشيئًا كالزرع، قال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ

---

(١) متفق عليه من حديث كعب بن مالك، رواه البخاري (٥٦٤٣)، ومسلم (٢٨١٠)، واتفقا كذلك علىٰ حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع، من حيث أتتها الريح كفأتها، فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء، والفاجر كالأرزة، صماء معتدلة، حتىٰ يقصمها الله إذا شاء» انظر: صحيح البخاري (٥٦٤٤)، ومسلم (٢٨٠٩).

(٢) هو الحارث بن سعيد الكذاب، ظهر في دولة بني أمية وادعىٰ النبوة، أطال الحافظ ابن عساكر ترجمته في تاريخ دمشق (١١/ ٤٢٧) ظفر به عبدالملك ثم قتله وصلبه، في حدود سنة ثمانين (وفيات الأعيان ١١/ ١٩٦)، وقد ذكره المصنف في الفتاوىٰ ١١/ ٢٨٥، والنبوات ١/ ١٦٨.

(٣) سبقت ترجمة بابا الرومي ١/ ٢٦٧. وقد ذكرهم المصنف في النبوات ١/ ١٦٨ثم قال: «وكان هؤلاء يأتون بأمور عجيبة خارقة لعادة أولئك القوم، لكن ليست خارقة لعادة جنسهم ممن ليس بنبي، فمن صدقهم ظن أن هذا مختص بالأنبياء، وكان من جهله بوجود هذا لغير الأنبياء، كما أنهم كانوا يأتون بأمور تناقض النبوة» (النبوات ١/ ١٦٩).

﴿أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾ (أي فراخه) ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ (أي قواه) ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ (أي قوائمه)[1] ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

ولهذا كان أول ما يتبعهم ضعفاء الناس، فاعتبار هذه الأمور، وسنة الله في أوليائه وأنبيائه الصادقين، وفي أعداء الله[2] والمتنبئين الكذابين، مما يوجب الفرق بين النوعين، وبين دلائل النبي الصادق، ودلائل المتنبئ الكذاب.

وقد ذكر ابتلاء النبي والمؤمنين، ثم كون العاقبة لهم في غير موضع، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ (١٠٩) حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ (١١٠) لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩-١١١].

---

(١) التفسير ليس في (ل، ب).

(٢) في (ل، ب): أعدائه.

فصل:

ومما ينبغي أن يعرف أن الأدلة نوعان:

نوعٌ يدل علىٰ مجرد العلم بالمدلول عليه، ونوع يحض مع ذلك علىٰ الرغبة فيه، أو الرهبة منه.

فالأول: من جنس الخير المجرد، والثاني: من جنس الحث والطلب والإرادة والأمر بالشيء (ظ١٤٨) والنهي عنه.

وذلك كمن علم أن في المكان الفلاني جمادات أو حيوانات أو نباتا ليس له فيها غرض، لا حب ولا بغض، فليس هو بمنزلة من علم أن في المكان الفلاني صديقه وولده ومحبوبه وماله وأهله وأهل دينه، وفي المكان الفلاني عدوه ومبغضه، ومن يقطع عليه الطريق ويقتله ويأخذ ماله، فكذلك دلائل النبوة هي كلها تدل علىٰ صدق النبي، ثم يعلم ما يخبر به النبي من الأمر والنهي، والوعد والوعيد، لأنه أخبر عن الله بذلك، وهو صادق فيما يخبر به، فهذا طريق صحيح عام.

وأما إثبات نبوة الأنبياء بما فعله بهم وبأتباعهم من النجاة والسعادة والنصرة وحسن العاقبة، وما جعله لهم من لسان الصدق، وما فعله بمكذبيه ومخالفيه من الهلاك والعذاب وسوء العاقبة، واتباعهم اللعنة في الدنيا مع عذاب الآخرة؛ فهذا يدل مع صدق الأنبياء علىٰ الترغيب[1] في اتباعهم، والترهيب من مخالفتهم، ففيه العلم بصدقهم، والموعظة للخلق[2].

---

(١) في (ب): الرغبة..والرهبة.

(٢) ليست في (ل،ب).

والوعظ: هو أمر ونهي بترغيب وترهيب، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّـَٔاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ٦٦-٦٨]، أي: ولو أنهم فعلوا ما يؤمرون به(١).

وقال: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٧] أي: ينهاكم الله أن تعودوا لمثله.

وهذه الطريق أكمل وأبلغ في حصول المقصود، فإنها تفيد العلم بصدقهم، والرغبة في اتباعهم، والرهبة من خلافهم، وتفيد ثبوت(٢) صحة الدين الذي دعوا إليه، وسعادة أهله، وفساد الدين المخالف لدينهم، وشقاوة أهله.

ولهذا كان النبي ﷺ يقرأ في المجامع الكبار كالعيد(٣) بـ (ق) و (اقتربت الساعة) لما فيهما من بيان ذلك(٤)، وسورة (ق) كان يقرأ بها في الجمعة، فإنها جامعة لإثبات النبوات والمعاد، مع ما فيها من التوحيد وأصول الشرائع، وبيان حال متبعي الأنبياء ومخالفيهم في الدنيا، كما قال تعالىٰ فيها ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق: ١٢-١٤].

---

(١) وذلك أن ما يوعظون به هو ما يذكرون به من طاعة الله والانتهاء إلىٰ أمره (جامع البيان ٨/ ٥٢٨). واقتصر في (ب، ل) علىٰ جزء الشاهد من الآولىٰ.

(٢) ليست في (ل، ب).

(٣) في (ل، ب): يقرأ في صلاة العيد.

(٤) رواه مسلم من حديث أبي واقد الليثي (٨٩١).

فصل:

ومما ينبغي أنْ يُعلم أنَّ الله تعالىٰ إذا أرسل نبيًا وأتىٰ بآية دالة علىٰ صدقه قامت بها الحجة، وظهرت بها المحجة، فمن طالبهم بآية ثانية لم تجب إجابته إلىٰ ذلك، بل وقد لا ينبغي ذلك، لأنه إذا جاء بآية ثانية طولب بثالثة، وإذا جاء بثالثة طولب برابعة، وطلب المتعنتين لا أمد له، ومعلوم أنه من قامت عليه حجة في مسألة علم أو حق من حقوق العباد التي يتخاصمون فيها، لو قال: أنا لا أقبل[1] حتىٰ يقوم عليه حجة ثانية وثالثة كان ظالمًا متعديًا، ولم تجب إجابته إلىٰ ذلك، ولا يمكِّن الحكامُ الخصومَ من ذلك، بل إذا قامت البينة بحق المدعي حكم له بذلك، ولو قال المطلوبُ: أريد بينة ثانية، وثالثة، ورابعة، لم يجب إلىٰ ذلك، فحق الله الذي أوجبه علىٰ عباده من توحيده، والإيمان به، وبرسله أولىٰ إذا أقام بينة أوجبت علىٰ الخلق الإيمان برسله أن لا تجب إجابة الطالب إلىٰ ثانية وثالثة.

ثم قد يكون في تتابع الآيات حكمة، فيتابع تعالىٰ بين الآيات، كما أرسل محمدًا ﷺ بآيات متعددة لعموم دعوته وشمولها، فإن الأدلة كلما كثرت، وتواردت علىٰ مدلول واحد كان أوكد وأظهر وأيسر لمعرفة الحق؛ فقد يعرف دلالة أحد الأدلة من لا يعرف الآخر، وقد يبلغ هذا ما لم يبلغ هذا، وقد يرسل (ظ١٤٩) الأنبياء بآيات متتابعة، ويقسِّي قلوب الكفار عن الإيمان لتتابع الآيات آية بعد آية لينتشر ذلك، ويظهر ويبلغ ذلك قومًا آخرين فيكون ذلك سببًا لإيمانهم، كما فعل بآيات موسىٰ، وآيات محمد.

---

(١) في (ب): لا أقبل حجة حتىٰ يقوم عليه ثانية..

كما ذكر في التوراة: «أنه يقسي قلب فرعون لتظهر عجائبه وآياته» وكما صدَّ المكذبين عن الإيمان بمحمد حتىٰ يعارضوه[1] ويمانعوه، ويسعوا في معارضته والقدح في آياته، فيظهر بذلك عجزهم عن معارضة القرآن، وغيره من آياته فيكون ذلك من تمام ظهور آياته وبراهينه، بخلاف ما لو اتُّبع ابتداءً بدون ذلك، فإنه قد كان يظن أنهم قادرون علىٰ معارضته، وكذلك أيضًا يكون في ذلك علىٰ يقينه وصبره وجهاده، ويقين من آمن به[2] وصبرهم وجهادهم؛ ما ينالون به عظيم الدرجات في الدنيا والآخرة[3].

---

(١) ليست في (ل، ب).

(٢) في (ل، ب): من أمره وصبرهم.

(٣) ومن هذا القبيل ما ذكره المفسرون من أن القوم المشركين الذي جاؤوا بالأسئلة الثلاثة من اليهود ليختبروا بها النبي ﷺ، فكانت تلك الحادثة سببا في نزول سورة الكهف، وفي القصة قول ابن عباس: بعثت قريش النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلىٰ أحبار يهود بالمدينة، إلىٰ أن قال: قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله، عن أمور، فأخبروهم بها، فجاءوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد أخبرنا، فسألوه عما أمروهم به، فقال لهم رسول الله ﷺ: أخبركم غدا بما سألتم عنه، ولم يستثن فانصرفوا عنه، فمكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة، لا يحدث الله إليه في ذلك وحيا، ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام، حتىٰ أرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غدا، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، وحتىٰ أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبرائيل عليه السلام، من الله عز وجل، بسورة أصحاب الكهف الحديث (تفسير الطبري ١٧/ ٥٩٣).

فإن من حكمة الله عز وجل أن تلبث الوحي حتىٰ أرجف المشركون، وسعوا بنشر ذلك بين الناس، لأنهم ظنوا أنهم قد أعجزوا النبي ﷺ بذلك، حتىٰ سمعه القاصي والداني، وصار الجواب علىٰ هذه السؤالات دليل صدق نبوته، وصار الناس يترقبون ويتربصون، فلما نزلت السورة بهذه الأجوبة علم الناس صدقه ﷺ، ولو أن السورة الكريمة نزلت أول ما سألوه لربما كانت قريش أنكرت القضية من أصلها، وجحدت القصة، فظهر من الحكمة في تأخير الجواب الشيء الكثير، وكان ما أصاب النبي ﷺ من حزن في ذلك أعظم لأجره.

وقد تقتضي الحكمة أن لا يرسل بالآيات التي توجب عذاب الاستئصال؛ كما ذكره الله في كتابه من أنَّ الكفار كانوا يقترحون على الأنبياء آيات غير الآيات التي جاءوا، بها فتارة يجيبهم الله إلى ذلك لما فيه من الحكمة والمصلحة، وتارة لا يجيبهم لما فيه في ذلك من المضرة والمفسدة عند جمهور أهل الملل من المسلمين وغيرهم الذين يقولون: إنه يفعل للحكمة.

ومن لم يعلل أفعاله يرد ذلك إلى محض المشيئة، ويقول: اقترن بالمراد المصلحة والمفسدة عادة وسنة من الله، وإن لم يفعل هذا لهذا.

وقد كان الرسول ﷺ ربما طلب تلك الآيات رغبة منه في إيمانهم بها، فيجاب بأن الآيات لا تستلزم الهدى، بل تستلزم إقامة الحجة، وتوجب عذاب الاستئصال لمن كذب بها، والله تعالى قد يظهر الآيات الكثيرة مع طبعه على قلب الكافر، كما فعل بفرعون وأبي لهب وغيرهما، لما في ذلك من الحكمة العظيمة كما دل على ذلك القرآن والتوراة وغيرهما.

وقد بين أنه لا يظهرها لانتفاء الحكمة فيها أو لوجود المفسدة.

قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩-١١١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩].

بيَّن سبحانه أنَّه إنما منعه أن يرسل بالآيات[1] تكذيب الأولين بها الذي استحقوا به[2] الهلاك، فإذا كذب بها هؤلاء استحقوا ما استحقه أولئك من عذاب الاستئصال.

وهذا المعنىٰ مذكور في عامة كتب التفسير والحديث[3]، وغيرها من كتب المسلمين، وهو معروف بالأسانيد الثابتة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فقد ذكر المفسرون ما رواه أهل التفسير والحديث والمسند وغيرهم من حديث الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: «سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبا، وأن ينحي عنهم الجبال حتىٰ يزرعوا، قال: فقيل له: إن شئت نستأني بهم (لعلنا نجتني[4] منهم)[5]، وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألوا فإن كفروا هلكوا كما أهلك[6] من قبلهم؟

قال: لا بل أستأني بهم» فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩].

([7]رواه أحمد والنسائي من حديث جرير عن الأعمش به[8].

---

(١) كذا في الأصل ظ، في باقي لانسخ: أن ما منعه أن يرسل بالآيات إلا.. وفي (د): أنه إنما منعه أن يرسل بالآيات إلا تكذيب.

(٢) في (ل، ب): بها.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٧٦)، معالم التنزيل للبغوي (٥/ ١٠٢)، الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٨١)، تفسير ابن كثير (٥/ ٨٩).

(٤) في (ب): نجتبي، وهو مهمل في (ظ، د) فيحتمل النون والباء. وبالنون ضبط في تفسير ابن جرير، وفي السنن الكبرىٰ للنسائي: ننتج منهم

(٥) سقط من (ل).

(٦) في (ب، ل): أهلكت.

(٧) ما بين القوسين ليس في (ب، ل): المقترن.

(٨) رواه أحمد (٢٣٣٣)، والنسائي في الكبرىٰ (١١٢٢٦)، وابن جرير الطبري =

وروىٰ الإمام الأحمد: حدثنا (ظ١٥٠) حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، ثنا[(١)] سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن عمران بن حكم[(٢)]، عن ابن عباس، قال: قالت قريش للنبي ﷺ: ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبًا، ونؤمن لك، قال: «وتفعلون؟» قالوا: نعم، قال: فدعا، فأتاه جبريل فقال: «إن ربك يَقرأ عليك السلام، ويقول: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبا، فمن كفر منهم بعد ذلك منهم عذبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة»، قال: «بل باب التوبة والرحمة»[(٣)].

= في التفسير (١٧/ ٤٧٦)، والطبراني في الكبير (١٢٣٢٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٦٣)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٧١)، وإسناده صحيح.
وهكذا ثبت في الأصل وفي تفسير الطبري: لعلنا نجتني منهم، وهو يناسب ما ورد في الحديث الآخر: لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله، الحديث، وفي دلائل النبوة: نستحيي منهم، وأظنه تصحيفا.

(١) في (د): أنبأنا.

(٢) كذا ثبت في الأصل، ومثله في المستدرك من طريق عبدالرحمن بن مهدي.
وفي الإكمال للحسيني (٣٢٣)، وتعجيل المنفعة للحافظ (٢/ ٨١) أن ما ثبت في أصل المسند تصحيف، وأن الصواب: عمران بن الحارث أبو الحكم كما وقع في مسلم، وعمران من رجال التهذيب. وهو غير منسوب إلىٰ أبيه في مصادر التخريج.
وفي (د): عثمان بن حكيم. تصحيف.

(٣) رواه أحمد (٢١٦٦)، وعبد بن حميد (٧٠٠) والطبراني (١٢٧٣٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٣) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٧٢).
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح محفوظ من حديث الثوري عن سلمة بن كهيل وعمران بن الحكم السلمي تابعي كبير محتج به وإنما أهملا هذا الحديث -والله أعلم- لخلاف وقع من يحيىٰ بن سلمة بن كهيل في إسناده ويحيىٰ كثير الوهم علىٰ أبيه».
ثم ذكره من رواية الأحوص بن جواب، ثنا يحيىٰ بن سلمة بن كهيل، عن أبيه، عن عمران بن الجعد عن بن عباس، فذكره نحوه، وفيه: فقال رسول الله ﷺ باب التوبة والرحمة أحب إلي. =

وروىٰ ابن أبي حاتم وغيره عن مالك بن دينار قال: سمعت الحسن - يعني[1] البصري - في قوله: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩]، قال: رحمة لكم أيتها الأمة، أنا لو أرسلنا بالآيات فكذبتم بها أصابكم ما أصاب من قبلكم[2].

= قال الحاكم: هذا الوهم لا يوهن حديث الثوري فإني لا أعرف عمران بن الجعد في التابعين وإنما روىٰ إسماعيل بن أبي خالد عن عمران بن أبي الجعد، فأما عمران بن أبي الجعد فإنه من أتباع التابعين.

قلت: وله شاهد مرسل عن محمد بن كعب القرظي قال: كلم رسول الله ﷺ قريشا، فقالوا: يا محمد، تخبرنا أن موسىٰ كان معه عصا يضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، وتخبرنا أن عيسىٰ كان يحيي الموتىٰ، وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة، فأتنا بشيء من الآيات حتىٰ نصدقك! فقال النبي ﷺ: أي شيء تحبون أن آتيكم به؟ قالوا: تجعل لنا الصفا ذهبا. فقال لهم: فإن فعلت تصدقوني؟ قالوا: نعم والله، لئن فعلت لنتبعنك أجمعين! فقام رسول الله ﷺ يدعو، فجاءه جبريل عليه السلام فقال له: لك ما شئت، إن شئت أصبح ذهبا، ولئن أرسل آية فلم يصدقوا عند ذلك لنعذبنهم، وإن شئت فاتركهم حتىٰ يتوب تائبهم. فقال: بل يتوب تائبهم. فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٠٩]. رواه ابن جرير في التفسير (١٢/ ٣٩).

(١) ليست في (ب، ل).

(٢) رواه ابن جرير في التفسير (١٧/ ٤٧٧)، ولم يعزه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٠٧) إلا إليه.

وروىٰ ابن جرير (٢/ ٤٩٠) عن مجاهد في قوله الله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾، أن يريهم الله جهرة. فسألت قريش محمدا ﷺ أن يجعل الله لهم الصفا ذهبا، قال: نعم! وهو لكم كمائدة بني إسرائيل إن كفرتم! فأبوا ورجعوا.

وروىٰ كذلك (٣/ ٢٧٠) -من طريق تفسير القمي- عن سعيد قال: سألت قريش اليهود فقالوا: حدثونا عما جاءكم به موسىٰ من الآيات! فحدثوهم بالعصا وبيده البيضاء للناظرين. وسألوا النصارىٰ عما جاءهم به عيسىٰ من الآيات، فأخبروهم أنه كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتىٰ بإذن الله. فقالت قريش عند ذلك للنبي ﷺ: =

وفي الإنجيل: «أن اليهود طلبوا من المسيح آية من السماء فقال لهم المسيح: الأمة الفاجرة تطلب آية، ولا تعطىٰ إلا مثل آية نونان» -يعني ذا النون-(١).

وقد كانت الآيات يُؤْتىٰ بها محمدٌ ﷺ آية بعد آية فلا يؤمنون بها.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى

= ادع الله أن يجعل لنا الصفا ذهبا، فنزداد يقينا، ونتقوىٰ به علىٰ عدونا. فسأل النبي ﷺ ربه، فأوحىٰ إليه: إني معطيهم، فأجعل لهم الصفا ذهبا، ولكن إن كذبوا عذبتهم عذابا لم أعذبه أحدا من العالمين.

فقال النبي ﷺ: ذرني وقومي فأدعوهم يوما بيوم. فأنزل الله عليه: «إن في خلق السموات والأرض»، الآية: إن في ذلك لآية لهم، إن كانوا إنما يريدون أن أجعل لهم الصفا ذهبا، فخلق الله السموات والأرض واختلاف الليل والنهار، أعظم من أن أجعل لهم الصفا ذهبا ليزدادوا يقينا.

(١) في الأصل (ظ): ثوبان.

وفي إنجيل متىٰ -بحسب الترجمة الحالية- (١٢: ٣٨-٤٠): «حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين: «يا معلم، نريد أن نرىٰ منك آية». أجاب وقال لهم: «جيل شرير وفاسق يطلب آية، ولا تعطىٰ له آية إلا آية يونان النبي. لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال».

ونحوه في إنجيل لوقا (١١: ٢٩).

ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [الأنعام: ٤-١١].

أخبر سبحانه بأنَّ الآيات تأتيهم، وما تأتيهم من آية إلا أعرضوا عنها، وأنهم بتكذيبهم الحق سوف يرون صدق ما جاء به الرسول، كما أهلك من قبلهم بذنوبهم التي هي تكذيب الرسول، فإنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ [القصص: ٥٩].

وأخبر عن قوَّة[1] كفرهم بأنه لو نزَّل عليهم كتابًا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين، وبيَّن سبحانه أنه لو جعل الرسول ملكًا لجعله علىٰ صورة الرجل، إذ كانوا لا يطيقون أن يروا الملائكة في صورهم، وحينئذ فكان اللبس يقع لظنهم أنَّ الرسول بشر لا ملك.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٥].

وهذه الآيات التي اقترحوها لو أُجيبوا بها ولم يؤمنوا أتاهم عذاب الاستئصال كما تقدم، وأيضًا فهي مما لا يصلح الإتيان بها، فإن قولهم: ﴿حَتَّىٰ

(١) في (ب، ل): بشدة كفرهم.

﴿تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا﴾ يقتضي تفجير الينبوع بأرض مكة، لتصير[1] واديًا ذا زرع، والله تعالىٰ من حكمته جعل بيته (ظ١٥١) بواد غير ذي زرع لئلا يكون عنده ما ترغب النفوس فيه في الدنيا فيكون حجهم للدنيا لا لله، وإذا كان له جنة من نخيل وأعناب ففجر الأنهار خلالها تفجيرًا كان في هذا من التوسيع في الدنيا ما يقتضي نقص درجته، وانخفاض منزلته، وكذلك إذا كان له بيت من زخرف -والزخرف الذهب-.

وأما إسقاط السماء كسفا فهذا لا يكون إلىٰ يوم القيامة، وهو لم يخبرهم أن هذا لا يكون إلا يوم القيامة، فقولهم «كما زعمت» كذب عليه، إلا أن يريدوا التمثيل فيكون القياس فاسدا[2].

وأما الإتيان بالله وملائكته قبيلاً فهذا لما سأل قوم موسىٰ ما هو دونه أخذتهم الصاعقة، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥-٥٦].

وأما إنزال الكتاب فقد قال تعالىٰ: ﴿يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدًا وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ

---

(١) في (ب، ل): فيصير.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ١٢٠).

فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٥٣-١٦١].

بيَّن سبحانه أنَّ المشركين سألوه إنزال كتاب، وأن أهل الكتاب سألوه ذلك، وبيَّن سبحانه أن الطائفتين لا تؤمن إذا جاءهم ذلك، وإنما سألوه تعنتًا.

فقال عن المشركين: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧].

وذكر عن أهل الكتاب أنهم سألوا موسىٰ أكبر من ذلك، وهو رؤية الله جهرة، فقال: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ (وأنهم عبدوا العجل، كما قال)(١) ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ﴾ (وأن الله آتىٰ موسىٰ سلطانًا مبينًا ورفع الطور فوقهم، وقال لهم: لا تعدوا في السبت وأخذ منهم ميثاقا غليظا، كما قال)(٢): ﴿وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي

(١) ما بين القوسين ليس في (ب، ل).
(٢) ما بين القوسين ليس في (ب، ل).

ﭐلسَّبۡتِ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾ [النساء: ١٥٣-١٥٤] وأنهم[1] مع هذا نقضوا الميثاق، وكفروا بآيات الله، وقتلوا النبيين بغير حق إلىٰ أمثال ذلك، وأنه بسبب ظلمهم وصدهم عن سبيل الله حرَّم عليهم طيبات أحلت لهم، فكان في هذا من الاعتبار لأمة محمد ﷺ: أنَّ هذه الأمة المكذبة بك -الذين لا يهتدون إذا جاءتهم الآيات المقترحة التي اقترحوها- لم يك في مجيئها منفعة لهم، بل فيها ما يوجب استحقاقهم (ظ١٥٢) عقوبة الاستئصال إذا جاءتهم فلم يؤمنوا بها، وتغليظ الأمر عليهم، فكان أن لا ينزل مثل هذه الآيات الموجبة لعذاب الاستئصال أعظم رحمة وحكمة.

وقد عرض الله علىٰ محمد ﷺ أن يهلك قومه لما كذبوه، فقال: «بل أستأني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا»، كما في الصحيحين عن عائشة أنها قالت للنبي ﷺ: «هل أتىٰ عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي علىٰ ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني إلىٰ ما أردت فانطلقت علىٰ وجهي وأنا مهموم، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إنَّ الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي، وقال: إن الله قد سمع قول قومك لك[2] وما ردوا عليك، وقد بعثني إليك لتأمرني بما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا» أخرجاه[3].

---

(١) في (ب، ل): فهم.
(٢) ليست في (ب، ل).
(٣) صحيح البخاري (٣٢٣١)، صحيح مسلم (١٧٩٥).

ولهذا[١] لما طلب من المسيح المائدة كانت من الآيات الموجبة لمن كفر بها عذابا لم يعذبه أحدا من العالمين، قال تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٢-١١٥].

وكان قبل نزول التوراة يهلك الله المكذبين للرسل بعذاب الاستئصال عذابًا عاجلاً يهلك الله به جميع المكذبين، كما أهلك قوم نوح، وكما أهلك عادا وثمود، وأهل مدين وقوم لوط، وكما أهلك قوم فرعون، وأظهر آيات كثيرة لما أرسل موسىٰ ليبقىٰ ذكرها وخيرها[٢] في الأرض، إذ كان بعد نزول التوراة لم يهلك أمة بعذاب الاستئصال[٣]، بل قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [القصص: ٤٣]، بل كان بنو إسرائيل لما يفعلون من الكفر والمعاصي يعذب بعضهم ويبقىٰ بعضهم، إذ كانوا لم يتفقوا علىٰ الكفر، ولهذا لم يزل في الأرض أمة من بني إسرائيل باقية.

---

(١) ليست في (ب، ل).

(٢) كذا مجودة في الأصل ظ، وهو أنسب للسياق، فإن خيرها أنه أزال بعدها عذاب الاستئصال، وفي (ب،ل، د): خبرها، وهو تكرار لا فائدة فيه، لأن الذكر هو الخبر.

(٣) النبوات ص٢٩.

قال تعالىٰ -لما ذكر بني إسرائيل-: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

وقد[١] قال تعالىٰ: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٤].

فكان من حكمته ورحمته ﷻ لما أرسل محمدا أن لا يهلك قومه بعذاب الاستئصال كما أهلكت الأمم قبلهم، بل عذب بعضهم (بدون ذلك من أنواع العذاب كما عذب طوائف ممن كذبه)[٢] بأنواع من العذاب، كالمستهزئين الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٥-٩٦].

فعذَّب الله كل واحد بعذاب معروف، وكالذي دعا عليه النبي ﷺ فقال فيه: «اللهم سلط[٣] عليه كلبًا من كلابك»، فكان يحترس بقومه فجاء الأسد فتخطا الحلقة حتىٰ أخذه من وسطها، وأمثال ذلك، مما هو موجود في كل وقت إلىٰ زماننا (ظ ١٥٢) هذا[٤].

---

(١) ليست في (ب، ل).

(٢) ليست في (ب، ل).

(٣) في (ب، ل): «دعا عليه النبي ﷺ أن يسلط الله».

(٤) في (ب، ل): «فجاء الأسد وأخذه من بينهم فقتله، وأمثال ذلك وقد تقدم ذلك».

قال تعالىٰ للكفار[1]: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ [التوبة: ٥٢].

فأخبر أنَّه يعذب الكفار (به تارة بعذاب من عنده و)[2] تارة بأيدي عباده المؤمنين بالجهاد وإقامة الحدود[3]، فكان تعذيبهم بمثل هذه الأسباب مما يوجب إيمان أكثرهم كما جرىٰ لقريش وغيرهم، فإنهم لما كذبوه لو أهلكهم كما أهلك قوم فرعون ومن قبلهم لبادوا[4] وانقطعت المنفعة به[5] عنهم، ولم يبق لهم ذرية تؤمن به بخلاف ما إذا عذب بعضهم بأنواع من العذاب، ولو بالهزيمة والأسر وقتل بعضهم، كما عُذبوا يوم بدر، فإنَّ في هذا من إذلالهم وقهرهم ما يوجب عجزهم مع بقائهم، والنفوس إذا كانت قادرة علىٰ كمال أغراضها فلا تكاد تنصرف عنها، بخلاف ما إذا عجزت عن كمال أغراضها فإنَّ ذلك مما يدعوها إلىٰ التوبة، كما يقال: من العصمة أن لا تقدر.

فكان ما وقع بهم تعجيزًا وزاجرًا وداعيًا إلىٰ التوبة، ولهذا آمن عامتهم بعد ذلك، ولم يقتل منهم إلا قليل، وهم صناديد الكفر الذين كان أحدهم في هذه الأمة كفرعون في تلك الأمة، كما روي أن النبي ﷺ قال «عن أبي جهل: هذا فرعون هذه الأمة»[6].

---

(١) ليست في (ب، ل).

(٢) ما بين القوسين ليس من (ب، ل). ومحله بعد قوله: وإقامة الحدود، وتارة بعذاب غير ذلك.

(٣) ليست في (ب، ل).

(٤) في (ب): لتأذوا.

(٥) في (الأصل ظ): بهم. وما ثبت هو الأليق لأن الضمير يعود إلىٰ النبي ﷺ.

(٦) رواه أحمد (٣٨٢٤) والطبراني في المعجم الكبير (٨٤٦٩)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٨٨) =

وقد ذكر الله تعالىٰ في التوراة لموسىٰ[1]: «إني أقسي قلب فرعون فلا يؤمن بك لتظهر آياتي وعجائبي»[2] بين أنَّ في ذلك من الحكمة انتشار آياته الدالة علىٰ صدق أنبيائه في الأرض، إذ كان موسىٰ قد أخبر بتكليم الله لـه، وبكتابة التوراة له، فأظهر الله له من الآيات ما يبقي ذكرها في الأرض، وكان في ضمن ذلك من تقسية[3] قلب فرعون ما أوجب أن أهلكه الله وقومه أجمعين.

وفرعون كان جاحدًا للصانع منكرًا لربوبيته لا يقرُّ به، فلذلك أتىٰ من الآيات بما يناسب حاله.

وأما بنو إسرائيل مع المسيح فكانوا مقرين بالكتاب الأول فلم يحتاجوا إلىٰ مثل ما احتاج إليه موسىٰ.

ومحمد ﷺ لم يكن محتاجًا إلىٰ تقرير جنس النبوة إذ كانت الرسل قبله جاءت بما ثبَّت[4] ذلك، وقومه كانوا مقرين بالصانع، وإنما كانت الحاجة

= من حديث ابن مسعود، وهو منقطع لأنه من رواية أبي إسحاق عن أبي عبيدة عنه، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه، ورواه النسائي في الكبرىٰ (٥٩٦١) من طريق زيد بن أبي أنيس عن أبي إسحاق عمرو بن ميمون عن ابن مسعود، ثم قال: خالفه سفيان الثوري، فرواه عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه، ورواية سفيان هي الصواب.

(١) في (ب، ل): أخر وقدم.

(٢) هذا النقل من الإصحاح الثالث السفر الثاني، كذا نقله البقاعي (ت:٨٥٥) في تفسيره: نظم الدرر (٨/ ٥٠)، بلفظ:«وأنا أقسي قلب فرعون فأكثر آياتي وعجائبي بأرض مصر، فلا يطيعكما فرعون ولا يسمع منكما فأمد يدي علىٰ مصر وأخرج جميع جنودي وشعبي بني إسرائيل من أرض مصر بالأحكام العظام، فيعرف أهل مصر أني أنا الرب».

(٣) في (ل): تقسيته.

(٤) في (ب، ل): يثبت.

داعية إلىٰ ما يثبت[1] نبوته، ومع هذا فأظهر الله علىٰ يديه من الآيات مثل آيات من قبله وأعظم.

ومع هذا فلم يأت بآيات الاستئصال التي يستحق مكذبها العذاب العام العاجل كما استحقه قوم فرعون وهود وصالح وشعيب وغيرهم، فلهذا يبين[2] الله تعالىٰ في القرآن أن هذه الآيات إذا جاءت لا تنفعهم إذ كانوا لا يؤمنون بها، ولكن تضرهم إذ كانوا يستحقون عذاب الاستئصال إذا كذبوا حينئذ، ومع وجود المانع وعدم المقتضي لا يصلح الفعل علىٰ قول الجمهور القائلين بالحكمة، ومن لم يعلل فلا يطلب سببًا ولا حكمة، (أو يطلب سببًا بلا حكمة)[3]، بل يرد الأمر إلىٰ محض المشيئة.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩] وهو يعلم أنَّ قلوب هؤلاء كقلوب أولئك الأولين فيكذبون بها فيستحقون بها ما استحقه أولئك؛ كقوم فرعون[4] ونوح وهود وصالح وشعيب ولوط، وغيرهم.

قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٢-٥٥].

وقال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ

---

(١) في (ب): إلىٰ سبب. (ل، د): تثبيت.
(٢) في (ب): بين.
(٣) ما بين القوسين ليس في (ب، ل). وهي ثابتة في الأصلين ظ د.
(٤) ليست في (ب، ل).

﴿قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: ١١٨]، وقال تعالىٰ عن أهل الكتاب: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة: ٣٠]، وقد قال تعالىٰ: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٣-٤٦](ظ ١٥٤).

ذكر هذا في سورة «اقتربت» التي ذكر فيها انشقاق القمر، وإعراضهم عن الآيات، وقولهم: هذا سحر[1]، وتكذيبهم، واتباع أهوائهم، فقال تعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر: ١-٣]، ثم قال: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ [القمر: ٤]، أي: من أنباء الغيب وما أخبر به ما فيه مزدجر أي: ما يزجرهم عن الكفر[2]، إذ كان في تلك الإنباءات[3] بيان صدق الرسول، والإنذار لمن كذبه بالعذاب كما عُذِّب المتقدمون، ولهذا يقول عقب القصة: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [القمر: ١٦]، أي: كيف كان عذابي لمن كذب رسلي؟ وكيف كان إنذاري بذلك قبل مجيئهم[4]؟ يُبين صدق قوله الذي أخبرت به الرسل، وعقوبته لمن كذبهم.

ثم ذكر قصة المكذبين لنوح وهود وصالح ولوط إلىٰ قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٤١-٤٢]، فإنَّ قوم فرعون كذبوا بجميع آيات موسىٰ، وجميع آيات الأنبياء قبله، وكذبوا بالآيات

---

(١) في (ب، ل، د): سحر مستمر.
(٢) انظر: تفسير الطبري ٢٢/ ٥٧٢.
(٣) في (ب، ل): الآيات.
(٤) في (ب، ل): مجيئه.

الدالة علىٰ وجود الرب وقدرته ومشيئته، إذ كانوا جاحدين للخالق منكرين له فكذبوا بآياته كلها.

ثم قال: ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ أيتها الأمة التي أرسل فيها محمد[1] ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰئِكُمْ﴾ الذين كذبوا نوحًا وهودًا وصالحًا ولوطًا وموسىٰ ﴿أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ۝٤٣ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ [القمر: ٤٣-٤٤][2].

وذلك أنَّ كونكم لا تعذبون مثل ما عُذبوا إذا كذبتم: إمَّا أن يكون لكونكم خيرًا منهم فلا تستحقون مثل ما استحقوا، أو لكون الله أخبر أنه لا يعذبكم فتكون لكم براءة في الزبر، فتعلمون ذلك بخبره، فإن ما يفعله الله تارة يُعلم بخبره، وتارة يُعلم بسنته وحكمته وعدله، فإمَّا أن تكونوا علمتم هذا من هذا الوجه أو من هذا الوجه، هذا إن نظر إلىٰ فعل الله الذي لا طاقة للبشر به.

وإن نظر إلىٰ قوة الرسول وأتباعه فيقولون: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ [القمر: ٤٤]، -فإنهم أكثر وأقوىٰ (من محمد وأتباعه)[3]، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۝٧٣ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا﴾ [مريم: ٧٣-٧٤] أي: أموالا ومنظرا[4]-، فقال تعالىٰ: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥].

---

(١) (ب، ل): التي أرسل محمد إليها.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٢٢/ ٦٠١-٦٠٢.

(٣) مابين القوسين ليس في (ب، ل).

(٤) قال ابن جرير في تفسير قوله ﴿أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا﴾: «أكثر متاع منازل من هؤلاء، وأحسن منهم منظرا وأجمل صورا» (تفسير الطبري ١٨/ ٢٤٠).

أخبر بهزيمتهم -وهو بمكة في قلة من الأتباع وضعف منهم- ولا يظن أحد بالعادة المعروفة أنَّ أمره يظهر ويعلو قبل أن يهاجر إلىٰ المدينة، وقبل أن يقاتلهم، وكان كما أخبر فإنهم يوم بدر وغيره هُزِم جمعهم، وولوا الأدبار، وتلك سنة الله في المؤمنين والكافرين.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٢-٢٣].

وحيث ظهر الكفار فإنما ذاك لذنوب المسلمين التي أوجبت نقص إيمانهم، ثم إذا تابوا فكمل(١) إيمانهم نصرهم الله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وقال: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

فإذا كان من تمام الحكمة والرحمة أن لا يهلكهم(٢) هلاك استئصال - كما (أهلك المكذبين، وكانت الآيات التي اقترحوها موجبة لعذاب الاستئصال كما)(٣) أهلكت الأمم قبلهم كما قال: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ﴾ [القمر: ٤٣]- كان أنْ لا يأتي بموجب عذاب الاستئصال مع إتيانه سبحانه بما يقيم الحجة(ظ١٥٥) ويوضح المحجة أكمل في الحكمة والرحمة، إذ كان ما أتىٰ به من الآيات حصل به كمال الخير والمنفعة والهدىٰ والبيان، والحجة علىٰ من

---

(١) في (ب، ل): بتكميل.
(٢) في (ب، ل): يهلك.
(٣) سقط من (ل).

كفر، وما امتنع منه دفع به من عذاب الاستئصال والهلاك والعذاب العام ما أوجب بقاء جمهور الأمة حتىٰ يتوبوا ويؤمنوا ويهتدوا، فكان في إرسال محمد ﷺ -لما كان خاتم النبيين[1]- من الحكمة البالغة والمنن السابغة ما لم يكن في رسالة رسول قبله، (والحمد لله رب العالمين، كما قال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾)[2].

فصل:

جماع الكلام في النبوة متصل بالكلام في جنس الخبر، فإنَّ قول القائل: «إني رسول الله إليكم» خبر من الأخبار، وكذلك وصول كلامه وأفعاله وآياته إلينا هو بالأخبار.

-والخبر تارةً يكون مطابقًا لمخبره كالصدق المعلوم أنه صدق.

-وتارة لا يكون مطابقًا لمخبره كالكذب المعلوم أنه كذب، وغير المطابق مع التعمد كذب، ومع اعتقاد أنه صدق إن لم يكن معذورًا -كالمفتي بلا اجتهاد يسوغ، والمحدث بلا علم- يسمىٰ كاذبًا أيضا، كقوله ﷺ: «كذب أبو السنابل بن بعكك»[3].

---

(١) في (ب، ل): الرسل.

(٢) ما بين القوسين ليس في (ب، ل)، وفي ل: رسول غيره، وفي (ل، ب): صلوات الله عليهم أجمعين. وجمع في (د) بين الزيادتين.

(٣) قصة أبي السنابل بن بعكك في الصحيحين، رواها البخاري (٣٩٩١)، (٥٣١٨) ومسلم (١٤٨٤)، وملخصها: أن امرأة من أسلم يقال لها سبيعة، كانت تحت زوجها، توفي عنها وهي حبلىٰ، فخطبها أبو السنابل بن بعكك، فأبت أن تنكحه، فقال: «والله ما يصلح أن تنكحيه حتىٰ تعتدي آخر الأجلين»، فمكثت قريبا من عشر ليال، ثم جاءت النبي ﷺ فقال: «انكحي».

=

وقوله لمن قال: بطل عمل عامر بن الأكوع لما قتل نفسه خطأً: «كذب من قال ذلك، إنه لجاهد مجاهد»[1].

-وقد تكون المطابقة في عناية المتكلم، وقد تكون في إفهام المخاطب.

فإذا كان اللفظ مطابقًا لما عناه المتكلم ولم يطابق إفهام المخاطَب فهذا أيضًا قد يُسمَّىٰ كذبًا، وقد لا يسمَّىٰ، ومنه المعاريض، لكن يباح للحاجة.

وإن (كان الخبر)[2] لم يحصل به المقصود، بل يكون مأمورًا بالسكوت عنه إلا مع البينة، فقد يسمىٰ كاذبًا، كقوله[3] تعالىٰ: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النور: ١٣].

والمقصود هنا: أنَّ الخبر قد يعلم أنه صدق، وقد يعلم أنه كذب، وقد لا يعلم واحد منهما، والعلم بأنه صدق له معنيان:

أحدهما: أن يعلم أنه مطابق لمخبره من غير جهة المخبر، كمن أخبرنا بأمور نَعلم أنها حق بدون خبره.

والثاني: أن نعلم[4] أن المخبَر به صادق فيه.

وقد يجتمع الأمران: بأن يعلم ثبوت ما أخبر به، ويُعلم أنه صادق فيه، وقول محمد: «إني رسول الله» هو من هذا الباب كما سنبينه إن شاء الله.

= أما لفظة: «كذب أبو السنابل» فقد رواها عبد الرزاق (١١٧٢٣)، وأحمد (٤٢٧٣)، وسعيد بن منصور (١٥٠٦)، والبيهقي في السنن الكبير (٧/ ٧٠٤)، من عدة طرق.

(١) رواه البخاري (٤١٩٦)، ومسلم (١٨٠٧).

(٢) ليست في (ب، ل).

(٣) في (ل): لقوله.

(٤) في (د): «يعلم» وهكذا اختلفت الأفعال في (د) في هذا الفصل فكلها علىٰ الغيبة ولم نشر إلىٰ ذلك لعدم التأثير علىٰ المعنىٰ.

وكذلك كونه كذبًا قد يُراد به أنه علىٰ خلاف مخبَره، وإن كان صاحبه لم يتعمد الكذب، وقد يعنىٰ به أن قائله يتعمد الكذب.

ولهذا كانت الأحاديث المعلوم بطلانها[1]:

تارة يعلم أن صاحبها تعمد الكذب، وتارة يكون قد غلط.

والصحابة ﭫ لم يُعرف فيهم من يتعمد الكذب علىٰ النبي ﷺ، وكذلك جمهور التابعين لم يُعرف فيهم من كان يتعمد الكذب، ولكن طائفة قليلة من الشيعة عرف أنه كان فيها من يتعمد الكذب بخلاف غيرهم من أهل الأهواء كالخوارج، فإنه لم يكن فيهم من يعرف بالكذب، بل يقال: هم من أصدق الناس حديثًا.

والرجل الفاسق المعروف أنه يكذب لا بد أن يصدق في بعض أخباره[2]، فلا يكون في الناس من لا يخبر إلا بكذب.

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]، وفي القراءة الأخرىٰ: ﴿فتثبتوا﴾[3]، فأمر بالتبين والتثبت إذا[4] أخبر الفاسق بخبر،

---

(١) في (د): بطلانها علىٰ نوعين.

(٢) في (ب، ل): الأخبار.

(٣) قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿فتثبتوا﴾ من التثبت، وقرأ الباقون ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ من التبين (النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٥١).
والتبين بمعنىٰ التأني والنظر والكشف عنه حتىٰ يتضح.
بينما التثبت هو خلاف العجلة، أي: اطلبوا بيان الأمر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية.
وكلا الأمرين مرادان، وهذا من حكم تعدد القراءات (انظر: تفسير الطبري ٩/ ٨١، الكشاف ١/ ٥٥٢، الدر المصون ٤/ ٧٣).

(٤) كذا في (ب، ل، د): إذا أخبر.. وفي الأصل ظ: فإذا..

ولم يأمر بتكذيبه بمجرد إخباره لأنه قد يصدق أحيانًا، ولما أمر الله سبحانه بالتبين والتثبت[1] في خبر الفاسق دلَّ ذلك علىٰ أنه لا يجوز تصديقه بمجرد إخباره، إذ كان (ظ١٥٦) فاسقًا قد يكذب، ولا يجوز أيضًا تكذيبه قبل أن يُعرف أنه قد كذب، وإنْ كان فاسقًا، لأن الفاسق قد يصدق.

وهذا كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤]، وفي القراءة الأخرىٰ ﴿فتثبَّتوا﴾، ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [النساء: ٩٤]، فأمرهم بالتبين[2] والتثبت[3] في الجهاد، وأن لا يقولوا للمجهول حاله: لست مؤمنا[4]، تبتغون عرض الحياة الدنيا، فيكون إخبارهم عن كونه ليس مؤمنًا خبرًا بلا دليل بل لهوىٰ أنفسهم ليأخذوا ماله، وإن كان ذلك في دار الحرب إذا ألقىٰ السلم، وفي القراءة الأخرىٰ: ﴿السَّلام﴾[5] فقد يكون مؤمنًا يكتم إيمانه كما كنتم أنتم من قبل مؤمنين تكتمون إيمانكم، فإذا ألقىٰ إليكم[6] السلم فذكر أنه مسالم لكم لا محارب فتبينوا وتثبتوا، لا تقتلوه ولا تأخذوا ماله حتىٰ تكشفوا أمره، هل هو صادق أم كاذب، وهذا خبر يتضمن دعوىٰ له، فإن

---

(١) في (ب، د): أمر سبحانه بالتبيين والتثبيت. ومثله في (ل): لكن قال: التثبت.

(٢) في (د): التبيين.

(٣) في (ب، د): التثبيت.

(٤) قرأ أبو جعفر بخُلف عنه ﴿مُؤْمَنًا﴾ وقرأ الباقون ﴿مُؤۡمِنٗا﴾ (النشر ٢/ ٢٥١).

(٥) قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة وخلف ﴿السَّلَم﴾ بحذف الألف، وقرأ الباقون ﴿ٱلسَّلَٰمَ﴾ بالألف (النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٥١).

(٦) في (ب، ل): المسلم. وهو تصحيف فيما يظهر من سياق كلام المصنف.

المدعي مخبر، والمنكر(١) مخبر، والشاهد مخبر، والمقر مخبر.

وكما نهاهم عن تكذيب المدعي بلا علم نهاهم عن تصديق المُنكِر المتَّهم الذي يرمي البريء(٢) بلا حجة، وتبرئته وتزكيته بلا علم، فقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥-١١٣].

وكذلك نهاهم عن تصديق القاذف الرامي لمن عرف منه الخير، فقال: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾

---

(١) صحف هذا الحرف في ظ: لشكر.

(٢) في (ب، ل): المتهم ورمي البريء.

إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٢-١٦].

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] وهذا نهي عن التكلم بلا علم[1]، وهو عام في جميع أنواع الأخبار، وهو[2] يتناول ما أخبر به الإنسان، وما قد يعتقده بغير الأخبار من الدلائل والآيات والعلامات، ليس له أن يتكلم بلا علم، فلا ينفي شيئًا إلاَّ بعلم، ولا يثبته إلا بعلم، ولهذا كان عامة العلماء علىٰ أن النافي للشيء عليه الدليل علىٰ نفيه[3]، كما أنَّ المثبت للشيء عليه الدليل علىٰ ثبوته.

وحكي عن بعض الناس أنه قال: النافي ليس عليه دليل، وفرَّق بعضهم بين الشرعيات والعقليات[4]، فأوجبه في العقليات (ظ١٥٧) دون الشرعيات.

وهؤلاء اشتبه عليهم النافي بالمانع المطالب، فإنَّ من أثبت شيئًا فقال له آخر: أنا لا أعلم هذا، ولا أوافقك عليه، ولا أسلمه لك حتىٰ تأتي بالدليل، كان هذا مصيبًا، ولم يكن علىٰ هذا المانع المطالب بالدليل دليل، وإنما الدليل علىٰ المثبت، بخلاف من نفىٰ ما أثبته غيره فقال له: قولك خطأ، والصواب في نقيض قولك، ولم يكن هذا كذا، فإنَّ هذا عليه الدليل علىٰ نفيه كما علىٰ ذلك المثبت

---

(١) وقال قتادة: لا تقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع، فإن الله ﷻ سائلك عن ذلك كله (تفسير الطبري ١٧/ ٤٤٦).
(٢) في (ب، ل): وقد.
(٣) في (ب، ل، د): ما ينفيه.
(٤) في (ب، ل، د) قدم وأخر.

الدليل على إثباته، وإذا لم يأت واحد منهما بدليل كان كلاهما متكلم[1] بلا حجة.

ولهذا كان من أثبت شيئًا أو نفاه وطُلبت منه الحجة فلم يأت بها كان منقطعًا في المناظرة، وإذا اعترض المعترض عليه بممانعة أو معارضة فأجاب عنها انقطع المعترض عليه، وثبت قول الأول، وإن لم يجب عن المعارضة انقطع المستدل إذ كان الدليل الذي يجب اتباعه هو الدليل السالم عن المعارض المقاوم.

ولو أقام دليلاً قطعيًا فعورض بما لا يفيد القطع كان له أن يقول له[2]: ما ذكرته يفيد العلم، والعلم لا يعارضه الظن، والبينات لا تعارض بالشبهات التي هي من جنس كلام السوفسطائية، فهو سبحانه نهىٰ عن الكلام بلا علم مطلقًا خصَّ[3] الكلام علىٰ الله بقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

ونهىٰ عن اتباع خطوات الشيطان، وأخبر أنه يأمر بالقول علىٰ الله بلا علم، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨-١٧٠].

---

(١) في (ب، ل): تكلما. وفي (د): متكلما.
(٢) ليست في (ب، ل، د).
(٣) في (د): وخص.

وكذلك ذمَّ من يجادل ويحاج بلا علم، كقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ [الحج: ٨]، وقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحج:٣- ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦] يتناول خبر كل فاسق، وإن كان كافرًا لا يجوز تكذيبه إلا ببينة كما لا يجوز تصديقه إلا ببينة، وفي صحيح البخاري (عن أبي سلمة)(١) أن أبا هريرة قال: «كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرية، ويفسرونها بالعربية (لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ(٢) أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ [(٣)وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ]﴾ [العنكبوت:٤٦]»(٤).

وفي رواية:) «فإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه، وإما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه»)(٥).

---

(١) ما بين القوسين ليس في (ب، ل، د). وفيها: عن أبي هريرة.

(٢) في (د): آمنا بالله وما أنزل.

(٣) ما بين [] ليس في د.

(٤) صحيح البخاري (٤٤٨٥).

(٥) ما بين القوسين من الأصل (ظ، د)، وفي (ب، ل) مكانه: «فقال النبي ﷺ: إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، فإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه، وإما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه، وقولوا: آمنا بما أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون». =

وهذا الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة -من إمساك الإنسان عما لا يعلم انتفاؤه وثبوته- هو مأثور عن غيره من الأنبياء، كما جاء عن المسيح عليه السلام أنه قال: «الأمور ثلاثة: أمر تبين رشده فاتبعوه، وأمر تبين غيه فاجتنبوه، وأمر اشتبه عليكم فكلوه إلىٰ عالمه»(١).

= فصار الحديثان حديثا واحد، وما ثبت في الأصل ظ هو الصواب، فليست الرواية التي ذكرها من رواية الصحيح، ولا ذكرها المهلب بن أبي صفرة في النصيح (٢٤٩٥)، ولا الحافظ في فتح الباري (٨/ ١٧٠) وإنما هي من تعليلات الشراح للحديث وليس رواية للحديث.

كقول ابن جرير: «إذا حدثكم أهل الكتاب أيها القوم عن كتبهم، وأخبروكم عنها بما يمكن ويجوز أن يكونوا فيه صادقين، وأن يكونوا فيه كاذبين، ولم تعلموا أمرهم وحالهم في ذلك» (تفسير الطبري ٢٠/ ٤٨).

وقال الحافظ ابن حجر: «قوله لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم أي إذا كان ما يخبرونكم به محتملا لئلا يكون في نفس الأمر صدقا فتكذبوه أو كذبا فتصدقوه فتقعوا في الحرج ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه نبه علىٰ ذلك الشافعي رحمه الله».

وقد ورد نحوها في حديث الزهري عن ابن أبي نملة، أن أبا نملة الأنصاري، أخبره: أنه بينا هو جالس عند رسول الله ﷺ جاءه رجل من اليهود، فقال: يا محمد، هل تتكلم هذه الجنازة؟ قال رسول الله ﷺ: «الله أعلم». قال اليهودي: أنا أشهد أنها تتكلم. فقال رسول الله ﷺ: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وكتبه ورسله، فإن كان حقا لم تكذبوهم، وإن كان باطلا لم تصدقوهم».

رواه أحمد (١٧٢٢٥)، وأبو داود (٣٦٤٤)، ونملة بن أبي نملة روىٰ عنه جماعة (كما في تهذيب الكمال ٣٠/ ٢١، وعنه ابن كثير في التكميل ١/ ٤٠٢)، ووثقه ابن حبان(الثقات ٥/ ٤٨٥)، وروىٰ عنه في الصحيح، ولم يجرح، فقول ابن القطان: «مجهول الحال ولا يعرف روىٰ عنه غير ابن شهاب» فيه نظر، (ذيل ميزان الاعتدال ٢٠٢).

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ٤٥٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن عيسىٰ بن مريم قام في بني إسرائيل قال: يا معشر الحواريين لا تحدثوا بالحكمة غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموها، والأمور ثلاثة: أمر تبين رشده فاتبعوه، وأمر تبين لكم غيه فاجتنبوه وأمر اختلف عليكم فيه فردوا علمه إلىٰ الله». قال ابن كثير (البداية والنهاية ٢/ ٥٠٤): إسناده غريب.

وعامة عقلاء بني آدم علىٰ هذا، ولهذا لا يجوز أن يصدق بخبر منقول عن الرسول أو غيره إلا بدلالة تدل علىٰ صدقه، ولا يجوز أن يكذبه (ظ١٥٨) إلا بدلالة تدل علىٰ كذبه، وعلىٰ هذا أهل[1] العلم والدين.

وقد تكلم العلماء وصنفوا كتبًا كثيرة في الجرح والتعديل في الرجال والأحاديث، فمن الناس من يعرف بالصدق والضبط، فهذا هو العدل المقبول خبره، ومنهم من يكون صدوقًا لكنه قد لا يحفظ ولا يضبط فيقولون في مثل هذا: هو صدوق تكلم فيه من قبل حفظه، ومنهم من عُرف بالكذب، وإذا روىٰ الحديث من هو سيئ الحفظ أو من قد يكذب لم يحكموا بذلك الحديث، ولم يثبتوه.

ثم تارة يقوم الدليل علىٰ كذبه، وتارة يتوقفون فيه لا يعلمون أصدق هو أم كذب، ومثل هذا لا يعتقد ولا يثبت، ولا يحتج به، كالشاهد الذي شهد[2] للمدعي، وليس بعدل مرضي، أو هو خصم، أو متهم ظنين، فهذا إذا ردت شهادته ولم تقبل لم يكن معنىٰ ذلك الحكم بكذبه أو خطئه، بل معنىٰ ذلك أنه لا تقوم به حجة، ولا يحكم به لعدم العلم بصدقه، لا للعلم بكذبه.

والمدَّعىٰ عليه إذا كان صاحب يد أو ذمته بريئة فهو حجة ترجح جانبه، وقد ضم إليها الشارع اليمين، كما في صحيح البخاري (عن ابن عباس)[3] عن النبي ﷺ أنه قال: «لو يُعطىٰ الناس بدعواهم لادعىٰ قوم[4] دماء قوم وأموالهم، ولكن اليمين علىٰ المدعىٰ عليه»[5].

---

(١) ليست في (ل، د، المطبوعة).

(٢) (ب): يشهد.

(٣) ليست في (ظ).

(٤) في (ب، ل، د): رجال.

(٥) رواه البخاري في الصحيح (٤٥٥٢)، ومسلم (١٧١١) من حديث ابن عباس.

فإذا لم يكن مع المدعي إلا مجرد دعواه فجانب المنكر أقوىٰ من جانبه لأن معه: أن الأصل في الأيدي أنها محقة، والأصل براءة الذمة، ولكن قد يكون المدعي صادقًا، ولا يكون له حجة، وهذا كثير جدا، فلا يدفع بمجرد الأصل، بل يحلف المنكر فيكون يمينه مع الأصل حجة، فيكون إنكار هذا مقابلا لدعوىٰ هذا، كلاهما خبر لم يعلم صدقه فتعارضا، وترجح المنكِر بالأصل، فبقىٰ[1] علىٰ ما كان لا يسلم للمدعي[2] ما ادعاه بمجرد دعواه، ولا تنقطع مطالبته للمدعىٰ عليه لأنه لم يأت بحجة تدفعه، فإذا حلف المنكر كانت يمينه حجة فصلت الخصومة، وقطعت الدعوىٰ.

وإذا لم يأت المنكر باليمين بل نكل عنها، ولا أتىٰ المدعي بحجة، وقف الأمر عند أكثر العلماء، وعند بعضهم: يقضي علىٰ المنكِر بالنكول، فيجعل نكوله إما بدلا لما طلب، وإما إقرارا به، والأكثرون يقولون: بل تُردُّ اليمين علىٰ المدعي الطالب الذي يقول: إنه يعلم صدق نفسه فيما ادعاه، وإنه عالم بما ادعاه، فيقال له: احلف وخذ، فإن حلف أخذ، وإلا دفعا.

ثم من العلماء من يرد اليمين في عامة الدعاوي، ومنهم من يحكم بالنكول[3]، وإن كان المنكِر يقول: لا أعلم ما ادعىٰ به، وكل من الطائفتين يذكر آثارا عن الصحابة[4].

---

(١) في (ب، ل، د): فيبقىٰ.

(٢) (ل): المدعي.

(٣) النكول مصدر من نكل، بمعنىٰ نكص ورجع (تاج العروس ٣١/ ٣٣)، وفي الاصطلاح: امتناع من وجبت عليه أو له يمين منها، انظر: النهاية لابن الأثير ٥/ ١١٧، المجموع للنووي ٢٠/ ١٥٨، شرح حدود ابن عرفة ٤٧٢.

(٤) انظر: شرح مسلم للنووي ١١/ ١٤٨، فتح الباري ٥/ ٢٨٢.

والمنقول عن الصحابة يدل علىٰ التفصيل، وهو أظهر الأقاويل، وهو أنه:

إن كان المنكِر هو العالم دون المدعي، كما إذا ظهر في المبيع عيب، وقد بيع بالبراءة[1]، فقال المشتري: أنا أعلم به[2]، فإنه هُنا يقال له كما قال عثمان بن عفان لابن عمر رضي الله عنهم: «احلف أنك بعته وما به داء تعلمه» فإن حلف وإلا قُضي عليه بالنكول، كما قضىٰ عثمان علىٰ ابن عمر بالنكول[3].

وإن كان المدعي يقول: إنه يعلم ما ادعىٰ به، كمن ادَّعىٰ علىٰ آخر دينًا أو عينًا، فقال[4]: أنا لا أعلم ما ادعيته، احلف وخذ، فإنه يقال له كما قال عمر بن الخطاب: أنصفك خصمك، احلف وخذ[5]، فإن لم يحلف لم يعط شيئًا.

---

(١) في (ب): بإكراه بالبراءة. وهو إقحام لا معنىٰ له.

(٢) كذا ثبتت العبارة في الأصل ظ، وفي (ب، ل، د، ف، ط النيل، المطبوعة): أنا لم أعلم به.
والعبارة فيها خلل، فقد اتفقت النسخ علىٰ أن القائل هو المشتري، والمشتري هو الذي يعلم العيب ويدعيه، ولذا جاءت العبارة في ظ موافقة بين القائل والمقول.
وأما علىٰ النفي يجب أن يكون القائل: «أنا لم أعلم به» هو البائع لا المشتري، لأن الضمير في قوله: يقال له.. أي للبائع. ويتبين ذلك من سياق الخبر الذي استدل به المصنف، وسيأتي في التعليقة التالية.

(٣) رواه مالك في الموطأ (٢٢٧١) وابن أبي شيبة في المصنف (٢١٢٠١) والبيهقي في السنن الكبير (٥/ ٣٢٨) من طريق سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر، باع غلاما له بثمانمائة درهم، وباعه بالبراءة، فقال الذي ابتاعه لعبد الله بن عمر: بالغلام داء لم تسمه لي. فاختصما إلىٰ عثمان بن عفان، فقال الرجل: باعني عبدًا وبه داء لم يسمه لي. وقال عبدالله: بعته بالبراءة، فقضىٰ عثمان علىٰ عبد الله بن عمر أن يحلف له: لقد باعه العبد، وما به داء يعلمه، فأبىٰ عبد الله أن يحلف، وارتجع العبد فصح عنده، فباعه عبد الله بعد ذلك بألف وخمسمائة درهم.

(٤) أي المدعىٰ عليه.

(٥) رواه البيهقي في السنن ١٠/ ٣١٠، من طريق داود عن الشعبي: «أن المقداد استقرض من عثمان بن عفان رضي الله عنه سبعة آلاف درهم، فلما تقاضاه قال: إنما هي أربعة آلاف،
فخاصمه إلىٰ عمر رضي الله عنه، فقال: إني قد أقرضت المقداد سبعة آلاف درهم، فقال المقداد: إنما هي أربعة آلاف فقال المقداد: أحلفه أنها سبعة آلاف، فقال عمر رضي الله عنه: أنصفك، فأبىٰ أن يحلف، فقال عمر: خذ ما أعطاك».
=

والبينة في الدعاوي -عند أكثر العلماء-: هي ما يبين الحق، ويظهره، ويوضحه، كالدليل والآية والعلامة، فمتىٰ ترجح جانب أحدهما حلف، مثل أن يقيم المدعي شاهدًا فإنه يحلف مع شاهده، ويقضي به بشاهد ويمين كما مضت به سنة رسول الله ﷺ، وهو قول أكثر العلماء[1].

ومنهم من يقول: اليمين دائما في (ظ١٥٩) جانب المدَّعىٰ عليه، وكذلك لو كان في دعوىٰ القتل لَوث ولطخ وشبهة، وهو علامات ترجح جانب المدَّعي، فإنَّ أولياء المقتول يحلفون خمسين يمينًا، ويقضىٰ لهم بذلك عند أكثر العلماء كما مضت بذلك السنة[2].

وكذلك في اللعان، إذا حلف الزوج وشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، ووكدها بالخامسة فقد أقام بينة علىٰ دعواه، فإن التَعنت المرأة وشهدت أربع شهادات مؤكدة بالخامسة أنه كاذب تعارضت البينتان والشهادتان، فلم يحكم بقول واحد منهما، لا يحكم بأنه قاذف، ولا يحكم بأنها زانية، وإن نكلت فلم تحلف فأكثر العلماء يقولون: يحكم بأنها زانية، وتعذب علىٰ ذلك كما دل عليه القرآن، لأنه اجتمع بينة[3] الزوج، ونكولها عن المعارضة[4]، كما اجتمع في القسامة العلامة والأيمان، وكما اجتمع الشاهد

= قال البيهقي: «هذا إسناد صحيح إلا أنه منقطع، وهو مع ما روينا عن عمر رضي الله عنه في القسامة يؤكد أحدهما صاحبه فيما اجتمعا فيه من مذهب عمر رضي الله عنه في رد اليمين علىٰ المدعي، وفي هذا المرسل زيادة مذهب عثمان والمقداد رضي الله عنهما».

(١) لما روىٰ مسلم في الصحيح (١٧١٢) من حديث ابن عباس، «أن رسول الله ﷺ قضىٰ بيمين وشاهد».

(٢) يريد باللوث واللطخ والشبهة القرائن الظاهرة الدالة علىٰ القتل (شرح حدود ابن عرفة ٤٨٧).

(٣) في (د): شهادة الزوج.

(٤) انظر: شرح ابن بطال علىٰ صحيح البخاري ٨/ ٤٥٠، والمغني لابن قدامة ٨/ ٩٣.

واليمين، وكما اجتمع في جانب المنكِر الأصل واليمين.

فهذا ونحوه مما جاءت به الشريعة، وبسطه له موضع آخر.

والمقصود هنا: أنَّ الخبر إن قام دليل علىٰ صدقه أو كذبه، وإلا بقي مما لم نصدقه ولم نكذبه[1].

وأهل العلم بالحديث إذا قالوا: هذا الحديث رواه فلان، وهو مجروح، أو ضعيف، أو سيئ الحفظ، أو ممن لم تقبل روايته، ونحو ذلك، فهو كقول القائل: هذا الشاهد مجروح أو سيئ الحفظ أو ممن لا تقبل شهادته، وهذا يفيد أنه لا يحكم به، لا يفيد الحكم بأنه كاذب، بل قد يمكن أنه صادق، فلا يقال إنه كاذب إلا بحجة.

وإذا قالوا عن الحديث: «إنه ضعيف» فهذا مرادهم؛ أي أنه لم يثبت، ولا يحتج به، ولا يجوز الحكم بصدقه، ليس مرادهم أنه بمجرد ذلك يحكم بكذب الناقل، وينفي ما نقله، ويقول: إن هذا لم يكن من غير علم منا بهذا النفي، بل إن قام دليل علىٰ انتفاء ما أخبر به حكمنا بذلك، وإلا سكتنا لم ننفه ولم نثبته.

فهذا أصل يجب معرفته، فإنَّ كثيرًا من الناس لا يميز بين ما ينفيه لقيام الدليل علىٰ نفيه، وبين ما لم يثبته لعدم دليل إثباته، بل تراهم ينفون[2] ما لم يعلموا إثباته فيكونون قد قفوا ما ليس لهم به علم، وقالوا بأفواههم ما ليس لهم به علم، وهذا كثير في[3] أهل الاستدلال والنظر وأهل الإسناد والخبر:

---

(١) في (ب): والمقصود هنا: أن المخبر إن أقام دليلا علىٰ صدقه وإلا بقي مما لم يصدقه ولم يكذبه.

(٢) سقطت من المطبوعة وهي ثابتة في كل الأصول، وبها يستقيم الكلام.

(٣) في (ب،ل): من.

فمن الأولين: طوائف يطلبون الدليل علىٰ ثبوت الشيء، فإذا لم يجدوه نفوه، ومعلوم أن عدم العلم ليس علمًا بالعدم، وعدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود إلا إذا كان الطالب ممن يمكنه ذلك، إما بعلم أو ظن غالب.

فمن هؤلاء من يقول في صفات الله ما لم يقم دليل قطعي علىٰ إثباته ولا[1] وجب القطع بنفيه، لأنَّ صفات الله لا تثبت إلا بالقطع، وخالفهم في ذلك جمهور الناس، وقالوا: كما لا يجوز القطع في الإثبات إلا بدليل قطعي، فلا يجوز القطع في النفي إلا بدليل قطعي علىٰ النفي، فكما لم يجز أن يثبت إلا بعلم (فلا ينفي إلا بعلم)[2]، والنافي عليه الدليل كما علىٰ المثبت الدليل.

قال هؤلاء: هذه المسائل مبناها علىٰ القطع، فإنه لا يجوز لنا التكلم فيها بالظن، فإذا لم يقم القاطع قطعنا بالنفي.

فقيل لهم: هذا حجة عليكم، فإنكم إذا نفيتم ما لم تعلموا نفيه تكلمتم بالظن، وإذا قطعتم من غير قاطع كنتم قد تكلمتم في القطعيات بلا قاطع، نفيًا كان الكلام أو إثباتًا، وليس معكم[3] في الأدلة الشرعية أو العقلية أن كل ما لم يقم دليل سمعي أو عقلي علىٰ إثباته فإنه يجب عليكم نفيه، والقطع بنفيه، بل تكلمكم بهذا تكلم بلا علم.

---

(١) في (ب، ل، د، المطبوعة): «وإلا». والمعنىٰ: كل ما لم يقم دليل قطعي علىٰ إثباته وجب نفيه.
وما ثبت في الأصل جيد، وهو أنسب لحكاية قولهم بالصيغة التي أوردها المصنف، لأنه لم يرد بقوله: «يقولون» حكاية نص قولهم. بل حكاية مذهبهم وحالهم فمعنىٰ يقولون - أي يثبتون - ما لم يدل عليه القطع بإثباته ولا نفيه. والمعنىٰ واحد.
لأن الحكاية النصية لمذهبهم هكذا: ما لم يقم دليل قطعي علىٰ إثباته وجب القطع بنفيه..الخ.
(٢) سقطت من (ب).
(٣) في (ب، ل، د): يعلم.

ومن هنا أخطأ كثير من النظار في نفي كثير من (ظ ١٦٠) صفات الرب، وأحكامه، وأفعاله، حيث لم يعلموا دليلاً قطعيًا يثبتها فنفوها، وكانت ثابتة في نفس الأمر، وقد يكون عند غيرهم دليل قطعي يثبتها، ولو قُدر عدم علم الناس كلهم بها فلله علم لم يعلمه العباد، ولله أسماء استأثر بها في علم الغيب عنده لم يعلمها الناس، وليس إذا لم يعلم ثبوت الصفة يجب أن يعلم انتفاؤها، بل قد يظن ثبوتها أو انتفاؤها، وقد يشك في ذلك فلا يعلم ولا يظن واحد منهما، والواجب علىٰ الإنسان أن يقول لما يعلمه: أعلمه، ولما يظنه: أظنه، ولما يشك فيه: أشك فيه.

والله تعالىٰ لم يوجب علىٰ الإنسان أن يقطع بانتفاء شيء إن لم يعلم أنه منتف، فمن قال: «إنه أوجب[1] علينا القطع بانتفاء مالم نقطع بثبوته ولا انتفائه» فقد غلط، وهذا بخلاف ما يناقض صفات الإثبات، فإن هذا يجب نفيه عن الله، فقد علم بالأدلة القطعية أن الله موصوف بصفات الكمال المناقضة للنقص، مثل: إنه حي قيوم بكل شيء عليم وعلىٰ كل شيء قدير، وأنه خالق كل شيء، وربه، ومليكه، وأنه غني عن كل ما سواه بكل وجه، فكل من قال قولا يناقض هذا عُلم أنه باطل، كالذين قالوا: إنَّ له شريكًا أو ولدًا، أو إنَّه يشفع عنده الشفعاء بلا[2] إذنه، ونحو ذلك مما يناقض الكمال المعلوم له.

وما كان من الأمور مستلزمًا لوازم لو كان موجودا؛ فإنه يستدل بانتفاء اللازم علىٰ انتفاء الملزوم، كالأمور التي لو كانت موجودة لوجب أن تنقل نقلاً متواترًا شائعًا، فإنه يستدل بانتفاء اللازم علىٰ انتفاء الملزوم، كما لو قال قائل: إنه بني بين العراق والشام أو بين الحجاز والشام مدينة أعظم من بغداد

---

(١) في (ل): قال وجب علينا.

(٢) في (ل، د): بغير.

والموصل وأصبهان ومصر دَوْرها ثلاثة أيام، ونحو ذلك، فإنه يعلم كذبه، فإن هذا مما تتوفر همم الناس علىٰ نقله لو كان موجودًا، فإذا لم يستفض هذا وينتشر علم أن المخبر به كاذب.

وكذلك لو ادعىٰ مدع أنه يوم الجمعة أو العيد قتل الخطيب، ولم يصل الناس يوم الجمعة، ولم يستفض هذا وينتشر، أو ادعىٰ أنه قتل بعض الملوك علانية بين الناس[1] ولم يستفض هذا ولم ينتشر، أو ادعىٰ أنه بعث نبي بين المسيح ومحمد، أو بعد محمد، جاء بكتاب مثل القرآن أو الإنجيل، واتبعه خلق كثير، وكذبه خلق كثير؛ فإنه يعلم كذب هذا، إذ مثل هذا لا بد أن يستفيض وينتشر.

وكذلك لو ادَّعىٰ أنَّ قريشًا أو غيرهم عارضوا القرآن، وجاءوا بكتاب يماثل القرآن، وأنهم أظهروا ذلك، وأبطلوا به حجة محمد ﷺ، فهذا مما يقطع بكذبه، لأنَّ مثل ذلك لو وقع لكان مما تتوفر الهمم والدواعي علىٰ نقله.

وكذلك لو ادَّعىٰ أنَّ محمدًا أمر بحج بيت غير البيت العتيق أو أوجب صوم شهر غير شهر رمضان أو أوجب صلاة سادسة وقت الضحىٰ، أو أمر بالأذان والإقامة لغير الصلوات الخمس، أو أنه قال علانية بين الناس لأبي بكر أو للعباس أو علي أو غيرهم: هذا هو الخليفة من بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا، أو أن عليا دعا إلىٰ نفسه في خلافة الثلاثة، وأمثال هذه الأمور التي لو وقعت لكان لها لوازم، فيستدل بانتفاء اللازم علىٰ انتفاء الملزوم.

ثم هذه اللوازم منها جلي، ومنها خفي يعرفه الخاصة، فلهذا كان أهل العلم بأحوال الرسول يقطعون بكذب أحاديث لا يقطع غيرهم بكذبها، لعلمهم

---

(١) في (ب، ل): «بعض ملوك الناس».

بلوازم تلك الأحاديث وانتفاء لوازمها، كما يقطع من يعلم بمغازي[(١)] النبي ﷺ أنه لم يقاتل في غزوة تبوك، وأن غزوات القتال إنما كانت تسع مغازي، وأنه لم يذهب[(٢)] بنفسه إلىٰ اليمن، ولا إلىٰ العراق، ولا جاوز تبوك بعد النبوة، وأنه لم يحج بعد الهجرة إلا حجة الوداع (ظ١٦١)، ولم يصم إلا تسع رمضانات.

وهكذا يعلمون أنَّ فلانًا أخطأ في هذا الحديث علىٰ فلان، لأنهم قد علموا من وجوه ثابتة أنَّ ذلك الحديث إنما رواه علىٰ صورة معينة، فإذا روىٰ غير الثقة ما يناقض ذلك علموا بطلان ذلك، وأنه أخطأ أو تعمد الكذب، مثل ما يعلمون كذب من زاد في قول النبي ﷺ: «لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل»[(٣)] فزاد بعض الناس فيه: «أو جناح» لما رأىٰ بعض الأمراء عنده حمام، فعلموا أنه كذب تقربًا إلىٰ ذلك الأمير[(٤)].

وكما يعلمون كذب من روىٰ أنَّ مسيلمة وقومه كانوا مؤمنين بالله ورسوله، وإنما قاتلهم الصديق لكونهم لم يعطوا الزكاة، فإنهم قد علموا بالتواتر

---

(١) في (ب، ل): مغازي.

(٢) في (ب، ل): لم يغز.

(٣) رواه أحمد (٧٤٨٢)، وأبو داود (٢٥٧٤) والترمذي (١٧٠٠) وابن ماجه (٢٨٧٨) من حديث أبي هريرة بإسنادين صحيحين.

(٤) القصة رواها الحاكم في المدخل إلىٰ كتاب الإكليل (ص١٦) من طريق داود بن رشيد يقول: دخل إبراهيم بن غياث بن إبراهيم علىٰ المهدي وكان يعجبه الحمام الطيارة التي تجيء من الأماكن البعيدة فروىٰ حديثا أن النبي ﷺ قال: «لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل أو جناح» قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم فلما قام وخرج قال: أشهد أن قفا هذا قفا كذاب علىٰ النبي ﷺ والله ما قال ﷺ جناح ولكن أراد هذا أن يتقرب إلينا يا غلام اذبح الحمام فذبح الحمام في الحال.
وانظر: فتح المغيث للسخاوي ١/ ٣١٨، تدريب الراوي للسيوطي ١/ ٣٣٧.

أن مسيلمة ادعىٰ النبوة، واتبعه قومه علىٰ ذلك، وأنه كتب إلىٰ النبي ﷺ في حياته يقول: «من مسيلمة رسول الله إلىٰ محمد رسول الله» فكتب إليه النبي ﷺ: «من محمد رسول الله إلىٰ مسيلمة الكذاب»(١).

ويعلمون أنه كان له مخاريق، وأنه ظهر كذبه من وجوه متعددة، وأن الصديق(٢) والصحابة قاتلوه علىٰ كذبه في دعوىٰ النبوة، وقاتلوا قومه علىٰ ردتهم عن الإسلام، واتباعهم متنبئًا(٣) كاذبًا لم يقاتلوهم علىٰ كونهم لم يؤدوا الزكاة إلىٰ أبي بكر.

وكذلك الأسود العنسي الذي ادعىٰ النبوة في حياة النبي ﷺ، وقتل في حياته.

وكلٌّ منهما عرف كذبه بتكذيب النبي الصادق المصدوق لهما، وبما ظهر

---

(١) رواه ابن شبة في تاريخ المدينة ٢/ ٥٧٢، من طريق ابن أبي هلال، أنه بلغه أن مسيلمة الكذاب، كتب إلىٰ رسول الله ﷺ: من مسيلمة رسول الله إلىٰ محمد رسول الله، سلام عليك، أما بعد، فإني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها، ذلك بأنهم قوم يعدلون. فكتب إليه رسول الله ﷺ: «من محمد رسول الله إلىٰ مسيلمة الكذاب، سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ، أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين»

ولـه شاهد من حديث محمد بن إسحاق، حدثني شيخ من أشجع، عن سلمة بن نعيم بن مسعود، عن أبيه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما» قال: فكتب معهما: «من محمد رسول الله ﷺ إلىٰ مسيلمة الكذاب سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ أما بعد، فإن الأرض لله تعالىٰ يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين» رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣/ ٢٤) والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٣١).

(٢) في (ل): وأن أبي (كذا) بكر الصديق.

(٣) في (ب، ل): نبيا.

من دلائل كذبهما، مثل: الأخبار الكاذبة التي تناقض النبوة، ومثل الإتيان بقرآن مختلق يعلم(١) من سمعه أنه لم يتكلم الله به، وإنما هو تصنيف الآدميين كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لهم لما تابوا من الردة، وعادوا إلىٰ الإسلام: «أسمعوني قرآن مسيلمة فلما أسمعوه إياه قال: ويحكم أين يذهب بعقولكم، إن هذا كلام لم يخرج من إل» أي لم يخرج من رب(٢).

ومثل ما كان يفعله ويأمر به من الفجور والكذب، ومثل اطلاع أخص الناس به علىٰ أنه كان يكذب، ويستعين بمن يختلق له الكذب، ومثل أنه كان يعدهم بأن جبريل أخبره أنه سينصر، فلما حقت الحقائق قال لهم: «إنه لا جبريل لكم(٣) فقاتلوا عن أحسابكم»(٤).

إلىٰ أمثال هذه الأمور التي تدل علىٰ كذب الكاذب.

فالصدق له دلائل مستلزمة له تدل علىٰ الصدق، والكذب له دلائل مستلزمة تدل علىٰ الكذب، ولا يجوز الحكم بصدق مخبر ولا بكذب مخبر إلا بدليل، وما لم يعلم صدقه ولا كذبه ولا ثبوته ولا انتفاؤه فإنه يجب الإمساك

---

(١) في (ب): فإنه يعلم.

(٢) أعلام النبوة للماوردي ٨٨، خير البشر ص١٣٢، الروض الأنف ٢/ ٢٦٥، قال ابن الأثير (في النهاية في غريب الحديث ١/ ٦١): لم يخرج من إل أي لم يخرج من ربوبية، والإل بالكسر هو الله تعالىٰ، وقيل: الإل الأصل الجيد، أي لم يجئ من الأصل الذي جاء به القرآن، وقيل: الإل النسب والقرابة، فيكون المعنىٰ: إن هذا كلام غير صادر عن مناسبة الحق والإدلاء بسبب بينه وبين الصدق.

(٣) ليست في الأصل ظ، وهي ثابتة في بقية الأصول.

(٤) انظر: تاريخ الطبري ٣/ ٢٨٨، الكامل لابن الأثير ٢/ ٢١٦، تاريخ الإسلام ٣/ ٣٨، البداية والنهاية ٩/ ٤٦٧.

عنه والكف[1]، ويقول القائل: هذا لم أعلمه، ولم يثبت عندي، ولا أجزم به، ولا أحكم به، ولا أستدل به، ولا أحتج به، ولا أبني عليه مذهبي واعتقادي وعملي، ونحو ذلك.

لا يقول: هذا أقطع بكذبه وانتفائه، وإن كنت أقطع أن من أثبته تكلم بلا علم، فالقطع بجهل مثبته المعتقد له غير القطع بانتفائه، فمن قطع بشيء[2] بلا دليل يوجب القطع قطعنا بجهله وضلاله وخطأه، وإن لم يقطع بانتفاء ما أثبته في نفس الأمر، كمن حكم بشهادة مجروح فاسق أمر الله بالتثبت في خبره، فمن حكم وقطع بخبره من غير دليل يدل علىٰ صدقه حكمنا بأن هذا متكلم حاكم بلا علم، وإن لم يحكم بكذب الشاهد المخبر، لكن لا يجوز للإنسان أن ينفي علم غيره، وقطع غيره، من غير علم منه بالأسباب التي بها يعلم ويخبر، فإنَّه كثيرًا ما يكون للإنسان دلائل كثيرة تدل علىٰ صدق شخص معين، وثبوت أمر معين، وإن كان غيره لا يعرف شيئًا من تلك الدلائل.

وهذا أيضًا (ظ١٦٢) مما يغلط فيه كثير من الناس ينظرون في أنفسهم، ومبلغ علمهم، فإذا لم يجدوا عندهم ما يوجب العلم بذلك الأمر جعلوا غيرهم كذلك، من غير علم منهم بانتفاء أسباب العلم عند ذلك الغير، وقد يقيمون حججًا ضعيفة علىٰ أنَّ غيرهم لا يعلم ذلك، مثل ما يعلمه[3] كثير من الناس بالنظر والاستدلال والاعتبار، ومن لم يساوهم في نظرهم وأدلتهم وقوة أذهانهم لا يعلم ما علموه، وكثير من الناس يعلم بالأخبار والنقل والاستدلال بذلك أمورًا كثيرة، ومن لم يشاركهم فيما سمعوه وفيما عرفوه من أحوال المخبرين

---

(١) من الأصل (ظ) فقط وليست في بقية الأصول.

(٢) في (ب، ل): فيه.

(٣) هامش الأصل ظ: يفعله وكتب فوقها حـ.

والمخبر به وكمال معرفتهم بذلك لا يعلم ما علموه.

فلهذا كان لأهل النظر العقلي طرق لا يعرفها أهل الأخبار، ولأهل الأخبار السمعية طرق لا تعرف بمجرد العقول، ولهذا كان لهؤلاء من الطرق الدالة على صدق الرسول ونبوته، والاستدلال على ذلك، أمور كثيرة[١] لا يعرفها أهل الحديث والآثار[٢]، وعند هؤلاء من الأحاديث المتواترة[٣] عندهم، والآيات المستفيضة عندهم ما يعلمون بها صدق الرسول، وإن كان أولئك لا يعرفونها.

بل طرق معرفة الصانع وتصديق رسوله قد يكون لكل قوم فيها[٤] طريق أو طرق لا يعلمها آخرون، وهم مشتركون في الإقرار بالله وبرسوله، ولكل قوم طرق وأدلة غير طرق الآخرين وأدلتهم.

بل ما تواتر عندهم من أحوال الرسول قد يكون المخبرون لهؤلاء الذين تواتر عندهم ما أخبروهم به من آياته وشرائعه غير المخبرين لأولئك، كما كان الصحابة المخبرون لأهل الشام بآيات الرسول، وبالقرآن، وشرائع الإسلام، غير الصحابة المخبرين لأهل العراق، ولكن خبر هؤلاء يصدق خبر هؤلاء، وإن كان كل من الطائفتين لا يعلم أعيان أولئك الذين أخبروا أولئك.

وهكذا سائر العلوم، قد يكون الذي علم هؤلاء الفقه أو النظر أو النحو أو الطب غير الذي علم هؤلاء، وإن اشترك الجميع في جنس الفقه، والنظر،

---

(١) هامش (ب): بلغ مقابلة.
(٢) في (ب، ل): والأخبار.
(٣) في (ب): الحديث المتواتر.
(٤) في (ب، ل): منها.

والنحو، والطب، وعلم هؤلاء ما علمه هؤلاء من الأعيان والأنواع، مع أن طريق هؤلاء ليس طريق أولئك، وإن اشتركوا في النوع.

وعامة ما يعلمه الناس بالحس هو من هذا الباب، فإن الإنسان يحس بأحوال نفسه من جوعه، وعطشه، وشبعه، وريه، وحبه، وبغضه، وشهوته، ونفرته، وألمه، ولذته، بل يحس بأعضائه كبطنه، وفرجه، ولا يحس بأحوال غيره، ولكن يشتركان في الجنس العام، فيشتركون في جنس الإحساس بجوعهم، وشبعهم، وقد يشتركون في غير[1] ما يحسونه، كاشتراكهم في رؤية الشمس، والقمر، والهلال، والكواكب.

وقد غلط في مثل هذا طائفة من المتكلمين في المنطق اليوناني، فزعموا أنَّ العلوم التجريبية والتواترية والحدسية -إن جعلوها قسمًا غير التجريبية فإن فيهم من يجعل الحدسية نوعًا من التجريبية، وفيهم من يجعلها جنسًا آخر- فزعم هؤلاء أن هذه العلوم مختصة لا تقوم بها الحجة علىٰ من لم يعلمها، دون الحسيات والوجديات والعقليات، وليس كذلك، بل كما أن هذه تكون مشتركة تارة، ومختصة أخرىٰ، فكذلك الحسيات، فإن كل أهل زمان ومكان يعلمون بالحس من أحوال ذلك المكان والزمان وأحوال أهله ما لا يشركهم فيه غيرهم، وكذلك الوجديات، فإن من ابتلي بالغرائب في الأمور النفسانية[2] والبدنية يعلم منها ما لم يشاركه فيه غيره[3].

---

(١) في (ب): عين، ومثلها في (ل) لكن كتب نقطة فوق العين.

(٢) في (ب، ل، د، المطبوعة، ط النيل): السياسية، وهو تصحيف لا معنىٰ له، فالنفساني يقابل البدني.

(٣) انظر الرد علىٰ المنطقيين ص٩٢.

وكذلك العقليات، فإن من الناس من يكون له أصل يقيس به الفرع فيعلم القدر المشترك الذي هو: الحد الأوسط[1]، ويعلم من تعلق (ظ١٦٣) الحكم به ما لم يعلمه غيره.

فأجناس العلوم وطرقها منها مختص، ومنها مشترك[2]، والمشترك منه ما يشترك فيه جنس بني آدم، ومنه ما يشترك فيه نوع منهم وطائفة، فهذا أصل جامع ينبغي معرفته لمن تكلم في هذا الباب[3].

فصل:

وإذا كان جنس مَن يخبر الخبر قد يكون صادقًا وقد يكون كاذبًا، فقد عُلم أنه ليس كل واحد[4] أخبر بخبر يصدق مطلقًا، ولا يكذب مطلقًا، فلم يقل أحدٌ من العقلاء أنَّ كل خبر واحد أو خبر كل واحد يكون صدقًا أو يفيد العلم، ولا أنه يكون كذبًا، بل الناس يعلمون أنَّ خبر الواحد قد يقوم دليل علىٰ[5] صدقه فيعلم أنه صدق وإن كان خبر واحد، وقد يقوم الدليل علىٰ كذبه فيعلم أنه كذب، وإن أخبر به ألوف إذا كان خبرهم علىٰ غير علم منهم بما أخبروا به، أو عن تواطئ منهم علىٰ الكذب، مثل إخبار أهل الاعتقادات الباطلة بالباطل الذي يعتقدونه.

---

(١) الحدود ثلاثة: أصغر وأوسط وأكبر (انظر: الرد علىٰ المنطقيين ١١٦) وقد عرفه المصنف هنا بالقدر المشترك، (وكذا في الرد علىٰ المنطقيين ٣٥٤). وفصل بين هذه الحدود في (الرد علىٰ المنطقيين ص١١٦-١١٧، ٢١٣). وانظر للمصنف: النبوات ٢/ ٧٤٨-٧٥٢، درء تعارض العقل والنقل ٣/ ١٢٦، مجموع الفتاوىٰ ٩/ ١١٦.

(٢) في (ب، ل، د): منها ما هو مختص ومنها ما هو مشترك.

(٣) في هامش ظ: بلغ مقابلة.

(٤) في (ب): أحد.

(٥) ليست في (ظ).

وأما إذا أخبروا به[1] عن علم منهم بما أخبروا به فهؤلاء صادقون في نفس الأمر، ويعلم صدقهم تارة بتوافق أخبارهم من غير مواطأة، ولو كانا اثنين، فإن الاثنين إذا أخبرا بخبر طويل أسنداه إلىٰ علم -وقد علم أنهما لم يتواطآ عليه، ولا هو مما قد يتفق في العادة تماثلهما فيه في الكذب أو الغلط- علم أنه صدق.

وقد يعلم صدق المخبر[2] الواحد بأنواع من الدلائل تدل علىٰ صدقه، ويعلم صدق خبر الواحد بقرائن تقترن بخبره يعلم بها صدقه، وتلك القرائن والدلائل[3] قد تكون صفات في المخبر من علمه ودينه وتحريه الصدق، بحيث يعلم قطعًا أنه لا يتعمد الكذب، كما يعلم أهل[4] الحديث علمًا يقينًا أنَّ ابن عمر، وعائشة، وأبا سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله، وأمثالهم، لم يكونوا يتعمدون الكذب علىٰ رسول الله ﷺ، فضلاً عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وأمثالهم.

بل يعلمون علمًا يقينًّيا أن الثوري، ومالكا، وشعبة، ويحيىٰ بن سعيد، وعبدالرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، والبخاري، وأبا زرعة، وأبا داود، وأمثالهم، لا يتعمدون الكذب في الحديث.

وقد تكون الدلائل صفات في المخبَر به مختصة بذلك الخبر أو بنوعه يعلم بها أن ذلك المخبِر لا يكذب مثل ذلك الخبر، كحاجب الأمير إذا قال بحضرته لعسكره: إن الأمير قد أذن لكم في الانصراف، أو أمركم أن تركبوا

---

(١) ليست في (ب، ل).

(٢) في (ب، ل، د): الخبر.

(٣) في (ب): قدم وأخر.

(٤) في (ب، ل): كما يعلم علماء أهل الحديث قطعا أن..

غدا، أو قال: قد أمَّر عليكم فلانا، ونحو ذلك، فإنهم يعلمون أنه لم[1] يتعمد الكذب في مثل هذا وإن لم يكن بحضرته، فكيف إذا كان بحضرته، وإن كانوا قد يكذبونه في غير هذا الموضع.[2]

---

(١) في (ب، ل): لا.

(٢) بعده في (ظ) هذا الموضع نص في عدة أسطر كتب فوقه: لا - إلىٰ، وكتب في الهامش: كذا عليه بخط الشيخ لا - إلىٰ.

وفي (د) أثبتها كذلك، وكتب في الهامش: كذا بخط الشيخ هنا لا هـ. وهذا إشارة من المؤلف بحذفه لأنه مكرر المعنىٰ في كلام الشيخ، ولذلك كتب الشيخ عليه العلامة.

وقد خفيت هذه العلامة الدقيقة علىٰ ناسخ (ب، ل). والنص هو:

لا (وقد تكون الدلائل سماع من شاركه في العلم بذلك الخبر، وإقراره عليه، فإن العادة كما قد تمنع التواطؤ علىٰ الكذب؛ فإنها قد تمنع التواطؤ علىٰ الكتمان وإقرار الكذب والسكوت عن إنكاره [ب، ل: إنكاره عنه]، فما توافرت الهمم والدواعي علىٰ ذكره والخبر به يمتنع أن يتواطأ أهل التواتر علىٰ كتمانه، كما يمتنع في العادة أن تحدث حادثة عظيمة تتوفر الهمم والدواعي علىٰ نقلها في الحج أو الجامع أو العسكر، وحيث توجب العادة نقل الحاضرين لما عاينوه ثم لا ينقل ذلك أحد.

وإقرار الكذب والسكوت علىٰ رده أعظم امتناعًا في العادة من الكتمان، فإنَّ الإنسان في العادة قد تدعوه نفسه إلىٰ أن يسكت عما رآه وسمعه فلا يخبر به، ولا تدعوه نفسه إلىٰ أن يكذب عليه، ويخبر عنه بما يعلم أنه كذب عليه فيقره ولا ينكره إذ كانت عادة الناس إلىٰ تكذيب مثل هذا أبلغ من عادتهم في الإخبار بما رأوه [ب، ل: الإخبار به]). إلىٰ

وكذلك إذا كذب في قصة، وبلغ ذلك من شاهدها(ظ١٦٤)، فتوفر الهمم علىٰ تكذيب هذا أعظم من توفرها علىٰ إخبارهم بما وقع ابتداء بما وقع، فإذا كانت من القضايا التي يمتنع السكوت عن إظهارها؛ فالسكوت عن تكذيب الكاذب فيها أشد امتناعًا.

وقد تكون الدلائل صفات فيه تقترن بخبره، فإن الإنسان قد ترىٰ حمرة وجهه فيميز بين حمرته من الخجل والحياء وبين حمرته من الحمىٰ وزيادة الدم، وبين حمرته من الحمام، وبين حمرته من الغضب، وكذلك يميز بين صفرته من الفزع والوجل، وبين صفرته من الحزن والخوف، وبين صفرته من المرض، فكما أن سحنته، ووجهه يعرف بها أحوال بدنه الطبيعية من أمراضه المختلفة، حتىٰ إن الأطباء الحذاق يعلمون حال المريض من سحنته فلا يحتاجون مع ذلك إلىٰ نبض وقارورة؛ فكذلك تعرف أحواله النفسانية هل هو فرح مسرور أو مكروب محزون؟ ويعلم هل هو محب صديق مريد للخير أو هو مبغض عدو مريد للشر؟[1].

كما قيل:

والعين تشهد من عيني محدثها ... إن كان من حزبها أو من أعاديها[2]

وكما قيل[3]:

---

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٢٠١.

(٢) البيت في غرر الخصائص الواضحة للوطواط ٥٨، ونفحة الريحانة ٦١، دون نسبة.

(٣) هكذا في الأصل ظ، وهو الصواب في إنشاد البيتين، ووقع في (ب، ل، د) خلل في إنشادهما، حيث فيها: كما قيل: تحدثني العينان ما القلب كاتم، والعين تشهد من عيني محدثها، إن كان من حزبها أو من أعاديها، وكما قيل: ولا خير في الشحناء والنظر الشزر.

تحــدثني العينــان مــا القلــب كــاتم ولا خيــر في الشــحناء والنظــر الشــزر[1]

ثم إذا تكلم مع ذلك دلَّ كلامه علىٰ أبلغ مما يدل عليه سيما وجهه، كما قال تعالىٰ عن المنافقين: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]، فأخبر أنه لا بد أن يعرف المنافقين في لحن القول[2]، وأن معرفتهم بالسيما معلقة علىٰ المشيئة، والمنافق كاذب[3] يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فبين أنه في لحن قوله يعلم أنه كاذب.

وقال في حق المؤمنين: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال في حق الكافر: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣]، أي: له زنمة من الشر،

---

(١) أنشده بعضهم: تخبرني العينان.. ولاجن بالبغضاء
والبيت من قصيدة منسوبة لسويد بن الصامت، كما في الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي ص٩٧، وربيع الأبرار للزمخشري ١/ ٤٠٠، ولعلي بن الخليل كما في الوساطة بين المتنبي وخصومه ٢٩٨، ولأبي جندل الهذلي كما في مجمع الأمثال ٢/ ٢٤٠، ولابن الرومي كما في شرح ديوان المتنبي للعكبري ١/ ٢٥٣، وغير منسوب كما في: شرح نهج البلاغة ١٨/ ١٣٧.
وأنشده المصنف في درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٢٠١.
قال الميداني: «ولا جن بالبغضاء والنظر الشزر: أي: لا يخفىٰ نظر المبغض، ولا جن معناه لا خفاء، والبغضاء: البغض، والنظر الشزر: نظر الغضبان بمؤخر العينين» (مجمع الأمثال ٢/ ٢٤٠).

(٢) قال ابن الجوزي: ولتعرفنهم في لحن القول أي: في فحوىٰ القول، فدل بهذا علىٰ أن قول القائل وفعله يدل علىٰ نيته. وقول الناس: قد لحن فلان، تأويله: قد أخذ في ناحية عن الصواب، وعدل عن الصواب إليها (زاد المسير ٤/ ١٢١) وانظر: تفسير الطبري ٢٢/ ٨٤، الكشاف ٤/ ٣٢٧.

(٣) في (ب، ل): الكاذب.

أي: علامة يعرف بها[١].

وقد روي عن عثمان بن عفان قال: «ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله علىٰ صفحات وجهه، وفلتات لسانه»[٢].

وقد بسطنا الكلام علىٰ هذه في مسألة الإيمان، وبينا أن ما يقوم بالقلب من تصديق، وحب الله ورسوله وتعظيم لا بد أن يظهر علىٰ الجوارح، وكذلك بالعكس[٣].

ولهذا يستدل بانتفاء اللازم الظاهر علىٰ انتفاء الملزوم الباطن، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب»[٤].

وكما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمن رآه يعبث في الصلاة: «لو خشع

---

(١) وهذا علىٰ قول في الآية، والقول الآخر أن الزنيم الملحق في القوم وليس منهم (تفسير الطبري ٢٣/ ٥٣٧) وقال: سعيد بن جبير: الزنيم الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها الملصق.

(٢) انظر: مجموع الفتاوىٰ ٢/ ٤٤١، وتفسير ابن كثير: ٧/ ٣٢١.
وقد رواه ابن جرير الطبري في التفسير (١٢/ ٣٦٧) عن عثمان بن عفان قال: «يا أيها الناس، اتقوا الله في هذه السرائر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والذي نفس محمد بيده، ما عمل أحد قط سرا إلا ألبسه الله رداء علانية، إن خيرا فخيرا، وإن شرا فشرا، ثم تلا هذه الآية: «ورياشا» ولم يقرأها: ﴿وَرِيشًا﴾ ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، قال: السمت الحسن».
وفي إسناده سليمان بن أرقم متروك، وذكر ابن كثير في التفسير (٧/ ٣٦١) الأحاديث والآثار علىٰ هذا المعنىٰ عند قوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾.

(٣) انظر مثلا مجموع الفتاوىٰ ٧/ ٦٤٤، ١٠/ ٤٥٦، ١٤/ ١٢٠.

(٤) رواه البخاري في الصحيح (٥٢)، ومسلم في الصحيح (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

قلب هذا لخشعت جوارحه»(١).

ومن هذا الباب قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقوله: ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٨١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾ [التوبة: ٤٦]، فإنَّ الإرادة التي في القلب مع القدرة توجب فعل المراد، والسفر في غزوة بعيدة لا يكون إلا بعِدَّة.

ومن هذا الباب أن عثمان قال لعمر لما شاوره في المرأة التي أقرت بالزنا: «إني أراها تستهل به استهلال من لا يعرف أنه حرام» فإنه لما رآها تجهر بما فعلته، وتحكيه من غير اكتراث، تبين له أنها لم تعتقد تحريمه، وأنه يُذم، ويُعاقب عليه، ووافقه عمر وعلي وغيرهما علىٰ ذلك(٢).

---

(١) لم أجده من قول عمر رضي الله عنه.
لكن رواه الحكيم الترمذي في نواد الأصول (١٤١٤) من حديث سليمان بن عمرو عن محمد بن عجلان، عن المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رأىٰ رسول الله ﷺ رجلا يعبث بلحيته في صلاته قال: «لو خشع قلبه لخشعت جوارحه».
قال الزيلعي (في تخريج أحاديث الكشاف ٢/ ٤٠٠): «وسليمان بن عمرو هذا يشبه أن يكون هو أبو داود النخعي فإني لم أجد أحدا في هذه الطبقة غيره وقد اتفقوا علىٰ ضعفه قال ابن عدي أجمعوا علىٰ أنه يضع الحديث».
وروي من حديث علي بن أبي طالب، بسند فيه زياد بن المنذر متروك (كما في كنز العمال: ٢٢٥٣٠)
ورواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١٥٠) عن حذيف بن اليمان.
ورواه عبدالرزاق (٣٣٠٨) وابن أبي شيبة (٦٨٥٤) عن رجل، قال: رأىٰ سعيد بن المسيب رجلا وهو يعبث بلحيته في الصلاة، فذكره.
قال العراقي: المعروف أنه من قول سعيد بن المسيب (تخريج أحاديث الإحياء ١/ ١٥٠).
(٢) رواه الشافعي في مسنده (ص١٦٨)، وعبدالرزاق في مصنفه (١٣٦٤٤)، =

والرجل الصادق البار يظهر علىٰ وجهه من نور صدقه، وبهجة وجهه سيما يعرف بها، وكذلك الكاذب الفاجر، وكلما طال عمر الإنسان ظهر هذا الأثر فيه، حتىٰ إن الرجل يكون في صغره جميل الوجه، فإذا كان من أهل الفجور مصرًّا علىٰ ذلك يظهر عليه في آخر عمره من قبح الوجه ما أثره باطنه، وبالعكس.

وقد رُوي عن ابن عباس أنه قال(ظ١٦٥): «إن للحسنة لنورًا في القلب، وضياء في الوجه، وقوة في البدن، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة لظلمة في القلب، وسوادًا في الوجه، ووهنًا في البدن، وبغضة في قلوب الخلق»(١).

= والبيهقي في السنن الكبير (٨/ ٤١٥) عن يحيىٰ بن عبد الرحمن بن حاطب، حدثه قال: توفي عبد الرحمن بن حاطب، وأعتق من صلىٰ من رقيقه وصام، وكانت له نوبية قد صلت وصامت وهي أعجمية لم تفقه، فلم يرع إلا حبلها، وكانت ثيبا، فذهب إلىٰ عمر فزعا فحدثه فقال له عمر: «لأنت الرجل لا يأتي بخير، فأفزعه ذلك»، فأرسل إليها فسألها فقال: «حبلت؟» قالت: نعم من مرغوش بدرهمين، وإذا هي تستهل بذلك لا تكتمه، فصادف عنده عليا وعثمان وعبد الرحمن بن عوف فقال: أشيروا علي، وكان عثمان جالسا، فاضطجع فقال علي، وعبد الرحمن: «قد وقع عليها الحد»، فقال: أشر علي، يا عثمان. فقال: قد أشار عليك أخواك. قال: أشر علي أنت. قال عثمان: «أراها تستهل به كأنها لا تعلمه، وليس الحد إلا علىٰ من علمه»، فأمر بها فجلدت مائة، ثم غربها، ثم قال: «صدقت والذي نفسي بيده ما الحد إلا علىٰ من علم».

قال البيهقي: «كان حدها الرجم، فكأنه ﵁ درأ عنها حدها للشبهة بالجهالة، وجلدها وغربها تعزيرا».

(١) عزاه لابن ابن عباس المصنف في الفتاوىٰ ٣/ ٤٤١، وابن القيم في روضة المحبين ص٤٤١، ولم أجده مسندا عنه.

وقد روىٰ عن أنس قال رسول الله ﷺ: «وجدت الحسنة نورا في القلب وزينا في الوجه وقوة في العمل ووجدت الخطيئة سوادا في القلب وشينا في الوجه ووهنا في العمل». =

وقد يكون الرجل ممن لا يتعمد الكذب لكن يعتقد اعتقادات باطلة كاذبة في الله أو في رسله أو في دينه أو عباده الصالحين، وتكون له زهادة، وعبادة، واجتهاد في ذلك فيؤثر ذلك الكذب الذي ظنه صدقًا وتوابعه في باطنه، ثم يظهر ذلك على وجهه فيعلوه من القترة والسواد ما يناسب حاله، كما قال بعض السلف: «لو ادَّهن صاحب البدعة كل يوم بدهان، إنَّ سواد البدعة لفي وجهه»(١).

وهذه الأمور تظهر يوم القيامة ظهورًا تامًا، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الزمر: ٦٠-٦١](٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٦-١٠٧].

= رواه أبو نعيم في الحلية ٢/ ١٦١، وقال: «غريب من حديث الحسن عن أنس لم نكتبه إلا من هذا الوجه، تفرد به عمرو بن قيس» أي عن أبي سفيان، عن عمر بن نبهان، عن الحسن.

وهذان مجهولان، وقال أبو حاتم: هذا حديث منكر (ميزان الاعتدال ٤/ ٥٣٢).

وروىٰ البيهقي في الشعب (٦٨٢٧) نحوه عن إبراهيم بن أدهم.

(١) لم أجده فيما بين يدي من مصادر، ونقله عبد العزيز آل معمر في منحة القريب المجيب في الرد علىٰ عباد الصليب ٢/ ٥٥٤، وقد صدر في مبحثه هذا عن المصنف.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٢/ ٥٥٤.

وفي هامش ظ حاشية فيها: وقال (وعلىٰ الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم).

قال ابن عباس وغيره[1]: «تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة»[2].

والمقصود أنَّ ما في القلوب[3] من قصد الصدق والمحبة والبر ونحو ذلك قد يظهر علىٰ الوجه حتىٰ يعلم ذلك علمًا ضروريًا من أبلغ العلوم الضرورية، وكذلك ما فيها من قصد الكذب والبغض والفجور وغير ذلك.

والإنسان يرافق في سفره من لم يره قط إلا تلك الساعة فلا يلبث مدة إذا رآه وسمع كلامه أن يعرف هل هو مأمون يطمئن إليه؟ أو ليس كذلك؟ وقد يشتبه عليه ذلك في أول الأمر، وربما غلط، لكن العادة الغالبة أنه يتبين ذلك بعد لعامة الناس، وكذلك الجار يعرف جاره، والمعامل يعرف معامله.

ولهذا لما شهد عند عمر بن الخطاب رجل فزكّاه آخر قال: هل أنت جاره الأدنىٰ تعرف مساءه وصباحه؟ قال: لا، قال: هل عاملته في الدينار والدرهم اللذَين تمتحن بهما أمانات الناس؟ قال: لا، قال: هل رافقته في السفر الذي ينكشف فيه أخلاق الناس؟ قال: لا، قال: فلست تعرفه.

وروي أنه قال: لعلك رأيته يركع ركعات في المسجد[4].

---

(١) في (ب): وغيره من السلف.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في التفسير ٣/ ٧٢٩، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ٧٩، والخطيب في تاريخ بغداد ٧/ ٣٩٠، وفيه مجاشع بن عمرو متروك الحديث، عن ميسرة بن عبد ربه – وهو متهم، عن عبدالكريم الجزري – وهو ضعيف الحديث– وقد سقط ميسرة من تفسير ابن أبي حاتم، وسقط عبدالكريم من تاريخ الخطيب.
وقد روي مرفوعا من حديث مالك عن نافع عن ابن عمر، رواه عنه مالك بن سليمان الهروي، وهو موضوع علىٰ مالك (انظر: تفسير القرطبي ٤/ ١٦٧).

(٣) في (ب): القلب.

(٤) رواه البيهقي في السنن الكبير (١٠/ ١٢٥)، والخطيب في الكفاية (ص٨٣) =

وذلك أن المنافق قد يظهر الصلاة فمن لم يخبره لا يعرف باطن أمره كما قيل:

ذئب تراه مصليا ... فإذا مررت به ركع

يدعو وجل دعائه ... ما للفريسة لا تقع

وإذا الفريسة[1] خيلت ... ذهب التنسك والورع[2]

فإذا كان كذلك فمن نبأه الله واصطفاه لرسالته كان قلبه من أفضل القلوب صدقًا وبرًّا، ومن افترىٰ علىٰ الله الكذب كان قلبه من شر القلوب كذبًا وفجورًا، كما قال عبد الله بن مسعود: «إنَّ الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لرسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد

= والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٤٥٤)، عن خرشة بن الحر قال: شهد رجل عند عمر بن الخطاب رضىٰ الله عنه بشهادة فقال له: لست أعرفك ولا يضرك أن لا أعرفك ائت بمن يعرفك. فقال رجل من القوم: أنا أعرفه قال: بأىٰ شىٰء تعرفه؟ قال: بالعدالة والفضل. فقال: فهو جارك الأدنىٰ الذىٰ تعرف ليله ونهاره ومدخله ومخرجه؟ قال: لا.
قال: فمعاملك بالدينار والدرهم اللذين بهما يستدل علىٰ الورع؟ قال: لا. قال: فرفيقك فىٰ السفر الذىٰ يستدل به علىٰ مكارم الأخلاق؟ قال: لا. قال: لست تعرفه ثم قال للرجل: ائت بمن يعرفك.
وفي الإسناد الفضل بن زياد عن شيبان، قال الذهبي في المغني: لا يعرف، وقال في الميزان (٣/ ٣٥١): «وهو البغدادي بياع الطساس، قد وثقه أبو زرعة، وحدث عنه، يروىٰ أيضا عن عباد بن عباد، وخلف ابن خليفة، وقال العقيلي: فيه نظر، يروىٰ عن شيبان». قلت: فالإسناد حسن، وانظر: كشف الخفاء ١/ ٤٥٣، إرواء الغليل ٨/ ٢٦٠، والله أعلم.

(١) في (ب): الفرصة.

(٢) أنشدها أبو بكر الطرطوشي في سراج الملوك (ص٥١) والبيت الثالث عنده:

عجل بها يا ذا العلا ... إن الفؤاد قد انقطع.

قلوب أصحابه خير قلوب العباد فاختارهم الله[1] لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فما رآه المؤمنون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رآه المؤمنون سيئًا فهو عند الله سيئ»[2].

وقال عبد الله بن مسعود: «من كان منكم مستنًا فليستنَّ بمن قد مات، فإن الحيَّ لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد أبرُّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه(ظ١٦٦)، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[3].

وإذا كان من أعظم بل أعظم أهل زمانه صدقًا وبرًّا فإنه لا بد أن يظهر على فلتات لسانه وصفحات وجهه ما يناسب ذلك، كما أن الكاذب الكافر لا بد أن يظهر على وجهه وفلتات لسانه ما يناسب ذلك، وهذا يكون تارة حين إخباره[4] بما يخبر به، وتارة موجودًا في غير تلك الحال، فإنَّ الرجل إذا جاء وقال: إن السلطان أو الأمير أو الحاكم أو الشيخ أو فلانا أرسلني إليكم بكذا، فإنه قد يقترن بنفس إخباره من كيفيته وحاله ما يعلم به أنه صادق أو كاذب، وإن كان معروفًا قبل ذلك بالصدق أو الكذب كان ذلك دلالة أخرى، وقد يكون ممن يكذب، ولكن يعرف أنه صادق في ذلك الخبر، دع من يستمر على خبر واحد بضعًا وعشرين سنة مع أصناف الناس، واختلاف أحوالهم.

---

(١) لفظ الجلالة من الأصل (ظ).

(٢) رواه أحمد في المسند (٣٦٠٠) بإسناد حسن.

(٣) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ٩٧)، والهروي في ذم الكلام (ص١٨٨) وإسناده منقطع لأنه من رواية قتادة عن ابن مسعود. ورواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠٥) من قول ابن عمر.

(٤) في (ب): أخبر بما.

ومما ينبغي أن يُعلم أنَّ الناس تختلف أحوالهم في المعرفة، والخبرة، والنظر، والاستدلال في جميع المعارف[1]، فقد يتفطن الإنسان لدلالة لا يتفطن لها غيره، وقد يتبين له ما يخفىٰ علىٰ غيره، حتىٰ الأنبياء يتفاضلون، كما قال تعالىٰ: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا﴾ [الأنبياء: ٧٨ - ٧٩][2].

والمقصود أن العلم بصدق الصادق، وكذب الكاذب كغيرهما من المعلومات قد يكون ضروريا[3]، وقد يكون كسبيًا[4] نظريًا، وهو ليس من الضروريات الكلية الأولية، كالعلم بأنَّ الواحد نصف الاثنين، بل من العلم بالأمور المعينة كالعلم بحمرة الخجل، وصفرة الوجل، وعدل العادل، وظلم الظالم، ونحو ذلك مما يعرفه الخبير بذلك علما ضروريًا، وإذا كان استدلاليا فالعلم[5] لا يحصل بمجرد وجود الدليل في نفسه، بل لا بد من معرفة القلب

---

(١) بدلها في هامش (ب): أحوال الأمور. وكتب فوقها: كذا.

(٢) الشاهد أنه خفي القضاء علىٰ داود وعلمه سليمان، قال الزهري: «وكان قضاء داود وسليمان في ذلك أن رجلا دخلت ماشيته زرعا لرجل فأفسدته، ولا يكون النفوش إلا بالليل، فارتفعا إلىٰ داود، فقضىٰ بغنم صاحب الغنم لصاحب الزرع، فانصرفا فمرا بسليمان، فقال: بماذا قضىٰ بينكما نبي الله؟ فقالا قضىٰ بالغنم لصاحب الزرع، فقال: إن الحكم لعلىٰ غير هذا، انصرفا معي! فأتىٰ أباه داود، فقال: يا نبي الله، قضيت علىٰ هذا بغنمه لصاحب الزرع؟ قال نعم. قال: يا نبي الله، إن الحكم لعلىٰ غير هذا، قال: وكيف يا بني؟ قال: تدفع الغنم إلىٰ صاحب الزرع، فيصيب من ألبانها وسمونها وأصوافها، وتدفع الزرع إلىٰ صاحب الغنم يقوم عليه، فإذا عاد الزرع إلىٰ حاله التي أصابته الغنم عليها، ردت الغنم علىٰ صاحب الغنم، ورد الزرع إلىٰ صاحب الزرع، فقال داود: لا يقطع الله فمك، فقضىٰ بما قضىٰ سليمان» (تفسير الطبري ١٨/ ٤٧٩).

(٣) في (ب): من المعلومات علما ضروريا.

(٤) ليست في (ل، ب).

(٥) في (ب، د): فالمعرفة بالعلم. في (ل): كالمعرفة بالعلم.

به، والناس متفاوتون في ذلك، والدليل أبدا هو ما استلزم المدلول، فكل ما كان مستلزما للشيء كان دليلا عليه، لكن لا بد من معرفته، ومعرفة أنه مستلزم ثم إذا حصل العلم صار ضروريًا، وقد يكون ضروريًا بلا واسطة دليل معين، وليس العلم بالمعينات كالعلم بصدق هذا وكذب هذا مما يحتاج فيه إلىٰ القياس الشمولي[١]، فإن ذلك إنما يفيد بتوسط قضية كُلية، والمعينات قد لا يحتاج فيها إلىٰ ذلك، وإن كان لا بد فيها من خبرة بحال ذلك المعين.

وإذا كان القائل: إني رسول الله، إما أن يكون من خيار الناس، وأصدقهم، وأبرهم، وأفضلهم، وإمَّا أن يكون من شرار الناس، وأكذبهم، وأفجرهم، والفرق بين هذين يكون من وجوه كثيرة لا يكاد ينضبط كل منها يعرف به صدق هذا وكذب هذا، وكانت المعرفة بذلك قد تحصل عند سماع خبر هذا وخبر هذا، ورؤية وجهه، وسماع كلامه، وما يلزم ذلك ويقترن به من بهجة الصدق ونوره، ومن ظلمة الكذب وسواده وقبحه، يبين[٢] بذلك أنَّ كثيرًا من الناس يحصل لهم علم ضروري بأنَّ هذا النبي صادق، وهذا المتنبي كذاب بمثل ذلك، من قبل أن يروا خارقا للعادة[٣].

وقول بعض المتكلمين: ما لم يكن خارقًا للعادة فلا اختصاص للنبي به فلا يدل، يقال له[٤]: لفظ خرق العادة لفظ مجمل، فإنَّ نفس دعوىٰ

---

(١) أطال المصنف الحديث عن القياس الشمولي في الرد علىٰ المنطقيين ص١١٩، والنبوات ٢/ ٧٢٥-٧٢٦.

(٢) في (ب، ل): تبين.

(٣) هنا في هامش ظ: منفصلا عنه، وفوقها خ.

(٤) انظر النبوات للمصنف ١/ ١٧٠ . ثم انظر مناقشة المصنف للأشاعرة والباقلاني خاصة في تعريف المعجزة ١/ ٤٨٤، ٥٤٤.

النبوة صدقًا وكذبًا ليس هو أمرًا معتادًا، ولم يقع هذا إلا في أفراد من العالمين[١]، وهو أقل بكثير من الإخبار بالمعينات[٢]، فإن هذا أكثر في الوجود من دعوىٰ النبوة، إذ كل نبي يخبر بالمغيبات، وليس كل من أخبر بها كان نبيًا، وهؤلاء (١٦٦) الذين يقولون هذا يقول أكثرهم أو كثير منهم: إنَّ دعوىٰ النبوة والتحدي والمعجز مجموعها هو المختص بالنبي، وإلا فهم يقولون: إن ما كان معجزة لنبي جاز أن يظهر علىٰ يدي ولي أو ساحر، وإنما يفرق بينهما[٣] التحدي وعدم المعارضة.

ومنهم من ينكر خرق العادات أن يظهر علىٰ يد غير نبي، ومنهم من لا يفرق بين الولي والساحر إلا ببر هذا وفجور هذا، ومنهم من يطرد ذلك في النبي لا سيما متفلسفة اليونان منهم[٤]، فإنهم من أجهل الناس بأمر النبوة، إذ كانوا لم يأخذوها من العلم بصدق الأنبياء، وما جاءوا به من الآيات والبراهين والعلم بصفاتهم، وإنما أخذوها من القياس علىٰ المنامات، فجوزوا فيها مثل ما يجوز علىٰ النائم من الأحلام والتخييل، وما يصيب أهل المرة السوداء مما يشبه ذلك.

وهذا هو الموجود في عامة أتباع أرسطو، ولكن متأخروهم كابن سينا ضم إلىٰ ذلك تصرفه في هيولي[٥] العالم، لما بلغه من خوارقهم الفعلية التي لم يكن

---

(١) في (ب، ل): العالم.

(٢) كذا في الأصل ظ، وتحت العين علامة الإهمال. وفي (ب، ل، د): المغيبات. وكلاهما صحيح في المعنىٰ. إلا أنه سيأتي بعد قليل بالغين.

(٣) هامش الأصل ظ: «نسخة: دعوىٰ النبوة مع».

(٤) ليست في (ب، ل).

(٥) الهيولىٰ: مقصورا، وقد تشدد الياء، هو القطن، شبه الحكماء طينة العالم به، لأن الهيولىٰ أصل لجميع الصور كما أن القطن أصل لأنواع الثياب. =

يعرفها أولئك، إذ كان علم أرسطو هو بما كان يعلمه قومه من اليونان[1]، وهم أمة من أولاد يافث[2] لم يكن فيهم ما في أولاد سام كهود، وصالح، وغيرهما، ثم أولاد إبراهيم الخليل الذي وعده أن يجعل في ذريته النبوة والكتاب حتىٰ يكون علم النبوة مشهورًا فيهم، والله تعالىٰ من زمن الخليل جعل[3] في ذريته النبوة والكتاب، كما أخبر بذلك في القرآن، وهم[4] ليسوا من ذريته[5]، ولا كانوا خبيرين بأحوال ذريته.

وقد ذكر طائفة منهم -كمحمد بن يوسف العامري، وصاعد بن صاعد الأندلسي- أنَّ أساطينهم الأربعة[6]: ابندقليس، ثم فيثاغورس، ثم سقراط، ثم أفلاطن، قدموا الشام، واستفادوا من بني إسرائيل، ولهذا لم يكن في هؤلاء مَن قال بقدم العالم بخلاف أرسطو[7]، قالوا: فإنَّه لم يقدم الشام[8].

= وأطال الزبيدي الحديث عنه، ونقل عن بعضهم أن المصطلح اصله يوناني (تاج العروس ٣١/ ١٧٤).

وقال: قال الحكماء: الجوهر إن كان حالا في آخر فصورة، وإن كان محلا لها فهيولىٰ، وإن كان مركبا منهما فجسم، وإلا فإن كان متعلقا بالجسم تعلُّقَ التدبير والتصرف فنفس، وإلا فعقل (تاج العروس ٣١/ ١٧٤، وانظر: التعريفات للجرجاني ٢٥٧).

وقد سبق للمصنف ذكره في هذا الكتاب في أكثر من موضع، منها: عند حديثه عن المثل الأفلاطونية، فلتراجع.

(١) في (ب، ل): اليونانيين.

(٢) تصحفت في الأصل ظ: ثافت

(٣) في (ب، ل، د): وقد جعل الله تعالىٰ من زمن الخليل في ذريته..

(٤) في هامش ظ حاشية: «يعني الفلاسفة». وقد ثبتت هذه الحاشية في متن النسخة (د).

(٥) في (ب، ل، د): لم يكونوا من ذريته.

(٦) في (ب، ل): خمسة، ثم أربعة منهم.

(٧) وهو خامس الأساطين منهم.

(٨) انظر: الرد علىٰ المنطقيين ص٣٣٧، الصفدية ١/ ٢٣٦.

وذكر هؤلاء -كمحمد بن يوسف العامري[1] وغيره-: أنَّ أول من لقب بالحكمة لقمان[2]، وأن ابندقليس استفاد منه، ومن أتباع داود عليه السلام - فإنه كان في زمن داود- وإذا كان هذا قول هؤلاء النظار من أهل الكلام والفلسفة[3]، فمجرد خارق العادة عندهم ليس وحده مستلزمًا للنبوة حتىٰ يكون وحده دليلاً، بل لا بد أن ينضم إلىٰ ذلك التحدي وعدم المعارضة.

ولهذا لما اختلف قول طائفة منهم -كأبي الحسن وأتباعه-: هل يجوز ظهور الخارق علىٰ يد الكاذب؟ فقيل: لا يجوز لأنه علم النبوة، فيمتنع أن يتخلف عنه مدلوله كسائر الأدلة، وقيل: بل يجوز، ولكن الله لا يفعله.

ثم قيل: لأنه يستلزم عجزه عن تصديق الرسول إذ لا طريق لنا إليه إلا المعجز عندهم.

وقيل: بل هو مقدور ممكن، ولكن نحن نعلم اضطرارا أنه لا يفعله مثل كثير مما يُمكن في العادة، ونعلم أن الله لا يفعله.

وجمع من جمع بين القولين وقال: مجموع ما يدل علىٰ النبوة -وهو الخارق السالم عن المعارض (مع التحدي)[4]- يمتنع أن يكون لغير نبي بخلاف جنس الخارق.

فقيل له: هذا الامتناع إمَّا أنْ يكون عاديًّا، وإما أن يكون لاستلزامه العجز

---

(١) عده الشهرستاني في الملل والنحل (٣/ ٣) من فلاسفة الإسلام المتأخرين ممن سلك طريقة أرسطوطاليس.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٨٠.

(٣) ليست في (ب). وفي (ل): وأهل الكلام والفلسفة.

(٤) ليس في (ل، ب)، ولا بد منه لتصحيح الجمع بين القولين.

عن تصديق النبي، وذلك ممتنع فإنما ممتنعا لاستلزامه أمرا ممتنعا[1]، وإذا كان انقلاب العادة[2] ليس عندك ممتنعا فلا بد لك من ذلك الجواب، وهو: القول بأنا نعلم ضرورة أن ذلك لم يكن، ثم إذا قلت: إن هذا علم ضروري، وإن العلم بدلالتها علىٰ الصدق أمر ضروري كالمثل الذي ضربته في إرسال الملك رسولا، وقول رسوله: إن كنت صادقا فغير عادتك بقيامك ثم قعودك، ففعل ذلك عقب سؤال الرسول، فإن ذلك يوجب (ظ١٦٨) العلم الضروري بصدق الرسول.

وقيل لك: الملك يعلم عادته، ويعلم أنه فعل ذلك للتصديق، والرب عندك لم يخلق شيئا لشيء؟ فقلت: بل يخلقه شيئا مقارنا لشيء كالعاديَّات[3]، وهذا منها.

فقيل لك: العاديَّات قد تكررت؟ فقلت: قد نعلم ذلك بلا تكرر، وجعلت ذلك من باب الدلالة الوضعية كدلالة اللفظ علىٰ قصد المتكلم.

وقلت: قد نعلم قصده اضطرارا من غير سبق مواضعة، وهذه العلوم الضرورية التي ذكرت أنه يعلم بها صدق الرسول -وإن كانت حقًّا- فجمهور الناس يقولون: إنك لم تقر بلوازمها من كونه يفعل لأجل كذا، ويقولون: القول بأنه خلق المعجزة لقصد[4] التصديق مع القول بأنه لا يخلق شيئا لأجل شيء تناقضًا.

فقلت: لا يشترط في العلم الضروري العلم بأنه يفعل كذا لأجل كذا.

---

(١) كذا في الأصل (ظ)، وفي (ب، ل): فإذا كان ممتنعا لاستلزامه أمرا ممتنعا. وفي (د): وذلك ممتنع فإنما كان ممتنعا لاستلزامه أمرا ممتنعا.

(٢) في الأصل ظ: السعادة، وهو تصحيف.

(٣) حك الياء في (ب) فصارت: العادات، وكذا في الموضع الآتي حيث اتفقت معه (ل).

(٤) في (ب): بقصد.

فقيل لك: هب أنه كذلك لكن لا يحصل العلم الضروري مع العلم بما يناقضه.

والمقصود أن ما يذكره هؤلاء وأمثالهم من النظار -بل وعامة الناس- هم فيما يثبتونه من العلم والحقائق المعلومة أسد منهم وأصوب فيما ينفونه، فإن الإنسان بما[١] يثبته أعلم منه بما ينفيه، وشهادته علىٰ الإثبات أقوىٰ من شهادته علىٰ النفي، وإن كان النفي قد يكون معلومًا لكن غلط الناس فيما ينفونه ويكذبون به أكثر من غلطهم فيما يثبتونه ويصدقون به، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس: ٣٩].

ولهذا تجد من سلك طريقًا من الطرق إمَّا في إثبات العلم بالصانع، وإما في العلم بالنبوة، أو العلم بالمعاد أو غير ذلك، واحد يقول: لا طريق إلا هذا الطريق، يخطئ في النفي أكثر من خطئه في الإثبات، ومنهم هؤلاء، فإنهم قد ينفون من العلم والطرق ما يعلمه غيرهم بالاضطرار، ويثبتون ما يقولون إنه معلوم بالاضطرار، وقد يكون غيرهم أصوب[٢] فيما يثبته منهم فيما ينفونه، بل وفيما يثبتونه.

ولهذا[٣] الذين اتفقوا علىٰ[٤] أنه لا طريق إلا المعجزات تنوعوا في وجه دلالتها، فيثبت هؤلاء وجها يستدلون به، وينفون طريق غيرهم، وبالعكس، فإذا قالوا: ما سوىٰ الخارق للعادة ليس بمختصٍ بالنبي فلا يدل علىٰ نبوته.

قيل لهم: الدليل هو الذي يكون مستلزمًا للمدلول يلزم من تحققه تحقق

---

(١) في (ب، ل): لما.

(٢) ليست في (ب).

(٣) حاشية ظ: «كان». زادها الناسخ للبيان لا أنها من صلب الكتاب.

(٤) ليست في (ب، ل).

المدلول، ولفظ «الخارق للعادة» فيه إجمال كما تقدم، وحينئذ فنفس إنباء الله للنبي، واصطفائه لرسالته، وإقداره علىٰ التلقي من الملك، هو من خوارق العادات، وذلك من المعجزات التي أعجز الله جميع[1] الخلق أن يفعلوه، وهو مختص بالأنبياء، وهذا الوصف أجل وأعظم قدرًا من غيره من الخوارق، والمستلزم لهذا الخارق لا يكون إلا خارقًا، وهو الدليل، إذ يلزم من ثبوت الملزوم ثبوت اللازم، ومن انتفاء اللازم انتفاء الملزوم، والمعتاد الذي يوجد بدون النبوة لا يكون دليلاً، وأمَّا ما لا يوجد إلاَّ إذا وجدت النبوة فهو دليل.

فقد تبين أنَّ كل ما يدل علىٰ صدق الرسول -وهو خارق للعادة- يكون آية ونبوة علىٰ صدقه، وأمَّا ما كان خرقًا للعادة ولا يستلزم النبوة فليس دليلاً، وقد يكون الشيء معتادًا بدون النبوة، ومع النبوة يكون خرقًا للعادة؛ بحيث يكون وجوده مع النبوة خرقا للعادة (بخلاف وجوده)[2] مجردًا عنها؛ لأن النبوة خرق للعادة، فلا يكون مستلزمًا لها إلا خارق للعادة.

فقول القائل: «لا نعلم صدقه إلا بالمعجزة، وهو الخارق للعادة» إن أراد به المعنىٰ العام -وهو ما يستلزم صدقه- بطل تخصيصه ذلك بما يخلق منفصلا عنه من الآيات، وإن أراد بذلك نوعًا مخصوصًا مع اشتراك الجميع في الدلالة ظهر بطلان (ظ١٦٩) قوله[3].

وأما ما يوجد بدونها كما يوجد معها -كالأمور التي تكون للصادق في دعوىٰ النبوة والكاذب في دعوىٰ النبوة- فهذه لا تدل، وما يظهره الله تعالىٰ علىٰ يد النبي من الأنواع التي بها يُعرف صدقه، ليس فيها شيء يكون للكاذب.

---

(١) ليست في (ب، ل).
(٢) سقط من (ب)، واستدركه لحقا في (ل).
(٣) في (ب): نفسه. وفي (ل): نفيه.

بل الكاذب لا يكون له من الأدلة إلا ما يستلزم كذبه، فكل ما يدل علىٰ كذب الكاذب لا يدل علىٰ صدق الصادق، وبالعكس، فإن دليل الكذب مستلزم له، ودليل الصدق مستلزم له، وهما ضدان يمتنع أن يكون مدعي النبوة نبيًا صادقًا ومتنبئًا كاذبًا، والضدان لا يجتمعان، فيمتنع أن يكون شيء[1] واحد يدل علىٰ الضدين.

(فتبين أن دليل الصدق يمتنع أن يدل علىٰ الكذب، ودليل الكذب يمتنع أن يدل علىٰ الصدق)[2]، وهذه القاعدة ينتفع بها في مواضع:

منها: أنَّ كثيرًا من الناس إذا رأوا الكاذب وسمعوا كلامه تبين لهم كذبه، تارة بعلم ضروري، وتارة بعلم استدلالي، وتارة بظن قوي، وكذلك النبي الصادق إذا رأوه وسمعوا كلامه فقد يتبين لهم صدقه بعلم ضروري أو نظري، وقد يكون أولاً بظن قوي، ثم يقوىٰ الظن حتىٰ يصير يقينًا، كما في المعلوم بالأخبار المتواترة والتجارب، فإنَّ خبر الأول يفيد نوعًا من الظن، ثم يقوىٰ بخبر الثاني والثالث حتىٰ يصير يقينًا.

وهذا الطريق سلكها طوائف من الناس، وممن نبه علىٰ ذلك القاضي عياض.

قال[3]: «إذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمنا من جميل أثره، وحميد سيره[4]، وبراعة علمه، ورجاحة عقله وحلمه، وجملة كماله، وجميع خصاله، وشاهد حاله، وصواب مقاله، لم يمتر في صحة نبوته، وصدق دعوته»[5].

---

(١) ليست في (ب).
(٢) ما بين القوسين ليس في (ب، ل).
(٣) في (ب، ل): قال القاضي عياض.
(٤) غيرها في (ب) إلىٰ: سيرته.
(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ (١/ ٢٤٧).

قال: «وقد كفىٰ هذا غير واحد في إسلامه، والإيمان به.

فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما، بأسانيدهم، أنَّ عبد الله بن سلام قال: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جئته لأنظر إليه، فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب».

رواه غير واحد كعبد الوهاب الثقفي، ومحمد بن جعفر، وابن أبي عدي، ويحيىٰ بن سعيد، عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي، عن زرارة بن أوفىٰ، عن عبد الله بن سلام[1].

وعن أبي رمثة البلوي قال: أتيت النبي ﷺ ومعي ابن لي فأُريته فلما رأيته قلت: هذا نبي الله[2].

---

(١) رواه أحمد (٢٣٧٨٤)، والدارمي (١٥٠١)، والترمذي(٢٤٨٥)، وابن ماجه(١٣٣٤)، وإسناده صحيح.
وتتمته: فكان أول شيء سمعته تكلم به، أن قال: «يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل، والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام».

(٢) رواه أحمد (٧١٠٩)، وإسناده صحيح، ولفظه: عن أبي رمثة، قال: انطلقت مع أبي نحو رسول الله ﷺ، فلما رأيته قال لي أبي: هل تدري من هذا؟ قلت: لا، فقال لي أبي: هذا رسول الله ﷺ، فاقشعررت حين قال ذاك، وكنت أظن رسول الله ﷺ شيئا لا يشبه الناس فإذا بشر له وفرة، عليه ثوبان أخضران، فسلم عليه أبي، ثم جلسنا، فتحدثنا ساعة، ثم إن رسول الله ﷺ قال لأبي: «ابنك هذا؟» قال: إي ورب الكعبة، قال: «حقا؟» قال: أشهد به، فتبسم رسول الله ﷺ ضاحكا من ثبت شبهي في أبي، ومن حلف أبي علي، ثم قال: «أما إنه لا يجني عليك، ولا تجني عليه»، قال: وقرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، قال: ثم نظر إلىٰ مثل السلعة بين كتفيه، فقال: يا رسول الله، إني كأطب الرجال، ألا أعالجها لك؟ قال: «لا، طبيبها الذي خلقها».

وروىٰ مسلم[1] وغيره عن ابن عباس أنَّ ضمادًا قدم مكة، وكان من أزد شنوءة، وكان يرقىٰ من هذا الريح، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمدًا مجنون، فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه علىٰ يدي، قال: فلقيه فقال: يا محمد إني أرقي من هذه الريح، وإن الله يشفي علىٰ يدي من شاء الله، فهل لك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن[2] محمدًا عبده ورسوله، أما بعد.

فقال: أعد علي كلماتك هؤلاء. فأعادهن رسول الله ﷺ ثلاث مرات، قال: فقال: لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت بمثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن قاموس البحر، هات يدك أبايعك علىٰ الإسلام، فبايعه، فقال رسول الله ﷺ: وعلىٰ قومك. قال: وعلىٰ قومي» الحديث[3].

وقال جامع بن شداد: كان منا رجل يقال له طارق فأخبر أنه «رأىٰ النبي ﷺ بالمدينة فقال: هل معكم شيء تبيعونه؟ قلنا: هذا البعير، قال: بكم؟ (ظ ١٧٠) قلنا: بكذا وكذا وسقًا من تمر، فأخذ بخطامه وسار إلىٰ المدينة فقلنا: بعنا من رجل لا ندري من هو، ومعنا ظعينة[4]، فقالت: أنا ضامنة لثمن البعير، رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر، لا يخيس بكم.

---

(١) في (ب، ل): مسلم في صحيحه.
(٢) في (ب): وأن.
(٣) رواه مسلم في الصحيح (٨٦٨).
(٤) هامش (ب): أي امرأة.

فأصبحنا فجاء رجل بتمر فقال: أنا رسول رسول الله إليكم يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتىٰ تستوفوا، ففعلنا»(١).

وفي خبر الجُلَنْدَىٰ -ملك غسان-(٢) لما بلغه رسول رسول الله ﷺ يدعوه إلىٰ الإسلام فقال الجُلَنْدي: والله لقد دلني علىٰ هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، ولا ينهىٰ عن شر إلا كان أول تارك له، وأنه يغلب فلا يبطر، ويُغلب فلا يضجر، ويفي بالعهد، وينجز الموعود، وأشهد أنه نبي(٣).

وقال نفطويه في قوله: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥]: هو مثل ضربه الله لنبيه، يقول: يكاد منظره يدل علىٰ نبوته، وإن لم يتل قرآنا، كما قال ابن رواحة:

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... كانت بديهته تأتيك(٤) بالخبر»(٥)

قلت: وإيمان خديجة وأبي بكر وغيرهما من السابقين الأولين كان قبل انشقاق القمر، وقبل إخباره بالغيوب، وقبل تحديه بالقرآن، لكن كان بعد سماعهم القرآن الذي هو نفسه آية مستلزمة لصدقه، ونفس كلامه وإخباره بأني رسول الله مع ما يعرف من أحواله مستلزم لصدقه، إلىٰ غير ذلك من آيات الصدق وبراهينه، بل خديجة قالت له: «كلا، والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلَّ، وتَقري الضيف، وتكسب

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (١/ ٤١٠)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٨١) وابن حجر في تغليق التعليق (٣/ ٢٣٨) وإسناده حسن (انظر: جامع المسانيد ٤/ ٣٩٣).

(٢) ما بين الحاصرتين ليس في (ب).

(٣) ذكره ابن حجر في الإصابة (١/ ٦٣٧).

(٤) في (ل): تنبيك.

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ١/ ٢٤٩.

المعدوم، وتعين على نوائب الحق»[1]، فكانت عارفة بأحواله التي تستلزم نفي كذبه وفجوره وتلاعب[2] الشيطان به.

وأبو بكر كان من أعقل الناس وأخبرهم، وكان معظمًا في قريش لعلمه وإحسانه وعقله، فلما تبين له حاله علم علما ضروريًّا أنه نبي صادق، وكان أكمل أهل الأرض يقينًا علما وحالا.

وكذلك هرقل ملك النصارى لما أرسل إليه النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام، سأل عن عشر خصال[3]، كما في الصحيحين عن ابن عباس قال: حدثني أبو سفيان بن حرب من فيه إلى فيِّ، قال: «انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله ﷺ قال: فبينا أنا بالشام إذ جيء بكتاب من رسول الله ﷺ إلى هرقل.

قال: وكان دحية الكلبي جاء به فدفعه إلى عظيم بُصرى فدفعه عظيم بُصرى إلى هرقل.

فقال هرقل: هل هاهنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قالوا: نعم، قال: فدُعيت في نفر من قريش فدخلنا على هرقل فأجلسنا بين يديه، فقال: أيكم أقرب نسبًا من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قال أبو سفيان: فقلت: أنا، فأجلسوني بين يديه، وأجلسوا أصحابي خلفي (فدعا بترجمانه)[4] فقال: قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، فإن كذبني فكذبوه.

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٣)، ومسلم في الصحيح (١٦٠).

(٢) في (ب، ل): تلعب.

(٣) في (ب، ل): عشرة خصال.

(٤) ليست في ب.

قال أبو سفيان: وأيم الله لولا مخافة أن يؤثر علي الكذب لكذبت عليه.

ثم قال لترجمانه: سله كيف حسبه فيكم؟ قال: قلت: هو فينا ذو حسب،

قال: فهل كان من آبائه من[1] ملك؟ قلت: لا.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا.

قال: ومن اتبعه؟ أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم.

قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: لا بل يزيدون.

قال: فهل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه، سخطة له؟ قال: قلت: لا.

قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم.

قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قال: قلت: تكون الحرب بيننا (ظ١٧١) وبينه سجالا، يصيب منا، ونصيب منه.

قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها، قال: فوالله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئًا غير هذه.

قال: فهل قال هذا القول أحد قبله؟ قال: قلت: لا.

قال لترجمانه: قل له: إني سألتك عن حسبه، فزعمت أنه فيكم ذو حسب، وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها، وسألتك: هل كان من آبائه من ملك؟ فزعمت أن لا، فقلت: لو كان من آبائه ملك قلت: رجل يطلب ملك آبائه.

---

(١) ليست في (ب، ل).

وسألتك عن أتباعه: أضعفاؤهم أم أشرافهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل.

وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا، فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب علىٰ الناس ثم يذهب ويكذب علىٰ الله.

وسألتك: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له؟ فزعمت أن لا، فكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب.

وسألتك: هل يزيدون أم ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتىٰ يتم.

وسألتك: هل قاتلتموه؟ فزعمت أنكم قد قاتلتموه فتكون الحرب بينكم وبينه سجالا، ينال منكم وتنالون منه، وكذلك الرسل تبتلىٰ ثم تكون لها العاقبة.

وسألتك: هل يغدر؟ فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر.

وسألتك: هل قال هذا القول أحد قبله؟ فزعمت أن لا، فقلت: لو قال هذا القول أحد قبله قلت: رجل ائتم بقول قيل قبله.

ثم قال: بم يأمركم؟ قلت: يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف، قال: إن يكن ما تقول فيه حقًّا إنه لنبي(١)، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم، ولو أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، وليبلغنَّ ملكه ما تحت قدمي».

---

(١) في (ب، ل): نبي.

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلىٰ هرقل عظيم الروم، سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية[1] الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]»[2].

وفي رواية: «فماذا يأمركم به؟ قال: يأمرنا أن نعبد الله وحده، ولا نشرك به شيئا، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وقال: فهذه صفة نبي»[3].

وما استدل به[4] هرقل من العلم بصفاته هو استدلال علىٰ عينه فإن الناس في النبوة علىٰ[5] درجات:

١ -منهم من يحتاج إلىٰ أن يعلم جنس النبوة، فيصدق بجنس الرسل من البشر، ولا يكذب بالجنس كما كذب بذلك من كذب به من قوم نوح وعاد وثمود، وغيرهم.

---

(١) هامش (ف): الدعاية علىٰ وزن الشكاية مصدر دعا يدعو فهو بمعنىٰ الدعوة، والأريس بوزن الجليس الأكار أي الزارع..، والأريسيين جمع أريس أي الأتباع وفيها لغات.
(٢) رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).
(٣) رواه البخاري (٢٦٨١).
(٤) في (ب): ملك النصارىٰ هرقل.
(٥) كتب في ظ ثلاث ثم ضرب عليها.

ولهذا يقول تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣]، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٤١]، لأنَّ تكذيبهم لم يكن لشخص واحد بل كانوا مكذبين لجنس الرسل.

وهؤلاء يخاطبهم الله تعالىٰ في السور المكية، كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ٩١]، فاحتج بإنزال كتاب موسىٰ لما تواتر في خبره من الآيات الباهرات الدالة علىٰ صدقه، والإنجيل تبع للتوراة، ثم قال: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام: ٩٢]، لما قام من الآيات الدالة علىٰ نزوله.

ولهذا يذكر سبحانه في السور المكية من تثبيت أمر الرسل(ظ١٧٢) وآياتهم، وبراهينهم ونصرهم وحسن عاقبتهم، ومن ضلال مخالفيهم، وجهلهم، وغيهم، وخذلانهم، وسوء عاقبتهم ما فيه عبرة.

٢-ومن الناس من يقر بالرسل في الجملة، لكن لا يؤمن بما يجب من حقيقة إرسالهم، كالملاحدة وأهل البدع الذين يعظمون الأنبياء مع اعتقادهم في الباطن ما يناقض بعض ما جاءوا به لشبهات انعقدت في قلوبهم ظنوها علومًا عقلية، وهي مناقضة لما أخبرت به الرسل، فيحتاجون إلىٰ أن يوفقوا بينهما.

وهؤلاء يشبهون الذين قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا

﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٠-٦٣].

وقد أخبر الله أنه جعل للأنبياء من يعاديهم من الإنس والجن، فقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كلمات[1] رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

وهؤلاء الذين عندهم ما يناقض بعض ما أخبرت به الرسل هم ثلاثة أصناف:

-أهل التخييل من الملاحدة المتفلسفة والباطنية، الذين يقولون: إن الرسل أخبروا من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر بما يخالف الحق في نفس الأمر ليخيلوا إلىٰ الجمهور ما ينتفعون به، ويعدون هذا من فضائل الرسل، وقد بسط الرد علىٰ هؤلاء في غير موضع.

---

(١) كذا بالجمع، وهي قراءة من سوىٰ الكوفيين ويعقوب (النشر ٢/ ٢٦٢).

-وأهل التحريف والتأويل: الذين يؤولون كلامهم علىٰ ما يخالف مرادهم، ويزعمون أنهم أرادوا ذلك المعنىٰ مع أنه ليس في كلامهم ما يدل علىٰ إرادة ذلك المعنىٰ، بل كلامهم يدل علىٰ إرادة خلافه.

-وأهل التجهيل: الذين يقولون ذلك الكلام ليس له معنىٰ يعلمه الرسول، ولا غيره، وإنما يعلمه الله وحده.

وهذان القولان يقول بكل منها طوائف معظمون للرسل، وقد بُيِّن فسادهما في غير هذا الموضع(١).

وأما من قال: إن الرسل وغيرهم يعلمون المعنىٰ الذي بينه الله لهم بكلامه، ولكن استأثر الله بعلم أمر آخر لا يعلمونه كما استأثر بعلم غيب الساعة، فهذا قول السلف والأئمة، وبسط هذا له موضع آخر.

والمقصود هنا: أنّ الكلام في النبوات تارة في جنسها، وتارة في شخص النبي المعين، وهرقل ملك الروم لم يكن محتاجا إلىٰ الإيمان بجنس النبوات فإنه كان من أهل الكتاب، وأهل الكتاب يقرون بجنس النبوة، فإنهم يقرون بنبوة نوح والخليل وموسىٰ وأنبياء بني إسرائيل، والنصارىٰ تقر مع ذلك بالمسيح والإنجيل.

والذين يحتاجون إلىٰ معرفة النبي المعين نوعان:

-نوعٌ عرفوا أنه يبعث نبي، وقد يعرفون بعض نعوته فيحتاجون أن يعرفوا عينه، وهرقل وأمثاله من أهل الكتاب كانوا من هذا (ظ١٧٣) النوع، فكانوا

---

(١) انظر مجموع الفتاوىٰ ٥/ ٣١.

يعلمون أن نبيًا سيبعث، وإنما كان حاجتهم إلىٰ أن يعرفوا هل هو هذا النبي المذكور أم غيره، فيكون ما يحتاجون إليه من دلائل صدقه أيسر ما يحتاج إليه مَن لا يؤمن بالرسل أو لا يعرف أنَّ نبيًا سيبعث.

ومن كان يعلم جنس الرسل ولا يدري هل يبعث نبي أم لا يحتاج أن يعلم أن هذا المعين هل هو من جنس الأنبياء الصادقين أو من جنس المتنبئين الكاذبين، وهذا يعرف بما يخصه من آيات صدقه، وباعتبار ما جاء به الأنبياء قبله، فإن أصول ذلك مما لا يمكن اختلاف الأنبياء فيه، وهي الأمور التي لا تقبل النسخ: كالإخبار عن الله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فهذا مما لا يمكن اختلاف الأنبياء فيه، إذ كان كل ما يخبر به النبي فهو صدق، والأخبار الصادقة لا تتناقض ولا تقبل النسخ، ولكن قد يكون بعض الأنبياء أعلم ببعض ذلك من بعض، وفي كلام بعضهم من الأخبار ببعض ذلك ما ليس في كلام بعض.

وما أخبر به محمد ﷺ هو أكمل وأكثر مما أخبر به موسىٰ، والمسيح صلوات الله عليهم أجمعين.

وقد يظن بعض الغالطين تناقض بعض أخبار الأنبياء، كما يظن بعض الغالطين معارضة العقل لما أخبروا به، وهذا ممتنع، بل لا بد أن يكون المعارض العقلي خطأً[1]، أو السمعي لم يثبت عنهم لفظه أو دلالته، وكذلك في الأخبار لا بد أن يكون أحد الخبرين كذبًا أو غير دال علىٰ مناقضة الخبر الآخر.

---

(١) في (ب، ل) زيادة: ليس بمعقول صحيح.

وأما الأصول الجامعة: كالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وبر الوالدين، والصدق، والعدل، وتحريم الأصناف(١) الأربعة، وهي:

- الفواحش ما ظهر منها وما بطن.
- والإثم والبغي بغير الحق.
- والإشراك بالله.
- وأن يقال عليه غير الحق.

وذلك مثل ما ذكره في سورة الأنعام والأعراف وبني إسرائيل.

وقد تنازع الناس في مثل هذا: هل يمكن نسخه وتنوع الشرائع به؟

علىٰ قولين(٢)، فمن جوز أن يأمر الله بكل شيء وينهىٰ عن كل شيء رد ذلك إلىٰ محض المشيئة لا إلىٰ صفات تقتضي الأمر بهذا دون هذا، فإنهم جوزوا دخول النسخ في هذا، وتنوع الشرائع فيه، كما يقوله جهم بن صفوان، والأشعري، ومن وافقه من أصحاب مالك والشافعي وأحمد، وإن كانوا قد يقولون إنه لم يقع فيه نسخ.

وأما جمهور الناس من السلف والخلف فإنهم لا يجوزون دخول النسخ في هذا، ولا تنوع الشرائع فيه، ولهذا كان دين الأنبياء واحدًا، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥١-٥٢].

---

(١) في (ب، ل): الأجناس.
(٢) انظر: مجموع الفتاوىٰ ١٩/١٠٦.

وقال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد»[1].

وهذا مبسوط في موضع آخر.

(١) رواه البخاري (٣٤٤٣) ومسلم (٢٣٦٥)، ولفظه: «والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتىٰ ودينهم واحد».

آخر النسخ كلها والحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا[١].

[بلغ مقابلة بنسخة عمي أبي إسحاق إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، التي قوبلت علىٰ الأصل خط المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بعد أن نقلها منه، ولله الحمد والمنة، علىٰ الإسلام والسنة][٢].

---

(١) ثبت هذا في آخر النسة ظ.

(٢) كتب هذا آخر النسخة ظ في هامشها.

خواتم النسخ

في الأصل (ب):

تمت النبوات تصنف الشيخ الإمام العالم العلامة أوحد العصر، فريد الدهر شيخ الإسلام أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني[1] رضي الله عنه وأرضاه، آمين، أعاد الله تعالىٰ من بركاته.

وفي يمين الورقة:

هذا آخر الكتاب وهو الرد علىٰ النصارىٰ مما ألف سيدنا شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن تيمية تغمده الله بالرحمة والرضوان.... بمنه وكرمه.

وفي يسارها:

كتبها العبد الفقير إلىٰ الله محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الحنبلي المقدسي...

وفي الأصل (ل):

الحمد لله وحده، وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ سائر النبيين.

نجز الكتاب المسمىٰ بالجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح عليه وعلىٰ سائر النبيي الصلاة والسلام تأليف شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية رضي الله عنه في سنة ثلاث وسبعمائة وقوبل علىٰ أصل صحيح نقل من خط مؤلفه.

---

(١) كذا في النسخة.

وفي الأصل (د):

والحمد لله رب العالمين تم الكتاب.

آخر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح والحمد لله وحده، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، بقلم أحقرر الورىٰ وأذل الفقير الراجي رحمة اللطيف المبدي الحاج علي اللبدي الحنبلي اللهم اغفر له ذنوبه واستر عيوبه واجمعه بحبيبه سيد المرسلين واغفر لمن دعا له بالمغفرة والرضوان، آمين آمين آمين.

وذلك ليلة الأربعاء غرة ربيع الأول المبارك من شهور سنة ألف ومائتين وواحد وثمانين من الهجرة النبوية علىٰ صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية.

اللهم صل وسلم وبارك علىٰ سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

زيادات نسخة الظاهرية (ظ)

قال الناسخ ابن المحب المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ووجدت في نسخة عمي أبي إسحاق إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ التي بخطه، المنقولة من الأصل المقابل عليه، قال:

وجدت فصولاً في كراس منفرد، فظننت أنها إما أن تكون بعد هذا الكلام، وإما أن تكون سقطت من وسطه، وإما أن تكون مستقلة، وهي علىٰ كل حال مناسبة لهذا الكلام، فأحببت أن أكتبها ها هنا لتتم (ظ١٧٤) الفائدة، وهي[1]:

(١) هذه الفصول -وإن تفردت بها النسخة الظاهرية- إلا أنها من تأليف ابن تيمية ولا ريب، وإن التبس حالها علىٰ الناسخ -وعلىٰ عمه من قبل- هل هي من هذا الكتاب أو من غيره فلا يضر ذلك في نسبتها إليه، والدليل علىٰ صحة نسبتها لابن تيمية أمور:
منها: أن ابن المحب نسخها من أصل منسوخ من خط المؤلف، والواسطة بين الناسخ وبين خط المؤلف ثقة، وهو عمه.
ومنها: أن أسلوب ابن تيمية ومنهجه واضح جلي، لا يخطؤه من عرفه.
ومنها: أنها مؤتلفة مع كلامه في كتبه الأخرىٰ وفتاويه، وفيما نقله عنه أصحابه، وكل ذلك جلي، والله الموفق.

فصل:

وآيات الأنبياء وأعلامهم تدل علىٰ نبوتهم من وجوه[1]، كما أن الآية الواحدة -كالقرآن مثلا- تشتمل علىٰ أنواع كثيرة من الآيات العجيبة الخارقة للعادة، وكل من تلك تدل من وجوه، ولكن قد يتفطن بعض الناس لبعض الوجوه التي لم يتفطن لها غيرهم، فيعلم هؤلاء من وجه الدلالة ما لا يعلمه هؤلاء.

ولما كانت آيات الأنبياء تتضمن دلالة كدلالة الأدلة العقلية، ودلالة كدلالة الأدلة السمعية الوضعية، ودلالة كدلالة الأدلة العادية التجريبية؛ كان من النظار من جعلها[2] من جنس الأدلة العقلية، ومنهم من جعلها من جنس الأدلة السمعية، ومنهم من جعلها من جنس الأدلة العادية، والكل حق.

فالأول: هي الأدلة التي يستلزم مدلولها بذاتها من غير قصد أحد، ويمتنع وجودها بدون وجود مدلولها، كدلالة المحدَث علىٰ أنه لا بد له من محدِثٍ أحدثه، ودلالات المخلوقات علىٰ الخالق من هذا الباب، بل وكذلك دلالتها علىٰ وحدانيته وقدرته وعلمه وحكمته، وغير ذلك[3].

---

(١) عرف المصنف آية النبي (المعجزة) في كتاب (النبوات ٢/ ٨٠١) بقوله: «وآيات الأنبياء لا يقدر عليها جن ولا إنس، وآيات الأنبياء آيات لجنسها، فحيث كانت آية لله، تدل علىٰ مثل ما أخبرت به الأنبياء، وإن شئت قلت: هي آيات الله، يدل بها علىٰ صدق الأنبياء تارة، وعلىٰ غير ذلك تارة.».

(٢) أي المعجزة.

(٣) ينظر في هذا المبحث ما ذكره الشيخ في كتاب النبوات ١/ ٥٣٩، فإنه ذكر أن الأشاعرة يقسمون الأدلة إلىٰ قسمين، ثم بين رَحِمَهُ اللَّهُ ما هو الأجود في ذلك، فليطالعه من أراد الاستزادة فإنه نفيس. =

والثاني[1]: الدليل الذي يدل بقصد الدال وإرادته، فهو يقصد أن يعلم غيره بأمر من الأمور، ثم قد يعلمه بالخطاب، وذلك إنما يكون إذا عرف المخاطَب مرادَه بالخطاب، وقد يعلمه ذلك بإشارة غير الخطاب، أو بفعل من الأفعال.

وهذا النوع يدل علىٰ ما علمه الدال وأراده بخطابه، ثم إنْ عُلم أن ما علمه وأراده بخطابه هو مطابق للخارج عُلم مطابقة ذلك للخارج وإلا فلا.

ثم من الناس من يرجح النوع الأول علىٰ هذا لامتناع تغير الأول وإمكان تغير الثاني، ومنهم من يرجح الثاني لأنَّ الثاني قصد به الدالُّ الإعلام والتعريف بخلاف الأول، لأن الدلالة والتعريف والبيان بالثاني أتم وأكمل، ولهذا كان ما يعرفه الناس بخطاب الأنبياء -بل وبغير خطاب الأنبياء- أعظم وأكثر مما يعلمونه بنظرهم العقلي.

وكذلك تنازع الناس في السمع والبصر أيهما أفضل، والتحقيق: أن مدلول السمع أعم وأشمل، وتصور البصر أتم وأكمل[2].

= وقال المحقق د.عبدالعزيز الطويان: «الأشاعرة يجعلون دلالة المعجزة علىٰ صدق النبي دلالة عادية وضعية، ولا يجعلونها دلالة عقلية؛ لأن الدلالة العقلية لا تتخلف، فإذا وجدت المعجزة التي هي الدليل، لا بد أن يوجد الرسول الذي هو المدلول. أما الدلالة العادية، أو الوضعية، فيجوز عقلا تخلف المدلول عن الدليل؛ أي الرسول عن معجزته.
انظر: الإرشاد للجويني ص ٣٢٤. والعقيدة النظامية له ص ٦٨. ونهاية الإقدام للشهرستاني ص ٤٣٨ والمستصفىٰ للغزالي ١ ٦١. وشرح المواقف للجرجاني ٣ ١٨١-١٨٢. وشرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ١٦٦. وشرح المقاصد له ٢ ١٣٢.».

(١) أي الدليل الوضعي، وقد ذكر نحوه في النبوات ١/ ٥٣٨.

(٢) فصل المصنف في هذه المسألة في درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٣٢٥، وكذا تلميذه ابن القيم في بدائع الفوائد ٣/ ١١٠٦، حيث ذكرا اختلاف ابن قتيبة مع ابن الأنباري والجمهور في ذلك، قال المصنف: «والتحقيق في هذا الباب أن العيان أتم وأكمل، =

ومما رجح به الثاني[1]: أنَّ دلالة السمع مشروطة بالعقل بخلاف العكس، فمن عرف الأدلة السمعية عرف العقلية ولا ينعكس، فإنَّ السمع المجرد بدون العقل لا يكون دليلاً، فصارت الدلالة العقلية جزءًا أو شرطًا في الدلالة السمعية، فالسمعية تستلزم العقلية من غير عكس، ولهذا كان مَن عرف تفسير القرآن علىٰ الوجه التام عرف الأدلة العقلية علىٰ أصول الدين، من غير عكس، وبسط هذا له موضع آخر.

والمقصود هنا: أن آيات الأنبياء تدل من جنس هذه الدلالة، ومن جنس هذه، ولهذا كان كثير من النظار يجعلونها كالدلالة العقلية، وكثير منهم يجعلونها كالدلالة الوضعية السمعية، والتحقيق أنها تجمع النوعين:

أما الأول: فلأن تخصيص خلق الآيات المعجزات بحال دعوىٰ النبوة والتحدي بها -الذي يوجب العلم الضروري بأن الرب قصد بخلقها تصديق المدعي للنبوة- يستلزم قصد الرب إلىٰ تصديقه، كما أن تخصيص الحوادث -بحال ووقت وزمان وصفة- تستلزم قصد الرب إلىٰ تخصيصها بتلك الصفة، وإحكامها وإتقانها تستلزم علم الرب لها، ونفس إحداثها تستلزم قدرة الرب، ونفس حدوثها يستلزم وجود الرب المحدِث لها، فكذلك آيات النبوة

= والسماع أعم وأشمل، فيمكن أن يعلم بالسماع والخبر أضعاف ما يمكن علمه بالعيان والبصر أضعافا مضاعفة، ولهذا كان الغيب كله إنما يعلم بالسماع والخبر، ثم يصير المغيب شهادة، والمخبر عنه معاينا، وعلم اليقين عين اليقين».
وختم ابن القيم مبحثه بقوله: «قال شيخنا والتحقيق أن السمع له مزية والبصر له مزية فمزية السمع العموم والشمول ومزية البصر كمال الإدراك وتمامه فالسمع أعم وأشمل والبصر أتم وأكمل فهذا أفضل من جهة شمول إدراكه وعمومه وهذا أفضل من جهة كمال إدراكه وتمامه».

(١) أي الوضعي.

وأعلامها تستلزم قصد الرب إلىٰ تصديق الآتي بها المدعي، ويمتنع وجود هذا الدليل بدون مدلوله، كما يمتنع في نظائره.

وقد أورد بعضهم علىٰ هذا سؤالاً، وزعم أن هذا ضعيف، قال: لأنَّ التصديق عندنا خبر عن الصدق وخبر الله أزلي لا يصح تعلق القصد به.

وهذا السؤال في غاية الفساد لوجوه (ظ١٧٥):

منها: أنَّ من جعل الصدق والتصديق قديما لازمًا لذات الرب؛ قال: معنىٰ كونه يصدق الأنبياء أي يظهر ما يدل علىٰ صدقهم، فتصديق الرب عبده معناه: إظهار ما يدل علىٰ أنه مُصدِّق لهم.

وقصد الرب عند هؤلاء يتوجه إلىٰ ما يحدثه من الأدلة علىٰ التصديق القديم الأزلي، كما أنَّ الحوادث عندهم تدل علىٰ علمه وإرادته وغير ذلك من صفاته القديمة.

ومنها: أنَّ جمهور المسلمين لا يقولون بهذا، بل الصدق والتصديق من أنواع الكلام، وجمهور المسلمين يقولون: إنَّه يتكلم بمشيئته وقدرته.

ثم منهم من يقول[1]: هو مخلوق منفصل.

وأمَّا السلف وأهل السنة وجمهور الأمة فيقولون: إنه قائم بذاته، مع كونه يتكلم بمشيئته وقدرته[2].

ثم من هؤلاء من يقول: إنه لم يكن يتكلم في الأزل بمشيئته لامتناع حوادث لا تتناهىٰ.

---

(١) يعني في مسألة الكلام.

(٢) سبق أن ذكر المصنف هذه المسألة في هذا الكتاب ٣/ ٢٧٨ ط العاصمة.

وأما السلف والأئمة فيقولون: لم يزل متكلمًا إذا شاء.

وعلىٰ كل قول من هذه الأقوال فقد اندفع السُّؤال.

وأما كونها[1] تدل دلالة الأدلة السمعية والوضعية: فلأنها جارية مجرىٰ التصديق بالقول، والتصديق بالقول وبالأفعال وغيرها كالتصديق بالخطاب والإشارة والأفعال ونحو ذلك، هو يدل علىٰ تصديق المصدق، لكن بعد أن يعلم أن ذاك إنما يقول ويفعل ذلك إذا قصد التصديق، كما يعلم أن المتكلم إنما يتكلم بذلك الكلام إذا قصد به ذلك المعنىٰ، فهذا يستدل به علىٰ علم مراده بذلك الخطاب والفعل، وذلك قد يُعلم مع سكوت المصدق.

كما لو قام رجل بين يدي ملك في محفله، وقال: أيها الملك، إنك أرسلتني إلىٰ هؤلاء لأبلغهم عنك ما أمرتني، وعلامة صدقي أنك تقوم وتقعد وتقوم وتقعد، فقام الملك وقعد عقب ذلك، علم الحاضرون أنه إنما فعل ذلك لأجل تصديق هذا المدعي، وأن قوله: «وعلامة صدقي أنك تفعل هذا» أي: أن تجعل هذا الفعل منك مجرىٰ قولك لي: صدقت[2].

فهذا يدل علىٰ أنه صدقه بما أحدثه من دليل تصديقه، ولكن هذا الدليل هو قيامة وقعوده، وإنما صار دليلاً لما قصد به الدلالة علىٰ تصديقه، فهو دليل بالقصد والإرادة والمواضعة، لا بذاته، ولكن مجموع دعوىٰ ذاك في هذا المشهد وإحداث هذا الفعل يدل دلالة عقلية لا يمكن انتقاضها.

ولهذا من ظن نفس المعجزة دليلاً علىٰ الصدق منع أن تكون لغير الأنبياء لئلا ينتقض الدليل، ونفس المعجز -الذي هو خارق العادة- ليس دليلاً

(١) أي آيات الأنبياء.

(٢) انظر شرح صورة هذا المثال في شرح الأصفهانية ص٧١١.

بمجرده حتىٰ يقترن بدعوىٰ النبوة، وهذا المجموع يمتنع لغير النبي، وامتناع ذلك يعلم تارة بالضرورة، وتارة بالنظر، كما قد بسط في موضعه.

ويدل أيضًا دلالة العاديات[١]، كما تدل حمرة الخجل وصفرة الوجل، وهذه الدلالة تكون مع قرائن وأمارات، كما يميز بها بين حمرة الخجل، وحمرة المحموم، وحمرة الغضبان، ولكن من يجوِّز انخراق العادات بلا سبب وحكمة -ويقول: إن المعجزة لم تدل إلا دلالة عادية- يُجوِّز أنْ يخلق مثل معجزات الأنبياء علىٰ يدي الكذابين، فقيل لهم: إذا جوزتم هذا فبم تعرفون صدقه؟ قالوا: قد نعلم بالضرورة أن العادة لم تنخرق مع جواز انخراقها، كما نعلم أن الجبل لم ينقلب ياقوتا، والبحر لم ينقلب زئبقا، مع تجويزنا ذلك[٢].

وقالوا: وإذا كان قد حصل لنا علم ضروري عادي بأنَّ هذا الفعل إنما أحدثه الرب مقارنًا لصدق هذا؛ لم يقدح في ذلك تجويزنا أن يخلقه بدون هذا، قالوا: ولو خرقت العادة في علوم بني آدم بحيث جاز أن يخلق في قلوبهم علوم ضرورية ويكون جهلاً لا علما لم نثق بشيء من العلوم (ظ١٧٦)، لكن نعلم قطعًا أن هذه العادة لم تخرق، بل ما خلقه الله من العلوم الضرورية في النفوس السليمة لم تكن إلا حقًا.

وقال هؤلاء: نحن -وإن جوزنا علىٰ الباري أن يُضل عباده- فلم نجوز اجتماع الضدين، ولم نجوز زوال قدرته، ولم نقل: إنه يضلهم مع خلق الهدىٰ والعلم في قلوبهم، بل مع زوال الهدىٰ والعلم في قلوبهم، فإذا خلق في قلوبهم علما ضروريا كان قد هداهم ولم يضلهم، وهذا هو الهدىٰ العام الذي جعله الله

---

(١) أي الطبيعيات.
(٢) انظر النبوات ٢/ ٩٣٥.

لكل أحد(١)، كما قال تعالىٰ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلىٰ:٢-٣]، وقال: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾، وقال: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ ونحو ذلك.

فقد جعل في نفس كل سليم أن الجبال لم تنقلب يواقيت، والبحر لم ينقلب لبنًا، وهو يعلم ذلك علما ضروريًا، وأن جواز أن الله قادر علىٰ تغيير ذلك ولو شاء لفعله؛ فكذلك نحن نعلم بالاضطرار أن فرعون لما سأل موسىٰ آية فألقىٰ العصا فصارت حية تسعىٰ أنَّ الله فعل ذلك دلالةً وآيةً لموسىٰ، وهذا العلم الضروري لا يندفع عن قلوبنا بتجويز أن الله لو شاء أن يفعل ذلك مع نقص الرسول لفعله.

وأمَّا مَن قال: الدلالة عقلية ذاتية، أو كالسمعية الوضعية الإرادية، فجوابه ظاهر، فإنه يقول: تجويز الإضلال إنما يكون مع عدم وجود العلم في القلب، فإنه يجوز أن يجعل المحل أسود لكن بشرط عدم البياض، فمع العلوم العقلية اليقينية يمتنع أن يجعل العالم بها غير عالم بها، كما يمتنع أن يجعل الدليل غير دال، أو يجعل العلم جهلاً.

---

(١) الهدىٰ أربعة مراتب، أولها: الهدىٰ العام: وهو هداية كل نفس إلىٰ مصالح معاشها وما يقيمها وهو أعم مراتبه.
وهذا يشمل سائر الحيوان (مجموع الفتاوىٰ ١٦/ ٢٦٤).
والمرتبة الثانية: الهدىٰ بمعنىٰ البيان والدلالة والتعليم والدعوة إلىٰ مصالح العبد في معاده، وهذا خاص بالمكلفين وهذه المرتبة أخص من المرتبة الأولىٰ وأعم من الثالثة.
المرتبة الثالثة: الهداية المستلزمة للاهتداء، وهي هداية التوفيق ومشيئة الله لعبده الهداية وخلقه دواعي الهدىٰ وإرادته، والقدرة عليه للعبد، وهذه الهداية التي لا يقدر عليها إلا الله عز وجل.
المرتبة الرابعة: الهداية يوم المعاد إلىٰ طريق الجنة والنار (شفاء العليل ص٦٥).

ومن قال بالثاني قال: إذا كانت دلالة المعجزة وضعية إرادية كدلالة القول فهي كالتصريح بالقول: إن هذا رسولي، والتصريح بالقول يستلزم العلم بمراده ضرورة، وذلك يمتنع أن يكون به إضلال، وإنما يكون الضلال مع هذا لعدم العلم بالمراد، لا مع العلم به، كما يكون الغي مع العلم بالمراد واتباع الهوىٰ، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء:٨٢]، وقال تعالىٰ: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦] وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال:٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الإسراء:٤٦]، وقال: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [البقرة:٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال:٢٣]، الإسماع المراد به الإفهام(١).

والإنسان إنما يكون سعيدًا ناجيًا مهتديًا راشدًا إذا عرف الحق وعمل به، فإذا كان لا يفهم القرآن لم يعرف الحق، وإذا كان يفهمه ولكن له هوىً في خلاف الحق لم يتبعه، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ

---

(١) أي فهم ما أنزل الله علىٰ نبيه ﷺ، قال ابن جرير: «فتأويل الآية إذا: ولو علم الله في هؤلاء القائلين خيرا، لأسمعهم مواعظ القرآن وعبره، حتىٰ يعقلوا عن الله ﷻ حججه منه، ولكنه قد علم أنه لا خير فيهم، وأنهم ممن كتب لهم الشقاء فهم لا يؤمنون، ولو أفهمهم ذلك حتىٰ يعلموا ويفهموا، لتولوا عن الله وعن رسوله، وهم معرضون عن الإيمان بما دلهم علىٰ صحته مواعظ الله وعبره وحججه، معاندون للحق بعد العلم به» (تفسير الطبري ١٣/ ٤٦٢).

﴿وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:١-٤].

فوصف الرسول بأنه لا يضل ولا يغوىٰ بل هو مهتد راشد، ووصف مخالفيه بقوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم:٢٣].

وكذلك وصفهم بقوله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ أي لأفهمهم القرآن، ثم قال: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ القرآن مع أن هذه الحال حالهم، لا خير فيهم، ﴿لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ إذ كانوا يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم، ولكن يتبعون أهواءهم، ولهذا وصف أهل الاستقامة الذين أمرنا أن نسلك سبيلهم بقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٦-٧] فوصفهم بالمغايرة لأهل الغضب والضلال المذكورين في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر:٤٧] ووصفهم بالهدىٰ والفلاح في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥] وفي قوله (ظ١٧٧) ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١٢٣] ووصف مخالفتهم بقوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ أي عن الذكر الذي أنزلته ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ فوصفه بالمعيشة الضنك والعمىٰ، وهو الغضب والضلال(١).

(١) والضنك الضيق، والمعنىٰ: فإن له معيشة ضيقة، والضنك من المنازل والأماكن والمعايش: الشديد، يقال: هذا منزل ضنك: إذا كان ضيقا، وعيش ضنك: الذكر والأنثىٰ والواحد والاثنان والجمع بلفظ واحد (تفسير الطبري ١٨/ ٣٩٠).

فصل:

وقوله: «إني رسول الله» خبر عن إرسال الله تعالىٰ له، يتضمن إنشاء الرسالة، وهو: أمره بتبليغ رسالة ربه، والآيات الدالة علىٰ رسالته تدل علىٰ تصديق الله له في قوله: إني رسول الله، وعلىٰ إنشاء الله إرساله، وهو أمره بالتبليغ، فهي تدل علىٰ خبر الله بأنه رسول، وعلمه بأنه رسول، وعلىٰ حكمه بأنه رسول، وأمره بتبليغ الرسالة، ولهذا كان الواجب علىٰ الناس تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أوجب وأمر، فإن الله صدقه في قوله: «إني رسول الله».

والله أمر بتبليغ رسالته، وأمر الناس بطاعته، كما قال تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠].

ومن النظار من جعل هذه مسالة نزاع في وجه دلالة المعجزة، فمنهم من قال: تدل علىٰ خبر الله لتصديقه، فهو خبر صدق، ومنهم من قال: تدل علىٰ إنشاء الرسالة له، ويعنون بذلك أنها تدل علىٰ أمر الله له بالتبليغ، وكلا القولين صحيح، واحد الأمرين مستلزم للآخر.

فإنه إذا صدقه في خبره لم يكن صدقًا إلاَّ إذا كان الله أرسله، وإذا كان الله أرسله فهو صادق في قوله: «إن الله أرسله»، لكن من جعل المدلول هو التصديق يقول: فلا بد أن يقول: ومن صدَّقَه فهو صادق، لامتناع الكذب عليه، فإن التصديق نوع من الخبر، يمتنع أن يكون مُصَدّقا لخبر كاذب، إذ كان ذلك كذبًا، ويستدلون علىٰ ذلك بما يستدلون به علىٰ امتناع الكذب.

وأما من قال مدلوله الإنشاء، فيحتاج أن يقول: وهو لا يرسل من يكذب عليه، فهذا من جهة حكمته المناقضة لإرساله من يكذب، وذلك من جهة صدقه المناقض لتصديق من يكذب.

فصل[1]:

والمنتسبون إلىٰ الرسل يطلقون القول بأن العالم محدث، وأن ما سوىٰ الله مخلوق ومصنوع، ونحو ذلك، مما يدل عليه قوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد:١٦][2].

ثم هم بعد هذا علىٰ ثلاث طبقات[3]:

١-طبقة يعتقدون في الباطن خلاف ما بينته الرسل:

ولم يمكنهم إظهار مخالفتهم، فوضعوا ألفاظ الرسل لمعاني يعتقدونها، وجعلوا يطلقون ألفاظ الرسل ليعتقد الناس أنهم موافقون للرسل، ثم يفسرونها بما يعتقدونه لخاصتهم.

وهذه طريقة الباطنية القرامطة من المتفلسفة وغيرهم، كما يقولون: العالم محدث، ويقولون: الحدوث ينقسم إلىٰ حدوث ذاتي وحدوث زماني[4]، والعالم محدث الحدوث الذاتي، وأما الحدوث الزماني ممتنع، لأن ذلك يقتضي حدوث الزمان ويوجب أنه متأخر عن الباري، والتأخر إنما يكون بالزمان، فيلزم الجمع بين إثبات قدم الزمان ونفيه، إلىٰ غير ذلك من الشبه.

---

(١) للمصنف رسالة بعنوان: مسألة حدوث العالم، وهي مطبوعة، وقد بسط فيها القول في هذه المسألة.

(٢) ذكر المصنف أن أكثر الناس علىٰ هذا القول، بما فيهم أكثر المشركين، وأنه قول أساطين الفلاسفة القدماء الذين كانوا قبل أرسطوطاليس، وأنه إنما ظهر القول بقدم العالم من الفلاسفة المشهورين من جهة أرسطو وأتباعه (انظر: الصفدية ١/ ٢٣٧، النبوات ١/ ٤٣٢ وتعليق المحقق د. الطويان)

(٣) ذكرها المصنف بالتفصيل في درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٢٥-١٢٦.

(٤) الحدوث الذاتي أي أنه معلول لعلة قديمة أزلية أوجبته فلم يزل معها، وغيره الحدوث الزمني، (انظر: درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٢٦).

ومعلوم بالاضطرار أن لفظ الحدوث في لغة العرب وسائر الأمم لا يراد بها إلا: «ما كان موجودا بعد عدمه»[1].

فأما القديم الأزلي الذي لم يزل ولا يزال ولم يكن مسبوقا بعدم ولا وجود فلا يقال له: محدث، ولا حادث.

فإن كان من أطلق ذلك من هؤلاء المتفلسفة والباطنية لا يفهم معنىٰ الحادث فهو نظير من يطلق لفظ القديم علىٰ القرآن، أو علىٰ ما يسمع من أصوات العباد بالقرآن، أو علىٰ شكل الحروف الذي في المصاحف، أو علىٰ ما يقوم بالعباد من أقوالهم أو أعمالهم ونحو ذلك.

وهو لا يتصور معنىٰ القديم، بل قد يظن أن القديم هو المتقدم علىٰ غيره بزمان طويل، أو ما كان موجودا في علم الله فهو قديم عنده، لتقدمه في العلم، فإذا قيل فعلىٰ هذا تكون أنت (ظ١٧٨) وجميع الموجودات قديمة لتقدم علم الله بها، فلا فرق علىٰ هذا بين كلام الله وغيره.

أو قيل: لا نزاع في أن الله أنزل التوراة قبل الإنجيل، والإنجيل قبل القرآن، وأن بعض كلام الله متقدم علىٰ بعض بهذا الاعتبار، وقد يحتج علىٰ مراده بحديث موضوع[2]: «إن الله قرأ طه ويس قبل أن يخلق خلقه بألفي عام»[3].

---

(١) انظر: مفردات الراغب الأصفهاني ٢٢٢، وفيه: الحدوث: كون الشيء بعد أن لم يكن، عرضا كان ذلك أو جوهرا، وإحداثه: إيجاده، وإحداث الجواهر ليس إلا لله تعالىٰ، والمحدث: ما أوجد بعد أن لم يكن..

(٢) كذا في الأصل، وكتب فوقها: صح، وكتب في الهامش: ضعيف، وفوقها: ط.

(٣) رواه الدارمي (٣٤٥٧)، والطبراني في الأوسط (٤٨٧٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٦٠٧)، والمستغفري في فضائل القرآن (٨٣٠)، والبيهقي في الشعب (٢٢٢٥) =

فإذا قيل له: القديم المتنازع فيه لا يتقدر بألف سنة ولا ألفين، أو قيل له: فأيهما قرأ قبل الأخرىٰ، أو قيل له: فسائر القرآن لم يقرأه؟ بقي حائرًا، لأنه أطلق لفظًا لم يتصور معناه.

فهؤلاء في لفظ القديم أعذر من أولئك في لفظ الحادث.

فإنَّ القديم في لغة العرب: هو المتقدم علىٰ غيره(1)، كما قال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس:39]، ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف:95]، وقال الخليل: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ

= من حديث إبراهيم بن المنذر، حدثنا إبراهيم بن المهاجر بن المسمار، عن عمر بن حفص بن ذكوان، عن مولىٰ الحرقة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ﷻ قرأ طه و يس قبل أن يخلق السماوات والأرض بألف عام -وفي بعض المصادر: بألفي عام- فلما سمعت الملائكة القرآن، قالت: طوبىٰ لأمة ينزل هذا عليها، وطوبىٰ لأجواف تحمل هذا، وطوبىٰ لألسنة تتكلم بهذا».

قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن رسول الله ﷺ إلا بهذا الإسناد، تفرد به: إبراهيم بن المنذر.

قلت: مولىٰ الحرقة هو عبدالرحمن بن يعقوب.

وعمر بن حفص بن ذكوان شديد الضعف جدا، قال أحمد: تركنا حديثه وخرقناه، وقال علي: ليس بثقة، وقال النسائي: متروك، وقال الدارقطني: ضعيف (لسان الميزان٦/ ٨٨).

قال الحافظ (في إتحاف المهرة ١٥/ ٣٠٣): «وزعم ابن حبان وتبعه ابن الجوزي: أن هذا المتن موضوع. وليس كما قالا، والله أعلم، فإن مولىٰ الحرقة: هو عبد الرحمن بن يعقوب من رجال مسلم، والراوي عنه وإن كان متروكا عند الأكثر، ضعيفا عند البعض، فلم ينسب للوضع، والراوي عنه لا بأس به، وإبراهيم بن المنذر من شيوخ البخاري».

قلت: إبراهيم بن المهاجر بن مسمار قال البخاري فيه: منكر الحديث (ضعفاء العقيلي ١/ ٦٦).

(١) مفردات الراغب الأصفهاني ٦٦١.

﴿ٱلۡأَقۡدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٧]، وقال تعالىٰ ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ﴾ [الحجر: ٢٤].

ويقال: «قال الشافعي في قوله القديم وقال في قوله الجديد».

فهؤلاء لما سمعوا ما تنازع الناس فيه من كلام الله أو القرآن هل هو قديم؟ فهموا هذا المعنىٰ لظهوره في هذا اللفظ، ولكن المتنازعون إنما أرادوا المعنىٰ الاصطلاحي الخاص، وهو: ما لم يسبق بعدم أو لم يسبق بوجود غيره.

فكل ما كان بعد أن لم يكن فليس قديمًا علىٰ اصطلاحهم، وكل ما وُجد بعد غيره فليس قديمًا علىٰ اصطلاحهم، ومن قال من[1] سمع الناس يتنازعون في القرآن هل هو مخلوق أو غير مخلوق -ورأىٰ أن الصواب مع من يقول: إنه غير مخلوق، وسمع بعضهم يقول: إنه قديم- فصار يظن أنه معنىٰ قديم غير مخلوق، كما أن منهم من اعتقد أن كل ما ليس بمخلوق فلا يكون إلا قديمًا أزليًا لامتناع قيام الأمور الاختيارية بذات الرب عنده لامتناع قيام الحوادث عنده، فهؤلاء في هذه الاصطلاحات أعذر ممن سمىٰ القديم الأزلي الذي لم يزل محدثا، وقال: معنىٰ ذلك أنَّه محدث الحدوث الذاتي، لأنَّه معلول للعلة الأولىٰ، وجعل هذا مراد الأنبياء بقولهم: إن الله خلق السماوات والأرض.

فإن هذا افتراء بيِّن معلومٌ بالبديهة علىٰ الأنبياء، إذ كان من المعلوم بالاضطرار مرادهم بقولهم إنَّ الله خلق السماوات والأرض وخلق الإنسان والجان وأنه خالق كل شيء -ونحو ذلك-: أنه أحدث هذا المخلوق بعد أن لم يكن، لم يريدوا بذلك أنه معلول له مع كونه قديمًا أزليًا لم يزل.

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: ممن.

فهذا المعنىٰ لو كان حقًّا لم تكن هذه الألفاظ مستعملة فيه، ولا هو مراد مَن تكلَّم بهذه الألفاظ من الأنبياء وأتباع الأنبياء، فكيف إذا كان كون الشيء مفعولاً مصنوعًا مع كونه قديمًا أزليًّا جمع بين المتناقضين، وكان هذا مما لم يُعرف عن أحد من طوائف العقلاء، إلا طائفة من متأخرة الفلاسفة -كابن سينا وأمثاله- جعلوا الشيء قديمًا أزليا مع كونه مصنوعًا مفعولاً، ومع كونه ممكنًا يقبل الوجود والعدم، مع تصريحهم في موضع آخر بما صرح به سلفهم وعامة العقلاء: أنَّ الممكن الذي يقبل الوجود والعدم لا يكون إلاَّ معدومًا تارة وموجودًا أخرىٰ، فلا يكون إلا محدثًا يمتنع أن يكون قديمًا أزليًّا.

وهؤلاء جعلوا الشيء الممكن هو الشيء الموجود الذي يكون نسبته إلىٰ الوجود والعدم نسبة واحدة، لا يترجح أحد طرفيه إلاَّ بمرجح، وأنه يكون مع ذلك قديمًا أزليًا ممتنع الوجود لا يمكن عدمه البتة، وغايتهم أن يقولوا: إنَّ ماهيته زائدة علىٰ وجوده، والماهية من حيث هي هي تقبل الوجود والعدم، وهذا باطل كما بُيِّن في غير هذا الموضع: أن وجود كل شيء عين ماهيته، ولو قدر أن الأمر كما قالوه فيقال: ماهية الذي هو عندكم قديم أزلي كالفلك لا ينفك عن الوجود، بل لا تزال موجودة ولا تزال فيمتنع خلوها (ظ١٧٩) عن الوجود في وقت من الأوقات، ويمتنع انفكاك الوجود عنها.

فإذا قلت: هو بالنظر إلىٰ ماهيَّته يقبل الوجود والعدم، قيل لكم: بالنظر إلىٰ ماهيته إذا قُدِّرت مجردة عن وجوده أو بالنظر إلىٰ ماهيته المحققة، فأما الثاني فباطل، فإنَّ ماهيته المحققة ليست مجردة عن الوجود، ويمتنع تجردها عن الوجود، وأما إذا قدرتم الماهية مجردة عن الوجود فهذا تقدير ممتنع، كما يقدر إله آخر مع الله، وكما يقدر الواجب ممتنعًا والموجود معدومًا، ونحو ذلك من تقدير الأمور الممتنعة، وإذا كان ذلك تقديرًا لأمر ممتنع في نفسه لم تكن

الماهية قابلة للوجود والعدم، إلا علىٰ تقدير هذا الأمر الممتنع، وما لم يثبت إلاَّ علىٰ تقدير ممتنع لم يلزم أن يكون ممكنا في نفس الأمر ولا ثابتًا، فلا يدل ذلك علىٰ أنه يمكن كون هذه الماهية قابلة للوجود والعدم.

وإذا قلتم: نحن ننظر إليها من حيث هي هي.

قيل: تقديرها من حيث هي هي لا تكون إلاَّ في الذهن، وهو تقدير أمر ممتنع، إذ هذه الماهية المعينة عندكم تمتنع أن تكون إلا موجودة فتقديرها مجردة ومن حيث هي هي ونحو ذلك تقدير ممتنع، كتقدير سائر الممتنعات.

وهذا من المغاليط التي بها ضل هؤلاء وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل.

وهو كتقديرهم الكليات مجردة عن المعينات(١)، واستدلالهم بهذا التقدير علىٰ إمكان وجود ما لا يمكن الإشارة إليه، وكتقديرهم تقسيمات الذهن، واستدلالهم بإمكان التقسيم علىٰ إمكان وجود كل قسم، كما استدلوا علىٰ إمكان وجود موجود لا يشار إليه بأن قالوا: يمكن أن يقال: الشيء إما متحيز وإما حال في المتحيز، وإما غير متحيز، ولا حال في المتحيز، فقيل لهم: هذا كقول القائل: الشيء إما أن يكون قديمًا أو محدثًا أو لا قديمًا ولا محدًثا، وإما أن يكون غنيًّا عن غيره، وإما أن يكون محتاجًا إليه، وإما أن يكون لا غنيًا ولا محتاجًا، فهذه الأقسام لا تستلزم إمكان ذلك في الخارج، فضلاً عن وجوده.

وإن قالوا: الموجود إما أن يكون قديمًا وإما أن يكون محدثًا، وإمَّا أن لا يكون قديمًا ولا محدًثا، كان هذا كذبًا، كذلك سائر الأقسام.

---

(١) سبق كلام المصنف عن ذلك في المثل الأفلاطونية في ما مضىٰ من الكتاب، ٣/ ٢٢٤، وانظر: الرد علىٰ المنطقيين ٦٦، الصفدية ٢٩٩، منهاج السنة النبوية ٢/ ١٩٠، درء تعارض العقل والنقل ١/ ٢١٦.

فمن حصر الموجود أو الممكن في أقسام فلا بد له من إثبات تلك الأقسام، ومِنْ نفي ما سواها؛ فكما أنه إذا قال: الموجود إما جسم وإما عرض، والممكن إما جسم وإما عرض، يحتاج إلىٰ دليل علىٰ نفي ما سوىٰ ذلك؛ فكذلك يحتاج إلىٰ دليل علىٰ إثبات كلٍّ من القسمين.

فإذًا الموجود: إما مشارٌ إليه وإما قائم بالمشار إليه، وإمَّا لا هذا ولا هذا، فيحتاج إلىٰ إثبات كلٍّ من الثلاثة، وإلىٰ نفي ما سواها.

وإذا قال: الموجود إما واجب وإما ممكن، فيحتاج إلىٰ إثبات القسمين، ونفي ثالث.

فيقال له: ما تعني بالممكن؟ أتعني به ما وجوده بعد عدمه، وهو المحدث، أم تعني به: ما يعم القديم والمحدث، وهو: ما يدعىٰ أنه قديم أزلي مع إمكان وجوده وعدمه؟

فإن عنيت الأول: كانت القسمة صحيحة مسلمة، وإن أردت الثاني: فهذا القسم لم يعلم وجوده، فلا نعلم أن الموجود ينقسم إلىٰ هذين القسمين.

وإن قال: أردت بالممكن ما يقبل الوجود والعدم، مع دوام وجوده، كالفلك عنده، كان التقسيم مردودًا في النفي والإثبات، فهذا القسم منتفٍ عند أكثر العقلاء، والمدعي له لا يثبت وجوده، ولا دليل له علىٰ وجوده، ولو قدر وجوده لم يكن الموجود منحصرًا فيه، بل ثَمَّ قسم ثالث، وهو المحدث الكائن بعد عدمه، بل جميع الممكنات التي تقبل الوجود والعدم هي من هذا النوع، فكيف يجعل الممكنات من قسم معدوم ممتنع ويدع الممكن (ظ ١٨٠) الموجود، فهذا هذا.

٢-والصنف الثاني من القائلين بأن العالم محدث، هم: أهل الكلام المحدث.

الذين جعلوا هذا من أصول الدين، فصدروا به كتبهم، وأثبتوا حدوث العالم بأنه مستلزم للحوادث لا ينفك منها، ولا يمكن وجوده دونها، وما لا ينفك من المحدث فهو محدث.

ثم منهم من اعتقد هذه قضية صحيحة، ومنهم من تفطن للفرق بين نوع الحوادث وبين آحادها، فاحتاج أن يقرر ذلك بامتناع حوادث لا أول لها، وهؤلاء قالوا: معنىٰ كون العالم محدثا أنَّ الرب لم يزل غير محدث لشيء من الأشياء، ولا متكلم بمشيئته البتة، لا بكلام قائم به ولا بائن عنه، لم يزل كذلك إلىٰ أن حدث ما حدث من المحدثات، إما السماوات والأرض، وإمَّا شيء قبل ذلك، وحدث ما حدث من كلامه، إما قائمًا بنفسه عند طائفة، وإما مخلوقًا بائنًا عنه عند طائفة أخرىٰ.

وجعلوا هذا القول هو قول الأنبياء وأتباعهم، وهو قول أهل الملل والنحل، واستدلوا علىٰ ذلك بأدلة عقلية ظنها كثير من الناس صحيحة، وهي أدلة ضعيفة فاسدة في العقل، فغلط هؤلاء فيما أتوا به من جهة السمع والعقل، فلم يفهموا مراد الرسل بما أخبرت به من خلق الله للمخلوقات، وظنوا أن ما ذكروه من العقليات يدل علىٰ ذلك، فغلطوا في السمعيات والعقليات.

وهؤلاء أهل الكلام المحدث المبتدع في الإسلام، الذي ذمه السلف والأئمة وعابوه، وجعلوهم جهالاً مبتدعين، جهالاً في العقل، مبتدعين في الشرع، وقالوا: العلم بالكلام هو الجهل.

والذين قالوا: كلام الله مخلوق أو حادث تكلَّم بعد أنْ لم يكن متكلما، أو أنه يتكلم بغير مشيئته وقدرته بكلام قائم بذاته قديم أزلي -إما معنىً

وإما حروف وأصوات قديمة أزلية- هم من هؤلاء، ولهذا كانت أقوالهم لا تعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا يدل عليها دليل صحيح لا سمعي ولا عقلي.

لكن لكل طائفة من هؤلاء من الرد علىٰ غيرهم من أهل البدع والإلحاد ما ينتفع به في الرد علىٰ أولئك الملحدين المبتدعين، وإن كان الراد قد ابتدع من وجه آخر، كالملوك الذين يتقاتلون وكل منهم يدفع من ضرر الآخر وظلمه ما يدفعه، وإن كان فيه هو أيضًا نوع من الظلم والضرر.

وكان ما قاله هؤلاء مما تسلط به أولئك الملحدون، فإنهم رأوا ما قالوه باطلاً في العقل، فأخذوا يردون عليهم، وهم أجهل منهم بالشرع، فظنوا الشرع جاء بهذا، فصار ذلك قادحًا في الشرع عندهم، فمنهم من يقول: الشرائع خاطبت الناس بما ينتفعون باعتقاده وإن كان باطلاً لا حقيقة له في نفس الأمر.

ومنهم من قال: بل له تأويل يفهمه الخاصة، والعامة أريد منهم فهم تلك المعاني التي ليست حقًّا في نفس الأمر لانتفاعهم بها، ثم إذا أخذوا في التأويلات احتاجوا إلىٰ تغيير اللغة ووضعٍ مبتدع، كما فعلوه في لفظ المحدث والمخلوق، ونحو ذلك، بخلاف أولئك الذين يعتقدون أنَّ ما قالوه موافق للرسول، فإنهم يقولون: الرسل أرادتْ من الناس أن يعرفوا الحق بعقولهم ثم يجتهدوا في تأويل كلامهم بما يوافق المعقول، فهم وإن كانوا لم يثبتوا السمعيات ولا العقليات لكنهم كلفوا الخلق بطلب العلميات، وتأويل السمعيات.

وحقيقة قول هؤلاء: إن الرسل لم يهدوا الخلق إلىٰ سمعي ولا عقلي، بل كان ما جاؤوا به يقتضي إضلالهم، لكنهم مع هذا كلفوهم الهدىٰ بعقولهم، وكلفوهم أن يتأوَّلوا أقوالهم بما يخالف مدلولها المعروف.

وحقيقة قول هؤلاء: نسبة الأنبياء إلىٰ الهدىٰ (ظ ١٨١) مع أنهم لم يبينوه، بل كان ما قالوه إلىٰ نقيض الهدىٰ أقرب منه إلىٰ الهدىٰ.

وطائفة ثالثة: لا تعرف الحق بعقل ولا بسمع، وتقول: إن الأنبياء تكلموا بما لم يفهموه هم ولا أحد، وإن معاني ما قالته الرسل وبلغته لا يعلمه أحد ولا يفهمه أحد إلا الله، فنسبوا الرسل وأتباعهم إلىٰ الجهل بما قالوه، وأنهم لا يعرفون العقليات ولا السمعيات، لكنهم لم يقولوا: إن الرسل كلفوا الناس بمعرفة ما ابتدعوه من العقليات، وتأويل ما جاءت به الرسل من السمعيات.

٣-الصنف الثالث: المتبعون لما جاءت به الأنبياء وما كان عليه السلف:

من أنَّ الله خالق كل شيء وربه ومليكه وكل ما سواه مخلوق حادث بعد أن لم يكن، وأنه لم يزل متكلماً إذا شاء، فعالا لما يشاء، فلا يثبتون معه قديما أزليًّا بائنًا عنه، ولا يجعلونه لم يزل معطَّلاً عن الفعل بل وعن الكلام بمشيئته، وهذا القول هو الموافق لصحيح المنقول، وصريح المعقول، وعليه كان السلف، كما قال غير واحد -منهم عبدالله بن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما-: «إن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء»[١].

وكما ذكر البخاري عن نعيم بن حماد الخزاعي: «إنَّ الحي هو الفعال فلا يكون حي إلا فعالا»[٢].

---

(١) انظر: الرد علىٰ الجهمية لأحمد بن حنبل ١٣٩، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢/ ٣٦٤.

(٢) ذكره المصنف في مجموع الفتاوىٰ ٨/ ٢٣، ونص كلام البخاري -كما في خلق أفعال العباد ص٨٥-: «ولقد بين نعيم بن حماد أن كلام الرب ليس بخلق، وأن العرب لا تعرف الحي من الميت إلا بالفعل، فمن كان له فعل فهو حي ومن لم يكن له فعل فهو ميت، وأن أفعال العباد مخلوقة، فضيق عليه حتىٰ مضىٰ لسبيله، وتوجع أهل العلم لما نزل به، وفي اتفاق المسلمين دليل علىٰ أن نعيما ومن نحا نحوه ليس بمفارق ولا مبتدع، بل البدع والرئيس بالجهل بغيرهم أولىٰ، إذ يفتون بالآراء المختلفة، مما لم يأذن به الله».

وقال عثمان بن سعيد الدارمي: «هو المتحرك فلا يكون حي إلا متحركا»[1].

وذكر الثعلبي -بإسناده- عن جعفر بن محمد الصادق، أنه قال: «لم يزل الله فيما لم يزل محسنا إلىٰ من شاء لما شاء»[2].

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس لما سأله نافع بن الأزرق عن قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، وقيل له: كأنه شيء كان ثم انقطع، فقال: هو سمىٰ نفسه بذلك، ولم يزل كذلك[3].

---

(١) ذكر ذلك الدارمي في أكثر من موضع من نقضه (١/ ٣٥٦)، وقال (١/ ٢١٥): «وأما دعواك: أن تفسير «القيوم» الذي لا يزول من مكانه ولا يتحرك؛ فلا يقبل منك هذا التفسير إلا بأثر صحيح، مأثور عن رسول الله ﷺ، أو عن بعض أصحابه أو التابعين؛ لأن الحي القيوم يفعل ما يشاء ويتحرك إذا شاء، ويهبط ويرتفع إذا شاء، وينقبض ويبسط ويقوم ويجلس إذا شاء؛ لأن أمارة ما بين الحي والميت التحرك، كل حي متحرك لا محالة، وكل ميت غير متحرك لا محالة، ومن يلتفت إلىٰ تفسيرك وتفسير صاحبك مع تفسير نبي الرحمة».

(٢) رواه الثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ٦٠) في تفسير قوله تعالىٰ ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾(سورة المؤمنون)، من طريق أحمد بن نصر قال: سئل جعفر بن محمد: لم خلق الله الخلق؟ قال: لأن الله سبحانه كان محسنا بما لم يزل فيما لم يزل، إلىٰ ما لم يزل فأراد ﷻ أن يفوض إحسانه إلىٰ خلقه وكان غنيا عنهم، لم يخلقهم لجر منفعة، ولا لدفع مضرة، ولكن خلقهم وأحسن إليهم وأرسل إليهم الرسل حتىٰ يفصلوا بين الحق والباطل، فمن أحسن كافأه بالجنة، ومن عصىٰ كافأه بالنار.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، سورة حم السجدة، ورقم الحديث الذي يليه (٤٨١٦). ولكن ليس في الصحيح أن السائل هو نافع، قال الحافظ (في الفتح ٨/ ٥٥٧): «كأن هذا الرجل هو نافع بن الأزرق الذي صار بعد ذلك رأس الأزارقة من الخوارج، وكان يجالس ابن عباس بمكة، ويسأله ويعارضه، ومن جملة ما وقع سؤاله عنه صريحا ما أخرجه الحاكم في المستدرك من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة قال: سأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن قوله تعالىٰ ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ و﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ =

فأخبر ابن عباس أنه لم يزل متصفا بذلك، وأنه هو سمىٰ نفسه بذلك، فجعل القديم الأزلي اتصافه بذلك.

وأما تسمية نفسه بذلك فلم يقل إنَّه قديم لأنَّ التسمية تكلمه بمشيئته وقدرته، وكلامه غير مخلوق، لكن تكلمه بالقرآن وتسميته لنفسه بذلك من القرآن غير مخلوق، ولا يلزم أن يكون قديمًا أزليًّا.

ومن لا يقول بقدم الصفات الفعلية مع قوله بقدم الكلام المعين - كالأشعري وأتباعه، وابن عقيل، والقاضي في أول قوليه- يقول: تسميته لنفسه بذلك قديم أزلي، وأما اتصافه بذلك فيمتنع أن يكون أزليًّا.

وهذا نقيض قول ابن عباس.

وهؤلاء يقسمون صفاته إلىٰ صفات ذاتية وفعلية، كما تقسمها المعتزلة، وهو عندهم لا يتصف بفعل قائم بنفسه، بل الفعليات كلها مخلوقة، فالمعتزلة والجهمية يجعلون موصوفا بالمخلوقات المباينة له، وهؤلاء يلزمهم ذلك في مواضع لكنهم يتناقضون.

= وقوله ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ و ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ الحديث، بهذه القصة حسب، وهي إحدىٰ القصص المسئول عنها في حديث الباب وروىٰ الطبراني من حديث الضحاك بن مزاحم قال: قدم نافع بن الأزرق ونجدة بن عويمر في نفر من رؤوس الخوارج مكة، فإذا هم بابن عباس قاعدا قريبا من زمزم والناس قياما يسألونه، فقال له نافع بن الأزرق: أتيتك لأسألك، فسأله عن أشياء كثيرة من التفسير ساقها في ورقتين، وأخرج الطبري من هذا الوجه بعض القصة، ولفظه: أن نافع بن الأزرق أتىٰ بن عباس فقال قول الله ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ وقوله ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فقال: إني أحسبك قمت من عند أصحابك فقلت لهم: أتي ابن عباس فألقي عليه متشابه القرآن.. الخ».

فصل:

أكثر المعتزلة -وكثير من غيرهم- أنكروا خروق العادة لغير الأنبياء، والجهمية ومن اتبعهم -كأبي الحسن وأصحابه، ومن وافقهم من أصحاب أحمد ومالك والشافعي وغيرهم، كالقاضي أبي يعلىٰ وأبي المعالي الجويني وأبي الوليد الباجي وأمثالهم- لم يذكروا فرقًا بين معجزات الأنبياء وآياتهم، وبين كرامات الأولياء وسحر السحرة، إلا: أن المعجزة تقترن بدعوىٰ النبوة ويمتنع معارضتها، والولي برٌّ والساحر فاجر(١).

ومن هؤلاء من يسوي بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، ولا يسوي بين ذلك وبين السحر، بل يقولون: كل ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي، ولا يقول بمثل ذلك في السحر، لكونه لم يعرف ان السحر فيه خوارق عادات، كالطيران في الهواء، والمشي علىٰ الماء(٢).

وكذلك المتفلسفة المتكلمون في ذلك، كابن سينا (ظ١٨٢) وأمثاله، لم يذكروا فرقًا بين ذلك، إلا: أنَّ النبي والولي بر، والساحر فاجر.

---

(١) انظر هذا المبحث في كتاب النبوات ٢/ ٧٩٨.
وفيه قول الشيخ في الفرق بين المعجزات والسحر عند الأشاعرة: «ولهذا يقيم أكابر فضلائهم مدة يطلبون الفرق بين المعجزات والسحر، فلا يجدون فرقا؛ إذ لا فرق عندهم في نفس الأمر».
وقد ذكر الشيخ أن أكثرهم اتبع القاضي الباقلاني في (البيان ص٥٠)، وقال: «وفي كلامه في هذا الباب من الاضطراب ما يطول وصفه، وهو رأس هؤلاء الذين اتبعوه؛ كالقاضي أبي يعلىٰ، وأبي المعالي، والرازي، والآمدي، وغيرهم».

(٢) لم يذكر الشيخ في هذا الفصل الفرق بين المعجزة والكرامة، وقد بين ذلك في كتاب النبوات (٢/ ٨٠١) في مبحث نفيس قسم فيه الآيات إلىٰ صغرىٰ وكبرىٰ، فليراجع.

وسبب ذلك:

أنَّ هؤلاء جعلوا ذلك كله من قوىٰ النفس، ولكن النفوس تختلف بالبر والفجور، وأسباب الحوادث -خوارقها وغير خوارقها عند هؤلاء- ثلاثة: القوىٰ الفلكية، والقوىٰ الطبيعية، والقوىٰ النفسية، إذ كانت الحوادث عندهم كلها عن حركة الفلك، وحركة الفلك هي بالنفس الفلكية، وذلك تحرك العناصر السفلية فتتحرك حركة طبيعية، ثم النفوس التي تتعلق بها يحصل بها الأمور النفسانية، فمبدأ الحوادث كلها عندهم النفس الفلكية.

وحقيقة مذهبهم: أنَّ الحركة النفسانية وما يحدث عنها يحدث بلا محدث، كما قد بسطنا القول علىٰ مذهبهم في غير هذا الموضع.

ولا يعرفون ملائكةً ولا جنًّا إلاَّ ما يُثبتونه من الأعراض في هذه الأعيان، أو ما يدَّعونه من العقول العشرة[1]، ولهذا إذا جمعوا بين أصولهم وبين الشريعة جعلوا الملائكة هي العقول العشرة، أو القوىٰ النفسانية، أو الطبعية، أو قالوا: هي الكواكب، كما جعل أصحاب رسائل إخوان الصفا لملك الموت من روحانية زحل، ورضوان من روحانية المشتري، وجبرائيل من روحانية المريخ، وجعل الكواكب الثابتة هي حملة العرش ومن حوله، إذ كانوا يقولون: العرش هو الفلك التاسع، وقد وافقهم علىٰ أن الفلك التاسع هو العرش من تفلسف في

---

(١) سبق للمصنف أن عرف العقول العشرة (٣/ ٧٧) بقوله: «وزعم كثير من الكفار أن لله ﷻ بنين وبنات، وأن الملائكة بناته، وبعض من يقول بقدم العالم من المتفلسفة يقولون: العقول العشرة هي بنوه، والنفوس الفلكية هي بناته وهي متولدة عنه لازمة لذاته، فجاء القرآن الذي هو أفضل الكتب وأكملها بإبطال هذه المعاني ومنع استعمال هذا اللفظ في حق الله تعالىٰ..الخ».

هذا الموضع، كابن حزم وأبي حامد والرازي وغيرهم[1].

وبسط هذا له موضع آخر.

وأما الأولون: فإنَّ أصل قولهم الذي أوقعهم في هذا أنهم لا يثبتون أسبابًا وحكما يفعل لأجلها، ولا يثبتون قُوىً وقُدَرًا وطبائع تؤثر في آثارها، ولا يفرقون بين مأمور ومأمور، فلا يختص عندهم بعض الأفعال والأقوال بصفات تقتضي أن تكون من الحسنات المأمور بها، ولا بصفات تقتضي أن تكون من السيئات المنهي عنها، ولا يفرقون بين شخص في جواز تخصيص الله له بالنبوة، بل يجوزون أن يرسل كل أحد، وأن يأمر بكل شيء، وأن ينهىٰ عن كل شيء، وأن يفعل كل شيء ممكن، ليس من الأفعال ما ينزهونه عنه أن يفعله، ولا من الممكنات والمقدورات ما ينزهونه عنه.

ولكن ما أخبر أنه لا يفعله أو فعله علم بخبره وقوعه وعدم وقوعه، وإن كان لا ينزه عن واحد منهما، فإذا أخبر أنه يثيب عباده المؤمنين فهو كإخباره أنه لا يغفر أن يشرك به مع جواز أن يأمر بالشرك عندهم، ولا عندهم من أفعال العباد أيضًا ما ينزهونه عن الأمر به، والنهي عنه، ولا في الحوادث عندهم شرط ولا سبب، ولا مانع، بل كل ممكن يجوز أن يكون مقدورًا بلا سبب، ولا حكمة، وإنما المخصص محض المشيئة، والقادر عندهم يخص أحد الجائزين

---

(١) معنىٰ كلامهم: أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة، وربما سموه: الفلك الأطلس، ويكفي فيه قول النبي ﷺ: «فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسىٰ آخذ بقائمة من قوائم العرش» (رواه البخاري:٣٣٩٨، ومسلم: ٢٣٧٣) فلو كان فلكا مستديرا لما كانت له قوائم..
وينظر في هذه المسألة: الرسالة العرشية للمصنف، وهي مطبوعة كذلك ضمن مجموع الفتاوىٰ ٦/ ٥٤٥، شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٧٧.

المتماثلين بمحض مشيئته، من غير سبب يقتضي تخصيصه، ولا لحكمة تقتضي تخصيصه، فانسدَّ عليهم بهذه الأصول التميز بين النبي والساحر، وبين النبي والولي، إذ كان الله قادرا علىٰ خرق العادة مطلقا[1] عندهم، لا يميزون عادة من عادة ولا يشترطون لذلك شروطا، ولا له مانع عندهم، ولا يعلمون ما يفعل مما لا يُفعل إلا بالعادة أو بالخبر خبر الأنبياء، فقبل خبر الأنبياء لا مستند لهم في الفرق إلا العادة، والعادة عندهم يجوز نقضها.

وحينئذ فاحتاجوا أن يقولوا: إنا نعلم بالاضطرار أنَّ العادة الفلانية لم تخرق مع تجويزنا أن تخرق، ولا مستند للفرق إلا مجرد ما يخلق في قلوبنا من العلم الاضطراري من غير أن يكون للمعلوم سبب يختص بما وصفوه به (ظ١٨٣)، ولا للعلم سبب يختص بحدوثه في قلوبهم، دون نقيضه، قالوا: وكذلك نعلم أنَّ من ادَّعىٰ النبوة وأتىٰ بالخارق فإنا نعلم صدقه بالاضطرار، وإن كان مثل ذلك الخارق يأتي به الساحر والولي، ويحصل العلم الضروري هنا ولا يحصل هنا، لا لفرق إلاَّ مجرد اقتران دعوىٰ النبوة به.

ولهذا يتناقضون كثيرًا، ويذكرون بين النبي والولي وبينهما وبين الساحر فروقا يتناقضون فيها، ويقولون أحيانا: إنَّ الأمة مجمعة علىٰ أن إحياء الموتىٰ لا ينال بالسحر، فيلزم أن لا يتوصل الساحر إلىٰ إحياء جماد.

وهذا الذي ذكروه من إجماع الأمة لا ينفعهم إن لم يبينوا ثبوت ذلك بالأدلة العقلية علىٰ أصلهم، وإلا فالإجماع دليل سمعي.

---

(١) كتبها في الأصل: مطقا.

والقرآن والسنة وإجماع السلف والأئمة والأدلة العقلية تدل علىٰ الفرق بين النبي والساحر من وجوه:

١-من جهة نفس الشخصين:

فإنَّ النبي لا يكون إلا صادقا برا، والذي تقترن به الشياطين -كالساحر والكاهن- لا يكون صادقًا بارًّا، بل أفاكًا أثيمًا.

فهذا أحد الفروق، وهو مبني علىٰ: أنَّ الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس، وأن الله أعلم حيث يجعل رسالاته، فلا بد أن يكون النبي مختصًّا بما يناسب النبوة، وأقل ذلك: أن يكون صادقًا بارًّا.

قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤]، وقال: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ [آل عمران:١٦١].

فهذا أصل عظيم، فإن تجويز النبوة في كل أحد من أصول الضلال.

٢-الفرق الثاني: الفرق بين الدعوتين.

فإنَّ النبي إنما يدعوا إلىٰ التوحيد والصدق والعدل وطلب الدار الآخرة، فلا بدَّ أن يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، والساحر لا يدعو إلىٰ ذلك، بل إلىٰ اتباع الهوىٰ، وإن كان شركًا وظلما وفجورًا، وهذا الفرق يناسب الأول، فإنَّ الأول في أقواله وأعماله وأخلاقه في نفسه، وهذا الثاني هو الفرق فيما يأمر به ويدعو إليه ويخبر به.

٣-والفرق الثالث: في نفس آياته.

سواء كانت من جهة القدرة والتصرف، أو من جهة العلم والخبر، فإنَّ معجزات الأنبياء خارجة عن جنس مقدور الإنس والجن والحيوان، وأما خوارق السحرة والكهان فلا تخرج عن جنس مقدور هؤلاء، مثل: إمراض النفوس، وقتلها، وهذا من جنس مقدور البشر، لكن يختلف أسبابها.

فالساحر يفعل ذلك بأسباب خفية لا تظهر للناس، وكذلك إزالة عقل الرجل وجعله محبًّا لآخر، ومبغضًا له، فإن هذا من جنس ما قد يفعله الناس، لكن يختلف طرقه وأسبابه.

وكذلك إزالة الأمراض التي يعتاد إزالتها، فإنَّ الساحر قد يزيلها بأسباب غير الأسباب المعلومة، وكذلك الأخبار عن بعض الأمور الغائبة التي قد يعلم نظيرها، إمَّا بمنام وإمَّا بخبر الجن والفراسة، ونحو ذلك.

بخلاف ما يخبر به النبي من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، وما يأتون به من الآيات، كانقلاب العصا حية، وخروج الماء من الحجر، ونحو ذلك، ومثل انشقاق القمر، ونبع الماء من بين الأصابع، وتكثير الطعام القليل من غير مادة تزاد عليه، فإنَّ هذا لا يأتي به ساحر، ولكن قد يأتي بطعام أو شراب أو مال من مكان آخر، لأنَّ الشياطين تحمله له، ولهذا لم يكن شيء من هذا من معجزات النبي ﷺ، وإنما كانت معجزاته من القسم الأول.

وقولنا في هذا: «من جنس مقدور الحيوان»، لم يُردْ به ما يريده بعض الناس بأنَّ مقدور المخلوق لا يكون إلا في محل قدرته، ويقولون (ظ١٨٤): كل ما خرج عن نفس المخلوق فليس مقدورًا له، ولا يجعلون لقدرته تعلقًا بغير محلها، كما يقوله أبو الحسن وأتباعه، كالقاضي أبي يعلىٰ وغيره.

بل نريد ما يقدر الحيوان أن يحصل بسعيه وبسببه، كما يقدر بعض الناس علىٰ قتل غيره وتمريضه، وكما تقدر الجن والريح والطير علىٰ أن تحمل شيئًا بين السماء والأرض.

وأيضًا: فلا نريد بذلك أنَّ الأنبياء لا تأتي بشيء من هذه الخوارق التي جنسها مقدور للحيوان، بل تأتي بها وبغيرها، فما كان غير مقدور في العادة للإنسان قد تقدر عليه بعض الناس بأسباب غريبة، كما يقدر الساحر والكاهن بما يقترن به من الشياطين وبغير ذلك علىٰ أمور غريبة، لكنها مُعتادة من جنسه، كما يقدر أهل الحيل الطبيعية علىٰ أنواع من العجائب التي لا يقدر عليها غيرهم.

فهؤلاء إذا جاؤوا بهذا الجنس اقترن به ما يُبين كذبهم، مثل: أن يخبر أحدهم بأمور غائبة ويكذب في كثير مما يخبر به، ويمكن غيره أن يمنعه من تلك ويعارضه بنظيرها، والدليل إذا أمكن إبطاله بالممانعة والمعارضة بطلت دلالته، كمن يخبر من الكهان ببعض الغائبات لكاهن آخر مثله يخبر بها، ويمكن أن يمنع من الإخبار إما بشيطان أقوىٰ من شيطانه، يمنع شيطانه أن يخبره، وإمَّا برجل مؤمن قوي الإيمان معه مِن ذكر الله وأسمائه وكتابه ما يطرد به الشياطين، فلا تخبره بشيء، بل ولا تتصرف له بشيء، بخلاف إخبار المسيح عليه السلام لهم بما يأكلون وما يدَّخرون في بيوتهم، فإنه لا كذب فيه، ولا يمكن أحدًا أن يمانعه ولا يعارضه.

وكذلك مسرىٰ محمد ﷺ من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ فإنه كان آية بيِّنة لقومه لما أخبرهم بصفة بيت المقدس صفةً مُفصَّلة، لا يقدر عليها إلاَّ من رآه، وهم يعلمون أنه لم يره قط، ولم يكن المقصود بذكر المسرىٰ هذا بل المقصود أنْ يكون هذا دليلاً ووسيلة علىٰ ما يكون بعده من المعراج الذي

رأىٰ فيه من الآيات الكبرىٰ، كما قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء:١].

فإنَّ قطع المسافة في الهواء مقدور للطير وللجن ولمن تحمله الجن، كما أخبر تعالىٰ عن العفريت الذي قال لسليمان: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النمل:٣٩].

وكما قد تواتر عندنا -وعند غيرنا- ممن تحمله الجن في الهواء وتذهب به إلىٰ مكان بعيد، مع كونه كافرًا وفاجرًا، وتذهب به إلىٰ مكة وغير مكة، مع كونه فاجرًا ومنافقًا، فهذا الذهاب الذي تفعله الشياطين يكون لشيء تريده الشياطين بهذا وأمثاله، من إضلاله وإغوائه لا لمصلحة الدين ولا الدنيا، بخلاف حمل الريح لسليمان، فإنه كان من نعم الله الذي ينتفع بها في الدين والدنيا بلا مضرة راجحة.

وأمَّا مِعْراج نبينا ﷺ فكان أعلا من ذلك، فإنه كان فيه من مصالح الدين ما لم يكن لغير سيد المرسلين، وهؤلاء الذين تحملهم الشياطين في الهواء يمكن ممانعتهم ومعارضتهم من جنسهم المؤمنين، كما قال الذي عنده علم من الكتاب: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل:٤٠].

ويقترن بهذه الأمور ما يستلزم فجورهم وكذبهم المناقض للولاية والنبوة.

والدجال: عامة ما يأتي به من جنس ما يفعله السحرة والشياطين، لكنه أقوىٰ من غيره في ذلك، ولهذا لم يكن مِنْ خَلق آدم إلىٰ قيام الساعة فتنة أعظم من فتنة الدجال، كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي ﷺ حين قال: «ما من نبي إلا وقد أنذر أمَّته الدجال حتىٰ نوح أنذر أمته (ظ١٨٥) الدجال، وسأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لأمته، إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه

كافر كـ ف ر يقرأه كل مؤمن قارئ وغير قارئ، واعلموا أنَّ أحدًا منكم لن يرىٰ ربه حتىٰ يموت»[١].

فلما كانت شبهات الدجال قوية -لم يأت بشر بمثلها- ذكر النبي ﷺ من الدلائل الدالة علىٰ كذبه ما هو بيِّن لكل أحد:

-أحدها: أنه أعور، وهو يدعي الإلهية، ومعلوم أن الله ليس بأعور، فإن الشيطان وإنْ شبَّه علىٰ بعض الناس وجوَّز أن يكون الله يحل أو يتحد ببشر -كما قالته النصارىٰ في المسيح، وكما يقوله كثير من الضلال في شيوخهم- أو جوَّز أن يكون الله نفسه مثل آدمي -كما يتوهمه كثير من الضلال- فلا ريب أن الله أكمل من غيره، وأنَّ العور صفة نقص، فيعلم كل أحد أن الله لا يكون أعور.

ومما يشبه هذا ما حدثني به بعض أصحابنا عن بعض الاتحادية من اليونسية[٢] -وهم يعتقدون في أحدهم أنه الله- وكان هذا يعتقد في نفسه أنه الله، قال عن نفسه: فكرتُ في نفسي يوما -وكان أعور- فوجدتني أعور، وأنا عاجز عن إزالة الضرر عن نفسي، فتبين لي أني[٣]لست إلها إذ لو كنتُ إلهًا لقدرت أن أزيل هذا النقص عن نفسي، وأجعل نفسي صحيح العينين.

-وذكر النبي ﷺ أنه مكتوب بين عينيه كافر، وأن كل مؤمن يقرأ ذلك، وهذا يُبيِّن أن أهل الإيمان بما في قلوبهم من الإيمان يبين الله لهم من الحق ما لا يبصره غيرهم.

---

(١) سبق تخريجه، وانظر: صحيح البخاري ٣٠٥٧، وصحيح مسلم ١٦٩.

(٢) سبق التعريف باليونسية، ينظر ٢/ ٢٧.

(٣) في الأصل: فتبين لي أن أني..

-وقال كلمة جامعة: «واعلموا أن أحدا منكم لن يرىٰ ربه حتىٰ يموت» فدل بذلك علىٰ أن كل ما يرىٰ بالعين قبل الموت فليس هو الله، وأن أحدًا لا يرىٰ الله بعينه في الدنيا.

-وكذلك ما تقدم من إنذار الأنبياء وإخبارهم به صار مُبينا أنَّه كذاب، وكذلك دعواه الإلهية الممتنعة لذاتها مما سوىٰ الله، لما كانت الدعوىٰ ممتنعة لم يمكن أن يقوم علىٰ صحتها دليل، فعلم أن ما جاء به لم يكن آية علىٰ دعواه، وأن الله جعل ذلك محنةً وفتنة يبلوا بها عباده ليجتهدوا في تحقيق الإيمان والثبات عليه، كسائر ما ابتلاهم به من نحو ذلك.

كما قال تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران:١٧٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة:١٤٣]، وقال تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت:١-٢].

والفتنة تكون بالشبهات تارة[1]، والشهوات تارة، فيفتنون بالشبهات ليعرفوا الحق من الباطل، والهدىٰ من الضلال، ويفتنوا بالشهوات ليتميز الراشد من الغوي، والمطيع من العاصي، والله أعلم.

---

(١) كتبها لحقا في الهامش، وفوقها: خـ.

٤ -الفرق الرابع: أن المعجزات لا يمكن معارضتها بخلاف خوارق السحرة.

فإنه يمكن معارضتها، لأن النبي لا يعارضه نبي قبله، إذ كان الأنبياء يصدق بعضهم بعضًا، وغير الأنبياء لا يمكنهم الاتيان بمثل آيات الأنبياء.

وأمَّا السحرة فإنه بعضهم يعارض بعضًا، ولهذا كان السحرة يبطل بعضهم سحر بعض، ويسحر المسحور للساحر، كما يوجد بين المتقاتلين من بني آدم، بخلاف آيات الأنبياء.

***

آخر ما وجد في الكراس وبه كمل جميع الكتاب[1]

والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

علقه لنفسه أحمد بن محمد بن أحمد بن المحب عبدالله المقدسي، عفا الله عنهم، وفرغ منه في العشر الأوسط من شهر رمضان المعظم، سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة.

والحمد لله علىٰ الإسلام والسنة.

---

(١) هامش الأصل وبه كمل جميع الكتاب: بلغ مقابلة بنسخة قوبلت علىٰ الأصل خط المؤلف، قدس الله روحه، ولله الحمد والمنة، علىٰ الإسلام والسنة.

فهرس موضوعات المجلد الرابع

الموضوع	الصفحة
فصل في أن شهادة الكتب المتقدمة للنبي ﷺ من دلائل نبوت	٥
شهادة التوراة بنبوة النبي ﷺ	٦
بشارة شمعون بالنبي ﷺ	٢٢
نبوة حبقوق بالنبي ﷺ	٢٣
بشارة الزبور بالنبي ﷺ	٢٦
بشارة ثانية لداود	٣٣
بشارة ثالثة لداود	٣٥
بشارة رابعة لداود	٣٩
بشارة خامسة لداود	٤٠
نبوة أشعياء	٤٢
فصل في اتفاق الكتب المتقدمة علىٰ التبشير بالمسيح ومحمد ﷺ	٤٣
غلط النصارىٰ في مجيء المسيح	٤٥
فصل ثناء أشعياء علىٰ مكة شرفها الله	٤٧
فصل إعلان أشعياء باسم محمد ﷺ	٤٨
فصل شهادة أشعياء لهذه الأمة بالصلاح	٤٩
فصل بشارة أشعياء بمكة شرفها الله	٥٠
فصل نص أشعياء علىٰ خاتم النبوة	٥١
فصل وصف أشعياء أمة محمد ﷺ	٥٣
فصل وصف أشعياء لمكة	٥٤
فصل حكاية أشعياء عن الله تعالىٰ شكر أحمد ﷺ	٥٦
فصل نبوة حبقوق	٥٧
فصل وصف حزقيال أمة محمد ﷺ	٦١
فصل ذكر دانيال محمدا ﷺ باسمه	٦٣
فصل تضرع دانيال إلىٰ الله في شأن الأنبياء	٦٥

فصل زائد في طبعة النيل (في الهامش) ٦٨
فصل البشارة بالفارقليط ٧٠
تفسير الفارقليط والأركون ٧٢
تفسير معاني أسماء النبي ﷺ ٨٨
معنىٰ المخلص ٩٠
الأب في بشارات المسيح ١٠١
فصل اشتمال القرآن علىٰ أنواع متعددة من الآيات والبراهين ١٠٣
الإخبار بالغيبيات ١٠٤
الطرق التي يعلم بها أهل الأرض أن النبي ﷺ لم يتعلم من بشر ١٠٩
إثبات أن النبوة من الله والرد علىٰ المتفلسفة في النبوات ١٢٣
امتناع الشياطين عن التنزل بالوحي طبعا وشرعا ١٢٥
الرمي بالشهب من دلائل النبوة ١٣١
فصل اعتراف قوم النبي ﷺ بصدقه مع شدة العداوة له ١٣٥
تنازع الناس في زمن فتية أصحاب الكهف في المعاد ١٥٤
العلم بأن محمدا ﷺ لم يتعلم من بشر يحصل بوجوه ١٥٥
المسائل التي سأل أهل الكتاب عنها النبي ﷺ ١٦٣
فصل من تمام النعمة أن تكون دلائل نبوة النبي ﷺ معلومة لكل الخلق ١٧٠
من آيات النبوة تحدي النبي ﷺ الناس بالقرآن وإظهاره هذا التحدي ١٧٣
فصل الآيات والبراهين علىٰ نبوة محمد ﷺ كثيرة متنوعة ١٧٦
نوعا الآيات ١٨١
القرآن يظهر كونه آية للنبي ﷺ جملة وتفصيلا ١٨٣
وجوه الإجمال ١٨٣
وجوه التفصيل ١٩٢
فصل سيرة النبي ﷺ وأخلاقه وكرامات أوليائه من دلائل نبوته ١٩٥
فصل في صفات النبي ﷺ الظاهرة الدالة علىٰ كماله ٢٠٦
فصل في فضل أمته ﷺ علىٰ جميع الأمم ٢٢٧
مذاهب أهل الأرض الأربعة في المعاد ٢٢٩

الأول مذهب السلف ٢٢٩
الثاني مذهب المتكلمين ٢٣١
الثالث مذهب الفلاسفة ٢٣١
الرابع قول المنكرين للمعاد ٢٣٢
فصل في فضل أمة الإسلام علىٰ أهل الكتاب في العلوم والعبادات والأخلاق ٢٣٩
المقصود من العبادات ٢٤٠
الكلمات العشر التي نزلت علىٰ موسىٰ ٢٤٥
القول الثاني في مقصود العبادات ٢٥٣
اختلاف الناس في صفات العبادات ٢٥٥
فصل في الأنواع الثلاثة لمدعي النبوة ٢٥٩
فصل من آيات النبي ﷺ قصة الفيل ٢٦٧
فصل من آيات النبي ﷺ الظاهرة حراسة السماء والرمي بالشهب ٢٦٩
فصل آيات النبي ﷺ التي ليست في القرآن كثيرة جدا ٢٧٧
من أعجب الأمور الخارقة أن اليهود لا يتمنون الموت ٢٨٣
فصل آيات النبي ﷺ استوعبت جميع أنواع الآيات الخبرية والفعلية ٢٨٦
ذكر بعض الأحاديث الدالة علىٰ ذلك ٢٨٦
المغيبات التي أخبر بها ووجدت كما أخبر به ﷺ ٣١٨
فصل أنواع آيات النبي ﷺ المتعلقة بالقدرة والفعل والتأثير ٣٣٣
النوع الأول: ما هو في العالم العلوي ٣٣٣
الرد علىٰ من أنكر صعود البدن ٣٤٦
النوع الثاني: آيات الجو ٣٥٠
النوع الثالث: تصرفه في الحيوان ٣٥٢
النوع الرابع: آثاره في الأشجار والخشب ٣٧٠
فصل النوع الخامس: الماء والطعام الذي يبارك فيه فيكثر ٣٧٥
فصل: تكثير الطعام ٣٨٨
تكثير الثمار ٤٠١
فصل النوع السادس: تأثيره في الأحجار ٤٠٥

النوع السابع: تأييد الملائكة ٤٠٩
النوع الثامن: كفاية الله له وعصمته من الناس ٤١٥
انتقام الله ممن يسبه ٤٢٩
النوع التاسع: إجابة دعواته ٤٣١
فصل في الطرق التي تبين بها أن هذه الأخبار تفيد العلم ٤٥١
التواتر المعنوي ٤٦٩
مصنفات العلماء في دلائل النبوة ٤٧٨
فصل آيات النبوة تكون في حياة الرسول وقبل مولده ٤٩١
فصل من آيات الأنبياء إهلاك مكذبيهم ٤٩٦
تنوع آيات الأنبياء قبل المبعث وحين المبعث وبعد الممات ٥١٢
فصل الأدلة نوعان ٥٢٤
فصل الدلائل تقوم بها الحجة ٥٢٦
فصل جماع الكلام في النبوة متصل بالكلام في جنس الخبر ٥٤٥
فصل خبر الواحد بحسب الدليل الذي يقوم معه ٥٦٨
طريق نبه عليها القاضي عياض يتبين بها صدق النبي ﷺ ٥٨٨
درجات الناس في النبوة ٥٩٥
أنواع الذين يحتاجون لمعرفة النبي ٥٩٨
الأصول الجامعة ٦٠٠
آخر النسخ ٦٠٢
زيادات النسخة الظاهرية ٦٠٥
فصل أوجه دلالة المعجزات علىٰ نبوة الأنبياء ٦٠٦
فصل الآيات الدالة علىٰ رسالته تدل علىٰ صدقه ٦١٥
فصل في مسألة حدوث العالم ٦١٦
فصل مذاهب الناس في خروق العادات لغير الأنبياء ٦٢٨
الفرق بين النبي والساحر ٦٣٢
فهرس موضوعات المجلد الرابع **٦٣٩**



الجواب الصحيح

لمن بدل دين المسيح

تأليف

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

(٦٦١ - ٧٢٨هـ)

الفهارس

المجلد الخامس



طبع برعاية
مؤسسة عبد اللطيف العيسى الخيرية



مركز التأصيل للدراسات والبحوث
Taseel Center for Studies & Research

١) الفهـــارس اللفظيـــة

٢) الفهـــارس العلميـــة

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن تيمية، احمد بن عبدالحليم
الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. /احمد بن عبد الحليم ابن تيمية ؛ علي محمد العمران - جدة ، ١٤٤٠ هـ

٥ مج.

ردمك: ٧-٠-٩١٣١٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٢-٥-٩١٣١٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج٥)

١- الإسلام و النصرانية ٢- الديانات المقارنة أ-العمران ، علي محمد (محقق) ب.العنوان

ديوي ٢٩١ ١٤٤٠/١١٣١٧

رقم الإيداع: ١٤٤٠/١١٣١٧
ردمك: ٧-٠-٩١٣١٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٢-٥-٩١٣١٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج٥)

الطبعة الأولى
١٤٤١ هـ - ٢٠١٩م



مركز التأصيل للدراسات والبحوث
Taseel Center for Studies & Research

جدة، شارع عبدالله السليمان، مقابل اكسترا
المملكة العربية السعودية

هاتف: 00966126288685
جوال: 00966596747896

الرمز البريدي: 22246، الرقم الإضافي: 6929
البريد الإلكتروني: sabban.taseel@gmail.com

الجواب الصحيح

لمن بدل دين المسيح

تأليف

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

(٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ)

الفهارس

المجلد الخامس

طبع برعاية





بسم الله الرحمن الرحيم

١- الفهارس اللفظية

- فهرس الآيات الكريمة
- فهرس الأحاديث
- فهرس الآثار
- فهرس الأعلام
- فهرس المصطلحات
- فهرس الكتب
- فهرس الشعر
- فهرس الكلمات المشروحة

فهرس الآيــات القرآنيــة

طــرف الآيــة	رقمها	الصفحــة
	الفاتحــة	
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ... مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾	٢ - ٤	١/ ٥، ٤/ ٦٠
﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾	٣	٤/ ٦٠
﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ... أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾	٦	١/ ٤٤٧
﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ... أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾	٦-٧	١/ ٣٧٠، ٤٤٧، ٤/ ٦١٤
﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾	٧	١/ ٤١٣، ٢/ ١٢٢، ١٧٥
	البقــرة	
﴿الٓمٓ ... وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾	١-٥	١/ ٤٨، ٣٧٠، ٤١٤، ٤٤٤
﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ...﴾	٢-٣	١/ ٤٥٠، ٢/ ١٢٢
﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ...﴾	٣	١/ ٤١٤
﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ...﴾	٤	١/ ٤٩، ٤٥٣، ٢/ ١٢٢
﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ...﴾	٥	٤/ ٦١٤
﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ...﴾	٧	٤/ ٦١٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ...﴾	٢١	١/ ٢٠٣
﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ...﴾	٢٢	٣/ ٣١٦
﴿وَإِن كُنتُمْ ... أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾	٢٣-٢٤	١/ ٦٧، ٢١٧، ٢٣٠، ٤/ ١٨٥، ٢٨٠
﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ...﴾	٢٤	٤/ ١٨٥

﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾	٢٥	٢/ ٣٩٧
﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا ...﴾	٢٦	٤/ ٦١٣
﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ...﴾	٣٢	٢/ ٢٠٨
﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ...﴾	٣٧	٢/ ٣٥
﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ...﴾	٣٨	١/ ١٦
﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾	٤٠	١/ ١٩٥، ٢٧٢
﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ...﴾	٥٠	٤/ ٤٩٥
﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ ... تَشْكُرُونَ﴾	٥٥-٥٦	٢/ ٤٥٦، ٤/ ٥٣٤، ٤٩٥
﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ ...﴾	٦١	١/ ٤٠١-٤٠٢
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾	٦٢	١/ ٤٠٢، ٤٣٦، ٢/ ١٤٢، ١٤٣، ٣٩٠، ٤/ ٢٤٨
﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ... لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	٧٢-٧٣	٤/ ٥١٠
﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ ... كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	٨٥-٩٣	٢/ ١٣، ١١٩
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا﴾	٨٧	١/ ١٩٥، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٨٠، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤١، ٢/ ٢٥٥، ٢٥٧
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ... إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	٨٧-٩١	١/ ٢٠٩، ٣/ ٥٢١-٥٢٢
﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ ...﴾	٨٩	١/ ٥١٢، ٥١٣، ٣/ ٥١١، ٥٢٢-٥٢٤
﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ...﴾	٩٠	١/ ٣٧٨
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ...﴾	٩١	٢/ ٥٧

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ ... بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾	٩٤-٩٦	٤/ ٢٨٣
﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ...﴾	٩٧	١/ ٥٨، ٣٥٧، ٣٨٠، ٣٨١- ٢/ ٢٥٦، ٤/ ٩٦، ١٢٤، ١٦٧
﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ ...﴾	٩٨	٤/ ١٦٧، ٤٩٤
﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ ... لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾	١٠١-١٠٣	١/ ٥١٥، ٤/ ٢٣٤-٢٣٥
﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ ...﴾	١٠٢	١/ ٦٠
﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ ...﴾	١٠٢-١٠٣	٢/ ٣٥٣
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ ...﴾	١٠٣	٤/ ٢٣٥
﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ ...﴾	١٠٩	٣/ ٥١٣
﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ ...﴾	١١١-١١٢	١/ ٣٤١، ٤/ ١٧٧
﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ...﴾	١١٢	٣/ ٤٤٩
﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ ...﴾	١١٣	١/ ٣٥، ٣٦
﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ...﴾	١١٥	٣/ ٣٢١، ٣٢٢
﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم ...﴾	١١٨	٢/ ٣٩٧، ٣/ ٢٥٨، ٤/ ٥٤١
﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ ...﴾	١٢٠	٢/ ٩٧
﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ...﴾	١٢٥-١٢٦	٤/ ١٠
﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ ...﴾	١٢٧-١٢٩	١/ ٣٣٩، ٢/ ٦٣، ٤/ ١١
﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ...﴾	١٢٨-١٢٩	٢/ ٦٩
﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا ...﴾	١٢٩	٤/ ٢٥، ١٠١، ٥١٣
﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ ...﴾	١٣٠-١٣٣	١/ ١٨، ٣٣٩، ٢/ ١١٠، ٤/ ٩٥

﴿قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡ ...﴾	١٣١	٢/ ١١٠
﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ ...﴾	١٣٢	٢/ ١١٠
﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي ...﴾	١٣٣	٢/ ١٠٤، ١١٠، ١١١، ٤٠٨
﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْ ...﴾	١٣٥	٢/ ١١١
﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ...﴾	١٣٦، ١٣٧	١/ ٨، ٤٧، ٣٠٣، ٣٧٨، ٤٤٥، ٤٩٦، ٥١٥، ٢/ ٢٥، ١١١، ١٤٧، ٤٨٥، ٤/ ٣٧، ١٧١، ٢٠١، ٤١٥، ٢٦٢
﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ...﴾	١٣٧	٢/ ١١١
﴿قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ ...﴾	١٣٩	٢/ ٩٧، ١٠٦، ١٠٩، ١١٥
﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً ...﴾	١٤٠	٤/ ١٧٢
﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ...﴾	١٤٢	٣/ ٣٢٢
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً ...﴾	١٤٣	١/ ٢٣٨، ٣٤٤، ٢/ ١٣٣، ٣/ ٣٢٨، ٤٥٧، ٤/ ٦٣٧
﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ ...﴾	١٤٤-١٤٧	٣/ ٥١١
﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ...﴾	١٤٥	٢/ ٩٧
﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ ...﴾	١٤٦	١/ ٥٠٧، ٥١٢، ٤/ ٥
﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾	١٤٨	٣/ ٣٢٢، ٤/ ١٢٢
﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ ...﴾	١٥٠	٢/ ١٠٦
﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا ...﴾	١٥١	١/ ٤٠، ٢٤٠، ٢/ ٦٣
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ...﴾	١٦٥	١/ ١٨٢، ٤/ ٢٤٦

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ ...﴾	١٦٨-١٧٠	٤/٥٥١
﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ ...﴾	١٦٩	٣/٢١٢
﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِي ٱلْكِتَٰبِ ...﴾	١٧٦	١/٦٢، ٤٣٦
﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ ...﴾	١٧٧	١/٤٧، ٤٢١، ٤٣٥، ٤٤٦، ٤٩٦، ٤/٢٦٢
﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ ...﴾	١٧٧	٢/١٣٩، ٤/٣٧
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ...﴾	١٨٣	١/٦١
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ ...﴾	١٨٥	١/٦٠، ٢٣٣، ٤/٢٩
﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ ...﴾	١٨٧	٣/٥١٣
﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	١٩٥	٤/٢٣٨
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ ...﴾	٢٠٤	٢/١٠٨
﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ...﴾	٢١٣	١/٤١٢، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٣٤، ٤٣٦، ٣/٢٩٣، ٤٥٦
﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ ...﴾	٢١٤	٤/٥٢٣
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾	٢١٦	١/١٠٨
﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ ...﴾	٢١٧	٤/٩٩
﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ ...﴾	٢٢١	٢/١٣٧
﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ...﴾	٢٣١	٢/٦٣، ٦٨، ٦٩
﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ ...﴾	٢٣٧	٣/٤٤٥
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ ...﴾	٢٤٣	٢/٤٥٦
﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾	٢٤٧	٣/٣٣٤

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ...﴾	٢٥١	١/ ٤٠٥-٤٠٦، ٣/ ٤٧٧
﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ...﴾	٢٥٣	١/ ٤٣، ٣٨٠، ٤٣٥، ٥١٥، ٢/ ٢٥٥، ٣/ ٤٩٨، ٤/ ٢٣٩
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ...﴾	٢٥٥	١/ ٦، ٣٦٠، ٢/ ٢٠٦-٢٠٨، ٣/ ٣٢٧، ٣٢٩
﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ...﴾	٢٥٦-٢٥٧	١/ ١٥٧، ٤/ ١٠٠، ١٥٩
﴿مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ...﴾	٢٥٩	٤/ ٤١٠
﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ...﴾	٢٦٠	٤/ ٤١٠
﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ ... وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ﴾	٢٦١-٢٦٣	٣/ ٤٤٥-٤٤٦
﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ﴾	٢٦٣	٣/ ٣٢٨
﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ﴾	٢٧٥	٣/ ٤٤٦
﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ...﴾	٢٨٠	٣/ ٤٤٤، ٤٧٧
﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ ...عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	٢٨٥-٢٨٦	١/ ٤٧، ٣٠٣، ٣٧٨، ٤٢٢، ٤٣٥، ٤٤٦، ٥١٥، ٤/ ٨٧، ٩٨، ٢٠١
﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ﴾	٢٨٦	٢/ ١٠٠

آل عمران

﴿الٓمٓ ... وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾	١-٤	١/ ٨٦، ٤٤٤، ٥١٧، ٤/ ٣٦
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾	٢	٢/ ٢٠٥
﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ...﴾	٧	١/ ١٩٦، ٢/ ١٤٤، ٣٩٧، ٣٧٤، ٤٩٧
﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ...﴾	١٢	١/ ٢١٨
﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ...﴾	١٣	١/ ٢٢٣، ٤/ ١٧٩، ٥١٣

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ... سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾	١٨-١٩	١/٢٥٠، ٣٣٧، ٥٠٤، ٣/٣٢٩، ٢/١٠٩-١١٠
﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَٰمُ ﴾	١٩	١/٣٤١
﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ ... ﴾	٢٠	٢/١٠٦
﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ ... وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَٰنِ الرَّجِيمِ ﴾	٣٣-٣٦	١/٣٥٣
﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ... ﴾	٣٧	١/٣٥٣
﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ﴾	٣٨-٦٨	١/٣٥٣-٣٥٥
﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ ... إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾	٤٢-٤٤	١/٣٤٢، ٣/٤٨٧
﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ ... ﴾	٤٤	١/٤٤٨، ٤/١١٥
﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ ... يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾	٤٥-٤٧	٢/٢٨٣، ٤٨٢، ٤٩٠، ٤٩١،
﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ ... ﴾	٤٧	٢/٢٩٣، ٤٩٠
﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ... ﴾	٤٩	٢/٤٧٧، ٤/١٧٨
﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾	٥٠	٢/٣٨٩
﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ... مَعَ الشَّٰهِدِينَ ﴾	٥٢-٥٣	١/٣١١، ٤٩٩، ٤/٩٦
﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا ... ﴾	٥٣	١/٣٤١، ٢/١٣٣
﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾	٥٥	١/٣٧، ٣٤٢، ٣٧٧، ٢/٣٦٥، ٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧٠-٤٧٢، ٤/٥١٢، ٢٨١
﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ... وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّٰلِمِينَ ﴾	٥٥-٥٧	١/٤٦٨، ٢/٣٤٠، ٣٩١، ٤٦٣
﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْءَايَٰتِ ... ﴾	٥٨	١/٤٤٨

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ ...﴾	٥٩	٢/ ٢٥٩، ٢٩٣، ٢٩٥، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٦، ٤٩٠
﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ ... ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾	٦١-٦٤	١/ ٧٢، ٨٧، ٢/ ١٠٧، ٤٨٥
﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ...﴾	٦٢	٢/ ٤٨٦
﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ ...﴾	٦٤	١/ ٦٢، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ١٣٩-١٤٠، ٣٣٨، ٥٠٢، ٥٠٤، ٢/ ١١٢، ١١٥، ١٤٨، ١٦٤، ٢٥٢، ٤٨٥، ٤/ ٥٩٥
﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ ... وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾	٦٥-٦٧	١/ ٩٤-٩٥
﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا ...﴾	٦٦	١/ ١٠٦، ٢/ ١٠٨
﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ ...﴾	٧٠-٧١	١/ ٩٣
﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ...﴾	٧٢	١/ ٥٠٥
﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ... إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾	٧٩-٨٠	٣/ ٢٩٤، ١/ ١٨٤، ٣٣٢، ٢/ ١٠٣، ١١٢
﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ...﴾	٨٠	٣/ ٧٩
﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ... مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	٨١-٨٥	١/ ٣٣٣، ٣٣٥، ٢/ ١١٣
﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ...﴾	٨٢-٨٥	١/ ٣٣٥-٣٣٦
﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ ...﴾	٨٣	٢/ ١١٤
﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ...﴾	٨٤، ٨٥	١/ ٤٤٦
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ ...﴾	٨٥	١/ ٣٩، ٤١، ٣٣١، ٣٣٨، ٣٤١، ٣٧٠، ٤٤٧، ٢/ ١١٤، ٤/ ٢٤٣

﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا ...﴾	٩٣	٢/ ٤٥
﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ...﴾	٩٦-٩٧	٢/ ١١
﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ...﴾	٩٧	١/ ٧٤، ٣٣٦، ٤/ ٢١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا ...﴾	١٠٠	١/ ٥٠٥
﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا ...﴾	١٠٥-١٠٦	١/ ٦٢
﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ...﴾	١٠٦-١٠٧	٤/ ٥٧٦
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ ... وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾	١١٠-١١٣	١/ ٣٩٣، ٤٠٠، ٢/ ١٣١
﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ...﴾	١١١-١١٢	١/ ٤٠١، ٤/ ٢٨٢
﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ ...﴾	١١٢	٢/ ١٢٠
﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ...وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾	١١٣-١١٤	١/ ٣٤٣، ٣٩٣، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤/ ٥٣٨
﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ ...﴾	١٢٣	٤/ ٤٥٨
﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ ... مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾	١٢٤-١٢٥	٤/ ٤٠٩
﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾	١٢٨	٤/ ٩٤
﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾	١٣٤	٣/ ٤٧٨
﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا ...﴾	١٣٩	٤/ ٥٤٤
﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ...﴾	١٤٠-١٤١	١/ ٢٣٩
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ...﴾	١٤٤	١/ ٣٧٢، ٢/ ١٦٩، ٣/ ٤٦٤
﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ ...﴾	١٤٦-١٤٨	٤/ ٥١٥
﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ...﴾	١٦٤	١/ ٤٠، ٢٤٠، ٢/ ٦٨

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ ... ﴾	١٦٥	٤/ ٥٤٤
﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ... ﴾	١٦٩	٤/ ٥١٥
﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ... إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾	١٧٢-١٧٥	٤/ ٤٩٤
﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ ... ﴾	١٧٣	٢/ ١٣٥
﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ... ﴾	١٧٩	١/ ٢٣، ٤/ ٦٣٧
﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ... ﴾	١٨١-١٨٣	١/ ٣٤٧، ٣/ ٣٢٥، ٤/ ٤٩٥
﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ ... ﴾	١٨٣	٢/ ٥٨
﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ ... ﴾	١٨٤	١/ ٤٤٤، ٤٩٨، ٥٠٠، ٤/ ٥٨، ٤٩٢، ٤٩٥
﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا ... ﴾	١٩١	٣/ ٧٨، ٣٢٤
﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ ... ﴾	١٩٥	٤/ ١٥٩
﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ... ﴾	١٩٩	١/ ٣٩٤، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩

النســـاء

﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾	١	٢/ ٤٨٤
﴿وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصۡفُ ... ﴾	١١	٣/ ٣٣٩
﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ ... ﴾	١٥	٣/ ٥١٣
﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ ... ﴾	٢٣	١/ ٦١
﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾	٢٤	١/ ٦١
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ ... وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾	٢٦-٢٨	١/ ٦٠
﴿لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم ... ﴾	٢٩	١/ ٣٨٧
﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ ... ﴾	٤١	٢/ ٣٤٤

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا...﴾	٤٧	١/ ١٩٥، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥١٤، ٥١٥
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ...﴾	٤٨	٤/ ٢٤٥
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾	٥٨	١/ ٦٠
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾	٥٩	١/ ٤٢١، ٢/ ٤٩٨، ٣/ ٨٥
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ... وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾	٦٠-٦٥	١/ ٤٢٣، ٤/ ٥٩٦-٥٩٧
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ...﴾	٦٤	١/ ٢٠، ٥٧
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ... وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾	٦٦ - ٦٨	٤/ ٥٢٥، ٢٣٧
﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ...﴾	٦٩	٢/ ١٧٥
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ...﴾	٧٧	١/ ٩٨
﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾	٧٨	١/ ١٩٢
﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ...﴾	٧٩	١/ ٢٤٣، ٢/ ٤٩٤
﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ...﴾	٨٠	١/ ٥٧، ٢/ ٣١٤، ٣/ ١٨٤، ٤/ ٦١٥
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ...﴾	٨٢	١/ ١٩٨، ٤/ ٢٦٣، ٢٦٤
﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ... لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾	٨٩ - ٩٠	١/ ١٠٨
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾	٩٢	١/ ٣٨٧، ٣٩٤، ٣/ ٤٤٤، ٤٧٨،
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ...﴾	٩٤	٢/ ٤٩٩، ٤/ ٥٤٨
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ...﴾	١٠٥	١/ ٢٣٧، ٤/ ٥٤٩

﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ...﴾	١١٣	٢/ ٦٩، ٤/ ٢٧٧
﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ ...﴾	١١٤	٢/ ١٣٩
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ...﴾	١١٦	٤/ ٢٤٥
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ ...﴾	١٢٥	١/ ٣٤١، ٤/ ٢٣٧
﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ ...﴾	١٤٥-١٤٦	١/ ٣٤٧
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ...وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾	١٥٠-١٥٢	١/ ٢٠، ٤٩٦، ٥١٥، ٢/ ١٢، ٣٩٠
﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ...عَذَابًا أَلِيمًا﴾	١٥٣-١٦١	٤/ ٥٣٤-٥٣٦
﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ...﴾	١٥٥-١٦١	٢/ ٤٦٧
﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾	١٥٦	١/ ٣٥، ٣٥٠
﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ...﴾	١٥٧	١/ ٤٦٩، ٢٨١، ٣٨٧، ٢/ ٧٥، ٣٨٧، ٤٦٣، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٧٠، ٤٧٢
﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ...وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾	١٥٧-١٥٨	١/ ٣٤٢، ٢/ ٩٦، ٤٦٣، ٤٧١-٤٧٢
﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾	١٥٨	٢/ ٤٧٣
﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ...﴾	١٥٩	١/ ٤٩٠، ٢/ ١٤٨، ١٤٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤/ ٤٥
﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ ...﴾	١٦٢	١/ ٥٠٧
﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ ... وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾	١٦٣-١٦٦	١/ ١٦، ٥٧، ٢٣٣، ٤١٥، ٤٩٩، ٤/ ٣٨، ٢٥٩
﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾	١٦٤	٢/ ٢٢٩، ٢٥٨

﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ...﴾	١٦٥	١/ ٥٧، ١١٦، ٢٣٤، ٤١٨، ٤٦٢، ٤٧١
﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ...﴾	١٦٦	٤/ ١٨٤
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾	١٧١	١/ ٢٥٥
﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾	١٧١	١/ ٢٥٢، ٢٥٤، ٢/ ٢٥٠
﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ...﴾	١٧١-١٧٢	١/ ٢٥٦، ٢٥٧، ٢/ ٣٣٤، ٤٦٣، ٤٨٦، ٤٩٦، ٤٩٨، ٣/ ٧٨، ٣٩٨
﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ ...﴾	١٧٢	٢/ ٤٩٢ - ٣/ ٧٩
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ...﴾	١٧١-١٧٥	١/ ١٧١، ١٧٣، ٢٥١، ٣٥٠، ٣٧٣، ٢/ ٧، ١٧٦، ٤٩١، ٣/ ٢١٢
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ ...﴾	١٧٤	٤/ ١٧٦

المائدة

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾	٢	٢/ ١٤٠
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾	٣	١/ ٦١
﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ...﴾	٤	٢/ ٢١٠
﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ ...﴾	٥	١/ ٥٠٢، ٥٠٤، ٢/ ١٠٨، ١٣٨
﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ...﴾	٦	١/ ٦٠
﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾	٨	٤/ ٢٣٧
﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ...﴾	١٤	١/ ٦٢، ٦٣، ٤١٠، ٢/ ٧، ١٢٦، ٤٧٥، ٣/ ٢٩١، ٢٩٣، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤/ ٢٨١
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا ...﴾	١٥-١٧	١/ ٤٦٣، ٣/ ٤٥٧

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ ... ﴾	١٧، ٧٢	١/ ١٧٠، ٢٥٠، ٢٥٢، ٣٧١، ٤٥٠، ٢/ ٧، ١٠١، ١٧٤، ٤٦٤، ٤٨٧، ٢/ ٤٣١
﴿ يَـٰٓأَهْلَ الْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا ... ﴾	١٩	١/ ٣١٥، ٤٣٢، ٤٦٣- ٣/ ٤٥٧
﴿ يَـٰقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ... إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾	٢١-٢٤	٣/ ٤٥٩
﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ ... ﴾	٢٦	١/ ٦١
﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى الْأَرْضِ ﴾	٣١	١/ ٥٩
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ... وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	٤١-٤٦	١/ ٤٥٧، ٤٥٩، ٢/ ٤٠، ٤٣، ٤٦
﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ﴾	٤٢	٢/ ٤٩
﴿ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ... ﴾	٤٢-٤٥	١/ ٤٦٠
﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَىٰةُ ... ﴾	٤٣	٢/ ٤٠
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا التَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ... ﴾	٤٤	١/ ١٩، ٣٤٠، ٤٦٠، ٢/ ٤٨، ٤/ ٩٥
﴿ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾	٤٥	٣/ ٤٤٥، ٤٧٧
﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾	٤٦	١/ ٤٦٠
﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ... فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ الْفَـٰسِقُونَ ﴾	٤٦-٤٧	١/ ٤٥٧، ٢/ ٤٢
﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ... ﴾	٤٧	٢/ ٤١، ٤٦٠
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَـٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا ... ﴾	٤٨	١/ ٥١٤، ٣٨٥، ٢/ ٣٦، ٤٤، ٤/ ١٢٢
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَـٰبَ ... فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَـٰلِبُونَ ﴾	٤٨-٥٦	٢/ ٥١

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ...﴾	٥٠	٢/ ٤٩، ٥١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ ...﴾	٥١	١/ ٤٥٠
﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾	٥٤	٣/ ٤٥٨، ٤/ ٣٠٢
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ ... سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾	٥٩-٦٠	٣/ ٤٦٨
﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً ...﴾	٦٠	٢/ ١٢٠
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ...﴾	٦٤	١/ ٣٤٧، ٣/ ٣٢٠، ٣٢٥، ٣٣١، ٤/ ٢٨١-٢٨٢
﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ...﴾	٦٧	٤/ ٨٥، ٤١٦
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ ...﴾	٦٨	٢/ ٥٢، ١٧٩
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ...﴾	٦٩	٣/ ٤٨٦
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا ... أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾	٧٢-٧٥	٣/ ١٧٤، ٣٩٨
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ... وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾	٧٢-٧٧	١/ ١٧٠، ٢٥١، ٣٧١-٣٧٢، ٢/ ٤٦٤-٤٦٥
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ...﴾	٧٣	١/ ٢٥٢، ٢٥٤، ٣٣٤، ٤٥٠، ٢/ ١٧٤، ٢٥٠
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ...﴾	٧٣-٧٦	٢/ ١٠٣
﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ ...﴾	٧٥	١/ ٤١٦، ٥٠٠، ٢/ ١٦٩، ٤٨٦، ٣/ ٣٩٧
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ...﴾	٧٧	١/ ٢٨١، ٣٦٨، ٢/ ٨، ١٢٦، ١٧٥، ١٧٨، ١٧٩، ١٨١، ١٨٢، ٣/ ١٩٢، ٢٩٥
﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ...﴾	٧٨-٧٩	٢/ ١٢٠، ٣/ ٤٦٩
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا ...﴾	٨٢	٢/ ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٨

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ ...﴾	٨٣	٢ / ١٣٤ - ٣/ ٥١١، ٥٢٢، ٥٠٧، ٥١١
﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ ... جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾	٨٣-٨٥	٢/ ١٣٢، ٤/ ٦
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ ...﴾	٨٧	١/ ٣٨٩
﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ...﴾	٩٧	١/ ٢٣٢
﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ ...﴾	١٠٣	١/ ٣٨٥
﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي ...﴾	١١٠	١/ ٣٨٠، ٤١٣، ٢/ ٢٢٩، ٢٤١،، ٢٥٥، ٤٧٧، ٤٧٨
﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ ...﴾	١١١	١/ ١٩، ٣١١، ٣٤١، ٤٩٩، ٤/ ٩٥
﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ...﴾	١١٢-١١٣	٢/ ١٤٦
﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ ... لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾	١١٢-١١٥	٢/ ١٤٥، ٤/ ٥٣٧
﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا ...﴾	١١٤-١١٥	٢/ ١٤٦
﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ ...﴾	١١٥	١/ ٤٦٨
﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ...﴾	١١٦-١١٧	١/ ٢٥٢، ٢٥٤، ٣٧٣، ٢/ ٤٦٦ - ٣/ ١٧٥
﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ ...﴾	١١٧	٢/ ٣٤٣، ٤٦٣، ٤٦٧، ٤٧٣
﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ ...﴾	١١٧-١١٨	٣/ ٤٨٠

الأنعام

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾	١	١/ ٥، ١٨٢
﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾	٣	٢/ ٣٠٩، ٣٣٥
﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ ... مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾	٤-٥	٤/ ١٧٨

﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ ... عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾	٤-١١	٤/ ٥٣٢، ٥٣٣
﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَـٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾	٧	٤/ ٥٣٥
﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ... ﴾	٨-٩	١/ ٢٤٠، ٥٠٩
﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾	١٩	١/ ٢٠٠، ٤٢٢
﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ... ﴾	٢٥	٤/ ١٧٨
﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ ... ﴾	٣٤	٤/ ٥٢٣
﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾	٤٨	١/ ٢٣٤
﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ... ﴾	٥٠	٢/ ١٦٨ - ٤/ ٩٤
﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ... ﴾	٥١	١/ ٣٤٨
﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ... ﴾	٥٣	٣/ ٤٦٤
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ ... ﴾	٦١	٢/ ٢٤١
﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾	٦٥	٤/ ٤٣٥
﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ... ﴾	٦٦-٦٧	١/ ٢٠٣، ٢٤٣، ٤١٧
﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى ... إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾	٨٠-٨٣	١/ ١٠٦
﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾	٨٣	٣/ ٣٢٧
﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ ... وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	٨٤-٨٨	١/ ٥٠٥، ٥٠٦، ٢/ ٣٧٠-٣٧١
﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ... ﴾	٩٠	١/ ٢٤٣
﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ... ﴾	٩١	١/ ٤٥٣، ٤/ ٣٨، ١٢٨
﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ... وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾	٩١-٩٢	١/ ٥٠١، ٥٠٢، ٤٥٣

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ ...﴾	٩٢	١/ ٢٣٦، ٤/ ١٢٨
﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ...﴾	٩٣	١/ ٤٣، ٢/ ٤٤٤ - ٣/ ٥٤٢، ٤/ ٢٦٣، ٥٢١
﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡ...﴾	١٠٠-١٠١	٢/ ٤٧٦، ٣/ ٧٨، ٣٧٣، ٣٧٧
﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ ...﴾	١٠١	٢/ ١٩٣، ٣/ ٢٠١
﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ ...وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ﴾	١٠٩-١١١	١/ ٣٣٤، ٤/ ٥٢٨
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ ...مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ﴾	١١٢-١١٣	١/ ٦٧، ٢٣٨
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ ...وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾	١١٢-١١٥	١/ ٢٠- ٢١ - ٤/ ٥٩٧
﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمًا ...﴾	١١٤	١/ ٥١٢، ٢/ ٤٩٦، ٣/ ٥١١، ٤/ ٥، ١٢٠
﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقًا وَعَدۡلًا ...﴾	١١٥	١/ ٣٦٠، ٢/ ٢٤٣، ٤/ ٢٦١
﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾	١٢١	٤/ ٣١١
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ ... كَانُواْ يَمۡكُرُونَ﴾	١٢٣-١٢٤	٤/ ١٧٧
﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾	١٢٤	٤/ ٦٣٢
﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ ...﴾	١٢٥	١/ ٥٩
﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ ...﴾	١٣٠- ١٣١	١/ ١٧، ٤١٨، ٤٦٢
﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ...﴾	١٣٧	١/ ٢٣٧
﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ...﴾	١٤٤	٤/ ٥٢١
﴿قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ ...﴾	١٥٠	٢/ ٩٧

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ ... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	١٥١-١٥٣	١/٨
﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	١٥٢	٤/٢٣٧
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ...﴾	١٥٣	٢/١٨٣
﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ... عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾	١٥٤-١٥٦	١/٥٠٢، ٤/٣٨
﴿أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ ...﴾	١٥٦	١/٥٠٤
﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ...﴾	١٥٩	١/١٨٦
﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ...﴾	١٦٤	٢/١٠٠

الأعــراف

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ ...﴾	٢٩	١/١٨٨، ٤٠٧
﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ... مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	٢٩-٣٣	١/٩
﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾	٣٠	١/٣٨٦
﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ...﴾	٣٣	٣/٨١، ٢١٢، ٤٠٦، ٤/٢٤٨، ٢٤٩، ٥٥١
﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ ...﴾	٥٣	٢/٤٩٨
﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾	٥٤	٣/٣٣٢
﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾	٧٣	٣/٣٢٣
﴿هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾	٧٣	٢/٢٤٠، ٤/١٧٨
﴿يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ...﴾	١٠٤-١٠٥	١/٥٣
﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾	١٢٦	١/١٩، ٣٤٠، ٤/٩٥
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ ...﴾	١٣٧	٢/٢٤٢
﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ...﴾	١٤٣	٢/٢٩٧
﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾	١٤٥	٤/٢٣٦

﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا ...﴾	١٤٩	١/ ٣٣٤
﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ ...﴾	١٥٥	١/ ٢٣
﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ... أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	١٥٦-١٥٧	١/ ٥١٠-٥١١، ٢/ ١٨
﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ... لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾	١٥٦-١٥٨	٢/ ٦-٧
﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ...﴾	١٥٧	٢/ ٤٤، ٩٣، ١٣٩، ٣٤٠، ٤٣٠، ٣/ ٥٠٩، ٥١٩، ٤/ ٣٧، ٣٦، ١٢٠
﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ...﴾	١٥٨	١/ ١٦٩، ٢٤٤،، ٣/ ٤٩٩، ٤/ ٢٠٣
﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ ...﴾	١٥٩	١/ ٤٠٠، ٤٠٢
﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ... لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾	١٦٨-١٧٠	١/ ٤٠٣، ٤/ ٥٣٨
﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾	١٧٩	٣/ ٢٣٠، ١/ ٢٥
﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ...﴾	١٨٠	٢/ ٢١٦، ٣/ ٤٠٦
﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ ...﴾	١٨١	١/ ٤٠٣
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ ...﴾	١٨٧	١/ ٢٢٧

الأنفال

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ ...﴾	٢	٢/ ١٤٠
﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾	٦	١/ ١٠٦، ٢/ ١٠٨
﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ...﴾	٩	٤/ ٤٠٩، ٤١١، ٤٣٥
﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ ...﴾	١٢	٢/ ١٩٦، ٤/ ٤١٠، ٤١٢

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾	١٧	٤/ ٤٠٧
﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ...﴾	٢٣	٤/ ٦١٣
﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ ...﴾	٣٢	٢/ ٤٧٣، ٤/ ١١٨
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ ...﴾	٣٣	٤/ ١١٨
﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ...﴾	٤٨	١/ ٤٨٦، ٤/ ٤١٢

التوبة

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ... إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	١-١٣	١/ ٧٦-٧٧
﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟﴾	٢	١/ ٧٥
﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ ...﴾	٥	١/ ٧٥، ١٠٧
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾	٦	١/ ١٠٠، ١٩٤- ٣/ ٢٥٠، ٣٤٠، ٣٨٣
﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾	١٤	٤/ ٢٨٢
﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ...﴾	١٧	١/ ٤٠٧
﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ...﴾	١٨	١/ ١٨٨
﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ ...﴾	٢٤	١/ ١٥١-١٥٢
﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ...﴾	٢٥	٤/ ٤٥٨
﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ...﴾	٢٦	٤/ ٤١٠
﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ...﴾	٢٨	٢/ ١٤٠
﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ...﴾	٢٩	١/ ٩٧، ١٠٧، ١٧١، ١٩٦، ٤٥٠، ٢/ ٨، ١٠١، ١٢٥، ١٤٤- ٣/ ٢٩٣، ٤٧٠

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ... ﴾	٣٠	١/ ٢٥٢، ٢/ ١٣٥، ١٤٨، ٤٨٧، ٣/ ٣٧٩
﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ... عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	٣٠-٣١	١/ ٢٥٢، ٢/ ١٢٥، ١٢٦، ١٧٤، ١٨٧، ١٨٨، ٢٥٠، ٤/ ٥٤٢
﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ... وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾	٣٠-٣٢	١/ ١٧١
﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ... فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	٣٠-٣٤	٢/ ٤٦٥
﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ ... ﴾	٣١	١/ ٢٥، ٣٣٣، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٥٠، ٢/ ٥، ١٠٢، ١١٢، ١٣٦، ١٧٩
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ ... ﴾	٣٣	١/ ١١١، ٢٣٧، ٢/ ١٥٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ ... وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾	٣٨-٤٨	٢/ ٨-٩
﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ... ﴾	٤٠	٢/ ١٩٦، ٢٣٧، ٢٤٢، ٤/ ٤١٠
﴿ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴾	٤٧	١/ ٤٥٨
﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ... ﴾	٥١	١/ ٦١
﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ... ﴾	٥٢	٤/ ٥١٥، ٥٣٩
﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾	٦٠	٢/ ١٤٠
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا ... ﴾	٦٥	١/ ٣٣٤
﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا ... ﴾	٧٥	١/ ٣٣٤
﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ... ﴾	٨٤	١/ ١٥١

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ...﴾	١٠٠	١/ ٤٤٢
﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ ...﴾	١١١	٤/ ٣٦
﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾	١١٤	١/ ٣٨٢
﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا ...﴾	١١٥	٢/ ٨١
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ...﴾	١٢٨	١/ ٢٤٠
﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	١٢٨	٣/ ٣٢٨
يونس		
﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ...﴾	٢-١	١/ ٥٠٩
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾	٥	١/ ٢٣٧، ٣/ ٢٨١، ٢٨٢
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ...﴾	١٥	١/ ٥٤، ٤/ ١٧٩
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ... أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	١٦-١٥	٢/ ٤٣٨، ٤/ ١١٦
﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ ...﴾	١٦	٣/ ٤٨٨-٤/ ١١٦
﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ ...﴾	١٨	١/ ١٧٨، ٣٤٨
﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾	١٩	١/ ٤٢٢، ٤٣٥
﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ ...﴾	٣٨-٣٧	٤/ ١٨٤، ١٨٥
﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ...﴾	٣٨	١/ ٢٣٠
﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ...﴾	٣٩	٤/ ٥٨٦
﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ...﴾	٤١	٢/ ٩٨، ٩٩
﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾	٤٦	٢/ ٣٤٣
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ ...﴾	٦٧	١/ ٢٣٤

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ...﴾	٧١-٧٢	١/ ١٨، ٣٣٩، ٤/ ٩٥
﴿يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ ...﴾	٨٤	١/ ١٨، ٣٤٠، ٤/ ٩٥
﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ﴾	٩٤	١/ ٤٤٥، ٥٠٤، ٣/ ٥١٢، ٤/ ٥
﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾	١٠١	٤/ ١٧٩
هود		
﴿وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ ...﴾	٨	١/ ٣٣٤
﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ ... فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾	١٣-١٤	١/ ٦٦، ٢٣٠، ٤/ ١٨٤
﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ ...﴾	١٤	٤/ ١٨٤
﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ ...﴾	١٧	١/ ٤٥٢، ٤/ ٣٨، ١٢٨، ١٢٩
﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا﴾	٣٢	١/ ١٠٦
﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ ...﴾	٣٤	١/ ٥٩
﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾	٣٧	٣/ ٣٢١
﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَ ...﴾	٤٩	١/ ٢١٣، ٤٤٩، ٣/ ٤٨٧، ٤/ ١٠٦، ١١٥، ١١٢، ٥١٤، ٤٩٧
﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ...﴾	٦٠	٣/ ٥٠٠
﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾	٦٤	٣/ ٣٢٣
﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ ... أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ﴾	٦٤-٦٨	٤/ ٥٠٧
﴿أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ﴾	٩٥	٣/ ٥٠٠

﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ ... أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴾	١٠٠-١٠٢	٤/ ٤٩٩
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ ... ﴾	١٠٢	٤/ ٥٢١
﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِ ﴾	١١٠	٢/ ٢٥١
﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ... ﴾	١١٨-١١٩	١/ ٦٢، ٤٣٦

يوسف

﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ... لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾	١-٢	١/ ٤٤٩
﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾	٢	١/ ٣٩، ٢٩٣
﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ ... ﴾	٣	١/ ٤٤٦، ٢/ ٣٥
﴿ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ... ﴾	٧	٤/ ١٠٥، ١٥٤، ١٨٠
﴿ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ ﴾	٢٣	٢/ ٤٠٤
﴿ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ ... ﴾	٣٢	١/ ٣٣٤
﴿ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ ﴾	٣٧	٢/ ٤٩٨
﴿ ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ ... ﴾	٤٢	٢/ ٤٠٤
﴿ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ ﴾	٨٧	٣/ ٣٢٣
﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ... ﴾	٩٥	٣/ ٣٨٧، ٤/ ٦١٨
﴿ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ ﴾	١٠٠	٢/ ٤٩٨
﴿ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ ... ﴾	١٠١	١/ ١٨، ٣٤٠
﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَ ﴾	١٠٢	١/ ٤٤٨، ٣/ ٤٨٨، ٤/ ١١٥، ١٥٤، ١٨٠
﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ ... بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾	١٠٢-١٠٦	٤/ ١٠٥
﴿ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ ... ﴾	١٠٤	١/ ٢٤٣
﴿ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ... ﴾	١٠٥-١٠٦	٤/ ١٥٤، ١٨٠

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ ... ﴾	١٠٦	١٨٤/١
﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي ... وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾	١٠٨-١١١	١٠٦/٤
﴿ ادْعُوا إِلَى اللَّهِ ﴾	١٠٨	٢٢١/٣
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا ... ﴾	١٠٩	٥٠٠/١، ١٥٥/٤
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ ... وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾	١٠٩-١١١	٥٠٠/٣، ٥٢٣/٤
﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ... ﴾	١١١	٤٩٧/٤
الرعد		
﴿ الٓمٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ... ﴾	١	٤٤٩/١
﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾	٧	٣١٤/١
﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾	١٦	٢٠١/٢ - ٦١٦/٤
﴿ وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾	٢٢	٢٣٧/٤
﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ ﴾	٣٥	٢٤٤/٢
﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ... ﴾	٤٣	٥٠٧/١، ٥١١/٣، ٥/٤، ١٧٢
إبراهيم		
﴿ الٓر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ... مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾	١، ٢	٦/١
﴿ الٓر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ... فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾	١-١٠	٤٩١/٤-٤٩٢
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا ... ﴾	٤	٤٠/١، ٢٨٤، ٢٩٣، ٣٠٤، ٣١٠، ٣١٣
﴿ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾	٢٤	٢٥٢/٢
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ ... ﴾	٢٨	١٤/١، ٤٦٤/٣

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ ...رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾	٣٢-٤٠	١/ ٢٣٣
﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي ...﴾	٣٧	٤/ ١٠، ١٧
﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ ...﴾	٥٢	١/ ٢٣٥
الحجـر		
﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾	١	١/ ٤٤٩
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾	٩	٢/ ٤١، ٨٣
﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ...﴾	٢٩	٢/ ٢٥٩، ٣/ ٢٠٤
﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ...إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾	٥٩-٦٠	١/ ٣٩٦
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾	٧٥	٢/ ١٦٠
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ...وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾	٧٥-٧٩	٤/ ٤٩٩-٥٠٠
﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾	٩٥	٤/ ٤٢٣
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي ...﴾	٨٧-٩٦	١/ ٦٤
﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾	٩١	٤/ ١٤٩
﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ ...ءَاخَرَۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾	٩٤-٩٦	٤/ ٤١٥
﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ...﴾	٩٥-٩٦	٤/ ٥٣٨
النحـل		
﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾	١	٢/ ٤٩٣
﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ ...﴾	٢	١/ ٣٨٤، ٢/ ١٩٦، ٢٥٦، ٣٧٠
﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ...﴾	٨	١/ ٢٣٢
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ ...﴾	١٤	١/ ٢٣٨

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾	٢١	٢/ ٢١٤
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ...﴾	٣٦	١/ ٧، ١٦، ٤٠، ٧٨، ٣١٤، ٥٠٨، ٢/ ١٣٦، ٣٠٤، ٣١٠، ٤١٦، ٤٤٩، ٤/ ٢٤٣، ٤٩٣
﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ... أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾	٣٨-٣٩	١/ ٢٣٤
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا ...﴾	٤٣-٤٤	١/ ٥٠٩، ٤/ ٤٩٣
﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ...﴾	٤٤	٢/ ٦٧
﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾	٥٣	٢/ ٤٩٤
﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ... فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾	٥٣-٥٥	٢/ ١٦٦
﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾	٧٤	٣/ ٣١٦
﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا ... وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾	٨٦-٨٧	٢/ ٤٩٩
﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ ...﴾	٨٩	٢/ ٣٤٤
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ...﴾	٩٠	٢/ ١٣٩ - ٤/ ١٤٦
﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ ... لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾	٩٨-١٠٣	٢/ ٢٥٥-٢٥٦، ٤/ ١١٣
﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ ... وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾	١٠١-١٠٢	١/ ٥٤، ٥٨، ٣٨٠- ٢/ ٤٣٧

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ ... ﴾	١٠٢	١/ ٣٥٧، ٤/ ٩٦، ١٢٤
﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ ﴾	١٠٣	٤/ ١١٤
﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً ... ﴾	١١٢-١١٣	٤/ ٤١٧
﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ ... ﴾	١٢٥	١/ ٩٨، ٩٩، ١٠٧، ٤/ ٢٣٧
﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ ... ﴾	١٢٦	٣/ ٤٤٥، ٤٧٧

الإسراء

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ... ﴾	١	١/ ٢٣٧، ٤/ ٣٣٧، ٦٣٥
﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ... وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴾	٤-٥	١/ ٥٧
﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ... وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾	٤-٨	٣/ ٤٦٨، ٤/ ٤٥٩، ٥١٧
﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا ... ﴾	٥	١/ ٥٩
﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ﴾	٧	٢/ ١٠٠
﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي ... ﴾	٩	٢/ ١٨٤
﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ... ﴾	١٢	١/ ٢٣٧
﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾	١٣	٢/ ١٠٠
﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ ... حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾	١٣-١٥	١/ ٤٦٢
﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾	١٥	١/ ١٧، ١٠٣، ١١٦، ٤١٨، ٤٧٠
﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا ... ﴾	١٦	١/ ٦٠
﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ ... ﴾	٢٢	١/ ١٨٢
﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾	٢٣	١/ ٦١، ٣/ ٢٢٢
﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ... ﴾	٢٣-٣٩	٣/ ٩-١٠

﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾	٢٩	٣/ ٣٢٠
﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖ ﴾	٣١	١/ ١٩٩
﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي ... ﴾	٣٤	٤/ ٢٣٧
﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ ﴾	٣٦	٤/ ٥٥٠
﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ ... ﴾	٤٤	٣/ ٢٩٠
﴿ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ ... ﴾	٤٦	٤/ ٦١٣
﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ ... ﴾	٤٨	١/ ٢١٦
﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ... ﴾	٥٣	٤/ ٢٣٦
﴿ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖ ... ﴾	٥٥	١/ ٤٣، ٥١٥ -٣/ ٤٩٨، ٤/ ٣٨
﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾	٥٦-٥٧	١/ ١٨٣، ٣/ ٢٩٤
﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ ... ﴾	٥٩	٤/ ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣١، ٥٤١
﴿ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ ... ﴾	٦٠	٤/ ٣٣٧
﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ ... وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ﴾	٧٣-٧٧	٤/ ١١٧-١١٨
﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾	٧٦	٤/ ١١٨
﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ... ﴾	٧٨	١/ ٤٥١
﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُ ... ﴾	٨١	١/ ٢٨
﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ ... ﴾	٨٢	٤/ ٦١٣
﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ ... ﴾	٨٥	٤/ ١٠٦، ١٥٢
﴿ وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾	٨٦	١/ ٣٣٤
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ ﴾	٨٨	١/ ٢١٧، ٢٣٠، ٢/ ٦٩، ٣/ ٢٥٨، ٤/ ١٧٣، ١٨٦،

		١٩٠، ٢٨٠
﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ... ﴾	٨٩	٤/ ١٨٨
﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ ... ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾	٩٠-٩٥	٤/ ٥٣٣
﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ ... ﴾	٩٣	٢/ ٣٤٩
﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ ... مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾	٩٤-٩٥	١/ ٥٠٨
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾	١٠١	٤/ ١٧٨
﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ ... وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾	١٠٦-١٠٩	١/ ٥١٢
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ ... وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾	١٠٧-١٠٩	١/ ٥٠٧، ٣/ ٥١١، ٤/ ٦
﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ... ﴾	١١٠	٢/ ٢١٦
﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ ... ﴾	١١١	١/ ٥، ٣/ ٧٨، ٣٧٧
الكهف		
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ... أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾	١-٢	٤/ ١٥٣
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ... إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾	١-٥	١/ ٥، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢/ ١٢٥
﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾	٤	١/ ٢٨١
﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ... إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾	٤-٥	١/ ٣٦٨، ٢/ ٢٥٢
﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ ... ﴾	٩	٤/ ١٠٦، ١٥٣
﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ ... ﴾	١٢	١/ ٢٣٥
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ ... ﴾	٢١	١/ ٢٣٥، ٤/ ١٥٤
﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ ... ﴾	٢٥	١/ ٣١٥

﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ... ﴾	٢٧	٢/ ٢٤٣
﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ ... ﴾	٢٨	١/ ٣٢١
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ ... ﴾	٥٤	٤/ ١٨٨
﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ ... ﴾	٨٣	٤/ ١٠٦، ١٥٥
﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ ﴾	١٠٩	٣/ ٢٤٦ - ٢/ ٢٣٦، ٢٤١
مريم		
﴿كٓهيعٓصٓ ... إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾	١-٤٠	١/ ١٢١- ١٢٢
﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ ... ﴾	١٠	٤/ ١٨٨
﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ ...وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾	١٦-٢٣	٣/ ١٩٧-١٩٨
﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ ...فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾	١٦-٣٨	١/ ٣٥
﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ ...لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾	١٧-١٩	١/ ٢٥٨، ٢٥٩، ٣٦١، ٣٦٣، ٢/ ٢٣٩، ٢٥٩، ٤٩٤
﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ ...بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾	١٧-٢٢	٢/ ٢٤٦، ٤٩٥
﴿إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ ... ﴾	١٨	١/ ٣٥٦
﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ ... ﴾	١٩	١/ ٣٥٦، ٢/ ٢٤٧، ٤٩٦
﴿هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً ... ﴾	٢١	١/ ٢٣٨
﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾	٢٨	١/ ١٠٤
﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ ...وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾	٣٠ - ٣٢	١/ ٣٧٣، ٢/ ٤٦٦
﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ ... ﴾	٣٣	٢/ ٤٦٧
﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ...يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾	٣٤-٣٥	١/ ٣٦٧، ٢/ ٢٩٣، ٤٩١

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ... فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾	٣٤-٣٨	٢/ ١٢٦
﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡ ... فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾	٣٧-٣٨	١/ ٣٦٧، ٤٥٠
﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا ...﴾	٣٨	١/ ٣٦٨، ٢/ ١٧٥
﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ ... لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾	٤٩-٥٠	٤/ ٤٩٧
﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾	٥٠	٣/ ٥٠١
﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾	٥٧	٤/ ٣٤٠
﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ ...﴾	٦٥	٢/ ٢٠٣، ٣/ ٣١٦
﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا﴾	٧١	١/ ١٠٥
﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ...﴾	٧٢	١/ ١٠٥
﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ ... أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا﴾	٧٣-٧٤	٤/ ٥٤٣
﴿أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ...﴾	٨٣	١/ ٥٧، ٥٩
﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ... وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾	٨٨- ٩٥	١/ ٣٥٠، ٢/ ١٢٥، ٤٤٨- ٣/ ٧٩، ٣٦٢
﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ ...﴾	٩٧	١/ ٢٩٣
طـه		
﴿طه ① ... ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾	١- ٨	٢/ ٢١٦-٢١٧
﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ... وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ﴾	١٤-١٦	٢/ ٤٥٤
﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾	٣٩	٣/ ٣٢١
﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ...﴾	٥٠	٤/ ٢٢٨، ٦١٢
﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ﴾	٧١	١/ ٦٧
﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾	٨٤	٢/ ١٧٧
﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ ...﴾	١١٢	١/ ١٠٢

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ ...﴾	١٢٠	٢/ ٤٠٠
﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ... فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾	١٢١-١٢٢	٢/ ٣٥
﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ... وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾	١٢٣ - ١٢٦	٣/ ٤٥١
﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى ... وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾	١٢٣-١٢٧	١/ ١٧ - ٢/ ٣٧١
﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ ...﴾	١٢٣	٤/ ٦١٤
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ...﴾	١٢٤	٤/ ٦١٤
﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ ...﴾	١٢٩	٢/ ٢٥١، ٢٥٤
﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾	١٣٠	٤/ ٣٢
﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ...﴾	١٣٣	١/ ٢١٦، ٤/ ١٢٣
﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ ...﴾	١٣٤	١/ ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٤
الأنبياء		
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا ... وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾	٧-٩	١/ ٥٠٧، ٥١٠
﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾	٢٢	٤/ ٢٥١
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ ...﴾	٢٥	١/ ٧، ١١/ ١٧٨، ٥٠٨، ٢/ ١٣٦، ٢٢٢، ٤/ ٢٤٣
﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ...﴾	٢٦	٣/ ٧٨
﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ... كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾	٢٦-٢٩	٣/ ٣٧٨، ٤١٨
﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾	٥٠	١/ ٤٤٩
﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ ... يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾	٧٨- ٧٩	٤/ ٥٨٠
﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا ...﴾	٩١	١/ ٢٥٩، ٣٤٢، ٣٦٣ - ٢/ ٢٤٦، ٢٥٩، ٤٩٥

﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾	٩٢	١/ ٧
﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ ... كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ﴾	٩٢-٩٣	٤/ ٢٤٣-٢٤٤
﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ ...﴾	٩٥	١/ ٦١
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ ...﴾	١٠١	١/ ١٠٢
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾	١٠٧	١/ ١٤، ٣/ ٤٥١، ٤/ ٥٤٥
الحج		
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ ... إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾	٣-٤	٤/ ٥٥٢
﴿إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٍ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ ...﴾	٥	٤/ ٥١١
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ ...﴾	٨	١/ ٥٠١، ٣/ ٣٤٩، ٤/ ٤٩٤، ٥٥٢
﴿يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦ ...﴾	١٣	٤/ ٢٣٥
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ...﴾	١٧	٢/ ١٣٥
﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ﴾	١٩	١/ ٤٣٥
﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٍ ...﴾	٢٥	٤/ ٥٥
﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ ...﴾	٢٦	١/ ٣٦٠، ٢/ ٢٣٩
﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلۡنَا مَنسَكًا لِّيَذۡكُرُواْ ...﴾	٣٤	٤/ ١٢٢
﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ... وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾	٣٦-٣٧	٤/ ٢٩-٣٠
﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ ...﴾	٣٧	١/ ٢٣٣
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ... إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾	٣٩-٤٠	١/ ١٠٨، ٤٠٥، ٤/ ١٥٨
﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ ...﴾	٤٠	١/ ٤٠٤، ٤٠٥

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ...وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾	٤٠-٤١	٤/٤٩٨
﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ ... وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾	٤٠-٤٦	١/٢١٩ - ٢٢٠
﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ ...وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ﴾	٤٢-٤٥	٤/٤٩٨
﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ ﴾	٤٦	٣/٣٠٦، ٥٠٠، ٤/٤٩٨
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ ... صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾	٥٢-٥٤	١/٢٦٩، ٢/٤٤٢
﴿ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ ... ﴾	٦٠	٣/ ٤٨١
﴿لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ ﴾	٦٧	١/ ٣٨٥، ٤/ ١٢٢
﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا ... ﴾	٧٥	١/ ٥٧، ٤/ ٩٧، ١٢٥، ٦٣٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ ...وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾	٧٧-٧٨	٢/ ١٣٣
المؤمنون		
﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ... وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴾	١-٥	١/ ٤٩
﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ...عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴾	١-٩	١/ ٤٥٤
﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ ... فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾	٢٣- ٢٥	١/ ٤١٦، ٥٠٨
﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ ﴾	٢٨	٣/ ٣٢٩، ٣٣٢
﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ... مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾	٣١-٣٢	١/ ٤١٦
﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ... إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴾	٣٣-٣٤	١/ ٥٠٩
﴿ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا ... وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ ﴾	٤٢-٤٦	١/ ٤١٦
﴿ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَا ﴾	٤٤	١/ ١٦

﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾	٤٧	١/ ٥٠٩
﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا ...﴾	٥٠	٤/ ١٨٠
﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ... كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾	٥٠-٥٣	١/ ١١
﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ... بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾	٥١-٥٣	١/ ٧، ٣٧٧، ٢/ ٩٦، ٤/ ١٢١، ٢٤٣، ٦٠٠
﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ...﴾	٩١	٣/ ٧٨، ٣٧٨
﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾	٩٦	٤/ ٢٣٦
﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ...﴾	١١٧	٤/ ١٧٧

النــور

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ ... هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾	١٢-١٦	٤/ ٥٥٠
﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ...﴾	١٣	٤/ ٥٤٦
﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا ...﴾	١٧	٤/ ٥٢٥
﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ ...﴾	٣٥	٢/ ١٥٩، ١٦٠، ٣٠٣، ٣٣٦، ٣٧١، ٤٢٠، ٤٣٠- ٣/ ٢٣٩، ٢٨٢، ٤/ ٥٩١
﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	٣٥-٣٨	١/ ٤٠٧
﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ...﴾	٣٦	١/ ١٨٨، ٢/ ٣٣٦
﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ ... يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	٣٦-٣٨	٢/ ١٦١
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾	٣٩	٣/ ٣٠٩
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ ... فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾	٣٩-٤٠	١/ ٤٠٨، ٢/ ٢٠٢-٢٠٣
﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا ...﴾	٤٠	٢/ ٤٣٠- ٣/ ٥٠٤
﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ...﴾	٥٣	١/ ٣٣٤
﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا ...﴾	٥٥	١/ ٢١٧-٢١٨، ٤/ ٢٧٨

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ...﴾	١-٢	١/ ٢٣٨، ٢٤٢، ٣/ ٧٨
﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ ... كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾	١-٦	٤/ ١١١
﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ ... فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾	١-٩	١/ ٦٢
﴿ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾	٤	١/ ٦٣
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ... إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾	٤-٦	١/ ٢١٤، ٢١٥
﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ ...﴾	٦	٤/ ١١٢
﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ ... فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾	٧-٩	١/ ٢١٥، ٤/ ١١٢
﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ...﴾	٨	١/ ٢١٥
﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ ... وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾	٢٧-٣١	١/ ٢١
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا ...﴾	٣١	٤/ ٥٩٧
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ ...﴾	٣٢-٣٣	١/ ١٠٦
﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ... وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾	٣٧-٣٩	٤/ ٤٩٣
﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ ...﴾	٤٤	٢/ ٢٤٩-٣/ ٢٣٠
﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ ...﴾	٤٨	١/ ٥٩
﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ ... وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾	٥١-٥٢	١/ ١١٠
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾	٥٨	٢/ ٢٠٥-٣/ ٣٢٧
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً ...﴾	٦٢	١/ ٢٣٤
﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾	٦٨	١/ ١٨٢

﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ... ﴾	٥-٦	١/ ٢٢١
﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ ... ﴾	٨	٤/ ٤٩٦
﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ ... ﴾	٢٧	١/ ٦٧
﴿ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	٢٣	٣/ ٤٠٢
﴿ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	٣١	٤/ ١٧٨
﴿ قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ... ﴾	٥٠-٥١	١/ ٣٤٠
﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ... وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ﴾	٦٩-١٠١	١/ ١٨١
﴿ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ... ﴾	٧٥-٧٦	٢/ ٢٥٣، ٤/ ٦١٨
﴿ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ... لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	٧٥-٧٧	٣/ ٣٨٧
﴿ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ... خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴾	٧٥-٨٢	٢/ ٤٠٩
﴿ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴾	٧٨	٤/ ٢٢٨
﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ ... إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	٩٧-٩٨	١/ ١٨١، ٢/ ٤٥٤
﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ... فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾	١٠٥ - ١١٠	١/ ٤١٥
﴿ كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ... إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	١٢٣-١٢٧	١/ ٤١٥
﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ... إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	١٤١-١٤٥	١/ ٤١٥
﴿ فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ... ﴾	١٥٤-١٥٥	٤/ ١٧٨
﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ... ﴾	١٦٠-١٦٤	١/ ٤١٥
﴿ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ... ﴾	١٧٦-١٨٠	١/ ٤١٥
﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ ... ﴾	١٩٠-١٩١	٤/ ١٧٩

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ... بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾	١٩٢-١٩٥	١/٥٨، ٤/٢٠٤
﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ... عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾	١٩٢-١٩٧	١/٥١١، ٤/١٢٠
﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ... ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾	١٩٢-٢٠٩	١/٦٥
﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾	١٩٣-١٩٤	١/٣٥٧، ٢/٢٥٦، ٤/٩٦، ٤/١٢٤
﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ... بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾	١٩٣-١٩٥	١/٢٣٩
﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾	١٩٥	١/٣٩
﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾	١٩٦	٤/١٢٠
﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ ...﴾	١٩٧	١/٥٠٧، ٣/٥١١ ٤/٥، ١٢٠، ١٧٨
﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ...﴾	١٩٨-١٩٩	١/٤٠
﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ... إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾	٢١٠-٢١٢	٤/١٢٥، ٢٦٩
﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ... ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾	٢١٠-٢٢٧	١/٦٥، ٤/١٢٠
﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾	٢١١	٤/١٢٦، ١٢٧
﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾	٢١٣	١/١٨٢
﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾	٢١٤	١/٢٠١، ٢/١٦٤
﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ ...﴾	٢١٥-٢١٦	٢/١٠٠
﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾	٢١٦	١/١٨٦
﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ... كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾	٢٢١-٢٢٢	١/٢٢، ٤٧٦ - ٤/٣١١، ٤٣٢، ٤٣٤
﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ... وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾	٢٢١-٢٢٣	٤/١٣٢، ٢٠٤

النمل

﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ﴾	١	١/٤٤٩
﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ﴾	١٢	٤/١٧٨
﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ...﴾	٣٠-٣١	١/٣٤٠
﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي ... مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ﴾	٣٨-٤١	١/٣٤٠، ٢/٣٥١، ٤/٣٤٦
﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ...﴾	٣٩	٤/٦٣٥
﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ ... فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ﴾	٣٩-٤٠	٤/٣٣٨
﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾	٤٠	٤/٦٣٥
﴿وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ﴾	٤٢	١/٣٤٠
﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ ...﴾	٤٤	١/١٩، ٣٤٠- ٤/٩٥
﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾	٥٩	٣/٥٠٣
﴿أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ...﴾	٦٤	٤/١٧٧
﴿هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾	٩٠	١/١٠٣

القصص

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾	١-٢	١/٤٤٩
﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ ...﴾	٨	١/٢٣٧
﴿وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ ...﴾	١٢	١/٦١
﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	٣٠	٢/٤٥٤
﴿فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾	٣٢	٤/١٧٦
﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾	٣٨	٣/٤٠٢

﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ...﴾	٣٩-٤٢	٤/ ٤٩٧
﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةً يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ...﴾	٤١	١/ ٣٨٦
﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةً...﴾	٤٢	٣/ ٥٠٠
﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ...﴾	٤٣	٣/ ٤٧٣-٤٧٤، ٤/ ٥٣٧
﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى... وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	٤٣-٤٧	١/ ٢٣١، ٣/ ٤٨٩
﴿لِتُنذِرَ قَوۡمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ...﴾	٤٦	١/ ٤٠، ٣٠١
﴿وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا... وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾	٤٧-٤٨	١/ ٤٦٣، ٤٧٠، ٤٧٤
﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ... إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾	٤٨-٤٩	١/ ٣٨، ٥٠١، ٢/ ٥٨
﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ...﴾	٤٩	١/ ٤٥٣، ٤/ ١٢٧
﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ...﴾	٥٠	١/ ٣٨، ٢/ ١٨٠
﴿وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ... وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾	٥١-٥٤	١/ ٥١٢
﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ...﴾	٥٢-٥٣	١/ ٥٠٧، ٣/ ٥٢٢، ٥٣٤، ٤/ ١٢٠
﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ... لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾	٥٢-٥٥	١/ ١٢٨، ١٢٩، ٣/ ٥١٢
﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ...﴾	٥٧	٤/ ١١
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ...﴾	٥٩	١/ ٤٦٢-٤٦٣، ٤٧٤- ٤/ ٥٣٣
﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ... مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾	٧٤-٧٥	٤/ ١٧٧
﴿هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ...﴾	٨٨	٣/ ٣٢١

العنكبوت

﴿الٓمٓ ① أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ...﴾	١-٢	٤/ ٦٣٧

﴿الٓمٓ ۝١ ... سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾	٤-١	١/ ٢٣
﴿وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ ...﴾	١٠	١/ ٣٣٤
﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ...﴾	٢٢	٤/ ١٨٠
﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ ...﴾	٢٧	١/ ٤٢٤، ٤/ ٢٠
﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ...﴾	٤٥	٢/ ١٣٩
﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ...﴾	٤٦	٤/ ٢٣٧
﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ...﴾	٤٦	١/ ٩٩، ١١٣، ٤١٤، ٢/ ١٠٥، ١٠٨، ١١١، ١١٥، ١٢٠، ١٢١، ١٢٤، ٤/ ٢٣٧، ٥٥٢
﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ... مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾	٥٥-٤٦	١/ ٦٦
﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ ...﴾	٤٨	٤/ ١١٩
﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ ... لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾	٥١-٥٠	٤/ ١٧٥، ١٧٩
﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ...﴾	٥١	١/ ٣٧
﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا ...﴾	٦٧	٤/ ١١

الروم

﴿الٓمٓ ۝١ ... وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾	٤-١	٤/ ٢٧٨
﴿الٓمٓ ۝١ ... وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾	٥-١	١/ ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ٢١٧
﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾	٣-٢	٣/ ٦١
﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ... وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾	١٠-٩	١/ ٢٢٠، ٤/ ٤٩٩

﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ ... وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ﴾	١٧ - ١٨	٤/ ٣٢
﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾	٢٧	٢/ ٣٠٩، ٣٣٥
﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ... ﴾	٣٠	١/ ٤٧٣، ٤/ ٦٠١
﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ...كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾	٣٠ - ٣٢	١/ ١٠، ٢/ ٩٦، ٤/ ١٢١، ٢٤٤
﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا ... ﴾	٤٧	١/ ٤٠
﴿وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ لَّيَقُولَنَّ ... ﴾	٥٨	١/ ٣٣٤
لقمـان		
﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ ﴾	١١	١/ ٣٦٢
﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ... ﴾	١٣	١/ ٣٣
﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾	١٣	١/ ٤٣٨
﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ... ﴾	٢٥	١/ ١٨٤، ٣٣٤
السجـدة		
﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ ... ﴾	٣	١/ ٤٠
﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ... ﴾	٣	١/ ٢٣١
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ... ﴾	٤	١/ ٣٤٨
﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي ... ﴾	١١	٢/ ٢٤١
﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا ... ﴾	١٣	٢/ ٢٥١
﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾	١٦	٣/ ٣٢٤
الأحـزاب		
﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ ... لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾	٧-٨	١/ ٢٣٦، ٤٩٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ... ﴾	٩	٤/ ٣٥١، ٤٠٩، ٢/ ١٩٥

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ...﴾	٣٣	١/ ٦٠
﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ ...﴾	٣٤	٢/ ٦٣، ٦٩
﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾	٣٨	٢/ ٤٩٢
﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾	٤٠	٢/ ٣٤٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا ... فَضْلًا كَبِيرًا﴾	٤٥-٤٦	١/ ٦٠، ٢/ ٣٣٩
﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ ...﴾	٦٠	١/ ٣٣٤
﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ ... وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾	٦٠-٦٢	٤/ ٥٢٠-٥٢١
﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ... وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾	٧٢-٧٣	١/ ٣٢
سبأ		
﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم ... وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾	٢٢-٢٦	٢/ ١٦٦
﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى ...﴾	٢٤	٢/ ١٦٤، ١٦٦ - ١٦٧
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً ...﴾	٢٨	١/ ١٦٩، ٢٤٤
فاطر		
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ... وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾	١-٢	١/ ٥
﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ...﴾	١٠	٢/ ٢٥٢، ٤٧٣
﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ...﴾	١٢	١/ ٢٣٨
﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ...﴾	٢٢	٢/ ٢٠٦-٣/ ٢٧١
﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ...﴾	٢٤	١/ ١٦، ٢١٤، ٣١٠، ٤١٧، ٢/ ٤٤٩
﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا ... فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾	٢٤-٢٦	٤/ ٤٩٣

﴿فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾	٢٥	٤/ ٤٩٤
﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ...﴾	٣١	١/ ٥١٧
﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ... وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾	٤٢-٤٣	١/ ٣٣٤، ٤/ ٥٢٠

يس

﴿يسٓ ... فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾	١-٦	١/ ٢٣١
﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ ...﴾	٦	١/ ٤٠، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢/ ١٦٤
﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ... فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾	١٣-١٤	١/ ٤٢٨، ٤٣٢
﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ... كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾	١٣-٣٠	١/ ٤٢٥
﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا ...﴾	١٤	١/ ٤٣١، ٤٣٣
﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ...﴾	١٥	١/ ٤٣١
﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ...﴾	٢٠	١/ ٤١٢
﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ... وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾	٢٠-٢١	١/ ٤٢٨
﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ... فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾	٢٨-٢٩	١/ ٣١٢
﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً ...﴾	٢٩	١/ ٤٣٠
﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم ...﴾	٣٠	١/ ٤٣٢
﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾	٣٩	٢/ ٢٥٣، ٣/ ٣٨٧، ٤/ ٦١٨
﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾	٤٠	٣/ ٣٨٨
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ ... وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	٦٩-٧٠	١/ ٢٣٦
﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ...﴾	٨١	٤/ ٥١٠
﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ ...﴾	٨٢	١/ ٦٠-٢/ ٢٣٦، ٢٩٣

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾	٧٧	٢٠/٤ – ٤٢٤/١
﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ... عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٧٩-٧٨	٤٩٧/٤ – ٥٠١/٣
﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾	١٠١	٣٢٨/٣
﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ (١٠٨) سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾	١٠٩-١٠٨	٤٩٧/٤
﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾	١٠٩	٥٠١/٣
﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ... ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾	١١٨-١١٧	١٨٣/٢
﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾	١٢٠	٤٩٧/٤ – ٥٠١/٣
﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾	١٣٠	٤٩٧/٤ – ٥٠١/٣
﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم ... وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	١٣٨ – ١٣٧	٤٩٩/٤
﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ ... وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾	١٥٢ – ١٥١	٣٧٧،٧٨/٣
﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾	١٧١	٢٥٤،٢٢٩/٢
﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ... ٱلْمَنصُورُونَ﴾	١٧٢-١٧١	٢٥٤،٢٥١/٢ – ٣٧٨/١ ٥١٢،٥٠٢/٤ –
﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾	١٨٠	٣١٤/٣
﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾	١٨١	٣١٤/٣
﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	١٨٢	٣١٤/٣
﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ ... وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	١٨٢-١٨٠	٢٣٣/٣

ص

﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾	١	٣١٦/٤
﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾	٥	٣١٦/٤
﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً ... وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾	٣٨ – ٣٦	٣٣٨/٤

﴿قُلْ مَا أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ ... وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾	٨٦-٨٨	١/ ٢٤٢
﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ... فَحَقَّ عِقَابِ﴾	١٢-١٤	١/ ٢٢١
﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ ...﴾	٢٩	١/ ٢٣٥
﴿وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ ...﴾	٤٥	٢/ ٣٧٠
﴿إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾	٥٤	٢/ ٢٤٤
﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾	٧٢	٣/ ٢٠٤
﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾	٧٥	٣/ ٣٢٠، ٣٣١
﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	٨٥	١/ ٤٦٦

الزمر

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾	١	٢/ ٤٠٢، ٤٩٦
﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ... هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾	١-٤	١/ ١٧٨
﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ...﴾	٤	٣/ ٣٧٨
﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ... أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾	١٧-١٨	٤/ ٢٣٦
﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا ...﴾	٢٣	١/ ٦، ٢/ ٤٤٦، ٣٥
﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ... لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾	٢٧-٢٨	٤/ ١٨٨
﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ ...﴾	٣٢	٤/ ٥٢١
﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ ... ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	٣٢-٣٤	١/ ٤٣
﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ...﴾	٤٢	٢/ ٢٤١
﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾	٥١	٤/ ١٨٠
﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾	٥٥	٤/ ٢٣٦، ٢٣٨

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ ...﴾	٥٦	٣/ ٣٢٣
﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ...﴾	٦٠	١/ ٤٣
﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ... وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	٦٠-٦١	٤/ ٥٧٦
﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ...﴾	٦٢	٢/ ٤٨١
﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ... لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	٦٢-٦٣	٢/ ٤٧٦
﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ ... وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾	٦٤ - ٦٥	١/ ٥٦
﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ...﴾	٦٧	٣/ ٣٢٦
﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾	٧١	١/ ٤١٨، ٤٦٢
غافر		
﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾	٤، ٥	١/ ١٠٦، ٢٢٠
﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ ...﴾	٥	١/ ١٠٦، ٢١٩، ٤١٥
﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ...﴾	٦	٢/ ٢٥١
﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن ...﴾	١٥	١/ ٢٣٢، ٣٨٤، ٢/ ١٩٦، ٢٥٦، ٣/ ٢٨٣
﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ... إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾	٢١-٢٢	١/ ٢٢٠، ٤/ ٤٩٩
﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾	٢٨	٤/ ٤٢٣
﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ ... ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾	٢٨-٤٦	١/ ٣٩٥-٣٩٦
﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ...﴾	٥١	١/ ٢١٩، ٣٧٧، ٤/ ٥٠٢، ٥١٢
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى ...﴾	٦٠	١/ ٤٣٩
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ ...﴾	٧٨	١/ ٤٩٩

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا ... وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾	٨٢-٨٥	١/ ٢٢٠-٢٢١- ٤٩٩/٤

فصلت

﴿ حم ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ ... فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾	١-٤	١٤٣/٤، ١٤٤
﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾	٢	٤٠٢/٢
﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ... وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾	٦-٧	٢٤٤/٤
﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴾	١٢	٦١/١
﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً ... ﴾	١٣	١٤٣/٤، ١٤٤
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ ... ﴾	١٥	٣٦٠/١، ٢١٢/٢
﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا ... ﴾	١٧	٣١٤/١
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا ... ﴾	٤٠	٧٢/٣
﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ ... ﴾	٤٣	٦٧/١
﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا ... ﴾	٤٤	٢٩٣/١
﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ... ﴾	٤٥	٩٦/٢
﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ... ﴾	٥٢	٢٠٥/٢
﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ ... عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾	٥٢-٥٣	١٧٠/٤، ٤٩٠
﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ ... ﴾	٥٣	٢٢١/١، ٢٠٥/٢، ١٧٢/٤، ١٧٩، ٤٩٠

الشورى

﴿ حم ۝١ عسق ... اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	١-٣	٤٤٩/١
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾	٧	٤٤٩/١

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	١١	١/ ١٣، ٢/ ٢٠٣، ٣/ ٣١٥، ٣١٦، ٣٣١
﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾	١٣	١/ ١١، ٣٧٧، ٤٩٨، ٢/ ١٦، ١٠٦، ١٤٩، ٣/ ٧، ٤/ ١٢١، ٢٤٤، ٦٠١
﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ ... بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾	١٣-١٥	٢/ ٩٥
﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ...﴾	١٤	١/ ٢٨١، ٢/ ٩٥، ٩٦، ١٠٦، ٢٥١
﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ...﴾	١٥	١/ ٤٧، ٤٢١، ٢/ ٩٥، ٩٧، ١٠٠، ١٠٥، ١٠٧، ١٢٢
﴿وَالَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى اللَّهِ مِنۢ بَعْدِ ...﴾	١٦	٢/ ١٠٧
﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا شَرَعُوا لَهُم ...﴾	٢١	١/ ١٩
﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ...﴾	٢٤	١/ ٥٣، ٢٤٥، ٢/ ٤٣٧
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ الْجَوَارِ فِى الْبَحْرِ كَالْأَعْلَٰمِ﴾	٣٢	٤/ ١٣
﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ ... إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾	٣٦-٤٣	٣/ ٤٨١
﴿وَجَزَٰٓؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾	٤٠	٣/ ٤٤٥، ٤٧٧، ٤٨١
﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ ...﴾	٤١	٣/ ٤٨٢
﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ ...﴾	٤٢	٣/ ٤٨٢
﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ ...﴾	٤٣	٣/ ٤٧٨، ٤٨٢
﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ ...﴾	٥١	٢/ ٢٩٦، ٢٨٨، ٢٩٧، ٣٠٣

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا ...﴾	٥٢	١/ ٢٨٤، ٢/ ١٦٠، ١٩٧، ٢٥٦، ٣٧٠، ٣٧١، ٤٣٠، ٣/ ٢٨٣
﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ... أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾	٥٢-٥٣	١/ ٧، ٣١٤، ٢/ ٣٤٠

الزخرف

﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا ...﴾	٣	١/ ٢٩٣
﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ... وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ﴾	٩-١٢	١/ ٤٥٤
﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ ... فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾	٢٦-٢٧	١/ ١٨٢ – ٢/ ١٠٠
﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ ... لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾	٢٦-٢٨	١/ ٣٨٢
﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ﴾	٤٤	١/ ٢٤٢، ٢٤٣
﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ ...﴾	٤٥	١/ ١٧٧، ٥٠٨ – ٢/ ١٣٦، ٢٢٢ – ٤/ ٢٤٣
﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ ...﴾	٤٩	١/ ٦٧
﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي ... ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ﴾	٥٢-٥٣	١/ ٥٠٩
﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا ... مِّنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ﴾	٥٧-٦٥	١/ ١٠٢، ٣٧٣، ٢/ ٤٦٥، ٤٦٦
﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ ... مِّنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ﴾	٥٩ – ٦٥	٢/ ٤٧٠، ٤٧٨
﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا﴾	٦١	١/ ٤٩٠
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ ...﴾	٨٤	٢/ ٣٠٨، ٣٣٥

الآية	رقمها	الجزء/الصفحة
	الدخان	
﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ...وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾	٢٥-٢٩	٤/ ٥١٦
﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾	١٨	٣/ ٣٢٣
﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ...﴾	٥٦	١/ ٣٨٧
﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ ...﴾	٥٨	١/ ٢٩٣
	الجاثيـة	
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ...﴾	١٢	١/ ٢٣٨
﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ...﴾	١٣	١/ ،٢٥٧، ٢/ ٤٩٤
﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ... وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾	١٨-١٩	١/ ٤٥
﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾	٢٢	١/ ٢٣٣
	الأحقـاف	
﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ...﴾	٨	٢/ ١٦٨
﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ...﴾	٩	٢/ ١٦٤، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠
﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ...﴾	١٠	١/ ٤٥٢، ٥٠٧
﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ ...﴾	١١	٢/ ٢٥٣
﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا ...﴾	١٢	١/ ٢٣٦
﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ....وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾	١٠-١٢	٤/ ٣٨
﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ ...﴾	٢٤	٤/ ٢٢١
﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ ...فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾	٢٩-٣٢	١/ ٢٤١
﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا ...﴾	٣٠	١/ ٤٥٢، ٤/ ١٢٩

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً ... ﴾	١٣	٤/٤١٧
﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن ... ﴾	١٨	١/٢٢٧
﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم ... ﴾	٣٠	٤/٥٧٢
الفتح		
﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ... وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾	١-٢	١/٢٣٧
﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا ... وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾	١-٣	٢/١٧٠، ١٨٤
﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ ﴾	٥	٢/١٤٠
﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾	٧	٢/٣٩٩
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾	١٠	٢/٣١٣، ٣١٦ - ٣/١٨٤
﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ ... ﴾	١٥	٢/٢٤٣
﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ ... ﴾	١٦	٤/٢٨٤
﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ ... ﴾	١٨	٤/٤٨٧
﴿ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ... ﴾	٢٠	٤/١٨٠، ٢٨٤
﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا ... ﴾	٢٢	٤/٢٨١، ٢٨٢
﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ... وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾	٢٢-٢٣	٤/٥٢٠، ٥٤٤
﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا ... ﴾	٢٦	٢/٢٥٢
﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ ... ﴾	٢٧	٤/٢٨٤
﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ ... ﴾	٢٨	١/١٣٢، ٢١٨ - ٢/١٧٠ - ٣/٤٧٤ - ٤/٢٨٠، ٤٧٧
﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ... ﴾	٢٩	٣/٤٥٧، ٥١٠، ٢/١٠٢، ٤/٥٢٢-٥٢٣، ٥٧٢

الحجرات

﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ...﴾	٦	٤/ ٥٤٧، ٥٥٢

ق

﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ... فَحَقَّ وَعِيدِ﴾	١٢-١٤	٤/ ٥٢٥
﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا ...﴾	٣٨	٢/ ٢٠٨-٣/ ٣٢٥
﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ ... وَهُوَ شَهِيدٞ﴾	٣٦-٣٧	٤/ ٤٩٨

الذاريات

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ... فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾	١-٤	١/ ٤٠٦ - ٤/ ١٢
﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾	٤	٤/ ١٣، ٢٤٢
﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ... يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ﴾	٧-٩	٣/ ٣٠٥
﴿إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ... يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ﴾	٨-٩	١/ ٦٢ - ٣/ ٤٨٥
﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾	٢٨	٣/ ٣٢٧
﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ ... مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾	٤٩-٥١	١/ ٦٧
﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم ... بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾	٥٢-٥٣	١/ ٦٧
﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم ... فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	٥٢-٥٥	٤/ ٥٤١
﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾	٥٦	١/ ٢٠٣ - ٤/ ٢٤٤
﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾	٥٨	١/ ٣٦٠ - ٢/ ٢١٢ - ٣/ ٣٢٩

الطور

﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ ... فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ﴾	١-٣	٣/ ٢٤٢

﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ ... إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾	٢٩-٣٤	٢/ ٦٥
﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ .... إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾	٣٣-٣٤	١/ ٢٣٠ – ٤/ ١٨٣-١٨٤
﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾	٣٥	٢/ ٢٠١
النجم		
﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ... إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾	١-٤	١/ ٣٢ – ٤/ ٢٠٤، ٦١٣-٦١٤
﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾	٩	٤/ ٣٤٥
﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾	١٦	٤/ ٣٤٤
﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴾	١٩	١/ ٤٠٧
﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ... ﴾	٢٣	١/ ٣٢ ، ٢/ ١٨٠، ٣/ ٣٥٧، ٤/ ٦١٤
﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ ... ﴾	٢٩	١/ ٣٢١
﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ... ﴾	٣١	١/ ٢٣٣
القمر		
﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ... وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾	١-٣	١/ ٢٢٩ – ٤/ ١٧٨، ٥٤٢
﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ... حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾	١-٥	١/ ٢٢٢
﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ... كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾	١-٧	١/ ٢٢٥ – ٤/ ٣٣٣
﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾	٤	٤/ ٥٤٢

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ... وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾	١٣-٩	٥٠٧/٤
﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا ... فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾	١٥-٩	٢٢٢/١
﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ... لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾	١٤-١٣	٣٢١/٣
﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾	١٦	٥٤٢/٤
﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ... إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾	٢٤-٢٣	٥٠٨/١
﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا ...﴾	٤٢-٤١	٥٤٢/٤
﴿أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ... نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾	٤٤-٤٣	٥٤٣/٤
﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ ...﴾	٤٦-٤٣	٥٤٤،٥٤٢ /٤
﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ ... وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾	٤٥-٤٤	٢٨١/٤
﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾	٤٥	٥٤٣،٤١١/٤ – ٢١٧/١
﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾	٤٧	٦١٤/٤
﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾	٥٢	٣٥٩/٢
الرحمن		
﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ... ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾	٢٧-٢٦	٣٢١/٣
﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾	٧٨	٣٦٣/٢
الواقعة		
﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ... أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾	١١-١	٢٢٩/٤
﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾	٢٦-٢٥	٣٨٧/١
﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ... لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾	٧٩-٧٧	٢٤١/٣
﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾	٧٩-٧٨	١٢٤/٤

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ... إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	٨٣-٨٧	٣/٢٠٦
﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ... وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾	٨٣-٩٤	٤/٢٣٠
الحديد		
﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ...﴾	٣	٣/٢١٩، ٢٣٣
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾	٢٥	٢/١٢٣
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾	٢٥	١/٣٧٠
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا﴾	٢٥	١/٢٢، ٣٢، ٢٣٤، ٣٢٠، ٣٧٠، ٤١٢، ٤١٤، ٤١٩، ٤٢٣، ٤٣٣، ٣/٤٧٩
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ... وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾	٢٥-٢٦	١/٣٨٥
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ ... وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾	٢٦-٢٧	١/٤٢٤، ٤/٢٠
﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾	٢٧	١/٣٤٣، ٣٨٥، ٣٨٨، ٣٩١، ٣٩٢، ٤٠١، ٤٢٤، ٢/١٧٦،
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ...﴾	٢٨	٢/١٥٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ... ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾	٢٨-٢٩	١/٢٣٦
المجادلة		
﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ...﴾	٢١	١/٦١
﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ...﴾	٢٢	١/٣٨٢، ٣٨٣، ٤٥١، ٢/١٥٢، ١٩٦، ٢٥٦، ٣٧٠، ٣٧١، ٤٣٠، ٤/٢٨٣، ٧٧

الحشر

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ... فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾	٢-٤	١/٢٢٣
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ... ﴾	٤	٢/١١١
﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ ... ﴾	٨	٤/١٥٨
﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ ... ﴾	١٠	٢/٤٩٧
﴿ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ... ﴾	١١	٤/٢٨٦
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ... ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾	١١-١٢	٤/٢٨٥
﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن ... ﴾	١٢	١/٣٣٤
﴿ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ ... ﴾	١٦	٤/٢٨٦
﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ... ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	٢٢-٢٤	٢/٢١٦، ٤٧٦
﴿ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ... ﴾	٢٣	١/٦
﴿ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ... ﴾	٢٤	١/٦

الممتحنة

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ... ﴾	١	٢/٤٩٩، ٤/١٥٩
﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ... ﴾	٤	١/٣٨٢
﴿ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ... ﴾	١٠	١/٣٦٠، ٤٤٨

الصف

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ... ﴾	٦	١/٦٨، ٤١٣، ٥١١ - ٢/١٩ - ٣/٥٠٩ - ٤/٨٤، ٨٩

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ... ﴾	١٤	١/٧، ٣١١، ٤٤٢، ٤٩٩ - ٢/٣٤٠، ٣٦٥، ٣٩٠، ٤/٥١٢

الجمعة

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ ... ﴾	٢	١/٥٩
﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا ... وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	٢-٣	٤/٣٠١
﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ ... عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	٦-٧	٤/٢٨٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ ... ﴾	٩	٤/٢٣٦

المنافقون

﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ ... ﴾	٦	١/١٥١

الطلاق

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ... ﴾	٢	١/٤٤٨
﴿ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ... ... قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴾	١٠-١١	٤/٩٩٧، ٩٩
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ ... ﴾	١٢	١/٢٣٢، ٤/٨٢
﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ﴾	٥	١/٣٦٠

التحريم

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾	١١-١٢	١/٣٦٣، ٣٩٦
﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ ... ﴾	١٢	١/٦١، ٢٥٩، ٤٣٥، ٢/٢٢٩، ٢٤٦، ٢٥٩، ٤٩٥، ٣/١٩٨،

الملك

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ ...﴾	٢	١/ ٢٣٨
﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ...﴾	٦	١/ ٤١٨
﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ ... إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ كَبِيرٍ﴾	٨-٩	١/ ٤١٨، ٤٦٢
﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ ... مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾	٨-١٠	١/ ١٧
﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾	١٠	١/ ٢٥- ٢/ ٢٠٤، ٢٤٩، ٤١٧، ٣/ ١٩٩، ٣٠٦، ٣٤٥- ٤/ ٤٩٨
﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ...﴾	١٦ - ١٧	٣/ ٢٣٣

القلم

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ... وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾	٥١-٥٢	١/ ٢٤٢
﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾	١٣	٤/ ٥٧٢

الحاقة

﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾	١-٢	٢/ ٤٠٢
﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ... فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾	٦-٨	٤/ ٥٠٧
﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ... فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾	٣٨-٥٢	١/ ٦٤
﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ... تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾	٤٠-٤٣	٤/ ٩٧، ٢٠٥
﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ... فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ﴾	٤٠ - ٤٧	١/ ٥٨
﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ... فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾	٤٠ - ٥٢	١/ ٤٠٩- ٤١٠- ٤/ ١٢٥
﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ... مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ﴾	٤٤-٤٧	١/ ٥٣، ٢٤٥، ٢/ ٤٣٧

المعارج		
﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ... أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكْرَمُونَ﴾	١٩-٣٥	١/ ٤٥٤-٤٥٥
نوح		
﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾	١	١/ ٥٧
﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا﴾	٢٢	٣/ ٢٢١
﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾	٢٣	٣/ ٢٢١
﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ ... وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾	٢٣-٢٤	١/ ١٨٢ - ٣/ ٤٥٤
الجن		
﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ... وَلَا وَلَدًا﴾	١-٣	٤/ ١٦١، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٥
﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ ... وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾	١-٢٨	١/ ٢٤٢
﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ ...﴾	٣	٣/ ٢٠١
﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا ... أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾	٨-١٠	٤/ ١٢٧، ١٣٠، ٢٦٩
﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾	٩	٤/ ٢٧٤
﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾	١٣	١/ ١٠٣
﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾	١٨	١/ ١٨٨، ٤٠٧
﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ... كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾	١٩-٢٨	٤/ ١٦١-١٦٢
﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا ... خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾	٢١-٢٣	٢/ ١٦٨، ٤/ ٩٤
﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ ... رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾	٢٧-٢٨	١/ ٢٣٥
المزمل		
﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾	٢	١/ ٢٤٥
﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾	١٥-١٦	١/ ٥٧، ٤١٥ ٢/ ٢٤٣

المدثر

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾	١١	٣/ ٣٣٩، ٣٨٣، ٤/ ١٤٧، ١٤٨
﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ... لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴾	١١-٢٨	٤/ ٢٨٤
﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾	٢٦	٤/ ١٤٨
﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾	٣١	٢/ ٣٩٩

القيامة

﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ... يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾	١-١٣	٤/ ٢٣٠
﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ... إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾	٢٦-٣٠	٤/ ٢٣٠

الإنسان

﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾	٦	١/ ٣٦٠ - ٢/ ٢٣٩
﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾	٣١	١/ ٣٨٦

المرسلات

﴿ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴾	٥-٦	١/ ١١٦

النبأ

﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾	١٣	٣/ ٢٨١
﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ... ﴾	٣٨	٣/ ٢٠٤

النازعات

﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾	٥	٤/ ٢٤٢
﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ... بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾	١٥-١٦	٢/ ٤٥٧

عبس

﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ... كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾	١١-١٦	٣/ ٢٤٢
﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ... وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴾	٣٤ - ٣٦	١/ ٤٠٦

التكــوير

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ⁽١٥⁾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾	١٥-١٦	٤/ ١٢
﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ... ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	١٩-٢٩	١/ ٢٤٣، ٥٨، ٤/ ٩٧، ١٢٤، ٢٠٤
﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ... ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	٢٢-٢٩	١/ ٥٨
﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ... ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾	٢٥-٢٧	٤/ ٢٠٤

الانفطــار

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ﴾	١٣	٢/ ١٣٩

الانشقــاق

﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ...﴾	٧، ٨	١/ ١٠٥
﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ... لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾	٢٠-٢٥	١/ ٣٨٧

البــروج

﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ⁽٢١⁾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾	٢١-٢٢	٣/ ٢٤١

الأعلى

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى... فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ﴾	١-٥	١/ ٤٩، ٤٥٤، ٢/ ٣٦٣، ٤٠٨، ٤/ ٢٢٨
﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ⁽٢⁾ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾	٢-٣	٤/ ٦١٢

البلـد

﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ... وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾	٨-١٠	٤/ ٢٢٨
﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾	١٠	٤/ ٦١٢

الشمس

﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا﴾	١٣	١/ ٣٦٠، ٢/ ، ٢٣٩، ٣/ ٣٢٣

التيـن

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ... بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ ١-٨ ٢/ ٣٤١، ٤/ ٩، ١١

العلـق

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى ... عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ١-٥ ٤/ ٢٢٨

﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ ١٥-١٦ ٤/ ١٣٣

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ... وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ ٩-١٩ ٤/ ٤١٨

البينـة

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ...﴾ ١-٢ ١/ ٥٠٤، ٢/ ١٠٨، ١٣٥، ١٣٩، ٢٤٩٤

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ... لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ ١-٨ ١/ ٢٥٠، ٢/ ١٠١

﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ...﴾ ٢-٣ ٣/ ٢٤٢

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ... وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ ٤-٥ ٢/ ١٠٩

الزلزلـة

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ...﴾ ٧-٨ ١/ ٣٣١

القارعـة

﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ ١-٢ ٢/ ٤٠٢

الفيـل

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ ... كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ ١-٥ ٤/ ٢٦٧، ٢٦٨

قـريش

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ ١-٣ ١/ ٢٠٣

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ... وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ ١-٤ ١/ ٢٠٣، ٤/ ١١

﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ...﴾ ٣-٤ ٢/ ١٦٥

الكوثر		
﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾	٣	٤/ ٤٣٠

الكافرون		
﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ... دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾	١-٦	٢/ ٩٨،٩٥، ٩٩، ١٠١، ١٠٣
﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾	٢	٢/ ١٠٤
﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾	٦	٢/ ١٠٠

النصر		
﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ... تَوَّابَۢا﴾	١-٣	٤/ ٢٨٥

المسد		
﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ... حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾	١-٥	١/ ٢٠٢، ٢٤٣، ٣/ ٢٥٤، ٤/ ٢٨٤

الإخلاص		
﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ... كُفُوًا أَحَدُۢ﴾	١-٤	١/ ١٣، ٣٤٩، ٢/ ٢٠٣، ٢٢٣، ٣/ ٧٩، ٣١٥
﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ﴾	٣-٤	٣/ ٣٧٧
﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾	٤	٣/ ٣٣١، ٣٤٠

* * *

فهرس الأحــاديث النبوية

طرف الحديث	الصفحــة
الهمـزة	
ائتوني بأجمعكم بالغداة	١/ ٢٨٩
ائتوني بالتوراة	٢/ ٤٦
آذنته بهم شجرة	٤/ ٣٧٣
آرسلك أبو طلحة؟	٤/ ٣٩١
الآن نغزوهم	٤/ ٣٠٠
أتاكم أهل اليمن	٤/ ٣٠٣
اتقوا فراسة المؤمن	٢/ ١٦٠ - ٣/ ٢٣٩
اتقوا الله في النساء	١/ ٦٢
اتقوا النار ولو بشق تمرة	٢/ ٢٥٣، ٤/ ٢٨٨
أتي رسول الله بيهودي ويهودية قد زنيا	٢/ ٤٥
أتيت النبي في غزوة تبوك	٤/ ٢٨٩
أتيت النبي ومعي ابن لي	٤/ ٥٨٩
أتيت بالبراق	٤/ ٣٤٠
أجب عني، اللهم أيده بروح القدس	١/ ٣٨١ - ٢/ ٢٥٥
اجعلهن في مزودك	٤/ ٤٠٢
أحيانا يأتيني في مثل	٢/ ٤٥٢، ٤/ ١٠٠
أخرجوا يهود أهل الحجاز	١/ ١٥٢
اخرجوا فصلوا علىٰ أخ لكم	١/ ٣٩٨
آدم بين الروح والجسد	٢/ ٣٤٦، ٤/ ١٠٢
ادن مني	٤/ ٤٤٦
أدنيه مني	٤/ ٣٥٤

إذا أرسلت كلبك المعلم ٢/ ٢١٠
إذا رجعنا فأعلمينا ما صنع ٤/ ٣٥٩
إذا فتحت عليكم فارس والروم ٤/ ٣٠١
إذا قال العبد في ركوعه ٢/ ٤١٣
إذا قضىٰ الله الأمر في السماء ٤/ ٢٧٣
إذا قعد أحدكم في التشهد ١/ ٤٨٨
إذا هلك كسرىٰ فلا كسرىٰ ١/ ١٥٩، ٤/ ٢٩٣، ٢٩٨
إذا هم أحدكم بالأم ١/ ٣٦٠
إذا مات فيهم الرجل الصالح ١/ ١٨٨
إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة ٢/ ٢٤٠
اذهب فأعطهم ٤/ ٤٠٤
اذهب فبيدر كل تمر علىٰ ناحية ٤/ ٤٠١
اذهبوا بهذه الحصيات فإذا أتيت البئر ٤/ ٣٨٧
ارتحلوا ٤/ ٣٨٣
أردفني رسول الله ٤/ ٣٥٢
استغفروا لأخيكم ١/ ١٢٧، ٣٩٧
أسرعكن بي لحاقا ٤/ ٣٠٨
أشهد ان لا إله إلا الله، وأني رسول الله ٤/ ٣٩٤
اشهدوا ١/ ٢٢٩
أصبت بعضا ٤/ ٢٩٤
أصدق الأسماء الحارث وهمام ٤/ ٢٤٩
أصدق كلمة قالها شاعر ٢/ ٢٥٢
اضطجع النبي علىٰ حصير ٤/ ٢٢٥
اطلبوا فضلة من ماء ٤/ ٣٨٠

أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء ١ ١٦٧
اعبدوا ربكم وأكرموا أخاكم ٤/ ٣٦٢
واعلموا أن أحدا منكم لن يرىٰ ربه ٢/ ٣٠٠
أعوذ بكلمات الله التامات ١/ ٦١
أعوذ بوجهك ٤/ ٤٣٥
اعيدوا سمنكم في سقائه، وتمركم في وعائه ٤/ ٤٣٧
اغزوا بسم الله ٢/ ١٤٠
افعلوا ٤/ ٣٩٥
أكان وجه رسول الله مثل السيف؟ ٤/ ٢٠٦
ألا أريك آية ٤/ ٣٧١
ألا إني أوتيت الكتاب ٢/ ٦٤، ٦٩
ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون ١/ ١٠٤
ألا رجل يحملني إلىٰ قومه ٣/ ٢٦١
ألا من ظلم معاهدا ١/ ١٥٦
ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد ١/ ٨٦
أما موسىٰ فرجل آدم ٤/ ١٦
أما هؤلاء، يعني كسرىٰ، فيمزقون ١/ ١٦٠
أمر رسول الله في غزوة مؤتة زيد بن حارثة ٤/ ٣٣٢
أميركم زيد فإن قتل ١/ ١٥١
أن أبا ذر أرسل أخاه ٤/ ١٤٢
إن أبغض الرجال إلىٰ الله ١/ ٢٩٣
أن ابني هذا سيد ٤/ ٢٩٣
أن أبي بن خلف لما بلغه أن النبي ٤/ ١٣٨
أن امرأة كان في عقلها شيء ٤/ ٢١٨

أن الأنبياء مئة ألف ١/ ٤١٧
إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون ٢/ ٤٧٧
إن أهل مكة سألوا نبي الله ٤/ ٣٣٥
إن أولىٰ الناس بابن مريم ٤/ ٤٦
إن أولئك كانوا إذا مات فيهم ١/ ١٧٦
إن بين يدي الساعة كذابين ٤/ ٣١٤
إن بينك وبينها بابا ٤/ ٣٠٤
أن حبرا من اليهود ٣/ ٣٢٦
إن الحمد لله نحمده ونستعينه ٤/ ٥٩٠
إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة ٤/ ٣٧٢
إن ربي غضب علىٰ ربك ١/ ١٦٤
إن ربي قال لي إني منزل عليك ٢/ ٦٤
أن رسول الله بينما هو في نفر من الأنصار ٤/ ٢٧١
إن رسول الله صلىٰ علىٰ أصحمة النجاشي ٤/ ٣٢٠
أن رسول الله مر بوادي الأزرق ٤/ ١٥
إن روح القدس لا يزال يؤيدك ١/ ٣٨١
إن روح القدس معك ٢/ ١٥١، ١٩٥، ٢٥٥
إن شئت ٤/ ٣٧٠
إن شئت صبرت فهو خير لك ٤/ ٣٦٩
إن في الجسد مضغة ٤/ ٥٧٣
إن كنت تزعم أن هؤلاء ٤/ ١٤٤
إن لكل أمة أمينا ١/ ٩٥، ٤/ ٢٦٦
إن لله تسعة وتسعين اسما ٢/ ٢١٧
إن الله بدأ هذا الأمر ٤/ ٢٩٥

إن الله اتخذني خليلا ٢/ ٢٩٩
أن الله أرسل إلىٰ نبيه ملكا ٤/ ٢١٧
إن الله اصطفىٰ كنانة من ولد إسماعيل ٤/ ٤١٧
إن الله خلق آدم علىٰ ٢/ ٣٩٣
إن الله خلق الرحمة ١/ ٣٦٢، ٢/ ٤٩٣
إن الله زوىٰ لي ٤/ ٢٩٧
إن الله مقمصك قميصا ٤/ ٣٠٣
إن الله نظر إلىٰ أهل الأرض ١/ ٣٠٦، ٤٧٠، ٤٧٣، ٢/ ٦٦، ٣/ ٢٥٥، ٤٥٦
إن الله يحب العبد التقي ٤/ ٢٦٦
إن الله يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته ٤/ ٥٢١
إن لم تجديني فأت أبا بكر ٤/ ٢٩٥
إن الملائكة تنزل في العنان ٤/ ١٣٤، ٢٧٢
إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور ١/ ١٧٦
أن النبي دعا بماء ٤/ ٣٧٥
أن النبي كتب إلىٰ كسرىٰ وقيصر ١/ ١٦٩
أن النبي كلم رجلا فأرعد ٤/ ٢١٨
أن النبي لبس خشنا ٤/ ٢٢٧
إن هذا والذي جاء به موسىٰ ٤/ ١٢٩
إن وجدنا فرسكم هذا بحرا ٤/ ٣٦٤
أن الوليد بن المغيرة اجتمع ٤/ ١٤٨
إن الوليد بن المغيرة جاء إلىٰ النبي ٤/ ١٤٧
إنك لتصل الرحم ٤/ ٥٩١-٥٩٢
أنا سيد ولد آدم ولا فخر ٤/ ٩٢

أنا محمد وأنا أحمد ٣/ ٤٥٨
إنا معاشر الأنبياء ١/ ١٠، ٣٧٧، ٤٩٨،
٢/ ١٤٩، ٤/ ١٢١، ٦٠١
أنا نازل ٤/ ٣٩٠
أنا النذير العريان ٤/ ٨٣
أناجيلهم في صدورهم ٣/ ٥١٧
أنت الاول فليس قبلك شيء ٣/ ٢١٩، ٢٣٣، ٤٣٤
أنتم توفون سبعين ١/ ٤١٨، ٢/ ٤٥٠
أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة ٢/ ٤٧
انشق القمر علىٰ عهد رسول الله ٤/ ٣٣٥
انشق القمر علىٰ زمان رسول الله ٤/ ٣٣٦
انشق القمر ونحن بمكة ٤/ ٣٣٦
انطلق رسول الله في طائفة من أصحابه ٤/ ١٣٠، ٢٧١
انطلق رسول الله إلىٰ إحداهما فأخذ بغصنين من أغصانها ٤/ ٣٧١
انطلق سعد بن معاذ معتمرا ٤/ ١٣٦، ٣٢٥
انطلقت إلىٰ الشام في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله ٤/ ١٣٥
انطلقوا حتىٰ تأتوا روضة خاخ ٤/ ٣١٩
إنكم تسيرون عشيتكم هذه وليلتكم ٤/ ٣٨٤
إنكم ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك ٤/ ٣٨٠
إنكم سترون ربكم ٤/ ٣٢
إنكم ستلقون بعدي أثرة ٤/ ٣٠٧
إنكم مفتوحون ومنصورون ٤/ ٣١٥

إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم ١/ ١٥
إنما الأعمال بالنيات ٣/ ٢٥٦
إنه يبعث أمة وحده ٣/ ٥٢٧
إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور ٢/ ٣٠٠، ٣٠١
أنه إذا خرج مسيح الضلالة الأعور ٤/ ٤٤
أنه سار فاطمة ابنته ٤/ ٣٠٧
أنه صلىٰ الكسوف بركوعين أو ثلاثة ٢/ ٥٥
أنه كان إذا غزا قوما لم يغز ٤/ ٣٠
إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ٤/ ٣٥
أنه مشىٰ إلىٰ رسول الله ٤/ ٢٢٤
أنه من أسلم من يهودي أو نصراني ١/ ١٥٨
إنه قد كان في الأمم قبلكم ٢/ ١١
إنها زاد إخوانكم من الجن ٤/ ٤٨٤
إنهم أحلوا لهم الحرام ٢/ ٥، ١٧٩
إني لأرىٰ الفتن ٤/ ٣٠٥
إني لأعرف حجرا بمكة ٤/ ٤٠٥
إني لأعلم أن ما يقول حق ٤/ ١٥٠
إني لست كأحدكم، إني أبيت عند بي يطعمني ويسقيني ٤/ ٤٨٣
إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ٤/ ٨٣
إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين ٢/ ٣٤٦، ٤/ ١٠٢
إني لأجد نفس الرحمن ٤/ ٣٠٢
إني لم أبعث لعانا ١/ ٢٠٧
أهجهم وجبريل معك ١/ ٣٨١
أوصيك بتقوىٰ الله ٤/ ٢٨

أول جيش من أمتي يغزون البحر ٤/ ٣٠٨
أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر ٤/ ٣٠٨
أول جيش يغزو القسطنطينية ٤/ ٣٠٨
أول ما اتخذ النساء المنطق ٤/ ١٦-١٧
أول ما خلق الله العقل ٣/ ٤٢٧
أول الوقت رضوان الله ٢/ ١٧٧
أولئك إذا مات فيهم ١/ ٤٣٨
أومخرجي هم؟ ١/ ٣٨، ١٢٨، ٣/ ٥٣٣
أي عباس نادي أصحاب السمرة ٤/ ٤٠٦-٤٠٧
أي عروة ائت الجلب فاشتر شاة ٤/ ٤٤٨
أيكم فجع هذه ٤/ ٣٦٠
أيكم يبسط ثوبه ٤/ ٣١١
أين صاحب هذا البعير ٤/ ٣٥٨
أين تريد ٤/ ٣٧٣

(الباء)

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله هرقل ١/ ١٣٦، ١٣٩ ٢/ ١١٢- ٤/ ٥٩٥
بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلىٰ كسرىٰ ١/ ١٦٠
بعث رسول الله أقواما من بني سليم ٤/ ٣٢٩
بعث رسول الله إلىٰ أبي رافع اليهودي رجالا من الأنصار ٤/ ٣٦٦
بعثت أنا والساعة كهاتين ١/ ٢٢٦، ٤/ ٨٣
بعثت لأتمم صالح الأخلاق ٤/ ٢١٥

بعثت قريش النضر بن الحارث	٤/ ١٥١
بعثه الله إلىٰ بني قريظة	٤/ ٤١٣
بل أنا أقتله إن شاء الله	٤/ ٣٢٧
بل باب التوبة والرحمة	٤/ ٥٣٠
بلىٰ، أقلت لك أنك تأتيه هذا العام	١/ ١٠٥
بلغوا عني ولو آية	١/ ٤٢٠، ٤٢٢
بينا أنا عند النبي إذ جاءه رجل	٤/ ٢٨٧
بينا أنا نائم	٤/ ٢٩٤، ٣١٣
بينا رسول الله في حائط	٤/ ٣٠٤
(التاء)	
تداووا عباد الله فإنه لم ينزل داء	٤/ ٤٨٥
تسألوني عن الساعة	١/ ٢٢٧
تسمعون يا معشر قريش	٤/ ٤٢٢
تعال يا غلام	٤/ ٤٤٧
تفتح اليمن فيأتي قوم	٤/ ٢٩٩
تقتلك الفئة الباغية...	٤/ ٢٩٢
تكون خلافة النبوة	٤/ ٢٩٦
تمرق مارقة	٤/ ٣٠٦
(الثاء)	
ثم إنهم اجتمعوا في المسجد	٤/ ١٣٨-١٣٩
(الجيم)	
جاء عبد الله بن سلام إلىٰ رسول الله	٤/ ١٦٣
جاء الوليد بن المغيرة إلىٰ النبي	٤/ ١٤٦
جاءت قريش إلىٰ أبي طالب	٤/ ١٣٩

جاهدوا المشركين بأيديكم	١/ ١١٠
جد له فاوف له	٤/ ٤٠١
الجنازة متبوعة	٣/ ٣٨٨
جيراني علام أخذوا	٤/ ٢١٦

(الحاء)

حج أنس علىٰ رحل رث	٤/ ٢٢٦
حج النبي علىٰ رحل رث	٤/ ٢٢٦
حدثت أن أبا جهل، وأبا سفيان والأخنس بن شريق	٤/ ١٥٠
حدثت أن عتبة بن ربيعة	٤/ ١٤٥
حتىٰ يقول الشجر والحجر: يا مسلم هذا يهودي	٢/ ٣٢٦
حضرت عصابة من اليهود يوما إلىٰ النبي	٤/ ١٦٥-١٦٦
الحلال بين والحرام بين	٢/ ٣٩٧
حي علىٰ الوضوء	٤/ ٣٧٦

(الخاء)

خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لي	٢/ ١٣٠، ٤/ ٢١٢
خدمته في السفر والحضر، والله ما قال لي	٤/ ٢١٢
خرجنا مع رسول الله غزوة تبوك	٤/ ٣٣٠
خرجنا من قومنا غفار، وكانوا يحلون	٤/ ١٤١-١٤٢
خط لنا رسول الله خطًا	٢/ ١٨٣
خفف علىٰ داود القرآن	٣/ ٥١٦
خرج أبو طالب إلىٰ الشام، وخرج معه النبي	١/ ٢٩٦
خير الكلام كلام الله	١/ ٣٩٠

(الدال)

دخل علينا رسول الله فقال عندنا فعرق	٤/ ٢٠٩

دعا بقدح فيه ماء فوضع فيه كفه ٤/ ٣٧٥-٣٧٦
دعا النبي بلالا ٤/ ٣٧٩
ودعا له النبي صلىٰ الله تعالىٰ عليه وسلم ٤/ ٤٣٨
دعا له النبي ومسح رأسه بيده ٤/ ٤٤٨
دعوه فلو قدر شيء لكان ٣/ ٤٦٢
دعوة أبي إبراهيم، وبشرىٰ عيسىٰ ٤/ ٩١
دعوهم ...إن أنكرتم ما أقول فهلم أباهلكم ١/ ٧٩-٨٠
دعوهم ... أسلما ١/ ٨٤ - ٨٥

(الراء)

رأيت رجلا ظاهر الوضاءة ٤/ ٢١٠
رأيت رسول لله علىٰ بغلة شهباء ٤/ ٢٢٠
رأيت عمرو بن لحي ٢/ ١٤٣
رأيت القمر منشق شقين ٤/ ٣٣٥
الراكب خلف الجنازة ٣/ ٣٨٨
رب حامل فقه غير فقيه ١/ ٢٨٥
رجم النبي رجلا من أسلم، ورجلا ٢/ ٤٦
ركب رسول الله حمارا وأردفني ٤/ ٣١٥

(الزاي)

زويت لي الأرض ١/ ٦٩، ٤/ ٩، ٢٩٧
زعم أن السماء لم تكن تحرس إلا ٤/ ١٣١

(السين)

سأل رجل عائشة: هل كان يعمل في بيته ٤/ ٢٢٢
سأل عائشة عن خلق رسول الله ٤/ ٢١٥
سألت ربي أن لا يسلط علىٰ ١/ ٣٧٩

سألت ربي ثلاثا	٤/ ٣١٠، ٤٣٥
سألت عائشة كيف كان عمل رسول الله	٤/ ٢١٥
ستفتح مصر وهي أرض	٤/ ٣٠٠
ستكون بعدي أمراء يطلبون منكم حقهم	٤/ ٣٠٧
ستكون الفتن القاعد فيها	٤/ ٣٠٤
سمعت عائشة وسألتها عن خلق رسول الله	٤/ ٢١٤
سيكون بعدي أمراء	٤/ ٣٠٦
سيكون في ثقيف كذاب	٤/ ٣١١
(الشين)	
شكونا إلىٰ رسول الله وهو متوسد بردة	٤/ ٢٩٠
(الصاد)	
صدق والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة	٤/ ٣٦٣
صدقت ذلك مدد من السماء الثالثة	٤/ ٤١١
صعد النبي أحدا	٤/ ٤٠٥
صلىٰ بنا رسول الله الفجر	٤/ ٢٨٧
صل قائما، فإن لم تستطع	٣/ ٣٢٤
صلىٰ رسول الله ونحن معه بالمدينة الظهر أربعا	٤/ ٢٧
صنفان من أهل النار لم أرهما	٤/ ٣١٠
(الضاد)	
ضعه، ثم قال: اذهب فادع لي فلانا	٤/ ٣٩٧
ضن الخبيث بملكه	١/ ١٤٥
(العين)	
عصرتيها؟	٤/ ٣٩٦
علىٰ المرء المسلم السمع والطاعة	١/ ٤٢٠
علىٰ رؤوسهن كأسنمة البخت	٤/ ٤٦٤-٤٦٥

عليك بتقوىٰ الله ٤/ ٢٧
عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلىٰ البر ١/ ٤٤، ٤/ ١٣٣
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ١/ ٣٩٠
(الفاء)
فأتاها فجلس علىٰ شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء ٤/ ٣٧٧
فأتي رسول الله بوضوء فوضع في ذلك الإناء يده ٤/ ٣٧٦
فإذا قال: الحمد لله رب العالمين ٤/ ٦٠
فبارك الله لك أولم ولو بشاة ٤/ ٤٩٣
فدخلت علىٰ رسول الله في خزانته ٤/ ٢٢٤-٢٢٥
فرفع حدقته حتىٰ وضعها موضعها ٤/ ٣٦٦
فضرب عليه رسول الله خيمة في المسجد ٤/ ٤١٢
فضلت علىٰ الأنبياء بست ١/ ١٦٩
فعل هؤلاء وفعلوا ٤/ ٣٧٤
فقعد رسول الله حتىٰ جبا الركية ٤/ ٣٧٨
فلحقني رسول الله فضربه ودعا له ٤/ ٤٤٤
فليبلغ الشاهد الغائب ١/ ٤٢٠
فماذا قلتِ له؟ ١/ ١٢٧
فمسح رسول الله رأسه ٤/ ٣٦١
فنزل جبريل ففرج صدري ٤/ ٣٤٣
فنزل رسول الله تحت شجرة فعلق سيفه ٤/ ٤٢٠
فنفث فيه ثلاث نفثات ٤/ ٣٦٨-٣٦٩
فهل من وضوء ٤/ ٣٩٥-٣٩٦
فيما سقت السماء العشر ٤/ ٤٥٤

(القاف)

قال الملأ وأبو جهل لقد غلبنا أمر محمد ٤/ ١٤٣-١٤٤

قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسىٰ ٤/ ١٢٩

قال ورقة بن نوفل للنبي : يابن أخي هذا هو الناموس ٤/ ١٢٩

قام رسول الله حتىٰ تورمت قدماه ٤/ ٢١٥

قام فينا رسول الله مقاما ٤/ ٢٨٦-٢٨٧

قام النضر بن الحارث فقال يا معشر قريش ٤/ ١٤٩

قتل الأسود العنسي ١/ ١٦٥

قد مات اليوم عبد الله صالح ٤/ ٣٢٠-٣٢١

قدر الله مقادير الخلائق ٢/ ٣٤٧

قدم ضماد مكة، وهو رجل من أزد شنوءة ٤/ ١٤٥-١٤٦

القضاة ثلاثة: قاضيان في النار ١/ ٣٣

قلت يا رسول الله إن الكهان ٤/ ٢٧٢

قوموا فتوضئوا ٤/ ٣٧٥

(الكاف)

كان الله ولا شيء قبله ٢/ ٣٤٧

كان الجن يستمعون الوحي ٤/ ١٣١

كان خلقه القرآن ٤/ ٢١٤

كان رسول الله إذا قفل من الجيوش أو السرايا ٤/ ٢٧

كان رسول الله أجود الناس بالخير ٤/ ٢١١

كان رسول الله أحسن الناس وجها ٤/ ٢٠٦

كان رسول الله أحسن الناس، وكان أجود الناس ٤/ ٢١١

كان رسول الله أزهر اللون ٤/ ٢٠٨

كان رسول الله أشد حياء من العذراء ٤/ ٢١٣

كان رسول الله أفلج الثنيتين ٤/ ٢٠٩
كان رسول الله بعيد ما بين المنكبين ٤/ ٢٠٦
كان رسول الله ضخم الرأس والقدمين ٤/ ٢٠٧
كان رسول الله ضليع الفم ٤/ ٢٠٨
كان رسول الله لا يسلك طريقا ٤/ ٢٠٩
كان رسول الله لا يقوم من مصلاه ٤/ ٢٢١
كان رسول الله ليس بالطويل البائن ٤/ ٢٠٨
كان رسول الله مسح وجهه ٤/ ٤٤٨
كان رسول الله يجلس علىٰ الأرض ٤/ ٢٢٠
كان رسول الله يركب الحمار ٤/ ٢١٩، ٢٢٢
كان رسول الله يكثر الذكر ٤/ ٢١٩
كان رسول الله يمشي مع الأرملة ٤/ ٢١٩
كان شعرا رجلا ليس بالجعد ولا بالسبط ٤/ ٢٠٧
كان طويل الصمت ٤/ ٢٢١
كان غلام يهودي يخدم النبي ٤/ ٢١٧
كان فراش رسول الله ٤/ ٢٢٤
كان لآل رسول الله وحش ٤/ ٣٦١
كان النبي إذا بعث السرية يقول: إذا رأيتم مسجدا ٤/ ٣١
كان النبي إذا خطب يقوم إلىٰ جذع ٤/ ٣٧٠
كان النبي إذا سر استنار وجهه ٤/ ٢٠٧
كان النبي وجيوشه إذا علوا ٤/ ٢٨
كان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة ١/ ١٦٩
كان النبي يدخل علىٰ أم حرام بنت ملحان ٤/ ٣٠٩
كان يغير إذا طلع الفجر ٤/ ٣٠

كان يقرأ فيهما ١/ ٢٢٥-٤/ ٣٣٤
كانت الأمة من إماء أهل المدينة ٤/ ٢١٨
كأنه منذر جيش ٤/ ٨٣
كل بيمينك ٤/ ٤٤٩
كل مولود يولد علىٰ الفطرة ١/ ٤٧٣
كلمتان حبيبتان إلىٰ الرحمن ٢/ ٢٥٢
كمل من الرجال كثير ١/ ٥٠٠
كن كذلك ٤/ ٤٢٠-٤٢١
كنا إذا احمر البأس نتقي به ٤/ ٢١١
كنا آل محمد يمر بنا الهلال ٤/ ٢٢٢
كنا مع رسول الله إذا علونا كبرنا ٤/ ٢٦
كنا مع رسول الله فأتينا علىٰ ركي ذمة ٤/ ٣٨٦
كنا مع رسول الله في غزوة ٤/ ٢٨٨
كنا مع رسول الله في غزوة خيبر فأمرنا أن نجمع ما في أزوادنا ٤/ ٣٩٤
كنا مع رسول الله نتداول قصعة ٤/ ٣٩٨
كنت أمشي مع النبي وعليه برد ٤/ ٢٢١
كنت فيمن بنىٰ البيت، وإن قريشا ٤/ ١٣٨
كنت قائما عند رسول الله فجاء حبر من أحبار اليهود ٤/ ١٦٤-١٦٥
كنت مع رسول الله بمكة ٤/ ٣٧٣
كنت مع النبي بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها ٤/ ٤٠٥
كيف أسرته يا أبا اليسر ٤/ ٣٣٠
كيف بإحداكن ينبح ٤/ ٣١٧

(اللام)

اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا ٤/ ٢٢٥

اللهم أجب دعوته وسدد رميته ٤/ ٤٤٥

اللهم اجعله آية ٤/ ٤٢١

اللهم استجب لسعد إذا دعاك ٤/ ٤٤٤

اللهم اشفه، اللهم عافه ٤/ ٤٤٥

اللهم اشهد ٤/ ٣٣٦

اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين ٤/ ٤٤١

اللهم أغثنا ٤/ ٣٥٠

اللهم أكثر ماله وولده ٤/ ٤٣٧

اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ١/ ٢٠٤-٢٠٥

اللهم انجز لي ما وعدتني ٤/ ٤١٠

اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة ٤/ ٤٠٨

اللهم إني أستخيرك بعلمك ٢/ ٢١٢

اللهم اهد أم أبي هريرة ٤/ ٤٣٨

اللهم أيده بروح القدس ٤/ ٧٧

اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ٤/ ٤٢٧

اللهم علمه الكتاب ٤/ ٤٤٣

اللهم عليك بقريش ٤/ ٤٢٨-٤٢٩

اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل ٤/ ٤٤٣

اللهم مزق ملكهم ١/ ١٥٩

اللهم هؤلاء أهلي ١/ ٨٧

لا إنما أنا شافع ٣/ ٤٧٨

لا بل أستأني بهم ٤/ ٥٢٩، ٥٣٦

لا تأت العراق	٤/ ٣١٧
لا تجلسوا علىٰ القبور	١/ ١٧٦
لا تحزن إن الله معنا	٤/ ٤١٨
لا تزال طائفة من أمتي	٣/ ٣٧٩، ٤٦٧، ٤/ ٣١٠
لا تسبوا الريح	٢/ ٢٣٣
لا تصدقوا أهل الكتاب	٤/ ٥٥٢
لا تطروني كما أطرت النصارىٰ	١/ ٣٥١، ٢/ ١٦٩، ٣٤٩
لا تقوم الساعة حتىٰ تخرج نار	٢/ ١٧١، ٤/ ٢٩٢
لا تقوم الساعة حتىٰ تقاتلوا	٢/ ١٧١، ٤/ ٢٩١
لا تقوم الساعة حتىٰ لا يعبد لله اسم	٢/ ٣٦٣
لا تقوم الساعة حتىٰ يخرج ثلاثون	٤/ ٣١٥
لا سبق إلا في خف	٤/ ٥٦٢
لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب	١/ ٤٥١
لا ودعا وغمز حدقته براحته	٤/ ٣٦٥
لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان	٤/ ٤٨١
لا يدخل النار أحد بايع	١/ ١٠٥
لا يرث المسلم الكافر	١/ ٤٥١
لا يزال الإسلام عزيزا	٤/ ٣١٢
لا يقبل الله صلاة بغير طهور	١/ ٤٥١
لأبعثن إليكم رجلا أمينا	١/ ٩٦
لأبعثن معكم رجلا أمينا	١/ ٨٧
لأخرجن اليهود والنصارىٰ	١/ ١٥٢
لأعطين الراية غدا	٤/ ٣١٨
لأعطين الراية رجلا	٤/ ٣٦٤-٣٦٥

لتأخذن أمتي مأخذ ١/ ٢٦
لتتبعن سنن من كان قبلكم ١/ ٢٦
لتفتحن عصابة من المسلمين ٤/ ٢٩٣
لعن الله اليهود والنصارىٰ ١/ ١٧٦، ٤/ ٤٨٢
لقد رأىٰ ابن الأكوع فزعا ٤/ ٤٠٦
لقد رأيت رسول الله ٤/ ٢٢٤
لقد رأيتني في الحجر ٤/ ٣٤٥
لقد كان من قبلكم ١/ ٢٠٧
لقد لقيت من قومك ١/ ٢٠٦، ٤/ ٤١٤، ٥٣٦
لما أسري برسول الله ٤/ ٣٤٤
لما بلغ رسول الله اثنتي عشرة سنة خرج ١/ ٢٩٨
لما خلق الله العقل قال له ٣/ ٤٢٩
لما كان يوم بدر اتقينا المشركين ٤/ ٢١٢
لما كذبتني قريش ٤/ ٣٤٥
لما قدم رسول الله وأصحابه ٤/ ٢٧٨
لما قدم رسول الله المدينة جئته لأنظر إليه ٤/ ٥٨٩
لم يكن رسول الله سبابا ولا فاحشا ٤/ ٢١٣
لم يكن فاحشا ولا متفحشا ٤/ ٢١٣
لو دخلوها ما خرجوا منها أبدا ١/ ٤١٩
لو دنا مني لاختطفته الملائكة ٤/ ٤١٨
لو كان الإيمان ٤/ ٣٠١
لو كان الدين معلقا بالثريا ٤/ ٣٠١
لو كان العلم ٤/ ٣٠١
لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا ٢/ ٢٩٩

لو وضعتم الشمس ٤/ ١١٧
لو لم تكله لأكلتم منه ٤/ ٣٩٦
لو يعطىٰ الناس بدعواهم ٤/ ٥٥٤
ليس هو كما تظنون ١/ ٣٣

(الميم)

ما أحد أحب إليه العذر ١/ ١١٦، ٤٧١
ما أحد أصبر علىٰ أذىٰ سمعه من الله ٣/ ٨٠
ما أصاب عبدا قط هم ٢/ ٢١٧
ما أقدمك ٤/ ٣٢٩
ما أكل رسول الله علىٰ خوان ٤/ ٢٢٣
ما بال رجال يقول أحدهم كذا وكذا ١/ ٣٨٩
ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟ ٢/ ٤٤
ما تجدون في التوراة علىٰ من زنىٰ؟ ٢/ ٤٥
ما تركت لأهلك؟ ٤/ ٢٦٥
ما خير رسول الله بين أمرين ٤/ ٢١٣
ما رأىٰ رسول الله رغيفا ٤/ ٢٢٣
ما رأيت أحدا أنجد ولا أجود ولا أشجع ٤/ ٢٠٩
ما رأيت أرحم بالعيال من رسول الله ٤/ ٢٢٠
ما رأيت رسول الله قط مستجمعا ضاحكا ٤/ ٢٢٠
ما رفع للنبي صلىٰ الله عليه وسلم أمر ٣/ ٤٧٨
ما سئل رسول الله شيئا فقال لا ٤/ ٢١٢
ما سئل رسول الله علىٰ الإسلام شيئا ٤/ ٢١٢
ما شبع رسول الله ثلاثة أيام ٤/ ٢٢٢
ما صنعت؟ ٤/ ٤٢٣: ٤٢٦

ما ضرب رسول الله ٢/ ١٣٠ - ٣/ ٤٦١،
٤/ ٢١٤
ما عاب رسول الله طعاما قط ٤/ ٢١٦
ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله ٤/ ٢١٦
ما كان رسول الله يصنع في أهله؟ ٤/ ٢٢١
ما لبعيرك؟ ٤/ ٤٤٤
ما لكم؟ ٤/ ٣٧٧
ما من مولود إلا يمسه الشيطان ١/ ٣٥٣
ما من نبي إلا قد أنذره أمته ١/ ٤٨٨ - ٢/ ٣٠٠،
٤/ ٤٣، ٦٣٥
ما من نبي من الأنبياء إلا وقد وتي من الآيات ٤/ ٤٩١
مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع ٤/ ٥٢٢
مثل ما بعثني الله به من الهدىٰ ١/ ٢٨٥
مر رسول الله علىٰ صبيان فسلم عليهم ٤/ ٢٢٠
مروه فليجلس وليستظل ١/ ٣٩٠
مسح رسول الله يده علىٰ وجهي ودعا لي ٤/ ٤٤٧
مكتوب بين عينيه كافر ٢/ ٣٠٠
من أطاعني فقد أطاع الله ١/ ٤١٩
من أين لكم هذا؟ ٤/ ٤٥٠
من ترون نكسوه هذه الخميصة؟ ٤/ ٤٤٥
من رآني في المنام فقد رآني حقا ١/ ٤٨٣ - ٢/ ٣٢١، ٣٥٧
من رغب عن سنتي فليس مني ١/ ١٨٦
من شهد أن لا إله إلا الله ٣/ ٣٩٨
من قاتل لتكون كلمة الله ٢/ ٢٣٧

من كذب علي متعمدا ٤/ ٤٧٣
من نوقش الحساب عذب ١/ ١٠٥
من محمد رسول الله إلىٰ هرقل ١/ ٣٣٨
من محمد رسول الله إلىٰ مسيلمة الكذاب ٤/ ٥٦٣
من ملك زادا وراحلة تبلغه ١/ ٣٣٦
من هذا؟ قالوا: عامر ٤/ ٤٣٦

(النون)

نصرت بالرعب مسيرة ٤/ ٣٤
نصرت بالصبا ٤/ ٣٥٢
نضر الله امرءًا ١/ ٢٨٥، ٤٢٠ -٣/ ٣٠٤
نعىٰ رسول الله للناس النجاشي ٤/ ٣٢٠
نعىٰ رسول الله زيدا وجعفرا ٤/ ٣٣٢

(الهاء)

ها إن الفتنة هاهنا ٤/ ٣١٤
هاتوا خطاما ٤/ ٣٥٣
هذا جبريل آخذ برأس فرسه ٤/ ٤١٣
هذا فرعون هذه الأمة ٤/ ٥٣٩
هذا من أهل النار ٤/ ٣١٨
هذا وقتك ووقت الأنبياء قبلك ٤/ ٣٢
هكذا تجدون حد الزاني ٢/ ٤٥
هل عندك شيء؟ ٤/ ٣٨٧
هل في القوم من طهور؟ ٤/ ٣٧٩
هل لك من أنماط ٤/ ٣١٣
هل مع أحد منكم طعام ٤/ ٤٠٠

هل معكم شيء تبيعونه ٤/ ٥٩٠
هل من شيء يا أبا هريرة ٤/ ٤٠٣
هلك كسرىٰ ثم لا يكون كسرىٰ ٤/ ٢٩٢، ٢٩٨
هم قوم هذا ٤/ ٣٠٢
هي براءة من الشرك ٢/ ٩٨

(الواو)

والذي نفسي بيده، لا يسمع بي أحد ١/ ٣٠٦، ٤/ ١٢٨
والله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون ١/ ٥١٣
والله لا أشك ولا أسأل ١/ ٥٠٦
والله لا نقول لك كما قالت ٣/ ٤٦٠
ولو استعمل عليكم عبد ١/ ٤٢٠
ومن معي ٤/ ٣٩٧
وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالفات ٤/ ٤٢٠
ويحك قد خبت وخسرت ٤/ ٣٠٦
ويل للعرب من شر ٤/ ٣٠٥
ويلكما، من أمركما بهذا؟ ١/ ١٦٢

(الياء)

يا أبا هر، قلت : لبيك يا رسول الله، قال: الحق ٤/ ٣٩٨-٣٩٩
يا أبا هريرة عندك شيء ؟ ٤/ ٤٠٢
يا أهل الخندق إن جابرا قد صنع لكم سؤرا ٤/ ٣٨٩
يا ابن عمرو مالي أرىٰ قومك ٣/ ٥٢٥-٥٢٧
يا أسامة أتشفع في حد ٢/ ١٣٠ - ٣/ ٤٦٢
يا أيها الناس إني رسول الله إليكم ١/ ٢٠٣، ٢٠٤
يا بني عبد مناف إني نذير لكم ١/ ٢٠١

يا بني فهر، يا بني عدي ١/ ٢٠١
يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم ١/ ٢٠٢
يا بني لو رأيته رأيت الشمس طالعة ٤/ ٢١٠-٢١١
يا جابر ناد بوضوء ٤/ ٣٨١-٣٨٢
يا رسول الله إني رأيت ٤/ ٢٩٦
يا عم إنما أردتهم علىٰ كلمة واحدة ٤/ ٣١٦
يا عم لو وضعت الشمس ٤/ ١٤٠
يا فاطمة بنت محمد ١/ ٢٠٢
يا بني عبد المطلب يا بني عبد مناف ١/ ٢٠٢
يا يهودي! أنشدك بالله ٣/ ٥٢٩
يقول الله تعالىٰ: أعددت لعبادي الصالحين ٢/ ١٧٠
يقول الله: أما علمت أن عبدي فلانا مرض ٢/ ٣١٩
يقول الله: أنا مع عبدي ما ذكرني ٢/ ٣٠٩
يقول الله: عبدي مرضت فلم تعدني ٢/ ٣٠٩، ٣٥٦
يقول الله تعالىٰ: كذبني ابن آدم ٣/ ٧٩، ٣٦٢
يقول الله تعالىٰ من عادىٰ لي وليا ٢/ ١٧٧، ٣١٠ -٣/ ٤٨٠
يقول الله أنت رحمتي ارحم بك من أشاء ١/ ٣٦٢، ٢/ ٤٩٢
يقول الله تعالىٰ ومن أظلم ممن ذهب يخلق ٢/ ٤٧٧-٤٧٨
يقول الحجر والشجر: يا مسلم ٤/ ٤٤
ينزل عيسىٰ بن مريم من السماء ١/ ٢٦٤
اليهود مغضوب عليهم ٢/ ١٧٥
يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم ٢/ ٤٧٠، ٤/ ٤٤

* * *

فهـرس الآثــار

طـرف الأثـر	الـراوي	الصفحـة
(الهمزة)		
احلف أنك بعته وما به داء	عثمان بن عفان	٤/ ٥٥٦
اقتسم نساء عبد الرحمن بن عوف ثمنهن	محمد بن سيرين	٤/ ٤٤٠
ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه	علي بن أبي طالب	١/ ١٧٦
إلا بالتي هي أحسن فإن قالوا شرا	مجاهد	١/ ١١٣
أما بعد فإن العاقب والأسقف	عثمان بن عفان	١/ ٩١
إن الحي هو الفعال	نعيم بن حماد	٤/ ٦٢٥
أن رسول الله صالح أهل نجران	أبو المليح الهذلي	١/ ٨٨
إن رسول الله صلىٰ علىٰ أصحمة	جابر بن عبد الله	١/ ١٢٧
أن رسول الله كتب إلىٰ أهل نجران	عروة بن الزبير	١/ ٩١
أن عبد الرحمن باع أرضا بأربعين ألف	أم بكر بنت المسور	٤/ ٤٤٠
إن عبد الرحمن أوصىٰ لأمهات المؤمنين	محمد بن عمرو بن أبي سلمة	٤/ ٤٤١
أن عمر أمر في أهل الذمة	أسلم	١/ ١٥٦
أن عيسىٰ بن مريم استقبل	ابن عباس	١/ ٢٥٩
إن الله نظر في قلوب العباد	ابن مسعود	٤/ ٥٧٨
إن للحسنة لنورا في القلب وضياء في الوجه	ابن عباس	٤/ ٥٧٥

إن لم يوافقه ما تقصه عليه	عبد الرحمن بن زيد بن أسلم	١/ ١٠٠
أن يهود كانوا يستفتحون	ابن عباس	٣/ ٥٢٢
أنصفك خصمك، احلف وخذ	عمر بن الخطاب	٤/ ٥٥٦
أنه تصدق بأربعمئة ألف دينار	الزهري	٤/ ٤٣٩
أنه كان يكبر في قبته بمنىٰ	عمر بن الخطاب	٤/ ٢٨
أنهم لما دخلوا علىٰ المقوقس	المغيرة بن شعبة	١/ ١٤٦
إني أراها تستهل	عثمان بن عفان	٤/ ٥٧٤
أوصىٰ عبد الرحمن لمن شهد بدرا	الزهري	٤/ ٤٤٠

(الباء)

بعث رسول الله عبد الله بن حذافة	ابن عباس	١/ ١٥٩
بلىٰ، قد كانت أوائل اليهود	قتادة	١/ ٣٦
بماذا عرفت ربك ؟	أبو سعيد الخزاز	٣/ ٢١٩

(التاء)

تبدىٰ إبليس في جند من الشياطين	ابن عباس	١/ ٤٨٦
تبيض وجوه أهل السنة والجماعة	ابن عباس	٤/ ٥٧٧
تفسير القرآن علىٰ أربعة أوجه	ابن عباس	١/ ٢٨٣

(الحاء)

حدثوا الناس بما يعرفون	علي بن أبي طالب	٤/ ٨١
الحمد لله الذي لم يمتني حتىٰ أراني	عمر بن الخطاب	١/ ١٦٥

(الخاء)

خرج جيش من المسلمين أنا أميرهم | عمرو بن العاص | ١/ ١٥٠

(الذال)

الذي آتيناك من العلم والسنة | ابن عباس | ٤/ ١٥٣

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ من قاتلك | مجاهد | ١/ ١١٣

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ أهل الحرب | مجاهد | ١/ ١١٣

(الراء)

رأيت يوم أحد عن يمين النبي | سعد بن أبي وقاص | ٤/ ٤١٢

رحمة لكم أيتها الأمة | الحسن البصري | ٤/ ٥٣١

ركبت البحر في سفينة | سفينة | ٤/ ٣٦٠

(السين)

سار الشيطان معهم برايته وجنوده | الضحاك | ١/ ٤٨٦

سأل أهل مكة النبي أن يريهم آية | أنس بن مالك | ١/ ٢٢٩

(الصاد)

صالح رسول الله أهل نجران | ابن عباس | ١/ ٨٨

(العين)

علمت أن المتقي ذو نهية | أبو وائل | ١/ ٣٥٦

(الفاء)

فدخلنا على جبلة بن الأيهم وهو بالغوطة | هشام بن العاص، ونعيم بن عبد الله | ٣/ ٥٣٥

فرقوا بين كل ذي محرم من المجوس | عمر بن الخطاب | ١/ ١٦٧

(القاف)

قدم على رسول الله وفد نجران | محمد بن جعفر | ١/ ٨٢

(الكاف)

كان ابن عمر وابن عباس يخرجان إلىٰ السوق	ابن عمر وابن عباس	٤/ ٢٨
كان بين أبيتنا يهودي	سلمة بن سلامة بن وقش	٣/ ٥٢٧-٥٢٩
كان للجن مقاعد في السماء	ابن عباس	٤/ ٢٧٤-٢٧٥
كان المسلمون يحبون أن تغلب الروم	ابن عباس	١/ ١٣٣
كانوا-يعني اليهود-إذا استنصروا بمحمد	أبو العالية	٣/ ٥٢٣
كتب عمر إلىٰ أمراء الأجناد	أسلم	١/ ١٥٥
كتبت لعمر بن الخطاب حين صالح نصارىٰ الشام	عبد الرحمن بن غنم	١/ ١٥٤
الكلمة حين قال له كن	الشعبي	١/ ٢٥٨
كنا نتحدث أن السكينة تنطق علىٰ لسان عمر	ابن عمر	٤/ ٩٨

(اللام)

لا ترحموا النصارىٰ	معاذ بن جبل	٣/ ٨٠
لا ترحموهم، فلقد سبوا الله مسبة	معاذ بن جبل	٢/ ١٢٧- ٣/ ٣٦١-٣٦٢
لا تقاتل إلا من قاتلك، ولم يعطك الجزية	مجاهد	١/ ١١٣
لعلك رأيته يركع ركعات في المسجد	عمر بن الخطاب	٤/ ٥٧٧

لكي تكون الحجة عليهم أشد	أبو العالية	١/ ٤٢٨
لم يزل الله فيما لم يزل محسنا	جعفر بن محمد الصادق	٤/ ٦٢٦
لم ينزل الله آية إلا وهو يحب	الحسن البصري	٢/ ٤٩٧
لما أنزل الله علىٰ رسوله: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ فِي	نيار بن مكرم الأسلمي	١/ ١٣١
لما بعث الله نبيه، وظهر أمره بمكة	جبير بن مطعم	٣/ ٥٣٤
لما رجع رسول الله من الحديبية	جعفر	١/ ١٤٥
لما سمع موسىٰ كلام الله	الزهري	٢/ ٤٥٠
لما كتب رسول الله إلىٰ هرقل	عبد الله بن شداد بن الهاد	١/ ١٤٣
لما قدم وفد نجران	ابن عباس	١/ ٣٥
لما نزل بالنجاشي عدوه من أرضه	عامر بن الزبير	١/ ١٢٤
لما نزل المسلمون بيت المقدس	عطاء الخراساني	١/ ١٥٣
لما نزلنا أرض الحبشة	أم سلمة	١/ ١١٨-١٢٤
لو أدرك ابن عباس أسناننا لما عشره منا احد	ابن مسعود	٤/ ٤٤٣
لو خشع قلب هذا	عمر بن الخطاب	٤/ ٥٧٣
لو كنت معكم ببدر الآن ومعي بصري	مالك بن ربيعة	٤/ ٤١١-٤١٢
ليس بكلامي ولا كلام صاحبي	أبو بكر الصديق	٣/ ٢٦١

ليس الكلمة صارت عيسىٰ	قتادة	١/ ٢٥٦
ليسوا بأعجب آياتنا	مجاهد	٤/ ١٥٣

(الميم)

ما أسر أحد سريرة	عثمان بن عفان	٤/ ٥٧٣
ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق	ابن عباس	١/ ٣٣٣
ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر	ابن مسعود	٤/ ٤٤٣
ما من رجل يحدث قوما حديثا	ابن مسعود	٤/ ٨١
ما يؤمنك أني لو أخبرتك بتفسيرها	ابن عباس	٤/ ٨٢
مثل نوره في قلب المؤمن	أبي بن كعب	٣/ ٢٣٩
مثل نوره في قلوب المؤمنين	أبي بن كعب	٢/ ٣٣٦- ٣/ ٢٨٣
مع محمد صلىٰ الله عليه وسلم وأمته	ابن عباس	٢/ ١٣٣
من أدىٰ منهم الجزية	مجاهد	١/ ١١٣
من جاءك واستمع ما تقول	مجاهد	١/ ١٠٠
من كان منكم مستنا	ابن مسعود	٤/ ٥٧٩

(النون)

نسختها ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾	قتادة	١/ ١١٤

(الهاء)

هل تدري عما كان إسلام	شيخ من بني قريظة	٣/ ٥٢٩-٥٣١
هو سمىٰ نفسه بذلك	ابن عباس	٤/ ٦٢٦
هو المتحرك فلا يكون حي إلا متحركا	**عثمان بن سعيد الدارمي**	٤/ ٦٢٦

(الواو)

والأحزاب هي الملل كلها	سعيد بن جبير	٤/ ١٢٨
وأوصي الخليفة من بعدي	عمر بن الخطاب	١/ ١٥٦
﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ رسول منه	مجاهد	١/ ٢٥٨
﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ هو قوله كن فكان	قتادة	١/ ٢٥٦
﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ليست منسوخة	عبد الرحمن بن زيد	١/ ١١٤
والله إني لغلام يفعة	**حسان بن ثابت الأنصاري**	٣/ ٥٢٥

(الياء)

يا كعب إن كنت تعلم	عمر بن الخطاب	٢/ ٥٦
يا منذر إنك عظيم العقل	العلاء بن الحضرمي	١/ ١٦٦
يا يرفأ اكتب إلىٰ أهل الأمصار	عمر بن الخطاب	١/ ١٥٥
يخيره إما أن يقره	عطاء	١/ ١٠١
يعني ريح الصبا	مجاهد	٤/ ٣٥١

* * *

فهــرس الأعــلام

العلــم	الصفحة
ابن اخت قسطنطين	٣/ ١٥٠
ابن الأشعث	٤/ ٤٥٦
ابن الأنباري	١/ ٢٦١
ابن الجوزي	١/ ٧٧، ٢٢٩، ٢٩٨، ٤٣٠، ٣/ ٤٢٨، ٤/ ٢١٨، ٤٧٩،
ابن الزاغوني	٣/ ٩، ١٢، ١٣
ابن الفارض	٣/ ٤٠٢
ابن القاسم	٣/ ٥٠٥
ابن المهلب	٤/ ٤٥٦
ابن الناطور	١/ ١٤٠، ٣/ ٥٣١
ابن الهيبان	٣/ ٥٣٠
ابن الهيثم	٣/ ٥٠٧
ابن إسرائيل	٣/ ٤٠٢
ابن أبي أوفىٰ	٤/ ٢١٩
ابن أبي حاتم	١/ ٩٤، ٤/ ١٣١، ٣١٤، ٤٢٥، ٥٣١
ابن أبي شيبة	٤/ ١٤٤
ابن جريج	١/ ٩٤
ابن جرير الطبري	١/ ٨٦، ١٣٣، ٢٥٣، ٤/ ٢٧٤
ابن حبان	١/ ١٤٩، ٢/ ٢١٧، ٣/ ٤٢٨، ٤/ ٣٠٥، ٣١٥، ٣١٦، ٤٤١
ابن حزم	٣/ ١٣، ٣٧٩، ٤/ ٦٣٠
ابن رشد الحفيد	٤/ ٢٤٠

ابن سبعين ٣/ ٢٣٢، ٤٠١، ٤٢٧، ٤/ ٢٤٠
ابن سينا ٢/ ٢٦٤، ٢٦٥، ٣/ ٤٢٣، ٤/ ١٢٣، ٢٤٠
٢٤١
ابن شاذان أبو علي ٤/ ٥٠٤
ابن ظفر ٤/ ٧
ابن عامر الدمشقي ٤/ ٤٦٨
ابن عباس ١/ ٣٥، ٨٨، ١٣٤، ١٥٩، ١٨٢، ١٨٤، ٢٠١،
٢٠٨، ٢٢٩، ٢٥٩، ٢٨٣، ٢٨٨، ٣٩٨، ٤٣٠،
٤٨٦، ٢/ ٤٩، ٥٥، ١٣٣، ٣١٦، ٣/ ٣٦٢،
٤٥٤، ٥٣١، ٤/ ١٥، ١٧، ١٨، ٨٢، ١٣٠،
١٣١، ١٣٥، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٩،
١٥١، ١٥٣، ١٦٥، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٧، ٢٢٠،
٢٢٦، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٩٤، ٣١٣، ٣٣٠،
٣٣٦، ٣٣٧، ٣٥٢، ٣٦١، ٣٧١، ٣٧٩، ٣٨٧،
٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤٢٣، ٤٤٣، ٤٦٨، ٥٢٩،
٥٣٠، ٥٥٤، ٥٧٥، ٥٧٧، ٥٩٢، ٦٢٦، ٦٢٧،
ابن عبد ياليل بن عبد كلال ٤/ ٤١٤، ٥٣٦
ابن عربي ٣/ ٢٢١، ٤٠١، ٤٠٤، ٤٢٧، ٤/ ٢٤٠
ابن عقيل ١/ ٤٦٦
ابن عمر ١/ ١٥، ٤٢٠، ٢/ ٤٤، ٤٥، ٤/ ٢٧، ٢٨، ٩٨،
٢٠٩، ٣١٤، ٣٣٢، ٣٣٦، ٤٤١، ٤٦٨، ٥٥٦،
ابن فورك ٤/ ٥٠٤
ابن قانع ٤/ ٥٨٩
ابن قتيبة ٣/ ٣٢٥، ٤/ ٦، ١٣
ابن كثير المكي ٤/ ٤٦٨

ابن ماجه ٤/ ٢٨، ٣١، ٣٦٢، ٣٨٧
ابن مكرم ١/ ١٣١
ابن هشام ١/ ٨٣
ابن وهب ٣/ ٥٠٥
ابندقليس ٤/ ٥٨٣، ٥٨٤
اسلم ١/ ١٥٥، ١٥٦
الإسكندر المقدوني ٣/ ٤١٥
الأثرم ٣/ ٥٠٦
الأحنف بن قيس ٤/ ٤٧٠
الأخفش ١/ ٢٦١، ٣/ ٥٠٥
الأخفش ٤/ ٤٦٨
الأسود النخعي ٤/ ٤٦٨
الأصمعي ٣/ ٣٣٣
الأعمش ٤/ ٤٦٨، ٥٢٩
الأكصندروس ٣/ ١٣٢، ١٣٩، ١٤١، ١٤٢، ١٤٤
الأنباري ٣/ ٣٢٥
الباجي ٤/ ٦٢٨
البخاري ١/ ٨٧، ١٢٧
البخاري ١/ ١٣٨، ١٥٦، ١٦٧، ٢/ ٤٥، ٥٤، ٥٥، ١٧٧، ٣/ ٣٦٢، ٥٢٧، ٥٣٥، ٤/ ٢٨، ١٤٠، ٤١١، ٤١٣، ٤٤٧، ٥٦٩، ٦٢٥،
البكري صاحب التنقلات ٤/ ٤٦٣
البوبج ملك ليون ١/ ١٤٢
البويطي ٣/ ٥٠٦
البيهقي ١/ ١٢٨، ٢٩٧، ٣/ ٥٢٩، ٤/ ٢٧٦، ٣١٢

٣٦٤، ٤٤٦، ٤٧٨، ٤٧٩
الترمذي ١/ ١٣٢، ١٣٣، ١٣، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢/ ٥٤،
١٦٠، ١٧٥، ٤/ ٢٧، ٣١، ٢١٦، ٢٢٦، ٣٣٥،
٣٦٤، ٣٦٩، ٣٧٢، ٣٨٧، ٤٠٢، ٤٠٥، ٤٣٨،
٤٤١، ٤٤٤، ٤٤٧، ٥٨٩،
التلمساني ٢/ ١٨٨، ٣/ ٢٢٠، ٢٣١، ٣٠٨، ٤٠١، ٤٠٤
الثعلبي ٤/ ٦٢٦
الجاحظ ٤/ ٤٨٠
الجلندىٰ ٤/ ٥٩١
الجويني أبو المعالي ٤/ ٥٠٤، ٥٠٥، ٦٢٨
الحاكم العبيدي ٢/ ٢٧، ١٨٨
الحاكم النيسابوري ٤/ ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٦، ٣٥٩، ٣٦٠، ٤٢٠،
٤٤٥،
الحلاج ٣/ ٤٠٠
الدارقطني ٣/ ٤٢٨
الدارمي ٤/ ٢٠٩، ٢٧٨، ٣٥٣، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٧٢،
٣٧٣، ٣٨٠
الرازي ٢/ ٢٦٤، ٣٠١، ٤/ ٥٠٤، ٥٠٥، ٦٣٠
الربيع بن أنس ١/ ٨٦، ٤٢٨، ٤/ ٤٢٥
الربيعي ١/ ٣٦٧
الزجاج ٤/ ٤٦٨
الزهري = ابن شهاب ١/ ٧٨، ٩٠، ٩٣، ٩٧، ١٦٧، ١٦٨، ٢٨٩،
٢/ ٤٥٠، ٤/ ١٥٠، ٢٢٢، ٢٧٣، ٣٢١، ٣٤٣،
٤٠٨، ٤١٩، ٤٣٩، ٤٤٠
السائب بن يزيد ٤/ ١٣٨

السدي	١/ ٢٥٤، ٤/ ١٣١
السهروردي المقتول	٤/ ٢٤٠
السهيلي	١/ ١٤١، ١٤٢
الشافعي	١/ ٢٦١، ٥٥، ٣/ ٥٠٦، ٤/ ٢٩٥، ٢٩٩، ٤٦٧، ٤٧٠، ٦١٩
الششتري صاحب ابن سبعين	٣/ ٢٢٩، ٤٠١
الضحاك	١/ ٤٠٥، ٤٨٦
الطبراني	٤/ ٣٥٣، ٤٧٨
الطيالسي = أبو داود	٤/ ١٦٥، ٢١٤، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٩٥، ٣١٢، ٣٥٩
العاقب والسيد	١/ ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٨٤
العقيلي = أبو جعفر	٣/ ٤٢٨
الغزالي	٤/ ٢٤٠، ٦٣٠
الفارابي	٣/ ٤٢٣، ٤/ ٢٤٠
الفراء	٤/ ٤٦٨
الفرزدق	٤/ ٤٧٠
الكسائي	٤/ ٤٦٨
اللبان أبو محمد	٤/ ٥٠٤
الماوردي	٤/ ٤٨٠
المبرد	١/ ٢٦١
المبرد	٤/ ٤٦٨
المتنبي	٤/ ٤٧٠
المزني	١/ ٢٦١، ٣/ ٥٠٦
المعتضد بالله	٣/ ١٤٠
النابغة الجعدي	٣/ ٥٠٧

النابغة الذبياني ٣/ ٥٠٧، ٤/ ٤٧٠
الناصر أمير المؤمنين ١/ ١٤٢
النجاشي ١/ ٣٧، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٥٢، ٣/ ٥٢٢، ٥٣٢، ٤/ ٨٧، ١٢٩
النسائي ١/ ٩٦، ٤/ ٢٧، ٥٢٩
الواقدي ١/ ٧٨، ١٤٦، ٤/ ٣٢٨
اليسع ٣/ ٥٠، ٥١، ٥٢
امرئ القيس ٤/ ٤٧٠
إبراهيم الحربي ٣/ ٥٠٦، ٤/ ٤٧٩
إبراهيم بن أدهم ٤/ ٤٧٠
إبراهيم بن موسىٰ المخزومي ١/ ٧٨
إسحاق بن راهويه ٤/ ٤٧٠
إسماعيل بن أبي خالد ٤/ ٣١٧
إيليا أندريانوس ٣/ ١١٦، ١١٧
أبقراط ٣/ ٥٠٥، ٤/ ٤٦٧
أبو الأسود ٤/ ٣١٧
أبو الحجاج الأقصري ١/ ٤٨٢
أبو الحسن الأشعري ١/ ٤٦٦، ٤٧٢، ٢/ ٢٧٦، ٣/ ٣٢١، ٤/ ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٨٤، ٦٠٠، ٦٢٨
أبو الحسين الصوفي ٤/ ٤٦٧
أبو الخطاب ١/ ٤٦٦، ٤٧٢
أبو الشيخ ٤/ ٢١٧، ٢٢٠، ٤٧٨
أبو العباس الناشي ٢/ ٢٧٧
أبو العلاء ٤/ ٤٤٧

أبو المعالي الجويني ١/ ٥٠٠
أبو المليح الهذلي ١/ ٨٨، ٩٠
أبو الهياج الأسدي ١/ ١٧٦
أبو إسرائيل ١/ ٣٨٩
أبو أمية بن المغيرة بن عبدالله ٤/ ١٣٩
أبو أيوب الأنصاري ١/ ٨٠، ٤/ ٤٨٧
أبو بكر ١/ ٧٤، ٨١، ١٣٠، ١٥٢، ١٦٥، ٢/ ٢٦
٣/ ٥٣٥، ٤/ ٢٦٥، ٢٩٤، ٤١٩، ٤٢٣، ٤٨١،
٤٨٦، ٤٨٧، ٥٦٤، ٥٦٩، ٥٩١، ٥٩٢،
أبو بكر بن الطيب القاضي ١/ ٤٧٢، ٥٠٠، ٣/ ١٣، ٤/ ٥٠٣، ٥٠٥
أبو بكرة ٤/ ٢٩٣، ٣٠٥
أبو تمام الطائي ٤/ ٤٧٠
أبو ثعلبة الخشني ٤/ ٢٩٥
أبو جعفر المدني ٤/ ٤٦٨
أبو جهل ٤/ ١٤٣، ١٥٠، ٣٢٥، ٣٢٦، ٤١٨، ٥٣٩
أبو حارثة ١/ ٨٣
أبو حبة الأنصاري ٤/ ٣٣٩
أبو حميد الساعدي ٤/ ٣٣٠
أبو حنيفة ١/ ٤٧٢، ٢/ ٣١٦، ٣/ ٥٠٥، ٤/ ٤٦٧
أبو داود = سليمان بن الأشعث ١/ ٣٣، ٨٧، ١٢٥، ١٥٧، ٢/ ٤٦، ٤٧، ٤٨
٥٤، ٣/ ٣٨٨، ٤/ ٢٨، ٣١، ٢١٦، ٢٩٦
٣٥٧، ٣٨٧، ٤٠٤، ٥٦٩
أبو ذر ١/ ٤١٧، ٢/ ٤٤٩، ٤/ ١٤١، ١٤٢، ٣٠٠
٣١٥، ٣٣٩، ٣٤٣
أبو رافع اليهودي ٤/ ٣٦٦، ٣٦٧

أبو رمثة البلوي ٤/ ٥٨٩
أبو زرعة = عبيدالله بن عبدالكريم ٣/ ٥٢٥، ٤/ ١٤٠، ٢١٠، ٢٧٥، ٤٢٧، ٤٥٠، ٤٧٩، ٥٦٩
أبو زميل ٤/ ٤١١
أبو زيد اللغوي ٣/ ٣٣٣
أبو سعيد الخدري ١/ ١٣٥، ٢/ ١٦٠، ٣/ ٢٣٩، ٤/ ٢١٣، ٢٩٢، ٣٦٣، ٣٩٤
أبو سعيد الخراز ٣/ ٢١٩، ٢٢٠
أبو سفيان بن حرب ١/ ٨٠، ١٣٥، ١٣٨، ١٤٠، ٣/ ٥٣١، ٤/ ١٣٥، ١٥١، ٥٩٢، ٥٩٣
أبو صخر ١/ ٢٥٤
أبو طالب ١/ ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٤/ ١٤٥، ٣٢٣، ٣٢٤، ٤٨٦،
أبو طلحة ٤/ ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٨، ٤٨٧
أبو عبيد القاسم بن سلام ١/ ٨٨، ٩٠، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٨، ١٦٨
أبو عبيد الله القرمطي ٣/ ١٤٠
أبو عبيدة بن الجراح ١/ ٩٦، ١٥٢، ١٦٧، ٤/ ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٩٠، ٢٩٥،
أبو عمرو البصري ٤/ ٤٦٨
أبو قتادة ٤/ ٣٨٤
أبو لهب ٤/ ٢٨٤، ٤٢٧، ٤٨٦
أبو مدين المغربي ١/ ٤٨٣
أبو مسلم الخولاني ١/ ١٦٤، ١٦٥
أبو معشر ١/ ١٦٤
أبو موسىٰ ١/ ١٥، ١٢٥، ٢٩٦، ٤/ ٣٠٤، ٥٢٢

أبو نعيم الأصبهاني ١/ ١١٨، ٣/ ٥٣٥، ٤/ ٤٧٨
أبو نواس ٤/ ٤٧٠
أبو هريرة ١/ ٢٦، ١٢٧، ٢٠٢، ٢٠٧، ٣٥٣، ٣٧٧، ٣٨١، ٢/ ٤٧، ١٧٧، ٣١٠، ٣/ ٣٦٢، ٤٨٠، ٤/ ٢٧، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٥، ٢٧٣، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٤، ٣٠١، ٣٠٤، ٣١٠، ٣١١، ٣١٥، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٤٥، ٣٦٤، ٣٩٤، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤١٨، ٤٣٨، ٤٦٨، ٥٢١، ٥٥٢، ٦٠١،
أبو واقد الليثي ٤/ ٣٣٤
أبو وائل ١/ ٣٥٦
أبو يزيد البسطامي ٢/ ٣١٣
أبو يعلىٰ القاضي ١/ ٧٤، ٤٦٦، ٥٠٠، ٣/ ١٣، ٤/ ٥٠٤، ٥٠٥، ٦٢٨
أبو يعلىٰ الموصلي ٤/ ٣٥٩، ٣٦١، ٣٧٤، ٣٨٦
أبو يوسف القاضي ٢/ ٣١٦
أبي بن خلف ٤/ ١٣٨، ٣٢٦، ٣٢٧
أبي بن كعب ٣/ ٢٣٩، ٤/ ٢٧٨، ٤٦٨، ٤٨٧، ٥٦٩
أحمد الرفاعي ١/ ٤٨٢
أحمد بن حنبل ١/ ١١٨، ١٥٢، ٢٥٦، ٢٦١، ٥٥، ٢/ ١٧٥، ١٧٧، ٢١٧، ٤٥٠، ٤٩٣، ٣/ ٢٨٤، ٥٠٦، ٤/ ٢٧، ١٣١، ١٨١، ٢١٦، ٢٧١، ٣٣٠، ٣٥٣، ٣٥٧، ٣٦٢، ٣٧٤، ٣٨٦، ٣٨٧، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٢١، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٦٧، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٦٩، ٦٢٥

أحمد بن مردويه = أبو بكر بن مردويه ٤/ ١٤٤
أخنس بن شريق ٤/ ١٥١
أرسطو ١/ ١٧٥، ٣٦٤، ٣/ ٢٢٤، ٤١٥، ٤٢٠، ٤٢٣، ٥٠٥، ٤/ ٢٤١، ٥٨٣،
أرطيوس ٣/ ١٨٦
أرميا النبي ٢/ ١١٨، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٥٥
أريوس ٣/ ١٣، ١٣٢، ١٣٩، ١٤١، ١٤٢، ١٤٤ ١٥٠، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٨، ٢٩٠
أزدشير بن بابك بن ساسان ٣/ ١٢٣
أزدشير بن سابور بن هرمز ٣/ ١٥٣
أسامة بن زيد ٢/ ١٣٠، ٣/ ٤٦٢، ٥٢٥، ٤/ ٣٥٩
أسد بن عبيد ٣/ ٥٣٠
أسقف الروم الكبير ١/ ١٤٣
أسماء بنت أبي بكر ٤/ ٣١١
أسماء بنت عميس ١/ ١٢٦
أسود العنسي ١/ ١٦٤، ١٦٥، ٢٦٧، ٤/ ٥٢٢
أسود بن المطلب ٤/ ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٦
أسود بن عبد يغوث ٤/ ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٦
أسيد بن حضير ٤/ ٤٨٧
أسيد بن سعية ٣/ ٥٣٠
أشعيا النبي ٢/ ١١٦، ١١٧، ١٥٨، ٢٢٨، ٢٤٢، ٣٣٠، ٣٦٤، ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧٢، ٣٨٦، ٤١٠، ٤١٣، ٤/ ٤٢، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٩٤

أشلا ٣/ ١٣٢، ١٣٩
أشهب ٣/ ٥٠٥
أغسطس ٣/ ١٠٧
أفلاطن ٢/ ٢٦٨، ٤/ ٥٨٣
أفلاطون ٣/ ٢٢٤
أقرع بن حابس ١/ ٨٠
أقليدس ٣/ ٥٠٧
ألفنش ١/ ١٤١
أليان ٣/ ١٤٣
أم ابني زبدئ ٣/ ٩٤
أم بكر بنت المسور ٤/ ٤٤٠
أم حرام ٤/ ٣٠٨، ٣٠٩
أم خالد ٤/ ٤٤٥
أم سلمة ١/ ١١٨، ١٢٢، ١٢٣
أم سليم ٤/ ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٣٧
أم مالك ٤/ ٣٩٦
أم معبد ٤/ ٢١٠
أمية بن خلف ٤/ ٣٢٥، ٣٢٦
أندريانوس ٣/ ١١٦
أنس بن مالك ١/ ١٦٩، ٢٢٩، ٣٩٧، ٣/ ٤٦٢، ٤٧٨، ٥٢٩، ٤/ ٢٧، ٣٠، ١٦٣، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٦، ٣٠٩، ٣٢٩، ٣٣٢، ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٥٠، ٣٦٤، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٩١، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٥، ٤١٣، ٤٢١، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩،

أنطخس بن أنطخس ١/ ٤٢٨
أنطونيوس الأصلع ٣/ ١٢٤
أنطونيوس قيصر ٣/ ١١٨
أنيس ٤/ ١٤١، ١٤٢
أوراغوس قيصر ٣/ ١٢٩
آصف بن برخيا ٢/ ٣٥٢، ٤/ ٢٣٤
بابا الرومي ١/ ٢٦٧، ٤/ ٥٢٢
باذان ١/ ١٦١، ١٦٣، ١٦٤
بجالة بن عبدة ١/ ١٦٧
بحيرا الراهب ٣/ ٥٤٣، ٤/ ٤٦٢
بخت نصر ١/ ٥٢، ٢/ ٣٢٥، ٣/ ٤٦٩، ٤/ ٦٤، ٥١٤، ٥١٧، ٥١٨
براء بن عازب ١/ ٣٨١، ٤/ ٢٠٦، ٢١١، ٣٦٦، ٣٧٧، ٣٨٦، ٤١٨
برنس ٣/ ١٢١
بريدة ٢/ ١٤٠
بريرة جارية عائشة ٣/ ٤٧٨
بشر بن البراء ٣/ ٥٢٣
بطرس ٣/ ١١١، ١١٢، ١١٣، ١٣١، ١٣٢، ١٣٩، ٢٩٢
بطليموس ٣/ ٤١٥، ٥٠٧، ٤/ ٤٦٧
بلاطوس ٣/ ١٠٧، ١٠٨
بلقيس ١/ ١٩، ٣٤٠، ٢/ ٣٥١
بهرام بن بهرام ٣/ ١٢٥، ١٢٦
بهرام بن هرمز ٣/ ١٢٤، ١٢٥

بهز بن حكيم (عن أبيه عن جده) ٢/ ٤٥٠، ٤/ ٢١٦
بولس الشمشاطي ٣/ ١٤، ١٠٩، ١١٠، ١١٢، ١٢٧، ١٢٨، ١٤٣، ١٥١، ١٥٢،
بولص الراهب ١/ ٢٩، ٤٢٧، ٣/ ٤١٦
بوليناريوس ٣/ ١٥٩
تاميطميوس ٣/ ٥٠٥
ثابت بن قرة ٤/ ٤٦٧
ثاوفيلا ٣/ ١١٢
ثذوس الصغير ٣/ ١٦٥
ثذوس الملك ٣/ ١٥٩، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٧
ثعلبة بن سعية ٣/ ٥٣٠
ثوبان ٤/ ١٦٤، ٢٩٧
جابر بن سمرة ٤/ ٢٠٨، ٢٢١، ٢٨٨، ٢٩٣، ٣١٢، ٤٠٥
جابر بن عبدالله ١/ ١٢٧، ٣٩٨، ٢/ ٤٦، ٤/ ١٤٣، ١١٠، ١١٢، ٣١٣، ٣٢٠، ٣٤٥، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٨، ٣٩٠، ٣٩٦، ٤٠١، ٤٢٠، ٤٣٥، ٤٤٤، ٤٥٠
جالوت ٤/ ١٠٨
جالينوس الحكيم ٣/ ١٢١، ١٢٢، ٥٠٥، ٤/ ٤٦٧
جامع بن شداد ٤/ ٥٩٠
جبير بن مطعم ٢/ ٢٠١، ٣/ ٥٣٤، ٤/ ٢٩٥، ٣٣٦
جرجس ١/ ٤٨٢
جرير بن الخطفىٰ ٤/ ٤٧٠
جرير بن عبد الله ٤/ ٣٢

جعفر الفريابي ٤/ ٤٧٩
جعفر بن أبي طالب ١/ ٧٤، ١٢٠، ١٥١، ٤/ ٣٣٢
جعفر بن محمد الصادق ٤/ ٦٢٦
جهم بن صفوان ١/ ٣٦٤، ٤٦٦، ٤٧٢، ٤/ ٦٠٠
جورجيس ٣/ ٣٠
حاتم الطائي ٤/ ٤٧٠
حارث الدمشقي ١/ ٢٦٧، ٤/ ٥٢٢
حارث السهمي ٤/ ٤٢٣، ٤٢٤
حارث بن عيطل ٤/ ٤٢٣، ٤٢٤
حارث بن هشام ٢/ ٤٥٢، ٤/ ١٠٠
حاطب ١/ ١٤٤، ١٤٥
حباسة ٣/ ١٤٠
حبقوق النبي ٢/ ٣٥٦، ٤/ ٢٣، ٥٧
حبيب النجار ١/ ٣١٢، ٣٥٠، ٤٢٦
حجاج بن يوسف الثقفي ٤/ ٣١١، ٤٥٦
حذيفة بن اليمان ١/ ٨٧، ٩٥، ٤/ ٢٨٦، ٣٠٤
حذيفة بن أسيد ٢/ ٢٤٠
حذيم ٤/ ٤٤٧
حرملة ٣/ ٥٠٦
حزقيال ٤/ ٦١
حزقيل ٢/ ١١٨، ٣/ ٥٠
حسان بن ثابت ١/ ١٤٥، ٣٨١، ٢/ ١٥١، ١٩٥، ٢٥٥، ٣/ ٥٢٥، ٤/ ٧٧، ٨٨
حسن البصري ١/ ٣٩٧، ٢/ ٤٩٧، ٤/ ٤٦٨، ٥٣١
حسن بن أيوب ٣/ ١٧، ٢٥، ٨٣، ٨٨، ٩٤، ١٠٣، ١٠٦

حسن بن زياد ٣/ ٥٠٥

حمزة بن حبيب الزيات ٤/ ٤٦٨

حمزة بن عبد المطلب ٤/ ٤٦٥، ٤٨٦

خالد بن الوليد ١/ ٧٧، ٧٨، ٩٧، ٤/ ٣٣٢

خباب بن الأرت ١/ ٢٠٧، ٤/ ٢٩٠

خديجة بنت خويلد ٣/ ٥٣٢، ٤/ ٤٧١، ٥٩١

خرخسره ١/ ١٦٤

خلف بن هشام المقرئ ٤/ ٤٦٨

داقنوس ٣/ ١٢٦، ١٦٢

دانيال النبي ٢/ ١٥٤، ١٥٧، ٤/ ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧

داود الظاهري ٤/ ٤٦٧

داود بن الحصين ١/ ٢٩٨

داود بن سلمة ٣/ ٥٢٣

دحية الكلبي ٤/ ٤١٣، ٥٩٢

دقيانوس ٣/ ١٢٧

دقيطانيوس ٣/ ١٣٠، ١٣٢

دكين بن سعيد ٤/ ٤٠٤

دميان ٣/ ١٣٠

دميان الملكي ١/ ٣٩

ديسقورس ٣/ ١٨٦

ديمتريوس ٣/ ١١٩

ديمقراطيس ٣/ ١٢٢

ذاقيوس الملك = دقيانوس ٣/ ١٦٣، ١٦٤

ذو القرنين ١/ ١٧٥، ٤/ ١٠٨، ١٨٦

ذوماطيانوس ٣/ ١١٣

رافع بن حريملة ١/ ٣٦
ربيع بنت معوذ ٤/ ٢١٠
رفيع بن مهران = أبو العالية ١/ ٤٢٨، ٣/ ٥٢٣، ٤/ ٦٧، ٤٣٨
زبير بن العوام ٤/ ٤٨٧
زفر ١/ ٢٦١، ٣/ ٥٠٥
زياد بن الحارث الصدائي ٤/ ٣٨٧
زيد بن أسلم ٢/ ٤٦، ٤/ ٤٤٩
زيد بن حارثة ١/ ٧٤، ١٥١، ٣/ ٥٢٥
زيد بن عمرو بن نفيل ٣/ ٥٢٥، ٥٢٧
زينب بنت محمد ٤/ ٤٧١
سابليوس ٣/ ١٤٢
سابور بن سابور ٣/ ١٥٣
سابور بن هرمز ٣/ ١٣٠، ١٣٨
سراقة بن مالك ١/ ٤٨٦، ٤/ ٤١٨، ٤١٩
سعد بن أبي وقاص ١/ ٨٧، ٤/ ٢٦٦، ٤١٢، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٨٧
سعد بن عبادة ٤/ ٤٨٧
سعد بن علي الزنجاني ١/ ٤٧٢
سعد بن معاذ ٤/ ٣٢٥، ٣٢٦، ٤١٢، ٤٨٧
سعيد بن البطريق ١/ ٢٥٥، ٣٦٧، ٢/ ١٥٦، ٣/ ١٠٦، ١٦٠، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٥، ١٧٩، ١٨٦، ١٨٩، ٢٤١، ٢٦٣، ٢٩١، ٢٩٤، ٣٧٠
سعيد بن المسيب ٤/ ٤٦٨
سعيد بن جبير ١/ ٣٥، ٤/ ١٢٨، ٤٢٣، ٥٢٩
سعيد بن زيد ٤/ ٤٨٧
سفيان الثوري ١/ ١٥٤، ٤/ ٤٧٠، ٥٦٩

سفيان بن أبي زهير ٤/ ٢٩٩
سفينة ٤/ ٢٩٦، ٣٦٠
سقراط ٤/ ٥٨٣
سلمان الفارسي ١/ ٣١٥، ٣٩٩، ٦٦، ٦٧
سلمة بن الأكوع ٤/ ٣٦٤، ٣٦٨، ٣٨٧، ٣٩٤، ٤٠٦، ٤٣٦، ٤٤٩
سلمة بن الفضل ١/ ٤٢٧
سلمة بن سلامة بن وقش ٣/ ٥٢٦
سليم الرازي ٤/ ٤٨٠
سليمان بن صرد ٤/ ٣٠٠
سمابي اليهودي ٤/ ٤٦٧
سمرة بن جندب ٤/ ٢٩٦، ٤٥٢
سمعان الصفا = شمعون ٣/ ٨٩
سنحاريب ١/ ٥٢
سنيد ١/ ١٣١، ١٤٢
سهل بن سعد ٤/ ٣١٨، ٣١٩، ٣٦٤
سورس ٣/ ١٨٦
سويرس قيصر ٣/ ١٢٣
سيبويه ٣/ ٥٠٥، ٤/ ٤٦٨
سيف بن ذي يزن ١/ ١٦١
شعبة بن الحجاج ٤/ ٥٦٩
شمعون ١/ ٤٢٧، ٣/ ٦٠، ٤/ ٧٤
شيرويه بن كسرىٰ ١/ ١٦٢، ١٦٣
صاعد بن صاعد ٤/ ٥٨٣
ضماد ٤/ ١٤٥، ٥٩٠

طارق ٤/ ٥٩٠
طريانوس ٣/ ١١٤، ١١٥
طلحة بن عبيد الله ٤/ ٤٨٧
طليحة الأسدي ١/ ٥٢، ٢٦٧
طيباريوس ٣/ ١٠٧، ١٠٨
طيطس ٣/ ١١٣
عازر ٢/ ٢٢
عاص بن وائل ٤/ ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٦
عاصم بن عمر بن قتادة ١/ ٧٨، ٣/ ٥٢٤، ٤/ ٣٦٥، ٤٠٨
عامر البصري ٣/ ٤٠٢
عامر بن الطفيل ٤/ ٣٣٠
عامر بن شراحيل الشعبي ١/ ٢٥٨، ٢٨٩
عامر بن عبد الله القيسي ٤/ ٤٧٠
عامر بن فهيرة ٤/ ٣٣٠، ٤٨١
عامر عم سلمة ٤/ ٤٣٦، ٤٣٧، ٥٤٦
عاموص النبي ٢/ ١٥٤، ١٥٨، ٣٣٩
عائشة ١/ ٢٠٢، ٢٠٦، ٣٨١، ٢/ ٥٥، ١٣٠، ٤٥١، ٣/ ٤٦١، ٤/ ١٠٠، ١٣٤، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٧٢، ٣٠٧، ٣١٧، ٣٦١، ٣٦٢، ٤١٢، ٤١٤، ٤٧١، ٥٣٦
عبادة بن الصامت ٣/ ٣٩٨
عباس بن عبد المطلب ٤/ ٣٣١، ٤٠٦، ٤٨٦
عبد الجبار المعتزلي ٤/ ٤٨٠
عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ٤/ ٤٠٠، ٤٢٠

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ١/ ١٠٠، ١١٤
عبد الرحمن بن عوف ٤/ ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٨٧
عبد الرحمن بن غنم ١/ ١٥٤
عبد الرحمن بن مهدي ٢/ ٥٤، ٤/ ٢١٦، ٤٦٦، ٥٦٩
عبد الرزاق الصنعاني ٤/ ١٤٧، ٢٢١
عبد الغني المقدسي ٤/ ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٧٩
عبد القادر ١/ ٤٨٢
عبد الله البلياني ٣/ ٤٠١
عبد الله بن الزبير ١/ ١٥٨
عبد الله بن الصامت ٤/ ١٤١
عبد الله بن المبارك ٤/ ٦٢٥
عبد الله بن أبي بكر بن حزم ١/ ٧٩
عبد الله بن جعفر ٤/ ٣٥٢، ٤٤٠
عبد الله بن حذافة ١/ ١٥٩، ١٦٠
عبد الله بن رباح ٤/ ٣٨٥
عبد الله بن رواحة ١/ ٧٤، ١٥١، ٤/ ٣٣٢، ٥٩١
عبد الله بن سلام ١/ ٣٩٩، ٢/ ٤٤، ٤٥، ٤/ ١٦٣، ١٦٤، ١٦٨، ٣١٧
عبد الله بن عتيك ٤/ ٣٦٦، ٣٦٧
عبد الله بن عكرمة ١/ ٧٨
عبد الله بن علي بن عباس ٤/ ٤٥٧
عبد الله بن عمرو ٢/ ٥٥، ٣٤٧، ٣/ ٥١٦، ٤/ ٢١٣، ٣٠١، ٤٢١، ٤٢٣
عبد الله ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٧٩
عبد الله بن مسعود ١/ ٣٣، ٤٤، ٢٢٩، ٢/ ١٨٣، ٢١٧، ٤١٣، ٣/ ٣٢٦، ٤/ ٨١، ٢١٨، ٢٢٥، ٣١٥، ٣٢٥،

٣٣٥، ٣٤٤، ٣٥٩، ٣٧٩، ٣٨٠، ٤٢٨، ٤٤٣،
٤٦٨، ٤٨٧، ٥٦٩، ٥٧٨، ٥٧٩
عبد الله بن هشام ٤/ ٤٤٧
عبد المطلب ٤/ ١٩
عبد بن حميد ٤/ ١٤٤
عبد بني الحضرمي ٤/ ١١٤
عبدالله بن شداد بن الهاد ١/ ١٤٣
عبدالملك بن مروان ١/ ١٣٦
عتبة بن ربيعة ٤/ ١٤٥
عتيبة بن أبي لهب ٤/ ٤٢٧، ٤٣٤
عثمان بن حنيف ٤/ ٣٦٩
عثمان بن سعيد الدارمي ٤/ ٦٢٦
عثمان بن عفان ١/ ٨٢، ٩٠، ٤/ ٣٠٣، ٣٠٩، ٤٠٤، ٤٨٦،
٤٨٧، ٥٥٦، ٥٦٩، ٥٧٣، ٥٧٤
عداس ١/ ٢٠٥
عدي ١/ ٤٨٢
عدي بن حاتم ٢/ ٥، ١٧٥، ١٧٩، ٤/ ٢٨٧، ٢٨٨
عرباض بن سارية ١/ ٣٩٠، ٢/ ٣٤٦
عروة بن الجعد ٤/ ٤٤٨
عروة بن الزبير ١/ ٩٠، ٤/ ٤٠٨
عزرا الكاهن ٢/ ٣٢٥، ٣٢٦
عزرة ٤/ ٤٤٧
عزير ٣/ ٣٨٠
عصام المزني ٤/ ٣١
عطاء ١/ ١٠١

عطاء الخراساني	١/ ١٥٣
عقبة بن أبي معيط	٤/ ١٥٢
عقيل بن أبي طالب	٤/ ١٣٩
عكرمة	١/ ٣٥، ٢/ ٣١٦، ٤/ ١٤٧، ١٥١، ٤٢٦
عكرمة بن خالد	١/ ٧٨
علاء بن الحضرمي	١/ ١٦٥، ٢٨٨
علقمة	٤/ ٤٦٨
علي بن أبي طالب	١/ ١٧٦، ٤١٩، ٢/ ٢٧، ١٨٨، ٤/ ٨١، ٢١٢، ٣٠٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣٧٣، ٤٠٥، ٤٤٥، ٤٦١، ٤٦٣، ٤٨٧، ٥٦٩
علي بن أبي طلحة الوالبي	٤/ ٤٠٩
عمر بن الخطاب	١/ ٨١، ٩٠، ١٠٥، ١٢٦، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٦، ١٦٧، ٢/ ٢٦، ٥٦، ٨٩، ٤/ ٢٨، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٦٥، ٢٨٩، ٣٢٩، ٣٣٤، ٣٩٥، ٤١٠، ٤٣٦، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٧٠، ٤٨٦، ٤٨٧، ٥٦٩، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٧
عمر بن أبي ربيعة	٤/ ٤٧٠
عمر بن عبد العزيز	٣/ ٥٠٦، ٤/ ٣٦٦، ٤٧٠
عمران بن حصين	٢/ ٣٤٧، ٤/ ٣٢١، ٣٨٣
عمرو بن العاص	١/ ١٤٩
عمرو بن امية الضمري	١/ ٢٨٨
عمرو بن أخطب	٤/ ٢٨٧، ٤٤٦
عمرو بن حزم الأنصاري	١/ ٥٢، ٩٦
عمرو بن عوف	١/ ١٦٧

عمرو بن لحي ٢/ ١٤٣
عمير بن وهب الجمحي ٤/ ٣٢٨، ٣٢٩
عنترة ٤/ ٤٧٠
عوف بن مالك ٤/ ٢٨٩
عياض اليحصبي ٤/ ٤٨٠، ٥٨٨
عياض بن حمار ١/ ٤٧٠، ٦٦، ٣/ ٤٥٦
غرديانوس ٣/ ١٢٤
غلاريوس ٣/ ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٧، ١٣٨
غورث بن الحارث ٤/ ٣٥٥
فاطمة بنت محمد ٤/ ٤٧١
فرعون ١/ ١٩، ٢/ ٣٨٥، ٣/ ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٣٩٥، ٤٠٢، ٤/ ٥٢٧
فرناندو ابن بنت أذفوش ١/ ١٤٢
فضيل بن عياض ٤/ ٤٧٠
فم الذهب = يوحنا ١/ ١٨٣، ١٦٥
فيثاغورس ٤/ ٥٨٣
فيروز الديلمي ١/ ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥
فيلبس قيصر ٣/ ١٢٥
قاروس ٣/ ١٢٩
قاسم بن محمد صلىٰ الله عليه وسلم ٤/ ٤٨٦
قباذ بن فيروز ٣/ ١٦٨
قتادة ١/ ٣٦، ٢٥٦، ٣٩٨
قتادة بن النعمان ٤/ ٣٦٥
قتادة بن ملحان ٤/ ٤٤٧

قدامة بن عبدالله ٤/ ٢٢٠
قزمان ٣/ ١٣٠
قسطس أبو قسطنطين ٣/ ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥
قسطنطين ٢/ ٢٥، ٢٥٠، ٣/ ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٤١، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٥١، ٢٩٢، ١٧٥، ٣٧١
قسطنطين بن قسطنطين ٣/ ١٣، ١٤، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥
قلوديوس قبديصر ٣/ ١١١
قمودوس قيصر ٣/ ١٢١، ١٢٢، ١٢٣
قيذار ٤/ ٤٠، ٥٣، ٦١
قيس بن أبي حازم ٤/ ٢١٨، ٣١٧
قيصر = هرقل ١/ ١٥٩، ٢/ ١١٢، ١٦٤، ٣/ ١٠٨
قيطوس بن بيلاطوس ٣/ ٢٧
كسرىٰ ١/ ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢
كعب الأحبار ١/ ٤٢٧، ٢/ ٥٦، ٨٩
كعب بن مالك ٢/ ٨٩، ٤/ ٢٠٧، ٣٢٦
كلاوبطرة الملكة ٣/ ١٣٩
كوشيار ٣/ ٥٠٦
لبيد بن ربيعة ٢/ ٢٥٢، ٣/ ٢٥٧
لوقا ١/ ٤٦٩، ٢/ ٧٠، ٣٧٣، ٣/ ٦١، ٨٩، ١١١، ١١٢
ليث بن سعد ٤/ ٤٧٠
ماري بقطر ٣/ ١٣٠
ماري جرجس ٣/ ١٣١، ١٣٦
ماري مركوس الشاهد ٣/ ١٥٧
ماري مينا ٣/ ١٣٠

مارية القبطية ١/ ١٤٤
مالك بن أنس ٣/ ٥٠٦، ٤/ ٤٤٩، ٤٦٧، ٤٧٠، ٥٦٩
مالك بن دينار ٤/ ٤٧٠
مالك بن ربعة أبو أسيد ٤/ ٤١١
مالك بن صعصعة ٤/ ٣٣٩
ماني ١/ ٥٢
ماني ٣/ ١٢٥
مانيوس ٣/ ١٤٨
مأرب بن إسماعيل ٤/ ٤٧
متاوس = متىٰ ٣/ ١٠٩
متىٰ = متاوس ١/ ٤٦٩، ٢/ ٧٠، ٣/ ٣٣، ٣٤، ٥٦، ٨٩، ٣٥١، ٤/ ٧٣
مجاهد ١/ ١٠٠، ١١٣، ٤/ ١٣٨
مجاهد بن جبر ١/ ١٨٤، ٢٥٨، ٤/ ١٥٣، ٣٥١
محمد بن الحسن ٣/ ٥٠٥
محمد بن إسحاق ١/ ٣٥، ٧٧، ٨٢، ٨٤، ٩٦، ١٢٩، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ٢٠٢، ٤٢٧، ٣/ ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٧، ٥٢٩، ٥٣٢، ٤/ ١٣٨، ١٤٠، ١٤٥، ١٤٩، ١٥١، ٢٧٣، ١٥٣، ٣٢٢، ٤٠٨، ٤١١، ٤٢١،
محمد بن إسماعيل بن جعفر = من بني عبدالله بن ميمون القداح ٢/ ١٨٨، ٣/ ٢٢٠
محمد بن أبي محمد مولىٰ آل زيد بن ثابت ١/ ٣٥
محمد بن أحمد الجزري ١/ ١٤٢

محمد بن جبير بن مطعم ٤/ ٢٩٥
محمد بن زكريا ٤/ ٤٦٧
محمد بن سعد ١/ ٧٨، ٩٦، ١٤٥، ٢٨٨، ٢٩٨
محمد بن سيرين ٤/ ٤٤٠
محمد بن عائذ ١/ ١٥٣
محمد بن عبد الله بن حسن ٤/ ٤٥٦
محمد بن عمار بن ياسر ٤/ ٢١٠
محمد بن عمر بن إبراهيم بن جبير ٣/ ٥٣٤
محمد بن عمرو ٤/ ٤٤١
محمد بن نصير أبو شعيب ٣/ ٢٢٠
محمد بن يوسف العامري ٤/ ٥٨٣، ٥٨٤
مختار بن أبي عبيد ٤/ ٣١١، ٤٥٦
مدلوك ٤/ ٤٤٧
مرحب ٤/ ٤٣٦
مرقس ١/ ٤٦٩، ٢/ ٧٠، ٣/ ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٣
مرقص الملك ٣/ ١٢١
مرقيون ٣/ ١٤٣
مروان بن محمد الأ/ وي ٤/ ٤٥٧
مسلم ١/ ٨٧، ١٢٧
مسلم بن الحجاج ١/ ١٣٨، ١٥٢، ١٦٩، ١٧٦، ٢/ ٤٥، ٤٦، ٦٤، ٦٦، ٢٤٠، ٤/ ١٦٤، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٨، ٣٥٣، ٣٨٠، ٥٩٠
مسيلمة الكذاب ١/ ٥٢، ١٦٥، ٢٦٧، ٤/ ١٩٠، ٥٢٢، ٥٦٣

مصعب بن الزبير ٤/ ٤٥٦

معاذ بن جبل ٣/ ٨٠، ٣٦١، ٥٢٣، ٤/ ٢٩٠، ٣٨٠، ٣٨١، ٤٦٨، ٤٨٧، ٥٦٩

معاوية بن ابي سسفيان ٤/ ٣٠٨، ٣٠٩

معن بن زائدة ٤/ ٤٧٠

معن بن عبد الرحمن ٤/ ٣٧٣

معيقيب بن أبي فاطمة ١/ ٨٢

مغنوس الحكيم ٣/ ١١٩

مغيرة بن شعبة ١/ ٨٠، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ٣/ ٥٣٦، ٤/ ١٥٠، ٢١٥

مقدنيوس ٣/ ١٤، ١٥، ١٥٨، ١٦٨

مقسطيوس ٣/ ١٣٦، ١٣٧

مقوقس = جريج بن مينا ١/ ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٩، ٢/ ٣٥٨، ٣/ ٥٢٢

مكسنتيوس ٣/ ١٣٣

منذر بن ساوىٰ ١/ ١٦٦

موسىٰ بن عقبة ٣/ ٥٣٥، ٤/ ٣٢١، ٣٢٥، ٣٢٨

مؤنس ٣/ ١٤٠

ميخا النبي ٢/ ١٥٤، ١٥٨، ٣٤٥

ميسرة الفجر ٢/ ٣٤٦

نارون ٣/ ١١١، ١١٢، ١١٣، ١٢٩

نافع بن الأزرق ٤/ ٦٢٦

نافع بن عتبة ٤/ ٢٨٨

نسطور ٣/ ١٦، ١٦٩، ١٧٠

نسطورس ٣/ ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٨٦

نضر بن الحارث ٤/ ١٤٩، ١٥١، ١٥٢
نعيم بن حماد ٤/ ٦٢٥
نعيم بن عبدالله ٣/ ٥٣٥
نفطويه ٤/ ٥٩٢
نور الدين الشهيد ٣/ ٥٠٦
نيار بن مكرم ١/ ١٣٢
هرقل = قيصر ١/ ١٣٠، ١٣٧، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ٣٣٨، ٢/ ١٦٤ـ ٣/ ١١١، ٥٢٢، ٤/ ٥٩٢، ٥٩٥
هشام بن العاص ٣/ ٥٣٥
هشام بن عروة ٤/ ٤٢٧
هلال اليهودي ٤/ ٤٦٧
هولاكو ٢/ ١٧١، ١٧٢
هيلانة الحرانية الفندقانية ١/ ١٨٨، ٢/ ٧٦، ١٥٦، ٣٩٢، ٣/ ١٣٤، ١٣٥، ١٤٦، ١٤٧
وحشي بن حرب ٤/ ٤٦٥
ورقة بن نوفل ١/ ٣٨، ١٢٨، ٤٥٢، ٣/ ٥٣٢، ٤/ ١٢٩
وليد بن المغيرة ٤/ ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ٤٢٣
وليد بن عقبة ١/ ٩٠
وهب بن منبه ١/ ٤٢٧، ٤٣٠
يحيىٰ بن سعيد ٤/ ٥٦٩
يحيىٰ بن معين ٢/ ٥٤
يزدجرد بن بهرام ٣/ ١٦٥
يزيد بن أبي عبيد ٤/ ٣٦٨
يزيد بن رومان ١/ ٢٨٩
يزيد بن عياض بن جعدبة ١/ ٧٨

يعقوب البرادعي ٣/ ١٨٦

يعقوب بن إسحاق الحضرمي ٤/ ٤٦٨

يعلىٰ بن مرة ٤/ ٣٥٧

يهودا ٣/ ١١٨

يهوذا ٣/ ١٤٦

يوحنا ١/ ٤٦٩، ٢/ ٧١، ٣/ ٥٧، ١٠١، ١١٤، ١١٥، ٤/ ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٩٦

يوستينيانوس ٣/ ١٦٨

يوليانوس ٣/ ١١٩، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧

* * *

فهرس المصطلحات

المصطلح	الصفحة
ابن	٣/ ٤٠، ٤١
اتحاد = حلول	١/ ٢٧، ٢/ ٣٠، ٣٠١، ٤٢٦، ٣/ ٧، ١٢، ٢٦، ٢١٦، ٣٠١٠، ٣١١، ٣٣٤، ٤٦٢
أدلة سمعية	٤/ ٦٠٦
أدلة عقليلة	٤/ ٦٠٦
اركون	٤/ ٥٢، ٧٢، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤
اشتراك	٣/ ٣٣٠
إضافة	١/ ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٤
اعجاز القرآن	١/ ٢٣٠، ٤/ ١٧٤-١٧٥، ١٨٣، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٢، ١٩٣
أعلام النبوة=دلائل النبوة	
أقانيم	١/ ٢٥٣، ٢/ ١٩١، ١٩٩، ٢٩٥، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٩١، ٣٩٣، ٤٠٤، ٤٠٧، ٤١٤، ٤١٦، ٤١٧
أقنوم = أقانيم	٢/ ١٨٥، ٢٤٧، ٤٢٤، ٤٢٥، ٣/ ٧، ٨، ٩، ١٨، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ١٦٩، ١٨١
إمكان خارجي	٤/ ٥٠٨، ٥٠٩
إمكان ذهني	٤/ ٥٠٨، ٥٠٩
أهل التجهيل	٤/ ٥٩٨
أهل التحريف والتأويل	٤/ ٥٩٨
أهل التخييل	٤/ ٥٩٧
آيات = دلائل النبوة	٤/ ١٧٧، ١٨١، ٢٨٦، ٣٣٣
البينة في الدعاوىٰ	٤/ ٥٥٧
التأويل	٢/ ٤٩٧، ٤٩٨

تثليث ٣/ ٨٧، ٢/ ٣٨٣
تثليث ١/ ٣٤، -٢/ ٣٠، ١٨٦، ٣٩١، ٤١٦، ٤١٨
تحدي ٤/ ١٨٥، ١٩٠
تسلسل ٤/ ٢٥٢
تواطؤ ٣/ ٣٣٠
توفي ٢/ ٤٧١
جسم ٣/ ٣٤٢، ٣٨٣، ٣٨٤
الجوهر ٣/ ٦، ٤٠٥-٤٠٨
حد أوسط ٤/ ٥٦٨
حدوث ٤/ ٦١٧
حركة إرادية ٤/ ٢٥٢
حركة دورية ٤/ ٢٥١
حركة فلكية ٤/ ٢٥١
حركة نفسانية ٤/ ٦٢٩
حلول = اتحاد ١/ ٢٧، ٣/ ٨، ١٠، ٢/ ٣١٠، ٣١١، ٣١٨، ٣١٩، ٣٣٤، ٤٢٦
خلطة ٣/ ٢٦٤
دلالة العاديات ٤/ ٦١١
دلائل النبوة ٤/ ١٧٦، ١٨١، ١٩٣، ٢٦٧
الدور المعي ٣/ ٢١٥
روّح ٢/ ٢٣٣
شهوة ٤/ ٢٥٠
شهود وفناء ٢/ ٣١٣
صرفة ٤/ ١٨٨
طبيعة ناسوتية ٣/ ٥
طبيعة لاهوتية ٣/ ٥

طرق علمية ٢/ ٦١
عقل فعال ٤/ ١٢٣
العقول العشرة ٣/ ٧٧
عقول العشرة ٤/ ٦٢٩
علة غائية ٤/ ٢٤٩، ٢٥٢
علة فاعلة ٣/ ٣٨٧
علة فاعلية ٤/ ٢٤٩
فارقليط ٤/ ٧١، ٧٢، ٧٤، ٧٩، ٨٢، ٨٤، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٦، ٩٩، ١٠١
فاعلية ٤/ ٣٤٩
فصم ٤/ ١٠٠
فلك المحدد ١/ ٢٢٨
القديم ٢/ ١٥١، ١٩٧، ٢٨٤، ٢٩١، ٣/ ٦
قديم = أزلي ١/ ٣٦٥، ٣٦٧، ٤/ ٦١٨
قوة تخييلية ٤/ ٢٦٠
قوة عملية ٤/ ٢٤٩
قوىٰ فلكية ٤/ ٢٤١، ٥٠٥
قوىٰ نفسانية ٤/ ٥٠٥
قياس شمولي ٤/ ٥٨١
الكلي الطبيعي ٣/ ٢٢٣
الكلي العقلي ٣/ ٢٢٤
لاهوت ١/ ٢٥٣، ٣٧٠، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٨١، ٢/ ١٥٠، ١٥٢، ١٩٣، ١٩٤، ٢٨١، ٢٨٢، ٣٠١، ٣٠٤، ٣٢٨، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٧٢، ٤٠٣، ٤١٩، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٥٤، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٤، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٢، ٣/ ٨، ١٠، ١١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥،

٥٩، ٨٢، ٨٣، ١٠٣، ١٠٧، ١٧٠-١٨٠، ٢١٢،
٣٩١، ٣٩٢، ٤/ ٤٤
مثل أفلاطونية = مثل معلقة ٣/ ٢٢٤
مسمىٰ الغيرين ٣/ ٤١٢
مشككة ٣/ ٣٣٠
معجزات ٤/ ١٧٦، ١٨١
ناسوت ١/ ٢٥٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٨١، ٢/ ٣٧، ٣٨، ١٥٠،
١٥٢، ١٩٣، ١٩٤، ٢٨١، ٢٨٢، ٣٠٤، ٣٠٥،
٣٠٦، ٣٢٩، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٧١، ٤٠٣، ٤١٩،
٤٤٦، ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٦٤، ٤٧٤،
٤٧٨، ٤٨٢، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٣/ ٧، ٨، ١٠،
١٢، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٨٢، ٩٧، ١٧٠-١٨٠،
٢١٢، ٣٩١، ٣٩٢، ٤/ ٤٤
ناموس ١/ ٣٨٤، ٢/ ١٨٧
النفس الناطقة ٣/ ٢٠٨
نفس فلكية ١/ ١٨٠
النفوس الفلكية ٣/ ٧٧، ٤٢٩
نكول ٤/ ٥٥٦
هيولىٰ ٣/ ٢٣٢
هيولىٰ العالم ١/ ١٨٠، ٤/ ٥٨٢
وعظ ٤/ ٥٢٥

* * *

فهـرس الكـتب

الكتــاب	الصفحة
الأبركس = فراكسيس	
أثولوجيا لأرسطو	٣/ ٤٢١، ٤٢٣
أخبار الحواريين = فراكسيس	
أخبار النصارىٰ لسعيد بن البطريـق	
= نظم الجوهر لسعيد بن البطريق	
أخلاق النفس لجالينوس	٣/ ١٢١
الأدب للبخاري	٤/ ٢١٩
آراء المدينة الفاضلة للفارابي	٣/ ٤٢٣
أعمال الرسل = فراكسيس	
فراكسيس	٣/ ١١٢، ١٥٢، ١٦١، ٤/ ٧٣، ٧٤، ٩٦، ٤٧٢
أمالي أبي الحسن الأشعري	٤/ ٥٠٤
الأمانة للنصارىٰ	١/ ١٧٢، ٢٥٣، ٢٥٥، ٣٨٣، ٢/ ٢٥، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٧٦، ١٧٩، ١٩٩، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٣٢، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٨١، ٢٨٦، ٣٩٢، ٤٠٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٢٨، ٤٩٥، ٣/ ٥، ٦، ٩، ٢٧، ٤٥، ١٣٩، ١٦٠، ١٦٧، ١٩٣، ٣١٧، ٣٤٦، ٣٥١، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٩١، ٤٣٦، ٤٥٣
الأموال لأبي عبيد	١/ ٨٨، ١٥٥، ١٥٨
الأناجيل	١/ ١٧٢، ٢٠٠، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٥٧، ٤٦٩، ٤٧٧، ٢/ ٢٨، ٣٩، ٥٧، ٧٠، ٧١، ٧٥، ٧٨،

٧٩، ٨٠، ٩٣، ٣٧٦، ٤١٨
الإنجيل ١/ ١٥، ٣٤، ٣٦، ٤٠، ٤١، ٤٧، ٤٩، ٥٥،
١٩٠، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠، ٢١٠، ٢٤٨،
٢٤٩، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٩٥، ٢٩٩، ٣٠٠،
٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١٠،
٣١٢، ٣٥٩، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٧١، ٣٧٥،
٣٨٣، ٤١١، ٤١٢، ٤١٤، ٤٢١، ٤٣٦،
٤٤٤، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥٢، ٤٥٧،
٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٨، ٤٧٠، ٤٩٨، ٥٠١،
٥٠٢، ٥٠٣، ٥١٤، ٢/ ١٠، ١١، ١٢، ١٤،
١٦، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٩، ٣١،
٣٤، ٣٥، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٥٠،
٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٥٨، ٦١، ٦٢، ٦٥،
٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٨، ٨٣، ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٨٩،
٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ١٠٣، ١٠٥، ١٢٢،
١٢٣، ١٤٤، ١٤٧، ١٧٩، ١٨٦، ١٩١،
١٩٣، ١٩٥، ٢٢٠، ٢٢٨، ٢٣٨، ٢٤٥،
٢٥٨، ٢٦١، ٢٨٦، ٢٩٤، ٣٣٤، ٣٦٥،
٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٨، ٣٨١، ٣٨٢،
٣٩٣، ٤١٩، ٤٢٤، ٤٤١، ٤٥٤، ٣/ ١٩،
٢٠، ٣٢، ٣٣، ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥٣، ٥٦، ٦٣،
٦٤، ٦٥، ٦٧، ٧٠، ٨٣، ٨٧، ٩٢، ٩٤،
١٠٠، ١٤١، ١٤٨، ١٥١، ١٥٢، ١٧٠،
١٨٣، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ٢٠٤، ٢٤١،
٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٣، ٣٠٤، ٣٤٥، ٣٥٠،

٣٥٥، ٣٥٧، ٣٩٦، ٤٤٤، ٤٤٨، ٤٤٩،
٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٧، ٤٦٩، ٤٧٤،
٤٧٦، ٤٧٩، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٩١، ٤٩٨،
٥١٢، ٥١٦، ٥١٨، ٥١٩، ٤/ ٧، ١١، ٥٢،
٨٦، ١٢٧، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠١،
٢٣٩، ٢٧٧، ٥٣٢، ٦١٧
إنجيل لوقا ٢/ ٧٠، ٣/ ٣٥، ٦١، ٩٠، ٩٥، ١١١
إنجيل متىٰ ٢/ ٧٠، ٣٧٢، ٣/ ٣٣، ٣٤، ٥٤، ٥٦، ٩٠،
٩٧، ١٠٩، ٣٤٦، ٣٥١
إنجيل مرقس ٢/ ٧٠، ٣/ ١١١، ١١٣
إنجيل يوحنا ٢/ ٧٠ ، ٤١٩، ٣/ ٥٥، ٥٧، ١٠١، ١١٤،
١١٥، ٤/ ٧٠، ٩٠

التاريخ لسعيد بن البطريق = نظم الجوهر لسعيد بن البطريق
التاريخ للبخاري ٢/ ٥٤، ٤/ ١٤٠، ٤٤٧، ٤٤٨
تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٩٤، ٤/ ٤٢٥
تفسير ابن السائب الكلبي ١/ ٢٥٩
تفسير ابن جرير الطبري ١/ ٨٦، ١٣٣
تفسير ابن مردويه ٤/ ١٤٤
تفسير سنيد ١/ ١٣١، ١٤٣
تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ٣/ ٣١٥
تفسير عطية العوفي عن ابن عباس ٤/ ١٥٣
تنقلات الأنوار للبكري ٤/ ٤٦٣
التواريخ ٤/ ٤٧٥
التوراة ١/ ١٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٧، ٥٥،

١٤٧، ١٨٩، ١٩٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٨٣، ٢٨٠،
٢٩٥، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٤،
٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١٢، ٣١٥،
٣٣٢، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٧١، ٣٧٥، ٤١١،
٤١٤، ٤٢١، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥٢،
٤٥٣، ٤٥٧، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٨، ٤٨٧،
٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥١١، ٥١٤، ٢/١٠،
١١، ١٢، ١٤، ١٦، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٣،
٢٨، ٢٩، ٣١، ٣٤، ٣٥، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢،
٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٢،
٥٣، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٦١، ٦٢، ٦٥، ٦٧،
٦٨، ٧٩، ٨٢، ٨٣، ٨٥، ٨٧، ٨٩، ٩٠، ٩١،
٩٢، ٩٣، ٩٤، ١٠٣، ١٠٥، ١١٨، ١١٩،
١٢٣، ١٣٦، ١٤٤، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٧،
١٥٨، ١٧٣، ١٧٩، ١٩٥، ٢٢٠، ٢٢٨،
٢٣٦، ٢٦١، ٢٨٦، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤،
٢٩٧، ٣٠٣، ٣٢٧، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢،
٣٣٤، ٣٣٦، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٥٥، ٣٧٠،
٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢،
٣٨٥، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١،
٣٩٣، ٣٩٦، ٤٠١، ٤٠٧، ٤٠٩، ٤١٠،
٤١١، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤٢٤، ٤٤١،
٤٥٠، ٤٥٩، ٤٧٣، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٩٣
٣/١٩، ٢٠، ٥٩، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٧٠، ٧٣،
٧٤، ٧٥، ٧٦، ٨١، ٩٩، ١٥١، ١٧١، ١٩٠،

١٩١، ١٩٢، ٢٤١، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٤، ٣٠٤، ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٤٣، ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤٤٠، ٤٤٤، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٧، ٤٦٩، ٤٧٤، ٤٧٩، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٩١، ٤٩٥، ٤٩٨، ٥١٢، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٤/ ٦، ٨، ٩، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ٢٢، ٢٣، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٥٢، ٨٦، ١٠٧، ١٢٧، ١٢٨، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٣٩، ٢٧٧، ٤١٦، ٤٧١، ٥٢٧، ٥٣٧، ٥٤٠، ٦١٧

جامع الترمذي ١/ ١٣٢، ٢٩٦، ٢/ ٥٤، ٧٢، ١٦٠، ٣/ ٢٣٩، ٤/ ٣٦٩، ٣٧٣، ٤٠٥، ٤٣٨، ٤٤١، ٤٤٤،

الحلية لأبي نعيم ١/ ١١٨

درء تعارض العقل والشرع لابن تيمية ٣/ ٤٩٥

دلائل النبوة لإبراهيم الحربي ٤/ ٤٧٩

دلائل النبوة لابن أبي الدنيا ٤/ ٤٧٩

دلائل النبوة لأبي الشيخ الأصبهاني ٤/ ٤٧٨

دلائل النبوة لأبي زرعة الرازي ٤/ ١٤٠، ٤٧٩

دلائل النبوة لأبي نعيم ٣/ ٥٣٥، ٤/ ٤٧٨

دلائل النبوة لجعفر الفريابي ٤/ ٤٧٩

دلائل النبوة للضياء المقدسي ٤/ ٤٧٩

دلائل النبوة للطبراني ٤/ ٤٧٨

دلائل النبوة وأعلام الرسالة للبيهقي ١/ ١٢٨، ٢٩٦، ٤/ ٤٧٨

الرد على الجهمية للإمام أحمد ١/ ٢٥٦، ٢/ ٤٩٣

رسالة الحسن بن أيوب إلى أخيه في سبب إسلامه وبطلان النصرانية ٣/ ١٧، ١٨

رسالة بولص الراهب في الاحتجاج للنصرانية = الكتاب المنطيقي الدولة خاني

رسائل إخوان الصفا ٣/ ٤٢٦، ٤/ ٦٢٩

رسائل التلاميذ = فراكسيس

رسائل بولس ٣/ ١٥١

رسائل لوقا ٣/ ١١٢

رسائل يوحنا ٢/ ٣٣٨

الروض الأنف للسهيلي = شرح السيرة

الزبور ١/ ٤١، ١٩٧، ٢٩٥، ٣٠٢، ٣٠٨، ٣٧٥، ٤١٤، ٥٠١، ٥١٤، ٢/ ٣١، ٣٤، ٣٥، ٥٥، ٥٧، ٨٥، ٨٧، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٣، ١٠٥، ١١٦، ١١٨، ١٢٣، ١٩٥، ٢٣٦، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٦١، ٣٠٨، ٣٣٤، ٣٣٨، ٣٧٣، ٣٧٨، ٣٨١، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤١٠، ٤٤١ ٣/ ١٩، ٢٠، ٥٨، ٦١، ٦٢، ٦٧، ٦٨، ٧٠، ٩٩، ١٠٠، ١٩٠، ٢٤١، ٣٥٧، ٣٩٦، ٤٦٩،

٥١٦، ٥١٨، ٥١٩، ٤/ ٢٦، ٣٣، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ١٩٢، ٢٠٠، ٢٠١
سرّ بطرس ١/ ١٨٣
سفر الخليقة ٢/ ٢٣٣
سفر الملوك ٢/ ٣٤١، ٣/ ٥٠، ٥١، ٥٢، ٦٩، ٤٧٢
سنن أبي داود ١/ ٨٧، ١٢٥، ١٥٥ ٢/ ٤٦، ٤٨، ٥٤، ٧٢
سنن ابن ماجه ٢/ ٧٢
السنن ١/ ٧٣، ٢٠١، ٢٩٥، ٣٩٠، ٤٢٠، ٢/ ٤٤، ٨٠، ٨٣، ١٨٣، ٤١٣ ٤/ ٢٩٦
السنة للخلال ٢/ ٤٥٠
السيرة لابن إسحاق ١/ ٩٦، ١٤١، ٢/ ٨٠، ٨٣
شرح السيرة ١/ ١٤١
الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ للقاضي عياض ٤/ ٤٨٠
الصحاح ١/ ٧٣، ٨٦، ١٢٨، ١٣٨، ٣/ ٤٦٧، ٢/ ٤٤، ٤/ ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٩
صحيح ابن حبان ١/ ١٤٩، ٤/ ٣٠٥، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٤٤١، ٢/ ٢١٧
صحيح أبي حاتم = صحيح ابن حبان
صحيح البخاري ١/ ٨٧، ٩٦، ١٣٨، ١٥٦، ١٦٧، ٢٠٦، ٣٨٩، ٤٢٠، ٢/ ٢١٢، ٣٤٧، ٣/ ٢٦٢، ٣٦٢، ٤٨٠، ٤٩٨، ٥٠٧، ٥١٥، ٤/ ١٦، ٢٧، ١٣٤، ١٤٢، ١٦٣، ٢٠٦، ٢١٣، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٨٧،

٢٩٣، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٨، ٣١٤، ٣٢٥،
٣٢٩، ٣٣٢، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٧٧، ٣٨٠،
٣٩٨، ٤٠١، ٤٠٥، ٤٣٧، ٤٧٩، ٥٥٢،
٥٥٤، ٦٢٦

صحيح الحاكم = المستدرك على الصحيحين

صحيح مسلم ١/ ٨٧، ١٣٨، ١٥٢، ١٦٩، ١٧٦، ٢٠٧،
٢٢٥، ٣٨١، ٣٩٠، ٤٢٠، ٢/ ٤٦، ٥٤، ٦٦،
١٤٠، ٣/ ٤٥٠، ٤٥٦، ٥٠٧، ٤/ ٢٧، ٣٠،
١٤٥، ١٦٤، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٧،
٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٧١،
٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٧، ٣٠٠، ٣٠١، ٣١٠،
٣١١، ٣١٥، ٣٣٤، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٥٢،
٣٧١، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٩٤، ٣٩٦،
٤٠٥، ٤١٨، ٤٣٦، ٤٣٨، ٤٤٩، ٤٧٩

الصحيح ١/ ٢٢٧، ٢٦٤، ٣٠٦، ٣٨١، ٤٧٠، ٤٨٨،
٢/ ٥٤، ٦٤، ١٧٠، ٢٥٥، ٣٠٩، ٣١٠،
٣٤٧، ٤٣٣، ٤٧٧، ٣/ ٧٩، ٨٠، ٢١٩،
٢٣٣، ٤٦٢، ٤/ ١٥، ٨٧، ١٢١، ١٨٢،
٣٠٦، ٣٥٧

الصحيحان ١/ ١٥، ٢٦، ٣٣، ٤٤، ٩٥، ١٢٥، ١٢٧،
١٦٧، ١٧٦، ١٨٨، ٢٠١، ٢٠٧، ٢٢٩،
٣٣٨، ٣٥٣، ٣٧٧، ٣٨١، ٣٨٩، ٤١٩،
٤٢٠، ٤٢٢، ٤٣٨، ٤٧١، ٤٩٨، ٥٠٠،
٥١٣، ٢/ ٢٥، ٤٤، ٥٥، ١٣٠، ١٤٩، ٢١٧،

٢٩٩، ٣٤٩، ٤٥٢، ٤٧٠، ٣/ ٣٢٦، ٣٦٢،
٣٩٨، ٤٦١، ٥٣١، ٥٣٢، ٤/ ٣٠، ٣٢،
١٠٠، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٦، ١٤١، ٢٠٦،
٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٢، ٢١١، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦،
٢١٨، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٨٦،
٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥،
٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧،
٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤،
٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٣٠، ٣٣٥، ٣٣٧،
٣٣٩، ٣٤٥، ٣٥٠، ٣٦٤، ٣٧٠، ٣٧٣،
٣٧٥، ٣٧٦، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٨، ٣٩٠،
٣٩٤، ٣٩٦، ٤٠٠، ٤٠٥، ٤١٠، ٤١٢،
٤١٤، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٨،
٤٣٥، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥،
٤٦٩، ٥٣٦، ٦٠١

الطبقات لابن سعد ١/ ٧٨، ١١٨، ٢٨٨، ٢٩٨

الفتوح لمحمد بن عائذ ١/ ١٥٣

الفتوحات المكية لابن عربي ٣/ ٢١٧

الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ٢/ ٣٢٢

فصوص الحكم لابن عربي ٣/ ٢١٧، ٤٠٤

فهرس كتب جالينوس ٣/ ١٢١

القوانين (أربعون كتابًا) للنصارىٰ ٣/ ٤٥٣

كتاب القانون ٢/ ٧٧

الكتاب المنطيقي الدولة خاني ١/ ٢٩، ٣٠، ٣٨، ٧٠، ٢٩٠، ٣١٦،

لبولص الراهب ٣/ ٢٩٦، ٤٠٧، ٤٥٢، ٤٨٦
الكتاب الوارد إلىٰ المؤلف من قبرص وفيه رسالة بولص الراهب ١/ ٢٨
كتب ابن رشد الحفيد ٤/ ٢٤٠
كتب ابن سبعين ٤/ ٢٤٠
كتب ابن عربي ٤/ ٢٤٠
كتب أبي الحسن الأشعري ٤/ ٥٠٣
كتب أبي حامد الغزالي ٤/ ٢٤٠
كتب الأصول والكلام ٤/ ٤٧٦
كتب التفسير ١/ ٢٠١، ٢/ ٨٠، ٤/ ٤٦٥، ٤٧٥، ٥٢٩
كتب الجرح والتعديل ٤/ ٥٥٤
كتب الحديث ٢/ ٥٤، ٧١، ٣٧٨، ٤/ ٥٢٩
كتب الحساب ٢/ ٩٢، ٣٧٨
كتب الرقائق ٢/ ٨٠
كتب السهروردي ٤/ ٢٤٠
كتب السير ٢/ ٧١، ٧٢، ٤/ ٤٦٥، ٤٧٥، ٥١٣
كتب الطبّ ٢/ ٩٢، ٣٧٨
كتب الفقه ٢/ ٨٠، ٣٧٨، ٤/ ٤٧٦
كتب الفلاسفة في الطب والحساب والمنطق ٣/ ٤٢٦
الكتب المتقدمة ٤/ ٢٥٠، ٥١٢
كتب النحو ٢/ ٩٢، ٣٧٨
كتب بولس ٣/ ١٠٠
كتب دلائل النبوة ٤/ ٥١٣
كتب الهندسة ٢/ ٣٧٨

مزامير داود = الزبور
المسانيد ١/ ٢٠١، ٢٩٥، ٢/ ٤٤، ٨٠، ٨٣، ٤/ ٤٦٥
المستدرك على الصحيحين للحاكم ٤/ ٢١٤، ٢١٥، ٢١٩، ٢٢٦، ٢٢٧، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٧٣، ٣٩٨، ٤٠٥، ٤٢٠، ٤٤٥
المسند لأبي يعلىٰ الموصلي ٤/ ١٤٤، ٣٧٤
المسند لأحمد ١/ ١١٨، ٢/ ٢١٧، ٣٤٦، ٤٥٠، ٤/ ٢٧١، ٣٥٧، ٣٦٣، ٣٧٤، ٣٨٦، ٤٠٤، ٤٤٨
المسند للدارمي ٤/ ٣٨٠
المسيحي في الطب ١/ ٢٦٢
مصنف في أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن لابن تيمية ٣/ ٣١٦
مصنَّف في حيل الرهبان ١/ ٤٩١
مصنفات البشارات بالنبي ﷺ في كتب أهل الكتاب ٣/ ٥٣٨
مصنفات بولص الراهب الأنطاكي في نصر النصرانية ١/ ٢٩
المضنون به علىٰ غير أهله المنسوب للغزالي ٣/ ٤٢٧
مغازي حمزة ٤/ ٤٦٥
المغازي لموسىٰ بن عقبة ٤/ ٣٢٨
المغازي ٤/ ٤١٣، ٤٦٥، ٤٧٥
مقالة اللام لأرسطو ٣/ ٤٢٠
الملكي في الطب ١/ ٢٦٢
الموطأ لمالك ٤/ ٤٤٩
نبوة أشعيا ٣/ ٥١٨، ٤/ ٤٢، ٩٤

نبوة حبقوق ٤/ ٢٣
نبوة دانيال ٤/ ٦٧
نظم الجوهر لسعيد بن البطريق ١/ ٢٥٥، ٢/ ١٥٦، ٣/ ١٠٦، ١٠٧، ٣٧٠
نظم السلوك لابن الفارض ٣/ ٤٠٢
الوفا في فضائل المصطفىٰ لابن الجوزي ٤/ ٤٧٩

* * *

فهـرس الشعـر

القافيـة	القــائل	الصفحة
أعاديها	---	٤/ ٥٧١
خليلا	---	٢/ ٣١٧
صلينا، لاقينا، علينا	عامر عم سلمة بن الأكوع	٤/ ٤٣٦
متكئ	---	٣/ ٤١٩
وضينها	ابن رئيس نجران	١/ ٨٣
تغيب	أبو الحكم الإشبيلي	٢/ ٣١٢
الثاقـــب، الشـــارب، للحاجب	---	٢/ ٣٥٠
مجرب، تلهب	مرحب	٤/ ٤٣٦
صلّتِ	ابن الفارض	٣/ ٤٠٣
السرج	الشبلي	٢/ ٣٣٦
جاحد، الواحد، لاحد	الهروي	٢/ ٣٠٢، ٣٥٠- ٣/ ٤٠٠
رد، يد	عاصم بن عمر بن قتادة	٤/ ٣٦٦
محمد	حسان بن ثابت	٤/ ٨٨
أمار	التلمساني	٣/ ٣٠٨

بالخبر	ابن رواحة	٤/ ٥٩١
ثار	---	٣/ ٤٠٠
الشزر	---	٤/ ٥٧٢
مغامر	عامر عم سلمة بن الأكوع	٤/ ٤٣٦
ركع، تقع، الورع	أبو بكر الطرطوشي	٤/ ٥٧٨
ذائق	ابن إسرائيل	٣/ ٤٠٤
سواك	---	٣/ ٢٣٠
باطل	لبيد بن ربيعة	٣/ ٢٥٦، ٢٥٧
تزل	التلمساني	٣/ ٢٣١
نفل	---	٣/ ٣١٠، ٢/ ١٨٩
السقيم	المتنبي	١/ ١٩٨
النسيم، النجوم، العظيم	---	٢/ ٣١٧-٣١٨، ٣٥٧
أحمده	ابن عربي	٣/ ٢١٧
فأذكره	---	٢/ ٣١٧، ٣٣٥
معي، أضلعي	غانم بن الوليد المخزومي	٢/ ٣١٢، ٣٣٦

* * *

فهـرس الكلمات المشروحـة

الكلمة	الصفحة
(الهمزة)	
الإبركسس	٣/ ١٥٢
الأثيم	٤/ ١٣٣
الأدلة العقلية	٤/ ٦٠٦
الأدلة الوضعية	٤/ ٦٠٧
الأريوسية	٣/ ٩
الإسلام	١/ ٤٣٩
الأفاك	٤/ ١٣٣
أفلجوا	٣/ ١٤٤
الإقرانيون	٣/ ١٤٧
الأقنوم	٢/ ٣٨٣ - ٣/ ٧
الإمام المبين	٤/ ٥٠٠
الإمكان الخارجي	٤/ ٥٠٩
الإمكان الذهني	٤/ ٥٠٩
(الباء)	
بُطُول	٣/ ٧٠
البند	٣/ ١٣٧
(التاء)	
التسبيح	٢/ ٤١٤
التقريظ	٣/ ٣٦
تلاميذ	٣/ ٨٧

تمام كلمة الرب ٢/ ٢٤٢
التوفي ٢/ ٤٧١

(الجيم)

جاثليقية ٣/ ٢٨
الجسم ٣/ ٣٣٤
الجلجلة ٣/ ١٥٤

(الحاء)

الحجة ٢/ ١٠٦
الحدوث ٤/ ٦١٧

(الدال)

دليل الخطاب ١/ ١٩٩
الدور القبلي ٣/ ٢١٥
الدور المعيُّ ٣/ ٢١٥

(الراء)

روح القدس ٢/ ١٥١، ١٩٦
روح الله ٢/ ٢٣٩

(السين)

السبنية ٣/ ١٦١
سجيل ٤/ ٢٦٨
سليحية ٣/ ٢٨

(الصاد)

الصراط ٢/ ١٨٢ -١٨٣
الصفة النفسية ٣/ ٧
الصمد ٣/ ٢١٧

(الطاء)

طبيعة لاهوتية ٣/ ٥

طبيعة ناسوتية ٣/ ٥

(العين)

العبادة ٤/ ٢٤٧

العُلَّيْق ٣/ ٧٤

العَنِت ٣/ ٢٩

العوسجة ٣/ ٣٩

(الغين)

الغير ٢/ ٢٧١

(الفاء)

الفِصح ٣/ ٤٧

الفصم ٤/ ١٠٠

(القاف)

القديم ٢/ ٢٥٣، ٣/ ٣٨٦-٣٨٧-
٤/ ٦١٨

القُرنة ٣/ ٣٧

القصم ٤/ ١٠٠

قطع ٣/ ١٦٧

القيوم ٢/ ٢٠٦

(الكاف)

الكتاب ١/ ٤٧

الكلام ٢/ ٢٥١

الكلمة ٢/ ٢٥١ - ٢٥٢

الكلي الطبيعي ٣/ ٢٢٣

(اللام)

اللم ٣/ ٣٩

(الميم)

المانية ٣/ ١٢٥
المتكلم ٢/ ٢٦٣
المريمانية ٣/ ١٧٥
المشككة ٣/ ٣٣٠
مضاه ٣/ ١٦١
المطارنة ٣/ ٢٧
المعقول الصريح ٣/ ٣٠٦
مفهوم المخالفة ١/ ١٩٩
الميرون ٣/ ١٥٠
الميلاد والحواريون والسيدة ٣/ ١٦٢
الميمر ٣/ ١٥٦

(النون)

الناموس ١/ ٣٨٤
النفس ٣/ ٤١٧

(الهاء)

هيلانة ٣/ ١٣٤

(الواو)

واجب الوجود ٢/ ٢٧١، ٢٧٢
الوعظ ٤/ ٥٢٥

* * *

٢- الفهارس العلميــة

- فهرس التفسير وعلوم القرآن
- فهرس العقــيدة
- فهرس الحديث وعلومــه
- فهرس الفقــه
- فهرس أصـــول الفقــه
- فهرس القــواعــد الكليــة
- فهرس العربيــة
- فهرس الفوائد المنثــورة

فهرس التفسير وعلوم القرآن

١- فهرس الآيات المفسَّرة

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾	[١-٥]	١/ ٤٨، ٤٤٩-٤٥٦
﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾	[٢٣-٢٤]	٤/ ١٨٥
﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾	[٢٤]	١/ ٢١٧
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾	[٦٢]	٢/ ١٤٢-١٤٣، ٣٩٠
﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ﴾	[٨٩-٩٠]	١/ ٢٠٩
﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ﴾	[٩٠]	١/ ٣٧٨
﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾	[١١٣]	١/ ٣٥، ٣٦

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ﴾	[١٠١-١٠٣]	٤/ ٢٣٤-٢٣٥
﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾	[١١٠]	٢/ ١١٠
﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾	[١١٥]	٣/ ٣٢١-٣٢٢
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞ﴾	[١١٨]	٢/ ٣٩٧
﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾	[١٣٣]	٢/ ٤٠٨
﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾	[١٣٦]	١/ ٤٧
﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْ﴾	[١٣٧]	٢/ ١١١، ٤/ ١٧١-١٧٢
﴿قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ﴾	[١٣٩]	٢/ ١١٥
﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾	[١٤٨]	٤/ ١٢٢
﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ﴾	[١٥١]	١/ ٢٤٠-٢٤١

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾	[١٧٦]	١/ ٤٣٦
﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾	[١٧٧]	١/ ٤٧، ٤٢١
﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾	[٢١٣]	١/ ٤٢١-٤٢٢، ٤٣٦
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾	[٢١٦]	١/ ١٠٨
﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾	[٢١٧]	٤/ ٩٩
﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾	[٢٢١]	٢/ ١٣٧
﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾	[٢٥٣]	١/ ٤٣، ٥١٥
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾	[٢٥٥]	٢/ ٢٠٦-٢٠٨
﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾	[٢٥٦-٢٥٧]	١/ ١٥٧
﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾	[٢٨٠]	٣/ ٤٤٤
﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾	[٢٨٥]	١/ ٤٧

سورة آل عمران

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾	[٧]	٢/ ٤٩٦-٤٩٧
﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾	[١٢]	١/ ٢١٨
﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ﴾	[١٨-٢٠]	١/ ٣٣٧
﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾	[٥٣]	٢/ ١٣٣
﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ﴾	[٤٥-٤٧]	٢/ ٤٩٠
﴿أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾	[٤٩]	٢/ ٤٧٧
﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾	[٥٥]	١/ ٣٧، ٣٧٧، ٢/ ٣٤٠، ٤١٧
﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾	[٥٩]	٢/ ٢٩٥، ٤٨٤

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾	[٦١]	١/ ٧٢
﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾	[٦٢]	٢/ ٤٨٦
﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾	[٦٤]	١/ ٩٣
﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾	[٦٦]	١/ ١٠٦
﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ﴾	[٧٩-٨٠]	١/ ١٨٤
﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾	[٨٠]	٢/ ١١٣
﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾	[٨١]	١/ ٣٣٣، ٣٣٥، ٢/ ١١٣
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	[٨٥]	١/ ٣٣١، ٣٣٦
﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾	[٩٧]	١/ ٧٤

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾	[١٠٠]	١/ ٥٠٥
﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾	[١٠٦]	٤/ ٥٧٧
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾	[١١٠-١١٤]	١/ ٣٩٣
﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾	[١٦٤]	١/ ٢٤٠-٢٤١
﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾	[١٧٢-١٨٤]	٤/ ٤٩٤-٤٩٥
﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾	[١٩٩]	١/ ٣٩٨-٣٩٩

سورة النساء

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾	[٦٦]	٤/ ٥٢٥
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾	[٨٠]	١/ ٥٧

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾	[٨٢]	٤/ ٢٦٤
﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾	[٨٩-٩٠]	١/ ١٠٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾	[٩٤]	٤/ ٥٤٨
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾	[١٥٠]	٢/ ١٢
﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾	[١٥٦]	١/ ٣٥
﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾	[١٥٧]	١/ ٤٦٩، ٢/ ٤٦٨، ٤٧٢
﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾	[١٥٨]	٤/ ٦٢٦
﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾	[١٥٩]	١/ ١٥٩، ٢/ ٤٦٨-٤٦٩، ٤/ ٤٥
﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾	[١٦٥]	١/ ٥٧
﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾	[١٦٦]	٤/ ١٨٤-١٨٥

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾	[١٧١]	١/ ٢٥٥-٢٥٨، ٢/ ٤٩١
﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾	[١٧٢]	٢/ ٤٩٢

سورة المائدة

﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ﴾	[٥]	١/ ٥٠٢
﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾	[١٤]	٢/ ٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾	[٤١]	١/ ٤٥٧-٤٥٩
﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ﴾	[٤٣]	٢/ ٤٠
﴿ وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾	[٤٧]	٢/ ٤١-٤٤

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾	[٤٨-٥٠]	١/ ٤٤٧، ٢/ ٥٠-٥١
﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	[٥٤]	٤/ ٣٠٢
﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾	[٥٩-٦٠]	٣/ ٤٦٨
﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾	[٦٤]	٣/ ٣٢٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾	[٦٧]	٤/ ٨٥
﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾	[٦٧]	٤/ ٤١٦
﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾	[٦٨]	٢/ ٥٢، ٥٧
﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾	[٧٣]	١/ ٢٥٤
﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ	[٧٥]	٢/ ٤٨٦

﴿مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾		
﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾	[٧٧]	٢/ ٨، ١٧٩، ٣/ ٢٩٥
﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ﴾	[٧٨]	٣/ ٤٦٩
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾	[٨٢-٨٥]	٢/ ١٣٢-١٣٥
﴿وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِي﴾	[١١٠]	٢/ ٢٤١
﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾	[١١١]	١/ ٤٩٩
﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾	[١١٢]	٢/ ١٤٥
﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي﴾	[١١٦-١١٧]	٢/ ٤٦٦، ٤٧٣

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾	[٤-١١]	٤/ ٥٣٢-٥٣٣
﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾	[٨-٩]	١/ ٥٠٩
﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾	[١٩]	١/ ٢٠٠، ٤٢٢، ٤٦٣
﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا﴾	[٧٩]	١/ ١٨٢
﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	[٨٨]	١/ ٥٠٦
﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾	[٩١]	٤/ ٥٩٦
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾	[٩٣]	١/ ٩٣
﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾	[١١٤]	٢/ ٤٩٦
﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	[١٠٠-١٠١]	٣/ ٣٧٣

سورة الأعراف

﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾	[٣٣]	٤/٢٤٨-٢٤٩
﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	[١٠٤-١٠٥]	١/٥٣
﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُ﴾	[١٥٥]	١/٢٣
﴿يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾	[١٥٧]	٣/٥١٩، ٤/٣٦
﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾	[١٨١]	١/٤٠٣
﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا﴾	[١٨٧]	١/٢٢٧

سورة الأنفال

﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡ﴾	[٢٣]	٤/٦١٣-٦١٤

سورة التوبة

﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ﴾	[٢]	١/٧٥
﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ	[٥]	١/٧٥

ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾		
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾	[٦]	١/ ١٠٠
﴿قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾	[١٤]	٤/ ٢٨٢
﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ...﴾	[٢٤]	١/ ١٥٢
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾	[٢٨]	٢/ ١٤٠
﴿قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾	[٢٩]	١/ ٩٧، ٢/ ١٠١
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾	[٣٣]	١/ ١١١، ٢/ ١٥٩
﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً﴾	[٤٦]	٥/ ٥٧٤
﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾	[٥٢]	٤/ ٥٣٩

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓ﴾ [٨٤] ١/ ١٥١

﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾ [١٢٨] ١/ ٢٤٠-٢٤١

سورة يونس

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [١٥-١٦] ٤/ ١٦٦-١٦٧

﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦ﴾ [١٦] ٣/ ٤٨٨

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْ﴾ [١٩] ١/ ٤٣٥

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ [٣٧] ٤/ ١٨٥

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ [٣٨] ١/ ٥٠١

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡ﴾ [٤١] ٢/ ٩٨-٩٩

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَ﴾ [٩٤] ١/ ٥٠٦

سورة هود

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾ [٤٩] ١/ ٢١٣، ٣/ ٤٨٧، ٤/ ١٠٦

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [١١٨-١١٩] ١/ ٦٢، ٤٣٦

سورة يوسف

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [١٠٦] ١/ ١٨٤

سورة الرعد

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [٧] ١/ ٣١٤

﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [٣٥] ٢/ ٢٤٣

سورة إبراهيم

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [٤] ١/ ٢٨٤، ٢٩٣، ٣١٣

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ [٢٨] ١/ ١٤

سورة الحجر

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [٧٥-٧٩] ٤/ ٥٠٠

﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [٩١] ١/ ٦٤

﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [٩٥] ٤/ ٤٢٣

سورة النحل

﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةً﴾	[٨]	١/ ٢٣٢
﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾	[٣٦]	١/ ٣١٠
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾	[٤٣-٤٤]	٤/ ٤٩٣
﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾	[٤٤]	٢/ ٦٧
﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾	[١٠٢]	١/ ٥٨
﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ﴾	[١٠٣]	١/ ٢١٤، ٤/ ١١٣-١١٤
﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾	[١٢٥]	١/ ٩٨

سورة الإسراء

﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلًا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾	[١]	٤/ ٣٣٧
﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ﴾	[١٣]	٢/ ١٠٠

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾	[٢٣]	٣/ ٢٢٢
﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾	[٢٩]	٣/ ٣٢٠
﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾	[٣١]	١/ ١٩٩
﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾	[٣٦]	٤/ ٥٥٠
﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾	[٤٨]	١/ ٢١٦
﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾	[٥٣]	١/ ٤٣
﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾	[٥٦]	١/ ١٨٣
﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾	[٥٩]	٤/ ٥٢٨-٥٣٠
﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾	[٦٠]	٤/ ٣٣٧
﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾	[٧٣-٧٧]	٤/ ١١٧-١١٨
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾	[٨٨]	١/ ٢١٧، ٢٣٠، ٤/ ١٨٦

﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ [٩٠-٩٥] ٤/ ٥٣٣-٥٣٤

سورة الكهف

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [١] ٤/ ١٥٣

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [١٠٩] ٢/ ٢٣٦، ٣/ ٢٤٦

سورة مريم

﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [١٧-١٩] ٢/ ٢٣٩، ٢٥٩، ٤٩٥

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [١٩] ١/ ٣٥٦

﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ [٢٨] ١/ ١٠٤

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [٣٧-٣٨] ١/ ٣٦٨

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [٦٥] ٢/ ٢٠٣

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [٨٣] ١/ ٥٩

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [٩٧] ١/ ٢٩٣

سورة طه

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [١٢٤] ٤/ ٦١٤

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ [١٣٣] ١/ ٢١٦، ٤/ ١٢٣

سورة الأنبياء

﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [٩١] ٢/ ٢٥٩، ٤٩٤

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [١٠٧] ١/ ١٤

سورة الحج

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [٨] ١/ ٥٠١

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [٢٦] ٢/ ٢٣٩

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ [٣٩] ١/ ١٠٨

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ﴾ [٤٠] ١/ ٤٠٤-٤٠٦

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ [٥٢] ٢/ ٤٤٢

﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [٧٥] ١/ ٥٧

سورة المؤمنون

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [١-١١] ١/ ٤٩

سورة النور

﴿لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ [١٣] ٤/ ٥٤٦

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [١٧] ٤/ ٥٢٥

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [٣٥] ٢/ ٣٣٦، ٤٢١، ٤/ ٥٩١

سورة الفرقان

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [١-٩] ١/ ٦٣

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ [٤-٨] ١/ ٢١٤-٢١٥

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ [٧-٩] ٤/ ١١٢

﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ﴾ [٣٧-٣٨] ٤/ ٤٩٣

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦ﴾	[٤٨]	١/ ٥٩
﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا﴾	[٥١-٥٢]	١/ ١١٠

سورة الشعراء

﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ﴾	[٥-٦]	١/ ٢٢١
﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾	[١٤١]	٤/ ٥٩٦
﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾	[٢١٠-٢١٢]	٤/ ١٢٥-١٢٦
﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾	[٢١٤]	١/ ٢٠١-٢٠٢، ٢/ ١٦٤
﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	[٢١٥-٢١٦]	٢/ ١٠٠
﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ﴾	[٢٢١-٢٢٢]	٤/ ٢٠٥

سورة القصص

﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِ﴾	[٧]	١/ ٤٩٩
﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾	[٤٤]	٣/ ٤٨٩
﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ﴾	[٤٨-٥٠]	١/ ٣٨

سورة العنكبوت

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾	[٢]	٤/ ٦٣٧
﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾	[٤٦]	١/ ٩٩، ١١٣، ٢/ ١٠٨، ١١٥
﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾	[٤٨]	٤/ ١١٩

سورة الروم

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾	[١-٥]	١/ ١٣٠-١٣١

سورة لقمان

﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾	[١٣]	١/ ٣٣
﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾	[٢٥]	١/ ١٨٤

سورة الأحزاب

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ﴾	[٩]	٤/ ٣٥١
﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾	[٤٥-٤٦]	٢/ ٣٣٩

سورة سبأ

﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ﴾	[٢٢]	٢/١٦٦

سورة فاطر

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾	[٢٤-٢٦]	٤/٤٩٣-٤٩٤
﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِ﴾	[٤٢-٤٣]	٤/٥٢٠

سورة يس

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾	[١٣-٣٠]	١/٤٢٥-٤٣٣
﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾	[٢٨]	١/٣١٢

سورة الصافات

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾	[٦٩-١٠١]	١/١٨١
﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾	[١٠٨-١٠٩]	٤/٤٩٦
﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾	[١٧١-١٧٢]	٢/٢٥١
﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾	[١٨٠]	٣/٣١٤

سورة ص

﴿إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [٥٤] ٢/٢٤٣

سورة الزمر

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [١] ٢/٤٩٦

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [١٨] ٤/٢٣٦

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ [٣٢-٣٤] ١/٤٣

﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [٥٥] ٤/٢٣٨

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [٥٦] ٣/٣٢٣

﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [٦٢] ٢/٤٨١

﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [٦٥] ١/٥٠٦

سورة غافر

﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [١٥ – ١٦] ١/٢٣٢

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ﴾ [٢٨-٤٦] ١/٣٩٥-٣٩٦

سورة فصلت

﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [٦-٧] ٤/ ٢٤٤

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾ [٥٢-٥٣] ٤/ ١٧٠-١٧١

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [٥٣] ١/ ٢٢١، ٤/ ٤٩٠

سورة الشورى

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [١١] ١/ ١٣

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [١٤] ٢/ ١٠٦

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [١٥] ١/ ٤٧، ٤٢١، ٢/ ٩٥-٩٨

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ﴾ [١٦] ٢/ ١٠٧

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [٢١] ١/ ١٩

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾	[٢٤]	١/ ٢٤٥
﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾	[٤٠-٤٣]	٣/ ٤٨١-٤٨٢
﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِي حِجَابٍ﴾	[٥١]	٢/ ٢٩٦-٢٩٧
﴿صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾	[٥٢-٥٣]	١/ ٧

سورة الزخرف

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾	[٤٤]	١/ ٢٤٢-٢٤٣
﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾	[٥٧-٥٨]	١/ ١٠٢
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾	[٥٩]	٢/ ٤٧٨

سورة الأحقاف

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾	[٩]	٢/ ١٦٨-١٧٠

سورة الجاثية

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾	[١٣]	٢/ ٤٩٤

سورة محمد

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ﴾ [٣٠] ٤/ ٥٧٢

سورة الفتح

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [١-٣] ٢/ ١٨٤

﴿وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [٢٢-٢٣] ٤/ ٥٢٠

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [٢٨] ١/ ٣٢، ٤/ ٤٧٧

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [٢٩] ٢/ ١٠١

سورة الحجرات

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ﴾ [٦] ٤/ ٥٥٢

سورة ق

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [٣٨] ٣/ ٣٢٥

سورة الذاريات

﴿وَٱلذَّٰرِيَـٰتِ ذَرْوًا﴾ [١-٤] ٤/ ١٢

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦] ٤/ ٢٤٤

سورة الطور

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ [٣٣-٣٤] ٤/ ١٨٣-١٨٤

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [٣٥] ٢/ ٢٠١

سورة النجم

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [١-٤] ١/ ٣٢،
٤/ ٦١٣-٦١٤

سورة القمر

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [١-٥] ١/ ٢٢٢،٢٢٦،
٤/ ٣٣٣-٣٣٦

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ [٤] ٤/ ٥٤٢

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾ [٩-١٥] ١/ ٢٢٢

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [١٦] ٤/ ٥٤٢

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ﴾ [٤١-٤٥] ٤/ ٥٤٢-٥٤٤

﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ [٥٢] ٢/ ٣٥٩

سورة الحديد

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [٢٥-٢٦] ١/ ٣٢، ٣٨٥، ٤٢٣- ٤٢٤

﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ۚ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ [٢٧] ١/ ٣٨٥-٣٩٢، ٢/ ١٧٦

سورة الحشر

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [١١] ٤/ ٢٨٥-٢٨٦

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [٢٢-٢٤] ٢/ ٤٧٦

سورة الصف

﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ [١٤] ١/ ٣٧، ٢/ ٣٩٠

سورة الجمعة

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ [٦-٧] ٤/ ٢٨٣

سورة المنافقون

﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [٦] ١/ ١٥١

سورة الطلاق

﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۞ رَّسُولًا﴾ [١٠-١١] ٤/ ٩٩

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [١٢] ١/ ٢٣٢

سورة القلم

﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [١٣] ٤/ ٥٧٢

سورة الحاقة

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [٤٠] ١/ ٥٨

سورة نوح

﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ [٢٣] ٣/ ٤٥٤

سورة الجن

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [٨-٩] ٤/ ١٢٧

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [٢٦-٢٧] ٤/ ١٦٠

سورة الإنسان

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [٦] ٢/ ٢٣٩

سورة النازعات

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [١٥-١٦] ٢/ ٤٥٧

سورة التكوير

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [١٩] ١/ ٥٨

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [٢٤] ٤/ ٢٠٤

سورة الأعلى

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [١-٥] ١/ ٤٩

سورة الشمس

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [١٣] ٢/ ٢٣٩

سورة التين

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾﴾ [١-٣] ٢/ ٣٤١، ٤/ ١٠

سورة العلق

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [١-٥] ٢/ ٤٧٦

سورة البينة

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [١] ٢/ ١٠١

سورة الفيل

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [١-٥] ١/ ١٦١، ٤/ ٢٦٧-٢٦٩

سورة قريش

﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ [٣] ٢/ ١٦٥

سورة الكافرون

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [١-٥] ٢/ ٩٨-١٠١

سورة الإخلاص

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [١-٢] ١/ ١٣، ٣/ ٣١٥-٣١٦
﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [٣-٤] ٢/ ٢٢٣

* * *

٢- علـوم القـرآن

الموضـوع	الصفحة
هيمنة القرآن علىٰ الكتب وتقريره أصول الدين وشرائعه	١/ ٨
إعجاز القرآن وتحدي الكفار أن يأتوا بسورة مثله	١/ ٢١
القرآن موافق لكلام الأنبياء في إبطال دين التثليث	١/ ٤٥
تقدّم نزول بعض الآيات وتأخر بعضها	١/ ٩٣
قاعدة في الناسخ والمنسوخ	١/ ٩٨
تواتر القرآن	١/ ١٧٠، ٣١٠
بلاغة القرآن وفصاحته	١/ ١٩٢
رسالة القرآن عامة وليست خاصة بالعرب	١/ ١٩٥، ٢٧٢
اشتمال القرآن علىٰ مخاطبة الكفار لشرائع الدين	١/ ١٩٥
معنىٰ التأويل	١/ ١٩٦-١٩٧
إخبار القرآن بالأمور الماضية إخبارًا مفصلًا	١/ ٢١٣
إخبار القرآن بالغيوب المستقبلة	١/ ٢١٧
ذكر دلائل النبوة وأعلام الرسالة كثير في القرآن	١/ ٢٢٣
ذكر الحكمة من الفعل في القرآن لا يلزم ألا تكون له حكم أخرىٰ	١/ ٢٣٩
دلائل دعوة النبي ﷺ لأهل الكتاب في القرآن متواترة	١/ ٢٤٩
تفسير القرآن علىٰ أربعة أنحاء	١/ ٢٨٣
ترجمة معاني القرآن، وقراءته بغير العربية	١/ ٢٨٤، ٢٩١
القدر الواجب في تعلم القرآن	١/ ١٩١
اشتمال القرآن علىٰ الرد علىٰ أهل الكتاب، وقصص الأنبياء، وذكر المعاد وتفصيله	١/ ٢٩٩
اتفاق نسخ القرآن	١/ ٣٠٩
بعض خصائص المكي والمدني	١/ ٣٥٣

تحريف النصارىٰ لتفسير القرآن ١/ ٤١٣-٤١٤، ٤٤٧
فضل القرآن علىٰ سائر الكتب ٢/ ٣٥
حفظ ألفاظ القرآن المجيد من الاختلاف ٢/ ٤١
الأمر بالحكم بما أنزل الله في القرآن عام ٢/ ٥١
معاني القرآن التي أجمع عليها المسلمون منقولة بالتواتر ٢/ ٦٣
القرآن محفوظ في صدور المسلمين حفظا يستغنون به عن المصاحف ٢/ ٦٤، ٩٠
السنة مفسرة للقرآن شارحة له ٢/ ٦٧
نقل معاني القرآن والاتفاق عليها أظهر منه في الألفاظ ٢/ ٦٧
الفرق بين القرآن والسنة ٢/ ٦٨
من خصائص القرآن أنه هو الذي يقرأ به في الصلاة ٢/ ٦٩
ألفاظ القرآن العربية منزلة علىٰ ترتيب الآيات ٢/ ٦٩
تلاوة القرآن بالعربي بغير لفظها لا يجوز باتفاق ٢/ ٧٠
لا يمس القرآن إلا طاهر، ولا يقرؤه الجنب ٢/ ٧٠
حفظ بعض الصحابة للقرآن، وما من الصحابة إلا قد حفظ منه شيئا ٢/ ٧٠
تنوع خطاب السور المدنية ٢/ ١٠٦
قطب القرآن وسائر الكتب علىٰ عبادة الله وحده ٢/ ١٦٧
القرآن كلام الله ٣/ ٢٤٩
ما ورد في القرآن من إثبات الصفات ورد مثله في كتب الله ٣/ ٣١٦
المعاني المضافة إلىٰ الله تعالىٰ علىٰ ثلاثة أوجه ٣/ ٣٢٨
تضمنت سورة البقرة جميع ما يحتاجه الناس إليه في الدين ٣/ ٤٤٨
سورة البقرة أكثرت من ذكر اليهود، وآل عمران في ذكر النصارىٰ ٣/ ٤٤٩
ذكر بعض ما اشتمل عليه القرآن ولم يشتمل عليه التوراة ٣/ ٤٥٢-٤٥٣

شريعة القرآن معتدلة بين شدة التوراة ولين الإنجيل	٣/ ٤٥٧
أول سورة النحل أصول النعم وفي أثنائها كمال النعم	٣/ ٤٦٣
عامة السور المكية هي من الأصول الكلية المتفق عليها بين الرسل	٣/ ٤٨٧
امتلاء القرآن بشهادة الكتب السابقة لمحمد ﷺ بأنه رسول الله	٣/ ٥٤٥
اشتمال القرآن علىٰ أنواع متعددة من الآيات والبراهين	٤/ ١٠٣
قاعدة في القول في سائر قصص الأنبياء السابقين	٤/ ١١٥
السور المدنية فيها التوحيد وما خص به ﷺ من الشرعة والمنهاج	٤/ ١٢١
الإخبار بالمغيبات الماضية	٤/ ١٥٥
الإخبار بما لا يوجد عند أهل الكتاب	٤/ ١٥٦
نزول القرآن متفرقا لا جملة	٤/ ١٦٠
تنوع دلائل إعجاز القرآن	٤/ ١٧٥
القرآن من أعلام نبوة محمد ﷺ الباقية إلىٰ اليوم	٤/ ١٨١
تحدي القرآن الأمم بالمعارضة	٤/ ١٨٣
القول بالصِّرفة	٤/ ١٨٨
وصف أسلوب النظم القرآني	٤/ ١٩٢
الإعجاز في معنىٰ القرآن أعظم من الإعجاز في لفظه	٤/ ١٩٣
الآيات والبراهين علىٰ صدق نبوة الرسول ﷺ المستفادة من القرآن تزيد علىٰ عشرات الألوف	٤/ ٤٨٩
طريقة القرآن أنه يبين إمكان مايريد بيان إمكانه	٤/ ٥٠٩
في السور المكية تثبيت أمر الرسل وبيان حسن عاقبتهم، وضلال مخالفيهم	٤/ ٥٩٦
هيمنة القرآن علىٰ الكتب وتقريره أصول الدين وشرائعه	١/ ٨

* * *

فهرس العقيدة

أولاً: الرد على النصارى:

الموضوع	الصفحة
- الحلول والاتحاد	١/ ٢٧، ٢٧٨، ٢/ ١٥٨، ١٨٥، ١٩٥، ١٩٩، ٢٣٤، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٨، ٢٩٨، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣٢٢، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٥٥، ٣٦٧، ٤١٦، ٤٣٤، ٤٤٦، ٤٥٧، ٤٦٠، ٤٧٤، ٤٨٧، ٣/ ٥، ٧، ١٢، ٣٨، ١٧٦، ١٨٦، ١٩٤، ١٩٧، ٢٠٣، ٢٠٨، ٢١٣، ٢٣١، ٢٣٦، ٢٤١، ٢٦٣، ٢٩٥، ٣٠١، ٣٥٩، ٣٩١، ٣٩٩،
- كفر النصارىٰ جاء من وجهين، تبديل دين عيسىٰ، والتكذيب بمحمد ﷺ	١/ ٣٤، ٤١٣، ٢/ ١٠، ٢٩، ٣/ ٤١٦
- تكفير النصارىٰ اليهودَ وتكذيبهم، والعكس	١/ ٣٥، ٢/ ١٢٤، ١٢٦، ٣٨٥، ٤١٥
- الرد علىٰ دعوىٰ أن القرآن عربيٌّ، وأن رسالة محمد ﷺ خاصة بالعرب	١/ ٤١، ٤٥، ٥٥، ٦٨، ١٧٢، ١٨٩، ١٩٢، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٧٢، ٢٨٢، ٢٩٣، ٣١٤، ٣٣١، ٤٠٩، ٢/ ١٠٩، ١٦٤
- دعوىٰ بعضهم أن النبي ﷺ كان ملكًا مسلّطًا، أرسل إرسالًا كونيًا لا دينيًا	١/ ٥٦
- تناقض أهل الكتاب في النبي محمد ﷺ	١/ ٦٢
- الرد علىٰ دعوىٰ وقوع التناقض في القرآن	١/ ٦٨، ١٠٤، ١٩٧، ٢٧١، ٢/ ١٤،

وشريعة محمد ﷺ ١٦٤، ١٦٦، ١٦٨، ٤٤٢، ٣/ ٤٩٠، ٤/ ٢٦٣
- الرد على دعوى أن محمدًا ﷺ وأمته إنما أقاموا دينهم بالسيف ١/ ١١٥
- النسخ عند اليهود والنصارى ١/ ١٧٢، ٤٣٩، ٤٤٧، ٢/ ١٢٨، ١٥٧
- قانون الإيمان النيقي ١/ ١٧٣، ٢٥٣، ٢٥٨، ٢/ ٢٨، ١٩٩، ٢٢١، ٢٤٦، ٢٨١، ٤٢٢، ٣/ ٥، ٢٧، ٤٤، ٣١٧، ٣٧١
- دين النصارى بعضه منقول عن الأنبياء وبعضه عن الحواريين، وكثير منه من ابتداعهم ١/ ١٧٤، ٢/ ١٧٨، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٨٣، ٣٩٠، ٣/ ٥، ١٨٣، ١٩٧، ٤٥٥، ٤٦٦
- عقيدة الصلب والخطيئة، وتعظيم التماثيل والصليب ١/ ١٨٥، ٣٢١، ٢/ ٣٤، ٣٦، ٦٨، ١٥٦، ١٧٩، ٣٩١، ٤٦٧، ٤٨٧، ٤٨٨، ٣/ ٢٩، ٤٦، ١٣٦، ١٤٦، ١٥٤، ١٥٧، ١٨٢، ٢٩١، ٢٩٢، ٤١٦، ٤٥٥
- استحلالهم لحم الخنزير ١/ ١٨٥، ٢/ ٥، ٦٨، ١٢٨، ١٧٩، ١٨١، ٣٩١، ٣/ ١٥١، ١٦٠، ١٦٢، ٢٩٢، ٤٥٥
- ابتداع الرهبانية ١/ ١٨٥، ٣٨٥، ٢/ ٦٨، ١٧٦، ٣٩١، ٣/ ١٥٧، ٤٥٥
- الامتناع عن الختان ١/ ١٨٥، ٢/ ٦٨، ١٨١، ٣٩١، ٣/ ٢٩٢، ٤٥٥

- ترك طهارة الحدث والخبث ١/ ١٨٥، ٤٤٠، ٤٥١، ٢/ ١٢٨، ٣/ ١٦١
- الصوم عند النصارىٰ ١/ ١٨٧، ٢/ ١٧٩، ٣٩١، ٣/ ١٢٠، ١٤١، ١٥٣، ١٦١، ١٦٢، ٤١٦
- الحجّ عند النصارىٰ ١/ ١٨٧،
- الصلوات عند النصارىٰ ١/ ١٨٧، ٢/ ٦٨، ١٧٩، ٣٩١، ٣/ ٤١٦، ٤٥٥
- أعياد النصارىٰ ١/ ١٨٧، ١٨٨، ٢/ ١٥٦، ١٧٩، ٣٩١، ٣٩٢، ٣/ ١٢٠، ١٣٩، ١٤٥، ١٥٣، ١٥٦، ١٦٢
- الاستدلال بدليل النصرة علىٰ نبوة النبي ﷺ ولا يطعن فيه نصرة الله لبعض أعدائه ١/ ٢٢٣
- الرد علىٰ دعوىٰ إنكار رسالة محمد ﷺ إلىٰ العرب فضلًا عن غيرهم ١/ ٢٤٨
- تكذيب النصارىٰ بنبوة محمد ﷺ وكذا مجرد التصديق بأن محمد رسول الله ـ ولو إلىٰ العرب ـ كلاهما يوجب بطلان دين النصارىٰ ١/ ٢٤٩، ٢٥٩
- عقيدة النصارىٰ في المسيح عليه السلام، وبيان اضطرابهم، والرد علىٰ شبههم حول التثليث والأقانيم ١/ ٢٥٢، ٢٧٧، ٣٥٠، ٣٥٧، ٣٦٦، ٣٧٤، ٣٨٣، ٢/ ١٥٠، ١٨٥، ١٩٠، ٢١٦، ٢٢٢، ٢٣٦، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٥٠، ٢٧٤، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٩٥، ٣٨٣، ٣٩٣، ٤٠٧، ٤١٠، ٤١٣، ٤١٦، ٤٢٢، ٤٢٧، ٤٣٤، ٤٤٦،

٤٦٠، ٤٧٤، ٤٨٣، ٤٨٧، ٣/ ٥،
١٠، ١٢، ٢٠، ٤١، ٨٤، ٨٧، ٩٦،
١٠٣، ١٢٨، ١٤١، ١٤٨، ١٥٨،
١٥٩، ١٦٥، ١٦٩، ١٧٥، ١٧٩،
١٨٢، ١٨٦، ٢٠٣، ٢١٣، ٢٧٠،
٢٩٢، ٣١٢، ٣٤٣، ٣٤٦، ٣٥٢،
٣٦٠، ٣٦٧، ٣٩١، ٤٣٦

- الرد علىٰ دعوىٰ أن المسيح بشّرت به الأنبياء بخلاف محمد ﷺ لم يبشِّر به نبيٌّ ١/ ٢٦٤، ٤١٣، ٥١١، ٣/ ٣٦٣، ٥٠٨، ٥٢١، ٥٣٩

- عصمة الأنبياء عليهم السلام ١/ ٢٦٨، ٤٨٩، ٢/ ١٥، ٤٤٠

- لا يجوز استدلالهم بقول أحدٍ من الأنبياء أو الرسل علىٰ صحة دينهم ١/ ٢٧٤، ٢٨٠، ٢/ ١٤، ٢٢، ٣٤٥، ٣٧٤، ٣٩٠، ٤٣٧، ٤٤٣، ٤٦٤، ٣/ ١٨٣، ٣٤٥، ٣٥٥، ٤٨٤، ٤٨٦

- تصادق الكتابين التوراة والقرآن دليل علىٰ صدق محمد ﷺ. ١/ ٢٩٥، ٥٠٨

- الرد علىٰ دعوىٰ أن التوراة والإنجيل تَرْجَمَهُما الحواريون وهم رسل معصومون، بخلاف القرآن ١/ ٣٠٠، ٣٠٧، ٤١٣، ٤٣٤، ٤٦٩، ٤٧٦، ٤٩٩، ٢/ ٢٣، ٢٥، ٧٥، ٣٧٦، ٣٩٠، ٤٤٢، ٤٤٩

- الرد علىٰ دعواهم عدم حاجتهم إلىٰ الرسالة الخاتمة ١/ ٣٠٤

- دعوىٰ أن التوراة والإنجيل كتبت باثنين وسبعين لسانًا ١/ ٣٠٧، ٢/ ٥٩، ٦٥، ٧٩، ٨٩، ٩٢، ٣٧٦،

- الرد علىٰ الاستدلال بعدل الله علىٰ إنكار رسالة محمد ﷺ، حيث يمتنع معه أن يطالبهم باتباع رسول لم يأت إليهم ١/ ٣١٦،

- نسبة النصارىٰ الظلم إلىٰ الله تعالىٰ ١/ ٣٢١، ٣٢٨،

- تأثر النصرانية ببعض عقائد المجوس ١/ ٣٢٥،

- الاستدلال علىٰ صحة دينهم بتعظيم الإسلام للنصرانية وللمسيح وأمه ١/ ٣٤٢، ٣٧٠، ٣٧٧، ٣٨٠، ٣٨٥، ٣٩٣، ٤٠٤، ٤٠٩، ٤١٢، ٤٤٢، ٤٤٤، ٤٥٧، ٤٩٨، ٥١٤، ٢/ ٥، ١٠، ٢٩، ١٣٢، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٧، ١٥٣، ١٦٢، ١٧٣،

- الرد علىٰ أهل الكتاب في باب الأسماء والصفات ١/ ٣٤٧، ٣٦٦، ٣٧٤، ٤٣٧، ٢/ ١٢٧، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢١٠، ٢١٦، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٩٠، ٣٦٥، ٣٩٥، ٤٠١، ٤٠٥، ٤٢٩، ٤٣٢، ٤٧٦، ٣/ ٦، ٧٤، ٨٦، ١٨٩، ٢٤٠، ٢٤٧، ٣١٣، ٣٢٠، ٣٢٥، ٣٣٣، ٣٤٢، ٣٧٢، ٤٠٥، ٤٣١

- الجواب عن الآيات المشكلة التي حرفها النصارىٰ لتواطئ ما يعتقدونه ١/ ١٠٤، ٣٧٠، ٣٧٤، ٣٧٧، ٣٨٠، ٣٩٣، ٤١٣، ٤٣٤، ٤٤٢، ٤٤٤، ٤٤٧، ٤٩٨، ٥٠٤، ٢/ ٥، ١٠١، ١٠٥، ١٠٩، ١١٥، ١١٦، ١٢٠، ١٣٢، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٧، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٨، ١٧٣، ١٩٦، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٥٩، ٤٣٧، ٤٤٣، ٤٦٣، ٤٧١، ٤٧٤، ٤٨٣، ٤٩٠، ٣/ ٨٤

- شرك العبادة عند أهل الكتاب ١/ ٤٣٨، ٤٥٠، ٢/ ١٧٦، ٣٩١، ٤٢٣، ٤٢٧، ٣/ ٤٣، ١٠٣، ٣٥٥، ٣٩٠، ٤٥٤،

- سبب ضلال النصارىٰ وأمثالهم من الغالية، كغالية العباد والشيعة وغيرهم ١/ ٤٧٥،
- مِن حِيَل الرهبان ١/ ٤٩٢،
- تحريف كلام الأنبياء، ونصوص التوراة والإنجيل، واضطراب نُسَخها، وشهادة اليهود والنصارىٰ بذلك ٢/ ١٠، ٢٢، ٢٨، ٣٢، ٣٨، ٥٣، ٥٦، ٦١، ٧٥، ٧٨، ٨٢، ٨٧، ٩٥، ١٠١، ١٠٥، ١٢٢، ١٤٧، ٢٤٧، ٣٧٧، ٣/ ٧٦، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٨٥، ٣٨٩، ٤٦٦
- الرد علىٰ دعواهم أن الرسول ﷺ ثبّت ما معهم، ونفىٰ عن كتابهم التحريف والتزوير ٢/ ٣٢، ٩٥، ١٠١، ١٠٥، ٣/ ١٨٣
- بيان اختلاف النصارىٰ الشديد وتكفير بعضهم بعضًا ٢/ ٣٣، ٣/ ٣٦٧، ٣٦٩
- دفع توهم النصارىٰ أن المسلمين يعتقدون تحريف ألفاظ جميع النسخ الموجودة من كتبهم بعد مبعث النبي ﷺ ٢/ ٣٨، ٥٣، ٧٨، ٨٥، ٣/ ٣٤٩، ٣٥٥
- الأناجيل التي بأيدي النصارىٰ تشبه كتب السيرة والحديث، منها الصحيح ومنها الضعيف ٢/ ٧١
- بطلان قولهم: إن جميع نسخ التوراة والإنجيل علىٰ لفظ واحد في جميع الألسُن ٢/ ٨٧
- الرد علىٰ النصارىٰ في حمل الآيات الواصفة لأهل الكتاب بالظلم علىٰ اليهود دونهم ٢/ ١١٦، ١٢٠
- بيان غلو اليهود والنصارىٰ في الشريعة ٢/ ١٢٧

- القرابين والذبائح عند اليهود والنصارىٰ	٢/ ١٥٣
- وصف المسيح بالبنوّة لا يقتضي تأليهًا، وليس خاصًّا به	٢/ ١٩٣، ١٩٨، ٢١٩، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٨٢، ٣١٦، ٣١٨، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٤٣، ٣٦٤، ٣٦٧، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٨٣، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤١٨، ٣/ ٩، ٣٣، ٤٠، ٦٣، ٦٦، ٦٧، ٧٠، ٧٦، ٨٩، ٩٦، ١٠١، ١٩٣، ٣٤٨، ٣٧٢، ٣٨٩، ٣٩٥
- توجيه اتصاف المسيح بكونه روح الله وكلمته، وعدم استلزامه تأليهه	١/ ٣٨٠، ٢/ ١٩٥، ٢١٩، ٢٢٨، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٧٤، ٢٨٣، ٢٩٤، ٣٠٢، ٣٣٥، ٣٦٣، ٣٦٩، ٣٩٤، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٢٩، ٤٦٣، ٤٧٤، ٤٨١، ٤٩٠، ٤٩٤، ٣/ ٧، ٤١، ١٩٤، ١٩٧، ٢٣١، ٢٨٢، ٣٤٨، ٣٨٩، ٣٩٥، ٤/ ٩٦،
- رؤية الله تعالىٰ عند اليهود والنصارىٰ	٢/ ٢٩٧، ٣/ ٢٠٦، ٢٠٧
- دفع شبه النصارىٰ في استدلالهم علىٰ ألوهية المسيح بأقوالٍ نسبوها لأنبياء بني إسرائيل	٢/ ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٥٥، ٣٦٤، ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣/ ٣٢، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٦٦، ٦٧، ١٨٣
- انتقاص اليهود، وبعض النصارىٰ من شأن الأنبياء، وتفضيلهم المفضول علىٰ من هو أفضل منه	٢/ ٣٥١، ٣/ ٤٧٠، ٤٩٧

- جميع ما عندهم من النصوص الصحيحة لا يدل علىٰ مذهبهم البتة، بل غاية ما يدّعون فيه الظهور، وهم منازعون فيه ٢/ ٣٨٢، ٤٩٨، ٣/ ١٨٣، ١٨٥، ٢١١، ٣٥٠، ٣٥٦، ٣٨٥

- المؤمنون أمة محمد ﷺ هم المتّبعون للمسيح عليه السلام ٢/ ٤٤٤، ٣/ ٤٧٢

- المعجزات ليست دليلًا علىٰ اتحاد اللاهوت بالنبي، ومعجزات المسيح لا تقتضي تأليهه، وقد أعطي غيره أعظم مما أعطيه ٢/ ٤٥٥، ٤٦٠، ٤٧٦، ٣/ ٣٩، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٦٥، ٦٩، ٣٦٣، ٣٩٧

- قد يستدل علىٰ صحة شريعة النصارىٰ من سقمها بأربعة أوجه ٣/ ٣١

من نصوص الكتاب المقدس ـ عندهم ـ الدالة علىٰ بشرية المسيح ٣/ ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٦٠، ٦٢، ٨٣، ٨٩، ٩٧، ١٠٠، ١٠١، ٣٥٦

- ما نقلته النصارىٰ يفتح باب الإلحاد في كتب الله المنزلة ٣/ ٧٢

- التعميد ٣/ ١٠٨، ١٢٠

- وقوع النصارىٰ فيما فرّوا منه، فبالغوا في ذم المسيح وإنجيله من حيث لا يعلمون ٣/ ٣٥٠

- ما قال قوم من أهل الملل قولًا في الله، إلا وقول النصارىٰ أقبح منه ٣/ ٣٥٥

- الرد علىٰ النصارىٰ في تفضيل شريعتهم علىٰ شريعة محمد ﷺ، وتقسيمهم الشرائع إلىٰ شريعة عدل وشريعة فضل ٣/ ٤٤٢، ٤٥٧، ٤/ ٢٣٩

- شهادات الكتب المتقدمة علىٰ نبوة محمد ﷺ ٤/ ٥، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٣٣، ٣٥، ٣٩، ٤٠، ٤٢، ٤٣، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٣، ٥٤، ٥٦، ٦١، ٦٣، ٦٥، ٧٠، ١٣٥، ١٧٠، ١٧٦

- شهادة الكتب المتقدمة بمثل ما أخبر به النبي ﷺ من دلائل نبوته ٤/ ٥، ١٣، ١٧٠

* * *

ثانيــاً: الــرد على الفِــرَق

الموضـــوع	الصفحــة
- الرد علىٰ الحلولية الاتحادية	١/ ٢٨، ٣٦٥، ٣٧٦، ٢/ ١٨٨، ٣٠١، ٣١١، ٣٤٩، ٣٥٥، ٣/ ١٨٤، ٢١٦، ٢٣١، ٢٨٨، ٣٠٧، ٣٩٩
- الـرد علـىٰ مـن أورد الشـبهات حـول دلائـل النبوة	١/ ١١٤، ٤/ ٥٩٥، ٦١٥
- الدهريّة	١/ ١٧٩، ٢٢٨
- الثنويّة المجوسية	١/ ١٧٨
- الــرد علــىٰ الفلاســفة والملاحــدة في بــاب الإيجـاد والخلـق ودعـوىٰ أن حـوادث الأرض كلها إنما تحدث عن حركة الفلك	١/ ١٨٠، ٣/ ٧٣، ٢٢٣، ٣٨٠، ٣٨٦، ٣٩٠، ٤١٨، ٤٢٩، ٤/ ٢٥١، ٥٠٥، ٦١٦، ٦٢٣، ٦٢٩
- الرد علىٰ الجهمية وسـائر المبتدعـة في صـفة الكلام	١/ ٢٥٦، ٢٩٠، ٣/ ٧٤، ١٩١، ٢٤٧، ٢٤٩، ٣٨٥، ٤١٩، ٤/ ٦٠٩، ٦٢٣
- مسألة العدل	١/ ٣١٧، ٣٢٨
- تكفير المخالف	١/ ٣٤٦
- الـرد علـىٰ المخـالفين لأهـل السـنة في بـاب الأسماء والصفات	١/ ٣٦٤، ٣٧٦، ٢/ ٢١٣، ٢١٦، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٩٠، ٣٠١، ٣٩٥، ٤٠١، ٣/ ٧٤، ٢٣٢، ٣١٥، ٣٢٠، ٣٣٠، ٣٣٩، ٣٦٨، ٣٧٩، ٣٨٥،

٣٨٦، ٤٠٦، ٤٣٥، ٤/ ٥٦٠،
٦٠٩، ٦١٦، ٦١٧، ٦٢٣، ٦٢٥

- مسألة التحسين والتقبيح ١/ ٤٧١

- الرد علىٰ المبتدعة في إنكار الكرامة، والفرق بينها وبين المعجزة ١/ ٤٨٥، ٤/ ٢٤١، ٥٠٣، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٤، ٦١٥، ٦٢٨، ٦٣٢

- غلو بعض المبتدعة في ادّعاء الإلهية والعصمة في بعض المخلوقين ٢/ ٢٦

- الرد علىٰ بعض أهل الكلام في خبر الواحد ٢/ ٧٢

- الكليات العقلية، والعقول العشرة، والجواهر والأعراض ٢/ ٢٦٣، ٢٦٨، ٢٧٢، ٣/ ١٠، ٣/ ٧٧، ٢٢٣، ٣٣٥، ٣٩٠، ٤٠٦، ٤١٧، ٤٣١، ٦٢٩

- بعض صور الغلو في النبي ﷺ ٢/ ٣٤٨،

- قد يستدل علىٰ صحة هذه الشريعة من سقمها بأربعة أوجه ٣/ ٣١

- إبطال تأويلات الملاحدة للنصوص الشرعية ٣/ ٧٥، ٤/ ٦١٦

- المُثُل المعلّقة، والمثُل الأفلاطونية ٣/ ٢٢٤

- الوجود المطلق بشرط الإطلاق، وبلا شرط ٣/ ٢٢٤

- الاسم والمسمّىٰ ٣/ ٢٥٩

- حقيقة التجسيم، والرد علىٰ المجسمة ٣/ ٣٣٤، ٣٤٢، ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٦٣

- الحكمة عند الفلاسفة نظرية أو عملية ٣/ ٥٠٢، ٤/ ٢٤٢، ٢٤٧

- أهل الأرض في أمر المعاد علىٰ أربعة أقوال ٤/ ٢٢٩

- أقوال الناس في مقصود العبادات ٤/ ٢٤٠، ٢٥٣

- الرد علىٰ المبتدعة في باب الإيمان ٤/ ٢٥١، ٥٩٥، ٥٩٦

- الرد علىٰ بعض أهل الكلام في توهمهم أن آيات النبوة لا بد أن تكون في حياته ﷺ ٤/ ٤٩١، ٥١٢
- الرد علىٰ نفاة التعليل ٤/ ٥٠٣، ٥٠٦
- المخالفون للرسل منهم أهل التخييل وأهل التحريف وأهل التجهيل ٤/ ٥٩٧

* * *

ثالثاً: عقيدة أهل السنة

الموضوع	الصفحة
- هيمنة هذا الدين علىٰ سائر الأديان السماوية	١/ ٨، ٢/ ٤٤
- دين الأنبياء والمرسلين واحد	١/ ١٠، ٤٩٨، ٥٠٨، ٢/ ٥٢، ١٠٩، ١٣٦، ١٤٩، ٤/ ٩٤، ٢٤٣
- خصائص هذه الأمة، وفضلها، وكونها وسطًا بين سائر الأمم	١/ ١١، ٣٤٤، ٢/ ١٢٧، ١٤٩، ٣/ ٤٥٧، ٤٧٢، ٤٧٧، ٤/ ٢٢٧، ٢٣٩
- دين الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لنفسه، ولا يقبل دينًا سواه	١/ ١٨، ٣/ ٨١
- يقيم الله للدين الحق من الآيات والبراهين ما يُدلّل علىٰ صدقه	١/ ٢١، ٢٤
- طبيعة الحلول والاتحاد	١/ ٢٧، ٢/ ١٩٧، ٢٨٩، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٤٢، ٣٥٥، ٣٦٩، ٤١٦، ٤٤٦، ٤٦٠، ٤٨٧، ٣/ ١٨٦، ١٩٧، ٢٠٣، ٢٠٨، ٢٨٢، ٢٨٥، ٣٠٨، ٣٩٩،
- لا يحتجّ مبطِل بدليل إلا وفي ذلك الدليل ما يدل علىٰ نقيض قوله	١/ ٣١، ٢/ ٤٧٤، ٣/ ٣٠٥، ٣٥٠
- الأنبياء بعثوا بالعلم والعدل	١/ ٣٢
- القرآن أصلٌ كالتوراة وإن كان أعظم منها	١/ ٣٨
- طرق معرفة صدق الرسول	١/ ٤٢، ٤٣، ٢١٨، ٤/ ٥٤٦، ٥٥٨، ٥٦٨، ٥٨٠، ٦٣٢

- يصح للمسلمين الاحتجاج علىٰ أهل الكتاب بما جاءت به الأنبياء قبل محمد ﷺ، وأهل الكتاب لا يصح لهم الاحتجاج بما جاء به محمد ﷺ ١/ ٤٧، ٥٤
- الاحتجاج علىٰ المسلمين بالكتب المتقدمة يحتاج إلىٰ ثلاث مقدمات ١/ ٥٠، ٢/ ١٧، ٢٠، ١٥٥
- لا يرد المسلمون شيئًا من الحجج بتكذيب أحد من الأنبياء في شيء قاله ١/ ٥٠، ٥١٤
- الإرسال والبعث والإرادة والأمر والإذن والكتاب والتحريم والقضاء والكلام كل ذلك ينقسم إلىٰ خلقي وأمري، كونيٍّ ودينيٍّ ١/ ٥٩، ٢/ ٤٩٨،
- المشركون كانوا علىٰ نوعين، نوع لهم عهد مطلق غير مؤقّت، ونوعٌ لهم عقد مؤقّت ١/ ٧٥
- ما ذكره الله من المجادلة بالتي هي أحسن محكمٌ لم ينسخه شيء ١/ ٩٨، ١٠٧
- عدم دخول المسيح في عموم قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] ١/ ١٠٢
- ما جاء في القرآن من حكاية أقوال الكفار ومجادلتهم ١/ ١٠٦
- الجهاد شرع علىٰ مراتب ١/ ١٠٨
- تجريد التوحيد، وسدّ الذرائع الموصلة إلىٰ الشرك ١/ ١٧٥، ٢/ ١٦٦، ٣/ ٨٠،
- توحيد الألوهية، وبيان أن الشرك إنما وقع فيه ١/ ١٨٠، ٤٠٧، ٤٣٧، ٢/ ١٦٦، ٤٠٧، ٤١١، ٣/ ٤٥٦، ٤٦٩،
- الإجماع عند المسلمين منقول عن نبيهم ﷺ ١/ ١٨٥

- العلم بعموم دعوة النبي ﷺ لجميع الخلق متواترٌ معلوم بالاضطرار ١/ ١٩٣

- المحكم والمتشابه ١/ ١٩٦، ٢/ ٣٧٤، ٤٩٦، ٣/ ١٨٤

- الآيات والمعجزات الدالة على نبوة محمد ﷺ ١/ ٢١١، ٣/ ٤٨٨، ٥٠٣، ٥٢٢، ٤/ ٨٣، ٩٣، ١٠٣، ١٣٥، ١٧٠، ١٧٦، ١٩٥، ٢٠٦، ٢٢٧، ٢٥٩، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٧، ٢٨٦، ٣٣٣، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٧٠، ٣٧٥، ٣٨٨، ٤٠١، ٤٠٥، ٤٠٩، ٤١٥، ٤٢٩، ٤٣١، ٤٣٤، ٤٥١، ٤٧٦، ٤٩١، ٥٣٢، ٥٤٥، ٥٨٨، ٦٠٦

- الرد على مطاعن المشركين في نبوة محمد ﷺ ومعجزاته ١/ ٢١٣، ٢٢٩، ٣/ ٥٠٨، ٥١٤، ٥٢١، ٥٣٩، ٤/ ٤٥١، ٥٦٨

- الفرق بين المعجزات وسائر الخوارق ١/ ٢٢٤، ٤٧٦، ٤٨٥، ٤٨٧، ٤٩٥، ٤/ ١٧٧، ٥٨١، ٥٨٦، ٦٣٢

- شريعة النبي ﷺ أكمل الشرائع، وأمته أكمل في جميع الفضائل ١/ ٢٤٨، ٢/ ١١، ٦٠، ٤٤٤، ٣/ ٤٤٣، ٥٣٩، ٤/ ٢٢٧، ٢٣٩

- الدلائل على صدقه ﷺ أعظم وأكثر من الدلائل الدالة على صدق موسى وعيسى ١/ ٢٤٨، ٢٦٠، ٢٧٤، ٢/ ٤٥٥، ٣/ ٤٥١، ٤٥٥، ٤٥٧، ٤٦٥، ٤٦٩، ٤٨٤، ٥٠٣، ٥٣٩، ٤/ ١٧٦، ١٩٥، ٤٧٦، ٤٩١

- توحيد الأسماء والصفات ١/ ٣٤٨، ٣٦٠، ٣٦٥، ٢/ ٢٠٣، ٢٠٥، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٦، ٢٦١، ٢٩٠، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٩٥، ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٥٤، ٤٥٨، ٤٧٦، ٤٨١،

٣/ ٧٧، ٢١٦، ٢١٩، ٢٣٢، ٢٣٣،
٢٤٠، ٢٤٩، ٣١٤، ٣٢٧، ٣٣١،
٣٣٧، ٣٥٥، ٣٧٩، ٤٠٦، ٤/ ٦٠٩

- عقيدة المسلمين في المسيح ١/ ٣٥١، ٣٧١، ٣٧٧، ٢/ ٣٢٤، ٣٣٩، ٤١٦، ٤٦٠، ٤٦٤، ٤٦٧، ٤٨٤، ٤٩٠، ٣/ ١٧٤
- المضاف إلىٰ الله نوعان: أعيان، وأوصاف ١/ ٣٦٠، ٣٦٥، ٣/ ٣٢٣،
- الرهبانية في الإسلام ١/ ٣٨٩
- حكم المعابد والبِيَع إذا آل حكمها إلىٰ المسلمين ١/ ٤٠٥
- المفاضلة بين الصحابة رضي الله عنهم ١/ ٤٤٢، ٢/ ٢٥،
- لا يعذب الله إلا من أرسل إليه رسولا تقوم به الحجة عليه ١/ ٤٦٢،
- تمثّل الشيطان بالإنس لإضلال الناس أوتعذيبهم ١/ ٤٧٧، ٤٨٥، ٤٩١، ٢/ ٣٢١، ٣/ ٢٧٦، ٣٠٧
- الإيمان بنزول عيسىٰ عليه السلام آخر الزمان ١/ ٤٨٨
- أهل الكتاب عندهم ما يصدقك فيما كذّبك فيه الكافرون ١/ ٥٠٧
- الأنبياء قد يخبرون بمحارات العقول لا بمحالاتها، فلا تعارض بين النقل الصحيح والعقل الصريح ٢/ ٣٥، ٣/ ٢٢٦، ٣٠٢، ٤٢٧
- فضل القرآن علىٰ سائر الكتب السماوية ٢/ ٣٥، ٣/ ٤٧٧، ٤٨١، ٤/ ٢٢٧، ٢٣٩
- الصحيح أن التوراة والإنجيل بعد مبعث النبي ﷺ فيهما ما هو حكم الله، وإن كان قد ٢/ ٤٠، ٥٣

بُدّل بعض ألفاظهما، وأكثر نسخهما متفقة في الغالب، وإنما تختلف في اليسير من ألفاظهما
- المنقول نقلًا متواترًا عند المسلمين ثلاثة أمور: لفظ القرآن، ومعانيه التي أجمع المسلمون عليها، والسنة المتواترة ٢/ ٦٣
- الفرق بين القرآن والسنة المتواترة ٢/ ٦٩
- إرسال الله للرسول يتضمن أمرين، الشهادة بصدقه، وكونه من أكل الخلق وأصدقهم ٢/ ٤٣٩
- لفظ التأويل، وإطلاقاته ٢/ ٤٩٨
- سد الشريعة الذرائع الموصلة للشرك ٣/ ٨٠،
- أصول المحرمات ٣/ ٨١، ٤/ ٦٠٠
- رؤية الملائكة والجن ٣/ ٢٠٦، ٢٠٧، ٤/ ٢٤٢
- الدَّوْر المَعِيّ، والدَّوْر القَبْليّ ٣/ ٢١٥
- الأوصاف المتواطئة، التي تطلق علىٰ الله تارة وعلىٰ المخلوق أخرىٰ ٣/ ٣٢٨
- إثبات الصفات القائمة بذات الله ٣/ ٤٣٤
- الشرائع ثلاثة، شريعة عدل، وشريعة فضل، وثالثة جامعة بينهما ٣/ ٤٤٣
- الناس لهم في أمر الله ونهيه قولان مشهوران ٣/ ٤٥١
- الدلائل من القرآن علىٰ نبوته ﷺ ٤/ ١٠٣، ١٧٠، ١٧٦، ١٨٣، ١٩٥، ٢٥٩، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٧، ٢٨٦، ٣٣٣، ٥٣٢
- التحدّي بالقرآن ومراحله ٤/ ١٨٣، ١٩٢
- الشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها ٤/ ٢٣٦

- من دلائل نبوته ﷺ: إخباره عن الغيوب مما يكون في آخر الزمان، أو ما أخبر به فكان كما أخبر ﷺ ٤/ ٢٨٦، ٣١٨
- الطرق التي تبين أن هذه الأخبار الدالة علىٰ نبوته ﷺ تفيد العلم ٤/ ٤٥١، ٤٦٩، ٤٧٢، ٤٧٥، ٤٧٨، ٤٨٣، ٤٨٩، ٦٠٦
- بعض ما ينقله الجهال من معجزاته ودلائل نبوته ﷺ مما لم يثبت ٤/ ٤٦٢
- من آيات الأنبياء ــ عمومًا ــ الدالة علىٰ نبوتهم. ٤/ ٤٩١، ٤٩٦، ٥٨٨، ٦٠٦، ٦٣٢
- غلبة الكفار علىٰ المؤمنين في بعض الأحوال، سببه الذنوب، وليس دليلًا علىٰ نقض دينهم ٤/ ٥١٦
- أنواع دلائل النبوة من حيث صحة الاستدلال ٤/ ٥٢٤، ٥٢٦، ٥٨٨
- أسماء النبي ﷺ ومعانيها ٤/ ٨٨

* * *

فهـرس الحديث وعلومـه

١- الأحـــاديث التي شرحهـــا المؤلف

الموضـــوع	الصفحـــة
أتاكم أهل اليمن هم أرق قلوبا وألين أفئدة	٤/ ٣٠٣
إذا هلك كسرىٰ فلا كسرىٰ بعده	١/ ١٥٩
إذا هلك كسرىٰ فلا كسرىٰ بعده	٤/ ٢٩٨-٢٩٩
ألـم تكن تحدثنا أنّا نأتي البيت ونطوف به؟	١/ ١٠٥
إن ابني هذا سيد	٤/ ٢٩٣
إن الفتنة ها هنا إن الفتنة ها هنا	٤/ ٣١٤
إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا	٢/ ٢٩٩
إن الله زوىٰ لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها	٤/ ٢٩٧-٢٩٨
إن الله نظرإلىٰ الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم	١/ ٣٠٦، ٤٧٠، ٤/ ٨٥
إن أولىٰ الناس بابن مريم لأنا	٤/ ٤٦
إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد	٤/ ٥٧٣
أنا محمد وأنا أحمد وأنا نبي الرحمة	٣/ ٣٥٨
أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه	٢/ ٣٠٩
أنتم توفون سبعين أمة	٢/ ٤٥٠
إنه قد كان في الأمم قبلكم محدَّثون	٢/ ١١، ٢٦
إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين	٢/ ٣٤٦-٣٤٧
أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم	٤/ ٣٠٨

أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل ٣/ ٤٢٦
بعثت أنا والساعة كهاتين ١/ ٢٢٦
بينا أنا نائم رأيتني علىٰ قليب عليها دلو ٤/ ٢٩٤-٢٩٥
تفتح اليمن ٤/ ٢٩٩-٣٠٠
تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة ٤/ ٢٩٦-٢٩٧
تمرق مارقة علىٰ حين فرقة من المسلمين ٤/ ٣٠٦
حديث قدوم وفد نصارىٰ نجران ١/ ٧٧-٩٧
حديث كتاب النبي ﷺ إلىٰ عمرو بن حزم رضي الله عنه ١/ ٧٣
الحلال بيّن والحرام بيّن ٢/ ٣٩٧
خفف علىٰ داود القرآن ٣/ ٥١٦
زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ١/ ٦٩
سيكون في ثقيف كذاب ومبير ٤/ ٣١١
صنفان من أهل النار لم أرهما بعد ٤/ ٣١٠-٣١١
عبدي مرضت فلم تعدني ٢/ ٣٠٩
القضاة ثلاثة ١/ ٣٣-٣٤
كان النبي ﷺ يدخل علىٰ أم حرام بنت ملحان فتطعمه ٤/ ٣٠٩
كتاب النبي ﷺ إلىٰ كسرىٰ عظيم فارس ١/ ١٦٠
كمل من الرجال كثير ١/ ٥٠٠
لا تجلسوا علىٰ القبور، ولا تصلوا إليها ١/ ١٧٧
لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق ٤/ ٣١٠
لا تقوم الساعة حتىٰ تقاتلوا الترك ٤/ ٢٩١
لا تقوم القيامة حتىٰ لا يعبد لله اسم ٢/ ٣٦٣
لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة ١/ ١٠٥
لا يزال الإسلام عزيزا إلىٰ اثني عشر خليفة ٤/ ٣١٢

لأخرجن اليهود والنصارىٰ من جزيرة العرب ١/ ١٥٢
اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك ٤/ ٤٤١-٤٤٣
لو كان الدين معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس ٤/ ٣٠١-٣٠٢
ما رفع للنبي ﷺ أمر فيه القصاص إلا أمر فيه بالعفو ٣/ ٤٧٨
ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الدجال ٤/ ٦٣٥-٦٣٧
ما من نبي إلا وقد أنذر أمته المسيح الدجال ٢/ ٣٠٠
من رآني في المنام فقد رآني ٢/ ٣٢١
من عادىٰ لي وليا فقد آذنته بالحرب ٢/ ٣١٠
من نوقش الحساب عذب ١/ ١٠٥
نضر الله امرءًا ٣/ ٣٠٤
هذا وقتك ووقت الأنبياء قبلك ٤/ ٣٢
يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ٤/ ١٠٠

* * *

٢- الأحاديث المتكلم عليها

الموضوع	الصفحة
أتيت النبي ﷺ بتمرات	٤/ ٤٠٢
أتينا رسول الله ﷺ أربعين وأربعمائة نسأله الطعام	٤/ ٤٠٤
أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم فأسرّ إلي حديثًا	٤/ ٣٥٢
اضطجع النبي ﷺ علىٰ حصير	٤/ ٢٢٥
إن الله خلق التربة يوم السبت	٢/ ٥٤
إن الله قرأ طه ويس قبل أن يخلق خلقه بألفي عام	٤/ ٦١٧
أن النبي ﷺ كلم رجلا فأرعد	٤/ ٢١٧
أن رجلا ضريرا أتىٰ رسول الله ﷺ	٤/ ٣٦٩
الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي	١/ ٤١٧
أنتم توفون سبعين أمة	١/ ٤١٨
أنه أصيبت عينه في الغزو مع رسول الله ﷺ فسالت علىٰ وجنته	٤/ ٣٦٥-٣٦٦
أول الوقت رضوان وآخره عفو الله	٢/ ١٧٧
أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل	٣/ ٤٢٦
جاء رجل من بني عامر إلىٰ رسول الله ﷺ	٤/ ٣٧١-٣٧٢
حديث أم معبد في وصف النبي ﷺ	٤/ ٢١٠
حديث صلاته ﷺ الكسوف بركوعين أو ثلاثة	٢/ ٥٥
حديث قدوم كتاب رسول ﷺ إلى هرقل مع دحية الكلبي	١/ ١٣٧
حديث كتاب النبي ﷺ إلى عمرو بن حزم رضي الله عنه	١/ ٧٣
خرج أبو طالب للشام وخرج معه النبي ﷺ	١/ ٢٩٦
خرجنا في غزوة ذات الرقاع	٤/ ٣٥٣-٣٥٧
سمع أنس من رسول الله ﷺ؟ قال: خدمه عشر سنين	٤/ ٤٣٨

سياق المصنف أمثلة لكثير من الأخبار الباطلة ٤/ ٤٦١-٤٦٩
عدا الذئب علىٰ شاة فأخذها ٤/ ٣٦٢-٣٦٣
قال لي رسول الله ﷺ: ادن مني ٤/ ٤٤٦-٤٤٧
قُتِلَ الأسود العنسي الليلة ١/ ١٦٥
كنا مع رسول الله ﷺ نتداول قصعة ٤/ ٣٩٨
لما كان يوم بدر اتقينا المشركين ٤/ ٢١٢
لما نزلت ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ فكانت فارس قاهرين للروم ١/ ١٣٢
اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك ٤/ ٤٤١
من قال إني كلي بشر فقد كفر ٢/ ٣٤٩

* * *

٣- مسائل مصطلح الحديث وعلومه

الموضـوع	الصفحـة
الاستدلال بالقرآن على إمكانية قبول بعض الروايات المختلف في ثبوتها	١/ ٤١٧
قد تختلف ألفاظ نسخ كتب الحديث	٢/ ٤١
وقوع بعض الأحاديث الضعيفة قد يبينها ما ورد من الصحيح	٢/ ٥٤
وقوع بعض الغلط في صحيح مسلم قد بينه القرآن	٢/ ٥٤
البخاري يذكر الطرق التي تبين الخطأ في الروايات الأخرىٰ	٢/ ٥٥
المحدّث وإن كان عدلا فقد يغلط	٢/ ٧٢
المتواتر	٢/ ٧٣
من دلائل كذب الناقل	٢/ ٧٣
عناية العلماء بضبط أحاديث الأحكام أكثر من اعتنائهم بضبط الخبريات	٢/ ٨١
الطرق التي تبين بها أن دلائل نبوته ﷺ تفيد العلم	٤/ ٤٥١
لا يجب في المتواتر أن يكون متواترا عند كل الناس	٤/ ٤٥٥
نَقَلَةُ آيات نبوته ﷺ من الخاصة أهل العلم	٤/ ٤٥٧
كتب الحديث والتفسير والمغازي والسير وكتب الأصول والفقه أصح نقلا لآيات نبوته ﷺ من كتب التواريخ المرسلة باتفاق.	٤/ ٤٥٧
عامة أخبار الصحيحين مما اتفق علىٰ صحتها العلماء	٤/ ٤٦٩
التواتر المعنوي	٤/ ٤٦٩
نَقَلَةُ آيات نبوته ﷺ غير القرآن أضعاف أضعاف نَقَلَةِ التوراة والإنجيل	٤/ ٤٧١
لم يكن الصحابة لِيُقِرُّوا أحدًا يكذب علىٰ النبي ﷺ	٤/ ٤٧٣

ما كان مشهورا عن النبي ﷺ كانت الأمة متفقة علىٰ نقله ٤/ ٤٧٤
نقل كل طائفة من طوائف العلوم عن بعضها يفيد العلم ٤/ ٤٧٦
ليس في الدنيا أظهر من العلم بآيات الرسول ﷺ ٤/ ٤٧٦
بعض المصنفات في الدلائل المروية بالأسانيد ٤/ ٤٧٩
تمييز بعض المصنفين في الدلائل للروايات خارج الصحيحين ٤/ ٤٧٩
من المصنفين في الدلائل من يتكلم علىٰ الأسانيد والطرق ٤/ ٤٧٩
بعض المصنفين يقررون الخبر بشهرته وسياق طرقه الأخرىٰ ٤/ ٤٨٠
بعض الأمثلة للمتواتر المنقول في كتب الدلائل ٤/ ٤٨٠
الأحاديث الباطلة إما بتعمد صاحبها الكذب وإما أن يكون قد غلط ٤/ ٥٤٧
صفات الراوي ٤/ ٥٥٤
وجود القرائن من عدمها علىٰ صدق الراوي أو كذبه ٤/ ٥٥٤
قاعدة: فيما إذا قال المحدثون: رواه فلان. وهو مجروح، أو حكموا علىٰ الحديث بالضعف ٤/ ٥٥٨
من طرق معرفة خطأ الراوي في الحديث ٤/ ٥٦٢
لا يجوز الحكم بصدق المخبر ولا تكذيبه إلا بدليل ٤/ ٥٦٤
العلم اليقيني بأن الصحابة لا يتعمدون الكذب ولا أئمة الحديث ٤/ ٥٦٩
ما توافرت الهمم والدواعي علىٰ نقله يمتنع أهل التواتر علىٰ كتمانه ٤/ ٥٧٠

* * *

فهـرس الفقـه

الموضـوع	الصفحـة
الطهـارة:	
الماء الذي لاقىٰ النجاسة	١/ ٣٤٥
زوال النجاسة بغير الماء	١/ ٣٤٥
نجاسة الكفار	١/ ٣٤٦
المبالغة في اجتناب النجاسات	١/ ٣٤٥، ٣٤٦
لا يمس القرآن إلا طاهر ولا يقرؤه جنب	٢/ ٧٠
تحريم ما سوىٰ موضع الدم من المرأة الحائض	١/ ٣٤٥
الصـلاة:	
الصلاة في آخر الوقت	٢/ ١٧٧
النهي عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها	١/ ١٧٥، ٣/ ٨١، ٤/ ٤٨٢
النهي عن أن يستقبل الرجل القبر في الصلاة	١/ ١٧٦
مشروعية اتخاذ المساجد مواضع معابد الكفار	١/ ٤٠٧
قراءة القرآن بغير العربية	١/ ٢٨٤، ٢٩١، ٢/ ٧٠
الاتفاق علىٰ صحة صلاة من قنت ومن لم يقنت ومن جهر وخافت	٤/ ٤٧٤
النداء الثالث لصلاة الجمعة	٤/ ٤٨٢
قراءة سورة (ق) يوم الجمعة	٤/ ٥٢٥
الأذان لصلاة الكسوف والعيدين والاستسقاء	٤/ ٤٨٣، ٤٨٨
صفة صلاة الكسوف	٢/ ٥٥، ٤/ ٤٨٣
متىٰ تشرع الصلاة علىٰ الميت الغائب	١/ ٣٩٤

كان ﷺ يكبر على الميت أربع تكبيرات وأحيانًا خمسًا وسبعًا ٤/ ٤٨٤
أبين حديث روي في صفة المشي مع الجنازة ٣/ ٣٨٨
صلاة العيدين في المصلى ٤/ ٤٨١
التكبير في عيد الفطر وعيد النحر في الصلاة والخطبة وفي ذهابهم إلى الصلاة ٤/ ٢٨
التكبير عقب الصلوات في أيام منى للحجاج وأهل الأمصار ٤/ ٢٨

الزكاة:

أمر ﷺ بصدقة الفطر صاعًا من تمر أو شعير لما كان أهل المدينة يقتاتون التمر والشعير ٤/ ٤٨٤

الحج:

من لم ير الحج واجبًا عليه مع الاستطاعة فهو كافر ١/ ٣٣٦
متى نزلت آية فرض الحج ١/ ٧٤
الاستطاعة شرط في وجوب الحج فلا يجب تحصيلها، بخلاف قطع المسافة فإنه ليس شرطًا في الوجوب، فيجب على الإنسان الحجُّ من المسافة البعيدة والقريبة إذا كان مستطيعًا ١/ ٢٨٣
لم يحلّ ﷺ من إحرامه في حجته، ومراد من وصف حجه بالتمتع ٤/ ٤٧٤، ٤٨٦
الجهر بالتكبير عند رمي الجمار وعند محاذاة الركن في الطواف ٤/ ٢٩
لم يعتمر ﷺ ولا أحد من أصحابه الذين حجوا معه بعد الحج إلا عائشة وحدها ٤/ ٤٧٤، ٤٨٦
لم يكن ﷺ يصلي ركعتين عقب السعي ٤/ ٤٨٣
لم يكن ﷺ وخلفاؤه يصلون بمنى صلاة عيد بل يرمون جمرة العقبة وينحرون ٤/ ٤٨٨

الجهاد:

مراحل تشريع الجهاد ١/ ١٠٨

الجهاد مشروع للضرورة ١/ ١١١

القتال لا يكون إلا لظالم ١/ ١١٢

معاهدة الكفار: مطلقة، ومؤقتة ١/ ٧٥

هل يجوز للإمام فسخ الهدنة المؤقتة مع قيامهم بالواجب؟ ١/ ٧٥

مصالحة النبي ﷺ أهل نجران علىٰ الجزية ١/ ٨٨

نزول آية الجزية سنة تسع ١/ ٩٢

أخذ الجزية من المجوس ١/ ١٦٧، ١٩٦

أهل الذمة والعهد لا يجاهدون بالقتال ١/ ٩٩

لا يجوز إكراه أهل الذمة علىٰ الإسلام ١/ ١٥٧

أمان المستجير المستأمن من أهل الحرب حتىٰ يسمع كلام الله ١/ ١٠٠

الرجل من أهل الشرك يأتي المسلمين بغير عهد ١/ ١٠١

استشكالات المعاهدين وإيراداتهم علىٰ القرآن يجاب عنها ولا تقتضي نقض العهد ١/ ١٠٤

الشروط العمرية لأهل الذمة ١/ ١٥٤

الفرائض:

اتفق المسلمون علىٰ أن اليهوديَّ والنصراني لا يرث مسلمًا ولو كان ابنه وأباه ١/ ٤٥١

النكـاح:

جواز نكاح الكتابيات ٢/ ١٣٨

نكاح التحليل ٤/ ٤٨٤

اللعــان:

إن نكلت الزوجة فلم تحلف ٤/ ٥٥٧

القسامــة :

إذا حلف أولياء المقتول خمسين يمينًا قضي لهم بذلك عند أكثر العلماء ٤/ ٥٥٧

حكم المرتد:

اتَفق المسلمون علىٰ أن من كذَّب نبيًّا معلوم النبوَّة فهو كافرٌ مرتدٌّ، ومن سبَّ نبيًّا وجب قتله ١/ ٤٩٦، ٥١٦، ٢/ ٢٥، ١٩٠

من تخلف عن الخروج مع النبي ﷺ لتبوك لأنه لم ير قتال النصارىٰ واجبًا كافر ٢/ ٨، ١٣، ٢/ ١٠١، ٤٣٧

القضـــاء:

إذا قامت البينة بحق المدعي حكم له بذلك، ولو قال المطلوب: أريد بينة ثانية وثالثة لم يجب إلىٰ ذلك ٤/ ٥٢٦

المدعىٰ عليه إذا كان صاحب يد أو ذمته بريئة فهو حجة ترجح جانبه ٤/ ٥٥٤

إذا لم يأت المنكر باليمين بل نكل عنها، ولا أتىٰ المدعي بحجة ٤/ ٥٥٥

من العلماء من يرد اليمين في عامة الدعاوي، ومنهم من يحكم بالنكول وإن كان المنكر يقول: لا أعلم ما ادعىٰ به، والتفصيل في ذلك ٤/ ٥٥٦

الشهــادات:

الشاهد قد تُقْبَل شهادته فيما ليس هو خصمًا فيه ولا تُقْبَل شهادته بما ادعاه ١/ ٢٧١

الإقرار:

الإقرار بالوفاء إقرارٌ بسقوط الدَّين ١/ ٢٦٦

وإقرارُ المُقِرِّ علىٰ نفسه مقبول ولو كان كافرًا وفاسقًا ١/ ٢٧١

المُقِرُّ علىٰ نفسه يمكن قبولُ إقراره علىٰ نفسه، ولا يُقْبَل دعواه علىٰ غيره ١/ ٢٧١

* * *

فهـــرس أصـــول الفقــه

الموضـــوع	الصفحـــة
شرط التكليف تمكّن العباد من فهم ما أُرسِل به الرسول إليهم	١/ ٢٨٢
حدّ الواجب	١/ ٣١٨
ما لا يتم الواجب إلا به هل يسمىٰ واجبًا ؟	١/ ٣١٨، ٣١٩
الفرق بين ما لا يتم الواجب إلا به وما لا يتم الوجوب إلا به	١/ ٢٨٣
النسخ عند المسلمين واليهود والنصارىٰ	١/ ١٧٢، ١٩٣، ٤٣٩
النسخ إنما يكون إذا كان الحكمُ الناسخُ مناقضًا للحكم المنسوخ	١/ ٩٨
إذا أمكن الجمعُ لم يجز الحكمُ بالنسخ	١/ ٩٩
هل يسمىٰ الشرع المؤقت بغاية مجهولة نسخًا ؟	٢/ ١٥٨
هل من شرط النسخ إشعار المخاطبين بالناسخ؟	٣/ ٥٠٩
الحكم المؤقت بغاية لا يعلم متىٰ يكون هل يسمىٰ نسخًا ؟	٣/ ٥١٣
من حكم بالشرع المنسوخ فلم يحكم بما أنزل الله	٢/ ٥٠
الأخبار الصادقة لا تقبل النسخ	٤/ ٥٩٩
الأصول الجامعة لا نسخ فيها	٢/ ٥٧، ٤/ ٦٠٠
الإجماع المظنون والمقطوع به	١/ ١٨٥
ما أجمعت عليه الأمة إجماعًا ظاهرًا تعرفه العامة والخاصة فهو منقول عن النبي ﷺ	١/ ١٨٦
قياس الطرد وقياس العكس	٣/ ٥٠٣
قياس الخلف	٣/ ٥٤٦
لا يصح القياس مع وجود الفرق المانع من إلحاق الفرع بالأصل	١/ ١٠٢
دوران الحكم مع الوصف وجودًا وعدمًا من غير مزاحمة وصف آخر موجب للعلم بأن المدار علة للدائر	٤/ ٥١٦

معارضة النص الصحيح بالقياس الفاسد	١/ ١٠٢
إذا ذكر الله حكمةً للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمةٌ أخرىٰ، لكن لا بدَّ لتخصيص تلك الحكمة بالذِّكر في ذلك الموضع من مناسبة	١/ ٢٣٩
تعليق الحكم بالشَّرط لا يدلّ علىٰ تحقيق الشَّرط، بل قد يعلّق بشرط ممتنع لبيان حكمه	١/ ٥٠٥
شريعة من قبلنا	١/ ١٧٧، ٢/ ٥٢
سد الذرائع	٣/ ٨٠، ٨١
تخصيص بعض العام بالذكر إذا كان له سببٌ يقتضي التخصيص لم يدل علىٰ أن ما سوىٰ المذكور يخالفه، وهذا الذي يسمىٰ «مفهوم المخالفة» و«دليل الخطاب»	١/ ١٩٩
(من) الشرطية من أبلغ صيغ العموم	١/ ٣٣١
عموم اسم الجمع المضاف	١/ ٤١٤
ذكر الخاص بعد العام لبيان ما اختص به الخاص من الأحكام التي امتاز بها عن غيره مما دخل في العام	١/ ٤٢٤
ما يبلِّغه الأنبياء عن الله لا يجوز أن يستقر فيه خطأ	١/ ٢٦٨، ٣٠٣، ٤٨٩، ٤/ ٤٣٢
النزاع في جواز أن يقع من النبي من الغلط ما يستدركه ويبينه	١/ ٢٦٩، ٤/ ٤٣٤
الدليل الصحيح يستلزم صحة المدلول عليه	٣/ ٤٨٦
فساد المدلول يستلزم فساد الدليل؛ فإن الدليل ملزومٌ للمدلول عليه، وإذا تحقَّق الملزوم تحقَّق اللازم، وإذا انتفىٰ اللازم انتفىٰ الملزوم	١/ ٢٧٤
ليس من شرط المنقول المتواتر أن يكون من القرآن	٤/ ٢٧٧
بعض المتواتر من السنة النبوية	٤/ ٢٧٧، ٤٥١، ٤٨١

ليس من شرط التواتر أن يتواتر عند طائفة معينة، وإنما تتواتر أخبار كل إنسان عند من رأىٰ المشاهِدين له أو رأىٰ من رآهم وهلم جرًّا ١/ ٢٧٦
تفاوت العلم بتواتر الأخبار والوقائع بين الناس والأمم والطوائف ٤/ ٤٥٥
قد تتواتر بعض الأخبار وتستفيض عند قوم دون قوم بحسب عنايتهم بها ٤/ ٤٦٧
التواتر العام، والخاص ٤/ ٤٦٩
التواتر المعنوي تتفق علىٰ معرفته عامة الطوائف ٤/ ٤٧٠
إذا اجتهد النَّاسُ في فهم ما أراده الرَّسول ﷺ فالمصيبُ له أجران والمخطئ له أجر ١/ ٤٦٢، ٤٦٨
التحسين والتقبيح العقليين ١/ ٤٧١
النافي للشيء عليه الدليل علىٰ ما ينفيه كالمثبت ٤/ ٥٥٠، ٥٥٩
الفرق بين النافي والمانع المطالب ٤/ ٥٥٠
من أثبت شيئا أو نفاه وطُلِب منه الحجة فلم يأت بها كان منقطعًا في المناظرة ٤/ ٥٥٠
الدلالة العقلية جزء أو شرط في الدلالة السمعية ٤/ ٦٠٨

* * *

فهرس القواعد الكلية

الموضـــوع	الصفحـــة
أهـل السـنة والجماعـة في الإسـلام كأهـل الإسـلام في أهـل الملل	١/ ١٣
ظهور الإيمان بالبيان والحجة والبرهـان ثـم بالسـيف واليـد والسنان	١/ ٢٣، ١١٢
ظهور الهدىٰ بالعلم والبيان، وظهور الدين باليد والعمل	١/ ١١١، ٢/ ١٢٩
السيف من جنس العمل، والعمل تابعٌ للعلم	١/ ١١٥
الحق كالذهب الخالص كلما امتحن ازداد جودة	١/ ٢٣
عامة ما يحتج به أهل البدع من النصوص الشرعية لا حجة لهم فيه بل هو حجة عليهم	١/ ٣١، ٢/ ٣٤٥، ٤٧٤
الهدىٰ يتضمن العلم النافع ودين الحق يتضمن العمل الصالح	١/ ٣٢، ٢/ ١٢٩
أصل العدلِ العدلُ في حق الله	١/ ٣٣
لا يوجد في غير أهل الملل علم نافع وعمل صالح إلا وهـو في أهل الملل أكمل، ولا يوجد في أهـل الملـل شر إلا وهـو في غيرهم أكثر	٣/ ٥٠٢، ٤/ ٢٣٣
لا يوجـد في التـوراة والإنجيـل علـمٌ نـافعٌ وعمـلٌ صـالحٌ إلا وهو في القرآن أو مثله أو أكمل منه	١/ ٢٤٩، ٣/ ٤٥٣، ٤/ ١٩٩
موسـىٰ جـاء بالعـدل، وعيسـىٰ جـاء بتكميلهـا بالفضـل، وجمع ﷺ في شريعته بين العدل والفضل	١/ ٢٦٠، ٣/ ٤٤٣
شريعة التوراة تغلب عليها الشـدة، وشـريعة الإنجيـل يغلـب عليها اللين، وشريعة القرآن معتدلة جامعة بين هذا وهذا	٣/ ٤٥٧

لا يجوز تفسير كلام المتكلم بخلاف مراده ولغته وعادته في خطابه	١/ ٣٣١، ٤٣٣، ٢/ ١٥٠، ١٩٨، ٤١٨، ٤٧٥، ٣/ ٧٢، ٣٣٩، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٨٨
من أسباب الغلط في فهم النصوص استعمال معانيها في غير ما استعملت فيه	٤/ ٤٧٥
الرُّسل بُعِثوا بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وتقديم خير الخيرَين علىٰ أدناهما حسب الإمكان، ودفع شر الشرَّين بخيرهما	١/ ٤٠٥، ٤/ ٢٣٦
الحكم يفتقر إلىٰ الصدق والعدل، فلا بدَّ أن يكون الشاهدُ صادقًا والحاكمُ عادلًا	١/ ٤٥٩
دلَّت النصوص علىٰ أن الله لا يعذِّب إلا من أرسَل إليه رسولًا تقوم به الحجَّة عليه	١/ ٤٦٢
الحِسِّيَّات إن لم يكن معها عقليَّاتٌ تكشف حقائقها وإلا وقع فيها غلطٌ كثير	١/ ٤٨٤
كلُّ من سوىٰ الأنبياء يؤخذ من قولهم ويُتْرَك	١/ ٤٩٦، ٢/ ٢٥
لا يجب الإيمان بكل ما يقوله بشر إلا أن يكون نبيًّا	٤/ ٢٦٢
ليس لأحدٍ من البشر أن يصدَّق في كلِّ ما أخبَر به ويطاع في كلِّ ما أمر به إلا أن يكون نبيًّا	١/ ٤٩٧
الأنبياء يخبرون الناس بما تقصر عقولهم عن معرفته لا بما يعرفون أنه باطل ممتنع، فيخبرونهم بمحارات العقول لا	٢/ ٣٥، ٣/ ٢٢٦، ٣٠٢، ٣١٠

بمحالات العقول
الأدلة العلمية لا تتناقض ٢/ ٢٠
الأخبار الصادقة لا تتناقض ولا تقبل النسخ ٤/ ٥٩٩
الدين الجامع والشرائع الكلية لا نسخ فيها ٢/ ٥٧، ٤/ ٦٠٠
المنسوخ الذي تنوعت فيه الشرائع قليل بالنسبة إلىٰ ما اتفقت عليه الكتب والرسل ٣/ ٤٨٦، ٤٩٠
أصول المحرمات مما اتفقت عليه شرائع الأنبياء ٣/ ٨١، ٤/ ٢٤٨
الأصول الكلية المشتركة التي اتفقت عليها الرسل ٤/ ١٢١
العلم ينال بالحس والعقل وما يحصل بهما، وبوحي الله إلىٰ أنبيائه ٢/ ٦٠
النقل المتواتر عند المسلمين عن النبي ﷺ: لفظ القرآن، ومعانيه التي أجمع المسلمون عليها، والسنة المتواترة ٢/ ٦٣، ٧٤
عدم العلم ليس علمًا بالعدم ٣/ ٣٦٣، ٤/ ٥٥٩
لا يلزم من عدم الدليل المعين عدم المدلول عليه ٢/ ٤٢٦، ٣/ ٣٦٤
الدليل مستلزم للمدلول، يلزم من تحققه تحقق المدلول ويمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول ٤/ ١٨١، ٥٨١، ٦٤٢
لا يجوز نفي الشيء لعدم الدليل الدال عليه إلا أن يكون عدم الدليل مستلزمًا لعدمه، كالأمور التي تتوفر الهمم علىٰ نقلها ٣/ ٣٦٤، ٤/ ٥٦٠
فساد اللازم يدل علىٰ فساد الملزوم ٢/ ٤٤٨
ثبوت الملزوم يقتضي ثبوت اللازم ماضيه ومقارنه ومتأخره ٣/ ٥٤٦
أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء ٢/ ٤٩٣
الحس الباطن أو الظاهر إن لم يقترن به العقل الذي يميز بين ٣/ ٢٣٠

المحسوس وغيره دخل فيه من الغلط من جنس ما يدخل علىٰ النائم ونحوه ممن يحكم بمجرد الحس الذي لا عقل معه

الألفاظ التي لم تنطق الرسل فيها بنفي ولا إثبات لا تطلق نفيًا ولا إثباتًا إلا بعد بيان المراد ٣/ ٢٣٤

الحق لا ينقض بعضه بعضًا، بل يصدق بعضه بعضًا، بخلاف الباطل، فإنه مختلف متناقض ٣/ ٣٠٥

ما عُلِم بمعقول صريح لا يخالفه قط لا خبر صحيح ولا حسٌّ صحيح، وكذلك ما عُلِم بالسمع الصحيح لا يعارضه عقل ولا حس، وكذلك ما عُلِم بالحس الصحيح لا يناقضه خبر ولا معقول ٣/ ٣٠٥، ٤/ ٥٩٩

كل من أخبر بما يخالف صحيح المنقول أو صريح المعقول يُعْلَم أنه وقع له غلط وإن كان صادقًا فيما يشهده ٣/ ٣٠٨

لا يجوز العدول عن النص والظاهر إلىٰ المحتمل، ولا العدول عن النص الصريح إلىٰ الظاهر المحتمل ٣/ ٣٥٦

رفع النقيضين كجمع النقيضين، والامتناع عن إثبات أحدهما كالامتناع عن نفي أحدهما ٣/ ٣٦٩

كل قول يتضمن جمع النقيضين وإثبات الشيء ونفيه أو رفع النقيضين فهو باطل ٣/ ٣٦٩

المقصود بالرسل تصديقهم فيما أخبروا وطاعتهم فيما أمروا ٣/ ٤٤٠

الباطل لا يقوم عليه دليل صحيح لا عقلي ولا شرعي سواء كان من الخبريات أو الطلبيات ٣/ ٤٨٦

ما ثبت عن الأنبياء لا يعارض برأي ولا قياس ٣/ ٤٩٥

الحكم بين الشيئين بالتماثل أو التفاضل يستدعي معرفة كل منهما ومعرفة ما اتصف به من الصفات التي يقع بها التماثل والتفاضل ٣/ ٤٩٨
كل ما قويت حاجة الناس إليه في الدين والدنيا يسر الله لهم أسبابه ٣/ ٥٠٤، ٤/ ١٩٤، ٤٧٥
يعرف الشيء تارة بما يدل علىٰ ثبوته، وتارة بما يدل علىٰ انتفاء نقيضه ٣/ ٥٤٦
مع الإرادة الجازمة والقدرة التامة يجب وجود المقدور وإذا تعذر أحدهما امتنع ٤/ ١١٨، ١٥٧، ٥٧٤
يستدل بانتفاء اللازم الظاهر علىٰ انتفاء الملزوم الباطن ٤/ ٥٧٣
عدم الفعل مع كمال الداعي يستلزم عدم القدرة ٤/ ١٧٤
إنما دخل في البدع من قصر في اتباع الأنبياء علمًا وعملًا ٤/ ٢٠٣
كل كمال في الفرع المتعلم هو من الأصل المعلم ٤/ ٢٠٣
أفضل العبادات ما كان لله أطوع وللعبد أنفع ٤/ ٢٥٦
ما من دليل يستدل به علىٰ مدلول إلا والأدلة علىٰ آيات الرب أكبر وأكثر ٤/ ٤٧٧
دلائل الربوبية وآياتها أعظم وأكثر من كل دليل علىٰ كل مدلول ٤/ ٤٩٠
الكاذب الفاجر وإن أعطي دولة فلا بد من زوالها بالكلية ٤/ ٥٢٢
الأدلة نوعان: نوع يدل علىٰ مجرد العلم بالمدلول عليه، ونوع يحض مع ذلك علىٰ الرغبة فيه أو الرهبة منه ٤/ ٥٢٤
النفوس إذا كانت قادرة علىٰ كمال أغراضها فلا تكاد تنصرف عنها، بخلاف ما إذا عجزت عن كمال أغراضها فإن ذلك مما ٤/ ٥٣٩

يدعوها إلىٰ التوبة، كما يقال: من العصمة أن لا تقدر
مع وجود المانع وعدم المقتضي لا يصلح الفعل ٤/ ٥٤١
الدليل الذي يجب اتباعه هو الدليل السالم عن المعارض المقاوم ٤/ ٥٥١
الدليل إذا أمكن إبطاله بالممانعة والمعارضة بطلت دلالته ٤/ ٦٣٤
التمييز بين ما ينفىٰ لقيام الدليل علىٰ نفيه، وبين ما لم يثبت لعدم دليل إثباته ٤/ ٥٥٨
لا يجوز الحكم بصدق مخبر ولا بكذب مخبر إلا بدليل، وما لم يعلم صدقه ولا كذبه ولا ثبوته ولا انتفاؤه فإنه يجب الإمساك عنه ٤/ ٥٦٤
من عرف تفسير القرآن علىٰ الوجه التام عرف الأدلة العقلية علىٰ أصول الدين، من غير عكس ٤/ ٦٠٨

* * *

فهـــرس العربيـــة

الموضـــوع	الصفحـــة
من لم يمكنه فهم كلام الرسول إلا بتعلّم اللغة التي أَرسِل بها وجبَ عليه ذلك	١/ ٢٨٣
الناس كلهم متفقون علىٰ أن لغة العرب من أفصح لغات الآدميين وأصحها	١/ ١٩٢
اللسان العربيُّ أكمل الألسنة وأحسنها بيانًا للمعاني	١/ ٢٩٣، ٣١٦
كثيرٌ من اليهود والنصارىٰ يتكلمون بالعربية أجود مما يتكلم بها كثيرٌ من المسلمين	١/ ٢٨٦
من الأعاجم من يحفظ القرآن كلّه وإذا كلّم النَّاس لا يستطيع أن يكلِّمهم إلا بلسانه، لا بالعربيَّة، وإذا خوطب بالعربيَّة لم يفقه ما قيل له	١/ ٢٨٧
انتشرت العربية أكثر مما انتشرت سائر اللغات	١/ ٢٨٦، ٢٩٤، ٣١٦
كلّ من يفهمُ اللسان العربيَّ فإنه يمكن فهمُه للقرآن وإن كان أصل لسانه فارسيًّا أو روميًّا أو تركيًّا أو هنديًّا أو قِبطيًّا	١/ ٢٩٠
الكلمة في لغة العرب وفي اصطلاح النحاة	٢/ ٢٥١
الاسم العام في لغة العرب وغيرهم إذا كان له نوعان خصّ أحد النوعين باسم، وأبقي الاسم العام مختصًّا بالنوع	٢/ ٢٩٦
عطف الشيء علىٰ الشيء قد يكون لتغاير الصفات وإن كانت الذات واحدة	١/ ٤٨
العطف يكون تارة لتغاير الذّوات وتارة لتغاير الصِّفات	١/ ٤٩، ٤٥٤، ٢/ ٤٠٨
عطف الخاص علىٰ العام لاختصاصه بوصف يختص به	٤/ ٤٩٤
خطأ وضع الضمير المنفصل موضع المتصل، وعطف	٣/ ٢١١

أحدهما علىٰ الآخر بلا واو عطف

باء السببية ٣/ ١٠٢

(في) التي يسميها النحاة ظرفًا ٣/ ٢٤٥

اللام الموطئة للقسم ١/ ٣٣٣

لام جواب القسم ١/ ٣٣٣

لام (كي) ٢/ ٤٢

لام الأمر ٢/ ٤٣

(لن) لنفي المستقبل ٤/ ١٨٦

(ما) الشرطية ١/ ٣٣٥

(مِن) التي للتبعيض والتي لبيان الجنس ٢/ ١٠١

إذا اجتمع في الكلام شرطٌ وقسمٌ وقُدِّم القسم سدَّ جواب القسم مسدَّ جواب الشرط ١/ ٣٣٣

من محاسن لغة العرب أنها تحذف من الكلام ما يدلّ المذكور عليه اختصارًا، لا سيَّما فيما يكثُر استعماله كالقسم ١/ ٣٣٥

عمل الفعل في المضمر والمظهر كما يقول الكوفيون ١/ ٣٨٦

الاستثناء المنقطع ١/ ٣٨٧، ٣٩٢

التقديم في اللفظ يكون للانتقال من الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ ١/ ٤٠٦

الإشارة تكون تارةً إشارة غائب، وتارةً إشارة حاضر ١/ ٤٤٩

الكوفيون يجوزون أن يكون المنصوب علىٰ التمييز معرفة كما يكون نكرة ٢/ ١١٠

اللفظ الواحد تتنوع دلالته بالإفراد والاقتران فيدخل فيه مع الإفراد والتجريد ما لا يدخل فيه عند الاقتران بغيره ٢/ ١٣٩

المجاز والاشتراك علىٰ خلاف الأصل ٢/ ١٩٨

اللفظ إذا استعمل في عدة مواضع كان جعله حقيقة ٢/ ١٩٨

متواطئًا في القدر المشترك أولىٰ من جعله مشتركًا اشتراكًا لفظيًّا
جعل الاسم الظاهر موضع المضمر ٢/ ٤٠١
تسمية المفعول باسم المصدر ٢/ ٤٩٢
قد يكون الحال من المعطوف دون المعطوف عليه ٢/ ٤٩٧
بدل الاشتمال ٤/ ٩٩
اللفظ قد يكون له في لغة معنىٰ، وله في لغة أخرىٰ معنىٰ غير ذلك ٣/ ٣٧٨
ما عرّبته العرب صار عربيًّا ٤/ ٢٦٨

ألفاظ غير مشهورة:

قداديس ، جمع : قدِّيس ١/ ٥٤
قساقسة ، جمع : قسيس ٢/ ٥٩، ٨٦، ٩٢

ألفاظ مفسَّرة:

الابن ٣/ ٧٦
الاتحاد ٢/ ٣١٧
أثاث ٤/ ٥٤٣
الأثيم ٤/ ١٣٣
الإحداث ٣/ ٧٣
أحمد ٤/ ٨٩
الأركون ٤/ ٥٢، ٩٠
آزره ٤/ ٥٢٣
الإسلام ١/ ٤٣٩
الأفاك ٤/ ١٣٣
الأقنوم ٢/ ٢٠٠، ٣٨٣، ٣/ ٣٤٩

الإمام المبين ٤/ ٥٠٠
أهل الكتاب ٢/ ١٠٨
الإيمان ٢/ ١٣٩
البر ٢/ ١٣٩
البينة ٤/ ٥٥٧
التأويل ١/ ١٩٦، ٢/ ١٩٧، ٤٩٧
التحدي ٤/ ١٨٣
التسبيح ٢/ ٤١٤
التوفي ٢/ ٤٧١
الجسم ٣/ ٣٣٣، ٣٤١
الجنب ٣/ ٣٢٣، ٣٢٤
الجوهر ٣/ ٤٠٧
الحادث ٣/ ٣٨٦، ٤/ ٦١٧
الحجة ٢/ ١٠٦
الحلول ٢/ ٣١٤، ٣١٨، ٢٤٥
الخلق ٣/ ٧٢
روح القدس ١/ ٣٨٣، ٢/ ١٥١، ١٩٥، ٢٤٥، ٤٢٠
رئي ٤/ ٥٤٣
زنيم ٤/ ٥٧٢
السام ٤/ ٤٨٥
سجيل ٤/ ٢٦٨
السمع ١/ ٤٥٧
سوقه ٤/ ٥٢٣

الشبه ٢/ ٣٩٦
الشرك ٢/ ١٣٩
شطأه ٤/ ٥٢٣
الشهوة ٤/ ٢٥٠
الصراط ٢/ ١٨٢
الصمد ٣/ ٣٠٦
الضالّ ١/ ٢١٦
الضياء ٣/ ٢٨١
العبادة ٤/ ٢٤٧
العرَض ٣/ ٤٣١
عمانويل ٢/ ٣٦٤
الغضب ٤/ ٢٥٠
الغيب ١/ ٤٥٦
الفارقليط ٤/ ٧٤
الفتنة ١/ ٢٣
الفصم ٤/ ١٠٠
الفقير ٢/ ١٣٩
القديم ٢/ ٢٥٣، ٣/ ٣٨٦، ٤/ ٦١٨
القيوم ٢/ ٢٠٦
الكتاب ١/ ٤٧، ٤٣٤، ٥٠٠
الكذب ٤/ ٥٤٥
الكلمة ٢/ ٢٥١
اللّدّ جمع الألدّ ١/ ٢٩٣
اللغوب ٢/ ٢٠٨

المثل ٢/ ٣٩٦
محمد ٤/ ٨٨
المسكين ٢/ ١٣٩
المعروف ٢/ ١٣٩
المنطقة ١/ ١٦٤
المنكر ٢/ ١٣٩
الهادي ١/ ٣١٤
الواقه ١/ ٩٠
الوجه والجهة ٣/ ٣٢١
الوعظ ٤/ ٥٢٥
الولادة ٣/ ٣٧٢

* * *

فهرس الفوائـد المنثـورة

الموضـوع	الصفحـة
وسطية أمة الإسلام في العقيدة والشريعة	١/ ١١، ١٧٢، ٣٤٣، ٣٤٧، ٤٣٧، ٢/ ١٢٩، ٣/ ٣٢٧، ٣٤٤، ٤٥٧، ٤٦١، ٤٧١، ٤٨٢، ٤/ ٢٣٩، ٢٥٨
انتشرت دعوة النبي ﷺ في وسط الأرض، لأنهم أكمل عقولًا وأخلاقًا وأعدل أمزجةً، بخلاف طرفي الجنوب والشمال	١/ ٦٩، ٣/ ٥٣٩، ٤/ ٢٩٦
المسلمون أعظم الأمم عقولا وأفهامًا وأتمهـم معرفة وبيانًا وأحسن قصدًا وديانة وتحريًا للصدق والعدل، وقد جمـع الله لهم جميع طرق المعارف الإنسانية وأنواعها	٢/ ٦٠، ٤/ ٢٠٠
الطهارة والنجاسة بين تضييق اليهود وتفريط النصارىٰ	١/ ١٢، ٣٤٤، ٤٤٠، ٤٥١، ٢/ ١٢٨
يقول النصارىٰ في فضائل الراهب: له أربعون سنة ما مسَّ الماء!	١/ ١٢
موقف اليهود والنصارىٰ من المرأة الحائض	١/ ١٢، ٣٤٤، ٤٤٠
تجديد الدين	١/ ٢٠
من أعظم أسباب ظهور الدين وجود المعارضين للرسل من أهل الإفك المبين	١/ ٢٠

معرفة حقيقة دين النصارىٰ يعرف به بطلان ما يشبه أقوالهم من أقوال أهل البدع ١/ ٢٨

كلام أهل الإسلام والسنة مع الكفار وأهل البدع بالعلم والعدل ١/ ٣٣

إذا كان من يقضي بين الناس في الأموال والدماء والأعراض إذا لم يكن عالمًا عادلًا كان في النار، فكيف بمن يحكُم في المِلَل والأديان وأصول الإيمان بلا علمٍ ولا عدل؟! ١/ ٣٤

مبالغة النصارىٰ في تكفير اليهود بأبلغ مما يستحقون ١/ ٣٥

كفر النصارىٰ بتكذيب محمد ﷺ أعظم من كفر اليهود بمجرد تكذيب المسيح ١/ ٣٧

علماء النصارىٰ يقرِنون بين موسىٰ ومحمد ﷺ ١/ ٣٧

ورقة بن نوفل من أحبار نصارىٰ العرب ١/ ٣٨، ١٢٨

ترك النصارىٰ للمحكم من آيات القرآن وتمسكهم بالمتشابه الذي لا يعلمون معناه ١/ ٤١، ١٩٧، ٣٧١، ٤٧٥، ٢/ ٣٦١، ٣٩٩، ٣/ ٤٩٥

الكذب أصلٌ للشر والصدق أصلٌ للخير ١/ ٤٣

لا يجوز أن يحتج بمجرد المنقول عن محمد ﷺ من يكذبه في كلمة واحدة مما جاء به ١/ ٤٦

شروط جواز الاحتجاج بما يُنْقَل عن الأنبياء ١/ ٥٠

لسان موسىٰ وداود والمسيح وغيرهم من أنبياء بني إسرائيل كان عِبرانيًّا، ومن قال: إن لسان المسيح كان سُريانيًّا أو روميًّا فقد غلط ١/ ٥٠، ٢٨٢، ٢٨٧، ٣١٠، ٢/ ٧٩، ٣/ ٤٩١

الغلط بتكذيب بعض المنقول عن النبي أو تأويله مع الإقرار بنبوته يختلف عن تكذيب نفس النبي ١/ ٥١

أمثلة لبعض الملوك الكافرين والظالمين ١/ ٥٦، ٢٢٣،

٤/ ٢٥، ٥١٤
الإرسال الديني والإرسال الكوني ونظائرهما في النصوص ١/ ٥٩
الاختلاف المذموم ١/ ٦٢
أول من أعطىٰ الجزية أهل نجران وكانوا نصارىٰ ١/ ٩٢
أهل نجران الذين قدموا علىٰ النبي ﷺ نجران اليمن لا نجران الشام ١/ ٩٥
أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح ١/ ٩٥
من طريقة محمد بن إسحاق في تصنيف السيرة ١/ ٩٦
مجادلة أهل الكتاب محكمة لم ينسخها شيء ١/ ٩٨
الجمع بين آيات مجادلة الكفار ومجالدتهم ١/ ٩٨
من كان قصده العناد لم يؤمر بمجادلته بالتي هي أحسن ١/ ١٠٠
شرح غريب ألفاظ القرآن لمن ليست من لغته ١/ ١٠١
مشروعية الإجابة عن إيرادات واستشكالات المخالفين علىٰ القرآن ١/ ١٠١
بين موسىٰ وعيسىٰ مدَّة طويلة جدًّا ١/ ١٠٤
من أسئلة الصحابة للنبي ﷺ ١/ ١٠٥
أول آية نزلت في الجهاد ١/ ١٠٨
جهاد حسان بن ثابت رضي الله عنه المشركين بالهجاء ١/ ١١١
الدعوة إلىٰ الإسلام ١/ ١١٢
الجدال يكون للظالم والمسترشد أما القتال فلا يكون إلا لظالم ١/ ١١٢
إيراد بعض المتكلمين الشكوك والشبهات علىٰ دلائل النبوة ١/ ١١٤
مثل المتكلمين في إيرادهم للشبهات مثل من يضرب شجرةً ضربًا يزلزلها به وهو يزعم أنه يريد أن يثبِّتها ١/ ١١٤
اضطراب كثير من المتكلمين في الإيمان بالنبوة ١/ ١١٤
قصة هجرة الصحابة إلىٰ الحبشة متواترة عند العلماء ١/ ١١٨، ٤/ ٤٨٧

تسمية كتاب البيهقي «دلائل النبوة وأعلام الرسالة» ١/ ١٢٨
كتاب الإمام أحمد في الرد علىٰ الجهمية ذكره عنه الخلَّال والقاضي أبو يعلىٰ ١/ ٢٥٦
زيادة النصارىٰ لهرقل عشرة أيام في صومهم ١/ ١٣٠
تواتر قصة مراهنة أبي بكر رضي الله عنه للمشركين في ظهور الروم علىٰ فارس ١/ ١٣٣
الصحيح أن الخبر بظهور الرُّوم علىٰ فارس جاء يوم الحديبية ١/ ١٣٥
محمد بن إسحاق ذو علم وبصيرة بأخبار السيرة وقد حفظ ما لا يحفظه غيره ١/ ١٣٧
بقاء كتاب النبي ﷺ لهرقل عند الروم بالأندلس إلىٰ عهد المؤلف وافتخارهم به ١/ ١٤١
اسم المقوقس ملك مصر: جريج بن مينا ١/ ١٤٤
لم يكن في المسلمين بالشام عند فتحها من يعمل فلاحة ١/ ١٥٧
سبب استعلاء كسرىٰ وشقه كتاب النبي ﷺ ١/ ١٦٠
إهلاك الله لأصحاب الفيل لم يكن نصرًا لمشركي العرب وإنما هو نصر للبيت والأمة المسلمة التي تعظمه ١/ ١٦١، ٤/ ٢٦٧
كرامة أبي مسلم الخولاني ١/ ١٦٥
كان المشركون يعبدون الأصنام المجسدة التي لها ظل ١/ ١٧٤
كان قوم إبراهيم عليه السلام مقرين بالصانع ١/ ١٨١
شمعون وسمعان والصفا وبطرس أربعة أسماء لمسمىٰ واحد، وهو صاحب كتاب «سر بطرس» عن المسيح الذي تزعم النصارىٰ أن فيه أسرار العلوم ١/ ١٨٣
«فم الذهب» من أكبر علماء النصارىٰ ١/ ١٨٣
من أعياد النصارىٰ المبتدعة ١/ ١٨٧

زال ملك بني إسرائيل ونقص عدد من نقل دينهم، حتىٰ قيل: إنه لم يبق من يحفظ التوراة إلا واحد ١/ ١٩١، ٢/ ٢٢، ٨٢
قلّ أن تجد من أهل الكتاب أحدًا يحفظ كتابًا من كتبهم ٢/ ٩١، ٣٨٠، ٤/ ٤٧١
الطائف مدينة معروفة شرقيّ مكة بينهما نحو ليلتين ١/ ٢٠٤
معجزات النبي ﷺ تزيد علىٰ ألف معجزة ١/ ٢١١
لم يسافر النبي ﷺ قبل نبوته إلا سفرتين ١/ ٢١١، ٢٩٥
من كرامات بعض أتباع النبي ﷺ من أمته ١/ ٢١٢
لا يُعرف أحد ادعىٰ النبوة وهو كاذب إلا قطع الله دابره ١/ ٢١٨
انشقاق القمر علىٰ عهد النبي ﷺ ١/ ٢٢٢، ٢٢٥-٢٢٩، ٤/ ٣٣٣
كان الانشقاق في القمر دون سائر أجزاء الفلك؛ إذ هو الجسم المستنير الذي يظهر فيه الانشقاق لكل من يراه ظهورا لا يتمارىٰ فيه ٤/ ٣٣٤
زعم الدهرية أن الأفلاك لا يجوز عليها الانشقاق ١/ ٢٢٨، ٤/ ٣٤٧
دلائل كذب المسيح الدجال ١/ ٢٢٤، ٢/ ٣٠٠، ٤/ ٥١٩، ٦٣٦
أمثلة لبعض أعلام الفقه والنحو والطب والفلك ومن هو أشهر منهم في علومهم ١/ ٢٦١
بابا الرومي والحارث الدمشقي وأضرابهما من المتنبئين الكذابين ١/ ٢٦٧، ٤٩٤
النزاع في ثبوت قصة الغرانيق ١/ ٢٦٩، ٤/ ٤٣٤
تكلم الجني علىٰ لسان المصروع ١/ ٢٧٨، ٤٩٣، ٢/ ٤٥١، ٣/ ٢٠٦، ٢٧٦، ٣٥٩،

٤٠٠، ٤/ ٩٩
النصارىٰ معروفون بالجهل والضلال، واليهود معروفون بالظلم والقسوة والعناد ١/ ٢٨١
طلب العلم المفروض علىٰ الخلق هو طلب علم ما يعرِفون به ما أمرهم الله به ونهاهم عنه ١/ ٢٨٣
لا يحتاج الإنسان في معرفة العلم المفروض إلىٰ أن يحفظ القرآن ١/ ٢٨٧
ليس فهم كل آية من القرآن فرضًا علىٰ كل مسلم ١/ ٢٩١
إذا أوجب الله علىٰ العباد شيئًا واحتاج أداء الواجب إلىٰ تعلّم شيءٍ من العلم كان تعلُّمه واجبًا ١/ ٣١٩
معرفة جمل ما أمر الله به ورسوله يمكن أن تحصل بلسان العرب وبغيره ١/ ٢٩٢
كثيرٌ من الفرس والرُّوم والتُّرك والهند والحبشة والبربر وغيرهم لا يعرفون أن يتكلموا بالعربيَّة الكلام المعتاد، وقد أسلموا وصاروا من أولياء الله المتقين ١/ ٢٨٧
معرفة معاني القرآن لا تحصل بمجرد معرفة لسان العرب ١/ ٢٨٣
جواز نقل حديث النبي ﷺ بالمعنىٰ ١/ ٢٨٤
رسل المسيح عليه السلام ومحمد ﷺ إلىٰ الأمم كانوا يتحدثون بألسنة من أرسلوا إليهم ١/ ٢٨٧
في القرآن مِن ذكرِ المعاد وتفصيله ما لا يوجد مثله في التوراة والإنجيل، بل التوراة ليس فيها تصريحٌ بذكر المعاد، وعامة ما فيها من الوعد والوعيد فهو في الدنيا ١/ ٢٩٩
ليس علىٰ وجه الأرض توراةٌ ولا إنجيلٌ معرَّبٌ من عهد الحواريين، وإنما عُرِّبت في الأزمان المتأخرة ١/ ٣٠٠، ٣٠٥، ٢/ ٣٧٥
كثرة اللغات والألسنة في العالم ١/ ٣٠١
العرب أقرب الأمم إلىٰ بني إسحاق بني إسرائيل والعِيص ١/ ٣٠١

أهل أنطاكية هم أول من آمن بالمسيح	١/ ٣١٢، ٤٢٩
بنو إسرائيل أكثر الأمم أنبياء حتىٰ قيل: إنهم ألف نبي	١/ ٣١٤
عدد الأنبياء والرسل	١/ ٤١٧
مدة الفترة التي كانت بين المسيح ومحمد ﷺ	١/ ٣١٥، ٣/ ٢٩١
سريان بعض الأقوال إلىٰ النصارىٰ من المجوس	١/ ٣٢٥
المانوية دينهم مركب من دين النصارىٰ والمجوس	١/ ٣٢٥
كلما تصور العاقل مذهب النصارىٰ ولوازمه تبين له فساده	١/ ٣٢٨، ٣٦٩
مجرد تصور مذهب النصارىٰ كاف في العلم بفساده؛ لأنه غير معقول	٣/ ٣٥٢
المبالغة اجتناب النجاسات تشبّهٌ باليهود، والتفريط فيها تشبّهٌ بالنصارىٰ	١/ ٣٤٦
يحيىٰ عليه السلام يسميه النصارىٰ: يوحنا المعمداني	١/ ٣٥١
تسمية المصطفىٰ المكرم: ابنًا	١/ ٣٥٧، ٢/ ١٥٠، ١٩٥، ١٩٨
أول ما ابتدعه الجهمية في الإسلام	١/ ٣٦٤
ليس في الأمم أكثر اختلافًا في ربِّ العالمين من النصارىٰ	١/ ٣٦٨، ٣٦٩
قال بعض الناس: لو اجتمع عشرة نصارىٰ افترقوا علىٰ أحد عشر قولًا !	١/ ٣٦٨، ٢/ ٢٨٠، ٣/ ٥
قال بعض الفضلاء: لو سألت نصرانيًّا وابنه وابن ابنه عما يعتقدونه، لأخبرك كل واحد بعقيدة تخالف عقيدة الآخر!	٣/ ٣٤٩، ٢/ ٢٨٠
ليس في النساء نبية	١/ ٣٧٢، ٥٠٠
دخل نصارىٰ بني تَغْلِب في النَّصرانيَّة ولم يقوموا بواجباتها بل أخذوا منها ما وافق أهواءهم	١/ ٣٩١
المشرك خير من المعطل الجاحد، وأهل الكتاب خير من المشركين	١/ ٤٠٥

نوح عليه السلام هو أبو الآدميِّين الذين حَدَثوا بعد الطّوفان ١/ ٤٢٤
غلط من ظن أن الذي صاهره موسىٰ عليه السلام هو شعيبٌ النبيّ ١/ ٤٢٩، ٣/ ٤٩٣، ٤/ ٤٦٠
بعد نزول التَّوراة لم يهلك الله مكذِّبي الأمم بعذاب سماويّ يعمُّهم ١/ ٤٣١، ٤/ ٥٣٧
عذاب الاستئصال ١/ ٤٣١، ٤/ ٥٢٨، ٥٣٣، ٥٣٦، ٥٤١، ٥٤٦
أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ أفضل من الحواريِّين باتفاق علماء المسلمين ١/ ٤٣٢، ٢/ ٢٣
المهاجرون أفضل من الأنصار ١/ ٤٤٣
ليس في أهل الكتاب من يذبُّ عن لفظ كتبهم ومعناها كما يذبُّ المسلمون عن لفظ القرآن ومعناه ١/ ٤٤٨، ٢/ ١٠٥
لا يوجد في أهل الكتاب الإسناد الذي للمسلمين، ولا لهم كلام في نقلة العلم وتعديلهم وجرحهم ومعرفة أحوال نقلة العلم ما للمسلمين ٢/ ٧٤
من منهج المؤلف في مناظرة أهل الكتاب ١/ ٤٦٧، ٢/ ٢٣
أسباب ضلال النصارىٰ وأمثالهم من الغلاة ١/ ٤٧٥
بعض الحوادث التي وقف عليها المؤلف في تمثّل الشيطان بالإنس لإضلال الناس وإغوائهم ١/ ٤٨٠، ٤٨٢، ٤٨٧
رؤيا الأنبياء في المنام واليقظة ١/ ٤٨٣
«روحانية» الشيخ و«رقيقة» الشيخ ١/ ٤٨٣
العقل الصَّريح يعلم أن الجسم الواحد لا يكون في الوقت الواحد في مكانين ١/ ٤٨٤
حقيقة رؤية بعض الناس في مكانين، كمن يُرىٰ واقفًا بعرفاتٍ ١/ ٤٨٤، ٤٨٦،

وهو في بلده لم يذهب ٣/ ٣٠٧
مسيح الهدىٰ ومسيح الضلالة ١/ ٤٨٩، ٢/ ٣٠٠، ٤/ ٤٣
من حيل رهبان النصارىٰ ١/ ٤٩١
من حيل أهل البدع والضلال ١/ ٤٩٣
قد يكون الرَّجلُ صالحًا وليًّا لله وله كراماتٌ ومع هذا فقد يغلط ويخطئ فيما يظنُّه، أو فيما يسمعه ويرويه، أو فيما يراه، أو فيما يفهمه من الكتب ١/ ٤٩٥
شروط الاحتجاج بالمنقول بغير العربية عن الأنبياء: العلم باللفظ الذي قاله، وترجمته، ومراده ١/ ٥٠، ٢/ ١٦، ٢٠
لا بد من ثبوت الإسناد وصحة الترجمة ودلالة المتن لمن أراد الاحتجاج بالمنقول عن الأنبياء ٢/ ١٢٤، ٢٣٠، ٣/ ٤٩١
الكتب التي يلي نسخها ومقابلتها الاثنان والثلاثة لا يمنع وقوع الغلط فيها ٢/ ٢٣
أفضل الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ٢/ ٢٦
الطرق العلمية: البصر، والنظر، والخبر. الحس، والعقل، والوحي. الحس، والقياس، والنبوة ٢/ ٦١
المسلمون لهم الأسانيد المتصلة بنقل العدول الثقات لدقيق الدين وجليله، وليس هذا لأهل الكتاب ٢/ ٦٥
أدرك سلمان الفارسي رضي الله عنه طائفة ممن كانوا متبعين لدين المسيح عليه السلام ٢/ ٦٦
تفسير النبي ﷺ للقرآن ألفاظه ومعانيه ٢/ ٦٧
الفروق بين القرآن والسنة ٢/ ٦٩
الأناجيل الموجودة لم يذكروا فيها أنها كلام الله، ولا أن المسيح، بلغها عن الله، بل نقلوا فيها أشياء من كلام المسيح، ٢/ ٧١، ٨٣

وأشياء من أفعاله ومعجزاته، فهي شبه كتاب السيرة وكتب الحديث
وقوع بعض الغلط في أصول كتب السيرة والسنن ٢/ ٨٠
الكتاب الذي له نسخ كثيرة في العالم لا يمكن تغيير فصل طويل منه ٢/ ٨٠
اعتناء العلماء بأحاديث الأحكام أكثر من اعتنائهم بضبط أحاديث الزهد والقصص والفضائل ٢/ ٨٠
ما في تفسير القرآن أو نقل الحديث أو تفسيره من غلط فإن الله يقيم له من الأمة من يبينه ويذكر الدليل علىٰ غلط الغالط وكذب الكاذب ٢/ ٨٣
كذب الكتب التي يدعي أهل الكتاب أنها عندهم من النبي ﷺ بخط علي بن أبي طالب ٢/ ٨٩
الشرك غالب علىٰ النصارىٰ، والكبر غالب علىٰ اليهود ٢/ ١٠٤
قول العادل الذي ظهر عدله للظالم الذي ظهر ظلمه: الظالم إما أنا وإما أنت ٢/ ١٦٧
بعض الأخبار القرآنية الغيبية المستقبلية التي تحققت ٤/ ٢٧٨
بعض الأخبار النبوية الغيبية المستقبلية التي تحققت ٢/ ١٧١، ٤/ ١٨٢، ٢٨٦
النصارىٰ ينهون جمهورهم عن البحث والمناظرة في عقيدتهم ٢/ ١٩٠
حدوث الحادث بلا محدث أحدثه معلوم البطلان بضرورة العقل، حتىٰ الصبيان لو ضُرِب الصبيُّ ضربة فقال: من ضربني؟ فقيل: ما ضربك أحد، لم يصدق عقله أن الضربة حدثت من غير فاعل! ٢/ ٢٠١
قال طائفة من العقلاء: إن عامة مقالات الناس يمكن ٢/ ٢٩٩، ٤١٧،

تصورها إلا مقالة النصارىٰ ٣/ ٢١١، ٣٠٢
من مناظرات المؤلف للنصارىٰ ٢/ ٣٠٤
وجود الشيء: عيني، وعلمي، ولفظي، ورسمي ٢/ ٣١٤، ٣٦٠
بعض المرئيين في المنام قد يدري بأنه رئي في المنام ويكاشف بذلك الرائي ٣/ ٣١٩
من أدب تعبير الرؤيا ٢/ ٣٢٠
بلد التين والزيتون هي الأرض المقدسة التي بعث منها المسيح ٢/ ٣٤١
تصوير الشياطين لما يزعمون أنه خاتم سليمان ٢/ ٣٥٢، ٤/ ٢٣٤
من أسماء الناس ما يكون مرتجلًا أو صفة أو اسم علم أو جملة محكية ٢/ ٣٦٤
العادة المعروفة أن نسخ الكتب تختلف ويزيد بعضها وينقص بعضها ٢/ ٣٧٩
القرآن المنقول بالتواتر لم يكن الاعتماد في نقله علىٰ نسخ المصاحف، بل الاعتماد علىٰ حفظ أهل التواتر له في صدورهم، ولهذا إذا وجد مصحف يخالف حفظ الناس أصلحوه، وقد يكون في بعض نسخ المصاحف غلط فلا يلتفت إليه ٢/ ٣٧٩
المصاحف التي كتبها الصحابة قيّد الناس صورة الخط ورسمه وصار ذلك منقولا بالتواتر ٢/ ٣٨٠
اعتناء اليهود بالتوراة أعظم من اعتناء النصارىٰ ٢/ ٣٨١
لا يشك العقلاء العادلون أن نقل حروف التوراة أصح من نقل حروف الإنجيل ٢/ ٣٨٢
هل يجوز أن يشبه الشيء الشي من وجه دون وجه؟ ٢/ ٣٩٦
لما سمع موسىٰ عليه السلام كلام الله مقت الآدميين، لما وقر في سمعه من كلام الله، وكان النور يظهر علىٰ وجهه حتىٰ ٢/ ٤٥٢

كان يتبرقع
لا يصح حمل كلام المتكلم علىٰ لغة حدثت بعده ٣/ ٧٢
اللفظ المستعمل في لغة العامة والخاصة لا يجوز أن يكون معناه لا يعرفه إلا بعض الناس ٣/ ٧٤
الحسن بن أيوب من أجلاء علماء النصارىٰ وأخبر الناس بأقوالهم، فنقله لقولهم أصح من نقل غيره ٣/ ١٠٦
من أجلّ من جمع أخبار النصارىٰ سعيد بن البطريق بترك الإسكندرية في أثناء المئة الرابعة من دولة الإسلام ٣/ ٣٧٠
ابن البطريق ينتصر في كتابه «نظم الجوهر» لطائفة الملكية ٣/ ١٠٦، ٣٧٠
تعظيم النصارىٰ لسعيد بن البطريق، وحبه لهم وتعصبه لهم في أخبارهم ٣/ ٢٩١
الدور القبلي ممتنع باتفاق العقلاء، والفرق بينه وبين الدور المعيّ ٣/ ٢١٥
الكلي العقلي لا يوجد إلا في الذهن لا في الخارج ٣/ ٢٢٤
الخلاف في الكليات العقلية المجردة عن الأعيان في الخارج بين شيعة أفلاطون وأرسطو وأتباعه ٣/ ٢٢٤
من مناظرات المؤلف مع الاتحادية ٣/ ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٠
تزيين قول المعتزلة لبعض ذوي الإمارة ودعوتهم إليه ومعاقبتهم من خالفه ٣/ ٢٥٠
الفرار من محذور إلىٰ محذور كالمستجير من الرمضاء بالنار ٣/ ٢٥٤
أئمة السنة والجماعة كلما ابتدع في الدين بدعة أنكروها ولم يقروها، ولهذا حفظ الله دين الإسلام ٣/ ٢٥٥
قد يبين بعض أئمة السنة في بعض الأوقات ما لا يبينه غيره؛ لحاجته في ذلك ٣/ ٢٦٢

ليس من مقصود المؤلف المنازعات اللفظية	٣/ ٢٧٠
من تجارب المؤلف في إخراج الجن من المصروعين	٣/ ٢٧٦
تغير بعض الأشياء عند اتصالها بغيرها واستحالتها إلىٰ نوع ثالث	٣/ ٢٧٧
لم سمىٰ القرآن الشمس ضياء والقمر نورًا ؟	٣/ ٢٨٢
من نقل ألفاظ الأنبياء الثابتة عنهم لم يكن عليه أن يفقه ويعقل ما يقول	٣/ ٣٠٤
من أعظم القبائح المحرمة في جميع الشرائع أن يقول الإنسان برأيه علىٰ الله قولًا لا يتصوره ولا يفهمه	٣/ ٣٠٣
لفظ الاختلاف يراد به : اختلاف التنوع، واختلاف التضاد	٣/ ٣٠٦
المعقولات الصحيحة الخفية تردّ إلىٰ معقولات بديهية أولية، بخلاف العقليات الصريحة فإنها معلومة بالفطرة	٣/ ٣٠٧
الموقف من النزاع اللفظي والنزاع العقلي	٣/ ٣٣٦
غلاة المجسمة الذين يكفرهم المسلمون أحسن حالًا من النصارىٰ شرعًا وعقلًا	٣/ ٣٥٥
الحلول أسهل من الاتحاد	٣/ ٣٩٣
الشرائع ثلاثة: شريعة عدل فقط، وشريعة فضل فقط، وشريعة تجمع العدل والفضل	٣/ ٤٤٣
موضوعات سورة البقرة وتسلسلها	٣/ ٤٤٦
امتاز الإنجيل عن التوراة بمكارم الأخلاق المستحسنة والزهد المستحب وتحليل بعض المحرمات	٣/ ٤٥٣
قال بعضهم: بعث موسىٰ بالجلال، وبعث عيسىٰ بالجمال، وبعث محمد بالكمال	٣/ ٤٦٢
نعم الله علىٰ عباده نوعان	٣/ ٤٦٣
اليهود أذلّ الأمم	٣/ ٤٦٦

خراب بيت المقدس مرتين ٣/ ٤٦٨، ٤/ ٤٥٩
الغالطان والكاذبان المتعمدان للكذب لا يتفقان في القصص الطويلة والتفاصيل العظيمة ٣/ ٤٨٩
كثيرًا ما يرجح بعض الناس المفضول لعدم علمهم بأخبار الفاضل، كما يفضل الإنسان مدينة يعرفها علىٰ مدينة هي أكمل منها لكونه لا يعرفها ٣/ ٤٩٧
اعتبار الشيء بنظرائه وأشباهه وأضداده ومخالفيه، حتىٰ يعرف في المتشابهين أيهم أكمل وأفضل، وفي المختلفين أيهم أولىٰ بالحق والهدىٰ ٣/ ٥٠٣، ٥٠٤
لفظ «التوراة» و«الإنجيل» و«القرآن» و«الزبور» قد يراد به الكتب المعينة وقد يراد به الجنس ٣/ ٥١٦، ٤/ ٣٥
المدينة فتحت بالقرآن، لم تفتح بالسيف كما فُتِح غيرها ٣/ ٥٢١
من كذب بعض أهل الكتاب قولهم: إن الخطيب إنما يتوكأ علىٰ سيفٍ يوم الجمعة إشارة إلىٰ أن الدين إنما يقوم بالسيف ٣/ ٥٤٤
طريق معرفة صدق الصادق وكذب الكاذب ٣/ ٥٤٦
قيل: إن بمكة اثني عشر ألف جبل ٤/ ٨
كان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر، ونزول الإنجيل مثل إشراق الشمس، وأما نزول القرآن فهو بمنزلة ظهور الشمس في السماء ٤/ ٩
حاجة الخلق إلىٰ السراج المنير أعظم من حاجتهم إلىٰ السراج الوهاج ٤/ ٩
النصارىٰ يسمون عيد المسلمين عيد «الله أكبر»؛ لظهور التكبير فيه ٤/ ٣٠
السيوف العربية ذات شفرتين ٤/ ٣٠
الصلاة أعظم التسبيح ٤/ ٣١

العرب كلهم من بني عدنان وبني قحطان ٤/ ٦١
ديار مضر وديار ربيعة ٤/ ٦٢
الفرق بين الفصم والقصم ٤/ ١٠٠
لم ينزل كتاب مستقل إلا التوراة والقرآن، فالزبور تابع لشرع التوراة، والإنجيل فرع علىٰ التوراة ٤/ ١٢٧
النصيرية لهم خطاب يسرونه إلىٰ أوليائهم، وإن لم يعلم أكثر الناس ما ذلك الخطاب ٤/ ١٥٨
كان ﷺ لا يكره أحدًا علىٰ الدين ٤/ ١٥٩
لعل اليهود كانوا بالمدينة بقدر نصف أهلها أو أقل أو أكثر ٤/ ١٦٠
معنىٰ قولهم: «لا يعلمها إلا نبي» ٤/ ١٦٩
لم يكن لفظ (المعجزات) موجودًا في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ (الآية) و (البينة) و (البرهان) ٤/ ١٧٦
وجوه إعجاز القرآن ٤/ ١٨٧
الرد علىٰ القائلين بالصرفة ٤/ ١٨٨
الإعجاز في معنىٰ القرآن أعظم من الإعجاز في لفظه ٤/ ١٩٣
دلائل النبوة من جنس دلائل الربوبية من حيث الظهور والخفاء ٤/ ١٩٣
صورة النبي ﷺ من أكمل الصور وأتمها وأجمعها للمحاسن الدالة علىٰ كماله ٤/ ١٩٦
أمة الإسلام أحذق في جميع العلوم الدينية والدنيوية من جميع الأمم ٤/ ٢٣٩
اختلاف الناس في المقصود من العبادات ٤/ ٢٤٠
اختلاف الناس في صفة العبادات أيها أفضل ٤/ ٢٥٥
العامة تقول: قيمة كل امرئ ما يحسنه. والعارفون يقولون: قيمة كل امرئ ما يطلب ٤/ ٢٥٠

في بعض الكتب المتقدمة: إني لا أنظر إلىٰ كلام الحكيم، وإنما أنظر إلىٰ همته ٤/ ٢٥٠
ينصب النصارىٰ في طائفة من بلادهم من يقضي بينهم بشرع المسلمين ٤/ ٢٥٨
الواو والنون في الفارسية للجمع، فيقولون: مسلمان، أي مسلمون ٤/ ٢٦٨
أول طاعون وقع في الإسلام ٤/ ٢٩٠
قتال الترك التتار ٤/ ٢٩١
النار التي خرجت في الحجاز سنة بضع وخمسين وستمئة ٤/ ٢٩٢
أبناء فارس من علماء التابعين وأتباعهم ٤/ ٣٠٢
ظهور النساء اللاتي علىٰ رؤوسهن عمائم كأسنمة الجمال البخاتي، وتسمية تلك العمامة: سنام الجمل ٤/ ٣١١
المختار بن أبي عبيد الكذاب مدعي النبوة ٤/ ٣١١
الحجاج بن يوسف الثقفي كان مبيرًا سفاكًا للدماء بغير حق ٤/ ٣١١
المشرق عن مدينة النبي ﷺ فيه البحرين ومنها خرج مسيلمة ٤/ ٣١٤
من صعد ببدنه إلىٰ السماء من الأنبياء ٤/ ٣٤٥
نقض حجج الفلاسفة في عدم إمكانية صعود البدن إلىٰ السماء ٤/ ٣٤٦
انتقام الله ممن يسبه ويذم دينه بأنواع من العقوبات ٤/ ٤٢٩
من المعروف المشهور المجرب عند عساكر المسلمين بالشام إذا حاصروا بعض حصون أهل الكتاب أنه يتعسر عليهم فتح الحصن ويطول الحصار إلىٰ أن يسب العدو الرسول ﷺ فحينئذ يستبشر المسلمون بفتح الحصن وانتقام الله من العدو فإنه يكون ذلك قريبًا كما قد جربه المسلمون غير مرة ٤/ ٤٣٠
من عوَّده الله إجابة دعائه لا يكون إلا مع صلاحه ودينه ٤/ ٤٣١

تقديم عمر لابن عباس وإدخاله مع كبار الصحابة وشهرة علمه في الأمة ٤/ ٤٤٣
كثير من الفقهاء والمتكلمين لا يعرفون مغازي النبي ﷺ ٤/ ٤٥٧
كذب ما يزعمه بعض العامة من أن الغمام كان يظلّ النبي ﷺ دائمًا ٤/ ٤٦٢
كذب كثير مما ذكره البكري في كتابه تنقلات الأنوار ٤/ ٤٦٣
لم يكن بالمدينة ولا بمكة بغلة إلا التي أهداها المقوقس للنبي ﷺ ٤/ ٤٦٤
بعض الأخبار المكذوبة المشهورة عند العامة ٤/ ٤٦٣
تمييز علماء المسلمين بين صدق المنقولات وكذبها وردّهم الكذب وإن كان لهم ٤/ ٤٦٦
ليس في الدنيا علم مطلوب بالأخبار المتواترة إلا والعلم بآيات الرسول وشرائع دينه أظهر منه ٤/ ٤٧٦
بعض الكتب المصنفة في دلائل النبوة ومناهج مؤلفيها ٤/ ٤٧٨
متىٰ أدخلت حجرة عائشة رضي الله عنها في المسجد ٤/ ٤٨٢
إباحة الدواء ٤/ ٤٨٤
كان للنبي ﷺ أربع بنات وثلاثة بنين، وكان يكنىٰ بأكبر أولاده القاسم ٤/ ٤٨٦
لم يصل أحد بإذن النبي ﷺ مع حضوره غير أبي بكر في مرضه ولما ذهب ليصلح بين بني عمرو بن عوف ٤/ ٤٨٧
خواص أصحاب النبي ﷺ ٤/ ٤٨٧
مؤذنو النبي ﷺ ٤/ ٤٨٨
من حكمة الله في خلق الإنسان وغيره ٤/ ٥٠٢
أمالي أبي الحسن الأشعري ٤/ ٥٠٤
معنىٰ الإمكان الذهني والإمكان الخارجي ٤/ ٥٠٨

ظهور الكفار علىٰ المؤمنين بسبب ذنوبهم ٤/ ٥١٦، ٥٤٤
من حكمة جعل بيت الله بواد غير ذي زرع ألا يكون عنده ما ترغب النفوس فيه من الدنيا فيكون حجهم للدنيا لا لله ٤/ ٥٣٤
المفتي بلا اجتهاد يسوغ والمحدث بلا علم يسمىٰ كاذبًا ٤/ ٥٤٥
أحوال الخبر من حيث مطابقته لمخبره ٤/ ٥٤٥
إذا كان اللفظ مطابقًا لما عناه المتكلم، ولم يطابق إفهام المخاطب، فهذا قد يسمىٰ كذبًا وقد لا يسمىٰ، ومنه المعاريض ٤/ ٥٤٦
الصحابة وجمهور التابعين لم يعرف فيهم من يتعمد الكذب علىٰ النبي ﷺ ٤/ ٥٤٧
لا يجوز تكذيب خبر أحد إلا ببينة وإن كان فاسقًا أو كافرًا ٤/ ٥٥٢
الأطباء الحذاق يعلمون حال المريض من سحنته فلا يحتاجون مع ذلك إلىٰ نبض وقارورة ٤/ ٥٧١
لحن القول ودلالة الكلام علىٰ ما في نفس قائله ٤/ ٥٧٢
الرجل الصادق البار يظهر علىٰ وجهه من نور صدقه سيما يعرف بها، وكذلك الكاذب الفاجر، وكلما طال عمر الإنسان ظهر هذا الأثر فيه ٤/ ٥٧٥
تفاوت الناس في المعرفة والخبرة والنظر والاستدلال في جميع المعارف ٤/ ٥٨٠
أبو بكر الصديق من أعقل الناس، وكان معظمًا في قريش لعلمه وإحسانه وعقله ٤/ ٥٩٢
أيهما أفضل السمع أم البصر ؟ ٤/ ٦٠٧
لأهل النظر العقلي طرق لا يعرفها أهل الأخبار، ولأهل الأخبار السمعية طرق لا تعرف بمجرد العقول ٤/ ٥٦٦
الانتفاع بردود أهل البدع والإلحاد بعضهم علىٰ بعض ٤/ ٦٢٤

تسلط الملحدين بكلام المتكلمين المخالف للعقل وظنهم أن الشرع جاء به ٤/ ٦٢٤
الضرورات الكلية الأولية ٤/ ٥٨٠
العلم بالمعينات لا يحتاج فيه إلىٰ القياس الشمولي ٤/ ٥٨١
العلوم التجريبية والتواترية والحدسية تكون مشتركة تارة ومختصة تارة، كالحسيات والوجديات والعقليات، وغلط بعض المناطقة في ذلك ٤/ ٥٦٧
الألفاظ المتواطئة التواطؤ العام يدخل فيها المشككة ٣/ ٣٣٠

الفلاسفة:

دين الفلاسفة أهل مقدونية وأثينية كأرِسطو وأمثاله من الفلاسفة المشائين ١/ ١٧٤
أرسطو كان قبل المسيح بنحو ثلاثمئة سنة، وهو وزير الإسكندر المقدوني الذي يؤرَّخ له التاريخ الرومي، ومن ظن أنه كان وزير ذي القرنين المذكور في القرآن فقد غلط ١/ ١٧٥، ٣/ ٤١٥، ٤١٩
الإسكندر المقدوني كان مشركًا يعبد هو وقومه الأصنام، وليس هو «ذو القرنين» ١/ ١٧٥
كان الروم واليونان مشركين يعبدون الهياكل العلوية والأصنام الأرضية ١/ ١٧٤
المتفلسفة اليونان ومن اتبعهم كثيرًا ما يشتبه عليهم ما يتصورونه في الأذهان بما يوجد في الأعيان ٢/ ٢٦٧
المثل الأفلاطونية ٢/ ٢٦٨
المتفلسفة اليونانيون الذين يسمون: المشائين أتباع أرسطو صاحب التعاليم ٢/ ٢٧٢
موضوع العلم الطبيعي والرياضي والإلهي عند المتفلسفة المشائين ٢/ ٢٧٢

أثينة هي دار الفلاسفة، وبها دار الأصنام، ووُجِد مكتوبًا علىٰ باب دار العلماء فيها: الإله الخفي الذي لا يعرف هو الذي خلق العالم ٣/ ٤١٦
عامة علم فلاسفة اليونان علم الطبيعيات والحسابيات، وأما العلم الإلهي الذي يسمونه علم ما بعد الطبيعة فإنما تكلموا فيه علىٰ أمور كلية ٣/ ٤١٩
حكمة الفلاسفة النظرية والعملية وفضل أهل الملل عليهم فيها ٣/ ٥٠٢، ٤/ ٢٤٢
محاولة بعض المتأخرين الذين سمعوا كلام أهل الملل إصلاح كلام أرسطو وتقريبه إلىٰ العقول ليوافق ما علم بصريح المعقول وصحيح المنقول ٣/ ٤٢١
جمع بعض المتفلسفة بين الشرع وأقوال الفلاسفة ٤/ ٦٢٩
بعض من رام الجمع بين فلسفة المشائين وما جاءت به الأنبياء ٤/ ٢٤١
ليس في رسل الله وأنبيائه وأتباعهم من يعظم الفلاسفة أو يستعين بكلامهم، بل هم متفقون علىٰ تضليلهم وتجهيلهم ٣/ ٤٢٥
المنتسبون إلىٰ الإسلام من أتباع الفلاسفة أعلم بالفلاسفة من النصارىٰ ٣/ ٤٢٥
هذب المتفلسفة الإسلاميون كتب فلاسفة اليونان في الطب والحساب والمنطق فجاء كلامهم فيها خيرًا من كلام أولئك اليونان ٣/ ٤٢٦
اعترف الفلاسفة بأنه لم يقرع العالم ناموس بأفضل من ناموس محمد ﷺ ٣/ ٤٦٥
متفلسفة اليونان من أجهل الناس بأمر النبوة، إذ لم يأخذوها من العلم بصدق الأنبياء وما جاءوا به وإنما أخذوها من القياس علىٰ المنامات ٤/ ٥٨٢

أساطين فلاسفة اليونان الأربعة واستفادتهم من بني إسرائيل ٤/ ٥٨٣
أول من لقب بالحكمة لقمان، واستفادة بعض فلاسفة اليونان منه ٤/ ٥٨٤
الفلاسفة والنظار وعامة الناس هم فيما يثبتونه من العلم والحقائق المعلومة أسد منهم وأصوب فيما ينفونه ٤/ ٥٨٦

الترجمة :

الحاجة إلىٰ الترجمة ١/ ٣٢٠
من وسائل التحقق من صحة الترجمة ١/ ٣٠٢، ٣٠٨
الترجمة يقع الغلط فيها كثيرًا ٢/ ٧٩
رؤية ابن تيمية عدة نسخ معرَّبة من الزَّبور بينها من الاختلاف ما لا يكاد ينضبط، ومن نسخ التَّوراة المعرَّبة ما يكذِّب بكثيرٍ من ترجمتها طائفةٌ من أهل الكتاب ١/ ٣٠٨، ٢/ ٥٧، ٨٧، ٩٣
كثيرًا ما يضطرب أهل الكتاب في ترجمة كتبهم ويختلفون في معناها ٣/ ٤٩٢
ترجمة معاني القرآن لمن لا يعرف العربيَّة ١/ ١٠١، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٩١، ٢٩٣، ٢/ ٦٩
أبناء فارس المسلمون ترجموا مصاحف كثيرة، فيكتبونها بالعربي ويكتبون الترجمة بالفارسية ١/ ٢٩٤

* * *

فهرس موضوعـــات الكتـــاب

- فهرس موضوعات المجلد الأول
- فهرس موضوعات المجلد الثاني
- فهرس موضوعات المجلد الثالث
- فهرس موضوعات المجلد الرابع

فهرس موضوعات المجلد الأول

الموضوع	الصفحة
مقدمة مركز تأصيل	٥
مقدمة المشرف علىٰ تحقيق الكتاب	٩
بين يدي الكتاب	١٣
اسم الكتاب	١٨
إثبات نسبة الكتاب للمؤلف	٢٤
سبب تأليف الكتاب	٢٨
موضوع الكتاب وأهميته وترتيبه	٣١
منهج المؤلف في كتابه	٤٤
موارد الكتاب	٤٨
وصف النسخ الخطية	٥٥
طبعات الكتاب وتقويمها	٧٣
منهج التحقيق	٨٣
نماذج من النسخ الخطية	٨٦
خطبة الكتاب	٥
تصديق القرآن للكتب السماوية وهيمنته عليها	٧
دين الأنبياء والمرسلين واحد	١٠
خصائص أمة الإسلام	١١
مواترة الرسل وتعميم الخلق بهم	١٦
الإسلام دين الله الذي بعث به الرسل	١٨
عبادة الله بطاعة رسله عليهم السلام	١٩
الإيمان بجميع الرسل	٢٠

من أعظم أسباب ظهور الدين ظهور المعارضين للمرسلين ٢٠
الفرق بين آيات الأنبياء وخوارق السحرة ٢٢
الدين الحق والدين الباطل ٢٣
اتباع بعض المسلمين سنن اليهود والنصارىٰ ٢٥
الحلول والاتحاد نوعان ٢٧
سبب تأليف الكتاب ٢٨
الرسالة الواردة من قبرص في الاحتجاج لدين النصارىٰ ٢٨
تفصيل مضامين تلك الرسالة ٣٠
منهج المصنف في نقض الرسالة ٣١
كل ما يحتج به المبطلون من النصوص هو حجة عليهم ٣١
الأنبياء وأتباعهم هم أهل العلم والعدل ٣٢
دين النصارىٰ الباطل دينٌ مبتدع ٣٤
تناقض اليهود والنصارىٰ وتعاديهم ٣٥
مقدمة رسالة الأسقف بولص في الاحتجاج لدين النصارىٰ ٣٨
سبب عدم اتباعهم للنبي ﷺ ودين الإسلام ٣٩
الجواب عن زعمهم أنه أرسل إلىٰ العرب ولم يرسل إليهم ٤١
دلائل صدق النبي وكذب المتنبئ ٤٣
الرد المفصل علىٰ دعواهم أن النبي ﷺ لم يرسل إليهم ٤٥
الجواب عن احتجاجهم بآيات من القرآن ٤٦
الإرسال الديني والإرسال الكوني ونظائرهما ٥٧
تفرق الكفار واختلافهم وطعنهم في الأنبياء والرسل ٦٢
تتمة الجواب عن دعوىٰ النصارىٰ أن النبي ﷺ لم يرسل إليهم ٦٨
تواتر الأخبار عن النبي ﷺ أنه أرسل إلىٰ جميع بني آدم ٦٨
دعوة النبي ﷺ لأهل الكتاب ٧٠
خبر وفد نجران النصارىٰ الذين قدموا علىٰ النبي ﷺ ٧٢

نزول آية الجزية وأول من أداها ٩٢
الأمر بمجادلة أهل الكتاب محكم لم ينسخه شيء ٩٨
وجوه الجمع بين آيات الجدال وآيات القتال: ٩٩
الوجه الأول ٩٩
الوجه الثاني ٩٩
الوجه الثالث ١٠٠
الوجه الرابع ١٠٧
الوجه الخامس ١١٠
الوجه السادس ١١١
الوجه السابع ١١٢
الوجه الثامن ١١٥
الوجه التاسع ١١٥
قصة إيمان النجاشي وهجرة المسلمين إلىٰ الحبشة ١١٧
أول نزول الوحي علىٰ النبي ﷺ بمكة وإيمان بعض النصارىٰ به ١٢٨
إرسال النبي ﷺ رسله إلىٰ جميع الطوائف بعد عام الحديبية ١٣٠
إرساله إلىٰ هرقل ملك الروم ١٣٠
إرساله إلىٰ المقوقس ملك مصر ١٤٤
غزو النبي ﷺ النصارىٰ بعد الإرسال إلىٰ ملوكهم ١٥١
أمره ﷺ بإخراج اليهود والنصارىٰ من جزيرة العرب ١٥٢
قيام خلفائه ﷺ أبي بكر وعمر بذلك من بعده ١٥٣
فتح عمر الشام وبيت المقدس ومشارطته أهل الذمة ١٥٤
إرسال النبي ﷺ رسوله إلىٰ كسرىٰ وتمزّق ملكه ١٥٩
ضرب الجزية علىٰ المجوس ١٦٦
تواتر آيات القرآن في دعوة أهل الكتاب إلىٰ الإيمان بالنبي ﷺ ١٦٩
اختلاف أهل الملل في نسخ الشرائع وتغيير الدين ١٧٢

إظهار النبي ﷺ من كمال التوحيد ما لم يظهر بمن قبله ١٧٥
المقارنة بين مقالة المشركين والثنوية والفلاسفة ١٧٨
النصارىٰ وعبادة الأوثان ١٨٣
الفرق بين ما أجمع عليه المسلمون وما ابتدعه النصارىٰ ١٨٥
كفر النصارىٰ بالنبي ﷺ ككفر اليهود بالمسيح عليه السلام ١٨٩
احتجاج النصارىٰ بالقرآن علىٰ أن نبوة النبي ﷺ خاصة بالعرب دليل علىٰ عدم أهليتهم للاستدلال ١٩٢
الجواب عن زعم تناقض القرآن في عموم رسالته ﷺ وخصوصها ١٩٤
الجواب عن زعمهم تناقض القرآن واحتجاجهم بما يوافق قولهم ١٩٧
عموم رسالته ﷺ لا ينافي إرساله إلىٰ العرب ١٩٩
النذارة ليست مختصة بمن شافههم النبي ﷺ بالخطاب ٢٠١
دعوة النبي ﷺ قريشًا وغيرهم من قبائل العرب ٢٠٣
معجزات النبي ﷺ الدالة علىٰ صدقه ٢١١
إخباره ﷺ بالغيوب الماضية والمستقبلة ٢١٣
كل من أيده الله من المدعين للنبوة لا يكون إلا صادقًا ٢١٨
سورة القمر وإخبارها بانشقاق القمر ٢٢٥
انشقاق القمر آية علىٰ صدق النبي ﷺ وعلىٰ مجيء الساعة ٢٢٧
إمكانية انشقاق القمر والرد علىٰ الدهرية ٢٢٨
الأحاديث الواردة في انشقاق القمر علىٰ عهد النبي ﷺ ٢٢٩
تحدي العرب بالقرآن وعجزهم أن يأتوا بمثله ٢٣٠
إخبار القرآن أن النبي ﷺ أرسل إلىٰ العرب لا يقتضي أنه لم يرسل لغيرهم ونظائر ذلك من القرآن ٢٣١
الجواب عن احتجاج النصارىٰ ببعض الآيات علىٰ أنه ﷺ إنما أرسل إلىٰ العرب خاصة ٢٤٠
إخبار النبي ﷺ أنه أرسل إلىٰ الناس كافة كما نطق به القرآن ٢٤٤

إلزام النصارىٰ ببطلان دينهم إن كذبوا محمدًا ﷺ ٢٤٨
التصديق بأن محمدًا رسول الله يوجب بطلان كل دين خالفه ٢٤٩
أقوال النصارىٰ في عيسىٰ عليه السلام ٢٥٢
كلام الإمام أحمد في كتاب الرد علىٰ الجهمية ٢٥٦
الطريق الذي يُعْلَم به نبوة موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام يُعْلَم به نبوة محمد ﷺ بطريق الأولىٰ ٢٦٠
الجواب عن زعم النصارىٰ أن عيسىٰ عليه السلام بشرت به الأنبياء بخلاف محمد ﷺ ٢٦٤
الجواب عن تمثيل النصارىٰ القرآن بالوثيقة التي كُتِب الوفاء في ظهرها ٢٦٦
النزاع في جواز وقوع الغلط من الأنبياء ٢٦٨
تتمة الجواب عن تمثيل النصارىٰ القرآن بالوثيقة ٢٧٠
لا يجوز استدلال النصارىٰ بقول أحد من الأنبياء علىٰ صحة دينهم ٢٧٤
ولا يجوز لهم الاحتجاج بذلك علىٰ المسلمين ٢٨٠
الأجوبة عن كون القرآن نزل باللسان العربي وحده ٢٨٢
الوجه الأول ٢٨٢
الوجه الثاني ٢٨٧
الوجه الثالث ٢٩٠
الوجه الرابع ٢٩٠
الوجه الخامس ٢٩٠
توجيه بعض الآيات الواردة بإنزال القرآن باللسان العربي ٢٩٣
قصة بحيرا الراهب ودلالتها علىٰ نبوته ﷺ ٢٩٦
في القرآن من ذكر المعاد وتفصيله ما لا يوجد في التوراة والإنجيل ٢٩٩
الأجوبة عن زعم النصارىٰ أن كتبهم ترجمها لهم الحواريون وهم معصومون، بخلاف القرآن الذي لم يترجمه معصوم ٣٠٠
الجواب الأول ٣٠٠

الجواب الثاني ٣٠٢
الجواب الثالث ٣٠٢
الجواب عن قول النصارىٰ: لا يلزمنا اتباعه لأنه قد جاءتنا رسل من قبله ٣٠٤
الوجه الأول ٣٠٤
الوجه الثاني ٣٠٤
الوجه الثالث ٣٠٥
الوجه الرابع ٣٠٦
الوجه الخامس ٣٠٦
الوجه السادس ٣١٠
الوجه السابع ٣١٠
الجواب عن قول النصارىٰ: ليس من عدل الله أن يطالب أمة باتباع إنسان لم يأت إليهم ٣١٦
الوجه الأول ٣١٦
الوجه الثاني ٣١٦
الوجه الثالث ٣١٧
اختلاف الناس في عدل الله ٣١٧
النزاع فيما لا يتم الواجب إلا به ٣١٨
الوجه الرابع ٣٢١
الرد علىٰ زعم النصارىٰ أن الله إنما مكّن الكفار من صلب عيسىٰ ليحتال بذلك علىٰ عقوبة إبليس ٣٢٢
الرد علىٰ تفسير النصارىٰ الآيات التي فيها عدم قبول غير دين الإسلام بأن المراد بها قوم النبي ﷺ لا غيرهم ٣٣١
تعظيم القرآن للمسيح وأمه ٣٤٣
المسلمون وسطٌ بين اليهود والنصارىٰ في الشريعة والعقيدة ٣٤٣
ذكر القرآن لقصة يحيىٰ وعيسىٰ عليهما السلام ٣٥١

ورود قصة مريم وعيسىٰ في سورتين مكية ومدنية ٣٥٥
المراد بـ «روح القدس» وضلال النصارىٰ فيه ٣٥٦
المضاف إلىٰ الله نوعان: إضافة صفة وإضافة عين ٣٦٠
اختلاف الناس في هذا الباب ٣٦٤
اضطراب النصارىٰ في كلام الله ٣٦٦
من تفاسير النصارىٰ الباطلة وتحريفهم لآيات القرآن ٣٧٠
بطلان تفسيرهم قوله تعالىٰ: (فيكون طيرًا بإذن الله) ٣٧٤
المراد بقوله تعالىٰ: (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا) ٣٧٧
معنىٰ تأييد عيسىٰ عليه السلام بروح القدس ٣٨٠
الرهبانية التي ابتدعها النصارىٰ وتفسير آية سورة الحديد ٣٨٦
الآيات التي فيها ثناءٌ علىٰ أهل الكتاب والمراد بها ٣٩٣
كيف ذكر القرآن معابد أهل الكتاب من الصوامع والبيع ٤٠٤
الرد علىٰ زعم النصارىٰ أن القرآن أوجب لهم التمسك بدينهم ٤٠٩
الرد علىٰ استدلال النصارىٰ بالقرآن علىٰ ما يعتقدونه في الحواريين ٤١٢
الحواريون رسل المسيح لا رسل الله المذكورون في القرآن ٤١٣
الرد علىٰ من زعم أن الحواريين هم (المرسلون) في سورة يس ٤٢٦
تتمة الرد علىٰ استدلال النصارىٰ بآيات القرآن علىٰ الحواريين ٤٣٤
اختلاف بني آدم علىٰ وجهين ٤٣٥
المسلمون علىٰ الحق والعدل بين طرفي الباطل من اليهود والنصارىٰ ٤٣٧
توجيه شهادة القرآن للحواريين بأنهم أنصار الله ٤٤٢
الرد علىٰ زعم النصارىٰ تعظيم القرآن لما بين أيديهم من الكتب وبيان معاني الآيات التي احتجوا بها ٤٤٤
دلالة النصوص علىٰ أن الله لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه ٤٦٢
هل يمكن ألا يبين للناظر المجتهد صدق الرسول؟ وإذا لم يتبين له هل يستحق العقوبة في الآخرة؟ ٤٦٥

طريقة المصنف في مناظرة أهل الكتاب ٤٦٧
حكم من اعتقد من أهل الكتاب المؤمنين بعيسىٰ أنه صُلِب ٤٦٩
نزاع الناس في حسن الأفعال وقبحها ٤٧١
أسباب ضلال النصارىٰ وأمثالهم من الغالية ٤٧٥
من صور تمثّل الشياطين بالإنس لإضلال الناس ٤٧٧
مسيح الهدىٰ ومسيح الضلالة ٤٨٩
سبب ضلال الناس بالخوارق التي تضل بها الشياطين بني آدم ٤٩١
من حيل النصارىٰ ومخاريقهم ٤٩٢
ومن حيل أهل الإلحاد المبدلين لدين محمد ﷺ ٤٩٣
الجواب عن بعض استدلالات النصارىٰ بالقرآن علىٰ الإنجيل والحواريين ٤٩٨
عامة علماء المسلمين علىٰ أنه ليس في النساء نبيَّة ٥٠٠
الكلام علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ ٥٠٤
وجه تصديق القرآن للكتب السابقة ٥١٤
الإيمان بجميع رسل الله وكتبه ٥١٥
فهرس موضوعات المجلد الأول ٥١٩

* * *

فهرس موضوعات المجلد الثاني

الموضوع	الصفحة
فصل: دعوىٰ أن القرآن صدَّق ما خالفوا به من شرائع المرسلين	٥
فصل: اتصال الكلام في دعوىٰ أن القرآن أقرّ ما هم عليه من الباطل	١٠
فصل: ادعاؤهم بأن خبر محمد ﷺ يناقض خبر الأنبياء قبله	١٤
أهل الكتاب يطالَبون فيما يعارِضون به المسلمين بثلاث مقدّمات	١٧
فصل: حجج الجمهور في المنع من كون الكتب المتقدمة لم يقع فيها تبديل	٢٢
فصل: ليس مع النصارىٰ نقل ثابت بألفاظ الأناجيل	١٤
فصل: إبطال نسبة القول للمسلمين بأن التبديل وقع بعد بعثة الرسول ﷺ	٣٢
الجواب عن قولهم: إن جميع الرسل كانوا في الجحيم في حبس الشيطان	٣٤
مقدار ما بُدِّلَ من ألفاظ التوارة والإنجيل	٣٩
بعض المعاني التي اتفقت عليها جميع الشرائع ولا نسخ فيها	٥٣
فصل: الرد من وجوه متعددة علىٰ تشبيه النصارىٰ كتبهم بالقرآن	٥٩
الفرق بين القرآن وبين الحكمة التي أنزلها الله علىٰ رسوله	٦٩
فصل: زعم النصارىٰ بأنه لا يمكن تغيير كتبهم التي كتبت باثنين وسبعين لسانًا	٧٨
فصل: عدم التبديل في التوراة بحجة نقلها عن عزير أو أن المسيح أقرها	٨٢
فصل: جواب من قال إن التغيير لبعض ألفاظ وقع بعد بعثة الرسول ﷺ	٨٥
الرد علىٰ النصارىٰ من وجهين في دعوىٰ عدم تغيير شيء من كتبهم	٨٧
فصل: ظهور الجواب من وجوه عمن ادعىٰ اتفاق ألفاظ نسخ أهل الكتاب	٩٢
فصل: استدلال النصارىٰ بالقرآن علىٰ باطلهم	٩٥
فصل: حكم القرآن بكفر اليهود والنصارىٰ	١٠١
فصل: استدلال النصارىٰ بالقرآن علىٰ عدم محاجتهم	١٠٥
فصل: دعوة القرآن للإخلاص شاملة لأهل الكتاب وغيرهم	١١٠

فصل: أمر المؤمنين أن يقولوا الحق لتقوم به الحجة علىٰ المخالف ١١٥
فصل: دعوىٰ اتصاف اليهود بالظلم وبيان إلحادهم في تفسير القرآن ١١٦
فصل: ضوابط في الأخبار التي ينقلها أهل الكتاب عن الأنبياء ١٢٤
فصل: بيان أنواعٍ من كفر النصارىٰ وأن بعضه أعظم من كفر اليهود ١٢٥
فصل: اعتدال المسلمين بين طرفي ضلال اليهود والنصارىٰ ١٢٧
فصل: إبطال دعوىٰ النصارىٰ في أن القرآن نفىٰ عنهم اسم الشرك ١٣٢
فصل: الرد علىٰ النصارىٰ في استدلالهم بالقرآن علىٰ أنهم سواء كالمسلمين ١٤٢
فصل: دعوىٰ النصارىٰ بأن المائدة هي القربان المقدَّس ١٤٥
فصل: تعظيم الإسلام لحق المسيح عليه السلام ١٤٧
فصل: إلزام النصارىٰ فيما ينقلونه عن الأنبياء بأربع مقدمات ١٥٣
فصل: وجوب إقامة الدليل علىٰ ما تنازعت به الأمم من تفسير كتب الأنبياء ١٦٢
فصل: دعوىٰ النصارىٰ بأن محمدًا رسول الله لم يرسل إليهم ١٦٤
فصل: زعم النصارىٰ أن الرسول كان يشك هل المهتدي المسلم أم المشرك؟ ١٦٦
فصل: رسول الله لا يتعدىٰ حد الرسالة ولا يدعي المشاركة في الإلهية ١٦٨
فصل: من عجائب جهل النصارىٰ دعواهم بأنهم المعنيّون بالذين أنعم الله عليهم ١٧٣
بيان معنىٰ الصراط في لغة العرب ١٨٣
فصل: تعبير النصارىٰ عن التثليث بألفاظ لم يدل عليها عقل ولا شرع ١٨٥
المراد بلفظة «روح القدس» ١٩٥
الرد علىٰ قول النصارىٰ إنه لا يمكن حدوث الأشياء من ذواتها للتضاد ٢٠٠
فصل: الرب تعالىٰ موصوف بصفات الكمال ٢٠٥

فصل: طرق معرفة صفات الرب ٢١٠
فصل: بيان فساد مقصد النصارىٰ في اقتصارهم علىٰ ثلاثة أسماء ٢١٦
فصل: إبطال قول النصارىٰ إن المراد بالأب اللاهوت من خمسة أوجه ٢٢٨
فصل: الرد عليهم في بطلان ماذهبوا إليه في معنىٰ الروح ٢٣٣
فصل: اشتراك غير المسيح بنسبة روح القدس إليه يبطل مذهب النصارىٰ فيه ٢٣٤
فصل: احتجاجهم بقوله: بكلمة الله تشددت السماوات والأرض ٢٣٦
فصل: دعواهم بأن روح الله تعني حياة الله ٢٣٩
فصل: لا حجة للنصارىٰ فيما ادعوه في (كلمة الله) ٢٤٢
فصل: استدلالهم علىٰ الأقانيم الثلاثة بما ينقلونه عن المسيح بالتعميد ٢٤٥
فصل: خلاصة القول أنه ليس للنصارىٰ فيما ادعوه مستند شرعي ولا عقلي ٢٤٩
فصل: زعم النصارىٰ بأن لهم في القرآن حجة علىٰ الأقانيم ٢٥٠
فصل: دعواهم بأن معنىٰ روح القدس حياة الله ٢٥٥
فصل: قوله: «وكلم الله موسىٰ تكليما» حجة عليهم لا لهم ٢٥٨
فصل: قالوا: «فنفخنا فيه من روحنا» يعني حياته التي هي صفته ٢٥٩
فصل: كلام الله تعالىٰ منزل غير مخلوق منه بدأ ٢٦٠
فصل: قولهم إن الأقانيم صفات جوهرية تجري مجرىٰ الأسماء ٢٦٣
الرد علىٰ أصحاب أفلاطون فيما ما يسمونه بالمثل الأفلاطونية ٢٦٨
الرد علىٰ علىٰ المتفلسفة اليونان أتباع أرسطو «المشائين» ٢٧٢
فصل: قولهم: إن صفات الرب سبحانه قد تباينه وتنفصل عنه ٢٧٨
فصل: لو اجتمع عشرة نصارىٰ لتفرّقوا عن أحد عشر قولًا في التوحيد ٢٨٠
فصل: فساد قول النصارىٰ في التبعيض والتجزئة ٢٨١
الرد علىٰ النصارىٰ في معنىٰ الانبثاق ٢٨٥
فصل: اتحاد اللاهوت بالناسوت أمر ممتنع في صريح العقل والنقل ٢٨٨
الناس لهم في كلام الله عدة أقوال ٢٩٠

النصارىٰ قولهم باطل علىٰ كل قول	٢٩٢
الكلام علىٰ (الحجاب) في قوله تعالىٰ: «أو من وراء حجاب»	٢٩٧
المقصود من بيان النبي ﷺ العلامات الظاهرة للمسيح الدجال	٣٠٠
فصل: نقض دعواهم بأن الله ظهر في عيسىٰ ﷺ	٣٠٧
معنىٰ حديث: «من عادىٰ لي وليًّا فقد آذنته بالحرب»	٣١٠
قد يطلق لفظ الحلول والاتحاد ويراد بهما معنىٰ صحيح	٣١٧
فصل: دعواهم الحلول في ذات عيسىٰ عليه السلام والاتحاد به	٣٢٢
فصل: بعض المسائل التي لا ينازع المسلمون فيها النصارىٰ	٣٢٤
فصل: تقرير إتيان عيسىٰ عليه السلام وأنه حجة علىٰ اليهود	٣٢٥
فصل: احتجاجهم بقول أرميا النبي أن عيسىٰ هو الله	٣٢٧
فصل: نقض احتجاجهم علىٰ الحلول والاتحاد بقول أشعيا النبي	٣٣٠
فصل: استدلالهم بقول زكريا النبي علىٰ الحلول والاتحاد	٣٣٣
فصل: الرد علىٰ استدلالهم بقول عاموص النبي	٣٣٩
فصل: تابع لردود المصنف علىٰ إبطال ما يستدلون به علىٰ الحلول والاتحاد	٣٤٢
فصل: نقلهم عن ميخا النبي مستدلين به علىٰ الحلول والاتحاد	٣٤٥
كثير من اليهود والنصارىٰ يتنقصون من سليمان عليه السلام ويطعنون فيه	٣٥١
فصل: استدلال النصارىٰ بما نقلوه عن حبقوق وأرميا في الحلول والاتحاد	٣٥٥
حديث دخولِ جماعةٍ من الصحابة علىٰ المقوقس	٣٥٨
الكلام في المقصود من ظهور الله عز وجل	٣٦٢
فصل: استدلال النصارىٰ بما نقلوه عن حبقوق وأرميا في الحلول والاتحاد	٣٦٤
فصل: تابع لنقض استدلالهم علىٰ الحلول بما نقلوه عن أشعيا النبي	٣٦٧
فصل: تابع كذلك في نقض استدلالهم علىٰ الحلول بما نقلوه عن أشعيا النبي	٣٦٩
فصل: قالوا عن أشعيا: من أعجب الأعاجيب أن رب الملائكة سيولد من	٣٧٢

البشر
فصل: استدلالهم علىٰ الحلول بأنه واقع بكثرة في كتب الله المنزلة ٣٧٤
فصل: كفر اليهود بالمسيح عليه السلام ٣٨٥
فصل: نقض دعواهم بأن السُّنَّةَ المختارة قد تسلموها من الرسل الأطهار ٣٩٠
فصل: استدلالهم علىٰ الأقانيم بأن الله قال: لنخلق خلقًا علىٰ شبهنا ومثالنا ٣٩٣
تنازع الناس في لفظ الشبه والمثل ٣٩٦
فصل: استدلالهم علىٰ ربوبية الابن بقوله: وأمطر الرب من عند الرب ٤٠١
فصل: تابع للرد عليهم في استدلالهم علىٰ ربوبية المسيح بقول دواد عليه السلام ٤٠٣
فصل: تابع للرد عليهم في استدلالهم علىٰ ربوبية المسيح عليه السلام ٤٠٥
فصل: استدلالهم علىٰ الثلاثة أقانيم بقول: أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب ٤٠٧
فصل: نقض استدلالهم بشهادة أشعيا بتحقق الثالوث ٤١٠
فصل: استدلالهم علىٰ التثليث بقولهم: قدوس قدوس قدوس ٤١٣
فصل: افتراء النصارىٰ علىٰ اليهود بأنهم كفروا من أجل إنكار الثالوث ٤١٥
فصل: ادعاؤهم التثليث اعتمادًا علىٰ ما زعموه من بيان واضح في كتب الأنبياء ٤١٦
فصل: إلزام النصارىٰ مما نفوه من القول بالتثليث وتعدد الآلهة ٤٢٢
تمثيل النصارىٰ صفات الله بصفات الشمس والنار والنفس ٤٣٢
فصل: احتجاج النصارىٰ بالقرآن علىٰ باطلهم ٤٣٧
أهل الملل متفقون علىٰ عصمة الرسل في البلاغ عن الله ٤٤٠
فصل: تفسيرهم لتجسم كلمة الله بالمسيح وأنه اتحاد بريء من الاختلاط وغيره ٤٤٦
فصل: نقض دعواهم في استدلالهم بالقرآن علىٰ اتحاد اللاهوت ٤٦٣

بالناسوت
معنىٰ قوله تعالىٰ: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ٤٦٨
بيان معنىٰ التوفّي في لغة العرب ٤٧١
فصل: زعمهم بأن المسيح خالق لكون القرآن سماه خالقًا ٤٧٤
فصل: استدلالهم علىٰ الحلول بقوله: إن مثل عيسىٰ عند الله كمثل آدم ٤٨٣
ضلال النصارىٰ في تأويل إلقاء الله كلمته إلىٰ مريم ٤٩٠
معنىٰ قوله: «بروح منه» ٤٩٤
معنىٰ قوله تعالىٰ: «وما يعلم تأويله إلا الله» الآية ٤٩٧
فهرس موضوعات المجلد الثاني ٥٠١

* * *

فهرس موضوعـات المجلد الثالث

الموضوع	الصفحة
* (فصلٌ): في بيان اضطراب النصارىٰ في طبيعة المسيح	٥
- إبطال قول النصارىٰ: (في السيد المسيح طبيعتان: طبيعةٌ لاهوتيّة، وطبيعةٌ ناسوتيّة) وبيان اختلافهم في ذلك	٥
- ما نقله كثيرٌ من نُظّار المسلمين عن النصارىٰ يوجد كثير منهم علىٰ خلافه	٦
* نُقولَ أبي المعالي وصاحبه أبي القاسم الأنصاري عن النصارىٰ في طبيعة المسيح	٦
- اختلافهم في الأقانيم	٧
- اختلافهم في معنىٰ الاتحاد	٧
- اختلافهم في الفرق بين الجوهر والأقانيم	٨
* نُقولَ أبي الحسن ابن الزاغوني عن النصارىٰ في طبيعة المسيح	٩
- اختلافهم في الأقانيم	١٠
- اختلافهم في الكلمة الملقاة علىٰ مريم	١١
- اختلافهم في الاتحاد	١٢
- كلام أبي محمد ابن حزم في بيان تفرّق النصارىٰ واختلافهم في المسيح	١٣
- أصحاب «أريوس»	١٤
- أصحاب مقدنيوس	١٤
- البربرانيّة	١٥
- قوله: وهذه الفرق قد بادت، وعمدتهم اليوم ثلاث فرق:	١٥
- المَلَكانيَّة	١٥
- النسطورية	١٦
- اليعقوبية	١٦
* رسالة الحسن بن أيوب إلىٰ أخيه عليّ، وهو ممن أسلم علىٰ بصيرة بعد الخبرة بكتبهم ومقالاتهم	١٧

- **مقارنته بين مذاهب النصارىٰ ومقالاتهم في المسيح عليه السلام** ٢٠
- مذهب «الأريوسية» الموحّدين والمعترفين بعبودية المسيح ٢٠
- مذهب «اليعقوبية» القائلين بأن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين ٢١
- مذهب «المَلَكانيَّة» القائلين بأن المسيح شخص واحد له طبيعتان، ولكل منهما مشيئة ٢١
- مذهب «النسطورية» القائلين بأن المسيح شخصان وطبيعتان لهما مشيئة واحدة ٢٣
- ردُّ الحسن بن أيوب علىٰ اليعقوبية ٢٣
- ردُّه علىٰ المَلَكانيَّة ٢٤
- تعليق من المصنف علىٰ كلام الحسن بن أيوب في ردّه علىٰ المَلَكانيَّة ٢٥
- ردُّ الحسن بن أيوب علىٰ «النسطورية»، وأن معنىٰ قولهم يعود إلىٰ قول اليعقوبية ٢٥
- ردُّه علىٰ قول النصارىٰ: «إن مريم ولدت المسيح بناسوته» ٢٦
- **نصّ «قانون الإيمان النّيقي» عند النصارىٰ، كما أورده الحسن بن أيوب** ٢٧
- **نقد الحسن بن أيوب لقانون شريعة النصارىٰ:** ٢٨
- أوجهٌ أربعةٌ نستدل بها علىٰ صحة الشريعة من سقمها ٣١
- الوصف بالبنوة وقع في الكتاب المقدس ـ عندهم ـ لغير المسيح ٣٣
- وجهٌ من مخالفة النصارىٰ لما جاء في الإنجيل ٣٥
- نقْدُه عقيد الاتّحاد، واستدلاله بنصوص الكتاب المقدس ـ عندهم ـ ٣٨
- نقده عقيدة البنوّة . ٤٠
- بيان مخالفة «النسطورية» لقانون الإيمان، وتكفيرهم سائر الفرق من المَلَكانيَّة واليعقوبية ٤١
- الأدلة من الإنجيل علىٰ خلق المسيح وعبوديته ٤٨
- الجواب عن استدلالهم بإحيائه الموتىٰ وإبرائه الأكمه والأبرص وغير ذلك علىٰ ألوهيته . ٤٩

- تعليق المصنف على ما يورده الحسن بن أيوب من نصوص الكتاب المقدس ـ عندهم ـ وأن عامة ما يذكره تعترف به النصارىٰ، وربما نازعه بعضهم في يسير من الألفاظ ٥٥
- رجوع إلىٰ كلام الحسن بن أيوب في الاستدلال بنصوص الإنجيل علىٰ بطلان ألوهية المسيح ٥٥
- تشبيه المسيح بالكاهن «ملكيز داق» دليل علىٰ أنه عبدٌ مخلوق . ٥٩
- الشبهات حول بنوّة المسيح والرد عليها ٦٣
- الرد علىٰ زعمهم أن المسيح لا يتّجه إلىٰ الله عند ظهور المعجزات علىٰ يديه، بخلاف من قبله من سائر الأنبياء ٦٤
- إبطال ما تعلّقوا به في إثبات ألوهية المسيح بما جاء من غفرانه ذنوب بعض أصحابه، والغفران لا يكون إلا من الله ٦٥
- إبطال الاستدلال علىٰ ألوهية المسيح بتسميته ربًّا في بعض النصوص ٦٦
- الرد علىٰ استدلالهم بقول المسيح في الإنجيل: «أنا وأبي واحد» علىٰ إثبات ألوهيته ٦٧
- الرد علىٰ استدلالهم بقوله: «أنا قبل إبراهيم» علىٰ إثبات ألوهيته ٦٧
- إبطال تعلقهم في ألوهية المسيح بأن تلاميذ المسيح كانوا يعملون الآيات باسمه ٦٩
- **الاستدلال علىٰ عبودية المسيح بقوله عن يوم القيامة: «إن ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعرفه أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن أيضًا، ولكن الأب وحده يعرفه»** ٧٠
- تشبيه المصنف قول النصارىٰ بأقوال الملاحدة المتبعين لفلاسفة اليونان، من فتح باب الإلحاد في كتب الله المنزلة، بحمل الألفاظ النبوية الشرعية علىٰ المعاني التي أرادوها ٧٢
- مناقشة الملاحدة في تقسيم الإحداث إلىٰ: ذاتي وزماني، وصرفهم معنىٰ الخلق إلىٰ الإحداث الذاتي ٧٣

- أمثلة علىٰ تحريف الملاحدة نصوص الكتب الإلهية المنزّلة ٧٥
- أمثلة علىٰ تحريف النصارىٰ نصوص الكتب الإلهية المنزّلة والردّ عليهم ٧٦
- العقول العشرة والنفوس الفلكية عند الفلاسفة ٧٧
- تنزيه الكتب الإلهية الربَّ سبحانه عن الأفعال المذمومة، كما نزّهته عن صفات النقص ٧٨
- تقرير التوحيد وسد ذرائع الشرك، وأصول المحرمات المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ...﴾ [الأعراف: ٣٣] كله مما اتفقت عليه شرائع الأنبياء، بخلاف تحريم الطيبات عقوبةً ٨١
* **(فصلٌ): رجوعٌ إلىٰ كلام الحسن بن أيوب، ودليلٌ آخر من كلام المسيح يبطل دعوىٰ ألوهيته، وذلك قوله: «ليس الخيِّرُ إلا الله وحدَه»** ٨٣
- مناقشة النصارىٰ في عقيدة الأقانيم ونقدها ٨٤
* **نصوص النصارىٰ الدالة علىٰ بشريّة المسيح؛ منها:** ٨٨
- قول المسيح: «طوبىٰ لك يا سمعان ابن يونان، إنه لم يطلعك علىٰ هذا لحم ولا دم، ولكن أبي الذي في السماء» ٨٩
- وقوله: «إن الله إلهي وإلهكم وأبي وأبوكم» ٩٠
- وقوله: «إن ذلك شيء لا يعلمه أحدٌ من الخلق، ولا الملائكة المقرّبون، ولا الابن ـ يعني نفسه ـ إلا الله وحده» ٩١
- وقوله للمرأة التي جاءته فقالت: أنت ذلك النبيُّ الذي كُنَّا ننتظر مجيئه؟: قال: «صدقتِ، طوبىٰ لكِ» . ٩١
- وقوله: «أَمِرْنا ألّا نسجد إلا لله وحده، ولا نعبد سواه» . ٩١
- وقوله عن نفسه: «هو يسوع الناصريُّ النبيُّ الذي من الناصرة» ٩٢
- وقوله: «اخرجوا بنا من هذه المدينة، فإن النبيَّ لا يُبَجَّل في مدينته» ٩٢
- وقوله: «لا يُهان نبي إلا في مدينته وفي بيته وأقاربه» ٩٢
- وقوله: «وإن هاهنا أفضل من يونس» ٩٢
- وقول داود في نبوته عليه: «من هذا الرجل الذي ذكرتَه وجعلتَه دون ٩٢

الملائكة قليلًا»
- وقصته مع «شمعون الصفا» ٩٣
- وقصته مع الذي شكا له خبر ابنته وما ينالها من الشيطان ٩٣
- ومنها: ما جاء في الإنجيل أن رؤساء الكهنة كانوا يُنزلونه منزلة النبي ٩٤
- وقوله: «ليس إلىٰ ذلك سبيل، لأنه ليس لي أن أعطيَه، ولكن مَن وعَدَ له أبي» ٩٤
- وقوله لتلاميذه: «فإني أعدكم كما وعدني أبي الملكوت لتأكلوا وتشربوا معي علىٰ مائدتي في ملكوتي» ٩٥
- وقوله لشمعون: «أم تظن أني لستُ قادرًا أن أطلب إلىٰ أبي فيقيم لي اثني عشر جندًا ملائكة أو أكثر» ٩٦
- وإقرار النصارىٰ بأن المسيح مولود من أبيه، وكل مولود مفعولٌ مخلوقٌ؛ إذن فالمسيح مخلوق ٩٦
- ومنها: ما افتتح به «متَّىٰ» إنجيله بقوله: «كتاب مولد يسوع المسيح ابن داود بن إبراهيم» ٩٧
- وقول جبريل لمريم: «إنه ابن داود» ٩٨
- ومنها: ما ذكر في شريعة الإيمان عندهم أن يسوع المسيح: «بِكْر الخلائق» ٩٨
- وقول داود: «من أجل هذا البر مسحك الله إلهك، أكثر مما مسح به نظراءك» ٩٩
- في «الإنجيل» و«كتب بولس» نحوٌ من عشرين ألف آية كلها تنطق بعبودية المسيح ١٠٠
*** توجيه النصوص المشكلة التي استدل بها النصارىٰ علىٰ ألوهية المسيح، منها:** ١٠٠
- قول المسيح: «أنا بأبي» ١٠١
- وقوله متضرّعًا إلىٰ الله في تلاميذه: «يا أيها الربُّ القدُّوس احفظهم باسمك الذي أعطيتني؛ ليكونوا هم أيضًا شيئًا واحدًا، كما أنا شيءٌ واحدٌ» ١٠١

- وقوله: «إني قد منحتُهم من المجد الذي أعطيتَني ومنحتَني؛ ليكونوا أيضًا شيئًا واحدًا، كما أنا شيءٌ واحدٌ، فأنا بهم وأنت بي» ١٠١
*** خاتمة رسالة الحسن بن أيوب**، في بيان اختلاف النصارىٰ في أصل دينهم، واتفاق المسلمين في أصل الدين، وإن اختلفوا في بعض فروعه ١٠٣
*** نقْلٌ مطوَّل عن كتاب: «نظم الجوهر» لمؤرّخ النصارىٰ: ابن البطريق، وسَرْد ما ذكره من تاريخ النصرانية، وأخبار النصارىٰ واختلاف طوائفهم، وما أورده انتصارًا لقول «المَلَكِيَّة»** ١٠٦
- ذكره مولدَ المسيح وأنه ولد في عهد ملك الروم «أغسطس» لثنتين وأربعين سنة من ملكه ١٠٧
- **ظهور «يحيىٰ بن زكريا» في خمس عشرة سنة من ملك «طيباريوس بن أغسطس» وتعميده اليهود** ١٠٨
- عزْم «طيباريوس» علىٰ الدخول في النصرانية بعد دعوة «بلاطس البنطي» له، ثم نكوصه عن ذلك؛ موافقة لأتباعه ١٠٨
- في عصر «طيباريوس» بُنيتْ مدينة: «طبرية»، مشتقة من اسمه ١٠٨
- ما وجده تلاميذ المسيح بعد موت «طيباريوس» من اليهود والروم من تعذيب وشدّة ١٠٩
- كتابة «متىٰ» إنجيله بالعبرانية في «بيت المقدس»، وتفسير «يوحنّا» له من العبرانية إلىٰ الرومية ١٠٩
- دعوة «مرقس» إلىٰ النصرانية في الإسكندرية، وترسيمه «حنانيا» الإسكافي بطريركًا عليها، ووضعه طريقة تنصيب «البطريرك» من بعده، ثم خروجه بعدها إلىٰ «برقة» ١٠٩
- تولّي «نارون بن قلوديوس» الملك، وما أهاجه علىٰ النصارىٰ من شر وبلاء ١١١
- كتابة «بِطْرُس» إنجيل «مرقس» عنه، وكذا كتابة «لوقا» إنجيله بالرومية في عصر: «نارون» ١١١

- قتل «نارون» لبِطْرُس ومرقس، وصلْبه الأول منكّسًا، وإحراقه الثاني بالنار ١١٢
- تخريب «طيطس» بيت المقدس، بعد المسيح بسبعين سنة، وقتل من كان فيها من النساء والأطفال ١١٣
- تولي «ذوماطيانوس» الملك، وشدّته علىٰ اليهود والنصارىٰ، وهروب «يوحنّا» إلىٰ «افسس»، ثم عفوه عنهم بعد ذلك ١١٣
- تولّي «طرايانوس» الملك، وإثارته البلاء والحزن علىٰ النصارىٰ ١١٤
- كتابة «يوحنّا» إنجيله بالرّومية في جزيرة يقال لها: «تيمرا» في عصر «طرايانوس» ١١٥
- تولّي «اندريانوس» الحكم، وما لقيه أهل مصر وبيت المقدس من بلائه ١١٦
- خراب بيت المقدس، وهروب اليهود إلىٰ مصر والشام وإلىٰ الجبال والغور ١١٧
- تولّي «مرقس اوريليوس» الملك، وما أثاره علىٰ النصارىٰ من بلاء وجوعٍ ووباء ١١٨
* **(فصلٌ): في حساب فِصْح النصارىٰ وصومهم، وكيف يستخرج من فِصح اليهود** ١٢٠
- تقلّد «قمودوس» المُلك برومية، الذي كان في عصره: «جالينوس» و«ديمقراطيس» الحكيمان ١٢١
- تولّي «سويرس قيصر»، وما أهاجه علىٰ النصارىٰ من بلاء وعذاب ١٢٣
- تولّي «غرديانوس» المُلك، وظهور «ماني» في عصره مدّعيًا النبوة، ومبتدعًا دين المانيّة ١٢٤
- تولّي «داقنوس» الملك، وما جرّه علىٰ النصارىٰ من بلاء وعذاب شديد ١٢٥
- قصة هروب الغلمان السبعة إلىٰ الكهف؛ خوفًا من «داقنوس»، وبنائه الباب عليهم ليموتوا ١٢٦
- ظهور «بولس الشِّمْشاطي»، وبيان مقالته في التوحيد وبشريّة عيسىٰ ١٢٨
- مجمع «أنطاكية» المنعقد سنة (٢٦٨م)، والذي أوجبوا فيه لعن «بولس» ١٢٨

ومن يقول بمقالته

- بناء «نارون» البطرك كنيستَي: «حنّا» و«مار مريم» في الإسكندرية في عهد «أوراغوس» ١٢٩
- تولّي «قاروس» مُلك الإمبراطورية الرومانية، وشدته علىٰ النصارىٰ، وقتله «قزمان» و«دميان» ١٣٠
- تولّي «دقيطانيوس» وما جرّه علىٰ النصارىٰ من بلاء وفتنة، وقتله: «ماري جرجس»، و«ماري مينا»، و«ماري بقطر»، وغيرهم ١٣٠
- تصيير «بِطْرُس» الملقب بخاتم الشهداء بطركًا علىٰ الإسكندرية، وقتله بعد ذلك ١٣١
- ظهور «أريوس» بالإسكندرية، ودعوته إلىٰ التوحيد والقول ببشرية المسيح ١٣٢
- تحذير «بِطْرُس» تلميذيه: «أشلا» و«الاكصندروس» من مقالة «أريوس» ١٣٢
- تولّي «غلاريوس» و«مكسنتيوس» وما أثاراه علىٰ النصارىٰ من بلاء لم يفعله أحد من الملوك قبلهم ١٣٣
- تولّي «قسطس أبو قسطنطين» علىٰ «بزنطية» وما والاها، وتقديمه النصارىٰ، وحبّه لهم ١٣٣
- زواج «قسطس» من «هيلانة»، وولادتها «قسطنطين» ١٣٤
- هروب «قسطنطين» من «غلاريوس» إلىٰ «بزنطية»، وموت أبيه بعد أن سلّمه الملك ١٣٥
- محاربة «قسطنطين» لمكسنتيوس، بعد استغاثة أهل «رومية» به، وانتصاره عليهم ١٣٦
- تهيّؤ «غلاريوس» لقتال «قسطنطين»، وهلاكه بعد أن انهزم من بين يديه، ثم كيف صبّ الله عليه عذابًا مات به ١٣٧
- دخول «قسطنطين» في النصرانية، بعد أن مَلَكَ الدنيا في هدوء وسلامة ١٣٨
- اعتلاء «الأكصندروس» كنيسة الإسكندرية، ولعنه «أريوس» ومنعه من ١٣٩

دخول الكنيسة
- عيد «ميكائيل الملاك» وكنيسته في الإسكندرية ١٣٩
- استعداء «أريوس» علىٰ «الاكصندروس» عند «قسطنطين» ومناظرته له بين يديه، السببَ الذي أدّىٰ إلىٰ عقد مجمع «نيقية» ١٤١
*** مجمع «نيقية» المنعقد سنة (٣٢٥م)، في سبع عشرة سنة من ملك «قسطنطين»، بحضور ألفين وثمانية وأربعين أسقفًا من مختلف الآراء والمذاهب** ١٤٢
- اتفاق ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا علىٰ رأي واحد، وظهورهم علىٰ باقي الأساقفة، وتمكين الملك لهم برئاسة «الاكصندروس» بطريرك الإسكندرية، بعد لعنهم مقالة «أريوس»، ونفيهم له ١٤٤
- التغيير في «عيد الفصح» عند النصارىٰ وتمييزه عن فِصح اليهود ١٤٥
- قول ابن البطريق: «وسنّ قسطنطين الملك ثلاث سنن» ١٤٥
- قصة طلب «قسطنطين» وأمه «هيلانة» موضع المقبرة والصليب، وبناء الكنائس ١٤٦
- مجمع «بيت المقدس»، ومناصرة «مانيوس» لـ «أريوس»، ومناظرته بَطْرَك الإسكندرية ١٤٨
*** (فصل): أمْر «قسطنطين» بألا يسكن بيتَ المقدس يهوديٌّ، وبقتْل من لم يتنصّر، وامتحان اليهود في تنصّرهم بأكل لحم الخنزير؛ لعلمه بتحريمه عليهم في التوراة** ١٥١
- جواب «بولس البترك» عن استشكال «قسطنطين» أن يكون لحم الخنزير محرّمًا في التوراة ثم يأكله النصارىٰ ١٥١
- أبناء «قسطنطين» الثلاثة، ومحاولة «أريوس» وأصحابه إقناع الملك بعقيدة التوحيد ١٥٣
- ادّعاء النصارىٰ ظهور الصليب علىٰ «الأقرانيون» في ذلك العصر، وغلبة مقالة أريوس فيه علىٰ القسطنطينية، وأنطاكية، وبابل، والإسكندرية ١٥٤

- تولّي «يوليانوس» الحكم، بعد أن ارتدّ عن النصرانية، ومحاولته حمل الناس علىٰ الوثنيّة ١٥٥
- ابتداع «الرّهبنة» وظهور أول راهب سكن البريّة وبنىٰ الديارات في مصر، ثم آخر بالشام ١٥٧
*** «مجمع القسطنطينية» في عهد «ثذوس» بعد أن شَكَوا إليه اختلاف آراء النصارىٰ وكثرة مقالاتهم، وغلبة عقيدة «أريوس»** ١٥٨
- اتفاقهم في مجمع «القسطنطينية» علىٰ لعن «مقدونيوس»، وأسقف «لونية»، و«بوليناريوس» وأتباعهم، وتثبيتهم أن روح القدس خالقة، وأن الأب والابن جوهر واحد وطبيعة واحدة ١٥٩
- امتحان المنانية بأكل اللحم، إذ كانوا لا يرون أكله، ويعتاضون عنه بالسمك ١٦٠
- المنانية صنفان: السماعون والصديقون، وردّ ابن البطريق عليهم في تحريمهم أكل اللحم ١٦١
- قصة ظهور الفتية الذين كانوا قد اختبأوا في الكهف؛ هربًا من «داقنوس» الملك ١٦٢
- تولّي «ثذوس الصغير ابن ثذوس»، وظهور «نسطور» القائل بأن مريم ولدتْ ابنين، أحدهما إلهٌ مولود من الأب، والآخر إنسانٌ مولودٌ من مريم ١٦٥
*** انعقاد مجمع «أفسس» إثْر الخلاف العقديّ بين بَطْرَك الإسكندرية و«نسطور»، وتمسّك كل منهما برأيه، مما اضطر الملك «ثذوس الصغير» للتدخل بعدها للإصلاح بينهما** ١٦٦
- موت «نسطور» في «إخميم» بصعيد مصر، بعد نفيه، وبعد أن درست مقالته أحياها في المشرق مطران «نِصِّيبين» في عصر «يوستينيانوس» ١٦٨
*** ردّ ابن البطريق علىٰ النسطورية، لمخالفتهم قولَ «نسطور» القديم، حيث قالوا إن المسيح جوهران وأقنومان، إله تام بأقنومه وجوهره، وإنسانٌ تامٌّ بأقنومه وجوهره** ١٦٩

- تعقيب المصنف علىٰ ردّ ابن البطريق، وبيان أن قول المَلَكِيَّة أشد بطلانًا من قول النسطورية، وكلاهما باطل ١٧٠
- رجوعٌ إلىٰ قول ابن البطريق في نقده عقيدة «النسطورية»، وإلزامهم بالقول بألوهية المسيح عند سؤالهم عن وقت اتحاد اللاهوت بالناسوت ١٧٥
- ردّ المصنف كلام ابن البطريق، وأن ما يُورِدُه علىٰ النسطورية يَرِد علىٰ الطوائف الأخرىٰ، وفيه دليل علىٰ بطلان قول النصارىٰ ١٧٦
- عَودٌ إلىٰ احتجاج ابن البطريق علىٰ النسطورية بالسؤال عن وقت اتحاد الكلمة بالإنسان ١٧٩
- مناقشة المؤلف احتجاج ابن البطريق، ودفعه بأن ما سأل عنه لازم للطوائف الثلاثة ١٧٩
*** رد ابن البطريق علىٰ من وصفهم بأئمة الضلالة: «نسطورس» و«أرطيوس»، و«ديسقورس»، و«سورس»، و«يعقوب البرادعي»، وأشياعهم** ١٨٦
*** مناقشة المصنف لكلام ابن البطريق، وبيان بطلانه من وجوه:** ١٨٨
- **الوجه الأول**: بيان بطلان قوله: إن من عظيم تدبير الله أنْ بعث كلمتَه الخالقةَ ليست مخلوقة، ولكن مولودةٌ منه، فهبطت والتحمتْ من مريم العذراء ١٨٨
- **الوجه الثاني**: بيان بطلان قوله: «بعث كلمتَه الخالقة التي بها خَلَق كلَّ شيء» ١٩٠
- **الوجه الثالث**: عدم تعيين المراد من قوله: «كلمةُ الله الخالقة» أهي كلامُ الله كلُّه، أم هي بعضُ كلام الله، أم هي المعنىٰ القائم بالذات القديم الأزليّ ١٩١
- **الوجه الرابع**: أن يقال لهم: هذا الكلام إن لم يُعلَم بالمعقول، فليس في المنقول ما يدل عليه، وأنتم لا تدَّعون أنكم عرفتموه بالعقل ١٩٣
- **الوجه الخامس**: كلام الأنبياء كلّه ينطق بأن روح الله وروحَ القدس ونحوَ ذلك هو ما نزَّله علىٰ الأنبياء، كالوحي والتأييد، أو الملائكة ١٩٤
- **الوجه السادس**: إذا كانت كلمته الخالقة قد هبطت، فهل رب العالمين هبط والتحم من مريم، أم لم يَهبط ولم يَلتحم، وإنما هبط والتحم الكلمة التي أرسلها؟ ١٩٤

- **الوجه السابع**: تناقضه في قوله: إن الله بعث كلمته الخالقة التي بها خَلَقَ كل شيء، فمع كونه جعلها خالقة، جعل أنه بها خَلَق كل شيء، والذي خَلَقَ بها كلَّ شيء ـ هو خالقٌ ١٩٥
- **الوجه الثامن**: أن الكتب دلَّتْ علىٰ أن المسيح تجسَّد من روح القدس، ومن مريم العذراء البتول، وهكذا هو في الأمانة التي لهم، وبهذا أخبر القرآن ١٩٧
- **الوجه التاسع**: إبطال قوله: «فاحتَجبت الكلمة الخالقة بإنسانٍ مخلوق خلقتْه لنفسها»، وقوله: «فكانت مسكنًا في حلوله واحتجابه لِلُطفها عن جميع ما لطُف من الخلائق كلهم» ٢٠٤
- **الوجه العاشر**: مناقشة قوله: «واعلم أنه لا يُرىٰ شيءٌ من لطيف الخلق إلا في غليظ الخلق، ولا يُرىٰ ما هو لطيف من اللطيف إلا مع ما هو أغلظ منه» ٢٠٥
- **الوجه الحادي عشر**: إبطال قوله: «وإنا وجدنا روح الإنسان العاقلةَ الكَلِمانية ـ يعنون النَّفْس الناطقة ـ ألطفَ من لطيف الخلق، فلذلك كانت أولىٰ خَلْق الله بحجاب الله» ٢٠٨
- **الوجه الثاني عشر**: إبطال قوله: «غير قوام الكلمة الخالقة الذي هو أحد التثليث الإلهي، فذلك القوام معدود معروف مع الناس، لـمَّا ضُمَّ إليه وخَلَقَه له التحم به من جوهر الإنسان» ٢١٠
- الدّوْر القبْلي والدّوْر المعيّ، وبيان الممتنع منهما والجائز ٢١٥
- الاتحاد الخاص من النصارىٰ يشبه من بعض الوجوه قولَ أهل الوحدة والاتحاد العام، كابن عربي، وغيره ٢١٦
- **أرباب الاتحاد بنَوْا قولهم علىٰ أصلين فاسدَيْن: أحدهما**: أن أعيان الممكنات ثابتة في العدم ٢١٧
- **الأصل الثاني**: أنهم جعلوا نفسَ وجودِ رب العالمين الخالق القديم الأزليّ الواجب بنفسه ـ هو نفسُ وجود المربوب المصنوع الممكن ٢١٨
- **بيان أن النصيرية** أتباع «أبي شعيب محمدِ بنِ نُصَيْر» يقولون في عليٍّ بن أبي طالب نظيرَ ما يقولُه النصارىٰ في المسيح، كذلك سائرُ الغلاة في علي، أو ٢٢٠

في أحدٍ من أهل بيته

- قول بعض أهل الاتحاد العام: ما ثمَّ وجود إلا وجود الحق، مع التفريق بين الوجود المطلق والمعيَّن ٢٢٣

- ردّ «أرسطو» وأتباعه علىٰ القائلين بوجود الكليّات المجرّدة عن الأعيان في الخارج ٢٢٤

- الوجود المطلق بشرط الإطلاق، والوجود المطلق لا بشرط ٢٢٥

- بيان أن النصارىٰ زعموا أن اللاهوت محتاج إلىٰ ما اتّحد به من الناسوت، وأهل الاتحاد زعموا أن رب العالمين محتاجٌ إلىٰ كل ما سواه من الأعيان الثابتة في العدم، وكلاهما علىٰ باطل ٢٣١

- مناقشة النصارىٰ في معنىٰ حلول الرب في المسيح، وأنه حلول الإيمان والمعرفة والهدىٰ ٢٣٢

*** (فصل): في مناقشة ابن البطريق في تشبيهه الحلول بشعاع الشمس الذي يملأ ضوءه ما بين السماء والأرض نورًا، فكذلك سكن الله في الناسوت من غير أن يفارقه الأب، والرد عليه من خمسة وجوه:** ٢٣٦

- الوجه الأول ٢٣٦

- الوجه الثاني ٢٣٧

- الوجه الثالث ٢٣٨

- الوجه الرابع ٢٣٨

- الوجه الخامس ٢٣٩

*** (فصل) في مناقشة ابن البطريق في تشبيهه الحلول بكلمة الإنسان المولودة من عقله تكتب في قرطاسٍ، فهي في القرطاس من غير أن تفارق العقل، وكذلك كلمة الله، ودَفْع ذلك من تسعة وجوه:** ٢٤١

- الوجه الأول ٢٤١

- الوجه الثاني ٢٤٢

- الوجه الثالث ٢٤٣

- الوجه الرابع ٢٤٣
- الوجه الخامس ٢٤٤
- الوجه السادس ٢٤٤
- الوجه السابع ٢٤٥
- الوجه الثامن ٢٤٧
- الوجه التاسع ٢٤٧
* **الجواب عن احتجاج النصارىٰ بأن في المسلمين من يقول: إن كلام الله حالٌّ في الصدور أو في القرطاس أو في المصحف من غير مفارقة، فكذلك قول النصارىٰ، وردُّ ذلك من وجهين:** ٢٤٨
* **(فصل): في بيان ابن البطريق معنىٰ الحلول وأنه من غير تغيّر ولا احتيال، وتقسيمه الخلطة إلىٰ ثلاثة أقسام:** ٢٦٣
- **القسم الأول**: خلطة الطبيعتين الثقيلتين، مع تغير واحتيال، كخلطة الخمر والماء ٢٦٤
- **القسم الثاني**: خلطة الطبيعتين الثقيلتين، مع افتراقٍ وانفصال، كخلطة الزيت والماء ٢٦٥
- **القسم الثالث**: خلطة الحلول بلا اختلاط ولا احتيال ولا فساد ولا فرقة ولا انقطاع، كخلطة النفس والجسد، وعلىٰ هذا الوجه دَبَّرتْ كلمة الله الخالقة خلطتَها للطبيعة البشرية ٢٦٨
* **مناقشة المصنف لكلام ابن البطريق في الخلطة وأنواعها وبيان ما فيه تناقض وأغاليط .** ٢٧٠
- إبطال تمثيل النصارىٰ الحلولَ والاتحادَ بالشمس مع الماء والطين، وبيان المعنىٰ الحق في لفظ (الحلول) ٢٨٠
- عوْدٌ إلىٰ أقسام الخلطة ومناقشتها ٢٨٧
* **(فصلٌ) في بيان ما أشار إليه السّرد التاريخي المتقدِّم عن ابن البطريق من** أن عامّة دين النصارىٰ ليس مأخوذًا عن المسيح، بل هو مما ابتدعه طائفة ٢٩١

منهم، وأن أول ملك أظهر دينهم هو «قسطنطين» بعد المسيح بأكثر من ثلاثمائة سنة

* **(فصلٌ) في حاصل ما ذُكر من الجواب عن قولهم: «في السيد المسيح طبيعتان، طبيعة لاهوتية، التي هي طبيعة كلمة الله وروحه، وطبيعة ناسوتية** التي أخذت من مريم العذراء واتّحدت به» ٢٩٥

- **الرد علىٰ ادّعاء النصارىٰ: أنّ أمر الاتحاد لا يُعقَل، بل هو فوق العقول، وذلك من وجهين:** ٣٠١

- **الوجه الأول:** أنه يجب التفريق بين ما يَعلم العقلُ بطلانَه وامتناعَه، وبين ما يَعجز عن تصوُّره ومعرفته. فالأول: من مُحالات العقول، والثاني من محاراتها، والرسل يخبرون بالثاني ٣٠١

- **الوجه الثاني:** أن يقال: ما يَعجز العقلُ عن تصوُّره إذا أخبرت به الأنبياء ـ عليهم السلام ـ قُبِل منهم؛ لأنهم يعلمون ما يَعجَز غيرهم عن معرفته. وهذه الأقوال لم يَقل الأنبياء شيئًا منها ٣٠٣

- بيان أن العقل موضعٌ غلِط فيه طائفتان، غاليةٌ غَلَتْ في المعقول حتىٰ قدَّمتْه علىٰ الحس ونصوص الرسول. وأخرىٰ جَفَتْ عنه، فَرَدَّت صريحه وقَدَّمت عليها ما ظنَّته من السمعيات والحِسِّيَّات ٣٠٥

* **(فصلٌ) في احتجاج النصارىٰ علىٰ عقيدة الأقانيم بما عند المسلمين من إثبات الأسماء والصفات، إذ كل منهما يقتضي التركيب والتجسيم، والجواب عن ذلك من خمسة عشر وجهًا:** ٣١٢

- **الوجه الأول:** فرقٌ بين من آمن بما جاءت به الرسل من غير تحريف، وبين من ابتدع أقوالًا لم تقلها الرسل، بل تخالف ما قالوه ٣١٤

- **الوجه الثاني:** أن يقال: ما ذكرتموه عن المسلمين كذب ظاهر عليهم ٣١٩

- **الوجه الثالث:** أن يقال: ما في القرآن والحديث من وصف الله بهذه الصفات التي يسميها بعض الناس تجسيمًا، هو مثل ما في التوراة وسائر كتب الأنبياء ٣٢٤

- **الوجه الرابع**: إبطال قولهم عن المسلمين: «فيوهمون السامعين أن الله ذو جسم وأعضاء وجوارح» ٣٢٧
* **ورود المعاني التي تضاف إلىٰ الخالق تارة وإلىٰ المخلوق أخرىٰ علىٰ ثلاثة أوجه**: . - تارة تقيّد بالإضافة إلىٰ الخالق أو بإضافته إليها: - تارة تُقيَّد بالمخلوق . - تارة تُطلَق مجرَّدة، وهذه للناس فيها أقوال ٣٢٨
- **الوجه الخامس**: مناقشة قولهم: «لما كان اعتقادهم في الباري جَلَّتْ قدرته أنه غير ذي جسم» ٣٣٣
- **الوجه السادس**: أن يقال لهؤلاء النصارىٰ: إما أن تَعْنوا بلفظ الجسم المعنىٰ اللغوي وهو الجسد، وإما أن تَعْنوا به المعنىٰ الاصطلاحي عند أهل الكلام، كالمشار إليه مثلا ٣٤٢
- **الوجه السابع**: أن يقال: غاية مقصودكم أن تقولوا: إن المسلمين أطلقوا ألفاظًا ظاهرها كفر عندهم، لمجيء النص بها، وهم لا يعتقدون مدلولها، فكذلك نحن، وهذا مردود ٣٤٣
- **الوجه الثامن**: بطلان قولهم: «وكذلك نحن النصارىٰ العلة في قولنا: إن الله ثلاثة أقانيم، أب وابن وروح القدس: أن الإنجيل نطق به» ٣٤٥
- **الوجه التاسع**: أن يقال لهم: أنكم إنما ضللتم بعدولكم عن صريح كلام الأنبياء وظاهره إلىٰ ما تأولتموه من التأويلات ٣٤٩
- **الوجه العاشر**: أنكم بالغتم في ذم المسيح وإنجيله كما بالغتم في سبّ الله وشتمه، وإن كنتم لا تعلمون ذلك، حيث جعلتم ظاهر كلامه كفرًا لا ترضونه، وهو أنه ثلاثة آلهة متفرقة أو ثلاثة أجسام مؤلفة إلىٰ غير ذلك، ثم عدلتم عنه إلىٰ إثبات الأقانيم الثلاثة ٣٥٠
- **الوجه الحادي عشر**: أن غلاة المجسّمة الذين يكفرهم المسلمون أحسن حالًا من النصارىٰ، شرعًا وعقلًا، وأقل مخالفة للشرع منهم ٣٥٥
- **الوجه الثاني عشر**: أنّ كلّ من يعتقد في التجسيم ما يعتقد يُمكنه أن يقول كما يقوله النصارىٰ ٣٦٣

- **الوجه الثالث عشر**: أن يقال لهم: أنتم تلعنون من قال إن المسيح ليس إلهًا، وتلعنون من قال هو الأب الخالق، فتجمعون بين النقيضين ٣٦٧
- **الوجه الرابع عشر**: مناقشة النصارىٰ في معنىٰ الولادة، وفي قولهم: «ويراد بالأب والابن غير أبوة وبنوة نكاح، ومن أراد ولادة زوجةٍ لعنّاه» ٣٧٢
- كلام الأنبياء لا يجوز أن يُحمل إلا علىٰ لغتهم التي عادتهم أن يخاطبوا بها الناس، ولا يجوز أن يُحدِث أحدٌ لغة غير لغتهم، ويحمل كلامهم عليها ٣٨٥
- قول النصارىٰ أفسدُ من قول بعض المتفلسفة: إن العقول والنفوس معلولة له متولِّدة عنه ٣٩٠
- **الوجه الخامس عشر**: أن يقال: لفظ الابن وروح القدس قد جاء في حق غير المسيح عندكم ٣٩٥
- لم يختص المسيح بالألفاظ التي يحتجون بها علىٰ الحلول، فقد جاء إطلاقها في حق غيره ٣٩٩
- من قال من ضُلّال المسلمين إن الرب يتّحد أو يحل في الأنبياء والأولياء فقوله من جنس قول النصارىٰ ٣٩٩
* **(فصل): في احتجاج النصارىٰ علىٰ قولهم: (إن الله جوهر)** بما ثبت في كتب الفلاسفة أن الموجود إما جوهر أو عرض، وأنه عندهم ليس جوهرًا كثيفًا يقبل عرضًا ويشغل حيِّزًا، بل لطيفٌ كجوهر النفس، والعقل ٤٠٥
* **الجواب عن هذه الشبهة من سبعة وجوه:** ٤٠٦
- **الوجه الأول**: أن يقال: أما تسمية الباري جوهرًا هو من أهون ما يُنْكر علىٰ النصارىٰ
- المسلمون في أسماء الله علىٰ طريقتين، والصواب القول الثالث ٤٠٦
- الناس متفقون علىٰ إثبات الأعيان القائمة بنفسها-التي تسمىٰ (جواهر)، وتنازعوا في ثبوت الأعراض القائمة بها، والنزاع لفظي عند محققيهم ٤٠٨
- التحقيق: أن مسمّىٰ الإنسان إذا أَطلق دخل فيه صفاته ٤٠٩
- اضطراب النصارىٰ في مفهوم الأعراض والصفات والأعيان والجواهر ٤٠٩

- **الوجه الثاني**: أن يقال: أنتم تقولون إنكم متبعون للكتب الإلهية، والأنبياء لم يسمِّه أحد منهم جوهرًا، وإنما سمّاه بذلك «أرسطو» وأمثاله ٤١٥
- **الوجه الثالث**: نقض قولهم: إن الذي يشغل حيّزًا ويقبل عرَضًا هو الجوهر الكثيف لا اللطيف ٤١٧
- العقل الفعال والعقول العشرة عند الفلاسفة ٤١٧
- تقسيم الموجودات إلىٰ واجب قديم، وممكن قديم عند الفلاسفة ٤٢١
- كلام النصارىٰ يتضمن تعظيم الفلاسفة وأهل المنطق، وهو دليل جهلهم بما جاءت به الرسل، وبما يُعرف بالعقل المحض ٤٢٤
- **الوجه الرابع**: مناقشة النصارىٰ في قولهم: «وجوهر الضوء» في سياق التمثيل علىٰ الجوهر اللطيف ٤٣١
- **الوجه الخامس**: إبطال قولهم: «إن الجوهر اللطيف لا يقبل عرَضًا» ٤٣١
- **الوجه السادس**: الناس لهم في إثبات الصفات القائمة بذات الله قولان، لم يقل النصارىٰ بأحدهما، بل تناقضوا تناقضًا بيِّنًا ٤٣٤
- **الوجه السابع**: بيان تناقض النصارىٰ في قولهم: الموجود إما جوهر وإما عرض؛ فالجوهر ما قام بذاته، والعرض ما قام بغيره، مع قولهم: إنه موجود حي ناطق، له حياة ونطق ٤٣٦

*** (فصلٌ) في احتجاج النصارىٰ علىٰ تفضيل شريعتهم بأن الباري لما كان عدلًا جوادًا وجب أن يظهر عدله فأرسل موسىٰ، ثم أظهر جوده وفضله بعيسىٰ فليس شيء بعد هذا أكمل منه** ٤٤٢

*** الجواب عن هذه الشبهة من اثني عشر وجهًا:** ٤٤٣

- **الوجه الأول**: أن يقال: بل الشرائع ثلاثة: شريعة عدْل فقط، وفضل فقط، وثالثة تجمعهما، فتوجب العدل وتندب إل الفضل، وهي شريعة القرآن
- **الوجه الثاني**: أن يقال لهم: الناس في أمر الله ونهيه قولان: محض مشيئة، أو بما يصلح العباد وينفعهم، وفي إرسال محمد ﷺ من الحكم والمصالح أعظم مما كان في إرسال موسىٰ والمسيح ٤٥١

- **الوجه الثالث**: أن يقال: هب أن شريعة الكتابين كانت كافية، فإنما ذاك إذا كانت محفوظة معمولًا بها، ولم يكن الأمر كذلك، بل كانت قد دَرَس كثير من معالمها ٤٥٥
- **الوجه الرابع**: إن شريعة التوراة تغلِب عليها الشدة، وشريعة الإنجيل تغلب عليها اللين، وشريعة القرآن معتدلة جامعة ٤٥٧
- **الوجه الخامس**: إذا كانت النعمة نوعين: نعمة بها دفْعُ المضرة وزوال الحاجة، وأخرىٰ يحصل بها كمال النعم= فإن الخلق كانوا محتاجين إلىٰ إرسال محمد ﷺ من الوجهين معًا ٤٦٣
- **الوجه السادس**: أن يقال قولهم: «إنا نعجب من هؤلاء القوم» قول جاهلٍ ظالمٍ يستحق أن يقال له: بل العجب من هذا العجب هو الواجب ٤٦٤
- **الوجه السابع**: أن يقال لليهود: أنتم أذل الأمم، فلو قدّر أن دينكم لم يبدّل؛ فهو مغلوب مقهور، ويقال للنصارىٰ: أنتم لم تُخلّصوا دين الله من دين المشركين والمعطّلين ٤٦٦
- **الوجه الثامن**: أن يقال لليهود: أنتم لما كنتم متّبعين لموسىٰ عليه السلام كنتم علىٰ الهدىٰ، ثم بدّلتم وكثُرت فيكم الأحداث. ويقال للنصارىٰ: أنتم ما زلتم مقهورين مغلوبين مبدّدين ٤٦٨
- **الوجه التاسع**: أن يقال: هم معترفون بانتفاع المشركين به غاية الانتفاع، فهذا من أعظم المقاصد وأجل نعم الله علىٰ عباده ٤٧٢
- **الوجه العاشر**: قولهم: إن التوراة جاءت بالعدل، والإنجيل بالفضل، فلا حاجة إلىٰ غيرهما؛ لو قُدِّر أنه حق، إنما يستقيم إذا كان الكتابان لم يبدَّلا، فكيف وقد حصل ! ٤٧٣
- **الوجه الحادي عشر**: مناقشة قولهم: «لما كان الباري عدْلًا جوادًا أوجبَ أن يُظهر عدلَه وجودَه» ٤٧٦
- **الوجه الثاني عشر**: مناقشة قولهم: «ولما كان الكمال الذي هو الفضل لا يمكن أن يضعه إلا أكمل الكُمَّال» ٤٧٨

* (فصلٌ): جميع ما احتجّ به النصارىٰ من التوراة والإنجيل إنما يكون حجة إذا أقاموا الدليل علىٰ نبوة من احتجّوا بكلامه، وهم لم يفعلوا ذلك ٤٨٤
* (فصلٌ): بسط القول في بيان امتناع احتجاجهم بشيء من كلام محمد ﷺ أو غيره من الأنبياء عليهم السلام علىٰ ما يخالف دين المسلمين من دينهم ٤٨٦
- القدر الذي يخالف ما جاء به محمد ﷺ مما ينقلونه عن الأنبياء نوعان ٤٩٠
- كل ما يدّعي فيه مدّعٍ أن محمدًا ﷺ ناقضه فلا بُدَّ له من أن يثبت مقدمتين ٤٩١
- كل ما يحتج به النصارىٰ علىٰ مخالفة ما ثبت عن محمد ﷺ لا يمكن أن يقوم لهم عليه دليلٌ لا شرعي ولا عقليّ من حيث الجملة ٤٩٤
- **تقسيم حججهم في ادّعاء مخالفة ما ثبت عن محمد ﷺ إلىٰ عقلية وسمعية.** ٤٩٤
- **حججهم العقلية**، والجواب عنها من ثلاثة وجوه
- **حججهم السمعية**: والجواب عنها ٤٩٦
- الحكمة عند سائر الأمم نوعان: نظرية، وعملية ٥٠٢
* (فصلٌ): في الجواب عن قول النصارىٰ المشهور: إن محمدًا ﷺ لم تبشِّر به النبوات، ولا يكون نبيًّا حتىٰ يبشَّر به، ثم إن من بُشِّر به ـ كعيسىٰ ـ أفضل وأكمل ممن لم يبشَّر به ٥٠٨
- الجواب علىٰ دعوىٰ من يدّعي القدح في نبوة من لم يبشَّر به من طريقين: ٥١٤
- الطريق الأول:
- الطريق الثاني: ٥١٩
* (فصلٌ): في وجوه العلم بأن الأنبياء قبله بشّروا به ٥٢١
- **الوجه الأول**: ما في الكتب الموجودة اليوم بأيدي أهل الكتاب مِن ذِكْره ٥٢١
- **الوجه الثاني**: إخبار مَن وقف علىٰ تلك الكتب وغيرها من كتب أهل الكتاب بما وجدوه مِن ذِكْره فيها ٥٢١
- **الوجه الثالث**: إخباره بذلك في القرآن مرة بعد مرة، واستشهاده بأهل الكتاب ٥٣٦

- **الوجه الرابع**: ما قام من الأعلام علىٰ صدقه، مع إخباره بأنه مكتوب في الكتب المتقدمة وأن الأنبياء بشّروا به ٥٣٧
- **الوجه الخامس**: انتشار دينه ﷺ في مشارق الأرض ومغاربها، والمدّعي للنبوة لا بدّ أن يخبر به الأنبياء؛ إن كان كاذبًا فللتحذير منه، أو صادقًا فللإيمان به، وهو ما جاءت به الأخبار في حقّه ٥٣٩

فهرس موضوعات المجلد الثالث ٥٤٩

* * *

فهرس موضوعات المجلد الرابع

الموضوع	الصفحة
فصل في أن شهادة الكتب المتقدمة للنبي ﷺ من دلائل نبوت	٥
شهادة التوراة بنبوة النبي ﷺ	٦
بشارة شمعون بالنبي ﷺ	٢٢
نبوة حبقوق بالنبي ﷺ	٢٣
بشارة الزبور بالنبي ﷺ	٢٦
بشارة ثانية لداود	٣٣
بشارة ثالثة لداود	٣٥
بشارة رابعة لداود	٣٩
بشارة خامسة لداود	٤٠
نبوة أشعياء	٤٢
فصل في اتفاق الكتب المتقدمة علىٰ التبشير بالمسيح ومحمد ﷺ	٤٣
غلط النصارىٰ في مجيء المسيح	٤٥
فصل ثناء أشعياء علىٰ مكة شرفها الله	٤٧
فصل إعلان أشعياء باسم محمد ﷺ	٤٨
فصل شهادة أشعياء لهذه الأمة بالصلاح	٤٩
فصل بشارة أشعياء بمكة شرفها الله	٥٠
فصل نص أشعياء علىٰ خاتم النبوة	٥١
فصل وصف أشعياء أمة محمد ﷺ	٥٣
فصل وصف أشعياء لمكة	٥٤
فصل حكاية أشعياء عن الله تعالىٰ شكر أحمد ﷺ	٥٦
فصل نبوة حبقوق	٥٧

فصل وصف حزقيال أمة محمد ﷺ	٦١
فصل ذكر دانيال محمدا ﷺ باسمه	٦٣
فصل تضرع دانيال إلىٰ الله في شأن الأنبياء	٦٥
فصل زائد في طبعة النيل (في الهامش)	٦٨
فصل البشارة بالفارقليط	٧٠
تفسير الفارقليط والأركون	٧٢
تفسير معاني أسماء النبي ﷺ	٨٨
معنىٰ المخلص	٩٠
الأب في بشارات المسيح	١٠١
فصل اشتمال القرآن علىٰ أنواع متعددة من الآيات والبراهين	١٠٣
الإخبار بالغيبيات	١٠٤
الطرق التي يعلم بها أهل الأرض أن النبي ﷺ لم يتعلم من بشر	١٠٩
إثبات أن النبوة من الله والرد علىٰ المتفلسفة في النبوات	١٢٣
امتناع الشياطين عن التنزل بالوحي طبعا وشرعا	١٢٥
الرمي بالشهب من دلائل النبوة	١٣١
فصل اعتراف قوم النبي ﷺ بصدقه مع شدة العداوة له	١٣٥
تنازع الناس في زمن فتية أصحاب الكهف في المعاد	١٥٤
العلم بأن محمدا ﷺ لم يتعلم من بشر يحصل بوجوه	١٥٥
المسائل التي سأل أهل الكتاب عنها النبي ﷺ	١٦٣
فصل من تمام النعمة أن تكون دلائل نبوة النبي ﷺ معلومة لكل الخلق	١٧٠
من آيات النبوة تحدي النبي ﷺ الناس بالقرآن وإظهاره هذا التحدي	١٧٣
فصل الآيات والبراهين علىٰ نبوة محمد ﷺ كثيرة متنوعة	١٧٦
نوعا الآيات	١٨١

القرآن يظهر كونه آية للنبي ﷺ جملة وتفصيلا	١٨٣
وجوه الإجمال	١٨٣
وجوه التفصيل	١٩٢
فصل سيرة النبي ﷺ وأخلاقه وكرامات أوليائه من دلائل نبوته	١٩٥
فصل في صفات النبي ﷺ الظاهرة الدالة علىٰ كماله	٢٠٦
فصل في فضل أمته ﷺ علىٰ جميع الأمم	٢٢٧
مذاهب أهل الأرض الأربعة في المعاد	٢٢٩
الأول مذهب السلف	٢٢٩
الثاني مذهب المتكلمين	٢٣١
الثالث مذهب الفلاسفة	٢٣١
الرابع قول المنكرين للمعاد	٢٣٢
فصل في فضل أمة الإسلام علىٰ أهل الكتاب في العلوم والعبادات والأخلاق	٢٣٩
المقصود من العبادات	٢٤٠
الكلمات العشر التي نزلت علىٰ موسىٰ	٢٤٥
القول الثاني في مقصود العبادات	٢٥٣
اختلاف الناس في صفات العبادات	٢٥٥
فصل في الأنواع الثلاثة لمدعي النبوة	٢٥٩
فصل من آيات النبي ﷺ قصة الفيل	٢٦٧
فصل من آيات النبي ﷺ الظاهرة حراسة السماء والرمي بالشهب	٢٦٩
فصل آيات النبي ﷺ التي ليست في القرآن كثيرة جدا	٢٧٧
من أعجب الأمور الخارقة أن اليهود لا يتمنون الموت	٢٨٣
فصل آيات النبي ﷺ استوعبت جميع أنواع الآيات الخبرية والفعلية	٢٨٦
ذكر بعض الأحاديث الدالة علىٰ ذلك	٢٨٦

المغيبات التي أخبر بها ووجدت كما أخبر به ﷺ ٣١٨
فصل أنواع آيات النبي ﷺ المتعلقة بالقدرة والفعل والتأثير ٣٣٣
النوع الأول: ما هو في العالم العلوي ٣٣٣
الرد علىٰ من أنكر صعود البدن ٣٤٦
النوع الثاني: آيات الجو ٣٥٠
النوع الثالث: تصرفه في الحيوان ٣٥٢
النوع الرابع: آثاره في الأشجار والخشب ٣٧٠
فصل النوع الخامس: الماء والطعام الذي يبارك فيه فيكثر ٣٧٥
فصل: تكثير الطعام ٣٨٨
تكثير الثمار ٤٠١
فصل النوع السادس: تأثيره في الأحجار ٤٠٥
النوع السابع: تأييد الملائكة ٤٠٩
النوع الثامن: كفاية الله له وعصمته من الناس ٤١٥
انتقام الله ممن يسبه ٤٢٩
النوع التاسع: إجابة دعواته ٤٣١
فصل في الطرق التي تبين بها أن هذه الأخبار تفيد العلم ٤٥١
التواتر المعنوي ٤٦٩
مصنفات العلماء في دلائل النبوة ٤٧٨
فصل آيات النبوة تكون في حياة الرسول وقبل مولده ٤٩١
فصل من آيات الأنبياء إهلاك مكذبيهم ٤٩٦
تنوع آيات الأنبياء قبل المبعث وحين المبعث وبعد الممات ٥١٢
فصل الأدلة نوعان ٥٢٤
فصل الدلائل تقوم بها الحجة ٥٢٦

فصل جماع الكلام في النبوة متصل بالكلام في جنس الخبر	٥٤٥
فصل خبر الواحد بحسب الدليل الذي يقوم معه	٥٦٨
طريق نبه عليها القاضي عياض يتبين بها صدق النبي ﷺ	٥٨٨
درجات الناس في النبوة	٥٩٥
أنواع الذين يحتاجون لمعرفة النبي	٥٩٨
الأصول الجامعة	٦٠٠
آخر النسخ	٦٠٢
زيادات النسخة الظاهرية	٦٠٥
فصل أوجه دلالة المعجزات علىٰ نبوة الأنبياء	٦٠٦
فصل الآيات الدالة علىٰ رسالته تدل علىٰ صدقه	٦١٥
فصل في مسألة حدوث العالم	٦١٦
فصل مذاهب الناس في خروق العادات لغير الأنبياء	٦٢٨
الفرق بين النبي والساحر	٦٣٢
فهرس موضوعات المجلد الرابع	٦٣٩

* * *

فهرس موضوعات المجلد الخامس

١ - الفهارس اللفظية ٣

فهرس الآيات القرآنية ٥

فهرس الأحاديث ٧١

فهرس الآثار ٩٥

فهرس الأعلام ١٠٢

فهرس المصطلحات ١٣٠

فهرس الكتب ١٣٤

فهرس الشعر ١٤٦

فهرس الكلمات المشروحة ١٤٨

٢ - الفهارس العلمية ١٥٣

فهرس التفسير وعلوم القرآن ١٥٥

فهرس العقيدة ١٩٠

فهرس الحديث وعلومه ٢٠٨

فهرس الفقه ٢١٥

فهرس أصول الفقه ٢٢٠

فهرس القواعد الكلية ٢٢٣

فهرس العربية ٢٢٩

فهرس الفوائد المنثورة ٢٣٥

فهرس موضوعات الكتاب **٢٥٧**
فهرس موضوعات المجلد الأول ٢٥٩
فهرس موضوعات المجلد الثاني ٢٦٧
فهرس موضوعات المجلد الثالث ٢٧٣
فهرس موضوعات المجلد الرابع ٢٩٤
فهرس موضوعات المجلد الخامس ٢٩٩

* * *